الأصفى

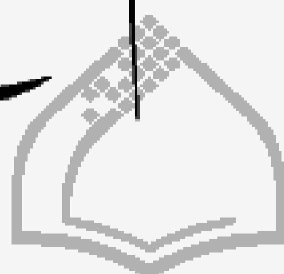
في تفسير القرآن

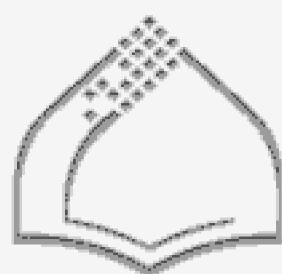
الجزء الأول

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني
(١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأصفى

في تفسير القرآن

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني
(١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

الفيض الكاشاني، المولى محمّدمحسن، ١٠٠٧ - ١٠٩١ق.
الأصفىٰ في تفسير القرآن / ملاّمحسن فيض؛ حقّقه مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. - قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر؛ ١٣٧٦ -
ج. - نمونه. - (دفتر تبليغات اسلامی حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز انتشارات؛ ٥٠٠ : كتابهای مركز مطالعات و تحقيقات اسلامی؛ ٦٥)
كتابنامه: [٧٠٣] - ٧١٣؛ همچنين به صورت زيرنويس.
١. تفاسير شيعه. الف. دفتر تبليغات اسلامی حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز مطالعات و تحقيقات اسلامی. مصحّح. ب. دفتر تبليغات اسلامی حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز انتشارات. ج. عنوان.
٦الف ٩ف ٩٧/٥٨ BP ٢٩٧/١٧٢٦

فهرست نويسی پيش از انتشار توسط مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامی

شابك ٢ - ٢٥٧ - ٤٢٤ - ٩٦٤ ISBN 964 - 424 - 257 - 2

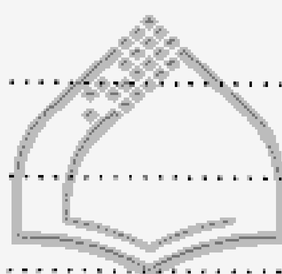


الكتاب: الأصفىٰ في تفسير القرآن/ ج١
المؤلّف: المولى محمّدمحسن الفيض الكاشاني
التحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية
المحقّقان: محمّدحسين درايتي و محمّدرضا نعمتي
الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي
المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي
الطبعة: الأولى / ١٤١٨ق، ١٣٧٦ش
الكمية: ١٥٠٠ نسخة
السعر: ٢٠٠٠ تومان

قم، شارع شهداء (صفائية)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي،
ص ب: ٩١٧، هاتف: ٧ - ٧٤٢١٥٥، فاكس: ٧٤٢١٥٤، توزيع: ٧٤٣٤٢٦

Printed in the Islamic Republic of Iran

دليل الجزء الأوّل





مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن الكريم، وجعله تبياناً لكل شيء ورحمة وهدى للمتقين. والصلاة والسلام على المصطفى الأمين أبي القاسم محمد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين.

وبعد، فإن المهتمين بشؤون التراث الإسلامي بشكل عام والتراث القرآني بشكل خاص، يُدركون جيداً أنّ المكتبة الإسلامية ـ التي تحوي على نفائس المخطوطات وبشتّى المعارف الإسلامية والإنسانية ـ زاخرة بذلك التراث العظيم الذي يكاد او كاد ان يندثر لولا قيام أهله واضطلاعهم بمسؤولية حفظه وبعث الحياة فيه من جديد، وهذا لايعني أنّ التراث باجمعه قد وصل إلينا، فكم من عالم من العلماء تُنقل عنه اقوال ولاتجد له كتاباً لتوثيق مايُنقل عنه، وكم هي آثار من السلف الصالح فُقد ولم يصل إلينا ولاتوجد منها أثر في المكتبات.

والأدهى والأمرّ من ذلك وقوع تلك النفائس من المخطوطات بيد الجهّال، فربما مزّقها وربما باعها بابخس الأثمان.

ومن المؤسف جداً انّ ما تمّ طبعه على الحجر مملوء بالاخطاء، دون أيّ اهتمام بفنون التصحيح والتحقيق، بل ولا بابسط مستلزمات الكتاب، الأمر الذي أدّى إلى ابتعاد الجيل الناشئ عن مطالعة الكتب الاسلامية.

والدعوة إلى إحياء التراث ـ عزيزي القارئ ـ ليست ترفاً فكرياً أو بدعاً من الامر، وإنما هي دعوة لإعادة بناء الإنسانية من خلال رسم خط سيرها الفكري، ولاكتشاف تلك الذخائر التي من خلالها يتم إعادة بناء الإنسان.

ولذا كثُرت الدعوات في العقود الأخيرة من هذا القرن من أجل بعث هذا التراث وتأصيله، وخصوصاً بعد نجاح الثورة الإسلامية وقيام دولتها في إيران بقيادة الإمام الراحل الخميني العظيم. فحدثت كثير من التحولات التي لبّت طموح الآملين في إحياء آثار الإسلام والمسلمين، فانشئت كثيراً من المؤسسات التي عنيت بإحياء التراث، ومنها: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية ـ قم. الذي انبرى العلماء والفضلاء المحقّقين فيه وشمّروا عن ساعد الجدّ لإحياء تراث الشيعة بدءاً بمصنفات الشهيدين ومروراً بآثار العلّامة وغيرهم من الأفذاذ الذين لازالت مصنّفاتهم تنتظر أن تُكسى الحلّة الجديدة لتخرج بأبهى صورة وأجمل هيئة.

وبما أنّ القرآن هو المصدر الرئيسي في التشريع الإسلامي وأقدس كتاب لدى المسلمين على شتى مذاهبهم، و به ثبتت نُبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله، وهو معجزة الإسلام الخالدة، وهو المصدر الوحيد «القطعي الثبوت» باتفاق المسلمين وإجماعهم، لم تطاله يد التحريف ولم تطرأ عليه زيادة أو نقصان، ومع كل ذلك فهو الكتاب المهجور الذي غفل عنه المسلمون وراحوا يلهثون وراء الأفكار الدخيلة التي هي أبعد ماتكون عن توفير حلول ناجعة لمشاكل الإنسانية.

ولاغرابة إذا قلنا: إنّ السبب الرئيسي في انحطاط المسلمين هو جهلهم بقيمة هذا الكتاب وماحواه من ثروات تشريعية وأخلاقية تكفل سعادة الإنسان إلى نهاية الشوط.

مضافاً إلى أن التعرف على القرآن الكريم له دور كبير في فهم العلوم الإلهية واستخراج الأحكام والقوانين الإسلامية العامة التي تعتبر حجر الأساس في صرح الدولة الإسلامية.

ولذا قرّر «مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية» تحقيق ونشر كتاب «تفسير الأصفى» للشيخ الفقيه والفيلسوف العارف والمفسّر المحدّث المولى محسن المعروف بـ«الفيض الكاشاني» من أعلام القرن الحادي عشر الهجري.

ويتميّز تفسير «الأصفى» عن باقي التفاسير بالإيجاز والاختصار، مضافاً إلى كونه تفسيراً روائياً جامعاً لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات القرآن الحكيم.

نبذة عن حياة المفسّر:

كان المولى محمدبن المرتضى المدعو بـ«محسن» والمعروف بـ«الفيض الكاشاني» أحد نوابغ العلم والمعرفة في القرن الحادي عشر، وكان ـ مضافاً إلى علمه وفضله ـ حكيماً متكلماً محدّثاً مفسّراً عارفاً أديباً متبحراً في جميع العلوم والمعارف.

ولد رحمه الله في سنة (١٠٠٧) في مدينة قم المشرّفة ونشأ فيها، ثم انتقل إلى كاشان ليشدّ الرحال بعدها إلى مدينة شيراز للانتهال من العلمين: السيد ماجدبن عليّ البحراني وصدرالمتالهين الشيرازي، حيث تزوّج من ابنة الأخير، وما إن ارتوى من تلك المعارف عاد إلى مدينة كاشان ليكون هناك مرجعاً فذاً لاندّ له إلى أن توفّي فيها سنة ١٠٩١ وهو ابن الأربع والثمانين عاماً ودفن فيها، وقبره هناك مشهور يقصده العلماء والعارفون.

أما ترجمته فقد وردت في كثير من كتب التراجم وفي مقدمة كتبه التي حُقّقت وطُبعت أخيراً، وقد تصدّى في بعض كتبه لترجمة نفسه بنفسه، وقد ألّف الفيض الكاشاني ثلاث رسائل في فهرس مؤلفاته، طبعها المرحوم السيد محمد المشكاة في مقدمة المجلّد الثاني من كتاب «المحجّة البيضاء»، ولنكتف بهذا القدر على أنّا نحيل من يريد الاطلاع على ماذكرنا آنفاً.

أقوال العلماء فيه:

نعته المحدّث الشيخ الحرّ العاملي بقوله: «كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدّثاً

فقيهاً محققاً شاعراً أديباً حسن التصانيف ...»[1].

وقال عنه الرجالي الكبير محمدبن علي الأردبيلي: «محسن بن المرتضى رحمه الله العلّامة المحقق المدقّق، جليل القدر، عظيم الشان، رفيع المنزلة، فاضل كامل أديب، متبحّر في جميع العلوم»[2].

وقال صاحب الروضات: «أمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأصول وكثرة التأليف مع جودة التعبير والتوصيف أشهر من أنْ يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد»[3].

وقال المحدّث القمي: «وأمره في الفضل والأدب وطول الباع وكثرة الاطّلاع وجودة التعبير وحسن التحرير والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من أن يخفى»[4].

وقال العلّامة الأميني في ترجمة علم الهدى ابن المؤلف:

«هو ابن المحقق الفيض علم الفقه، وراية الحديث، ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود الأخلاق، وعباب العلوم والمعارف، وهو ابن ذلك الفذّ الذي قلّ ماانتج الدهر بمثيله، وعقمت الأيام أن تأتي بمشابهه»[5].

ونُقل عن العلّامة الطباطبائي صاحب الميزان قوله: «هو ممّن جمع العلوم وقلّ نظيره في العالم الإسلامي»[6].

مصنّفاته:

صرف المولى محسن الفيض عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة والمعارف الإلهيّة

١ـ «أمل الآمل» ٢ : ٣٠٥.

٢ـ «جامع الرواة» ٢ : ٤٢.

٣ـ «روضات الجنّات» ٦: ٧٩.

٤ـ «الكنى والألقاب» ٣ : ٣٥.

٥ـ «الغدير» ١١ : ٣٦٢.

٦ـ «مهر تابان» ٢٦.

تدريساً وتأليفاً، فخلّف ثروة علميّة عظيمة في شتّى أنحاء العلم والمعرفة من الفقه والحديث والحكمة والعرفان والأخلاق والتفسير والأدعية والأشعار وغيرها، ناهزت المائة والعشرين مصنّفاً، منها: «الصافي» و«الأصفى» في التفسير، و«الوافي» و«النوادر» في الأخبار، و«معتصم الشيعة» و«مفاتيح الشرائع» في الفقه، و«عين اليقين» و«علم اليقين» في الحكمة والكلام، و«المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء».

وقد امتازت تأليفاته بجودة التحقيق وحسن البيان والتأليف وسلامة الألفاظ ومتانة المباني ودقّة المعاني وعلوّ المقاصد.

لقد أولى الفيض اهتماماً متزايداً وعناية بالغة بالقرآن والحديث، واستدلّ على آرائه في جميع مصنفاته بأدلّة من الكتاب العزيز وبالحديث الصادر عن الرسول وآله الطاهرين، وله في التفسير مسلك خاص، جمع فيه بين الطريقة والشريعة، ألّف في الحقائق القرآنية التي أُسّست على أصول الفطرة والحكمة المتعالية ـ التي تنطبق على نواميس الطبيعة والعرفان الصحيح الذي يلائم الفطرة والعقل ـ تفسيريّه «الصافي» و«الأصفى».

مؤلفاته في التفسير:

(١) «الصافي» وقع الفراغ من تأليفه في خمس وسبعين بعد الألف[١]، وقد طُبع في عشرة مجلّدات سنة ١٩٧٩ بتصحيح الشيخ حسين الأعلمي.

(٢) «الأصفى» وهو منتخب من الصافي، وقع الفراغ منه بعد الصافي بسنتين[٢].

(٣) «تنوير المواهب»، قال في الفهرس: «وهو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي الموسوم بـ«المواهب العلية»، تنبّه على ما خالف الإمامية في تفسير الآيات وشأن النزول وبما ليس على طريقة أهل البيت عليهم السلام، وتورد ما ورد عنهم عليهم السلام في ذلك، يقرب من ثلاثة آلاف بيت»[٣].

١ـ «رسالة المصنّف في فهرست تآليفه» ضمن «المحجة البيضاء» ٢: ٥.

٢ـ نفس المصدر السابق.

٣ـ نفس المصدر، ص١٢.

وذكره في «الذريعة» ٤: ٤٧١، الرقم: ٢٠٩١ باسم «تنوير المذاهب في تعليقات المواهب». ولم نعثر على نسخة منه في حدود مالدينا من فهارس المكتبات.

(٤) «تفسير آية الأمانة»[1] رسالة في جواب من سأل عن تفسير هذه الآية، والنسخ الخطّيّة الموجودة منه كالتالي:

أ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٧١٢) ضمن مجموعة من صفحة (٢٥٤ ـ ٢٥٦)[2].

ب ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشوري الإسلامي المرقّمة (١٧١٣) مع «أصول المعارف»[3] للمصنّف.

٤ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (٤٧٠٢) ضمن مجموعة من الورقة (١٢٠ إلى ١٢٨)[4].

٥ ـ مخطوطة مكتبة مدرسة الشهيد المطهّري المرقّمة (٦٣٢٧)[5].

٦ ـ مخطوطة مكتبة كلّية الإلهيات والمعارف الإسلامية في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، المرقّمة (١٣٣٥).

ما نُسب إليه من التفاسير فهي:

١ ـ «مجمع المطالب ومنتهى المآرب» في تفسير سورة الحمد والتوحيد. نسبه إليه في «الروضات» ٦: ٥٤٥، وفي «الذريعة» ٢: ١٢٤؛ ٢٥٥؛ ٢٠: ٤٤ و«ريحانة الادب» ٦: ٣٦٩. وفي فهرست مكتبة ملك الوطنية ٦: ١٤٤، المرقّمة (٦٧٠٨) ذكر أنّه «في تفسير سورة الحمد والتوحيد، كتبه في أربعين عمره»، وهذا سهو قطعاً؛ وذلك لأنّه لم يَرِد ذكره

١ـ «المحجة البيضاء»، ج ٢، ص ٢٠.

٢ـ «فهرست نسخه هاى خطّى مجلس شوراى اسلامى» ج ٥، ص ٥٦.

٣ـ نفس المصدر السابق، ج٥، ص ٥٧.

٤ـ نفس المصدر السابق، ج ١٣، ص ٨٥.

٥ـ فهرست نسخه هاى خطّى مدرسه سپهسالار (سابقاً) ١: ١٦٠؛ ٣: ١٥٥.

في أحد من الرسائل الثلاث للمصنف، مع أنّ النسخة الموجودة في مكتبة ملك الوطنية قد تمّ تاليفها في سنة (١٢٧٠)، وهي لشخص كان يُدعى بـ«ملّا محسن».

٢ ـ «المصفّى» في تلخيص «الأصفى»، نسب إليه في «ريحانة الأدب» ٦: ٢٤٢ و«روضات الجنات» ٦: ٥٤٥. وقال الطهراني في «الذريعة» ٢: ١٢٤، الرقم: ٤٩٦ تحت عنوان «الأصفى»: «إن هذا أوسط التفاسير الثلاثة التي ألّفها الفيض.»

وعلّق السيد المشكاة على ذلك قائلاً: «هذا هو المشهور ... ولكنّي لا أعرف للفيض أكثر من تفسيرين، وليس لهذا التفسير الثالث الذي يسمّى بـ«المصفّى» أثر في المكتبات ولا في شيء من فهارسه لتاليفاته»[١].

وقفة مع «الأصفى»:

تفسير «الأصفى» واحد من الآثار التفسيرية القيّمة للمولى محسن الفيض الكاشاني، وهو منتخب من تفسيره الكبير «الصافي»، يتألّف من جزئين، يشتمل الجزء الأول على خمسة عشر جزءاً ابتداءً من سورة الفاتحة حتى سورة بني إسرائيل، والجزء الثاني من سورة الكهف حتى آخر سورة من القرآن الكريم.

وامتاز «الأصفى» ـ كما هو عليه «الصافي» ـ بأنّه تفسير مزجت فيه الرواية مع الدراية، وللاختصار حُذفت أسانيد الروايات، فكان تفسيراً موجزاً غاية الإيجاز مع شموله لجميع القرآن.

قال المصنف في خطبة الكتاب: «هذا ما اصطفيت من تفسيري القرآن المسمّى بـ«الصافي»، راعيتُ فيه غاية الإيجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع التوضيح، مقتصراً على بيان ما يحتاج إلى البيان من الآيات دون ما يستغنى عنه من المحكمات الواضحات، فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفى».

طبع الأصفى قبل هذه الطبعة ثلاث طبعات: الأولى عام ١٢٧٤، والثانية عام ١٣١٠

---

١ ـ «المحجّة البيضاء» ٢: ٢٤.

في حاشية «الصافي»، والثالثة على الحجر في عام ١٣٠٣ ـ ١٣٥٤ في مجلد واحد كبير.

منهجية التحقيق:

أولاً: النسخ المعتمدة في التصحيح والتحقيق، وهي:

أ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٢١٦)، تمّ تحرير الجزء الأول في عام ١٠٩٠، والثاني في عام ١٠٨٩، أي قبل سنتين من وفاة المصنف في ٢٣٥ ورقة.

وناسخها: ابن عليّ بن عليّ الشهير بنوروز الدين محمد نصير، وهي نسخة كاملة مصححة جميلة الخط، وفي حواشيها علائم التصحيح والبلاغ، وفي بعض الحواشي هناك تعليقات لاتخلو من فائدة برمز «منه دام ظلّه» و«منه دام فيضه» و«منه»، ورمزنا لهذه المخطوطة بـ«ألف».

ب: مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة في مشهد والمرقمة (١١٦٢) في ٣٠٦ ورقة من المجموعة المهداة من قبل المرحوم الشيخ محمد صالح، العلامة الحائري المازندراني، تمّ تحريرها في شهر جمادى الثانية عام ١٠٨١هـ، وكتب في حاشية الصفحة الأخيرة: «بلغ سماعه على سماع تفهّم وتدبّر واستبصار واستكشاف، وفّقه الله للعمل به، وبلّغه أقصى مراتب الكمال، وكتبه الفقير إلى الله أحمدبن محمدحسن عفا الله عنه وأيّده الله لما يرتضيه».

وهي نسخة كاملة مظبوطة قيّمة، مصحّحة على نسخة المؤلّف، جميلة الخط، وفي حواشيه علائم التصحيح، وتعليقات نافعة برمز «منه سلّمه الله» و«منه دام ظلّه»، ورمزنا لها بـ«ج».

وكتب المرحوم الشيخ محمد صالح العلّامة الحائري المازندراني في الورقة الملصقة باول النسخة: «هذا التفسير المسمّى بـ«الأصفى» كلّه بخطّ المولى محمدهادي سبط أخي المصنف، وخطّه الشريف موجود عندي على ظهر الجزء الرابع والخامس عشر من أجزاء «الوافي»، وهو إجازته لابن أُخته المولى محمد رفيع».

إلى أن قال: «ولمّا وصل التحرير إلى هذا الكلام ذكرت أنّه وقع بيدي تفسير مسمّى

بالمؤلّف [كذا] بخط المؤلف من أهل هذا البيت، ففتحته فإذا فيه: يقول المتمسّك بحبل الله المتين «محمدبن المرتضى» المدعو بـ«نور الدين»، ثمّ قال في جملة كلام: ومن أراد الاطلاع على متون الأخبار والكتب المأخوذة هي منها، فليرجع إلى التفسير «الصافي» المنسوب إلى عمي «المحسن» الأستاذ ومن عليه فيما استفدته المعوّل والاستناد». وتفسير هذا خلاصة «الأصفى» بطرز بديع. وفرغ منه سنة تسعين وألف. والنسخة هي المسودة الأولى. وقد (شخط) على بعض عباراته، لمبالغته في الإيجاز. وأنا... العلّامة الحائري المازندراني».

هذا ولايبعد أن يكون هذا التفسير هو التفسير الثالث المنسوب إلى الفيض المذكور في «الذريعة» وغيرها من المصادر كما تقدم.

ج: النسخة المطبوعة على الحجر عام ١٣٥٣ ـ ١٣٥٤ بخط محمد علي المصباحي النائيني والمتخلّص بـ«عبرت» وقد أضاف الكاتب في أوائل السور بعض الفوائد ورمزنا لها بـ«ب».

ثانياً: في موارد وجود اختلافات بين النسخ، أعرضنا عن إثباتها في الهوامش إلا ما اقتضت الضرورة إثباته، مع بذل الجهد في اختيار ماهو الأنسب والأصحّ، معتمدين في ذلك أسلوب التلفيق بين النسخ.

ثالثاً: خرّجنا الأحاديث والآثار والأقوال والآراء التي أوردها المصنف ـ تصريحاً أو تلميحاً ـ وبذل الجهد في تخريجها وإحالتها إلى مصادرها الأصلية، وأشرنا إلى بعض الاختلافات في الهامش، وفي حالة اقتضاء السياق للزيادة، وضعنا تلك الزيادة بين معقوفتين[].

رابعاً: عمدنا إلى ضبط وإعراب بعض الكلمات في الموارد اللازمة وموضع الحاجة.

خامساً: اعتمدنا في الرسم القرآني على المصحف الشريف المكتوب بخط (عثمان طه)، وبالنظر لتعذر ضبط الآيات بهذا الرسم على أجهزة الكمبيوتر، فقد عمدنا إلى تجزئة الآيات وبالرسم العثماني ووضع كل آية في موضعها المناسب.

سادساً: اتبعنا في الترقيم والإملاء القواعد الحديثة والمتداولة.

النار فيه سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف أسود في جوف كل أسود سبعون ألف
جرة سم لا بد لأهل النار أن يمروا عليها والقمي الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره سأل الله أن
يأذن له أن يتنفس فأذن له فتنفس فأحرق جهنم من شر ما خلق ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه
إذا وقب دخل ظلامه في كل شيء ومن شر النفاثات في العقد من شر النفوس أو النساء السواحر اللواتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق ورد أن يهوديا سحر النبي في إحدى عشرة عقدة في وتر
في بئر فنزلت المعوذتان وأخبره جبرئيل عليه السلام بموضع السحر فبعث عليا عليه السلام فجاء به فقرأهما عليه
فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد خفة وقال كان النبي صلى الله عليه وآله يرى أنه يجامع وليس يجامع وكان يريد الباب
ولا يبصره حتى يلمسه بيده والسحر حق ما يسلط السحر إلا على العين والفرج أقول ولعل الكفار إنما سحروه
فأرادوا به أن يحجبوه بواسطة السحر ومن شر حاسد إذا حسد إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود
ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره قال أما رأيته إذا فتح عينيه وهو ينظر
إليك هو ذاك وتقييد خص الحسد بالاستعاذة منه لأنه العمدة في الأضرار وورد كاد الحسد أن يغلب القدر
بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس [illegible] ويسمى
الموسوس مجازا به بالوسواس مبالغة الخناس الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه
القمي الخناس اسم الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس إذا غفلوا عن ذكر ربهم من الجنة والناس
بيان للوسواس قال ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه أذن ينفث فيها الوسواس الخناس وأذن ينفث
فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله وأيدهم بروح منه وفي رواية كما أن من الناس شيطان
يحمل الناس على المعاصي كما يحمل الشيطان من الجن وقد سبق تفسير شياطين الإنس في سورة الأنعام
تم كتاب الأصفى بتيسير الله بعد تمام الصافي والحمد لله
أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد
وآله الطيبين الطاهرين
وسلم

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة «الف»

وقف عام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا للتمسك بالثقلين وجعل لنا القرآن هدى والمودة في القربى عروة ومنّ علينا
بنبيه المرسل بنور كتابه المنزل وكشف عن سر كتابه المنزل بعترة نبيه المرسل جعل الكتاب والعترة بينه
وبيننا حبلين ممدودين وسببين مسطحين غير مفترقين لن يزالا أحدهما فينا طرف منهما بيده وطرف
بأيدينا ما إن تمسكنا بهما لن نضل وما اعتصمنا بهما لن نزل فصل اللهم على محمد وعترته واسقنا من كأسهم
الأصفى ما يروينا وآتنا من فهم القرآن ما هو الأوفى ما يغنينا أما بعد فيقول الفقير إلى الله في كل
حال ومآل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن زاده الله في دنياه سداداً وجعل آخرته خيراً من أولاه. هذا
ما اصطفيت من تفسير القرآن المسمى بالصافي راعيت فيه غاية الإيجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع
التوضيح مقتصراً على بيان ما يحتاج إلى البيان من الآيات دون ما استغنى عنه من المحكمات الواضحات
فبالحري أن يسمى بالأصفى وعسى أن يفي ببيان أكثر ما يبهم ظاهره ويحتاج إلى البيان من القرآن وإن كان
الصافي هو الأوفى وإنما معولي فيه على كلام الأئمة المعصومين من آل الرسول الأمجاد [illegible] لعلومهم وما
إلى القشر يؤول إذ لا يوجد معالم التنزيل إلا عند قوم كان ينزل في بيتهم جبرئيل ولا كشاف عن وجوه
عرائس أسرار التأويل إلا من خوطب بأنوار التنزيل ولا يتأتى تبيين تفسير القرآن إلا من الذي ختم البيان والتبيان
مثلي من يقول لا أعلمهم وإلى من نصير إلا إليهم لا والله لا نتبع إلا آثارهم ولا [illegible]
فيما يفتقر إلى الشرح من الأحاديث ما وجدت إليه سبيلاً إما بألفاظه وسوره أو بمعانيه مضمونه ضمنت
لم أذكر قائله مخصوصاً إن حديثهم واحد وحديثهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول
الله صلى الله عليه وآله قول الله تبارك وتعالى كما ورد عنهم عليهم السلام فكل ما كان من ألفاظهم عليهم السلام
صدرته بقال أو ورد أو في رواية فإن تصرفت في شيء منه للتلخيص بتغيير أو إتيان بمعانيه نبهت عليه
إن احتاج إلى التنبيه ليعرف أنه المنقول بمضمونه ومعانيه وأكثر ما نبهت به على ذلك تذييله بكذا أو ورد بمعناه
من أوجز الألفاظ هذا التنبيه وما نقلته من تفسير علي بن إبراهيم القمي مما لم يخبر به عن المعصوم وظاهره أنه مسند
إلى المعصوم صدرته بالقول ليتميز عن المروي وما رويت من طريق العامة صدرته بروي ليتميز عما رويت من
طريق الخاصة وما لم أسنده إلى حديث المعصوم سبيلا أو لم أعتمد على ما وجدت عنه وهو ما أشير إلى السماع وصحح

الصفحة الاولى من نسخة «ج»

انه مسحور فادلوا بانه مجنون بواسطة الصرع ومن شر حاسد إذا حسد إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود
ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره قال اما رأيته إذا فتح عينيه وهو ينظر اليك هو ذاك
قيل خص الحسد بالاستعاذة منه لانه العمدة في الاضرار وقد كاد الحسد ان يغلب القدر سورة الناس
بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس
يعني الوسوسة ... الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر إذا ذكر الانسان ربه القمي الخناس
اسم الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس إذا غفلوا عن ذكر ربهم من الجنة والناس بيان للوسواس
قال ما من مؤمن الا ولقلبه اذنان في جوفه اذن ينفث فيها الوسواس الخناس واذن ينفث فيها الملك فيؤيد
المؤمن بالملك فذلك قوله وأيدهم بروح منه وفي رواية كذلك من الناس شيطان يحمل الناس على المعاصي
كما من الشيطان من الجن وقد سبق تفسيرها ... في سورة الانعام تم كتاب الاصفى بعون الله
تمام الصافي والحمد لله اولا وآخرا
وباطنا وظاهرا والصلوة على محمد
... محسن الكاشاني
... سنة 1081

وقف ... این کتاب اصفی را ...
... 1295

الصفحة الأخيرة من نسخة «ج»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الّذي هدانا للتّمسّك بالثّقلين، و جعل لنا القرآن هدًى، والمودّة في القربىٰ قرّة عينٍ. أبلج عن هدى نبيّه المرسل بنور كتابه المنزل، و كشف عن سرّ كتابه المنزل بعترة نبيّه المرسل. جعل الكتاب و العترة بينه و بيننا حبلين ممدودين، و صاحبين مصطحبين غير مفترقين، لم يزل أقامهما فينا، طرفٌ منهما بيده و طرفٌ بأيدينا، ماتمسّكنا بهما لن نضلّ، و ما اعتصمنا بهما لن نزلّ. فصلّ اللّهمّ على محمّد و عترته، واسقنا من كأسهم الأصفى ما يروينا، و آتنا من فهم القرآن و علمه الأوفىٰ ما يُغنينا.

أمّا بعد، فيقول الفقير إلى الله في كلّ مسلك و موطن، محمّد بن مرتضى المدعوّ بمحسن ـ زوّده الله في دنياه لعقباه، و جعل آخرته خيراً من أُولاه ـ: هذا ما اصطفيت من تفسيري للقرآن المسمّىٰ بـ«الصّافي» راعيت فيه غاية الإيجاز مع التّنقيح، و نهاية التّلخيص مع التّوضيح، مقتصراً على بيان ما يحتاج إلى البيان من الآيات، دون مايستغنى عنه من المحكمات الواضحات؛ فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفىٰ».

و عسى أن يفي ببيان أكثر ما لايفهم ظاهره بدون البيان من القرآن، و إن كان «الصّافي» هو الأوفىٰ، و إنّما معوّلي فيه على كلام الإمام المعصوم من آل الرّسول، إلّا فيما يشرح اللّغة و المفهوم و ما إلى القشر يؤول؛ إذ لايوجد معالم التّنزيل إلّا عند قوم كان

ينزل في بيوتهم جبرئيل، و لا كشّاف عن وجوه عرائس أسرار التّأويل إلّا من خوطب بأنوار التّنزيل. و لايتأتّىٰ تيسير تفسير القرآن إلّا ممّن لديه مجمع البيان و التّبيان. فعلى من نعوّل إلّا عليهم؟ و إلى من نصير إلّا إليهم؟ لا والله لانتّبع إلّا أخبارهم، و لانقتفي إلّا آثارهم.

و لهذا ما أوردت فيما يفتقر إلى السّماع إلّا حديثهم ما وجدت إليه سبيلاً، إمّا بألفاظه و متونه، أو بمعانيه و مضمونه؛ غير أنّي لم أذكر قائله بخصوصه، إذ حديثهم واحد، و حديثهم حديث رسول الله، و حديث رسول الله ﷺ قول الله تبارك و تعالى، كما ورد عنهم عليهم السّلام[1].

فكلّ ما كان من ألفاظهم عليهم السّلام صدّرته بـ«**قال**»، أو «**وَرَدَ**»، أو «**في رواية**».

فإن تصرّفت في شيء منه لتلخيصٍ يستدعيه، أو لتوضيح معانيه، نبّهت عليه إن احتاج إلى التّنبيه، ليُعْرَف أنّه المنقول بمضمونه و معانيه؛ و أكثر ما نبّهتُ به على ذلك تذييله بـ«**كذا وَرَدَ**»، فإنّه من أوجز ألفاظ هذا التّنبيه.

و ما نقلته من «**تفسير عليّ بن إبراهيم القُمّي**» ممّا لم ينسبه إلى المعصوم و ظاهره أنّه مسند إلى المعصوم، صدّرته بـ«**القُمّي**» ليمتاز عن المجزوم.

و ما رويت من طريق العامّة، صدّرته بـ«**رُوِيَ**» ليمتاز عمّا رويت من طريق الخاصّة.

و ما لم أجد فيه إلى حديث المعصوم سبيلاً، أو لم أعتمد على ما وجدت منه، وهو ممّا يفتقر إلى السّماع ـ و عسى أن يكون قليلاً ـ أوردت من سائر التّفاسير ما هو أقوم قيلاً. و الله المستعان، نفعنا الله به و سائر الإخوان، بحقّ العترة و القرآن، إنّه الجواد المنّان.

١ ـ الكافي ١: ٥٣، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

مقدّمة :

ينبغي لمن أراد فهم معاني القرآن من الأخبار من دون توهّم تناقض و تضادّ، أن لا يجمد في تفسيره و معناه على خصوص بعض الآحاد و الأفراد، بل يعمّم المعنى والمفهوم في كلّ ما يحتمل الإحاطة والعموم، كما ورد في بعض الآيات من الرّوايات. فإنّ وهم التّناقض في الأخبار المخصّصة إنّما يرتفع بذلك، و فهم أسرار القرآن يبتني على ذلك، و إنّ نظر اهل البصيرة إنّما يكون على الحقائق الكلّيّة، دون الأفراد الجزئيّة.

فما ورد في بعض الأخبار من التّخصيص، فإنّما ورد للتّنبيه على المنزّل فيه، أو الإشارة إلى أحد بطون معانيه، أو غير ذلك. و ذلك بحسب فهم المخاطب على سبيل الاستئناس، إذ كان كلامهم مع النّاس على قدر عقول النّاس[١].

و قد عمّم مولانا الصّادق عليه السلام الآية الّتي وردت في صلة رحم آل محمّد عليهم السّلام صلةَ كلِّ رَحِمٍ، ثمّ قال: «و لا تكوننّ ممّن يقول في الشّيء: إنّه في شيء واحد»[٢].

و عليه نبّه عليه السلام في حديث المُفَضَّل بن عُمَر، حيث فسّر له قول النّبيّ صلى الله عليه و آله: «عليٌّ قسيم الجنّة و النّار»، و قد ذكرناه في مقدّمات «الصّافي»[٣].

كيف و لو كان المقصود من القرآن مقصوراً على أفرادٍ خاصّة و مواضعَ مخصوصة، لكان القرآن قليلَ الفائدة، يسيرَ الجدوى و العائدة؛ حاشاه عن ذلك فإنّه «بحر لا يُنْزَفُ»[٤]،

١ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما كلّم رسول الله صلى الله عليه و آله العباد بكنه عقله قطّ؛ و قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا ان نُكلّم النّاس على قدر عقولهم». «الكافي ١: ٢٣، الحديث: ١٥».

٢ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث: ٢٨. و يأتي أيضاً في ذيل الآية: ٢١ من سورة الرّعد.

٣ـ الصافي ١: ٢٢، المقدّمة الثالثة. و الحديث في علل الشّرايع ١: ١٦١، الباب: ١٣٠، الحديث: ١.

٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٣١٥، الخطبة: ٣١٨. و فيه: «بحرٌ لايَنْزِفُهُ المُسْتَنْزِفُونَ». نَزَفْتُ ماء البئر نزفاً: نزحتُه كلّه. الصّحاح ٤: ١٤٣٠ (نزف).

ظاهره أنيق[1]، و باطنه عميق، لا تُحْصى عجائِبُه، و لاتَبْلى غرائِبُه». كما ورد[2].

و قد تبيّن ممّا ذكرنا معنى التّأويل؛ فإنّه يرجع إلى إرادة بعض أفراد معنى العامّ، و هو ما بطن عن أفهام العوامّ، و يقابل التّنزيل[3]. و الله يقول الحقَّ و هو يهدي السّبيلَ.



١ـ شيء أنيق، أي: حَسَنٌ معجب. الصّحاح ٤: ١٤٤٧ (أنق).

٢ـ الكافي ٢: ٥٩٩، الحديث: ٢، عن رسول الله ﷺ.

٣ـ في «ب» و «ج»: «بالتّنزيل».

سورة فاتحة الكتاب

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ قال: «الله هو الّذي يتألّه إليه كلّ مخلوق عندالحوائج و الشّدائد، إذا انقطع الرّجاء من كلّ مَنْ دونه و تقطّع الأسباب من جميع مَنْ سواه، يقول: «بسم الله»؛ أي: أستعين على أُموري كلّها بالله الّذي لاتحقّ العبادة إلاّ له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دُعي»[1].

أقول: معنى يتألّه إليه: يفزع إليه و يلتجأ و يسكن. و في رواية: «يعني: بهذا الاسم أقرأ، أو أعمل هذا العمل»[2]. و في أخرى: «يعني: أَسِمُ نفسي بِسِمَةٍ من سِمات الله و هي العبادة. قال: و السِّمَة: العلامة»[3]. و يأتي حديث آخر في معنى «الله» في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله.

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ قال: «الّذي يرحم ببسط الرّزق علينا»[4]. و في رواية: «العاطف على خلقه بالرّزق، لايقطع عنهم موادّ رزقه، و إن انقطعوا عن طاعته»[5].

١ـ التّوحيد: ٢٣١، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥.
٣ـ التّوحيد: ٢٢٩، الباب: ٣١، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.

اقول: الرّزق يشمل كلّ ما به قوام الوجود و الكمال اللائق به.

﴿الرَّحِيمِ﴾ قال: «الـرّحيم بنا في ديننا ودنيانا و آخرتنا، خفّف علينا الدّين و جعله سهلاً، و هو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه»[١]. و في رواية: «الرّحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، و بعباده الكافرين في الرّفق في دعائهم إلى موافقته»[٢].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: «قال الله: قُولوا: الحمدلله على ما أنعم به علينا»[٣]. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قال: «يعني: مالك الجماعات من كلّ مخلوق، و خالقهم، وسائق رزقهم إليهم من حيث يعلمون و من حيث لايعلمون، يقلّب الحيوانات في قدرته، و يغذوها من رزقه، و يحوطها[٤] بكنفه، و يدبّر كلاًّ منها بمصلحته، و يمسك الجمادات بقدرته ما اتّصل منها عن التّهافت[٥]، و المتهافت عن التّلاصق، و السّماء أنْ تقع على الأرض إلاّ بإذنه، و الأرض أن تنخسف إلاّ بأمره»[٦].

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. لعلّ تكريرهما للتّنبيه بهما في جملة الصّفات المذكورة على استحقاقه الحمد.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قال: «يعني: القادر على إقامته و القاضي فيه بالحقّ. والدِّينُ: الحساب»[٧].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قال: «قال الله تعالى: قُولوا يا أيّها الخلق المُنْعَم عليهم: إيّاك - أيّها المُنْعِمُ علينا - نطيع، مخلصين، موحّدين مع التّذلّل و الخشوع، بلا رياء و لاسُمعة»[٨].

١ - التّوحيد: ٢٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن امير المؤمنين عليهم السّلام.
٢ - تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.
٣ - المصدر: ٣٠.
٤ - الحياطة: الحفاظة. مجمع البحرين ٤: ٢٤٣ (حوط).
٥ - التّهافت: التّساقط قطعةً قطعة. الصّحاح ١: ٢٧١ (هفت).
٦ - تفسير الإمام عليه السلام. ٣٠؛ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨٢-٢٨٣، الباب: ٢٨، الحديث: ٣٠.
٧ - المصدر: ٣٨.
٨ - المصدر: ٣٩.

وفي رواية: «لانريد منك غيرك»[١].

أقول: إنّما انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب؛ لأنّه كان بتمجيده لله سبحانه يتقرّب إليه متدرّجاً، إلى أن بلغ في القرب مقاماً كأنّ العلم صار له عياناً، و الخبرَ شهوداً، و الغيبةَ حضوراً.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: «على طاعتك و عبادتك، و على دفع شرور أعدائك»[٢].

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. قال: «يعني: أدِمْ لنا[٣] توفيقك الّذي أطعناك به في ماضي أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا»[٤]. و في رواية: «يعني: أرْشِدْنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك، و المبلّغ إلى جنّتك، و المانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطَب[٥]، و أن نأخذ بآرائنا فنَهْلِكَ»[٦]. و في أُخرى: «الصّراط المستقيم في الدّنيا ما قصر عن الغلوّ، و ارتفع عن التّقصير، و استقام؛ و في الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة»[٧]. و في أُخرى: «هي الطّريق إلى معرفة الله، و هما صراطان: صراط في الدّنيا و صراط في الآخرة، فأمّا الصّراط في الدّنيا فهو الإمام المفترض الطّاعة؛ من عرفه في الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، و من لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه على الصّراط في الآخرة فتردّى[٨] في نار جهنّم»[٩]. و ورد: «الصّراط أدقّ من الشّعر

١ـ تفسير القرآن الكريم، للسيّد مصطفى الخميني١: ٤١٩، نقلاً من تفسير الإمام عليه السلام. و لم نجده فيما كان بأيدينا من تفسير الإمام عليه السلام و نقله في الصّافي١: ٧٢ بلفظة: و في رواية عاميّة عن الصّادق عليه السلام.

٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤١.

٣ـ لمّا كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أموره آناً فآناً و لحظةً فلحظةً، فإدامة الهداية هي هدايةٌ أخرىٰ بعد الهداية الأولىٰ؛ فتفسير الهداية بإدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللّفظ. «منه في الصّافي ١: ٧٢».

٤ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.

٥ـ العَطَب: الهلاك. الصّحاح ١: ١٨٤ (عطب).

٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤.

٧ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.

٨ـ أي: سقط في جهنّم. مجمع البحرين ١: ١٨١ (ردا).

٩ـ معاني الأخبار: ٣٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و أحدّ من السّيف. فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، و منهم من يمرّ عليه مثل عَدْوِ الفرس، و منهم من يمرّ عليه ماشياً، و منهم من يمرّ عليه حَبْواً[1]، و منهم من يمرّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النّار منه شيئاً و تترك شيئاً»[2]. وفي رواية: «إنّه مُظْلِمٌ، يسعى النّاس عليه على قدر أنوارهم»[3].

أقول: مآل الكلّ واحدٌ؛ لأنّ الصّراط المستقيم ما إذا سلكه العبد أوصله إلى الجنّة، و هو ما يشتمل عليه الشّرع، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]. و هو صراط التّوحيد و المعرفة، و التّوسّط بين الأضداد في الأخلاق، و التزام صوالح الأعمال.

و بالجملة: صورة الهُدى الّذي أنشأه المؤمن لنفسه مادام في دار الدّنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه، ينتقل فيه من معرفة إلى معرفة أُخرى فوقها، و من خُلقٍ محمودٍ إلى أحمد، و من عملٍ صالحٍ إلى أصلح، حتّى يلتحق بأهل الجنّة. و هو أدقّ من الشّعر و أحدّ من السّيف في المعنى، مُظلم لايهتدي إليه إلّا من جعل الله له نوراً يمشي به في النّاس، يسعى النّاس عليها على قدر أنوارهم في المعرفة. و ورد: «إنّ الصّورة الإنسانيّة هي الطّريق المستقيم إلى كلّ خير، و الجسر الممدود بين الجنّة و النّار»[5].

و يتبيّن من هذا كُلّه أنّ الصّراط و المارّ عليه شيءٌ واحدٌ، في كلّ خُطْوَةٍ يضع قدمه على رأسه؛ أعني يعمل على مقتضى نور معرفته الّتي هي بمنزلة رأسه؛ بل و يضع رأسه على قدمه؛ أي: يبني معرفته على نتيجة عمله الّذي كان بناؤه على المعرفة السّابقة، حتّى يقطع المنازل و يصل إلى الجنّة؛ و إلى الله المصير.

١ـ حَبا الصَّبيُّ حَبْواً: إذا مشى على اربع. مجمع البحرين ١: ٩٤ (حبا).
٢ـ القمّي١: ٢٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الصّافي١: ٧٣؛ و نوادر الأخبار: ٣٤٦، الباب: ٩١، في الصّراط.
٤ـ الشّورى(٤٢): ٥٢.
٥ـ الصّافي١: ٧٣، عن الصّادق عليه السلام.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: «أي قولوا: صراط الّذين أنعمت عليهم بالتّوفيق لدينك و طاعتك لا بالمال و الصّحّة؛ فإنّهم قد يكونون كُفّاراً أو فُسّاقاً. قال: وهم الّذين قال الله تعالى: "وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدّيقِينَ وَالشُّهداءِ والصّالحين وَحَسُنَ أُولٰئكَ رَفيقاً"»[1].

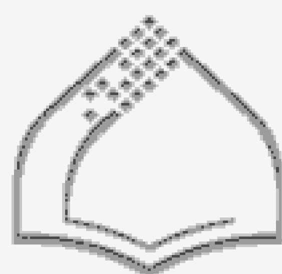
﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: «هم اليهود الذين قال الله فيهم: "مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ"»[2].

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «هم النّصارى الّذين قال الله فيهم: "قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثيراً". ثمّ قال: كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه و ضالّ عن سبيل الله»[3].

و في رواية: «المغضوب عليهم: النّصّاب؛ والضّالّين: اهل الشّكوك الّذين لايعرفون الإمام»[4].

أقول: و يدخل في صراط المُنْعَم عليهم: كُلُّ وسط و استقامة في العقائد والأخلاق و الأعمال، و هم: "اَلَّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا"[5]؛ و في صراط المغضوب عليهم: كُلُّ تفريط و تقصير، و لا سيّما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى وعيسى و نبيّنا صلوات الله عليهم؛ و في صراط الضّالّين: كُلُّ إفراط و غُلُوٌ، و لا سيّما إذا كان عن جهل، كما فعلت النّصارى بعيسى عليه السلام؛ و ذلك لأنّ الغضب يلزمه البعد والطّرد، و المُقَصِّرُ هو المُدْبِر المُعْرِض فهو البعيد المطرود، و الضّلال هو الغيبة عن المقصود، و المفرط هو المقبل المجاوز، فهو الّذي غاب عنه المطلوب.

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧ ـ ٤٨، و الآية في النّساء(٤): ٦٩.
٢ ـ المصدر: ٥٠. و الآية في المائدة(٥): ٦٠.
٣ ـ المصدر: ٥٠. و الآية في المائدة(٥): ٧٧.
٤ ـ القمّي ١: ٢٩: عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ فصّلت(٤١): ٣٠؛ و الأحقاف(٤٦): ١٣.



سورة البقرة

[مدنيّة، و هي مائتان و ستّ و ثمانون آيةً][1]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. قد مرّ تفسيرها.

﴿الٓمٓ﴾. قال: «هو حرف من حروف اسم الله الأعظم، المقطّع في القرآن، الّذي يؤلّفه النّبيّ أو الإمام عليهما السّلام، فإذا دعا به أُجيب»[2]. و في رواية: «و إذا عدّ أخبر بما يغيب»[3].

أقول: فهو سرّ بين الله و بين الحبيب، لم يقصد به إفهام غيره و غير الرّاسخين في العلم من ذرّيّته. و فيه الأعاجيب؛ و التّخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن المحابّ.

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ قال: «يعني القرآن الّذي افتتح بـ "الم"، هو "ذلك الكتاب" الّذي أخبرت به موسى و من بعده من الأنبياء، و هم أخبروا بني إسرائيل أنّي سأُنزله عليك يا محمّد»[4]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال: «لا شكّ فيه لظهوره عندهم»[5]. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال:

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ معاني الاخبار: ٢٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ لم نعثر على نصّه في الرّوايات، راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣؛ والتبيان ١: ٤٧.

٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢.

«الّذين يتّقون الموبقات، و يتّقون تسليط السَّفَه[1] على أنفسهم، حتّى إذا علموا ما يجب عليهم علمه، عملوا بما يوجب لهم رضا ربّهم، فإنّهم يهتدون به و ينتفعون بما فيه»[2].

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قال: «بما غاب عن حواسّهم من توحيد الله، و نبوّة الأنبياء، و قيام القائم، و الرّجعة، و البعث، و الحساب، و الجنّة، و النّار، و سائر الأُمور الّتي يلزمهم الإيمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهدة، و إنّما يعرف بدلائل نصبها الله عزّ و جلّ عليه»[3]. ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: «بإتمام ركوعها و سجودها، و حفظ مواقيتها و حدودها، و صيانتها ممّا يفسدها أو ينقصها»[4]. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ قال: «من الأموال و الأبدان و القُوىٰ و الجاه و العلم»[5]. ﴿يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون.

«يحتملون الكَلّ[6]، و يؤدّون الحقوق لأهاليها، و يقرضون، و يُسْعِفُونَ[7] الحاجات، و يأخذون بأيدي الضّعفاء، يقودون الضّرائر[8] و يُنجونهم من المهالك، و يحملون المتاع عنهم، و يحملون الرّاجلين على دوابّهم، و يؤثِرون من هو أفضل منهم في الإيمان على أنفسهم بالمال و النّفس، و يساوون من كان في درجتهم فيه بهما، و يعلّمون العلم من كان أهله، و يروون فضائل أهل البيت عليهم السّلام لمحبّيهم و لمن يرجون هدايته». كذا ورد[9].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن و الشّريعة ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ قال:

١ـ السَّفَه: ضدّ الحلم. مجمع البحرين ٦: ٣٤٧ (سفه).
٢ـ معاني الأخبار: ٢٥، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٧و٧٣.
٥ـ المصدر: ٧٥.
٦ـ الكَلّ ـ بفتح الكاف ـ الثقل و العيال. الصّحاح ٥: ١٨١١؛ و مجمع البحرين ٥: ٤٦٤ (كلل).
٧ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٨ـ الضّرائر: المحاويج (المحتاجون). الصّحاح ٢: ٧٢٠ (ضرر).
٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٧٥.

«من التّوراة و الإنجيل و الزّبور و صحف إبراهيم و سائر كتب الله المنزّلة»[1]. ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ ﴾ قال: «الدّار الّتي بعد هذه الدّار الّتي فيها جزاء الأعمال الصّالحة بأفضل ممّا عملوه، وعقاب الأعمال السّيّئة بمثل ما كسبوه»[2]. ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ قال: «لايشكّون»[3].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ قال: «على بيان وصواب و علم بما أمرهم به»[4].

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ قال: «النّاجون ممّا منه يوجلون، الفائزون بما يؤمّلون»[5].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ قال: «بالله و بما آمن به هؤلاء المؤمنون»[6]. ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ قال: «خوّفتهم»[7]. ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. قال: «أخبر عن علمه فيهم»[8].

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾. قال: «وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته و أوليائه إذا نظر إليها بأنّهم الّذين لايؤمنون»[9]. «عقوبةً على كفرهم»[10].

﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾: غطاء. قال: «و ذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النّظر فيما كلّفوه و قصّروا فيما أُريد منهم، جهلوا ما لزمهم الإيمان به، فصاروا كمن على عينيه غطاء، لايبصر ما أمامه؛ فإنّ الله عزّ و جلّ يتعالى عن العبث و الفساد، و مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه»[11]. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال: «يعني في الآخرة العذاب المعدّ للكافرين، و في الدّنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه، بما ينزّل به من عذاب الاستصلاح لينبّهه على طاعته، أو من عذاب الاصطلام ليصيّره إلى عدله و حكمته»[12].

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٨٨.

٤و٥ـ المصدر: ٩٠.

٦، ٧و٨ـ المصدر: ٩١.

٩ـ المصدر: ٩٨.

١٠ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٣، الباب: ١١؛ الحديث: ١٦.

١١و١٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٩٨.

أقول: الاصطلام ـ بالمهملتين ـ الاستئصال.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. «نزلت في المنافقين و النّاصبين العداوة لآل الرّسول، من الّذين زادوا على الكفر الموجب للختم. والغشاوةُ: النّفاق». كذا ورد[1]. ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: «يعاملون الله معاملة المُخادع». كذا ورد[2]. و في رواية: «يخادعون رسول الله بإبدائهم له خلاف ما في جوانحهم»[3].

أقول: وجه التّوفيق أنّ مخادعةَ الرّسول مخادعةُ الله، كما قال عزّ و جلّ: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ»[4]. و قال: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ»[5]. وقال: «وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى»[6].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: و يخادعون الّذين آمنوا ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: «ما يضُرّون بتلك الخديعة إلّا أنفسهم؛ لأنّ الله غنيّ عنهم و عن نصرتهم، و لولا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم وطغيانهم»[7]. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: «أنّ الأمر كذلك، وأنّ الله يُطْلِعُ نبيّه على نفاقهم»[8].

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: نفاق و شكّ تغلي على النّبيّ و آله، حقداً و حسداً و غيظاً

١ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ١١١ـ١١٣.

٢ـ و يدلّ عليه ما رواه العيّاشي عن الصّادق عليه السلام: «انّ النّبي صلى الله عليه و آله سُئل: فيما النّجاة غداً؟ قال: إنّما النّجاة أن لا تخادعوا اللّه فيخدعكم؛ فإنّ من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الإيمان و نفسه يخدع لو يشعر. قيل له: و كيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عزّ و جلّ ثمّ يريد به غيره؛ فاتّقوا الله و الرّيا، فإنّه شرك بالله». «عنه في الصّافي١: ٨٢-٨١». و الحديث مذكور في تفسير العيّاشي١: ٢٨٣ مع اختلاف يسير.

٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤، و فيه «بأيمانهم».

٤ـ الفتح(٤٨): ١٠.

٥ـ النّساء(٤): ٨٠.

٦ـ الانفال(٨): ١٧.

٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤.

وخنقا[1] ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: «بحيث تاهت قلوبهم»[2]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع غاية الإيجاع. و هو العذاب المعدّ للمنافقين، و هو أشدّ من عذاب الكافرين؛ لأنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم أو تكذيبهم، على اختلاف القرائتين[3].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ «بإظهار النّفاق لعباد الله المستضعفين، فتشوّشوا عليهم دينهم و تحيّروهم». كذا ورد[4]. ﴿قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؛ «لأنّا لانعتقد ديناً، فنرضى محمّداً في الظّاهر و نعتق أنفسنا من رقّه في الباطن، و في هذا صلاح حالنا». كذا ورد[5].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ قال: «بما يفعلون أُمور أنفسهم، لأنّ الله يعرّف نبيّه نفاقهم، فهو يلعنهم و يأمر المسلمين بلعنهم و لايثق بهم أعداء المؤمنين؛ لأنّهم يظنّون أنّهم ينافقونهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين، فلا يرتفع لهم عندهم منزلة»[6].

أقول: و لهذا ردّ عليهم أبلغ ردّ. ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ قال: «قال لهم خيار النّاس»[7]. ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾. قال: «المؤمنون كسلمان و المقداد و أبي ذرّ و عمّار»[8].

أقول: يعني إيماناً مقروناً بالإخلاص، مبرّأً عن شوائب النّفاق.

﴿قَالُوٓا﴾ قال: «قالوا في الجواب لمن يفيضون إليه، لا لهؤلاء المؤمنين، فإنّهم لايجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب»[9]. ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: «المذلّون أنفسهم

١- خَنَقَه: إذا عصر حلْقه. أساس البلاغة: ١٧٦ (خنق).

٢- تفسير الإمام عليه السلام: ١١٧.

٣- فإنّه قرأ أهل الكوفة: «يَكْذِبُونَ» بفتح الياء، مخففاً، و الباقون «يُكَذِّبُونَ». راجع: مجمع البيان ١-٢: ٤٧.

٤و٥- تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨.

٦،٧،٨و٩- المصدر: ١١٨-١١٩.

لمحمّد، حتّى إذا اضمحلّ أمره أهلكهم أعداؤه». كذا ورد[١]. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قال: «الأخفّاء العقول و الآراء، الّذين لم ينظروا حقّ النّظر، فيعرفوا نبوّته و ثبات أمره»[٢]. ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: «أخدانهم[٣] من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرّسول»[٤]. ﴿قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: في الدّين والاعتقاد كما كنّا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بالمؤمنين.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: «يجازيهم جزاء من يستهزئ به، أمّا في الدّنيا ففي إجراء أحكام المسلمين عليهم، و أمره الرّسولَ بالتّعريض لهم حتّى لايخفى مَن المراد بذلك التّعريض، و أمّا في الآخرة فبأن يفتح لهم ـ و هم في النّار ـ باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه، فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، و ذلك قوله تعالى: "فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ"». كذا ورد[٥]. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ قال: «يمهلهم و يتأنّى بهم برفقه»[٦]. ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾: في التّعدّي عن حدّهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيّرون؛ والعَمَهُ في البصيرة كالعمى في البصر.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ قال: «باعوا دين الله و اعتاضوا منه الكفر بالله»[٧]. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ قال: «ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة، لأنّهم اشتروا النّار و أصناف عذابها بالجنّة الّتي كانت معدّة لهم لو آمنوا»[٨]. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ قال: «إلى الحقّ و الصّواب»[٩].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨ـ١١٩.
٢ـ المصدر: ١١٩ـ١٢٠.
٣ـ جمعُ خِدْن، و الخِدْن: الصّديق. الصّحاح ٥: ٢١٠٧؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٤٣ (خدن).
٤، ٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٢٣. و الآية في الرّقم الخامس، في المطفّفين(٨٣): ٣٤.
٧، ٨و٩ـ المصدر: ١٢٥ـ١٢٦.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: حالهم العجيبة. و إنّما يضرب الله الأمثال للنّاس في كتابه لزيادة التّوضيح و التّقرير، فإنّها أوقع في القلب و أقمع للخصم. ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: «ليبصر بها ما حوله»[1]. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ «بإرسال ريح أو مطر أطفأها؛ و ذلك أنّهم أبصروا بظاهر الإيمان الحقّ و الهدى، و أُعطوا أحكام المسلمين، فلمّا أضاء إيمانُهم الظّاهرُ ما حولهم، أماتهم الله و صاروا في ظلمات عذاب الآخرة». كذا ورد[2]. ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قال: «بان منعهم المعاونة واللّطف، و خلّى بينهم وبين اختيارهم»[3].

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال: «يعني في الآخرة، كما قال عزّ و جلّ: ' وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً'»[4].

اقول: و في الدّنيا أيضاً في بواطنهم من أُمور الآخرة، لأنّهم سدّوا مسامعهم من الإصغاء إلى الحقّ، و أبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، و أن يتبصّروا الآيات بأبصارهم. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضّلالة الّتي اشتروها إلى الهُدَى الّذي باعوه وضيّعوه.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾: أو كمطر من العلا. قيل: يعني مَثَلُ ما خوطبوا به من الحقّ و الهدى كَمَثَلِ مطر؛ إذ به حياة القلوب، كما أنّ بالمطر حياة الأرض[5]. ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾. مثّل الشّبهات و المصيبات بالظّلمات، و التّخويفَ و الوعيدَ بالرّعد، و الآيات الباهرةَ المتضمّنة للتّبصير و التّسديد بالبرق، و تصامُمَهُم عمّا يسمعون من الوعيد، و ما يطرقون به من النّكايات[6] بحال من يهوله الرّعد فيخاف صواعقه فيسدّ أُذنَه عنها، مع أنّه لاخلاص له

١ و ٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٠.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٣؛ الباب: ١١، الحديث: ١٦.
٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٠ ـ ١٣١. والآية في الإسراء(١٧): ٩٧.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٢٥؛ والتّفسير الكبير (للرّازي) ١: ٧٨.
٦ـ نكيتُ في العدوّ نكاية: إذا أكثرت الجراح. أساس البلاغة: ٦٥٥ (نكى).

منها. ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ قال: «مقتدر عليهم؛ إن شاء أظهر لك نفاق منافقيهم و أبدى لك أسرارهم و أمرك بقتلهم»[1].

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾: يذهب بها. و ذلك لأنّ «هذا مثَل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق، لم يغضّوا عنه أبصارهم، و لم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألئه، و لم ينظروا إلى الطّريق الّذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق. فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدّالّة على صدق النّبيّ ﷺ الّتي يشاهدونها و لايتبصّرون بها، و يجحدون الحقّ فيها، يبطل عليهم سائر ما علموه[2] من الأشياء الّتي يعرفونها، فإنّ من جحد حقّاً أدّاه ذلك إلى أن يجحد كلّ حقّ، فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه، كالنّاظر إلى جرْم الشّمس في ذهاب بصره». كذا ورد[3].

﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾: وقفوا و تحيّروا. «فهؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبّونَ في دنياهم، فرحوا و تيمّنوا ببيعتهم و إظهار طاعتهم، و إذا رأوا ما يكرهون في دنياهم، وقفوا و تشأموا بها». كذا ورد[4].

قيل: مثّل اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه، أو رفد تطمح إليه أبصارهم، بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلّما أضاء لهم، و تحيُّرهم و توقُّفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة، بتوقّفهم إذا أظلم عليهم[5]. و إنّما قال مع الإضاءَة «كُلَّما»، و مع الإظلام «إذا»، لأنّهم حرّاص على المشي، كلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها، و لا كذلك التّوقّف[6].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣.
٢ـ في المصدر: «عملوه».
٣ و ٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣ـ١٣٤.
٥ـ البيضاوي ١: ١٠٤.
٦ـ المصدر: ١٠١.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ قال: «حتى لايتهيّأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت و أصحابك، فتوجب قتلهم»[1]. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: لا يعجزه شيء.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

قال: «لها وجهان: أحدهما: خلقكم و خلق الّذين من قبلكم لتتّقوه، كما قال: "وَ مَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونَ"[2]. و الآخر: اعبدوه لعلّكم تتّقون النّار. و"لَعَلَّ" من الله واجب؛ لأنّه أكرم من أن يُعَنِّي[3] عبده بلامنفعة و يطمعه في فضله ثمّ يخيّبه»[4].

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ قال: «جعلها ملائمةً لطبايعكم، موافقةً لأجسادكم، مطاوعةً لحرثكم و أبنيتكم و دفنِ موتاكم، لم يجعلها شديدةَ الحرارة فتحرقكم، و لاشديدة البرودة فتجمدكم، و لا شديدة طيب الرّيح فتصدع هاماتكم[5]، ولاشديدة النّتن فتعطبكم، و لا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم، و لاشديدة الصّلابة فتمتنع عليكم في حرثكم و أبنيتكم و دفن موتاكم؛ و لكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به في كثير من منافعكم»[6]. ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ قال: «سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم»[7].

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ قال: «يعني: المطر، ينزله من العلا ليبلغ قُلَلَ

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣ـ١٣٤.

٢ـ الذّاريات (٥١): ٥٦.

٣ـ بالنّون على بناء التّفعيل، اي: يكلّفه ما يشقّ عليه، و في بعض النّسخ «يُعيي» ـ بالياء ـ من قولهم: أعيى السّيرُ البعيرَ اي: اتعبه و أكلّه. و الاوّل اظهر.

٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٠ـ١٤٢. و «لعلّكم» على المعنى الاوّل متعلّق بـ «خَلَقَكُمْ»، و التّقوىٰ بمعنى العبادة. و على الثّاني متعلّق بـ «اُعْبُدُوا»، و التّقوى بمعنى الحذر. «منه في الصّافي ١: ٨٧».

٥ـ الهامَةُ: الرّأس. الصّحاح ٥: ٢٠٦٣ (هيم).

٦و٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٢؛ و عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٣٧، الباب: ١١، الحديث: ٣٦.

جبالكم و تلالكُم و هضابكُم و أوهادكم، ثمّ فرّقه رَذاذاً و وابلاً و هَطلاً وطَلاً[١] لتنشفه[٢] أرضوكم، و لم يجعل نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم و أشجاركم وزروعكم و ثماركم»[٣]. قال: «قال رسول الله ﷺ: ينزل مع كلّ قطرة ملكٌ يضعها في موضعها الّذي أمره به ربُّه جلّ و عزّ»[٤]. ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أي: لمطعمكم و مشربكم و ملبسكم و سائر منافعكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: «أشباهاً و أمثالاً من الاصنام الّتي لا تعقل و لا تسمع و لاتبصر و لاتقدر على شيء»[٥]. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «أنها لاتقدر على شيء من هذه النّعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم»[٦].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ قال: «حتّى تجحدوا أن يكون محمّد رسولَ الله، و أن يكون هذا المنزّل عليه كلامي، مع إظهاري عليه بمكّة من الآيات الباهرات، كالغمامة المظلّلة عليه و الجمادات المسلّمة عليه و غير ذلك»[٧]. ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: «من مثل ما نزّلنا مماثلةً لهذا القرآن في البيان الغريب و حسن النّظم والبلاغة، أو[٨] من مثل عبدنا ممّن هو على حاله، من كونه لم يقرأ الكتب و لم يأخذ من العلماء». كذا ورد[٩]. ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: «أصنامكم و شياطينكم و من

١ ـ الهضاب: أعالي الجبال؛ و الرّذاذ: المطر الضّعيف؛ والوابل: المطر الشّديد؛ والهطْل: المطر الضّعيف الدّائم و تتابع المطر؛ والطَلّ: أخفّ المطر و أضعفه.
٢ ـ النّشف: ذهاب الماء في الأرض والثّوب. يقال: نشفت الارضُ الماءَ: شربته. النّهاية ٥: ٥٨ (نشف).
٣ ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٤٣.
٤ ـ المصدر: ١٥٠. في المصدر و «ج»: «عزّوجل».
٥ و٦ ـ المصدر: ١٤٣.
٧ و٩ ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٥١ ـ ١٥٤ بالمضمون.
٨ ـ في التّرديد في التّفسير دلالة على انّ القرآن ذو وجوه و انّ حمله على الجميع صحيح، كما مرّ نظيره في قوله ـ سبحانه: «يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم» الآية. و ليس التّرديد في مثل ذلك من قبيل التّرديد في معناه. «منه في الصّافي ١: ٨٨».

تطيعونه و تعبدونه من دون الله، و تزعمون أنّهم شهداؤكم يوم القيامة، يشهدون لكم بعبادتكم عند ربّكم، ليشهدوا لكم بأنّ ما آتيتم مثله». كذا ورد[١]. و قيل: لينصروكم على معارضته، فيكون الشّهيد بمعنى النّاصر[٢]. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: «بأنّ محمّداً تقوّله من تلقاء نفسه لم ينزّله الله عليه»[٣].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: الاتيان بما يساويه أو يدانيه ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ قال: «و لا يكون هذا منكم أبداً، و لن تقدروا عليه»[٤]. ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ قال: «حطبها»[٥]. ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال: «حجارة الكبريت، لأنّها أشدّ الأشياء حرّاً»[٦]. و قيل: المراد بها الأصنام الّتي نحتوها و قرنوا بها أنفسهم و عبدوها طمعاً في شفاعتها، كما في قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ"[٧]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: «المكذّبين بكلامه و نبيّه»[٨].

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ قال: «من تحت أشجارها و مساكنها»[٩]. ﴿الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ «في الدّنيا؛ فأسماؤه كأسمائه، و لكنّها في غاية الطّيب، غير مستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدّنيا من الفضلات و الأخلاط إلّا العرق الّذي يجري في أعراضهم أطيب ريحاً من المسك». كذا ورد[١٠].

أقول: العِرض ـ بالكسر ـ: الجسد.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥١ـ١٥٤ بالمضمون.
٢ـ البيضاوي ١: ١١٣.
٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥٤.
٤، ٥ و ٦ـ المصدر: ٢٠٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٧ـ البيضاوي ١: ١١٦. والآية في سورة الأنبياء (٢١): ٩٨.
٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥٤.
٩ و ١٠ـ المصدر: ٢٠٢.

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: «يشبه بعضه بعضاً بأنّها كلّها خيار لا رَذْل[1] فيها، و بأنّ كلّ صنف في غاية الطّيب و اللّذة، ليست كثمار الدّنيا الّتي بعضها نَيّ[2]، و بعضها متجاوز حدّ النّضيج[3] والإدراك إلى حدّ الفساد، من حُموضة ومرارة وسائر صنوف المكاره، ومتشابهاً أيضاً: متّفقات الألوان، مختلفات الطّعوم»[4].

﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ «من أنواع الأقذار و المكاره لا يَحِضْنَ و لا يُحْدِثْنَ ولا يَصِحْنَ و لا يتغايرن و لا يتباغَضْنَ و لا يَغشُشْنَ و لا يَعِبْنَ و لا يَخْدَعْنَ و لا يُكثِرْنَ الطّرْف والاختيال». كذا ورد[5]. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال: «لأنّ نيّاتهم في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنّيّات خُلّدوا»[6].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ قال: «للحقّ، يوضحه لعباده المؤمنين»[7]. ﴿مَّا﴾ يعني: أيّ مَثَلٍ كان، فإنّ «ما» تزاد لزيادة الإبهام و الشّيوع. ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾. قال: «و هو الذّباب. ردّ بذلك على من طعن في ضربه الأمثال بالذّباب والعنكبوت، و بمستوقد النّار والصّيّب، في كتابه». كذا ورد[8].

أقول: وجه الرّدّ أنّ المعتبر في المَثَل أن يكون على وفق الممثّل له في الصِّغَر و العِظَم و الخِسّة و الشّرف، ليبيّنه و يوضحه حتّى يصير في صورة المشاهد المحسوس، دون الممثّل.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. قال: «"أَنَّهُ": المثل المضروب،

١ـ الرَّذْل: الدّون الخسيس. الصّحاح ٤: ١٧٠٨؛ و مجمع البحرين ٥: ٣٨٢ (رذل).
٢ـ النّيّ: الفاكهة او اللّحم الّذي لم يطبخ، أو طُبِخ أدنى طَبْخ و لم يَنْضَج. النّهاية ٥: ١٤٠ (نيا).
٣ـ في المصدر و«ب»: «النُّضج». نَضِج اللّحم والفاكهة: استوى و طاب أكله. مجمع البحرين ٢: ٣٣٢ (نضج).
٤و٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٣. والاختيال: التّكبّر. مجمع البحرين ٥: ٣٦٧ (خيل).
٦ـ علل الشّرايع: ٢: ٥٢٣، الباب: ٢٩٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٨ـ المصدر: ٢٠٥.

"الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ" أراد به الحقّ و إبانته، و الكشف عنه و إيضاحه»[1]. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: أيّ شيء أراد به من جهة المَثَل ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾. قال: «يعني: يقول الّذين كفروا: إنّ الله يُضِلّ بهذا المثل كثيراً و يهدي به كثيراً، أي: لا معنى للمَثَل. لأنّه و إن نفع به مَنْ يهديه فهو يضرّ به من يضلّ به، فردّ الله عليهم بقوله»[2]: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ قال: «الخارجين عن دين الله، الجانين على انفسهم بترك تأمّله و بوضعه على خلاف ما أمر الله بوضعه عليه»[3]. و قيل: بل قوله: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً" جواب "ماذا" اي: إضلال كثير بسبب إنكاره، و هداية كثير بسبب قبوله[4].

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ قال: «المأخوذ عليهم لِلّه بالرّبوبيّة، و لِمحمّد بالنّبوّة، ولعليّ بالإمامة، ولشيعتهما بالمحبّة والكرامة»[5]. ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ قال: «إحكامه وتغليظه»[6]. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قال: «من الأرحام و القرابات أن يتعاهدوهم و يقضوا حقوقهم. و أفضلُ رَحِمٍ و أوجَبُهُمْ حقّاً رَحِمُ محمّدٍ؛ فإنّ حقّهم بمحمّد، كما أنّ حقّ قرابات الإنسان بأبيه و أمّه، و محمّدٌ أعظم حقّاً من أبويه، و كذلك حقّ رَحِمِه أعظمُ، و قطيعَتُه أفظع و أفضح»[7].

أقول: و يدخل في الآية التّفريق بين الأنبياء و الكتب في التّصديق، و ترك موالاة المؤمنين، و ترك الجمعة و الجماعات المفروضة، و سائر ما فيه رفض خيرٍ أو تعاطي شرٍّ، فإنّه يقطع الوصْلَة بين الله و بين العبد، الّتي هي المقصودة بالذّات من كلّ وصل و فصل.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ «بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه». كذا

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.

٤ـ البيضاوي ١: ١٢٦ـ١٢٧، و فيه: «إهداء كثير».

٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.

٧ـ المصدر: ٢٠٧.

ورد[١]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قال: «الّذين خسروا أنفسهم لمّا صاروا إلى النّيران، وحُرِموا الجنان»[٢].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ قال: «الخطاب لكفّار قريش و اليهود»[٣]. ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ قال: «في أصلاب آبائكم و أرحام أُمّهاتكم»[٤]. ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ قال: «أجرىٰ فيكم الرّوح وأخرجكم أحياءً»[٥]. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ قال: «في هذه النّشاة و يقبركم»[٦]. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ قال: «في القبور، و ينعّمُ فيها المؤمنين و يعذّب الكافرين»[٧]. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال: «في الآخرة، بأن تموتوا في القبور بعد الإحياء، ثمّ تحيوا للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى الثّواب أو العقاب»[٨].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قال: «لتعتبروا به و تتوصّلوا به إلى رضوانه، و تتوقّوا من عذاب نيرانه»[٩]. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قال: «أخذ في خلقها و إتقانها»[١٠]. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: عدّلهنّ مصونةً عن العوج و الفطور. ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولهذا خلق ما خلق، كما خلق لمصالحكم على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ قال: «الّذين كانوا في الأرض مع إبليس و قد كانوا طردوا عنها الجنّ بني الجانّ و خفّفت عليهم العبادة»[١١]. و ورد: «إنّ الجنّ كانوا يفسدون في الأرض، فبعث الله إليهم الملائكة، فقتلوهم و أسروا إبليس من بينهم وكان حاكماً فيهم»[١٢]. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال: «بدلاً منكم، ورافعكم منها، فاشتدّ ذلك عليهم؛ لأنّ العبادة عن رجوعهم إلى السّماء تكون أثقل

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٧.
٣ إلى ٨ ـ المصدر: ٢١٠.
٩ و ١٠ ـ المصدر: ٢١٥.
١١ ـ المصدر: ٢١٦.
١٢ ـ القمّي ١: ٣٦ ـ ٣٧.

عليهم»[1]. و في رواية: «خليفة تكون حجةً لي في أرضي على خلقي»[2].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال: «كما فعلته الجنّ؛ بنو الجانّ الّذين قد طردناهم عن هذه الأرض»[3]. ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ﴾ قال: «ننزّهك عمّا لايليق بك من الصفات»[4]. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: «نطهّر أرضك ممّن يعصيك»[5].

«فاجعل ذلك الخليفةَ منّا، فإنّا لانتحاسد و لا نتباغض و لانسفك الدّماء»[6]. و في رواية: «إنّهم منّوا على الله بعبادتهم إيّاه، فأعرض عنهم، و إنّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم: ما كنّا نظنّ أن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، نحن خزّان الله و جيرانه، و أقرب الخلق إليه»[7]. و في أُخرى: «فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم فتاب عليهم»[8].

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: «من الصّلاح الكامن[9] فيه، و من الكفر الباطن فيمن هو فيكم، و هو إبليس لعنه الله»[10]. ورد: «إنّه لمّا خلق الله آدم بقي أربعين سنةً مصوّراً، و كان يمرّ به إبليس و يقول: لأمرٍ مّا خُلقت؟ و قال: لئن أمرني الله بالسّجود لهذا عصيته»[11].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: «أسماء المخلوقات من الجبال و البحار و الأودية والنّبات و الحيوان و غيرها»[12]. و في رواية: «أسماء أنبياء الله و أوليائه و عتاة أعدائه»[13].

١، ٣، ٤ و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
٢ و٦ـ القمّي ١: ٣٦ـ٣٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٨ـ علل الشّرايع ٢: ٤٠٦، الباب: ١٤٣، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٩ـ في المصدر: «الكائن فيمن اجعله بدلاً منكم».
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
١١ـ القمّي ١: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
١٢ـ المصدر: ٤٥.
١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.

أقول: وجه التّوفيق أنّ المراد بالأسماء، أسماء الله الحسنى الّتي بها خلقت المخلوقات كما أُشير إليها في أدعية أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ بقولهم: «و بالإسم الّذي خلقت به العرش، و بالإسم الّذي خلقت به الكرسيّ، و بالإسم الّذي خلقت به الأرواح»[1]؛ إلى غير ذلك. و إنّما اختصّ كلّ مخلوق باسم، بسبب غلبة ظهور الصّفة الّتي دلّ عليها ذلك الإسم فيه، كما أُشير إليه في الحديث القدسيّ: «يا آدم هذا محمّد و أنا الحميد المحمود في فعالي، شققت له اسماً من اسمي؛ و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم، شققت له اسماً من اسمي»[2] الحديث. و إنّما أُضيفت في الحديث تارةً إلى المخلوقات كلّها، لأنّها كلّها مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها متفرّقة؛ و أُخرى إلى الأولياء و الأعداء، لأنّهما مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة، أي ظهرت صفات اللّطف كلّها في الأولياء، و صفات القهر كلّها في الأعداء. و المراد بتعليمها آدمَ كلّها، خَلْقُه من أجزاء مختلفة وقوىً متباينة، حتّى استعدّ لإدراك أنواع المدركات، من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات، وإلهامُه معرفةَ ذوات الأشياء وخواصّها وأُصول العلم وقوانين الصّناعات وكيفيّة آلاتها والتّمييز بين أولياء الله وأعدائه؛ فتأتي له بمعرفة ذلك كلّه مظهريّته لأسماء الله الحسنىٰ كلّها، و جامعيّته جميع كمالات الوجود اللاّئقة به، حتّى صار منتخباً لكتاب الله الكبير الّذي هو العالَم الأكبر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وفيك انْطَوَى العالَمُ الأكْبَرُ»[3].

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ اي: عرض أشباح المخلوقات جميعاً المدلول عليها بالأسماء كلّها. وفي الرّواية الاخيرة: «إنّه عرض أشباحهم حين كونهم أنواراً في

١ ـ البلد الأمين: ٤١١ ـ ٤١٢؛ و البحار ٩٠: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، و هو دعاء الأسماء الحسنىٰ.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٠.
٣ ـ ديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: ٤١. و المصرع الأوّل: «و تحسب أنّك جِرْمٌ صغيرٌ».

الاظلّة»[1]. ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني حقايقها الّتي هي أسماء الله الّتي بها خُلقت هذه الاشباحُ الّتي هي مظاهرها. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ «بأنّ تركككم هيهنا أصلح من إيراد من بعدكم بأنّكم أحقّ[2] بالخلافة من آدم». كذا ورد[3].

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: «بكلّ شيء»[4].

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ قال: «المُصيب في كلّ فعل»[5].

أقول: اعترفوا بالعجز و القصور لما قد بان لهم من فضل آدم ولاحت لهم الحكمة في خلقه، فصَغُر حالهم عند أنفسهم و قلّ علمهم لديهم و انكسرت سفينة جبروتهم، فَغَرِقُوا في بحر العجز وفوّضوا العلمَ والحكمةَ إلى الله؛ وذلك لعدم جامعيّتهم وكونهم وحدانيّةَ الصفّة، إذ ليس في جبلّتهم خلط وتركيب، ولهذا لايفعل كلُّ صنف منهم إلّا فعلاً واحداً، فالرّاكع منهم راكع أبداً، و السّاجد ساجدٌ أبداً، والقائم قائمٌ أبداً، كما ورد في الحديث[6]. وقد حكى الله تعالى عنهم بقوله: "وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ"[7]. فكلّ صنف منهم مظهرٌ لاسم واحد من الاسماء الإلٰهيّة لايتعدّاه؛ ففاقهم آدمُ بمعرفته الكاملة و مظهريّته الشاملة. و تمامُ بيان هذا التّأويل يُطلب من تفسيرنا الكبير[8].

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾.

أقول: يعني أخْبِرْهُم بالحقائق المكنونة عنهم، والمعارف المستورة عليهم، ليَعْرِفوا جامعيّتك لها، وقُدرةَ الله على الجمع بين الصّفات المتباينة و الاسماء المتناقضة في مخلوق

١، ٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.
٢ـ في «ب» و «ج»: «و بأنّكم أحقّ».
٥ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢١٧.
٦ـ راجع: نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤١، الخطبة: ١.
٧ـ الصّافّات(٣٧): ١٦٤.
٨ـ الصّافي ١: ١٠٠.

واحد. ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ قال: «فعرفوها»[١]. ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال: «سرّهما»[٢]. ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ قال: «من ردّكم عليّ»[٣]. ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ قال: «من اعتقادكم أنّه لايأتي أحد يكون أفضلَ منكم، و عزم إبليس على الإباء على آدم إنْ أمر بطاعته، فجعل آدمَ حجّةً عليهم»[٤].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾. «وذلك لما كان في صُلبه من أنوار نبيّنا، وأهل بيته المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ وكانوا قد فُضّلوا على الملائكة باحتمالهم الأذىٰ في جنب الله، فكان السّجود لهم تعظيماً و إكراماً، ولِلّه ـ سبحانه ـ عبوديّةً، ولآدم طاعةً». كذا ورد[٥].

﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾. ورد: «إنّه كان بين الملائكة يعبد الله في السّماء، وكانت تظنّه منهم فلمّا استكبر علمت أنّه لم يكن منهم، وإنّما دخل في الأمر، لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم»[٦]. ﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ قال: «أخرج ما كان في قلبه من الحسد»[٧]. ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾. ورد: «إنّه أوّل من كفر و أنشأ الكفر»[٨].

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ورد: «إنها كانت من جنان الدّنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، و لو كانت من جِنان الخلد لم يدخلها إبليس ولاخرج منها آدم أبداً»[٩]. ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ قال: «واسعاً بلاتعب»[١٠]. ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

١، ٢و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.
٣ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٩ـ٢٢٠.
٦ـ القمّي ١: ٣٥ـ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٤١ـ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٤، الباب: ٢٤، الحديث: ١.
٩ـ القمّي ١: ٤١ـ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ـ٢٢٢.

ٱلشَّجَرَةَ ﴾ قال: «شجرة علم محمّدٍ و آل محمّد، الّتي آثرهم الله بها دون سائر خلقه، لايتناولُ منها بأمر الله إلّا هم. قال: وكانت شجرةً تحمل انواع الثّمار والفواكه والأطعمة، فلذلك اختلفت الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: بُرَّة؛ وقال آخرون: عنَبَة، وقال آخرون: عنّابَة. وهي الشّجرة الّتي من تناول منها بإذن الله أُلهِمَ علمَ الأوّلين والآخرين من غير تعلّم، ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه»[1].

وفي رواية: «أنّها شجرة الكافور»[2]. وفي أُخرى: «أنّها شجرة الحسد»[3]. وفي أُخرى: «انّ كلّها حقٌّ وانّ آدم قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضلَ منّي؟ فأراه الله أشباح آل محمّدٍ»[4]. وفي رواية: «أراه أسماءهم من العرش وقال: هٰؤلاء من ذرّيّتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولا هم ما خلقتك ولاخلقت الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الارض، فإيّاك ان تنظر إليهم بعين الحسد وتتمنّىٰ منزلتهم. فتسلّط عليه الشّيطان، حتّى أكل من الشّجرة الّتي نُهِيَ عنها، وتسلّط على حوّاء، فنظرت إلى فاطمة بعين الحسد، حتّى أكلت من الشّجرة كما أكل آدم»[5].

أقول: كما انّ للبدن غذاء من الحبوب والفواكه، كذلك للرّوح غذاء من العلوم والمعارف؛ وكما انّ لذلك الغذاء أشجاراً تثمرها كذلك لهذا، و لكلّ صنف من النّاس ما يليق به من الغذاء، ولكلٍّ فاكهةٍ في العالم الجسماني مثال في العالم الرّوحاني، ولهذا فسّرت الشّجرة تارةً بشجرة الفواكه، وأُخرى بشجرة العلوم. وكانّ شجرة علم محمّد إشارة إلى المحبوبيّة الكاملة المثمرة للتّوحيد الخالص المستجمع للكمالات الإنسانيّة قاطبةً،

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ـ٢٢٢.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ و ٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٦، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٧.
٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٧، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٧.

فـإنّ فيهـا من ثِمار المـعارف كلّهـا. وشـجرة الكـافـور إشـارة الى بَـرْد اليـقين الموجب للطُمأنينة التـامّة المقـتضية للخلق العظيم الّذي كـان لنبيّناﷺ. فلا تنـافي بين الرّوايـات، ولا بينهـا وبين ما قـاله أهل التّأويل: إنّها شجرة الهوى والطّبيعة. لأنّ قربهـا إنّمـا يكون بـالهوى والشّهوة الطّبيعيّة. وهـذا معنـى مـا ورد إنّهـا شجرة الحسد، فـإنّ الحسد إنّمـا ينشأ منها.

﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال: «بمعصيتكما والتماسكما درجةً قد أُوثر بها غيرُكما إذا رمتما بغير حكم الله»[1].

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ «بوسوسته وخديعته وإيهامه وعداوته وغروره، بأن دخل بين لحيي الحيّة فأراهما أنّ الحيّة تخاطبهما» كذا ورد[2]. ويأتي تمام القصّة في سورة الأعراف إن شاء الله[3]. ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ قال: «من النّعيم»[4].

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ قال: «يا آدم و يا حوّاء و يا إبليس و يا حيّة اهبطوا»[5]. ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. قال: «آدم و حوّاء و ولدهما عدوٌّ للحيّة و إبليس، وإبليس والحيّة وأولادهما أعداؤهم. قال: وكان هبوط آدم وحوّاء والحيّة من الجنّة، فإنّ الحيّة كانت من أحسن دوابّها، وهبوط إبليس من حواليها، فإنّه كان يحرم عليه دخول الجنّة»[6].

أقول: لعلّه إنّما يحرم عليه دخول الجنّة بارزاً بحيث يُعْرَف، وذلك لأنّه قد دخلها مختفياً في فم الحيّة ليُدلّيهما بغرور كما مرّ. وبهذا يرتفع التّنافي بين هذا الحديث وبين الّذي مرّ: أنّها لو كانت من جِنان الخُلد لم يدخلها إبليس، أراد به دخولها وهو في فم

١ و٢ـ تفسير الإمامعليه السلام: ٢٢٢.
٣ـ الأعراف (٧): ١٩ إلى ٢٣.
٤، ٥و٦ ـ تفسير الإمامعليه السلام: ٢٢٤.

الحيّة. فتدبّر.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: «منزل و مقرّ للمعاش»[1]. ﴿وَمَتَاعٌ﴾ قال: «منفعة»[2]. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: «حين الموت»[3]. وفي رواية: «يوم القيامة»[4]. ولعلّ وجه التّوفيق، حديث: «من مات فقد قامت قيامته»[5].

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ . قال: «يقولها، فقالها»[6]. ورد: «هي لاإلٰهَ إلاّ أنْتَ، سُبْحَانَكَ اللّـهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فَاغْفِرْلي وَأَنْتَ خَيْرُ الْغافِرينَ. لاإلٰهَإلاّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فَاغْفِرْلي وَارْحَمْني، إنّكَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ. لاإلٰهَإلاّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فَتُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ»[7]. وفي رواية: «بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ»[8]. وفي أخرى: «بحقّ محمّد وآل محمّد»[9].

وقيل: هي: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» الآية[10]. ﴿فَتَابَ﴾ الله ﴿عَلَيْهِ﴾ بها ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ قال: «القابل للتّوبات»[11] ﴿الرَّحِيمُ﴾ قال: «بالتّائبين»[12].

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾. قال: «أمروا أوّلاً بالهبوط، وثانياً بأنْ لايتقدّم أحدهم الآخرين»[13]. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. قيل: «ما» مزيدة لتأكيد الشّرط. ولذلك حسن النّون من غير طلب؛

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

٤ـ القمّي١: ٤٣.

٥ـ كنز العمّال١٥: ٥٤٨، الحديث: ٤٢١٢٣.

٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

٧ـ الكافي٨: ٣٠٤، الحديث: ٤٧٢، عن احدهما عليهما السّلام.

٨ـ معاني الأخبار: ١٢٥، الحديث: ٢؛ و الكافي٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٢، مرفوعة.

٩ـ الاحتجاج١: ٥٥، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

١٠ـ البيضاوي١: ١٤٣. والآية في الأعراف (٧): ٢٣.

١١، ١٢و١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

والشّرط الثّاني مع جوابه جواب الشّرط الأوّل[١].

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾: دلالاتنا ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ قال: «أولاد يعقوب»[٢]. ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: «أن بعثت محمّداً و أقررته في مدينتكم و لم أُجَشِّمْكم الحطّ[٣] والتّرحال إليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه، كيلا يشتبه عليكم حاله»[٤]. ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ قال: «الّذي أخذته على أسلافكم، بلسان أنبيائهم، وأمرتهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم، ليؤمننّ بمحمّد العربيّ المؤيَّد بالمعجزات»[٥]. ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قال: «الّذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دارالكرامة»[٦]. ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ قال: «في مخالفة محمّد فإنّي القادر على صرف بلاء مَنْ يعاديكم على موافقتي، وهم لايقدرون على صرف انتقامي عنكم، إذا آثرتم مخالفتي»[٧]. وفي رواية: «أوفوا بولاية عليّ، فرضاً من الله، أُوف لكم بالجنّة»[٨].

﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ قال: «فإنّ مثل هذا الذّكر في كتابكم»[٩]. ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾. قيل: فيه تعريض بأنّ الواجب أن تكونوا أوّل مؤمن به، لأنّهم كانوا عالمين بشأنه، مستفتحين به، مبشّرين بزمانه[١٠]. ورد: «إنّ هؤلاء يهود المدينة، جحدوا نبوّة محمّد وخانوه بعد ما عرفوه، وقالوا: نحن نعلم أنّ محمّداً نبيّ وأنّ

١ـ البيضاوي ١: ١٤٤.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧.
٣ـ اجشمني فلان أمراً و جشّمنيه: كلّفني، والحطّ: النّزول و وضع الأحمال عن الدّوابّ. لسان العرب ١٢: ١٠٠ و٧: ٢٧٢ (جشم، حطط).
٤، ٥، ٦، ٧ و ٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧ـ٢٢٨.
٨ـ العيّاشي ١: ٤٢، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ البيضاوي ١: ١٤٨.

عليّاً وصيّه؛ ولكن لستَ أنت ذلك. ولا هذا، ولكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة»[١].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. قال: «كان لهم مأكلة على قومهم في كلّ سنة فكرهوا بطلانها بأمر النبيّ، فحرّفوا لذلك آياتٍ من التوراة، فيها صفته وذكره؛ فذلك الثّمن الّذي أُريد به في الآية»[٢]. ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ قال: «في كتمان أمر محمّد وأمر وصيّه»[٣].

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: «لاتخلطوه به بأن تقرّوا به من وجه وتجحدوه من وجه»[٤]. ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ قال: «من نبوّة هذا وإمامة هذا»[٥]. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «إنّكم تكتمونه؛ تكابرون علومكم وعقولكم»[٦].

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال: «المكتوبة الّتي جاء بها محمّد ﷺ، وأقيموا أيضاً الصّلاة على محمّد وآله»[٧]. ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ قال: «من أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا لزمت، ومن معونتكم إذا التمست»[٨]. وفي رواية: «هي الفطرة الّتي افترض الله على المؤمنين»[٩]. قال: «نزلت الزكاة وليست للنّاس الأموال، وإنّما كانت الفطرة»[١٠].

﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ قال: «تواضعوا مع المتواضعين؛ لعظمة الله في الانقياد لأولياء الله»[١١]. وقيل: صلّوا في الجماعة[١٢].

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ قال: «بالصّدقات وأداء الأمانات»[١٣]. ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تتركونها ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ قال: «التّوراة الآمرة لكم بالخيرات،

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٩.
٢ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٩٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ إلى ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٩.
٩ ـ العيّاشي ١: ٤٢، الحديث: ٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ ـ المصدر: ٤٣، الحديث: ٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣١.
١٢ ـ البيضاوي ١: ١٥٠.
١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٤.

النّاهية عن المنكرات»[1]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «ما عليكم من العقاب في أمركم بما به لاتأخذون، وفي نهيكم عمّا أنتم فيه منهمكون - قال: - نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم»[2]. وفي رواية: «نزلت في الخطباء والقصّاص»[3].

أقول: وهي جارية في كلّ من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ «عن الحرام؛ على تأدية الأمانات، و عن الرّياسات الباطلة على الاعتراف بالحقّ واستحقاق الغفران والرّضوان ونعيم الجنان». كذا ورد[4]. وفي رواية: «إنّ الصبرَ الصيام»[5]. ﴿وَالصَّلَوٰةِ﴾ قال: «الصّلوات الخمس والصّلاة على محمّد و آله»[6]. وفي رواية: «كان علي عليه السلام إذا هاله شيء، فزع إلى الصّلاة، ثمّ تلا هذه الآية»[7]. و روي مثله عن النّبي صلى الله عليه وآله أيضاً[8]، فتشتمل غير الخمْس. ﴿وَإِنَّهَا﴾ القمّي: يعني الصّلاة[9]. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: «عظيمة»[10].

أقول: يعني ثقيلة شاقّة، لقوله تعالى: "كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ"[11].

﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ قال: «الخائفين عقاب الله في مخالفته في أعظم فرائضه»[12]. قيل: وذلك لأنّ نفوسهم مرتاضة بأمثالها، متوقّعة في مقابلتها ما يستخفّ لأجله مشاقّها ويستلذّ بسببه متاعبها، كما قال نبيّنا صلى الله عليه وآله: «جعلت قرّة عيني في الصّلاة»[13].

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٤.
٣ـ القمّي ١: ٤٦، و فيه: «الخطّاب» بدل «الخطباء».
٤و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
٥ـ الكافي ٤: ٦٣، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر٣: ٤٨٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان١ـ٢: ٩٩.
٩ـ القمّي ١: ٤٦.
١٠و١٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
١١ـ الشّورى(٤٢): ١٣.
١٣ـ البيضاوي ١: ١٥١.

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ قال: «يوقنون أنّهم يبعثون»[1]. وفي رواية: «يقدّرون ويتوقّعون أنّهم يلقون ربّهم، اللّقاء الّذي هو أعظم كرامته لعباده ـ قال ـ: وإنّما قال "يظنّون" لأنّهم لايدرون بماذا يختم لهم، لأنّ العاقبة مستورة عنهم، لايعلمون ذلك يقيناً، لأنّهم لا يأمنون أن يغيّروا ويبدّلوا»[2]. ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ قال: «إلى كراماته ونعيم جنّاته»[3].

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: «ان بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنّبوّة، فهدياهم إلى نبوّة محمّد و وصيّة عليّ وإمامة عترته عليهم السّلام، وأخذا عليهم بذلك، العهود، إن وفوا بها كانوا ملوكاً في الجنان»[4]. ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ﴾ قال: «فضلّت أسلافكم في دينهم بقبول ولاية محمّد وآله، وفي دنياهم بتظليل الغمامة، وإنزال المنّ والسّلوى، وسقيهم من الحَجَرِ ماءً عذباً، وفلق البحر لهم، وإنجائهم من الغَرَقِ، وغرق أعدائهم»[5]. ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: «عالَمي زمانهم الّذين خالفوا طريقتهم وحادوا عن سبيلهم»[6]. «وإنّما خاطب اللهُ الاخلافَ بما فعل بالأسلاف أو فعلوه هم، لرضاهم به، ولأنّ القرآن نزل بلغة العرب وهم يتخاطبون بمثل ذلك»[7]. كذا ورد.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا ﴾ قال: «وقت النّزع»[8]. ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ قال: «لاتدفع عنها عذاباً قد استحقّته»[9]. ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ قال: «بتأخير الموت»[10]. ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ قال: «فداء، بان تمات وتترك

١ـ العيّاشي ١: ٤٤، الحديث: ٤٢، عن اميرالمؤمنين عليه السلام، و فيه: «يوقنون أنّهم مبعوثون».
٢ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
٤ـ المصدر: ٢٤٠، و فيه نسبة فعل الهداية و الأخذ إلى الله تعالى.
٥ و٦ـ المصدر: ٢٤٠ـ٢٤١.
٧ـ المصدر: ٢٧٢.
٨، ٩ و١٠ـ المصدر: ٢٤٠ـ٢٤١.

هي. قال: هذا يوم الموت، فإنّ الشفاعة والفداء لايغني عنه، فأمّا في القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء»[١]. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني في دفع الموت والعذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ قال: «واذكروا إذ أنجينا أسلافكم»[٢].

أقول: هذا تفصيل لما أجمله في قوله: "اذكروا نعمتي".

﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «و هم الّذين كانوا يؤلون إليه بقرابته وبدينه ومذهبه»[٣].

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ قال: «كانوا يعذّبونكم»[٤].

أقول: من سامه الأمر: كلّفه إيّاه، وأكثر ما يستعمل في العذاب والشرّ.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال: «شدّة العذاب. و كان من عذابهم الشّديد انّه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء والطّين و يخاف أن يهربوا عن العمل، فأمر بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطّين على السّلاليم إلى السّطوح، فربّما سقط الواحد منهم فمات أو زمن[٥]، ولا يحفلون[٦] بهم»[٧]. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾. قال: «و ذلك لمّا قيل لفرعون: إنّه يولد في بني إسرائيل مولود، يكون على يده هلاكك و زوال ملكك»[٨]. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ قال: «يبقونهنّ ويتّخذونهنّ إماء»[٩]. ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: في الإنجاء ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «نعمة»[١٠]. ﴿عَظِيمٌ﴾ قال: «كبير»[١١].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٠ـ٢٤١.

٢، ٣و٤ـ المصدر: ٢٤٢ـ٢٤٣.

٥ـ رجل زَمِن: مبتلى بيّن الزّمانة، و الزّمانة: العاهة. لسان العرب ١٣: ١٩٩ (زمن).

٦ـ الحفل: المبالاة. يقال: ما أحفل بفلان: اي ما أبالي به. لسان العرب ١١: ١٥٩ (حفل).

٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٣.

٩، ١٠و١١ـ المصدر: ٢٤٤.

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ قال: «واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض»[١]. ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ قال: «هناك»[٢]. ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «فرعون وقومه»[٣]. ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: «إليهم وهم يغرقون»[٤].

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: «وعده الله أن يعطيه التّوراة بعد هلاك فرعون، وضرب له ميقاتاً ثلاثين يوماً، فاستاك بعد مضيّ ثلاثين، فذهب طيب فمه فأتمّه بعشر». كذا ورد[٥]. ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً ومعبوداً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾. يأتي قصّته في الأعراف إن شاء الله[٦].

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. قال: «يعني عفونا عن أوائلكم عبادة العجل، لعلّكم ـ يا أيّها الكائنون في عصر محمّد من بني إسرائيل ـ تشكرون تلك النّعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم»[٧].

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: «التوراة»[٨]. ﴿ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ قال: «فرق ما بين الحقّ والباطل، والمحقّ والمبطل»[٩]. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً؛ يقتل من لم يعبد العجل من عبده»[١٠]. ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾؛ «لأنه كفّارتكم فهو خير من أن تعيشوا في الدّنيا ثمّ تكونوا في النّار خالدين»[١١]. كذا ورد. ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: «قَبِلَ توبتكم، قبل استيفاء القتل لجماعتكم وقبل إتيانه على كافّتكم، وأمهلكم للتّوبة

١، ٢، ٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٥.
٥ـ المصدر: ٢٤٨ـ ٢٥٠.
٦ـ في ذيل الآية: ١٤٣.
٧، ٨و٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٢.
١٠و١١ـ المصدر: ٢٥٤.

واستبقاكم للطاعة»[١]. ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ قال: «أسلافكم»[٢]. ﴿يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: «عياناً»[٣]. ورد: «إنّهم السّبعون الّذين اختارهم وصاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنّك رأيت الله فأرناه كما رأيته؛ فقال لهم: إنّي لم أره فقالوا له ذلك»[٤]. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: «إلى الصّاعقة تنزل»[٥].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قال: «الحياة الّتي فيها تتوبون وتقلعون، لكيلا تخلّدوا في النّار»[٦].

أقول: ويأتي تمام الكلام في سؤالهم الرّؤية في الأعراف إن شاء الله[٧].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قال: «لمّا كنتم في التّيه[٨] تقيكم من حرّ الشّمس وبرد القمر»[٩]. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ قال: «التّرنجبين كان يسقط على شجرهم، فيتناولونه». ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ قال: «السُّمانَى أطيب طير كان يسترسل بهم، فيصطادونه»[١٠]. وفي رواية: «ينزل عليهم باللّيل المنّ فيأكلوه، وبالعشيّ يجيء طائر مشويّ فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم»[١١].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٤.
٢و٣ـ المصدر: ٢٥٦.
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٦١، الباب: ١٢، الحديث: ١.
٥و٦ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢٥٦.
٧ـ في ضمن الآية: ١٥٥.
٨ـ التّيه في اللّغة: المفازة يتاه بها. و تيهُ بني إسرائيل: الصّحراء الّتي تاهوا بها أي حاروا، فلم يهتدوا للخروج منها، و هي أرض بين «أيلة» و «مصر» و «بحر القلزم» و جبال «السّراة» من أرض الشّام يقال: إنّها أربعون فرسخاً في مثلها، و قيل: اثناعشر فرسخاً في ثمانية فراسخ. «راجع: معجم البلدان٢: ٦٩ و لسان العرب ١٣: ٤٨٢ـ تيه».
٩و١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٨.
١١ـ القمّي١: ٤٨.

﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ قال: «قال الله: كلوا»[1]. ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ قال: «لمّا غيّروا وبدّلوا ما به أُمِروا، ولم يفوا بما عليه عاهدوا؛ لأنّ كفر الكافر لايقدح في سلطاننا. كما أنّ إيمان المؤمن لايزيد في سلطاننا»[2]. ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ قال: «هي "أريحا"[3] من بلاد الشّام؛ وذلك حين خرجوا من التّيه»[4]. ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا ﴾ قال: «واسعاً بلاتعب»[5]. ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ ﴾ قال: «باب القرية»[6]. ﴿ سُجَّدٗا ﴾: ساجدين لله ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ قال: «سجودنا لله حطّة لذنوبنا، ومحو لسيّئاتنا»[7]. ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ ﴾ السّالفة ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ قال: «من لم يقارف[8] الذّنب منكم ثواباً»[9].

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ ﴾ قال: «لم يسجدوا كما أُمروا، ولاقالوا ما أُمروا، بل دخلوها بأستاههم[10]، وقالوا ما معناه: حنطة حمراء نتقوّتها، أحبّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول»[11].

﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾. قيل: كرّره مبالغةً في تقبيح أمرهم، وإشعاراً بأنّ الإنزال عليهم لظلمهم على أنفسهم، ولوضع غير المأمور به موضعه[12]. ﴿ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: عذاباً. وهو في الأصل ما يعاف عنه، كالرّجس. ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ قال: «يخرجون عن أمر الله وطاعته. قال: والرّجز الّذي أصابهم، أنّه مات بالطّاعون

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٨.
٣ ـ مدينة الجبّارين في الغور من أرض الأُردنّ بالشّام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس. معجم البلدان ١: ١٦٥.
٤، ٥، ٦، ٧، ٩ و١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٠ ـ ٢٥٩.
٨ ـ قارف الذّنب: داناه و لاصقه. النّهاية ٤: ٤٥ (قرف).
١٠ ـ الاست: العَجُز و جمعه: استاه. «الصّحاح ٦: ٢٢٣٣ ـ سته». و في مجمع البيان ١ ـ ٢: ١١٩: «كانوا لقد أُمِروا أن يدخلوا الباب سجّداً وطؤطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك، فدخلوه زاحفين على أستاههم».
١٢ ـ راجع: البيضاوي ١: ١٥٦.

منهم في بعض يوم، مائة وعشرون ألفاً وهم الّذين في علم الله أنّهم لايؤمنون ولايخرج من صلبهم ذريّة طيّبة»[١].

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ قال: «لمّا عطشوا في التّيه وضجّوا إليه بالبكاء»[٢].

﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ قال: «فضربه بها داعياً بمحمّد و آله الطّيّبين، فانفجرت»[٣]. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ قال: «كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب»[٤]. ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ قال: «ولايزاحم الآخرين في مشربهم»[٥]. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾: من المنّ والسّلوى والماء ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ اي: لاتعتدوا؛ من العثوّ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ قال: «المنّ والسّلوى ولابدّ لنا من خلط معه»[٦]. ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ قال: «الفوم: الحنطة»[٧]. ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ قال: «أتستدعون الأدون ليكون لكم بدلاً من الأفضل؟»[٨]. ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال: «من الامصار»[٩]. ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ قال: «الجزية والفقر»[١٠].

﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ قال: «رجعوا و عليهم الغضب واللّعنة»[١١]. ﴿مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ قال: «يتجاوزون أمر الله إلى أمر إبليس»[١٢]. قيل: جرّهم العصيان والاعتداء فيه، إلى الكفر بالآيات وقتل النّبيّين؛ فإنّ صغار الذّنوب تؤدّي إلى كبارها، كما أنّ صغار الطّاعات

١ إلى ٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦١.
٦ـ المصدر: ٢٦٣.
٧ـ القمّي ١: ٤٨.
٨ إلى ١٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٣.

تؤدّي إلى كبارها[١]. وفي رواية: «والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً»[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: «بالله وبما فرض عليهم الإيمان به»[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قال: «يعني اليهود»[٤]. ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم في دين الله متناصرون»[٥]. وفي رواية: «الّذين هم من قرية يقال لها: "ناصرة" من بلاد الشّام»[٦]. ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم صبَوا إلى دين الله و هم كاذبون»[٧].

أقول: «صبَوا» أي: «مالوا» إن لم يهمز، و «خرجوا» إن كان بالهمز. والقمّي: إنّهم ليسوا من أهل الكتاب، ولكنّهم يعبدون الكواكب والنّجوم[٨].

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾: «عهودكم: أن تعملوا بما في التّوراة وما في الفرقان الّذي أعطيته موسى مع الكتاب، وتقرّوا بما فيه من نبوّة محمّد و وصيّة عليّ والطّيّبين من ذرّيّتهما، وأن تؤدّوا إلى أخلافكم قرناً بعد قرن، فأبيتم قبول ذلك واستكبرتموه». كذا ورد[٩]. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قال: «الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين، قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ، فقطعها وجاء بها، فرفعها فوق رؤوسهم»[١٠].

١ـ البيضاوي ١: ١٥٧.
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣، ٤ و ٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٤.
٦ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٠.
٧ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢٦٥.
٨ـ القمّي ١: ٤٨.
٩ و ١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾. قال: «قال لهم موسى: إمّا أن تأخذوا بما أمرتم به فيه، وإمّا أن أُلقي عليكم هذا الجبل، فأُلجئوا إلى قبوله كارهين، إلاّ من عصمه الله من العناد؛ فإنّه قَبِلَه طائعاً مختاراً. ثمّ لمّا قبلوه سجدوا وعفّروا، وكثير منهم عفّر خدّيه لا لإرادة الخضوع لله، ولكن نظراً إلى الجبل هل يقع أم لا»[١]. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ قال: «من قلوبكم ومن أبدانكم»[٢]. ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ قال: «من جزيل ثوابنا على قيامكم به، وشديد عقابنا على إبائكم له»[٣]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال: «لتتّقوا المخالفة الموجبة للعقاب، فتستحقّوا بذلك، الثّواب»[٤].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قال: «عن القيام به»[٥]. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ قال: «بإمهالكم للتّوبة، وإنظاركم للإنابة»[٦]. ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ قال: «لمّا اصطادوا السّموك فيه»[٧]. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: «مبعدين عن كلّ خير»[٨].

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ قال: «المسخة الّتي أخزيناهم ولعنّاهم بها»[٩]. ﴿نَكَٰلًا﴾ قال: «عقوبة»[١٠]. ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال: «من ذنوبهم الموبقات الّتي بها استحقّوا العقوبة»[١١]. ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال: «وردعاً للّذين شاهدوهم بعد مسخهم الّذين يسمعون بها من بعدها، لكي يرتدعوا عن مثل أفعالهم»[١٢]. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٤ـ المصدر: ٢٦٧، و فيه: «جزيل الثّواب».
٥و٦ـ المصدر: ٢٦٧.
٧،٨و٩ـ المصدر: ٢٦٨.
١٠ـ المصدر: ٢٦٨، و فيه: «عقاباً و ردعاً».
١١و١٢ـ المصدر: ٢٦٨.

ويأتي قصّتهم في الأعراف إن شاء الله[1].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. ملخّص ما ورد في بيان هذه القصّة: «انّ رجلاً من خيارهم خطب امرأةً منهم حسناء، فأُجيب، وخطبها ابن عمّ له، فَرُدَّ فحسده فقتله، وحمله إلى موسى عليه السلام وقال: ابن عمّي هذا قُتِلَ ولاأدري من قَتَلَهُ. فأمر الله موسى أن يأمرهم بذبح بقرة يضربون ببعضها المقتول، ليحيى ويخبرهم بالقاتل. فسألوا عن صفتها لجاجاً وسوء ظنّ بموسى، فتعيّنت وانحصرت في واحدة، فطلبوها فلم يجدوا إلّا عند شابّ كان لايبيعها إلّا بملأ جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فأخبروه، فقال لهم موسى: لابدّ لكم من ذبحها بعينها فاشتروها بملأ جلدها ذهباً»[2].

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال: «سخرية»[3]، «نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة»[4]. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. قال: «انسب إلى الله ما لم يقل لي[5]، ـقال ـ: فعلموا أنّهم قد أخطاوا»[6].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ قال: «ما صفتها لنقف عليها»[7]. ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾: إنّ الله ﴿يَقُولُ﴾ قال: «بعد ما سأل ربّه»[8]. ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ قال: «لا كبيرة ولاصغيرة»[9]. ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ قال: «وسط بين الفارض والبكر»[10]. ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ﴾ قال: «إنّ الله يقول»[11]: ﴿إِنَّهَا

١ ـ في ذيل الآية: ١٦٣.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٣ ـ ٢٧٥.
٣ ـ المصدر: ٢٧٥.
٤و٦ ـ القمّي ١: ٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥، ٧، ٨، ٩و١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٦.
١١ ـ المصدر: ٢٧٧.

﴿بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: «حسنة الصّفرة، ليس بناقص يضرب إلى البياض؛ ولا بمشبع يضرب إلى السّواد»[١]. ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ قال: «لبهجتها وحسنها وبريقها»[٢].

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ قال: «ما صفتها؟ يزيد في صفتها»[٣]. ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. قال: «لو لم يستثنوا، لما بيّنت لهم آخر الأبد»[٤].

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ قال: «لم تذلّل لإثارة الأرض[٥] ولم ترض[٦] بها»[٧]. ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ قال: «ولا هي ممّا تجرّ الدّلاء ولا تدير النّواعير، قد أعفيت من ذلك أجمع»[٨]. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ قال: «من العيوب كلّها»[٩]. ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ قال: «لا لون فيها من غيرها»[١٠]. ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ قال: «من عظم ثمن البقرة»[١١]. قال: «لو عمدوا إلى أيّ بقرة أجزأهم، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم»[١٢].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ قال: «اختلفتم وتدارأتم: ألقى بعضكم ذنب القتل على بعض وأدراه عن نفسه و ذويه»[١٣]. ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: «من

١و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧. و البريق: التّلألؤ. يقال: برق السّيف و غيره، إذا لمع و تلألأ، و الاسم: البريق. لسان العرب ١٠: ١٥ (برق).

٣ـ المصدر: ٢٧٧.

٤ ـ البيضاوي١: ١٦٢؛ والدّرّ المنثور ١: ٧٧.

٥ ـ أرض مثارة: إذا أثيرت بالسّن، وهي الحديدة الّتي تحرث بها الأرض. و أثار الأرض: قلبها على الحبّ بعد ما فتحت مرّة. لسان العرب ٤: ١١١ (ثور).

٦ ـ الرّضّ: دقّ الشّيء. و إبل رضارض: راتعة، كأنّها ترضّ العشب. لسان العرب ٤: ١٥٤ (رضض).

٧، ٨، ٩و١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧.

١١ ـ المصدر: ٢٨١.

١٢ـ العيّاشي١: ٤٦، الحديث: ٥٧، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢.

خبر القاتل وإرادة تكذيب موسى باقتراحكم عليه ما قدّرتم أنّ ربّه لايجيبه إليه»[١].

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ قال: «اضربوا الميّت ببعض البقرة ليحيى، وقولوا له: من قتلك؟ فأخذوا ذنبها وضربوه به، فقام سالماً سوياً وقال: يا نبيّ الله! قتلني ابن عمّي هذا، فقاده موسى عنه»[٢]. ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ قال: «في الدّنيا والآخرة؛ كما أحيا الميّت بملاقاة ميّت آخر؛ أمّا في الدّنيا، فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الّذي كان في الأصلاب والأرحام حيّاً، وأمّا في الآخرة، فينزل بين نفختي الصّور من دوين السّماء من البحر المسجور منيّاً كمنيّ الرّجال، فيمطر ذلك على الأرض فيلقي الأموات البالية، فينبتون من الارض ويحيون»[٣]. ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ قال: «غلظت وجفّت ويئست[٤] من الخير والرّحمة، قلوبكم معاشر اليهود!»[٥]. ﴿ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ قال: «من بعد ما تبيّنت الآيات الباهرات»[٦]. ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ قال: «اليابسة؛ لاترشح برطوبة، ولاينتفض[٧] منها ماينتفع به. أي: إنّكم لاحقّ الله تؤدّون، ولا من أموالكم ولا من حواشيها[٨] تتصدّقون، ولا بالمعروف تتكرّمون وتجودون، ولا الضّيف تَقْرُونَ، ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيء من الإنسانيّة تعاشرون وتعاملون»[٩]. ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ قال: «فيجيئ بالخير و النّبات لبني آدم. أبهم أولاً بالتّرديد، ثمّ بيّن أنّ قلوبهم

١ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢.
٢ـ المصدر: ٢٧٨، و فيه: «قتلاني هذان ابناعمّي».
٤ـ في المصدر: «يبست».
٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣.
٧ـ نفضت الثّوب والشّجر انفضه: إذا حرّكته لِيَنْتَفِضَ. والنَّفَض ـ بالتّحريك ـ ما تساقط من الورق والثّمر. لسان العرب ٧: ٢٤٠ (نفض).
٨ـ في المصدر: «مواشيها».
٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣.

أشدّ قسوة من الحجارة». كذا ورد[١]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ قال: «وهو ما يقطر منه الماء دون الانهار»[٢]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قال: «إذا أقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه»[٣]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ قال: «يا محمّد أنت وأصحابك»[٤]. ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ قال: «هؤلاء اليهود، يصدّقوكم بقلوبهم»[٥]. ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: طائفة من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ قال: «في أصل جبل طور سيناء»[٦]. ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: «عمّا سمعوه، إذا أدّوه إلى من وراءهم»[٧]. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه بعقولهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: «أنّهم في تقوّلهم كاذبون»[٨]. قيل: يعني: انّ أحبارهم ومقدّميهم كانوا كذلك، فما طمعكم بسفَلَتهمْ وجهّالهم[٩]؟

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «من دلائل نبوّة محمّد وإمامة عليّ»[١٠]. ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قال: «بأنكم قد علمتم هذا وشاهدتموه، فلمَ لم تؤمنوا[١١] به ولم تطيعوه؟»[١٢]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «إنّ الّذي تخبرونهم به، حجّة عليكم عند ربكم»[١٣].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: «هؤلاء القائلون لإخوانهم: "أتحدّثونهم"»[١٤]. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٤.
٣ـ المصدر: ٢٨٤.
٤و٥ـ المصدر: ٢٩١.
٦، ٧و٨ـ المصدر: ٢٩٢.
٩ـ البيضاوي١: ١٦٤.
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.
١١ـ في المصدر: «فلم تؤمنوا به و لم تطيعوه».
١٢، ١٣و١٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: «لا يقرؤون ولايكتبون. والأُمّي منسوب إلى الأُمّ، أي: هو كما خرج من بطن أُمّه لايقرأ ولايكتب»[1]. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ قال: «إلّا أن يُقرأ عليهم ويقال لهم: هذا كتاب الله وكلامه، لايعرفون أنّ ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه»[2].

أقول: يعني: إلّا ما يقدّرون في أنفسهم من مُنىً أخذوها تقليداً من المحرّفين للتّوراة واعتقدوها، لم يعرفوا أنّه خلاف ما في التّوراة. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: لاعلم لهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾ قال: «شدّة من العذاب في أسوء بقاع جهنّم»[3]. ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: يحرّفون من أحكام التّوراة ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. «كتبوا صفة النّبيّ ﷺ بخلاف ما هو به، وقالوا للمستضعفين: هذه صفة النّبيّ المبعوث في آخر الزّمان، وأنّه يجيء بعد هذا الزّمان بخمسمائة سنة». كذا ورد[4]. ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال: «لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم منهم إصاباتهم، ويكفّوا أنفسهم مؤنَةَ خدمة رسول الله ﷺ»[5]. ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ قال: «شدّة العذاب ثانية[6] مضافة إلى الأُولى»[7]. ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ قال: «من الأموال الّتي يأخذونها إذا أثبتوا عوامّهم على الكفر»[8].

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾. قيل: وهي الّتي عبدْنا فيها العجل[9]. قال: «وهي تنقضي ثمّ نَصيرُ بعده في النّعمة في الجنان، ولانستعجل المكروه في الدّنيا

۱ و۲ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ۲۹۹.
۳، ٤ و٥ ـ المصدر: ۳۰۲ ـ ۳۰۳.
٦ ـ في «الف»: «ثابتة».
۷ و۸ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ۳۰۲ ـ ۳۰۳.
۹ ـ البيضاوي ۱: ۱٥٦؛ و القمّي ۱: ٥۱.

للعذاب الّذي هو بقدر أيّام ذنوبنا»[1]. ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ قال: «إنّ عذابكم على كفركم منقطع غير دائم؟»[2]. ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ يعني: فإن اتّخذتم عهداً فلن يخلف الله عهده. ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. قال: «بل أنتم في أيّهما ادّعيتم كاذبون»[3]. قال: «بل ما هو إلّا عذاب دائم لا نفاد له»[4].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾. قال: «السيّئة المحيطة به أن تخرجه عن جملة دين الله، و تنزعه عن ولاية الله و تؤمّنه من سخط الله[5]؛ و هي الشّرك بالله، والكفر به و بنبوّة محمّد، و ولاية عليّ وخلفائه عليهم السّلام. كلّ واحد من هذه سيّئة تحيط به، اي تحيط بأعماله فتبطلها وتمحقها»[6]. ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: واذكروا إذ أخذنا ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: «عهدهم المؤكّد عليهم»[7].

أقول: وهو جارٍ في أخلافهم لما أدّى إليهم أسلافهم قرناً بعد قرن، و جارٍ في هذه الأمّة ايضاً كما يظهر ممّا يأتي.

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال: «لا تشبّهوه بخلقه، ولا تجوروه في حكمه، ولا تعملوا ما يراد به وجهه تريدون به وجه غيره»[8]. قال: «من شغله عبادة الله عن مسألته، أعطاه الله أفضل ما يعطي السّائلين»[9].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: «وأن تحسنوا بهما إحساناً، مكافاة عن إحسانهما إليكم وإنعامهما عليكم»[10]. «ولحقّ محمّد و عليّ اللّذينِ هما أبوا هذه الأمّة عليهم أعظم من

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٠٤.
٣، ٤و٦ ـ المصدر: ٣٠٤ـ٣٠٥.
٥ ـ في المصدر: «و ترميه في سخط الله»، و في بعض نسخ المصدر: «لاتؤمّنه من سخط الله».
٧و٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٢٦.
٩ ـ المصدر: ٣٢٧، عن أبي محمّد عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
١٠ ـ المصدر: ٣٢٦.

حقّ أبوي ولادتهم، لأنّهما ينقذانهم من النّار إن أطاعوهما». كذا ورد[1]. ﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: «وأن تحسنوا بقراباتكم منهما لكرامتهما. ولحقّ قربى محمّد وعليّ أعظم من حقّ قربى أبوي النّسب، على قدر زيادة فضل محمّد وعليّ». كذا ورد[2]. ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: الّذين فقدوا آباءهم الكافين[3] لهم أُمورهم. «وأشدّ منهم يُتْماً يتيم عن إمامه[4]، ابتلي بجهالة شرايع دينه، فمن علّمه و هداه من علماء الشيعة كان مع أئمّته في الرّفيق الأعلى». كذا ورد[5]. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: «مَنْ سكَّنَ الضُرُّ و الفقْرُ حَركَتَه. وأفضل من مواساتهم، مواساة الّذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم عن مقاتلة أعداء الله، الّذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون أحلامهم، بتقويتهم بفقهه وعلمه، حتّى أزال مسكنتهم، ثمّ سلّطهم على الأعداء الظّاهرة؛ من الإنس، والأعداء الباطنة؛ من مردة الأبالسة، حتّى يهزموهم عن دين الله». كذا ورد[6].

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ «كلّهم: مؤمنهم ومخالفهم؛ أمّا المؤمن فببسط الوجه والبشر؛ وأمّا المخالف فبالمداراة، ليكفّ بذلك شرّه عن نفسه وإخوانه». كذا ورد[7]. وفي رواية: «قولوا للنّاس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم»[8].

أقول: و أمّا ما ورد: «أنّها نزلت في أهل الذّمّة ثمّ نسخت بآية القتال»[9]، فلا ينافي

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٣٠، عن امير المؤمنين عليه السلام، عن النّبي صلى الله عليه وآله.
٢ ـ المصدر: ٣٢٦ و ٣٣٤.
٣ ـ في المصدر: «الكافلين لهم».
٤ ـ والأوفق بالسّياق: «يتيم انقطع عن إمامه».
٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٢٦ و ٣٣٩.
٦ ـ المصدر: ٣٤٥ و ٣٤٦.
٧ ـ المصدر: ٣٥٣ و ٣٥٤.
٨ ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ ـ الخصال ١: ٢٧٥، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ما قلناه، لجواز كونها إنّما نسخت في حقّ المأمورين بقتالهم، وبقي حكمها في سائر النّاس.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ «أيها اليهود، عن الوفاء بالعهد الّذي أدّاه إليكم أسلافكم». كذا ورد[١]. ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال: «عن ذلك العهد، تاركين له، غافلين عنه»[٢].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: لا يسفك بعضكم دماء بعض ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ قال: «لا يخرج بعضكم بعضاً»[٣]. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «بذلك الميثاق، كما أقرّبه أسلافكم والتزمتموه كما التزموه»[٤]. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ قال: «بذلك على أسلافكم وأنفسكم»[٥].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ قال: «معاشر اليهود»[٦]. ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: النّاقضون. وهذا مثل قول القائل: أنت ذلك الرّجل الّذي فعل كذا. وهو استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشّهادة عليه. ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً»[٧]. ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ غضباً وقهراً عليهم[٨]، كما فعل عثمان بأبي ذرّ، حين أخرجه إلى «الرّبَذة» وكان قد أخبر به النّبيّ ﷺ أباذرّ، وقال له: «هذه الآية نزلت فيك وفي خصمك». كذا ورد[٩]. ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ قال: «يظاهر بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه وقتل من تقتلونه، بغير حقّ»[١٠]. ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء الّذين تخرجونهم، أي: ترومون إخراجهم أو قتلهم ظلماً»[١١]. ﴿أُسَارَىٰ﴾ قال: «قد أسرهم أعداؤكم و أعداؤهم»[١٢]. ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ قال: «من الاعداء بأموالكم»[١٣].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٥.
٢ ـ المصدر: ٣٢٧.
٣ ـ المصدر: ٣٦١.
٤ إلى ٨ ـ المصدر: ٣٦٧.
٩ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ ـ ٥٤.
١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٧.
١١، ١٢ و ١٣ ـ المصدر: ٣٦٧.

أقول: وهذا كما «اعترف به عثمان لأبي ذرّ أنّه يفديه بكلّ ما يملك إن أسره المشركون، ولم يرضوا إلاّ بذاك» كما ورد[1].

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾. «أعاد إخراجهم، لئلاّ يتوهّم انّ المحرّم إنّما هو مفاداتهم». كذا ورد[2].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ قال: «وهو الّذي أوجب عليكم المفاداة»[3]. ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ قال: «و هو الّذي حرّم عليكم قتلهم و إخراجهم»[4]. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ قال: «ذُلّ»[5]. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: «جزية تضرب عليه و يذلّ بها»[6]. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال: «التّوراة المشتمل على الاحكام، ونبوّة محمّد، وإمامة عليّ و خلفائه»[7]. ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ قال: «جعلنا رسولاً في أثر رسول»[8]. ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ قال: «أعطيناه الآيات الواضحات: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإنباء بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم»[9]. ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قال: «و هو جبرئيل»[10]. ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ أيها اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال: «عن الإيمان و الاتّباع»[11]. ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى و عيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: «قتل أسلافكم زكريّا ويحيى؛ وأنتم

---

١ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ـ٥٤.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٧.
٣، ٤، ٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٨.
٧، ٨، ٩و١٠ـ المصدر: ٣٧١.
١١ ـ البيضاوي ١: ١٦٩.

رمتم قتل محمّد ليلة العقبة، وقتل عليّ بالمدينة، فخيّب الله سعيكم و ردّ كيدكم في نحوركم». كذا ورد[١].

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ ـ بضمّ اللاّم جمع غِلاف ـ قال: «أي: أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثمّ هي مع ذلك لاتعرف لك ـ يا محمّد ـ فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله، ولا على لسان أحد من أنبياء الله»[٢]. قال: «وإذا قرئ "غُلْفٌ" يعني: بسكون اللاّم جمع أغْلَفْ، فمعناه قلوبنا في غطاء، فلا نفهم كلامك وحديثك، كقوله تعالى: "وَ قَالُوا قُلُوبُنَا في أكِنَّة ممَّا تَدْعُونَا إلَيْه"[٣]. ـ قال: ـ و كلتا القراءتين حقّ، و قد قالوا بهذا و هذا جميعاً»[٤]. ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال: «أبعدهم من الخير»[٥].

﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: «فإيماناً قليلاً[٦]، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض». كذا ورد[٧].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء اليهود»[٨]. ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال: «القرآن»[٩]. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: «يعني التوراة المشتمل على نبوّة نبيّنا، و ولاية عليّ». كذا ورد[١٠]. ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ قال: «أنْ ظهر محمّد بالرّسالة»[١١]. ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ قال: «يسألون الله الفتح والظفر»[١٢]. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: «من أعدائهم»[١٣]. «ويتوعّدونه به ويقولون: ليخرجنّ نبيّ، فليكسرنّ أصنامكم، وليفعلنّ بكم وليفعلنّ»[١٤]. «وإذا دهمهم أمر[١٥]، دعوا الله بمحمّد وآله الطّيّبين، واستنصروا بهم، وكان الله يفتح لهم وينصرهم»[١٦].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
٢، ٤، ٥و٧ ـ المصدر: ٣٩٠.
٣ ـ فصّلت (٤١): ٥.
٦ ـ في «الف» و «ج»: «فإيماناً قليلاً يؤمنون».
٨ إلى ١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
١٤ ـ الكافي ٨: ٣١٠، الحديث: ٤٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٥ ـ أدهمه: ساءه و دَهمَكَ ـ كسَمِعَ و مَنَعَ ـ: غَشيَكَ. القاموس المحيط ٤: ١١٦ (دهم).
١٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٤.

أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة، فيتعرّض لذلك الرّماد[1] فيشربه»[2]. وفي أُخرى: «أمروا بشرب العجل الّذي كان قد ذُرّيت[3] سحالته في الماء الّذي أُمروا بشربه، ليتبيّن من عبده ممّن لم يعبده، باسوداد شفتيه وأنفه إن كان أبيض اللّون، وابيضاضها إن كان أسود؛ وذلك حين أنكروا عبادته لمّا أُمروا بقتل من عبده، فوصل ما شربوه من ذلك إلى قلوبهم»[4].

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ قال: «بموسى والتّوراة أن تكفروا بي»[5]. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. قال: «كما تزعمون بموسى والتّوراة، ولكن معاذ الله! لا يأمركم إيمانكم بموسى والتّوراة الكفرَ بمحمّد ﷺ»[6].

﴿قُلْ﴾ قال: «قل يا محمّد لهؤلاء اليهود القائلين بأنّ الجنّة خالصة لنا من دونك ودون أهل بيتك، وإنّا مبتلون بك ونحن أولياء الله المخلصون»[7]. ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ قال: «الجنّة ونعيمها»[8]. ﴿عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ قال: «محمّد وأهل بيته و مؤمني أُمّته»[9]. ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. قيل: لأنّ في التّوراة مكتوباً أنّ أولياء الله يتمنّون الموت ولا يرهبونه[10]. والوجه في ذلك أنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها، وأحبّ التّخلّص إليها من الدّار ذات المحن. وفي رواية: «فتمنّوا الموت للكاذب منكم ومن مخالفيكم، ليستريح الصّادق منكما ويتّضح الحجّة؛ وذلك لأنّهم كانوا يدّعون أنّهم المجاب دعاؤهم»[11].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من موجبات النّار، كالكفر بمحمّد و آله

١ ـ في المصدر: «بذلك للرّماد».
٢ ـ العيّاشي ١: ٥١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ ذرّيت: فرّقت.
٤، ٥ و٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٢٦.
٧، ٨ و٩ ـ المصدر: ٤٤٣ ـ ٤٤٢.
١٠ ـ القمّي ١: ٥٤.
١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٣.

والقرآن و تحريف التوراة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ قال: «ليأسهم عن نعيم الآخرة، لانهماكهم في كفرهم الّذي يعلمون أنّه لاحظّ لهم معه في شيء من خيرات الجنّة»[1].

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ قال: «وأحرص من الّذين أشركوا، يعني المجوس الّذين لايرون النّعيم إلاّ في الدّنيا، ولايأملون خيراً في الآخرة»[2]. ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال: «يتمنّى»[3]. ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ قال: «التّعمير ألف سنة»[4]. ﴿ بِمُزَحْزِحِهِۦ ﴾ قال: «مباعده»[5]. ﴿ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾. «إنّما أبدل من الضّمير، و كرّر التّعمير، لئلاّ يتوهّم عوده إلى التّمنّي». كذا ورد[6]. ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ قال: «فعلى حسبه يجازيهم»[7].

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾. «نزلت في اليهود الّذين قالوا لرسول الله ﷺ: لو كان الملك الّذي يأتيك ميكائيل لآمنّا بك، فإنّه ملك الرّحمة يأتي بالسّرور والرّخاء وهو صديقنا، وجبرئيل ملك العذاب ينزل بالقتل والشّدّة و الحرب و هو عدوّنا». كذا ورد[8]. ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ قال: «يعني نزّل هذا القرآن»[9]. ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ قال: «بأمر الله»[10]. ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ «من كتب الله». كذا ورد[11] ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال: «شيعة محمّد وعليّ»[12].

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.

«وذلك قول من قال من النّصّاب، لمّا قال النّبيّ في عليّ: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره و إسرافيل من خلفه وملك الموت أمامه و الله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرّضوان

١ إلى ٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٤.
٨ـ القمّي ١: ٥٤.
٩، ١٠ و ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٩.
١٢ ـ المصدر: ٤٥١.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ قال: «من نعت محمّد وصفته»[1]. ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ قال: «جحدوا نبوّته حسداً له و بغياً عليه»[2]. ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ «باعوها بالهدايا والفضول الّتي كانت تصل إليهم من السّفلة، ورياستهم على الجهّال وبقاء عزّهم في الدّنيا و نيل المحرّمات، و كان الله أمرهم بشرائها من الله بطاعتهم له، ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة». كذا ورد[3]. ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال: «أي على موسى من تصديق محمّد»[4]. وفي رواية: «بما أنزل الله في عليّ»[5]. ﴿بَغْيًا﴾: لبغيهم وحسدهم ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ «يعني تنزيل القرآن على محمّد الّذي أبان فيه نبوّته وأظهر به آيته ومعجزته [و فضائل أهل بيته عليهم السّلام]»[6]. كذا ورد[7].

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قال: «يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله في أثر غضب؛ فالغضب الأوّل حين كذّبوا بعيسى، فجعلهم قردة خاسئين، ولعنهم على لسان عيسى عليه السلام؛ والغضب الثّاني حين كذّبوا بمحمّد صلى الله عليه وآله فسلّط عليهم سيوف أصحابه حتّى ذلّلهم بها، فإمّا دخلوا في الإسلام طائعين، وإمّا أعطوا الجزية صاغرين»[8]. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي لهم. أظهر، لينبئ عن السّبب، وله نظائر كثيرة في القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال: «على محمّد من القرآن»[9]. ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ قال: «وهو التّوراة»[10]. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قال: «ما

١و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
٣و٤ ـ المصدر: ٤٠١ ـ ٤٠٢.
٥ ـ راجع: الكافي ١: ٤١٧، الحديث: ٢٥؛ و العيّاشي ١: ٥٠، الحديث: ٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.
٧و٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٢.
٩و١٠ ـ المصدر: ٤٠٤.

سواه»[١]. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ قال: «لأنّه هو النّاسخ للمنسوخ الّذي تقدّمه»[٢]. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ و هو التّوراة ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ قال: «أي: فَلِمَ كنتم تقتلون»[٣]. ﴿أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ «بالتّوراة؛ فإنّ فيها تحريم قتل الأنبياء، والأمر بالإيمان بمحمّد والقرآن، فما آمنتم بعد بالتّوراة». كذا ورد[٤].

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ قال: «إلهاً»[٥]. ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ قال: «من بعد انطلاقه إلى الجبل، وخالفتم خليفته هارون»[٦]. ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بما فعلتم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا﴾ قال: «قلنا لهم: خذوا»[٧]. ﴿مَا آتَيْنَاكُم﴾ قال: «من هذه الفرائض»[٨]. ﴿بِقُوَّةٍ﴾. قال: «قد أعطيناكموها ومكّناكم[٩] بها»[١٠]. ﴿وَاسْمَعُوا﴾ قال: «ما يقال لكم وتؤمرون به»[١١].

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قال: «قولك»[١٢]. ﴿وَعَصَيْنَا﴾ قال: «أمرك»[١٣]. «قالوا: سمعنا بآذاننا وعصينا بقلوبنا، فأمّا في الظّاهر فاعطوا كلّهم الطّاعة، داخرين صاغرين». كذا ورد[١٤]. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾. قيل: تداخلهم حبّه و رسخ في قلوبهم صورته لفرط شعفهم به، كما يتداخل الصّبغ الثّوب، والشّراب أعماق البدن[١٥].

و في رواية: «عمد موسى عليه السلام فبرد[١٦] العجل ثمّ أحرقه بالنّار فذرّه في اليمّ، فكان

١إلى٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٤.
٥و٦ـ المصدر: ٤٠٨.
٧، ٨و١٠ ـ المصدر: ٤٢٤.
٩ ـ في «ب» و «ج»: «و نحلناكم».
١١إلى١٤ ـ المصدر: ٤٢٥.
١٥ ـ البيضاوي١: ١٧١.
١٦ ـ برد الحديد: سحَله. و البُرادة: السُّحالة. و السُّحالة ـ بالضّمّ ـ: ما سقط من الذّهب و الفضّة إذا بُرِد. القاموس المحيط ١: ٢٨٦و٣: ٤٠٥ (برد ـ سحل).

إليه ناصره. قال بعض النّصّاب: أنا أبرأ من الله وجبرئيل وميكائيل و الملائكة الّذين حالهم مع عليّ ما قاله محمّد. فقال الله: من كان عدوّاً لهؤلاء، تعصّباً على عليّ، فإنّ الله يفعل بهم ما يفعل العدوّ بالعدوّ». كذا ورد[1].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: «دالآت على صدقك في نبوّتك وإمامة أخيك عليّ»[2]. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال: «الخارجون عن دين الله وطاعته، من اليهود والنّواصب»[3].

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قيل: كعيسى ومحمّد[4]. وفي رواية: «رسول من عندالله أي: كتاب من عند الله القرآن»[5]. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ قال: «التّوراة وساير كتب أنبياء الله»[6]. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: «تركوا العمل بما فيها من الأمر باتّباعه حسداً». كذا ورد[7]. ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قال: «ما تقرأه كفرة الشّياطين، من السّحر والنّيرنجات[8]»[9]. ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾: «على عهده. زعموا أنّ سليمان كان كافراً ساحراً ماهراً به، وبذلك نال ما نال، و ملك ما ملك، و قدر على ما قدر. قالوا: ونحن أيضاً بالسّحر نظهر العجائب، حتّى ينقاد لنا النّاس ونستغني عن الانقياد لمحمّد وأهل بيته». كذا ورد[10]. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ قال: «ولا استعمل السّحر كما قال هؤلاء الكافرون»[11]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ قال: «يعني كفروا

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٥١.
٢و٣ ـ المصدر: ٤٥٩.
٤ ـ أنظر: البيضاوي ١: ١٧٤.
٥، ٦، ٧و٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١.
٨ ـ النّيرنج ـ بالكسر ـ: أخذٌ كالسّحر و ليس به. القاموس المحيط ١: ٢١٧ (النّورج).
١٠ و١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١ ـ ٤٧٢.

بتعليمهم النّاس السّحر الّذي نسبوه إلى سليمان»[١] . ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ قال : «وبتعليمهم إيّاهم ما أُنزل على الملكين»[٢] . ﴿ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ .

قال : «كان بعد نوح عليه السّلام قد كثر السّحرة والمموّهون ، فبعث الله ملكين إلى نبيّ ذلك الزّمان بذكر ما يسحر به السّحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويردّ به كيدهم ، فتلقّاه النّبيّ عن الملكين وأدّاه إلى عباد الله بأمر الله ، وأمرهم أن يقفوا به على السّحر وأن يبطلوه ، ونهاهم أن يسحروا به النّاس ـ قال : ـ وذلك النّبيّ أمر الملكين أن يظهرا للنّاس بصورة بشرين ويعلّماهم ما علّمهما الله من ذلك و يعظاهم»[٣] .

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ قال : «ذلك السّحر و إبطاله»[٤] . ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَآ ﴾ قال : «للمتعلّم»[٥] . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ قال : «امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلّمون ؛ فيبطلوا به كيد السّحرة[٦] و لا يسحروا»[٧] . ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ قال : «باستعمال هذا السّحر»[٨] .

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ قال: «ممّا تتلوا الشّياطين وممّا أُنزل على الملكين»[٩] . ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ قال «بتخلية الله[١٠] وعلمه، فإنّه لوشاء لمنعهم بالجبر و القهر»[١١] . ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ﴾ قال : «في دينهم»[١٢] . ﴿ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ ﴾ فيه

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ ﴾ قال : «هؤلاء المتعلّمون»[١٣] . ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ قال : «بدينه الّذي ينسلخ عنه بتعلّمه»[١٤] . ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ ﴾ قال : «من نصيب في ثواب الجنّة .

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام : ٤٧١ ـ ٤٧٢ .
٢ و٣ ـ المصدر : ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .
٤، ٥، ٨ و٩ ـ المصدر : ٤٧٣ .
٦ ـ في «ألف» : «كيد السّحر» .
٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام : ٤٧٣ ، وفيه و في «ج» : «ولا يسحروا لهم» .
١٠ ـ خلّى الأمر و تخلّى منه و عنه : تركه . القاموس المحيط ٤ : ٣٢٧ (خلا) .
١١ إلى ١٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام : ٤٧٤ ـ ٤٧٥ .

وذلك لأنّهم يعتقدون أن لا آخرة»[١]. ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾ قال: «باعوا»[٢]. ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: «و رهنوها بالعذاب»[٣]. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قال: «أي: راعِ أحوالنا وراقبنا وتأنَّ بنا فيما تلقّننا حتّى نفهمه. وذلك لأنّ اليهود لمّا سمعوا المسلمين يخاطبون رسول الله بقولهم: "راعنا" وكان "راعنا" في لغتهم سبّاً، بمعنى: اسمع لاسمعت. قال بعضهم لبعض: لو كنّا نشتم محمّداً إلى الآن سرّاً فتعالوا الآن نشتمه جهراً، فكانوا يقولون له "راعنا" يريدون به شتمه، ففطن بذلك سَعْدُ بن مُعاذ، فلعنهم و أوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم، فنزلت». كذا ورد[٤]. ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾: انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾. قال: «إذا قال لكم أمراً و أطيعوا»[٥]. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الشاتمين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: «آية بيّنة وحجّة معجزة لنبوّته وشرفه وشرف أهل بيته». كذا ورد[٦]. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ قال: «بنبوّته»[٧]. وفي رواية: «توفيقه لدين الإسلام وموالاة محمّد وعليّ»[٨]. ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قال: «بأن نرفع حكمها»[٩]. ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: «بأن نرفع

١ إلى ٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٤ ـ ٤٧٥.
٤ ـ البرهان ١: ١٣٩، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام، مع تفاوت.
٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٩، و فيه: «إذا قال لكم رسول الله قولاً و اطيعوا».
٦ ـ المصدر: ٤٨٩.
٧ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ١٧٩، عن أمير المؤمنين و أبي جعفر عليهما السّلام.
٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٨٩.
٩ ـ المصدر: ٤٩١.

رسمها ونبلي[1] عن القلوب حفظها »[2]. ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ قال: « بما هو أعظم لثوابكم و أجلّ لصلاحكم»[3]. ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ قال: «من الصّلاح لكم. يعني: إنّا لاننسخ و لانبدّل إلاّ وغرضنا في ذلك مصالحكم»[4]. «وذلك لأنّ المصالح تختلف باختلاف الأعصار والأشخاص، فإنّ النّافع في عصر وبالنّسبة إلى شخص قد يضرّ في غير ذلك العصر وفي حقّ غير ذلك الشّخص». كذا ورد[5]. قيل: نزلت حين قالوا: إنّ محمّداً يأمر أصحابه بامر، ثمّ ينهى عنه ويأمر بخلافه[6]. ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ قال: «يلي صلاحكم»[7]. ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ قال: «ينصركم من مكروه إن أراد إنزاله بكم»[8].

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ قال: «بل تريدون يا كفّار قريش واليهود»[9]. ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ قال: «ما تقترحونه من الآيات الّتي لاتعلمون هل فيه[10] صلاحكم أو فسادكم»[11]. ﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ قال[12]: «و اقترح عليه لمّا قيل له: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ"[13]». ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ قال: «بما يوردونه

١ - في المصدر: «نزيل».
٢، ٣و٤ - تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١.
٥ - الاحتجاج ١: ٤٤و٤٥؛ وتفسير الإمام عليه السلام: ٤٩٣و٤٩٤.
٦ - البيضاوي ١: ١٧٨.
٧و٨ - تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١.
٩، ١١و١٢ - المصدر: ٤٩٦.
١٠ - كذا في النّسخ، و لعلّ الصّواب: «فيها» كما في المصدر.
١٣ - البقرة(٢): ٥٥، والآية: «فأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ».

عليكم من الشُّبه»[1]. ﴿حَسَدًا﴾ لكم ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ قيل: يعني من عند تشهّيهم، لا من عند تديّنهم[2]. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: «فيهم بالقتل يوم فتح مكّة»[3]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ كصلاة و إنفاق مال أوجاه ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه. قال: «تحطّ به سيّئآتكم وتضاعف به حسناتكم وترفع به درجاتكم»[4]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾ قال: «يعني اليهود و النّصارى. قالت اليهود»[5]: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ قال: «أي: يهودياً»[6]. ﴿أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ قال: «يعني وقالت النّصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصرانياً»[7]. ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: «التي يتمنّونها بلا حجّة»[8]. ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ لمّا سمع الحقّ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قال: «في عمله لله»[9]. ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «حين يخاف الكافرون»[10]. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: «حين الموت لأنّ البشارة بالجنان تأتيهم»[11].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: «من الدّين؛ بل دينهم باطل وكفر»[12]. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: «من الدّين، بل دينهم باطل و كفر؛ و ذلك لأنّ كلاً من الفريقين مقلّد بلاحجّة». كذا ورد[13]. ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ

١و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥١٥. و الشُّبه جمع: «الشّبهة».
٢ـ البيضاوي١: ١٨٠.
٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٠.
٥،٦و٧ـ المصدر: ٥٢٦.
٨ـ المصدر: ٥٢٧.
٩،١٠و١١ـ المصدر: ٥٤٣.
١٢و١٣ـ المصدر: ٥٤٤.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: «ولا يتأمّلونه ليعملوا بما يوجبه، فيتخلّصوا من الضّلالة»[١]. ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قال: «يكفّر بعضهم بعضاً»[٢] ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ لئلاّ تعمر بطاعة الله. وهو عامّ وإن نزل خاصّاً. قال: «هي مساجد خيار المؤمنين بمكّة لمّا منعوهم من التّعبّد فيها بأن ألجأوا رسول الله ﷺ إلى الخروج عن مكّة»[٣]. وفي رواية: «مساجد الدّنيا كلّها بأن همّوا بقتل النّبيّ والوصيّ»[٤]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ من المؤمنين أن يبطشوهم[٥]. فهو وعد للمؤمنين بالنّصرة واستخلاص المساجد منهم. وقد أنجز وعده بفتح مكّة لمؤمني ذلك الزّمان، وسينجزه لعامّة المؤمنين حين ظهور العدل. قال: «خائفين من عدله وحكمه النّافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه وسياطه»[٦]. وفي رواية مقطوعة: «يعني لايقبلون الإيمان إلاّ والسّيف على رؤوسهم»[٧]. ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ قال: «وهو طردهم عن الحرم»[٨]. ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يعني ناحيتي الأرض. أي: له كلّها. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ إذ لا يخلو منه مكان ولايخفى عليه خافية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. ورد: «إنّها نزلت في التّطوّع خاصّة. قال: وصلّى رسول الله ﷺ إيماءً على راحلته أينما توجّهت به، حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكّة وجعل الكعبة خلف

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٤٤.

٣، ٦و٨ـ المصدر: ٥٦٠.

٤ـ المصدر: ٥٦٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٥ـ كذا في النّسخ ولعلّ الصّواب: «أن يبطشوا بهم» وبطش به: أخذه بالعنف والسّطوة. القاموس المحيط ٢: ٢٧٣ (بطش).

٧ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث: ٧٩.

ظهره»[1]. وفي رواية: «نزلت في قبلة المتحيّر»[2].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قالت اليهود: عزيرٌ ابن الله و قالت النّصارى: المسيح ابن الله وقالت مشركوا العرب: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بل كلّه ملك له: "عزير" و "المسيح" و "الملائكة" وغيرهم. ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: منقادون، مقرّون له بالعبوديّة طبعاً وجبلّةً، لا يمتنعون عن مشيّته وتكوينه، فكيف يكونون مجانسين له؟ ومن حقّ الولد أن يجانس والده.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: «ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله»[3]. ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾: أراد فعله وخلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ قال: «لابصوت يقرع، ولا بنداء يسمع؛ و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، يقول ولا يلفظ ويريد و لا يضمر»[4]. و «إرادته للفعل: إحداثه»[5].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة المشركين وغير العاملين بعلمهم من أهل الكتاب: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ فقالوا أرنا الله جهرة ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في العمى والعناد ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فلا عليك إن أصرّوا أو كابروا ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾. ورد: «إنّه على النّهي»[6] وقد قرئ به.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. مبالغة في إقناطه عن

١ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث: ٨٠: عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٧٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٢٥٦، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٧٤، الخطبة: ١٨٦.
٥ـ الكافي ١: ١٠٩، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ١٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

إسلامهم. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. هذا من قبيل: إيّاكِ أعني واسمعي ياجارة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: «بالوقوف عند ذكر الجنّة والنّار يسأل في الأُولىٰ ويستعيذ في الأُخرىٰ»[1]. ورد: «هم الأئمّة».[2] ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: «فريضة»[3]. وفي رواية: «فداء»[4]. ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾. كرّر ذلك وختم به الكلام معهم، مبالغة في النّصح و إيذاناً بانّه فذلكة القصّة والمقصود منها.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال: «هي الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه وهي قوله: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة و الحسن و الحسين»[5]. ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: «يعني إلى القائم اثنى عشر إماماً»[6]. والقمّي: هي ما ابتلاه به ممّا أراه في نومه من ذبح ولده فأتمّها إبراهيم بالعزم و التّسليم[7]. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. قال: «لايكون السّفيه إمام التّقي»[8]. قال: «فابطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصّفوة»[9].

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ١٩٨؛ و العيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٢١٥، الحديث: ٤، عنه عليه السلام.
٣و٤ ـ العيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٥و ٨٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ ـ الخصال: ٣٠٤ـ٣٠٥، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٥٩.
٨ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٩ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٧، الباب: ٢٠، ذيل الحديث: ١.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾: مرجعاً ومحلّ عود ﴿وَأَمْنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطّير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[١]. ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ هو الحجر الّذي عليه أثر قدمه. قال: «يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة»[٢]. ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال: «نحّيا عنه المشركين»[٣]. ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. قال: «وينبغي للعبد أن لايدخله إلّا و هو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى و تطهّر»[٤].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال: «من ثمرات القلوب، أي: حبّبهم إلى النّاس لينتابوا إليهم[٥] ويعودوا»[٦].

أقول: ويؤيّد هذا قوله عليه السّلام في سورته: "فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"[٧]. وفي رواية: «لمّا دعا بذلك، أمر الله بقطعة من الأردن[٨] فسارت بثمارها حتّى طافت بالبيت ثمّ أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع المسمّى بالطّائف، ولذلك سمّي الطّائف»[٩].

﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. قال: «إيانا عنى بذلك و أولياءه وشيعة وصيّه»[١٠]. ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ أرزقه أيضاً ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ

١ ـ الكافي٤: ٢٢٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ التّهذيب٥: ١٣٨، الحديث: ١٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي١: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ علل الشّرايع ٢: ٤١١، الباب: ١٥١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ انتابهم انتياباً: أتاهم مرّة بعد أخرى. القاموس المحيط ١: ١٤٠ (النّوب).
٦ ـ القمّي١: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ إبراهيم(١٤): ٣٧.
٨ ـ الأردن كالأحمر: ضربٌ من الخزّ. القاموس المحيط ٤: ٢٢٩ (الرُّدن).
٩ ـ علل الشّرايع ٢: ٤٤٢ ـ ٤٤٣، الباب: ١٨٩، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
١٠ ـ العيّاشي١: ٥٩، الحديث: ٩٦، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.

﴿ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ عذاب النّار. قال: «عنى بذلك من جحد وصيّه ولم يتّبعه من أمّته»[1].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: منقادين مخلصين ﴿لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾: واجعل بعض ذرّيّتنا ﴿أُمَّةً﴾: جماعة يأمّون، أي يقصدون و يقتدى بهم ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾. قال: «هم أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»[2]. وفي رواية: «بنوهاشم»[3]. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: عرّفنا متعبّداتنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمّة المسلمة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ قال: «يعني من تلك الأمّة»[4]. عن النّبيّ ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[5]. ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: من استهانها و أذلّها و استخفّ بها. قيل: بكسر الفاء متعدّ و بضمّها لازم[6]. ورد: «ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، وسائر النّاس منها براء»[7]. ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١ـ العيّاشي ١: ٥٩، الحديث: ٩٦، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ الكافي ٥: ١٤، الحديث: ١؛ و التّهذيب ٦: ١٢٨، الحديث: ٢٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣و٤ـ العيّاشي ١: ٦٠ـ٦١، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٦٢.
٦ـ راجع: البيضاوي ١: ١٨٩.
٧ـ المحاسن للبرقي ١: ١٤٧، الباب: ١٦، الحديث: ٥٤، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، و فيه و في «ج»: «برآء».

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي: بالملّة، أو بهذه الكلمة أعني كلمة: "أسلمت لربّ العالمين".

﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: و وصّى بها يعقوب أيضاً بنيه ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ إنكار؛ يعني ما كنتم حاضرين ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾. أراد به تقريرهم على التّوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثّبات عليهما. ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾. عدّ إسماعيل من آبائه؛ لأنّ العرب تسمّي العمّ والجدّ أباً؛ لوجوب تعظيمهما كتعظيمه. وفي الحديث: «عمّ الرّجل صِنْوُ أبيه»[1]. ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾. تصريح بالتّوحيد ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾: لكلّ أجر عمله، ولاينفعكم انتسابكم إليهم ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: لاتؤاخذون بسيّئاتهم، كما لاتثابون بحسناتهم.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النّصارى: كونوا نصارى ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: بل نكون أهل ملّة إبراهيم متّبعين له ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن كلّ دين إلى دين الحقّ. قال: «الحنيفيّة هي الإسلام»[2]. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني إبراهيم. تعريض بأهل الكتابَيْن، فإنّهم كانوا يدّعون اتّباع ملّة إبراهيم، وهم مع ذلك كانوا على الشّرك.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾. قال: «عنى بالخطاب عليّاً وفاطمة والحسن والحسين

١ـ سنن الدّار قطني ٢: ١٢٣. والصّنو: الأخ الشّقيق و الإبن و العمّ. النّخلتان فما زاد في الأصل الواحد كلّ واحد منهما صنوٌ. القاموس المحيط ٤: ٣٥٥ (الصّنو).

٢ـ البرهان ١: ١٥٦، الحديث: ٤؛ و العيّاشي ١: ٦١، الحديث: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وجرت بعدهم في الأئمّة»[١]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ يعني الصّحف. "والأسباط": حفدة يعقوب. ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني التّوراة والإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ جملةً؛ المذكورون منهم وغير المذكورين. ﴿مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ كاليهود، نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ﴾ لله ﴿مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ﴾ قال: «أي: ساير النّاس»[٢]. ﴿بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ قال: «في كفر»[٣].

أقول: وأصله المخالفة والمناواة؛ فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر.

﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾. تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنّصر على ناواهم. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بإخلاصكم.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾: صبَغَنا اللهُ صِبْغَتَهُ، وهي فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها. قال: «هي الإسلام»[٤]. وفي رواية: «صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق»[٥]. ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾: لا صبغة أحسن من صبغته ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ تعريض بهم، أي: لا نشرك به كشرككم.

﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾: أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه نبيّاً من العرب؟ قيل: إنّ أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلّهم منّا، وديننا أقدم، وكتابنا أسبق، فلو كنت نبيّاً لكنت منّا، فنزلت[٦]. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾: لا اختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من

١ـ الكافي ١: ٤١٥ـ٤١٦، الحديث: ١٩؛ والعيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ٢؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٢ـ٤٢٣، الحديث: ٥٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ راجع: البيضاوي ١: ١٩٤.

يشاء ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾: موحّدون، نخلصه[1] بالإيمان والطّاعة دونكم.

﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ وقد نفى الله عن إبراهيم اليهوديّة والنّصرانيّة، حيث قال: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَ لا نَصْرانِيّاً"[2]. ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ إنكار؛ قيل: يعني لا أحد أظلم من أهل الكتاب، حيث كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفيّة، والبراءة من اليهوديّة والنّصرانيّة، أو منّا لو كتمنا هذه الشّهادة؛ وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد ﷺ بالنّبوّة في كتبهم وغيرها[3]. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. لعلّ المراد بالأمّة هناك الأنبياء، وهنا أسلاف اليهود و النّصارى، أو الخطاب هناك لليهود، وها هنا لنا، فلا تكرار.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يريد المنكرين لتغيير القبلة، وفائدة تقديم الإخبار به توطين النّفس و إعداد الجواب. ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ﴾: ما صرفهم ﴿عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ قال: «يعني بيت المقدس»[4]. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ قال: «يملكهما. وتكليفه التّحوّل إلى جانب، كتحويله لكم إلى جانب آخر»[5]. ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾. «هو مصلحهم و مؤدّيهم بطاعته إلى جنّات النّعيم، أيّة جهة يعرف صلاحكم في استقبالها، في أيّ وقت يأمركم به». كذا ورد[6].

١ ـ كذا في النّسخ، و لعلّ الأصحّ: «نخلص له».
٢ ـ آل عمران(٣): ٦٧.
٣ ـ راجع: البيضاوي ١: ١٩٤.
٤و٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩٣ ـ ٤٩٤؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
٦ ـ المصدر: ٤٩٣؛ والاحتجاج ١: ٤٤، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ القمّي: أئمّةً عدلاً و واسطة بين الرّسول والنّاس[١]. ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يعني يوم القيامة. قال: «نحن الأُمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه وسمائه»[٢]. وفي رواية: «إنّ الله تعالى إيّانا عنى بقوله: "لتكونوا شهداء على النّاس" فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، و حجّته في أرضه، و نحن الّذين قال الله: "وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً"»[٣]. وفي أخرى: «ظَنَنْتَ أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين؟ أفترى أنّ من لا تجوز شهادته في الدّنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأُمم الماضية؟ كلاّ؛ لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأُمّة الّتي وجبت لها دعوة إبراهيم؛ "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[٤]، هم الأئمّة[٥] الوسطى وهم خير أُمّة أُخرجت للنّاس»[٦].

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ يعني بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: يرتدّ عن دينه آلفاً لقبلة آبائه. قال: «يعني إلاّ لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك أنّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبيّن متّبع[٧] محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة الّتي كرهها، ومحمّد يأمر بها؛ ولمّا

١ ـ القمّي١: ٦٣.
٢ ـ العيّاشي١: ٦٢، الحديث: ١١٠؛ و البرهان١: ١٥٩، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام. كلمة: «وسمائه» ليست في المصدر.
٣ ـ شواهد التّنزيل١: ٩٢.
٤ ـ آل عمران (٣): ١١٠.
٥ ـ في المصدر: «و هم الأمّة الوسطى»؛ و في نسخة «الف» و «ج»: «و هم الأئمّة الوسطى».
٦ ـ العيّاشي١: ٦٣، الحديث: ١١٤؛ و البرهان١: ١٦٠، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ في المصدر: «متّبعي محمّد».

كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة، ليتبيّن من يوافق محمّداً فيما يكرهه، فهو مصدّقه و موافقه»[1]. ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ يعني الصّلاة إلى بيت المقدس في ذلك الوقت ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ وعرّف أنّ الله يتعبّد بخلاف ما يريده المرء، ليبتلي طاعته في مخالفة هواه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم. قال: «نزلت حين قال المسلمون: أرايت صلاتنا الّتي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا؟ قال: فسمّى الصّلاة إيماناً»[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾. قال: «إنّ النّبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس بعد النّبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة، وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثمّ عيّرته اليهود، فقالوا له: إنّك تابع لقبلتنا؛ فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلمّا كان في بعض اللّيل خرج يقلّب وجهه في آفاق السّماء، فلمّا أصبح صلّى الغداة، فلمّا صلّى من الظّهر ركعتين جاء جبرئيل بهذه الآية، ثمّ أخذ بيده فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرّجال مقام النّساء والنّساء مقام الرّجال»[3]. قيل: إنّما كان يتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة، لأنّها كانت قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود[4].

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: نحوه. وإنّما ذكر المسجد اكتفاء بمراعاة الجهة. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾. خصّ الرّسول بالخطاب تعظيماً له

١ ـ الاحتجاج ١: ٤٦ـ٤٥، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٢ ـ العيّاشي ١: ٦٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٧٨، الحديث: ٨٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ١: ١٩٧.

وإيجاباً لرغبته، ثمّ عَمّ[1] تصريحاً بعموم الحكم جميع الأمكنة وسائر الأمّة، وتأكيداً لأمر القبلة، وتحضيضاً للأمّة على المتابعة. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قيل: لعلمهم بتخصيص كلّ شريعة بقبلة ولتضمّن كتبهم أنّه يصلّي إلى القبلتين[2]. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. وعد و وعيد للفريقين.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: برهان وحجّة ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾؛ لأنّ المعاند لاتنفعه الدّلالة ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾. قطع لأطماعهم. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لتصلّب كُلٌّ بما هو فيه. ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. من قبيل: إيّاكِ أعني و اسمعي يا جارة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: يعرفون محمّداً بنعته وصفته ومبعثه ومُهاجَره وصفة أصحابه في التّوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «أنك الرّسول إليهم»[3]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: ولكلّ قوم قبلة و ملّة و شرعة و منهاج يتوجّهون إليها ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: الله مولّيها إيّاهم ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: الطّاعات، و في رواية: «الولاية»[4]. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ قيل: أينما متّم في بلاد الله يأت بكم الله إلى المحشر[5]. و ورد: «إنّها نزلت في أصحاب القائم، وإنّهم المفتقدون من فرشهم ليلاً

١ - في «ج»: «عمّم».
٢ - البيضاوي١ : ١٩٨.
٣ - الكافي٢ : ٢٨٣، الحديث: ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ - الكافي٨ : ٣١٣، الحديث: ٤٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ - البيضاوي١ : ١٩٩.

فيصبحون بمكّة، وبعضهم يسير في السّحاب نهاراً؛ نعرف اسمه[1] واسم أبيه وحليته ونسبه»[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ للسّفر في البلاد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إذا صلّيت ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: وإنّ التّوجّه إلى الكعبة لَلْحقّ الثّابت المامور به من ربّك ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾. التّكرير لتاكيد أمر القبلة؛ لأنّ النّسخ من مظانّ الفتنة و الشّبهة؛ و لأنّه ينوط بكلّ واحد ما لم ينط بالآخر، فاختلفت فوائدها. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ كحجّة يهود بأنّ المنعوت في التّوراة قبلته الكعبة، وبأنّه يجحد ديننا ويتّبع قبلتنا، وكحجّة المشركين بأنّه يدّعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾. قيل: إلاّ الحجّة الدّاحضة من المعاندين بأنّه ما تحوّل إلى الكعبة إلاّ ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك ان يرجع إلى دينهم[3]. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فإنّ مطاعنهم لاتضرّكم ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. قال: «تمام النّعمة دخول الجنّة»[4]. وفي رواية: «الموت على الإسلام»[5].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ بالطّاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثّواب. ورد: «إنّ الله لم يذكره أحد من عباده

١ـ في المصدر: يعرف باسمه.
٢ـ كمال الدّين٢: ٦٧٢، الباب: ٥٨، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البيضاوي١: ٢٠٠.
٤ـ كنزالعمّال٢: ١٧، الحديث: ٢٩٦٥.
٥ـ راجع: البيضاوي١: ٢٠١.

المؤمنين إلاّ ذكره بخير، فاعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته»[١]. و ورد: «ذكر الله لأهل الصّلاة أكبر من ذكرهم إيّاه»[٢]. ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ بجحد النّعم وعصيان الأمر. قال: «أُريد بالكفر كفر النّعم»[٣]. ورد: «اشكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله»[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. «هذا لمن استقبل البلايا بالرّحب، وصبر على سكينة و وقار؛ وهو صبر الخواصّ». كذا ورد[٥].

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾. قال: «المؤمن إذا قبضه الله صيّر روحه في قالب كقالبه في الدّنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم، عرفوه بتلك الصّورة الّتي كانت في الدّنيا»[٦].

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالجنّة. «هذا لمن صبر كرهاً ولم يشْكُ إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستره وهو صبر العوامّ». كذا ورد[٧].

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾. قال: «كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة»[٨]. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالملك»[٩]. ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالهلك»[١٠]. ورد: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة

١ ـ الكافي ٨: ٧ و ٤٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام في رسالته إلى جماعة الشّيعة.
٢ ـ القمّي ٢: ١٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الخصال ١: ١٤، الحديث: ٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و ٧ ـ مصباح الشّريعة: ١٨٦، الباب: ٨٨، في الصّبر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ الكافي ٣: ٢٤٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ البيضاوي ١: ٢٠٢، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٩ و ١٠ ـ نهج البلاغة (للصبحي الصّالح): ٤٨٥، الحكمة: ٩٩.

ويصبر حين تفجاه إلّا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكرها غفر الله له كلّ ذنب فيما بينهما»[١].

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾. هما علما جبلين بمكّة ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام مناسكه ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. قال: «إنّ رسول الله ﷺ شرط في عمرة القضاء أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة ثلاثة أيّام حتّى يسعى، فتشاغل رجل عن السّعي حتّى انقضت الأيّام وأعيدت الأصنام، فشكى إلى النّبيّ ﷺ فنزلت. يعني: لاجناح عليه أن يطوّف بهما وعليهما الأصنام»[٢]. وفي رواية: «إنّ المسلمين كانوا يظنّون أنّ السّعي بينهما شيء صنعه المشركون، فنزلت»[٣]. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ قال: «كأحبار اليهود الكاتمين للآيات الشاهدة على أمر محمّد وعليّ - عليهما السّلام ونعتهما وحليتهما، وكالنّواصب الكاتمين لما نزل في عليّ»[٤]. ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. قال: «كلّ من يتأتّى منه اللّعن حتّى أنفسهم، فإنّهم يقولون: لعن الله الظّالمين»[٥].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال: «من كتمانهم»[٦]. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ قال: «أعمالهم وما كانوا أفسدوه»[٧]. ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: المبالغ في قبول التّوبة وإفاضة الرّحمة.

١ - الكافي٣: ٢٢٤، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ - البرهان١: ١٦٩، الحديث: ٣؛ والكافي ٤: ٤٣٥، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٣ - مجمع البيان ١-٢: ٢٤٠؛ و البرهان١: ١٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤، ٥، ٦و٧ - تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧١-٥٧٠.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قال: «استقرّ عليهم البعد من الرّحمة»[١].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قال: «في اللّعنة في نار جهنّم»[٢]. ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ قال: «يوماً ولاساعة»[٣]. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: «أي: بلاعمد من تحتها يمنعها من السّقوط، ولاعلاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم أيّها العباد والإماء أسرائي في قبضتي، الأرض من تحتكم لامنجا لكم منها أين هربتم، والسّماء من فوقكم لامحيص لكم عنها أين ذهبتم، فإن شئتُ أهلكتكم بهذه، وإن شئتُ أهلكتكم بتلك، ثمّ ما في السّماوات من الشّمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معايشكم، ومن القمر المضيء لكم في ليلكم لتبصروا في ظلماتها، وإلجائكم بالاستراحة في الظّلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الّذي ينهك أبدانكم»[٤].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قال: «المتتابعينِ الكارّين[٥] عليكم بالعجائب الّتي يحدثها ربّكم في عالمه، من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وخريف وربيع، وخصبٍ وقحط، وخوف وأمن»[٦]. ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ قال: «الّتي جعلها الله مطاياكم، لاتهدأ[٧] ليلاً ولانهاراً،

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٢، وفيه: «يوجب الله تعالى لهم البعد من الرّحمة».
٢و٣ـ المصدر: ٥٧٢.
٤ـ المصدر: ٥٧٥. وينهك أبدانكم أي: يدنف ويضني. الصّحاح ٤: ١٦١٣ (نهك).
٥ـ كرّ عليه اللّيل والنّهار: عادا مرّة بعد أُخرى. وفي المصدر: «الكادّين» ـ بالدّال المهملة ـ من الكدّ بمعنى الشّدة والإلحاح في الطّلب فتكون كناية عن عدم تخلّفهما. وما في المتن أبلغ وأنسب بالمقام.
٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥.
٧ـ لاتهدأ: أي: لاتسكن. والمطايا جمع للمطيّة وهي النّاقة الّتي يُركَبُ مَطاها: اي ظَهرُها. النّهاية ٥: ٢٤٩؛ و٤: ٣٤٠ (هدأ ـ مطا).

ولاتقتضيكم[١] علفاً ولا ماءً، وكفاكم بالرّياح مؤُنة تسييرها بقواكم الّتي لاتقوم لها لو ركدت عنها الرّياح، لتمام مصالحكم و منافعكم و بلوغكم الحوائج لأنفسكم»[٢].

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ قال: «وابلاً و هطلاً و رذاذاً، لاينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معايشكم، لكنّه ينزل متفرّقاً من علا، حتّى يعمّ الأوهاد والتِّلال والتّلاع»[٣]. ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قال: «فيخرج نباتها وحبوبها وثمارها»[٤]. ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ قال: «منها ما هي لأكلكم ومعايشكم، ومنها سباع ضارية، حافظة عليكم أنعامكم، لئلاّ تشذّ[٥] عليكم خوفاً من افتراسها لها»[٦].

﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ قال: «المربّية لحبوبكم، المبلّغة لثماركم، النّافية لركود الهواء والأقتار[٧] عنكم»[٨]. ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ ﴾ قال: «المذلّل الواقف»[٩]. ﴿ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال: «يحمل أمطارها ويجري بإذن الله ويصبّها حيث يؤمر»[١٠]. ﴿ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قال: «دلائل واضحات لقوم يتفكّرون فيها بعقولهم»[١١].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ من الأصنام والرؤساء الّذين

١ ـ في المصدر: «تقضيكم» من تقضّى الشّيء بمعنى فَنِيَ و انصرم و لكن ما في المتن أوفق بالعبارة.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥ـ٥٧٦.
٣ ـ المصدر: ٥٧٦. الوَهْد: الأرض المنخفضة. و التّل من التّراب: قطعة منه أرفع قليلاً ممّا حولها و الجمع: تلال. و التّلعة: ما انهبط من الأرض و مسيل الماء. و في المصدر: القلاع بدل التّلاع. و القُلاع ـ بضمّ القاف ـ الطّين الّذي يتشقّق إذا نضب عنه الماء و قِشْر الأرض يرتفع عن الكَمْأة فيدلّ عليها. «راجع: القاموس المحيط».
٤ ـ المصدر: ٥٧٦.
٥ ـ في: «الف»: «يشذّ» و في المصدر: «تشدّ» بالدّال المهملة.
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.
٧ ـ كأنّه جمعُ القتره بمعنى الغبرة أي: يذهب الأغبرة و الأبخرة المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافتها و تعفّنها. قاله المجلسي في البحار٣: ٥٥.
٨ إلى ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.

يطيعونهم. قال: «هم أئمّة الظّلم وأشياعهم»[١]. ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾. يأتي تفسير محبّة الله في آل عمران إن شاء الله[٢]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم يرون الرّبوبيّة والقدرة لله، لايشركون به شيئاً، فمحبّتهم خالصة له. قال: «هم آل محمّد»[٣]. ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قال: «باتّخاذ الأصنام أنداداً لله سبحانه، والكفّار والفجّار أمثالاً لمحمّد وعلي»[٤]. ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾. جواب "لو" محذوف، أي: لندموا أشدّ النّدم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ قال: «الرّؤساء»[٥]. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ قال: «الرّعايا والاتباع»[٦]. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: «ففنيت حيلتهم ولايقدرون على النّجاة من عذاب الله بشيء»[٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ قال: «الاتباع»[٨]. ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ قال «يتمنّون لو كان لهم رجعة إلى دار الدّنيا»[٩]. ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ قال: «هناك»[١٠]. ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ قال: «هنا»[١١]. ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. قال: «وذلك انّهم عملوا في الدّنيا لغير الله أو على غير الوجه الّذي أمر الله، فيرونها لاثواب لها، ويرون أعمال غيرهم الّتي كانت لله قد عظّم الله ثوابها»[١٢]. وفي رواية: «يدع ما له بخلاً فينفقه غيره في طاعة الله، فيراه حسرة؛ أو في معصية الله فكان قد أعانه عليها، فيراه حسرة»[١٣].

١ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٢؛ و الكافي ١: ٣٧٤، الحديث: ١١؛ و البرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ ذيل الآية: ٣١.

٣ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٣؛ والبرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٤ إلى ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٨.

٩ إلى ١٢ ـ المصدر: ٥٧٨.

١٣ ـ الكافي ٤: ٤٢، الحديث: ٢؛ و العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ قال: «ما يخطو بكم إليه، ويغريكم به من مخالفة الرّسول»[١]. قيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس[٢]. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ قيل: هو ما أنكره العقل[٣]. ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ قيل: هو ما استقبحه الشّرع[٤]. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ كاتّخاذ الأنداد، وتحليل المحرّمات وتحريم الطّيّبات. ورد: «إيّاك وخصلتين، ففيهما هلك من هلك: إيّاك أن تفتي النّاس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»[٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ قال: «من الدّين والمذهب»[٦]. ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾: جهلة لا يتفكّرون في أمر الدّين ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ إلى الحقّ و الصّواب.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾: يصيح. من نعق الرّاعي بغنمه: إذا صاح بها[٧]. ﴿بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾. قال: «أي: مثلهم في دعائك إيّاهم إلى الإيمان كمثل النّاعق في دعائه المنعوق به، من البهائم الّتي لا تفهم، وإنّما تسمع الصّوت»[٨].

أقول: أراد - عليه السّلام - أنّ مَثَلَ داعيهم إلى الإيمان كمثل داعي البهائم، يعني أنّهم لانهماكهم في التّقليد لا يلقون آذانهم إلى ما يتلى عليهم، و لا يتأمّلون فيما يقرّر

١ - تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨١، و فيه «و يغركم به».
٢ - راجع: التّبيان ٢: ٧٢؛ و مجمع البيان ١-٢: ٢٥٢.
٣ و ٤ - راجع: البيضاوي ١: ٢٠٩.
٥ - الكافي ١: ٤٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ - تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٢.
٧ - راجع: الصّحاح ٤: ١٥٥٩ (نعق).
٨ - مجمع البيان ١-٢: ٢٥٤: عن أبي جعفر عليه السلام.

معهم، فهم في ذلك كالبهائم الّتي ينعق عليها فتسمع الصّوت ولاتعرف مغزاه وتحسّ النّداء ولا تفهم معناه.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال: «عن الهدى»[١]. ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ قال: «على ما رزقكم منها»[٢].

أقول: بأن تعتقدوا بأنّ النّعمة من الله، وأن تصرفوا النّعمة فيما خلقت لأجله، وتحمدوا الله بالسنتكم.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن صحّ أنّكم تختصّونه بالعبادة وتقرّون أنّه مولى النّعم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قال: «الّتي ماتت حتف أنفها بلا ذباحة من حيث أذن الله»[٣]. ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ قال: «ما ذكر اسم غير الله عليه من الذّبايح، وهي الّتي يتقرّب بها الكفّار بأسامي أندادهم الّتي اتّخذوها من دون الله»[٤].

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ قال: «إلى شيء من هذه المحرّمات»[٥]. ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: «الباغي: الّذي يخرج على الإمام، والعادي: الّذي يقطع الطّريق»[٦]. وفي رواية: «الباغي: الّذي يبغي الصّيد بطراً ولهواً، لاليعود به على عياله، والعادي: السّارق؛ ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا»[٧]. ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناول هذه الأشياء.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ قال: «ستّار لعيوبكم»[٨]. ﴿رَّحِيمٌ﴾ قال: «بكم حين أباح لكم في الضّرورة ما حرّمه في الرّخاء»[٩].

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٣.
٢ ـ المصدر: ٥٨٤. و في «الف»: «على ما رزقناكم منها».
٣، ٤و٥ ـ المصدر: ٥٨٥.
٦ ـ الكافي ٦: ٢٦٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، ذيل الحديث: ١٠٠٧، عن محمّد بن علي الرّضا عليهما السلام.
٨و٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٥ ـ ٥٨٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ : «عرضاً يسيراً من الدّنيا، كمال أو رياسة عند الجهّال». كذا ورد[1]. ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ : ملأ بطونهم ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ قال: «بدلاً من إصابتهم اليسير من الدّنيا لكتمانهم الحقّ»[2].

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: «بكلام خير»[3]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[4]. وقيل: و لايثني عليهم[5]. و إنّهما كنايتان عن غضبه تعالى عليهم، وتعريض لحرمانهم عن الزّلفى من الله. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ في الدّنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ في الآخرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾. قال: «على فعل ما يعلمون أنّه يصيّرهم إلى النّار»[6].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ قال: «بأن قال بعضهم: إنّه سحر، و قال آخر: إنّه شعر، و قال آخر: إنّه كهانة»[7]. ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ : خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾ قال: «الطّاعة الّتي تنالون بها الجنان، وتستحقّون بها الغفران والرّضوان»[8]. ﴿أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ قال: «بصلواتكم»[9]. ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. «ردّ على الّذين أكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حوّلت، مدّعياً كلّ طائفة أنّ البرّ هو التّوجّه إلى قبلتها، والمشرق قبلة النّصارى، والمغرب قبلة اليهود». كذا ورد[10].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٥ـ ٥٨٦.
٢، ٣و٤ـ المصدر: ٥٨٦.
٥ـ راجع: البيضاوي١: ٢١١.
٦ـ البرهان١: ١٧٥، الحديث: ١و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦ـ ٥٨٧.
٨و٩ـ المصدر: ٥٩٠، وفيه «بصلاتكم».
١٠ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٩.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ ﴾: برّ من آمن ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ قال: «على حبّه للمال و شدّة حاجته إليه، يأمل الحياة ويخشى الفقر لأنّه صحيح شحيح»[١]. ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قال: «ذوي قرابته[٢] الفقراء برّاً وصدقة، وذوي قرابة النّبيّ الفقراء برّاً وهديّةً لاصدقة»[٣]. وكذا قال في اليتامى. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ قال: «مساكين النّاس»[٤]. ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال: «المجتاز الّذي لانفقة معه»[٥]. ﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ قال: «الّذين يتكفّفون»[٦]. ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ وفي تخليصها: قال: «المكاتبين، يعينهم ليؤدّوا حقوقهم فيعتقوا»[٧]. ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾. عطف على "من آمن". ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ نصبه على المدح، ولم يعطف، لفضل الصّبر على ساير الأعمال. قال: «يعني في محاربة الأعداء، ولاعدوّ يحاربه أعدىٰ من إبليس»[٨]. وفي رواية: «نفسه»[٩]. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ قال: «الفقر والشدّة»[١٠]. ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ قال: «عند شدّة القتال»[١١].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ قال: «صدقوا في إيمانهم، و صدّقوا أقاويلهم بأفاعيلهم»[١٢]. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ قال: «لما أُمروا باتّقائه»[١٣]. ورد: «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان»[١٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ قال: «يعني المساواة وأن

١، ٣، ٤، ٥، ٦و٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٢.
٢ـ الضّمير في: «قرابته» يرجع إلى المعطي. و في المصدر: «و آتى قرابة نفسه صدقةً و برّاً و على أيّ سبيل أراد».
٨، ١٠، ١١، ١٢و١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.
٩ـ راجع: الكافي٢: ٣٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و البحار٦٧: ٦٤، الحديث: ١، عن عدّة الدّاعي، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
١٤ـ البيضاوي١: ٢١٣.

يسلك بالقاتل في طريق المقتول الّذي سلكه به لمّا قتله»[1]. ورد: «هي لجماعة المسلمين، ما هي للمؤمنين خاصّة»[2]. ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾. قال: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: "النّفس بالنّفس" الآية»[3]. و إنّه «لا يُقتَلُ حرٌّ بعبد؛ و لكن يضرب ضرباً شديداً و يغرم دية العبد، و لا يقتل الرّجل بالمرأة، إلاّ إذا أُدّي إلى أهله نصف ديته»[4].

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ أي: الجاني الّذي عفي له ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ الّذي هو وليّ الدّم. قيل: ذكر الأُخوّة ليعطف عليه «شَيْءٌ» من العفو[5]، وهو العفو من القصاص دون الدّية. ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾: فليكن اتّباع من العافي، أي مطالبة بالدّية ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بأن لا يظلم الجاني بأخذ الزّيادة ولا يعنّفه ﴿وَأَدَاءٌ﴾ من الجاني ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى العافي ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ «بأن لايماطله ولايضارّه، بل يشكره على عفوه». كذا ورد في تفسير هذه الآية[6]. ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إذ لو لم يكن إلاّ القتل أو العفو، لقلّما طابت نفس وليّ المقتول بالعفو بلاعوض، فكان قلّما يسلم القاتل من القتل. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بأن يقبل الدّية أو يعفو أو يصالح، ثمّ يجيء بعد، فيمثل أو يقتل ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ قال: «لأنّ من همّ بالقتل فعرف أنّه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل، كان حياة للّذي همّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الّذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من النّاس؛ إذا علموا أنّ القصاص واجب، لايجسرون على القتل مخافة

---

١ و ٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.

٣ـ المائدة(٥): ٤٥، و تمام الآية: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ. الآية».

٤ـ راجع: القمّي ١: ٦٥؛ و العيّاشي ١: ٧٥، الحديث: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ البيضاوي ١: ٢١٤.

٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، و لكن ليست فيه جملة: «بل يشكره على عفوه».

القصاص»[١] . ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ . قيل : ناداهم للتأمّل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح، وحفظ النفوس[٢] . ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ .

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ : حضر أسبابه وظهر أماراته ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ : «مالاً كثيراً». كذا ورد[٣] . ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ : بالشّيء الّذي يعرف العقل أنّه لاجور فيه ولا جنَف[٤] . ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ . ورد : «إنّها منسوخة بآية المواريث»[٥] . وحمل على التّقيّة لموافقته مذاهب العامّة، ومخالفته لما ورد : «أنّه سئل عن الوصيّة للوارث؟ فقال: تجوز. ثمّ تلا هذه الآية»[٦] . وفي معناه أخبار أُخر[٧] .

أقول: نسخ الوجوب لاينافي بقاء الجواز.

و ورد: «من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لايرث فقد ختم عمله بمعصية»[٨] .

وفي رواية: «أنّه شيء جعله الله لصاحب هذا الأمر. سئل: هل لذلك حدّ؟ قال: أدنى ما يكون ثلث الثّلث»[٩] .

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ . و عيد للمبدّل بغير حقّ. ورد: «أعطه لمن أوصى به له وإن كان يهودياً أو نصرانياً، وأنّه يغرمها

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، و فيه: «لايجرؤن» بدل: «لايجسرون».
٢ ـ البيضاوي١ : ٢١٥ .
٣ ـ الدرّ المنثور١ : ١٧٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢ : ٢٦٧ .
٤ ـ في «الف»: «ولا حَيْف» و كلاهما بمعنى واحد و هو الجور و الميل عن الحقّ، و لعلّ ما اثبتناه انسب لقول بعض اللّغويّين: إنّ الجنف يختصّ بالوصيّة، و لكونه متخذاً من الآية الآتية.
٥ ـ العيّاشي ١ : ٧٧، الحديث: ١٦٧؛ و مجمع البيان ١ـ٢ : ٢٦٧، عن أحدهما عليهما السّلام.
٦ ـ الكافي ٧ : ١٠، الحديث: ٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٧ : ٩، باب: الوصيّة للوارث، الحديث: ١، ٢، ٣و٤؛ والعيّاشي ١ : ٧٦، الحديث: ١٦٤؛ ومجمع البيان ١ـ٢ : ٢٦٧ .
٨ ـ من لايحضره الفقيه ٤ : ١٣٤، الحديث: ٤٦٦؛ والعيّاشي ١ : ٧٦، الحديث: ١٦٦؛ ومجمع البيان ١ـ٢ : ٢٦٧ . و في «الف» و «ب»: «بمعصيته».
٩ ـ من لايحضره الفقيه ٤ : ١٧٥، الحديث: ٦٦٥؛ والعيّاشي ١ : ٧٧، الحديث: ١٦٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إذا خالف»[1].

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ قال: «ميلاً عن الحقّ بالخطأ أو التّعمّد»[2]. وفي رواية: «إذا اعتدى في الوصيّة وزاد على الثّلث»[3]. ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة والموصى لهم ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في التّبديل؛ لأنّه تبديلُ باطلٍ إلى الحقّ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ورد: «إنّ قوله: "فَمَنْ بَدَّلَهُ" منسوخ بقوله: "فَمَنْ خَافَ". قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً من الموصي فيما أوصى به إليه فيما لا يرضى الله به من خلاف الحقّ، فلا إثم على الموصى إليه أن يردّه إلى الحقّ وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير»[4].

وفي رواية: «إنّ الله أطلق للموصى إليه أن يغيّر الوصيّة إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها جنف، ويردّها إلى المعروف»[5].

وفي أُخرى: «مثل رجل يكون له ورثة، فيجعل المال كلّه لبعض ورثته ويحرم بعضها. قال: فالجنف: الميل إلى بعض ورثتك دون بعض، والإثم: أن تأمر بعمارة بيوت النّيران واتّخاذ المسكر، فيحلّ للوصيّ أن لا يعمل بشيء من ذلك»[6].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾. قال: «لذّة النّداء أزال تعب العبادة

١ـ الكافي ٧: ١٤، الحديث: ١ و٢؛ والعيّاشي ١: ٧٧، الحديث ١٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. والظّاهر أنّ جملة: «وأنّه يغرمها إذا خالف» ليست ذيل الرّواية المذكورة؛ بل هي مضمون الحديث الآخر المرويّ في العيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٧٠.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٣؛ وعلل الشّرايع ٢: ٥٦٧، الباب: ٣٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٢؛ والكافي ٧: ٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الكافي ٧: ٢٠، الحديث: ١، وفيه: «وكان فيها حَيْف».

٦ـ القمّي ١: ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

والعناء»[١]. وقال: «فيه وفي "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ" هذه كلّها تجمع الضُّلاّل والمنافقين، وكلّ من أقرّ بالدّعوة الظّاهرة»[٢]. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال: «من الأنبياء والأمم، أوّلهم آدم»[٣].

أقول: يعني أنّه عبادة قديمة ما أخلى الله أُمّة من إيجابها عليهم، لم يوجبها عليكم وحدكم. ففيه ترغيب وتطييب.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فإنّ الصّيام يكسر الشّهوة الّتي هي معظم أسبابها. ورد: «من لم يستطع الباه[٤] فليصم، فإنّ الصّوم له وجاء»[٥].

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضاً يضرّه الصّوم ويعسر؛ لقوله: "وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[٦]. قال: «هو مؤتمن عليه مفوّض إليه، فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوّة فليصم، كان المريض على ما كان»[٧]. وقال: «كلّ ما أضرّ به الصّوم، فالإفطار له واجب»[٨]. ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ حدّ السّفر وشرايطه في وجوب الإفطار يطلب من كتابنا «الوافي»[٩]. ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ هذا نصّ في وجوب الإفطار على المريض والمسافر، كما ورد في أخبار كثيرة، حتّى قالوا: «الصّائم في شهر رمضان في السّفر كالمفطر فيه في الحضر،

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٢١٦.
٣ـ راجع: جوامع الجامع ١: ١٠٣.
٤ـ في «ب» و «ج»: «الباءة».
٥ـ الكافي ٢: ١٨٠، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام؛ والمقنعة ـ للمفيد ـ: ٤٩٧ باب السّنّة في النّكاح، و فيه: «فليـد من الصّوم»؛ و الوسائل ٧: ٣٠٠، و الوجاء: أن ترضّ أنثيا الفحل رضّاً شديداً يذهب شهوة الجماع و يتنزّل في قطعه منزلة الخصيّ. و قيل: هو أن توجأ العروق، و الخصيتان بحالهما. أراد أنّ الصّوم يقطع النّكاح كما يقطعه الوجاء. النّهاية ٥: ١٥٢ (وجا).
٦ـ البقره (٢): ١٨٥.
٧ـ الكافي ٤: ١١٨، الحديث: ٣، و فيه: «كان المرض ما كان».
٨ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الوافي ١١: ٣٠٩.

وعليه القضاء[١]. ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ قال: «كانوا يطيقونه، فأصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك»[٢]. وفي رواية: «الّذين يطيقونه: الشّيخ الكبير، والّذي يأخذه العطاش»[٣].

أقول: في الرّواية الأُولى إشكال، وفي الثّانية إجمال، ولعلّ المراد بهم: الّذين يكون الصّيام بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقّة وعسر، فإنّ من كان كذلك، لم يكلّفه الله به على الحتم، بل خيّره بينه وبين الفدية توسيعاً منه جلّ وعزّ، ورحمةً؛ وذلك لأنّ الله سبحانه لايكلّف نفساً إلاّ وسعها، «والوسع دون الطّاقة» كما ورد به النّصّ[٤]. يدلّ على ما قلت قوله تعالى: "وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ"[٥]، فإنّه يدلّ على أنّ المطيق هوالّذي يقدر على الصّيام حدّاً في القدرة دون الحدّ الّذي أوجب عليه، فإنّه إذا اختار المشقّة على السّعة كان أعظم أجراً، فحكم الآية باق ليس بمنسوخ كما زعمته قوم، وهذا بعينه معنى الرّواية الثّانية.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يعني إن أفطروا، يتصدّقون عن كلّ يوم بما يجتزي به مسكين. وفي رواية: «مُدّ»[٦]. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد في مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ أيها المطيقون فهو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية وتطوّع الخير ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صمتم.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أي: الأيّام المعدودات هي شهر رمضان. ورد: «إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأُمم، ففضّل الله به هذه الأُمّة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله ﷺ، وعلى أُمّته»[٧]. ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ يعني أُنزل بيانه وتأويله

١ـ الكافي٤: ١٢٧، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام، و ليست فيه: «و عليه القضاء».
٢ـ الكافي٤: ١١٦، الحديث: ٥؛ و من لايحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي١: ٧٨و٧٩، الحديث: ١٧٦و١٧٩؛ و الكافي٤: ١١٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٧٤.
٥ـ البقره(٢): ١٨٤.
٦ـ العيّاشي١: ٧٩، الحديث: ١٨١؛ والكافي٤: ١١٦، الحديث٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه٢: ٦١، الحديث: ٢٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

في ليلة القدر منه، وأمّا تنزيله، فكان من ابتداء بعثة النّبيّ إلى أوان وفاته ﷺ . كذا يستفاد ممّا ورد[١] . وفي رواية: «نزّل القرآن جملة[٢] واحدةً في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزّل في طول عشرين سنة»[٣] . ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي: أُنزل في ليلة القدر بيانه، وتأويل متشابهه ليكون هدىً للنّاس ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ : بتفريق المحكم من المتشابه، وبتقدير الأشياء، وتبيين خصوص الوقايع الّتي تصيب الخلق في كلّ سنة إلى ليلة القدر الآتية، وذلك يكون في كلّ عصر و زمان لصاحب ذلك العصر والزّمان. والفرقان: هو المحكم الواجب العمل به، وهو بعينه ما قاله عزّ و جلّ في الدّخان: "إنّا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ إنّا كنّا منذرين. فيها يُفرَقُ كُلُّ أمرٍ حكيمٍ"[٤] أي محكم. كذا المستفاد ممّا ورد[٥] .

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ : فمن حضر في الشّهر، ولم يكن مسافراً ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ قال: «ما أبينها. من شهد فليصمه، ومن سافر فلا يصمه»[٦] . و ورد: «ليس للرّجل إذا دخل شهر رمضان أن يخرج إلاّ في حجّ، أو عمرة، أو مال يخاف تلفه، أو أخ يخاف هلاكه، وليس له أن يخرج في إتلاف مال أخيه؛ فإذا مضت ليلة ثلاث وعشرين فليخرج حيث شاء»[٧] . ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ .كرّر ذلك، تأكيداً للأمر بالإفطار، وأنّه عزيمة لايجوز تركه.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في المرض

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦؛ و معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢١٨.
٢ـ في «ألف»: «جملاً واحدةً».
٣ـ العيّاشي ١: ٨٠، الحديث ١٨٤؛ والكافي ٢: ٦٢٨، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ الآية: ٣و٤.
٥ـ العيّاشي ١: ٨٠، الحديث: ١٨٥؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ الكافي ٤: ١٢٦، الحديث: ١؛ و من لايحضره الفقيه ٢: ٩١، الحديث: ٤٠٤؛ والتّهذيب ٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٧، عن أبي عبدالله ؑ.
٧ـ التّهذيب ٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٦، عن أبي عبدالله ؑ.

والسفر ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾: عدّة أيّام الشهر بالصيّام ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾: «ولتعظّموا الله وتمجّدوه على هدايته إيّاكم. أُريد به تكبير صلاة العيد». كذا ورد[١]. وفي رواية: «التّكبير عقيب الصّلوات الأربع في العيد»[٢]. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ تسهيله الأمر لكم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: فقل لهم: إنّي قريب. روي: «أنّ أعرابياً قال لرسول اللّه ﷺ: أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت»[٣].

أقول: مثَلُ قربه تعالى مثَلُ معيّته، فكما أنّ معيّته ليست بممازجةٍ ومداخلةٍ، ومفارقته ليست بمباينةٍ ومزايلةٍ، فكذلك قربه ليس باجتماع وأين، وبعده ليس بافتراق وبين، وإنّما يجد قربه من عبَدَهُ كأنّه يراه، وأمّا بُعد من بَعُدَ عنه، مع تساوي نسبة قربه إلى جميع عباده فهو كما أنّ لك رقيباً وهو حاضر عندك وأنت عنه في عمى، لاتراه ولاتشعر بحضوره.

﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. تقرير للقرب، و وعد للدّاعي بالإجابة. «ومن لم يجد الإجابة فقد أخلّ بشرط الدّعاء». كذا ورد[٤]. ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطّاعة، كما أجبتهم إذا دعوني لمهامّهم. ﴿وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾ قال: «وليتحقّقوا أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه»[٥]. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ قال: «لعلّهم يصيبون الحقّ ويهتدون إليه»[٦].

﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾. كناية عن المواقعة؛ لأنّه قلّما يخلو

١ـ من لايحضره الفقيه١: ٣٣١، الحديث: ١٤٨٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ـ الكافي٤: ١٦٦، الحديث١؛ والعيّاشي١: ٨٢، الحديث: ١٩٣و١٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الدّرّ المنثور١: ١٩٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٨.
٤ـ الكافي٢: ٤٨٦، الحديث: ٨؛ ومصباح الشّريعة: ١٣٣، الباب: ٦٢، في الدّعاء، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من رفث[1]، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنّى عنه. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾. بيان لسبب الإحلال وهو قلّة الصّبر عنهنّ وكثرة مخالطتهنّ. ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ من الخيانة، أي تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظّها من الثّواب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾. ورد: «كان الأكل محرّماً في شهر رمضان باللّيل بعد النّوم، والنّكاح حراماً باللّيل والنّهار، فنام رجل قبل أن يفطر، وحضر حفر الخندق، فأُغمي عليه، وكان قوم من الشّبّان ينكحون باللّيل سرّاً، فنزلت»[2]. ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: من الولد أو من الإباحة بعد الحظر[3]، فإنّ الله يحبّ أن يؤخذ برُخَصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ قال: «بياض النّهار من سواد اللّيل»[4]. وفي رواية: «هو الفجر الّذي لاشكّ فيه»[5]. وفي أُخرى: «ليس هو الأبيض صعداء؛ إنّ الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا، وتلا هذه الآية»[6]. وسئل: آكُلُ في شهر رمضان باللّيل حتّى أشكّ؟ قال: «كُلْ حتّى لاتشكّ»[7]. ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾: معتكفون فيها. والاعتكاف أن يحبس نفسه في الجامع للعبادة. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: حرمات الله

١ـ الرَّفَث ـ محرّكة ـ: كلام متضمّن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع و دواعيه و جعل في الآية كناية عن الجماع. «المفردات: رفث». و عن الازهري: الرّفث كلمة جامعة لكلّ ما يريده الرّجل من المرأة. النّهاية ٢: ٢٤١ (رفث).

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٠؛ و العيّاشي ١: ٨٣، الحديث: ١٩٧؛ والقمّي ١: ٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ١: ١٩٧.

٣ـ الكشّاف ١: ٣٣٨. و في «ألف»: «من الولد أو الإباحة بعد الحظر».

٤ـ العيّاشي ١: ٨٤، الحديث: ٢٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٨٢، الحديث: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ التّهذيب ٢: ٣٧، ذيل الحديث: ٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ التّهذيب ٤: ٣١٨، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ومناهيه ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾. ورد: «إنّ لكلّ ملك حمىً، وإنّ حمى الله محارمه، فمن رتع[1] حول الحمى، يوشك أن يقع فيه»[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم﴾: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: «بالوجه الّذي لم يشرعه الله كالقمار، وكاليمين الكاذبة، والدّين الّذي ليس له ما يؤدّيه». كذا ورد[3]. ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: ولا تلقوا أمرها إلى الحكّام ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾: طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بما يوجب إثماً كشهادة الزّور، واليمين الكاذبة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّكم مبطلون. قال: «هو أن يعلم الرّجل أنّه ظالم، فيحكم له القاضي، فهو غير معذور في أخذه ذلك الّذي حكم له»[4]. وقال: «قد علم الله أنّه يكون حكّام يحكمون بغير الحقّ فنهى أن يتحاكم إليهم»[5].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾: عن زيادتها ونقصانها ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾: معالم يوقّت بها النّاس عباداتهم ومزارعهم ومتاجرهم ومحالّ ديونهم وعدد نسائهم. و ورد: «لصومهم و فطرهم و حجّهم»[6]. ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾. قال: «كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنّما يدخلون ويخرجون من نقب ينقبونه[7] في مؤخّرها، ويعدّون ذلك برّاً فنهوا عن التّدين بها»[8].

١ـ رَتَعَ: أكل و شرب ما شاء في خِصْبٍ و سَعَةٍ. «القاموس المحيط ٣: ٢٨ـ رتع». و رتع حول الحمىٰ أي: يطوف به و يدور حوله.

٢ـ الكشّاف ١: ٣٤٠، عن النّبيّ ﷺ.

٣ـ الكافي ٥: ١٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٨٥، الحديث: ٢٠٦، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.

٥ـ القمّي ١: ٦٧، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.

٦ـ التّهذيب ٤: ١٦٦، الحديث: ٤٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ في «الف»: «ينقبون».

٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ قال: «ما حرّم الله»[١]. ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ قال: «يعني أن يأتي الأمر من وجهه أيّ أمر كان»[٢].

أقول: ومنه أخذ أحكام الدّين عن أمير المؤمنين وعترته الطّيّبين؛ لأنّهم أبواب مدينة علم النّبيّ ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ كما قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا يؤتى المدينة إلاّ من بابها»[٣]. وقال عليّ عليه السلام: «قد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: "وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِهَا". والبيوت هي بيوت العلم الّذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم»[٤].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تغيير أحكامه ﴿لعلّكم تفلِحُونَ﴾.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾: جاهدوا لإعلاء كلمته. ورد: «إنّها ناسخة لقوله: "كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ"»[٥]. ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ بابتداء القتال والمفاجاة به من غير دعوة، وبالمُثْلَة، وقتل من نُهيتم عن قتله من النّساء والصّبيان والمشايخ والمعاهدين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾.

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾. ورد: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: "وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ"»[٦]. ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ يعني مكّة؛ وقد فعل ذلك بمن لم يسلم منهم يوم الفتح. ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾. قيل: معناه شركهم في الحرم، وصدّهم إيّاكم عنه أشدّ من قتلكم إيّاهم فيه[٧]. ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ

١ ـ الصّافي ١: ٢٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ العيّاشي ١: ٨٦، الحديث: ٢١١؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٤؛ و القمّي ١: ٦٨.
٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٥. و الآية في سورة النّساء(٤): ٧٧.
٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٥، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام. و الآية في سورة الأحزاب(٣٣): ٤٨.
٧ ـ راجع: البيضاوي ١: ٢٢٣.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: لاتفاتحوهم بالقتال و هتك حرمة الحرم ﴿فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ فلا تبالوا بقتالهم ثمّة؛ فإنّهم هم الّذين هتكوا حرمته ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يفعل بهم ما فعلوا ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن القتال والشّرك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهم ما قد سلف.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال: «شرك»[1]. ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ أي: الطّاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشّرك والقتال ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فلا تعتدوا على المنتهين. سمّي الجزاء باسم الابتداء، للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله: «وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها»[2].

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾. «قاتلهم المشركون في عام الحُدَيبيّة في ذي القعدة، واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، فكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته، فنزلت؛ أي: هَتْكُهُ بِهَتْكه فلاتبالوا به». كذا ورد[3]. وفي رواية: «إذا ابتدأ المشركون باستحلال الشّهر، جاز للمسلمين قتالهم فيه»[4]. ﴿وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ﴾ يعني: كلّ حرمة يجري فيه القصاص؛ فلمّا هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله. والحرمة: ما يجب أن يحافظ عليها.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾. فذلكة وتاكيد. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الانتصار، فلا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيحرسهم ويصلح شانهم.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ بالإسراف، وتضييع وجه

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الشّورى (٤٢): ٤٠.
٣ـ البيضاوي ١: ٢٢٣؛ و تفسير الطّبري ٢: ١١٤.
٤ـ العيّاشي ١: ٨٦، الحديث: ٢١٥.

المعاش، وبمعصية السّلطان وبكلّ ما يؤدّي إلى الهلاك. ورد: «لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله، ما كان أحسن ولا وفّق؛ ثمّ تلا هذه الآية»[١]. و ورد أيضاً: «طاعة السّلطان واجبة، ومن ترك طاعة السّلطان فقد ترك طاعة الله ودخل في نهيه؛ ثمّ تلا هذه الآية»[٢]. ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: «يعني المقتصدين»[٣].

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: ائتوا بهما تامّين كاملَين بشرائطهما وأركانهما ومناسكهما لوجه الله خالصاً. ورد: «هما مفروضان»[٤]. و ورد: «يعني بتمامهما: أدائهما واتّقاء ما يتّقي المحرم فيهما»[٥]. وفي رواية: «أقيموهما إلى آخر ما فيهما»[٦]. ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: «منعكم خوف أو مرض بعد ما أحرمتم». كذا ورد[٧]. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: فعليكم إذا أردتم التّحلّل من الاحرام ما تيسر من الهدي تبعثون به. ورد: «يعني شاة وضع على أدنى القوم قوة، ليسع القويّ والضّعيف»[٨]. ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾: لاتحلّوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ﴾ يعني: مكانه الّذي يجب أن ينحر فيه.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضاً يحوجه إلى الحلق ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ كجراحة أو قمّل ﴿فَفِدْيَةٌ﴾: فعليه فدية إن حلق ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ أي: دم. ورد: «إنّ الصّيام ثلاثة أيّام، والصّدقة على ستّة مساكين، والنّسك شاة»[٩]. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ﴾: استمتع وانتفع بعد التّحلّل من عمرته باستباحة ما كان محرّماً

١و٣ـ الكافي٤: ٥٣، الحديث: ٧؛ و العيّاشي١: ٨٧، الحديث: ٢١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٧٧. المجلس الرّابع و الخمسون، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ـ الكافي٤: ٢٦٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي١: ٨٨، الحديث: ٢٢٤، عن أبي العبّاس.
٥ـ العيّاشي١: ٨٧، الحديث: ٢٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٠، عن أمير المؤمنين و عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٧ـ المصدر، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٢٠، الباب: ٣٤، ذيل الحديث: ١.
٩ـ العيّاشي١: ٩٠، الحديث: ٢٣١؛ والكافي٤: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

عليه ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾: إلى أن يحرم بالحجّ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: فعليه دم استيسره. قال: «شاة»[١].

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾: في وقته وأيّام الاشتغال به. ورد: «يعني في ذي الحجّة»[٢]. ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم. «فإن بدا له الإقامة بمكّة نظر مقدم أهل بلاده فإنْ ظنّ أنّهم قد دخلوا فليصم». كذا ورد[٣]. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. «لاتنقص عن الأضحية الكاملة». كذا ورد[٤]. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التمتّع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: «من كان منزله على أزيد من ثمانية عشر ميلاً منه». كذا ورد[٥]. [وفي رواية[٦]: «حدّه ثمانية وأربعون ميلاً»][٧]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ يعني: وقت إحرامه ومناسكه؛ وهي شوّال وذوالقعدة وذوالحجّة. ورد: «ليس لأحد أن يحجّ فيما سواهنّ، ومن أحرم بالحجّ في غيرها فلا حجّ له»[٨]. ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ «بأن لبّى أو أشعر أو قلّد». كذا ورد[٩]. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: في أيّامه. قال: «الرفث: الجماع، والفسوق: الكذب والسّباب، والجدال: قول لا والله و بلى و الله»[١٠]. و «في الجدال شاة؛ وفي الفسوق

١ـ الكافي ٤: ٤٨٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٩٣، الحديث: ٢٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٤: ٥٠٩، الحديث: ٨.
٤ـ المصدر: ٥١٠، الحديث: ١٥.
٥ـ المصدر: ٣٠٠، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ٩٣، الحديث: ٢٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ ما بين المعقوفتين ليس في «الف».
٨ـ الكافي ٤: ٣٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و ٣٢٢، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ١: ٩٤، الحديث: ٢٥٤؛ والكافي ٤: ٢٨٩، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ العيّاشي ١: ٩٥، الحديث: ٢٥٦؛ والكافي ٤: ٣٣٨، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بقرة؛ وفي الرّفث فساد الحجّ»[١]. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾. حثّ على البرّ.

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. قيل: كانوا يحجّون من غير زاد، فيكونون كلّاً على النّاس، فأُمروا أن يتزوّدوا ويتّقوا الإبرام والتّثقيل[٢] على النّاس[٣]. ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: تجارةً. ورد: «كانوا يتأثّمون بالتّجارة في الحجّ فرفع عنهم الجناح»[٤]. وفي رواية: «فضلاً أي: مغفرة»[٥]. ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم أنفسكم بكثرة ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾. قال: «ومضيتم إلى مزدلفة»[٦].

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾: بإزاء هدايته إيّاكم. قال: «لدينه والإيمان برسوله»[٧]. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: وإنّه كنتم. ﴿مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾. قال: «الضّالّين عن دينه قبل أن يهديكم لدينه»[٨].

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾: ثمّ لتكن إفاضتكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال: «أي: من عرفات»[٩]. ورد: «إنّ قريشاً كانوا لا يقفون بعرفات، ولا يفيضون منه، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه، فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه كسائر النّاس»[١٠].

١ـ الكافي٤: ٣٣٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «الف»: «والثّقل».
٣ـ راجع: الكشّاف١: ٣٤٧؛ و البيضاوي١: ٢٢٥.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٥. لكنّه نقله بلفظ: «قيل» عن ابن عبّاس و مجاهد و الحسن و عطا. ثمّ يقول: و هو المرويّ عن أئمّتنا.
٥ـ المصدر: عن أبي جعفر عليه السلام.
٦، ٧ و ٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٩ـ البيضاوي١: ٢٢٧.
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي١: ٩٧، الحديث: ٢٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: وعلى هذا فمعنى "ثُمَّ" التّرتيب في الرّتبة كما في قولك: أحسن إلى النّاس ثمّ لا تحسن إلى غير كريم. وفي رواية: «إنّ قوله: "فَإِذا أَفَضْتُم" متأخّر عن قوله: "ثُمَّ أفيضُوا"»[١]. وعلى هذا يكون "ثُمَّ" بمعناه الظّاهر. وفي أُخرى: «إنّ المراد بقوله: "ثُمَّ أفيضُوا" الإفاضة من المشعر إلى منى»[٢]. وعلى هذا فلا إشكال.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من جاهليّتكم في تغيير المناسك. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال: «للتّائبين»[٣].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾. ورد: «كانوا إذا فرغوا من الحجّ، يجتمعون هناك، يعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع»[٤]. ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قال: «بان يزيدوا فيذكروا نعم الله سبحانه وآلاءه ويشكروا نعماءه؛ لأنّ آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم، فنعم الله عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم، ولأنّه تعالى هو المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم»[٥].

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾ مِنْحَتَنا[٦] ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ خاصّة ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: نصيب وحظّ؛ لأنّ همّه مقصور على الدّنيا. قال: «لا يعمل للآخرة عملاً ولا يطلب فيها خيراً»[٧].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كالصّحّة والامن. و ورد: «السّعة في

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٦.
٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٤و٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ المَنْح: العطاء. يقال: مَنَحْتُه مَنْحاً اي: أعطيتُه. والاسم: المِنْحَة ـ بالكسر ـ وهي العطيّة. مجمع البحرين ٢: ٤١٥ (منح).
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦.

المعاش وحسن الخلق»[١]. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ كالرّحمة والزّلفة. و ورد: «رضوان الله والجنّة»[٢]. وفي رواية: «في الدّنيا المرأة الصّالحة، وفي الآخرة الحوراء»[٣]. ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بالمغفرة والعفو. و ورد: «امرأة السّوء»[٤].

أقول: كلّ ذلك أمثلة للمراد بها، فلا تنافي بينها.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ قال: «من ثواب ما كسبوا - قال: - في الدّنيا وفي الآخرة»[٥]. ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. قال «يحاسب الخلايق كلّهم في مقدار لمح البصر»[٦]. قال: «لأنّه لا يشغله شان عن شان، ولا محاسبة عن محاسبة، فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحال محاسب للكلّ يتمّ حساب الكلّ بتمام حساب الواحد، وهو كقوله تعالى: "ما خَلْقُكُمْ ولاَ بَعْثُكُمْ إلاّ كَنَفْسٍ واحِدَة"»[٧].

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾. «يعني: أيّام التّشريق. و ذكر الله فيها: التّكبير المعهود عقيب الصّلوات المعهودة». كذا ورد[٨]. ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ النّفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النّحر ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ حتّى رمى في اليوم الثّالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قال: «يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له»[٩]. ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.

قال: «نفي الإثم إنّما هو لمن اتّقى الله عزّوجلّ»[١٠]. وفي رواية: «اتّقى الكبائر»[١١].

١ و٢ـ الكافي ٥: ٧٦، الحديث: ٤؛ والعيّاشي ١: ٩٨، الحديث: ٢٧٤و٢٧٥؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ و٤ـ البيضاوي ١: ٢٢٩، عن علي عليه السلام.

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦.

٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٨.

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦. والآية في سورة لقمان (٣١): ٢٨.

٨ـ العيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٧٦ إلى ٢٧٩؛ و جوامع الجامع ١: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٩ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٨٩، الحديث: ١٤٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

١٠ـ المصدر: ٢٨٨، الحديث: ١٤١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

١١ـ القمّي ١: ٧٠؛ والكافي ٤: ٥٢٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وفي أُخرى: «اتّقى الكبر وهو أن يجهل الحقّ ويطعن على أهله»[١]. وفي أُخرى: «اتّقى الصّيد في إحرامه»[٢]. وفي أُخرى: «اتّقى الصّيد حتّى ينفر أهل منى النّفر الآخير»[٣]. وفي أُخرى: «اتّقى ما حرّم الله عليه في إحرامه»[٤]. وفي رواية: «يعني من مات قبل أن يمضي فلا إثم عليه، و من تأخّر فلا إثم عليه، لمن اتّقى الكبائر يعني تأخّر موته»[٥]. و ورد: «أنتم و الله هم. إنّ رسول الله ﷺ قال: لايثبت على ولاية عليّ إلّا المتّقون»[٦]. وفي رواية: «إنّما هي لكم و النّاس سواد وأنتم الحاجّ»[٧]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بما تعملون. والحشر: الجمع وضمّ المتفرّق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يروقك ويعظم في قلبك ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ قال: «بأن يحلف لك بأنّه مؤمن مخلص مصدّق لقوله بعمله»[٨]. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: شديد العداوة والجدال للمسلمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ قال: «أدبر و انصرف عنك»[٩]. وقيل: ملك الأمر وصار والياً[١٠]. ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ قال: «بظلمه وسوء سيرته»[١١]. و ورد: «إنّ الحرث هنا: الدّين، والنّسل: النّاس»[١٢]. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

١ـ الكافي ٤: ٢٥٢، الحديث: ٢؛ و معاني الأخبار: ٢٤٢، الحديث: ٥و٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٩؛ والعيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٢٨٨، الحديث: ١٤١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٤: ٥٢٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٠٠، الحديث: ٢٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ الكافي ٤: ٥٢٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و سواد النّاس: عوامّهم.
٨و٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦١٧.
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠٠، عن ضحّاك.
١١ـ العيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٢ـ القمّي ١: ٧١؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ : حملته الأنفة وحميّة الجاهليّة على الإثم الّذي يؤمر باتّقائه لجاجاً، «فيزداد إلى شرّه شرّاً ويضيف إلى ظلمه ظلماً». كذا ورد[1].

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ : يبيعها ببذلها لله ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ : طلباً لرضاه، قال: «فيعمل بطاعته ويأمر النّاس بها»[2]. وردت في عدّة أخبار عاميّة وخاصيّة: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام، حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وهرب النّبيّ إلى الغار»[3]. وفي رواية: «إنّ المراد بها الرّجل يقتل على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[4]. يعني: هي عامّة وإن نزلت خاصّة. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. قال: «أمّا الطّالبون لرضا ربّهم فيبلغهم أقصى أمانيّهم ويزيدهم عليها ما لم تبلغه آمالهم، وأمّا الفاجرون فيرفق في دعوتهم إلى طاعته ولايقطع ممّن علم أنه سيتوب عن ذنبه عظيم كرامته»[5].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾. قال: «في المسالمة إلى دين الإسلام»[6].

أقول: يعني في الاستسلام والطّاعة. و في رواية: «في ولايتنا»[7].

﴿كَافَّةً﴾ : جميعاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بالتّفرّق والتّفريق. و في رواية: «بولاية فلان وفلان»[8].

أقول: لاتنافي بين التّفسيرين في الكلمتين؛ فإنّ الولاية ركن الطّاعة أو المعصية وبها يتمّ الإسلام.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦١٧.
٢ـ المصدر: ٦٢١.
٣ـ راجع من الخاصّة: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠١؛ و العيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٢؛ والبرهان ١: ٢٠٦، و من العامّة: الجامع لاحكام القرآن ٢: ٢١؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ٥ـ٦: ٢٢٣.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٠١: مروياً عن امير المؤمنين عليه السلام.
٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢١.
٧ـ الكافي ١: ٤١٧، الحديث: ٢٩؛ و العيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾ عن الدّخول في السّلم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لاينتقم إلّا بالحقّ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني أمره و بأسه ﴿فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾. وفي رواية: «هكذا نزلت: إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام»[1]. وفي أُخرى: «يعني يأتيهم الله في ظلل من الغمام ويأتيهم الملائكة كما كانوا اقترحوا عليك اقتراحهم المحال»[2]. ويستفاد من بعضها أنّ المراد به الرّجعة وخروج القائم. ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾: و أتمّ أمر إهلاكهم وفرغ منه. وفي الرّواية الأخيرة: «قضاء الأمر: الوسم على خرطوم الكافر»[3]. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ﴾ «فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ و منهم من بدّل» كذا قرأه[4] الصّادق عليه السلام[5]. ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾: آياته الّتي هي سبب الهدى والنّجاة الّذين هما أجلّ النّعم، بجعلهما سبب الضّلالة وزيادة الرّجس. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: حسنت في أعينهم وأُشربت محبّتها في قلوبهم، حتّى تهالكوا عليها ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من فقراء المؤمنين الّذين لاحظّ لهم منها ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ من المؤمنين ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ لأنّهم في علّيّين وفي الكرامة، و هم في سجّين و في النّدامة ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ في الدّارين ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: بغير تقدير فيوسّع في الدّنيا استدراجاً تارة وابتلاء أُخرى ويعطي أهل الجنّة ما

١ـ التّوحيد: ١٦٣، الباب: ٢٠، الحديث: ١، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢٩، و فيه: «و تأتيهم الملائكة».
٣ـ العيّاشي ١: ١٠٣، الحديث: ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب» و «ج»: «كذا قراءة».
٥ـ الكافي ٨: ٢٩٠، الحديث: ٤٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لايحصى.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ قال: «قبل نوح»[1]. ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: «على الفطرة لامهتدين ولاكافرين، ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله. أما تسمع إبراهيم يقول: "لئِنْ لَمْ يَهْدِني رَبّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضالّين" اي ناسياً للميثاق»[2]. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قال: «ليتّخذ عليهم الحجّة»[3]. ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ثمّ اختلفوا بعد البعث على الرّسل، في الإيمان بهم والكفر، ثمّ في الكتاب بعد الإيمان، كما قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾. جعلوا نزول الكتاب الّذي أُنزل لإزالة الخلاف، سبباً في شدّة الاختلاف. ﴿بَغْيًۢا﴾: حسداً وظلماً ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لحرصهم على الدّنيا ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. بيان لـ«ما». ﴿بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾. استبعاد للحسبان وتشجيع للمؤمنين على الصّبر والثّبات مع الّذين اختلفوا عليهم وعداوتهم لهم. ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾: متوقّع إتيانه منتظر ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ حالهم الّتي هي مثَلٌ في الشدّة ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ من القتل والخروج عن الاهل والمال ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: وأُزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشّدائد ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ استبطاء له، لتناهي الشّدّة واستطالة المدّة، بحيث تقطّعت حبال الصّبر. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾. فقيل لهم ذلك، إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النّصر. ورد: «فما تمدّون أعينكم ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم ممّن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ، فيقطع يده

١ـ العيّاشي١: ١٠٤، الحديث: ٣٠٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٣٠٩، عن ابي عبدالله عليه السلام. و الآية في سورة الانعام(٦): ٧٧.
٣ـ العيّاشي٢: ١٦٤، الحديث: ٨١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

ورجله ويصلب، ثمّ تلا هذه الآية»[1].

﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. سئل عن المنفق، فأجاب ببيان المصرف، لأنّه أهمّ؛ إذ النّفقة لايعتدّ بها إلّا إذا وقعت موقعها. قيل: وكان السّؤال متضمّناً للمصرف أيضاً[2]، وإن لم يذكر في الآية. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ يعلم كنهه و يوفّي ثوابه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في العاقبة. وهكذا أكثر ما أمرنا به؛ فإنّ الطّبع يكرهه وهو مناط صلاحنا وسبب فلاحنا ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في المآل. وهكذا أكثر ما نهينا عنه؛ فإنّ النّفس تحبّه وتهواه وهو يفضي بنا إلى الرّدى. وإنّما ذكر "عسى" لأنّ النّفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. قيل: قتل المسلمون مشركاً في غرّة رجب، وهم يظنّونه من جمادي الآخرة، فقالت قريش: قد استحلّ محمّد الشّهر الحرام؛ فسئل، فنزلت[3]. ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم. تمّ الكلام ثمّ ابتدأو قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾: ولكن ما فعلوا بك من الصدّ عن الإسلام والكفر بالله و بالمسجد و إخراجك والمؤمنين منه، أعظم وزراً عند الله من القتل الّذي وقع في الشّهر الحرام. ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ يعني الكفر وساير ما فعلوا

١ ـ الخرايج و الجرايح٣: ١١٥٥، الحديث: ٦١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٠٩؛ والكشّاف١: ٣٥٦؛ والبيضاوي١: ٢٣٣.
٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣١٢؛ والكشّاف١: ٣٥٦؛ والبيضاوي١: ٢٣٤.

﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لما يفوتهم من ثمرات الإسلام ﴿وَ﴾ في ﴿الْآخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثواب ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾. ورد: «إنّ الخمر رأس كلّ إثم ومفتاح كلّ شرّ»[١]. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالطّرب وكسب المال وغيرهما ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أي: المفاسد الّتي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقّعة منهما. «هي أوّل آية نزلت في الخمر من الاربع الّتي كلّ متأخّرة منها أغلظ وأشدّ في التّحريم من الّتي قبلها، ليوطّن النّاس أنفسهم عليه[٢] ويسكنوا إلى نهي الله فيها، وليكون أصوب لهم إلى الانقياد وأقرب لنفارهم». كذا ورد[٣]. ويأتي ألفاظه مع تمام الكلام في الخمر في "المائدة"[٤] إن شاء الله.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: ما قدر الإنفاق؟ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قال: «الوسط»[٥]. وفي رواية: «ما يفضل عن قوت السّنة»[٦].

أقول: العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما تيسّر له بذله. ورد: «يأتي أحدكم بماله كلّه يتصدّق به ويجلس يتكفّف النّاس؛ إنّما الصّدقة عن ظهر غنى»[٧]. أقول: يعني ما

١ـ الكافي٦: ٤٠٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و الحديث٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كذا في النُّسخ و لعلّ الصّواب: «عليها».
٣ـ الكافي٦: ٤٠٦ـ٤٠٧، الحديث: ٢، عن بعض أصحابنا مرسلاً.
٤ـ ذيل الآية: ٩١.
٥ـ الكافي٤: ٥٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان١ـ٢: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ راجع: الدّرّ المنثور١: ٦٠٨؛ و سنن الدّارمي١: ٣٩١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

أبقى غنى.

ورد: «إنها نسخت بآية الزكاة»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾. ورد: «لمّا نزلت: "إنّ الّذين يأكلون أموالَ اليتامى ظُلماً"[2]. وفي رواية: "وآتوا اليتامى أموالَهم"، كرهوا مخالطة اليتامى فشقّ ذلك عليهم، فشكوا، فنزلت»[3]. ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾: مشاركتهم لإصلاحهم ﴿خَيْرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ في الدّين، ومن حقّ الأخ أن يخالط. ورد: «تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثمّ تنفقه»[4]. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لحملكم على العنت، وهي المشقّة، ولم يجوّز لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: لا تزوّجوهنّ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ﴾ مملوكة ﴿مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ حرّة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة بجمالها أومالها ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: لاتزوّجوا منهم المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ مملوك ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ حرّ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ جماله أو ماله أو حاله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. ورد: «إنّ هذه الآية منسوخة النّصف»[5]. يعني نسخ نصفها الأوّل بقوله تعالى: "والْمُحْصنات من الّذينَ أوتُوا الْكتابَ". كما يأتي في المائدة[6].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾: مستقذر يؤذي من يقربه، نفرة منه له

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة النّساء (٤): ١٠.
٣ـ مجمع البيان: ٣ـ٤: ٤. و الآية في سورة النّساء (٤): ٢
٤ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٧٣.
٦ـ ذيل الآية: ٥.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾: فاجتنبوا مجامعتهنّ ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: ينقطع الدّم عنهنّ. وعلى قراءة التّشديد: يغتسلن. ورد: «ليأتها حيث شاء، ما اتّقى موضع الدّم»[1]. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قال: «فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله»[2].

أقول: يعني المأتى الّذي أمركم به وحلّله لكم. وإنّما استفيد طلب الولد من لفظة «من».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذّنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء والمتنزّهين عن الأقذار. ورد: «كانوا يستنجون بالكراسف[3] والأحجار، ثمّ أحدث الوضوء، يعني الاستنجاء بالماء، وهو خلق كريم، فأمر به رسول الله ﷺ وصنعه فنزلت»[4].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾: مواضع حرث ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ قال: «متى شئتم في الفرج»[5]. وفي رواية: «أيّ ساعة شئتم»[6]. وفي أُخرى: «إنّ اليهود كانت تقول: إذا أتى الرّجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله: "نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا حَرْثَكُمْ أنّى شِئْتُمْ": من خلف أو قدّام خلافاً لليهود، ولم يعن في أدبارهنّ»[7].

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ ما يدّخر لكم من العمل الصّالح. و قيل: هو طلب الولد[8]. وقيل: التّسمية على الوطي[9]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من صدّقك و امتثل أمرك.

١ـ التّهذيب١: ١٥٤، الحديث: ٤٣٦؛ و الاستبصار١: ١٢٨، الحديث: ٤٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ التّهذيب٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكراسف جمع كُرْسف و هو القطن. لسان العرب ٩: ٢٩٧ (كرسف).
٤ـ الكافي٣: ١٨، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي١: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي١: ١١١، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر، الحديث: ٣٣٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢١؛ و الكشّاف١: ٣٦٢.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾. العرضة: ما يعترض دون الشّيء فيحجز عنه، والمعرض للأمر. والمعنى على الأوّل: لاتجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير، فيكون المراد بالإيمان الأُمور المحلوف عليها. وعليه ورد في تفسيرها: «إذا دُعيتَ لصلح بين اثنين فلاتقل عليّ يمين أن لا أفعل»[1]. وعلى الثّاني: لاتجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف. وعليه ورد: «لا تحلفوا بالله صادقين ولاكاذبين، فإنّ الله يقول: ... وتلا الآية»[2]. ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾. بيان للأيمان، أي الأُمور المحلوف عليها من الخيرات على الأوّل، وعلّة للنّهي على الثّاني. أي: أنهاكم عنه إرادة برّكم و تقواكم و إصلاحكم بين النّاس فإن الحلّاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ على الله تعالى لايكون برّاً متّقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين، ولذلك ذمّه الله في قوله: "وَ لاتُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ"[3]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ بالعقوبة والكفّارة ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: «بالسّاقط الّذي لاعقد معه، بل يجري على عادة اللّسان لمجرّد التّأكيد». كذا ورد[4]. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: بما واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وعزمتموه، كقوله تعالى: "بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ"[5] فإنّ كسب القلب هو العقد والنّيّة والقصد. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾: يحلفون على أن لايجامعوهنّ مضارّة لهنّ. والإيلاء: الحلف. وتعديته بـ"عَلىٰ"، ولكن لمّا ضمّن هذا القسم معنى البعد عدّى بـ"مِنْ" ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارها و التّوقّف فيها، فلايطالبوا بشيء. ﴿فَإِن فَاءُو﴾: رجعوا إليهنّ بالحنث وكفّارة اليمين وجامعوا مع القدرة و وعدوها مع العجز،

١و٢- العيّاشي ١: ١١٢، الحديث: ٣٤٠.
٣- القلم (٦٨): ١٠.
٤- مجمع البيان ١-٢: ٣٢٣، عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السّلام؛ والكشّاف ١: ٣٦٣، عن الشّافعي.
٥- المائدة (٥): ٨٩.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لايتبعهم بعقوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضميرهم. قال: «الإيلاء: أن يحلف الرّجل على امرأته أن لايجامعها، فإنْ صبرت عليه فلها أن تصبر، وإن رفعته إلى الإمام أنظره أربعة أشهر، ثمّ يقول له بعد ذلك: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمّا أن تطلّق فإن أبى حبسه أبداً»[١]. وفي رواية: «فإن مضت الأربعة أشهر قبل أن يمسّها فسكتت و رضيت فهو في حلّ وسعة»[٢].

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ يعني: المدخول بهنّ من ذوات الاقراء، لما دلّت الآيات والأخبار أنّ حكم غيرهنّ خلاف ذلك. ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: بقمعها وحملها على التربّص ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فلا يتزوّجن فيها. ورد: «القرء جمع الدّم بين الحيضتين[٣]، والقروء: الأطهار، فإذا رأت الدّم من الحيضة الثّالثة فقد انقضت عدّتها»[٤].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ «من الولد ودم الحيض استعجالاً في العدّة وإبطالاً لحقّ الرّجعة». كذا ورد[٥]. ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى النّكاح والرّجعة إليهنّ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: في زمان التربّص. ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ ولم يريدوا مضارّتهنّ ﴿وَلَهُنَّ﴾ حقوق عليهم ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ في الاستحقاق لا في الجنس ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الّذي لاينكر في الشّرع ولا في عادات النّاس.

١ـ القمّي١: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ الكافي٦: ١٣١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام، و فيه: فإن مضت الاربعة الاشهر».

٣ـ الكافي٦: ٩٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر: ٨٨، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، و القمّي١: ٧٤؛ و الظّاهر انّ ما في المتن هو مضمون الحديث و المستفاد منه، كما يظهر بعد التأمّل و المراجعة.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة في الحقّ و فضيلة بقيامهم عليهنّ. ورد: «لها عليه أن يشبع بطنها ويكسو جثّتها وإن جهلت غفر لها»[1]. «وله عليها أن تطيعه ولاتعصيه، ولاتتصدّق من بيته إلاّ بإذنه، ولاتصوم تطوّعاً إلاّ بإذنه، ولاتمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولاتخرج من بيتها إلاّ بإذنه»[2]. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقدر على الانتقام ممّن خالف الأحكام ﴿حَكِيمٌ﴾ يشرعها لحكم ومصالح.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ «اي: التّطليق الرّجعيّ اثنتان؛ فإنّ الثّالثة باين». كذا ورد[3]. سئل النّبيّ ﷺ أين الثّالثة؟ فقال: «فتسريح بإحسان»[4]. ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ بان لايراجعها او يطلّقها الثّالثة بعد الرّجعة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: فيما يلزمهما من وظايف الزّوجيّة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها. يعني: لاجناح عليه في الأخذ، ولاعليها في الإعطاء. ورد: «إذا قالت جملة: «لاأُطيع لك أمراً» مفسّراً او غير مفسّر، حلّ له ما اخذ منها وليس له عليها رجعة»[5]. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ قال: «يعني: التّطليقة الثّالثة»[6]. ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾ يعني: تزويجها ﴿مِنْ بَعْدُ﴾: من بعد هذا الطّلاق ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزّوج الثّاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾: يرجع كلّ منهما إلى الآخر بالزّواج ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا

١ـ من لايحضره الفقيه٣: ٢٧٩، الحديث: ١٣٢٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢٧٧، الحديث: ١٣١٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ راجع: البرهان ١: ٢٢١، الحديث: ٢و٤؛ والتّبيان ٢: ٢٤٣، عن عروة و قتادة؛ و معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٠٦، عن عروة بن الزّبير؛ و جامع البيان (للطّبري) ٢: ٢٧٧، عن السّدي.
٤ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٩، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ من لايحضره الفقيه٣: ٣٣٩، الحديث: ١٦٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: قاربن آخر عدّتهنّ؛ فإنّ البلوغ قد يطلق على الدنوّ، كما يطلق على الوصول. والأجل يطلق على منتهى المدّة، كما يطلق على المدّة. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهنّ بما يجب لها من القيام بموجبها[1] من غير طلب ضرار بالمراجعة ﴿ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾: خلّوهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ، فيكنّ أملك بأنفسهنّ ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾: ولا تراجعوهنّ إرادة الإضرار بهنّ من غير رغبة فيهنّ ﴿ لِتَعْتَدُوا ﴾: لتظلموهنّ بتطويل المدّة عليهنّ في حبالكم أو إلجائهنّ إلى الافتداء. ورد: «كان الرّجل يطلّق حتّى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعها ثمّ طلّقها، يفعل ذلك ثلاث مرّات، فنهى الله عن ذلك»[2]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعقاب.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾: لاتستخفّوا بأوامره ونواهيه ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بما أباحه لكم من الأزواج والأموال ﴿ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: انقضت عدّتهنّ ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾: لا تمنعوهنّ ظلماً. والعَضْلُ: الحبس والتّضييق. كانوا لايتركونهنّ يتزوّجن من شئن، فنزلت. ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ ﴾: أنفع ﴿ وَأَطْهَرُ ﴾ من دنس الآثام ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ

١ ـ في «ب» و «ج»: «بمواجبها».
٢ ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٣، الحديث: ١٥٦٧؛ والعيّاشي ١: ١١٩، الحديث: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾ زوجها ﴿بِوَلَدِهَا﴾: بسبب ولدها، بأن تترك إرضاعه تعنّتاً أو غيظاً على أبيه وسيّما بعد ما ألفها الولد، أو تطلب منه ما ليس بمعروف، أو تشغل قلبه في شأن الولد، أو تمنع نفسها منه خوف الحمل، لئلاّ يضرّ بالمرتضع. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ اي: لا يضارّ المولود له أيضاً امرأته ﴿بِوَلَدِهِۦ﴾: بسبب ولده، بأن ينزعه منها ويمنعها من إرضاعه إن أرادته، وسيّما بعد ما ألفها، أو يكرهها عليه، أو يمنعها شيئاً ممّا وجب عليه، أو يترك مواقعتها خوف الحمل إشفاقاً على المرتضع. ورد المعنى الأخير في الموضعين في سبب النّزول[1]، ولا يتفاوت المعنى على المعلوم والمجهول في «لاتضارّ» غير أنّه يتعاكس على اللّفظتين. و ورد: «إذا طلّق الرّجل امرأته وهي حبلى، أنفق عليها حتّى تضع حملها، وإذا وضعته أعطاها أجرها ولا يضارّها، إلاّ أن يجد من هو أرخص أجراً منها، فإن هي رضيت بذلك الأجر فهي أحقّ بابنها حتّى تفطمه»[2].

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: «وارث المولود له بعد موته». كذا ورد[3]. ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَۗ﴾ قال: «مثل ما على الوالد»[4]. ورد: «إنّ أجر رضاع الصّبي ممّا يرث من أبيه و أمّه»[5]. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطاماً عن الرّضاع قبل الحولين ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾ المراضع ﴿أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: ما أردتم إيتاءه إيّاهنّ وشرطتم لهنّ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ فَإِذَا

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٥، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ الكافي ٦: ١٠٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٥؛ والبيضاوي ١: ٢٤٥.
٤ـ العيّاشي ١: ١٢١، الحديث: ٣٨٣.
٥ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٣٠٩، الحديث: ١٤٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من التّعرّض للخُطّاب وساير ما حرّم عليهنّ للعدّة ﴿بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المعتدّات، بأن يقول لها ما يوهم أنّه يريد نكاحها، حتّى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرّح بالنّكاح. ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾: أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم، فلم تذكروه بألسنتكم ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: خلوة، كأن يقول لها قبل انقضاء عدّتها: أواعدك بيت آل فلان. يريد أن يرغّبها في نفسه في الخلوة. كانوا يتكلّمون في الخلوة المواعد بها بما يستهجن، كالرّفث أو التّعريض به ونحو ذلك، فنهوا عن ذلك. كذا يستفاد ممّا ورد[1]. ﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: «بأن يعرّض فيها بالخطبة على وجهها وحلّها ولا يصرّح بها». كذا ورد[2]. ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾: ما كتب وفرض من العدّة ﴿أَجَلَهُ﴾: منتهاه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن عزم ولم يفعل ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا تبعة عليكم من مهرٍ أو وزرٍ ﴿إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: ما لم تجامعوهنّ ﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾: إلّا أن تفرضوا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: تسمّوا مهراً. و ذلك أنّ المطلّقة غير المدخول بها إن سمّي لها مهر، فلها نصف المسمّى، وإلّا فليس لها إلّا المتعة. كذا ورد[3]. ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهنّ من مالكم ما يتمتّعن به ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾: مقداره الّذي يطيقه ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾: تمتّعاً

١ـ العيّاشي ١: ١٢٣، الحديث: ٣٩٤؛ عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٧٧.

٢ـ الكافي ٥: ٤٣٥، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.

٣ـ الكافي ٦: ١٠٦، الحديث: ٣؛ و من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٦، الحديث: ١٥٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بالوجه الّذي يستحسنه الشّرع والمروّة ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ورد: «إنّ الغنيّ يمتّع بدار أو خادم، والوسط يمتّع بثوب، والفقير بدرهم أو خاتم»[1]. وفي رواية: «انحو ما يمتّع مثلها من النّساء»[2]. و ورد: «يمتّع قبل أن يطلّق و أنّها فريضة»[3].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾. قال: «هو وليّ أمرها»[4]. وقال: «يعني الأب والّذي توكّله المرأة وتولّيه أمرها، من أخ أو قرابة أو غيرهما»[5]. وقال: «الوليّ يأخذ بعضاً ويدع بعضاً و ليس له أن يدع كلّه»[6]. ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أن يتفضّل بعضكم على بعض ولا يستقصي. ورد: «سيأتي زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك. ثمّ تلا هذه الآية»[7]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: داوموا عليها في مواقيتها بأداء أركانها. ورد: «لايزال الشّيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصّلوات الخمس، فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه، فأدخله في العظائم»[8]. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بينها خصوصاً. قال: «هي صلاة الظّهر، وهي وسط النّهار و وسط صلاتين بالنّهار»[9] وفي رواية: «هي الجمعة يوم الجمعة

١ـ من لايحضره الفقيه٣: ٣٢٧، الحديث: ١٥٨٢.
٢ـ التّهذيب٨: ١٤٢، الحديث: ٤٩٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٤١، الحديث: ٤٨٩و٤٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ التّهذيب٦: ٢١٥، الحديث: ٥٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٤٥، الباب: ٣١، الحديث: ١٦٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «ولم يؤمن بذلك».
٨ـ الكافي٣: ٢٦٩، الحديث: ٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. و «ذعراً من المؤمن» أي: خائفاً منه. و الذُّعر ـ بالضّمّ ـ: الخوف. و ـ بالتّحريك ـ: الدّهش من الحياء. لسان العرب ٤: ٣٠٦ (ذعر).
٩ـ الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

والظّهر ساير الأيّام»[١]. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «والصّلاة الوسطى وصلاة العصر»[٢]. ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصّلاة ﴿قَٰنِتِينَ﴾. قال: «هو إقبال الرّجل على صلاته ومحافظته، حتّى لا يلهيه ولا يشغله عنها شيء»[٣]. وفي رواية: «مطيعين راغبين»[٤]. وفي أُخرى: «هو الدّعاء»[٥]. و ورد: «نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله ﷺ في سفر فقنت فيها»[٦].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ «من لصّ أو سبع أو غير ذلك». كذا ورد[٧]. ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلّوا راجلين أو راكبين. قال: «يكبّر و يؤمي إيماءاً»[٨]. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: صلّوا صلاة الأمن أو اشكروه على الأمن ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: مثل ما علّمكم أو شكراً يوازي تعليمكم ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾: يوصون وصيّة من قبل أن يحتضروا ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ بأن تمتّع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أي: ينفق عليهنّ من تركته ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: ولا يخرجن من مساكنهنّ. ورد: «هي منسوخة، نسختها "يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً"[٩]، و نسختها آية[١٠] الميراث»[١١].

أقول: يعني نسخت المدّة بآية التربّص، والنّفقة بآية الميراث. و آية التربّص وإن كانت متقدّمة في التّلاوة فهي متأخّرة في النّزول.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من منزل أزواجهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢و٣ـ القمّي ١: ٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤و٦ـ العيّاشي ١: ١٢٧، الحديث: ٤١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٢٨، الحديث: ٤٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧و٨ـ الكافي ٣: ٤٥٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ البقرة(٢): ٢٣٤.
١٠ـ النّساء(٤): ١٢.
١١ـ العيّاشي ١: ١٢٩ الحديث: ٤٢٦.

مَّعْرُوفٍ ﴾ كالتزيّن والتعرّض للأزواج ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ : ينتقم ممّن خالفه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ : يراعي مصالحهم.

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ . تعميم بعد ذكر بعض الأفراد، وحمل على الاستحباب، لما ورد من اختصاص الوجوب بذلك[١] . و ورد: «إنّ متاعها بعد ما تنقضي عدّتها، على الموسع قدره و على المقتر قدره - قال: - وكيف يمتّعها في عدّتها؟ وهي ترجوه ويرجوها ويحدث الله بينهما ما يشاء»[٢].

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ : تفهمونها و تستعملون العقل فيها.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ . تعجيب وتقرير. ورد: «هم أهل مدينة من مدائن الشّام وكانوا سبعين ألف بيت، هربوا من الطّاعون، فمرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطّاعون، فنزلوا بها، فأماتهم الله من ساعتهم جميعاً وصاروا رميماً يلوح[٣]، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له: «حزقيل» فبكى واستعبر وقال: يا ربّ لو شئت لأحييتهم السّاعة كما أمتّهم، فعمروا بلادك و ولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك. فأوحى الله إليه أن قُلْ: كذا و كذا فقاله - وكان الاسم الأعظم - فعادوا أحياءاً، ينظر بعضهم إلى بعض يسبّحون الله ويكبّرونه ويهلّلونه. فقال «حزقيل» عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير»[٤]. هذا ملخّص القصّة. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ : لايعتبرون.

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٥ـ٣٤٦ و من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٨، الحديث: ١٥٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكافي ٦: ١٠٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ أي: يظهر للنّاس عظامهم المندرسة من غير جلدو لحم «مرآة العقول ٢٦: ١٠٢».

٤ـ الكافي ٨: ١٩٨ـ١٩٩، الحديث: ٢٣٧، عن الصّادقين عليهما السّلام.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإنّ الفرار من الموت غير مخلص عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله المخلّفون والسّابقون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: مقروناً بالإخلاص من حلال طيّب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لايقدّرها إلاّ الله. ورد: «لمّا نزلت "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها"[١]، قال رسول الله ﷺ: اللّهم زدني، فأنزل الله: "مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها"[٢]، فقال رسول الله ﷺ: زدني فنزلت. فعلم أنّ الكثير من الله لايحصى وليس له منتهى»[٣]. ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال: «يمنع و يوسّع»[٤].

أقول: يعني فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم. ورد: «إنّها نزلت في صلة الإمام»[٥].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ قال: «هو إشموئيل، وهو بالعربيّة إسماعيل»[٦]. ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. قال: «كان الملك في ذلك الزّمان هو الّذي يسير بالجنود، والنّبيّ يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربّه»[٧]. ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾: أن تجبّنوا ولا تفوا ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ بالسّبي والقهر على نواحينا ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. تهديد لمن تولّى.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا

١ـ النّمل (٢٧): ٨٩.
٢ـ الأنعام (٦): ١٦٠.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ التّوحيد: ١٦١، الباب: ١٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ من لايحضره الفقيه٢: ٤٢، الحديث: ١٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ العيّاشي١: ١٣٢، الحديث: ٤٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ وراثة ومكنة ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: فضيلة وسعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ يوسّع على الفقير ويغنيه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يليق بالملك.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: أمنة وطمأنينة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ورد: «إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيّروا دين الله وعتوا عن أمر ربّهم، وكان فيهم نبيّ ينها هم فلم يطيعوه، فسلّط الله عليهم جالوت، وهو من القبط، فآذاهم[1] وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيّهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. وكانت النّبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسّلطان في بيت آخر، لم يجمع الله النّبوّة والملك في بيت. كانت النّبوّة في ولد "لاوي" والملك في ولد "يوسف" وكان طالوت من ولد "بن يامين" أخي يوسف لأمّه، ولم يكن من بيت النّبوّة ولا من بيت المملكة، وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قويّاً وكان أعلمهم، إلاّ انّه كان فقيراً، فعابوه بالفقر.

و كان التّابوت الّذي أنزل الله على موسى، فوضعته فيه أمّه، فألقته في اليمّ وكان في بني إسرائيل يتبرّكون به[2]. فلمّا حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح [ودرعه][3] وما كان عنده من آيات النّبوّة و أودعه يوشع وصيّه، فلم يزل التّابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصّبيان يلعبون به في الطّرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ و شرف مادام التّابوت

١ ـ في المصدر: «فاذلّهم».
٢ ـ في المصدر: «فكان في بني إسرائيل معظماً يتبرّكون به».
٣ ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.

بينهم. فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتّابوت رفعه الله عنهم. فلمّا سألوا النّبيّ وبعث الله طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم، ردّ الله عليهم التّابوت»[١].

وقال: «السّكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان. وكان إذا وضع التّابوت بين يدي المسلمين والكفّار، فإن تقدّم التّابوتَ رجلٌ لا يرجع حتّى يُقتل أو يغلب، ومن رجع عن التّابوت كفر و قتله الإمام»[٢]. وقال: «والبقيّة رَضْراض الألواح فيها العلم والحكمة»[٣]. وفي رواية: «وعصا موسى»[٤]. وفي أُخرى: «والطّست الّذي يغسل فيه قلوب الأنبياء»[٥]. وقد مرّ لها معنى أعمّ من ذلك كلّه.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: انفصل بهم عن بلده ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مختبركم ﴿بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ قال: «فليس من حزب الله»[٦]. ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. استثناء من قوله: "فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ" ومعناه: الرّخصة في اغتراف الغرفة باليد. قال: «لمّا وردوا النّهر، أطلق الله لهم أن يغترف كلّ واحد منهم غرفة»[٧].

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قال: «إلّا ثلثمأة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب»[٨]. وفي رواية: «القليل الّذين لم يشربوا و لم يغترفوا

١ـ القمّي ١: ٨١ـ٨٢: عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٨٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٣١٧، الحديث: ٥٠٠؛ و العيّاشي ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام. والرّضراض: الفتات، من رضرضه إذا كسره و فرّقه و رَضْراض الألواح: مكسوراتها. «منه قدّس سرّه في الصّافي ١: ٢٥٤». و في العيّاشي: «رضاض» و هي بمعناه.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، و فيه: «الطست الّتي تغسل فيها قلوب الأنبياء».
٦و٧ـ القمّي ١: ٨٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ١٣٤، الحديث: ٤٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

ثلثمأة وثلاثة عشر»[1] . قال: «وكان الّذين شربوا منه ستّين ألفاً»[2]. و روي: «أنّ من اقتصر على الغرفة كفته لشربه و إداوته، ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودّت شفته ولم يقدر أن يمضي. وهكذا الدّنيا لقاصد الآخرة»[3]. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ﴾: تخطّى النّهر طالوت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يعني: القليل من أصحابه، ورأوا كثرة عدد جنود جالوت ﴿قَالُواْ﴾: قال الّذين اغترفوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يتيقّنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ وهم الّذين لم يغترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾. ورد: «أوحى الله إلى نبيّهم أنّ جالوت يقتله من يسوّى[4] عليه درع موسى، وهو رجل من ولد "لاوي بن يعقوب" اسمه: "داود بن آسي". قال: فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى، فاستوت عليه. وقتل داود جالوت واجتمعت بنو إسرائيل على داود، وأنزل الله عليه الزّبور، وعلّمه صنعة الحديد وليّنه له»[5]. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قال: «بدفع الهلاك بالبرّ عن الفاجر»[6]. ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ورد: «إنّ الله ليدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من

١ـ القمّي ١: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ١: ٢٥٥. والإداوة ـ بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتّخذ للماء. و إداوة الشّيء و اداوته: آلته. لسان العرب ١٤: ٢٥ (أدا).
٤ـ في المصدر: «من يستوي».
٥ـ راجع: القمّي ١: ٨٢؛ والعيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصّلاة لهلكوا. ثمّ ذكر الزّكاة والحجّ، ثمّ تلا هذه الآية وقال: فو الله ما نزلت إلاّ فيكم ولا عني بها غيركم»[١].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة عدلاً وفضلاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون على تدارك ما فرّطتم. ولعلّ المراد به يوم الموت، كما مرّ في قوله: «واتّقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً»[٢]. وذلك لانّ الشفاعة ثابتة يوم القيامة. ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فتحصّلون ما تنفقونه أو تفتدون[٣] به من العذاب. ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتّى تعينكم عليه أخلاّؤكم أو يسامحونكم به ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ حتى تتّكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حطّ ما في ذممكم[٤] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، حيث بلغ ظلمهم بأنفسهم الغاية.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هو المستحقّ للعبادة لا غير ﴿ٱلْحَىُّ﴾: العليم القدير ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ بالطّريق الأولى. وهو تأكيد للنّوم المنفيّ ضمناً. والجملة نفي للتّشبيه، وتأكيد لكونه حيّاً قيّوماً. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يملكهما ويملك تدبيرهما.

١ـ العيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٦، عن ابي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ في ذيل الآية: ٤٨.
٣ـ في «ألف»: «و تفتدون».
٤ـ في «ج»: «ذمّتكم».

تأكيد لقيّوميّته واحتجاج على تفرّده بالألوهيّة.

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. بيان لكبرياء شأنه وأنّه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقلّ بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة، فضلاً أن يعاوقه عناد أو مناصبة. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: «ما كان»[1]. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال: «و ما لم يكن بعد»[2]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾: من معلوماته بأن يعلموه كما هو ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ القمّي: «إلّا بما يوحي إليهم»[3]. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال: «علمه»[4]. وفي رواية: «العرش هو العلم الّذي أطلع الله عليه أنبياءه و رسله وحججه، والكرسيّ هو العلم الّذي لم يُطلع عليه أحداً منهم»[5]. وفي أُخرى: «العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسيّ وعاؤه»[6]. ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾: ولا يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظه إيّاهما ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن الأنداد والأشباه ﴿الْعَظِيمُ﴾: المستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: تميّز الإيمان من الكفر، واتّضح أنّ الإيمان رشد يوصل إلى السّعادة الأبديّة، وأنّ الكفر غيّ يؤدّي إلى الشّقاوة السّرمديّة، فلا حاجة إلى الإكراه. أو إخبار في معنى النّهي، مختصّ بأهل الكتاب، إذا أدّوا الجزية. ورد: «لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل من الله»[7]. وعلى هذا يكون المعنى: لا إكراه في التّشيّع. فهو إخبار في معنى النّهي من دون تخصيص.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ قال: «الشّيطان»[8]. وفي رواية: «كلّ ما عبد من دون الله

١، ٢ و٣ـ القمّي ١: ٨٤، عن الرّضا عليه السلام.
٤ـ التّوحيد: ٣٢٧، الباب: ٥٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ و ٦ـ معاني الأخبار: ٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٧؛ والعيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من صنم أو صادٍّ عن سبيل الله»[١]. ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ وحده ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾. قال: «هي الإيمان بالله وحده لا شريك له»[٢]. وفي رواية: «هي مودّتنا أهل البيت»[٣]. ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بالأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيّات.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: متولّي أمورهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ قال: «ظلمات الذّنوب»[٤]. ﴿إِلَى النُّورِ﴾ قال: «نور التّوبة والمغفرة، لولايتهم كلّ إمام عادل من الله»[٥]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾ قال: «نور الإسلام الّذي كانوا عليه»[٦]. ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ قال: «ظلمات الكفر، لولايتهم كلّ إمام جائر ليس من الله، فأوجب الله لهم النّار مع الكفّار»[٧]. قال: «وذلك لأنّ الكافر لا نور له حتّى يخرج منه»[٨]. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾. تعجيب من محاجّة نمرود وحماقته. ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: لأن آتاه: أي: أبطره[٩] إيتاؤه الملك وحمله على المحاجّة، أو المراد وضع المحاجّة موضع الشكر على إيتائه الملك. ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالعفو عن القتل والقتل. ورد: «إنّ ابراهيم قال له: أحْيِ مَنْ قَتَلْتَهُ إنْ كنت صادقاً»[١٠]. وكان ذلك بعد إلقائه إيّاه في النّار.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾. عدل إلى مثال اجلى، دفعاً للمشاغبة[١١]. ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: فصار مبهوتاً، وعلى قراءة المعلوم:

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والبيضاوي ١: ٢٦٠؛ والدّرّ المنثور ٢: ٢٢.

٢ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ نور الثّقلين ١: ٢٦٣، الحديث: ١٠٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ إلى ٨ـ العيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠؛ والكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٣؛ عن أبي عبدالله عليه السلام.

٩ـ أبطره: أدهشه و جعله بَطِراً والبَطَر: سوء احتمال الغنى والطّغيان عند النّعمة. القاموس المحيط ١: ٣٨٨؛ و مجمع البحرين ٣: ٢٢٦ (بطر).

١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

١١ـ المشاغبة: المخاصمة. مجمع البحرين ٢: ٩١ (شغب).

فغلبه. والقمّي: أي انقطع، وذلك أنّه علم أنّ الشّمس أقدم منه[١]. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ بمحجّة[٢] الحاجّة وسبيل النّجاة وطريق الجنّة ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الّذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية. ورد: «خالف إبراهيم قومه وعاب آلهتهم حتّى أدخل على نمرود فخاصمهم»[٣].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قال: «هو إرميا النّبيّ»[٤]. وفي رواية: «عزير»[٥]. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: «ساقطة حيطانها على سقوفها، وأهلها موتى، والسّباع تأكل الجيف، ففكّر في نفسه ساعة». كذا ورد[٦]. ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: كيف يحيي؟، أو متى يحيي؟ اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الإحياء، واستعظاماً لقدرة المحيي. أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. ورد: «إنّه أماته غدوة وبعثه عشيّة قبل الغروب، وكان أوّل ما أحيا الله منه عينيه في مثل غرقئ البيض، ثمّ أوحى إليه: "كَمْ لَبِثْتَ" قال: "لَبِثْتُ يَوْماً" فلمّا أن نظر إلى الشّمس لم تغب، قال: "أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ"»[٧]. ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّر بمرور السّنين. ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قال: «كيف تفرّقت عظامه ونخرت وتفتّتت»[٨]. ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: وفعلنا ذلك لنجعلك آية، قال: «حجّة»[٩]. ﴿وَانظُرْ

١ـ القمّي ١: ٨٦.
٢ـ في «ألف» و «ج»: «المحجّة».
٣ـ العيّاشي ١: ١٣٩، الحديث: ٤٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ راجع: القمّي ١: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ جوامع الجامع ١: ١٤٢. والتّفتّت: التّكسّر. لسان العرب ٢: ٦٥؛ و مجمع البحرين ٢: ٢١٢ (فتت).
٩ـ كمال الدّين ١: ٣٠.

﴿إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾. قال: «كيف نرفع بعضها إلى بعض»[١]. «فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض ويرى العروق كيف تجري»[٢].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما تبيّن ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قال: «فلمّا استوى قائماً قال: أعلم»[٣]. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وفي رواية: «فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفطّرة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الّذي قد أكلته السّباع يتألّف إلى العظام من هاهنا وهاهنا، ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره، فقال: "أعلم أنّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ"»[٤].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. ورد: «لمّا رأى إبراهيم ملكوت السّمٰوات والأرض، التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البرّ، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشدّ[٥] بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البرّ فتأكل منها، فيشدّ بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً. فعند ذلك تعجّب إبراهيم ممّا رأى وقال: "رَبِّ أرِني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتىٰ"؟ قال: كيف تخرج ما تناسل الّتي أكل بعضها بعضاً؟»[٦]. ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأنّي قادر على الإحياء؟ قال له ذلك ليجيب بما أجاب، فيعلم السّامعون غرضه. ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ قال: «يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها»[٧]. ورد: «كان على يقين ولكنّه أراد من الله الزّيادة في يقينه»[٨]. وفي رواية: «إنّ الله أوحى إليه أنّي متّخذ من

١ـ جوامع الجامع ١: ١٤٣.
٢و٣ـ العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٩٠ـ ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشّدّ ـ بالفتح ـ: الحملة في الحرب. القاموس المحيط ١: ٣١٦ (شد).
٦و٧ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣؛ والعيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٦٩ عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المحاسن(للبرقي): ٢٤٧، الباب: ٢٩، الحديث: ٢٤٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

عبادي خليلاً، إن سألني إحياء الموتى اجبته، فوقع في نفسه أنّه ذلك الخليل، فقال: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي" على الخلّة»[1].

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾: أملْهنّ واضممهنّ ﴿إِلَيْكَ﴾ لتتاملّها وتعرف شانها، لئلاّ يلتبس عليك بعد الاحياء ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ قال: «فقطّعهنّ وأخلطهنّ، كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السّباع الّتي أكل بعضها بعضاً فخلط»[2]، الحديث.

وفي رواية: «فاخذ نسراً وبطاً وطاووساً و ديكاً، فقطّعهنّ وخلّطهنّ، ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال ـ الّتي كانت حوله وكانت عشرة ـ منهنّ جزءاً؛ وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ دعاهنّ باسمائهنّ، و وضع عنده حبّاً و ماءاً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انظمّ إلى رقبته و رأسه، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فطرن، ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ وقلن: يا نبيّ الله أحييتنا، أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير»[3]. وفي تعيين الطيور اخبار أخر[4]. ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجز عمّا يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ في كلّ ما يفعله ويذره.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾: باذر حبّة ﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ قال: «لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[5]. و ورد: «إذا أحسن العبد المؤمن عمله، ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٢ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٤ـ راجع: العيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٧٠ و ٤٧١؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٣؛ والقمّي ١: ٩١.
٥ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سبعمأة ضعف وذلك قول الله: "والله يضاعف لمن يشاء"»[١]. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الزّيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّة المنفق وقدر إنفاقه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾. المنّ: الاعتداد بالإحسان على من أحسن إليه. والأذى: التّطاول عليه بما أنعم عليه. ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: ردّ جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: تجاوز عن السّائل أو مغفرة من الله ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة المانّ والموذي ﴿حَلِيمٌ﴾ لايعاجله بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. قال: «نزلت في عثمان وجرت في معاوية واتباعهما»[٢]. ﴿كَٱلَّذِي﴾: كإبطال المنافق الّذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: نقياً من التّراب ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: لاينتفعون بما فعلوه ولايجدون ثوابه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلى الخير والرّشاد.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ القمّي: «عن المنّ والأذى»[٣].

أقول: يعني ويوطّنون انفسهم على حفظه ممّا يفسده من المنّ والأذى والرّياء، بعد ابتغائهم به مرضاة الله. ورد: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام»[٤].

١ـ العيّاشي ١: ١٤٦، الحديث: ٤٧٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر ١: ١٤٧، الحديث: ٤٨٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٩١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٤٨، الحديث: ٤٨٥، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ اي: مَثَلُ نفقتهم في الزكاة كمثل بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: في موضع مرتفع ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلَيْ ما كانت تثمر بسبب الوابل. قال: «يتضاعف ثمرها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[1]. ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها. والطّلّ يقال لما يقع باللّيل على الشّجر والنّبات. والمعنى أنّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيّع بحال، وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ إليها من الأحوال. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ من الإخلاص والرّياء.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف تنعكس من الأرض إلى السّماء، مستديرة كعمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾. قال: «من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ثمّ امتنّ على من تصدّق عليه، كان كمن قال الله: "أيودُّ أحدُكُمْ" قال: الإعصار: الرّيح، فمن امتنّ على من تصدّق عليه كان كمن كان له جنّة كثيرة الثّمار، وهو شيخ ضعيف له أولاد ضعفاء، فتجيء ريح أو نار فتحرق ماله كلّه»[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فتعتبرون بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من حلاله وجياده ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: و من طيّبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثّمار والمعادن. قال: «كان القوم قد كسبوا مكاسب[3] في الجاهليّة، فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله إلاّ أن يخرجوا من طيّب ما كسبوا»[4]. ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «مكاسب سوء».
٤ـ الكافي ٤: ٤٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «من أطيب ما كسبوا».

﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: ولا تقصدوا الرّدي ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾: وحالكم أنّكم لاتأخذونه في حقوقكم لرداءته: ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾: إلاّ أن تتسامحوا فيه. ورد: «إنّها نزلت في قوم كانوا يأتون برديّ التّمر، فيدخلونه في تمر الصّدقة»[1]. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم؛ وإنّما أمركم به لا نتفاعكم ﴿حَمِيدٌ﴾ بقبوله وإثابته.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ في الانفاق في وجوه البرّ، وفي إنفاق الجيّد من المال ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ويغريكم على البخل، ومنع الزّكوات إغراء الآمر للمأمور. والعرب تسمّى البخيل فاحشاً. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم وكفّارة لها ﴿وَفَضْلًا﴾: وخلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدّنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: واسع الفضل لمن أنفق ﴿عَلِيمٌ﴾ بإنفاقه.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل. وفي رواية: «طاعة الله ومعرفة الإمام»[2]. وفي أُخرى: «معرفة الإمام و اجتناب الكبائر الّتي أوجب [الله][3] عليها النّار»[4]. وفي أُخرى: «المعرفة والفقه في الدّين - قال: - فمن فقّه منكم فهو حكيم»[5]. وفي أُخرى: «الحكمة ضياء المعرفة وميراث التّقوى وثمرة الصّدق، ولو قلت: ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت، ثمّ تلا هذه الآية»[6].

أقول: والكلّ يرجع إلى ما فسّرناها به أوّلاً.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم. وفي

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يأتون بالحشف».
٢ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الزّيادة من المصدر و «ب».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «التّفقّه في الدّين».
٦ـ مصباح الشّريعة: ١٩٨، الباب: ٩٥، في الحكمة، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «للقلب».

الرّواية الأخيرة قال: «أي: لا يعلم ما أودعت وهيّأت في الحكمة إلاّ من استخلصته لنفسي وخصّصته بها. والحكمة هي الكتاب[1]، وصفة الحكيم الثّبات عند أوايل الأمور، والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله»[2]. وفي أُخرى: «ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاّ كان خراباً. ألا فتفقّهوا و تعلّموا ولا تموتوا جهلاء»[3].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ قليلة أو كثيرة، سرّ أو علانية، في حقّ أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعة أو معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الّذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون الصّدقات ولا يوفون بالنّذور ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: من ينصرهم من الله ويمنع عنهم العقاب.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ قال: «يعني الزّكاة المفروضة»[4]. ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾: فنعم شيئاً إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: «يعني النّافلة، إنّهم كانوا يستحبّون إظهار الفرائض وكتمان النّوافل»[6]. ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ترغيب في الإخفاء ومجانبة الرّياء.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ فلا تمنّوا به على من تنفقونه عليه ولا تؤذوه ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: إلاّ لطلب ما عنده. فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الّذي لا يتوجّه بمثله إلى الله؟ ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تنقصون ثواب نفقتكم.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: اعمدوا للفقراء ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أحصرهم الجهاد

١ـ في المصدر: «النّجاة»؛ وفي بعض النُّسخ: «الكتاب».
٢ـ مصباح الشّريعة: ١٩٨، الباب: ٩٥، في الحكمة، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٢، عن النّبي صلى الله عليه وآله.
٤ و٦ـ الكافي ٤: ٦٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا شتغالهم به ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: ذهاباً فيها للكسب. ورد: «إنّها نزلت في أصحاب الصُّفَّة»[١]. قيل: كانوا نحواً من أربع مائة من فقراء المهاجرين، يسكنون صُفّة المسجد، يستغرقون أوقاتهم بالتّعلّم والعبادة وكانوا يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله ﷺ[٢]. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: من أجل تعفّفهم عن السّؤال ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من صفرة الوجه و رثاثة الحال ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: إلحاحاً، وهو أن يلازم المسئول حتّى يعطيه ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. قال: «نزلت في علي عليه السلام؛ كانت معه أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية»[٣]. وفي رواية «نزلت في النّفقة على الخيل»[٤]. ولا منافاة بينهما. و ورد: «إنّها ليست من الزكاة»[٥].

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾: إلاّ كقيام المصروع ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ أي: الجنون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: قاسوا أحدهما بالآخر ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس. ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ قال: «الموعظة: التّوبة»[٦]. ﴿فَانتَهَىٰ﴾:

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكشّاف ١: ٣٩٨؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧.

٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٨، عن الصّادقين عليهما السّلام؛ والعيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠٢، عن أبي إسحاق.

٤ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٨٨، الحديث: ٨٥٢، عن النّبيّ ﷺ.

٥ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠١؛ والكافي ٣: ٤٩٩، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ العيّاشي ١: ١٥٢، الحديث: ٥٠٥، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والكافي ٢: ٤٣٢، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام.

فاتّعظ وامتنع منه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: لا يؤاخذ بما مضى منه ولا يستردّ منه. قال: «كلّ ربا أكله النّاس بجهالة ثمّ تابوا، فإنّه يقبل منهم، إذا عرف منهم التّوبة»[1]. ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحكم في شأنه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد ما تبيّن له تحريمه مستخفّاً به. سئل: الرّجل يأكل الرّبا وهو يرى أنّه حلال؟ قال: «لا يضرّه حتّى يصيبه متعمّداً»[2]. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يذهب بركته ويهلك المال الّذي يدخل فيه. ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾: يضاعف ثوابها. ورد: «ليس شيء إلاّ وقد وكّل به ملك غير الصّدقة؛ فإنّ الله يأخذه بيده ويربّيه[3] كما يربّي أحدكم ولده حتّى تلقاه يوم القيامة وهي مثل أُحد»[4]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصرّ على تحليل المحرّمات ﴿أَثِيمٍ﴾: منهمك في ارتكابه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾: واتركوا بقايا ما شرطتم على النّاس منه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: فاعلموا بها. ورد: «درهم ربا أشدّ عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم»[5]. ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين بأخذ الزّيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالمطل[6] والنّقصان منها.

١ـ الكافي ٥: ١٤٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٤٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. و فيه: «أنّه له حلال».
٣ـ كذا في جميع النّسخ والمصدر؛ و لعلّ الأصحّ: «يأخذها بيده و يربّيها».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥٣، الحديث: ٥١٠؛ والبحار ٩٣: ١٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ـ الكافي ٥: ١٤٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المَطْل: التّسويف بالعدة والدّين. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مطل).

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ : إن وقع في غرمائكم ذو إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ : فإنظار إلى وقت يسار ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : أكثر ثواباً من الإنظار ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «إن كنتم تعلمون أنّه معسر فتصدّقوا عليه بمالكم عليه»[1].

ورد: «من أنظر معسراً كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتّى يستوفيه»[2].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ : تأهّبوا لمصيركم إليه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شرّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب أو تضعيف عقاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ : إذا تعاملتم نسيئة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنّه أوثق وأدفع للنزاع ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ لا يزيد على ما يجب ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ الكتابة ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأنّه المقرّ المشهود عليه. والإملال: الإملاء. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ : ولا ينقص من الحقّ ﴿شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾.

قال: «السّفيه هو الّذي يشتري الدّرهم بأضعافه، والضّعيف: الأبله»[3]. وفي رواية: «السّفيه: شارب الخمر، والضّعيف: الّذي يأخذ واحداً باثنين»[4]. وفي أُخرى: «ضعيفاً في بدنه لا يقدر أن يملّ، أو ضعيفاً في فهمه وعلمه لا يقدر أن يملّ و يميّز الألفاظ الّتي هي عدل عليه و له من الألفاظ الّتي هي جور عليه أو على حميمه»[5]. ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ قال: «بأن يكون مشغولاً في مرمّة لمعاش أو تزوّد لمعاد، أو لذّة في غير محرّم؛ فإنّ تلك الأشغال الّتي لا ينبغي للعاقل أن يشرع في غيرها»[6]. ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾

١و٢ـ الكافي ٤: ٣٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ التّهذيب ٩: ١٨٢، الحديث: ٧٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٥٥، الحديث: ٥٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: «يعني النّائب عنه والقيّم بامره»[١]. ﴿بِٱلْعَدْلِۚ﴾. قال: «أن لا يحيف على المكتوب له ولا على المكتوب عليه»[٢].

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ﴾: المسلمين ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾. قال: «يعني ممّن ترضون دينه وأمانته وصلاحه وعفّته وتيقّظه فيما يشهد به وتحصيله وتمييزه؛ فما كلّ صالح مميّز، ولا محصّل، ولا كلّ محصّل مميّز صالح»[٣]. ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ بأن تنساها. من قولهم: «ضلّ الطّريق»: إذا لم يهتد. ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ﴾. قال: «إذا ضلّت إحداهما عن الشّهادة ونسيتها ذكّرتها الأُخرى، فاستقامتا في أداء الشّهادة»[٤]. ورد: «عدل الله شهادة امرأتين بشهادة رجل، لنقصان عقولهنّ و دينهنّ»[٥].

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾. قال: «إذا دعاك الرّجل تشهد له على دَيْنٍ أو حقّ لم ينبغ لك أن تقاعس عنه»[٦]. وفي رواية: «هي قبل الشّهادة ومن يكتمها بعد الشّهادة»[٧]. ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾: ولا تملّوا ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا﴾ كان الحقّ ﴿أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾: إلى وقت حلوله الّذي أقرّ به المديون. ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعدل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: وأثبت لها وأعون على إقامتها ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: وأقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدّين و قدره و أجله و شهدائه ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: تتبايعون يداً بيد.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾.

١ و ٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ المصدر: ٦٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤و٥ـ المصدر: ٦٧٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ العيّاشي ١: ١٥٦، الحديث: ٥٢٣، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٧ـ المصدر، الحديث: ٥٢٦ و ٥٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يحتمل البناءين. وهو نهي لهما عن ترك الإجابة والتّحريف والتّغيير في الكتابة والشّهادة، أو نهي عن الضّرار بهما، مثل أن يعجّلا عن مهمّ، ويكلّفا الخروج عمّا حدّ لهما، أو لا يعطى الكاتب جُعْلَة والشّهيد مؤْنَةَ مجيئه حيث كان. ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ الضرار ومانهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾: خروج عن الطّاعة لاحق بكم.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أحكامه المتضمّنة لمصالحكم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. كرّر لفظة "الله" في الجمل الثّلاث لاستقلالها.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾: فالّذي يستوثق به رهان. وهي جمع رهن. ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾. قال: «لا رهن إلّا مقبوضاً»[1].

أقول: لا يختصّ الارتهان بالسّفر، ولكن السّفر لمّا كان مظنّة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الارتهان مقام الكتاب والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي: الّذي عليه الحقّ ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾. سمّى الدّين أمانة لإيتمانه عليه بترك الارتهان منه. ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في الخيانة وإنكار الحقّ ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ خطاب للشهود. ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ مع علمه بالمشهود به وتمكّنه من أدائها ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ قال: «كافر قلبه»[2]. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تهديد.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من خير أو شرّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ سوى الوسوسة وحديث النّفس ممّا لا يدخل تحت الاختيار، كما ورد به الاخبار[3]. ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾. قال: «وبما في الصّدور يجازي العباد»[4]. ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن

١ـ التّهذيب ٧: ١٧٦، الحديث: ٧٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٣٥، الحديث: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ راجع: الكافي ٢: ٤٦٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ والوسائل ٥: ٣٤٥، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ١٠٣، الخطبة: ٧٥.

يَشَآءُ﴾ مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ . شهادة ونصّ من الله على صحّة إيمانه . ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ . إمّا استيناف ، أو عطف على الرّسول وما بعده استيناف . ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ أي يقولون ذلك . والمراد نفي الفرق في التّصديق . ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ : أجبْنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿غُفْرَانَكَ﴾ : اغفر غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال : «يعني المرجع في الآخرة»[1] .

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ قال : «فيما افترض الله عليها»[2] . ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ : إلّا ما دون طاقتها فضلاً و رحمةً . ورد : «ما أمر العباد إلّا بدون سعتهم ، وكلّ شيء أمر النّاس بأخذه فهم متّسعون له ، وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم ؛ ولكنّ النّاس لا خير فيهم»[3] . ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من شرّ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ : حملاً ثقيلاً . يأصر صاحبه ، أي يحبسه في مكانه . يعني به التّكاليف الشّاقّة . ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعني به : «ما كلّف به بني إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النّجاسة وغير ذلك» . كما ورد مفصّلاً[4] .

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من العقوبات النّازلة بمن قبلنا ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ : وامح ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ : واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ : وتعطّف بنا وتفضّل علينا ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ : سيّدنا ، ونحن عبيدك ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالقهر لهم والغلبة عليهم بالحجّة . فإنّ من حقّ المولى أن ينصر مواليه على الأعداء .

١ـ الاحتجاج ١ : ٣٢٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٢ـ العيّاشي ١ : ١٦٠ ، الحديث : ٥٣٣ ، عن أحدهما عليهما السّلام .
٣ـ التّوحيد : ٣٤٧ ، الباب : ٥٦ ، الحديث : ٦ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٤ـ الاحتجاج ١ : ٣٢٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

ورد: «إنّ هذه الآية مشافهة الله لنبيّه في ليلة المعراج. قال ﷺ: فقلت أنا مجيباً عنّي وعن أُمّتي: "وَالْمُؤْمِنُونَ" إلى قوله: "وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". فقال الله: "لا يُكَلِّفُ اللهُ ... إلى قوله: "مَا اكْتَسَبَتْ". فقلت: "رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأْنا" فقال الله: لا أُؤاخذك. فقلت: "رَبَّنا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنا إصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِنا" فقال الله: لا أحملك. فقلت: "رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا" إلى آخر السّورة. فقال الله: قد أعطيتك ذلك لك و لأُمّتك. قال الصّادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تعالى أحد أكرم من رسول الله ﷺ حين سأل لأُمّته هذه الخصال»[1].



١ـ راجع: القمّي ١: ٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سورة آل عمران

[مدنيّة، و هي مائتاآية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓ﴾. قد سبق تأويله [2].

﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ﴾: القرآن نجوماً ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصّدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ جملة على موسى و عيسى.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ عامّة، و قومهما خاصّة ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: ما يفرّق به بين الحقّ والباطل. قال: «القرآن: جملة الكتاب، والفرقان: المحكم الواجب العمل به» [3]. و في رواية: «الفرقان كلّ آية محكمة في الكتاب» [4]. و في أُخرى: «سمّي الفرقان فرقاناً لأنّه متفرّق الآيات والسّور؛

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ في ابتداء سورة البقرة.

٣ـ الكافي ٢: ٦٣٠، الحديث: ١١؛ و معاني الأخبار: ١٨٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ جوامع الجامع ١: ١٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أُنزلت في غير الألواح و غير الصّحف[١]، والتّوراة والإنجيل والزّبور أُنزلت كلّها جملة في الألواح والورق»[٢]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ شديد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من صبيح[٣] أو قبيح، ذكر أو أنثى ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في جلاله ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾: أُحكمت عباراتها، بأن حفظت من الإجمال ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصله، يردّ إليها غيرها ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾: محتملات لا يتّضح مقصودها إلّا بالفحص والنّظر، ليظهر فيها فضل العلماء الرّبّانيّين في استنباط معانيها و ردّها إلى المحكمات، و ليتوصّلوا بها إلى معرفة الله تعالى و توحيده. قال: «المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه على جاهله»[٤]. و في رواية: «ما يشبه بعضه بعضاً،»[٥]. و ورد في تأويله: «إنّ المحكمات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام، والمتشابهات فلان و فلان»[٦]. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميل عن الحقّ كالمبتدعة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾: فيتعلّقون بظاهره أو بتأويل باطل ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: طلب أن يفتنوا النّاس عن دينهم بالتّشكيك والتّلبيس و مناقضة المحكم بالمتشابه. ورد: «إنّ الفتنة هنا الكفر»[٧]. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: و طلب أن يؤوّلوه على ما يشتهونه.

١ـ كذا في جميع النُّسَخ، و لعلّ الصّواب: «و غيره من الصحف» كما في المصدر.
٢ـ علل الشّرايع ٢: ٤٧٠، الحديث: ٣٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ الصّباحة: الجمال، فهو صبيح. القاموس المحيط ١: ٢٤١ (صبح).
٤ـ العيّاشي ١: ١٦٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الّذي يجب أن يحمل عليه. قال: «يعني تأويل القرآن كلّه»[1].

﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الّذين تثبّتوا و تمكّنوا فيه. قال: «نحن الرّاسخون في العلم و نحن نعلم تأويله»[2]. و في رواية: «إنّ الرّاسخون في العلم من لا يختلف في علمه»[3]. و في أُخرى: «إنّ الله جلّ ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه، و علمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كلامه، قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، و قسماً لا يعرفه الّا من صفيٰ ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه، ممّن شرح الله صدره للإسلام، و قسماً لا يعرفه إلّا الله و أنبياؤه والرّاسخون في العلم؛ و إنّما فعل ذلك لئلاّ يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعله لهم، و ليقودهم الاضطرار إلى الايتمار[4] بمن ولاّه أمرهم»[5].

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾: هؤلاء الرّاسخون العالمون بالتّأويل يقولون: آمنّا بالمتشابه. ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾: من عند الله الحكيم الّذي لا يتناقض كلامه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. مدح للرّاسخين بجودة الذّهن و حسن التّدبّر، و إشارة إلى ما استعدّوا به للاهتداء إلى تأويله و هو تجرّد العقل عن غواشي الحسّ.

قال: «اعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم الله عن الاقتحام[6] في السُّدَد[7] المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب،

١ـ العيّاشي ١: ١٦٤، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه «فنحن نعلم تأويله».
٣ـ الكافي ١: ٢٤٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر الثاني، عن أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ ائتمر الأمر: امتثله. مجمع البحرين ٣: ٢١١ (أمر).
٥ـ الاحتجاج ١: ٣٧٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ اقتحم الرجل في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رويّة. لسان العرب ١٢: ٤٦٢ (قحم).
٧ـ السُّدّة: فوق باب الدار ليقيها من المطر، و قيل: هي الباب نفسه، و قيل: هي الساحة بين يديه. مجمع البحرين ٣: ٦٧ (سدد).

فقالوا: "آمَنّا بِه كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا". فمدح الله عزّوجلّ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، و سَمّى تركهم التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً؛ فَاقْتَصِرْ على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين»[1]. و ورد: «من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم. ثمّ قال: إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، و محكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها. وتتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا»[2].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ عن نهج الحقّ إلى اتّباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه؛ و إنّما أُضيف الزّيغ إلى الله لأنّه مسبّب عن امتحانه و خذلانه. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحقّ ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ بالتّوفيق والمعونة ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ لكلّ سؤل. قال: «إنّهم قالوا ذلك حين علموا انّ القلوب تزيغ و تعود إلى عماها ورداها»[3].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾: لحساب يوم و جزائه ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: في وقوعه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: كشأنهم، و أصل الدّأب: الكدح. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. ورد: «إنّها

١ـ التّوحيد: ٥٥، الباب: ٢، ذيل الحديث: ١٣؛ والعيّاشي ١: ١٦٣، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٠، الباب: ٢٨، الحديث: ٣٩.
٣ـ الكافي ١: ١٨، الحديث: ١٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام. والرّدى: الهلاك. لسان العرب ١٤: ٣١٦ (ردى).

نزلت حين حذّرهم النّبيّ ﷺ بمثل ما أُصيبوا به يوم بدر، فقالوا: يا محمّد لايغرّنّك أنّك لقيت قوماً أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، أما والله لو قاتلتنا[2] لعرفت أنّا نحن النّاس»[3]. و قد صدق الله وعده و غلب المشركون.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾: دلالة معجزة على صدق محمّد ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يوم بدر: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في دينه و طاعته؛ و هم الرّسول و أصحابه ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ و هم مشركوا مكّة ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: رؤية ظاهرة معاينة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: في التّقليل والتّكثير و غلبة القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾. قال: «القنطار ملاء مسك ثور ذهباً»[4].

أقول: والمقنطرة مأخوذة منه للتّأكيد.

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة أو المرعيّة. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ ممّا يستقذر من النّساء. ورد: «ما تلذّذ النّاس في الدّنيا والآخرة بلذّة أكبر[5] لهم من لذّة النّساء و هو قول الله عزّوجلّ: "زيّن للنّاس" الآية. ثمّ قال: و إنّ أهل الجنّة ما يتلذّذون بشيء من الجنّة أشهى عندهم من النّكاح، لا طعام و

١ـ رجلٌ غُمَر: من لم يجرّب الأمور. القاموس المحيط ٢: ١٠٧؛ ولسان العرب ٥: ٣١ (غمر).
٢ـ في المصدر: «إنّا والله لو قاتلناك».
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٣.
٤ـ المصدر ١: ٤١٧. المرويّ عن ابي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ في المصدر: «أكثر».

لاشراب»[١]. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ و هو اجلّ النّعم كما قال: "وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ"[٢] والجنّة أوسطها، و متاع الدّنيا أدناها. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قال: «المصلّين وقت السّحر»[٣]. و قال: «من استغفر سبعين مرّة في وقت السّحر فهو من أهل هذه الآية»[٤]. و ورد: «من قال في وتره إذا أوتر: "أستغفر الله و أتوب إليه" سبعين مرّة و هو قائم، فواظب على ذلك حتّى تمضي له سنة، كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار، و وجبت له المغفرة من الله تعالى»[٥].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: بيّن وحدانيّته لقوم بظهوره في كلّ شيء و تعرّفه ذاته في كلّ نور و فيء، و لقوم بنصب الدّلائل الدّالّة عليها، و لقوم بإنزال الآيات النّاطقة بها. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار ذاتاً لقوم، و فعلاً لقوم، و قولاً لقوم. ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بالإيمان، والعيان، والبيان شبه الظّهور، والإظهار في الانكشاف، والكشف بشهادة الشّاهد. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل. ورد: «إنّ أُولي العلم الأولياء[٦] والأوصياء وهم قيام بالقسط، والقسط: العدل»[٧]. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تاكيد و تمهيد لقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: لا دين مرضيّ عند الله سوى الإسلام، و هو

١ـ الكافي ٥: ٣٢١، الحديث: ١٠؛ والعيّاشي ١: ١٦٤، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ التّوبة (٩): ٧٢.
٣ و ٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الخصال ٢: ٥٨١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في المصدر: «الأنبياء».
٧ـ العيّاشي ١: ١٦٦، الحديث: ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «والقسط هو العدل في الظاهر، والعدل في الباطن أمير المؤمنين عليه السلام».

التّوحيد والتّدرّج بالشّرع. ورد: «إنّ الإسلام قبل الإيمان، و عليه يتوارثون و يتناكحون، والإيمان عليه يثابون»[١]. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإسلام ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأنّه حقّ ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً و طلباً للرّياسة، لا لشبهة فيه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ في الدّين و جادلوك فيه بعد ما أقمت لهم الحجج ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أخلصت نفسي و جملتي له لا أُشرك فيها غيره. عبّر عن النّفس بالوجه؛ لأنّه أشرف الأعضاء الظّاهرة و مظهر القوى والحواسّ. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾: و أسلم من اتّبعني ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: الّذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ كما أسلمت لما وضحت لكم الحجّة أم بعد على كفركم ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. وعد ووعيد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ إذ لم ينالوا بها المدح والثّناء، و لم يحقن دماؤهم و أموالهم، و لم يستحقّوا به الأجر والثّواب[٢] ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾. قيل: يريد به أحبار اليهود[٣]. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ و هو التّوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوّة نبيّنا أو في رجم الزّاني،

١ـ الكافي ١: ١٧٣، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّحيح: «لم تحقن دماؤهم و أموالهم و لم يستحقّوا بها الأجر والثّواب» كما في الصّافي.
٣ـ راجع: الكشّاف ١: ٤٢٠.

و قد اختلفوا فيه[1] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ بسبب تسهيلهم العقاب على أنفسهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾: ما تشاء من الملك ﴿مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ﴾: تسترد ما تشاء منه ﴿مِمَّن تَشَاءُ﴾ فالملك الأول عامّ، والآخران خاصّان. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: تنقص من اللّيل و تجعل ذلك النّقصان زيادة في النّهار، و تنقص من النّهار و تجعل ذلك النّقصان زيادة في اللّيل. ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ قال: «المؤمن من الكافر»[2]. ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال: «الكافر من المؤمن»[3]. ورد: «إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً و إنّ الميّت هو الكافر». ثمّ فسّر الآية بما ذكر[4]. ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهليّة أو نحوهما حتّى لا يكون حبّهم و بغضهم إلّا في الله، و قد كرّر ذلك في القرآن[5]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: ليس من ولايته في شيء ﴿إِلَّا أَن

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٢٤؛ والتّبيان ٢: ٤٢٥.
٢ و ٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٢٨، والرّواية مرويّة عن الصّادقين عليهما السّلام.
٤ـ معاني الأخبار: ٢٩٠، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «فانّ الميّت هو الكافر».
٥ـ راجع: النّساء (٤): ٨٩، ١٣٩ و ١٤٤؛ والمائده (٥): ٨٠؛ والتّوبه (٩): ٢٣؛ والممتحنة (٦٠): ١ و ٩.

تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: إلّا أن تخافوا من جهتهم خوفاً أو أمراً يجب أن يخاف منه. قال: «التّقيّة ترس الله بينه و بين خلقه»[1]. و قال: «لا إيمان لمن لا تقيّة له، ثمّ تلا هذه الآية»[2].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فلا تتعرّضوا لسخطه بمخالفة أحكامه و موالاة أعدائه.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية الكفّار و غيرها ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عمّا نهيتم عنه.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. كرّر ذلك للتّأكيد والتّذكير؛ ثمّ أشار إلى أنّه تعالى إنّما نهاهم و حذّرهم، رأفة بهم، ومراعاة لصلاحهم، و أنّه لذو مغفرة و ذو عقاب، ترجى رحمته و يخشى عذابه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. قيل: نزلت لمّا قالت اليهود: "نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"[3].

أقول: المحبّة من العبد ميل النّفس إلى الشّيء، لكمال ادركت فيه، بحيث تحملها على ما يقرّبها إليه؛ و من الله رضاه عن العبد، و كشفه الحجاب عن قلبه. والعبد إذا علم أنّ الكمال الحقيقي ليس إلّا لله، و أنّ كلّ ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله و إلى الله لم يكن حبّه إلّا لله و في الله؛ و ذلك يقتضي إرادة طاعته والرّغبة فيما يقرّبه إليه. فعلامة المحبّة إرادة الطّاعة والعبادة والاجتهاد البليغ في اتّباع من كان وسيلة له إلى

١ـ الكافي ٢: ٢٢٠، الحديث: ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٦٦، الحديث: ٢٤، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ١٣. والآية في سورة المائدة(٥): ١٨.

معرفة الله و محبّته ممّن كان عارفاً بالله محبّاً إيّاه محبوباً له؛ فإنّ مَنْ هذه صفاته، إنّما نال هذه الصّفات بالطّاعة على الوجه المخصوص، و هو رسول الله ﷺ و من يحذ و حذوه؛ فمن أحبّ الله فلابدّ له من اتّباع الرّسول في عبادته و سيرته و أخلاقه و أحواله حتّى يحبّه الله؛ إذ بذلك يحصل التّقرّب إلى الله، و بالتّقرّب يحصل محبّة الله تعالى إيّاه، كما قال سبحانه: «و إنّ العبد ليتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه»[1]. و أيضاً لمّا كان الرّسول حبيب الله فكلّ من يدّعي محبّة الله، لزمه محبّة الرّسول؛ لأنّ محبوب المحبوب محبوب، و محبّة الرّسول إنّما تكون بمتابعته و سلوك سبيله، قولاً و عملاً و خلقاً و حالاً و سيرةً و عقيدةً، ولا يتمشّى دعوى محبّة الله إلّا بهذا، فإنّه قطب المحبّة و مظهرها، فمن لم يكن له من متابعته نصيب لم يكن له من المحبّة نصيب؛ و من تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه و سرّه و قلبه و نفسه باطنَ الرّسول و سرّه و قلبه و نفسه، و هو مظهر محبّة الله، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التّابع قسط من محبّة الله بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقي الله محبّته عليه، و يسري من باطن روح الرّسول نور تلك المحبّة إليه؛ فيكون محبوباً لله محبّاً له. و من لم يتابعه يخالف باطنه باطن الرّسول، فبَعُدَ عن وصف المحبوبيّة، و زال[2] المحبّة عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبّه الله لم يكن محبّاً له، وفي حكم الرّسول من أمر الله والرّسول بحبّه و اتّباعه، و هم الائمّة الأوصياء عليهم السّلام.

قال: «من سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله و ليتّبعنا. الم تسمع قول الله تعالى لنبيّه: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰـهَ" الآية. واللهِ لا يطيع اللهَ عبد أبداً إلّا أدخل الله عليه في طاعته اتّباعنا، ولا واللهِ لا يتّبعنا عبد أبداً إلّا أحبّه الله، ولا واللهِ لا يدَع أحد اتّباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحدٌ أبداً إلّا عصى الله، و من مات عاصياً لله أخزاه الله و

١ـ الكافي ٢: ٣٥٢، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «بالنّافلة حتّى أُحبّه».
٢ـ كذا في جميع النُّسَخ، و لعلّ الصّواب: «و زوال المحبّة» كما في الصافي ١: ٣٠٤.

أكبّه [1] على وجهه في النّار» [2].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بالتّجاوز عمّا فرط منكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تحبّب إليه بطاعته و اتّباع نبيّه و من أمر باتّباعه.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾. يحتمل المضيّ والمضارع. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا يرضى عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾. ورد: «إنّه تلا هذه الآية فقال: نحن منهم و نحن بقيّة تلك العترة» [3]. و في رواية: «والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم و إنّ العترة الهادية لمن آل محمّد» [4]. ﴿وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قيل: موسى و هارون ابنا عمران بن يصهر، أو عيسى و أمّه بنت عمران بن ماثان. و بين العمرانين ألف و ثمانمائة سنة [5].

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ قال: «من نسل بعض» [6]. «لا يكون الذرّيّة من القوم إلّا نسلهم من أصلابهم» [7]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال النّاس ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ هي إمرأة عمران بن ماثان، أُمّ مريم البتول، جدّة عيسى. في رواية: «اسمها حنّة» [8]. و في أُخرى: «مرثا و قال: و هي وهيبة بالعربيّة» [9]. ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمة بيت المقدس، لا أشغله بشيء ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ما نذرته ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتي.

١ـ في «الف» و «ج»: «أكبّه».
٢ـ الكافي ٨: ٤٠٨، في ذيل رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.
٣ـ العيّاشي ١: ١٦٨، الحديث: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الأمالي (للصدوق): ١٣٤، المجلس الثلاثون، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٤؛ والكشّاف ١: ٤٢٤.
٦ـ التّبيان ٢: ٤٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع: العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٥ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٥٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ١: ٤٧٩، الحديث: ٤، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾. اعتراض، وهو قول الله؛ و على قراءة المتكلّم من كلامها، تسلية لنفسها، أي: و لعلّ لله فيه سرّاً أو الأُنثى [1] كان خيراً. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ من تتمّة كلامها. قال: «أوحى الله إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً سويّاً مباركاً، يبرىء الأكمه والأبرص، و يحيي الموتى بإذن الله، و جاعله رسولاً إلى بني إسرائيل؛ فحدّث عمران امرأته «حنّة» بذلك و هي أُمّ مريم، فلمّا حملت بها، كان حملها عند نفسها غلاماً، فلمّا وضعتها، قالت: "رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثىٰ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثىٰ": لا تكون البنت رسولاً، يقول الله عزّوجلّ "وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ". فلمّا وهب الله لمريم عيسى، كان هو الّذي بشّر به عمران ووعده إيّاه» [2].

و في رواية: «إنّ الأُنثى تحيض فتخرج من المسجد والمحرّر لا يخرج من المسجد» [3].

و في أُخرى: «نذرت ما في بطنها للكنيسة ان تخدم العباد و ليس الذكر كالأُنثى في الخدمة، قال: فشبّت و كانت تخدمهم و تناولهم حتّى بلغت، فأمر زكريّا أن يتّخذ لها حجاباً دون العباد» [4]. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ معناه: العابدة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أُجيرها بحفظك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: المطرود. روي: «ما من مولود يولد إلّا والشّيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّه إلّا مريم و ابنها» [5]. قيل: يعني أنّ الشّيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر من طمعه فيه إلّا مريم و ابنها؛ فإنّ الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة [6].

١ـ في «الف»: «والأُنثى».
٢ـ الكافي ١: ٥٣٥، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر، الحديث: ٣٨، عن أحدهما عليهما السّلام.
٥ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٣٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ ومسند احمد ٢: ٢٧٤.
٦ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٦.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ بإقامتها مقام الذّكر، و تسلّمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر و تصلح للسّدانة [1] ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: ربّاها بما يصلحها في جميع أحوالها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي الله. و إن خفّف، زكريّا [2]. قال: «فَسُوهم عليها فأصاب القرعة زكريّا و هو زوج أُختها» [3]. و في رواية: «ابن خالتها» [4]. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قال: «كفّلها و أدخلها المسجد فلمّا بلغت ما تبلغ النّساء من الطّمث [5] وكانت أجمل النّساء و كانت تصلّي فيضيء المحراب لنورها، فدخل عليها زكريّا، فإذا عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء، فقال: أنّى لك هذا؟! قالت هو من عند الله» [6]. و ورد نظير هذا في فاطمة عليهاالسّلام من طريقي العامّة والخاصّة جميعاً [7].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لمّا رأى كرامة مريم و منزلتها من الله. ورد: «إنّه قال في نفسه: إنّ الّذي يقدر أن يأتي مريم بفاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء لقادر أن يهب لي ولداً و إن كنت شيخاً و امرأتي عاقراً» [8]. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ

١ ـ سَدَنَ سَدْناً و سَدانةً: خدم الكعبة او بيت الصّنم. القاموس المحيط ٤: ٢٣٥؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٦٣ (سدن).
٢ ـ يعني: إن قرئ «كفّلها» بالتّشديد فالفاعل هو الله و «زكريّا» مفعول ثانٍ لكفّلها والمعنى: كفّل الله مريم زكريّا، و إن قرئ بالتّخفيف فالفاعل فيه هو زكريّا.
٣ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.
٤ ـ لم نعثر عليه.
٥ ـ الطّمث: المسّ والدّنس، و طمثت المراة: حاضت. القاموس المحيط ١: ١٧٦؛ و مجمع البيان ٢: ٢٥٨ (طمث).
٦ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.
٧ ـ راجع: العيّاشي ١: ١٧١، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ٢: ١٨٥ ـ ١٨٦.
٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٦٠.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعني بعيسى، كما يأتي في سورة مريم[1]. ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال: «رئيساً في طاعة الله على أهل طاعته»[2]. ﴿وَحَصُورًا﴾ قال: «لا يأتي النساء»[3]. ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: لا تلد ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: مثل خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: علامة اعرف بها الحمل لاستقبله بالشكر ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: لا تقدر على تكليمهم. قال: «لمّا نادته الملائكة بما نادته، أحبّ أن يعلم أنّ ذلك الصوت من الله، فاوحى إليه أنّ آية ذلك أن يمسك لسانه[4] عن الكلام ثلاثة أيّام؛ فلمّا أمسك لسانه و لم يتكلّم، علم أنّه لا يقدر على ذلك إلّا الله»[5]. ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إشارة. قال: «فكان يؤمي برأسه»[6]. ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ قيل: أي: في أيّام العجز عن التكلّم[7]. نبّه بذلك على انّ الغرض من حبس لسانه أن يخلص المدّة لذكر الله و شكره قضاءاً لحقّ النعمة، فكأنّه قال: آيتك أن تحبس لسانك إلّا عن الشكر. ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ قال: «من ذرّية الانبياء»[8] ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ قال: «من السفاح»[9]. ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «الولادة

١ـ الآية: ٧.
٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٦٠.
٤ـ في «الف»: «أن تمسك لسانك».
٥ـ العيّاشي ١: ١٧٢، الحديث، ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٤٤، عن أحدهما عليهما السلام.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والكشّاف ١: ٤٢٩.
٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والعيّاشي ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

عيسى من غير فحل»[١].

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾. قال: «يقرعون بها حين ايتمت من أبيها»[٢]. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ تنافساً في كفالتها.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. قال: «"كن" منه صنع، و ما يكون به، المصنوع»[٣]. و قد مرّ له مزيد بيان[٤].

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ في شريعة موسى ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾.

١ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٤٤٠ عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١ : ١٧٣، الحديث : ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام، و ليست فيه جملة : «يقرعون بها».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١ : ١٧٣ـ١٧٤، الباب : ١٢، ذيل الحديث : ١.
٤ـ في سورة البقره، ذيل الآية : ١١٧.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ قال: «لمّا سمع و رأى أنّهم يكفرون»[1]. ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: من أعواني إلى سبيله؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾. حواريّ الرّجل: خالصته. قال: «سمّوا بذلك لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم و مخلصين غيرهم من أوساخ الذّنوب بالوعظ والتّذكير»[2]: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي: الّذين أحسّ عيسى منهم الكفر من اليهود؛ بأن و كّلوا عليه من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ «حين رفع عيسى و ألقى شبهه على من قصد اغتياله حتّى قتل بدلاً منه». كما في رواية[3]. أو «على أحد من خواصّه ليقتل فيكون معه في درجته». كما في أخرى[4]. والمكر من حيث إنّه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرّة، لا يسند إلى الله تعالى إلّا على سبيل المقابلة والازدواج؛ أو بمعنى المجازاة، كما مرّ. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أقواهم مكراً و أنفذهم كيداً و أقدرهم على العقاب من حيث لا يحتسب المعاقب.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾: مستوفي أجلك و مؤخّرك إلى أجلك المسمّى، عاصماً إيّاك من قتلهم، أو قابضك من الارض، من توفّيت مالي، أو مميتك عن الشّهوات العايقة عن العروج إلى عالم الملكوت. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من سوء جوارهم ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يغلبونهم بالحجّة والسّيف ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعاً ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

١ـ القمّي ١: ١٠٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٠؛ و علل الشرايع ١: ٨٠، الباب: ٧٢، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٨، عن ابن عبّاس؛ و البيضاوي ٢: ٢١؛ والكشّاف ١: ٤٣٢.
٤ـ راجع: القمّي ١: ١٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ في أنّه خلق من غير أب، كما خلق آدم من التّراب من غير أب ولا أمّ. شبّه حاله بما هو أقرب، إفحاماً للخصم و قطعاً لموادّ الشّبه.

﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ اي: فكان في الحال.

﴿الْحَقُّ﴾: هو الحقّ ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ من النّصارى ﴿فِيهِ﴾: في عيسى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ أي: يدع كلّ منّا و منكم نفسه و أعزّة أهله و ألصقهم بقلبه إلى المباهلة، أي: الملاعنة والمتاركة.

ورد: «إنّهم دنوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة ان لا إله إلّا الله و أنّي رسول الله، و أنّ عيسى عبد مخلوق يأكل و يشرب و يُحْدث. قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي: قل لهم: ما تقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل و يشرب ويُحْدث و ينكح؟ فمن أبوه؟ فنزلت "إنَّ مَثَلَ عيسىٰ" الآيات. فقال لهم: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أُنزلت اللّعنة عليكم، و إن كنت كاذباً أُنزلت عليّ، فقالوا: أنصفت. فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: إن باهَلَنا بقومه، باهَلْناه فإنّه ليس بنبيّ، و إن باهَلَنا بأهل بيته خاصّة، فلا نباهله، فإنّه لا يقدم بأهل بيته إلّا و هو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ و معه أمير المؤمنين و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فقال النّصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: إنّ هذا ابن عمّه ووصيّه و ختنه، و هذه ابنته فاطمة، و هذان ابناه الحسن والحسين، ففرّقوا و قالوا:

نعطيك الرّضى، فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا»[1].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾. ردّ على النّصارى في تثليثهم.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: لا أحد سواه يساويه في القدرة التّامّة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهيّة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾. وعيد لهم. وضع المظهر موضع المضمر ليدلّ على أنّ التولّي عن الحجج، والإعراض عن التّوحيد إفساد للدّين و يؤدّي إلى إفساد النّفوس بل و إلى إفساد العالم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾: أن نوحّده بالعبادة و نخلص فيها ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: ولا نقول عُزَيْر ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التّحريم والتّحليل. ورد: إنّه قيل: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله. قال: «أليس كانوا يحلّون لكم و يحرّمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك»[2]. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن التّوحيد ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتكم الحجّة، فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم. و ما أحسن ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الإرشاد و حسن التّدرّج في الحِجاج. بيّن أولاً أحوال عيسى و ما تعاور عليه من الأطوار المنافية للإلهيّة، ثمّ ذكر ما يزيح شبهتهم. فلمّا رأى عنادهم و لجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثمّ لمّا أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد، عاد عليهم بالإرشاد و سلك طريقاً أسهل و ألزم، بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل و ساير الأنبياء والكتب. ثمّ لمّا لم يجد ذلك أيضاً عليهم، و علم أنّ الآيات والنّذر لا تغني عنهم، أعرض عن ذلك، و قال: "اشهدوا بأنّا مسلمون".

١ـ راجع: القمّي ١: ١٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٥٥؛ والبيضاوي ٢: ٢٣؛ والكشّاف ١: ٤٣٥، «روي عن عديّ بن حاتم أنّه قال: ماكنّا ...».

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾. تنازعت اليهود والنّصارى فيه، و زعم كلّ فريق أنّه منهم، فنزلت. والمعنى أنّ اليهوديّة والنّصرانيّة حدثّت بنزول التّوراة والإنجيل على موسى و عيسى، و كان إبراهيم قبلهما، فكيف يكون عليهما؟ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتدّعون المحال؟

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: أنتم هؤلاء الحمقى، و بيان حماقتكم أنّكم جادلتم فيما وجدتموه في أحد الكتابين، أو تدّعون أنّه فيه، فلم تجادلون فيما لا ذكر له فيه من دين إبراهيم؟ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ما حاججتم فيه من شأن إبراهيم و دينه ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فلا تتكلّموا فيه.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ﴾: مائلاً عن العقايد الزّايفة ﴿ مُسْلِمًا ﴾: منقاداً لله تعالى. قال: «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[1].

و في رواية: «لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب ولا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق، و لكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد»[2].

أقول: يعني كان يصلّي إلى الكعبة ما بين المشرق والمغرب و كان دينه موافقاً لدين محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. تعريض بأنّهم مشركون، و ردّ لادّعائهم أنّهم على ملّته.

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ ﴾: أقربهم ﴿ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ من اُمّته ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾. قال: «هم الأئمّة و من اتبعهم»[3]. ورد: «إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعملهم[4] بما جاؤوا به ثمّ تلا هذه الآية»[5]. ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾: يتولّى نصرتهم.

١ـ الكافي ١: ١٥، باب الإخلاص، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٧٧، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «أعلمهم».
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٥٨؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٤، الحكمة: ٩٦.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَـٰطِلِ﴾ بالتحريف ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نبوّة محمّد و نعته ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بما تكتمونه.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ قيل: أي اظهروا الإيمان بالقرآن أوّل النّهار [1]. ﴿وَاكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ظنّاً بأنّكم رجعتم لخلل ظهر لكم. و ورد: «يعنون القبلة حين استقبل رسول الله ﷺ المسجد الحرام صلاة الظّهر بعد ما صلّى الغداة مستقبلاً إلى بيت المقدس، يعني "لعلّهم يرجعون" إلى قبلتنا» [2].

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾. قيل: أي لا تصدّقوا ولا تقرّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الفضائل إلّا لأهل دينكم، ولا تؤمنوا بأن يحاجّوكم عند ربّكم، لأنّكم أصحّ ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجّة عليكم. و قوله: "قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هدى الله"، اعتراض من كلام الله [3]. و قيل فيه أقوال أُخر [4]. و هي من المتشابه الّذي لم يصل إلينا تأويله. ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾: الهداية والتوفيق منه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: تطالبه بالعنف ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّـۧنَ

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٠، عن الحسن و جماعة؛ والبيضاوي ٢: ٢٥.
٢ـ القمّي ١: ١٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣و٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦١؛ والكشّاف ١: ٤٣٧.

سَبِيلٌ﴾ اي: ليس علينا في شأن من ليس من[1] أهل الكتاب و لم يكن على ديننا عقاب وذمّ. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادّعائهم ذلك ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون، وذلك لأنّهم استحلّوا ظلم من خالفهم، و قالوا: لم يجعل لهم في التّوراة حرمة. ورد: «إنّه ﷺ لمّا قرأ هذه الآية قال: كذب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهليّة إلاّ و هو تحت قدمي إلاّ الأمانة، فإنّها مؤدّاة إلى البرّ والفاجر»[2].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ أيّ عهد كان ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله في ترك الخيانة والغدر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. في وضع الظّاهر موضع المضمر إشعار بأنّ التّقوى ملاك الأمر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرّسول، والوفاء بالأمانات ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾: و بما حلفوا به ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاع الدّنيا من الرّياسة و أخذ الرّشوة والذّهاب بمال أخيهم المسلم و نحو ذلك ﴿أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾: لا نصيب لهم ﴿فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: «بكلام خير»[3]. ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «لا يصيبهم بخير»[4]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[5]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: يفتلونها[6] بقراءته فيميلونها عن المنزّل إلى المحرّف. ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. تأكيد و تسجيل عليهم بالكذب على الله.

١ـ في «ج»: «من ليس أهل الكتاب».
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٣؛ والدّرّ المنثور ٢: ٢٤٤؛ والبيضاوي ٢: ٢٦.
٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦.
٤ـ التّوحيد: ٢٦٥، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦.
٦ـ يفتلونها: يصرفونها. مجمع البحرين ٥: ٤٣٩؛ و لسان العرب ١١: ٥١٤ (فتل).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ : والحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ . روي : «أنّه قيل للنبيّ ﷺ : أتريد أن نعبدك ونتّخذك ربّاً؟ فقال : معاذ الله أن يعبد غير الله و أن نأمر بعبادة غير الله [1] ، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني ، فنزلت» [2] . ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ : و لكن يقول : كونوا ربّانيين أي : الكاملين في العلم والعمل ؛ منسوب إلى الرّبّ . ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ : بسبب التّعليم والدّراسة . عن النّبيّ ﷺ : «لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً ، و تلا هذه الآية» [3] .

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ . القمّي : كان قوم يعبدون الملائكة ، و قوم من النّصارى زعموا أنّ عيسى ربّ ، واليهود قالوا : عزيربن الله فقال الله : "ولا يأمركم" الآية [4] .

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ قال : «ميثاق أُمم النّبيّين كلّ أُمّة بتصديق نبيّها والعمل بما جاءهم به فما وفوا به و تركوه» [5] . و في رواية : «أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا عليه و عليهم السّلام أن يخبروا أُممهم بمبعثه و نعته ، و يبشّروهم به ، ويأمروهم بتصديقه» [6] . و في أُخرى : «لم يبعث الله نبيّا ، آدم و من بعده ، إلّا أخذ عليه العهد : لئن بعث الله محمّداً و هو حيّ ليؤمننّ به و لينصرنّه ، و أمره أن يأخذ العهد بذلك

١ـ في «ب» و «ج» : «و أن نأمر بغير عبادة الله» .
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٤٦٦ ؛ والبيضاوي ٢ : ٢٧ «روي عن ابي رافع القُرَظي من اليهود ، و رئيس وفد نجران ، أنّهما قالا للنبيّ ... » .
٣ـ عيون اخبار الرّضا ؈ ٢ : ٢٠١ ، الباب : ٤٦ ، الحديث : ١ .
٤ـ القمّي ١ : ١٠٦ .
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٤٦٨ ، عن ابي عبدالله ؈ ، مع اختلاف يسير في العبارة .
٦ـ المصدر ، عن أمير المؤمنين ؈ ، و عن ابن عبّاس و قتادة .

على قومه»[١]. و في أُخرى: «ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلّا و يرجع إلى الدّنيا و ينصر أمير المؤمنين و هو قوله: "لتؤمننّ به" يعني رسول الله ﷺ "و لتنصرنّه" يعني أمير المؤمنين عليه السلام»[٢]. ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «ثمّ قال لهم في الدّنيا أقررتم؟»[٣]. ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ قال: أي: عهدي»[٤]. ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ قال: «قال الله للملائكة: "فاشهدوا"»[٥]. و في رواية: «قال الأنبياء و أُممهم: أقررنا بما أمرتنا بالإقرار به. قال الله: فاشهدوا بذلك على أُممكم»[٦]. ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال: «عليكم و على أُممكم».

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق والتّأكيد ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرّدون.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾. قال: «هو توحيدهم لله عزّوجلّ»[٧]. و في رواية: «معناه أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين»[٨]. قال: «و كرهاً أي: فرقاً من السّيف»[٩].

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتّصديق والتّكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، مخلصون في عبادته.

١ـ الدّرّ المنثور ٢: ٢٥٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٨، عن عليّ عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٠٦؛ والعيّاشي ١: ١٨١، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله، مع تفاوت في العبارة.
٣ـ القمّي ١: ١٠٦، و فيه: «في الذّرّ» بدل «في الدّنيا».
٤و٥ـ المصدر: ١٠٧.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ٤٦، الباب: ٢، الحديث: ٤؛ والعيّاشي ١: ١٨٣، ذيل الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. في «الف»: «و جاءوا أقوام» و لكنّ الصّحيح ما أثبتناه كما في المصدر.
٩ـ المصدر عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ١٠٧.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ أي: غير التّوحيد والانقياد لحكم الله ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ بإبطاله الفطرة السّليمة الّتي فطر عليها.

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا ﴾. عطف على معنى الفعل في "إيمانهم". ﴿ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يتفضّل عليهم.

«نزلت الآيات في أنصاريّ قتل رجلاً غدراً و هرب، و ارتدّ عن الإسلام و لحق بمكّة ثم ندم، فسأل هل لي من توبة؟». كذا ورد[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ﴾ كاليهود، كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثمّ ازدادوا كفراً بمحمّد ﷺ ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾: ما يملأ الأرض من الذّهب ﴿ وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾: نفسه من العذاب ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾.

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ ﴾: لن تبلغوا حقيقته ولا تكونوا أبراراً ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾: من المال والجاه والمهجة و غيرها في طاعة الله. و في قراءة الصّادق عليه السلام: "ما تحبّون". قال: «هكذا فاقرأها»[2]. ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ ﴾ يعني[3]: يعقوب ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾. قال: «و هو لحم الإبل كان إذا أكل هيّج عليه وجع

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٩ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة «يعني».

الخاصرة فحرّمه على نفسه، و ذلك قبل أن تنزّل التّوراة، فلمّا نزّلت التّوراة لم يحرّمه و لم يأكله»[١].

أقول: يعني موسى عليه السلام. قيل: يعني إنّ المطاعم كلّها لم تزل حلالاً لهم من قبل إنزالها و تحريم ما حرّم فيها بظلم اليهود و بغيهم. و هذا ردّ على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم ممّا نطق به القرآن من تحريم الطّيّبات عليهم لبغيهم و ظلمهم في قوله: "ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ"[٢] و قوله "فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ"[٣] فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه، و قد كانت محرّمة على نوح و ابراهيم و من بعده من بني إسرائيل إلى أن انتهى التّحريم إلينا فكذّبهم الله[٤].

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. أمر بمحاجّتهم بكتابهم و تبكيتهم بما فيه حتّى يتبيّن أنّه تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما زعموا، فلم يجسروا على إخراج التّوراة و بهتوا[٥].

﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾: من بعد ما لزمهم الحجّة ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم، لمكابرتهم الحقّ بعد وضوحه.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾. تعريض بكذبهم، أي: ثبت أنّ الله صادق فيما أنزله و أنتم الكاذبون. ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ و هي ملّة الإسلام الّتي عليها محمّد و من آمن معه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. تبرئة له ممّا كان ينسبه اليهود والمشركون إليه من كونه على دينهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ليكون متعبّداً لهم ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يعني الكعبة: قال:

١ـ الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ والعيّاشي ١: ١٨٤، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الأنعام (٦): ١٤٦.
٣ـ النّساء (٤): ١٦٠.
٤و٥ـ الكشّاف ١: ٤٤٥ـ٤٤٦؛ والبيضاوي ٢: ٣١.

«إنّ موضع البيت بكّة، والقرية مكّة»[١]. و ورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرّياح فضربن متن الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، و هو قول الله عزّوجلّ: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ" الآية»[٢]. ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير والنّفع لمن حجّه و اعتمره واعتكف عنده، و طاف حوله، و قصد نحوه من مضاعفة الثّواب و تكفير الذّنوب و نفي الفقر و كثرة الرّزق.

﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنّه قبلتهم و متعبّدهم.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كقهره لمن تعرّض له من الجبابرة بسوء كأصحاب الفيل ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: منها مقام إبراهيم. ورد: إنّه سئل ما هذه الآيات البيّنات؟ فقال: «مقام إبراهيم حيث قام على الحجر، فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، و منزل إسماعيل»[٣].

أقول: أمّا كون المقام آية، فلما ذُكر، و لارتفاعه بإبراهيم عليه السلام حتّى كان أطول من الجبال، كما يأتي ذكره في سورة الحجّ إن شاء الله؛ و أمّا كون الحجر الأسود آية، فلتنطّقه لبعض الأنبياء والأوصياء كآدم والسّجّاد عليهما السّلام على ما ورد[٤]، و لعدم إطاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه؛ و أمّا كون منزل إسماعيل آية، فلأنّه أُنزل به، و كان بلا ماء، فنبع له الماء؛ و إنّما خصّ المقام بالذّكر في القرآن و طوى ذكر غيره، لأنّه أظهر آياته اليوم للنّاس.

﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من

١ـ علل الشّرايع ٢: ٣٩٧، الباب: ١٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٥٦، الحديث: ٦٧٠؛ والكافي ٤: ١٨٩، الحديث: ٧؛ والعيّاشي ١: ١٨٦، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٤: ٢٢٣، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٧، الحديث: ٩٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ راجع: الكافي ١: ٣٤٨، الحديث: ٥؛ و علل الشّرايع ٢: ٤٢٩، الباب: ١٦٤، الحديث: ١؛ الخرايج والجرايح: ١٩٤؛ والبحار ٤٦: ٢٢و٢٩ الحديث: ٢٠، و ١١١، الحديث: ٢.

سخط الله، و من دخله من الوحش أو الطّير كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[1]. و في رواية: «من دخله و هو عارف بحقّنا كما هو عارف به، خرج من ذنوبه و كفي[2] همّ الدنيا والآخرة»[3]. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: «يعني به الحجّ والعمرة جميعاً، لأنّهما مفروضان»[4]. ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: «يعني أن يكون له ما يحجّ»[5]. و في رواية: «من كان صحيحاً في بدنه، مخلّى سربه، له زاد و راحلة فهو ممّن يستطيع الحجّ»[6]. و في أُخرى: «السّعة في المال، يحجّ ببعض و يبقي بعضاً يقوت به عياله»[7]. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «يعني من ترك»[8]. و في رواية: «هو كفر النّعم»[9]. و في أُخرى: «تارك الحجّ و هو مستطيع كافر»[10]. و في أُخرى: «من مات و لم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً»[11].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه الحقّ المأمور بسلوكه ﴿مَنْ

١ـ الكافي ٤: ٢٢٦، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٩، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ج»: «كفي به».
٣ـ العيّاشي ١: ١٩٠، الحديث: ١٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «كما هو عارف له ...».
٤ـ الكافي ٤: ٢٦٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٢٦٦، الحديث: ١؛ والتوحيد «للصدوق»: ٣٥٠، الباب: ٥٦، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١١، و فيه: «فهو مستطيع للحجّ»؛ والكافي ٤: ٢٦٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ التّهذيب ٥: ١٨، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٦٦، ذيل الحديث: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
١١ـ الكافي ٤: ٢٦٨، الحديث: ١؛ والتّهذيب ٥: ١٧، الحديث: ٤٩، و٤٦٢، الحديث: ١٦١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ءَامَنَ﴾. قيل: كانوا يفتنون المؤمنين و يحرّشون[١] بينهم حتّى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهليّة، من التّعادي والتّحارب، ليعودوا لمثله، و يحتالون لصدّهم عنه[٢]. ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: طالبين لها اعوجاجاً ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أنّها سبيل الله، أو عدول عند أهل ملّتكم يثقون بأقوالكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخيانة والحيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾. قيل: نزلت في نفر من الأوس والخزرج، أغرى بينهم يهوديّ و ذكرهم محارباتهم بينهم في الجاهليّة، فتفاخروا و تغاضبوا بعد تألّفهم و اجتماعهم[٣].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: «بأن يطاع ولا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر»[٤]. و في رواية: «إنّها منسوخة بقوله تعالى: "إتّقوا اللّه ما استطعتم"»[٥]. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام بالتّشديد[٦]. قال: «مسلّمون لرسول الله ﷺ ثمّ الإمام من بعده»[٧]. و في رواية: «مستسلمون لما أتى به النّبيّ منقادون له»[٨].

١ـ التّحريش: الإغراء بين القوم والكلاب و تهييج بعضها على بعض. مجمع البحرين ٤: ١٣٣؛ و لسان العرب ٦: ٢٧٩ (حرش).
٢ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٤٩.
٣ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٥٨.
٤ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٠؛ و معاني الأخبار: ٢٤٠، باب معنى اتّقاء الله حقّ تقاته، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢١؛ والقمّي ١: ١٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة التّغابن (٦٤): ١٦.
٦و٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٩، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ القمّي: الحبل: التّوحيد والولاية[1]. و في رواية: «آل محمّد حبل الله المتين الّذي أمر الله بالاعتصام به، فقال: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا"»[2]. و في أُخرى: «نحن الحبل»[3]. و في أُخرى: «حبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام و ذلك قول الله: "إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم"»[4].

أقول: مآل الكلّ واحد، كما يدلّ عليه حديث: «حبلين ممدودين، و أنّهما لن يفترقا»[5].

﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: ولا تتفرّقوا عن الحقّ بإيقاع الاختلاف بينكم. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى علم أنّهم سيفترقون بعد نبيّهم و يختلفون، فنهاهم عن التّفرّق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد ﷺ»[6].

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الجاهليّة ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ متحابّين في الله ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾: مشفين[7] على الوقوع في نار جهنّم لكفركم ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ قال: «بمحمّد، هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد»[8]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ اهتداءً بعد اهتداء.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

١ـ القمّي ١: ١٠٨.
٢ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٣ عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الأمالي (للشيخ الطّوسي) ١: ٢٧٨، الجزء العاشر؛ والبحار ٢٤: ٨٤، الحديث: ٣و٥؛ و مناقب آل أبي طالب ٣: ٧٥ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ معاني الأخبار: ١٣٢، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهماالسّلام. والآية في سورة الإسراء (١٧): ٩.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ١٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة: «ولا يتفرّقوا» في آخرها.
٧ـ شفا ـ بالقصر ـ: طرف الشيء و جانبه، يقال: «شفا جرف»، «شفابئر» و «شفاواد». و مشفين أي: مشرفين. و منه: أشفى المريض على الموت. مجمع البحرين ١: ٢٤٧ (شفا)؛ و لسان العرب ١٤: ٤٣٦ (شفي).
٨ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. قال: «هذه خاصّ غير عامّ. كما قال الله: "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[۱]. و لم يقل: على أُمّة موسى. قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضَّعَفَة الّذين لا يهتدون سبيلاً إلى أيّ من أيّ. و قال: و ليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج، إذا كان لا قوّة له ولا عُدَد ولا طاعة»[۲]. و في رواية: «فهذه لآل محمّد و من تابعهم»[۳]. و في أخرى: «إنّما يؤمر بالمعروف و يُنهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ، أو جاهل فيتعلّم؛ فأمّا صاحب سوط و سيف فلا»[٤]. و ورد: «لا يزال النّاس بخير ما أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و تعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، و سلّط بعضهم على بعض، و لم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء»[٥].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: فيقال لهم: اكفرتم؟ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. قال: «هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه الأمّة»[٦].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

۱ـ الاعراف (۷): ۱٥۹.
۲ـ الكافي ٥: ٥۹، الحديث: ۱٦ عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة.
۳ـ القمّي ۱: ۱۰۹، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٥: ٦۰، الحديث: ۲ عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «و أمّا صاحب سوط أو سيف فلا».
٥ـ التهذيب ٦: ۱۸۱، الحديث: ۳۷۳، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ـ مجمع البيان ۱ـ۲: ٤۸٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و ليست فيه: «الآراء الباطلة».

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. الكون فيها يعمّ الأزمنة[1]. ورد: «إنّها نزلت خير أئمّة»[2]. و في رواية: «أنتم خير أُمّة - بالألف - نزل بها جبرئيل، و ما عني بها إلاّ محمّداً و عليّاً والأوصياء من ولده»[3]. ﴿أُخْرِجَتْ﴾: اظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً بالله و تصديقاً به و إظهاراً لدينه ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون في الكفر.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: ضرراً يسيراً كطعن و تهديد ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾: ينهزموا ولا يضرّوكم بقتل و أسر ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا احد يدفع بأسكم عنهم و كان الأمر كذلك.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾: وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾. قال: «الحبل من الله كتاب الله، والحبل من النّاس عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[4]. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين له ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. قال: «والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم، و لكنّهم سمعوا احاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقُتلوا، فصار قتلاً و اعتداءاً و معصيةً»[5].

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ في دينهم ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ على الحقّ و هم الّذين اسلموا منهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يعني يتلونها في تهجّدهم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ

١ـ في «ج»: «جميع الأزمنة».
٢ ـ العيّاشي ١: ١٩٥، الحديث: ١٢٨؛ والقمّي ١: ١١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المناقب (لابن شهر آشوب) ٤: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣١؛ و تفسير فرات الكوفي: ٩٢، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٢: ٣٧١، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في العيّاشي: «و ما ضربوهم بأيديهم و لاقتلوهم بأسيافهم».

﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾. وصفهم بصفات ليست في اليهود. ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾: فلن يضيع ولا ينقص ثوابه. سمّى ذلك كفراً كما سمّى توفية الثّواب شكراً. ورد: «إنّ المؤمن مكفّر، و ذلك أنّ معروفه يصعد إلى الله فلا ينتشر في النّاس، والكافر مشكور[١]، و ذلك أنّ معروفه للنّاس ينتشر في النّاس ولا يصعد إلى السّماء»[٢]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ بشارة لهم و إشعار بأنّ التّقوى مبدأ الخير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ عقوبة لهم. شبّه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفّار ضربته برد شديد من سخط الله، فاستأصلته و لم يبق[٣] لهم فيه منفعة في الدّنيا ولا في الآخرة. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: المنفقين بضياع نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمّا لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾: وليجة[٤]، و هو الّذي يعرّفه الرّجل أسراره ثقة به. شبّه ببطانة الثّوب، كما يشبّه بالشّعار. ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾: تمنّوا عنتكم، و هو شدّة الضّرر و المشقّة ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: من كلامهم، لأنّهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ممّا بدا ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١ـ الكافي: «مشهور» بدل: «مشكور».
٢ـ علل الشّرايع ٢: ٥٦٠، الباب: ٣٥٣، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في: «الف»: «لم تبق».
٤ـ وليجة الرّجل: بطانته و دخلاؤه و خاصّته و ما يتّخذه معتمداً عليه. مجمع البحرين ٢: ٣٣٥؛ و لسان العرب ٢: ٤٠٠ (ولج).

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ ﴾ الخاطئون في موالاة الكفّار ﴿ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ كتابكم و كتابهم، و هم لا يؤمنون بكتابكم. فيه توبيخ بأنّهم في باطلهم أصلب منكم في حقّكم. ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ نفاقاً و تغديراً ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ تأسّفاً و تحسّراً، حيث رأوا إيتلافكم و اجتماع كلمتكم و لم يجدوا إلى التّشفّي سبيلاً. ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ ﴾: نعمة من ألفة[1] أو ظفر على الأعداء ﴿ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ ﴾: محنة ﴿ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ ﴾ على عداوتهم ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ موالاتهم و مخالطتهم ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ لما وعد الله الصّابرين والمتّقين من الحفظ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾.

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ ﴾: واذكر إذ غدوت ﴿ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: تهيّىء لهم ﴿ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾: مواقف و أماكن له ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنيّاتكم.

«كان ذلك في غزوة أُحد حين خرجت قريش من مكّة يريدون حربه فخرج يبتغي موضعاً للقتال، و كان عبّأ[2] أصحابه، و كانوا سبعماة رجل، فوضع «عبدالله بن جبير» في خمسين من الرّماة على باب الشّعب[3]، و أشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان، فقال لهم: لا تبرحوا من هذا المكان و الزموا مراكزكم. فلمّا انهزمت قريش و وقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم ينهبون[4]، قال أصحاب «عبدالله بن جبير» لعبد الله:

١ـ في «الف»: «من الله».
٢ـ عبّأ المتاع والأمر: هيّأه، والجيش: جهّزه. القاموس المحيط ١: ٢٣؛ و لسان العرب ١: ١١٨ (عبا).
٣ـ الشّعب ـ بكسر الشّين ـ: الطّريق في الجبل و مسيل الماء في بطن أرض او ما انفرج بين الجبلين. القاموس المحيط ١: ٩١؛ و مجمع البحرين ٢: ٩٠؛ و لسان العرب ١: ٤٩٩ (شعب).
٤ـ السّواد: الشّخص والمال الكثير. «مجمع البحرين ٣: ٧٢؛ و لسان العرب ٣: ٢٢٥». والنّهب: الغنيمة. و نَهَبَ النَّهْبَ: أخذه. «مجمع البحرين ٢: ١٧٨؛ و لسان العرب ١: ٧٧٣». والمعنى أنّ أصحاب عبدالله بن جبير لمّا نظروا إلى أصحاب رسول الله يأخذون الأموال الكثيرة المتروكة في ساحة القتال من المشركين قالوا لعبد الله: قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة.

قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة. فقال لهم: اتّقوا الله فإنّ رسول الله قد تقدّم إلينا الّا نبرح، فلم يقبلوا منه و أقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم، و بقي «عبدالله» في اثني عشر رجلاً، فانحطّ[1] «خالد بن الوليد» و فرّق أصحابه و بقي في نفر قليل، فقتلهم على باب الشّعب، و أتى المسلمين من أدبارهم، فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة، فكشف رسول الله البيضة عن رأسه و قال: إليّ أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله و عن رسوله؟ و لم يبق معه إلّا أبو دُجانة و عليّ عليه السلام، فلم يزل عليّ يقاتلهم حتّى أصابه في وجهه و رأسه و يديه و بطنه و رجليه سبعون جراحة». كذا ورد[2].

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: أن تجبُنا و تضعفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فليعتمدوا عليه في الكفاية.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ هو ما بين مكّة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. قال: «و ما كانوا أذلّة، وفيهم رسول الله و إنّما نزل و أنتم ضعفاء»[3]. و في رواية: «ليس هكذا أنزلها الله، إنّما أُنزلت و أنتم قليل»[4].

أقول: لعلّ المراد أنّها نزلت بهذا المعنى. و ورد: «إنّ عدّتهم كانت ثلثماة و ثلاثة عشر»[5].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الثّبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما انعم به عليكم.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

١ـ حطَطتُ الرَّحْلَ: انزلته من علوّ إلى سفل، و منه «فانحطّ الرّجل و هو قائم في صلاته. مجمع البحرين ٤: ٢٤٢؛ و لسان العرب ٧: ٢٧٣ (حطط).

٢ـ القمّي ١: ١١٤ ـ ١١٦؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٥، عن ابي عبدالله عليه السلام. و في القمّي: «تسعون جراحة».

٣ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٥؛ والقمّي ١: ١٢٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٣ و ١٣٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ـ راجع: الغيبة (للنّعماني): ٣١٥؛ والدّرّ المنثور ٢: ٣٠٧؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨؛ والقمّي ١: ٢٥٧.

﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم ﴾ أي: المشركون ﴿ مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾: من ساعتهم هذه ﴿ يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾: معلّمين. من التّسويم بمعنى إظهار سيماء الشّيء. قال: «كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر»[1].

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: الإمداد ﴿ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ ﴾ بالنّصر ﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لا من العُدَّة والعدَّة ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ الّذي لا يغالب ﴿ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ الّذي ينصر و يخذل على مقتضى الحكمة.

﴿ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾: لينتقص منهم بقتل بعض و أسر بعض. ورد: «إنّه قتل منهم يوم بدر سبعون من صناديدهم و أُسر سبعون»[2]. ﴿ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ ﴾: أو يخزيهم. والكبت شدّة غيظ أو وهن يقع في القلب. ﴿ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾: فينهزموا منقطعي الآمال.

﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ اعتراض[3] ﴿ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ إن أسلموا ﴿ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ ﴾ إن أصرّوا ﴿ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾: قد استحقّوا التّعذيب بظلمهم. ورد: «إنّه لمّا أخبر الله نبيّه ﷺ أن يظهر ولاية عليّ عليه السلام ففكّر في عداوة قومه له فيما فضّله الله به عليهم في جميع خصاله، و حسدهم له عليها، ضاق عن ذلك، فأخبر الله أنّه ليس له من هذا الأمر شيء، إنّما الأمر فيه إلى الله أن يصيّر عليّاً وصيّه و وليّ الأمر بعده، فهذا عنى الله، و كيف لا يكون له من الأمر شيء و قد فوّض الله إليه أن جعل ما أحلّ فهو حلال، و ما حرّم فهو حرام، قوله: "ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما

١ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ راجع: القمّي ١: ٢٦٧؛ والعيّاشي ١: ٢٠٥ الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ لعلّ المراد أنّه اعتراض بين الكلامين فيكون قوله: «أو يتوب عليهم» متّصل بقوله: «ليقطع طرفاً»، فيكون التّقدير: ليقطع طرفاً منهم، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذّبهم؛ فإنّهم قد استحقّوا العذاب، و ليس لك أي ليس لك من هذه الأربعة شيء، و ذالك إلى الله تعالى. «مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٠ـ٥٠١؛ والبيضاوي ٢: ٤٢».

نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» [١]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «ليس لك من الأمر شيء إن يتب عليهم أو يعذّبهم» [٢]. و في أُخرى: «أن تتوب عليهم أو تعذّبهم» [٣]. بالتّاء فيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾. قيل: كان رجل منهم يربي إلى اجل، ثمّ يزيد فيه إلى آخر حتّى يستغرق بقليله مال المديون [٤]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهيتم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال: «إلى أداء الفرائض» [٥]. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: «إذا وضعتا مبسوطتين». كذا ورد [٦]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. قال: «فإنّكم لن تنالوها إلاّ بالتّقوىٰ» [٧].

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: في أحوالهم جميعاً ما تيسّر لهم من قليل أو كثير ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: سيّئة بالغة في القبح كالزّنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب أعظم من الزّنا ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: تذكّروا وعيده

١ـ العيّاشي ١: ١٩٧، الحديث: ١٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الحشر (٥٩): ٧.
٢و٣ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤١ عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٤٦٣؛ والبيضاوي ٢: ٤٢.
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث: ١٠ (حديث اربعمائة) عن أبي عبدالله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.

وحقّه العظيم ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالنّدم والتّوبة ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. استفهام بمعنى النّفي معترض، لينبّه بسعة رحمته و عموم مغفرته. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾: و لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين. قال: «الإصرار أن يذنب الذّنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة»[1]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: عالمين به.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. ورد: «إنّها نزلت في نبّاش زنى بميّتة ثمّ ندم، فأتى بعض جبال المدينة فتعبّد فيها و لبس مِسْحاً[2] و غلّ يديه جميعاً إلى عنقه ينادي ربّه و يبكي و يحثّ التّراب على رأسه، و قد أحاطت به السّباع و صفّت فوقه الطّير و هم يبكون لبكائه أربعين يوماً»[3]. هذا ملخّص القصّة.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: وقايع سنّها الله تعالى في الأمم المكذّبة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «انظروا في القرآن»[4]. ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال: «يعني ما أخبركم عنه»[5].

﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ عامّة ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خاصّة.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: و لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم أُحُد ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على من قتل منكم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ فإنّكم على الحقّ، و قتالكم لله، و قتلاكم في الجنّة. و إنّهم على الباطل، و قتالهم للشّيطان، و قتلاهم في النّار. و إنّكم أصبتم منهم يوم بدر

١ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٤؛ والكافي ٢: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة: «فذلك الإصرار» في آخرها.
٢ـ المِسْح: الكساء من شعر؛ ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشّفاً و قهراً للجسد؛ البلاس يقعد عليه. المنجد في اللغة: ٧٦٠ (مسح).
٣ـ الأمالي (للصّدوق): ٤٦، المجلس الحادي عشر، الحديث: ٣؛ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤و٥ـ الكافي ٨: ٢٤٩، الحديث: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أكثر [١] ممّا أصابوا منكم اليوم. و إنّكم منصورون في العاقبة غالبون. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾: إن صحّ إيمانكم.

﴿إن يمسسكم قرح﴾ ـ بالفتح والضمّ ـ لغتان. و قيل: بالفتح الجراح و بالضمّ ألمها[٢]. ﴿فقد مسّ القوم قرح مثله﴾ يعني إن أصابوا منكم، فقد أصبتم منهم ﴿و تلك الأيّام﴾: أوقات النّصر والغلبة ﴿نداولها بين النّاس﴾: نصرّفها بينهم، نديل لهؤلاء تارة و لهؤلاء أُخرى ﴿و ليعلم الله الّذين آمنوا﴾ أي: ليكون كيت و كيت من المصالح، و ليتميّز الثّابتون على الإيمان من الّذين على حرف، و يعلم الله ذلك حين يشاهده النّاس كما يعلمه من قبل و من بعد. ﴿و يتّخذ منكم شهداء﴾: و يكرم ناساً منكم بالشّهادة ﴿و الله لا يحبّ الظّالمين﴾. اعتراض، فيه تنبيه على أنّه لا ينصرهم على الحقيقة و إنّما يديل لهم أحياناً استدراجاً لهم و ابتلاءً للمؤمنين.

﴿و ليمحّص الله الّذين آمنوا﴾: ليطهّرهم و يصفّيهم من الذّنوب إن كانت الدّولة عليهم. ﴿و يمحق الكافرين﴾: و يهلكهم إن كانت عليهم. والمحق: نقص الشّيء قليلاً قليلاً.

﴿أم حسبتم﴾. إنكار، يعني لا تحسبوا ﴿أن تدخلوا الجنّة و لمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم و يعلم الصّابرين﴾: و لمّا يجاهد من يجاهد و يصبر من يصبر.

﴿و لقد كنتم تمنّون الموت﴾ للشّهادة [٣] ﴿من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه و أنتم تنظرون﴾: معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم. ورد: «إنّ المؤمنين لمّا

١ـ في «الف»: «أكبر».
٢ـ التّبيان ٢: ٦٠٠؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٨؛ والكشّاف ١: ٤٦٥.
٣ـ في «ب» و «ج»: «بالشّهادة».

أخبرهم الله بما فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنّة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللّهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه. فأراهم الله إيّاه يوم أُحُد، فلم يثبتوا إلّا من شاء الله منهم، فذلك قوله: "وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ" الآية»[١].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾: ارتددتم عن الدّين. قيل: كان سبب ارتدادهم و انهزامهم نداء إبليس فيهم أنّ محمّداً قد قُتِلَ[٢]، و كان ﷺ في زحام النّاس، و كانوا لا يرونه. ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بارتداده بل يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ كأمير المؤمنين و من يحذو حذوه عليهم السّلام. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ تلا هذه الآية في خطبة الغدير، ثمّ قال: ألا و إنّ عليّاً هو الموصوف بالصّبر والشّكر، ثمّ من بعده ولدي من صلبه»[٣].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: كتب كتاباً موقّتاً لا يتقدّم ولا يتأخّر ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: تعريض بمن شغلته الغنائم يوم أُحُد، و كان ذلك سبب انهزام المسلمين. ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ﴾: و كم من نبيّ ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾: ربانيّون علماء أتقياء، و في قراءتهم عليهم السّلام: «قُتِلَ مَعَهُ»[٤]. ﴿كَثِيرٌ﴾ قال: «ألوف و ألوف، ثمّ قال: أي والله يقتلون»[٥]. ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾ في الدّين و عن العدوّ ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾: و ما خضعوا للعدوّ، و هو تعريض بما أصابهم عند

١ـ القمّي ١: ١١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٣؛ والبيضاوي ٢: ٤٦.
٣ـ الاحتجاج ١: ٧٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤و٥ـ العيّاشي ١: ٢٠١، الحديث: ١٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الإرجاف[١] بقتله ﷺ. قال: «بيّن الله سبحانه أنّه لو كان قتل ﷺ كما أُرجف بذلك يوم أُحُد، لما أوجب ذلك ان يضعفوا أو يهنوا، كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم»[٢].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فينصرهم في العاقبة و يعظّم قدرهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ مع ثباتهم و قوّتهم في الدّين و كونهم ربّانيّين ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. أضافوا الذّنوب والإسراف إلى أنفسهم هضماً لها، و إضافةً لما أصابهم إلى سوء أعمالهم، واستغفروا عنها ثمّ طلبوا التّثبيت في مواطن الحرب والنّصر على العدوّ، ليكون عن خضوع و طهارة فيكون أقرب إلى الإجابة.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: النّصر والغنيمة و حسن الذّكر في الدّنيا، والجنّة والنّعيم في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾. قال: «نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أُحُد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وارجعوا إلى دينهم»[٣].

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾. قيل: هو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُد حتّى تركوا القتال و رجعوا من غير سبب[٤]. و ورد:

١ـ رَجَفَ: حرك و تحرك واضطرب شديداً، و رجفت الارض: زُلزِلَتْ كارجفت، والقوم: تهيّؤا للحرب. القاموس المحيط ٣: ١٤٧ (رجف).
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٥١٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٤٧٠؛ والبيضاوي ٢: ٤٧.

«نصرت بالرّعب مسيرة شهر»[1]. ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ أي: آلهة ليس على إشراكها حجّة نازلة من الله عليهم. أُريد نفي الحجّة و نزولها جميعاً. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ أي: وعده إيّاهم بالنّصر بشرط التقوى و الصّبر؛ و كان كذلك حتّى خالفوا الرّماة، فإنّ المشركين لمّا أقبلوا، جعل الرّماة يرشقونهم[2]، والباقون يضربونهم بالسّيف حتّى انهزموا، و المسلمون على آثارهم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: تقتلونهم بإذن الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبُنتُم وضعف رأيكم بالميل إلى الغنيمة ﴿وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ يعني اختلاف الرّماة حين انهزام المشركين. فقال بعضهم: فما موقفنا هاهنا؟ و قال آخرون: لا نخالف أمر الرّسول. فثبت مكانه أميرهم في نفر يسير، ونفر الباقون للنّهب. ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: من الظّفر و الغنيمة و انهزام العدوّ. و جواب «إذا» محذوف، و هو امتحنكم. ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ و هم التّاركون المركز لحيازة الغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ و هم الثّابتون محافظة على أمر الرّسول ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفّكم عنهم حين غلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ على المصائب و يمتحن ثباتكم على الإيمان عندها ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ تفضّلاً، و لما علم من ندمكم على المخالفة ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يتفضّل عليهم بالعفو و غيره، سواء أُديل[3] لهم أوعليهم، إذا الابتلاء أيضاً رحمة.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ متعلّق بـ«صرفكم». و الإصعاد: الذّهاب و الإبعاد في الأرض. ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾. كان يقول: إليّ عباد الله! أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله وعن رسوله؟. و في رواية:

١ـ الخصال ١: ٢٠١، الحديث: ١٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٩، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ الرّشق ـ بالفتح فالسكون ـ: الرّمي. مجمع البحرين ٥: ١٦٩؛ و لسان العرب ١٠: ١١٦ (رشق).
٣ـ دالت الأيّام: دارت. والله يداولها بين النّاس، أي: يديرها. و أديل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. مجمع البحرين ٥: ٣٧٤؛ و لسان العرب ١١: ٢٥٢ (دال).

«من يكرّ فله الجنّة»[١]. ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾: فجازاكم الله عن فشلكم و عصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ. ورد: «الغمّ الأوّل: الهزيمة و القتل، والغمّ الآخر: إشراف «خالدبن الوليد» عليهم»[٢]. ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا﴾ على ﴿مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من قتل إخوانكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾: أمناً حتّى أخذكم النّعاس ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ و هم المؤمنون حقّاً. روي: «أنّه غشيهم النّعاس في المصافّ حتّى كان السّيف يسقط من يد أحدهم فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه»[٣]. ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ و هم المنافقون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: أوقعتهم أنفسهم في الهموم. إذ ما بهم إلّا همّ أنفسهم و طلب خلاصها ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: يظنّون أنّ أمر محمّد مضمحلّ و أنّه لا ينصر ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: ظنّ أهل الملّة الجاهليّة، أي: الكفّار.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾: هل لنا في تدبير[٤] أنفسنا و تصريفها اختيار؟ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: يظهرون أنّهم مسترشدون طالبون النّصر، و يبطنون الإنكار و التّكذيب ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾: لن نبرح من المدينة بل أقمنا فيها، ما غلبنا و ما قتل من قتل منّا في هذه المعركة. ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: إلى مصارعهم و لم ينفع الإقامة بالمدينة ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: و ليمتحن الله و يظهر سرايركم من الإخلاص و النّفاق فعل ما فعل.

١ـ الكشّاف ١: ٤٧١؛ و البيضاوي ٢: ٤٨.
٢ـ القمّي ١: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ٤٨؛ والكشّاف ١: ٤٧١، عن أبي طلحة؛ والدرّ المنثور ٢: ٣٥٣؛ و السّنن للترمذي ٤: ٢٩٧، الحديث: ٤٠٩٥.
٤ـ في «ب» و «ج»: «من تدبير».

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: و ليكشفه و يميّزه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم بخفيّاتها قبل إظهارها. و فيه وعد و وعيد و تنبيه على أنّه غنيّ عن الابتلاء، و إنّما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و إظهار حال المنافقين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾: انهزموا ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: يوم أُحُد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: حملهم على الزلّة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من معصيتهم النبيّ ﷺ بترك المركز و الحرص على الغنيمة و غير ذلك، فمنعوا التأييد و قوّة القلب. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم و اعتذارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة لكي يتوب المذنب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: لأجلهم و فيهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: إذا سافروا فيها و ماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾: غازين فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ﴾. اللاّم للعاقبة. ﴿ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، لا الإقامة و السفر؛ فإنّه تعالى قد يحيي المسافر و الغازي و يميت المقيم و القاعد. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ في سبيله ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من منافع الدّنيا لو لم تموتوا أو تقتلوا.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على أيّ وجه اتّفق ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ في جميع الأحوال.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾. «ما» المزيدة للتأكيد. بلغ لينه لهم إلى أن اغتمّ لهم بعد ما خالفوه. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيّئ الخلق جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسية ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرّقوا عنك و لم يسكنوا إليك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصّ بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: في أمر الحرب و غيره ممّا يصحّ أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم و تطييباً لنفوسهم و تمهيداً لسنّة المشاورة للأمّة.

ورد: «لا وحدة أوحش من العجب و لا مظاهرة أوثق من المشاورة»[1]. «من شاور الرّجال شاركها في عقولها، من استبدّ برأيه هلك»[2]. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنّه لا يعلمه سواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فينصرهم و يهديهم إلى الصّلاح.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: لا ناصر لكم من بعد الله إذا جاوزتموه، أو من بعد خذلانه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فليخصّوه بالتّوكّل لمّا آمنوا به و علموا أن لا ناصر سواه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: و ما صحّ لنبيّ أن يخون في الغنائم، فإنّ النّبوّة تنافي الخيانة. و الغلول: أخذ الشّيء من المغنم في خفية. ورد: «إنّ قطيفة حمراء فقدت من الغنيمة يوم بدر، فقال رجل من الأصحاب: ما أظنّ إلّا رسول الله أخذها، فنزلت؛ فجاء رجل فقال: إنّ فلاناً غلّ قطيفة فأحفرها هنالك، فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة»[3]. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. قال: «إنّه يراه يوم القيامة في النّار ثمّ يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النّار»[4]. ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: تعطى جزاء ما كسبت وافياً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بالطّاعة ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بالمعصية ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «الّذين اتّبعوا رضوان

۱ـ التّوحيد (للصّدوق): ۳۷٦، الباب: ٦٠، ذيل الحديث: ۲۰، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن النّبي ﷺ؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤۸۸، الحكمة: ۱۱۳.
۲ـ نهج البلاغة (للصّبحي صالح): ٥۰۰، الحكمة: ۱٦۱، مع تقدّم و تأخّر.
۳ـ القمّي ۱: ۱۲٦، و فيه: «فأخباها» بدل: «فأحفرها».
٤ـ المصدر: ۱۲۲، عن أبي جعفر عليه السلام.

الله هم الائمّة، و هم و الله درجات للمؤمنين، و بولايتهم و معرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم، و يرفع الله لهم الدّرجات العلى؛ و الّذين باؤوا بسخط هم الّذين جحدوا حقّ علّي و الائمّة منّا أهل البيت»[١]. و قال: «الدّرجة ما بين السّماء والأرض»[٢].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾: انعم الله ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهّرهم من سوء العقايد و الأخلاق و الأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾:القرآن و السنّة ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾: و إنّه كانوا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾. الهمزة للتّقريع و التقرير. قال «كان المسلمون قد أصابوا ببدر ماة و أربعين رجلاً: قتلوا سبعين و أسروا سبعين؛ فلمّا كان يوم أحد أُصيب من المسلمين سبعون، فاغتمّوا لذلك فنزلت»[٣]. ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾: من أين هذا أصابنا و قد وعدنا الله النّصر؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: «باختياركم الفداء يوم بدر»[٤]. القمّي: و كان الحكم في الأُسارى يوم بدر، القتل، فقامت الأنصار فقالوا: يا رسول الله هبهم لنا، و لا تقتلهم حتّى نفاديهم، فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء القوم و يطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بقدر من يأخذون منه الفداء فأخبرهم رسول الله ﷺ بهذا الشّرط، فقالوا: قد رضينا به نأخذ العام الفداء من هؤلاء و نتقوّى به و يقتل منّا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء وندخل الجنّة. فأخذوا منهم الفداء و أطلقوهم، فلمّا كان يوم أحد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون؛ فقالوا: يا رسول الله ما هذا الّذي أصابنا و قد كنت تعدنا النّصر؟

١ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث: ٨٤؛ و العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٥٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ المصدر، الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٣٣، عن امير المؤمنين و ابي جعفر عليهما السّلام.

فنزلت[1]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النّصر و منعه، و على أن يصيب بكم و يصيب منكم.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: يوم أُحد ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: و ليتميّز الفريقان ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ اي: للمنافقين ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ عن الأنفس و الأموال ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾. قالوه دغلاً و استهزاءاً لزعمهم انّ ما يفعلونه ليس بقتال بل إلقاء بالانفس إلى التّهلكة. ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ كما يظهر من كلامهم هذا ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النّفاق و ما يخلو به بعضهم إلى بعض فإنّه يعلمه مفصّلاً بعلم واجب، و انتم تعلمونه مجملاً بأمارات.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: لأجلهم و فيهم. يريد من قتل يوم أُحد. ﴿وَقَعَدُوا﴾: حال كونهم قاعدين عن القتال: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾: فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انّكم تقدرون على دفع القتل و أسبابه عمّن كتب عليه، فإنّه أحرى بكم. يعني انّ القعود غير مغن.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾. قال: «نزلت في شهداء بدر و أُحد جميعاً»[2].

أقول: و تشمل كلّ من قتل في سبيل من سبيل الله عزّوجلّ، سواء كان قتله بالجهاد الأصغر و بذل النّفس طلباً لرضا الله، أو بالجهاد الأكبر و كسر النّفس و قمع الهوى بالرّياضة.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ذوو قرب منه ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنّة.

۱ـ القمّي ۱: ۱۲۶.
۲ـ مجمع البيان ۱ـ۲: ۵۳۵، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ و هو شرف الشّهادة، و الفوز بالحياة الأبديّة، والقرب من الله، و التّمتّع بنعيم الجنّة. ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من إخوانهم المؤمنين الّذين تركوهم و لم ينالوا درجاتهم بعد ﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. قال: «هم و الله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة و استقبلوا الكرامة من الله عزّ وجلّ، علموا و استيقنوا أنّهم كانوا على الحقّ و على دين الله عزّ ذكره، فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين»[1].

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾: وزيادة ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ «و ذلك أنّ النّبيّ ﷺ كان قد واعد أبا سفيان القتال في العام المقبل بعد وقعة أحد ببدر الصغرى، فخرج أبو سفيان في أهل مكّة حتّى نزل مَجَنّة[2]، ثمّ ألقى الله عليه الرّعب، فبدا له في الرّجوع، فلقي نُعَيْمَ بن مسعود الأشجعي، فقال له إلحق بالمدينة فثبّط[3] أصحاب محمّد عن القتال، و لك عندي عشرة من الإبل. فأتى نعيم المدينة، فوجد النّاس يتجهّزون لميعاد أبي سفيان، فقال لهم: بئس الرّأي رأيتم[4]. أتوكم في دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم الأ شريد، فتريدون أن تخرجوا، و قد جمعوا

١ ـ القمّي ١: ١٢٧؛ والكافي ٨: ١٥٦، الحديث: ١٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام. و فيه: «... عزّوجلّ، واستبشروا ...».

٢ ـ مَجَنّة: اسم سوق للعرب كان في الجاهليّة و كانت بمرّ الظّهران قرب جبلٍ يقال له الأصفر و هو بأسفل مكّة على قدر بريد منها. معجم البلدان ٥: ٥٨ (مَجَنّة).

٣ ـ ثَبَّطَهُمْ: حَبَسَهُمْ بالجبن، و ثبّطه عن الأمر: اثقله واقعده. مجمع البحرين ٢: ٢٤٠؛ و لسان العرب ٧: ٢٦٧ (ثبط).

٤ ـ في المصدر: «رأيكم».

لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت [1] منكم أحد. فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج. فقال رسول الله ﷺ: و الّذي نفسي بيده لأخرجنّ و لو وحدي، فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشّجاع فإنّه تأهّب للقتال. و قال: حسبنا الله و نعم الوكيل. فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتّى وافى بدر الصّغرى، فاقام به ينتظر أبا سفيان، و قد انصرف أبو سفيان من مجنّة إلى مكّة، فلم يلق رسول الله ﷺ و أصحابه أحداً من المشركين ببدر، و وافوا السّوق، و كانت لهم تجارات فباعوا و أصابوا الدّرهم درهمين، و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، فنزلت». كذا ورد [2].

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: عافية و ثبات على الإيمان وزيادة فيه ﴿وَفَضْلٍ﴾: وربح في التّجارة ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من جراعة وكيد عدوّ ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بجرأتهم وخروجهم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني به المثبّط و هو "نُعَيْم". ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ و هم المنافقون المتخلّفون ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ﴾: أولياء الله ﴿شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. تاكيد وتعميم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: نمهلهم و نخلّيهم و شانهم ﴿خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: مختلطين لا يعرف مخلصهم من منافقهم ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: يميز المنافق من المخلص بالتّكاليف الشّاقّة الّتي

١ـ التفلّت و الإفلات: التّخلّص. مجمع البحرين ٢: ٢١٣؛ و لسان العرب ٢: ٦٦ (فلت).
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٤٠، عن أبي جعفر ﷺ.

لا يصبر عليها و لا يذعن بها إلاّ الخلّص المخلصون. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعلموا ما في القلوب من إخلاص و نفاق ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيوحي إليه و يخبره ببعض المغيبات ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ مخلصين ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾ حقّ الإيمان ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لا يقادر قدره.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سيلزمون وباله إلزام الطوق. قال: «ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه، ينهش [1] من لحمه حتّى يفرغ من الحساب و هو قول الله عزّ و جلّ "سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة"، يعني ما بخلوا به من الزكاة» [2]. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: و له ما فيهما ممّا يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله، و لا ينفقونه في سبيله؟ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المنع و الإعطاء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. قيل: قاله اليهود لمّا سمعوا "مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ" [3]. القمّي: و الله ما رأوا الله فيعلموا أنّه فقير، و لكنّهم رأوا أولياء الله فقراء، فقالوا: لو كان غنياً لأغنى أولياءه؛ [4] ففخروا على الله بالغنى. و في رواية: «هم الّذين يزعمون أنّ الإمام يحتاج إلى ما يحملونه إليه» [5].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بإذاعة أمرهم كما مرّ [6]. ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا

١ـ النّهش: النّهس، و هو أخذ اللّحم بمقدّم الأسنان. مجمع البحرين ٤: ١٥٦؛ و لسان العرب ٦: ٣٦٠ (نهش).
٢ـ الكافي ٣: ٥٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٠٧، الحديث: ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكشّاف ١: ٤٨٤. و الآية في البقرة: ٢٤٥.
٤ـ القمّي ١: ١٢٧.
٥ـ المناقب ٤: ٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٦١.

عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل إنّما يعذّب بمقتضى العدل، إن عذّب و لم يتفضّل.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: أمرنا في التّوراة و أوصانا، و كذّبوا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾: تحرقه. روي: «انّ هذه كانت معجزة لانبياء بني إسرائيل ان يقرّب بقربان، فيقوم النّبيّ فيدعو، فتنزّل نار من السّماء فتحرق قربان من قبل منه»[١]. ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. قال: «كان بين القائلين و القاتلين خمسمائة عام، فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا»[٢].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: الحكم و المواعظ و الزّواجر ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: المشتمل على الشّرايع والاحكام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾. وعد و وعيد للمصدّق و المكذّب. ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: تعطون جزاء اعمالكم خيراً كان او شرّاً تامّاً وافياً ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾: بُوعِد ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالمراد ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: زخارفها و فضولها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي: و الله لتختبرنّ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ قال: «بإخراج الزّكاة»[٣]. ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ قال: «بالتّوطين على الصّبر»[٤]. ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

١ ـ الكافي ٤: ٣٣٥، الحديث: ١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٥٤٩، عن ابن عبّاس؛ والقمّي ١: ١٢٧؛ والبيضاوي ٢: ٥٨.
٢ ـ الكافي ٢: ٤٠٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ و٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٨٩، الباب: ٣٣، ذيل الحديث: ١؛ و علل الشّرايع ٢: ٣٦٩، الباب: ٩٠، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: ممّا يجب ثبات الرّأي عليه نحو إمضائه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال: «في محمّد»[1]. ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال: «إذا خرج»[2]. ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾: أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدّنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾: يعجبون بما فعلوا ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من خير ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ قال: «ببعيد»[3]. ﴿مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملك امرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾: لدلائل واضحة على توحيده سبحانه، و كمال علمه و حكمته، و نفاذ قدرته و مشيّته ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذوي العقول الخالصة عن شوائب الوهم و الحسّ.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: في جميع الأحوال، و على جميع الهيئات. ورد: «من أكثر ذكر الله أحبّه الله»[4]. و في رواية: «قياماً: الصّحيح يصلّي قائماً، و قعوداً: المريض يصلّي جالساً، و على جنوبهم: الّذي يكون أضعف من المريض الّذي يصلّي جالساً»[5]. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: و يعتبرون بهما. ورد: «أفضل العبادة إدمان التّفكّر في الله و في قدرته»[6]. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

١ و ٢ـ القمّي ١: ١٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٤٩٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله.
٥ـ العيّاشي ١: ٢١١، الحديث: ١٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٥٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿هَٰذَا بَاطِلًا﴾: عبثاً ضائعاً من غير حكمة. يعني يقولون ذلك. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك من العبث و خلق الباطل ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ للإخلال بالنّظر فيه و القيام بما يقتضيه.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ قال: «من ائمّة يسمّونهم بأسمائهم»[١].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو الرّسول ﷺ. و قيل: القرآن.[٢] ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ :كبائرنا، فإنّها ذات تبعات و اذناب ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ :صغائرنا، فإنّها مستقبحة، ولكنّها مكفّرة عن مجتنب الكبائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ :مخصوصين بصحبتهم، معدودين في زمرتهم.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: منزلاً عليهم. خافوا الّا يكونوا من الموعودين. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بان تعصمنا عمّا يقتضي الخزي ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن و إجابة الدّاعي. و تكرير «ربّنا» للمبالغة في الابتهال، والدّلالة على استقلال المطالب و علوّ شأنها. ورد في هذه الآيات: «ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمّل ما فيها»[٣].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: الذكر من الأنثى و الأنثى من الذكر ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الاوطان و العشاير للدّين ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ بسبب إيمانهم بالله و من أجله ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفّار ﴿وَقُتِلُوا﴾ في الجهاد ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. ورد: «إنّها نزلت في

١ـ العيّاشي ١: ٢١١، الحديث: ١٧٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٧؛ والبيضاوي ٢: ٦١.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٤، عن النّبيّ ﷺ. و اللّوك: إدارة الشّيء في الفم مجمع البحرين ٥: ٢٨٧ «و فيه الحديث أيضاً»؛ و لسان العرب ١٠: ٤٨٥ (لاك).

عليّ و أصحابه»[١].

أقول: و تشمل كلّ من اتّصف بهذه الصّفات.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: تبسّطهم في مكاسبهم و متاجرهم و مزارعهم و سعتهم في عيشهم.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: قصير مدّته، يسير في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين. ورد: «ما الدّنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع»[٢]. ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. النّزل: ما يعدّ للنّازل من طعام و شراب وصلة. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ممّا يتقلّب فيه الفجّار، لكثرته و دوامه و خلوصه من الآلام.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما فعله المحرّفون من أحبارهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ و يؤتون أجرهم مرّتين كما وعدوه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. سبق معناه[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ قال: «على الفرائض»[٤]. ﴿وَصَابِرُوا﴾ قال: «على المصائب»[٥]. ﴿وَرَابِطُوا﴾ قال: «على الأئمّة»[٦]. و في رواية: «اصبروا عن المعاصي و صابروا على الفرائض»[٧]. و في أخرى: «صابروا على التّقيّة»[٨]. و في أخرى:

١ـ القمّي ١: ١٢٩.
٢ـ البيضاوي ٢: ٦٢؛ والكشّاف ١: ٤٩١.
٣ـ في سورة البقره، ذيل الآية: ٢٠٢.
٤، ٥ و ٦ـ الكافي ٢: ٨١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢١٢، الحديث: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢١٣، الحديث: ١٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

«ورابطوا الصّلوات، أي: انتظروها واحدة بعد واحدة»[1]. و ورد: «من الرّباط انتظار الصّلاة بعد الصّلاة»[2]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال: «يعني فيما أمركم به وافترض عليكم»[3].



١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن امير المؤمنين عليه السلام؛ والبيضاوي ٢: ٦٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ١: ٢١٣، ذيل الحديث: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سورة النّساء

[مدنيّة، و هي مائة و ستّ و سبعون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾. هي آدم. ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾. هي حوّاء. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ فخلق منها آدم، و فضل فضلة من الطّين، فخلق منها حوّاء» [2]. و في رواية: «إنّها خلقت من باطنه، و من شماله، و من الطّينة الّتي فضلت من ضلعه الأيسر» [3].

أقول: لعلّ تأويل الضّلع الأيسر الجهة الّتي تلي الدّنيا، فإنّها أضعف من الجهة الّتي تلي العقبى، ولذلك تكون جهة الدّنيا في الرّجال انقص من جهة العقبى، و بالعكس منهما في النّساء.

﴿ وَبَثَّ مِنۡهُمَا ﴾: نشر ﴿ رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾. قال: «إنّ الله عزّ و جلّ أنزل على آدم حوراء من الجنّة، فزوّجها أحد ابنيه، و تزوّج الآخر ابنة الجانّ، فما كان في النّاس من جمال كثير، أو حسن خلق، فهو من الحوراء، و ما كان فيهم من سوء خلق، فهو من ابنة

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ العيّاشي ١: ٢١٦، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «فضلت فضلة».
٣ـ علل الشّرايع ٢: ٤٧١، الباب: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.

الجانّ»[١]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قيل: يعني يسأل بعضكم بعضاً، فيقول: أسالك بالله[٢]. ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قال: «و اتّقوا الأرحام أن تقطعوها»[٣]. و قال: «هي أرحام النّاس، إنّ الله عزّ و جلّ أمر بصلتها و عظّمها، الا ترى أنّه جعلها معه»[٤]. يعني قرنها باسمه في الأمر بالتّقوى. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ قال: «حفيظاً»[٥].

﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني إذا بلغوا، و آنستم منهم رشداً، كما في الآية الأخرى[٦]. ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: و لا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، بأن تتعجّلوا الحرام من أموالهم قبل أن يأتيكم الرّزق الحلال الّذي قدّر لكم. و قيل: كانوا يأخذون الرّفيع من أموالهم و يجعلون مكانه الخسيس[٧]، فنهوا عنه. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾: مضمومة إليها يعني فيما زاد على قدر أجره، لقوله "فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ"[٨] ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: ذنباً عظيماً.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾. ما ذكره المفسّرون في سبب نزوله و نظم محصوله لا يخلو من تعسّف. و ورد: «إنّه من إسقاط المنافقين من القرآن، و بين القول في اليتامى و بين نكاح النّساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن»[٩].

١ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٤٠، الحديث: ١١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ١: ٤٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و الدرّ المنثور ٢: ٤٢٤.
٤ـ العيّاشي ١: ٢١٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ١٣٠، عن أبي الجارود؛ و تفسير فرات الكوفي: ١٠١؛ والدرّ المنثور ٢: ٤٢٤، عن ابن عبّاس.
٦ـ الآية: ٦.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣.
٨ـ النّساء(٤): ٦.
٩ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام. و جدير بالذكر أنّ من المسلّم عند الشّيعة الإماميّة عدم تحريف القرآن لا بالزيادة و لا بالنقصان، أنظر: البيان في تفسير القرآن ـ لآية الله العظمى السيد الخوئي ره ـ: ٢١٥.

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾: ثنتين ثنتين، و ثلاثَ ثلاثَ، و أربعَ أربعَ، تخيير في العدد لكلّ أحد إلى أربع. ورد: «إذا جمع الرّجل أربعاً فطلّق إحداهنّ فلا يتزوّج الخامسة حتّى تنقضي عدّة المرأة الّتي طلّق. و قال: لا يجمع الرّجل ماءه في خمس»[1].

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ بين هذه الاعداد، قال: «يعني في النّفقة»[2]. ﴿ فَوَٰحِدَةً ﴾: فانحكوا واحدة وذروا الجمع ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ و إن تعدّدن، لخفّة مؤنهنّ وعدم وجوب القسم بينهنّ، و في حكمهنّ المتعة. فورد: «إنّها ليست من الأربع و لا من السّبعين و إنّهنّ بمنزلة الإماء، لأنّهنّ مستاجرات لا تطلّق ولا ترث ولا تورّث»[3]. ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ ﴾: اقرب ﴿ أَلَّا تَعُولُوا ﴾: تميلوا أوتعيلوا.

﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾: مهورهنّ ﴿ نِحْلَةً ﴾: عطيّة عن طيب نفس، بلا توقّع عوض. ورد: «من تزوّج امرأة و لم ينو أن يوفّيها صداقها فهو عند الله زان»[4]. ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ ﴾: وهبن لكم عن طيب نفس ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾: سائغاً من غير غصّ[5].

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَٰلَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾: تقومون بها و تنتعشون ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾: عدة جميلة تطيب بها نفوسهم. قال: «السّفيه من لا تثق به»[6]. و في رواية: «شرّاب الخمر و النّساء»[7]. و في أُخرى: «النّساء و الولد، قال إذا علم الرّجل أنّ امرأته سفيهة مفسدة و ولده سفيه مفسد،

١ـ الكافي ٥: ٤٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٣٦٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ راجع: الكافي ٥: ٤٥١، الأحاديث: ١، ٤، ٥و٧، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٥٢، الحديث: ١٢٠٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ يقال: غَصِصْتُ بالماء اغصّ غَصَصاً إذا شَرِقْتَ به، أو وَقَفَ في حَلقك فَلَمْ تَكَدْ تُسِيغُه. النّهاية ٣: ٣٧٠؛ و مجمع البحرين ٤: ١٧٦؛ و لسان العرب ٧: ٦٠ (غصص).
٦ـ العيّاشي ١: ٢٢٠، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٦٨، الحديث: ٥٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «شارب الخمر».

لا ينبغي له أن يسلّط واحداً منهما على ماله الّذي جعله الله له قياماً، يقول: معاشاً. قال: و المعروف العدة»[١].

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: اختبروهم قبل البلوغ بتتبّع أحوالهم في الدّين و حسن التّصرّف في المال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾: حدّاً يتأتى منهم النّكاح ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾. قال: «إيناس الرّشد: حفظ المال»[٢]. و في رواية: «الرّشد: العقل و إصلاح المال»[٣]. و في أُخرى: «من كان في يده مال بعض اليتامى، فلا يجوز له أن يعطيه حتّى يبلغ النّكاح و يحتلم، فإذا احتلم و وجب[٤] عليه الحدود، و إقامة الفرائض، و لا يكون مضيّعاً، و لا شارب خمر، و لا زانياً، فإذا آنس منه الرّشد دفع إليه المال، و أشهد عليه. و إن كانوا لا يعلمون أنّه قد بلغ فإنّه يمتحن بريح إبطه أو نبت عانته، فإذا كان ذلك فقد بلغ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً، و لا يجوز له ان يحبس عنه ماله ويعتلّ عليه أنّه لم يكبر بعد»[٥].

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾: مسرفين و مبادرين كبرهم.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾ من اكلها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بقدر حاجته و أُجرة سعيه. قال: «من كان يلي شيئاً لليتامى، و هو محتاج ليس له مايقيمه، و هو يتقاضى أموالهم و يقوم في ضيعتهم، فليأكل بقدر، و لا يسرف، فإن كانت ضيعتهم لا تشغله عمّا يعالج لنفسه، فلا يرزان[٦] من أموالهم شيئاً»[٧]. و في

١ـ القمّي ١: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ في المصدر: «فاذا احتلم وجب عليه الحدود».
٥ـ القمّي ١: ١٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في الحديث: «إنّي لا ارزأ من فيئكم درهماً» اي: لاانقص شيئاً ولادرهماً. مجمع البحرين ١: ١٨٣ (رزا).
٧ـ الكافي ٥: ١٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية: «المعروف هو القوت، و إنّما عنى الوصيّ أو القيّم في أموالهم و ما يصلحهم»[١]. و في أخرى: «ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة، فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم، فإن كان المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً»[٢]. و في أخرى: «هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية، و يشغل فيها نفسه، فليأكل بالمعروف، و ليس له ذلك في الدّنانير والدّراهم الّتي عنده موضوعة»[٣]. و في أخرى: «من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة و الكفاية على جهة القرض، ثمّ يردّ عليه ما أخذ إذاوجد»[٤]. و في أخري: «كان أبي يقول: إنّها منسوخة»[٥]. ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ بأنّهم قبضوها، فإنّه أنفى للتّهمة، و أبعد من الخصومة ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾. يعني بهم المتوارثين بالقرابة. ﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾: واجباً. قيل: كانت العرب في الجاهليّة يورثون الذكور دون الإناث، فردّالله سبحانه عليهم[٦].

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾: قسمة التركة ﴿ أُولُو الْقُرْبَىٰ ﴾ ممّن لا يرث ﴿ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ بان تلطّفوا لهم في القول و تعتذروا إليهم. قال: «نسختها آية الفرائض»[٧]. و في رواية: سئل أمنسوخة هي؟ قال: « لا، إذا حضروك فاعطهم»[٨].

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز والاستحباب.

١ ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ١: ٢٢١، الحديث: ٣٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٠، عن قتاده و ابن جريج و ابن زيد.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾: أمر بأن يخشوا الله، و يتّقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يحبّون أن يفعل بذراريّهم الضّعاف بعد وفاتهم. ورد: «من ظلم يتيماً سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه، ثمّ تلا هذه الآية»[١]. ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في امر اليتامى ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ لهم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ مثل ما يقولون لأولادهم بالشّفقة و حسن الأدب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ﴾: ملاء بطونهم ﴿نَارًا﴾: ما يجرّ إلى النّار ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. صَلْيُ النّار: مقاساة حرّها، و صَلَيْتُهُ: شَوَيْتُهُ. و الإصلاء: الإلقاء فيها. وسَعْرُ النّار: إلهابها. ورد: «لمّا أُسري بي إلى السّماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النّار و تخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»[٢].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾: يامركم و يعهد إليكم و يفرض عليكم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾: في شأن ميراثهم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمع الصّنفان. قال: «لأنّهنّ يرجعن عيالاً عليهم[٣]. و لما جعل الله لها من الصّداق،[٤] و لأنّه ليس عليها جهاد ولا نفقة، ولا مَعْقُلَة، وعدّ غيرها»[٥].

أقول: استفاد أصحابنا من قوله سبحانه: «مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» انّ للبنتين الثّلثان، كما ذكره في الكافي[٦].

﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً ﴾: ليس معهنّ ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المتوفّى منكم ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾: و لابوي المتوفّى ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٣، الحديث: ٣٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمي ١: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٧: ٨٤، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٥٣، الحديث: ٨١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٨١٦؛ والكافي ٧: ٨٥، الحديث: ٢و٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٩٦، ذيل الحديث: ٣.

﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكراً كان أو أُنثى، واحداً كان أو أكثر ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ ممّا ترك ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾. الإخوة تقع على الإثنين فصاعداً. والأُختان بمنزلة أخ واحد؛ و لهذا ورد: «لا تحجب الأُمّ عن الثّلث، و إنّ الإخوة و الأخوات لا يرثون مع الأبوين، و إنّ الوجه فيه أنّ الأب ينفق عليهم فوفّر نصيبه»[1].

﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾. "أو" لا يوجب التّرتيب. قال: «إنّكم تقرؤون في هذه الآية الوصيّة قبل الدّين، و إنّ رسول الله ﷺ قضى بالدّين قبل الوصيّة»[2]. ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾. مصدر مؤكّد. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح و الرّتب ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضى و قدّر. يعني لا تعلمون مَن أنفع لكم من أُصولكم و فروعكم، في عاجلكم و آجلكم، ممّن يورثكم و يرثكم، أمَنْ أوصى منهم فعرّضكم للثّواب بإمضاء وصيّته؟ أم من لم يوص فوفّر عليكم مالاً؟ أو من أوصيتم له فوفّرتم عليه؟ أم لم توصوا له فحرمتموه؟ فتحرّوا[3] فيهم ما وصّاكم الله به، ولا تعمدوا إلى تبديل الوصيّة، أو تفضيل بعض و حرمان بعض، فهو اعتراض مؤكّد لأمر القسمة وتنفيذ الوصيّة.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ من بطونهنّ أو من أصلاب بنيهنّ أو بطون بناتهنّ و إن سفل، ذكراً كان أو أُنثى، منكم أو من غيركم. ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾

١ـ راجع: الكافي ٧: ٩١ـ٩٢، الأحاديث: ١ و٤؛ و التّهذيب ٩: ٢٨٢، الحديث: ١٠١٩، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّحرّي: القصد و الاجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشّيء بالفعل والقول. النّهاية ١: ٣٧٥؛ ومجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).

وتستوي الواحدة والعدد منهنّ في الرّبع و الثّمن ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾. لهذا الكلام وجوه من الإعراب لا يتفاوت بها الحكم. قال: «الكلالة من ليس بولد ولا والد»[1]. و أريد بها هنا: «من يكون أخاً أو أختاً من الأمّ خاصّة»[2]. كذا ورد. ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُ﴾: و لكلّ واحد منهما ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ يعني من الأمّ ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ﴾ لورثته بالوصيّة بالزّيادة على الثّلث أو بقصد الإضرار دون القربة أو بإقرار دين لا يلزمه.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمضارّ و غيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبته.

إن قيل: إذا نقصت التّركة عن السّهام أو زادت، فما الحكم فيه؟ قلنا: النّقص إنّما يقع على البنات و الأخوات؛ لأنّ كلّ واحد من الأبوين و الزّوجين له سهمان أعلى وادنى، و ليس للبنت و البنتين و الأخوات لولا ذلك إلّا سهم واحد، فإذا دخل النّقص عليهما استوى ذووا السّهام في ذلك، والزّايد يزاد على من كان يقع عليه النّقص إذا نقصت. كذا ورد[3] عن أئمّتنا عليهم السّلام، و أجمع أصحابنا عليه[4].

﴿تِلْكَ﴾ إشارة الى ما تقدّم من الاحكام في أمر اليتامى و الوصايا و المواريث.
﴿حُدُودُ اللَّهِ ۚ﴾: شرايعه المحدودة الّتي لا يجوز تجاوزها ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

١ـ الكافي ٧: ٩٩، الحديث: ٢و٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٢٧، الحديث: ٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الوسائل ١٧: ٤٢٥، باب «كيفيّة إلقاء العول و من يدخل عليه النّقص».
٤ـ المبسوط ٤: ٧٤.

﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. قال: «هي منسوخة و السّبيل: الحدود»[1]. و في رواية: «جعل السّبيل: الجلد و الرّجم»[2].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: قبول التّوبة الّذي أوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده. ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾: متلبّسين بها سفهاً. فإنّ ارتكاب الذّنب و المعصية سفه و جهل. قال: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته: "هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ"[3]. فنسبهم إلى الجهل؛ لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله»[4].

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل: أي: قبل حضور الموت؛ لقوله تعالى: "حَتّىٰ إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ" سمّاه قريباً؛ لأنّ أمد الحياة قريب، أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبّه، فيطبع عليها، فيتعذّر عليهم الرّجوع[5]. [و ورد: «من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته»[6]][7]. ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: يعلم إخلاصهم في التّوبة ﴿حَكِيمًا﴾: لا يعاقب التّائب[8].

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٧، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ يوسف (١٢): ٨٩.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٢٨، الحديث: ٦٢؛ و مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٢: ٧٤.
٦ـ الكافي ٢: ٤٤٠، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مابين المعقوفتين ليس في «ب» و «ج».
٨ـ في «ب» و «ج»: وأمّا ما ورد: «أنّه من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته» محمول على التّفضّل، فإنّ وجوب القبول غير التّفضّل به.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾. قال: «ذلك إذا عاين أمر الآخرة»[١]. ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾: هيّانا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾. قال: «كان في الجاهليّة في أوّل ما أسلموا إذا مات حميم[٢] الرّجل و له امرأة، ألقى الرّجل ثوبه عليها، فورث نكاحها بصداق حميمه كما يرث ماله، فنزلت»[٣]. و في رواية: «نزلت في الرّجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها و ينتظر موتها حتّى يرثها»[٤]. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تحبسوهنّ إضراراً بهنّ ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾. قال: «الرّجل يكون له المرأة فيضربها حتّى تفتدي منه فنهى الله عن ذلك»[٥]. و في رواية: «أمر الله بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة و أن لا يمسكها إضراراً بها حتّى تفتدي ببعض مالها»[٦].

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ كالنّشوز و سوء العشرة و عدم التّعفّف، قال: «كلّ معصية»[٧]. و ورد: «إذا قالت له: لا أغتسل لك في جنابة و لا أبرّ لك قسماً و لأوطئنّ فراشك من تكرهه، حلّ له أن يخلعها و حلّ له ما أخذ منها»[٨]. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالإنصاف في الفعل و الإجمال في القول ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. يعني فاصبروا عليهنّ ولا تفارقوهنّ لكراهة الأنفس؛ فربّما كرهت النّفس ما هو أصلح في الدّين و أحمد، و أحبّت ما هو بخلافه.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: تطليق امرأة و تزويج أُخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ

١ـ من لايحضره الفقيه ١: ٧٩، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الحميم: القريب في النّسب، مجمع البحرين ٦: ٥٠ (حمم).
٣ـ القمّي ١: ١٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام. و في «الف»: «لاحاجة إليها».
٥ـ العيّاشي ١: ٢٢٩، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ و٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤. عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ٦: ١٣٩، باب الخلع، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ وفي معناه اخبار أُخر في هذا الباب.

﴿إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ قال: «ملأ مسك ثور ذهباً»[1]. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾: من القنطار ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. إنكار و توبيخ. قيل: كان الرّجل إذا أراد جديدة بهت الّتي تحته بفاحشة حتّى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، ليصرفه إلى تزوّج الجديدة؛ فنهوا عن ذلك[2].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: و قد باشرتموهنّ ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: عهداً وثيقاً. قال: «هو العهد المأخوذ على الزوّج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»[3]. و في رواية: «أخذتموهنّ بأمانة الله و استحللتم فروجهنّ بكلمة الله»[4]. و في أُخرى: «الميثاق: الكلمة الّتي عقد بها النّكاح، و الغليظ هو ماء الرّجل يفضيه إليها»[5].

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾. «الآباء يشمل[6] الأجداد». كذا ورد[7]. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهليّة فإنّكم معذورون فيه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. ورد: «إنّ رجلاً مات فألقى ابنه ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها على ما كان في الجاهليّة، ثمّ تركها لا يدخل بها و لا ينفق عليها، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت»[8].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ يعني نكاحهنّ. و الأُمّهات يشملن من علت، و كذا العمّات و الخالات. و البنات يشملن من سفلت، و كذا بنات الأخ و بنات الأُخت. و الأخوات

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٧، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ معاني الأخبار: ٢١٢، الحديث: ١، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ الكافي ٥: ٥٦٠، الحديث: ١٩؛ و العيّاشي ١: ٢٢٩، الحديث: ٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «الف»: «يشتمل».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٠، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف في المضمون.
٨ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

يشملن الوجوه الثّلاثه. ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾. سمّاها أُمّاً و أُختاً. و ورد: «يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب»[1]. و في رواية: «الرّضاع لُحمَةٌ كلُحمَة النّسب»[2] فعمّ التّحريم. ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾و إن علون ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ و إن سفلن ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ أي: دخلتم معهنّ في السّتر[3]، و هو كناية عن الجماع.

﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾. ورد: «إذا تزوّج الرّجل المرأة حرّمت عليه ابنتها إذا دخل بالأُمّ، فإذا لم يدخل بالأُمّ فلا بأس ان يتزوّج بالابنة، و إذا يتزوّج الابنة فدخل بها اولم يدخل بها فقد حرّمت عليه الأُمّ. و قال: الرّبائب حرام، كنّ في الحِجْر أو لم يكنّ»[4]. و سئل: عن الرّجل يتزوّج المرأة متعة، أيحلّ له أن يتزوّج ابنتها؟ قال: «لا»[5]. و عن الرّجل يكون له الجارية يصيب منها، أله أن ينكح ابنتها؟ قال «لا. هي مثل قول الله عزّ وجلّ: "وربائبكُمُ اللاتى في حُجُورِكم"»[6]. ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ احتراز عن المتبنّى لا عن ابناء الولد[7]، فيشملونهم و إن سفلوا، فقد ورد: «حرمة حليلتي الحسنين عليهما السّلام على رسول الله ﷺ و أنّهما ابناه لصلبه»[8]. و ورد: «الرّجل إذا نظر إلى الجارية بشهوة و نظر إلى ما يحرم لغيره لم تحلّ لابنه و لا لأبيه»[9]. ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾فإنّه مغفور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

١ـ الكافي ٥: ٤٤٢، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ كلمات المحققين «رسالة الرّضاعيّة للقطيفي»: ١٩٣، عن النّبيّ ﷺ.
٣ـ في «الف»: «في السّرّ».
٤ـ التهذيب ٧: ٢٧٣، الحديث: ١١٦٦، عن أبي جعفر عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، وفيه «الرّبائب عليكم حرام».
٥ـ الكافي ٥: ٤٢٢، الحديث: ٢، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٣٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في «ب» و «ج»: «لا أبناء الولد».
٨ـ الكافي ٨: ٣١٨، الحديث: ٥٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٦٠، الحديث: ١٢٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.

كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ :اللاتي احصنهنّ التزويج او الأزواج. و بكسر الصّاد: أحصنّ فروجهنّ. قال: «هنّ ذوات الأزواج»[1]. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال: «اللاتي سُبين و لهنّ أزواج كفّار»[2]. فإنّهنّ حلال للسّابين. «و اللاتي أُشتُرِين و لهنّ أزواج فإنّ بيعهنّ طلاقهنّ»[3]. «و اللاتي تحت العبيد، فيأمرهم مواليهم بالاعتزال ويستبرؤونهنّ ثمّ يمسّونهنّ بغير نكاح»[4]. ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: كتب الله عليكم تحرير هؤلاء كتاباً ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾: ما سوى المذكورات. و خرج عنه بالسنّة ساير محرّمات الرّضاع. «و الجمع بين المرأة و عمّتها أو خالتها بغير إذنها». كما ورده[5]. ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم﴾: أن تصرفوا أموالكم في مهورهنّ، أو أثمانهنّ ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾. الإحصان: العفّة، و السّفاح: الزّنا. ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. سمّي أجراً، لأنّه في مقابلة الاستمتاع. ﴿فَرِيضَةً﴾ مصدر مؤكّد. قال: «إنّما نزلت "فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ"»[6] و ورد: «إنّه قرأه الباقر عليه السّلام»[7]. و روته العامّة أيضاً عن جماعة من الصّحابة[8].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من زيادة في المهر أو الأجل، أونقصان فيهما، أوغير ذلك ممّا لا يخالف الشّرع. قال: «لا بأس بأن تزيدها أو تزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما؛ تقول: استحللتك بأجل آخر برضا منها، و لا تحلّ لغيرك حتّى

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، ذيل الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٤٨٣، الأحاديث: ١، ٢، ٣و٤، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٢، الحديث: ٨٠؛ والكافي ٥: ٤٨١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٥: ٤٢٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٤٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٤، الحديث: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ الدّر المنثور ٢: ٤٨٤.

تنقضي عدّتها؛ و عدّتها حيضتان»[1]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرع من الأحكام. قال: «المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنّة من رسول الله»[2]. و كان عليّ يقول: «لولا ماسبقني به بنو[3] الخطّاب ما زنى إلّا شفى»[4]. بالفاء يعني إلّا قليل. أراد به نهيَ عمر عن المتعة و تمكُّنَ نهيه من قلوب النّاس.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ قال: «غنى»[5]. ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني الحرائر ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾. قال: «لا ينبغي أن يتزوّج الحرّ المملوكة اليوم، إنّما كان ذلك حيث قال الله: "و من لم يستطع منكم طولاً". و الطّول: المهر. و مهر الحرّة اليوم مهر الأمة أو أقلّ»[6]. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان، فإنّه العالم بالسّرائر و بتفاضل ما بينكم في الإيمان، فربّ أمة تفضل الحرّة فيه. ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: أنتم و مماليككم متناسبون. نسبكم من آدم ودينكم الإسلام. ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بغير مطل وضرار و نقصان ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفايف ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾: غير مجاهرات بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾: أخلاّ في السّرّ ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ بالتّزويج ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ يعني الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني الحدّ، كما قال: "وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ"[7] ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾:

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، الحديث: ٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٤٤٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ج» و المصدر: «بني الخطّاب» و في بعض النّسخ: «ابن الخطّاب». راجع: المستدرك ١٤: ٤٤٧، الحديث: ٢.
٤ـ الكافي ٥: ٤٤٨، الحديث: ٢. و في بعض النّسخ: «إلّا شقيّ» ـ بالقاف و الياء المشدّدة ـ يقول ابن إدريس في السّرائر: ٣١٢: إلّا شفى ـ بالشّين المعجمة و الفاء ـ و معناه: إلّا قليل. والدّليل عليه حديث ابن عبّاس ذكره الهرويّ في الغريبين: ما كانت المتعة إلّا رحمة رحم الله بها أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله و لولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزّنا إلّا شفى. لأنّ الشّفى عند أهل اللّغة: القليل بلا خلاف بينهم ....
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٥: ٣٦٠، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ النّور (٢٤): ٢.

لمن خاف الإثم الّذي يؤدّي إليه غلبة الشّهوة. و "الْعَنَت" يقال لكلّ مشقّة وضرر. ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نكاح الإماء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما خفي عنكم من مصالحكم و محاسن أعمالكم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء و أهل الحقّ لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: ويرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها ﴿حَكِيمٌ﴾ في وضعها.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. كرّره للتّأكيد و المقابلة. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: أهل الباطل ﴿أَن تَمِيلُوا۟﴾ عن الحقّ بموافقتهم في استحلال المحرّمات ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ فلذلك شرع لكم الشّريعة الحنيفيّة السّمحة السّهلة، و رخّص لكم في المضائق ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: لا يصبر عن الشّهوات و لا يحتمل مشاقّ الطّاعات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال: «الرّبا والقمار والبخس و الظّلم»[1]. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ يعني ما حلّ من الشّراء والبيع. قال في كلام له: «و لا يأكل من أموال النّاس إلّا و عنده ما يؤدّي إليهم حقوقهم - ثمّ تلا هذه الآية - ثمّ قال: و لا يستقرض على ظهره إلّا و عنده وفاء»[2].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «لا تخاطروا بنفوسكم بالقتال فتقاتلوا من لا تطيقونه»[3]. و في رواية: «كان المسلمون يدخلون على عدوّهم في المغازات فيتمكّن منهم عدوّهم فيقتلهم كيف يشاء فنهاهم الله»[4]. وورد: «في الجبائر تكون على الكسير في برد يخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده في الجنابة و الوضوء، فقرأ

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٩٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «في القتال».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٧، ذيل الحديث: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رسول اللّه ﷺ " و لا تقتلوا أنفسكم " الآية»[١].

أقول: و يشمل ارتكاب كلّ ما يؤدّي إلى الهلاك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ و إنّما نهاكم عن قتل أنفسكم لفرط رحمته بكم.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾: ما سبق من المنهيّات ﴿عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾: إفراطاً في التّجاوز و إتياناً بما لا يستحقّه ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ﴾: ندخله فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: لاعسر فيه ولا صارف عنه.

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ قال: «لا تسألون عنها»[٢]. ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ يحتمل المكان و المصدر، فتحتَ الميم أوضممتَه. قال: «الكبائر ما أوعد الله عليه النّار»[٣]. و في رواية: «و الكبائر السّبع الموجبات: قتل النّفس الحرام، و عقوق الوالدين، و أكل الرّبوا، و التّعرّب بعد الهجرة، و قذف المحصنة، و أكل مال اليتيم، و الفرار من الزّحف»[٤]. و في أُخرى: بدّل الثّلاث الوسطى بغيرها[٥].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾. قال: «لا يقل أحدكم: ليت ما أُعطي فلان من المال و النّعمة، أوالمرأة الحسناء كان لي؛ فإنّ ذلك يكون حسداً، و لكن يجوز أن يقول: اللّهمّ أعطني مثله»[٦]. و ورد: «من تمنّى شيئاً و هو لله رضىً لم يخرج من الدّنيا حتّى يعطاه»[٧]. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ فاطلبوا الفضل بالعمل، لا بالحسد و التّمنّي ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: لا تتمنّوا ما

١ـ العيّاشي١: ٢٣٦، الحديث: ١٠٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٤٠٧، الباب: ٦٣، الحديث: ٦، عن الكاظم عليه السلام، مع تفاوت في العبارة، وإليك نصّه: «من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصّغائر».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٣٩، الحديث: ١١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٢٧٦، الحديث: ٢، عن أبي الحسن عليه السلام، وفيه: «... وقذف المحصنات».
٥ـ راجع المصدر: ٢٧٨و٢٨٥، الاحاديث: ٨و٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الخصال١: ٤، الحديث: ٧، عن النّبيّ ﷺ.

للّناس و اسألوا الله مثله من خزائنه الّتي لا تنفد. و ورد: «من لم يسأل الله من فضله افتقر»[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فهو يعلم ما يستحقّه كلّ أحد.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾قيل :أي: لكلّ واحد من الرّجال و النّساء جعلنا ممّا ترك، ورثة؛ هم أولى بميراثه، يرثون ممّا ترك الوالدان و الأقربون الموروثون، أو لكلّ جعلنا ممّا ترك، ورثة؛ هم الوالدان و الاقربون[٢]. و قال: «إنّما عنى بذلك أُولي الأرحام في المواريث، و لم يعن أولياء النّعمة فأولاهم بالميّت أقربهم إليه من الرّحم الّتي تجرّه إليها»[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ قيل: كان الرّجل يعاقد الرّجل، فيقول: دمي دمك و هدمي هدمك وحربي حربك و سلمي سلمك و ترثني و ارثك و تعقل عنّي و أعقل عنك، فيكون للحليف السّدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله " وَ أُولوا الْأَرْحام بَعْضُهُمْ أَولىٰ بِبَعْضٍ "[٤]. و القمّي: ما في معناه[٥]. و ورد: «إذا والى الرّجل الرّجل فله ميراثه و عليه مَعْقُلَتُه»[٦]. يعني دية جناية خطاءه. و في رواية: «عنى بذلك الائمّة عليهم السّلام، بهم عقد الله عزّ وجلّ أيمانكم»[٧]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾. تهديد على منع نصيبهم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرّعيّة، بسبب تفضيله ـ عزّ و جلّ ـ الرّجال على النّساء بكمال العقل، و حسن التّدبير، و مزيد القوّة في الأعمال و الطّاعات. ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ في

١ـ الكافي ٢: ٤٦٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤١؛ وتفسير البغوي ١: ٤٢١.
٣ـ الكافي ٧: ٧٦، الحديث، ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢. و الآية في الأنفال (٨): ٧٥.
٥ـ القمّي ١: ١٣٧.
٦ـ الكافي ٧: ١٧١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٤٠، الحديث: ١٢٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

نكاحهنّ كالمهر و النّفقة. قال: «فضلهم عليهنّ كفضل الماء على الأرض، فالماء يحيي الأرض و بالرّجال تحيى النّساء، و لولا الرّجال ما خلقت النّساء، ثمّ تلا هذه الآية»[1].

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ قال: «مطيعات»[2]. ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ في انفسهنّ و أموال أزواجهنّ. ورد: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسرّه إذا نظر إليها و تطيعه إذا أمرها، و تحفظه إذا غاب عنها في نفسها و ماله»[3]. ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾: بحفظ الله إيّاهنّ ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: ترفّعهنّ عن طاعتكم و عصيانهنّ لكم ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالقول ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ إن لم تنجع العظة. قال: «يحوّل ظهره إليها»[4]. ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ إن لم تنفع الهجرة، ضرباً غير شديد، لا يقطع لحماً و لا يكسر عظماً. قال: «الضّرب بالسّواك»[5]. ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾ بالتّوبيخ و الإيذاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ فاحذروه فإنّه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم.

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ أي: الاختلاف، كأنّ كلّ واحد في شقّ، أي: جانب. ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾. قال: «الحكمان يشترطان إن شاءا فرّقا، و إن شاءا جمعا، و ليس لهما أن يفرّقا حتّى يستأمراهما»[6]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ فيعلم كيف يرفع الشّقاق و يوقع الوفاق.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾: و احسنوا بهما إحساناً ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: و بصاحب القرابة ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: الذي قرب جواره ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾: البعيد. ورد: «حدّ الجوار أربعون داراً من كلّ

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥١٢، الباب: ٢٨٦، الحديث: ١، عن حسن بن عليّ عليهما السّلام عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٣٢٧، الحديث: ١، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٤و٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٦: ١٤٦، الأحاديث: ١، ٢و٣، عن الصّادق و الكاظم عليهما السّلام.

جانب»[1]. «و إنّ حسن الجوار يزيد في الرّزق و العمر»[2]. «و إنّه ليس كفّ الأذى، بل الصّبر على الأذى»[3]. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾. قيل: من صحبكم و حصل بجنبكم لرفاقة في أمر حسن، كتزوّج و تعلّم و صناعة و سفر[4]. ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر و الضّيف ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾: العبيد و الإماء. و القمّي: يعني الأهل و الخادم[5]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا﴾: متكبّراً يأنف عن أقاربه و جيرانه و أصحابه و لا يلتفت إليهم ﴿فَخُورًا﴾ يتفاخر عليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بما منحوا به ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾. ورد: «ليس البخيل من أدّى الزّكاة المفروضة من ماله، و أعطى البائنة في قومه؛ إنّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزّكاة المفروضة من ماله، و لم يعط البائنة في قومه، و هو يبذّر فيما سوى ذلك»[6].

أقول: البائنة: العطيّة. سمّيت بها لأنّها أُبينت من المال.

﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ من الغنى و العلم حيث ينبغي الإظهار. ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ﴾: لهم ﴿عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾. وضع الظّاهر موضع المضمر إشعاراً بأنّ من هذا شأنه فهو كافر لنعمة اللّه، فله عذاب يهينه كما أهان النّعمة بالبخل و الإخفاء.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾. شاركهم مع البخلاء في الذّمّ و الوعيد، لاشتراكهما في عدم الإنفاق على ما ينبغي. ﴿وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾ ليتحرّوا بالإنفاق مراضيه وثوابه ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾. نبّه به على أنّ

١ـ الكافي ٢: ٦٦٩، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: المصدر: ٦٦٦، الحديث: ٣؛ و ٦٦٧، الحديث: ٧ و ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٦٦٧، الحديث: ٩، عن موسى بن جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٤ـ البيضاوي ٢: ٨٦؛ و الكشّاف ١: ٥٢٦.
٥ـ القمّي ١: ١٣٨.
٦ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٤، الحديث: ١٤١، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله، و فيه: «النّائبه» بدل: «البائنه».

الشّيطان قرينهم يحملهم على ذلك و يزيّنه لهم، كقوله: "إنّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ"[١].

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني في طاعة الله. توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾. وعيد لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. قال: «نزلت في أمّة محمّد ﷺ خاصّة؛ في كلّ قرن منهم إمام شاهد عليهم و محمّد ﷺ شاهد علينا»[٢].

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾. قال: «ختم على الأفواه فلا تكلّم، و تكلّمت الأيدي و شهدت الأرجل، وأنطقت الجلود بما عملوا، فلا يكتمون الله حديثاً»[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾: لاتقوموا إليها[٤] ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ من نحو نوم أو خمر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾: حتّى تنتبهوا و تفيقوا. ورد: «لا تقم إلى الصّلاة متكاسلاً، و لا متناعساً، و لا متثاقلاً، فإنّها من خلال النّفاق، و قد نهى الله عزّوجلّ أن تقوموا إلى الصّلاة و أنتم سكارى. قال: سكر النّوم»[٤]. و في رواية: «منه سكر النّوم»[٥]. و هي تفيد التّعميم لغير النّوم. و في أخرى: «يعني سكر النّوم يقول: بكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم و سجودكم و تكبيركم، و ليس كما يصف كثير من النّاس، يزعمون أنّ المؤمنين يسكرون من الشّراب، والمؤمن

١ـ الإسراء (١٧): ٢٧.
٢ـ الكافي ١: ١٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «إمام منّا شاهد عليهم».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث: ١٣٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٣: ٢٩٩، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٣، الحديث: ١٣٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

لايشرب مسكراً ولايسكر»[1] و في أُخرى: «انّ المراد به سكر الشّراب ثمّ نسختها تحريم الخمر»[2].

أقول: لمّا كانت الحكمة تقتضي تحريم الخمر متدرّجاً، كما سبق بيانه في سورة البقرة[3]، و كان قوم من المسلمين يصلّون سكارى منها، قبل استقرار تحريمها، نزلت هذه الآية و خوطبوا بمثل هذا الخطاب، ثمّ لمّا ثبت تحريمها و استقرّ و صاروا ممّن لا ينبغي أن يخاطبوا بمثله؛ لانّ المؤمنين لا يسكرون من الخمر بعد أن حرّمت عليهم، جاز أن يقال: الآية منسوخة بتحريم الخمر. بمعنى عدم حسن خطابهم بمثله بعد ذلك، لا بمعنى جواز الصّلاة مع السّكر، ثمّ لمّا عمّ الحكم ساير ما يمنع من حضور القلب، جاز أن يفسّر بسكر النّوم و نحوه تارة، و أن يعمّ الحكم أُخرى، فلا تنافي بين هذه الرّوايات.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾. قال: «الحائض و الجنب لا يدخلان المسجد إلاّ مجتازين، فإنّ الله يقول: "و لا جنباً إلاّ عابري سبيل حتّى تغتسلوا"»[4]

أقول: المستفاد من مجموع هذه الرّوايات انّ الله سبحانه أطلق ملفوظ الصّلاة ومقدّرها على معنيين: أحدهما إقامة الصّلاة، بقرينة قوله "حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُون"، و الآخر موضع الصّلاة، بقرينة قوله: "إلاّ عابري سبيلٍ". و مثل هذا يسمّى في صناعة البلاغة بالاستخدام. و المفسّرون لمّا لم يتفطّنوا لهذه الدّقيقة وراموا حملهما على معنى واحد تكلّفوا في معنى الآية بما لا ينبغي.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾. كناية عن الحدث؛

١ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٣ـ ذيل الآية: ٢١٩.
٤ـ علل الشّرايع ١: ٢٨٨، الباب: ٢١٠، الحديث: ١؛ و العيّاشي ١: ٢٤٣، الحديث: ١٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

إذ الغائط: المكان المنخفض من الأرض. كانوا يقصدون للحدث مكاناً منخفضاً يغيب فيه أشخاصهم عن الرائي. ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾. قال: «هو الجماع، و لكنّ الله ستير يحبّ السّتر، و لم يسمّ كما تسمّون»[1]. ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ متعلّق بكلّ من الجمل الأربع، و يشمل عدم التّمكّن من استعماله؛ فإنّ الممنوع منه كالمفقود. ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: فتعمّدوا تراباً طاهراً. قال: «الصّعيد: الموضع المرتفع و الطّيّب: الموضع الّذي ينحدر عنه الماء»[2]. ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ «يعني بعض وجوهكم و بعض أيديكم، فإنّ الباء فيه للتّبعيض». كذا ورد[3].

و ورد في صفة التّيمّم: «فضرب بيديه على الأرض فنفضهما[4]، ثمّ مسح على جبينه، ثمّ مسح كفّيه إحداهما على ظهر الأُخرى»[5]. و في رواية: «التّيمّم ضربة للوجه و ضربة للكفّين»[6]. و ينبغي حملها على الأولويّة. و ورد: «إنّه سواء من الوضوء و الجنابة و الحيض»[7].

أقول: وزيد في المائدة "منه"[8] أي من ذلك الصّعيد، فاستفيد منه اشتراط علوق التّراب بالكفّ، و عدم جواز التّيمّم بالحجر غير المغبّر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فلذلك يسّر الأمر عليكم ورخّص لكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: حظّاً يسيراً من علم

١ـ الكافي ٥: ٥٥٥، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فلم يسمّ ...».
٢ـ معاني الأخبار: ٢٨٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٣٠، الحديث: ٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ نَفَضْتُ الثّوبَ و الشّجَرَ أنفضُهُ نفضاً: إذا حرّكته لينتفض. الصّحاح ٣: ١١٠٩ (نفض).
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٤، الحديث: ١٤٤؛ و الكافي ٣: ٦١، الحديث: ١ و ٦٢، الحديث: ٣، عن ابي جعفر عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.
٦ـ التهذيب ١: ٢١٠، الحديث: ٦٠٩، عن الرّضا عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٢١٢، الحديث: ٦١٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الآية: ٦.

التّوراة ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: يستبدلونها بالهدى، بعد حصوله لهم بالمعجزات الدّالّة على صدق محمّد ﷺ المبشّر[1] به في التّوراة. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ يعينكم فثقوا به و اكتفوا به عن غيره.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾: يميلونها عنها بتبديل كلمة مكان أخرى، كما حرّفوا في وصف محمّد ﷺ "أسْمَرَ رَبْعَة"[2] عن موضعه في التّوراة و وضعوا مكانه[3] "آدَمَ طُوال"[4]. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يعني[5]: واسمع منّا ندعوا عليك بلا سَمِعْتَ، أو اسمع، غير مجاب إلى ما تدعو إليه، كذا قيل[6]. ﴿وَرَاعِنَا﴾: أُنظرنا نكلّمك أو نفهم كلامك؛ يعنون به السّبّ. فإنّ "راعنا" سبٌّ في لغتهم. ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها و صرفاً للكلام إلى ما يشبه السّبّ حيث وضعوا "راعنا" المشابه لما يتسابّون به موضع "أنظرنا" و "غير مسمع" موضع "لا أُسْمِعْتَ مكروهاً". ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾: استهزاء به وسخريّة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: و أعدل و أسدّ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ

١ـ في «ب» و «ج»: «وأنّه المبشّر».
٢ـ الأسمر: من شبه لونه لون الحنطة و الأدْم: من اشتدّ سُمْرَته. و الرَّبْعَه: من ليس بطويل و لا قصير. «منه في الصّافي ١: ٤٥٦».
٣ـ في «ب»: «في مكانه».
٤ـ آدم، جَمْعه: الأدْم كأحمر و حُمر، وهي في النّاس السُّمْرَةُ الشّديدة. النّهاية ١: ٣٢ (ادم). والطُّوال ـبالضّمـ: الطويل. «منه في الصّافي ١: ٤٥٧».
٥ـ في «ب» و «ج»: «يعنون».
٦ـ البيضاوي ٢: ٩٠؛ و الكشّاف ١: ٥٣٠.

﴿وُجُوهًا﴾ قال «نطمسها عن الهدى»[١]. ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ قال: «في ضلالتها بحيث لا تفلح[٢] أبداً»[٣]. و الطّمس: إزالة الصّورة و محو التّخطيط. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: نخزيهم بالمسخ ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: الكبائر فما سواها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ تفضّلاً عليه و إحساناً. قال: «لو أنّ المؤمن خرج من الدّنيا و عليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذّنوب. ثمّ قال: من قال لا إله إلّا الله بإخلاص فهو بريء من الشّرك، و من خرج من الدّنيا لايشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، ثمّ تلا هذه الآية "إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" من شيعتك و محبّيك يا عليّ»[٤]. و ورد: «إنّ أدنى ما يكون الإنسان به مشركاً أن ابتدع رأياً فأحبّ عليه أو أبغض»[٥]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾: ارتكب ما يستحقر دونه الآثام. و الافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾. قال: «نزلت في اليهود و النّصارى، حيث قالوا: نحن أبناءالله و أحبّاؤه، و قالوا: لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أونصارى»[٦]. ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ لأنّه العالم بما ينطوي عليه الإنسان دون غيره ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: أدنى ظلم. و هو الخيط الّذي في شقّ النّواة[٧]، يضرب به المثل في الحقارة.

﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنّهم أبناء الله و أحبّاؤه و أزكياء عنده ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

١ و٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في جميع النّسخ: يَفْلَحُ، ما اثبتناه من المصدر.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٩٥، الحديث: ٨٩٢، عن عليّ بن الحسين، عن ابيه، عن اميرالمؤمنين عليهم السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث: ١٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ النّواة: إسم لخمسة دراهم و هو في الأصل: عَجْمَةُ التّمرة. «النّهاية ٥: ١٣١ (نوا)؛ ولسان العرب ١٥: ٣٥٠ (نوى).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾. الجبت في الأصل اسم صنم، فاستعمل في كلّ ما عبد من دون الله. و الطّاغوت يطلق على الشيّطان و على كلّ باطل من معبود أوغيره. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لأجلهم وفيهم ﴿هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾. قال: «يقولون لأئمّة الضّلال و الدّعاة إلى النّار: هؤلاء أهدى من آل محمّد ﷺ»[1]. و القمّي: نزلت في اليهود حين سألهم مشركوا العرب: أديننا أفضل أم دين محمّد؟ قالوا: بل دينكم أفضل[2].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ قال: «يعني الإمامة و الخلافة»[3]. ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾. قال: «نحن النّاس الّذين عنى الله»[4].

أقول: لعلّ التّخصيص لأجل أنّ الدّنيا خلقت لهم، و الخلافة حقّهم، فلو كانت الأموال في أيديهم لانتفع بها سائر النّاس، و لو منعوا عن حقوقهم لمنع ساير النّاس؛ فكأنّهم كلّ النّاس. و قد ورد: «نحن النّاس و شيعتنا أشباه النّاس و ساير النّاس نسناس»[5] و النّقير: النّقطة الّتي في وسط النّواة.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾. قال: «نحن النّاس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة»[6]. و في رواية: «النّاس: النّبيّ و آله»[7]. ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: «يعني جعل منهم الرّسل و الأنبياء و الأئمّة، فكيف يقرّون في آل إبراهيم و ينكرونه في آل محمّد؟»[8]. وقال: «الكتاب: النّبوّة. و الحكمة: الفهم و القضاء. و الملك العظيم:

١ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث: ١؛ و العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٤٠.
٣، ٤و٦ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ٢٦٤، الحديث: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ٢٤٤، الحديث: ٣٣٩، عن عليّ بن الحسين، عن حسين بن علي عليهم السّلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

الطّاعة المفروضة»[١].

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾: أعرض و لم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾. يعني إن لم يعجّلوا بالعقوبة فقد كفا هم ما أُعدّ لهم من سعير جهنّم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾. القمّي: الآيات: أمير المؤمنين و الأئمّة عليهم السّلام[٢].

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

سئل: ما ذنب الغير؟ فقال: «هي هي، و هي غيرها ثمّ مثّل بلَبِنَة كسرت ثمّ ردّت[٣] في ملبَنِها»[٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمًا﴾: يعاقب على وفق حكمته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: دائماً لا تنسخه[٥] الشّمس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾. قال: «الخطاب للائمّة؛ أُمر كلّ منهم أن يؤدّي إلى الإمام الّذي بعده و يوصي إليه»[٦]. ثمّ هي جارية في ساير الأمانات. وفي رواية: «إنّها في كلّ من ائتمن أمانة من الأمانات، أمانات الله: أوامره و نواهيه، وأمانات عباده: فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال و غيره»[٧]. و ورد: «لا تنظروا إلى طول

١ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث: ٣؛ و القمّي ١، ١٤٠، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٤٨، الحديث: ١٥٩ و ١٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٤١.
٣ـ في جميع النّسخ: «ردّ» وما اثبتناه من المصدر.
٤ـ الاحتجاج ٢: ١٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام. و اللَّبِنَة ـ بفتح اللّام و كسر الباء ـ الّتي يُبنى بها، وهو المضروب من الطّين مربّعاً. وَالمِلبَن ـ بكسر الميم و فتح الباء ـ قالب اللَّبِن. لسان العرب ١٣: ٣٧٥ (لبن).
٥ـ في «الف»: «لا ينسخه».
٦ـ الكافي ١: ٢٧٦، الاحاديث ٢, ٣, ٤, ٥ و ٦، عن ابي الحسن الرّضا و أبي عبدالله عليهما السّلام؛ و مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣؛ ومعاني الأخبار: ١٠٧، باب: معنى الأمانات الّتي ...، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

ركوع الرّجل و سجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك؛ و لكن أُنظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته» [١] . ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ . قال: «إيّانا عنى» [٢] . يعني العدل الّذي في أيديكم. و في رواية «إذا ظهرتم» [٣] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ . قال: «إيّانا عنى خاصّة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا» [٤] . و في حديث جابر: «لمّا نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله، فمن أُولوا الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر و أئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ بن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التّوراة بالباقر، و ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي محمّد وكنيّي [٥] ، حجّة الله في أرضه و بقيّته في عباده إبن الحسن بن عليّ، ذاك الّذي يفتح الله على يديه مشارق الارض و مغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته و أوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: إي والّذي بعثني بالنّبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع النّاس بالشّمس، وإن تجلّاها [٦] سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله و مخزون علم الله، فاكتمه إلّا عن

١ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٢ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٧، الحديث: ١٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ب»: «كنيتي».
٦ـ في المصدر: «تجلّلها» أي: تعلوها و تعمّها و لعلّه الأنسب.

اهله»[١] . ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ أيّها المأمورون ﴿فِي شَيۡءٖ﴾ من أمور الدّين ﴿فَرُدُّوهُ﴾ : فراجعوا فيه . ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ : إلى محكم كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ «بالسّؤال عنه في زمانه، و بالأخذ بسنّته، و المراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه بعده، فإنّه[٢] ردّ إليه»[٣] . كذا ورد في تفسير الآية . و في رواية : «نزلت : فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أُولي الأمر منكم»[٤] . و في أُخرى : « تلا هذه الآية هكذا : فإن خفتم تنازعاً في أمر فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أُولي الأمر منكم»[٥] . قال : «هكذا نزلت و كيف يامرهم الله بطاعة ولاة الأمر و يرخّص في منازعتهم، إنّما قيل ذلك للمأمورين الّذين قيل لهم : أطيعوا الله»[٦] . ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فإنّ الإيمان يوجب ذلك . ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ من تأويلكم بلا ردّ .

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ . القمّي : نزلت في الزّبير بن العوّام، نازع رجلاً من اليهود في حديقة، فقال الزّبير : نرضى بابن شيبة اليهوديّ، و قال اليهوديّ : نرضى بمحمّد. فأنزل الله[٧] . و ورد : «أيّما رجل كان بينه و بين أخ مماراة في حقّ، فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه و بينه فأبى إلّا أن يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الّذين قال الله " ألم تر " الآية»[٨] .

وفي رواية : « من تحاكم إلى الطّاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه

١ـ كمال الدّين ١ : ٢٥٣ ، الباب : ٢٣ ، الحديث : ٣ .
٢ـ في «ب» و «ج» : «فإنّها» .
٣ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح) : ١٨٢ من خطبة : ١٢٥ .
٤ـ القمّي ١ : ١٤١ ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، وفيه : «فرجعوه إلى الله» .
٥و٦ـ الكافي ٨ : ١٨٤ ، الحديث ، ٢١٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، مع تفاوت يسير .
٧ـ القمّي ١ : ١٤١ ، و فيه : «ترضى» بدل «نرضى» في موضعين .
٨ـ الكافي ٧ : ٤١١ ، الحديث : ٢ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .

ثابتاً؛ لأنّه أخذ بحكم الطّاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به. قيل: كيف يصنعان؟ قال: أُنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا و حرامنا، و عرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ، و علينا ردّ، والرّادّ علينا الرّادّ على الله، و هو على حدّ الشّرك بالله»[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾. القمّي: هم أعداء آل محمّد، جرت فيهم هذه الآية[2].

﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم؟ ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: نالتهم من الله عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التّحاكم إلى غيرك و إظهار السّخط لحكمك ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ بالتّحاكم إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾: تخفيفاً عنك ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين بالتّوسّط و لم نرد مخالفتك.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الشّرك و النّفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم. قال: «فقد سبقت عليهم كلمة الشّقاء، و سبق لهم العذاب»[3]. ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾: خالياً بهم، فإنّ النّصيحة في السّرّ انجع[4]. ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يؤثّر فيهم، كتخويفهم بالقتل و الاستيصال إن ظهر نفاقهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. نبّه به على انّ الّذي لم يرض بحكمه كافر، و إن أظهر الإسلام. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالنّفاق ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ مخلصين ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ بأن اعتذروا إليه حتّى انتصب لهم شفيعاً ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

١ـ الكافي ١: ٦٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٢ـ القمّي ١: ١٤٢.
٣ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث: ٢١١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٤ـ قد نجع فيه الخطاب والوعظ والدّواء، اي: دخل وأثّر. الصّحاح ٣: ١٢٨٨ (نجع).

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلف بينهم و اختلط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾: ضيقاً ممّا حكمت به ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: و ينقادوا لك انقياداً بظاهرهم و باطنهم. ورد: «لقد خاطب الله أمير المؤمنين في كتابه في قوله: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا" إلى قوله: "فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ". قال: فيما تعاقدوا عليه، لئن أمات الله محمّداً لا يردّوا[1] هذا الأمر في بني هاشم، ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت عليهم من القتل أوالعفو و يسلّموا تسليماً»[2]. و القمّي: «جاؤوك يا عليّ. قال: هكذا نزلت»[3].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ قال «يعني اهل الخلاف»[4]. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: «في عليّ. قال: هكذا نزلت»[5]. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس و يفتح عليهم أبواب الغيب. فإنّ: «من عمل بما علم، ورّثه الله علم مالم يعلم»[6].

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: الّذين صدقوا في أقوالهم و افعالهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: المقتول أنفسهم وأبدانهم بالجهاد الأكبر و الأصغر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: الّذين صلحت حالهم و استقامت طريقتهم ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

١- في المصدر: «ألاّ يردّوه».
٢- الكافي ١: ٣٩١، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣- القمّي ١: ١٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤- الكافي ٨: ١٨٤، الحديث: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥- الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٥٦، الحديث: ١٨٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦- البحار ٤٠: ١٢٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾. قال: «أعينونا بالورع، فإنّه من لقي الله - عزّ وجلّ - منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، إنّ الله يقول: "وَمَنْ يُطِعِ اللهَ" و تلا الآية، ثمّ قال: فمنّا النّبي و منّا الصّدّيق و الشّهداء و الصّالحون»[1]. و في رواية: «لقد ذكركم الله في كتابه فقال: "أُولئك مع الّذين أنعم الله" الآية، فرسول الله في الآية: النّبيّون، و نحن في هذا الموضع: الصّدّيقون و الشّهداء، و أنتم: الصّالحون، فتسمّوا بالصّلاح كما سمّاكم الله»[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾: تيقّظوا و استعدّوا للأعداء. والحِذْرُ: الحَذَر. قال: «خذوا أسلحتكم؛ سمّى الأسلحة حِذْراً لأنّ بها يُتّقى المحذور»[3].

﴿فَٱنفِرُواْ﴾: فاخرجوا إلى الجهاد، و تأويله إلى الخيرات كلّها. ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرّقة؛ جمع ثُبَة. ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾: مجتمعين كوكبة[4] واحدة و لا تتخاذلوا.

﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾. يحتمل اللاّزم و المتعدّي، و هم المنافقون. ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ كقتل و هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطىء: ﴿قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾: حاضراً. قال: «لو قال هذه الكلمة أهل الشّرق و الغرب لكانوا بها خارجين من الإيمان، ولكنّ الله قد سمّاهم مؤمنين بإقرارهم»[5].

﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح و غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ تحسّراً ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي﴾: يا قوم ليتني ﴿كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾. نبّه بالاعتراض على ضعف عقيدتهم، و أنّهم إنّما تمنّوا مجرّد المال.

﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ﴾: يبيعون ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ يعني:

١ـ الكافي ٢: ٧٨، الحديث: ١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكوكبة: الجماعة. القاموس المحيط ١: ١٢٩ (الكوكب).
٥ـ القمّي ١: ١٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

المخلصين الباذلين أنفسهم في طلب الآخرة. ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قال: «فوق كلّ برٍّ برٌّ حتّى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ»[١].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: و في سبيل المستضعفين وخلاصهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾. قيل: هم الّذين أسلموا بمكّة و صدّهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم يلقون منهم الأذى، فكانوا يدعون الله بالخلاص و يستنصرونه[٢]. و في رواية: «نحن أُولئك»[٣].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن القتال ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ و اشتغلوا بما أمرتم به. قيل: ذلك حين كانوا بمكّة، و كانوا يتمنّون أن يؤذن لهم فيه[٤]. و ورد: «يعني كفّوا ألسنتكم»[٥]. و قال: «أما ترضون أن تقيموا الصّلاة وتؤتوا الزّكاة و تكفّوا و تدخلوا الجنّة»[٦]. و في أُخرى: «أنتم و الله أهل هذه الآية»[٧].

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾: يخشون الكفّار أن يقتلوهم، كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. قال: « " كُفُّوا أيديكم " مع الحسن، "

١ـ الخصال ١: ٩، الحديث: ٣١، عن رسول الله ﷺ.
٢ـ الكشّاف ١: ٥٤٣.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٥٧، الحديث: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٥٤٣.
٥ـ الكافي ٢: ١١٤، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦و٧ـ الكافي ٨: ٢٧٩، ذيل الحديث: ٤٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ" مع الحسين، "إلى أجلٍ قريبٍ" : إلى خروج القائم، فإنّ معه الظفر» [١]. ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع التقضّي ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ : و لا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ : في قصور مجصّصة أو مرتفعة ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ : نعمة كخصب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ :بليّة كقحط ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يطيّروا بك ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يبسط و يقبض حسب إرادته ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فيعلموا أنّ الله هو الباسط القابض، و أفعاله كلّها صادرة عن حكمة و صواب.

﴿مَا أَصَابَكَ﴾ يا إنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ : من نعمة ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ تفضّلاً و امتناناً، فإنّ كلّ ما يأتي به العبد من عبادة فلا يكافي صغرى نعمة من أياديه. ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ : من بليّة ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ؛ لأنّها السّبب فيها لاستجلابها بالمعاصي، و هو لا ينافي قوله: " قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله " ؛ فإنّ الكلّ من عنده إيجاداً و إيصالاً، غير أنّ الحسنة إحسان و امتحان، و السيّئة مجازاة و انتقام. قال الله تعالى: "ما أصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيْديكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ" [٢] قال: «كما أنّ بادي النّعم من الله ـ عزّ و جلّ ـ نَحَلَكُمُوه [٣]، فكذلك الشرّ من أنفسكم و إن جرى به قَدَرُه» [٤]. و ورد: «إنّ " الْحَسَنات " في كتاب الله على وجهين: أحدهما: الصّحّة و السّلامة و السّعة في الرّزق، و الآخر: الأفعال، كما قال: " مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها " [٥] و كذلك السّيّئات؛ فمنها الخوف و المرض و الشدّة، و منها الأفعال الّتي يعاقبون عليها» [٦]. ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ

١ـ العيّاشي ١ : ٢٥٨، ذيل الحديث: ١٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فإنّ معه النّصر والظّفر».
٢ـ الشّورى (٤٢) : ٣٠.
٣ـ نَحَلَه: أعطاه و وهبه من طيب نفس بلا توقّع عوض. مجمع البحرين ٥ : ٤٧٨ (نحل).
٤ـ التّوحيد: ٣٦٨، الباب: ٢٠، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الأنعام (٦) : ١٦٠.
٦ـ القمّي ١ : ١٤٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.

﴿رَسُولاً وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾ على ذلك، فما ينبغي لاحد أن يخرج من طاعتك.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لانّه في الحقيقة مبلّغ، و الآمر و النّاهي هو الله. روي: انّه ﷺ قال: «من أحبّني فقد أحبّ الله و من أطاعني فقد أطاع الله. فقال المنافقون: لقد قارف الشّرك و هو ينهى عنه، ما يريد إلاّ ان نتّخذه ربّاً، كما اتّخذت النّصارى عيسى، فنزلت»[1]. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: اعرض عن طاعته ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: تحفظ عليهم اعمالهم و تحاسبهم عليها، إنّما عليك البلاغ و علينا الحساب.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بامر ﴿طَاعَةٌ﴾: أمرُنا طاعةٌ ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: دبّروا ليلاً ﴿غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾: خلاف ما قلت أوخلاف ما قالت من القبول و ضمان الطّاعة. ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾: يكفيك شرّهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: يتأمّلون معانيه و يتبصّرون ما فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾: من كلام البشر، كما زعموه ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفاً كَثِيراً﴾ من تناقض المعنى، و تفاوت النّظم، و خروج بعضه عن الفصاحة و عن مطابقته الواقع إلى غير ذلك.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾: مما يوجب الامن أوالخوف ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أفشوه. قيل: كان قوم من ضَعَفَة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ أو أخبرهم الرّسول بما أُوحي إليه من وعد بالظّفر أو تخويف من الكفرة اذاعوه، وكانت إذاعتهم مفسدة[2].

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: ردّوا ذلك الامر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ

١ـ البيضاوي ٢: ١٠٣؛ و الكشّاف ١: ٥٤٦.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٠٤؛ و الكشّاف ١: ٥٤٧.

﴿مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ قيل: أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم[1]. قال: «يعني آل محمّد و هم الّذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال والحرام و هم حجّة الله»[2]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾. قال: «الرّحمة: رسول الله، و الفضل: عليّ بن أبي طالب»[3]. و في رواية: «فضل الله: رسوله، و رحمته: الأئمّة عليهم السّلام»[4]. ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ بالكفر و الضّلال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ و هم أهل البصائر النّافذة.

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن تركوك وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فتقدّم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد، فإنّ الله ينصرك، لا الجنود. قال: «إنّ الله كلّف رسول الله ﷺ ما لم يكلّف أحداً من خلقه، كلّفه أن يخرج على النّاس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه، و لم يكلّف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده، ثمّ تلا هذه الآية»[5]. قيل: نزلت في بدر الصّغرى حين تثاقلت النّاس عن الخروج[6]؛ كما سبق[7].

﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ ما عليك في شأنهم إلاّ التّحريض. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و قد كفّ، بأن بدا لأبي سفيان و قال: هذا عام مُجْدِبٌ كما مرّ ذكره[8]. ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾: أشدّ عقوبة من كفّار قريش. تهديد و تقريع لمن لم يتّبعه.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾: راعى بها حقّ مسلم، إمّا بدفع شرّ عنه أو جلب

١ـ البيضاوي ٢: ١٠٤؛ والكشّاف ١: ٥٤٧.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، وفيه: «وهم الحجّة لله على خلقه».
٣ـ المصدر: ٢٦١، الحديث: ٢٠٩. عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٧، عن الصّادقين عليهما السّلام، وفيه: «ورحمته ولاية الائمّة عليهم السّلام».
٥ـ الكافي ٨: ٢٧٤، الحديث: ٤١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٣؛ والكشّاف ١: ٥٤٨.
٧و٨ـ في ذيل الآية: ١٧٣ من سورة آل عمران.

خير إليه، ابتغاء لوجه الله، و منها الدّعاء للمؤمن. ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾: ثواباً لها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ و هي ما كان خلاف ذلك، و منها الدّعاء على المؤمن. ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: نصيب من وزرها، مساوٍلها في القدر، فإنّ الكِفْل: النّصيب و المثل. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾: مقتدراً و حفيظاً يعطي على قدر الحاجة. قال: «من أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو دلّ على خير، أو أشار به، فهو شريك؛ و من أمر بسوء، أودلّ عليه، أو أشار به فهو شريك»[١]. و في رواية: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب أُستجيب له و قال له المَلَكُ: و لك مثلاه، فذلك النّصيب»[٢].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾. القمّي: السّلام و غيره من البرّ[٣]. و ورد: «إذا عطس أحدكم قولوا: يرحمكم الله، و يقول هو: يغفر الله لكم ويرحمكم. قال الله " وَإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ " الآية»[٤] و قال «السّلام تطوّع و الرّدّ فريضة»[٥]. «و من تمام التّحيّة للمقيم: المصافحة، و تمام التّسليم على المسافر: المعانقة»[٦]. و «الرّدّ بالأحسن في السّلام أن يضيف: «و رحمة الله»، فإن قالها المسلّم أضاف: «وبركاته»، وهي النّهاية فيردّ بالمثل، و الأوّل عشر حسنات و الثّاني عشرون و الثّالث ثلاثون»[٧]. كذا ورد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: تفرّقتم فيهم فرقتين، و لم تتّفقوا على كفرهم.

١ـ الخصال ١: ١٣٨، الحديث: ١٥٦، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ جوامع الجامع ١: ٢٧٥.
٣ـ القمّي ١: ١٤٥.
٤ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث الطّويل أربعماة، عن أبي عبدالله ؏.
٥ـ الكافي ٢: ٦٤٤، باب التّسليم، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؏، عن رسول الله ﷺ.
٦ـ المصدر: ٦٤٦، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله ؏.
٧ـ المصدر: ٦٤٥، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله ؏، مع تفاوت.

قال: «نزلت في قوم قدموا من مكّة و أظهروا الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة فاظهروا الشّرك، ثمّ سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم، لاختلافهم في إسلامهم و شركهم»[١]. ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾: ردّهم في الكفر بأن خذلهم فارتكسوا ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾. قال: «إنّ لشياطين الانس حيلة ومكراً و خدايع و وسوسة بعضهم إلى بعض، يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحقّ عمّا أكرمهم الله به من النّصرة[٢] في دين الله الّذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله، إرادة أن يستوي أعداء الله و أهل الحقّ في الشّكّ و الإنكار و التّكذيب، فيكونون سواءً كما وصف الله تعالى في كتابه: "ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء"»[٣].

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ و إن آمنوا ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة هي لله لا لغرض من أغراض الدّنيا ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الهجرة المستقيمة مع الإيمان ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾. استثناء من قوله "فخذوهم واقتلوهم" أي: إلّا الّذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم، و يفارقون محاربتكم قال: «هو هِلالُ بن عُوَيْمِ الأَسْلَميّ[٤]، واثق عن قومه رسول الله ﷺ وقال في موادعته: على أن لاتحيف يا محمّد من أتانا، ولا نحيف من أتاك[٥]. فنهى الله سبحانه أن يعرض لأحد عهد

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ في المصدر: «من النّظر».
٣ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في رسالته إلى جماعة الشّيعة.
٤ـ في المصدر: «هلال بن عُوَيْمر السّلمي».
٥ـ في «الف» و «ج»: «لا نحيفَ يامحمّد من أتانا ولا تحيف من أتاك». و الحَيْفُ: الظّلم و الجور. مجمع البيان ٥: ٤٢ (حيف).

إليهم»[1]. ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾: ضاقت. قال: «هو الضيّق»[2]. ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في بني مُدْلِجٍ، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّا قد حَصِرَتْ صدورنا أن نشهد أنّك رسول الله فلسنا معك ولا مع قومنا عليك، فواعدهم إلى أن يفرغ من العرب، ثمّ يدعوهم، فإن أجابوا و إلّا قاتلهم»[3].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن قوّى قلوبهم، و بسط صدورهم وأزال الرّعب عنهم. ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ و لم يكفّوا عنكم ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: فإن لم يتعرّضوا لكم ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الاستسلام و الانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: فما أذن لكم في أخذهم و قتلهم.

قال: «كانت السّيرة من رسول الله ﷺ ألّا يقاتل إلّا من قاتله، و لا يحارب إلّا من حاربه و أراده، و قد كان نزل في ذلك من الله "فإن اعتزلوكم" الآية. حتّى نزلت عليه سورة براءة و أمر بقتل المشركين من اعتزله، و من لم يعتزله، إلّا الّذين قد كان عاهدهم يوم فتح مكّة إلى مدّة»[4] الحديث، ويأتي تمامه[5].

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في عُيَيْنَةَ بْنِ حَصِين الفزاريّ، أجدبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ و وادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرّض له، و كان منافقاً ملعوناً، و هو الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الأحمق المطاع»[6]. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: دعوا إلى الكفر، و إلى قتال المسلمين ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾: عادوا إليها، و قلبوا فيها اقبح قلب ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾: لم يعتزلوا قتالكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: و لم يستسلموا لكم ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٦٢، الحديث: ٢١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٣٢٧، الحديث: ٥٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٨١ـ٢٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة التوبة.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي ١: ١٤٧.

ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾: فأسروهم ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث تمكّنتم منهم ﴿وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: حجّة واضحة في التّعرّض لهم بالقتل و السّبي، لظهور عداوتهم و كفرهم وغدرهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾: و ما صحّ لمؤمن، و ليس من شأنه ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حقّ ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ لأنّه في عرضة الخطاء. قال: «هو الرّجل يضرب و لا يتعمّد القتل، أو رمى فأصاب رجلاً»[1]. و قال: «نزلت في عيّاش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل لأمّه، كان أسلم و قتل بعد إسلامه مسلماً و هو لم يعلم بإسلامه»[2]. ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ قال: «مقرّة قد بلغت الحنث»[3]. وسئل: كيف تعرف المؤمنة؟ قال: «على الفطرة»[4]. ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: مؤدّاة إلى أولياء المقتول. ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدّقوا عليه بالدّية. سمّى العفو عن الدّية صدقة، حثّاً عليه و تنبيهاً على فضله. و ورد: «كلّ معروف صدقة»[5].

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾. قال «يلزم قاتله كفّارة لقتله»[6]. و ورد: «في رجل مسلم في أرض الشّرك، فقتله المسلمون، ثمّ علم به الإمام بعد. فقال: يعتق مكانه رقبة مومنة، و ذلك قول الله ـ عزّ و جلّ ـ "فإن كان من قوم عدوّ لكم" الآية»[7]. قال: «و ليس عليه دية»[8]. ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ﴾ كفرة ﴿بَيْنَكُمْ

١ـ العيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٠ عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «وهو لايعلم إسلامه».
٣ـ الكافي ٧: ٤٦٢، الحديث: ١٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٦٣، الحديث: ٢٢٠، عن أبي الحسن عليه السلام.
٥ـ الخصال ١: ١٣٤، الحديث: ١٤٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١١٠، الحديث: ٣٧٣؛ والعيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ٢٦٢، الحديث: ٢١٧؛ و ٢٦٣، الحديث ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قال: «إن كان على رجل صيام شهرين متتابعين فأفطر أو مرض في الشّهر الأوّل، فإنّ عليه أن يعيد الصّيام، و إن صام الشّهر الأوّل وصام من الشّهر الثّاني شيئاً، ثمّ عرض له ما له فيه عذر، فعليه أن يقضي»[1]. **أقول**: يعني يقضي ما بقي عليه.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. قال: «فجزاؤه جهنّم إن جازاه»[2]. سئل: عن المؤمن، يقتل المؤمن متعمّداً، أله توبة؟ فقال: «إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب أو لسبب شيء من أشياء الدّنيا[3] فإنّ توبته أن يقاد منه، و إن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فاقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه، اعطاهم الدّية، وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، و اطعم ستّين مسكيناً، توبة إلى الله عزّ وجلّ»[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: سافرتم للغزو ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: فاطلبوا بيان الأمر و ميّزوا بين الكافر و المؤمن. و على قراءة: "فتثبّتوا"[5]: توقّفوا و تأنّوا حتّى تعلموا من يستحقّ القتل. و المعنيان متقاربان، يعني: لا تعجلوا في القتل لمن أظهر إسلامه ظنّاً منكم بأنّه لا حقيقة لذلك.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾: الانقياد. و في قراءة الصّادق عليه السلام، يعني: لمن حيّاكم بتحيّة السّلام. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ و إنّما فعلت ذلك خوفاً من القتل ﴿تَبْتَغُونَ

١ـ الكافي ٤: ١٣٩، الحديث: ٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ معاني الأخبار: ٣٨٠، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «من أمر الدنيا».
٤ـ الكافي ٧: ٢٧٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٤.

﴿عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: تطلبون ماله الّذي هو حطام سريع الزّوال، و هو الّذي يبعثكم على العجلة و ترك التّثبّت. ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾: أوّل ما دخلتم في الإسلام و تفوّهتم بالشّهادتين فحقنت[1] بها دماؤكم وأموالكم من غير أن تعلم مواطاة قلوبكم ألسنتكم. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان و الاستقامة في الدّين ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ .تأكيد لتعظيم الأمر و ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

القمّي: نزلت في أُسامة بن زيد حين بعثه رسول الله صلّي الله عليه و آله في خيل إلى بعض اليهود ليدعوهم إلى الإسلام، و كان رجل من اليهود يقال له «مِرْداس» في بعض القرى، فلمّا أحسّ بالخيل، جمع أهله و ماله و صار في ناحية الجبل، فأقبل يقول: أشهد أن لا إله الاّ الله، و أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فمرّ به أُسامة، فطعنه فقتله، فلمّا رجع إلى رسول الله أخبره بذلك، فقال: أفلا شققت[2] الغطاء عن قلبه؟ لا ما قال بلسانه قبلت، و لا ما كان في نفسه علمت، فحلف أُسامة أن لا يقاتل أحداً شهد الشّهادتين، فتخلّف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه»[3].

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: الأصحاء ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾. روي: «نزلت من دون استثناء في جماعة تخلّفوا يوم تبوك، فجاء عبدالله بن أُمّ مكتوم و كان أعمى، و هو يبكي، فقال: يا رسول الله كيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فنزل " غير أولي الضّرر "»[4]، و ورد: «لقد خلّفتم في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً و لا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم، و هم الّذين صحّت نيّاتهم،

١ـ في «ب» و «ج»: «فحصنت».
٢ـ في المصدر: «فلا شققت».
٣ـ القمّي ١: ١٤٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٦ـ٩٧.

و نَصَحَتْ جُيُوبهم [١]، و هوت أفئدتهم إلى الجهاد، و قد منعهم من المسير ضررٌ أو غيره»[٢]. ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾. روي: «أنّ الله فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة، بين كلّ درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمر»[٣].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾. يحتمل الماضي و المضارع. ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾: في أيّ شيء من أمر دينكم؟ ﴿ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: يستضعفنا أهل الشرك بالله، في أرضنا و بلادنا، بكثرة عددهم و قوّتهم، و يمنعوننا من الإيمان بالله و اتباع رسوله. ﴿ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾: فتفارقوا من يمنعكم من الإيمان إلى قطر آخر، كما فعل المهاجرون إلى المدينة و الحبشة.

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾. قيل: نزلت في ناس من مكّة أسلموا و لم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة [٤]. و القمّي: نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام، و لم يقاتل معه. "مستضعفين" أي: لم نعلم مع مَن الحقّ، "أرض الله واسعة" أي: دين الله و كتاب الله واسع، فتنظروا فيه[٥].

أقول: هذا تأويل و ذاك تفسير. ورد: «لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أُذنه و وعاها قلبه»[٦].

﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ «يدفعون بها

١ـ رجل ناصح الجَيْب: لاغشّ فيه. تقيّ القلب. القاموس المحيط ١: ٢٦١؛ والصّحاح ١: ٤١١ (نصح).
٢ـ جوامع الجامع ١: ٢٨١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ مجمع البيان ٤ـ٣: ٩٧.
٤ـ البيضاوي ٢: ١١١.
٥ـ القمّي ١: ١٤٩.
٦ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٨٠، من خطبة: ١٨٩.

الكفر». كذا ورد[١]. ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال: «إلى الإيمان، لايستطيع أن يؤمن ولا يكفر؛ الصّبيان و من كان من الرّجال و النّساء على مثل عقول الصّبيان»[٢]. و قال: «البَلْهاء في خِدْرِها[٣]، و الخادم، تقول لها: صلّي فتصلّي لا تدري إلاّ ما قلت لها، و الجليب[٤] الّذي لا يدري إلاّ ما قلت له، و الكبير الفاني، و الصّغير»[٥]. و في رواية: «لا يستطيعون حيلة إلى النّصب فينصبون، و لا يهتدون سبيلاً إلى الحقّ، فيدخلون فيه؛ هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة و باجتناب المحارم الّتي نهى الله عنها، و لا ينالون[٦] منازل الأبرار»[٧].

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿۞ وَمَنْ يُهَاجِرْ﴾: يفارق أهل الشّرك ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في منهاج دينه ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾: متحوّلاً من الرّغام، و هو التّراب و مخلصاً من الضّلال. ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق و إظهار الدّين. ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. روي: «لمّا نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين و هو «جُنْدَب بن ضَمْرَة» و كان بمكّة، فقال: و الله ما أنا ممّن استثنى الله، إنّي لأجد قوّة، و إنّي لعالم بالطّريق، و كان مريضاً شديد المرض، فقال لبنيه: و الله لا أبيت بمكّة حتّى أخرج منها، فإنّي أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتّى إذا بلغ التّنعيم مات، فنزلت»[٨].

١ و ٢ـ الكافي ٢: ٤٠٤، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الخدر ـ بالكسر ـ ستر أعدّ للجارية البكر في ناحية البيت، و الجمع: خُدُور. و جارية مُخَدَّرَة: إذا ألزمت الخدر. «مجمع البحرين ٣: ٢٨٣ ـ خدر» و في الحديث: «عليك بالبُلْهاء! قلت: و ما البَلْهاء؟ قال: ذوات الخدور العفائف». مجمع البحرين ٦: ٣٤٣ (بله).
٤ـ الجليب: الّذي يجلب من بلد إلى آخر. «منه قدّه في الصّافي ١: ٤٥٥».
٥ـ معاني الأخبار: ٢٠٣، الحديث: ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «الف»: «لاينازلون منازل الابرار».
٧ـ معاني الأخبار: ٢٠١، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ـ المجمع ٣ـ٤: ١٠٠.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ بتنصيف الرّباعيات. قيل: كأنّهم ألفوا الإتمام وكان مظنّة لأن يخطر ببالهم أنّ عليهم نقصاناً في التّقصير، فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمأنّوا إليه[1]. قال: «التّقصير في السّفر واجب كوجوب التّمام في الحضر»[2]. وفي رواية: «فرض المسافر ركعتان غير قصر»[3]. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أنفسكم أو دينكم، وهذا الشّرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت، فإنّ القصر ثابت في حال الأمن أيضاً. ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾: ظاهر العداوة.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾: في أصحابك الضّاربين في الأرض، الخائفين عدوّهم أن يغترّوهم ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ بأن تؤمّهم ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: من أصحابك ﴿مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾: تحرّزهم وتيقّظهم ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

ورد في بيان صلاة الخوف: «أنّ طائفة تقوم بإزاء العدوّ، وأُخرى خلف الإمام، يصلّي بهم ركعة، ثمّ يقومون فيَمثُلُ[4] الإمام قائماً حتّى يتمّ من خلفه صلاتهم وينصرفوا إلى العدوّ، فيجيء الطّائفة الأولى، فيصلّي بهم الإمام ركعة[5] الثّانية ويسلّم، ثمّ يقوم

١- البيضاوي ٢: ١١٣.
٢- من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٨، الحديث: ١٢٦٦؛ والعيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣- الدّرّ المنثور ٢: ٦٥٧؛ والعيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤و٢٥٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.
٤- مَثَلَ الرّجل يَمثُلُ مُثولاً: إذا انتصب قائماً. مجمع البحرين ٥: ٤٧١ (مثل).
٥- في «ج» و«ب»: «ركعته الثّانية».

من خلفه فيتمّون صلاتهم»[1]. ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها. ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ كيلا يهجم عليكم العدوّ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فرغتم منها و أنتم محاربوا عدوكم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: ادعوا الله في هذه الأحوال، لعلّ الله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم. ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: فإذا استقررتم في أوطانكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فأتمّوا الصّلاة الّتي أذن لكم في قصرها و تخفيفها حال السّفر و الخوف، و أتمّوا حدودها. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ قال: «مفروضاً»[2].

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾: لا تضعفوا في طلبهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ ممّا ينالكم من الجراح منهم ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ أيضاً ممّا ينالهم من ذلك ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من إظهار الدّين و استحقاق الثّواب، فأنتم أولى و أحرى على حربهم و قتالهم، منهم على قتالكم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح خلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره إيّاهم.

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمّا رجع من وقعة أُحُد و دخل المدينة، نزل عليه جبرئيل، فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلّا من به جراحة، فأقبلوا يضمدون[3] جراحاتهم ويداوونها، فنزلت "ولا تهنوا" الآية؛ و قوله[4] "إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله" إلى قوله "شهداء"؛ فخرجوا على ما بهم من

١ـ الكافي ٣: ٤٥٥، الحديث: ١ عن أبي عبد الله ؏، مع تفاوت في العبارة.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٢٥، الحديث: ٦٠١، عن ابي عبدالله ؏؛ و العيّاشي ١: ٢٧٣، الحديث: ٢٥٩، عن ابي جعفر ؏.
٣ـ ضَمَدَ الجُرْحَ يَضْمِدُهُ و يَضْمُدُهُ و ضَمَّدَهُ: شدَّه بالضّمادة و هي العصابة. القاموس المحيط ١: ٣٢١ (ضمد).
٤ـ عطفٌ على: «ولاتهنوا» أي: و نزلت «و لا تهنوا» الآية و نزلت: «إن يمسسكم» الآية.

الألم و الجراح [١].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: بما عرّفك و أوحى به إليك. قال: «ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلّا إلى رسول الله و إلى الأئمّة عليهم السّلام، ثمّ تلا هذه الآية. قال: و هي جارية في الأوصياء» [٢]. ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾: لأجلهم و الذّبّ عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ للبراء.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. القمّي ما ملخّصه: إنّ بني أُبَيْرِقٍ: بشيراً و مبشّراً و بشراً ـ و كانوا منافقين ـ نقبوا على عمّ قَتَادَة بن النّعمان، فأخرجوا طعاماً و سيفاً و درعاً، فشكى قَتَادة ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال بنو أُبَيْرِقٍ: هذا عمل لَبيد بن سَهْل، و كان لَبيد مؤمناً، فخرج عليهم بالسّيف و قال: اترمونني بالسَّرِق و انتم أولى به منّي؟ و أنتم المنافقون تهجون رسول الله و تنسبون الهجاء إلى قريش، فداروه؛ ثمّ جاء رجل من رهط بني أُبيرق ـ و كان منطيقاً بليغاً ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ قَتَادَة عمد إلى أهل بيت منّا، أهل شرف و حسب و نسب، فرماهم بالسَّرِق؛ فاغتمّ رسول الله وعاتب قَتادة عتاباً شديداً، فاغتمّ قتادة، و كان بدريّاً، فنزلت الآيات [٣].

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبّرون و يزوّرون باللّيل ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: من رمي البريء. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: محامياً عنهم يحميهم عن [٤] عذاب الله.

١ـ القمّي ١: ١٢٤ـ١٢٥.
٢ـ الكافي ١: ٢٦٧، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٥٠ـ١٥١.
٤ ـ في «ب» و «ج»: «من عذاب الله».

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾: قبيحاً يسوء به غيره ﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ بما يختصّ به، و لا يتعدّاه ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾. قال: «من أُعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة»[1]. ثمّ تلا الآية.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾: ذنباً على غير عمد ﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾: ذنباً تعمّده ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن القضاء بالحقّ، مع علمهم بالحال. و ليس القصد فيه إلى نفي همّهم بل إلى نفي تأثيره فيه. ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ ﴾ لأنّ و باله عليهم ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ فإنّ الله عاصمك و ناصرك ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

ورد: «إنّ أُناساً من رهط بشير الأدنين قالوا: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ نكلّمه في صاحبنا و نعذره، فإنّ صاحبنا بريء، فلمّا أنزل الله. "يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ"[2] الآية، أقبلت رهط بشير، فقالت: يا بشير استغفر الله وتب من الذّنب. فقال: والّذي أحلف به ما سرقها إلّا لبيد، فنزلت "وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً"[3] الآية. ثمّ إنّ بشيراً كفر و لحق بمكّة. وأنزل الله في النّفر الّذين أعذروا بشيراً و أتوا النّبيّ ليعذروه: "وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ" الآية. و نزل في بشير و هو بمكّة: "وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى"[4] الآية.»[5].

١ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٩٤، الحكمة: ١٣٥؛ والخصال ١: ٢٠٢، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ النّساء (٤): ١٠٨.
٣ـ النّساء (٤): ١١٢.
٤ـ النّساء (٤): ١١٥.
٥ـ القمّي ١: ١٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

و ورد في تأويل "إذ يبيّتون" : «فلان وفلان والجرّاح»[١]. و في رواية: «المغيّرون الكلم عن مواضعه بعد فقْد رسول الله ﷺ لإقامة أوَد[٢] باطلهم، كما فعلته اليهود والنّصارى من تغيير التّوراة والإنجيل»[٣].

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال: «القرض»[٤].

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بأن يستمع[٥] من الرّجل كلاماً يبلغه، فتخبث نفسه[٦]، فتلقاه، فتقول: سمعت من فلان فيك من الخير كذا و كذا خلاف ما سمعت منه.

ورد: «ثلاث يحسن فيهنّ الكذب: المكيدة في الحرب، و عدتك زوجتك، والإصلاح بين النّاس»[٧]. و ورد: «إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم، كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم»[٨]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: يخالفه ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾: ظهر له الحقّ ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ما هم عليه من الدّين الحنيفيّ ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نجعله والياً لما تولّى من الضّلال بأن نخذله و نخلّي بينه و بين ما اختاره ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. القمّي: نزلت في بشير[٩] كما مرّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾. كرّره لقصّة بشير أو

١ـ الكافي ٨: ٣٣٤، الحديث: ٥٢٥، عن أبي الحسن عليه السلام. والجرّاح: هو ابو عُبَيْدَة الجرّاح، كما في المصدر.
٢ـ الأوَد: العوج. أقام أوَدَهُ: أي عوّجه. مجمع البحرين ٣: ٩ (أود).
٣ـ الاحتجاج ١: ٣٧١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٤: ٣٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ج»: «بأن تسمع».
٦ـ الخبيث، ضدّ الطّيب، يقال: خَبُثَ الشّيء خُبْثاً ـ من باب قَرُبَ ـ و خَباثَة: ضدّ طاب. مجمع البحرين ٢: ٢٥١ (خبث).
٧ـ الخصال ١: ٨٧، الحديث: ٢٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النّبيّ ﷺ.
٨ـ القمّيّ ١: ١٥٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٩ـ القمّيّ ١: ١٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

للتّأكيد. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾: ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ قيل: يعني اللاّت والعزّى و مناة الثّالثة الأُخرى و إساف و نائلة، كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه و يسمّونه أُنثى بني فلان [1]. روي [2]: «كان في كلّ واحدة منهنّ شيطانة أُنثى تتراءى للسَّدَنَة [3]، وتكلّمهم، و ذلك من صنيع إبليس، وهو الشّيطان الّذي ذكره الله و لعنه» [4]. ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ لأنّه الّذي أمرهم بعبادتها و أغراهم عليها. والمَريدُ: الخارج عن الطّاعة.

﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده عن الخير ﴿وَقَالَ﴾ اي: الشّيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: قُدِّرَ لي و فُرِضَ؛ قاله عداوة و بغضاً. روي: «في هذه الآية من بني آدم تسعة و تسعون في النّار و واحد في الجنّة» [5]. و في رواية: «من كلّ ألف واحد لله وسايرهم للنّار و لإبليس» [6].

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحقّ ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الامانيّ الباطلة، كطول العمر، و أن لا بعث ولا عقاب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾. قيل: كانوا يَشقّون آذانها إذا وَلَدَتْ خمسةَ أبطُنٍ والخامس ذكرٌ، و حرّموا على أنفسهم الانتفاع بها [7]. و في رواية: «ليقطّعنّ الأُذن من أصلها» [8]. ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾. قال: «يريد دين الله و أمره، و يؤيّده قوله سبحانه: "فِطْرَةَ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدّينُ القَيِّم"» [9]. و لعلّه يندرج فيه كلّ تغيير لخلق الله من دون إذن من الله،

١- البيضاوي ٢: ١١٧.
٢- في «ب»: «ورد مقطوعاً»؛ وفي «ج»: «ورد».
٣- السَّدَنَة جمع سادن - بكسر الدال -: خادم الكعبة او بيت الصّنم. القاموس المحيط ٤: ٢٣٥ (سده).
٤- مجمع البيان ٣ - ٤: ١١٢، عن أبي حمزة الثّمالي في تفسيره.
٥ و ٦- المصدر: ١١٣، عن النّبيّ ﷺ.
٧- الكشّاف ١: ٥٦٤.
٨- مجمع البيان ٣ - ٤: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩- المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة الرّوم (٣٠): ٣٠.

كفقئهم [١] عين الفحل الّذي طال مكثه عندهم و إعفائه عن الرّكوب، و خصاء العبيد و كلّ مثلة؛ ولا ينافيه التّفسير بالدّين والأمر، لأنّ ذلك كلّه داخل فيهما. ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بان يؤثر طاعته على طاعة الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ إذ ضيّع رأس ماله و بدّل مكانه من الجنّة بمكانه من النّار.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ مالا ينجز ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو إظهار النّفع فيما فيه الضّرر. و هذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه.

ورد: «لمّا نزلت هذه الآية: "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ" [٢]، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه فمَنْ لها؟ قام عفريت من الشّياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا. قال: لستَ لها. فقام آخر، فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعدهم و أمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فاذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار. فقال: أنت لها. فوكّله بها إلى يوم القيامة» [٣].

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلاً و مهرباً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾. تأكيد بليغ.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. القمّي: ليس ما تتمنّون انتم ولا أهل الكتاب، يعني أن لاتعذّبوا بأعمالكم [٤]. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عاجلاً أو آجلاً. ورد: «إنّ الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً و له ذنب ابتلاه بالسّقم، فإن لم يفعل

١ـ الفَقْءُ ـ بالهمزة ـ: الشقّ، يقال: فَقَأْتُ عَيْنَهُ اي: شَقَقْتُها. مجمع البحرين ١: ٣٣٢ (فقا).
٢ـ آل عمران (٣): ١٣٥.
٣ـ الامالي (للصّدوق): ٣٧٦، الحديث: ٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ١٥٣، و فيه: «بافعالكم».

ذلك به ابتلاه بالحاجة. فإن لم يفعل ذلك به شدّد عليه الموت، ليكافيه بذلك الذّنب»[1].

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ﴾: لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: من يواليه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنه العذاب.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بعضها ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ بنقص شيء من الثّواب.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلص نفسه له ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: آتٍ بالحسنات. و ورد: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[2].

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الّتي هي دين الإسلام والمتّفق على صحّتها. يعني اقتدٰى بدينه وبسيرته و طريقته ﴿حَنِيفًا﴾: مايلاً عن سائر الأديان ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

قال: «لأنّه لم يُرِد احداً و لم يسأل أحداً قطّ غيرالله»[3]. و في رواية: «لكثرة سجوده على الأرض»[4]. و في أُخرى: «لكثرة صلاته على محمّد و أهل بيته»[5]. و في أُخرى: «لإطعامه الطّعام و صلاته باللّيل والنّاس نيام»[6].

و في أُخرى: «إنّ الخليل مشتقّ من الخَلّة والخُلّة إنّما معناها الفقر والفاقة، فقد كان خليلاً إلى ربّه فقيراً، و إليه منقطعاً، و عن غيره متعفّفاً معرضاً مستغنياً؛ و ذلك انّه لمّا أُريد قذفه في النّار فرمي به في المنجنيق، فبعث الله إلى جبرئيل، فقال له: أدرك عبدي، فجاءه فلقيه في الهواء، فقال: كلّفني ما بدا لك، فقد بعثني الله لنصرتك. فقال: بل حسبي الله و نعم الوكيل، إنّي لااسال غيره ولا حاجة لي إلاّ إليه، فسمّاه خليله اي: فقيره و محتاجه والمنقطع إليه عمّا سواه. قال: وإذا جُعل معنى ذلك من الخلّة، وهو أنّه

١ـ الكافي ٢: ٤٤٤، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١١٦، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٣ـ علل الشّرايع ١: ٣٤، الباب: ٣٢، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام.
٤ ـ المصدر، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣، عن عليّ بن محمّد العسكري عليهما السّلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٤، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

قد تخلّل معانيه، و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وبأُموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله»[1].

أقول: لاتنافي بين هذه الاخبار لاشتراكها في معنى انقطاعه إلى الله واستغنائه عمّا سواه، وإنّه الموجب لخلّته إيّاه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وامراً، مُلكاً وملكاً[2]، فهو مستغن عن جميع خلقه، وجميع خلقه محتاجون إليه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ علماً وقدرة.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: ويسئلونك الفتوى، أي: تبيين الحكم ﴿فِي النِّسَاءِ﴾: في ميراثهنّ. قال: «سُئل النّبيّ ﷺ عن النّساء، مالهنّ من الميراث؟ فأنزل الله الرّبع والثّمن»[3].

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: يبيّن لكم ماسألتم في شأنهنّ ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: ويفتيكم ايضاً مايقرأ عليكم من القرآن ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾: لاتعطونهنّ ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث. قال: «كان أهل الجاهليّة لايورّثون الصّغير ولا المرأة، وكانوا يقولون: لانورّث إلاّ من قاتل ودفع عن الحريم. فأنزل الله آيات الفرايض الّتي في أوّل السّورة، وهو معنى قوله: "لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ"»[4]. ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ عن نكاحهنّ. القمّي: إنّ الرّجل كان في حجره اليتيمة، فتكون دميمة[5] ساقطة، يعني حمقاء، فيرغب الرّجل أن يتزوّجها ولايعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها ويمنعها النّكاح ويتربّص بها الموت ليرثها؛ فنهى الله عن ذلك[6]

١ـ الاحتجاج ١: ١٩، عن حسن بن عليّ العسكري، عن ابي عبدالله، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٢ـ في «ب»: «ومُلكاً وملكاً».
٣ـ القمّي ١: ١٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١١٨، عن ابي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.
٥ـ الدّميمة: القبيحة المنظر، يقال: دمّ الرجل دَمامَة: قَبُح منظره وصَغُر جسمه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دم).
٦ـ القمّي ١: ١٥٤.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: ويفتيكم في المستضعفين ﴿مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾: من الصّبيان الصّغار أن تعطوا حقوقهم، فإنّ فيما يتلى عليكم: "وآتوا اليتامى أموالهم"[1] كما سبق[2]. ﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾: ويفتيكم في أن تقوموا ﴿لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ في أنفسهم وفي أموالهم ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر النّساء واليتامى وغير ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾. وعدلمن آثر الخير في ذلك.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾: توقّعت لماظهر لها من المخايل[3] ﴿نُشُوزًا﴾: تجافياً عنها، وترفّعاً عن صحبتها، وكراهةً لها، ومنعاً لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يقلّ مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾. قال: «هي المرأة تكون عند الرّجل فيكرهها، فيقول لها: أريد أن أطلّقك، فتقول له: لاتفعل، إنّي أكره أن يشمت بي، ولكن أنظر في ليلتي فاصنع بها ماشئت، وماكان سوى ذلك من شيء فهو لك، ودعني على حالتي، قال: هذا هو الصّلح»[4]. ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة. ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[5] لكونها مطبوعة عليه، فلاتكادالمرأة تسمح بإعراض الزوّج عنها وتقصيره في حقّها، ولا الرّجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقّها على ماينبغي إذا كرهها أو احبّ غيرها. القمّي: وأُحضرت الشحّ، فمنها من اختارته، ومنها من لم تختره[6]. ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ النّشوز والإعراض ونقص الحقّ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال: «أن تسوّوا بينهنّ في المحبّة والمودّة

١ـ النّساء (٤): ٢.
٢ـ في تفسير الآية: ٢ من هذه السّورة.
٣ـ المخايل، جمع المَخيلة، وهي مايوقع في الخيال، يعني به الامارات. وخِلْتُ الشيءَ خيلاً ومَخيلةً: ظننتُه. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).
٤ـ الكافي ٦: ١٤٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشّحّ: البخل مع حرص، فهو أشدّ من البخل؛ لأنّ البخل في المال، وهو في مالٍ ومعروف. مجمع البحرين ٢: ٣٧٩ (شحح).
٦ـ القمّي ١: ١٥٥، وفيه: «ما» بدل «من» في الموضعين.

بالقلب»[١]. وفي رواية: «التّسوية في كلّ الأمور من جميع الوجوه»[٢]. ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ كلّ الحرص فإنّ ذلك ليس إليكم، ولاتملكونه ولاتكلّفونه ولاتؤاخذون به. روي: «إنّ النّبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه ويقول: اللّهمّ هذه قسمتي فيما أملك فلاتلمني فيما تملك ولاأملك»[٣]. ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ الّتي ليست ذات بعل ولا أيّماً[٤]. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه في مرضه، فيُطاف به بينهنّ، وإنّ عليّاً عليه السلام كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لايتوضّأ في بيت الأخرى»[٥]. ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ ماتفسدون من أمورهنّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفرلكم مامضى.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ ببدل أو سلو[٦]، ويرزقه من فضله ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لايتعذّر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعدالوحشة. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾. قال: «في هذه الآية قد جمع الله مايتواصى به المتواصون، من الأولين والآخرين، في خصلة واحدة، وهي التّقوى، وفيه جماع كلّ عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدّرجات العُلى»[٧]. ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لايتضرّر

١ـ الكافي ٥: ٣٦٣، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ٢٧٩، الحديث: ٢٨٥؛ والقمّي ١: ١٥٥؛ ومجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ المصدر؛ والدّرّ المنثور ٢: ٧١٢.
٤ـ الأيّم، فيما يتعارفه أهل اللّسان: الّذي لازوج له، من الرّجال والنّساء. يقال: رجلٌ أيّم، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج؛ والمرأة أيّم، أيضاً، بكراً كانت او ثيّباً. وإنّما قيل للمرأة «أيّم» ولم يقل «أيمة»؛ لأنّ أكثر ذلك للنّساء، فهو كالمستعار. مجمع البحرين ٦: ١٦ (ايم)
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السّلام.
٦ـ السَّلْوة والسُّلْوة: رخاء العيش. يقال: هو في سلوة من العيش، أي: في نعمة ورفاهيّة ورغد. مجمع البحرين ١: ٢٢٣؛ ولسان العرب ١٤: ٣٩٦ (سلا)
٧ـ مصباح الشّريعة: ١٦٣، الباب: ٧٧، في الوصيّة، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بكفرانكم وعصيانكم، كما لاينتفع بشكركم وتقواكم، وإنّما وصّاكم لرحمته لالحاجته. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ في ذاته، حُمِدَ أولم يُحْمَدْ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلّ يدلّ بحاجته على غناه، وبما فاض عليه من الوجود والكمال على كونه حميداً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافظاً للجميع، لايعزب عنه مثقال ذرّة فيهما.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يفنكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ مكانكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾. روي: «لمّا نزلت هذه الآية ضرب النّبيّ ﷺ يده على ظهر سلمان ـ رضي الله عنه ـ وقال: هم، قوم هذا، يعني عجم الفرس»[1].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كمن يجاهد للغنيمة ﴿فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فليطلب الثّوابين جميعاً من عندالله تعالى، وما باله يكتفي بأخسّهما ويدع أشرفهما، على أنّه لوطلب الأشرف لم يخطئه الأخسّ. ورد: «من كانت الآخرة همّته، كفاه الله همّته[2] من الدّنيا»[3]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ عالماً بالاغراض، فيجازي كلاً بنيّته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾: مواظبين على العدل، مجتهدين في إقامته ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بالحقّ، تقيمون شهادتكم لوجه الله ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾: ولو كانت الشّهادة على انفسكم بأن تقرّوا عليها ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه أوالمشهود له[4] ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلاتمتنعوا عن إقامة الشّهادة للغنيّ على الفقير، لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه، ولا عن إقامة الشّهادة للفقير على

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢٢؛ والبيضاوي ٢: ١٢٢.
٢ـ في «ب»: «همّه».
٣ـ الخصال ١: ١٢٩، الباب: ٣، الحديث: ١٣٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «همّه» في الموضعين.
٤ـ في «الف»: «المشهود أو المشهود عليه».

الغنيّ، تهاوناً بالفقير و توقيراً للغنيّ، أو خشية منه، او حشمة له ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: بالغنيّ والفقير وانظر لهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا﴾: لأن تعدلوا عن الحقّ، من العدول؛ أو لأجل أن تعدلوا في الشّهادة، من العدل. نهى عن متابعة الهوى في إقامتها؛ كمراعاة صداقة، أو عداوة، أو وحشة، أو عصبيّة، أو غير ذلك. ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا﴾ قال: «تبدلوا الشّهادة»[١]. ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ قال: «تكتموها»[٢]. وفي رواية: «إن تلووا الامر، أو تعرضوا عمّا أُمرتم به»[٣]. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ بالسنتهم وظاهرهم ﴿ءَامِنُوا﴾ بقلوبكم وباطنكم ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [يعني محمّد ﷺ][٤] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [أي: القرآن][٥] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [أي: التّوراة والانجيل، أو الجنس][٦] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ يعني بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا﴾ حتّى لم يبق فيهم من الإيمان شيء. قال: «نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا برسول الله ﷺ في أوّل الامر، ثمّ كفروا حين عرضت عليهم الولاية، حيث قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه، ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقرّوا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء»[٧]. والقمّي: آمنوا إقراراً لا تصديقاً[٨].

١و٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٢١، الحديث: ٤٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤، ٥و٦ـ مابين المعقوفات من «ب».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٨١، الحديث: ٢٨٩؛ والكافي ١: ٤٢٠، الحديث: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ القمّي ١: ١٥٦.

في الموضعين. وفي رواية: «نزلت في ابن أبي سرح[1]، الّذي بعثه عثمان إلى مصر»[2].

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ إلى الجنّة لأنّ بصائرهم عميت عن الحقّ، فلايتأتّى منهم الرّجوع إليه.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وقد كتبها لأوليائه. القمّي: نزلت في بني أُميّة حيث حالفوا على أن لايردّوا الأمر في بني هاشم[3].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿أَنْ﴾: أنّه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾. ورد في تفسيرها: «إذا سَمِعْتَ الرّجل يجحد الحقّ ويكذّب به ويقع[4] في أهله، فقم من عنده ولاتقاعده»[5]. "إنّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ" في الكفر، إن رضيتم به وإلاّ ففي الإثم، لقدرتكم على الإنكار أو الإعراض. ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ القاعدين والمقعود معهم ﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: ينتظرون وقوع أمر بكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: مظاهرين لكم، فاسهموا لنا فيما غنمتم ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾

١ـ هو عبدالله بن سعد بن ابي سرح، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله ﷺ، وكان يكتب له، ثمّ ارتدّ مشركاً وسار إلى قريش بمكّة، فلمّا كان يوم فتح مكّة، امر رسول الله ﷺ بقتله اينما وجد، حتّى لحق أستار الكعبة، ففرّ إلى عثمان بن عفّان فغيّبه حتّى أتى به إلى رسول الله وأسلم ثانياً. وولاّه عثمان في زمانه مصر، سنة خمس وعشرين. وفتح إفريقيّة، فاعطاه عثمان جميع ما افاءالله على المسلمين من فتح إفريقيّة بالمغرب. وهو اخو عثمان من الرّضاع. وأسوأ احواله خاتمته، حيث شهد صفّين مع معاوية، على ماقيل. «راجع: تنقيح المقال ١ : ٢٨١».

٢ـ العيّاشي ١ : ٢٨٠، الحديث: ٢٨٧، عن الصادقين عليهما السلام، وفيه: «عبدالله بن ابي سَرْح».

٣ـ القمّي ١ : ١٥٦، وفيه: «خالفوا نبيّهم على أن ...».

٤ـ وَقَعَ في النّاس وَقيعةً: اغتابهم. مجمع البحرين ٤ : ٤٠٨ (وقع).

٥ـ الكافي ٢ : ٣٧٧، الحديث: ٨، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والعيّاشي ١ : ٢٨١، الحديث: ٢٩٠، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

من الحرب ﴿قَالُوٓاْ﴾ للكافرين ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾: الم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم. والاستحواذ: الاستيلاء. ﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ بأن اخذلناهم عنكم، بتخييل ماضعفت به قلوبهم، وتوانينا[1] في مظاهرتهم، وكنّا عيوناً لكم حتّى انصرفوا عنكم وغلبتموهم، فاشركونا فيما أصبتم. سُمّي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً، لخسّة حظّهم. ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ بالحق ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾. قال: «يعني لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجّة»[2].

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾. سبق تفسيره[3]. ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين كالمكره على الفعل ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ليخالوهم مؤمنين ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ المرائي لايفعل إلّا بحضرة من يرائيه. ورد: «من ذكر الله في السرّ، فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولايذكرونه في السرّ، فقال الله عزّوجلّ: "يُراؤُنَ النّاسَ وَلايَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ قَليلاً"»[4].

﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾: مردّدين بين الإيمان والكفر؛ من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطرباً، وأصله: الذبّ بمعنى الطرد. ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾: يظهرون الإيمان كمايظهره المؤمنون، ولكن لايضمرونه كمايضمرون، ويضمرون الكفر كمايضمرونه[5] الكافرون، ولكن لايظهرونه كمايظهرون. ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حجّة واضحة، فإنّ موالاة الكافرين دليل النفاق.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: في قعر جهنّم، فإنّ للنّار دركات

١ـ توانى في الأمر: ترفّق. مجمع البحرين ١: ٤٦٥ (ونا).
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠٤، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ٥.
٣ـ ذيل الآية: ٩، من سورة البقرة.
٤ـ الكافي ٢: ٥٠١، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ في «ب» و «ج»: «كمايضمره».

متداركة، بعضها تحت بعض، كما أنّ للجنّة درجات متدرّجة، بعضها فوق بعض.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجهم منه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ﴿وَٱعْتَصَمُوا بِٱللَّهِ﴾: وثقوا به وتمسّكوا بدينه ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: لا يريدون بطاعتهم إلّا وجهه ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال: «لا يحبّ الله الشتم في الانتصار»[1].

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ قال: «فلا بأس له أن ينتصر ممّن[2] ظلمه، بما يجوز الانتصار به في الدّين»[3]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ﴾ مع قدرتكم على الانتقام، من دون جهر بالسّوء من القول؛ وهو المقصود ذكره، وما قبله تمهيد له، ولذا رتّب عليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ وهو حثّ للمظلوم على العفو، بعد ما رخّص له في الانتصار، حملاً على مكارم الأخلاق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾: ببعض الأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ إلى الضّلالة. القمّي: هم الّذين أقرّوا برسول الله ﷺ وأنكروا بأمير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بل آمنوا بجميعهم

١ و ٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «الف»: «من».
٤ـ القمّي ١: ١٥٧.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾. روي: «إنّ كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا: يامحمّد! إن كنت نبيّاً، فأتنا بكتاب من السّماء جملة، كما أتىٰ موسى بالتّوراة جملة، فنزلت»[1]. ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾ وهو تعنّتهم وسؤالهم المستحيل ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾: عبدوه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: المعجزات الباهرات ﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾ لسعة رحمتنا ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾: حجّة بيّنة تبين عن صدقه.

﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل ﴿بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ ليقبلوه ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ﴾ على لسان موسى ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾: باب حطّة ﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾: لاتتجاوزوا في يوم السّبت ماأُبيح لكم إلى ماحُرّم عليكم ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ على ذلك.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ يعني: فخالفوا ونقضوا، ففعلنا بهم مافعلنا بسبب نقضهم؛ و «ما» مزيدة للتّأكيد. ﴿وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾: أوعية للعلوم أوفي أكنّة، كماسبق تفسيره[2]. ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ﴾ بعيسى ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ يعني: نسبتها إلى الزّنا. ورد: «إنّ رضا النّاس لايملك، وألسنتهم لاتضبط، ألم ينسبوا مريم ابنة عمران عليهما السّلام إلى أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف»[3].

﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يعنون رسول الله بزعمه.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣٣.
٢ـ ذيل الآية: ٨٨ من سورة البقرة.
٣ـ الأمالي (للصّدوق): ٩١، المجلس الثاني والعشرون، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾. قيل: إنّما ذمّهم بمادلّ عليه الكلام من جرأتهم على الله، وقصدهم قتل نبيّه المؤيّد بالمعجزات القاهرة وبتجحجحهم[1] به، لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم[2]. وقد سبق ذكر هذه القصّة في آل عمران[3]. ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾. قيل: قال بعضهم: كان كاذباً فقتلناه حقّاً، وتردّد آخرون، فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال من سمع منه إنّ الله يرفعني إلى السّماء: رُفع إلى السّماء، وقال قوم: صُلب النّاسوت وصعد اللاّهوت[4]. ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾.

﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾. ردّ وإنكار لقتله. ورد: «إنّ لله بقاعاً في سماواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله يقول في قصّة عيسى بن مريم: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إلَيْهِ﴾»[5]. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾. قال: «إنّه ينزل قبل يوم القيامة إلى الدّنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره، إلاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ عليه السلام»[6]. وفي رواية: «ليؤمننّ بمحمّد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابي»[7]. ورد: «ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلاّ رآى رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السّلام حقّاً، من الأوّلين والآخرين»[8]. ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ قال: «يعني لحوم الإبل

١ ـ جَحْجَحَ: افْتَخَرَ. المعجم الوسيط ١: ١٠٧ (جحجح). وفي «ب»: «بتبجّحهم» وهي بمعناه.
٢ ـ البيضاوي ٢: ١٢٧ ـ ١٢٨.
٣ ـ ذيل الآيات: ٣٥ إلى ٥٥.
٤ ـ البيضاوي ٢: ١٢٨.
٥ ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٢٧، ذيل الحديث: ٤؛ وعلل الشرايع ١: ١٣٣، الباب: ١١٣، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٦ ـ القمّي ١: ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٣٧ ـ ١٣٨.
٨ ـ العيّاشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

والبقر والغنم»[١]. ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾. قيل: يعني ويؤمنون بالمقيمين، يعني الانبياء[٢]. وقيل: بل نصب بالمدح[٣]. ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ قال: «إني أوحيت إليك، كما أوحينا إلى نوح والنّبيّين من بعده، فجمع له كلّ وحي»[٤]. ورد: «أُعطيت السّور الطّول مكان التّوراة، وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، وأُعطيت المثاني مكان الزّبور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستّون سورة»[٥،٦]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

﴿وَرُسُلًا﴾: وأرسلنا رسلاً ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

١ـ الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ والعيّاشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٤؛ والقمّي ١: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٤٠؛ والتفسير الكبير ١١: ١٠٦؛ والبيضاوي ٢: ١٢٩.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٥، عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ الكافي ٢: ٦٠١، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه: «الطوال» مكان: «الطول».
٦ـ السّبع الطّول: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التّوبة؛ لأنّها تدعى القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرّحمن الرّحيم. وإنّما سمّيت هذه السّور الطّول؛ لأنّها اطول سور القرآن. وامّا المثاني، فهي السورة التالية للسّبع الطول، وأولها سورة يونس، وآخرها النّحل. وإنّما سمّيت مثاني؛ لأنّها ثنت الطول، أي: تلتها، فكان الطول هي المبادئ، والمثاني لها ثواني. وامّا المأوون، فهي كلّ سورة تكون نحواً من مائة آية، او فويق ذلك، او دوينه. وهي سبع اولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون. وقيل: أنّ المائين ما ولّى السّبع الطول، ثمّ المثاني بعدها، وهي الّتي يقصر عن المائين ويزيد على المفصّل. وسمّيت مثاني؛ لأنّ المائين مباد لها. وامّا المفصّل، فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، طوالها من سورة محمّد إلى النّبا، ومتوسّطاته منه إلى الضّحى، وقصاره منه إلى آخر القرآن. وسمّيت مفصّلاً؛ لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرّحمن الرّحيم. «راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ١٤؛ ومرآة العقول ١٢: ٤٨١ـ٤٨٢».

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾. قال: «كان بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن، فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله عزّوجلّ: "ورُسُلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورُسُلاً لم نقصصهم عليك" يعني: لم يسمّ المستخفين، كما سمّي المستعلنين من الأنبياء»[١].

﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ فيقولوا: لولا ارسلت إلينا رسولاً، فينبّهنا ويعلّمنا مالم نكن نعلم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾. قيل: لمّا نزلت "إنّا أوحينا إليك" قالوا: مانشهد لك بهذا، فنزلت[٢]. ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ بأنك مستأهل له ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ ايضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وإن لم يشهد غيره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ لانهم قدجمعوا[٣] بين الضّلال والإضلال، ولأنّ المضلّ يكون اغرق في الضّلال وأبعد من الانقلاع عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ جمعوا بينهما ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾. ورد: «نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: إنّ الّذين كفروا وظلموا آل محمّد حقّهم»[٤]. والقمّي: إنّ الصّادق عليه السلام قراها هكذا[٥].

١ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢؛ والعيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٠.
٣ـ في «ج»: «لأنّهم جمعوا».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٧؛ والكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي الكافي: «إنّ الّذين ظلموا آل محمّد حقّهم».
٥ـ القمّي ١: ١٥٩.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: يكن الإيمان خيراً لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾. غلت اليهود في حطّ عيسى، حتّى رموه بأنّه ولد لغير رِشْدَةٍ[1]؛ والنّصارى في رفعه، حتّى اتّخذوه إلهاً. ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ يعني: تنزيهه عن الشّريك والصّاحبة والولد ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: «روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى»[2]. وفي رواية: «مخلوقان اختارهما[3] واصطفاهما»[4]. ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ﴾ الآلهة ثلاثة: الله، والمسيح، ومريم؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: "ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّي إلٰهَيْن مِنْ دُونِ الله"[5]. ﴿ٱنتَهُوا۟﴾ عن التّثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾: يكن الانتهاء خيراً ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وحدة حقيقيّة، لا يتطرّق إليها نحو من أنحاء الكثرة والتّعدّد أصلاً ﴿سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾. تنبيه على غناه عن الولد، فإنّ الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء، كاف في ذلك، مستغن عمّن يخلفه أو يعينه.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾: لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ لأنّ عبوديّة الله شرف يباهى به، وإنّما المذلّة في عبوديّة غيره. روي: «إنّ وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: لِمَ تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأيّ شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنّه عبدالله. قال: إنّه ليس بعارٍ أن يكون عبداً لله. قالوا: بلى. فنزلت»[6]. ﴿وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ

١ـ يقال: هذا ولد رشدة إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضدّه: ولد زنية. النّهاية ٢: ٢٢٥ (رشد).
٢ـ الكافي ١: ١٣٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «هي روح الله مخلوقة ...».
٣ـ في «ب»: «خلقهما».
٤ـ التوحيد: ١٧٢، الباب: ٢٧، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المائدة (٥): ١١٦.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٤٦؛ والبيضاوي ٢: ١٣١.

الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾: وترفّع[1] عنها. والاستكبار دون الاستنكاف؛ وإنّما يستعمل حيث لااستحقاق، بخلاف التكبّر، فإنّه قد يكون باستحقاق، كما هو في الله سبحانه. ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾. قال: «البرهان: محمّد ﷺ، والنّور: عليّ عليه السلام، والصّراط المستقيم: عليّ عليه السلام»[2]. والقمّي: النّور: إمامة عليّ، والاعتصام: التّمسّك بولايته، وولاية الأئمّة عليهم السّلام بعده[3].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في الكلالة، كما يدلّ عليه الجواب، وقد سبق تفسيرها[4]. روي: «إنّ جابر بن عبدالله كان مريضاً، فعاده رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لي كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت»[5]. ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ قال: «أُخت لأمّ وأب أو أُخت لأب»[6]. ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي والمرء يرث أُخته جميع مالها إن كانت الأُخت هي الميتة. ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ولا والد، لأنّ الكلام في ميراث الكلالة، ولما ثبت أنّ الإخوة لا يرثون مع الأب. ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾. الضّمير لمن يرث بالأخوّة. ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا

١- في «ج»: «يترفّع».
٢- العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣- القمّي ١: ١٥٩.
٤- ذيل الآية: ١٢ من هذه السّورة.
٥- البيضاوي ٢: ١٣٢؛ والدّرّ المنثور ٢: ٧٥٣.
٦- الكافي ٧: ١٠١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ . قال : «إذا مات الرّجل وله أُخت ، تأخذ نصف الميراث بالآية ، كما تأخذ البنت لو كانت ، والنّصف الباقي يردّ عليها بالرّحم ، إذا لم يكن للميّت وارث أقرب منها ؛ فإن كان موضع الأُخت أخ ، أخذ الميراث كلّه بالآية ، لقول الله تعالى "وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ" فإن كانت[١] أُختين أخذتا الثّلثين بالآية ، والثّلث الباقي بالرّحم ؛ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً "فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ" وذلك كلّه إذا لم يكن للميّت ولد وأبوان أو زوجة»[٢] . ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ : كراهة أن تضلّوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ قيل : هي آخر آية نزلت في الأحكام[٣] .



١ـ الكافي : «كانتا» .
٢ـ القمّي ١ : ١٥٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، وفيه : «إذا لم يكن للميّت ولد أو أبوان أو زوجة» . وفي «الف» : «... ولد وأبوان وزوجة» .
٣ـ البيضاوي ٢ : ١٣٢ ؛ والكشّاف ١ : ٥٨٩ .

سورة المائدة

[مدنيّة، و هي مائة و عشرون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ قال: «أي: بالعهود» [2].

أقول: الإيفاء والوفاء بمعنًى. والعقد: العهد الموثّق، ويشمل هنا كلّ ما عقد الله على عباده وألزمه إيّاهم من الإيمان به، وبملائكته وكتبه و رسله وأوصياء رسله، وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإتيان بفرائضه و سننه، و رعاية حدوده و أوامره و نواهيه، وكلّ ما يعقده المؤمنون على أنفسهم لله وفيما بينهم من الأمانات والمعاملات الغير المحظورة.

و ورد: «إنّ رسول الله ﷺ عقد عليهم لعليّ صلوات الله عليه بالخلافة في عشرة [3] مواطن، ثمّ أنزل الله "يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود" الّتي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام» [4].

١ـ الزّيادة من: «ب».
٢ـ القمّي ١: ١٦٠؛ والعيّاشي ١: ٢٨٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ب»: «عشر مواطن».
٤ـ القمّي ١: ١٦٠، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.

﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾. قيل: أُريد به الأزواج الثمانية [١]. و ورد في تفسيرها: «الجنين في بطن أُمّه إذا أشعَرَ و أوبَرَ، فذكاته ذكاة أُمّه. قال: فذلك الّذي عنى الله به» [٢]. وفي رواية: «وإن لم يكن تامّاً فلاتأكله» [٣].

أقول: لعلّ هذا أحد معانيها، فلاينافي عمومها، مع أنّه نصّ في حلّ الأُمّ.

سئل: عن أكل لحم الفيل والدّبّ والقرد فقال: «ليس هذا من "بهيمة الأنعام" الّتي تؤكل» [٤].

﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريمه. ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾. قيل: يعني أُحلّت لكم في حال امتناعكم من الصّيد وأنتم محرمون، لئلاّ يتحرّج عليكم [٥].

أقول: و هو لا ينافي عموم حلّها ساير الأحوال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: لاتتهاونوا بحرمات الله ممّا جعله شعار الدّين وعلامته ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بالقتال فيه. «نزلت حين أراد المسلمون قتل كافر باغ في أشهر الحرم». كذا ورد [٦]. ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾: ما أُهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾: ماقلّد به الهدي من نعل وغيره، ليعلم انّه هدي فلايتعرّض له. ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾: قاصدين لزيارته ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾: أن يثيبهم ويرضى عنهم. يعني لاتتعرّضوا لهم.

﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ﴾ من إحرامكم ﴿فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ إن شئتم ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: ولايحملنّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾: شدّة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ

١ـ البيضاوي ٢: ١٣٣. والمراد بها: المعز والضّأن والبقر والإبل، ذكَرُها و أُنثاها.
٢ـ الكافي ٦: ٢٣٤، الحديث: ١، عن أحدهما عليهما السّلام.
٣ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٩٠، الحديث: ١٢، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه، عن عليّ عليهم السّلام.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٠٩؛ والكشّاف ١: ٥٩١.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٠.

﴿الْحَرَامِ﴾: لأن صدّوكم. يعني عام الحُدَيْبِيَّة. ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ بالانتقام ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ للتشفّي والانتقام ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾. بيان لما يتلى عليكم ﴿وَالدَّمُ﴾ أي: المسفوح منه، لقوله: "أَوْ دَماً مَسْفُوحاً"[١]. قيل: كانوا في الجاهليّة يصبّونه في الأمعاء ويشوونها[٢]. ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ وإن ذكّي. خصّه بالذّكر دون الكلب و غيره، لاعتيادهم أكله دون غيره.

﴿وَمَا أُهِلَّ﴾: رُفِعَ الصَوتُ ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كقولهم: باسم اللّات والعُزّىٰ عند ذبحه. قال: «ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر»[٣]. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ قال: «الّتي انخنقت بأخناقها حتّى تموت»[٤]. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ قال: «الّتي مرضت و وقذها[٥] المرض، لم يكن بها حركة»[٦]. وفي رواية: «كانوا يشدّون أرجلها و يضربونها حتّى تموت»[٧]. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ قال: «الّتي تتردّى من مكان مرتفع إلى أسفل فتموت»[٨]. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ قال: «الّتي تنطحها بهيمة أُخرى فتموت»[٩]. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فمات.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾. قال: «يرجع إلى جميع ماتقدّم ذكره من المحرّمات سوى مالا يقبل الذّكاة من الخنزير والدّم»[١٠]. قال: «إنّ أدنى ما يُدْرَكُ به الذّكاةُ ان يدركه و هو يحرّك أُذُنَه أو ذَنَبَه أو يطرف عينيه»[١١]. وفي رواية: «إذا طرفت العين أو ركضت الرّجل أو تحرّكت

١ـ الأنعام (٦): ١٤٥.

٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٤. شَوَى الماء: اسخنه. «القاموس المحيط ٤: ٣٥٢؛ وتاج العروس ١٠: ٢٠٤». شوى شَيّاً اللّحمَ: عرّضه للنّار فنضج. المنجد في اللغة: ٤١٠ (شوى).

٣، ٤، ٦، ٨و٩ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.

٥ـ الوَقْذُ في الأصل: الضَّرب المُثْخِنُ والكسر. وَ وَقَذها المرض أي: كسرها وضعّفها. النّهاية ٥: ٢١٢ (وقذ).

٧ـ القمّي ١: ١٦١.

١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١٥٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١١ـ المصدر: ١٥٧، عن الصّادقين عليهما السّلام، و فيه: «ان تُدرِكَهُ يَتحرّكُ أُذُنُه او ذَنَبُه او تطرِفُ عينه».

الذّئبُ، فكُلْ منه فقد أدركت ذكاته»[1] . ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ . قال: «على حجر أو صنم، إلاّ ما أُدرك ذكاته فيذكّى»[2] . ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ .

قال: «كانوا في الجاهليّة يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس ويقتسمون عليه بالقِداح، وكانت عشرة؛ سبعة لها أنْصِباءٌ وثلاثة لا أنْصِباءَ لها، ثمّ ذكر أسماء القداح ثمّ قال: فكانوا يُجيلون السّهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من الّتي لا أنْصِباءَ لها أُلزم ثلث ثمن البعير، فلايزالون كذلك حتّى تقع السّهام الثّلاثة الّتي لاأنصباء لها إلى ثلاثة منهم، فيلزمونهم ثمن البعير، ثمّ ينحرونه ويأكله السبعة الّذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثّلاثة الّذين أنقدوا[3] ثمنه شيئاً. فلمّا جاء الإسلام حرّم الله ذلك فيما حرّم، فقال ـ عزّوجلّ ـ: "وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق" يعني حرام»[4] .

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ : الآن ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ : انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه، وترجعوا منه إلى الشّرك. القمّي: ذلك لمّا نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[5] .

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا على دين الإسلام ويردّوكم عن دينكم ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ إن خالفتم أمري أن تحلّ بكم عقوبتي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ . قال: «الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله: "اليوم اكملت لكم دينكم" قال: [6] لا أُنزلُ بعد هذه فريضةً، قد أكملت لكم الفرائض»[7] .

١ـ الكافي ٦: ٢٣٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٣ـ في «ب» و «ج»: «نقدوا».
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧ ـ ٢١٨، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ١٦٢.
٦ـ في المصدر: «قال ابو جعفر عليه السلام: يقول الله عزّوجلّ: لا أُنزِل عليكم ...».
٧ـ الكافي ١: ٢٨٩، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

أقول: وإنّما أُكملت الفرائض بالولاية، لأنّ النّبيّ ﷺ أنهى[1] جميع ما استودعه الله من العلم إلى أمير المؤمنين ثمّ إلى ذرّيّته الأوصياء عليهم السّلام، واحداً بعد واحد، فلمّا أقامهم مقامه وتمكّن النّاس من الرّجوع إليهم في حلالهم وحرامهم، واستمرّ ذلك بقيام واحد مقام آخر إلى يوم القيامة، كمل الدّين وتمّت النّعمة. وقد ورد هذا المعنى بعينه عنهم عليهم السّلام[2]، والحمد لله على ذلك، وصلّى الله على محمّد و أهل بيته الأوصياء وسلّم.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾. متّصل بالمحرّمات، وما بينهما اعتراض، والمعنى: فمن اضطرّ إلى تناول شيء من هذه المحرّمات. ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ قال: «غير متعمّد»[3]. ﴿لِإِثْمٍ﴾.

أقول: وذلك بأن يأكلها تلذّذاً أو مجاوزاً حدّ الرّخصة. وهذا كقوله سبحانه: "غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ" وقد سبق تفسيرهما في سورة البقرة[4].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه بأكله.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: مالم تستخبثه الطّباع السّليمة ولم تتنفّر عنه ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ أي: صيدهنّ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مؤدّبين لها. والمكلّب: مؤدّب الجوارح ومُغْريها بالصّيد. قال: «هي الكلاب»[5]. قال: «فما خلا الكلاب فليس صيده بالّذي يؤكل إلّا أن يدرك ذكاته»[6]. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: ممّا ألهمكم من طرق التّأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

١ـ الإنهاء: الإبلاغ والإعلام. يقال: أنهيْتُ الأمرَ إلى الحاكم: أعلَمتُه به. مجمع البحرين ١: ٤٢٦ (نها).

٢ـ راجع: الكافي ١: ٢٩٠، الحديث: ٤؛ و ٢٨٩، الحديث: ٦؛ و ٢٢٢، الحديث: ٦؛ و ٢٢٣، باب أنّ الأئمّة ورثوا علم النّبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء الّذين من قبلهم.

٣ـ القمّي ١: ١٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ في ذيل الآية: ١٧٣.

٥ـ الكافي ٦: ٢٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ المصدر: ٢٠٥ الحديث: ١٤؛ ومن لا يحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٩١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «إن أرسله صاحبه وسمّى، فليأكل كلّ ما أمسك عليه وإن قتل، وإن أكل فكلْ ما بقي»[١]. و قال: «إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم اللهّ عليه فهو ذكاته»[٢].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾. قال: «إنّ المراد به الحبوب والبقول والفاكهة، غير الذّبايح الّتي يذبحونها، فإنّهم لايذكرون اسم الله خالصاً على ذبايحهم»[٣]. وفي رواية: «الذّبيحة بالاسم ولايؤمن عليها إلاّ أهل التّوحيد»[٤]. وفي أُخرى: «إذا شهدتموهم وقد سمّوا اسم الله فكلوا ذبايحهم، وإن لم تشهدوهم فلاتأكلوا، وإن أتاك رجل مسلم فأخبرك أنّهم سمّوا فكل»[٥].

وفي أُخرى: «لاتأكله ولا تتركه، تقول: إنّه حرام، ولكن تتركه تنزّهاً عنه، إنّ في آنيتهم الخمر ولحم الخنزير»[٦]. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلاعليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ يعني: وأُحلّ لكم نكاح المحصنات، يعني: العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال: «هنّ المسلمات»[٧]. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال: «هنّ العفائف»[٨]. و ورد: «إنّها منسوخة بقوله تعالى: "وَلاتُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ"»[٩]. وفي رواية: «و بقوله: "وَلاتَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ"»[١٠]. وفي أُخرى:

١ـ الكافي ٦: ٢٠٥ الحديث: ١٤؛ ومن لايحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٩١١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ القمّيّ ١: ١٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٦: ٢٣٩، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ التهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٦: ٢٦٤، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٥، الحديث: ٢؛ والبرهان ١: ٤٤٩، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٧٦، الحديث: ١٣١٣؛ والعيّاشي ١: ٢٩٦، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ٥: ٣٥٨، الحديث: ٨، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الممتحنة (٦٠): ١٠.
١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١٦٢، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في سورة البقره (٢): ٢٢١.

«إنّها ناسخة لقوله: "وَلاَتَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ"»[1]. ويؤيّده ما ورد: «إنّ سورة المائدة آخر القرآن نزولاً، فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها»[2].

و ورد: إنّه سئل عن الرّجل المؤمن يتزوّج النّصرانيّة واليهوديّة. قال: «إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهوديّة والنّصرانيّة. فقيل له: يكون له فيها الهوى، قال: فإن فعل فليمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير؛ واعلم أنّ عليه في دينه غضاضة»[3]. وفي رواية: «لايتزوّج الرّجل اليهوديّةَ والنّصرانيّةَ على المسلمة، ويتزوّج المسلمةَ على اليهوديّة والنّصرانيّة»[4]. وفي أُخرى: «لابأس أن يتمتّع الرّجل باليهوديّة والنّصرانيّة وعنده حرّة»[5]. ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ ﴿مُحْصِنِينَ﴾: أعفّاءَ بالنّكاح ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: غير مجاهرين بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾: ولامسرّين به. والخِدْنُ: الصّديق، يقع على الذّكر والأُنثى.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾. قال: «ترك العمل الّذي أقرّ به، من ذلك أن يترك الصّلاة من غير سقم ولاشغل»[6]. وفي رواية: «ترك العمل حتّى يدعه أجمع»[7]. وفي أُخرى: «الّذي لايعمل بما أمر الله ولايرضى به»[8]. ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

١ـ الكافي ٥: ٣٥٧، الحديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ـ الدرّ المنثور ٣: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ٥: ٣٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. والغضاضة: الذّلّة والمنقصة. مجمع البحرين ٤: ٢١٨ (غضض).
٤ـ المصدر: ٣٥٧، الحديث: ٤و٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٧: ٢٥٦، الحديث: ١١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٣٨٤، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٩٧، الحديث: ٤٣، عن احدهما عليهما السّلام.
٨ـ المصدر، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: «من النّوم»[١].

اقول: فوجوب الوضوء بغير حدث النّوم مستفاد من الاخبار، كوجوب الغسل بغير الجنابة.

﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ .الوجه ما يواجه به. قال: «كلّ ما أحاط به الشّعر فليس على العباد أن يطلبوا ولا أن يبحثوا عنه ولكن يجري عليه الماء»[٢].

اقول: ولمّا كانت اليد تطلق على ما تحت الزّند وعلى ما تحت المرفق وعلى ما تحت المنكب؛ بيّن الله سبحانه غاية المغسول منها، فلا دلالة في الآية على ابتداء الغسل بالأصابع وانتهائه إلى المرافق؛ وكذلك القول في الأرجل، فإنّها تطلق على القدم وعلى ماتحت الرّكبة وعلى ما يشمل الفخذين، والمرفق مجمع عظمي الذّراع والعضد، والكعب عظم مائل إلى الاستدارة واقع في ملتقى السّاق والقدم، ويعبّر عنه بالمفصل لمجاورته له.

ورد: إنّه سئل: اين الكعبان؟ قال: «هٰهنا، يعني المفصل دون عظم السّاق»[٣]. وسئل: بم علم أنّ المسح ببعض الرّأس وبعض الرّجلين؟ فأجاب: «لمكان الباء»[٤] يعني أنّها للتّبعيض. وسئل: "و أرجلكم" على الخفض هي أم على النّصب؟ فقال: «بل هي على الخفض»[٥]. وقال: «فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى اطراف الأصابع فقد أجزأه»[٦].

﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾: فاغتسلوا. عطف على فاغسلوا، كقوله: "وَإِنْ

١ـ التّهذيب ١: ٧، الحديث: ٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٨، الحديث: ٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٣٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ١: ٧٠ـ٧١، الحديث: ١٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُنتُمْ مَرْضى». قال: «تبدأ فتغسل كفّيك، ثمّ تفرغ بيمينك على شمالك فتغسل فرجك ومرافقك، ثمّ تمضمض واستنشق، ثمّ تغسل جسدك من لدن قرنك [1] إلى قدميك، ليس قبله ولا بعده وضوء، وكلّ شيء أمسسته الماء فقد أنقيته، ولو أنّ رجلاً ارتمس في الماء ارتماسةً واحدةً أجزاه ذلك وإن لم يدلك جسده» [2]. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾. قد سبق تفسير هذه الآية في سورة النّساء [3].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بفرض الطّهارات ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: من ضيق ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذّنوب، فإنّ الطّهارة كفّارة للذّنوب، كما هي رافعة للأحداث ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بهذا التّطهير ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾. قيل: يعني عند إسلامكم بأن تطيعوا الله فيما يفرضه عليكم. [4] و ورد: «إنّ المراد به ما بيّن لهم في حجّة الوداع، من تحريم المحرّمات وكيفيّة الطّهارة وفرض الولاية وغير ذلك» [5]. **أقول**: وهذا داخل في ذلك.

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيّاتها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾. سبق تفسيره [6].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولا يحملنّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: شدّة عداوتهم و بغضهم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا

١ ـ القَرْنُ: جانب الرّأس. مجمع البحرين ٦: ٣٠٠ (قرن).
٢ ـ التّهذيب ١: ١٤٨، الحديث: ٤٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ ذيل الآية: ٤٣.
٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٦٨.
٥ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في سورة النّساء ذيل الآية: ١٣٥.

﴿تَعۡدِلُواْ﴾ فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لايحلّ، كمُثْلَةٍ وقذف و قتل نساء وصبيّة ونقض عهد، تشفياً ممّا في قلوبكم. ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في اوليائكم واعدائكم ﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ﴾: يبطشوا ﴿إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالقتل والإهلاك ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾. القمّي: يعني أهل مكّة من قبل فتحها، فكفّ ايديهم بالصّلح يوم الحديبيّة [١]. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ :كفيلاً أميناً شاهداً من كلّ سبط ينقّب عن أحوال قومه ويفتّش عنها ويعرف مناقبهم. ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾: ونصرتموهم وقوّيتموهم ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قيل: أُمروا بعد هلاك فرعون بأن يخرجوا إلى «أريحا» من أرض الشّام ويجاهدوا مع ساكنيها من الجبابرة ويستقرّوا فيها، وأمر موسى بان يأخذ من كلّ سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أُمروا به، فاختار النّقباء وأخذ الميثاق عليهم، فلمّا دنوا من أرضهم بعث النّقباء يتجسّسون فرأوا أجراماً عظاماً وقوّة، فرجعوا فأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك، فحدّثوا بذلك قومهم، إلاّ كالب بن يوفنّا من سبط يهودا ويوشع

١ـ القمّي ١: ١٦٣.

بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف وكانا من النّقباء[1].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾: طردناهم من رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: لاتنفعل عن الآيات والنّذر ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا﴾: تركوا نصيباً وافراً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: خيانة او فرقة خائنة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. القمّي: منسوخة بقوله: "اُقْتُلوا الْمُشْرِكِينَ"[2].

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كنعت محمّد ﷺ وآية الرّجم في التّوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لايخبر به ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طرق السّلامة من العذاب ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أنواع الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإسلام ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: فمن يمنع من قدرته و إرادته شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾: أشياع[3] ابنيه: عُزَيْر ومسيح

١ـ الكشّاف ١: ٥٩٩؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ١٧١.

٢ـ القمّي ١: ١٦٤. والآية في سورة التّوبة (٩): ٥.

٣ـ في «ب»: «أتباع».

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ في الدّنيا بالقتل والأسر والمسخ، وفي الآخرة بالنّار أيّاماً معدودة كما زعمتم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: يعاملكم معاملة ساير النّاس ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ ما يحتاج إلى البيان ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾: على فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾: كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلاتعتذروا.
قال: «إنّ الأمم تجحد تادية رسالات رسلهم وتقول: "ما جاءنا من بشير ولا نذير"، والرّسل يستشهدون نبيّنا صلوات الله عليهم، فيقول نبيّنا لكلّ أمّة: "بلى قد جاءكم بشير و نذير"»[1]. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: «اي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم»[2].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام و إنزال المنّ والسّلوى وغير ذلك.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: «يعني الشّام»[3]. ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ان تكون مسكناً لكم. ورد: «إنّهم لم يدخلوها حتّى حرّمها عليهم وعلى أبنائهم، و إنّما دخلها أبناء الأبناء»[4]. وفي رواية: «كتبها لهم ثمّ محاها»[5]. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: ولا ترجعوا مدبرين ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ثواب الدّارين.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: شديدي البطش والبأس والخلق، لايتاتّى

١ و٢ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠: عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٠٦، ذيل الحديث: ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث: ٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث: ٦٩، عن الصّادقين عليهما السّلام.

لنا مقاومتهم ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ قال: «هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا وهما ابنا عمّه»[1]. ﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾: يخافون الله ويتّقونه ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بالإيمان والتّثبيت ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾: باب قريتهم، أي: باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ لتعسّر الكرّ عليهم في المضائق من عظم أجسامهم، ولأنّهم أجسام لاقلوب فيها. ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ في نصرته على الجبّارين ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ به وبوعده.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾. قالوها استهانةً بالله و رسوله وعدم مبالاة بهما.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ لايدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾: يسيرون فيها متحيّرين لايرون طريقاً ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ لأنّهم احقّاء بذلك لفسقهم. قال: «إذا كان العشاء وأخذوا في الرّحيل نادوا: الرّحيل الرّحيل، الوحا الوحا[2]؛ فلم يزالوا كذلك حتّى تغيب الشّمس، حتّى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله تعالى للأرض: ديري بهم فلا يزالون[3] كذلك، حتّى إذا أسحروا وقارب الصّبح قالوا: إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا، فإذا أصبحوا إذاً ابنيتهم[4] ومنازلهم الّتي كانوا فيها بالأمس، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم لقد ضللتم

١ ـ العيّاشي ١: ٣٠٣، الحديث: ٦٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الوحا الوحا ـ بالمدّ والقصر ـ اي: السّرعة السّرعة، وهو منصوب بفعل مضمر. مجمع البحرين ١: ٤٣٢ (وحا).

٣ ـ في «ب»: «فلم يزالوا»؛ وفي «ج» والعيّاشي: «فلا يزالوا».

٤ ـ في جميع النُّسَخ: «تيهم»، ولعلّ الأصحّ ما أثبتناه كما في المصدر. تاه يتيه تيهاً: إذا تحيّر وضلّ. النّهاية ١: ٢٠٣ (تيه).

وأخطاتم الطّريق، فلم يزالوا كذلك حتّى أذن اللّه لهم فدخلوها، وقد كان كتبها لهم»[١].

و ورد: «مات هارون قبل موسى وماتا جميعاً في التّيه»[٢].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾: قابيل وهابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصّدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾. القربان: ما يتقرّب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ لأنه رضي بحكم اللّه وأخلص النّيّة لله وعمد إلى احسن ما عنده، وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ لأنّه سخط حكم اللّه و لم يخلص النّيّة في قربانه و قصد إلى أخسّ ما عنده، وهو قابيل ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾. توعّده بالقتل، لفرط حسده له على تقبّل قربانه. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ يعني إنّما أتيت من قبل نفسك بترك التّقوى لا من قبلي. فيه إشارة إلى أنّ الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره، ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظّه؛ فإنّ ذلك ممّا يضرّه ولا ينفعه، وإنّ الطّاعة لاتقبل إلّا من مؤمن تقيّ.

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ﴾: أن ترجع ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾. لعلّ غرضه بالذّات أن لايكون ذلك له، لا أن يكون لأخيه. ورد: «من قتل مؤمناً أثبت اللّه على قاتله جميع الذّنوب، ويبرىء المقتول منها، وذلك قول الله عزّو جلّ: "إنّي أُريد أن تبوأ" الآية»[٣].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ﴾: اتسعت ﴿نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ديناً ودنياً، إذ بقي مدّة عمره مطروداً محزوناً نادماً. قال: «إنّ الله أوحى إلى آدم أن يدفع الوصيّة واسم الله الأعظم إلى هابيل وكان قابيل أكبر، فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى

١ ـ العيّاشي ١: ٣٠٥، الحديث: ٧٤؛ والبحار ١٣: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام، ذيل الآية: ١٣ من سورة القصص.
٣ ـ ثواب الأعمال: ٥٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «من قتل مؤمناً متعمّداً».

بالكرامة والوصيّة، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي من الله إليه، ففعلا، فتقبّل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله»[١]. وفي رواية: «إنّ عدوّ الله إبليس قال لقابيل: إنّه قد تقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربانك، فإن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله قابيل»[٢]. ورد: «فلم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه فقال: ضع رأسه بين حجرين ثمّ اشدخه»[٣].

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله. قال: «فلمّا قتله لم يدر ما يصنع به. فجاء غرابان فاقتتلا حتّى قتل أحدهما صاحبه ثمّ حفر الّذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيها[٤] صاحبه. قال قابيل: "ياويلتى" الآية، فحفر له حفيرة فدفنه فيها، فصارت سنّة يدفنون الموتى»[٥].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. القمّي: لفظ الآية خاصّ في بني إسرائيل ومعناها جار في النّاس كلّهم.[٦] ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يوجب الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾: أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطّريق ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لهتكه حرمة الدّماء وتسنينه سنّة القتل وتجرئته النّاس عليه. قال: «واد في جهنّم لو قتل النّاسَ جميعاً كان فيه ولو قتل نفساً واحدةً كان فيه»[٧].

١ـ العيّاشي ١: ٣١٢، الحديث: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كمال الدّين ١: ٢١٣، الباب: ٢٢، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجّاد عليه السلام. والشَّدْخُ: الكسر في الشّيء الأجوف، يقال: شَدَختُ رأسَهُ: كَسَرْتُه. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (شدخ).
٤ـ في جميع النُّسَخ: «فيه».
٥ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجّاد عليه السلام. والمَخالب جمع مِخْلَب بمنزلة الظُفر للإنسان. مجمع البحرين ٢: ٥٣ (خلب).
٦ـ القمّي ١: ١٦٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١٣، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾: ومن تسبّب لبقاء حياتها بعفو أو منعٍ من القتل أو استنقاذٍ من بعض أسباب الهلاك، فكأنّما فعل ذلك بالنّاس جميعاً. قال: «من أنقذها من حرق أو غرق. قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى قال: ذاك تأويلها الأعظم»[١]. وفي رواية: «من أخرجها من ضلال إلى هدىً فكأنّما أحياها؛ ومن أخرجها من هدىً إلى ضلالٍ فقد قتلها»[٢]. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بعد ما كتبنا عليهم هذا التّشديد الوكيد كي يتحاموا عن أمثال هذه الجنايات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مجاوزون عن الحقّ. قال: «المسرفون هم الّذين يستحلّون المحارم و يسفكون الدّماء»[٣].

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: ذلّ وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

«قدم قوم من بني ضبّة على رسول الله ﷺ مرضى، فبعثهم إلى إبل الصّدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها؛ فلمّا برأوا واشتدّوا قتلوا ثلاثة ممّن كان في الإبل وساقوا الإبل. فبعث إليهم عليّاً عليه السلام فأسرهم، فنزلت. فاختار رسول الله ﷺ القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف». كذا ورد. [٤] سئل: عن هذه الآية. فقال: «ذلك إلى الامام يفعل به ما شاء. قيل: فمفوّض ذلك إليه؟ قال: لا ولكن نحو

١ ـ الكافي ٢: ٢١١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٢: ٢١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٧: ٢٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الجناية»[١].

وفي رواية: «من قطع الطّريق فقتل وأخذ المال، قطّعت يده و رجله وصلّب، ومن قطع الطّريق فقتل ولم يأخذ المال، قتل. ومن قطع الطّريق وأخذ المال ولم يقتل، قطّعت يده و رجله. ومن قطع الطّريق و لم يأخذ مالاً و لم يقتل، نفي من الأرض»[٢]. وسئل: كيف ينفى؟ فقال: «ينفى من المصر الّذي فعل فيه ما فعل إلى مصر آخر غيره، ويكتب إلى أهل ذلك المصر بأنّه منفيّ، فلاتجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تؤاكلوه ولاتشاربوه، فيفعل ذلك به سنة، فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتّى تتمّ السّنة»[٣]. وفي رواية: «إنّ معنى نفي المحارب إيداعه الحبس»[٤]. وفي أُخرى: «أن يقذف في البحر ليكون عدلاً للقتل والصّلب»[٥]. و ورد: «من حمل السّلاح باللّيل فهو محارب إلاّ أن يكون رجلاً ليس من أهل الرّيبة»[٦].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: ما تتوسّلون به إلى ثوابه والزّلفى منه. القمّي: تقرّبوا إليه بالإمام[٧]. و ورد: «الأئمّة هم الوسيلة إلى اللّه»[٨]. وفي رواية: «إنّها أعلى درجة في الجنّة»[٩] ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ بمحاربة أعدائه الظّاهرة والباطنة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالوصول إلى اللّه والفوز بكرامته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من صنوف الأموال ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ

١ـ الكافي ٧: ٢٤٦، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢٤٧، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: الحديث: ٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣١٥، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٥ـ الكافي ٧: ٢٤٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٦ـ المصدر: ٢٤٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ القمّيّ ١: ١٦٨.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٥٨، الباب: ٣١، الحديث: ٢١٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٩ـ الكافي ٨: ٢٤، ذيل خطبة الوسيلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

معه ليفتدوا به﴾ انفسهم ﴿من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾.

﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾. قال: «إنهم أعداء علي عليه السلام»[1].

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾. سئل: في كم يقطع السارق؟ قال: «في ربع دينار»[2]. قال: «وتقطع الاربع أصابع ويترك الإبهام، يعتمد عليها في الصلاة، ويغسل بها وجهه للصلاة»[3]. و «إذا قطعت الرجل ترك العقب، لم يقطع»[4]. وفي رواية: «إذا سرق قطعت يمينه، فإذا سرق مرة أخرى قطعت رجله اليسرى، ثم إذا سرق مرة أخرى سجن وترك رجله اليمنى، يمشي عليها إلى الغائط؛ ويده اليسرى، يأكل بها ويستنجي بها»[5]. ﴿جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾: عقوبة منه ﴿والله عزيز حكيم﴾.

﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾: بعد سرقته ﴿وأصلح﴾ أمره برد المال والتفصي عن التبعات ﴿فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾. قال: «في رجل سرق أو شرب الخمر أو زنى، فلم يعلم ذلك منه، ولم يؤخذ، حتى تاب و صلح وعرف منه أمر جميل، لم يقم عليه الحد»[6]. وفي رواية: «من أخذ سارقاً فعفا عنه، فذاك له؛ فإذا رفع إلى الإمام قطعه. فإن قال الذي سرق منه: أنا أهب له، لم يدعه الإمام حتى يقطعه. قال: وذلك قول الله تعالى "والحافظون لحدود الله"[7] فإذا انتهى الحد إلى الإمام، فليس لأحد أن

١ـ العيّاشي ١: ٣١٧، الحديث: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٧: ٢٢٢، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٢٢٥، الحديث: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٢٥٠، الحديث: ١، عن أحدهما عليهما السلام، وفيه «... ولم يؤخذ حتى تاب وصلح؟ فقال: إذا صلح وعرف منه أمر جميل، لم يقم عليه الحد».
٧ـ التوبة (٩): ١١٢.

يتركه»[1]

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ يعني المنافقين.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: قائلون له، أو سمّاعون كلامك ليكذبوا عليك ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾: لجمع آخر من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾: لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبّراً أو إفراطاً في البغضاء، يعني: مصغون لهم، قائلون كلامهم؛ أو سمّاعون منك لأجلهم وللإنهاء إليهم. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يميلونه عن مواضعه الّتي وضعه الله فيها، بتغييره وحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده أو إهماله. ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أُوتيتم هذا المحرّف، فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم محمّد بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ قبول ما أفتاكم به.

القمّي: نزلت في عبد الله بن أُبيّ، حيث مشت إليه بنو النّضير فقالوا: سل محمّداً أن لاينقض شرطنا في هذا الحكم الّذي بيننا وبين بني قُرَيْظَة في القتل؛ وكان شرطهم مخالفاً للتّوراة. فقال ابن أُبيّ: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون، وإلاّ فلاترضوا به.[2] هذا ملخّص القصّة. ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: اختباره ليفضح ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعني في دفعها ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هوان بإلزام الجزية على اليهود، وإجلاء بني النّضير منهم، وإظهار كذبهم في كتمان الحقّ، وظهور كفر

١ ـ الكافي ٧: ٢٥١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ١٦٨ ـ ١٦٩.

المنافقين، وخوفهم جميعاً عن المؤمنين. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الخلود في النّار.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾. كرّره تاكيداً. ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي: الحرام؛ من سَحَتَهُ إذا استأصلَه لأنّه مسحوت البركة. قال: «هو الرّشاء في الحكم»[1]. وفي رواية: «ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومهر البغي، والرّشوة، وأجر الكاهن»[2]. وفي أُخرى: «و للسّحت أنواع كثيرة»[3]. ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. تخيير[4] له ﷺ. قال: «إنّ الحاكم إذا أتاه أهل التّوراة و أهل الإنجيل يتحاكمون إليه، إن شاء حكم بينهم وإن شاء تركهم»[5]. ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾. تعجيب من تحكيمهم من لايؤمنون به، والحال أنّ الحكم منصوص عليه في الكتاب الّذي عندهم، وفيه تنبيه على أنّهم ماقصدوا بالتّحكيم معرفة الحقّ و إقامة الشّرع، و إنّما طلبوا به ما يكون أهون عليهم و إن لم يكن حكم الله في زعمهم. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم، لإعراضهم عنه أولاً، و عمّا يوافقه ثانياً.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾: بيان للحقّ ﴿وَنُورٌ﴾ يكشف ما اشتبه من الاحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾: انقادوا لله. قيل: وصفهم بالإسلام لأنّه دين الله.[6]

١ـ الكافي ٧: ٤٠٩، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله ﷺ.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٧، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله ﷺ، وفيه: «والرشوة في الحكم».
٣ـ المصدر: ١٢٦، الحديث: ١، عن ابي جعفر ﷺ.
٤ـ في «الف» و «ج»: «تخيّر».
٥ـ التّهذيب ٦: ٣٠٠، الحديث: ٨٣٩، عن ابي جعفر ﷺ.
٦ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٩٨.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يحكمون لهم ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: ويحكم بها الرّبّانيّون والأحبار. قال: «الرّبّانيّون هم الأئمّة دون الأنبياء، الّذين يربون النّاس بعلمهم، والأحبار هم العلماء دون الرّبّانيّين»[1].

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾. قال: «ولم يقل بما حمّلوا منه»[2] وفي رواية: «فينا نزلت»[3].

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾. نهي للحكّام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: ولا تستبدلوا بأحكامي الّتي أنزلتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من رشوة أوجاه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. قال: «من حكم بدرهمين بحكم جور، ثمّ جبر عليه كان من أهل هذه الآية»[4].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وفرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: في التّوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ يعني: تقتل بها ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾: تفقأ بها ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾: تجدع بها ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾: تصلم بها ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾: تقلع بها ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: ذات قصاص ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص، أي: عفي عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ قال: «يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح و غيره»[5]. وفي رواية: «ما عفا عن العمد»[6]. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾: واتبعنا على آثار النّبيّين الّذين أسلموا ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ

١ و٢ـ العيّاشي ١: ٣٢٣، ذيل الحديث: ١١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٣ـ المصدر: ٣٢٢، الحديث: ١١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ الكافي ٧: ٤٠٨، الحديث: ٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و فيه: «في درهمين».

٥ـ المصدر: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٨٠، الحديث: ٢٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: و رقيباً على سائر الكتب، يحفظه عن التّغيير ويشهد له بالصحّة والثّبات ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾: شريعة. وهي الطّريقة إلى الماء، شبّه بها الدّين، لأنّه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبديّة. ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: وطريقاً واضحاً. قال: «الشّرعة والمنهاج: سبيل وسنّة؛ و أمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسّبيل والسّنّة. وكان من السّبيل والسّنّة الّتي أمر الله بهما موسى، أن جعل عليهم السّبت»[1].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعةً متّفقةً، على دين واحد ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشّرائع المختلفة المناسبة لكلّ عصر، هل تعملون بها، مصدّقين بوجود الحكمة في اختلافها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: فابتدروها انتهازاً للفرصة، وحيازةً لقصب السّبق والتّقدّم ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾. وعد و وعيد للمبادرين والمقصّرين. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحقّ، والمبطل، والمبادر، والمقصّر.

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. قال: «إنّما كرّر الامر بالحكم بينهم، لانّهما حكمان أمر بهما جميعاً؛ لانّهم احتكموا إليه في زنا المحصن، ثمّ احتكموا إليه في قتل كان بينهم»[2]. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾: يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾. فيه تنبيه على أنّ

١ـ الكافي ٢: ٢٩، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٠٤، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه: «في قتيلٍ كان بينهم».

لهم ذنوباً كثيرة، والتولّي عن حكم الله مع عظمته واحد منها. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾. تسلية للنبيّ ﷺ عن امتناع القوم من الإقرار بنبوّته؛ بأنّ أهل الإيمان قليل.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾. إنكار على تولّيهم عن حكم الله. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: هذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنّهم يعلمون ذلك. قال: «الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهليّة؛ فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهليّة»[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾: لاتعتمدوا على الاستنصار بهم، متودّدين إليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنّصرة، ويدهم واحدة عليكم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: من استنصر بهم فهو كافر مثلهم.

ورد: «من تولّى آل محمّد، وقدّمهم على جميع النّاس بما قدّمهم من قرابة رسول الله ﷺ، فهو من آل محمّد بمنزلة آل محمّد، لا أنّه من القوم بأعيانهم وإنّما هو منهم بتولّيه إليهم واتّباعه إيّاهم. وكذلك حكم الله في كتابه: "ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم"»[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الّذين ظلموا أنفسهم، والمؤمنين بموالاة الكفّار.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كابن أُبيّ وأضرابه ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: يعتذرون بأنّهم يخافون أن تصيبهم دائرة من الدّوائر، بأن ينقلب الأمر ويكون الدّولة للكفّار. روي: «أنّ عبادة بن الصّامت قال لرسول الله ﷺ: إنّ لي موالي من اليهود كثيراً عددهم، وإنّي أبرء إلى الله

١ـ الكافي ٧: ٤٠٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «التولّيه» بدل: «بمنزلة».

ورسوله من ولايتهم و أُوالي الله و رسوله. فقال ابن أُبيّ إنّي رجل أخاف الدّوائر، لاابرء من ولاية مواليّ، فنزلت»[1]. ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسوله ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾. فيه إعزاز المؤمنين، وإذلال المشركين، وظهور الإسلام. ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ أي: هؤلاء المنافقون ﴿عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من النّفاق والشّكّ في أمر الرّسول ﴿نَادِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أغلظ أيمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾. تعجّباً من حال المنافقين وتبجّحاً بما منّ الله عليهم من الإخلاص ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾. إمّا من جملة[2] المقول أو من قول الله، وفيه معنى التّعجّب كأنّه قيل: ما أحبط أعمالهم! ما أخسرهم!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾. جوابه محذوف؛ يعني: فلن يضرّ دين الله شيئاً؛ فإنّ الله لايخلّي دينه من أنصار يحمونه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: يحبّهم الله ويحبّونه. قد سبق معنى المحبّة من الله ومن العباد[3]. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: رحماء عليهم؛ من الذّلّ الّذي هو اللّين، لامن الذّلّ الّذي هو الهوان. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: غلاظ شداد عليهم. من عزّه إذا غلبه. ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالقتال لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيما يأتون من الجهاد والطّاعة. قال: «هم أمير المؤمنين وأصحابه، حين قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين»[4]. وقال عليه السلام يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم وتلاها»[5]. والقمّي: نزلت في مهديّ الأمّة

١ـ البيضاوي ٢: ١٥٤.

٢ـ في «ب»: «من جهة».

٣ـ في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٣١.

٤ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٠٨، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٥ـ المصدر، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وأصحابه.[١] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: جواد ﴿عَلِيمٌ﴾ بموضع جوده وعطائه.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾. قال في تفسيرها: «يعني أولى بكم اي: أحقّ بكم وبأُموركم من أنفسكم وأموالكم، "الله و رسوله والّذين آمنوا". يعني عليّاً و أولاده الأئمّة عليهم السّلام إلى يوم القيامة ثمّ وصفهم الله عزّو جلّ، فقال: "الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون". وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظّهر، وقد صلّى ركعتين، وهو راكع، وعليه حلّة قيمتها ألف دينار، وكان النّبيّ ﷺ أعطاه، وكان النّجاشيّ أهداها له. فجاء سائل فقال: السّلام عليك يا وليّ الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ تصدّق على مسكين. فطرح الحلّة إليه، وأومى بيده إليه أن احملها. فأنزل الله عزّوجلّ فيه هذه الآية، وصيّر نعمة أولاده بنعمته. فكلّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النّعمة مثله، فيتصدّقون وهم راكعون. والسّائل الّذي سأل أمير المؤمنين من الملائكة، والّذين يسألون الأئمّة من أولاده يكونون من الملائكة»[٢].

وفي رواية: «إنّه عليه السلام ناول السّائل الخاتم من إصبعه»[٣]. كما يأتي؛ وهي أشهر. وقد روته العامّة أيضاً[٤]. ولعلّه عليه السلام تصدّق في ركوعه مرّة بالحلّة، وأُخرى بالخاتم؛ والآية نزلت بعد الثّانية، فإنّ "يؤتون" يشعر بالتّكرار والتّجدّد، كما أنّه يشعر بفعل أولاده أيضاً.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: فإنّهم

١ـ القمّي ١: ١٧٠.

٢ـ الكافي ١: ٢٨٨، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الخصال ٢: ٥٨٠، ذيل الحديث: ١ عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٤ـ راجع: الدّرّ المنثور ٣: ١٠٦؛ والكشّاف ١: ٦٢٤؛ والبيضاوي ٢: ١٥٦؛ وإحقاق الحقّ ٢: ٣٩٩ و ٣: ٥٠٢؛ والغدير ١: ٢١٤.

الغالبون. وضع الظّاهر موضع المضمر، تنبيهاً على البرهان عليه، وكأنّه قيل: فإنّهم حزب الله وإنّ حزب الله هم الغالبون، وتنويهاً بذكرهم، وتعظيماً لشأنهم، وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنّه حزب الشّيطان. وأصل الحزب: القوم، يجتمعون لأمر حزبهم.

ورد: «إنّ رهطاً من اليهود أسلموا، فقالوا: يا نبيّ اللّه إنّ موسى أوصى إلى يوشع ابن نون، فمن وصيّك يا رسول الله، ومن وليّنا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: "إنّما وليّكم الله". قال رسول الله ﷺ: قوموا. فقاموا فأتوا المسجد، فإذاً سائل خارج. فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، هذا الخاتم. قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرّجل الّذي يصلّي. قال: على أيّ حال أعطاك؟ قال: كان راكعاً. فكبّر النّبيّ ﷺ وكبّر أهل المسجد. فقال النّبيّ ﷺ: عليّ بن أبي طالب وليّكم بعدي. قالوا: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، وبعليّ بن أبي طالب وليّاً. فأنزل الله تعالى: "ومن يتولّ الله" الآية»[1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾: تنكرون منّا وتعيبون ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن أمر الله، طلباً للرّياسة وحسداً على منزلة النّبوّة.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ المنقوم؟ يعني: إن كان ذلك شرّاً عندكم فأنا أُخبركم بشرّ منه. ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً ثابتاً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾. والمثوبة مختصّة بالخير، كالعقوبة

١ـ الامالي (للصّدوق): ١٠٨، المجلس السّادس والعشرون، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

بالشرّ؛ وضعت موضعها، كما في: "بشّرهم بعذاب أليم"[١]. ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾: مسخهم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: ومن عبد الطّاغوت وهو الشّيطان. قيل: هم أصحاب العجل، كما أنّ القردة والخنازير أصحاب السّبت والمائدة[٢]. ﴿أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. أريد بالتّفضيل مطلق الزّيادة.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾: يخرجون من عندك كما دخلوا، لايؤثّر فيهم ما سمعوا منك. القمّي: نزلت في ابن أُبيّ[٣]. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: المعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: تعدّي حدود الله ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: الحرام، كالرّشوة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَوْلَا﴾: هلاّ ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: علماؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ كالكذب وكلمة الشّرك، مثل قولهم: "عزير ابن الله"[٤]. ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. قال: «إنّما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي، ولم ينهاهم الرّبانيّون والأحبار عن ذلك»[٥].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. قال: «قالوا: قد فرغ من الأمر، فلايزيد ولاينقص»[٦] وفي رواية: «فليس يُحدث شيئاً. قال: ألم تسمع الله

١ـ آل عمران(٣): ٢١.
٢ـ الكشّاف ١: ٦٢٦.
٣ـ القمّي ١: ١٧٠.
٤ـ التّوبة(٩): ٣٠.
٥ـ الكافي ٥: ٥٧، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «لم ينههم».
٦ـ معاني الأخبار: ١٨، الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يقول: «يمحو الله مايشاء ويثبت»»[١]. وقيل: غلّ اليد كناية عن البخل، وبسطها عن الجود.[٢] ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. دعاء عليهم. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. القمّي: أي: يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البدا والمشيّة[٣].

أقول: لعلّ تثنية اليد إشارة إلى تقابل أسمائه سبحانه، وكناية عن غاية الجود؛ فإنّ الجواد في الغاية إنّما يعطي بيديه جميعاً.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: على طغيانهم وكفرهم، كما يزداد المريض مرضاً من تناول غذاء الأصحّاء.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكلماتهم مختلفة، وقلوبهم شتّى، فلا تقع بينهم موافقة. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: كلّما أرادوا محاربة غُلبوا. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد بمخالفة أمر الله، والاجتهاد في محو ذكر الرّسول من كتبهم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. قال: «فإنّ الإسلام يجبّ ما قبله»[٤] و إن جلّ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بإقامة أحكامهما وإذاعة ما فيهما ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال: «يعني: الولاية»[٥]. ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: لوسّع عليهم أرزاقهم، وأُفيض عليهم بركات من السّماء والأرض. القمّي: من فوقهم

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٨٢، الباب: ١٣، الحديث: ١. والآية في سورة الرّعد: (١٣): ٣٩.
٢ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٥٩.
٣ـ القمّي ١: ١٧١.
٤ـ راجع: عوالي اللّئالي ٢: ٥٤ و ٢٢٤؛ و الجامع الصّغير (للسّيوطي) ١: ١٢٣؛ و كنز العمّال ١: ٦٦ و ٧٥؛ و مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٩٩، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٥ـ العيّاشي ١: ٣٣٠، الحديث: ١٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

المطر ومن تحت أرجلهم النّبات.[1] ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ قد دخلوا في الإسلام ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ حيث أقاموا على الجحود والكفر. فيه معنى التّعجّب، أي: ما أسوء عملهم!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «في عليّ»[2]. كذا نزلت. ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾: إن تركت تبليغ ما أُنزل إليك في ولاية عليّ وكتمته، كنت كأنّك لم تبلّغ شيئاً من رسالات ربّك. ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يمنعك من أن ينالوك بسوء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

وقال في حديث: «ثمّ نزلت الولاية وإنّما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله تعالى: "أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي"[3]. وكان كمال الدّين بولاية عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ. فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: أُمّتي حديثوا عهد بالجاهليّة، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمّي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني. فأتتني عزيمة من الله بَتْلَةً[4] أوعدني إن لم أُبلّغ أن يعذّبني. فنزلت: "ياأيّها الرّسول" الآية. فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال: يا أيّها النّاس إنّه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلّا وقد عمّره الله ثمّ دعاه فأجابه، فأوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد إنّك قد بلّغت، ونصحت، وأدّيت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: اللّهمّ اشهد ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ قال: يا معشر المسلمين هذا وليّكم من بعدي فليبلّغ

١ ـ القمّي ١: ١٧١.
٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٢٣؛ والعيّاشي ١: ٣٣٢؛ والقمّي ١: ١٧١؛ و شواهد التّنزيل ١: ١٨٨؛ والدّرّ المنثور ٣: ١١٧؛ والغدير ١: ٢١٦.
٣ ـ المائدة(٥): ٣.
٤ ـ بتلة: مقطوعة، من البتل وهو القطع. ومنه قوله: طلّقها بتّة بتلة. مجمع البحرين ٥: ٣١٦ (بتل).

الشّاهد منكم الغائب»[١] الحديث.

وفي رواية « فخرج رسول الله ﷺ من مكّة، يريد المدينة حتّى نزل منزلاً يقال له «غدير خمّ»، وقد علّم النّاس مناسكهم وأوعز إليهم وصيّته إذا نزل عليه هذه الآية: " يا أيّها الرّسول ". فقام رسول الله فقال: تهديد و وعيد. فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أيّها النّاس، هل تعلمون من وليّكم؟ قالوا: نعم، الله و رسوله. قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا بلى. قال: اللّهمّ اشهد، فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقول مثل قوله الأوّل، ويقول النّاس كذلك، ويقول: اللّهمّ اشهد؛ ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتّى بدا للنّاس بياض إبطيهما، ثمّ قال: ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، ثمّ قال: اللّهمّ اشهد عليهم وأنا من الشّاهدين»[٢]. و روت العامّة عن ابن عباس وجابر بن عبدالله: «إنّ الله أمر نبيّه أن ينصب عليّاً للنّاس، ويخبرهم بولايته، فتخوّف[٣] عليه السلام أن يقولوا: حابى[٤] ابن عمّه، وأن يشقّ ذلك على جماعة من أصحابه، فنزلت هذه الآية، فأخذ بيده يوم غدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه»[٥]. وقرئ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: على دين يعتدّ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بالتّصديق لما فيهما من البشارة بمحمّد ﷺ والإذعان لحكمه ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

١ـ الكافي ١: ٢٩٠ ـ ٢٩١، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ القمّي ١: ١٧٣ ـ ١٧٤.

٣ـ في «ب»: «فتخوّف عليهم».

٤ـ حابى الرّجل حباءً: نصره واختصّه و مال إليه. «لسان العرب» ١٤: ١٦٣ ـ حبا». و في «ب»: «حامى» ـ بالميم ـ والانسب ما أثبتناه كما في المصدر.

٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٢ عن جابر بن عبدالله. والظّاهر انّ قوله: «و قُرئ» زائد هنا لا معنى له، أو حذفت الجملة الّتي كانت بعده فإنّها في المصدر هكذا: «و قُرئ: فما بلّغْتَ رسالاته».

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[1]. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: فلاتتأسّف عليهم، فإنّ ضرر ذلك يرجع إليهم، لايتخطّاهم؛ وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ﴾ [منهم][2] ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. سبق تفسيرها في سورة البقرة[3].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بالتّوحيد والنّبوّة والولاية ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليذكّروهم، وليبيّنوا لهم أمر دينهم، ويقفوهم على الاوامر والنّواهي ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ من التّكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾. حكى الحال الماضية استحضاراً لها، واستفظاعاً للقتل، وتنبيهاً على أنّ ذلك ديدنهم ماضياً ومستقبلاً، ومحافظةً على رؤوس الآي.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أن لايصيبهم من الله بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الدّين ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماع الحقّ ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ كرّة أُخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «"وحسبوا ألاّ تكون فتنة"، حيث كان النّبيّ بين أظهرهم، "فعموا وصمّوا" حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله "ثمّ تاب الله عليهم"، حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام "ثمّ عموا وصمّوا" إلى السّاعة»[4].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

١ـ العيّاشي ١: ٣٣٤، الحديث: ١٥٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الزّيادة من: «ب» و «ج».
٣ـ في ذيل الآية: ٦٢.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾. وضع الظّاهر موضع المضمر، تسجيلاً على أنّ الشّرك ظلم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾. قيل: القائلون بذلك جمهور النّصارى، يقولون: ثلاثة أقانيم جوهر واحد؛ أب وابن و روح القدس إله واحد، ولايقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة، وإن كان يلزمهم ذلك، لأنّهم يقولون: الابن إله والأب إله و روح القدس إله؛ والابن ليس هو الأب[1]. و ورد: «أمّا المسيح فعصوه عظّموه في انفسهم حتّى زعموا أنّه إله وأنّه ابن الله؛ وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة؛ وطائفة منهم قالوا: هوالله»[2] ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ و هو الله وحده لاشريك له ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: من دام على كفره ولم ينقلع عنه ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾: فيه تعجيب من إصرارهم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فإن أحيا الله الموتى على يده فقد أحيا العصا على يد موسى وجعلها حيّة تسعى، وهو أعجب؛ وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأمّ، وهو اغرب. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربّها وكتبه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قال: «معناه أنّهما كانا يتغوّطان»[3]. وفي رواية: «يعني أنّ من اكل الطّعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد ممّا ادّعته النّصارى لابن مريم»[4]. ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن استماع الحقّ وتأمّله. و "ثمّ" لتفاوت ما بين العجبين؛ يعني أنّ بياننا

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٢٨.
٢ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ١.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

للآيات عجيب، وإعراضهم عنها أعجب.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعتقدون.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ غلواً باطلاً ولاترفعوا عيسى من حدّ النّبوّة إلى حدّ الألوهيّة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾. هم أئمّتهم في النّصرانيّة الّذين كانوا في الضّلال قبل مبعث النّبيّ ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ممّن تابعهم على التّثليث ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ لمّا بعث رسول الله ﷺ حين كذّبوه وبغوا عليه.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قال: «أمّا داود فإنّه لعن أهل أيلة [1] لمّا اعتدوا في سبتهم، وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللّهمّ ألبسهم اللّعنة مثل الرّداء ومثل المِنْطَقَة [2] على الحَقْوَيْن فمسخهم الله قردة. وأمّا عيسى فإنّه لعن الّذين أُنزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك [3]. فقال عيسى عليه السلام: اللّهمّ عذّب من كفر بعدما أكل من المائدة عذاباً لاتعذّبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السّبت. فصاروا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل» [4]. وفي رواية: «الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى» [5]. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: لاينهى بعضهم بعضاً عن المنكر أو لا ينتهون عنه ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. القمّي: كانوا يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور

١ ـ أيْلَة ـ بالفتح ـ مدينة على ساحل بحر القُلْزُم ممّا يلي الشّام. معجم البلدان ١: ٢٩٢.
٢ ـ المِنْطَقَةُ: ما يشدّ به الوسط، و شقّة تلبسها المراة و تشدّ وسطها ثمّ ترسل أعلاها على أسفلها إلى الرّكبة والأسفل إلى الأرض. «مجمع البحرين ٥: ٢٣٩ ـ نطق» والحَقْوُ: موضع شدّ الإزار، و هو الخاصره، ثمّ توسّعوا حتّى سمّوا الإزار الّذي يشدّ على العورة. مجمع البحرين ١: ١٠٥ (حقا).
٣ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٦.
٥ ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ويأتون النّساء أيّام حيضهنّ[١]. و ورد: «لمّا وقع التّقصير في بني إسرائيل، جعل الرّجل منهم يرى أخاه في الذّنب فينهاه فلا ينتهي، فلايمنعه ذلك من أن يكون أكيله وجليسه وشريبه، حتّى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن حيث يقول: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٢].

وفي رواية: «أما إنّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولايجلسون مجالسهم ولكن كانوا إذا لقوهم أنِسُوا بهم»[٣]. وفي أُخرى: «سئل عن قوم من الشّيعة، يدخلون في أعمال السّلطان، ويعملون لهم ويَجْبُون لهم[٤]، ويوالونهم. قال: ليس هم من الشّيعة ولكنّهم من أُولئك ثمّ قرأ: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٥].

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يوالونهم ويصادقونهم ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: لبئس زادهم إلى الآخرة ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾. قال: «يتولّون الملوك الجبّارين، ويزيّنون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم»[٦].

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ فإنّ الإيمان يمنع ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ لشدّة

١ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ ثواب الأعمال: ٣١١، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٣٥، الحديث: ١٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم».
٤ـ في المصدر: «و يجبونهم»، يقال: جَبَيْتُ الخراج جِبايَةً و جَبَوْتُه جِباوَةً: جَمَعْتُهُ. مجمع البحرين ١: ٨٠ (جبا).
٥ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

شكيمتهم[1]، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتّباع الهوى، و ركونهم إلى التّقليد، وبعدهم عن التّحقيق، وتمرّنهم على تكذيب الأنبياء، ومعاداتهم إيّاهم. ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾ للين جانبهم، و رقّة قلوبهم، وقلّة حرصهم على الدّنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: رؤساء في الدّين والعلم ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحقّ إذا فهموه و يتواضعون.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾: من الّذين شهدوا بأنّه حقّ. قال: «أُولئك كانوا بين عيسى و محمّد، ينتظرون مجيء محمّد»[2].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾. استفهام إنكار و استبعاد.

﴿فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ عن اعتقاد و إخلاص، كما دلّ عليه قوله: "ممّا عرفوا من الحقّ" والقول إذا اقترن بالمعرفة، كمل الإيمان. ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

القمّي: إنّ النّجاشي مَلِكَ الحبشة بعث إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً من القسّيسين، فقال لهم: أُنظروا إلى كلامه، و إلى مقعده، و مشربه، و مصلاّه. فلمّا وافوا المدينة، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، و قرأ عليهم القرآن: "إذْ قَالَ اللّهُ يَـٰعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ" إلى قوله" سِحْرٌ مُبِينٌ"[3]

١ـ يقال: فلان شديد الشّكيمة: إذا كان لا ينقاد لأحد، لما فيه من الصّلابة والصّعوبة على العدوّ و غيره. مجمع البحرين ٦: ٩٩ (شكم).

٢ـ العيّاشي ١: ٣٣٦، ذيل الحديث: ١٦٢، عن أبي عبدالله ؑ.

٣ـ المائدة (٥): ١١٠. في كلّ النُّسخ و كذا المصدر: «و إذْ قالَ اللّه» بزيادة «و» و هو زائدٌ ليس في القرآن.

فلمّا سمعوا ذلك من رسول الله، بكوا و آمنوا و رجعوا إلى النّجاشي، و أخبروا خبر رسول الله، و قرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النّجاشي، وبكى القسّيسون وأسلم النّجاشي، ولم يظهر للحبشة إسلامه، وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة، يريد النّبيّ ﷺ، فلمّا عبر البحر توفّي. فانزل الله على رسوله "لتجدنّ أشدّ النّاس" إلى قوله "وذلك جزاء المحسنين"[١].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ ﴾: لاتمنعوا انفسكم ﴿طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾: ما طاب منه و لذّ ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ عمّا حدّ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ ﴾: مباحاً لذيذاً ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾. قال: «نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال و عثمان بن مظعون؛ فأمّا أمير المؤمنين فحلف أن لاينام باللّيل أبدا؛ وأمّا بلال فإنّه حلف أن لا يفطر بالنّهار أبداً؛ وأمّا عثمان بن مظعون فإنّه حلف أن لاينكح أبدا. فدخلت امرأة عثمان على عايشة، وكانت امرأة جميلة. فقالت عايشة: مالي أراك متعطّلة؟ فقالت: و لمن أتزيّن؟ فوالله ما قرّبني زوجي منذ كذا و كذا، فإنّه قد ترهّب، ولبس المُسُوح[٢]، وزهد في الدّنيا. فلمّا دخل رسول الله ﷺ أخبرته عايشة بذلك. فخرج فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطّيّبات؟ إنّي أنام باللّيل، وأنكح، وأفطر بالنّهار؛ فمن رغب عن سنّتي فليس منّي. فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله، فقد حلفنا على ذلك، فانزل الله: "لايؤاخذكم الله" الآية»[٣].

أقول: ليس في مثل هذا الخطاب والعتاب بأس على صاحبه، نظيره قوله سبحانه:

١ـ القمّي ١: ١٧٩.

٢ـ المُسُوح جمع المِسْح: البَلاس، وهو كساء معروف. مجمع البحرين ٢: ٤١٤ (مسح).

٣ـ القمّي ١: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

"يـا أيُّها النَّبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مـا أحَلَّ اللّـهُ لَكَ"[1] الآيتين. وقد ورد: «القرآن كلّه تقريع، وباطنه تقريب»[2].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: بما يبدو من غير قصد. قال: «هو قول الرّجل: لا والله وبلى والله ولا يعقد على شيء»[3]. ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾: بما وثّقتم الأيمان عليه، بالقصد والنيّة؛ يعني: إذا حنثتم ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾. قال: «الأوسط: الخلّ والزّيت، والتّمر، والخبز، تشبعهم به مرّة واحدة؛ والكسوة: ثوب واحد»[4]. وفي رواية: «ثوب يواري به عورته»[5]. وفي أُخرى: «مُدّ من حنطة لكلّ مسكين، والكسوة: ثوبان»[6].

أقول: ينبغي حمله على ما إذا أشبعه المُدّ وعلى ما إذا لم يواره الواحد.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ قال: «إذا لم يكن عنده فضل عن قوت عياله، فهو ممّن لا يجد»[7].

﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ قال: «متتابعات لا يفصل بينهنّ»[8]. ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ أي: حلفتم وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ عن بذلها لكلّ أمر، وعن الحنْث بعد الوقوع، وعن ترك التّكفير مع الحنْث ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ورد: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فأتى ذلك، فهو كفّارة يمينه»[9]. وقال:

١ـ التّحريم (٦٦): ١.
٢ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، باب معنى قول الأنبياء، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٤٥٤، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٤٥٣، الحديث: ٤و٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٨ـ الكافي ٤: ١٤٠، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

«لايمين لولد مع والده ولا للمراة مع زوجها»[١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. قال: «لمّا نزلت، قيل: يا رسول الله ما الميسر؟ فقال: كلّ ما تقومر عليه، حتّى الكعاب والجوز. قيل: فما الأنصاب؟ قال: ما ذبحوا لآلهتم. قيل: فما الأزلام؟ قال: قداحهم الّتي يستقسمون بها»[٢].

وورد: «إنّ أوّل ما نزل في تحريم الخمر قوله تعالى: "يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا"[٣]. فلمّا نزلت هذه الآية، أحسّ القوم بتحريمها، علموا أنّ الإثم ممّا ينبغي اجتنابه، ولا يحمل الله عليهم من كلّ طريق، لأنّه قال: "ومنافع للنّاس". ثمّ أنزل الله آية أُخرى: "إنّما الخمر والميسر" الآية فكانت هذه الآية أشدّ من الأُولى وأغلظ في التّحريم، ثمّ ثلّث بآية أُخرى، فكانت أغلظ من الآية الأُولى والثّانية و أشدّ، فقال: "إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء" الآية؛ فأمر باجتنابها وفسّر عللها الّتي لها ومن أجلها حرّمها؛ ثمّ بيّن الله تعالى تحريمها، وكشفه في الآية الرّابعة مع ما دلّ عليه في هذه الآي المذكورة المتقدّمة بقوله تعالى: "إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ"[٤]. وقال في الأُولى: "فيهما إثم" وقال في الرّابعة: "والإثم"؛ فخبّر أنّ الإثم في الخمر و غيرها و أنّه حرام. و ذلك أنّ الله تعالى إذا أراد أن يفترض فريضة، أنزلها

١ـ الخصال ٢: ٦٢١، ذيل الحديث أربعمائة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٢ـ١٢٣، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ البقرة(٢): ٢١٩.
٤ـ الاعراف (٧): ٣٣.

شيئاً بعد شيء، حتّى يوطّن النّاس انفسهم عليها، ويسكنوا إلى أمر الله تعالى ونهيه فيها؛ وكان ذلك على وجه التّدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها و أقلّ لنفارهم منها»[١].

وفي رواية: «ولو حمل عليهم جملة[٢] واحدة، لقطع بهم دون الدّين. قال: ليس أحد أرفق من الله، و مِنْ رِفْقه أنّه ينقلهم من خصلة إلى خصلة»[٣] و ورد: «كلّ مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام»[٤]. وقال: «ما عصي الله بشيء أشدّ من شرب المسكر؛ إنّ أحدهم ليدع الصّلاة الفريضة، ويثب على أُمّه، وأُخته، وابنته، وهو لايعقل»[٥]. و قال: «إنّه شرٌّ مِنْ تركِ الصّلاة لأنّه يصير في حال لايعرف معها ربّه»[٦]. وقال: «شارب الخمر كعابد الوثن»[٧]. وقال: «من شرب الخمر فاجلدوه؛ فإن عاد فاجلدوه؛ فإن عاد فاجلدوه؛ فإن عاد في الرّابعة فاقتلوه»[٨]. إلى غير ذلك من الأخبار في ذمّها.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عمّا نهيا عنه، او عن مخالفتهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ قال: «من الحلال»[٩]. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾

١ـ الكافي ٦: ٤٠٦ـ٤٠٧، الحديث: ٢، عن بعض أصحابنا، مرسلاً.
٢ـ في جميع النُّسَخ: «حملة» وما اثبتناه من المصدر.
٣ـ الكافي ٦: ٣٩٥، الحديث: ٣، عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ المصدر: ٤٠٩، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٤٠٣، الحديث: ٧، عن أحدهما عليهما السّلام.
٦ـ المصدر: ٤٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ عوالي اللّئالي ٢: ١٤٨؛ والكشّاف ١: ٦٤٢؛ و الجامع الصغير ٢: ٣٩؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٧٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ الكافي ٧: ٢١٨، الحديث: ٢، ٣ و ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤٠، في تفسير اهل البيت عليهم السّلام.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. القمّي: لمّا نزل تحريم الخمر والميسر والتّشديد في أمرهما، قالوا: يا رسول اللّه، قتل أصحابنا، وهم يشربون الخمر، أفيضرّهم ذلك بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله هذه الآية. فهذا لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر. والجناح هو الإثم، و هو على من شربها بعد التّحريم[١].

أقول: فمعنى الآية: أنّ الذين كانوا يشربون الخمر قبل نزول تحريمها، إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتّقوى والعمل الصّالح، فلا جناح عليهم في شربها. و لمّا كان لكلّ من الإيمان والتّقوى درجات و منازل كما ورد[٢]، جاز أن يكون تكريرهما في الآية إشارة إلى تلك الدّرجات والمنازل. و قد بسطنا الكلام فيه في الصّافي والوافي[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ يعني في حال إحرامكم. قال: «حشر لرسول الله ﷺ في عمرة الحديبيّة الوحوش، حتّى نالتها أيديهم و رماحهم»[٤]. و قال: «الّذي تناله الأيدي، فراخ الطّير، و صغار الوحش والبيض؛ والّذي تناله الرّماح، الكبار من الصّيد»[٥]. ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: ليتميّز الخائف لقوّة إيمانه بالغيب، من غير الخائف لضعف إيمانه به. ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾: محرمون. قال: «إذا أحرمت فاتّق قتل الدّوابّ كلّها إلّا الأفعي والعقرب والفارة»[٦]. قال: «والكلب العقور والسّبع

١ـ القمّي ١: ١٨١.
٢ـ الكافي ٢: ٤٢، الحديث: ١ و٢؛ ومصباح الشّريعة: ٣٨، الباب: ١٧، في التّقوى، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ راجع: الصّافي ٢: ٨٤ـ٨٥؛ و الوافي ٤: ١٢٩.
٤ـ الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «حَشَرتْ لرسول الله».
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إذا أراداك فاقتلهما، فإن لم يريداك فلا تردهما، و كذا الحيّة والأسود الغَدِر [١] فاقتله على كلّ حال، وارم الغرابَ رمياً، والحِدَأَةَ [٢] على ظهر بعيرك» [٣]. وفي رواية: «يقتل المحرم الزّنبور، والنّسْر، والأسود الغدر، والذّئب، وما خاف أن يعدو عليه» [٤].

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾. قال في تفسيرها: «في الظّبي شاة، وفي حمار وحش بقرة، وفي النّعامة جزور، وفي البقرة بقرة» [٥].

﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ قال: «ذو عدل» [٦]. وقال: «العدل رسول الله ﷺ، والإمام من بعده. ثمّ قال: هذا ممّا أخطأت به الكتّاب» [٧]. وفي رواية: «يعني رجلاً واحداً» [٨].

أقول: يعني أنّ رسم الألف في "ذوا عدل" من تصرّف نسّاخ القرآن، والصّواب عدم نسخها، و ذلك لأنّه يفيد أنّ الحاكم إثنان، والحال أنّه واحد، وهو الرّسول ﷺ في زمانه، ثمّ كلّ إمام في زمانه على سبيل البدل. و قرئ: ذو عدل أيضاً، [٩] كما هو الصّواب. وفي رواية: «العدل رسول الله ﷺ والإمام من بعده، وهو ذو عدل فإذا علمت ما حكم به رسول الله ﷺ والإمام عليه السلام، فحسبك ولا تسأل عنه» [١٠].

١ـ الأسود: العظيم من الحيّات. «لسان العرب ٣: ٢٢٦ ـ سود». الغَدْر: ضدّ الوفاء بالعهد. لسان العرب ٥: ٨ (غدر).

٢ـ الحِدَأة ـ كعِنَبَة ـ طائرٌ خبيث. مجمع البحرين ١: ٩٦ (حدا).

٣ـ الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الكافي ٤: ٣٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ التّهذيب ٥: ٣٤١، الحديث: ١١٨٠ و ١١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ الكافي ٨: ٢٠٥، الحديث: ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٧ـ الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و ٣٩٧، الحديث: ٥ عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ١: ٣٤٤، ذيل الحديث: ١٩٧، عنه عليه السلام.

٨ـ العيّاشي ١: ٣٤٤، الحديث: ١٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.

١٠ـ التّهذيب ٦: ٣١٤، الحديث: ٨٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾. قال: «من وجب عليه فداء صيد أصابه وهو محرم، فإن كان حاجّاً، نحر هديه الّذي يجب عليه بمنى؛ و إن كان معتمراً، نحر بمكّة قبالة الكعبة»[١]. ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾. قال: «في النّعامة وحمار الوحش بدنة، ثمّ إطعام ستّين مسكيناً، لكلّ مدٌّ، ثمّ صيام ثمانية عشر يوماً، وفي البقرة بقرة، ثمّ إطعام ثلاثين [مسكيناً][٢]، ثمّ صيام تسعة أيّام. وفي الظّبي شاة، ثمّ إطعام عشرة مساكين، ثمّ صيام ثلاثة أيّام». كذا ورد.[٣] وفي رواية: «يقوّم الصّيد قيمة، ثمّ تفضّ تلك القيمة على البرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً؛ فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً»[٤]. ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: هذا الجزاء ليذوق ثقل فعله، و سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ يعني: الدّفعة الأولى. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾. قال: «إذا أصاب المحرم الصّيد خطأً، فعليه الكفّارة؛ فإن أصابه ثانية خطأً، فعليه الكفّارة أبداً إذا كان خطأً؛ فإن أصابه متعمّداً كان عليه الكفّارة؛ فإن أصابه ثانية متعمّداً، فهو ممّن ينتقم الله منه، ولم يكن عليه الكفّارة»[٥].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: ولسيّارتكم يتزوّدونه قديراً ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾. قال: «لا بأس أن يصيد المحرم السّمك و يأكل مالحه و طريّه و يتزوّد، ثمّ تلا الآية. قال: و فصل ما بينهما: كلّ طير يكون في الآجام يبيض في البرّ و يفرخ في البرّ فهو من صيد البرّ؛ و ما كان من صيد

١ـ الكافي ٤: ٣٨٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الزّيادة من المصدر.
٣ـ الكافي ٤: ٣٨٥، الحديث: ١ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٤٧، الحديث: ٢٠٨، عن زين العابدين عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٥: ٣٧٣، الحديث: ١٢٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

البرّ يكون في البرّ و يبيض في البحر، فهو من صيد البحر»[1]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ لمعايشهم ومكاسبهم، يستقيم به أمور دينهم و دنياهم، يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضّعيف، و يربح عنده التّجار باجتماعهم عنده من ساير الأطراف، و يغفر بقصده للمذنب، ويفوز حاجّه بالمثوبات. قال: «من أتى هذا البيت يريد شيئاً في الدّنيا والآخرة، أصابه»[2]. وفي رواية: «ما دامت الكعبة قائمة و يحجّ النّاس إليها لم يهلكوا، فإذا هدمت وتركوا الحجّ هلكوا»[3]. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾. سبق تفسيرها[4]. ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: إذا اطّلعتم على ما في الحجّ و مناسكه من الحِكَم، علمتم أنّ الله يعلم الاشياء جميعاً.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وعيد و وعد لمن هتك محارمه و لمن حافظ عليها. ورد: «قال الله تعالى: من أذنب ذنباً، صغيراً أو كبيراً، وهو يعلم أنّ لي أن أعذّبه وأن أعفو عنه، عفوت عنه»[5].

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾. تشديد في إيجاب القيام بما أمر به. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ إنساناً كان، أوعملاً، أومالاً، أوغير ذلك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإنّ العبرة بالجودة والرّداءة، لا الكثرة والقلّة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

١ـ الكافي ٤: ٣٩٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «يريد شيئاً للدّنيا والآخرة».

٣ـ القمّي ١: ١٨٧؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٧.

٤ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة المائدة.

٥ـ التّوحيد: ٤١٠، الباب: ٦٣، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ في تحرّي[1] الخبيث و إن كثر، و آثروا الطيّب و إن قلّ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ قال: «عن أشياء لم تبد لكم»[2]. ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾. قال: «لمّا نزل فرض الحجّ، قيل: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه، حتّى عاد مرّتين أو ثلاثاً؛ فقال رسول الله ﷺ: ويحك و ما يؤمّنك أن أقول نعم! والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم كفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، و إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[3].

وفي رواية: «إنّ عمر آذى و أبكى إحدى قرابة رسول الله ﷺ وقال لها: إنّ قرابتك من رسول الله ﷺ لاتنفعك شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لاتنفع، لوقد قمت المقام المحمود لشفعت في خارجكم[4] لايسالني اليوم أحد من أبوه[5] إلاّ أخبرته. فقام إليه رجل فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الّذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان. فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: أبوك الّذي تدعى له. ثمّ قال رسول الله ﷺ: ما بال الّذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع لا يسالني عن أبيه، فقام إليه عمر فقال له: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسول الله، اعف عنّي عفى الله عنك. فأنزل الله: "يا أيّها الّذين آمنوا

١ـ التّحرّي: القصد والاجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشّيء بالفعل والقول. مجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).

٢ـ الكافي ٨: ٢٠٥، الحديث: ٢٤٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٥٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ في المصدر: «في أحوجكم».

٥ـ في المصدر: «من ابواه».

لاتسالوا" الآية»[١].

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: عن مسائلكم الّتي سلفت، فلا تعودوا إلى مثلها، أولا تسالوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلّف بها وكفّ عن ذكرها. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ حيث لم يأتمروا و جحدوا.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾: ماشرع الله ﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾. قال: «إنّ أهل الجاهليّة إذا ولدت النّاقة خمسة أبطن خامسها أُنثى، بحروا أُذنها أي: شقّوه وحرّموها على النّساء، فإذا ماتت حلّت؛ و إذا ولدت عشراً جعلوها سائبة، لايستحلّون ظهرها ولا أكلها و ربّما تسيّب[٢] بنذر، و إذا ولدت ولدين في بطن واحد، أو الشّاة ولدت في السّابع ذكراً و أُنثى في بطن واحد، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح ولم تؤكل، وحرّموا ولدي الشّاة على النّساء حتّى يموت أحدهما، فيحلّ. والحام: الفحل إذا ركب ولد ولده، أو نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمي ظهره، فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء، فانزل الله عزّوجلّ: إنّه لم يحرّم شيئاً من ذلك»[٣]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بتحريم ذلك ونسبته إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنّ ذلك افتراء و كذب. يعني: الأتباع الّذين يقلّدون في تحريمها رؤساءهم، الّذين يمنعهم حبّ الرّياسة من الاعتراف به.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾. بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التّقليد وأن لاسند لهم سواه.

١ـ القمّي ١: ١٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ سيّبتُ الدّابة: تركتُها تَسيبُ حيث تشاء. كان الرّجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة. مجمع البحرين ٢: ٨٤ (سيب).

٣ـ معاني الأخبار: ١٤٨، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: أو حسبهم ولو كانوا جهلة ضالّين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: احفظوها و الزموا صلاحها. ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾. قيل: نزلت لمّا كان المؤمنون يتحسّرون على الكفرة ويتمنّون إيمانهم[1]. والقمّي: أصلحوا أنفسكم ولا تتّبعوا عورات النّاس ولا تذكروهم، فإنّه لايضرّكم ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين[2]، وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنياً مؤثرةً وشحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً و إعجاب كلّ ذي رأي برأيه، فعليك بخُوَيْصّة[3] نفسك و ذر عوامّهم»[4].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وعد و وعيد للفريقين: على أنّ أحداً لايؤاخذ بذنب غيره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾: الإشهاد الّذي شرع بينكم فيما أُمرتم به ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: إذا شارفه و حضرت أماراته ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾. فيه تنبيه على أنّ الوصيّة ممّا لا يتهاون فيه. ﴿ٱثْنَانِ﴾: شهادة اثنين ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: «مسلمان»[5]. ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: «من أهل الكتاب فإن لم تجدوا فمن المجوس، لأنّ رسول الله ﷺ سنّ في المجوس سنّة أهل الكتاب في الجزية؛ و ذلك إذا مات الرّجل في أرض غربة فلم يجد مسلمين»[6].

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: قاربكم

١ـ البيضاوي ٢: ١٧٢.
٢ـ القمّي ١: ١٨٨ـ١٨٩.
٣ـ الخُوَيصّة: تصغير الخاصّة.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٥٤. عن رسول الله ﷺ، و فيه: «و ذر النّاس و عوامهم».
٥ـ العيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٤، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

الأجل ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾: تقفونهما ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ لتغليظ اليمين بشرف الوقت، ولأنّه وقت اجتماع النّاس ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: الآخران ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ قال: «إن ارتاب وليّ الميّت في شهادتهما»[1]. ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا﴾: عوضاً من الدّنيا ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾ المُقسَمُ له ﴿ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ الّتي أمر بإقامتها ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾ أي: إن كتمنا.

﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾: فإن اطّلع وحصل العلم ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾ أي: الآخرَين ﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ قال: «شهدا بالباطل»[2]. وفي رواية: «حلفا على كذب»[3]. ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾. قال: «فليس له أن ينقض شهادتهما حتّى يجيء بشاهدين فيقومان مقام الشّاهدين الأوّلين»[4]. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ﴾ أي: الّذين جُنِيَ عليهم؛ أراد بهم الورثة. قال: «يعني من أولياء المدّعي»[5]. ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾: الأحقّان بالشّهادة لقرابتهما ومعرفتهما ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ قال: «يحلفان بالله أنّهما أحقّ بهذه الدّعوى منهما، وأنّهما قد كذبا فيما حلفا بالله»[6].

﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي: يميننا أصدق. سمّيت شهادة، لوقوعها موقعها، كما في اللّعان. ﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾: وما تجاوزنا فيها الحقّ ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: «فإذا فعل ذلك، نقض شهادة الأوّلَين وجازت شهادة الآخرَين»[7].

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾: أقرب ﴿أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾: على نحو ما تحمّلوها من غير تحريف ولا خيانة فيها ﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ﴾ أي: تردّ اليمين على المدّعين ﴿بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة؛ جمع اليمين ليعمّ الشّهود

١، ٢و٤ـ الكافي ٧: ٤، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣، ٥و٦ـ الكافي ٧: ٥، ذيل الحديث: ٧، مرفوعة عليّ بن إبراهيم.
٧ـ المصدر: ٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

كلّهم.

ورد: «إنّ تميم الدّاري كان في سفر، وكان معه نصرانيّان، فاعتلّ علّة شديدة، فلمّا حضره الموت دفع ما كان معه إليهما ليوصلاه إلى ورثته، فأخذا منه آنية وقلادة و أوصلا سائره إلى الورثة، فقالوا: افتقدنا أفضل شيء كان معه، آنية منقوشة مكلّلة بالجوهر وقلادة. فقالا: ما دفع إلينا فقد أدّينا إليكم. فقدّموهما إلى رسول الله ﷺ، فأوجب عليهما اليمين فحلفا، فخلّى عنهما؛ ثمّ ظهرت الآنية والقلادة عليهما، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فانتظر الحكم من الله، فنزلت، فأمر رسول الله ﷺ أولياء تميم الدّاري أن يحلفوا بالله على ما أمرهم به، فحلفوا فأخذ رسول الله ﷺ القلادة والآنية من النّصرانيّين وردّهما على أولياء تميم»[١]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ سَمْعَ إجابة وقبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾. قيل: السّؤال توبيخ، و لذلك وكلوا الأمر إلى علمه بسوء إجابتهم، و لجاوا إليه في الانتقام منهم[٢]. ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. قال: «يقولون: لا علم لنا بسواك، وقال: القرآن كلّه تقريع وباطنه تقريب»[٣]. وفي رواية: «إنّ لهذا تأويلاً، يقول: "ماذا أُجبتم" في أوصيائكم الّذين خلّفتموهم على أُممكم؟ فيقولون: "لا علم لنا" بما فعلوا من بعدنا»[٤].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: في جميع أحوالك على سواء ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا

١ـ الكافي ٧: ٥ـ٦، الحديث: ٧، مرفوعة.
٢ـ راجع: الكشّاف ١: ٦٥٢.
٣ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٣٣٨، الحديث: ٥٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾. قد سبق تفسيره في آل عمران[1]. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ يعني: اليهود حين همّوا بقتله ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ قال: «أُلهموا»[2] و قد مرّ وجه تسميتهم بذلك[3]. ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾. قيل: أي بحسب الحكمة والإرادة، لابحسب القدرة[4]. و وردت مقطوعاً[5] قراءتها: «"هل تستطيع ربَّك" بالخطاب، يعني: هل تستطيع أن تدعو ربك»[6]. ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. المائدة: الخِوانُ إذا كان عليه الطعام. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ من هذا السؤال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بكمال قدرته.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾. تمهيد عذر و بيان لما دعاهم إلى السؤال ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بالمشاهدة ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادّعاء النبوّة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند الّذين لم يحضروها.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾. ورد: «إنّ عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثمّ

١ ـ ذيل الآية: ٤٩.
٢ ـ العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٥٢.
٤ ـ البيضاوي ٢: ١٧٥.
٥ ـ الحديث المقطوع هو ما جاء عن التّابعين و من في حكمهم كالتّابع المصاحب للإمام. الدّراية: ٤٦.
٦ ـ العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢٢، عن يحيى الحلبي.

سلوا الله ما شئتم يعطكموه[١]، فصاموا ثلاثين، فلمّا فرغوا قالوا: إنّا لو عملنا لأحد من النّاس فقضينا عمله لأطْعَمَنا طعاماً، و إنّا صمنا وجُعنا فادع الله ان ينزّل علينا مائدة من السّماء. فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها؛ عليها سبعة أرْغِفَة[٢] وسبعة احوات[٣]، حتّى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر النّاس كما أكل أولهم»[٤].

و في رواية: «نزلت المائدة خبزاً و لحماً، و ذلك أنّهم سالوا عيسى طعاماً لاينفد ياكلون [منه][٥]. فقيل لهم: فإنّا مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا، فإن فعلتم ذلك عذّبتكم[٦]. فقال: فما مضى يومهم حتّي خبأوا[٧] و رفّعوا و خانوا»[٨]. وفي رواية: «كانت المائدة تنزل عليهم، فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثمّ ترفع[٩]. فقال كبراؤهم ومترفوهم: لاندع سفِلتَنا يأكلون منها، فرفع الله المائدة ببغيهم، ومسخوا قردة وخنازير»[١٠].

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾. قال: «إنّه لم يقله وسيقوله. إنّ الله إذا علم شيئاً هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان»[١١]. ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن

١ـ في المصدر: «ثمّ اسألوا الله ما شئتم يُعطيكم».

٢ـ الأرغِفَةُ جمع الرَّغيف: الخُبْزَة. مجمع البحرين ٥: ٦٤ (رغف).

٣ـ في نسخة «الف» و «ب»: «و سبعة خوان»وفي «ج»: «وسبعة أخوان». ولعلّ الأصحّ ما اثبتناه كما في المصدر. والخوان: مايؤكل عليه، معرّب. المصباح المنير ١: ٢٢٤ (خون).

٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام.

٥ـ الزّيادة من: «ب» و«ج». و في المصدر: «ياكلون منها».

٦ـ في المصدر: «عذّبتم».

٧ـ الخَباء: التّقيّة والاستتار. يقال: خبأتُ الشّيء خبأً سترْتُه: مجمع البحرين ١: ١١٩ (خبا).

٨ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٩ـ في المصدر: «ترتفع».

١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٦٧.

١١ـ العيّاشي ١: ٣٥١، الحديث: ٢٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾؟! توبيخ للكفرة وتبكيت لهم. والقمّي: إنّ النّصارى زعموا أنّ عيسى قال لهم: إنّي و أُمّي إلـٰهين من دون الله فإذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النّصارى وبين عيسى فيقول له: "ءأنت قلت للنّاس" الآية"[١]. ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾: أنزّهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾: ما لا يحقّ لي أن أقوله ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾: تعلم ما أُخفيه ولا أعلم ما تخفيه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾: رقيباً مطّلعاً، أمنعهم من أن يقولوا ذلك و يعتقدوه ﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ بالرّفع إليك ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: المراقب لأحوالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾: مطّلع مراقب له.

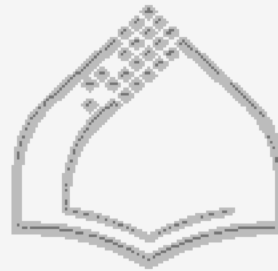
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ تملكهم و تطّلع على جرائمهم ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: القادر القويّ على الثّواب والعقاب، الّذي لا يثيب ولا يعاقب إلّا عن حكمة و صواب.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾. فيه دلالة على أنّ عيسى عليه السلام لم يقل ذلك. قال: «إنّه يدعى يوم القيامة الملائكة والنّبيّين[٢] والأئمّة عليهم السّلام، فيسأل واحد واحد عمّا انتهى إليه من ربّه، و ما بلّغ إلى من أمر بتبليغه إليه، فيحتجّون بحجّتهم، فيقبل الله عذرهم و يجيز حجّتهم، ثمّ يقول الله عزّوجلّ: "هذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم"». كذا ورد.[٣] ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾

١ـ القمّي ١: ١٩٠ ـ ١٩١.
٢ـ كذا في النّسخ و الصّواب: «النّبيّون» بالرّفع.
٣ـ القمّي ١: ١٩١ ـ ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام. والحديث مفصّل لخّصه قدّس سرّه.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال: «كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، و إنّما[1] يؤخذ من أمر رسول اللّه ﷺ بآخره، وكان من آخر ما نزل إليه سورة المائدة، نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء»[2].



١ـ في المصدر: «و إنّما كان يؤخذ».

٢ـ العيّاشي ١: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين ؑ.

سورة الأنعام

[مكيّة، و هي مائة و خمس و ستّون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾. وصف نفسه بما نبّه به على أنّه المستحقّ للحمد، حُمِدَ أولم يُحْمَدْ ليكون حجّة على العادلين [به] [2]. ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾: أنشأهما. والفرق بين الخلق والجعل، أنّ الخلق فيه معنى التّقدير؛ والجَعْلَ فيه معنى التّصيير كإنشاء شيء من شيء. ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يعني: أنّه خَلَقَ ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هُم يسوّون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى "ثُمَّ": استبعاد عدولهم بعد هذا الوضوح.

«والآية ردّ على ثلاثة أصناف: فـ"خلق السّماوات والأرض" ردّ على الدّهريّة، الّذين قالوا: إنّ الأشياء لابَدْوَلها وهي قائمة؛ و "جعل الظّلمات والنّور" ردّ على الثّنويّة، الّذين قالوا: إنّ النّور والظّلمة هما المدبّران؛ و "ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون" ردّ على مشركي العرب، الّذين قالوا: «إنّ أوثاننا آلهة». كذا ورد [3].

1 و 2 ـ ما بين المعقوفات من نسخة «ب».

3 ـ الاحتجاج 1: 25، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ أي: ابتدأ خلقكم منه ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ﴾: كتب وقدّر أجلاً لموتكم محتوماً ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ لموتكم أيضاً، يؤخّر بالدّعاء والصّدقة وصلة الرّحم وغيرها، و يقدّم بأضدادها، وفيه سرّ البداء. قال: «الأجل المقضيّ هو المحتوم الّذي قضاه الله و حتَمَهُ، والمسمّى هو الّذي فيه البداء يقدّم ما يشاء و يؤخّر مايشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير»[1]. ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾: تشكّون. استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنّه خالقهم و خالق أُصولهم، و محييهم إلى آجالهم، و مُوقفهم في الأجل، بين الخوف والرّجاء[2] بعد قضائه المحتوم و قَدَره النّافذ.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال: «كذلك هو في كلّ مكان»[3].

﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ ﴾: بما جاء به محمّد ﷺ ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: عند نزول العذاب بهم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾: من أهل زمان ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: أعطيناهم من البسطة في الأجسام، والسّعة في الأموال ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾: ما لم نعطكم. و في الكلام التفات. ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾: المطر ﴿ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ فعاشوا في الخِصْب ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ بدلاً منهم، فنقدر أن نفعل ذلك بكم.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾. و لم يقتصر[4] بهم على

١ـ القمّي ١: ١٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في جميع النّسخ: «و بين الخوف والرّجاء» بزيادة «و» والظّاهر انّها زائدة؛ إلّا ان يكون عطفاً على قوله: موقفهم أي: بعد ما ثبت انّه موقفهم في الأجل و موقفهم بين الخوف والرّجاء.
٣ـ التّوحيد: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ب» و«ج»: «و لم نقتصر بهم».

الرّؤية، لئلاّ يقولوا: سُكِّرَتْ أبصـارُنا. ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ لِعظمِ عنادهم و قسوة قلوبهم.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ قال: «يعني: يصدّقه[1] و نشاهده، بل يكون نبيّاً دونه»[2]. ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾: لحقّ إهلاكهم، فإنّ سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: لايُمْهَلون بعد نزوله، طرفةَ عين.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ لمثّلناه رجلاً، كما مثّل جبرئيل في صورة دحْيَة[3]؛ فإنّ القوّة البشريّة لاتقوىٰ علىٰ رؤية المَلَك في صورته. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾: و لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم، فيقولون: ما هذا إلّا بشر مثلنا، وكذّبوه كما كذّبوك.

ورد: «إنّه قيل لرسول الله ﷺ: لو كنت نبيّاً لكان معك مَلَكٌ يصدّقك و نشاهده؛ بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا مَلَكاً لا بشراً مثلنا، فنزلت هذه الآية؛ فقال ﷺ للقائل: المَلَكُ لم يشاهده حواسُّكم، لأنّه من جنس هذا الهواء لاعِيانَ منه، ولو شاهدتموه، بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم: ليس هذا مَلَكاً بل هذا بشر، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الّذي ألفتموه، لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق المَلَكِ، و أنّ ما يقوله حقّ؟ بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات الّتي ليست في طبائع البشر الّذين قد علمتم ضمائر قلوبهم، فتعلمون بعجزكم عمّا جاء به أنّه معجزة، و أنّ ذلك شهادة من الله بالصّدق له، ولو ظهر لكم مَلَكٌ وظهر على يده ما يعجز عنه البشر، لم يكن في ذلك ما يدلّكم أنّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتّى يصير ذلك

١ـ اي: يُصَدِّقُ المَلَكُ النَّبِيَّ و نُشاهِدُ المَلَكَ. و في «ب»: «نُصَدِّقُهُ».
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام، مع تفاوت.
٣ـ اي: دِحيَةُ الكَلْبي.

معجزاً، ألا ترون أنّ الطّيور الّتي تطير ليس ذلك منها بمعجز، لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أنّ آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً، فالله تعالى سهّل عليكم الأمر وجعله مثلكم بحيث يقوم عليكم حجّته[1]، وأنتم تقترحون عمل الصّعب الّذي لاحجّة فيه»[2].

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾. تسلية للرّسول ﷺ على ما يرى من قومه. ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فاحاط بهم الّذي يستهزؤون به من العذاب.

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ قال: «أنظروا في القرآن و أخبار الأنبياء»[3].

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. سؤال تبكيت[4]. ﴿قُل لِّلَّهِ﴾. تقرير لهم، أي: هو للّه لا خلاف بيني و بينكم في ذلك، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره.

﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾. أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته والعلم بتوحيده، بنصب الحجج و إنزال الكتب والإمهال على الكفر والذّنوب، لتدارك ما فرّط. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ قرناً بعد قرن ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بتضييع رأس مالهم الّذي هو الفطرة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنّ إبطال الفطرة أدّاهم إلى الإصرار على الكفر.

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: ولله ما تمكّن و حلّ فيهما، ولا يخفى عليه شيء. ذكر في الأوّل السّماوات والارض، المشتملتين على الأمكنة

١ـ في المصدر: «و جعله بحيث تقوم عليكم حجّته».

٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧ و ٣٠، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.

٣ـ القمّي ١: ١٩٤؛ والكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

٤ـ التّبكيتُ: التّقريع والتّوبيخ. يقال: يا فاسق أما استحييت أما خفت اللّه. و يقال: بكّتَهُ بالحجّة إذا غلبه. مجمع البحرين ٢: ١٩٢ (بكت).

جميعاً، و ثانياً الليل والنّهار، المشتملين على الأزمنة جميعاً، ليعمّ الموجودات التّي تندرج تحت الظّرفين.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: مُبْدِعُهُما بقدرته من غير احتذاء مثالٍ[1] ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾: يرزُق ولا يُرْزَق. يعني: أنّ المنافع كلّها من عنده، ولايجوز عليه الانتفاع. ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ اي: و قيل لي: ولا تكوننّ، او عطف على "قُلْ".

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. قطع لاطماعهم بالكلّيّة، وتعريض لهم بأنّهم عُصاة مستوجبون للعذاب. قال: «ما ترك رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتّى نزلت سورة الفتح، فلم يَعُدْ إلى ذلك الكلام»[2].

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: العذاب ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ وتفضّل عليه. ورد: «والّذي نفسي بيده ما من النّاس احد يدخل الجنّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا انا، إلاّ ان يتغمّدني الله برحمة منه و فضل»[3]. ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: ببليّة، كمرض و فقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: فلا قادر على كشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: بنعمة، كصحّة و غنىً ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يقدر على إدامته و إزالته.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾: أعظم شهادة و أصدق ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: قل: الله الّذي غير خاف أنّه أكبر شيءٍ شهادة، هوالّذي يشهد لي بالنّبوّة.

١ـ احتذىٰ مثاله: اقتدىٰ به. الصّحاح ٦: ٢٣١١ (حذا).

٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٠، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله ﷺ، مع تفاوت يسير.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٨٠، عن النّبي ﷺ.

«وإنّما جاز إطلاق الشّيء على الله تعالى لإخراجه عن حدّ التّعطيل، ولكنّه شيء بخلاف الأشياء». كذا ورد[1]. ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾. قيل: يعني: و أنذر سائر من بلغه إلى يوم القيامة[2]. و ورد: «و من بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد ﷺ فهو يُنْذِرُ بالقرآن كما أَنْذَرَ به رسول الله ﷺ»[3]. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾. تقرير مع إنكار و استبعاد. ﴿ قُل لَّا أَشْهَدُ ﴾ بما تشهدون ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾: يعرفون رسول الله ﷺ بحلْيَته[4] ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ بحلاهم؛ و قد سبق تفسيره[5]. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء شفعاؤنا عندالله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ كان كذّبوا القرآن والمعجزات و سمّوها سحراً، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ قال: «هم المقرّون في دار الدّنيا بالتّوحيد، فلم ينفعهم إيمانهم بالله مع مخالفتهم رسله، و شكّهم فيما أتوا به عن ربّهم، و نقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير؛ فكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله: "أُنظر كيف كَذَبُوا على أنفسهم"»[6].

١ـ الكافي ١: ٨٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و٨٥، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: الكشّاف ٢: ١٠.
٣ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث: ٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الحلْيَة ـ بالكسر ـ الخلقه والصّورة والصّفة. «و حلية الإنسان: ما يُرىٰ من لونه و ظاهره و هيئته». القاموس المحيط ٤: ٣٢١ (الحلي).
٥ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ١٤٦.
٦ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ قال: «يعني معذرتهم»[1]. ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: «يعنون بولاية عليّ عليه السلام»[2]. والقمّي: إنّ الآية في قدريّة هذه الأُمّة ومجوسهم الّذين يقولون: لا قدر، و يزعمون أنّ المشيّة والقدرة إليهم و لهم[3].

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ من الشّركاء.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين تتلو القرآن ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾: اغطية ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ يمنع عن استماعه. كناية عن نبوّ قلوبهم وأسماعهم عن قبوله. ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾ لفرط عنادهم و استحكام التّقليد فيهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾: يخاصمونك ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾. الأساطير: الأباطيل، و أصل السّطر بمعنى الخطّ.

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾. القمّي: بنو هاشم كانوا ينصرون رسول الله صلى الله عليه وآله ويمنعون قريشاً عنه[4]. ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾: و يباعدونه ولا يؤمنون به ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: إنّ ضررهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾. جوابه محذوف، يعني: لرأيت أمراً فظيعاً. القمّي: نزلت في بني أُميّة[5]. ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾. تمنّوا أن يرجعوا إلى الدّنيا. ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ قال: «إنّهم ملعونون في الأصل»[6].

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ ﴾ أي: الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٩٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ـ القمّي ١: ١٩٦.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث: ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ للتوبيخ والسؤال، كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه، أو الوقوف بمعنى الاطّلاع. ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾. تعيير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث. ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾: وما أعمالها إلّا لعب ولهو، يلهي النّاس ويشغلهم عمّا يعقّب منفعةً دائمةً ولذّةً حقيقيّةً، وهي جواب قولهم: "إن هي إلّا حياتنا الدّنيا". ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ لخلوصها ودوام لذّاتها ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾. ضمن الجحود معنى التّكذيب فعدّاه بالباء. قال: «بلى والله لقد كذّبوه أشدّ التّكذيب، ولكنّها مخفّفة؛ "لا يكذبونك": لا يأتون بباطل يكذبون به حقّك»[١]. وفي رواية: «لا يأتون بحقّ يبطلون حقّك»[٢]. وفي أُخرى: «لا يستطيعون إبطال قولك»[٣]. يعني: أنّه من أكْذَبَه: إذا وجده كاذباً؛ وعلى التّشديد يكون المعنى: لايكذّبونك اعتقاداً بقلوبهم. وروي: «أنّ رسول الله ﷺ لقى اباجهل فصافحه[٤]، فقيل له في ذلك، فقال: والله إنّي لاعلم أنّه صادق، ولكنّا متى كنّا تبعاً لعبد مناف؛ فنزلت»[٥].

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا

١ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٤١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٩٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث: ٢١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في المصدر: فصافَحَهُ ابوجهل.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٩٤.

﴿ مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ قيل: أي لمواعيده من قوله: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ" [١]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: من قصصهم وما كابدوا [٢] من قومهم.

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ ﴾: عظم و شقّ ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك و عن الإيمان بما جئت به.

قال: «كان رسول الله ﷺ يحبّ إسلام الحارث بن نَوْفَل بن عبد مناف، دعاه وجهد به أن يُسلم، فغلب عليه الشقاء، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية» [٣].

﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: مَنْفَذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ مصعداً تصعد به إلى السّماء ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾: فتطلع لهم آية من الأرض أو تنزل آية من السّماء يؤمنون بها، و جوابه محذوف، أي: فافعل. والجملة جواب الشّرط الأوّل، والغرض بيان حرصه البالغ على إيمان قومه، و إنّه لو قدر على ذلك لفعل، ولكنّه لايقدر، نظيره "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ" [٤]. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بأن تأتيهم آية يخضعوا لها. ورد: «إنّ الله قد قضى الفُرْقَة والاختلاف على هذه الأمّة، فلو شاءالله لجمعهم على الهدى حتّى لايختلف إثنان من هذه الأمّة، ولا يتنازع [٥] في شيء من أمره، ولا يجحد المفضولُ لذي الفضل فضْلَه» [٦]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. القمّي: مخاطبة للنّبيّ والمَعْنِيُّ النّاس [٧].

١ـ الكشّاف ٢: ١٥ والآية في سورة الصّافّات (٣٧): ١٧١ و ١٧٢.
٢ـ الكَبْدُ ـ بالتّحريك ـ: الشدّة والمشقّة، من المكابدة للشّيء، و هي تحمّل المشاقّ في شيء. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).
٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن أبي جعفر ﷺ، و فيه: «... الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، دعاه رسول الله ﷺ أن يسلم، فغلب عليه الشقاء ...».
٤ـ الكهف (١٨): ٦.
٥ـ في «الف» و «ج»: «ولا تنازع».
٦ـ كمال الدّين ١: ٢٦٤، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ١٠، عن النّبيّ ﷺ.
٧ـ القمّي ١: ١٩٨ و فيه: «والمعنى للنّاس».

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾: يتفهّمون و يتدبّرون ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ فيحكم فيهم ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فحينئذٍ يسمعون[1]؛ يعني: أنّ الّذين تحرص على إيمانهم بمنزلة الموتى؛ لايسمعون حتّى يرجعوا إلى الله بعد البعث.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾؟ يعني: ممّا اقترحوه. ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً ﴾ يخضعوا لها ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنّه قادر و أنّ حكمته لاتقتضي ذلك. والقمّي: لايعلمون أنّ الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها لهلكوا[2]. ورد: «سيريكم في آخر الزمان آياتٍ؛ منها دابّة الأرض والدّجّال و نزول عيسى و طلوع الشّمس من مغربها»[3].

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾: خلق مثلكم محفوظة أحوالها، مقدّرة أرزاقها، مكتوبة آجالها. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ ﴾: «القرآن». كذا ورد[4]. ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾: شيئاً من التّفريط، لأنّ «فرط» لايتعدّى بنفسه وقدعدّي بـ«في». ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾. ورد: «أيُّ بعير حجّ عليه ثلاث سنين، جعل من نَعَم الجنّة»[5]. و ورد: «سبع سنين»[6]. وفي معناه ـ ممّا يدلّ على حشر الحيوانات ـ أخبار كثيرة[7].

١ـ في نسخة «الف» و «ب»: «يستمعون».

٢ـ القمّي ١: ١٩٨، وفيه: «ليهلكوا».

٣ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٦١، الخطبة: ١٨؛ وعيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٦، الباب: ٢٠، الحديث: ١.

٥ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٩١ الحديث: ٨٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أيُّ بعير حجّ عليه ثلاث حجج يجعل من نعم الجنّة».

٦ـ المصدر، الحديث: ٨٧٣.

٧ـ الخصال ١: ٢٠٤، الحديث: ١٩و٢٠؛ وثواب الأعمال: ٧٥، الحديث: ١؛ والقمّي ١: ٢٤٨، ذيل الآية: ١٧٦ من سورة الأعراف.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ ﴾ قال: «عن الهدى»[١]. ﴿ وَبُكۡمٌ ﴾ قال: «لايتكلّمون بخير»[٢]. ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ قال: «ظلمات الكفر»[٣]. ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ ﴾: يخذله فيضلّ، لأنّه ليس من أهل الهدى. قال: «نزلت في الّذين كذّبوا الأوصياء»[٤]. ﴿ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ ﴾: أرأيت أنفسكم، بمعنى: أخبروني ﴿ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الدّنيا ﴿ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ يعني: القيامة مَنْ تدعون؟ ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ ﴾؟ تبكيت لهم ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ بأنّ الأصنام آلهة.

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾: بل تخصّون الله بالدّعاء دون الآلهة. ﴿ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ ﴾: ما تدعون إلى كشفه ﴿ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾: و تتركون آلهتكم لما ركز في العقول أنّه القادر على كشف الضّرّ دون غيره، أولا تذكرونها من شدّة الأمر و هَوْله.

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ يعني: الرّسل، فكذّبوهم. ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾: بالشّدّة والفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾: والمرض و نقصان الأنفس والأموال ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴾: لكي يتضرّعوا و يتذلّلوا و يتوبوا عن ذنوبهم.

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ يعني: لم يتضرّعوا و لم يكن لهم عذر في ذلك إلّا قساوة قلوبهم و إعجابهم بأعمالهم.

قال: «لو أنّ النّاس حين تنزل بهم النِّقَم و تزول عنهم النِّعَمْ، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم و وَلَه من قلوبهم، لَرَدَّ عليهم كلَّ شاردٍ و أصلح لهم كُلَّ فاسد»[٥].

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ من البأساء والضّرّاء: تركوا الاتّعاظ به ﴿ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ

١، ٢و٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ المصدر: ١٩٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٥٧، الخطبة: ١٧٨.

﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الصّحّة والتّوسعة في الرّزق ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الخير والنِّعم، واشتغلوا بالنِّعم[1] عن المنعم. ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: مفاجأة من حيث لايشعرون ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسون من النّجاة والرّحمة، متحسّرون.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخِرهُم لم يترك منهم أحد من دبره إذا تبعه.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إهلاك أعدائه و إعلاء كلمته، فإنّ تخليص أهل الأرض من سوء عقائد الكفّار وقبيح أعمال الفجّار نعمة جليلة يحقّ أن يحمد عليها. قال: «إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإنّ ذلك استدراج منه، ثمّ تلا هذه الآية»[2]. وفي رواية: «فلمّا نسوا ما ذكّروا به من ولاية عليّ عليه السلام وقد أُمروا بها "فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء": دولتهم في الدّنيا و ما بسط لهم فيها؛ "أخذناهم بغتة" يعني بذلك: قيام القائم، حتّى كأنّهم لم يكن لهم سلطان قطّ»[3]. وقال: «نزلت في ولد العبّاس»[4].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ بان يُصمّكم و يُعْميكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بان يُغطّيَ عليها ما يُذهبُ عقلكم و يَسْلُبُ تمييزكم. قال: «إن أخذ الله منكم الهدى»[5]. ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ قال: «يُعْرِضُون»[6].

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: من غير مقدّمة و ظهور أمارة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تتقدّمه[7] أمارة. قابلَ البغتةَ بالجَهْرَة لما في البغتة من معنى الخُفْيَة. ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾

١ـ في «الف» و «ج»: «بالنّعمة».
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٠٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ القمّي ١: ٢٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «يعترضون».
٧ـ في «الف»: «يتقدّمه».

هلاك تعذيب و سخط ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾. القمّي: نزلت لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، و أصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إليه. يعني: لايصيبكم إلّا الجهد والضرّ في الدّنيا، فأمّا العذاب الأليم الّذي فيه الهلاك فلا يصيب إلّا القوم الظّالمين[1]. و في رواية: «يؤاخذ بني أُميّة بغتة و بني العبّاس جهرة»[2].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾. ورد في القدسيّ: «إنّما خزائني[3] إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن، فيكون»[4]. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الّذي اختصّ الله بعلمه، وإنّما أعلم منه ما يعلّمني الله ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾: من جنس الملائكة، أقدر على ما يقدرون عليه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ فيما أُنبّئكم به ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾. تبرّأ من دعوى الأُلوهيّة والملكيّة، و ادّعى النّبوّة الّتي هي من كمالات البشر، ردّاً لاستبعادهم دعواه. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قال: «من لايعلم و من يعلم»[5] ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: «و أنذر بالقرآن الّذين يرجون الوصول إلى ربّهم، ترغّبهم فيما عنده، فإنّ القرآن شافع مشفّع»[6].

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: يعبدونه على الدّوام ﴿يُرِيدُونَ

١ـ القمّي ١: ٢٠١.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ في «الف» و «ج»: «خزائني».
٤ـ التّوحيد: ١٣٣، الباب: ٩، الحديث: ١٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٠٤، عن أهل البيت عليهم السّلام؛ والقمّي ١: ٢٠١.
٦ـ المصدر، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿وَجْهَهُۥ﴾: يبتغون مرضاته مخلصين له. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾. جواب النفي. ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. جواب النّهي. القمّي: كان سبب نزولها: أنّه كان بالمدينة قومٌ فُقَراء مؤمنون يُسمَّون أصحاب الصُّفَّة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صُفَّةٍ يأوُون إليها، وكان يتعاهدهم بنفسه، و ربّما يحمل إليهم ما يأكلون. وكانوا يختلفون إليه فيقرّبهم و يقعد معهم ويونسهم، و كان إذا جاء الأغنياء والمُتْرَفون من أصحابه، ينكرون عليه ذلك ويقولون له: اطردهم عنك، فنزلت[١].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثلُ ذلك الفتن، و هو اختلاف أحوال النّاس في أُمور الدّنيا. ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ في أمر الدّين، فقدّمنا هؤلاء الفقراء على اشراف قريش بالسّبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؟! اي: هؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتّوفيق لما يسعدهم دوننا و نحن الاكابر والرّؤساء وهم المساكين والضّعفاء. و هو إنكار لان يخصّ هؤلاء من بينهم بإصابة الحقّ والسّبق إلى الخير، كقولهم: "لو كان خيراً ما سبقونا إليه"[٢]. واللاّم للعاقبة. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾. قال: «إنّها نزلت في التّائبين»[٣]. قيل: جاءه قوم فقالوا: إنّا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يردّ عليهم شيئاً، فانصرفوا، فنزلت»[٤] و يؤيّده تمام الآية. و روي: «إنّها نزلت في الّذين نهى الله عن طردهم، و كان النّبيّ ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسّلام و قال: الحمد لله

١ـ القمّي ١: ٢٠٢.
٢ـ الاحقاف (٤٦): ١١.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر، عن أنس بن مالك.

الّذي جعل في أُمّتي من أمرني ان أبداهم بالسّلام»[1] . ﴿أَنَّهُ﴾ بدل من الرّحمة، وعلى الكسر استيناف، يفسّرها ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ بالتّدارك ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المصرّين منهم والأوّابين.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: صُرِفْتُ و زُجِرْتُ عنه بما نصب لي من الادلّة و أنزل عليّ من الآيات في أمر التّوحيد. ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ .تاكيد لقطع أطماعهم، و إشارة إلى الموجب للنّهي و علّة الامتناع من متابعتهم بانّ ما هم عليه هوىً و ليس بهدىً، و تنبيه لمن تحرّى الحقّ على ان يتّبع الحجّة ولا يقلّد. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾: على حجّة واضحة من معرفته و إنّه لا معبود سواه ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ حيث أشركتم به غَيْرَهُ ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾. قيل: يعني العذاب الّذي استعجلوه بقولهم: ائتنا بالّذي تعدنا[2]. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في التّعجيل والتّاخير ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾[3] في كلّ ما يَقْضي ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: القاضين.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: لأهلكتكم عاجلاً، غضباً لربّي، و انقطع ما بيني و بينكم. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. في معنى استدراك كانّه قال: ولكنّ الأمر إلى الله، و هو اعلم بمن ينبغي أن يؤخذ أو يمهل.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنه، إن كان جمعَ المَفْتَح ـ بفتح الميم ـ بمعنى المخزن، أو مفاتيحه إن كان جمعَ المِفْتَح ـ بكسر الميم ـ بمعنى المفتاح، أي: ما يتوصّل به إلى

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤ : ٣٠٧، عن عكرمة.

٢ـ البيضاوي ٢ : ١٩١.

٣ـ و قُرِئَ: «يَقُصُّ الحَقَّ» اي: يَتَبَعُهُ فيما يَحكُمُ به و يُقَدِّرهُ من قولهم: قصّ أثَرَه. راجع: الصّافي ٢ : ١٢٥ جوامع الجامع ١ : ٣٨٣.

المَغيبات. ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ فيُظهِرُها على ما اقتضته حكمته ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ قال: «من ورقة من شجرة»[1]. و في رواية: «الورقة: السّقط، والحبّة: الولد، و ظلمات الأرض: الأرحام، والرّطب: ما يحيى من النّاس، واليابس: ما يغيض[2]، و كلّ ذلك في إمام مبين»[3]. و في أُخرى: «الورقة: السّقط يسقط من بطن أُمّه من قبل أن يهلّ الولد، والحبّة: الولد في بطن أُمّه إذا أهلّ و سقط من قبل الولادة، والرّطب: المضغة إذا استكنّت في الرّحم قبل أن يتمّ خلقها و قبل أن تنتقل، واليابس: الولد التّامّ، والكتاب المبين: الإمام المبين»[4].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾: يقبض أرواحكم عن التّصرف بالنّوم كما يقبضها بالموت ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: ما كسبتم من الاعمال ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: ينبّهكم من نومكم في النّهار ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: لتستوفوا آجالكم. قال: «هو الموت»[5] يعني بلوغه. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: المقتدر المستعلي عليهم ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ يحفظونكم ويحفظون أعمالكم، يذبّون عنكم مردةَ الشّياطين وهوامّ[6] الأرض وساير الآفات، ويكتبون ما تفعلون ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾

١ـ من لايحضره الفقيه ١: ٣٢٦، ذيل الحديث: ١٤٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ في الكافي: «مايقبض». والصّحيح ما اثبتناه كما في جميع النّسخ والصّافي والعيّاشي. والغَيْض: السّقط الّذي لم يتمّ خلقه. القاموس المحيط ٢: ٣٥٢ (غيض).

٣ـ الكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩؛ والعيّاشي ١: ٣٦١، الحديث: ٢٨؛ ومعاني الاخبار: ٢١٥، باب معنى الورقة و ...، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٣٦١ـ٣٦٢، الحديث: ٢٩، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام.

٥ـ القمّي ١: ٢٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ الهوامّ جمع الهامّة كدوابّ و دابّة: المخوف من الاحناش كالحيّة و نحوها. مجمع البحرين ٦: ١٨٩ (همم).

ملك الموت وأعوانه، وقد سبق بيانه في سورة النّساء [١]. ﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾: لايقصّرون بالتّواني والتّأخير.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: إلى حكمه و جزائه ﴿ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ الّذي يتولّى أمرهم ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾: العدل الّذي لايحكم إلاّ بالحقّ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾: يومئذ لاحكم لغيره ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ قال: «يحاسب الخلائق في مقدار لمح البصر» [٢]. الحديث. وقد مرّ في سورة البقرة [٣].

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾: من شدائدهما، استعيرت الظّلمة للشدّة لمشاركتهما في الهول و إبطال الإبصار، فقيل لليوم الشّديد: يوم مُظْلِمٌ. ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا ﴾ بالسنتكم ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ في انفسكم ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ولا توفون بالعهد بعد قيام الحجّة.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال: «هو الدّخان والصّيحة» [٤]. ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «هو الخسف» [٥]. ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾: يَخْلِطَكم فِرَقاً مختلفي الأهواء. قال: «هو الاختلاف في الدّين، وطعن بعضكم على بعض» [٦]. ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال: «هو أن يقتل بعضكم بعضاً ـ قال: ـ وكلّ هذا في أهل القبلة» [٧]. ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾.

وفي رواية: «"من فوقكم": من السّلاطين الظّلَمة؛ و "من تحت أرجلكم": العبيد

١ـ لم يسبق منه في سورة النّساء بيان لذلك إلاّ قوله: «يحتمل الماضي والمضارع» عند قوله تعالى: (توفّيهم الملائكة) (الآية: ٩٧). لعلّه ـ قدّس سرّه ـ أراد ما بيّنه في ذيل تلك الآية من سورة النّساء في الصّافي ١: ٤٥١ـ٤٥٣.

٢ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٢٩٨؛ وبحار الأنوار ٧: ٢٥٤.

٣ـ ذيل الآية: ٢٠٢.

٤، ٥، ٦ و ٧ـ القمّي ١: ٢٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

السّوء ومن لا خير فيه؛ "أو يلبسكم شيعاً": يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبيّة؛ "و يذيق بعضكم بأس بعضٍ": هو سوء الجِوار»[١]. و ورد: «سألت ربّي أن لايُظهِر على أُمّتي أهل دين غيرهم فأعطاني، و سألته أن لايهلكهم جوعاً فأعطاني، وسألته أن لايجمعهم على ضلال فأعطاني، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فمنعني»[٢].

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ ﴾ قيل: بالقرآن[٣]، و قيل: بالعذاب[٤]. ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾: الصّدق، أوالواقع لابدّ أن ينْزِلَ ﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾: بحفيظ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾: وقت استقرار و وقوع ﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ عند وقوعه.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالتّكذيب والاستهزاء بها والطّعن فيها ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾: فلا تجالسهم وقم من عندهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾.

قال: «هو الكلام في الله والجدال في القرآن، قال: و منه القصّاص»[٥].

و ورد: «ليس لك أن تقعد مع من شئت، لأنّ الله يقول "و إذا رأيت"»[٦]. الآية.

وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس في مجلس يسبّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، ثمّ تلا هذه الآية»[٧].

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ النّهي ﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: معهم؛ نبّه بالإظهار على ظلمهم.

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه: «على ضلالة» بدل: على ضلال.
٣ـ المصدر: ٣١٦ والبيضاوي ٢: ١٩٢.
٤ـ البيضاوي ٢: ١٩٢.
٥ـ العيّاشي ١: ٣٦٢، الحديث: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ علل الشّرايع ٢: ٦٠٥، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٨٠، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٢٠٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ : و ما يَلْزَمُ المتّقين الّذين يجالسونهم ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ : ممّا يُحاسَبون عليه من قبايح أعمالهم و أقوالهم ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ : ولكن عليهم أن يُذكِّروهم ذكرى، و يمنعوهم عن الخوض ويظهروا كراهته ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ : يجتنبون ذلك حياءاً أو كراهة لمساءتهم.

قال: «لمّا نزل "فلا تقعد بعد الذكرى" قال المسلمون: كيف نصنع إن كان كلّما استهزأ المشركون قمنا وتركناهم؟ فلا ندخل إذاً المسجد الحرام، ولا نطوف بالبيت الحرام. فانزل الله هذه الآية، أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا»[1].

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ : سخروا به، أو بنوا أمره على التّشهّي، أو جعلوا عيدهم الّذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب و لهو؛ والمعنى: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم و أقوالهم. ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ : فألهتهم عن العقبى ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مخافة أن تُسْلَمَ إلى الهلاك و ترهن بسوء عملها؛ و أصل البَسْلِ: المنع. ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ : و إن تفد كلّ فداء؛ والعدل: الفدية، لأنّها تعادل المفديّ. ﴿ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ﴾ أي: سلّموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة و عقايدهم الزّائفة ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ بين ماء مغليّ يتجرجر في بطونهم، و نار تشتعل بأبدانهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ ﴾ : أنعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ : لايقدر على نفعنا وضرّنا ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ : و نرجع عن دين الإسلام إلى الشّرك ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ له ﴿ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ كالّذي ذهب به مردة الجنّ في المَهامه[2]؛ من

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المَهامه جمع المَهْمَه والمَهْمَهَة: المفازة البعيدة والبلد المُقْفِر. القاموس المحيط ٤: ٢٩٤ (مه).

هَوىٰ: إذا ذهب. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾: متحيّراً ضالاًّ عن الطّريق ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ﴾: لهذا المستهوى رفقة ﴿يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾: إلى الطّريق المستوي، أو إلى أن يهدوه الطّريقَ المستوي ﴿ٱئۡتِنَاۗ﴾. يقولون له: ائتنا و قد اعتسف التّيه تابعاً للجنّ لا يُجيبهم ولا ياتيهم؛ و هذا مبنيّ على ما تزعمه العرب: انّ الجنّ تستهوي الإنسان كذلك. ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الّذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾ وحده و ما سواه ضلال ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ﴾ اي: اُمِرنا للإسلام و لإقامة الصّلاة والتّقوى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾.

قيل: اي: قوله الحقّ يوم يقول؛ واليوم: بمعنى الحين. يعني: انّه الخالق للسّماوات والأرض، و قوله الحقّ نافذ في الكائنات؛ أو "يوم" معطوف على السّماوات، و "قوله الحقّ" مبتدأ و خبر، أو فاعل "يكون"، اي: حين يكوّنُ الاشياءَ و يُحدثُها ويقول لقضائه: كن فيكون قولُه الحقّ، اي: قضائه[1]. وله وجوه اُخر من التّفسير. ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ كقوله: "وَالْمُلْكُ يَوْمَئذ للّه"[2]. روي: «انّ الصُّوْرَ قرن التقمه إسرافيل فينفخ فيه، و انّ فيه بعدد كلّ إنسان ثقبة فيها روحه»[3]. و وصف بالسّعة والضّيق؛ يعني انّ أحد طرفيه واسع والآخر ضيق. ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ و هذا كالفذلكة للآية.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي

۱ـ البيضاوي ۲: ۱۹۴.
۲ـ الحجّ (۲۲): ۵۶.
۳ـ راجع: الدرّ المنثور ۳: ۲۹۸؛ و سنن الترمذی ۴: ۴۲؛ و روح البيان ۳: ۱۵۳ ومسند احمد بن حنبل ۲: ۱۶۲، ۱۹۲؛ و تفسير القرآن العظيم، (لابن كثير) ۲: ۱۵۱.

﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ربوبيّتها. قال: «كَشَطَ[1] الله له عن الأرضين حتّى رآهنّ و ما تحتهنّ، و عن السّماوات حتّى رآهنّ و ما فيهنّ من الملائكة و حملة العرش»[2]. ورد: «إنّه فعل ذلك بالنّبيّ والأئمّة عليهم السّلام أيضاً»[3]. ﴿وَلِيَكُونَ﴾: ليراه و ليكون ﴿مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾: أظلم عليه و ستره بظلامه ﴿رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ على سبيل الإنكار والاستدلال؛ لأنّه كان طالبه[4] في حداثة سنّه ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾: مبتدءاً في الطّلوع ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾. استعجز نفسه و استعان بربّه.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

ورد: «إنّ إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزّهرة و صنف يعبد القمر وصنف يعبد الشّمس، و ذلك حين خرج من السَّرَب[5] الّذي أُخفي فيه، "فلمّا جنّ عليه اللّيل" رأى الزّهرة "قال هذا ربّي" على الإنكار والاستخبار، "فلمّا أفل" الكوكب "قال

١ـ كَشَطَ، اي: كشف. القاموس المحيط ٢: ٣٩٦ (كشط).

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ القمّي ١: ٢٠٥، عن أبي عبدالله عليه السلام و فيه: «و فعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام».

٤ـ في «ب» و «ج»: «لأنّه كان طالباً».

٥ـ السَّرَب ـ بالتّحريك ـ جُحْرُ الوحشيّ والحفير تحت الأرض والقناة الّتي يدخل منها الماء الحائط. القاموس المحيط ١: ٨٤ (سرب). و لعلّ المراد الغار الّذي وضعته أمّه فيه و أخفته فيه من النّمرودية ثلاث عشرة سنة. راجع: القمّي ١: ٢٠٧.

لا أُحبّ الآفلين" ، لأنّ الأُفول من صفات المُحْدَث لا من صفات القديم؛ "فلمّا رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي" على الإنكار والاستخبار؛ "فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ" يقول: لكنت من القوم الضّالّين[1]. و في رواية: «أي: ناسياً للميثاق»[2]. قال: «فلمّا أصبح "ورأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر" من الزّهرة والقمر، على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار. "فلمّا أفلت" قال للأصناف الثّلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشّمس: "يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي" الآية. وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أنّ العبادة لخالقها وخالق السّماوات والأرض، و كان ما احتجّ به على قومه ما ألهمه الله و آتاه؛ كما قال الله: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ"»[3].

و في رواية: «فلمّا أصبح وطلعت الشّمس ورأى ضوءها و قد أضاءت الدّنيا لطلوعها، "قال: هذا ربّي هذا أكبر وأحسن، فلمّا تحرّكت و زالت، كَشَطَ الله له عن السّماوات حتّى رأى العرش ومن عليه، و أراه الله ملكوت السّماوات والأرض، فعند ذلك "قال: يا قوم إنّي بريء"»[4]. و في أُخرى: «و لم يكن ذلك من إبراهيم شركاً وإنّما كان في طلب ربّه؛ و هو من غيره شرك»[5].

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾: و خاصموه في التّوحيد ﴿ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ ﴾: في وحدانيّته ﴿ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ إلى توحيده ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ أي: لا أخاف

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، الحديث: ١، و فيه: «لأكوننّ من القوم الضّالّين، يقول: لولم يهدني ربّي لكنت من القوم الضّالّين».

٢ـ لاحظ: العيّاشي ١: ٣٦٤، الحديث: ٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، الحديث: ١، والآية في الأنعام(٦): ٨٣.

٤ـ القمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «كَشَفَ» بدل «كَشَطَ».

٥ـ العيّاشي ١: ٣٦٥، الحديث: ٤١؛ والقمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

معبوداتكم قطّ؛ لأنّها لا قدرة لها على ضرٍّ أو نفع ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾ ان يصيبني بمكروه، وكأنّه جواب لتخويفهم إيّاه من جهة آلهتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾ فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال مخوف بي ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ ولا يضرّ شيئاً ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾: حجّة؛ يعني و ما لكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولاتنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف. ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِ﴾: الموحّدون أو المشركون ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ قال: «ولم يخلطوا»[1]. ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾. ورد: «إنّه من تمام قول إبراهيم عليه السلام»[2]. و روي: «لمّا نزلت هذه الآية شقّ على النّاس و قالوا: يا رسول الله و أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّه ليس الّذي تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح "يا بُنَيَّ لا تُشرِكْ باللّه إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ"»[3]. و في رواية: «إنّ الظّلم: الضّلال فما فوقه»[4]. وفي أُخرى: «الشّك»[5]. وفي أُخرى: «آمنوا بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من الولاية و لم يخلطوها بولاية فلان وفلان»[6].

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: ارشدناه إليها و علّمناه إيّاها ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في رفعه و خفضه ﴿عَلِيمٞ﴾ بحال من يرفعه و يخفضه.

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ المصدر، عن ابن مسعود. والآية في لقمان (٣١): ١٣.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٨؛ والكافي ٢: ٣٩٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ يعني هديناهم لنجعل الوصيّة في أهل بيتهم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾. ورد: «والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قبل النّساء، ثمّ تلا هذه الآية»[١]. و في رواية: «وكذلك ألحقنا بذراري النّبيّ صلى الله عليه وآله من قبل أُمّنا فاطمة عليها السّلام»[٢] ﴿وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ مع علوّ شأنهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد به الجنس ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الحكمة، أوالحكم بين النّاس ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بالنبوّة، او الثّلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني قريشاً ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ قال: «قوماً يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويذكرون الله كثيراً»[٣].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾. يريد الأنبياء المقدّم ذكرهم. ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ الهاء للوقف. ورد: «لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء؛ لأنّه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ. قال الله لأعزّ خلقه محمّد صلى الله عليه وآله: "أُولئك الّذين هدى الله فبهديٰهم اقتده"؛ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الاقتداء لَنَدَبَ أنبياءه و أولياءه إليه»[٤]. وفي

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٧، الحديث: ٥٢؛ والمحاسن ١: ١٥٦، الباب: ٢٣، الحديث: ٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٨٤، الباب: ٧، ذيل الحديث الطّويل: ٩، عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام.

٣ـ المحاسن ٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، في الاقتداء، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية: «أحسن الهدى هدى الأنبياء»[١]. ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ اي: على التّبليغ؛ و هذا من جملة ما أمر بالاقتداء بالأنبياء ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ تذكيراً[٢] و عظةً.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: و ما عرفوه حقّ معرفته، و ما عظّموه حقّ عظمته، وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به من الرّحمة والإنعام على عباده واللّطف بهم. ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ حين أنكروا الوحي و بعثة الرّسل، و ذلك من جلائل نعمته و عظائم رحمته و لطفه. القمّي: و هم قريش واليهود[٣]. ورد: «إنّ الله لايوصف، و كيف يوصف و قد قال الله في كتابه: "و ما قدروا الله حقّ قدره" فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك»[٤]. و يأتي فيه حديث آخر في الزّمر إن شاءالله[٥]. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾. اُلْزِمُوا بما لابدّ لهم من الإقرار به مع توبيخهم بتحريفهم بإبداء بعضٍ وإخفاء بعض، وجَعْلِها ورقاتٍ متفرّقة ليتمكّنوا ممّا حاولوه. قال: «كانوا يكتبونه في القراطيس، ثمّ يبدون ما شاؤوا ويخفون ما شاؤوا»[٦]. والقمّي: يخفون يعني من أخبار رسول الله ﷺ[٧]. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ اي: أنزله الله. قيل: أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأنّ الجواب متعيّن لايمكن غيره، وتنبيهاً على أنّهم بهتوا بحيث لايقدرون على الجواب[٨]. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. القمّي: يعني ما خاضوا فيه من التكذيب[٩].

١ـ القمّي ١: ٢٩١، عن النّبيّ ﷺ، ذيل الآية: ٤٢ من سورة التّوبة.
٢ـ في «الف»: «تذكّراً».
٣، ٧و٩ـ القمّي ١: ٢١٠.
٤ـ الكافي ١: ١٠٣، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ ذيل الآية: ٦٧.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٩، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ البيضاوي ٢: ١٩٨.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾: كثير النفع والفائدة ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾: الكتب الّتي قبله ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعني مكّة؛ سمّيت بها لأنّه دُحيَت الأرض من تحتها، فكأنّها تولّدت منها. ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾: أهل الشّرق والغرب ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فإنّ من صدّق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النّظر والتّدبّر حتّى يؤمن به ويحافظ على الطّاعة؛ وتخصيص الصّلاة لأنّها عماد الدّين.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾. قال: «نزلت في ابن أبي سَرْح الّذي كان عثمان استعمله على مصر، و هو ممّن كان رسول الله ﷺ هدر دمه و كان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أُنزل "إنّ الله عزيز حكيم"[1] كتب: إنّ الله عليم حكيم، فيقول له رسول الله ﷺ: دعها فإنّ الله عليم حكيم، و كان يقول للمنافقين: إنّي أقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليّ»[2]. وفي رواية: «كان أخا عثمان من الرّضاعة، وكان له خطّ حسن. قال: فارتدّ كافراً وكان من الطّلقاء»[3]. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾: شدائده، مِنْ غَمَرَهُ الماءُ: إذا غشيه ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ لقبض أرواحهم كالمتقاضي المسلّط ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ قال: «العطش يوم القيامة»[4]. ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾: لا تؤمنون بها.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ عن أموالكم و أولادكم و أوثانكم و لباسكم. وفي رواية:

١ـ البقرة (٢): ٢٠٩، ٢٢٠ و ٢٦٠؛ الانفال (٨): ١٠؛ التّوبة (٩): ٧١؛ لقمان (٣١): ٢٧.

٢ـ الكافي ٨: ٢٠١، الحديث: ٢٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام. و قوله ﷺ: «دعها» أي: أُتركها كما نزلت ولا تغيّرها فإنّه و إن كان قولك: «إنّ الله عليم حكيم» حقّاً ولكن لايجوز تغيير ما نزّل من القرآن.

٣ـ القمّي ١: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٣٧٠، الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

«عُراةً»[١]. ﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ على الهيئة الّتي ولدتم عليها ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾: ما ملكناكم في الدّنيا فَشُغلْتُمْ به عن الآخرة ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾: شركاء الله في ربوبيّتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: ما بينكم؛ وعلى الرّفع: تقطّع وَصْلُكم وتشتّت جمعكم. والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾: ضاع وبطل ﴿ مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾. ورد: «نزلت هذه الآية في معاوية و بني أُميّة، وشركاؤهم أئمّتهم "لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُم" يعني المودّة»[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالنّبات والشّجر ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾: ما ينمو من الحيوان والنّبات ممّا لا ينمو، كالنّطفة والحبّ ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾: ومخرج ذلك من الحيوان والنّبات. ورد: «الحبّ: طينة المؤمنين؛ ألقى الله عليها محبّته، والنّوىٰ: طينة الكافرين الّذين نأوا عن كلّ خير، والحيّ الّذي يخرج من الميّت: هو المؤمن الّذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميّت الّذي يخرج من الحيّ هو الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن»[٣]. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الّذي يحقّ له العبادة ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾: تُصرَفون عنه إلى غيره.

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾: شاقُّ عمودِ الصّبح عن ظلمة اللّيل ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق، كما قال "لِتَسْكُنُوا فيه"[٤]. ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ الّذي قهرهما و سيّرهما على الوجه الخاصّ ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾: في ظلمات

١ـ الخرائج و الجرائح ١: ٩١، الحديث: ١٥٠، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ٢١١، عن أبي عبدالله ﷺ. وفيه: «وشركاؤهم وأئمّتهم».
٣ـ الكافي ٢: ٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ يونس (١٠): ٦٧؛ القصص (٢٨): ٧٣؛ الغافر (٤٠): ٦١.

اللّيل في البرّ والبحر، أو في مشتبهات الطّرق أو الأُمور. القمّي: النّجوم: آل محمّد ﷺ[١]. ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ ﴾: بيّناها فصلاً، فصلاً ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنّهم منتفعون به.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ و هو آدم ﷺ ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾. ورد: «المستقرّ: من استقرّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع: الّذي يستودع الإيمان زماناً ثمّ يسلبه، وقد كان الزّبير منهم»[٢]. ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾. ذكر هنا "يفقهون" لأنّه غامض، و هناك "يعلمون" لأنه ظاهر.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾: نبتاً غضاً أخضر ﴿ نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ قد ركب بعضه على بعض، و هو السّنبل. ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ ﴾: أعذاق؛ جمع قِنو. ﴿ دَانِيَةٌ ﴾: قريبة من المتناول ﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾: بعضها متشابه في الهيئة والمقدار واللّون والطّعم، و بعضها غير متشابه ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ ﴾: ثمر كلّ واحد ﴿ إِذَا أَثْمَرَ ﴾: إذا أخرج ثَمَرَه، كيف يكون صغيراً حقيراً لايكاد ينتفع به ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾: و إلى حال نضجه، أو إلى نضيجه، كيف يعود ضخماً ذا نفع و لذّة؛ مصدرُ يَنَعَتِ الثَّمَرَةُ: إذا ادركت، أو جمع يانع. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾: الملائكة، جعلوهم أنداداً لله فعبدوهم، وقالوا: إنّهم بنات الله؛ سمّاهم جِنّاً لاختفائهم. و نحوه: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً"[٣]، أو أُريد بالجنّ: الشّياطين، لأنّهم أطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الاوثان بتسويلهم، أو قالوا: إنّ الله خالق الخير و إبليس خالق الشرّ. ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾: و قد خلقهم، أي: و قد

١ـ القمّي ١: ٢١١.

٢ـ العيّاشي ١: ٣٧١، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر ﷺ.

٣ـ الصافّات (٣٧): ١٥٨.

علموا انّ الله خالقهم دون الجنّ، و ليس من يخلق كمن لايخلق. ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ ﴾: واختلقوا لله ﴿ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴾ فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، و أهل الكتابيْن: عُزَيْرٌ ابن الله والمسيح ابن الله. ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ ﴾: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، ولكن جهلاً منهم بعظمة الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: [يقولون][1].

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾ قال: «أي: هو مبدعهما و منشؤهما بعلمه ابتداءاً لا من شيء ولا على مثال سبق»[2]. ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ ﴾ يكون منها الولد ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فهو غنيّ عن كلّ شيء.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. ورد: «أفعال العباد مخلوقة خَلْقَ تقدير لا خَلْقَ تكوين والله خالق كلّ شيء ولا نقول بالجبر والتفويض»[3]. ﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ فإنّ من استجمع هذه الصفّات استحقّ العبادة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ مدبّر.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: «لا تحيط به الأوهام»[4]. ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ ﴾. قال: «يحيط بها»[5]. و في رواية: «إنّما عَنىٰ إحاطَةَ الْوَهْم، كما يقال: فلان بصير بالشِّعْر وفلان بصير بالفقه؛ الله أعظم من أن يُرىٰ بالعين»[6]. و في أُخرى: «أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، و أوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون»[7]. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: «النّافذ في الاشياء». كذا ورد[8]. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ قال: «الّذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته»[9].

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ ﴾. البصيرة للقلب كالبصر للبدن. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق

١ـ الزّيادة من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٤٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ الخصال: ٦٠٨، ذيل الحديث: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام. و فيه: «ولا يقول».

٤و٥ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن امير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ المصدر: ١١٢، الباب: ٨، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٧ـ المصدر: ١١٣، الحديث: ١٢، عن ابي جعفر الثّاني عليه السلام.

٨و٩ـ الكافي ١: ١٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

و آمن به ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ابصر؛ لأنّ نفعه لها ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عن الحقّ و ضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وباله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ و إنّما أنا منذر، والله هو الحفيظ عليكم، يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: ننقلها من حال إلى حال، بإجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة. ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ صرفنا؛ واللاّم للعاقبة؛ والدّرس: القراءة والتّعلّم. القمّي: كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: إنّ الّذي تخبرنا به تتعلّمه من علماء اليهود و تدرسه[1]. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. اللام هنا على أصله، لأنّ التّبيين مقصود التّصريف؛ والضّمير للآيات بإعتبار المعنى.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ بالتديّن به ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. اعتراض. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾. قال: «ولو شاء الله أن يجعلهم كلّهم مؤمنين معصومين حتّى كان لايعصيه أحد، لما كان يحتاج إلى جنّة ولا إلى نار، ولكنّه أمرهم ونهاهم وامتحنهم و أعطاهم ماله عليهم به الحجّة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثّواب والعقاب»[2]. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيباً ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تقوم بأمورهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: ولا تذكروا آلهتهم الّتي يعبدون، بما فيها من القبايح ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾: تجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به.

قال: «كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّارُ إله

١ـ القمّي ١: ٢١٢.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٤٦، في تفسير اهل البيت عليهم السّلام.

المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون»[١]. وفي رواية: «أرأيت أحداً يسبّ الله؟ فقيل: لا، و كيف؟ قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله»[٢]. وفي أُخرى: «و إيّاكم و سبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم»[٣].

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ في الخير والشرّ[٤] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو قادر عليها، يُظهر منها ما يشاء على مقتضى الحكمة، ليس شيء منها بقدرتي و إرادتي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بكسر الهمزة[٥] وبفتحها[٦]. قيل: "لا" مزيدة[٧]، و قيل: إنّها بمعنى لعلّها، كما في قراءة أُبي[٨].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن الحقّ فلا يفقهونه. قال: «نُكس قلوبهم فجعل أعلاها أسفلها فلم تقبل خيراً أبداً»[٩]. ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ قال: «فلا يبصرون الهدى»[١٠]. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بما أُنزل من الآيات. والقمّي: «يعني في الذرّ والميثاق»[١١].

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: يضلّون.

١ـ القمّي ١: ٢١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في جميع النّسخ: «يسبّوا الكفّار» وما أثبتناه من المصدر.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٤، الحديث: ٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٧، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ج»: «في الخير والشرّ بعد اختيارهم ودخولهم فيه».
٥ـ في «ج»: «بكسر الهمزة واضح، وبفتحها».
٦ـ أي: بكسر همزة "أنّها" و فتحها فالمعنى على الفتح: أنا أعلم أنّها إذا جاءت لايؤمنون بها و أنتم لاتدرون بذلك؛ و على الكسر يكون الكلام قد تمّ قبله، والمعنى: و ما يشعركم ما يكون منهم، ثمّ أخبرهم بعلمه فيهم، فقال: إنّها إذا جاءت لايؤمنون بها البتّة. «راجع: الصّافي ٢: ١٤٨؛ وجوامع الجامع ١: ٤٠٣».
٧و٨ـ البيضاوي ٢: ٢٠٣؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٤٨ـ ٣٤٩.
٩ و١٠ـ القمّي ١: ٢١٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف في بعض العبارات.
١١ـ القمّي ١: ٢١٣.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾: عياناً، كما اقترحوا فقالوا: "لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ"[١] "فَأْتُوا بِآبائِنا"[٢] "أَوْ تَأْتِيَ بِاللّـهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً"[٣]. ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾: و كما جعلنا لك عدواً ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ سبقك ﴿عَدُوًّا﴾. قال: «ما بعث الله نبياً إلّا و في أُمّته شيطانان يؤذيانه و يضلّان النّاس بعده»[٤]. ثمّ ذكر أسماء أعداء أُولي العزم اثنتين اثنتين. ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾: مردتهما ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾: الأباطيل المموّهة من زخرفه إذا زيّنه. قال: «من لم يجعله الله من أهل صفة الحقّ، فأُولئك شياطين الإنس والجنّ»[٥]. و في رواية: «الإنس على ثلاثة أجزاء فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، و جزء عليهم الحساب والعذاب، و جزء وجوههم وجوه الآدميّين و قلوبهم قلوب الشّياطين»[٦]. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾.

﴿ وَلِتَصْغَىٰ ﴾: تميل ﴿إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: و ليكتسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾؟! يعني قل لهم: أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحقّ منّا من المبطل؟ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾: مبيناً فيه الحقّ والباطل، بحيث ينفي التّخليط والالتباس ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾:

١ـ الفرقان (٢٥): ٢١.
٢ـ الدّخان (٤٤): ٣٦.
٣ـ الإسراء (١٧): ٩٢.
٤ـ القمّي: ٢١٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ١٥٤، الحديث: ١٩٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

التوراة والإنجيل ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ لتصديق ما عندهم إيّاه، و لتصديقه ما عندهم، مع أنّه ﷺ لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما تكلّم به من الحجّة بلغت الغاية أخباره و أحكامه ومواعيده ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار والمواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأقضية والأحكام ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بما هو أصدق و أعدل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يضمرون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأنّ الأكثر في الغالب يتّبعون الأهواء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقولون عن تخمين وتقليد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: أعلم بالفريقين.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. مسبّب عن إنكار اتّباع المضلّين الّذين يحرّمون الحلال و يحلّون الحرام؛ و ذلك أنّهم قالوا للمسلمين: أتاكلون ممّا قتلتم أنتم ولا تاكلون ممّا قتل ربكم؟! فقيل: كلوا ممّا ذكر اسم الله على ذبحه خاصّة دون ما ذكر عليه اسم غيره، او مات حتف أنفه. ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنّ الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحلّه الله و اجتناب ما حرّمه.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ بقوله: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ"[1] الآية. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحقّ إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: ما يعلن و ما يسرّ. القمّي: الظّاهر من الإثم:

١ـ المائدة (٥): ٣.

المعاصي، والباطن: الشرك والشك في القلب[1]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: يعملون.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. ورد: «إنّه سئل عن مجوسيّ قال: بسم الله وذبح. قال: كُلْ. فقيل: مسلم ذبح ولم يسمّ. فقال: لا تأكل. ثمّ تلا هذه الآية»[2]. وفي رواية: «في ذبيحة النّاصب واليهوديّ والنّصرانيّ قال: لا تأكل ذبيحته حتّى تسمعه يذكر اسم الله عليه، ثمّ تلا هذه الآية»[3]. ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: ليوسوسون ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ من الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم و تدعون ما قتله الله. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ يعني مَثَلُ من هداه الله و أنقذه من الضّلال، و جعل له حجّةً يهتدي بنورها، كمن صفته البقاء في الضّلالة لا يفارقها بحال. قال: «"ميتاً": لايعرف شيئاً؛ و"نوراً يمشي به في النّاس": إماماً يؤتمّ به "كمن مثله في الظّلمات": الّذي لايعرف الإمام»[4]. و في رواية: «كان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، و حياته حين فرّق الله بينهما بكلمته»[5]. و ورد: «إنّ الآية نزلت في عمّار بن ياسر و ابي جهل»[6]. ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ اي: كما جعلنا في مكّة. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لانّ وباله يحيق بهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ذلك.

١ـ القمّي ١: ٢١٥.
٢ـ التّهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٦٨، الحديث: ٢٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ٥، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٥٩، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا﴾ يعني الاكابر: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾. روي: «انّ اباجهل قال: زاحمْنا بني عبد مناف في الشّرف حتّى إذا صرنا كفرسَيْ رهان، قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه؛ والله لا نرضى به و لا نتّبعه أبداً إلاّ أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت»[1]. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ذلّ و حقارة بعد كبرهمْ ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فيتّسع له و يفسح فيه مجاله[2]. ورد: «لمّا نزلت هذه الآية، سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصّدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن، فينشرح صدره و ينفسح. قالوا: فهل لذلك أمارة يعرف بها؟ فقال: نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتّجافي عن دارالغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[3]. ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. قال: «قد يكون ضيّقاً وله منفذ يسمع منه و يبصر، والحَرَجُ هو المُلْتَامُ الّذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه»[4]. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾. مبالغة في ضيق صدره، بتشبيهه بمن يُزاول مالا يقدر عليه؛ و هو مَثَلٌ فيما لا يستطاع. ورد: «إنّ القلب ليتجلجل[5] في الجوف يطلب الحقّ فإذا أصابه اطمأنّ وقرّ، ثمّ تلا هذه الآية»[6].

أقول: يتخلخل بالخائين المعجمتين أوالجيمين أي: يتحرّك.

و ورد: إنّه سئل عن هذه الآية فقال: «من يرد الله ان يهديه بإيمانه في الدّنيا و إلى جنّته و دار كرامته في الآخرة؛ يشرح صدره للتّسليم للّهِ والثّقة به والسّكون إلى ما وعده

١ـ راجع: البيضاوي ٢: ٢٠٧.
٢ـ في «الف»: «ويفسح فيه لامحالة».
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٦٣، في رواية صحيحة.
٤ ـ معاني الأخبار: ١٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «ليتخلخل».
٦ـ الكافي ٢: ٤٢١، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من ثوابه، حتّى يطمئنّ إليه؛ و من يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدّنيا، يجعل صدره ضيّقاً حرجاً، حتّى يشكّ في كفره و يضطرب من اعتقاده قلبُه، حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السّماء»[١].

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: «الرّجس: الشكّ»[٢].

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾. قيل: يعني طريقه و عادته في التّوفيق والخذلان[٣].

﴿مُسْتَقِيمًا﴾: عادلاً مُطّرِداً ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: لِلّذين تذكّروا و عرفوا الحقّ، دارُالله، أو دارالسّلامة من كلّ آفةٍ وبليّةٍ. القمّي: يعني في الجنّة؛ والسّلام: الأمان والعافية والسّرور[٤]. و يأتي فيه حديث في يونس إن شاءالله[٥]. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه؛ يوصلهم إليها لا محالة ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: مولاهم و محبّهم[٦]. القمّي: أي: أولى بهم[٧]. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾: نقول يا معشر الشّياطين ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: اضللتم منهم كثيراً. القمّي: كلّ من والى قوماً فهو منهم، وإن لم يكن من جنسهم[٨]. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: الّذين اتّبعوهم و أطاعوهم: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتفع الإنسُ بالشّياطين، حيث دلّوهم على الشّهوات وما يوصل إليها، وانتفع الشّياطينُ بالإنس، حيث أطاعوهم و حصّلوا مرادهم. ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني القيامة ﴿قَالَ﴾: قال الله لهم: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: مُقامكم

١ـ التّوحيد: ٢٤٢، الباب: ٣٥، الحديث: ٤؛ ومعاني الأخبار ١٤٥، الحديث: ٢،، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، و فيهما: «بإيمانه في الدّنيا إلى جنّته» من دون «و».
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٧، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ٢٠٧.
٤ـ القمّي ١: ٢١٦.
٥ـ ذيل الآية: ٢٥.
٦ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الأنسب بالسّياق: «مواليهم و محبّهم».
٧و٨ـ القمّي ١: ٢١٦.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾: نكل بعضهم إلى بعض ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾. قال: «ما انتصر الله من ظالم إلاّ بظالم، و ذلك قوله عزّوجلّ: "وكذلك نولّي" الآية»[1].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾؟ ورد: «سئل: هل بعث الله نبيّاً إلى الجنّ؟ فقال: نعم، بعث إليهم نبيّاً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله عزّوجلّ، فقتلوه»[2]. و ورد: «إنّ الله عزّوجلّ أرسل محمّداً ﷺ إلى الجنّ والإنس»[3]. ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ بالجرم والعصيان ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسال الرّسل ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾: لان لم يكن ﴿رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لم ينبهوا برسول.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلّفين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده و عن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ يترحّم عليهم بالتّكليف، ليُعرّضهم للمنافع العظيمة الّتي لايحسن إيصالهم إليها إلاّ بالاستحقاق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بخارجين من ملكه.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ قيل: على غاية تمكّنكم واستطاعتكم، أو على حالكم الّتي أنتم عليها[4] ﴿إِنِّي عَامِلٌۖ﴾ على مكانتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ

١ـ الكافي ٢: ٣٣٤، الحديث: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٢، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ١.
٣ـ المصدر ١: ٥٦، الباب: ٦، الحديث: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: أيّنا يكون له العاقبة الحسنى الّتي خلق الله لها هذه الدّار. والتّهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد، و تسجيل للمأمور بأنّه لا يأتي منه إلاّ الشرّ. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾ يعني مشركي العرب ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾: ممّا خلق الله ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير أن يؤمروا به ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: أصنامهم الّتي أشركوها في أموالهم ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. روي: «أنّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث و نتاج لله ويصرفونه إلى الضّيفان والمساكين، و شيئاً منهما لآلهتهم و ينفقون على سدنتها ويذبحون عندها، ثمّ إن رأوا ما عيّنوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم، واعتلّوا لذلك بأنّ الله غنيّ»[1]. و ورد: «كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله ردّوه، و إذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه، وقالوا: الله غنيّ، و إذا انخرق الماء من الّذي لله في الّذي للأصنام لم يسدّوه، وإذا انخرق من الّذي للأصنام في الّذي لله سدّوه، و قالوا: الله غنيّ»[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد[3]؛ خيفة العيلة أو العار، أو بالنّحر لآلهتهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الشّياطين أو السّدنة ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: و ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ﴾. إشارة إلى ما جعل لآلهتهم. ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرام

١ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧٠، عن أئمّتنا عليهم السّلام.
٣ـ وأد بنته يئدها: دفنها حيّة. القاموس المحيط ١: ٣٥٥ (وأد).

﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير حجة ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ القمّي: يعني البَحيرةَ والسّائبة والوَصيلَةَ والحامَ[١]. ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذّبح والنّحر. و قيل: لا يَحجّون عليها ولا يُلبّون على ظهورها[٢]. ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: فعلوا ذلك كلّه على جهة الافتراء على الله ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾. القمّي: كانوا يحرّمون الجنين الّذي يخرجونه من بطون الأنعام، على النّساء، فإذا كان ميّتاً يأكله الرّجال والنّساء[٣]. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: جزاءَ وَصْفِهِمُ الكَذِبَ على الله في التّحريم والتّحليل، من قوله: "تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذا حَلالٌ و هٰذا حَرامٌ"[٤]. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ كانوا يقتلون بناتهم مخافة السّبي والفقر ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفّة عقلهم و جهلهم بأنّ الله رازق أولادهم لاهُمْ. ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من البحائر و نحوها ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: مُلقَيات على وجه الارض ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾: اكل ذلك، أي: ثمره الّذي يؤكل، في اللّون والطّعم والحجم والرّائحة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ بعض أفرادهما في الطّعم واللّون والحجم ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ولا يتشابه بعضها ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: «افْتَحِ الفَمَ بالحاء»[٥].

١ـ القمّي ١: ٢١٧.
٢ـ البيضاوي ٢: ٢١٠؛ والكشّاف ٢: ٥٥. و اشار إليه في مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧٢.
٣ـ القمّي ١: ٢١٨.
٤ـ النّحل (١٦): ١١٦.
٥ـ قرب الإسناد: ٣٦٨، الحديث: ١٣١٦، عن الرّضا عليه السلام.

ورد: «إنّه غير الزكاة، الضِغْثُ[١] من السّنبل بعد الضِغْث، والكفّ من التّمر بعد الكفّ»[٢]. وفي رواية: «في الزّرع حقّان: حقّ تؤخذ به و حقّ تعطيه؛ أمّا الّذي تؤخذ به فالعُشْر و نصف العُشْر، و أمّا الّذي تعطيه فقول الله عزّوجلّ: "وآتوا حقّه يوم حصاده" يعني من حَصْدِكَ الشّيء بعد الشّيء»[٣]. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ في التّصدّق. ورد: «من الإسراف في الحَصاد والجِداد[٤] أن يتصدّق الرّجل بكفّيه جميعاً»[٥]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرتضي فعلهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: و أنشأ من الأنعام ما تحمل الأثقال، وما يُنْسَجُ من وبَره و صوفه و شَعْرِه الفرشُ. ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ منها ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في تحريم شيء منها من عند انفسكم. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾. الزّوج: ما معه آخر من جنسه، و قد يقال لمجموعهما ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: «الأهليّ والوحشيّ الجبليّ». كذا ورد في الجميع[٦]. ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾: الاهليّ والجبليّ ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: ذكر الضّأن و ذكر المعز ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: أم أنثييهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: او ما حملته إناث الجنسين؛ ذكراً كان او أُنثى ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾: بأمر معلوم يدلّ على انّ الله حرّم شيئاً من ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوى التّحريم عليه.

١ـ الضِّغْثُ ـ بالكسر ـ: قبضة حشيش مختلطة الرّطب باليابس. القاموس المحيط ١: ١٧٥ (ضغث).

٢ـ القمّي ١: ٢١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٣: ٥٦٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الجَداد ـ بالفتح والكسر ـ صرام النّخل و هو قطع ثمرتها. مجمع البحرين ٣: ٢٢ (جدد).

٥ـ الكافي ٣: ٥٦٦، الحديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٦ـ القمّي ١: ٢١٩.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾: «البخاتيّ والعراب»[1]. كذا ورد[2]. ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾: الأهليّ والجبليّ. ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ كما مرّ. قيل: كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارةً، و إناثها تارةً و أولادها كيف كانت تارةً، زاعمين أنّ الله تعالىٰ حرّمها[3]، فردّ الله عليهم ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حاضرين شاهدين ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: حين وصّاكم بهذا التّحريم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾: طعاماً محرّماً ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾. فيه إيذان بأنّ التّحريم إنّما يثبت بالوحي لا بالهوى. ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: مصبوباً، كالدّم في العروق، لا كالكبد والطّحال، أوالمختلط باللّحم لايمكن تخليصه منه. ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾: قذر ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. سمّي ما ذبح على اسم الصّنم فسقاً لتوغّله[4] في الفسق. ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه بأكله. قد سبق تفسير الباغي والعادي في سورة البقرة[5].

فإن قيل: لِمَ خصّ هذه الأربعة هنا بذكر التّحريم مع أنّ غيرها محرّم أيضاً، فإنّه سبحانه ذكر في المائدة[6] تحريمَ المُنْخَنِقَةِ والمَوْقُوذَةِ والمُتَرَدِّيَةِ و غيرها، وقد ورد الأخبار

١ـ البُخْتُ ـ بالضمّ ـ الإبل الخراسانيّة، الواحد بُخْتِيّ مثل روم و روميّ، والجمع بَخاتِيّ. والإبل العِراب: خلاف البَخاتيّ. القاموس المحيط ١: ١٤٨؛ ومجمع البحرين ٢: ١٩١ (بخت)؛ ومجمع البحرين ٢: ١١٩ (عرب).

٢ـ القمّي ١: ٢١٩.

٣ـ البيضاوي ٢: ٢١١.

٤ـ وَغَلَ في الشّيء: دخل و توارىٰ، أو بَعُدَ و ذهب. و أوغَلَ في البلاد والعلمِ: ذهب و بالغ و أبعد. القاموس المحيط ٤: ٦٧ (وغل).

٥ـ ذيل الآية: ٧٣.

٦ـ الآية: ٣.

الصّحيحة بتحريم كلّ ذي مِخْلَبٍ من الطّير و كُلّ ذي ناب من الوحش[١]، وما لا قشر له من السّمك[٢] إلى غير ذلك. قلنا: أمّا المذكورات في المائدة فكلّها يقع عليه اسم الميتة، فتكون في حكمها، فأجمل هاهنا وفصّل هناك؛ و أمّا غيرها فليس بهذه المثابة في الحرمة، فخصّ هذه الأربعة بالتّحريم تعظيماً لحرمتها، و بيّن تحريم ما عداها رسول الله ﷺ. و ورد: «إنّه ممّا يعاف عنه تَقَزُّزاً»[٣]، يعني تنزّهاً. والقمّي: إنّما هذه الآية ردّ على ما أحلّت العرب و حرّمت على أنفسها، فلا دلالة فيها على عدم تحريم غير ما فيها[٤].

أقول: هذا لا يساعده الأخبار المعصوميّة؛ كما يظهر لمن تتبّع لها؛ و كذا ما قيل: إنّ هذه السّورة مكّيّة، والمائدة مدنيّة، فيجوز أن يكون غيرُ ما في هذه الآية إنّما حُرِّمَ فيما بعد[٥].

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ من دابّة أو طير ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾: الثُّروب[٦] و شحوم الكُلىٰ[٧]. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: ما علقت بظهورهما ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الألية ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في الاخبار والوعد والوعيد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقول ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ لايُعَجِّلُ بالعقوبة ﴿وَلَا

١ـ الكافي ٦: ٢٤٥، الحديث: ٢و٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢١٩، الاحاديث: ١و٥ إلى ٩.
٣ـ أُشير إليه في العيّاشي ١: ٣٨٢، الحديث: ١١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢١٩.
٥ـ راجع: مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧٨.
٦ـ الثَّرْبُ: شَحْمٌ رقيق يَغْشَى الكَرِشَ والامعاء، والجمع: ثُرُوب و أَثْرُب. القاموس المحيط ١: ٤٢ (ثرب).
٧ـ الكُلىٰ ـ بضمّ الكاف والقصر ـ جمع الكُلْيَة والكُلْوَة و هي من الاحشاء معروفة. مجمع البحرين ١: ٣٦٢ (كلا).

يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فلا تغترّوا بإمهاله، فإنّه لا يُرَدّ إذا جاء وقته.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: من أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به على ما زعمتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: فتظهروه لنا ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾. [قال: «الحجّة البالغة الّتي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه»][1]. ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾: احضروهم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ يعني: قُدْوَتهم فيه، استحضرهم ليلزمهم الحجّة ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدّقهم فيه ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عَديلاً.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. لمّا أوجب ترك الشّرك والإحسان إلى الوالدين، فقد حرّم الشّرك والإساءة إليهما؛ لأنّ إيجاب الشّيء نهي عن ضدّه، فيصحّ ان يقع تفصيلاً لما حرّم. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. وضعه موضع النّهي عن الإساءة للدّلالة على انّ ترك الإساءة في شأنهما غير كاف. القمّي: الوالدين[2]: رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السّلام[3]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: من أجل فقر، أو من خشية فقر؛ لقوله: "خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ"[4]. ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: كبائر الذّنوب، أو الزّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال: «ما ظهر: نكاح

١ـ ما بين المعقوفتين من «ج» و «ب». والحديث في البرهان ١: ٥٦٠، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، نقلاً عن العلاّمة الحلّي في الكشكول.

٢ـ في «ب» و «ج»: «الوالدان».

٣ـ القمّي ١: ٢٢٠.

٤ـ الإسراء (١٧): ٣١.

امرأة الأب، و ما بطن: الزّنا»[١]. و في رواية: «ما ظهر هو الزّنا، وما بطن: المُخالّة»[٢]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقَوَد[٣] و قتل المرتدّ و رجم المحصن ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلّا بالخصلة الّتي هي أحسن ما يفعل بماله، كحفظه و تثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: قوّته. قال: «انقطاع يُتْمِ اليتيم: الاحتلام وهو أشدّه، و إن احتلم ولم يؤنس منه رشد و كان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليّه ماله»[٤] و في رواية: «إذا بلغ أشدّه ثلاث عشرة سنة و دخل في الأربع عشرة، وجب عليه ما وجب على المحتلمين، احتلم أو لم يحتلم؛ كتبت عليه السيّئات و كتبت له الحسنات، وجاز له كلّ شيء إلّا أن يكون ضعيفاً أو سفيهاً»[٥]. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والتّسوية ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلّا ما يسعها ولا يعسر عليها؛ اعتراض فيه تنبيه على تعسّر الإيفاء، وأنّ ماوراء الوسع فيه معفوّ. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكومة ونحوها ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل و تادية أحكام الشّرع. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون به. ورد: «هذه الآيات المحكمات الّتي لم يَنْسَخْهُنَّ شيءٌ شيّعها سبعون ألف ملك: "قل تعالوا أتل" الآيات»[٦].

١ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٤، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام. و فيه: «و ما بطن هو المُخالّة» والمخالّة ـ من خالّهُ مُخالّةً و خلالاً ـ: المصادقة. «القاموس المحيط: ٣: ٣١٨ ـ خلّ» و لعلّ المراد بها المصادقة بين الاجنبيّين.

٣ـ القَوَدُ ـ بالتّحريك ـ: القصاص. مجمع البحرين ٣: ١٣٢ (قود).

٤ـ التّهذيب ٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ المصدر، الحديث: ٧٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «سفيهاً و ضعيفاً».

٦ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾. قيل: الإشارة فيه إلى ما ذكر في السّورة، فإنّه التّوحيد والنّبوّة والشّريعة [١]. ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾.

عن النّبيّ ﷺ: «أنا الصّراط المستقيم الّذي أمركم باتّباعه، ثمّ عليّ من بعدي، ثمّ وُلْدي من صلبه أئمّة يهدون إلى الحقّ [٢] و به يعدلون» [٣]. و في رواية: «يعني ولاية عليّ والاوصياء "فاتّبعوه"، يعني عليّاً "ولا تتبعوا السّبل" ولاية فلان و فلان، "فتفرّق بكم عن سبيله"، يعني سبيل عليّ عليه السلام» [٤]. ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الضّلال والتّفرّق عن الحقّ.

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ "ثمّ" للتّراخي في الإخبار. ﴿ تَمَامًا ﴾ للكرامة والنّعمة ﴿ عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾: أحسن القيام به ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾: كثير النّفع ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ ﴾: انزلناه كراهة أن تقولوا: ﴿ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾: اليهود والنّصارى ﴿ وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ ﴾: أعرض، أو صدّ ﴿ عَنْهَا ﴾ فضلّ وأضلّ. ﴿ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ قال: «هل ينتظر المنافقون والمشركون» [٥]. ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قال: «فيما ينوهم» [٦]. ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ قال: «أمر ربّك» [٧]. ﴿ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ

١ ـ البيضاوي ٢: ٢١٤.

٢ ـ في «الف» و «ج»: «يهدون بالحقّ»، وفي «ب»: «يدعون بالحقّ» وما أثبتناه من المصدر.

٣ ـ الاحتجاج ١: ٧٨ ـ ٧٩. و فيه: «أنا صراط الله المستقيم».

٤ ـ العيّاشي ١: ٣٨٤، الحديث: ١٢٥، عن ابي جعفر عليه السلام.

٥، ٦ و ٧ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال: «هي العذاب في دار الدّنيا، كما عذّب الأمَمَ السّالفة والقرونَ الخالية»[١]. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَايَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ كان المعنى: أنّه لاينفع الإيمان حينئذ نفساً غَيرَ مُقَدِّمَةٍ إيمانها، غيرَ كاسبة في إيمانها خيراً. قال: «"من قبل" يعني من قبل أن تجيء هذه الآية، وهذه الآية: طلوع الشّمس من مغربها»[٢]. و في رواية: «طلوع الشّمس من المغرب، وخروج الدّجّال والدّخان، والرّجل يكون مصرّاً ولم يعمل عمل الإيمان، ثمّ تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه»[٣]. "أو كسبت في إيمانها خيراً". قال: «المؤمن العاصي حالت بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلّة حسناته، فلم يكسب في إيمانه خيراً»[٤]. و في رواية: «"من قبل" يعني في الميثاق، "أو كسبت في إيمانها خيراً" قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصّة؛ لاينفع إيمانها لأنّها سلبت»[٥] و في أُخرى: «الآيات: هم الأئمّة عليهم السّلام، والآية المنتظرة: القائم عليه السلام، فيومئذ لاينفع نفساً إيمانها»[٦].

﴿قُلِ انتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: وعيد لهم و تهديد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: بدّدوه، فآمنوا ببعض و كفروا ببعض وافترقوا فيه؛ وعلى قراءة: "فارقوا"، كما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام[٧] أي: باينوا. ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: فِرَقاً يُشَيِّعُ كلُّ فرقة إماماً ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

١ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٨٤، الحديث: ١٢٨، عن الصّادقين عليهما السّلام. و فيه: «و خروج الدّابّة والدّجّال والرّجل يكون مُصرّاً».
٤ـ المصدر: ٣٨٥، الحديث: ١٣٠، عن أحدهما عليهما السّلام. مع اختلاف يسير.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ كمال الدّين: ٣٣٦، الباب: ٣٣، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٨٨.

﴿كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. قال: «هم أهل الضّلال و أصحاب الشّبهات والبدع من هذه الأُمّة»[1].

والقمّي: فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام و صاروا أحزاباً[2].

و في الحديث المشهور: «ستفترق أُمّتي على ثلاث و سبعين فِرْقَةً، كلّها في النّار إلّا واحدةً، و هي الّتي تتّبع وصيّي عليّاً»[3].

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضلاً من الله تعالى. قال: «لمّا نزلت "من جاء بالحسنة فله خير منها"[4] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ربّ زدني فانزل الله: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها"»[5].

أقول: هذا أقلّ ما وُعِدَ من الأضعاف، و قد جاء الوعد بسبعين، و بسبعمائة، وبغير حساب. و ورد في هذه الآية: «هي للمسلمين عامّة»[6]. قال: «قد قال الله: "يُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كثيرةً"[7]، فالمؤمنون هم الّذين يضاعف الله لهم حسناتهم، لكلّ حسنة، سبعون ضعفاً، فهذا فضل المؤمن، و يزيد الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرةً، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير»[8].

﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ عدلاً من الله؛ وقد ذكرنا سرّ ذلك في الصّافي والوافي[9]. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص الثّواب و زيادة العقاب.

١ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٨٩، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ـ القمّي ١: ٢٢٢.

٣ـ الخصال ٢: ٥٨٥. من غير تعرّض بالذّيل: «و هي الّتي ...».

٤ ـ القصص (٢٨): ٨٤.

٥ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٩ ذيل الآية: ٢٤٥ من سورة البقرة؛ ومعاني الأخبار: ٣٩٨، الحديث: ٥٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٦ـ القمّي ٢: ١٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ البقرة(٢): ٢٤٥.

٨ـ الكافي ٢: ٢٧، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ راجع: الصّافي ٢: ٧١٦؛ والوافي ٥: ١٠٢١ باب الهمّ بالسّيّئة أو الحسنة.

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا ﴾: هداني ديناً ﴿قِيَمًا﴾: قياماً. وصف بالمصدر مبالغة. ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾. سبق تفسيره[1]. ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾: عبادتي و قرباني[2] ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾: وما أنا عليه في حياتي و أموت عليه من الإيمان والطّاعة ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: خالصة له.

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾: لا اشرك فيها غيره. ورد في حديث ذكر فيه: «إبراهيم عليه السلام دينه ديني و ديني دينه، و سنّته سنّتي و سنّتي سنّته، و فضلي فضله وانا أفضل منه»[3].

﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: «لأنّه أوّل من أجاب في الذّرّ». كما ورد[4].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ فاشركه في عبادتي؟! و هو جواب عن دعائهم إلى عبادة آلهتهم. ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: والحال أنّ كلّ ما سواه مربوب مثلي لايصلح للرّبوبيّة.

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾: لا تحمل نفس آثمة إثم نفسٍ اُخرىٰ. جواب عن قولهم: "إتّبعوا سبيلنا ولْنحمل خطاياكُم"[5]. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾. قيل: يخلف بعضكم بعضاً، كلّما مضى قَرْنٌ خلفهم قَرْنٌ، او خلفاء الله في أرضه تتصرّفون فيها[6]. ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

١ـ لاحظ: البقرة ذيل الآية: ١٣٥، و آل عمران ذيل الآية: ٩٥، والنّساء ذيل الآية: ١٢٥.
٢ـ القُرْبان ـ على وزن فُعْلان ـ من القُرْب كالفرقان من الفرق: ما يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البرّ. «مجمع البحرين ٢: ١٤١ ـ قرب» و في نسخة «ب» و «ج»: «قُرُباني» جمع القُرْبَة: ما يتقرّب به إلى الله تعالىٰ.
٣ـ العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ١٠، الحديث: ١و١٢، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العنكبوت (٢٩): ١٢.
٦ـ البيضاوي ٢: ٢١٧؛ وروح المعاني ٨: ٧١.

﴿دَرَجَٰتٖ﴾ في الشّرف والغنى والعقل و غير ذلك ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ من الجاه والمال، كيف تشكرون نعمه ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن كفر نعمه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ لمن قام بشكرها. ورد: «إنّ سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً، شيّعها سبعون ألف ملكٍ، فعظّموها و بجّلوها، فإنّ اسم الله فيها في سبعين موضعاً»[١].



١ـ ثواب الاعمال: ١٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. و بجِّلوها اى: وَقِّروها وعَظِّموها. مجمع البحرين ٢: ٣١٧ (بجل).



سورة الأعراف

[مكيّة، و هي مائتان و ستّ آيات] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓصٓ﴾. مضى الكلام في تأويله في أوّل سورة البقرة.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾: ضيق من تبليغه. قيل: كان النبيّ ﷺ يخاف تكذيب قومه، فكان يضيق صدره في الأداء ولا يتبسط له، فأمّنه الله سبحانه بهذه الآية. [2] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾: شياطين الجنّ والإنس، فيحملوكم على الأهواء والبدع ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا﴾: بائتين، كقوم لوط ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾: أو قائلين نصف النّهار؛ من القيلولة كقوم شعيب، يعني أخذهم في غفلة منهم و أمنٍ و في وقتَي دَعَة و استراحة.

1ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

2ـ الكشّاف 2: 86.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: ما كانوا يدّعونه من دينهم، أو دعائهم و استغاثتهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: إلّا اعترافهم ببطلانه و بظلمهم فيما كانوا عليه، و تحسّرهم على ما كان منهم.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني الأُمم عن قبول الرّسالة و إجابتهم الرّسل ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني الأنبياء عن تادية ما حُمّلوا من الرّسالة. ورد في حديث: «فيقام الرّسل فيُسألون عن تادية الرّسالات الّتي حمّلوها إلى أُممهم، فيخبرون أنّهم قد أدّوا ذلك إلى أُممهم، و يُسأل الأُمم فيجحدون، كما قال الله: "فلنسألنّ" الآية، فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير. فيستشهد الرّسول ﷺ، فيشهد بصدق الرّسل ويكذب من جحدها من الأُمم، فيقول لكلّ أُمّة منهم: "قد جاءكم بشير ونذير، والله على كلّ شيء قدير"[١] اي: مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم، بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم، و لذلك قال الله لنبيّه: "فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً"[٢]؛ فلا يستطيعون ردّ شهادته؛ خوفاً من أن يختم الله على أفواههم، وأن يشهد عليهم جوارحهم بما فعلوا»[٣].

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: على الرّسل والمُرسَلِ إليهم ما كان منهم ﴿بِعِلْمٍ﴾: عالمين بأحوالهم الظّاهرة والباطنة ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم و عن أفعالهم و عن أحوالهم؛ والغرض من السّؤال: التّوبيخ والتّقرير عليهم، و ازدياد سرور المثابين بالثّناء عليهم، وغمّ المعاقَبين بإظهار قبائحهم.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ أي: وزن الاعمال والتّميُّز[٤] بين راجحها و خفيفها ﴿فَمَن

١ـ المائدة (٥): ١٩.
٢ـ النّساء (٤): ٤١.
٣ـ راجع: الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٤ـ في «ب» و «ج»: التّمييز.

ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: حسناته؛ جمع موزون، أو ما يوزن به حسناته، جمع ميزان.
﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾. ورد: إنّه سئل عن قول الله عزّوجلّ: "و نضع الموازين القسط ليوم القيامة" قال: «هم الأنبياء والأوصياء».[1] و في رواية: «نحن الموازين القسط»[2].

أقول: و ذلك لأنّ ميزان كلّ شيء هو المعيار الّذي به يعرف قدر ذلك الشّيء؛ فميزان النّاس ليوم القيامة: ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله، لتجزى كلّ نفس بما كسبت؛ و ليس ذلك إلاّ الأنبياء والأوصياء، إذ بهم وباتّباع شرائعهم و اقتفاء آثارهم و ترك ذلك، وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار النّاس و قدر حسناتهم و سيّئاتهم؛ فميزان كلّ أمّة هو نبيّ تلك الأمّة و وصيّ نبيّها والشّريعة الّتي أتى بها؛ فمن ثقلت حسناته و كثرت، فأولئك هم المفلحون، ومن خفّت و قلّت حسناته، فأولئك الّذين خسروا انفسهم، أي: ضيّعوا فطرتهم بسبب ظلمهم عليها، بتكذيبهم الأنبياء والأوصياء. و تمام تحقيق هذا المقام يطلب من رسالتنا الموسومة بميزان القيامة.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مكنّاكم من سُكناها وزرعها والتّصرّف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ تعيشون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾. قال: «أمّا "خلقناكم"، فنطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً ثمّ لحماً، و أمّا "صوّرناكم"، فالعين والأنف والأذنين والفم واليدين

١ـ معاني الاخبار: ٣١، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكلمات المكنونة: ١٥٨، عنهم عليهم السّلام.

والرِّجْلَين؛ صوّر هذا و نحوه، ثمّ جعل الدّميم والوسيم [١] والجسيم والطّويل والقصير وأشباه هذا»[٢].

أقول: الاقتصار على بيان الخلق والتّصوير لبني آدم في الحديث، لا ينافي شمول الآية لآدم، فإنّه خلقه طيناً غير مصوّر ثمّ صوّره، فلاينافي الحديث تمام الآية.

﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾ اي: بعد خلق آدم و تصويره ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ اي: أن تسجد. تزاد «لا» في مثله لتأكيد معنى الفعل الّذي دخلت عليه، نظيره: "لِئَلاَّ يَعْلَمَ"[٣]، و فيه تنبيه على انّ الموبّخ عليه، ترك السّجود؛ على انّ الممنوع عن الشّيء مضطرّ إلى خلافه، فكأنّه قيل: ما اضطرّك ان لا تسجد. ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾. قال: «إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار و خلقته من طين، فلو قاس الجوهر الّذي خلق منه آدم، بالنّار؛ كان ذلك أكثر نوراً و ضياءً من النّار»[٤]. و في رواية: «ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار، عرف فضل ما بين النّورين و صفاء أحدهما على الآخر»[٥]. و في أُخرى: «كذب إبليس؛ ما خلقه الله تعالى إلاّ من طين؛ قال الله عزّوجلّ: "الّذي جعل لكم من الشّجر الأخضر ناراً"[٦] قد خلقه الله من تلك النّار ومن تلك الشّجرة، والشّجرة أصلها من طين»[٧].

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾: من المنزلة الّتي انت عليها في السّماء و زمرة الملائكة ﴿ فَمَا

١ـ الدّميم: القبيح المنظر، والوسيم: الحسن الوجه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دهم). الصّحاح ٥: ٢٠٥١ (وسم).

٢ـ القمّي ١: ٢٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام، و ليس فيه: «الجسيم».

٣ـ الحديد (٥٧): ٢٩.

٤ـ الكافي ١: ٥٨، الحديث: ١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ـ المصدر، الحديث: ٢٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٦ـ يونس (١٠): ٨٠.

٧ـ القمّي ٢: ٢٤٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

يَكُونُ لَكَ﴾: فما يصحّ لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ و تعصي، فإنّها مكان الخاشع المطيع؛ وفيه تنبيه على أنّ التكبّر لايليق بأهل الجنّة. ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ فإنّ من تكبّر وَضَعَهُ الله.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أمهلني إلى يوم القيامة، فلا تُمِتْني ولا تُعَجِّلْ عقوبتي.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾. أجابه الله إلى ما ساله من الإمهال، ولم يجبه إلى ما ساله من غايته، لأنّ الله تعالى يقول في موضع آخر: "فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم"[1] و هو النّفخة الأولى و يوم البعث، والقيامة هو النّفخة الثّانية. و ورد: «يموت إبليس ما بين النّفخة الأولى والثّانية»[2]. و في رواية: «انظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا»[3]. وفي إسعافه[4] إليه، ابتلاء العباد و تعريضهم للثواب بمخالفته.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: فبسبب إغوائك إيّاي، و هو تكليفه إيّاه ما وقع به في الغيّ، ولم يثبت كما ثبتت الملائكة، فإنّه لمّا أمره الله بالسّجود حملته الأَنَفَةُ على معصيته. ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: لأجتهدنّ في إغوائهم حتّى يَفْسُدوا بسببي كما فسدت بسببهم، بأن أترصّد لهم على طريق الإسلام كما يترصّد القطّاع على الطّريق ليَقْطَعَهُ على المارّة. ورد: «الصّراط هنا: عليّ عليه السلام»[5]. وفي رواية: «يا زرارة[6] إنّما عمد لك ولأصحابك، فامّا الآخرون فقد فرغ منهم»[7].

١ـ الحجر (١٥): ٣٧و٣٨؛ و صٓ (٣٨): ٨٠ و ٨١.
٢ـ علل الشرايع ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢ عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٥ـ العيّاشي ٢: ٩، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة: «يازرارة».
٧ـ الكافي ٨: ١٤٥، الحديث: ١١٨ عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «إنّما صَمَدَلك».

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم ﴾ من الجهات الاربع جُمَع ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ قال: «معناه أُهَوِّن عليهم أمر الآخرة»[١]. ﴿ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ قال: «آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم»[٢]. ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ قال: «أُفْسِدُ عليهم أمرَ دينهم؛ بتزيين الضَّلالة و تحسين الشّبهة»[٣]. ﴿ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾ قال: «بتحبيب اللّذات إليهم وتغليب الشّهوات على قلوبهم»[٤]. ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾: مطيعين. قاله تظنّناً؛ لقوله سبحانه: "وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ"[٥]. ورد: «إنّه استوجب من الله أن أعطاه ما أعطاه بركعتين ركعهما في السّماء في أربعة آلاف سنة»[٦].

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾: مذموماً، من ذَأَمَه: إذا ذمّه. ﴿ مَّدْحُورًا ﴾: مطروداً ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾. اللاّم فيه لتوطية القسم؛ و جوابه: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: منك و منهم.

ورد ما معناه إنّه قال: «فكيف و أنت العدل الّذي لا تجور، فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدّنيا ما شئت، أُعطك. فاوّل ما سأل البقاء، ثمّ تسلّطه على ولد آدم، ثمّ أن يجريه فيهم مجرى الدّم، ثمّ أن لا يُولَدَ لهم ولد إلاّ ولد له إثنان، ثمّ أن يراهم ولا يرونه و يتصوّر لهم في كلّ صورة شاء، ثمّ أن يجعل صدورهم أوطاناً له و لذرّيّته؛ فأعطاه الله ذلك كلّه، فعند ذلك قال: "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"[٧] "ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ" الآية»[٨].[٩]

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢، ٣و٤ ـ مجمع البيان٣ـ ٤: ٤٠٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ ـ سبا (٣٤): ٢٠.
٦ ـ القمّي ١: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ صٓ (٣٨): ٨٢ و٨٣.
٨ ـ الاعراف (٧): ١٧
٩ ـ القمّي ١: ٤٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.

سبق تفسيرها في سورة البقرة[1].

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾: أوهمهما النّصحية لهما؛ و هي في الأصل: الصّوت الخفيّ. ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ﴾: ليظهر لهما ﴿ مَا وُورِيَ ﴾: غطّي ﴿ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا ﴾: عوراتهما. قيل: و كانا لا يريانها من أنفسهما ولا احدهما من الآخر[2]. ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾.

﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾: اقسم لهما ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾. قال: «قال إنّكما إن اكلتما من هذه الشّجرة الّتي نها كما الله عنها، صرتما ملكين و بقيتما في الجنّة أبداً، وإن لم تاكلا منها، اخرجكما من الجنّة؛ و حلف لهما أنّه لهما ناصح، فقبل آدم قوله»[3].

﴿ فَدَلَّاهُمَا ﴾: فنزلهما إلى الاكل منها. نبّه به على أنّه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة؛ فإنّ التّدلية: إرسال الشّيء من أعلى إلى أسفل. ﴿ بِغُرُورٍ ﴾: بما غرّهما به من القسم؛ فإنّهما ظنّا أنّ أحداً لا يحلف بالله كاذباً.

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ قال: «سقط عنهما ما ألبسهما الله من لباس الجنّة، و أقبلا يستتران من ورق الجنّة»[4]. ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾: و اخذا يرقعان و يلزقان ورقة فوق ورقة ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

١ ـ ذيل الآية: ٣٥.

٢ ـ البيضاوي ٣: ٦.

٣ و ٤ ـ القمّي ١: ٢٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾. سبق تفسيرها مع تمام القصّة[١].

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾.

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ و يغنيكم عن خصف الورق ﴿ وَرِيشًا ﴾ تتجمّلون به. والرّيش ما يتجمّل به، مأخوذ من ريش الطّائر، فإنّه لباسه وزينته. ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ﴾: خشية الله. قال: «فأمّا اللّباس: فالثّياب الّتي تلبسون؛ وأمّا الرّياش: فالمال والمتاع[٢]؛ و أمّا لباس التّقوىٰ: فالعفاف؛ إنّ العفيف لا تبدوله عورة وإن كان عارياً من الثّياب، والفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثّياب»[٣]. ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ قال: «يقول: والعفاف خير»[٤]. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: إنزال اللّباس ﴿ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ الدالّة على فضله و رحمته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيعرفون نعمته، أو يتّعظون فيتورّعون عن القبائح.

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾: لا يمتحننّكم، بأن يمنعكم دخول الجنّة بإغوائكم ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾. أُسند النّزع إليه للتّسبّب. ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾. تعليل للنّهي، وتأكيد للتّحذير من فتنته، و "قبيله": جنوده. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لما بينهم من التّناسب.

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾: فَعْلَةً متناهيةً في القبح، كعبادة الأصنام، والايتمام بأئمّة الجور ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. قال: «هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزّنا، و شُرْبِ الخمر،

١ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٣٦.
٢ـ في «ب» و «ج»: «فالمتاع و المال».
٣و٤ ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

أو شيء[1] من هذه المحارم؟ فقيل: لا؛ ثمّ قال: إنّ هذا في أئمّة الجور، ادّعوا أنّ الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمرهم الله بالايتمام بهم؛ فردّ الله ذلك عليهم، فأخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة»[2].

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: نحو القبلة، أو توجّهوا إلى عبادته مستقيمين، غير عادلين إلى غيرها ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: في كلّ وقت سجود، أو في كلّ مكان سجود، و هو الصّلاة. قال: «هذه في القبلة»[3]. و في رواية: «مساجد محدثة، فأُمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام»[4]. و في أُخرى: «عند كلّ مسجد، يعني: الأئمّة عليهم السّلام»[5].

﴿وَادْعُوهُ﴾: واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الطّاعة، فإنّ إليه مصيركم. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: كما أنشأكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ بإعادته. قال: «يعني: خلقهم حين خلقهم مؤمناً و كافراً، و شقيّاً و سعيداً؛ و كذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضالّ»[6].

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بان وفّقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إذ لم يقبلوا الهدىٰ.

قال: «هم القَدَريّة الّذين يقولون: لا قدر، و يزعمون أنّهم قادرون على الهُدىٰ والضّلال، و ذلك إليهم، إن شاؤوا اهتدوا و إن شاؤوا ضلّوا؛ و هم مجوس هذه الأُمّة، و كذب أعداء الله المشيّة والقدرة لله، كما بدأهم يعودون؛ مَنْ خَلَقَهُ شقيّاً يوم خلقه،

١ـ في «الف» و «ج» و العيّاشي: «و شيء».
٢ـ الكافي ١: ٣٧٣، الحديث: ٩ مضمراً؛ والعيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٥، عن العبد الصّالح عليه السلام.
٣ـ التّهذيب ٢: ٤٣، الحديث: ١٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «هذه القبلة».
٤ـ المصدر، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

كذلك يعود إليه شقيّاً، و من خلقه سعيداً يوم خلقه، كذلك يعود إليه سعيداً»[1]. قال رسول الله ﷺ: «الشقيّ من شقي في بطن أُمّه، والسّعيد من سعد في بطن أُمّه»[2].

﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: «يعني أئمّة دون أئمّة الحقّ»[3]. و ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: «خذوا ثيابكم الّتي تتزيّنون بها للصّلاة في الجمعات والأعياد»[4]. و في رواية: «من ذلك، التّمشّط عند كلّ صلاة»[5]. وفي أُخرى: «الغسل عند لقاء كلّ إمام»[6]. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما طاب لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بالإفراط والإتلاف، وبالتّعدّي إلى الحرام، و بتحريم الحلال وغير ذلك. قيل: لقد جمع الله الطّبّ في نصف آية[7].

أقول: و هو ناظر إلى الإفراط في الأكل.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. قال: «من سأل النّاس شيئاً، وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين»[8].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثّياب و سائر ما يتجمّل به ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من الارض، كالقطن والكتّان والابريسم والصّوف والجواهر ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾

١- القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢- القمّي ١: ٢٢٧.

٣- علل الشرايع ٢: ٦١٠، الباب: ٣٨٥، ذيل الحديث: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «يعني: أئمّة الجور».

٤- مجمع البيان ٣-٤: ٤١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥- من لايحضره الفقيه ١: ٧٥، الحديث: ٣١٩، عن الرّضا عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣-٤: ٤١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦- التّهذيب ٦: ١١٠، الحديث: ١٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧- البيضاوي ٣: ٨.

٨- العيّاشي ٢: ١٤، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

المستلذّات من المآكل والمشارب؛ و هو إنكار لتحريم هذه الأشياء. ﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: «المغصوبين عليها»[1]. ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ قال: «بلا غصب»[2]. ورد: «إنّ المتّقين حازوا عاجلَ الخير و آجلَه؛ شاركوا أهل الدّنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم، أباحهم الله في الدّنيا ما كفاهم به وأغناهم؛ ثمّ تلا هذه الآية»[3]. ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ قال: «يعني: الزّنا المعلن، ونصب الرّايات الّتي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة»[4]. ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ قال: «يعني: ما نكح من أزواج الآباء، لأنّ النّاس كانوا قبل أن يبعث النّبيّ ﷺ إذا كان الرّجل له زوجة و مات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أُمّه، فحرّم الله ذلك»[5]. ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ قال: «هي الخمر بعينها، و قد قال الله في موضع آخر: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"[6] فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر، و إثمهما كبير»[7]. ﴿ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ قال: «هي الزّنا سرّاً»[8]. ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: ما لم يدلّ عليه برهان ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: تتقوّلوا و تفترُوا. ورد: «لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كلّ ما تعلم»[9]. وفي رواية: «من أفتى النّاس بغير علم لعنته ملائكة السّماوات والأرض»[10].

١و٢ـ الكافي ١: ٤٠٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الأمالي (للمفيد): ٢٦٣، المجلس الحادي والثلاثون، ذيل الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «أباحهم الله من الدّنيا ما كفاهم و به أغناهم».
٤، ٥و٧ـ الكافي ٦: ٤٠٦، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ١٧، الحديث: ٣٨، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٦ـ البقرة (٢): ٢١٩.
٨ـ العيّاشي: ٢: ١٧، الحديث: ٣٨، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٩ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٨١، الحديث: ١٦٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٠ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٤٦، الباب: ٣١، الحديث: ١٧٣، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾. قال: «هو الّذي سُمّيَ لملك الموت في ليلة القدر»[١]. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾. قال: «تعدّ السّنين، ثمّ تعدّ الشّهور، ثمّ تعدّ الأيّام، ثمّ تعدّ النّفس، "فإذا جاء أجلهم" » الآية[٢].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ضمّت «ما» إلى «إن» الشّرطيّة تأكيداً لمعنى الشّرط. ﴿ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾: من جنسكم ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى ﴾ التّكذيب منكم ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: تقوّل عليه ما لم يقله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾: أو كذّب ما قاله ﴿ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾: ممّا كتب لهم من الأرزاق والآجال ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾. "حتّى" غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم إيّاه؛ أي: إلى وقت وفاتهم، و هي الّتي يُبْتَدَءُ بعدها الكلام. والمراد بالرّسل هنا: ملك الموت و أعوانه. ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآلهة الّتي تعبدونها ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾: غابوا عنّا ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ أي: قال الله تعالى لهم يوم القيامة. ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ الّتي ضلّت بالاقتداء بها ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾: تداركوا و تلاحقوا في النّار. قال: «برئ بعضهم من بعض، و لعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم ان يَحُجَّ - اي: يَغْلِبَ[٣] بعضاً رجاءَ الفَلْج[٤]،

١ـ العيّاشي ١: ٣٥٤، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٣: ٢٦٢، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «تعدّ السّاعات، ثمّ تعدّ النفس».
٣ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة: «اي يغلب».
٤ـ الفَلْجُ: الظّفر و الفوز. مجمع البحرين ٢: ٣٢٣ (فلج).

فَيَفْلِتُوا[1] من عظيم ما نزل بهم، و ليس بأوان بلوىً ولا اختبارٍ ولا قبول معذرة ولات حين نجاة»[2]. ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ ﴾ منزلةً، و هي الاتباع والسِّفْلَة ﴿ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ منزلةً أي: لأجلهم، إذ الخطاب مع الله لا معهم، و هم القادة والرؤساء. قال: «يعني أئمّة الجور»[3]. ﴿ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ مضاعفاً؛ لأنّهم ضلّوا وأضلّوا ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ أمّا القادة فبكفرهم و تضليلهم؛ و امّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ ﴾ مخاطبين لهم: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾. عطفوا كلامهم على قول الله سبحانه للأتباع: "لكلٍّ ضعفٌ" أي: فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، و إنّا و إيّاكم متساوون في الضّلال و استحقاق الضِّعْف ﴿ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ شماتةً بهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ لأدعيتهم و أعمالهم و لنزول البركة عليهم و لصعود أرواحهم، إذا ماتوا.

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾: لا يدخلونها حتّى يكونَ ما لا يكونُ أبداً. من وُلُوج الجمل ـ الّذي لا يلج إلاّ في باب واسع ـ في ثَقْبِ الإبرة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾: فراش ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾: أغْطِيَةٌ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: ما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم؛ والجملة اعتراض للترغيب. ﴿أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

١ ـ الإفلات: التّخلّص من الشيء. مجمع البحرين ٢ : ٢١٣ (فلت).

٢ ـ الكافي ٢ : ٣١، الحديث : ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤ : ٤١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ على إخوانهم في الدّنيا فَسَلِمَتْ قُلوبُهم وطَهُرَت من الحِقْد و الحسد و الشَّحْناء[١] ؛ و لم يكن منهم إلاّ التّراحم والتّعاطف والتّوادد. ورد: «العداوة تنزع منهم، يعني: من المؤمنين في الجنّة»[٢].

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾. قال: «إذا كان يوم القيامة، دُعِيَ بالنّبيّ ﷺ و بأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام فينصبون للنّاس؛ فإذا رأتهم شيعتهم، قالوا: "الحمد لله الّذي هدانا لهذا". يعني: هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين و الأئمة من ولده عليهم السّلام»[٣].

﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ فاهتدينا بإرشادهم. يقولون ذلك؛ اغتباطاً وتَبَجُّحاً[٤]، إذ صار علمُ يقينهم في الدّنيا عينَ يقينهم في الآخرة. ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ﴾ إذا رأوها ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

روي: «ما من أحد إلاّ و له منزل في الجنّة و منزل في النّار؛ فأمّا الكافر فيرث المؤمنَ منزله من النّار، و المؤمن يرث الكافر منزله من الجنّة؛ فذلك قوله تعالى "أُورثتموها بما كنتم تعملون"»[٥].

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾؟ قالوه تَبَجُّحاً بحالهم و شماتةً بأصحاب النّار و تحسّراً لهم، وإنّما لم يقل: «ما وَعَدَكُم» كما قال: «ما وَعَدنا»، لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وَعْدُه بهم، كالبعث و الحساب و نعيم الجنّة لأهلها. ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ

١ـ الشَّحْناء: العداوة والبغضاء. مجمع البحرين ٦: ٢٧١ (شحن).
٢ـ القمّي ١: ٢٣١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٨، الحديث: ٣٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ البَجَح ـ بالتّحريك ـ: الفَرَح. مجمع البحرين ٢: ٣٤١ (بجح).
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٠، عن النّبيّ ﷺ.

بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ زيغاً و ميلاً عمّا هو عليه ﴿ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴾. قال: «المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام يؤذّن أذاناً يسمع الخلايق»[1].

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي: بين الفريقين، أو بين الجنّة و النّار. ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾. أعراف الحجاب أي: أعاليه: رجال من الموحّدين العارفين المعروفين. ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا ﴾ من أهل الجنّة و النّار ﴿ بِسِيمَـٰهُمْ ﴾: بعلامتهم الّتي اعلمهم الله بها، لأنّهم من المتوسّمين أهل الفراسة. قال: «الأعراف كُثْبانٌ[2] بين الجنّة و النّار، يوقف عليها كلّ نبيّ و كلّ خليفة نبيٍّ مع المذنبين من اهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضّعفاء من جنده، و قد سبق المحسنون إلى الجنّة»[3] الحديث.

و في رواية: «نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، و نحن الأعراف الّذين لايُعْرَفُ الله عزّوجلّ إلاّ بسبيل معرفتنا، و نحن الأعراف يوقفنا الله عزّوجلّ يوم القيامة على الصّراط»[4]. و في لفظ آخر: «نوقف بين الجنّة و النّار، فلا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا و عرفناه، و لايدخل النّار إلاّ من أنكرنا و أنكرناه»[5]. و في رواية: «إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم الاعمال، و إنّهم لكما قال الله»[6]. و زيد في أُخرى: «فإن أدخلهم النّار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنّة فبرحمته»[7].

١ـ القمّي ١: ٢٣١؛ و الكافي ١: ٤٢٦، عن ابي الحسن عليه السلام.
٢ـ الكُثْبان جمع كثيب: التّلّ من الرّمل. القاموس المحيط ١: ١٢٦ (كثب).
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٣؛ و جوامع الجامع ١: ٤٣٨ـ٤٣٩، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٣١ مايقرب منه.
٤ـ الكافي ١: ١٨٤، الحديث: ١، عن امير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يُعَرِّفُنا الله» بدل: «يوقفنا الله».
٥ـ بصائر الدّرجات: ٤٩٧، الباب: ١٦، الحديث: ٦، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٤٠٨، الحديث: ١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٣٨١، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أقول: لاتنافي بين الروايتين: لأنّ هؤلاء القوم يكونون مع الرّجال الّذين على الأعراف، و كلاهما أصحاب الأعراف كما دلّ عليه الحديث الأوّل.

﴿وَنَادَوْا﴾ قال:[1] يعني: و نادى أصحاب الأعراف الّذين كانوا عليه مع الأئمّة عليهم السّلام، من مذنبي شيعتهم الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الّذين سبقوا إليها، وذلك حين يقول لهم الأئمّة عليهم السّلام: أُنظروا إلى إخوانكم في الجنّة، قد سبقوا إليها بلاحساب. ﴿أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إذا نظروا إليهم سلّموا عليهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النّبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: في النّار. وفي قراءة الصّادق عليه السلام: «قالوا: ربّنا عائذاً بك أن لاتجعلنا»[2].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ يعني: الأئمّة عليهم السّلام ﴿رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفّار ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدّنيا ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحقّ.

﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تتمّة قول الأئمّة عليهم السّلام للرّجال، و الإشارة إلى شيعتهم الّذين كانوا معهم على الأعراف، الّذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدّنيا، و يحلفون أنّ الله لايدخلهم الجنّة. ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ «أي: فالتفتوا إلى أصحابهم و قالوا لهم: "ادخلوا الجنّة" الآية». كذا ورد في تفسير هذه الآيات[3].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ أي: صبّوه؛

١ـ كذا في جميع النُّسخ، و لعلّ قوله: «قال» زائد؛ أو كان قائله المصنّف لا الإمام المعصوم عليه السلام كما يظهر من الصّافي فراجع.

٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٤، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أن تجعلنا».

٣ـ جوامع الجامع ١: ٤٣٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

وذلك لانّ الجنّة فوق النّار ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأطعمة و الفواكه ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرّموا ما شاؤوا و استحلّوا ما شاؤوا ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ قال: «نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا. و قال: إنّما يجازي من نسيه و نسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال الله تعالى: "ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم"[1]. و في رواية: «يعني بالنّسيان أنّه لم يُثِبْهُمْ كما يثيب أولياءه، الّذين كانوا في دار الدّنيا مطيعين ذاكرين، حين آمنوا به و برسوله[2] ﷺ و خافوه في الغيب. قال: وقد يقول العرب في باب النّسيان: قد نَسِيَنا فُلانٌ فلا يَذْكُرُنا. أي: أنّه لا يأمر لهم بخير ولا يَذْكُرَهُم به»[3]. ﴿وَمَا كَانُوا﴾: وكما كانوا ﴿بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: ما يؤل إليه أمره؛ من تبيّن صدقه بظهور ما نطق به من الوعد و الوعيد. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾. القمّي: ذلك في قيام القائم ﷺ ويوم القيامة.[4] ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوه ترك النّاسي ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: قد تبيّن انّهم جاؤوا بالحقّ.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بصرف أعمارهم في الكفر ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

١ـ التّوحيد: ١٦٠، الباب: ١٦، الحديث: ١، عن ابي الحسن الرّضا ﷺ. والآية في الحشر (٥٩): ١٩.

٢ـ في «ب» و «ج» و المصدر: «برسله».

٣ـ التّوحيد: ٢٥٩، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين ﷺ.

٤ـ القمّي ١: ٢٣٥.

بطل فلم ينفعهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾. قال: «ولو شاء أن يخلقها في اقلّ من لمح البصر لخلق، و لكنّه جعل الأناةَ[١] و المداراةَ مثالاً لأُمنائه، وإيجاباً للحجّة على خلقه»[٢]. و في رواية: «كان قادراً على ان يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّوجلّ خلقها في ستّة أيّام، ليظهر على الملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرّة»[٣].

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قال: «يعني استوى تدبيره و علا أمره»[٤]. و في رواية: «استولى على ما دقّ و جلّ»[٥]. وفي أُخرى: «استوى على كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه»[٦]. و في أُخرى: «استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء»[٧]. وفي أُخرى: «استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب»[٨].

أقول: المستفاد من هذه الروايات، أنّ المراد بالعرش، مجموع الأشياء، كما ورد في أخبار أُخر أيضاً، و من الثّلاث الأخيرة بألفاظها، أنّ المراد بالاستواء، استواء النّسبة، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بـ«على» تارةً، كالاستيلاء و الاشراف و نحوهما، لموافقة لفظ القرآن. فيصير المعنى: استوى نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً على الكلّ، وأتى بلفظة «مِنْ» تارةً، تحقيقاً لمعنى الاستواء في القرب و البعد، وبلفظة «في» تارةً،

١ـ الأناة ـ كقَناة ـ: الرّفق. مجمع البحرين ١: ٣٦٠ (أنا).
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّوحيد: ٣٢٠، الباب: ٤٩، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ١٥٧، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ١٢٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ٣١٥، الباب: ٤٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ١٢٨، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه.

ففي الآية دلالة على نفي المكان عنه سبحانه، خلاف ما يفهمه الجمهور منها. وفيها إشارة إلى معيّته القيّوميّة، و اتّصاله المعنويّ بكلّ شيء على السّواء، على الوجه الّذي لاينافي أحديّته و قدس جلاله؛ و إلى إفاضة رحمته العامّة على الجميع على نسبة واحدة، و إحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد، وقربه من كلّ شيء على نهج سواء. وامّا اختلاف المقرّبين كالانبياء و الأولياء مع المبعدين كالشّياطين و الكفّار في القرب والبعد، فليس ذلك من قبَله سبحانه؛ بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها.

﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾: يغطيه به ﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾: يعقبه سريعاً كالطّالب له، لايفصل بينهما شيء. ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾: عالم الاجسام ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: عالم الأرواح ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: تعالى بالوحدانيّة في الألوهيّة و تعظّم بالفردانيّة في الرّبوبيّة.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ فإنّ الاخفاء أقرب إلى الاخلاص ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أُمروا به في الدّعا و غيره. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ كان في غزاة، فاشرف على وادٍ فجعل النّاس يهلّلون و يكبّرون و يرفعون أصواتهم، فقال ﷺ: يا أيها النّاس اربَعُوا[1] على أنفسكم اما إنّكم لاتدعونَ أصمَّ و لاغائباً، إنّكم تدعون سميعاً قريباً، إنّه معكم»[2]. و عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية: «الاعتداء من صفة قرّاء زماننا هذا وعلامتهم»[3].

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الأنبياء وشرع الاحكام. قال: «إنّ الارض كانت فاسدةً فاصلحها الله عزّوجلّ بنبيّه، فقال: ﴿ولا

١ـ إربَعْ على نفسك: ارفق بنفسك و كفّ و تمكث. مجمع البحرين ٤: ٣٣١ (ربع).

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢٩.

٣ـ مصباح الشّريعة: ٥٨، الباب: ٢٥، في آفة القرّاء، عن النّبيّ ﷺ.

تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"»[1]. والقمّي: أصلحها برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام[2]. ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من الرّدّ لقصور أعمالكم و عدم استحقاقكم ﴿وَطَمَعًا﴾ في إجابته؛ تفضّلاً و إحساناً لفرط رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ترجيح للطّمع و تنبيه على ما يتوصّل به إلى الإجابة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾. جمع بُشير. ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: قدّام رحمته؛ يعني: المَطَر، فإنّ الصّبا تثير السّحاب، و الشّمال تجمعه، و الجنوب تجلبه، و الدّبور تفرّقه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حَمَلَتْ ﴿سَحَابًا﴾: سحائب ﴿ثِقَالًا﴾ بالماء ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لاحيائه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من الأجداث[3] أحياءً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أنّ من قدر على ذلك قدر على هذا.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الأرض الكريمة التُّربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره و تيسيره. عبّر به من كثرة النّبات و حسنه و غزارة نفعه، بقرينة المقابلة. ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ كالحَرَّةِ[4] والسَّبِخَة[5] ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلاً عديم النّفع ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: نردّدها و نكرّرها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله، فيتفكّرون فيها ويعتبرون بها.

قيل: الآية مَثَلٌ لمن تدبّر الآيات و انتفع بها، و لمن لم يرفع إليها رأساً و لم يتأثّر بها.[6]

و القمّي: مثل للأئمّة عليهم السّلام يخرج علمهم بإذن ربّهم، و لأعدائهم لا يخرج

١ـ الكافي ٨: ٥٨، الحديث: ٢٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٣٦.
٣ـ الأجداث جمع جَدَث ـ بالتّحريك ـ: القبر. القاموس المحيط ١: ١٦٩ (جدث).
٤ـ الحَرَّة: أرض ذات حجارة نَخِرة سُود. القاموس المحيط ٢: ٧ (حر).
٥ـ السَّبَخَةُ ـ محرّكة ومسكّنة ـ: أرض ذات نزّ وملح. القاموس المحيط ١: ٢٧٠ (سبخ).
٦ـ البيضاوي ٣: ١٣ ـ ١٤.

علمهم إلاّ كدراً فاسداً[١].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ إن لم تؤمنوا.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: الأشراف ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾. إنكار، و ذلك أنّهم تعجّبوا من إرسال البشر ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: موعظة منه ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: على لسانه ﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ و هم من آمن به ﴿فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾: عَمِي القلوب غيرَ متبصّرين، و أصله عميين، و يأتي تمام القصّة في سورة هود إن شاء الله[٢].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. هم قبيلة من العرب سمّوا باسم أبيهم الأكبر[٣]، و يعنى بالأخ: الواحد منهم، كقولهم: «يا أخا العرب» للواحد منهم. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عذاب الله.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ إذ فارقت دين قومك ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿أَمِينٌ﴾: مأمون في

١ـ القمّي ١: ٢٣٦، و فيه: «إلاّ كذباً فاسداً».
٢ـ الآيات: ٢٥ إلى ٤٩.
٣ـ و هو «هودُ بن شالَخ بن ارْفَخْشَدْ بن سام بن نوح». راجع: جوامع الجامع ١: ٤٤٥.

تادية الرّسالة لا أكْذبُ و لا أُغيّرُ.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾. في إجابة الأنبياء عليهم السّلام الكفَرةَ عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا، و الإعراض عن مقابلتهم بمثلها، مع علمهم بأنّهم أضلُّ الخلق و أسْفَهُهُم ادَب حسن؛ وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السّفهاء و يدارونهم.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض بعد هلاكهم بالعصيان ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾: قامةً وقوةً. ورد: «كانوا كالنّخل الطُّوال، و كان الرّجل منهم ينحو الجبل[1] بيده فيهدم منه قطعة»[2]. ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ بالشكر. ورد: «اعظم آلاء الله على خلقه ولايتنا»[3]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله: "افلا تتّقون"[4] ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب؛ من الارتجاس، و هو الاضطراب ﴿وَغَضَبٌ﴾: إرادة انتقام.

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾: في أشياء ما هي إلاّ أسماء ليس تحتها مسمّيات لأنكم سمّيتموها آلهة، و معنى الإلهيّة فيها معدوم؛ نظيره: "ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِه مِنْ شَيءٍ".[5] ﴿مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾: من حجّة و لو استحقّت للعبادة لكان استحقاقها بإنزال آية من الله و نصب حجّة منه ﴿فَانتَظِرُوا﴾ نزول

١ـ ينحو الجبل: يقصده. القاموس المحيط ٤: ٣٩٦ (نحو).
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٣٧ عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «بيديه».
٣ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الآية: ٦٥ من نفس السّورة.
٥ـ العنكبوت (٢٩): ٤٢.

العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ في الدين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: استأصلناهم؛ و كان ذلك بأن أنشأ الله سبحانه سحابة سوداء زعموا أنّها ممطرهم، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، كما يأتي في مواضع أُخر.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾. هم قبيلة أُخرى من العرب سمّوا باسم جدّهم[1].

ورد: «هي قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر؛ صغيرة»[2]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة ظاهرة الدّلالة على صحّة نبوّتي ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾. أضافها إلى الله، لأنّها خلقت بلا واسطة، ولذلك كانت آيةً. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾. روي: «أنّهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا في الجبال بيوتاً، لأنّ السّقوف و الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم»[3].

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: و لا تبالغوا في الفساد.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾: أنفوا من اتّباعه ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: للّذين استذلّوهم ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾. قالوه استهزاءً ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾. أُسند العقر إلى جميعهم و إن لم يعقرها إلّا بعضهم، لأنّه كان

١ـ و هو «ثمودُ بن عابر بن إرَم بن سام بن نوح». أنظر: جوامع الجامع ١: ٤٤٧.
٢ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٤٠.

برضاهم. ﴿وَعَتَوْاْ﴾: تولّوا عاتين ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ على لسان صالح: "فذروها تأكل في أرض الله". ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزّلزلة؛ و في سورة هود: "و أَخَذَ الَّذينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ"[١] و في الحِجْر: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ"[٢] و لعلّها كانت من مباديها. القمّي: فبعث الله عليهم صيحة و زلزلة فهلكوا[٣]. ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: خامدين ميّتين لا يتحركون؛ يقال: النّاس جثّمٌ، أي: قعودٌ لا حَراك بهم، وأصل الجثوم: اللّزوم في المكان.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. قاله متحسّراً على ما فاته من إيمانهم، متحزّناً لهم بعد ما أبصرهم موتى صرْعى.

ورد: «إنّه بُعِثَ إلى قومه و هو ابن ستّ عشرة سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لايجيبونه إلى خير، و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله. فقال لهم: إن شئتم فاسألوني حتّى أسألَ إلهي فيجيبكم فيما سألتموني السّاعة، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتني بالّذي أسألها خرجت عنكم؛ فقد سئمتكم وسئمتموني[٤]. فقالوا: قد أنصفت. فدعا[٥] كلّها بأسمائها فلم يجبه منها شيء؛ فنحّوا بسطهم وفرشهم و ثيابهم، و تمرّغوا على التّراب[٦]، و طرحوا التّراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجيبي صالحاً اليوم لنفتضحن[٧]، ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح أُدعها، فدعاها، فلم

١ـ الآية: ٦.
٢ـ الآية: ٧٣ و ٨٤.
٣ـ القمّي ١: ٣٣٢.
٤ـ أي: مللتكم ومللتموني.
٥ـ في «ب» و «ج»: «فدعاها».
٦ـ تمرّغ في التّراب: تقلّب. القاموس المحيط ٣: ١١٦ (مرغ).
٧ـ في المصدر: «لنفتضحنّ».

تجبه. قال: فاسألوني حتّى أدعو إلهي يُجبكم السّاعة، فقالوا: أُدع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل السّاعة ناقةً حمراء شَقْراء وَبْراء عُشَراء بين جنبيها ميل[1]. فقال لهم: لقد سألتموني شيئاً يعظم عليّ و يهون على ربّي تعالى، فسأل الله ذلك، فانصدع الجبل صدعاً[2] كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المَخاض، ثمّ لم يفجأهم[3] إلاّ رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصّدع، فما استمّت رقبتها حتّى اجترّت[4]، ثمّ خرج ساير جسدها ثمّ استوت قائمةً على الأرض فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك، أُدع لنا يخرج لنا فَصيلَها[5]؛ فسأل الله ذلك، فرمت به، فدبّ[6] حولها. فقال لهم: يا قوم أَبَقِيَ شيء؟ قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا و يؤمنون بك. قال: فرجعوا؛ فلم يبلغ السّبعون إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعة و ستّون رجلاً، وقالوا: سِحْرٌ و كِذْبٌ. قالوا: فانتهوا إلى الجميع، فقال السّتّة: حقّ، وقال الجميع: كِذْبٌ و سِحْرٌ، فانصرفوا على ذلك، ثمّ ارتاب من السّتّة واحد، فكان فيمن عقرها»[7].

و ورد: «إنّ الله أوحى إلى صالح: قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه النّاقة من الماء شِرْبَ[8] يوم و لكم شِرْبَ يوم، فكانت النّاقة إذا كان يوم شِرْبِها شَرِبَتْ ذلك اليوم الماء

١ ـ شَقْراء اي: شديد الحمرة، وَبْراء اي: كثيرالوبر، عُشراء اي: اتى على حملها عشرة أشهر. و قوله: «بين جنبيها ميل» اي: يكون عرضها قدر ميل. «انظر: مرآة العقول ٢٦: ٧٨».

٢ـ اي: انشقّ الجبل شقاً.

٣ـ اي: لم يظهر لهم فجاة شيء إلاّ رأسها.

٤ ـ الاجترار هو ما يفعله بعض الدّوابّ من إخراجها ما في بطنها مضغةً و ابتلاعه ثانياً.

٥ـ فَصيلُ النّاقة: ولدها إذا فُصِلَ عن امّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).

٦ـ دَبَّ يَدِبُّ دبّاً: مشى على هَيْئته. القاموس المحيط ١: ٦٧ (دب).

٧ـ الكافي ٨: ١٨٥ ـ ١٨٦، الحديث: ٢١٣، عن ابي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله، مع الاختصار.

٨ ـ الشِّرْبُ ـ بالكسر ـ الحظّ والنّصيب من الماء. مجمع البحرين ٢: ٨٧ (شرب).

فيحلبونها، فلا يبقى صغير و لا كبير إلّا شَرِبَ من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان اللّيل وأصبحوا، غدوا إلى مائهم فَشَرِبُوا منه ذلك اليوم و لم تشرب النّاقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاءالله، ثمّ إنّهم عتوا على الله و مشى بعضهم إلى بعض و قالوا: اعقروا هذه النّاقة و استريحوا منها، لا نرضى أن يكون لها شرب يوم و لنا شرب يوم، فجعلوا جُعْلاً لرجل أحمر، أشقر، أزرق، ولد زناً لايعرف له اب، يقال له قدار، شقيّ من الأشقياء مشؤم عليهم؛ فقتلها و هرب فَصيلُها، و اقتسموا لحمها فيما بينهم، فاوحى الله إلى صالح قل لهم: إنّي مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام، فإن هم تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و صددت عنهم، و إن هم لم يتوبوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث، فقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين، فقال: يا قوم إنّكم تصبحون و وجوهكم مصفرّة و اليوم الثّاني محمرّة و الثّالث مسودّة، فجاءهم ما قاله لهم فلم يتوبوا و لم يرجعوا، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت أسْماعَهم وفلقت قلوبَهم و صدعت أكبادَهم»[1]. هذا ملخّص القصّة.

﴿وَلُوطًا﴾: و ارسلنا لوطاً. ورد: «انّه كان ابن خالة إبراهيم، و كانت سارة امرأة إبراهيم أُختـه، خرجوا من بلاد نمرود إلى أن نزل إبراهيم بأعلى الشّامات وخلّف لوطاً بادناها»[2]. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾. مِنْ أتى المرأة: إذا غشيها. ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: متجاوزون الحدّ في الفساد حتّى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد. ورد: «إنّ إبليس أتى شبّانهم في صورة حسنة فيها تانيث، عليه ثياب حسنة، فأمرهم أن يقعوا

١ـ الكافي ٨: ١٨٧ ـ ١٨٩، الحديث: ٢١٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٢ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن ابي جعفر عليه السلام؛ والكافي ٨: ٣٧١ـ٣٧٣، الحديث: ٥٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

به فلمّا وقعوا به التّذوّه، ثمّ ذهب عنهم و أحال بعضهم على بعض»[1].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من الخبائث.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ المختصّين به من الهلاك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فإنّها كانت تسرّ[2] الكفر وتُوالي أهْلَ القرية ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: من الّذين غَبَرُوا في ديارهم، أي: بقوا فيها فهلكوا.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: نوعاً من المطر عجيباً، و هي أمطار حجارة من سجّيل؛ كما يأتي في موضع آخر[3]. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ورد: «إنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة، و كان نازلاً فيهم و لم يكن منهم، يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش و يحثّهم على الطّاعة، فلم يجيبوه و لم يطيعوه، و كانوا لايتطهّرون من الجنابة، بُخَلاء أشحّاء على الطّعام؛ فأعقبهم البخل الدّاء الّذي لادواء له في فروجهم، و ذلك أنّهم كانوا على طريق السّيّارة إلى الشّام و مصر، و كان ينزل بهم الضّيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضّيف فضحوه، وإنّما فعلوا ذلك لتنكل النّازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك، فأوردهم البخل هذا الدّاء، حتّى صاروا يطلبونه من الرّجال ويعطون عليه الجُعْلَ، و كان لوط سخيّاً كريماً يقرى الضّيف إذا نزل بهم[4]، فنهوه عن ذلك فقالوا: لاتقري ضيفاناً تَنَزَّلُ بك[5]، فإنّك إن فعلت فضحنا ضيفك، وكان لوط إذا نزل به الضّيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، و ذلك

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٨، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٣؛ والكافي ٥: ٥٤٤، الحديث: ٤، عن أحدهما عليهما السّلام.

٢ـ في «ب»: «تستر».

٣ـ أنظر: سورة هود (١١): ٨٢، و الحجر (١٥): ٧٤.

٤ـ كذا في جميع النُّسَخ و الصّافي و لعلّ الصّواب: «إذا نزل به» كما في المصدر.

٥ـ في المصدر: «لاتقرين ضيفاً جاء ينزل بك».

أنّه لم يكن له عشيرة فيهم»[١].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: و ارسلنا إليهم. قيل: هم أولاد "مدين بن إبراهيم" و شعيب منهم؛ سُمّوا باسم جدّهم و سمّيت به قريتهم[٢]. القمّي: هي على طريق الشّام[٣]. و ورد: «إنها لاتكمل اربعين بيتاً»[٤]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: معجزة شاهدة بصحّة نبوّتي؛ و هي غير مذكورة في القرآن، و لم نجدها في شيء من الأخبار. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: و لاتنقصوهم حقوقهم؛ جيء بالأشياء للتّعميم ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر و الحيف ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بعد ما أصلح فيها الأنبياء وأتباعهم؛ بإقامة الشّرايع والسّنن ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الإنسانيّة و حسن الأُحدوثة وما تطلبونه من الرّبح، لأنّ النّاس إذا عرفوا منكم النَّصَفَةَ و الامانة رغبوا في مُتاجَرَتِكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: مصدّقين لي في قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: بكلّ منهج من مناهج الدّين مقتدين بالشّيطان في قوله: "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"[٥]. ﴿تُوعِدُونَ﴾: تتوعّدون ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾. قيل: كانوا يجلسون على الطّرق فيقولون لمن يمرّ بها: إنّ شعيباً كذّاب فلا يفتننّكم عن دينكم؛ كما كان يفعل قريش بمكّة[٦]. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لسبيل الله عوجاً؛ يعني: تصفونها للنّاس بأنّها سبيل مُعْوَجَّة غير مستقيمة بإلقاء

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٤٥، عن أبي جعفر عليه السلام. و الظّاهر انّ قوله في ذيل الحديث: «و ذلك إنّه ...» كلام المصنّف و ليس في المصدر.

٢ـ في «ألف»: «وسمّيتهم به»

٣ـ القمّي ١: ٣٣٧.

٤ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الأعراف (٧): ١٦.

٦ـ البيضاوي ٣: ١٨؛ والكشّاف ٢: ٩٤.

الشّبه، لتصدّوهم عن سلوكها و الدّخول فيها. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح و هود و صالح ولوط، و كانوا قريبي العهد بهم.

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: بين الفريقين بأن ينصر المُحِقّ على المبطل، و هذا وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ إذ لا معقّب لحكمه و لا حيف فيه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ على تغليب الجماعة على الواحد، و ذلك لأنّ شعيباً لم يكن على ملّتهم قطّ. ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: كيف نعود فيها و نحن كارهون لها.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: فيما دعوناكم إليه ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ بالبيان و البرهان ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ خذلاننا ومَنْعَنا الألطافَ، بأن يعلم أنّه لاينفع فينا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أحاط علمه بعواقب الأمور و مكنوناتها ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبّتنا على الإيمان، ويوفّقنا لازدياد الإيقان.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: أُحكم بيننا، فإنّ الفتّاحَ: القاضي، والفُتاحة: الحكومة. أو أظهر امرنا حتّى ينكشف ما بيننا و بينهم، و يتميّز الحقّ من المبطل؛ من فتحَ المشكل: إذا بيّنه. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ أي: أشرافُهم قالوه لمن دونهم يثبّطونهم عن الإيمان ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ و تركتم دينكم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزّلزلة. و في سورة هود "وأخذَتِ الّذينَ ظَلَموا

الصَّيْحَةُ[١]. ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: خامدين.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ أي: استؤصلوا[٢] كأن لم يقيموا بها؛ والمَغْنى: المنزل[٣]. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ دون أتباع شعيب، فإنّهم الرّابحون. و في هذا الابتداء و التّكرير تسفيه لرأي الملأ وردّ لمقالتهم و مبالغة في ذلك.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ﴾: أحزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: قوم ليسوا بأهلٍ للحزَنِ عليهم، لكفرهم واستحقاقهم العذابَ النّازلَ بهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾: بالبؤسِ و الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الضُّرّ و المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: لكي يتضرّعوا و يتوبوا ويتذلّلوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: رفعنا ما كانوا فيه من البلاء و المحنة، و وضعنا مكانه الرّخاء و العافية ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ أي: كثُروا و نَمَوْا في أنفسهم و أموالهم، من قولهم: عفا النّبات أي: كثُرَ و منه: إعفاء اللّحى[٤].

﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ أبطَرَتهُمُ النّعمة، فتركوا شكر الله ونسوا ذكر الله، و قالوا: هذه عادة الدّهر، يُعاقِبُ في النّاس بين الضّرّاء و السّرّاء، و قد مسّ آباءنا نحوُ ذلك، فلم ينتقلوا عمّا كانوا عليه؛ فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم كذلك. ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: فَجأةً، عِبرةً لمن كان بعدهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ العذاب نازل بهم إلّا بعد حلوله.

١ـ الآية: ٩٤.

٢ـ استأصلَ الشّيءَ: قطعه من أصله. مجمع البحرين ٥: ٣٠٦ (اصل).

٣ـ أي: المنزل الّذي غَنيَ به اهله، أي: اقاموا ثُمَّ ظَعَنُوا.

٤ـ اللّحىٰ جمع اللّحْيَة. و في الحديث عن رسول الله ﷺ: «... و أعفُوا اللّحىٰ» (معاني الأخبار: ٢٩١) أي: وفّروها و كثّروها. مجمع البحرين ١: ٣٠٠ (عفا).

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾: ولو انّهم ﴿ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ الشّرك والمعاصي ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: لوسّعنا عليهم الخيرات و يسّرناها لهم من كلّ جانب، بإنزال المطر و إخراج النّبات و غير ذلك. ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المكذّبون لنبيّنا ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾: عذابنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾: وقت بيات ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾.

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾: ضَحْوةَ النّهار؛ و هو في الأصل اسم لضوء الشّمس إذا أشرقت و ارتفعت. ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾: يشتغلون بما لاينفعهم.

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾. مكر الله استعارة لاستدراجه العبدَ و أخْذه من حيث لايحتسب. قال: «المكر من الله: العذاب»[1]. ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. فيه تنبيه على ما يجب أن يكون العبد عليه من الخوف لعقاب الله و اجتناب المعصية.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ أي: أوَلَمْ يُبيِّنْ، و لذا عُدّيَ باللاّم. ﴿ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ ﴾ يَخْلُفون مَنْ خلا قَبْلَهم في ديارهم ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ ﴾: أنّه لو نشاء ﴿ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾: بجزاء ذنوبهم، كما أصبنا مَنْ قَبْلَهم ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾. مستأنف، يعني: و نحن نطبع ﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ سماعَ تفهّمٍ و اعتبارٍ.

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ﴾: بعض أنبائها ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ﴾ يعني: «في الذّرّ، حين كانوا في أصلاب الرّجال و أرحام النّساء». كما ورد[2]، و يأتي في سورة يونس[3]. قال: «إنّ الله خلق من أحَبَّ من طينة الجنّة، و خلق من أبْغَضَ من طينة النّار، ثمّ بعثهم في الظّلال. قيل: و أيّ

١ـ القمّي ١: ٢٣٦ و ٣٦٧.

٢ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث: ٣٦؛ والقمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ في ذيل الآية: ٧٤.

شيء الظّلال؟ قال: ألم تر إلى ظلّك في الشّمس شيء وليس بشيء، ثمّ بعث منهم النّبيّين فدعوهم إلى الإقرار بالله، وهو قوله: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله"[١]. ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنّبيّين، فاقرّ بعضهم وأنكر بعض[٢]، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا، فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض؛ وهو قوله: "ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل"[٣] ثمّ قال: كان التّكذيب ثمّ»[٤]. وفي رواية: «فمنهم من أقرّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه»[٥]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: وفاء عهد ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾: وإنّه علمنا أكثرهم خارجين عن الطّاعة. قال: «إنّها نزلت في الشّاكّ»[٦]. وفي رواية: «إنّكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وإنّكم لم تبدّلوا بنا غيرنا، ولو لم تفعلوا لعيّركم الله كما عيّرهم، حيث يقول: "وما وجدنا لأكثرهم من عهد" الآية»[٧]. وعن أبي ذرّ: «والله ما صدق أحد ممّن أخذ ميثاقه فوفى بعهد الله غير أهل بيت نبيّهم وعصابة قليلة من شيعتهم، وذلك قول الله: "وما وجدنا" الآية»[٨].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: بالمعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾. وهو لقب لمن ملك مصر. ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾: بان كفروا بها مكان الإيمان الّذي هو من حقّها لوضوحها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

١ـ الزّخرف (٤٣): ٨٧.
٢ـ في «الف»: «وأنكر بعضهم».
٣ـ يونس (١٠): ٧٤.
٤ـ الكافي ٢: ١٠، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ١٢٦ـ١٢٧، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٣٩٩، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٣، الحديث: ٦٠، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٧ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ٢٣، الحديث: ٥٩.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾: بأن لا أقول كما قرئ به، فوضع «علىٰ» مكان الباء، كقولهم: «رميت على القوس». ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾: فخلّهم حتّى يرجعوا معي إلى الارض المقدّسة التي هي وطن آبائهم، و كان قد استعبدهم و استخدمهم في الاعمال الشاقّة.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾: ظاهرٌ أمرُهُ لا يُشكّ في أنّه ثعبان، و هو الحيّة العظيمة. قال: «و كان له شعبتان قد وقع إحداهما في الأرض و الأُخرى في أعلى قبّة فرعون، و كان ارتفاعها ثمانين ذراعاً، فنظر فرعون إلى جوفه و هو يلتهب نيراناً، فاهوى إليه فأحدث [1] وصاح: يا موسى خذها» [2].

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ من جيبه ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾: بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشّمس. «و كان موسى آدمَ شديدَ الأُدْمَة» فيما يُرْوىٰ [3].

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾: أخّرهما و أصدرهما عنك، حتّى ترى رأيك فيهما وتُدبّرَ أمرهما. ورد: «لم يكن في جلسائه يومئذ ولدُ سِفاحٍ، [4] و لو كان لأمر بقتلهما، قال: وكذلك نحن لايسرع إلينا [5] إلّا كلّ خبيث الولادة». [6] ﴿ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

١ـ أَحْدَثَ فلان: تَغَوَّط. اقرب الموارد ١: ١٦٩ (حدث).
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٤ ذيل الحديث: ٦١، مرفوعة.
٣ـ تفسير أبي السّعود ٣: ٢٥٨؛ و الكشّاف ٢: ١٠٢؛ والبيضاوي ٣: ٢١.
٤ـ السِّفاح ـ بالكسر ـ: الزّنا و الفجور. مجمع البحرين ٢: ٣٧٢ (سفح).
٥ـ في المصدر: «لاينزع إلينا».
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٤، الحديث: ٦٢، عن يونس بن ظبيان.

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾.

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾.

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾. خيّروه مراعاةً للأدب، ولكن كانت رغبتهم في أن يُلقُوا قبله، فنبّهوا عليه بتغيير النّظم إلى ما هو ابلغ.

﴿ قَالَ أَلْقُوا ﴾ كرماً و تسامحاً و قلّةَ مبالاةٍ بهم، و ثقةً بما كان بصدده من التّأييد الإلهيّ. ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ بأن خيّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه بالحِيَلِ والشَّعْوَذَة[1]. ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾: و أرهبوهم إرهاباً شديداً، كأنّهم طلبوا رَهْبَتَهُم ﴿ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ في فنّه. روي: «أنّهم ألقوا حِبالاً غِلاظاً وخُشُباً طِوالاً كأنّها حيّاتٌ، ملأت الوادي و ركب بعضها بعضاً»[2].

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها فصارت حيّةً عظيمةً ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾: ما يزوّرونه؛ من الإفك، و هو الصّرف و قلب الشّيء عن وجهه.

روي: «انّها لمّا تلقّفت حبالَهُم و عِصِيَّهُم و ابتلعتها بأسرها، أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك جمع عظيم، ثمّ أخذها موسى فصارت عصا كما كانت، فقالت السّحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالُنا و عِصيُّنا»[3].

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ ﴾: فحصل و ثبت لظهور أمره ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من السّحر و المعارضة.

١ ـ الشَّعْوَذَة: خِفّةٌ في اليد و أُخَذٌ كالسِّحرِ يُرَى الشّيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. القاموس المحيط ١: ٣٦٨.

٢و٣ـ البيضاوي ٣: ٢٢.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾: صاروا أذلّاء منهزمين.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾: و خرّوا سجّداً، كأنّما ألقاهم مُلْقٍ لشدّة خرورهم، و لعلّ الحقّ بَهَرَهم[1] و اضطرّهم إلى السّجود، بحيث لم يبق لهم تمالك؛ ليَنكسر فرعون بالّذين أراد بهم كسر موسى، و ينقلب الأمر عليه.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أبدلوا من الأول، لئلاّ يتوهّم أنّهم أرادوا به فرعون.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾: إنّ هذا الصّنيعَ لحيلة احتلتُموها أنتم و موسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصّحراء، و تواطأتُم على ذلك ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ يعني: القِبْطَ، و تخلص لكم ولبني إسرائيل؛ و كان هذا الكلام من فرعون تَمويهاً على النّاس لئلاّ يتّبعوا السّحرةَ في الإيمان. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. وعيد مجمل يفصّله ما بعده:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: من كلّ شِقٍّ طرفاً ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم و تنكيلاً لأمثالكم.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: لانبالي بالموت و القتل، لانقلابنا إلى لقاء ربّنا و رحمته.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾: و ما تُنْكِر منّا و تَعيبُ إلاّ الإيمان بآيات الله، و هو أصل كلّ خير.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: أفِضْ ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ واسعاً كثيراً يَغْمِرُنا كما يُفْرَغُ الماءُ ﴿وَتَوَفَّنَا

١ ـ البَهْرُ: الغلبة. القاموس المحيط ١: ٣٩٢ (بهر).

مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بتغيير النّاس عليك و دعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾: معبوداتك. القمّي: كان فرعون يعبد الأصنام، ثمّ ادّعى بعد ذلك الرّبوبيّة.[1] و عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنّه قرأ: "ويَذَرَكَ وإلهَتَكَ"»[2] يعني: عبادتك. و قيل: إنّ فرعون صنع لقومه أصناماً، و امرهم أن يعبدوها تقرّباً إليه؛ و لذلك قال: "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ"[3] ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ كما كنّا نفعل من قبل، ليعلم أنّا على ما كنّا عليه من القهر و الغلبة، وأنّ غلبة موسى لا أثرلها في مُلْكنا ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: غالبون، و إنّهم مقهورون [مغلوبون][4] تحت ايدينا.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ أي: بني إسرائيل ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرّسالة بقتل الابناء ﴿وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادته. والقمّي: قبل المجيء بقتل الأولاد، و بعده لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى[5]. ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكرٍ و كفرانٍ و طاعةٍ و عصيانٍ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالجُدوب، لقلّة الأمطار و المياه؛ و السَّنَةُ غلبت على عام القحط، لكثرة ما يُذْكَرُ عنه و يُورَّخ به، ثمّ اشتقّ منها، فقيل: أَسْنَتَ

١ـ القمّي ١: ٢٣٦ـ٢٣٧.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٦٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ٢٣؛ و الكشّاف ٢: ١٠٥. و الآية في النّازعات (٧٩): ٢٤.
٤ـ الزّيادة من «ب».
٥ـ القمّي ١: ٢٣٧.

القَومُ: إذا أقْحطُوا. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لكي يتنبّهوا على أنّ ذلك بشؤم كفرهم و معاصيهم فيتّعظوا، و ليرقّ قلوبهم بالشّدايد، فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ من الخصْب و السَّعة ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: لاجلنا ونحن مستحقّوها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدْبٌ و بلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: يتشأّموا بهم و يقولوا: ما أصابتنا إلاّ بشؤمهم. القمّي: الحسنة هنا: الصّحّة والسّلامة والأمن والسَّعَة؛ و السيّئة هنا: الجوع و الخوف و المرض[١]. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: سبب خيرهم و شرّهم عنده، و هو حكمه و مشيّته، كما قال: "قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِالله"[٢] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾: لِتُمَوِّهَ علينا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. ارادوا أنّهم مصرّون على تكذيبه و إن اتى بجميع الآيات.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم و غشيَهم. قال: «هو طوفان الماء والطّاعون»[٣]. ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ﴾. قيل: هي كبار القِرْدان[٤] و قيل: صغار الجَراد[٥]. ﴿وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مبيّنات. لايشكل أنّها آيات الله و نقمته، أو منفصلات، بين كلّ آيتين منها مدّة لامتحان أحوالهم ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٣٧.
٢ـ النّساء (٤): ٧٨.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٥، الحديث: ٦٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ و ٥ـ الكشّاف ١: ٥٠٣؛ و البيضاوي ٣: ٢٤.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

قال: «لمّا سجد السّحرة و آمن به النّاس، قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السّنة الطّوفان، فخرّب دورهم و مساكنهم حتّى خرجوا إلى البرّيّة و ضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: أُدع ربّك حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى أُخلّي عن[1] بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطّوفان، و همّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل، فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى و أزال ملكك، فقبل منه و لم يخلّ عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّانية الجَرادَ، فجرّدت كلّ شيء كان لهم من النّبت و الشّجر، حتّى كادت[2] تجرّد شَعْرُهم و لحيتُهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً و قال: يا موسى أُدع ربّك أن يكفّ عنّا الجَراد حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل و أصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجَراد، فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّالثة القُمَّلَ، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففتُ عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القُمّل و قال: أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزّمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضّفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها تخرج من أدبارهم و آذانهم و آنافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى فقالوا: أُدع الله يذهب عنّا الضّفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلّوا عن

١ـ في «الف»: «من بني إسرائيل».
٢ـ في «الف» و «ج»: «كانت».

بني إسرائيل حولّ الله ماء النّيل دماً، فكان القبْطي يراه دماً و الإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً و إذا شربه القبْطي يشربه [1] دماً، فكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبّه في فمي، فكان إذا صبّه في فم القبطي يحول دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئن رفع عنّا الدّم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدّم غدروا و لم يخلّوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرّجز، و هو الثّلج، و لم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوه قبله، فـ "قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك، لئن كشفت عنّا" الرّجز "لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بني إسرائيل" فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام و خرج موسى من مصر، واجتمع إليه مَنْ كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل، فقد استجمعوا إليه؛ فجزع فرعون و بعث في المدائن حاشرين، و خرج في طلب موسى» [2].

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني: بني أسرائيل، كان يستضعفهم فرعون و قومه بالاستعباد و ذبح الأبناء. ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ يعني: أرض مصر و الشّام، ملَكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة و العَمالقة و تمكّنوا في نواحيها. ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالخِصْب و العيش ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: ومضت عليهم، و اتّصلت بالإنجاز عدته إيّاهم بالنّصر و التّمكين، و هي قوله عزّوجلّ: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا" إلى قوله: "مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" [3]. ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾: بسبب صبرهم على الشّدائد ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: و خرّبنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ

١ـ في المصدر: «كان دماً».
٢ـ القمّي ١: ٢٣٧ـ٢٣٨؛ و في مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٦٨ـ ٤٦٩ ما يقرب منه عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ القصص (٢٨): ٥ و ٦.

وَقَوْمُهُ﴾ من القصور و العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الجنّات، أو ما كانوا يرفعون من البنيان.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ بعد مهلك فرعون ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾: فمرّوا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾: يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾: صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يعبدونها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ﴾: مدمّر مكسّر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ يعني: إنّ الله يهدم دينهم الّذي هم عليه، و يحطّم أصنامهم هذه و يجعلها رُضاضاً ﴿وَبَاطِلٌ﴾: مضمحلّ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتها لا ينتفعون بها، و إن قصدوا بها التقرّب إلى الله عزّوجلّ.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: اطلب لكم معبوداً؟ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: و الحال أنّه خصّكم بنعم لم يعطها غيركم.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: و اذكروا صنيعه بكم في هذا الوقت ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يكلّفونكم شدّة العذاب ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. قد سبق تفسيرها في سورة البقرة.[1] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: كن خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ ما يجب أن يُصلَح من أُمورهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: و لا تطع من دعاك إلى الإفساد و لا تسلُك طريقته.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾: لوقتنا الّذي وقّتنا له وحدّدناه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من غير واسطة، كما يُكلّم الملائكة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى

١ـ في ذيل الآية: ٥١.

﴿ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ لمّا تجلّيت عليه ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر له عظمتُه و تعرّض له اقتدارُه و أمرُه ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: مدكوكاً مُفتّتاً[1] ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشياً عليه من هول ما رأىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ﴾ تعظيماً لما رأىٰ ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال: «لمّا كلّمه الله و قرّبه نجيّاً[2] رجع إلى قومه فأخبرهم بذلك، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعتَه، فاختار منهم سبعين، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح[3] الجبل و صعد إلى الطّور، و سأل الله أن يكلّمه و يُسمعَهم كلامَه. فكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام، لأنّ الله أحدثه في الشّجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الّذي سمعناه كلامُ الله، حتّى نرى الله جهرةً، فلمّا قالوا هذا القول العظيم، واستكبروا و عتوا، بعث الله عليهم صاعقةً، فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا؛ فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم و قالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك، فأحياهم وبعثهم معه؛ فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك؛ فتخبرنا كيف هو؟! ونعرفه حقّ معرفته؛ فقال: يا قوم، إنّ الله لايُرى بالأبصار ولا كيفيّة له، و إنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه؛ فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله؛ فقال موسى: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه: يا موسى سَلْني ما سألوك فلن أُؤاخذك

١ـ الدَّكُّ: الدقّ و الهَدْمُ. «القاموس المحيط ٣: ٣١١ـ دكّ» و الفَتّ: الدّقّ و الكسر بالاصابع و الشّقّ في الصّخرة. «القاموس المحيط ١: ١٥٩ـ فتّ». و «دكّاً» في الآية مصدرٌ بمعنى مفعول.

٢ـ قَرَّبَهُ نجيّاً اي: مناجياً و هو مصدر كالصّهيل و النّهيق يقع على الواحد و الجماعة. مجمع البحرين ١: ٤٠٨ (نجا).

٣ـ سَفْحُ الجَبَلِ: اسفله حيث يسفح فيه الماء. مجمع البحرين ٢: ٣٧٣ (سفح).

بجهلهم، فعند ذلك قال موسى: "رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ" و هو يهوي "فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ" بآية من آياته، "جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ" يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" منهم بأنّك لاتُرى»[1].

و في رواية: «فقال الله تبارك و تعالى: لن تراني في الدّنيا حتّى تموت فتراني في الآخرة، و لكن إن أردتَ أن تراني في الدّنيا "فَانْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ" الآية»[2]. و ورد: «لمّا صعد إلى الجبل فتحت أبواب السّماء و اقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العُمُد[3] وفي رأسها النّور، يمرّون به فوجاً بعد فوج، يقولون: يابن عمران أثبت فقد سألت أمراً عظيماً، قال: فلم يزل موسى واقفاً حتّى تجلّى ربّنا جلّ جلاله»[4]. وفي رواية: «إنّ الملائكة اُمرت أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق و الرّعد و الرّيح و الصّواعق، فكلّ ما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع[5] رأسه فيسأل أفيكم ربّي؟ فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يابن عمران»[6]. و في رواية: «إنّه لمّا سأل ربّه ما سأل، أمَرَ واحداً من الكروبيّين[7] فتجلّى للجبل و جعله دكّاً»[8].

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾: إخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أي: الّذين في زمانك ﴿بِرِسَالَاتِي﴾ يعني: أسفارَ التّوراة ﴿وَبِكَلَامِي﴾: وبتكليمي إيّاك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٠ـ٢٠١، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٢ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العُمُد ـ بضمّ العين و الميم و فتحهما ـ جمع العَمُود.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٦، الحديث: ٧٢، عن الصّادقين عليهما السّلام، و فيه: «فلمّا صعد موسىٰ على الجبل».
٥ـ في «الف» و «ج»: «فرفع».
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٧، الحديث: ٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكروبيّون ـ مخفّفة الرّاء ـ سادة الملائكة و المقرّبون منهم. مجمع البحرين ٢: ١٥٩ (كرب).
٨ـ السّرائر: ٤٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «رجلاً» بدل: «واحداً».

الرّسالة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. روي: «أنّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة و إعطاء التّوراة يوم النّحر»[1].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾. ورد: «أنزلها عليه و فيها تبيان كلّ شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم السّاعة. قال: و هي عندنا»[2]. و ورد: «إنّ الألواح كانت من زبرجدة من الجنّة»[3]. و في رواية: «كانت من زمرّد أخضر»[4]. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ و عزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها، كالصّبر و العفو بالإضافة إلى الانتقام و الاقتصاص، و هو مثل قوله تعالى: "واتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ"[5] و قوله: "فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ"[6] ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: منازل القرون الماضية المخالفة لأمر الله، الخارجة عن طاعة الله لتعتبروا.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالطّبع على قلوبهم، فلايتفكّرون فيها ولايعتبرون بها. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لانهماكهم في الهوى. ورد: «إذا عظّمت أمّتي الدّنيا نزعت عنها هيبة الإسلام و إذا تركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حرمت بركة الوحي»[7]. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ القمّي: إذا رأوا الإيمان و الصّدق والوفاء والعمل الصّالح لايتّخذوه سبيلاً، و إن يروا الشّرك و الزّنا و المعاصي يأخذوا بها و يعملوا بها[8]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

١ـ البيضاوي ٣: ٢٧.
٢و٣ـ العيّاشي ٢: ٢٨، الحديث: ٧٧؛ وبصائر الدّرجات: ١٤٠، الباب: ١١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب: ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و٦ـ الزّمر (٣٩): ٥٥ و ١٨.
٧ـ فيض القدير ١: ٤٠٤.
٨ـ القمّي ١: ٢٤٠.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: لاينتفعون بها ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ﴾: من بعد ذهابه للميقات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾: خالياً من الرّوح ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾: صوت البقر. قد سبق قصّة العجل في سورة البقرة[١]. و ورد: «إنّ فيما ناجىٰ موسىٰ ربّه[٢] أن قال: يا ربّ هذا السّامريّ صنع العجل؛ فالخوار من صنعه؟! فاوحى الله إليه: يا موسى إنّ تلك فتنتي فلا تفحّص عنها»[٣]. وفي رواية: «قال: يا ربّ، و مَنْ أخارَ الصنَمَ؟ فقال الله يا موسى أنا أخرته، فقال موسى: إن هي إلاّ فتنتك»[٤]. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: واضعين الأشياء غيرَ مواضعِها، فلم يكن اتّخاذ العجل بدعا منهم.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾. كناية عن اشتداد ندمهم، فإنّ النّادم المتحسّر يعضّ يَدَه غمّاً، فتصير يده مسقوطاً فيها. ﴿وَرَأَوْا﴾: و علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ باتّخاذ العجل ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾: شديد الغضب، او حزيناً ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾ حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؟ يقال: عَجِلَ عن الأمر: إذا تركه غيرَ تامّ، و أعْجَلَه عنه غيره، و يُضَمَّن معنى سَبَقَ فيقال: عَجِلَ الامر. و المعنى: اتركتم أمر ربّكم غير تامّ؟ والأمر: انتظار موسى حافظين لعهده ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: طرحها من شدّة الغضب لله، و فرط الضّجر حميّةً للدّين. ورد:

١ ـ في ذيل الآية: ٥١.
٢ ـ في «ب»: «ناجىٰ ربّه موسى» و في المصدر: «ناجى اللهَ موسى».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٩، الحديث: ٨٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ المصدر الحديث: ٧٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

«إنّ منها ما تكسّرَ و منها ما بقي و منها ما ارتفع»[١].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾. قال: «و ذلك لأنّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى، و كان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب»[٢]. ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾. قال: «ولم يقل: يابن أبي، لأنّ بني الأب إذا كانت أُمّهاتهم شتّىٰ لم تستبعد العداوة بينهم إلاّ من عصمه الله منهم، و إنّما تستبعد العدواة بين بني أُمٍّ واحدة»[٣]. و ورد: «إنّه كان أخاه لأبيه وأُمّه»[٤]. قيل: و كان أكبر من موسى بثلاث سنين و كان حَمُولاً[٥] ليناً، و لذلك كان أحبَّ إلى بني إسرائيل.[٦] ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾: قهروني و اتّخذوني ضعيفاً، ولم آلُ جُهداً في كفّهم بالإنذار و الوعظ. ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾: و قاربوا قتلي لشدّة إنكاري عليهم ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: معدوداً في عدادهم بالمَوْجدة عليّ[٧] و نسبة التّقصير إليّ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قيل: هو ما أُمروا به من قتل انفسهم و خروجهم من ديارهم و الجزية.[٨] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. افتراؤهم قولهم: "هذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسىٰ".[٩] ورد: «إنّه تلا هذه الآية، فقال: فلا ترى صاحبَ بدعة إلاّ ذليلاً، و لا مفترياً على الله و على رسوله و أهل بيته

١ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب: ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ و ٣ـ علل الشّرايع ١: ٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٢٧، ذيل الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ حَمَلَ عنه: حَلُمَ فهو حَمُولٌ: ذوحِلْمٍ. القاموس المحيط ٣: ٣٧٢ (حمل).
٦ـ البيضاوي ٣: ٢٨.
٧ـ وَجَدَ عليه ـ يَجِدُ وَجْداً وجِدَةً و مَوْجِدَةً ـ غضب. «القاموس المحيط ١: ٣٥٦ـ وجد». و في «ب»: «بالمؤاخذة عليّ».
٨ـ البيضاوي ٣: ٢٨؛ و الكشّاف ٢: ١١٩.
٩ـ طه (٢٠): ٨٨.

صلّى الله عليهم إلّا ذليلاً»[١].

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾: و عملوا بمقتضى الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد التّوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾. عبّر عن سكون الغضب بالسكوت تنبيهاً على أنّ الغضب كان هو الحامل له على ما فعل، والآمر له به، و المُغْري عليه، و هذا من البلاغة في الكلام. ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التّي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى﴾: بيان و دلالة لما يحتاج إليه من أمر الدّين ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: نعمة و منفعة ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ المعاصي.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾: من قومه؛ من باب الحذف و الإيصال. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾. سبقت قصّتهم[٢]. ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾. تمنّىٰ هلاكهم و هلاكه قبل أن يرىٰ ما رأىٰ. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾؟ من التّجاسر على طلب الرّؤية.

ورد: «إنّ السّبعين لمّا صاروا معه إلى الجبل قالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته؛ فقال: إنّي لم أره؛ فقالوا: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً"[٣]، فأخذتهم الصّاعقة و احترقوا عن آخرهم و بقي موسى وحيداً؛ فقال: يا ربّ اخترتُ سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئتُ بهم و أرجع وحدي، فكيف يصدّقني قومي بما أخبرتهم به؟ فـ"لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيّايَ أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا"؟ فأحياهم الله بعد موتهم»[٤]. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتّى طمعوا في الرّؤية. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾: القائم بأمرنا

١ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في ذيل الآية: ١٤٣ من نفس السّورة.
٣ـ البقرة(٢): ٥٥.
٤ـ التّوحيد: ٤٢٤، الباب: ٦٥، ذيل الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ تغفر السيّئة و تبدلها بالحسنة.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: حُسْنَ معيشةٍ وتوفيقَ طاعةٍ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: الجنة ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك؛ من هاد يهود: إذا رجَعَ. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدّنيا؛ فما من مسلم و لا كافر و لا مطيع و لا عاص إلاّ و هو متقلّب في نعمتي، أو في الدّنيا و الآخرة، إلاّ أنّ قوماً لم يدخلوها لضلالهم. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: فسأثبتها و أُوجبها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشّرك و المعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾. قال: «الرّسول: الّذي يظهر له المَلَكُ فيكلّمه، والنّبيّ: هو الّذي يرى في منامه، و ربّما اجتمعت النّبوّة و الرّسالة لواحد»[1]. ﴿الْأُمِّيَّ﴾ قال: «المنسوب إلى أمّ القرى و هي مكّة»[2] ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ قال: «يعني: اليهودَ و النّصارى»[3]. ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ قال: «صفة محمّد واسمه»[4]. ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾.

قال: «لمّا أُنزلت التّوراة على موسى بشّر بمحمّد ﷺ فلم تزل الأنبياء تبشّر به حتّى بعث الله المسيح فبشّر به»[5]. و ورد: «إنّ يهودياً قال له: إنّي قرأت نعتك في التّوراة محمّدبن عبدالله، مولده بمكّة و مهاجره بطيبة، ليس بفظّ و لاغليظ و لاسَخّاب،[6] ولامُتَرَنِّن[7] بالفحش و لا قول الخَنا، و أنا أشهد أن لاإله إلاّالله و أنّك رسول الله؛ هذا

١ـ الكافي ١: ١٧٧، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ و ٤ـ العيّاشي ٢: ٣١، الحديث: ٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث: ٩٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ السَّخّاب صيغة مبالغة من السَّخَب و هو شدّة الصّوت، من تساخب القوم: إذا تصايحوا و تضاربوا مجمع البحرين ٢: ٨١ (سخب).
٧ـ المُتَرَنِّن ـ بنونين ـ من الرَّنّة ـ بالفتح و التّشديد ـ: الصّوت. والخَنا ـ مقصور ـ: الفحش من القول. مجمع البحرين ٦: ٢٥٨ (رنن).

مالي فاحكم فيه بما أنزل الله»[١]. ﴿وَالْإِنجِيلِ﴾. قال: «هو قول الله عزّوجلّ يخبر عن عيسى: "وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"»[٢]. ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: و يخفّف عنهم ما كُلّفوا به من التّكاليف الشّاقّة. وأصل الأصْر: الثِقْل.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾: و عظّموه بالتّقوية و الذّبّ عنه. وأصل التّعزير: المنع. ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ قيل: هو القرآن[٣]. وورد: «النّور في هذا الموضع عليّ و الائمّة عليهم السّلام»[٤]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾: ما أُنزِلَ عليه و على مَنْ تقدّمه من الرّسل ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى العلم اللّدنّي الموصل إلى محبّة الله و ولايته، فإنّه لايحصل إلّا بالإيمان و اتّباع النّبيّ ﷺ و مَنْ أمرَ النّبيُّ باتّباعه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ بينهم. قال: «هم أهل الإسلام»[٥]. و في رواية: «إنّ هذه الأمّة قوم من وراء الصّين لم يغيّروا و لم يبدّلوا ليس لأحدهم مال دون صاحبه، يُمْطَرُون باللّيل و يُضْحَوْن بالنّهار و يَزْرَعُون، لا يصل إليهم منّا أحدٌ و لا منهم إلينا، و هم على الحقّ»[٦]. و في أُخرى: «إنّهم يخرجون مع قائم آل

١ ـ امالي (الصّدوق): ٣٧٦، المجلس الحادي والسبعون، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين ؏.
٢ ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث: ٩٢، عن أبي جعفر ؏. و الآية في الصفّ (٦١): ٦.
٣ ـ البيضاوي ٣: ٣٠؛ و الكشّاف ٢: ١٢٢.
٤ ـ الكافي ١: ١٩٤، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ؏، وفيه: «عليّ أمير المؤمنين».
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٢، الحديث: ٨٩، عن أبي عبدالله ؏.
٦ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٨٩، عن أبي جعفر ؏.

محمّد عليهم السّلام»[1].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾: و صيّرناهم قطعاً متميّزاً بعضهم عن بعض؛ والأسباط: وُلْدُ الأولاد، وهم في وُلْد يعقوب بمنزلة القبائل في أولاد إسماعيل.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التّيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ أي: فضرب فانبجست؛ و في حذفه إشارة إلى أنّه لم يتوقّف في الامتثال. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: كلّ سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ ليقيهم حرّ الشّمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾. سبق تفسير هذه الآيات في سورة البقرة[2].

﴿وَسْأَلْهُمْ﴾: و اسأل اليهود؛ سؤال تقريع بقديم كفرهم و تجاوزهم حدود الله ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾: عن خبرها و ما وقع بأهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: قريبة منه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله تعالى بالصّيد يوم السّبت و قد نُهوا عنه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: يوم تعظيمهم أمْر السّبْت، مصدر سَبَتَت اليهودُ إذا عظّمَتْ سبتها، بالتّجرّد للعبادة ﴿شُرَّعًا﴾: ظاهرةً على وجه الماء؛ من شَرَعَ عليه: إذا دنا منه و أشرف. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٨٩، مرويّاً عن أصحابنا.

٢ـ في ذيل الآية: ٥٩.

ورد: «إنّهم توصّلوا إلى حيلة ليُحلّوا بها ما حرّم الله؛ فخدّوا أخاديد[1] تؤدّي إلى حِياض يتهيّأ للحيتان الدّخول فيها من تلك الأخاديد و لايتهيّأ لها الخروج، فجاءت يوم السّبت جاريةً على أمان لها فدخلتِ الأخاديدَ و حَصَلَت[2] في الحِياض و الغُدْران[3]، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرّجوع منها إلى اللُّجج[4] لتأمن من صائدها[5] فلم تقدر، وبقيت ليلها[6] في مكان يتهيّأ أخذها بلا اصطياد، و كانوا يأخذونها يوم الأحَد و يقولون: ما اصطَدْنا في السّبت إنّما اصطدنا في الأحد؛ و كذب أعداء الله، بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم الّتي عملوها يوم السّبت»[7].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: جماعة من أهل القرية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك استيصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لتماديهم في العصيان ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ يعني: موعظتنا لإنهاءِ[8] عذرٍ إلى الله، حتّى لاينسب إلى تفريط في النّهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إذ اليأس لايحصل إلّا بالهلاك.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ترك النّاسي ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: ما ذكّرهم به الواعظون ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ أخاديدَ جمع أُخْدود: شقّ في الارض مستطيل. و خَدَّ الارضَ: شَقَّها. مجمع البحرين ٣: ٤٢ (خدد).

٢ـ حَصَلَ الشّيء: ثَبَتَ و بقي. و الحاصل من كلّ شيءٍ: ما بقي و ثَبَتَ. القاموس المحيط ٣: ٣٦٨ (حصل).

٣ـ الغُدْران جمع الغَدير: القطعة من الماء يغادرها السّيل أي: يتركها. القاموس المحيط ٢: ١٠٣ (غدر).

٤ـ اللُّجَجُ: جمع اللُّجّ: معظم الماء. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (لجج).

٥ـ في المصدر و نسخة «الف»: «لتأمن صائدها».

٦ـ في المصدر: «و أبقيت ليلتها».

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٨ـ ٢٦٩.

٨ـ انهى الرّجلُ الشّيء إنهاءً: ابلغه. القاموس المحيط ٤: ٤٠٠ (نها).

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبّروا ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾. قال: «عن قبول الزّجر عمّا نُهوا عنه»[١]. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «مُبعَّدين عن الخير»[٢].

ورد: «إنّ الواعظين خرجوا من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء؛ فنزلوا قريباً منها، فلمّا أصبحوا غدَوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مُصْمَتٌ، فدقّوه فلم يُجابوا و لم يَسْمَعُوا منها حِسَّ أحدٍ، فوضعوا سُلّماً على سُورِ المدينة، ثمّ أصعدوا رجلاً منهم، فأشرف على المدينة، فنظر فإذاً هو بالقوم قردةً يَتَعاوَوْن[٣]، لها أذناب؛ فكسروا الباب ودخلوا المدينة، قال فَعَرَفَت القردةُ أنسابَها من الإنس، ولم يَعْرِف الإنسُ أنسابَها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهاكم؟»[٤].

و ورد: «كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا و أمَرُوا فنجَوا، و صنف ائتمروا ولم يأمُروا فمسخوا ذرّاً، و صنف لم يأتمروا و لم يأمروا فهلكوا»[٥].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلَمَ[٦]؛ تفَعّل من الإيذان، معناه عزَمَ، فإنّ العازم على الأمر يُؤْذِنُ نَفْسَه به ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: ليُسلّطنّ على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾: يكلّفهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالقتل و الإذلال و ضربِ الجزية. قيل: بعث الله عليهم بعد سليمان بخت النّصر، فخرّب ديارهم وقتل مقاتليهم و سبي نسائهم و ذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم، و كانوا يُؤدُّونَها إلى المجوس، حتّى بعث الله محمّداً ﷺ ففعل ما فعل، و ضرب عليهم الجزية، فلا تزال مضروبةً إلى آخر الدّهر. وفي

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٣ـ العُواء: صوت السِّباع و كأنّه بالذّئب و الكلب اخصّ. يُقال: عوىٰ يَعْوِي عُواءً. النّهاية ٤: ٣٢٤ (عوا).

٤ـ العيّاشي ٢: ٣٣ـ٣٤، الحديث: ٩٣، عن ابي جعفر عليه السلام؛ و القمّي ١: ٢٤٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٥ـ الكافي ٨: ١٥٨، الحديث: ١٥١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٦ـ في «ب»: «تأذّن: تفعّل».

رواية: «إنّ المَعْنيّ بهم أُمّةُ محمّد ﷺ»[١]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ عاقبهم في الدّنيا ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب و آمن.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾: و فرّقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو بلد من فرْقَةٍ منهم. ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ اي: منحطّون عن الصلاح ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾: بالنِّعَمِ و النِّقَمِ و المِنَحِ و المِحَنِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتنبهون[٢] فينيبون.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: بدل سَوْءٍ؛ و هو بالتّسكين شايع في الشرّ، وبالتّحريك في الخير، والمراد به: الّذين كانوا في عصر النّبيّ ﷺ ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾: التّوراة من أسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾: حُطامَ هذا الشّيء الأدنىٰ، يعني: الدّنيا. قيل: هو ما كانوا يأخذون من الرّشا في الحُكم، و على تحريف الكَلِمِ للتّسهيل على العامّة.[٣] ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا يؤاخذُنا اللهُ بذلك و يتجاوز عنه. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ اي: يرجون المغفرة، و هم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين عنه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾؟ يعني: الميثاق في التّوارة بأن لايكذبوا على الله و لايُضيفوا إليه إلاّ ما أنزله. ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: و قرؤوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك.

ورد: «إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتّى يعلموا، و لا يردّوا مالم يعلموا، قال عزّوجلّ: "ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ" و قال: "بَلْ كَذَّبوا بِما لَمْ يُحيطُوا بعلْمِه"»[٤]. ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «ب»: «يتنبّهون».
٣ـ الكشّاف ٢: ١٢٨.
٤ـ الكافي ١: ٤٣، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. و الآية الثانية في يونس (١٠): ٣٩.

﴿يَتَّقُونَ﴾ محارمَ الله ممّا[1] يأخذ هؤلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيعلمون ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و أشياعهم»[2].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: قلعناه و رفعناه؛ و أصلُه: الجَذْبُ. ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: سقيفة، و هي كلّ ما أظَلَّ. ﴿وَظَنُّوا﴾: و تيقّنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم، لأنّ الجبل لايَثْبُتُ في الجوّ، و لأنّهم كانوا يوعدون به. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: «بعزم من قلوبكم و أبدانكم». كذا ورد[3]. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. قال: «لمّا نزل التّوراة لم يَقبَلُوه، فرفع الله عليهم طور سَيْنَاء، فقال لهم موسى: إن لم تَقْبَلُوا وقع عليكم الجبل، فقبلوه و طاطؤا رؤوسهم»[4].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أخرج من أصلابهم نسلَهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، يعني: نَثَرَ حقايقَهم بين يدي علمه فاستنطق الحقايقَ بالسنة قابليّات جواهرِها و ألسُن استعدادت ذواتها. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ اي: و نصب لهم دلائل ربوبيّته، و ركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتّى صاروا بمنزلة الإشهاد؛ على طريقة التّمثيل، نظير ذلك قوله عزّوجلّ: "إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[5] و قوله جلّ و علا: "فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ"[6].

١ـ في «ب»: «بما يأخذ».
٢ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٣٧، الحديث: ١٠١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ النّحل (١٦): ٤٠.
٦ـ فصّلت (٤١): ١١.

ورد: «اخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ، فعرّفهم نفسه وأراهم صُنْعَه، و لولا ذلك لم يَعْرِفْ أحدٌ ربَّه»[1]. و في رواية: سُئِلَ: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ فقال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»[2]. و في أُخرى: سُئِلَ: مُعايَنَةً كان هذا؟ قال: «نعم، فثبتت المعرفة و نسوا الموقف و سيذكرونه، و لولا ذلك لم يَدْرِ أحدٌ مَنْ خالقُه و رازقُه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذّرّ و لم يؤمن بقلبه، فقال الله: "فَما كانُوا لِيُؤمِنُوا بِما كَذَّبوا به مِنْ قَبْلُ"»[3].

و ورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الخلق نَثَرَهُم بين يديه، فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ﷺ و امير المؤمنين و الائمّة عليهم السّلام، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلمَ والدّينَ، ثمّ قال للملائكة[4]: هؤلاء حملة ديني و علمي و أُمنائي في خلقي، و هم المسؤولون؛ ثمّ قال لبني آدم: أقِرُّوا للّه بالرّبوبيّة، و لهؤلاء النّفر بالولاية والطّاعة؛ فقالوا: نعم ربّنا أقررنا. فقال الله للملائكة: أشْهدُوا، فقال الملائكة: شَهِدْنا»[5].

﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «على ان لا تقولوا غداً»[6]. ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ يعني: آباءهم المؤسّسين أساس الشّرك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن التّقليد و اتّباع الباطل.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ هو بَلْعَمُ بنُ باعُورا من بني إسرائيل أُوتي علمَ بعضِ كتب الله. قال: «الأصل فيه بَلْعَمُ، ثمّ ضربه الله مثلاً لكلّ مُؤْثِرٍ هواه على

١ـ التّوحيد: ٣٣٠، الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٢: ١٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في يونس (١٠): ٧٤.
٤ـ في «الف»: «الملائكه».
٥و٦ـ الكافي ١: ١٣٣، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

هدى الله من أهل القبلة»[١]. ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ بأن كفر بها و نبذها وراءظهره ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: فلحقه الشّيطان و أدركه و صار قريناً له ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: من الضّالّين.

قال: «أُعطِيَ بَلْعَمُ بنُ باعورا الاسمَ الأعظمَ و كان يدعو به فيستجيب له[٢]، فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب[٣] موسى و أصحابه، قال فرعون لِبَلْعَم: أُدعُ الله على موسى و أصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى، فامتنعت عليه حمارتُه فاقبل يضربها، فأنطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني، أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله و قوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، و هو قوله: "فَانْسَلَخَ مِنْها"»[٤].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ بتلك الآيات و ملازمتها إلى منازل الأبرار من العلماء ﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: مال إلى الدّنيا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إيثار الدّنيا و استرضاء قومه، و أعرض عن مقتضى الآيات فحططناه. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ في أخسّ أحواله ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطّرد و الزجر؛ من الحمْلة ﴿يَلْهَثْ﴾: يخرج لسانه بالتّنفّس الشّديد ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾: دائم اللّهث، بخلاف ساير الحيوان، فإنّه إذا هُيّج و حُرّكَ لَهثَ و إلّا لم يَلْهثْ. والمعنى: إنْ وعظته فهو ضالّ، و إن لم تَعظْهُ فهو ضالّ. ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ المذكورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيتّعظون و يحذرون[٥] مثل عاقبته.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾: مَثَلُ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في المصدر: «فيستجاب له».
٣ـ في «الف»: «إلىٰ طلب موسى».
٤ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٥ـ في «الف» و«ج»: «فيحذرون».

لا غيرهم.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾. الإفراد فيه لاعتبار اللّفظ، والجمع في نظيره [١] لاعتبار المعنى؛ تنبيه على أنّ المهتدين كواحدٍ لاتّحاد طريقهم بخلاف الضالّين. ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قال: «طبع الله عليها فلا تعقل» [٢]. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ قال: «عليها غطاء عن الهدى» [٣]. ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ قال: «جعل في آذانهم وقراً فلم يسمعوا الهدى» [٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الفقه و الإبصار للاعتبار، و الاستماع للتّدبّر، وفي أنّ مشاعرهم و قواهم متوجّهةٌ إلى أسباب التّعيّش، مقصورةٌ عليها ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإنّها تُدرِكُ ما يمكن لها أن تُدرِكَ من المنافع و المضارّ، و تجتهد في جذبها و دفعها غاية جهدها، و هم ليسوا كذلك، بل أكثرهم يعلم أنّه معاند فيقدم على النّار. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة. ورد: «إنّ الله ركّبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوةٍ، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقلٍ، و ركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غَلَبَ عقلُه شهوتَه فهو خير من الملائكة، و من غلب شهوتُه عقلَه فهو شرّ من البهائم» [٥].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الّتي هي أحسن الأسماء، لتضمّنها معانيَ هي أحسن المعاني ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: فَسَمُّوهُ بتلك الأسماء. سُئِلَ: عن الاسم، فقال: «صفة لموصوفٍ» [٦]. و في رواية: «إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله؛ و هو قول الله: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"» [٧].

١ـ المراد بنظيره هو قوله تعالى: «وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».
٢، ٣و٤ـ القمّي ١: ٢٤٩، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «فَلَنْ يَسْمَعُوا الْهُدىٰ».
٥ـ علل الشّرايع ١: ٤، الباب: ٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله، عن امير المؤمنين عليهما السّلام.
٦ـ الكافي ١: ١١٣، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٤٢، الحديث: ١١٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يعدلون بها عمّا هي عليه، فيُسَمُّون بها أصنامَهم أو يصفون اللهَ بما لايليق به، و يُسَمُّونَه بما لايجوز تسميتُه به. قال: «و له الأسماء الحسنى الّتي لايسمّى بها غيره، و هي الّتي وصفها في الكتاب، فقال: "فادعوه بها و ذروا الّذين يلحدون في أسمائه" جهلاً بغير علم، فالّذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، و يكفر به و هو يظنّ أنّه يحسن، و لذلك قال: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ"[1] فهم الّذين يلحدون في اسمائه بغير علم فيضعونها غيرَ مواضعها»[2]. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: «هم الأئمّة»[3]. و في رواية علويّة: «والّذي نفسي بيده لتفترقنّ هذه الأُمّةُ على ثلاثٍ و سبعينَ فِرْقَةً، كلُّها في النّار إلاّ فِرْقَة "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا" الآية؛ فهذه الّتي تنجو من هذه الأُمّة»[4]. و في أُخرى نبويّة: «هذه لكم و قد أُعْطِيَ قومُ موسى مثلَها»[5]. و ورد: «إنَّ من أُمّتي قوماً على الحقّ حتّى ينزلَ عيسى بن مريم»[6].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سَنَسْتَدْنِيهِم[7] قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتّى يقعوا فيه بغتةً؛ و أصل الاستدراج: الاستصعاد، أو الاستنزال درجةً بعد درجةً.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يُراد بهم، و ذلك ان يتواتر عليهم النِّعَمُ فيظنّوا أنّه لطف من الله بهم، فيزدادوا بَطَراً و انهماكاً في الغيّ حتّى يحقَّ عليهم كلمةُ العذاب. قال: «هو العبد يذنب الذنب فتُجَدَّدُ له النّعمةُ، تُلهيه تلك النّعمة عن الاستغفار عن ذلك

١ ـ يوسف (١٢): ١٠٦.
٢ـ التّوحيد: ٣٢٤، الباب: ٥٠، ذيل الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٢، عن امير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «لتفرقنّ».
٥و٦ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥٠٣.
٧ـ في «الف» و «ب»: «سنستدينهم».

الذّنب»[1]. و في رواية: «إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار، و إذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب ذنباً، أتبعه بنعمة لينْسيه الاستغفار و يتمادىٰ بها، و هو قول الله عزّوجلّ: "سنستدرجهم من حيث لايعلمون" بالنّعم عند المعاصي»[2].

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾: و أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ لايُدفع بشيء؛ إنّما سمّاه كيداً لأنّ ظاهره إحسانٌ و باطنه خذلانٌ.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم ﴾ يعني: محمّداً ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ اي: جنون. روي: «أنّها نزلت حين حذّرهم بأس الله، فنسبوه إلى الجنون»[3]. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا ﴾ نظر اعتبار ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: في باطنهما وأرواحهما ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ ممّا يقع عليه اسمُ الشّيء من أجناس خلقه الّتي لايمكن حصرها، لتدلّهم على كمال قدرة صانعها و وحدة مُبدعها و عظم شأن مالكها ومتولّي أمرها، ليظهر لهم صحّةُ ما يدعوهم إليه. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ﴾: و أنّه عسىٰ ﴿أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني: و اقتراب آجالهم و توقّع حلولها، فيسارعوا إلى طلب الحقّ والتّوجّه إلى ما يُنْجيهم، قبل مُغافَصَة[4] الموت و نزول العذاب. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به. و المعنى: و لعلّ أجلَهُم قد اقترب فما بالهم لايبادرون الإيمان بالقرآن، و ماذا ينتظرون بعد وضوحه؟! فإن لم يؤمنوا به فبأيّ حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ القمّي: يكله إلى

١ـ الكافي ٢: ٤٥٢، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الدرّ المنثور ٣: ٦١٨؛ و البيضاوي ٣: ٣٦، عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ غافصه: فاجاه و أخذه على غرة. القاموس المحيط ٢: ٣٢٢ (غفص).

نفسه[1].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: القيامة و هي من الأسماء الغالبة. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟: متى إرساؤها؟ أي: إثباتها و استقرارها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ استأثر به، لم يُطْلِعْ عليه ملكاً مقرّباً و لا نبيّاً مرسلاً ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾: لايظهرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعني: أنّ الخفاء بها مستمرّ على غيره إلى وقت وقوعها؛ واللّام للتّوقيت. ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: عظمت على أهلها من الملائكة و الثّقلين لهولها وشدّتها. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فَجأةً على غفلة. روي: «انّ السّاعة تَهيج بالنّاس والرّجلُ يُصلِح حوضَه، و الرّجل يَسقي ماشيته، و الرّجل يقوّم سِلْعَتَه في سوقه، والرّجل يَخْفَضُ ميزانَه و يرفعُه»[2].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ قيل: أي: عالم بها، و أصله: كأنّك أحفيت بالسّؤال حتّى علمتَها، اي: استقصيتَ و ألحفْتَ.[3] ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأنّه من علم الغيب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّه المختصّ بالعلم بها. القمّي: إنّ قريشاً بعثت قوماً إلى نَجْران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل يسالونها رسولَ الله ﷺ، و كان فيها: سَلُوا محمّداً ـ ﷺ ـ متى تقوم السّاعة؟ فإن ادّعى علمَ ذلك فهو كاذب، فإنّ قيام السّاعة لم يُطْلِعِ اللهُ عليه ملَكاً مقرّباً و لا نبيّاً مرسلاً. فلمّا سالوه نزلت[4].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: جلْبَ نفعٍ و لا دَفْعَ ضررٍ، و هو إظهار للعبوديّة، و التّبرّي عن ادّعاء العلم بالغيوب. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من ذلك، فيُلْهِمُني إيّاه ويوفّقني له ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ قال:

١ـ القمّي ١: ٢٤٩.
٢و٣ـ جوامع الجامع ١: ٤٨٧.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٩.

«يعني الفقر»[١]. القمّي: كنت أختار لنفسي الصحّة و السّلامة.[٢] ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من فضل طينها ﴿زَوْجَهَا﴾: حوّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنس بها و يطمئنّ إليها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: خفّ عليها ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي: استمرّت بالحمل ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾: صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾: ولداً سويّاً بريئاً من الآفة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال: «هما آدم وحوّاء، و إنّما كان شركُهما شركَ طاعةٍ و ليس شركَ عبادة»[٣]. وفي رواية: «جعل صنفا الذّكر و الأنثى من أولادهما لله سبحانه شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّوجلّ. قال الله تعالى: "فتعالى الله عمّا يشركون"»[٤].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني الأصنام.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾.

الخطاب إمّا للمسلمين و«هم» ضمير المشركين، و إمّا للمشركين و«هم» ضمير الشّركاء[٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: تعبدونهم و تسمّونهم آلهة من دونه سبحانه

١ـ معاني الأخبار: ١٧٢، باب معنى السّوء، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٥٠.
٣ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٥ـ فالمعنى على الأوّل: إن تدعوا المشركين إلى الإسلام لايجيبوكم، و على الثّاني: إن تدعوا الأصنام إلى أن يهدوكم لايتّبعوكم إلى مرادكم و لايجيبوكم كما يجيبكم الله «منه في الصّافي ٢: ٢٦٠».

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: مملوكون مسخّرون ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ في مهمّاتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّهم آلهة.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي أنتم و شركاؤكم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: فلا تُمهِلوني، فإنّي لاأُبالي بكم لوثوقي على ولاية الله و حفظه.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾: ناصري و حافظي ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: ينصرهم و يحفظهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يُشبِهُونَ النّاظرين إليك، لأنّهم صوّروا[1] بصورة مَنْ ينظر إلى مَنْ يواجهه. ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: خذ ما عفا لك من أفعال النّاس و أخلاقهم و ما يأتي منهم من غير كُلْفَة و تَسهُّلٍ، و لاتطلب ما يشقّ عليهم و لاتُداقّهم، واقبَلِ المَيْسورَ منهم؛ و نحوُهُ: «يَسِّرُوا و لاتُعَسِّرُوا»[2]؛ من العفو الّذي هو ضدّ الجَهْد.

قال: «إنّ الله أدّب رسوله ﷺ بذلك، أي: خُذْ منهم ما ظهر و ما تيسّر، قال: والعَفْوُ: الوَسَطُ»[3].

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف الجميل من الأفعال و الحميد من الأخلاق ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: و لا تُمارِ السّفهاءَ و لاتُكافِهِمْ بمثل سَفَهِهِم.

روي: «لمّا نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبرئيلَ عن ذلك. فقال: لاأدري

١ـ اي: صوّروا اصنامَهم.

٢ـ جوامع الجامع ١: ٤٩١. مرويّاً عن المعصوم ﷺ.

٣ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

حتّى أسال العالمَ؛ ثمّ أتاه فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تعفُوَ عمّن ظلَمكَ، وتُعطيَ من حرَمَكَ، و تَصلَ من قَطعَك»[1]. و في رواية: «أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آيةٌ أجمعُ لمكارم الأخلاق منها»[2]. و في أُخرى: «إنّ الله أمره بمداراة النّاس»[3].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: يَنْخسَنَّكَ منه نَخْسٌ في القلب يوسوسك على خلاف ما أُمِرْتَ به، كاعتراء غضب؛ شبّهَ وسوسته للنّاس إغراءً لهم على المعاصي وإزعاجاً بغَرْزِ السّايقِ ما يسُوقُه. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. روي: لمّا نزلت الآية السّابقة قال النّبيّ ﷺ: «كيف يا ربّ و الغضب»[4]. فنزلت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾: لَمَّةٌ منه، كأنّها طافت بهم ودارت حولهم و لم تقدر أن تؤثّر فيهم ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما أمر الله به و نهىٰ عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ مَواقعَ الخطأ و مكائدَ الشّيطان، فيتحرّزون عنها. قال: «هو العبد يهمّ بالذّنب ثمّ يتذكّر فيمسك»[5].

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: و إخوانُ الشّياطين، يعني: الّذين لم يتّقوا ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ بالتّزيين و الحمل عليه ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لايُمْسِكُون عن إغوائهم حتّى يُصِرّوا ولايرجعُوا فيهلكُوا.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾: هلاّ جمعتها تقوّلاً من عند نفسك كساير ما تقرأ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ﴾ للقلوب، بها تبصر الحقّ ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥١٢.
٢ـ جوامع الجامع ١: ٤٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٥٦، الباب: ٢٦، الحديث: ٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥١٢.
٥ـ الكافي ٢: ٤٣٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قيل: نزلت في الصّلاة، كانوا يتكلّمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام و الإنصات له[١]. و ورد: «إن كنتَ خلف إمام فلا تقرأنّ شيئاً في الاولتين و أنصت لقراءته و لاتقرأنّ شيئاً في الأخيرتين، فإنّ الله عزّوجلّ يقول للمؤمنين: "وَ إذا قُرِئَ الْقُرْآنُ" يعني في الفريضة خلف الإمام "فَاسْتَمِعُوا لَهُ" الآية و الأخيرتان تبعٌ للأولتين»[٢]. و في رواية: «يجب الإنصات للقرآن في الصّلاة و في غيرها، و إذا قُرئ عندك القرآنُ وجب عليك الإنصات و الاستماع»[٣].

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾. عامّ في كلّ ذكر ﴿تَضَرُّعًا﴾ قال: «يعني مستكيناً»[٤]. ﴿وَخِيفَةً﴾ قال: «يعني خوفاً من عذابه»[٥]. ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: «يعني من القراءة»[٦]. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ قال: «يعني بالغداة و العشيّ»[٧].

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله اللاهين عنه. قيل: لأنّ الذكر في النّفس ودون الجهر، الّذين يعبّر عنهما بالسّرّ، أدخلُ في الإخلاص و أبعدُ من الرّياء وأقربُ إلى القبول.[٨] و ورد: «لايكتبُ الملَكُ إلّا ما يَسْمَعُ، و قال الله عزّوجلّ: و "اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفةً" فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرّجل غيرُالله لعظمته»[٩]. و في رواية: «قال الله من ذكرني سرّاً ذكرته علانيةً»[١٠]. و في رواية علويّة[١١]: «من ذكر الله في السّرّ فقد ذَكَرَ الله كثيراً إنّ المنافقين كانوا يذكرون

١ـ البيضاوي ٣: ٤٠.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٥٦، الحديث: ١١٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٤٤، الحديث: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ إلى ٧ـ المصدر، الحديث: ١٣٥، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ راجع: جوامع الجامع ١: ٤٩٣.
٩ـ الكافي ٢: ٥٠٢، الحديث: ٤، عن احدهما عليهما السلام.
١٠ـ المصدر، ٥٠١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ ـ في «ب» و «ج»: «وفي أُخرى».

الله علانيةً و لايذكرونه في السرّ، فقال الله تعالى: "يُراؤُنَ النّاسَ وَلايَذْكُرُون الله إلاّ قَليلاً"»[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ القمّي: يعني الانبياء و الرّسل و الائمّة عليهم السّلام[2]. وقيل: الملائكة[3]. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: و ينزّهونه ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: و يخصّونه بالعبادة و التّذلّل، لايشركون به غيرَه. هنا أوّل سَجَدات القرآن. ورد: «إذا قرأ ابن آدم السّجدةَ، فسجد اعتزل الشّيطان يبكي و يقول: يا ويله أُمِرَ هذا بالسّجود فَسَجَدَ فله الجنّة، و أُمِرْتُ بالسّجود فعصيتُ فلي النّارُ»[4].



١ـ الكافي ٢: ١:٥٠١، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و الآية في النّساء: ١٤٢.
٢ـ القمّي ١: ٢٥٤.
٣ـ الكشّاف ٢: ١٤٠؛ و البيضاوي ٣: ٤٠.
٤ـ البيضاوي ٣: ٤٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

سورة الأنفال

[مدنيّة إلّا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكيّة. و آياتها ٧٥، نزلت بعد البقرة][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾: عن حكمها، و هي غنائم خاصّة، و النَّفْلُ: الزّيادة على الشّيء، سمّيت به الغنيمة لأنّها عطيّة من الله و فضل، و في قراءتهم عليهم السّلام: «يسألونك الأنفال»[2] يعني أن تعطيهم. ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾: مختصّة بهما، يضعانها حيث شاءا. قال: «الأنفال كلّ ما أُخِذَ من دار الحرب بغير قتال، و كلّ أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال أيضاً، والأرَضُونَ الموات و الآجام و بطون الأودية و قطائعُ الملوك و ميراث من لا وارث له؛ و هي لِلّه و لرسوله و لمن قام مقامَه بعدَه»[3]. و في رواية: «و كلّ أرض لا ربّ لها والمعادن»[4].

القمّي: نزلت ببدر حيث قاتل بعضهم، و أقام عند خيمة النّبيّ ﷺ آخرون،

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥١٧، عن السجّاد والباقر والصّادق عليهم السّلام.

٣ـ جوامع الجامع ٢: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ٢: ٤٨، الحديث: ١١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لئلاّ يعرىٰ موضعُه فيميل عليه خيلُ المشركين، فخاف المقيمون ان لا يُعْطَوا من الغنائم شيئاً؛ لأنّها كانت قليلةً، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا عنها [1]. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الاختلاف والمشاجَرة ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال الّتي بينكم، بالمواساة والمساعَدَة فيما رزقكم الله، و تسليم أمره إلى الله و الرّسول ﷺ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فَزِعَتْ لذكره استعظاماً له و هيبةً من جلاله ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: ازدادوا بها يقيناً وطُمأنينَةَ نفسٍ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: و إليه يُفَوِّضون أُمورَهم فيما يخافون و يرجون.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنّهم حقّقوا الإيمان بضمّ مكارم الأخلاق ومحاسن أفعال الجوارح إليه ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: كرامةٌ و علوُّ منزلةٍ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لما فَرَطَ منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أعدّ لهم في الجنّة. القمّي: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذرّ وسلمان والمقْداد [2].

و ورد «إنّ الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها و فرّقه فيها، ثمّ بيّن عليه السلام ذلك، ثمّ قال: و لو كان كلّه واحداً لازيادةَ فيه و لانقصانَ لم يكن لأحدٍ منهم فضل على الآخر، ولاستوت النِّعَمُ فيه و لاستوى النّاسُ و بطل التّفضيل، و لكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّةَ، و بالزّيادة في الإيمان تَفاضَلَ المؤمنون بالدّرجات عند الله، وبالنّقصان دخل المفرّطون النّارَ» [3].

١ـ القمّي ١: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.
٢ـ القمّي ١: ٢٥٥.
٣ـ الكافي ٢: ٣٤ و ٣٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ قال: «فالله ناصرك كما أخرجك»[1]. و قيل: يعني حالهم هذه في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثلُ حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب[2].

﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ ﴾: في إيثارك الجهادَ إظهاراً للحقّ على تلقّي العير و أخذ المال الكثير ﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ أنّهم يُنصَرُون أين ما توجّهوا، بإعلام الرّسول ﷺ ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ يعني يكرهون القتال كراهةَ مَنْ يُساق إلى الموت و هو يشاهد أسبابَه، و كان ذلك لقلّة عددهم و عدم تأهّبهم للقتال.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾. القمّي ما ملخّصه: أنّ عيرَ قريش خرجت إلى الشّام فيها خزائنهم، فأمر النّبيّ ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم أنّ الله قد وعده إحدى الطّائفتين: إمّا العيرَ أو قريش[3] أن يَظفَرَ بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قارب بدراً بلغ أباسفيان ذلك و كان في العير، فخاف خوفاً شديداً، و بعث إلى قريش فأخبرهم بذلك، و طلب منهم الخروج والمنع عن العير، وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطّريق و مرّوا مسرعين، و نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره أنّ العير قد أفلتت، و أنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال و وعده النّصر، فأخبر به رسول الله ﷺ أصحابه، فجزعوا من ذلك و خافوا خوفاً شديداً، إذ لم يتهيّؤوا للحرب؛ فقال رسول الله ﷺ أشيروا عليّ! فقام أبوبكر فقال: يا رسول الله إنّها قريش و خُيَلاؤها[4] ما آمنت منذ كفرت، و لا ذَلّتْ منذ عزّتْ، ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فجلس. فقال: أشيروا عليّ! فقام

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥٢١ في حديث أبي حمزة.
٢ـ البيضاوي ٣: ٤١؛ و الكشّاف ٢: ١٤٣.
٣ـ كذا في جميع النُّسَخ، و لعلّ الصّواب: «قُرَيْشاً».
٤ ـ الخُيَلاء ـ بضمّ الخاء و فتح الياء ـ: الكبر. القاموس المحيط ٣: ٣٨٣ (خال).

عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر، فقال: اجلس. ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش و خيلاؤها، و قد آمنّا بك و صدّقناك و شهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عندالله، ولو أمرتنا أن نخوض جَمرَ الغَضا و شوكَ الهَراس[1] لَخُضْنا معك، و لا نقول لك ما قالت بنوإسرائيل لموسى: "إذْهَبْ أنْتَ وَ ربُّكَ فَقاتِلا إنّا هاهُنا قاعِدُونَ"[2] و لكنّا نقول: اذهب أنت و ربّك إنّا معكما مقاتلون، فجزاه النّبيّ خيراً، ثمّ جلس. ثمّ قال: أشيروا عليّ! فقام سعدبن مُعاذ فقال: بأبي أنت و أُمّي يا رسول الله! كأنّك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلّك خرجت على أمر قد أُمِرتَ بغيره. قال: نعم. قال: بأبي أنت و أُمّي يارسول الله! قد آمنّا بك و صدّقناك، و شهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عندالله، فمُرْنا بما شئتَ، و خذ من أموالنا ما شئت. ثمّ قال: والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضنا معك، إلى أن قال: و لكن نعدّ لك الرّواحل و تلقى عدوّنا، فإنّا صُبُرٌ عند اللّقاء، أنجادٌ[3] في الحرب، و إنّا لنرجو أن يُقرّ الله عينيك بنا. فقال رسول الله ﷺ: كأنّي بمَصْرَع فلان هاهنا و بمَصْرَع فلان هاهنا و بمَصْرَع أبي جهل و عُتْبَة و شَيْبَة، فإنّ الله وعدني إحدى الطّائفتين و لن يُخلف الله الميعاد. فنزلت الآية "كَما أخْرَجَكَ" إلى قوله: "وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" فامر بالرّحيل حتّى نزل ماء بدر و أقبلت قريش[4].

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: ذات الحِدَّة ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني العير، فإنّه لم يكن فيها إلاّ أربعون فارساً، و لذلك يتمنّونها و يكرهون ملاقاة قريش لكثرة عددهم

١ـ الجمر: النّار، القطعة الملتهبة. و الغَضا: شجر من الأثل خشبه من اصلب الخشب و جَمْرُهُ يبقى زماناً طويلاً لاينطفئ. و الهَراس: شجر كبير الشّوك. والشوك: مايخرج من النّبات شبيهاً بالإبر. «راجع: مصباح المنير: ١٠٨؛ والمنجد في اللّغة: ٥٥٤، ٨٦٢، ٤٠٩».

٢ـ المائدة (٥): ٢٤.

٣ـ النّجدة: الشدّة و الشّجاعة و رجلٌ نَجِدٌ و نَجُدٌ: شديد البأس و منه حديث عليّ ؑ: «امّا بنوهاشم فأنجادٌ أمجادٌ» أي: أشدّاءُ شُجْعان. النّهاية ٥: ١٨ (نجد).

٤ـ القمّي ١: ٢٥٦ ـ ٢٦٠.

وعُدّتهم. قال: «ذات الشّوكة: الّتي فيها القتال» [1]. ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوليائه ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ و يستأصلهم. و المعنى: أنّكم تريدون مالاً، و أن لاتلْقوا مكروهاً، والله يريد إعلاء الدّين و إظهار الحقّ، و ما يحصل لكم به فوز الدّارين.

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ فَعَلَ ما فَعَلَ، و ليس بتكرير، لانّ الاوّل لبيان مراد الله و تفاوت ما بينه و بين مرادهم، والثّاني لبيان الدّاعي إلى حمل الرّسول ﷺ على اختيار ذات الشّوكة و نصره عليها. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لمّا علمتم أن لا محيص عن القتال مع قلّتكم و كثرة عدوّكم. قال: «إنّ النّبيّ ﷺ لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين و قلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللّهمّ أنجزلي ما وعدتني، اللّهمّ إن تُهلِكْ هذه العصابةُ لاتُعبَدُ في الارض، فما زال يهتف ربّه ماداً يديه حتّى سقط رداؤه عن منكبيّه فنزلت» [2]. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: متّبعين.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ يعني الإمداد ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾: بشارةً لكم بالنّصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: و لا تأثير للإمداد و الإعداد و إنّما هي وسائط و روابط ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾: أمناً من الله بإزالة الرّعب عن قلوبكم ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الحَدَث و الخَبث ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: الجنابة، و ذلك لأنّه احتلم بعضهم و غلب المشركون على الماء. القمّي: فلمّا أمسى رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل اُلقيَ على أصحابه النّعاسُ حتّى ناموا، وأنزل الله عليهم السّماء، و كانوا في موضع لايثبت فيه القدم فلبّد الأرضَ حتّى ثبتت

١ـ العيّاشي ٢: ٤٩، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

أقدامهم، و كان المطر على قريش مثلَ العَزالى [١]، و كان على أصحاب رسول الله ﷺ رَذاذاً [٢] بقدر ما يُلبِّدُ الأرضَ [٣]، و خافت قريش خوفاً شديداً، فاقبلوا يتحارسون يخافون البيات [٤]. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالوثوق على لطف الله تعالى بكم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾: بالمطر ﴿الْأَقْدَامَ﴾ حتّى لاتسوخ [٥] في الرمل، أو بالربط على القلوب حتّى يثبت في المعركة.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ في إعانتهم و تثبيتهم ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالبشارة لهم و بتكثير سوادهم و محاربة اعدائهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: اعاليها التي هي المَذابِحُ، او الرؤوس. ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال: «أطراف الأصابع» [٦]. أي: جزّوا رقابهم واقطعوا اطرافهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: كانوا في شِقٍّ خلاف شِقِّهما ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾. الخطاب فيه مع الكفّار على طريقة الالتفات، يعني: ذوقوا ما عجّل لكم من القتل و الأسر مع ما أجّل لكم في الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾: كثيراً بحيث يُرى لكثرتهم كأنّهم يزحفون، أي: يدبّون. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ بالانهزام.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ لان يكرّ بعد الفرّ، يُخيّلُ عدوّه انّه

١ـ العَزالي جمع العَزْلاء: مصبّ الماء من الرّاوية و نحوها. «القاموس المحيط ٤: ١٥ ـ عزل» و هنا إشارة إلى شدّة وقع المطر.

٢ـ الرَّذاذ: المطر الضعيف. القاموس المحيط ١: ٣٦٧ (رذاذ).

٣ـ لَبَّدَ المطرُ الارضَ: رشّها. المنجد في اللّغة: ٧١٠ (لبد).

٤ـ القمّي ١: ٢٦١.

٥ـ ساخت قوائمه في الأرض: دخلت فيها و غابت. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (سوخ).

٦ـ القمّي ١: ٢٦٧، عن أبي عبدالله ﷺ.

منهزم؛ و هو من مكائد الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو منحازاً إلى فئة أُخرى من المسلمين ليستعين بهم من غير هزيمة ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. «فمن انهزم حتّى يجوز صفّ أصحابه فقد باء». كذا ورد [١].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقوّتكم؛ يعني: إن افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بأن أنزل الملائكة و ألقى الرّعبَ في قلوبهم و قوّى قلوبكم. ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أنت يا محمّد ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ حيث أثّرت الرّميةُ ذلك الأثرَ العظيمَ.

روي: «انّ قريشاً لمّا جاءت بخُيَلائها أتاه جبرئيل فقال: خذ قبضة من تراب فارْمِهم بها. فقال لعليّ عليه السلام: أعطني قبضة من حَصْباء [٢] الوادي، فأعطاه فرمى بها في وجوههم و قال: شاهَت الوُجُوهُ، فلم يبق مشرك إلاّ شُغِلَ بعينَيْه فانهزموا، و ردَفَهُمُ المؤمنون يَقْتُلُونهم و يأسِرُونَهم، ثمّ لمّا انصرفوا أقبلوا على التّفاخر، فيقول الرّجل: قَتَلْتُ وأسَرْتُ، فنزلت» [٣].

اثبت الرّمي لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه وُجدَ منه صورةً، و نفاه عنه معنىً، لأنّ أثرَهُ الّذي لايدخل في قدرة البشر فِعْلُ الله سبحانه، فكأنّه فاعِلُ الرَّميةِ على الحقيقة، وكأنّها لم تُوجَدْ من الرّسول.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾: وليُنْعِمَ عليهم نعمةً عظيمةً بالنّصر و الغنيمة ومشاهدةِ الآيات فَعَلَ ما فَعَلَ. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لاستغاثتهم و دعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم وأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الغرض ذلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني أنّ المقصود إبلاء المؤمنين و توهين كيد الكافرين.

١ـ العيّاشي ٢: ٥١، الحديث: ٣١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ـ الحَصْباء: الحصى. القاموس المحيط ١: ٥٧ (حصب).
٣ـ تفسير أبي السّعود ٤: ١٣؛ وروح المعاني ٩: ١٨٤؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ١٣٩.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾. قيل: خطاب لأهل مكّة على سبيل التهكّم[١].

ورد: «إنّ أبا جهل قال: اللّهمّ ربّنا ديننا القديم و دين محمّد الحديث، فأيّ الدينين كان أحبّ إليك و أرضى عندك فانصر أهله اليوم»[٢]. ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ عن الكفر و معاداة الرّسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لتضمّنه سلامة الدّارين ﴿وَإِن تَعُودُوا﴾ لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ لنصره ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: عن الرّسول ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن و المواعظ سماع فهم وتصديق.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعاً ينتفعون به.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ عن الحقّ ﴿الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهّم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم أن لاخير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا﴾ ولم ينتفعوا به ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لعنادهم. قال: «نزلت في بني عبدالدّار، لم يكن أسلم منهم غير مُصْعَب بن عُمَيْر و حليف لهم يقال له: سُوَيْط»[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطّاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ الرّسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. قال: «نزلت في ولاية عليّ عليه السلام»[٤]. والقمّي: الحياة: الجنّة[٥].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ القمّي: يحول بينه و بين ما يريد[٦]. و في رواية: «يحول بين المؤمن و معصيته أن تقوده إلى النّار، و بين الكافر و بين طاعته أن يستكمل بها الإيمان. قال: واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها»[٧]. و في أُخرى: «يحول بينه و بين

١ـ البيضاوي ٣: ٤٥؛ و الكشّاف ٢: ١٥٠. والتَّهكُّمُ: الاستهزاء. القاموس المحيط ٤: ١٩٣ (هكم).
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٥٣١.
٣ـ المصدر: ٥٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «سُوَيْبط»، وفي جوامع الجامع ٢: ١٢: «سُوَيْد بن حَرْمَلَة».
٤ـ الكافي ٨: ٢٤٨، الحديث: ٣٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥و٦ـ القمّي ١: ٢٧١.
٧ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

أن يعلم أنّ الباطل حقّ»[١]. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ بل يَعُمُّهُم و غَيْرَهم، كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر و افتراق الكلمة و ظهور البِدَع. قال: «أصابت النّاسَ فتنة بعد ما قبض الله نبيّه ﷺ حتّى تركوا عليّاً عليه السلام و بايعوا غيرَه، و هي الفتنة الّتي فُتِنُوا بها، و قد أمرهم رسول الله ﷺ باتّباع عليّ والأوصياء من آل محمّد عليهم السّلام»[٢]. و ورد: لمّا نزلت قال النّبيّ ﷺ: «من ظلم عليّاً عليه السلام مَقْعَدِي هذا بعد وفاتي، فكأنّما جحد نبوّتي و نبوّة الأنبياء قبلي»[٣]. والقمّي: نزلت في طلحة والزّبير، لمّا حاربوا امير المؤمنين عليه السلام و ظلموه[٤]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «لَتُصيبَنَّ»[٥]. باللّام دون لا ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. قال: «نزلت في قريش خاصّة»[٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انّكم تخونون. قال: «خيانةُ الله و الرّسول معصيتُهما، و أمّا خيانة الأمانة فكلّ إنسان مأمون على ما افترض الله عليه»[٧].

وقال: «نزلت في أبي لُبابَة بن عبد المنذر»[٨]. فلفظ الآية عامّ و معناها خاصّ.

١ـ التّوحيد: ٣٥٨، الباب: ٥٨، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٤. عن ابن عبّاس.
٤ـ القمّي ١: ٢٧١، و فيه: «لمّا حاربا».
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٢. عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٧١.
٧ـ القمّي ١: ٢٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥، عن الصّادقين عليهما السّلام.

«وذلك أنّ رسول الله ﷺ حاصرَ يهودَ بني قُرَيْظَةَ إحدى وعشرين ليلةً فسألوه الصّلح على ما صالح عليه بني النّضير أن يسيروا إلى أذْرُعات و أريحا من أرض الشّام، فأبى إلّا أن ينزلوا على حكم سَعْدِ بن مُعاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة و كان مناصحاً لهم، لأنّ عياله و ماله و ولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة! أننزل على حكم سعد؟ فأشار بيده إلى حلقه أنّه الذّبح فلا تفعلوا، فأتاه جبرئيل فأخبره بذلك. قال أبولبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أنّي خنتُ الله و رسولَه ﷺ فنزلت، فشدّ رأسه على سارية[1] من سواري المسجد و قال: والله لاأذوق طعاماً و لاشراباً حتّى أموت أو يتوبَ اللهُ عليّ. فمكث سبعة أيّام لايذوق فيها طعاماً و لاشراباً حتّى خرّ مغشيّاً عليه، ثمّ تاب اللهُ عليه فقال: لا والله لاأحُلُّ نفسي حتّى يكون رسول الله ﷺ هو الّذي يَحُلُّني، فجاءه فَحَلَّه بيده، فقال: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي الّتي أصبت فيها الذّنب، و أن أنخلع من مالي، فقال النّبيّ ﷺ: يجزيك الثّلث أن تَصَدَّقَ به»[2].

القمّي: و نزلت مع الآية الّتي في سورة التّوبة: «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ»[3] الّتي نزلت في أبي لبابة[4].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لإلهائهم إيّاكم عن ذكر الله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمَنْ آثر رضا الله عليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾: هداية في قلوبكم تفرّقون بها بين الحقّ و الباطل ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

١ـ السّارية: الأسْتُوانة. القاموس المحيط ٤: ٣٤٣ (سرى).
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥ ـ ٥٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ الآية: ١٠٢.
٤ـ القمّي ١: ٢٧٢.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: قريشاً. ذكَّره ذلك ليشكر نعمة الله عليه في خلاصه. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ بالحبس ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكّة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بردّ مكرهم و مجازاتهم عليه ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

قال: «إنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أُناس إلى دار النَّدْوَة[1] ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله ﷺ، فإذا شيخ قائم بالباب، و إذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: أدخلوني معكم. قالوا: و من أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ من مُضَر[2] ولي رأي أُشير به عليكم. فدخلوا و جلسوا و تشاوروا و هو جالس، و أجمعوا أمرهم على أن يُخْرِجُوه. فقال: هذا ليس[3] لكم برأي إن أخرجتموه أجْلَبَ عليكم النّاسَ فقاتلوكم. قالوا: صدقت ماهذا برأي، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يوثقُوه. قال: هذا ليس بالرّأي إن فعلتم هذا و محمّدٌ رجل حلو اللّسان أفسد عليكم أبناءكم و خَدَمَكم، و ما ينفع أحدهم إذا فارقه أخوه و ابنه أو امرأته، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يخرجون من كلّ بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة، ثمّ قرأ هذه الآية»[4].

والقمّي ذكر ما يقرب منه مع زيادات، ثمّ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ و أخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت في دار النَّدْوَة يدبّرون عليك، و أنزل عليه في ذلك: "و إذْ يَمْكُرُ بِكَ" الآية. فلمّا أمسى جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبولهب: لاأدَعُكم أن تدخلوا عليه باللّيل، فإنّ في الدّار صبياناً و نساءً و لاتأمن أن تقع بهم يدُ خاطئة فَنَحْرُسُه اللّيلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ و أمر رسول الله

١ ـ هي بمكّة أحدثها «قُصَيُّ بن كِلاب» لَمّا تملّك مكّة، و هي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة. معجم البلدان ٥: ١٨٦و٢٧٩.

٢ ـ في المصدر: «بني مُضَر» و هي من القبائل العربيّة العدنانيّة منسوبة إلى مُضَر بن نِزار.

٣ ـ في «ج»: «ليس هذا».

٤ ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام.

أن يفرش له، و قال لعلّي عليه السلام: افْدِني بنفسك! قال: نعم يا رسول الله. قال: نَمْ على فِراشي و التحفْ بِبُرْدَتي. و جاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش و هم نيام و هو يقرأ عليهم: «وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ»[١] وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثَوْر؛ و هو جبل على طريق منى له سَنامٌ كسَنام الثّور، فدخل الغارَ و كان من أمره ما كان. فلمّا أصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة و قصدوا الفِراش، فوثب عليّ عليه السلام في وجوههم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا له: أين محمّد؟ قال: جعلتموني عليه رقيباً؟! ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم. فأقبلوا يضربونه[٢] و يقولون: أنت تَخْدَعُنا منذ اللّيلة، فتفرّقوا في الجبال. و كان فيهم رجل من خُزاعَة يقال له: أبوكُرْز، يَقْفُو الآثارَ، فقالوا: يا أباكرز! اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه قدم محمّد والله إنّها لأُخْتُ القدم الّتي في المقام، وكان أبوبكر استقبل رسولَ الله صلى الله عليه وآله فردّه معه، فقال أبوكرز: و هذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، ثمّ قال: و هاهنا عَبَرَ ابنُ أبي قحافة، فما زال بهم حتّى أوقفهم على باب الغار، ثمّ قال: ما جاوزوا[٣] هذا المكان، إمّا أن يكونوا صعدوا السّماء أو دخلوا تحت الأرض. و بعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، و جاء فارس من الملائكة حتّى وَقف على باب الغار ثمّ قال: ما في الغار أحد فتفرّقوا في الشّعاب و صرفهم الله عن رسوله صلى الله عليه وآله ثمّ أذن له في الهجرة[٤].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾. قيل: قائله

١ـ يس (٣٦): ٩.
٢ـ في المصدر: «يضربون اباالهب».
٣ـ في «الف» و «ج»: «ماجازوا» و في المصدر: «ماجاوزا هذا المكان إمّا ان يكونا صعدا إلى السّماء او دخلا تحت الارض».
٤ـ القمّي ١: ٢٧٥ـ٢٧٦.

النَّضْرُ بنُ الحارث بن كَلَدَة، و أُسِرَ يوم بدر، فقتله النّبيّ ﷺ صَبْراً [١] بيد عليّ عليه السلام. و إنّما قاله صلفاً [٢]، و هذا غاية مكابرتهم و فرط عنادهم، إذ لو استطاعوا ذلك فما مَنَعَهُمْ ان يشاؤوا و قد تَحَدّاهُم و قَرَّعَهُم [٣] بالعجز عشر سنين، ثمّ قارَعَهُم بالسّيف فلم يعارضوا سواه؛ مع فرط حرصهم على قَهْرِه و غَلَبَته [٤].

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما سَطَّرَهُ الاولون من القصص. قيل: قاله النّضر ايضاً، و ذلك انّه جاء بحديث رُستَم و اِسفنديار من بلاد فارس و زعم انّ هذا هو مثل ذاك [٥].

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. «قاله الحارث بن عَمْرو الفهريّ حيث سمع النّبيّ ﷺ ذكر كلاماً في فضل عليّ عليه السلام فنزلت: "و ما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم" الآية؛ فقال له النّبيّ ﷺ: يابن عمرو إمّا تبتَ و إمّا رحلتَ؟ فدعا براحلته فركبها، فلمّا صار بظهر المدينة أتته جَنْدَلَة [٦] فرضّت هامتَه [٧]، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به [٨]». كذا ورد [٩]. و في رواية: «قاله النّعمان بن الحارث الفهريّ

١ـ قُتِلَ فُلانٌ صبراً: حُبِسَ على القتل حتى يُقْتَلَ. الصّحاح ٢: ٧٠٦ (صبر).
٢ـ الصَّلَفُ ـ بالتّحريك ـ ... التكلّم بما يكْرَهُه صاحبك و التَّمَدُّحُ بما ليس عندك او مجاوَزَة قدر الظّرف و الادعاء فوق ذلك تكبُّراً. القاموس المحيط ٣: ١٦٨ (صلف).
٣ـ قَرَّعَ القومَ: اَقْلَقَهُم و التّقريع: التّعنيف و التثريب. القاموس المحيط ٣: ٧٠ (قرع).
٤ـ البيضاوي ٣: ٤٨؛ وجوامع الجامع ٢: ١٧.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٧.
٦ـ الجَنْدَل ـ كجعفر ـ ما يُقِلُّهُ الرّجلُ من الحجارة. القاموس المحيط ٣: ٣٦٣ (جندل).
٧ـ الرَّضُّ: الدَّق و الجَرْش. و في المصدر: «رَضَخَتْ» اي: كسرت. و الهامَةُ: الرّاس. القاموس المحيط ٢: ٣٤٣ و ٤: ١٩٥ (رضّ ـ هام).
٨ـ إشارة إلى قوله تعالىٰ: "وَاسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنيدٍ" إبراهيم (١٤): ١٥.
٩ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن أبي بصير.

لمّا نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدير»[1]. و القمّي: قاله أبوجهل لمّا سمع النّبيّ ﷺ يقول: إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدّنيا، و أجرّ المُلْكَ إليكم، فأجيبوني إلى ما ادعوكم إليه؛ تَمْلكُوا بها العربَ و تَدن[2] لكم بها العجمُ، و تكونوا ملوكاً في الجنّة، فحسده أبوجهل و قال: "اللّهمّ إن كان هذا" ... الآية، ثمّ قال: غفرانَك اللّهمّ[3].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

القمّي: نزلت حين قال ابوجهل: غفرانك اللّهمّ[4].

أقول: و هو بيان لموجب إمهالهم و التوقّف في إجابة دعائهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإنّهم ألجأوا رسولَ الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة، لمّا همّوا بقتله و أحصَرُوا عام الحديبيّة. ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ قال: «أولياء المسجد الحرام»[5]. و في رواية: «يعني أولياء البيت، يعني المشركين»[6].

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ قال: «حيثما كانوا أولى به من المشركين»[7]. قيل: و هو ردّ لقولهم: نحن ولاة البيت و الحرم[8]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: «التّصفير والتّصفيق»[9].

أقول: يعني: وَضعُوا الصّفير و الصّفْقَ باليدين موضعَ الصّلاة.

روي: «أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا صلّى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدّار

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠ : ٣٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ تَدنْ: تَذلّ. و في «ب» و «ج» و المصدر: «تدين».
٣ـ القمّي ١ : ٢٧٦.
٤ـ المصدر: ٢٧٧.
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤ : ٥٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ و ٧ـ العيّاشي ٢ : ٥٥، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ البيضاوي ٣ : ٤٩.
٩ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. التّصفير: التّصويت بالشّفتين. والتّصفيق: التصويت باليدين بضرب باطن الرّاحة على باطن الأخرى. مجمع البحرين ٥: ٢٠٢ (صفق).

عن يمينه فيُصَفِّران، و رجلان عن يساره فيُصَفِّقان بأيديهما، فيُخَلِّطان عليه صلاته، فقتلهم الله جميعاً ببدر»[١]. والقمّي: هذه الآية معطوفة على قوله: "و إذ يمكر بك الّذين كفروا" فإنّ قريشاً لمّا همّوا بقتله خرجوا إلى المسجد يصفّرون و يصفّقون و يطوفون بالبيت، فنزلت[٢]. ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾. القمّي: نزلت في قريش، فإنّهم لمّا أُخبِرُوا بخبر رسول الله ﷺ في طلب العير، أخرجوا أموالهم و حملوا و أنفقوا و خرجوا إلى محاربته ببدر فَقُتِلُوا و صاروا إلى النّار، و كان ما انفقوا حسرةً عليهم[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: الكافر من المؤمن و الصّالح من الفاسد ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾: فيجمعه و يضمّ بعضه إلى بعض ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ كلّه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الكاملون في الخسران.

ورد: «إنّ الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين أراد خلقه بطينة الكافر، فما يفعل المؤمن من سيّئة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج، وكذلك مزج طينة الكافر حين أراد خلقه بطينة المؤمن، فما يفعل الكافر من حسنة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج - أو لفظ هذا معناه - قال: فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدوّ النّاصب سنخَ المؤمن ومزاجَه وطينته وجوهره و عنصره مع جيمع أعماله الصّالحة و يردّه إلى المؤمن، و ينزع الله من المؤمن سنخَ النّاصب و مزاجه و طينته و جوهره و عنصره مع جميع أعماله السيّئة الرّديّة

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٤٠.
٢ـ القمّي ١: ٢٧٥.
٣ـ المصدر: ٢٧٧.

و يردّه إلى النّاصب؛ عدلاً منه جلّ جلاله و تقدّست أسماؤه و يقول للنّاصب: لاظلم عليك؛ هذه الأعمال الخبيثة من طينك و مزاجك و أنت أولى بها، و هذه الأعمال الصّالحة من طين المؤمن و مزاجه و هو أولى بها، "لاظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ"[1]، ثمّ تلا: "الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ"[2] الآية. و قرأ: "والّذين كفروا إلى جهنّم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطّيّب" الآية»[3].

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر و معاداة الرّسول ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ الّذين تحزّبوا على الأنبياء بالتّدمير، كما جرى على أهل بدر، فليتوقّعوا مثل ذلك.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: لايوجد فيهم شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ ويضمحلّ عنهم الأديان الباطلة. قال: «لم يجيء تأويلُ هذه الآية [بعدُ][4] ولوقد قام قائمنا بعدُ سيَرىٰ مَنْ يُدْرِكُه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغنّ دين محمّد ﷺ ما بلغ اللّيل حتّى لايكون مشركٌ[5] على ظهر الارض، كما قال الله: "يَعْبُدُونَنِي لَايُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً"»[6]. ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ و لم ينتهوا ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾: ناصركم فثقوا به و لاتبالوا بمعاداتهم ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ قال: «هي والله الإفادةُ يوماً بيوم»[7].

١ـ غافر (٤٠): ١٧.
٢ـ نور (٢٤): ٢٦.
٣ـ علل الشّرايع ٢: ٦٠٨ـ٦٠٩، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٨١، عن ابي جعفر عليه السلام بالمضمون.
٤ـ الظّاهر انّ ما بين المعقوفتين زايد و ليس في المصدر و لا في الصّافي.
٥ـ في «الف» و «ج»: «شرك».
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٤٣؛ و العيّاشي ٢: ٥٦، الحديث: ٤٨، عن ابي عبدالله عليه السلام. والآية في النّور (٢٤): ٥٥.
٧ـ الكافي ١: ٥٤٤، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

أقول: يعني استفادة المال من أيّ جهة كانت.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

قال: «نحن والله عنى بذي القربى الّذين قرنهم الله برسوله ﷺ قال: ولم يجعل لنا في سهم الصّدقة نصيباً، أكرم الله نبيّه و أكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي النّاس»[١]. و قال: «خمس الله للإمام و خمس الرّسول للإمام وخمس ذوي القربى لقرابة الرّسول و الإمام، واليتامى يتامى آل الرّسول، و المساكين منهم و أبناء السّبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم»[٢].

﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ يعني إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّ الخُمُسَ من الغنيمة يجب التقرّب به، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالاخماسِ الأربعة. ﴿وَمَا أَنزَلْنَا﴾: و بما انزلنا ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: على محمّد ﷺ من الآيات و الملائكة و النّصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، فإنّه فرّق فيه بين الحقّ و الباطل. ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون و الكفّار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدِرُ على نصر القليل على الكثير و الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ من المدينة؛ بدل من "يَوْمَ الفُرقان"، العُدوة ـ مثلثة ـ: شطُّ الوادي. ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ البُعدى من المدينة؛ تانيث الأقصىٰ. القمّي: يعني قريشاً حيث نزلوا بالعدوة اليمانيّة، و رسول الله ﷺ نزل بالعدوة الشّاميّة[٣]. ﴿وَالرَّكْبُ﴾ قال: «يعني أباسفيان و أصحابه»[٤]. والقمّي: يعني العيرَ الّتي أفْلَتَت[٥]. والتّفسيران متّحدان. ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: في مكان أسفل من مكانكم يقودون العيرَ بالسّاحل. والفائدة في ذكر هذه المواطن؛ الإخبار عن الحالة الدّالّة على قوّة المشركين وضعف المسلمين، و أنّ غلبتَهُم على مثل هذه الحال أمرٌ إلهيّ لايتيسّر إلّا بحوله و قوّته؛

١ـ التّهذيب ٤: ١٢٦، الحديث: ٣٦٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٢٥، الحديث: ٣٦١، عن احدهما عليهما السّلام.
٣و٥ـ القمّي ١: ٢٧٨. وأفلَتَتْ: تخلّصتْ. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ (فلت).
٤ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٦٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.

و ذلك انّ العدوةَ القصوى كان فيها الماء و لاماء بالعدوة الدّنيا، و كانت رَخْواً تسوخ[١] فيها الأرجلُ، و كانت العيرُ وراء ظهورهم مع كثْرَة عددهم، فكانت الحمايةُ دونَها تُضاعِفُ حَمِيَّتَهُم، و تَحمِلُهُم على ان لا يَبْرَحُوا[٢] مواطنهم، و يَبْذُلوا نهايةَ نَجْدَتِهم[٣]، و فيه تصوير ما دبَّر الله من أمر وقعة بدر.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ يعني لو تواعدتم أنتم و هم على موعد للقتال، ثمّ علمتم حالكم و حالهم لخالف بعضكم بعضاً، ثبَّطَكُم[٤] قلّتكم عن الوفاء بالموعد، وثبّطَهُم ما في قلوبهم من الرّعب، فلم يتّفق لكم من الوفاء ما وفّقه الله. ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: كان واجباً أن يفعل من إعزاز دينه و إعلاءِ كلمته و نصرِ أوليائه وقهرِ أعدائه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾: لِيَصْدُرَ كفرُ مَنْ كَفَرَ وإيمانُ من آمن عن وضوحِ بيّنة عاينها و قيامِ حجّةٍ شاهدها. قال: «يعلم من بَقِيَ أنّ الله نَصرَه»[٥].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم كيف يدبّر أُموركم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ لتخبر به أصحابك، فيكون تثبيتاً لهم و تشجيعاً على عدوّهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: لجبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أمر القتال، و تفرّقت آراؤكم بين الثّبات والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: انعم بالسّلامة من الفشلِ والتّازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

قال: «كان إبليس يوم بدر يُقَلِّل المسلمين في أعين الكفّار، و يكثّر الكفّارَ في أعين النّاس، فشدّ عليه جبرئيل بالسّيف فهرب منه و هو يقول: يا جبرئيل إنّي

١ـ في جميع النُّسَخ: «يسوخ».
٢ـ بَرِحَ من مكانه بَراحاً: زالَ عنه و صار في البَراح. مجمع البحرين ٢: ٣٤٢ (برح).
٣ـ النَّجْدَة ـ بفتح النّون فالسّكون ـ: الشّجاعةُ. مجمع البحرين ٣: ١٤٩ (نجد).
٤ـ ثَبَّطَهُ عن الأمرِ: عَوَّقَه و بطّأ به عنه، و عَلَى الامر: وقّفه عليه. القاموس المحيط ٢: ٣٦٥ (ثبط).
٥ـ القمّي ١: ٢٧٨.

مؤَجّل، حتّى وقع في البحر يخاف أن يُقْطَعَ بعضُ أطرافه»[1].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ و تثبيتاً لكم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ حتّى قال قائلهم: ما هم إلاّ أكَلَةُ رَأْسٍ، لو بعثنا عليهم عبيدَنا لأخذوهم باليد. و إنّما قلّلهم في أعينهم ليجترؤوا عليهم قبل اللّقاء، ثمّ كثّرَهُمْ فيها بعد اللّقاء لتَفْجَأَهُمُ الكثرةُ، فيهابُوا و تَفُلَّ[2] شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حُسْبانهم، و هذا من عظايم آيات تلك الواقعة و عجائب قدرة الله فيها، فإنّ البصر و إن كان قد يرى الكثيرَ قليلاً و القليلَ كثيراً لكن لا على هذا الوجه و لا إلى هذا الحدّ. ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتم جماعةً كافرةً أو باغيةً. واللّقاءُ ممّا غلب في القتال. ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لقتالهم و لا تفرّوا ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب؛ داعين له مستظهرين بذكره مترقّبين لنصره ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تظفرون بالنّصرة والمثوبة فيه. تنبيه على أنّ العبد ينبغي أن لا يشغلَه شيء عن ذكر الله[3] تعالى، و أن يلتجيء إليه عند الشّدائد، و يُقْبِلَ عليه بشراشره فارغَ البال، واثقاً بأنّ لطفَه لاينفكّ عنه في شيء من الأحوال.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾ باختلاف الآراء، كما فعلتم ببدر و أُحد. ﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾: فتضعفوا عن قتال عدوّكم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: دولتُكم. شبّهت الدّولة بالرّيح في نفوذ أمرها و هبُوبِها. يقال: هبَّتْ رِيحُ فلانٍ: إذا نفَذَ أمرُه. ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ

١ـ الكافي ٨: ٢٧٧، الحديث: ٤١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ في «الف» و «ب»: «تقل». و الفلّ: الكسر و الضّرب، يقال: فَلّهُ فانفلّ، أي: كسره فانكسر، وفَلَلْتُ الجيشَ: هزمتُه. الصّحاح ٥: ١٧٩٣؛ والنّهاية ٣: ٤٧٢ (فلل).

٣ـ في «الف»: «من ذكر الله».

مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ يعني أهل مكّة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿بَطَرًا﴾: فخراً و أشراً ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ليُثنوا عليهم بالشّجاعة والسّماحة، و ذلك أنّهم لمّا بلغوا جُحْفَة[1] وافاهم رسول ابي سفيان أن ارجعُوا فقد سلمَتْ عيرُكم، فأبى أبوجهل و قال: حتّى نَقْدَمَ بدراً. نَشْرَبُ بها الخمورَ و تَعْزِفُ[2] علينا القيان[3] و نُطْعِمُ بها من حضَرَنا من العرب. فذلك بَطَرُهُمْ ورئاؤهم، فوافَوْها فَسُقُوا كاسَ الحمامِ[4] مكانَ الخمرِ و ناحت النّوائحُ مكانَ القيانِ، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا أمثالَهم بَطِرينَ مُرائين. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾: مجيركم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: تلاقتا ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: رجع القهقرى وبطل كيدُه، و عاد ما خيّل إليهم أنّه مجيرُهم سببَ هلاكهم ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني جنودَ الملائكة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يصيبني مكروهاً ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

القمّي: جاء إبليس عليه اللّعنة إلى قريش في صورة سُراقَةَ بن مالك فقال لهم: أنا جارٌ لكم إدفعوا إليّ رايتكم، فدفعوها إليه، و جاء بشياطينه يُهَوِّلُ[5] بهم على أصحاب رسول الله ﷺ و يخيّل إليهم و يفزعهم، و اقبلت قريش يَقْدُمُها إبليس معه الرّاية، فنظر

١ـ الجُحفَةُ ميقات أهل الشّام، كانت قريةً جامعةً على اثنين و ثمانين ميلاً من مكّة و كانت تُسمّىٰ مَهْيَعَة. القاموس المحيط ٣: ١٢٥ (جحف).

٢ـ العَزْف: اللّعب بالمعازف و هي الدّفوف و غيرُها ممّا يُضْرَب بها. مجمع البحرين ٥: ٩٩ (عزف).

٣ـ القيانُ جمع القَيْنَة: الإماء المغنّيات. مجمع البحرين ٦: ٣٠١ (قين).

٤ـ الحِمام ـ ككتاب ـ: قضاءُ الموت و قَدَرُه. القاموس المحيط ٤: ١٠١ (حم).

٥ـ هَوَّلَ عَلَى الرّجلِ: حَمَلَ عليه. اقرب الموارد ٢: ١٤١ (هول).

إليه رسول الله ﷺ فقال: غُضّوا أبصاركم و عَضُّوا على النّواجذ[١] و لاتَسُلّوا[٢] سيفاً حتّى آذنَ لكم، ثمّ رفع يده إلى السّماء فقال: يا ربّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابَةُ لَمْ تُعْبَدْ وإن شئتَ لاتُعبد لاتُعبد، ثمّ أصابه الغَشْيُ فَسُرِيَ عنه[٣] و هو يَسْلُتُ[٤] العَرَقَ عن وجهه و هو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألفٍ من الملائكة مردفين، فنظروا فإذاً بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسولِ الله ﷺ و قائلٌ يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ! أَقْدِمْ حَيْزُومُ[٥]! و سمعوا قعقعةَ السّلاح من الجوّ، و نظر إبليس إلى جبرئيل فراجع و رمى باللّواء، فأخذ مُنَبِّهُ بنُ الحَجّاجِ[٦] بمَجامِعِ ثوبه، ثمّ قال: ويلك يا سراقة تفتّ[٧] في أعضاد النّاس، فَرَكَلَهُ إبليسُ رَكْلَةً[٨] في صدره و "قال إنّي بريء منكم" الآية و هو قوله تعالى: "وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم و قال لاغالب لكم اليوم من النّاس" الآية[٩].

١ـ النّواجذ جمع ناجذ: أقصى الأضراس و هي أربعة. والنَّجْذُ: شدّةُ العضّ بها: و عَضّ على ناجذه: بَلَغَ أشُدّهُ «القاموس المحيط ١: ٣٧٣». و في جميع النُّسخ: «النّواجد» بالدّال المهملة؛ والصّواب ما اثبتناه.

٢ـ السّلّ: انتزاعك الشّيَ و إخراجهُ برفقٍ و سلّ السّيف: إخراجُه من الغمد. مجمع البحرين ٥: ٣٩٨ (سلل).

٣ـ سُرِيَ عَنْهُ: زال عنه و انكشف. المنجد في اللّغة: ٣٣٢ (سرى).

٤ـ أصل السَّلْت: القَطْعُ. يقال: سَلَتَت الخضابَ عَنْ يدها: إذا مَسَحَتْهُ و ألْقَتْهُ النّهاية. ٢: ٣٨٧ (سلت).

٥ـ في «القاموس المحيط ٤: ٩٧»: الحَيْزومُ: فَرَس جبرئيلَ: و في «النّهاية ١: ٤٦٧و ٤: ٢٦»: «أقدم حَيْزُومُ» هو امرٌ بالإقدام و هو التّقدّم في الحرب. و الإقدامُ: الشّجاعة. و في «البحار ١٩: ٢٦٤»: أراد أقْدِمْ يا حيزومُ. فحذف حرف النّداء.

٦ـ نُبَيْه و مُنَبِّه ابنا الحجّاج كانا من المستهزئين لرسول الله ﷺ و الطّعن عليه، و كانا يلقيانه فيقولا له: أما وجَدَ الله من يبعثه غيرك؟ إنّ هاهنا من هو أسَنُّ منكَ و أيسرُ. فقُتِلَ مُنَبِّه في غزوة البدر، قتله عليّ بن أبي طالب (راجع: الكامل في التّاريخ ٢: ٧١).

٧ـ فَتّ الشّيءَ: دقّه و كسره، و فَتّ في عَضُدِه: كسر قُوَّتَه و فرّق عنه أعوانَهُ. اقرب الموارد ٢: ٨٩٩ (فت).

٨ـ الرَّكْلُ: الضّرب برِجْلٍ واحدة. القاموس المحيط ٣: ٣٩٧ (ركل).

٩ـ القمّي ١: ٢٦٦.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الشاكّون في الإسلام ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون المسلمين؛ اي: اغترّوا بدينهم حتّى تعرّضوا بقلّتهم[١] لقتال جمّ غفير ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. جواب لهم.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾: ولو رأيت، فإنّ «لو» تجعل المضارعَ ماضياً عكس «إن». ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ببدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: ما أقبلَ منهم ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: و ما أدبرَ. ورد: «إنّما اراد: وَ أستاهَهُم، إنّ الله كريم يكنّي»[٢]. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: و يقولون: "ذوقوا". قيل: كانت معهم مقامعُ من حديد كلّما ضربوا التهبت النارُ منها[٣].

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ اي: داب هؤلاء مثل داب آل فرعون؛ و دأبهم: عادتهم وعملهم الّذي دأبوا فيه، اي: داوموا عليه. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾. إشارة إلى ما حلَّ بهم. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: يبدّلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوء؛ كتغيير[٤] قريش حالَهم في صلة الرّحم، و الكفّ عن تعرّض الآيات و الرّسل بمعاداة رسول الله ﷺ و من تبعه منهم، والسّعي في إراقة دمائهم، و التّكذيب بالآيات و الاستهزاء بها إلى غير ذلك ممّا أحدثوه بعد المبعث. ورد: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً: لاينْعِمُ[٥] على العبد بنعمةٍ فيسلُبُهاإيّاه حتّى يُحدِثَ العبدُ ذنباً يستحقّ بذلك النَّقْمَة»[٦]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

١ـ في «ب» و «ج»: «مع قلّتهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧١، مرفوعاً.
٣ـ البيضاوي ٣: ٥٣؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ١٧٨.
٤ـ في «الف»: «كتغيّر».
٥ـ في المصدر: «الا ينعم».
٦ـ الكافي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٢٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾. كرّره للتأكيد و زيادة بيان لكفران النِّعَم، و بيان للأخذ بالذّنوب.

﴿وَكُلٌّ﴾ من غرقى آل فرعون و قتلى قريش ﴿كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. أصرُّوا على الكفر و رسخوا فيه، فلا يُتوقَّعُ منهم إيمان. قال: «نزلت: في بني أُميّة، فهم أشرّ خلق الله، هم الّذين كفروا في بطن القرآن»[1].

﴿الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تُصادِفَنّهم و تظفرنّ بهم ﴿فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾: فَفَرِّقْ عن محاربَتِك، ونكِّلْ عنها بقتلهم و النِّكاية[2] فيهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: مَنْ وراءهم من الكفرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾: نقض عهد بأمارات تلوح لك ﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطْرَحْ إليهم عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على طريقٍ مقتصدٍ مُستوٍ في العداوة، بأن تُخْبِرَهم بنقض العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً، يتبيَّنُ لهم انّك قطعت ما بينك و ما بينهم، و لاتبْدأْهُم بالقتال و هم على توهّم بقاء العهد؛ فيكون ذلك خيانة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوٓا﴾: فاتُوا من ان يُظْفَرَ بهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لايَفُوتُون و لايجدون طالبَهُم عاجزاً من إدراكهم.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾: للكفار ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: من كلّ ما

١ـ القمّي ١: ٢٧٩؛ و العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧٢، عن ابي جعفر عليه السلام و فيهما: «هُمْ شرُّ خلق الله».
٢ـ نكيتُ في العدوّ نكايةً: إذا اكثرتَ فيهم الجراح القتل. مجمع البحرين ١: ٤٢١ (نكا).

يتقوّىٰ به في الحرب. قال: «القوّة: الرّمي»[١]. و في رواية: «سيف و ترْس»[٢]. و في أُخرى: «منه الخضاب بالسّواد»[٣]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾. الرّباطُ اسم للخيل الّتي تُربطُ في سبيل الله. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: كفّار مكّة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: من غيرهم من الكفرة ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لاتعرفونهم بأعيانهم، لأنّهم يصلّون و يصومون ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفهم، لأنّه المُطّلع على الأسرار ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل أو نقص الثّواب.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾: مالوا إلى الصّلح و الاستسلام ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ و عاهد معهم؛ و تأنيث الضّمير لحملها على نقيضها الّذي هي الحرب. سئل: ما السّلم؟ قال: «الدّخول في أمرنا»[٤]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ و لاتخف من خديعتهم و مكرهم، فإنّ الله عاصمك و كافيك منهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ في الصّلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن[٥] القتال؛ حتّى يقْوىٰ أمْرُهُم، فيبْدؤكم به من غير استعداد منكم. قال: «إنّ هؤلاء قوم كانوا معه من قريش»[٦]. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: «هم الأنصار و هم الأوْسُ و الخزْرجُ، كان بينهما حرب شديد و عداوة في الجاهليّة، فألّف الله بين قلوبهم و نصر بهم نبيّه»[٧]. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهي عداوتهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٥٥؛ و الكافي ٥: ٥٠، الحديث: ١٢، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٦، الحديث: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٥: ٧٠، الحديث: ٢٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «من القتال».
٦و٧ـ القمّي ١: ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

بالاسلام بقدرته البالغة، فإنّه مالك القلوب يقلّبها كيف يشاء ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالِغْ في حثّهم ﴿عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾. وَعَدَهُمْ بأنّهم إن صبروا غَلَبُوا عشرةَ أمثالهم بتأييد الله، بسبب أنّ الكفّارَ جَهَلَةٌ بالله واليوم الآخر، يُقاتِلون على غير احتساب ثوابٍ، و لايَثْبُتون ثَباتَ المؤمنين الرّاجين لعوالي الدّرجات.

﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. هذه الآية ناسخةٌ لما قبلها. قال: «نسخ الرّجلان العشرة»[1]. و ورد: «من فرّ من رجلين في القتال من الزّحف فقد فرّ من الزّحف، و من فرّ من ثلاثة رجال في القتال من الزّحف فلم يفرّ»[2].

قيل: كان فيهم قلّة أوّلاً، فأُمروا بذلك، ثمّ لمّا كثُروا خفّف عنهم[3].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: يُكثِرَ القتلَ و يبالغ فيه، حتّى يَذِلَّ الكفرُ و يقلّ حزبُه و يَعِزَّ الاسلامُ و يستولي أهلُه؛ من أثْخَنَهُ المرضُ: إذا أثقلَهُ. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: حُطامَها باخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: يريد لكم ثواب الآخرة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يغلب أولياءَه على أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم ما يليق بحال كلٍّ منهما.

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمّا قتل جماعةً من أسْرىٰ رؤساء قريش ببدر خافت الأنصارُ أن يقتل الأُسارىٰ كُلّهم، فقاموا إليه و قالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين و أسرنا سبعين، وهم قومك و أُساراك هَبْهُمْ لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم، فأنزل الله

١ـ الكافي ٥: ٦٩، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٨، الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٣: ٥٦.

عليهم: "ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض" الآية[١].

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: حكم منه سبق إثباته في اللّوح المحفوظ بإباحة الغنائم لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾: لنالكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: فيما استحللتم قبل الإباحة من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ أباح لكم ما أخذتم. ورد: «إنّه لمّا نزلت هذه الآية أطلق لهم رسول الله ﷺ أن يأخذوا الفداء و يطلقوهم، و شرط أن يُقتَلَ منهم في عام قابلٍ بعدد من أخذوا منهم الفداءَ، فرضوا منه بذلك»[٢]. و قد مضت القصّة في آل عمران[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: خلوصَ عقيدةٍ و صحّةَ نيّةٍ في الايمان ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «نزلت في العبّاس و عقيل و نوفل»[٤]. و ورد: «إنّ النبيّ ﷺ أُتي بمال دراهم، فقال: يا عبّاس ابسُطْ رداءكَ و خذ من هذا المال طَرَفاً، فبسط رداءه فأخذ منه طائفةً، ثمّ قال رسول الله ﷺ: هذا من الّذي قال الله: "إنْ يعلمِ الله" الآية»[٥].

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾: نقضَ ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ﴾ بالكفر ﴿مِن قَبْلُ﴾ القمّي: و إن يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله فيك من قبل[٦]. ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: فأمْكنَكَ منهم يوم بدر، فإن أعادوا الخيانةَ فسيُمْكِنُ منهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾: فارقوا أوطانهم و قومهم حبّاً لله و لرسوله، و هم

١ـ القمّي ١: ٢٧٠.
٢ـ المصدر: ٢٧٠ و ١٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ١٦٥.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٢، الحديث: ٢٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ قرب الإسناد: ٢١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ٦٩، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٦٩.

المهاجرون من مكّة إلى المدنية ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ فصرفوها ﴿وَأَنفُسِهِمۡ﴾ فبذلوها ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ آووهُم إلى ديارهم، و نصروهم على أعدائهم، و هم الأنصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾: يتولّىٰ بعضهم بعضاً في الميراث. ورد: «كان المهاجرون و الأنصار يتوارثون بالمؤاخاة الأُولى دون الأقارب، حتّى نُسِخَ ذلك بقوله تعالى: "وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ [فِي كِتَابِ اللهِ][1]"»[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ أي: من تولّيهم في الميراث. ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾. قيل: يعني الّذين لم يهاجروا منكم[3] ﴿فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ لهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾: عهد فلا يجوز لكم نصركُم عليهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾: لا تُوالُوهم وإن كانوا أقاربَ ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي: ما أُمِرتُمْ به من التّواصل بينكم حتّى في الإرث، والتّقاطع بينكم و بين الكفّار ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾؛ لأنّ المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدةً على أهل الشّرك كان الشّركُ ظاهراً و تجرّأ أهله على أهل الإسلام و دعوهم إلى الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ﴾ أي: اللاحقين بعدَ السّابقين. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾: من جملتكم أيّها المهاجرون و الأنصار، و حكمُهُم حكمكم في وجوب موالاتهم و نصرتهم وإن تأخّر إيمانهم و هجرتهم. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: وأُولوا القرابات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ بميراث بعضٍ؛ يعني من كان أقربَ إلى الميّت في

١ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤ : ٥٦١، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٧٥.

٣ـ المصدر؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥ : ٢١٠.

النّسب كان أولى بالميراث. و هو نسخٌ للتّوارث بالهجرة و النّصرة كما مرّ[١]. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في حكمه المكتوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾. ورد: «كان عليّ صلوات الله عليه إذا مات مولىً له و ترك قرابتَه، لم يأخذ من ميراثه شيئاً، و يتلو هذه الآية»[٢].



١ـ ذيل الآية: ٧٢ من نفس السّورة.

٢ـ الكافي ٧: ١٣٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «ترَك ذا قرابة».

سورة التّوبة

[مدنيّة، و هي مائة و تسع و عشرون آيةً][1]

ورد: «لم يَنْزِلْ بسم الله الرّحمن الرّحيم على رأس سورة براءَة، لأنّ "بسم الله" للأمان و الرّحمة، و نزلت براءة لدفع الأمان و السّيف»[2]. و في رواية: «الأنفال و براءة سورة واحدة»[3].

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: هذه براءة من العهد الّذي عاهدتم به المشركين. «إن قيل: كيف يجوز أن يَنْقُضَ النّبيّ ﷺ العهدَ؟ أُجيب بوجهين: أحدهما: أنّه كان مشروطاً بأن لايَرْفَعَهُ الله بالوحي. و الثّاني: أنّهم قد نَقَضُوا، أو هَمُّوا بذلك». كذا ورد[4].

﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾. خطاب للمشركين و أمان لهم إلى هذه المدّة. قال: «أجّل الله المشركين الّذين حجّوا تلك السّنة أربعةَ أشهر حتّى يرجعوا إلى مأمنهم ثمّ يُقَتَّلُون حيث وُجِدُوا»[5]. و في رواية: «من كانت لعهده مدّة فهو إلى مدّته، و من

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦ : ٢ ، عن أمير المؤمنين ﷺ، وفيه: «ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف».

٣ـ العيّاشي ٢ : ٧٣، الحديث: ٣، عن أحدهما عليهما السّلام، و فيه: «الأنفال و سورة براءة واحدة».

٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦ : ٢ـ٣.

٥ـ القمّي ١ : ٢٨٢، عن أبي الحسن الرّضا، عن عليّ عليهما السّلام.

لم تكن له مدّة فمدّته أربعةُ أشهرٍ»[١]. ورد: «إنّ رسـول الله ﷺ بعث ابابكر مع براءة إلى المَوْسِم ليقرأها على النّاس، فنزل جبرئيل فقال: لا يبلغ عنك إلاّ عليّ، فدعا عليّاً عليه السلام فامره أن يركب ناقته العَضْباء[٢] و أن يلحق ابابكر فياخذ منه البراءة و يقرأها على النّاس بمكّة، قال: فقرأها عليهم و قال: لايطوف بالبيت عريانٌ و لاعريانةٌ و لامشرك إلاّ من كان له عهد عند رسول الله ﷺ، فمدّته إلى هذه الأربعة أشهرٍ»[٣]. و في رواية أُخرى: «و من لا عهد له فله بقيّة الأشهر الحرم»[٤]. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾: لاتفوتونه و إن أمهلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: مُذِلُّهم بالقتل و الأسْر في الدّنيا، و العذاب في الآخرة.

﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إيذان و إعلام، كالعطاء بمعنى الإعطاء. ورد: «الاذان: أمير المؤمنين عليه السلام»[٥]. ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ قال: «هو يوم النَّحْر، والأصغر: العُمْرَةُ»[٦]. و في رواية: «الحجّ الاكبر: الوقوف بعرفة و جَمْعٍ و رمي الجِمار، والحجّ الاصغر: العمرة»[٧]. و في أُخرى: «سمّي الاكبر لأنّها كانت سنةً حجّ فيها المسلمون و المشركون، و لم يحجّ المشركون بعد تلك السّنة»[٨].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: بأنّ الله ﴿بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾. عطف على الضّمير في

١ـ العيّاشي ٢: ٧٤، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «من كانت له مدّة».
٢ـ العَضْباءُ: النّاقةُ المشقوقةُ الأُذُن و لقب ناقة رسول الله ﷺ. القاموس المحيط ١: ١٠٩ (عضب).
٣ـ العيّاشي ٢: ٧٣، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٨٢، عن علي بن الحسين عليهما السّلام.
٦ـ الكافي ٤: ٢٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٧٦، الحديث: ١٧؛ والكافي ٤: ٢٦٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. و ليست في الكافي كلمة: «جَمْع» و هو ـ بالفتح فالسّكون ـ المشعر الحرام، و هو أقرب الموقفين إلى مكّة المشرّفة و منه حديث آدم عليه السلام: ثُمّ انتهى إلى جمعٍ فَجَمَعَ فيها بين المغرب و العشاء. قيل: سمّي به لأنّ النّاس يجتمعون فيه و يزدلفون إلى الله تعالى، أي: يتقرّبون إليه بالعبادة و الخير و الطّاعة. و قيل: لأنّ آدم اجتمع فيها مع حوّاء فازدلف و دنامنها. و قيل: لأنّه يُجْمَعُ فيه المغرب و العشاء. مجمع البحرين ٤: ٣١٥ (جمع).
٨ـ علل الشّرايع ٢: ٤٤٢، الباب: ١٨٨، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

"بريء" و لاتكرير فيه، لأنّ الأوّل كان إخباراً بثبوت البراءة، و هذا إخبار بإعلامها النّاس. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة ﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: غيرُ سابقين الله، و لافائتين بأسه و عذابه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم﴾. استثناءٌ ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ واستدراك ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد، و لم يَنْكُثُوا و لم يقتلوا منكم، و لم يضرّوكم قطّ ﴿وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ﴾: ولم يُعاونُوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من اعدائكم ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: انقضى ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ التي أُبيح للناكثين أن يَسيحُوا فيها. ورد: «هي يوم النَّحر إلى عَشْرٍ مضين من ربيع الآخر»[1]. ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ النّاكثين ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حِلٍّ و حَرَمٍ ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأْسِرُوهُم، والأخذ: الأسير. ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾: واحبسُوهُم و حيلُوا بينهم و بين المسجد الحرام ﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: كُلَّ ممرٍّ و طريقٍ ترصُدُونَهم به، لئلاّ يبسطوا في البلاد ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ عن الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك و طلب منك جوارك ﴿فَأَجِرْهُ﴾: فأمّنْهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ و يتدبَّره و يطّلعَ على حقيقة الأمر، فإنّ معظمَ الأدلّة فيه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ إن لم يُسْلِمْ. القمّي: اقرأ عليه و عرّفه، ثمّ لاتتَعرَّضْ له حتّى يرجعَ إلى مأمنه[2]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ مَا الإيمانُ و ما حقيقة ما تدعوهم إليه، فلابدّ من أمانهم حتّى يسمعوا و يتدبّروا.

١ـ العيّاشي ٢: ٧٧، الحديث: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٨٣.

﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ مع إضمارهم الغَدْرَ والنَّكْثَ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ﴾ منهم ﴿عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ ولم يَظْهَرْ منهم نَكْثٌ فتربّصوا أمرهم ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾ على العهد ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ على الوفاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾: يَظْفَرُوا بكم ﴿لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ﴾: لا يُراعوا فيكم ﴿إِلّٗا﴾: قَرابَةً او حِلفاً ﴿وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾: عهداً أو حقاً ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بوعد الإيمان و الطّاعة و الوفاء بالعهد ﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: مُتَمَرِّدُون، لاعقيدة تَزَعُهُم[١] و لامروّة تَرْدَعُهُمْ؛ وإنّما خصّ الأكثر لما يُوجد في بعضهم من التَّعَفُّف عمّا يَثْلِمُ العِرْضَ، والتَّفادي[٢] عن الغَدْر.

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ و هو اتّباع الاهواء و الشّهوات ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ﴾: فَعدلُوا عنه و صرَفُوا غيرَهم ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾.

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾. وُضِعَ الظّاهرُ موضعَ المضمر، إشعاراً بأنّهم صاروا بذلك ذوي الرّياسة و التّقدّم في الكفر أحِقّاءَ بالقتل. ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ على الحقيقة، وإلّا لما طعنوا ولم ينكثوا. و ورد: بكسر الهمزة[٣]. يعني لاعبرة بما أظهروه من الإيمان. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ أي: ليكن غرضكم[٤] في المقاتلة أن ينتهوا عمّا هم عليه، لا إيصال الأذيّة بهم؛ كما هو طريقة الموذين، و هذا

١ ـ الوَزْعُ: الكفّ، و وَزَعْتُه عن الأمر: مَنَعْتُهُ عنه و حَبَسْتُهُ. القاموس المحيط ٣: ٩٦؛ والمصباح المنير ٢: ٣٧٧ (وزع).

٢ ـ تَفَادىٰ فُلان من كذا: إذا تحاماه و انزوىٰ عنه. الصّحاح ٦: ٢٤٥٣ (فدى).

٣ ـ راجع: مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ ـ في «ألف»: «غَرَضُهُم» و هو تصحيف.

من غاية كرم الله وفضله. ورد: «نزلت في أصحاب الجَمَلِ في أخبار كثيرة»[١]. و ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عذَرَني اللهُ من طلحة والزّبير، بايعاني طائعَيْنِ غير مكرهَيْنِ ثمّ نكثا بيعتي من غير حَدَثٍ أحدثتُه؛ والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتّى قاتلتهم: "وإن نكثوا" الآية»[٢].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ التي حلفوها مع الرّسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، على ان لايُعاوِنوا عليهم فعاونوا ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ حين تشاوروا في أمره بدار النّدْوَة كما سبق ذكره[٣]. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالمعاداة والمُقاتلة ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لَقُوا منهم من المكروه، و قد انجز الله هذه المواعيدَ كلّها، و الآية من دلائل النبوّة. ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾. إخبار بانّ بعضَهم يتوب عن كفره؛ وقد كان ذلك أيضاً. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بِطانَةً[٤] يُوالونَهُم و يُفْشُون إليهم أسرارهم. يعني: لاتُترَكُونَ على ما انتم عليه ولم يتبيّن المُخْلَصُون منكم. اراد بنفي العلم نَفْيَ المعلوم، و «لمّا» دلّت على انّه متوقّع. قال: «يعني بالمؤمنين آل محمّد عليهم السّلام، والوليجة: البطانة»[٥]. و في رواية: «الوليجة: الّذي يُقام دونَ وليّ الأمر، والمؤمنون في هذا

١ـ أنظر: القمّي ١: ٢٨٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ١١؛ و العيّاشي ٢: ٧٨، الحديث: ٢٣و٢٥.
٢ـ العيّاشي ٢: ٧٩، الحديث: ٢٨.
٣ـ في ذيل الآية: ٣٠ من سورة الأنفال.
٤ـ بطانَةُ الرَّجُلِ: دُخَلاؤُهُ و أهلُ سِرِّه ممّن يسكُنُ إليهم و يثِقُ بمَوَدَّتهم. مجمع البحرين ٦: ٢١٤ (بطن).
٥ـ القمّي ١: ٢٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الموضع هم الأئمة الّذين يؤمنون على الله فيُجيزُ أمانَهم»[1]. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾: شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾: بإظهار الشّرك و نصب الأصنام حول البيت.

رُوي: «انّ المسلمين عيّروا أُسارى بَدْرٍ، و وبّخ عليّ عليه السلام العبّاسَ بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وقطيعةِ الرَّحم، فقال العبّاس: تذكرون مَساوِيَنا و تكتمون محاسنَنا، فقالوا: أوَ لكُم محاسن؟ قالوا: نعم، إنّما نعمر المسجد الحرام، و نَحْجُبُ الكعبةَ، و نَسْقي الحجيج، ونَفُكُّ العانيَ[2]، فنزلت»[3]. ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الّتي هي العمارة و السّقاية والحجابة و فكُّ العُناةِ، الّتي يفتخرون بها بما قارنها من الشّرك ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾: إنّما يستقيم عمارتُها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلميّة و العمليّة؛ والعمارةُ يتناول بِناءَها، ورَمَّ ما استرَمَّ منها، و كَنْسَها و تَنْظيفَها و تنويرَها بالسُّرُج[4]، وزيارتها للعبادة و الذّكرِ و درسِ العلم، و صيانتها عمّا[5] لم تُبْنَ له كحديث الدّنيا. ورد: «إنّ بيوتي في الارض المساجدُ، و إنّ زوّاري فيها عُمّارها، فطوبى لعبد تَطَهَّرَ في بيته ثمّ زارني في بيتي، فحقٌّ على المزور ان يُكْرِمَ زائره»[6]. ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. في قراءتهم عليهم

١ـ الكافي ١: ٥٠٨، الحديث: ٩، عن ابي محمّد العسكري عليه السلام.
٢ـ العاني: الأسير. القاموس المحيط ٤: ٣٦٩ (عنا).
٣ـ جوامع الجامع ٢: ٤٤؛ و البيضاوي ٣: ٦٣؛ و الكشّاف ٢: ١٧٩، مع تفاوت يسير.
٤ـ في «الف»: «بالسّراج».
٥ـ في «ب» و «ج»: «ممّا».
٦ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٥٤، الحديث: ٧٢١، مع اختلاف؛ والبيضاوي ٣: ٦٣؛ والكشّاف ٢: ١٧٩.

السّلام: «سقاة الحاجّ و عمرة المسجد الحرام»[1]. قال: «نزلت في عليّ و العبّاس وشيبة، قال العبّاس: أنا أفضل لأنّ سقاية الحاجّ بيدي. وقال شيبة: أنا أفضل لأنّ حجابة البيت بيدي. و قال عليّ: أنا أفضل فإنّي آمنت قبلكما، ثمّ هاجرت و جاهدت. فرضوا برسول الله صلّى الله عليه وآله، فانزل الله»[2]. و في رواية: «ضمّ بعليّ: حمزة و جعفر»[3].

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾: دائم.

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾: اختاروه عليه. قال: «نزلت في حاطب بن ابي بلتعة، حيث كتب إلى قريش بخبر النّبيّ صلّى الله عليه وآله لمّا اراد فتح مكّة»[4]. و في رواية: «الكفر في الباطن في هذه الآية ولاية الاوّل والثّاني، والإيمان ولاية عليّ بن ابي طالب عليه السلام»[5]. ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾: اقرباؤكم ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾: اكتسبتموها ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾: بعقوبته ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. القمّي: لمّا اذن امير المؤمنين عليه السلام بمكّة: أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام، جزعت قريش جزعاً شديداً و قالوا: ذهبت تجارتنا وضاع

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٢٨٤، عن ابي جعفر عليه السلام، مع زيادة «حمزة».
٣ ـ الكافي ٨: ٢٠٣، الحديث: ٢٤٥، عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

عيالنا و خربت دورنا، فنزلت[١].

أقول: في الآية تشديدٌ عظيمٌ، و قلّ من يتخلّص منه. و ورد: «لايجد أحدكم طعمَ الإيمان حتّى يُحبَّ في الله و يبغض في الله»[٢].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ يعني: مواطن الحرب و هي مواقعها ومواقفها. ورد: «إنّها كانت ثمانين»[٣]. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ و هو واد بين مكّة و الطّائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. قيل: لمّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نُغْلَبَ اليومَ من قلّة، فساءت مقالتُه رسولَ الله ﷺ[٤]. و ورد: «إنّه كان أبابكر»[٥]. ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ الكثْرةُ ﴿شَيْئًا﴾ من الغنى لما أدركتكم كلمة الإعجاب. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: بسعتِها، لاتجدون فيها مفرّاً تطمئنّ إليه نفوسكم من شدّة الرّعب ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. سئل: ما السكينة؟ فقال: «ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، أطيب ريحاً من المسْك، و هي الّتي أنزلها الله على رسول الله ﷺ بحُنَين فهزم المشركين»[٦]. و في رواية: «فتكون مع الأنبياء»[٧].

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «هو القتل»[٨]. يعني العذاب. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٨٤.
٢ـ الكشّاف ٢: ١٨٠، عن النّبيّ ﷺ و تراه أيضاً في جوامع الجامع ٢: ٤٥.
٣ـ معاني الاخبار: ٢١٨، باب معنى الكثير من المال، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧؛ و القمّي ١: ٢٨٥، عن ابي الحسن الثّالث عليه السلام.
٤ـ جوامع الجامع ٢: ٤٦.
٥ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٤٦؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٨، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و التّفسير الكبير ١٦: ٢١.
٦ـ الكافي ٥: ٢٥٧، ذيل الحديث: ٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ـ القمّي ١: ٢٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

القمّي: كان سبب غَزْوَة حُنَين: أنّه لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكّة أظهر أنّه يُريد هوازِنَ [1]، و بلغ الخبرُ هَوازِنَ، فتهيّئوا و جمعوا الجُموعَ والسّلاحَ، و ساقوا معهم أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، و مرّوا حتّى نزلوا بأوطاس [2]، فبلغ رسول الله ﷺ اجتماعهم بأوطاس، فجمع القبائل و رغّبهم في الجهاد و وعدهم النّصر، و أنّ الله قد وعده أن يُغْنِمَه أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، فرغب النّاس و خرجوا على راياتهم، وعقد اللّواءَ الأكبر و دفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام و خرج في اثنَيْ عشر ألف رجل [3].

ورد: «فلمّا صلّى الغداة انحدر في وادي حُنَين، و هو واد له انحدار بعيد، و كانت بَنو سُلَيْم [4] على مُقَدَّمَته، فخرج عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، فانهزمت بَنو سُلَيْم وانهزم مَنْ وراءَهُمْ و لم يبق أحد إلّا انهزم، و بقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل، فاقبل رسول الله ﷺ ينادي: يا معشرَ الأنصار! أين؟ [5] إليَّ و أنا رسول الله [6]، فلم يَلْوِ [7] أحدٌ عليه فركض نحو عليّ [8] عليه السلام بغلَتَه، فقد شهر [9] سيفه، فقال: يا عبّاس اصعد هذا الظَّرِبَ [10] و ناد: يا أصحاب البقرة و يا أصحاب الشّجَرة، إلى أين تفرّون؟! هذا رسول الله ﷺ، ثمّ رفع يده فقال: «اللّـهُمَّ لكَ الْحَمْدُ و إِليْكَ الْمُشْتَكىٰ وَ أنْتَ الْمُسْتَعانُ».

١ـ هوازن قبيلةٌ من قيس بن عَيْلان، من العدنانيّة و هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيْلان. كانوا يقطنون في نَجْدٍ مّا يلي اليمن؛ و من أوديتهم: حُنَيْن. راجعْ: معجم قبائل العرب ٣: ١٢٣١.

٢ـ أَوْطاس: واد في ديار هوازن. معجم البلدان ١: ٢٨١.

٣ـ القمّي ١: ٢٨٥ و ٢٨٦.

٤ـ بنو سُلَيْم: قبيلة عظيمة من قيس بن عَيْلان من العدنانيّة تنتسب إلى سُلَيْم بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلانَ. معجم قبائل العرب ٢: ٥٤٣.

٥ـ في المصدر: «إلى أين المفرّ؟ ألا أنا رسول الله».

٦ـ في «الف» و «ج»: «إليَّ أنا رسول الله».

٧ـ في «المصباح المنير ٢: ٢٥٦ ـ لوى»: لايَلْوي عَلىٰ أحَدٍ أي: لايَقِفُ و لاينتظر، و في «المفردات: ٤٧٧ ـ لوى»: فلانٌ لايَلْوي على احدٍ: إذا أمْعَنَ في الهزيمة.

٨ ـ في «ج»: «نحو العبّاس».

٩ـ في «الف»: «و قد شهر»؛ وفي «ج»: «وهو شهر».

١٠ـ الظَّرِب: ما نَتَأ من الحجارة و حدَّ طرَفه، او الجبل المنبسط او الصّغير. القاموس المحيط ١: ١٠٣ (ظرب).

فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال: دعوتَ بما دعا به موسىٰ، حيث فلق الله له البحر و نجّاه من فرعون، ثمّ أخذ كفّاً من حَصىٰ فرماه في وجوه المشركين ثمّ قال: «شاهَتِ الوُجُوهُ». ثمّ رفع رأسه إلى السّماء و قال: اَللّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هٰذِهِ العِصابَةُ لَمْ تُعْبَدْ، وَإنْ شِئْتَ أنْ لاتُعْبَدَ لاتُعْبَدُ. فلمّا سمعت الأنصارُ نداء العبّاس عطفوا و كسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: «لبّيك». و مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله و استحيوا ان يرجعُوا إليه، و لَحقُوا بالرّاية، و نزل النّصر من السّماء و انهزمت هَوازِنُ، و كانوا يسمعون قعقعةَ السِّلاحِ في الجوّ، وانهزموا في كلّ وجه، و غَنَّمَ اللهُ رسولَه صلى الله عليه وآله أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم»[1].

هذا ملخّص القصّة.

و ورد: «إنّه قال رجل من المشركين للمؤمنين و هو أسير في أيديهم: أين الخيل البُلْق[2] و الرّجال عليهم الثّياب البيض؟ فإنّما كان قتلنا بايديهم، و ما كنّا نراكم فيه إلّا كهيئة الشّامة[3]. قالوا: تلك الملائكة»[4].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ منهم بالتّوفيق للإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عنهم و يتفضّل عليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لِخُبْث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً بسبب منعهم من الحرم، و انقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب و المنافع ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾. قيّده بالمشيّة، لينقطع الآمال إلى الله تعالى، و لينبّه على أنّه متفضّل في ذلك و انّ الغنَى الموعود يكون لبعض دون بعض، و في عام دون عام، و قد أنجز وعده بأن أرسل السّماءَ

١ـ القمّي ١: ٢٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ البُلْق جمع الأبْلَق: الّذي فيه سواد و بياضٌ. اقرب الموارد ١: ٦٠ (بلق).
٣ـ الشّامَة: أثرٌ أسود في البدن، يقال لها: الخال؛ وأثر أسود في الأرض «اقرب الموارد ١: ٦٢٧ ـ شيم» كانّه اراد بذلك قلّتهم و كثرة الملائكة.
٤ـ القمّي ١: ٢٨٨، عن ابي جعفر عليه السلام.

عليهم مدراراً، و وفّق طائفةً من أهل يمن للإسلام، فحملوا الطّعام إلى مكّة ثمّ فتح عليهم البلاد و الغنائم، و توجّه إليهم النّاسُ من اقطار الأرض. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾: ما يُقرّرُ عليهم أن يُعْطُوه؛ من جزىٰ دينَه: إذا قضاه. ﴿عَن يَدٖ﴾ مُواتية[1] غير مُمتَنِعَة ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: اذلاّء؛ يعني: تُؤخَذُ منهم على الصَّغار و الذُّلِّ. قال: «حتّى يجد ذُلاً لما أخِذَ منه، فيألَمَ لذلك، فيُسْلِمَ»[2].

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ إنّما قال ذلك بعضهم و لم يقله كلّهم. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ طالبهم فيه بالحجّة، فقالوا: لأنّه أحيا لبني إسرائيل التّوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلاّ لأنّه ابنه، فقال ﷺ: كيف صار عزير ابن الله دون موسى و هو الّذي جاءهم بالتّوراة و رأوا منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه من إحياء التّوراة، فلقد كان موسى بالنّبوة أحقّ و أولى»[3].

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ و هو ايضاً قول بعضهم. ورد: «إنّه ﷺ طالبهم فيه[4] بالحجّة، فقالوا: إنّ الله لمّا اظهر على يد عيسى من الاشياء العجيبة ما اظهر، فقد اتّخذه ولداً على وجه الكرامة، فقال لهم رسول الله ﷺ: فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الّذي ذكرتموه، ثمّ اعاد ذلك كلّه فسكتوا»[5]. ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾:

١ـ المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة. وأصله الهمزة: «المؤاتاة» وخفّف وكثر حتّى صار يقال بالواو الخالصة. مجمع البحرين ٢: ٢١ (أتا).

٢ـ القمّي ١: ٢٨٨؛ والكافي ٣: ٥٦٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الاحتجاج ١: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ لم ترد كلمة: «فيه» في «الف» و «ج».

٥ـ الاحتجاج ١: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لم يأتهم به كتاب و ما لهم به حجة ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يضاهي[١] قولهم ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ كالقائلين بأنّ الملائكة بنات الله ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: «لعنهم الله، فسمّي اللّعنة قتالاً»[٢]. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصرَفُونَ عن الحقّ.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾: علماءهم ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: عبّادهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله و تحليل ما حرّم الله. قال: «أما والله ما دعَوهم إلى عبادة أنفسهم، و لو دَعَوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لايشعرون»[٣]. ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ بأن أهّلوه للعبادة.

قال: «أمّا المسيح فعَصَوه و عَظَّمُوه في انفسهم حتّى زعموا أنّه إلهٌ، و أنّه ابن الله، و طائفة منهم قالوا: ثالثُ ثلاثة، و طائفة منهم قالوا: هو الله. و أمّا أحبارُهم و رهبانُهم فإنّهم أطاعوا[٤] و أخذوا بقولهم، واتّبعوا ما أمرُوهم به و دانوا بما دَعَوْهُم إليه، فاتّخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم، و تركهم أمر الله و كتبه و رسله، فنبذوه و راء ظهورهم. قال: وإنّما ذُكرَ هذا في كتابنا لكي نتعظ بهم»[٥]. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟﴾: ليُطيعوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ و هو الله تعالى، و أمّا طاعة الرّسل و أوصيائهم فهي في الحقيقة طاعة الله لأنّهم عن الله يامرون و ينهون. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بشركهم و تكذيبهم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ بإعلاء التّوحيد و إعزاز الإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليظهر دين

١ـ ضاهاهُ: شاكَلَهُ. القاموس المحيط ٤: ٣٥٨ (ضهى).
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٤٨ و الكافي ٢: ٣٩٨، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي: «فكانوا يعبدونهم من حيث لايشعرون».
٤ ـ في المصدر: «أطاعوهم».
٥ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

الحقّ على ساير الاديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾. قال: «ذلك يكون عند خروج المهديّ من آل محمّد ـ عليهم السّلام ـ، فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد ﷺ»[1]. و قال: «والله ما نزل تأويلها بعد، و لاينزل تأويلها حتّى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافرٌ بالله العظيم و لا مشركٌ بالإمام إلّا كره خروجه، حتّى لو كان كافر أو مشركٌ في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن! في بطني كافرٌ، فاكسرني واقتله»[2]. و في رواية: «هو الّذي أمر رسوله بالولاية لوصيّه؛ والولاية هي دين الحقّ، ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام والله متمّ ولاية القائم عليه السلام ولو كره الكافرون بولاية عليّ عليه السلام. قيل: هذا تنزيل؟. قال: نعم، هذا الحرف تنزيل، و أمّا غيره فتاويل»[3]. وفي رواية: «ليظهره الله في الرّجعة»[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: يأخذونها من الحرام بالرّشىٰ في الأحكام و تخفيف الشّرايع للعوامّ ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دينه ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بإخراج الحقوق ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو الكيّ[5] بهما، المستوعب للبدن كلّه.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: على الكنوز ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ يعني يقال لهم: هذا ما كنزتم لانتفاع أنفسكم، و كان سبب تعذيبها، فذوقوا وباله. ورد: «لمّا نزلت، قال النّبيّ ﷺ: تبّاً للذّهب، تبّاً للفضّة؛ يكرّرها ثلاثاً، فشقّ ذلك على أصحابه، فسأله عمر: أيّ المال نتّخذ؟ فقال: لساناً ذاكراً و قلباً شاكراً و زوجة مؤمنةً تُعينُ احدكم على دينه»[6]. و قال:

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ كمال الدّين ٢: ٦٧٠، الباب: ٥٨، الحديث: ١٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٢، الحديث: ٩١، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ كَواهُ يكويه كيّاً: أحرَقَ جلدَه بحديدة ونحوها. القاموس المحيط ٤: ٣٨٦ (كوى).
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦.

«الدّينار و الدّرهم أهلَكَا من كان قبلكم و هما مُهْلِكاكم»[١]. و ورد: «إنّ الله حرّم كنز الذّهب و الفضّة و أمر بإنفاقه في سبيل الله»[٢].

قال: «كان أبوذرّ الغفاري يَغْدُو كلّ يوم و هو بالشّام، فينادي بأعلى صوته: بشّرْ أهلَ الكنوز بكَيٍّ في الجِباه و كَيٍّ في الجنوب[٣] و كَيٍّ بالظّهور[٤] أبداً، حتّى يتردّد الحرُّ في أجوافهم»[٥]. و ورد أيضاً: «إنّما أعطاكم الله هذه الفضولَ من الأموال لتُوجِّهُوها حيث وجّهها الله، و لم يُعْطِكُموها لتكنزوها»[٦]. و في رواية: «موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف، فإذا قام قائمنا حرّم على كلّ ذي كنز كنزَه، حتّى يأتِيَهُ به، فيستعين به على عدوّه؛ و هو قول الله عزّوجلّ: "والّذين يكنزون" الآية»[٧]. و في أُخرى: «إنّما عنى بذلك ما جاوز ألفَيْ درهم»[٨]. و في أُخرى: «ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز؛ أدّى زكاتَه أو لم يُؤدِّ، و ما دونهما فهي نفقة»[٩]. و سئل: في كم تجب الزّكاة من المال؟ فقال: «الزّكاة الظّاهرة أم الباطنة تريد؟» فقيل[١٠]: أُريدهما جميعاً. فقال: «أمّا الظّاهرة ففي كلّ ألفٍ خمسة وعشرون، و أمّا الباطنة فلا تستأثر[١١] على أخيك بما هو أحوج إليه منك»[١٢].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيما كتبه و أثبته عنده ورآه حكمةً و صواباً ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: مُذْ خلق الأجسامَ والأزمنة ﴿مِنْهَآ

١ـ الخصال ١: ٤٣، الحديث: ٣٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٢و٥ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب» و «ج»: «بالجنوب».
٤ـ في المصدر: «في الظّهور».
٦ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣١، الحديث: ١٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الكافي ٤: ٦١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٠ـ في «الف» و المصدر: «فقال».
١١ـ رجل يستأثر على أصحابه أي: يختار لنفسه أشياء حسنة. القاموس المحيط ١: ٣٧٥ (أثر).
١٢ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحدث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يحرم فيها القتالُ؛ ثلاثةٌ سَرْدٌ[1]، و هي: ذوالقعدة و ذوالحجّة والمحرّم، و واحدٌ فردٌ و هو رجب. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: تحريم الأشهر الاربعة هو الدّين القويم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بهتْك حرمتها و ارتكاب حرامها ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ قال: «جميعاً»[2]. ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾: تأخير حرمة الشّهر إلى شهر آخرَ. كانوا إذا جاء شهر حرام و هم محاربون أحلّوه و حرّموا مكانه شهراً آخر، حتّى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرّد العدد. و في قراءتهم عليهم السّلام: «النَّسْيُ»[3] كالرَّمْي. ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ لانّه تحريمُ ما أحلّ الله و تحليلُ ما حرّمه، فهو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم. ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ضلالاً زايداً ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾. القمّي: كان سبب نزولها: انّ رجلاً من «كنانَة» كان يقف في الموسم فيقول: قد أحللتُ دماءَ المحلّين: ـ طَيٍّ و خَثْعَم ـ في شهر المحرّم و انسائه، و حرّمْتُ بدلَه صَفَرَ. فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللتُ صفَرَ و انسأْتُه و حرّمت بدله شهر المحرّم[4]. ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾: ليُوافقوا[5] ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: عدّةَ الأربعة المحرّمة ﴿فَيُحِلُّوا۟﴾ بمُواطأة العدّة ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من القتال ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾: خذلَهم الله، حتّى حَسِبُوا قبيحَ أعمالهم حَسَناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لعدم قبولهم الاهتداءَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ[6] إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾:

١ـ السَّرْدُ: تتابع بعض حلق الدّرع إلى بعض، يُقال: سَرَد فلانٌ الصّومَ: إذا والاه. مجمع البحرين ٣: ٦٨ (سرد).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في مجمع البيان (٥ ـ ٦: ٢٨): قرأ ابوجعفر عليه السلام «النَّسِيّ» بالتّشديد من غير همزٍ؛ و قرأ جعفر بن محمّد عليهما السّلام و الزّهري «النَّسي» مخفّفاً في وزن الهدَى بغير همز.
٤ـ القمّي ١: ٢٩٠.
٥ـ في «ب»: «ليَتوافقوا».
٦ـ اصله: «تَثاقلتُم» فادغمت التّاء في الثّاء، ثمّ ادخلَتْ همزة الوَصل ليمكن الابتداء بها. مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠.

تَباطأتُمْ، مخلّدين إلى أرضكم والإقامة بدياركم. قيل: ذلك[١] في غزوة تبوك في سنة عَشْرٍ، بعد رجوعهم من الطّائف، استنفروا في وقت قَحْطٍ و قَيْظٍ[٢] مع بُعد الشُّقَّة[٣] وكثرة العدوّ، فشقّ ذلك عليهم[٤]. القمّي: و ذلك لمّا شاع بالمدينة أنّ الرّوم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله ﷺ في عسكر عظيم، و أنّ هِرَقْل[٥] قد سار في جنوده، و جلب معه القبائل، و قدموا البَلْقاء[٦] فأمر رسول الله ﷺ بالتّهيّوء إلى تبوك ـ و هي من بلاد البَلْقاء ـ و بعث إلى القبائل حوله و إلى مكّة و إلى من أسلم من خُزاعة و مُزَيْنة و جُهَيْنة، و حثّهم على الجهاد، فقدمت القبائل، و قعد عنه قوم من المنافقين و غيرهم[٧]. ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و غرورها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾: [بدلها][٨] ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنبها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: مستحقر.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: فسينصره كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾: لم يكن معه إلّا رجل واحد ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: غار ثَوْر؛ وهو جبل في يُمْنىٰ مكّة على مسيرة ساعة. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ و هو أبوبكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾: لاتخف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة و المعونة. ورد: «إنّ رسول الله ﷺ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإنّ الله معنا، و قد أخذته الرِّعْدَةُ و هو لايَسْكُنُ، فلمّا

١ـ في «ج»: «قيل: كان ذلك»؛ وفي «الف»: «قال: كان ذلك».
٢ـ القَيْظ: صميم الصّيف من طلوع الثّريّا إلى طلوع سهيل. يقال: قاظ يومنا: إذا اشتدّ حَرُّه. القاموس المحيط ٢: ٤١٢ (قيظ).
٣ـ الشُّقّة ـ بالضّمّ و الكسر ـ: البُعد، والنّاحية يقصدها المسافر، و السّفر البعيد، والمشقّة. القاموس المحيط ٣: ٢٥٨؛ ومجمع البحرين ٥: ١٩٤ (شقق).
٤ـ البيضاوي ٣: ٦٨؛ والكشّاف ٢: ١٨٩.
٥ـ هِرَقْل ـ على وزن دِمَشْق ـ و هِرْقِل ـ وزان خِنْدِف ـ: إسم مَلِك الرّوم. القاموس المحيط ٤: ٦٩ (هرقل).
٦ـ البَلْقاء: كورة من أعمال دمشق بَين الشّام و وادي القرىٰ. مُعجَم البلدان ١: ٤٨٩.
٧ـ القمّي ١: ٢٩٠.
٨ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

رأى رسولُ الله ﷺ حالَه، قال له: تريد أن أُرِيك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، و أُرِيك جعفر و أصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم. فمسح بيده على وجهه؛ فنظر إلى الأنصار يتحدّثون، و إلى جعفر و أصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك السّاعة أنّه ساحر»[1].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ :أمَنَتَهُ الّتي يسكن إليها القلوب ﴿عَلَيۡهِ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «على رسوله. قال: و هكذا تنزيلها»[2]. و قال: «إنّهم يحتجّون علينا بقول الله تبارك و تعالى: "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ" و مالهم في ذلك من حجّة؛ فوالله لقد قال الله: "فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِه" و ما ذكره فيها بخير. قيل: هكذا تقرؤونها؟ قال: هكذا قراتها»[3]. ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني الملائكة. قد سبق فيه كلام في تفسير: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا" من سورة الأنفال[4]. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ قال: «هو الكلام الّذي تكلّم به عتيق»[5].

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ القمّي: هو قول رسول الله[6]. ويستفاد ممّا سبق أنّ كلمتهم ما كانوا يمكرون به من إثباته، أو قتله، أو إخراجه، و كلمة الله نصرُه و غلبتُه عليهم. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ القمّي: شباباً و شيوخاً؛ يعني إلى غزوة تبوك[7]. ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

١ـ الكافي ٨: ٢٦٢، الحديث: ٣٧٧، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام.
٢ـ المصدر: ٣٧٨، الحديث: ٥٧١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٨٨، الحديث: ٥٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ في ذيل الآية: ٣٠.
٥ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام. والعتيق: لقب أبي بكر. القاموس المحيط ٣: ٢٧٠؛ والنّهاية ٣: ١٧٩ (عتق).
٦و٧ـ القمّي ١: ٢٩٠.

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ قال: «يقول: غنيمةٌ قريبةٌ»[١]. ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾: متوسّطاً ﴿ لَاتَّبَعُوكَ ﴾: لوافقوك ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: المسافة الّتي تقطع بمشقّة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: المتخلّفون، إذا رجعتَ من تبوك معتذرين ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾: يقولون: لو كان لنا استطاعةُ العُدَّة، أو البدن ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ و هذا إخبار بما سيقع قبل وقوعه. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بإيقاعها في العذاب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. قال: «كذّبهم الله في قولهم: "لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ" و قد كانوا مستطيعين للخروج»[٢].

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في القعود حين استأذنوك واعتلّوا بالاكاذيب، و هلاّ توقّفت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال: «يقول: لتَعْرِفَ أهلَ العذر[٣] والّذين جلسوا بغير عذر»[٤]. في الجوامع: و هذا من لطيف المعاتَبَة، بداه بالعفو قبل العتاب، و يجوز العتاب من الله فيما غيرُه أولى[٥]، لاسيّما للأنبياء[٦]. و ورد: «إنّه ممّا نزل: بإيّاك أعني واسمعي يا جاره؛ خاطب الله بذلك نبيّه و أراد [به][٧] أُمّته»[٨].

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ قيل: يعني ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، و إنّ الخُلّصَ منهم يبادرون إليه و لايوقفون[٩] على الإذن فيه فضلاً [عن][١٠] أن يستأذنوا في التّخلّف عنه، إذ

١ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ التّوحيد: ٣٥١، الباب: ٥٦، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أكذَبَهُم الله».
٣ـ في المصدر: «أهل العُذْر».
٤ـ القمّي ١: ٢٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في المصدر: «فيما غيرُه منه أولى».
٦ـ جوامع الجامع ٢: ٥٧.
٧ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٩ـ في المصدر: «لايتوقّفون»؛ وفي «ب» و «ج»: «ولايوافقونه».
١٠ـ مابين المعقوفتين من «ب».

ليس[١] من عادتهم أن يستأذنوك في التّخلّف، كراهة أن يجاهدوا[٢]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلّف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيّرون. ورد: «من تردّد في الرّيب سبقه الأوّلون، و أدركه الآخرون، و وطأته[٣] سنابك[٤] الشّياطين»[٥].

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أُهبةً. قال: «يعني بالعُدَّة: النّيّة. يقول: لو كان لهم نيّةٌ لخرجوا»[٦]. ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾: نهوضهم للخروج إلى الغزو، لعلمه بأنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنّميمة بين المسلمين ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: بطّأهم وجبّنهم وكسّلهم و خذلهم ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: مع النّساء والصّبيان و هو إذن رسول الله ﷺ لهم في القعود، و في هذا دلالة على أنّ إذنه لم يكن قبيحاً، و إن كان الأولى أن لا يأذن لهم؛ ليظهر للنّاس نفاقهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: فَساداً و شرّاً ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾: ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنّميمة، أو الهزيمة[٧] ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم، والرّعب في قلوبكم، و إفساد نيّاتكم في غزوتكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: عيون نمّامون، يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون قولَ المنافقين؛ و يقبلونه و يطيعونهم؛ يريد من كان ضعيفَ الإيمان من المسلمين[٨]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

١ـ في «ب» و «ج»: «أو ليس».
٢ـ البيضاوي ٣: ٦٩.
٣ـ في المصدر: «قطعته».
٤ـ سنابك جمع سُنْبُك ـ كقُنْفُذ ـ: ضربٌ من العَدْو و طَرَفُ الحافر. «القاموس المحيط ٣: ٣١٧» و هو كناية عن استيلاء الشّيطان.
٥ـ الخصال ١: ٢٣٣، ذيل الحديث: ٧٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في «الف»: «والهزيمة».
٨ـ جوامع الجامع ٢: ٥٩.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾: تشتيتَ شمْلكَ و تفريقَ أصحابك ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني يوم أُحد، أو وقُوفهم على الثَّنيَّةِ[1] ليلة العقبة؛ ليَفتِكُوا به[2]. ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: دبّروا لك الحِيَلَ و المكائد، واحتالوا في إبطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ و هو تأييدك و نصرك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: و غلب دينه و علا أهله ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ أي: علىٰ رغمٍ منهم.

والآيتانِ لتسلية رسول الله ﷺ والمؤمنين على تخلّفهم، و بيانِ ما ثبّطهم الله لأجله، وهتك أستارهم، و إزاحة اعتذارهم، تداركاً لما فات الرّسول ﷺ بالمبادرة إلى الإذن.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: و لاتوقعْني في الفتنة، أي: العصيان والمخالفة، بأن لاتأذنَ لي، فإنّي إن تخلّفتُ بغير إذنك أثمتُ، أو في الفتنة بنساءِ الرّوم، كما يأتي ذكره. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: إنّ الفتنة هي الّتي سقطوا فيها، و هي فتنة التّخلّف و ظهور النّفاق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: بهم، لأنّ آثار إحاطتها بهم معهم، فكأنّهم في وسطها.

القمّي: لقى رسول الله ﷺ «الجدَّ بن قيس» فقال له: يا أبا وهب! ألا تنفر معنا في هذا الغزوة؟ لعلّك أن تَحتَفِدَ[3] من بنات الأصفر[4]. فقال: يا رسول الله، والله، إنّ قومي ليعلمون انّه ليس فيهم أحدٌ أشدّ عُجْباً بالنّساء منّي، و أخاف إن خرجت معك أن لااصبرَ إذا رأيت بنات الأصفر، فلا تَفتِنّي و ائذنْ لي أن أُقيمَ، و قال لجماعة من قومه: لاتخرجوا في الحرّ، فقال ابنه: تردّ على رسول الله ﷺ و تقول ما تقول، ثمّ تقول لقومك: لاتنفروا في الحرّ! والله ليُنزِلَنّ الله في هذا قرآناً يقرأه النّاس إلى يوم القيامة،

١ـ الثَّنيَّةُ: العَقَبَةُ، او طريقُها، او الجبل، او الطريقة فيه او إليه. القاموس المحيط ٤: ٣١١ (ثنى).
٢ـ عن سعيد بن جُبَير: وَقَفُوا لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك على الثَّنيَّة ليلة العقبة ليفتكوا به و هم إثناعشر رجلاً. راجع: جوامع الجامع ٢: ٥٩.
٣ـ في المصدر: «ان تَستَحْفِدَ» و الإستحفاد: الإستخدام.
٤ـ يعني به الرّوم، لأنّ اباهُمُ الأوّل كان أصفر اللّون و هو روم بن عيصُو بن إسحاق بن إبراهيم. النّهاية ٣: ٣٧ (صفر).

فانزل الله علـى رسوله ﷺ في ذلك: "و منهم من يقول ائذن لـي" الآية، ثمّ قـال «جَدُّ بْنُ قَيْسٍ»: أيطمع محمّد أنّ حرب الرّوم مثلُ حرب غيرهم، لايرجع من هؤلاء أحدٌ أبداً[1].

﴿إن تُصِبْكَ﴾ في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ قال: «غنيمة و عافية»[2]. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ قال: «بلاء و شدّة»[3]. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾: تبجّحوا بانصرافهم، واستحمدوا رأيهم في التّخلّف ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾: ناصرنا و متولّي أمرنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: تنتظرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: الغنيمة والجنّة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السّوْأَيَيْن: ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾: بقارعة من السّماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ و هو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم.

ورد: «و كذلك المرأ المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنيين: إمّا داعيَ الله، فما عند الله خير له، و إمّا رزقَ الله، فإذا هو ذو أهلٍ و مالٍ، و معه دينُه و حَسَبُه»[4]. و قال: «التّربّص انتظار وقوع البلاء بأعدائهم»[5].

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ إذ لا رجاءَ ثوابٍ لهم

١ـ القمّي ١: ٢٩١ـ٢٩٢.
٢و٣ـ المصدر: ٢٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٦٤، الخطبة: ٢٣.
٥ـ الكافي ٨: ٢٨٧، ذيل الحديث: ٤٣١، عن ابي جعفر عليه السلام.

ولاخوف عقاب.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ يعني إنّ ذلك استدراج و وبال لهم، بسبب ما يكابدون[1] لجمعها و حفظها من المتاعب، و ما يرون فيها من الشّدائد و المصائب، و يشقّ عليهم إنفاقها في سبيل الله، و الزُّهوقُ: الخُروج بصعوبة.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: لَمِنْ جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين؛ من القتل والأسْر، فيُظْهِرونَ الإسلام تقيّةً.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ حِصناً يَلْجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾: غيراناً ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضعَ دُخول. قال: «أسراباً في الأرض»[2]. ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾: لاقبلوا نحوه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يُسْرعُون إسراعاً لايردّهم شيء، كالفرَسِ الجَمُوح.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: يعيبُك ﴿فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾: في قسمتها ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ يعني إنّ رضاهم و سخطهم لانفسهم، لا للدّين.

قال: «بينا رسول الله ﷺ يَقْسِمُ قَسْماً إذ جاءه ابنُ ذي الخُوَيْصِرَةِ التَّميميّ، و هو حُرْقُوصُ ابنُ زُهَيْرٍ أصل الخوارج. فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: ويلك! و من يعدل إذا لم أعدل؟» الحديث. إلى أن قال: «فنزلت»[3].

و ورد: «إنّ أهل هذه الآية أكثرُ من ثُلثَي النّاس»[4].

١ـ في «الف»: «يكايدون» بالياء، و هو تصحيف. والمكابدة للشّيْ: تحمّل المشاقّ فيه. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠، عن أبي سعيد الخدري.

٤ـ المصدر: ٤١؛ و العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ما أعطاهم الرّسول من الغنيمة أو الصّدقة؛ و ذكر «الله» للتّعظيم و التّنبيه على أنّ ما فعله الرّسول كان بأمر الله. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: كفانا فضله ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ صدقةً أو غنيمةً أُخرى ﴿وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في أن يوسّع علينا من فضله. و جواب الشّرط محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ اي: الزّكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: فرض لهم فريضة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء مواضعها.

قال: «الفقراء: هم الّذين لايسالون و عليهم مؤونات من عيالهم؛ و الدّليل على أنّهم هم الّذين لايسالون قول الله عزّ وجلّ في سورة البقرة: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا" إلى قوله: "لايَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً"[1]. والمساكين: هم أهل الزَّمانة من العُمْيان والعُرْجان والمُجَذَّمين[2]، و جميع أصناف الزَّمْنى من الرّجال والنّساء والصّبيان. والعاملين عليها: هم السُّعاة والجُباة في أخذها و جمعها و حفظها حتّى يُؤَدُّوها[3] إلى من يَقْسِمُها. والمؤلّفةُ قلوبهم: قوم وحّدوا الله و لم تدخل المعرفةُ قلوبَهم أنّ محمّداً رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يتألّفهم و يُعلّمُهُم كَيْما يعرفوا، فجعل الله لهم نصيباً في الصّدقات لكي يعرفوا و يَرْغَبُوا. و في الرّقاب: قوم قد لزمهم كفّارات في قتل الخطأ و في الظِّهار و قتلِ الصّيد في الحرم و في الأيمان، وليس عندهم ما يُكَفِّرون، وهم مؤمنون، فجعل الله لهم سهماً في الصّدقات ليُكَفَّرَ عنهم. والغارمين: قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من

١ـ الآية: ٢٧٣.
٢ـ في المصدر: «المجذومين».
٣ـ في المصدر: «حتّى يردّوها».

غير إسراف، فيجب على الإمام، أن يقضي ذلك عنهم، و يكفيهم[١] من مال الصّدقات. و في سبيل الله: قوم يخرجون في الجهاد و ليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجّون به، أو في جميع سُبُل الخير، فعلى الإمام أن يُعطيَهم من مال الصّدقات حتّى يتقوّون به[٢] على الحجّ والجهاد. وابن السّبيل: أبناء الطّريق الّذين يكونون في الأسفار في طاعة الله، فيُقْطَعُ عليهم و يَذْهَبُ مالُهم، فعلى الإمام أن يردّهم إلى أوطانهم من مال الصّدقات. والصّدقات تتجزّى ثمانية أجزاء، فيُعْطىٰ كلٌّ إنسان من هذه الثّمانية على قدر مايحتاجون إليه بلا إسراف و لاتقتير، يقوم في ذلك الإمام، يعمل بما فيه الصّلاح»[٣].

و في رواية: سئل عن مُكاتَبٍ عجز عن مُكاتَبَته و قد أدّىٰ بعضَها. قال: «يؤدّىٰ عنه من مال الصّدقة، إنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه: "و في الرّقاب"»[٤]. و ورد: «سهم المؤلّفة قلوبهم و سهم الرّقاب عامّ، والباقي خاصّ»[٥]. يعني خاصّ بمن يعرف الحقّ لايُعْطىٰ غيرَه.

و ورد: «لاتحلّ الصّدقة لبني هاشم إلاّ في وجهين: إن كانوا عطاشاً فاصابوا ماءً فشربوا، و صدقة بعضهم على بعض»[٦].

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: يسمع كُلَّ ما يقال له و يُصَدِّقُه ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾. تصديق لهم بانّه أُذُنٌ، ولكن لاعلى الوجه الّذي ذمّوه به، بل من حيث إنّه يسمع الخير و يقبله. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: يُصَدِّقُ به ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يُصَدِّقُهم؛ واللاّم للفرق بين الإيمانين كما يأتي.

١ـ في المصدر: «و يَفُكَّهُم».
٢ـ في المصدر: «حتى ينفقوا به».
٣ـ القمّي ١: ٢٩٨ ـ ٢٩٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٧٤، الحديث: ٢٥٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٣: ٤٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ٦٢، الحديث: ٨٨، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه عليهم السّلام.

القمّي: كان سبب نزولها: أنّ عبدالله بن نُفَيْلٍ كان منافقاً، و كان يقعد إلى رسول الله ﷺ فيسمع كلامَه و ينقله إلى المنافقين و ينُمُّ عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد إنّ رجلاً من المنافقين: ينُمُّ عليك و ينقل حديثك إلى المنافقين. فقال رسول الله ﷺ: من هو؟ فقال: الرّجل الأسود كثير[1] شعر الرّأس، ينظر بعينين كأنّهما قدْران، و ينطق بلسانه شيطان[2]. فدعاه رسول الله ﷺ، فأخبره، فحلف إنّه لم يفعل، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلتُ منك فلا تقعد، فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمّداً أُذُنٌ أخبره الله انّي أنِمُّ عليه و أنقل أخباره فقبل، و اخبرته انّي لم أفعل فقبل، فأنزل الله على نبيّه: "و منهم الّذين يؤذون النّبيّ و يقولون هو أُذن قل أُذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين" أي: يصدّق الله فيما يقول له، ويصدّقك فيما تعتذر إليه في الظّاهر و لايصدّقك في الباطن. قوله: "وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ" يعني المُقِرّين بالإيمان من غير اعتقاد[3].

و في رواية: «يعني يصدّق الله و يصدّق المؤمنين، لأنّه كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين»[4]. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: هو رحمة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾: لمن أظهر الإيمان حيث يقبله و لايكشف سرّه. وفيه تنبيه على أنّه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم؛ بل رفقاً بكم و ترحّماً. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا و تخلّفوا. ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾. توحيد الضّمير لتلازم الرّضائين. ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

القمّي: نزلت في المنافقين الّذين كانوا يحلفون للمؤمنين أنّهم منهم، لكي يرضوا عنهم[5].

١ـ في المصدر: «الكثير شعر الرّأس».
٢ـ في المصدر: «و ينطق بلسان شيطان».
٣ـ القمّي ١: ٣٠٠.
٤ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث: ٨٣، عن ابي عبدالله ﷺ.
٥ـ القمّي ١: ٣٠٠.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يشاقق؛ من الحدّ، لأنّ كلاً من المخالفين في حدّ غير حدّ صاحبه ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ و تهتك عليهم أستارهم ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. القمّي: كان قوم من المنافقين لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك يتحدّثون فيما بينهم و يقولون: أيرى محمّد ﷺ أنّ حرب الرّوم مثلُ حرب غيرهم؟. لا يرجع منهم أحد أبداً. فقال بعضهم: ما أخْلَقَه[1] أن يخبر الله محمّداً ﷺ بما كنّا فيه و بما في قلوبنا، و ينزّل عليه بهذا قرءاناً يقرأه النّاس؛ و قالوا هذا على حدّ الاستهزاء. و قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: «الحق القوم فإنّهم قد احترقوا، فلحقهم عمّار فقال: ما قلتم؟ قالوا: ما قلنا شيئاً، إنّما كنّا نقول شيئاً على حدّ اللّعب و المزاح؛ فنزلت»[2].

و في رواية: «نزلت في اثْنَيْ عشر رجلاً وقفوا على [باب][3] العقبة، ائتمروا بينهم ليقتلوا رسول الله ﷺ، و قال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنّما كنّا نخوض و نلعب، و إن لم يَفْطُن نقتله، وذلك عند رجوعه من تبوك. فأخبره جبرئيل بذلك، و أمره أن يرسل إليهم و يضرب وجوه رواحلهم، فضربها حتّى نحّاهم»[4]. و ورد: «كانت ثمانية منهم من قريش و أربعة من العرب»[5]. و يأتي تمام قصّتهم عند تفسير قوله تعالى: "يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا"[6] من هذه السّورة إن شاء الله.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ بما يعلم كذبه ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾: قد اظهرتم الكفر ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد

١ـ في المصدر: «ما أخلقه».
٢ـ القمّي ١: ٣٠٠.
٣ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الآية: ٧٤.

إظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتهم و إخلاصهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على النّفاق. و في رواية في قوله: "لاتَعْتَذِرُوا": «هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا و شكّوا و نافقوا بعد إيمانهم، و كانوا أربعة نفر. وقوله: "إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ" كان أحد الأربعة مختبر بن الحُمَيِّر[1] فاعترف و تاب، وقال: يا رسول الله أهلكني اسمي، فسمّاه رسول الله ﷺ: عبدالله بن عبدالرّحمن، فقال: يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لايُعْلَمُ أين أنا، فقتل يوم اليمامة، ولم يَعْلَمْ أحدٌ أين قتل، فهو الّذي عفي عنه»[2].

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. تكذيب لهم فيما حلفوا: "إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ"، و تحقيق لقوله: "وَ ما هُمْ مِنْكُمْ"[3] ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: بالكفر و المعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطّاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ شُحّاً[4] بالخيرات والصّدقات ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: أغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم عن رحمته و فضله. قال: «يعني نسوا الله في دار الدّنيا فلم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، أي: لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً، فصاروا منسيّين من الخير»[5]. و في رواية: «تركوا طاعة الله، فتركهم»[6].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: أنتم مثلهم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا

١ـ في «الف»: «مختير بن الحُمَيِّر». وفي «ج»: «مخبر بن حميّر». و في سيرة النّبويّ لابن هشام (٤: ١٦٨) و المغازي للواقدي (٢: ١٠٠٣): «مَخْشي بن حُمير» و «مُخَشّن بن حُمير».
٢ـ القمّي ١: ٣٠٠، عن أبي جعفر ؑ.
٣ـ الآية: ٥٦.
٤ـ الشُّحُّ: البُخْلُ و الحرص. القاموس المحيط ١: ٢٣٩ (شح).
٥ـ العيّاشي ٢: ٩٦، الحديث: ٨٦؛ و التّوحيد: ٢٥٩، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين ؑ. وفي العيّاشي: «... فلم يعملوا له بالطّاعة، ولم يؤمنوا به وبرسوله، فنسيهم في الآخرة».
٦ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث: ٨٥، عن أبي جعفر ؑ.

وَأَوْلَٰدًا﴾ . بيان لتشبيههم[1] بهم. ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ : نصيبهم من ملاذّ الدّنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ . ذمّ الاوّلين باستمتاعهم بحظوظهم الفانية، والتهائهم بها عن النّظر في العاقبة و السّعي في تحصيل اللّذائذ الحقيقيّة الباقية، تمهيداً لذمّ المخاطَبين لمشابهتهم بهم واقتفائهم اثرهم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾ : دخلتم في الباطل ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ : كالخوضِ الّذي خاضوه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ .

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ كيف أُغرِقوا بالطّوفان ﴿وَعَادٍ﴾ كيف أُهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ كيف أُهلكوا بالرَّجْفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كيف أُهلكَ نُمْرود ببَعُوضٍ و أُهْلكَ اصحابُه ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ : قوم شُعَيب كيف أُهلكوا بالنّار يوم الظُّلَّة[2] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ : اصحاب القرى المؤتفكة. قال: «أُولئك قوم لوط ائتفكت عليهم، أي: انقلبت»[3]. ﴿أَتَتْهُمْ﴾ كلّهم ﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتعرّضها للعقاب بالكفر و التّكذيب.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ . هي في مقابلة سابقته.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ : يَطيبُ فيها العيشُ ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ : إقامة و خلود. قال: «عَدْنٌ: دار الله الّتي لم ترها عينٌ و لم تَخطُرْ على قلب بشر، لايَسْكُنُها غيرُ ثلاثة: النّبيّين و الصّدّيقين والشّهداء. يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك»[4]. ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني و شيء

١ـ في «الف»: «لتشبّههم».
٢ـ إشارة إلى الآية: ١٨٩ من سورة الشُّعراء: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».
٣ـ الكافي ٨: ١٨١، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥٠، مروياً عن النّبي صلى الله عليه وآله.

من رضوانه أكبر من ذلك كلّه، لأنّ رضاه سبب كلّ سعادة، و موجب كلّ فوز، و به يُنالُ كرامتُهُ الّتي اكبر أصناف الثّواب. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الّذي يستحقر دونه كلُّ لَذّةٍ و بَهْجَةٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [قيل: بالسيف[1].][2] ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ قال: «بإلزام الفرائض»[3]. وفي رواية: إنّ في قراءتهم عليهم السّلام: «جاهد الكفّار بالمنافقين قالوا: لأنّ النّبيّ ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين، ولكن كان يتألّفهم، ولأنّ المنافقين لايُظْهِرُون الكفرَ، و عِلْمُ الله بكفرهم لايُبيحُ قتلَهم إذا كانوا يُظْهِرُون الإيمانَ»[4]. وفي أُخرى: «هكذا نزلت، يعني: "والمنافقين". قال: فجاهد رسول الله ﷺ الكفّار و جاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد عليّ عليه السلام جهادَ رسول الله ﷺ»[5]. ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾. القمّي: نزلت في الّذين تحالفوا في الكعبة أن لايردّوا هذا الأمرَ في بني هاشم، فهي "كلمة الكفر"، ثمّ قعدوا لرسول الله ﷺ في العقبة و همّوا بقتله، و هو قوله: "و همّوا بما لم ينالوا"[6].

اقول: قد سبق حديث همّهم بقتله عند تفسير قوله تعالى: "إِنَّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ".

و ورد: «لمّا قال النّبيّ ﷺ ما قال في غدير خُمّ و صاروا[7] بِالأَخْبِيَةِ[8]، مرّ المقداد

١ـ جوامع الجامع ٢: ٧٠؛ والبيضاوي ٣: ٧٤؛ والكشّاف ٢: ٢٠٢.
٢ـ مابين المعقوفتين من «ج».
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠.
٥ـ القمّي ٢: ٣٧٧، ذيل الآية: ٩ من سورة التّحريم، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٠١.
٧ـ في المصدر: «و صار».
٨ـ الأَخْبِيَةُ جمع الخِباء: من الابنية يكون من وبر او صوفٍ أو شَعرٍ. القاموس المحيط ٤: ٣٢٤ (جنى).

بجماعة منهم يقولون: إذا دنا موته و فنيت أيّامه و حضر أجله، أراد أن يولّينا عليّاً من بعده، أما والله ليعلمنّ، قال: فمضى المقداد و أخبر النّبيّ ﷺ فقال: الصّلاة جامعة. قال: فقالوا: قد رمانا المقداد، فقوموا نحلف عليه، قال: فجاؤوا حتّى جثّوا[1] بين يديه، فقالوا: بآبائنا و أمّهاتنا يا رسول الله، والّذي بعثك بالحقّ والّذي أكرمك بالنّبوّة، ما قلنا مابلغك، والّذي اصطفاك على البشر. قال: فقال النّبيّ ﷺ: بسم الله الرّحمن الرّحيم يحلفون بالله ما قالوا، و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم و همّوا بك يا محمّد ليلة العقبة»[2].

و في رواية: «لمّا اقام عليّاً يوم غدير خُمّ كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين: و هم أبوبكر و عمر و عبدالرّحمن بن عوف و سعد بن أبي وقّاص و أبوعُبَيْدَة و سالم مولا أبي حُذَيْفَة و المُغيرة بن شُعْبَة. قال عمر: أما ترون عينيه كأنّهما عينا مجنون ـ يعني النّبيّ ﷺ ـ السّاعةَ يقوم و يقول: قال لي ربّي. قال: فنزل جبرئيل و أعلمه بمقالة القوم، فدعاهم و سألهم فانكروا و حلفوا، فانزل الله "يحلفون بالله ما قالوا"»[3].

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: و ما أنكروا و ما عابوا ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾. قال: «كان أحدهم يبيع الرّؤوس، و آخر يبيع الكُراعَ[4] و يَفْتِل القَرامِلَ[5]، فأغناهم الله برسوله ﷺ ثمّ جعلوا حدّهم و حديدهم عليه»[6]. و المعنى: أنّهم جعلوا موضع شكر النّعمة كفرانها، و كان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر. ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ بالإصرار على النّفاق ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بالقتل

١ـ جُثّ: فَزِعَ. القاموس المحيط ١: ١٦٩؛ واقرب الموارد ٢: ٨٤ (جث).
٢ـ العيّاشي ٢: ٩٩، الحديث: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكُراعُ من البقر و الغنم بمنزلة الوَظيف من الفرس و هو مستدقّ السّاق. و هو اسم يجمع الخيلَ. القاموس المحيط ٣: ٨١ (كرع).
٥ـ القَراملُ: ضفائر من شعر او صوف أو ابريسم، تصل به المراة شعرها. النّهاية ٤: ٥١ (قرمل).
٦ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، ذيل الحديث: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

والنّار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. قال: «هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً فعاهد الله، فلمّا آتاه بخل به»[1].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: فاورثهم البخلُ نفاقاً متمكناً في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: يلقونَ الله. قال: «اللقاء هو البعث»[2]. ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أسرّوه في أنفسهم من النّفاق ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوّعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلّا طاقتهم، فيتصدّقون بالقليل. ورد: «افضل الصّدقة جُهْدُ المُقل»[3]. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزؤون ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ قال: «جازاهم جزاء السُّخريّة»[4]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ورد: «آجر أمير المؤمنين عليه السلام نفسَه على ان يستقي كلَّ دلو بتَمْرة بخيارها، فجمع تمراً فاتى به النّبيّ صلى الله عليه وآله وعبدالرّحمان بن عوف على الباب، فَلَمزَه، أي: وقع فيه، فنزلت»[5]. والقمّي: نزلت في سالم بن عُمَيْر الأنصاريّ، جاء بصاع من تمر من كسب يده وقال: اقرضته ربّي، فامر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينثره[6] في الصّدقات، فسخر منه المنافقون

١ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي جعفر عليه السلام. و في المصدر و نسخة «الف»: «ثعلبة بن خاطب».
٢ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والجُهْدُ: الوُسْعُ و الطّاقة و مع المُقِل أي: قَدْرُ ما يَحْتمله حال القليل المال. النّهاية ٢: ٣٢٠ (جهد).
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٦، الباب: ١١، ذيل الحديث: ١٩. وفيه: «يجازيهم جزاء السّخريّة».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٠١، الحديث: ٩٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. و «وقَع فيه»: لامه و عابَهُ، يقال: وقعتُ بفلان: إذا لُمتَهُ: و وَقَعتُ فيه: إذا عِبتَهُ و ذَمَمتَهُ. لسان العرب ٨: ٤٠٥ (وقع).
٦ـ في «الف»: «ينثر».

و قالوا: أراد أن يذكّر نفسه ليُعْطى من الصّدقات[١].

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: لافرق بين الأمرين في عدم الإفادة لهم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾. قيل: السّبعون جارٍ في كلامهم مجرى المَثَل للتكثير[٢]. و ورد: «إنّ الله قال لمحمّد ﷺ: "إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم" فاستَغْفَرَ لهم مائةَ مرّةٍ ليغفر لهم، فأنزل الله: "سواء عليهم أستغفرت لهم" الآية. فلم يستغفر لهم بعد ذلك»[٣]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ بقعودهم عن الغزو[٤] خلْفَه؛ يقال: أقام خِلافَ القوم، أي: بعدهم. ﴿وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إيثاراً للدّعَة والخَفْض ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾. قاله بعضهم لبعض، و قد سبق قصّة الجُدُّ بْنُ قَيْسٍ في ذلك عند تفسير: "و مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي"[٥] و هذا تفضيح له. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ و قد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ انّ مآبهُمْ إليها، و أنّها كيف هي، ما اختاروها بإيثار الدّعة والخفض على طاعة الله.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾. إمّا على ظاهر الأمر، و إمّا إخبار عمّا يؤول إليه حالهم في الدّنيا و الآخرة، يعني: فيضحكون قليلاً و يبكون كثيراً، و يجوز أن يكون المراد بالضّحك والبكاء، السّرورَ و الغَمّ. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر و النّفاق والتّخلّف.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فإن ردّك إلى المدينة و فيها طائفة من

١ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ٧٣؛ و الكشّاف ٢: ٢٠٥.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، الحديث: ٩٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام. والآية في المنافقين (٦٣): ٦.
٤ـ في «الف»: «من الغزو».
٥ـ الآية: ٤٩ من نفس السّورة.

المتخلّفين، يعني منافقيهم ممّن لم يتب و لم يكن له عذر صحيح في التّخلّف ﴿فَاسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة أُخرى بعد تبوك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾. إخبار في معنى النّهي. ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ بان تدعو له و تستغفر ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ للدّعاء له ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. قد مرّ تفسيرها[1]، و هي إمّا تأكيد، أو تلك في فرقة و هذه في أُخرى.

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: ذووا[2] السّعة ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ لعذر.

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ قال: «مع النّساء»[3]. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد و موافقة الرّسول ﷺ من السّعادة، و ما في التّخلّف عنه من الشّقاوة.

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ يعني: إنْ تخلّف هؤلاء و لم يجاهدوا، فقد جاهد من هو خير منهم ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: منافع الدّارين؛ النّصر و الغنيمة في الدّنيا، و الجنّة و نعيمها في الآخرة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

١ـ في ذيل الآية: ٥٥ من نفس السّورة.
٢ـ في «ب»: «ذوا السّعة».
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٣، الحديث: ٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾: المقصّرون؛ من عذّر في الأمر: إذا توانى و لم يَجِدّ فيه. وحقيقته أن يُوهِمَ أنّ له عذراً فيما يفعل و لاعذر له، أو من «اعتذر» ـ بالإدغام[1] ـ: إذا مهّد العُذْرَ؛ و هم الّذين يعتذرون بالباطل ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: اهلِ البَدْوِ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادّعاء الإيمان، فلم يجيبوا، أو لم يعتذروا[2]. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بالقتل والنّار.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ كالهرمىٰ و الزّمنىٰ ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ لفقرهم ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التّخلّف ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإيمان و الطّاعة في السرّ و العلانية ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾: لاجناح عليهم و لاعتاب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ يعني معك ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ القمّي: سالوا نعلاً يلبسونها[3]. ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي: يسيل دمعها، فإنّ «من» للبيان كأنّ العينَ كُلّها دمعٌ فائضٌ. ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا﴾: لئلاّ يجدوا ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ في مغزاهم. القمّي: جاء البكّاؤون إلى رسول الله ﷺ و هم سبعة نفر ـ و سمّاهم ـ، فقالوا: يا رسول الله ليس بنا قوّة أن نخرج معك. فأنزل الله فيهم: "ليس على الضّعفاء" إلى قوله: "ما ينفقون"[4].

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ يعني النّساء. القمّي: كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتّى[5]. ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مغبّته[6].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التّخلّف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزوة ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾

١ـ اي: بإدغام التّاء في الذّال و نقل حركتها إلى العين.
٢ـ في «ب» و «ج»: «او لم يعتذروا».
٣، ٤ و ٥ـ القمّي ١: ٢٩٣.
٦ـ المَغَبَّة: عاقبة الشيء. القاموس المحيط ١: ١١٣ (غب).

بالمعاذير الكاذبة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نصدّقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: أتتوبون من الكفر[1] أم تثبتون عليه؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: إليه، فوضع الوصف موضع الضّمير للدّلالة على أنّه مطّلع على سرّهم وعلَنهم، لايفوت عن علمه شيء من ضمائرهم و أعمالهم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالتّوبيخ و العقاب.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تُعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ و لاتوبّخوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: لايؤثّر فيهم التّوبيخ والنّصح و العتاب، و لاسبيل إلى تطهيرهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ و لاينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم. ورد: «من التمس رضا الله بسخط النّاس، رَضِيَ اللهُ عنه و أرضىٰ عنه النّاسَ، ومن التمس رضا النّاس بسخط الله، سخِط الله عليه وأسخط عليه النّاس»[2]. القمّي: لمّا قدم النبيّ ﷺ من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين و يُؤذونهم، و كانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ و ليسوا هم بمنافقين؛ لكي يعرضوا عنهم. فأنزل الله: "سيحلفون بالله لكم" الآية[3].

﴿الْأَعْرَابُ﴾: اهلُ البَدْوِ[4] ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل الحضَر، لتوحّشهم وقساوتهم و جفائهم، و نشوهم في بُعْدٍ من مشاهدة العلماء و سَماعِ التّنزيل ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾: و أحقّ بان لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الشّرايع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحال

١ـ في «ب» و «ج»: «عن الكفر».
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٦١، عن النبيّ ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٤ـ البَدْوُ: البادية و النّسبة إليه بَدَوِيّ. الصّحاح ٦: ٢٢٧٨ (بدا).

كلٍّ من أهل الوبَرِ والمَدَرِ [١] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يصيب به مسيئهم و محسنهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾: يعدّ ﴿مَا يُنفِقُ﴾: ما يصرفه في سبيل الله و يتصدّق به ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامةً و خسراناً، إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثواباً، و إنّما ينفق رياءً و تقيّةً. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: دوائر الزّمان و عقباته و حوادثه، لينقلب الأمر عليكم فيتخلّص من الإنفاق. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾. اعتراض بالدّعاء عليهم بنحو ما يتربّصونه، أو إخبار عن وقوع ما يتربّصون عليهم. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون عند الإنفاق ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾: سبب قربات ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾: و سبب دعواته، لأنّه كان يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة، و يستغفر لهم. ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾. شهادة من الله لهم بصحّة معتقدهم، و تصديقٌ لرجائهم. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾. وَعْدٌ لَهُمْ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. تَقْرِيرٌ لَهُمْ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ القمّي: هم النُّقباء و أبو ذرّ والمقداد و سلمان و عمّار، و مَنْ آمن و صدّق و ثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام [٢]. و في نهج البلاغة: «لا يقع اسم الهجرة على أحدٍ إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر» [٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: بالإيمان والطّاعة إلى يوم القيامة ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بما نالوا من نعمه من الدّينيّة والدّنيويّة [٤] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ

١ـ أهلُ الوبَر والمَدَر، أي: أهل البوادي والمُدُن والقُرى، و هو مِنْ: و بر الإبل؛ لأنّ بيوتهم يتّخذونها منه؛ والمَدَر: جمع مَدَرَة و هي البِنيَة. النّهاية ٥: ١٤٤ (وبر).
٢ـ القمّي ١: ٣٠٣.
٣ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٨٠، الخطبة ١٨٩.
٤ـ في «ب»: «من النّعمة الدّينيّة والدّنيويّة».

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ﴾: ممّن حول بلدتكم، يعني المدينة ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾: تمهّروا فيه و تمرّنوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: لا تعرفهم بأعيانهم؛ و هو تقرير لمهارتهم فيه، يعني يَخْفَوْنَ عليك، مع فطنتك و صدق فراستك لفرط تحاميهم مواقع الشكّ في أمرهم. ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ و نطّلع على أسرارهم ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قيل: هما ضرب الملائكة وجوهَهم وأدبارَهم، عند قبض أرواحهم، و عذابُ القبر[١]. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: عذاب النّار.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «نزلت في أبي لُبابَة بن عبد المُنْذر»[٢]. و قد سبقت قصّته عند تفسير: "لا تخونُوا اللّه والرّسُولَ" من سورة الأنفال[٣]. و في رواية: «أُولئك قوم مؤمنون، يُحْدِثُون في إيمانهم من الذّنوب الّتي يعيبها المؤمنون و يكرهونها. فأُولئك عسى الله ان يتوب عليهم»[٤]. و في أُخرى: «هم قوم اجترحوا ذنوباً، مثلَ قتل حمزة وجعفر الطّيّار، ثمّ تابوا، ثمّ قال: و من قتل مؤمناً لم يوفّق للتّوبة، إلاّ انّ الله لا يقطع طمعَ العباد فيه و رجاءَهُم منه. قال: و "عسى" من الله واجب»[٥].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾. القمّي: نزلت حين أُطْلِقَ أبو لُبابَة و عرض ماله للتّصدّق[٦]. ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ الصّدقةُ، أو أنت ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: تنسبهم إلى الزّكاء؛ والتّزكية مبالَغَةٌ في التّطهير و زيادةٌ فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال. ﴿وَصَلِّ

١ـ جوامع الجامع ٢: ٨١.
٢ـ القمّي ١: ٣٠٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الآية: ٢٧.
٤ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٠٦، الحديث: ١٠٩، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «أولئك قوم مذنبون يحدثون وإيمانهم من الذّنوب ...».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٠٦، مرفوعاً.
٦ـ القمّي ١: ٣٠٤.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: و ترحّمْ عليهم بالدّعاء لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: تَسْكُنُ إليها نفوسُهم و تطمئنّ بها قلوبهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ يسمع دعاءك لهم ﴿عَلِيمٌ﴾ يعلم ما يكون منهم. ورد: «إنّه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: اللّهمّ صلّ عليهم»[١]. و ورد: «إنّ هذه الآية جارية في الإمام بعد رسول الله ﷺ»[٢].

و قال: «لمّا نزلت آية الزّكاة: "خذ من أموالهم صدقة" و أُنزلت في شهر رمضان فامر رسول الله ﷺ مناديَه فنادى في النّاس: إنّ الله فرض عليكم الزّكاة كما فرض عليكم الصّلاة، ففرض الله عليهم من الذّهب والفضّة، و فرض عليهم الصّدقة من الإبل والبقر والغنم، و من الحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب، و نادى بهم ذلك[٣] في رمضان، و عفا لهم عمّا سوى ذلك. قال: ثمّ لم يعرض[٤] لشيء من أموالهم، حتّى حال عليهم الحول من قابل، فصاموا و أفطروا، فامر مناديَه فنادى في المسلمين: أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم. قال: ثمّ وجّه عمّالَ الصّدقة و عمّالَ الطّسُوق[٥]»[٦].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ إذا صحّت ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إذا صدرت عن خلوص النّيّة، يقبلها قبول من ياخذ شيئاً ليؤدّي بدله. قال: «أي: يقبلها من أهلها و يثيب عليها»[٧].

و ورد: «إنّ الله يقول: ما من شيء إلّا و قد وكّلتُ به مَنْ يقبضه غيري إلّا الصّدقة، فإنّي أتلقّفُها بيدي تلقّفاً[٨]، حتّى أنّ الرّجل ليتصدّق بالتّمرة او بشقّ التّمرة فأُربّيها له كما

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٦٨، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٠٦، الحديث: ١١١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «فنادى فيهم بذلك».
٤ـ في المصدر: «لم يفرض» و في نسخة «ب»: «لَمْ يتعرّض».
٥ـ الطَّسْقُ ـ كفَلْس ـ مكيال، او ما يوضع من الخراج على الجُرْبان. او شبهُ ضَريبةٍ معلومةٍ و كأنّه مولّدٌ او معرّب. القاموس المحيط ٣: ٢٦٦ (طسق).
٦ـ الكافي ٣: ٤٩٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٧، ذيل الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ لَقِفَهُ و تَلَقَّفَهُ: تناوله بسرعةٍ. القاموس المحيط ٣: ٢٠٣ (لقف).

يربّي الرّجل فلْوَه [1] و فَصيلَه [2]، فيأتي يوم القيامة و هو مثل أُحُدٍ وأعظم من أُحُدٍ» [3].

وفي رواية: «ضمنت على ربّي أنّ الصّدقة لا تقع في يد العبد حتّى تقع في يد الرّبّ، و هو قوله تعالى: "و يأخذ الصّدقات"» [4].

و في أُخرى: «إذا ناولتم السّائل شيئاً فاسألوه أن يدعو لكم، فإنّه يجاب له فيكم، ولا يجاب في نفسه، لأنّهم يكْذِبون، ولْيَرُدّ الّذي ناوله، يده إلى فيه، فيُقَبِّلها، فإنّ الله عزّوجلّ يأخذها قبل أن تقع في يده، كما قال عزّوجلّ: "ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده و يأخذ الصّدقات"» [5]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ خيراً كان أو شرّاً. قال: «المؤمنون هم الأئمّة» [6]. و في رواية: «إيّانا عنى» [7]. و في أُخرى: «ليس هكذا هي، إنّما هي والمأمونون، فنحن المأمونون» [8].

و ورد: «تعْرَضُ الأعمال على رسول الله ﷺ، أعمالُ العباد، كُلَّ صباحٍ أبرارِها و فُجّارِها [9]، فاحذَرُوها، و هو قول الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا" الآية» [10].

و في رواية: «قيل له: ادع الله لي و لأهل بيتي، فقال: أو لستُ أفعل؟ والله إنّ

١ـ الفلْوُ ـ بالكسر ـ الجَحْشُ والمُهْر فُطما او بلغا السَّنَةَ. القاموس المحيط ٤: ٣٧٧ (فلو).
٢ ـ الفَصيل: ولد النّاقة إذا فصل عن أمّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).
٣ـ الكافي ٤: ٤٧، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله ﷺ.
٤ ـ العيّاشي ٢: ١٠٨، الحديث: ١١٨، عن ابي عبدالله، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٥ـ الخصال ٢: ٦١٩، ذيل الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٦ ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ٢: ١٠٩، الحديث: ١٢٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ الأمالي (للطّوسي) ٢: ٢٣، عن ابي عبدالله ﷺ.
٨ ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٢، عن ابي عبدالله ﷺ.
٩ـ الابرار جمع بَرّ ـ بالفتح ـ بمعنى البارّ، والفُجّار جمع فاجر فيكون قوله ﷺ: «ابرارها و فُجّارها» بدل تفصيلٍ للعباد، و يحتمل ان يكون بدل تفصيل لأعمال العباد فيقرآن بالرّفع. و في إطلاق الابرار والفجّار على الاعمال تجوّزٌ. على انّه يحتمل كون الأبرار حينئذ جمع البرّ ـ بالكسر ـ و ربّما يقرأ الفجار ـ بكسر الفاء و تخفيف الجيم ـ جمع فَجارِ مبنياً على الكسر و هو اسمَ الفجور. او جمع فِجْر ـ بالكسر ـ و هو ايضاً الفجور. مرآة العقول ٣: ٤.
١٠ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ١، عن ابي عبدالله ﷺ.

أعمالكم لتُعْرَضُ عليَّ في كلّ يوم و ليلة . قال : فاستعظمت ذلك ، فقال : أما تقرأ كتاب الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"؟ قال : هو والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[١] . ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ مؤخّرون ، موقوفٌ أمرهم ، من أرجأته : إذا أخّرته ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ في شأنهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم .

قال : «هم قوم كانوا مشركين ، فقتلوا مثلَ حمزة و جعفر و أشباههما من المؤمنين ، ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام ؛ فوحّدوا اللهَ و تركوا الشّرك ، و لم يعرفوا الإيمانَ بقلوبهم ، فيكونوا من المؤمنين فيجب لهم الجنّة ، و لم يكونوا على جحودهم ، فيكفروا فيجب لهم النّار ، فهم على تلك الحال ، إمّا يعذّبهم و إمّا يتوب عليهم»[٢] .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ : مضارّةً للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾ : و تقويةً للكفر الّذي كانوا يضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين كانوا يجتمعون للصّلاة في مسجد قبا ، أرادوا أن يتفرّقوا عنه و تختلفَ كلمتُهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ : و إعداداً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أبا عامر الرّاهب .

روي : «أنّه كان يقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته ، إلى أن هَرَب إلى الشّام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله . و مات بقِنَّسْرين وحيداً»[٣] .

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾ : ما أردنا ببنائه إلاّ الخَصلةَ الحُسنى ، و هي الصّلاة والذّكر والتّوسعة على المصلّين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

١ ـ الكافي ١ : ٢١٩ ، الحديث : ٤ ، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام .
٢ ـ الكافي ٢ : ٤٠٧ ، الحديث : ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام . و فيه : «فتجب» في كلا الموضعين .
٣ ـ الكشّاف ٢ : ٢١٣ ؛ والبيضاوي ٣ : ٨٠ .

في حلفهم.

و ورد ما ملخّصه: «إنّ المنافقين اتّفقوا و بايعوا لأبي عامر الرّاهب ـ الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الفاسقَ ـ و جعلوه أميراً عليهم و بخعوا له بالطّاعة، فقال لهم: الرّأي أن أغيبَ عن المدينة لئلاّ أتّهمَ إلى أن يتمّ تدبيركم، و كاتِبُوا «أُكَيْدِرَ» ـ صاحبَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ ـ ليقصد المدينة، فأوحى الله إلى محمّد ﷺ و عرّفه ما أجمعوا عليه من أمْرِهِ و أمَرَهُ بالمسير إلى تبوك. قال: فلمّا صحّ عزم رسول الله ﷺ على الرِّحْلَة إلى تبوك، عمد هؤلاء المنافقون فَبَنَوا خارجَ المدينة مسجداً، و هو مسجد الضّرار، يريدون الاجتماع فيه، ويوهِمون أنّه للصّلاة، و إنّما كان ليجتمعوا فيه لعلّة الصّلاة، فَيَتِّم تدبيرُهم و يقع هناك ما يسهل به لهم ما يريدون، ثمّ جاء جماعة منهم إلى رسول الله ﷺ و قالوا: يا رسول الله إنّ بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنّا نكره الصّلاة في غير جماعة، و يصعب علينا الحضور، وقد بنينا مسجداً، فإن رأيت أن تقصده و تصلّي فيه لنتيمّن و نتبرّك بالصّلاة في موضع مصلاّك؛ فلم يُعَرِّفْهم رسولُ الله ﷺ ما عرّفه الله من أمرهم و نفاقهم. قال: وقال: أنا على جَناحِ سَفَرٍ فأمهِلُوا حتّى أرجعَ إن شاء الله تعالى ثمّ أنظر في هذا نظراً يرضاه الله. قال: و عاد رسول الله ﷺ غانماً ظافراً، و أبطل الله كيد المنافقين، و أمر رسول الله ﷺ بإحراق مسجد الضّرار، فأنزل الله تعالى: "والّذين اتّخذوا مسجداً ضراراً" الآيات»[1].

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: لا تصلّ فيه أبداً. يقال: فلانٌ يقوم باللّيل، أي: يصلّي. ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيّام وجوده. قال: «يعني مسجد قُبا»[2]. قيل: أسّسه رسول الله ﷺ، و صلّى فيه أيّام مُقامه بِقُبا[3]. ﴿أَحَقُّ أَن

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٨، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.
٢ـ الكافي ٣: ٢٩٦، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ٢: ١١١، الحديث: ١٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، والحديث: ١٣٦، عن الصّادقين عليهما السلام.
٣ـ البيضاوي ٣: ٨١؛ والكشّاف ٢: ١١٤.

تَقُومَ فِيهِ﴾: أولى بأن تُصلّيَ فيه. قال: «يعني من مسجد النّفاق»[١]. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: «بالماء عن الغائط والبول»[٢]. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ قال لأهل قبا: ماذا تفعلون في طهركم؟ فإنّ الله قد أحسن عليكم الثّناء! قالوا: نغسل أثر الغائط. فقال: أنزل الله فيكم: "والله يحبّ المطّهّرين"»[٣].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾: بنيان دينه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾: على قاعدة مُحْكَمَة، هي الحقّ الّذي هو التّقوى من الله، و طلب مرضاته بالطّاعة ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: على قاعدة، هي أضعف القواعد و أقلّها بقاءً، و هو الباطل والنّفاق، الّذي مَثَلُه كمَثَلِ شَفا جُرُف هارٍ في قلّة الثّبات. والشّفا: الشّفير. و جُرُفُ الوادي: جانبه الّذي يَتحفّر[٤] أصله بالماء و تَجرُفُه السّيولُ. والهار: الهائر الّذي أشفى على السّقوط والهدم. ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. لمّا جُعِلَ الجُرُفُ الهار مجازاً عن الباطل قيل: "فانهار به في نار جهنّم". والمعنى: فهَوىٰ به الباطلُ في نار جهنّم، فكأنّ المبطلَ أسّس بنياناً على شفير جهنّم، فطاح به إلى قعرها. قال: «مسجد الضّرار، الّذي أُسّس على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنّم»[٥]. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى ما فيه صلاح و نجاة.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا﴾ يعني مسجد الضّرار ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: سبب شكّ و ازدياد نفاق في قلوبهم لا يضمحلّ أثره، ثمّ لمّا هدمه الرّسول ﷺ، رسخ ذلك في قلوبهم و ازداد، بحيث لا يزول رسمه[٦] عنها. ﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قطعاً بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار؛ و في قراءتهم عليهم السّلام: «إلى

١ـ العيّاشي ٢: ١١١، الحديث: ١٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٧٣، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ المصدر، مروياً عن النّبيّ ﷺ.
٤ ـ في «ب»: «ينحفر».
٥ـ القمّي ١: ٣٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في «ألف»: «لا يزال وسمه».

أن تقطع»[1]. والقمّي: يعنى حتّى تقطع[2] قلوبهم[3]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر بهدم بنائهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. تمثيل لإثابة الله إيّاهم بالجنّة على بذل أنفسهم و أموالهم في سبيله. ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: لا أحدَ أوفى ﴿بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ فافرحوا به غاية الفرح إذ بعتم فانياً بباقٍ وزائلاً بدائم. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هم التّائبون. و في قراءتهم عليهم السّلام: «"التّائبين" إلى قوله: "والحافظين" على أنّها صفة للمؤمنين. سئل عن العلّة في ذلك، فقال: اشترى من المؤمنين التّائبين العابدين»[4].

قال: «لمّا نزلت هذه الآية: "إنّ الله اشترى" قام رجل فقال: يا نبيّ الله أرأيتك الرّجل يأخذ سيفه فيقاتل حتّى يُقتَل إلاّ أنّه يقترف من هذه المحارم، أشهيد هو؟ فانزل الله على رسوله: "التّائبون" الآية، فبشّر النبيّ ﷺ المجاهدين من المؤمنين، الّذين هذه صفتهم وحِليتهم، بالشّهادة والجنّة. و قال: التّائبون من الذّنوب، العابدون: الّذين لا يعبدون إلاّ الله ولا يشركون به شيئاً؛ الحامدون: الّذين يحمدون الله على كلّ حال في الشّدّة والرّخاء؛ السّائحون الصّائمون الرّاكعون السّاجدون: الّذين يواظبون على الصّلوات الخمس، الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها و سجودها والخشوع فيها و في أوقاتها، الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به، والنّاهون عن المنكر والمنتهون عنه.

١- جوامع الجامع ٢: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢- في المصدر: «حتّى تنقطع».
٣- القمّي ١: ٣٠٥.
٤- الكافي ٨: ٣٧٧، الحديث: ٥٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: فبشّر من قتل و هو قائم بهذه الشّروط بالشّهادة والجنّة»[١].

والقمّي: نزلت الآية في الائمّة، لأنّه وصفهم بصفة لا تجوز في غيرهم؛ فالآمرون بالمعروف: هم الّذين يعرفون المعروف كُلَّه، صغيرَه و كبيرَه و دقيقَه و جليلَه؛ والنّاهون عن المنكر: هم الّذين يعرفون المنكرَ كلَّه، صغيرَه و كبيرَه؛ والحافظون لحدود الله: هم الّذين يعرفون حدودَ الله، صغيرها و كبيرها و دقيقها و جليلها. ولا يجوز أن يكون بهذه الصّفة غير الأئمّة عليهم السّلام[٢].

و في رواية: سئل عن قوله: "إنّ الله اشترى". فقال: «يعني في الميثاق ثمّ قُرِئَ عليه: "التّائبون"[٣]، فقال: إذا رأيت هؤلاء، فعند ذلك هؤلاء اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، يعني في الرّجعة»[٤].

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ ﴾ بموتهم على الشّرك، أو بوحيٍ من الله ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾. ورد: إنّه سأل: «ما يقول النّاس في قول الله: "و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه" فقيل: يقولون: إنّ[٥] إبراهيم وَعَدَ أباه أن يستغفر له. قال: ليس هو هكذا، إنّ أبا إبراهيم وَعَدَهُ أن يُسلِمَ فاستغفر له، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله، تبرّأ منه»[٦]. و في رواية: «لمّا مات تبيّن له أنّه عدوّ لله، فلم يستغفر له»[٧]. والقمّي: إنّ إبراهيم قال لأبيه: إن لم

١ـ الكافي ٥: ١٥، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٠٦.
٣ـ في المصدر: «ثُمّ قرأت عليه: "التّائبون العابدون" فقال أبو جعفر عليه السلام: لا ولكن اقرأها: "التّائبين العابدين"».
٤ـ العيّاشي ٢: ١١٢، الحديث: ١٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ لم ترد كلمة «انّ» في «ب» و «ج».
٦ـ العيّاشي ٢: ١١٤، الحديث: ١٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر، الحديث: ١٤٨، مضمراً.

تَعبُدِ الأصنامَ استغفرتُ لك، فلمّا لم يَدَعِ الأصنامَ تبرّأ منه [١].

أقول: و يؤيّده قوله تعالى: "إلّا قَوْلَ إبْراهِيمَ لأبِيهِ لأسْتَغْفِرَنَّ لَكَ" [٢] فنحمل الرّواية الأُولى على وقوع الوعد من كلا الطّرفين.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾. ورد: «الأوّاه: هو الدَّعّاء» [٣]. و في رواية: «الأوّاه: المتضرّع إلى الله في صلاته، و إذا خلا في قفر من الأرض، و في الخلوات» [٤].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ﴾: ليخذلَ ﴿قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ قال: «حتّى يعرّفهم ما يُرْضِيه و ما يُسْخِطُه» [٥]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم أمرهم في الحالين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ لا تتأتّى ولاية ولا نصرة إلّا من الله، فتوجّهوا بشراشركم إليه، و تبرّؤوا عمّا عداه.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين» [٦]. قال: «هكذا نزلت» [٧]. و في رواية: «قيل له: إنّ العامّة تقرأ: "لقد تاب الله على النّبيّ" فقال: ويلهم! و أيّ ذنب كان لرسول الله ﷺ حتّى تاب الله منه؟ إنّما تاب الله به على أُمّته» [٨]. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾. القمّي: في قصّة تبوك، هم أبوذرّ و أبو خَيْثَمَة و عُمَيْرَةُ بن وَهَب، الّذين تخلّفوا ثمّ لحقوا

١ـ القمّي ١: ٣٠٦.
٢ـ الممتحنة (٦٠): ٤.
٣ـ الكافي ٢: ٤٦٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ١٦٣، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ٢: ١١٥، الحديث: ١٥٠؛ والتوحيد: ٤١١، الباب: ٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٨٠، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٢٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الاحتجاج ١: ٩٨، عن النّبيّ ﷺ.

برسول الله ﷺ، و ذكر في عذر تخلّف أبي ذرّ: انّ جَمَلَهُ كان أعْجَفَ [1]، فلحق بعد ثلاثة أيّام حاملاً ثيابَه على ظهره، لوقوف جَمَلِه عليه في بعض الطّريق [2]، قيل: «العُسْرَةُ»: حالهم في غزوة تبوك، كان يعتقب العَشَرَةُ على بعير واحد، و كان زادُهم الشّعيرَ المُسَوَّسُ والتّمر المُدَوَّدُ والإهالَةُ السَّنِخَةُ [3]، و بلغت الشّدّة بهم ان اقتسم التّمرةَ اثنان، و ربّما مصّها الجماعة؛ و كانوا في حَمارَّةِ [4] القَيْظ، و في الضّيقة الشّديدة من القحط وقلّة الماء [5]. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن الثّبات على الإيمان و من اتّباع الرّسول في تلك الغزوة. القمّي: و كان الكفّار خمسة و عشرين ألف رجل، والمؤمنون خمسة و عشرين رجلا [6]. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «خالفوا. قال: إنّما نزل: خالفوا، ولو خُلّفُوا لم يكن عليهم عتب» [7]. القمّي: في قصّة تبوك، و قد كان تخلّف عن رسول الله ﷺ قوم من المنافقين و قوم من المؤمنين مستبصرين، لم يعثر عليهم في نفاق؛ منهم: كَعْبُ بنُ مالك الشّاعر، و مُرارَةُ بنُ الرَّبيع، و هلالُ بنُ أُمَيَّةَ الواقفي، فلمّا بلغهم إقبالُ رسول الله ﷺ ندموا، فلمّا وافوا رسولَ الله ﷺ سلّموا عليه فلم يردّ عليهم السّلامَ و أعرض عنهم، و سلّموا على إخوانهم فلم يردّوا

١ ـ عَجِفَ الفرس عجفاً، من باب تَعِبَ: ضَعُفَ. المصباح المنير ٢: ٤٨ (عجف).
٢ ـ القمّي ١: ٢٩٤ و ٢٩٧.
٣ ـ ساسَ و سَوَّسَ الطّعام: وقع فيه السُّوسُ (دودٌ يقع في الصّوف والطّعام) فهو المَسوس والمُسَوَّس. و داد الطّعام و دَوَّدَ: صار فيه الدّودُ فهو المَدودُ و المُدوّد. والإهالة ـ بكسر الهمزة ـ: الشّحم المذاب و قيل: دهن يؤتدم به، و قيل الدّسم الجامد. والسَّنِخَة: المتغيّرة الرّيح، يقال: سَنِخَ الدّهنُ: إذا فَسَدَ و تغيّرت ريحه «راجع: القاموس و مجمع البحرين والصّحاح».
٤ ـ حَمارّة ـ بتخفيف الميم و شدّة الرّاء ـ: شدّة الحرّ. «القاموس المحيط ٢: ١٤ ـ حمر» و في نسخة «ب» و «ج» حَمازة ـ بالزّاء ـ و هي الشّدّة. القاموس المحيط ٢: ١٨٠ (حمز).
٥ ـ جوامع الجامع ٢: ٩٠.
٦ ـ القمّي ١: ٢٩٦.
٧ ـ المصدر: ٢٩٧ و فيه: «عيب» بدل «عتب».

عليهم، فبلغ ذلك أهليهم فقطعوا كلامهم، فخرجوا إلى ذِناب [1] جبل بالمدينة، فكانوا يصومون و أهلوهم يأتونهم بالطّعام، فيضعونه ناحيةً ثمّ يولّون عنهم فلا يكلّمونهم، فبقوا على هذه الحالة أيّاماً كثيرةً؛ يبكون باللّيل والنّهار و يدعون الله أن يغفر لهم، فلمّا طال عليهم الامر حلفوا أن لا يكلّمَ أحدٌ منهم صاحبَه حتّى يموت أو يتوب الله عليه، فبقوا على هذه ثلاثة أيّام، حتّى نزلت توبتهم [2]. هذا ملخّص قصّتهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي: مع سعتها، و هو مَثَلٌ لِحَيْرَتهم في أمرهم، كأنّهم لا يجدون في الأرض موضعَ قرارٍ، و ذلك حيث لم يكلّمهم رسول الله ﷺ ولا إخوانُهم ولا أهلوهم، فضاقت المدينة عليهم حتّى خرجوا منها ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ حيث حلفوا أن لا يكلّم بعضُهم بعضاً؛ فتفرّقوا ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: و علموا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من سخط الله ﴿إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لمّا عرف صدق نيّاتهم. قال: «هي الإقالة» [3]. ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ليعودوا إلى حالتهم الأُولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، ولو عاد في اليوم مائةَ مرّة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾. ورد: «إيانا عنىٰ» [4]. و في رواية: «الصّادقون هم الأئمّة، والصّدّيقون بطاعتهم» [5]. و في أُخرى: «لمّا نزلت هذه الآية قال سلمان: يا رسول الله عامّةٌ هذه الآية أم خاصّةٌ؟ فقال: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أُمِرُوا بذلك، و أمّا الصّادقون فخاصّةٌ لأخي عليّ عليه السلام و أوصيائي من بعده إلى

١ـ الذِّناب ـ بكسر الذّال ـ: عقب كُلِّ شيء. الصّحاح ١: ١٢٨ (ذنب).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٦.
٣ـ معاني الأخبار: ٢١٥، باب: توبة الله عزّوجلّ على الخلق، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٢٠٨، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

يوم القيامة»[1]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من الصّادقين»[2].

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بل عليهم أن يصحبوه على الباساء والضرّاء، و يُكابدوا معه الشّدائدَ برغبةٍ و نشاطٍ، كما فعله أبوذرّ و أبو خَيْثَمَة. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: شيء من العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: مَجاعةٌ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طريق الجهاد ﴿وَلَا يَطَئُونَ﴾: ولا يَدُوسُون[3] بارجلهم و بحوافر خيولهم و أخفاف رواحلهم ﴿مَوْطِئًا﴾: موضعاً ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ وَطْأُهم إيّاه، و يضيق صدورهم بتصرّفهم في أرضهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾ بقتل، أو أسر، أو نهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ واستوجبوا الثّوابَ عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: ارضاً في مسيرهم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ جزاءَ ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾: و ما استقام لهم أن ينفروا جميعاً؛ لنحو غزوٍ وطلب علمٍ، كما لا يستقيم لهم ان يثبّطوا[4] جميعاً. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ﴾: فهلاّ نفر من كلّ جماعة كثيرة، كقبيلةٍ و اهل بَلْدَة ﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة قليلة ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتكلّفوا الفقاهة فيه، و يتجشّموا مشاقّ تحصيلها. ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عمّا يُنْذَرُونَ منه. قال: «امرهم أن ينفروا إلى رسول الله ﷺ و يختلفوا إليه فيتعلّموا، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم»[5]. و في

١ـ كمال الدّين ١ : ٢٧٨، الباب: ٢٤، الحديث: ٢٥. عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦ : ٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الدَّوس: الوَطْءُ بالرِّجْل. القاموس المحيط ٢ : ٢٢٥ (دوس).
٤ـ في «ج»: «أن يتثبّطوا».
٥ـ علل الشرايع ١ : ٨٥، الباب: ٧٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية: «كان هذا حين كثر النّاس، فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفةٌ و يقيم طائفةٌ للتّفقّه، و أن يكون الغزو نوباً»[١].

أقول: يعني يبقىٰ مع النّبيّ ﷺ طائفة للتّفقّه و إنذار النّافرة، فيكون النَّفْرُ للغزو، والقعودُ للتّفقّه. و ورد: «تفقّهوا في الدّين، فإنّه مَنْ لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابيّ، إنّ الله يقول في كتابه: "ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم"»[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قال: «الدّيلم»[٣]. والقمّي: يجب على كلّ قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يَقْرُبُ من الإمام، ولا يجوزوا ذلك الموضعَ[٤]. ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شدّةً و صبراً على القتال. القمّي: أي: غلّظوا لهم القولَ والقتلَ[٥]. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالحراسة والإعانة.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾: فمن المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ إنكاراً و استهزاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبّر السّورة، و انضمام الإيمان بها و بما فيها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بنزولها، لأنّه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم. و قد سبق لزيادة الإيمان و نقصانه بيان في أوائل سورة الانفال[٦].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ قال يقول: «شكّاً إلى شكّهم»[٧]. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكافي ١: ٣١، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ و٥ـ القمي ١: ٣٠٧.
٦ـ في ذيل الآية: ٤.
٧ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بأصناف البليّات. القمّي: يمرضون[١]. ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون؛ إنكاراً لها و سخريّةً، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم. ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: يقولون: هل يراكم أحدٌ من المسلمين إن قمتم وانصرفتم، فإنّا لا نصبر على استماعه، وترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال فإن لم يرهم أحدٌ قاموا، و إن يرهم أحدٌ أقاموا، ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾: تفرّقوا، مخافةَ الفضيحة ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الإيمان والانشراح به بالخِذْلان. القمّي: عن الحقّ إلى الباطل، باختيارهم الباطل على الحقّ[٢]. قيل: و هو يحتمل الدّعاء والإخبار[٣]. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾. القمّي: مِثْلكم في الخلقة[٤]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من أَنْفَسِكم، أي: من أشرفكم»[٥]. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾: شديد شاقّ ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: عنَتُكم و لِقاؤكم المكروه. والقمّي: ما أنكرتم و جحدتم[٦]. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: على إيمانكم و صلاح شأنكم جميعاً ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

قال: «أي: المُلْك العظيم»[٧]. ورد: «"رسول من أنفسكم". قال: فينا. "عزيز عليه ما عنتّم". قال: فينا. "حريص عليكم" قال: فينا. "بالمؤمنين رؤف رحيم". قال: شَرِكَنا المؤمنون في هذه الرّابعة، و ثلاثة لنا»[٨]. و في رواية: «فلنا ثلاثةُ أرباعها و لشيعتنا

١، ٢، ٤و٦ـ القمّي ١: ٣٠٨.
٣ـ البيضاوي ٣: ٨٥.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٩٤.
٧ـ التوحيد: ٣٢١، الباب: ٥٠، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.

رُبعها»[١] . و في أُخرى : «هكذا أنزل الله : لقد جاءَنا رسول من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤف رحيم»[٢] .



١ ـ العيّاشي ٢ : ١١٨ ، الحديث : ١٦٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ ـ الكافي ٨ : ٣٧٨ ، الحديث : ٥٧٠ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة يونس

[مكيّة، و هي مائة و تسع آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ : ذي الحكمة، أو المحكم آياته.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ سابقة و فضلاً، سمّيت قدماً لأنّ السّبق بها، كما سمّيت النّعمة يداً لأنّها باليد تُعْطىٰ، و إضافتها إلى الصّدق لتحقّقها، والتّنبيه على أنّهم إنّما ينالونها بصدق القول والنّيّة. قال: «إنّ معنى "قدم صدق" شفاعة محمّد ﷺ»[2]. و في رواية: «هو رسول الله ﷺ»[3].

أقول: و هذا يرجع إلى ذاك. و في أُخرى: «بولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[4].

أقول: و هذا لأنّ الولاية من شروط الشّفاعة، و هما ملازمتان.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦ : ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ الكافي ٨ : ٣٦٤، الحديث : ٥٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر ١ : ٤٢٢، الحديث : ٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه : «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: الرّسول ﷺ، و على قراءة: "لَسِحْرٌ"، يعنون الكتاب و ما جاء به الرّسول ﷺ، و فيه اعتراف بأنّهم صادفوا منه أُموراً خارقةً للعادة، مُعْجزةً إيّاهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. قد سبق تفسيره عند آية السُّخْرة[1]. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقدّره و يقضيه و يرتّبه في مراتبه على أحكام عواقبه؛ والتّدبير: النّظر في أدبار الأُمور لتجيء محمودة العاقبة، والأمر: أمر الخلق كلّه. ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾. تقرير لعظمته و عزّ جلاله، و ردٌّ على من زعم أنّ آلهتهم تشفع لهم عند الله. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا غير، إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحده لا تشركوا به شيئاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. يعني أنّه أدنى تذكّر، يُنَبِّهُ على الخطأ فيما أنتم عليه، و على أنّه المستحقّ للعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: إليه رجوعكم في العاقبة، فاستعدّوا للقائه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: وَعَدَ وعداً حقاً ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾: بعدله او بعدالتهم في أُمورهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ يستحقّونه بسوء اعتقادهم و شوم أفعالهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: حساب الأوقات؛ من الأشهر والأيّام واللّيالي ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الّذي هو الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يتوقّعونه، لإنكارهم البعث، و ذُهولهم

١ـ الأعراف(٧): ٥٤.

بالمحسوسات عمّا وراءها ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿ وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾: و سكنوا إليها سكونَ من لا يُزْعَج[1] عنها ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ لا يتأمّلونها ولا ينظرون فيها.

﴿ أُولَٰئِكَ مَأْوَىٰهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ لاستقامتهم على سلوك الطّريق المؤدّي إلى الجنّة ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴾.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ اللَّهُمَّ ﴾: دعاؤهم فيها: اللّهمّ إنّا نُسبّحك تسبيحاً ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: و خاتِمةُ دعائهم: ﴿ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ ﴾ الّذي دعَوا به عند زجر، أو استحقّوه ﴿ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ ﴾ :كما يُعجّل لهم الخيرَ و يُجيبهم إليه ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يعني لا نعجّل لهم الشرّ، ولا نقضي إليهم أجلهم؛ بل نُمهِلُهم إمهالاً.

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَٰنَ الضُّرُّ دَعَانَا ﴾ لدفعه مُخلصاً فيه ﴿ لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ أي: مضطجعاً ﴿ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ يعني انّه لا يزال داعياً في جميع حالاته لا يفتُر، حتّى يزولَ عنه الضرُّ. ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ ﴾ على طريقته الأُولى قبل أن مسّه الضرّ، أو مرّ عن موقف الدّعاء والتّضرّع لا يرجع إليه ﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ ﴾: كانّه لم يدعنا ﴿ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾: كشف ضرٍّ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: مثل ذلك التّزيين ﴿ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الانهماك في الشّهوات، والإعراض عن العبادات، عند الرّخاء.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ بالتّكذيب ﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

١ـ أزعَجَهُ: أقلَقهُ و قَلَعهُ من مكانه. مجمع البحرين ٢: ٣٠٤ (زعج).

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ : بالحجج الدالّة على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم ؛ لعلمه بإصرارهم على الكفر ، و انّه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لَزِمَهُمُ الحجّةُ بإرسال الرّسل . ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ : استخلفناكم فيها ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ : من بعد القرون الّتي أهلكناهم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ : خيراً أو شراً.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ : قرآنٍ آخر ليس فيه ما يَغيظُنا[1] من ذمّ عبادة الأوثان والوعيد لعابديها ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأن تجعل مكان آية العذاب آيةَ الرّحمة ، و تُسقطَ ذكرَ الآلهة و ذَمَّ عبادتها ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ في التّبديل والنّسخ من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ : ولا أعلمكم به على لساني ؛ يعني أنّ تلاوته ليست إلّا بمشيّة الله ، و إحداثه أمراً عجيباً خارقاً للعادة ؛ و هو أن يخرج رجل أُمّيّ لم يتعلّم ساعةً من عمره ، ولا نشأ في بلد فيه العلماء ، فيقرأ عليكم كتاباً بَهر بفصاحته كُلَّ كلام فصيح ، مشحوناً بعلم ما كان و ما يكون . ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ : فقد اقمت فيما بينكم ناشئاً[2] و كَهْلاً مقدار أربعين سنةً فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحو ذلك فتتّهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تشفع لنا فيما يهمّنا من أُمور الدّنيا والآخرة ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ : أتخبرونه بما ليس بمعلوم للعالم بجميع المعلومات ، يعني

١ـ في «الف» : «تغيظنا» .
٢ـ نشأ ـ كمنَعَ ـ : شبَّ والنّاشئُ : الغلام والجارية جاوزا حدّ الصّغر . القاموس المحيط ١ : ٣١ (نشا) .

بما ليس ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. القمّي: كانت قريش يعبدون الاصنام، ويقولون: إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى، فإنّا لا نقدر على عبادة الله، فردّ الله عليهم، فقال: قل لهم: يا محمّد "أتنبّئون الله بما لا يعلم" أي: ليس. فوضع حرفاً مكان حرف، أي: ليس له شريك يعبد[1].

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: قبل بعث نوح كانوا على الفطرة؛ لامهتدين ولا ضلالاً، كما سبق بيانه[2]. ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ ببعثة الرّسل، فتبعهم طائفة وأضرب أُخرى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ و لتميز المُحقّ من المبطل، و لكنّ الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدّار للتكليف والاختبار، و تلك للثواب والعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: من الآيات الّتي اقترحوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: هو المختصّ بعلمه، و لكلّ أمرٍ أجلٌ ﴿فَانتَظِرُوا﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: صحّة و سعة ﴿مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كمرض وقحط ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ فاجؤا وقوع المكر منهم ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ بالطّعن والاحتيال في دفعها. قيل: قَحطَ أهلُ مكّة سبع سنين حتّى كادوا يَهْلكُون، ثمّ لمّا رحمهم الله بالمطر، طَفِقُوا يقدحون في آيات الله و يكيدون رسوله[3]. ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ منكم، قد دبّر عقابكم قبل أن تُدَبِّرُوا كيدكم. والمكر: إخفاء الكيد، و هو من الله: الاستدراج و الجزاء على المكر. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾. إعلام بأنّ ما يظنّونه خافياً، غيرُ خافٍ على الله، و تحقيق للانتقام.

١ـ القمّي ١: ٣١٠.
٢ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢١٣.
٣ـ الكشّاف ٢: ٢٣١؛ والبيضاوي ٣: ٨٩.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكم على السّير و يمكّنكم منه بتهيئة أسبابه ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: في السّفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾: بمن فيها. عدل عن الخطاب الى الغيبة؛ للمبالغة، كأنّه يذكر لغيرهم ليتعجّب من حالهم. ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليّنة الهبوب ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾: بتلك الرّيح ﴿جَاءَتْهَا﴾: جاءت السّفن ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدةُ الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من أمكنة الموج ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ اي: أُهلكوا؛ يعني: سُدّت عليهم مسالكُ الخلاص، كمن أحاطت به العدوُّ؛ وهو مَثلٌ في الهلاك. ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فاجَؤُا الفَسادَ فيها، و سارعوا إلى ما كانوا عليه ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: مبطلين فيه؛ و هو احتراز عن تخريب المسلمين ديارَ الكفرة، فإنّها إفساد بحقّ. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: وباله عليكم. قال: «ثلاث يرجعن على صاحبهنّ: النكث والبغي والمكر. ثمّ تلا هذه الآية»[1]. ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتمتّعون متاعها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: حالها العجيبة؛ في سرعة تقضّيها، و ذهاب نعيمها بعد إقبالها و اغترار النّاس بها ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: و تزيّنت بأصناف النّبات و أشكالها و ألوانها المختلفة ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: متمكّنون من حصدها و رفع غلّتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ ضربها عاهةٌ و آفةٌ بعد أمنهم و إيقانهم أنْ قد سلم ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾: فجعلنا زرعها ﴿حَصِيدًا﴾: شبها[2] بما يُحْصَدُ من الزّرع من أصله ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾: كان لم يوجد زرعها فيما قبيله، و "الأمس":

١ـ العيّاشي ٢: ١٢١، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ في «ج»: «شبيهاً».

مَثَلٌ في الوقت القريب، والممثَّلُ به مضمون الحكاية لا الماء، و إن وليه حرف التّشبيه، لأنّه من التّشبيه المركّب. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾: دار الله. قال: «إنّ السّلام هو الله عزّوجلّ، و داره الّتي خلقها لعباده و لأوليائه، الجنّة»[١]. ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الّذي هو طريقها.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾: المَثوبَةُ الحسنىٰ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: و ما يزيد على المثوبة تفضّلاً. القمّي: هي النّظر إلى رحمة الله[٢]. و ورد: «أمّا الحسنىٰ فالجنّة، و أمّا الزّيادة فالدّنيا، ما أعطاهم الله في الدّنيا لم يحاسبهم به في الآخرة و يجمع لهم ثواب الدّنيا والآخرة»[٣]. و في رواية: «الزّيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب»[٤]. ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: ولا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾: غَبَرَةٌ فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: أثرُ هوانٍ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ لا تزاد عليها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: من سخطه، أو من عنده ﴿مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ لفرط سوادها و ظلمتها. قال: «أما ترى البيت إذا كان اللّيل كان أشدّ سواداً، فكذلك هم يزدادون سواداً»[٥]. و قال: «هؤلاء أهل البدع والشّبهات والشّهوات، يسوّد الله وجوهَهم، ثمّ يَلْقَونَه و يُلْبِسُهُمُ الذِّلّةَ والصَّغار»[٦]. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الفريقين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾:

١ـ معاني الأخبار: ١٧٧، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١١.
٣ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٠٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ الكافي ٨: ٢٥٣، الحديث: ٣٥٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و فيه: «أشدّ سواداً من خارج فلذلك».
٦ـ القمّي ١: ٣١١، عن أبي جعفر عليه السلام. والصَّغارُ: الذّلّ والهوان. النّهاية ٣: ٣٢ (صغر).

الزموا مكانكم لا تبرحوا حتّى تنظروا ما يفعل بكم ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرّقنا بينهم، و قطعنا الوُصَل الّتي كانت بينهم. القمّي: يبعث الله ناراً تزيل بين الكفّار والمؤمنين[1]. ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنّهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهواءهم الّتي حملتهم على الإشراك لا ما أشركوا به، أو الشّياطين حيث أمروهم أن يتّخذوا[2] للّه أنداداً فأطاعوهم.

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا﴾: إنّه كنّا ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: تختبر ما قدّمت من عمل، فتعاين نفعه و ضرّه. ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: ربّهم الصّادق ربوبيّته، المتولّي لأمرهم على الحقيقة، لا ما اتّخذوه مولىً ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: و ضاع عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يدّعون أنّهم شركاء الله و أنّهم تشفع لهم.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ جميعاً بأسباب سماويّة و أرضيّة؟ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: أمّن يستطيع خلقهما و تسويتهما و حفظهما من الآفات؟ ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: و من يحيي و يميت؟ ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾؛ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك؛ لفرط وضوحه. ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه في عبادة غيره.

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أُريد بالكلمة كلمةُ العذاب، إن جعل "أنّهم لا يؤمنون" تعليلاً، و انتفاءُ الإيمان، إن جعل بدلاً.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣١٢.

٢ـ في «الف»: «أو يتّخذوا».

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ بنصب الحجج و إرسال الرّسل والتّوفيق للنّظر والتّدبّر؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾: لايهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: يهديه غيره؟ ورد: «فأمّا من يهدي إلى الحقّ فهو محمّد و آل محمّد عليهم السّلام من بعده، و أمّا من لا يهدي إلاّ أن يهدى فهو من خالف، من قريش و غيرهم، أهل بيته من بعده»[1]. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فيما يعتقدون ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستنداً إلى خيالات فاسدة. ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ﴾: و ما صحّ و ما استقام ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أن يكون افتراءً من الخلق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة، لأنّه مُعجز دونها، و هو عيارٌ عليها[2]، شاهد لصحّتها ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: و تبيينَ ما شُرِعَ و فُرِضَ من الأحكام من قوله: "كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُم"[3]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلقه؟! ﴿قُلْ﴾ إن افتريتُه كما زعمتم ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في البلاغة و حسن النّظم ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ أن تدعوه للاستعانة به على الإتيان بمثله ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾: بل سارعوا إلى التّكذيب ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ من القرآن و غيره أوّلَ ما سمعوه، قبل أن يتدبّروا فيه. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: و لم يقفوا بعدُ على تأويله و معانيه. ورد: إنّه سئل عن الأُمور العظام من الرّجعة و غيرها، فقال: «إنّ هذا الّذي تسألوني عنه لم يأت أوانه. قال الله: "بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لمّا يأتهم

١ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ عيار الشّيء: ما جعل نظاماً له يقاس به و يستوي. اقرب الموارد ٢: ٨٥٢ (عير).
٣ـ النّساء (٤): ٢٤.

تأويله »[1]. والقمّي: نزلت في الرّجعة، كذّبوا بها. اي: أنّها لا تكون[2]. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾: أنبياءهم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ في نفسه و يعلم أنّه حقّ و لكنّه يعاند، أو و منهم من يؤمن به في المستقبل. ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ في نفسه لفرط غباوته[3] و قلّة تدبّره، أو فيما فيما يستقبل و يُصرّ على الكفر. قال: «هم أعداء آل محمّد عليهم السّلام من بعده»[4].

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ يعني: و إن يئستَ من إجابتهم و أصرّوا على تكذيبك فتبرّأ منهم و خلّهم، فقد أعذرْتَ إليهم. قيل: هي منسوخة بآية القتال[5].

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ إذا قرأت القرآن و علّمت الشّرائع، و لكن لا يقبلون، كالاصمّ الّذي لا يسمع. ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾: تقدر على إسماعهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: ولو انضمّ إلى صَمَمهم عدمُ تعقّلهم؟! يعني أنّ حقيقة استماع الكلام ليست إلّا فهمَ المعنى المقصود منه، و ليس ذلك فيهم.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ﴾ و يُعاينون دلالات نبوّتك، و لكن لا يصدّقون. ﴿أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾: تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾: و إن انضمّ إلى عدم البَصَر عدمُ البصيرة؟!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ ممّا يتّصل بمصالحهم من الحواسّ والعقول. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بإفسادها و تفويت منافعها عليهم. ورد: «إنّ الله الحليمَ العليمَ

١ـ العيّاشي ٢: ١٢٢، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٢.
٣ـ غَبا الشّيءَ و عنه غبأ و غباوةً: لم يَفْطِنْ له. القاموس المحيط ٤: ٣٧٠ (غبا).
٤ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١١١؛ والكشّاف ٢: ٢٣٨.

إنّما غضبُه على من لم يقبل منه رضاه، و إنّما يمنع من لم يقبل منه عطاه، و إنّما يُضلُّ من لم يقبل منه هداه»[١].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: يستقصرون مدّة لبثهم في الدّنيا، أو القبور؛ لهول ما يرون. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً، كأنّهم لم يتفارقوا إلاّ قليلاً ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك، كما أراه يوم بدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نُريك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾. مجاز عليه ذكر الشّهادة، و أراد مقتضاها، و لذلك رتّبها على الرّجوع بـ "ثمّ"، أوالمراد:[٢] يشهد على أفعالهم يوم القيامة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبيّنات فكذّبوه، أو يوم القيامة ليشهد عليهم ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بين الرّسول و مكذّبيه ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل؛ فأُنجي الرّسولُ و عُذّب المكذّبون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. قال: «تفسيرها في الباطن، أنّ لكلّ قرن من هذه الأمّة رسولاً من آل محمّد عليهم السّلام يخرج إلى القرن الّذي هو إليهم رسول؛ و هم الأولياء، و هم الرّسل. و أمّا قوله: "فإذا جاء رسولهم قُضي بينهم بالقسط" فإنّ معناه: أنّ رسل الله يقضون بالقسط و هم لا يظلمون»[٣].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾. استعجالٌ لما وُعدوا من العذاب واستبعاد له. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. شاركوا النّبيّ ﷺ والمؤمنين[٤] في الخطاب.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف أملك لكم الضرّ؟! ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾

١ـ الكافي ٨: ٥٢، الحديث: ١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «الف»: «والمراد».
٣ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في جميع النُسَخ: «شاركوا النّبيّ ﷺ المؤمنين» بدون الواو، والصّواب ما اثبتناه كما في الصّافي ٢: ٤٠٥.

أن أملكه، أو ما شاء وقوعه فيقع ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم. قال: «هو الّذي سُمّي لملك الموت في ليلة القدر»[١]. ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الّذي تستعجلونه ﴿بَيَاتًا﴾: وقت بيات و اشتغالٍ بالنوم ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أيّ شيء من العذاب يستعجلونه، و ليس شيء منه يوجب الاستعجال؟ وُضِعَ المجرمون موضع الضّمير، للدّلالة على أنّهم لجرمهم ينبغي أن يَفْزَعُوا لمجيء الوعيد لا أن يستعجلوه. قال: «هذا عذاب ينزل في آخر الزّمان على فسقة أهل القبلة، و هم يجحدون نزول العذاب عليهم»[٢].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بعد وقوعه، حين لا ينفعكم الإيمان به؟ ﴿آلْآنَ﴾ على إرادة القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تكذيباً، و استهزاءً.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: و يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أحقّ ما تقول من الوعد والوعيد و غير ذلك. قال: «ما تقول في عليّ عليه السلام»[٣]. و في رواية: «و يستنبئك أهل مكّة عن عليّ عليه السلام إمام هو؟»[٤]. ﴿قُلْ إِي﴾: نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين إيّاه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خزائنها و أموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: لجعلته فدية لها من العذاب. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لأنّهم بُهِتُوا بما عاينوا ممّا لم يحتسبوه من فظاعة الأمر و هوله. القمّي: «ظَلَمَتْ» يعني آل محمّد عليهم السّلام

١ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث: ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الامالي (للصّدوق): ٥٣٦، المجلس السّادس والتّسعون، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السّلام.

حقّهم، "لأفتدت به" يعني في الرّجعة[1]. ورد: إنّه سئل: ما ينفعهم إسرار النّدامة وهم في العذاب؟ قال: «كرهوا شماتة الأعداء»[2]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بين الظّالمين والمظلومين ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. تقرير لقدرته على الإثابة والعقاب. ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنّ علمهم لا يتجاوز الظّاهر من الحياة الدّنيا.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال: «شفاء من أمراض الخواطر و مشتبهات الأُمور»[3]. و في رواية: «من نَفْثِ الشّيطان»[4]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾. قال: «فضل الله: رَسُولُه[5] ﷺ، و رحمته: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[6]. و في رواية: «فضل الله: نبوّة نبيّكم، و رحمته: ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام "فبذلك" قال: بالنّبوة والولاية "فليفرحوا"، يعني الشّيعة»[7]. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال: «يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدّنيا»[8].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: أخبروني ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ حلال كلّه ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: فجعلتم بعضه حراماً و بعضه حلالاً مثل: "هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَ حَرْثٌ

١ـ القمّي ١: ٣١٣.
٢ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البحار ٣: ١٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٤٤، ذيل الحديث: ٨، مرفوعة.
٥ـ في «ب» و «ج»: «رسول الله».
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧و٨ـ الأمالي (للصّدوق): ٤٠٠، المجلس الرّابع والستّون، ذيل الحديث: ١٣، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام.

حجر"[1] "ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا و محرّم على أزواجنا"[2].

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التّحريم والتّحليل ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ في نسبة ذلك إليه.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: ايّ شيء ظنّهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيحسبون أن لا يجازوا عليه؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: في أمر ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾: من الشّأن ﴿مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تخوضون فيه و تندفعون. القمّي: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكىٰ بكاءً شديداً[3]. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: و ما يبعد و ما يغيب عن علمه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: ما يوازن نملةً صغيرة، أو هباءً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوات مأمول.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. بيان لأولياء الله، أو استيناف خَبَرُهُ ما بعده. قال: «هم نحن و أتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا، طوبى لنا و طوبى لهم، و طوباهم أفضل من طوبانا. قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن و هم على أمر؟ قال: لا، إنّهم حملوا ما لم تحملوا، و أطاقوا ما لم تطيقوا»[4].

و في رواية: «طوبى لشيعة قائمنا، المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[5]. و في أُخرى: «هم

١ـ الأنعام (٦): ١٣٨.
٢ـ الانعام(٦): ١٣٩.
٣ـ القمّي ١: ٣١٣.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ كمال الدين ٢: ٣٥٧، الباب: ٣٣، الحديث: ٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الّذين يُذكَرُ[1] الله برؤيتهم، يعني في السَّمْتِ والهيئة»[2]. و في أُخرى: «إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، و نظروا فكان نظرهم عبرةً، و نطقوا فكان نطقهم حكمةً، و مشوا فكان مشيهم بين النّاس بركةً، لولا الآجال الّتي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم، خوفاً من العذاب و شوقاً إلى الثّواب»[3]. و في أُخرى: «"ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" إذا أدّوا فرائض الله، و أخذوا بسنن رسول الله، و تورّعوا عن محارم الله، و زهدوا في عاجل زهرة الدّنيا، و رغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطّيّب من رزق الله، لا يريدون التّفاخر والتّكاثر، ثمّ أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأُولئك الّذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، و يُثابون على ما قدّموا لآخرتهم»[4].

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: «هي الرّؤيا الحسنة يراها المؤمن أو يُرىٰ له»[5]. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: «هي بشارة المؤمن عند الموت بالمغفرة»[6]. و في رواية: «بالجنّة»[7]. و هو قوله تعالى: "الّذينَ تَتَوفّيهُمُ الملائكةُ طَيّبينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عليكم ادْخُلوا الجَنَّةَ"[8] و ورد: «يبشّرهم بقيام القائم (عليه السلام) و بظهوره و بقتل أعدائهم، و بالنّجاة في الآخرة، والورود على محمّد و آله الصّادقين على الحوض»[9]. و في رواية: «إذا وقعت نَفَسُهُ في صدره يرى رسولَ الله ﷺ، فيقول له: أنا رسول الله ﷺ أبشر، ثمّ يرى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فيقول: أنا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الّذي كنتَ تحبّه، أنا أنفعك

١ـ في «ب»: «يذكرون الله» و هو تصحيف.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ ﷺ. والسَّمْتُ: هَيْئَةُ أهل الخير؛ يقال: ما أحسن سَمْتَهُ، اي: هَدْيَه. الصّحاح ١: ٢٥٤ (سمت).
٣ـ الكافي ٢: ٢٣٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله (عليه السلام).
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣١، عن أبي جعفر (عليه السلام).
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر (عليه السلام)؛ و جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ ﷺ، و فيهما: «أو ترى له»؛ و في الكافي ٨: ٩٠، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر (عليه السلام)، مع تفاوت.
٦ـ من لايحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٥٦، عن النّبيّ ﷺ.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر (عليه السلام).
٨ـ النّحل (١٦): ٣٢.
٩ـ الكافي ١: ٤٢٩، الحديث: ٨٣، عن أبي جعفر (عليه السلام).

اليوم. قال: و ذلك في القرآن قوله عزّوجلّ: "الّذين آمنوا و كانوا يتّقون لهم البشرىٰ في الحيٰوة الدّنيا و في الآخرة"[1]. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا تغيير[2] لأقواله ولا إخلاف لمواعيده؛ و هو اعتراض. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم و تدبيرهم في إبطال أمرك، و ساير ما يتكلّمون به في شانك. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: إنّ الغلبة والقهر جميعاً للّه، لا يملك أحدٌ شيئاً منهما غيره، فهو يغلبهم و ينصرك عليهم. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لما يقولون و بما يعزمون.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يعني لا يتّبعون شركاء؛ فاقتُصِرَ على أحدهما، أي: شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمّونها شركاء. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: إلاّ ظنّهم أنّهم شركاء ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقدّرون تقديراً باطلاً، و يجوز أن يكون "ما" في: "وَمَا يَتَّبِعُ" استفهاميّة، أو موصولة معطوفة على "مَنْ".

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يقيمون به رياستهم في الكفر ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾: عظُم و شقّ

١ـ الكافي ٢: ١٣٣، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ج»: «لاتغير».

مكاني، أو إقامتي[١] بينكم مدّةً مديدةً، أو قيامي على الدّعوة ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إيّاكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: فاعزموا على ما تريدون مع شركائكم، واجتمعوا على السّعي في إهلاكي ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستوراً، واجعلوه ظاهراً مكشوفاً؛ من غمّه: إذا ستره. والقمّي: لا تغتمّوا[٢].

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾: أدّوا إليّ ذلك الأمر الّذي تريدون بي. والقمّي: ثمّ ادعوا عليّ[٣].

﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ يوجب تولّيكم، لثقله عليكم، و اتّهامكم إيّاي لأجله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لحكمه.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فاصرّوا على تكذيبه في المدّة الطّويلة ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ من الغرق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾: خلفاء لمن هلك بالغرق[٤] ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «يعني في الميثاق»[٥]. و ورد في تفسيرها: «بعث الله الرّسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرّجال و أرحام النّساء، فمن صدّق حينئذ صدّق بعد ذلك، و من كذّب حينئذ كذّب بعد ذلك»[٦]. و قد مرّ فيه حديث آخر في الأعراف[٧]. ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

١ـ في «ب»: «و إقامتي».
٢و٣ـ القمّي ١: ٣١٤.
٤ـ في «ب»: «لمن هلك بالغرق في الأرض».
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في تفسير الآية: ١٥٨ من سورة الأنعام.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث: ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في ذيل الآية: ١٠١.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾: إنّه لسحر. حذف محكيّ القول لدلالة ما قبله و ما بعده عليه، أو المعنى: أتعيبُونَ الحقّ و تطْعَنُونَ فيه؟ ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾. قيل: استيناف بإنكار ما قالوه و ليس بمحكيّ القول، لأنهم بتّوا القول[1]. ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾: لتصرفنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾: حاذق فيه.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ أي: الّذي جئتم به هو السّحر لا ما سمّيتموه سحراً. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾: أولاد. قيل: أي: طائفة من شبّانهم[2]. ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾: أن يعذّبهم ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ في الكبر والعتوّ والظّلم والفساد، حتّى ادّعى الرّبوبيّة واسترقّ أسباط الأنبياء.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ لمّا رأى تخوّف المؤمنين به: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ ﴾: فثقُوا به و أسنِدُوا أمركم إليه واعتمدوا عليه، ولا تخافوا من فرعون و قومه

٨ـ النّحل (١٦): ٣٢.

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: مستسلمين لقضاء الله مخلصين له؛ و ليس هذا تعليق الحكم بشرطين، فإنّ المعلّق بالإيمان وجوبُ التوكّل، فإنّه المقتضي له؛ و المشروط بالإسلام حصولُه، فإنّه لا يوجد مع التخليط؛ نظيره: إن دعاك فلان فأجبه إن قدرت.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: «لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا»[1]. و في رواية: «استعبدهم آل فرعون و قالوا: لو كان لهؤلاء كرامة كما يقولون، ما سلّطنا عليهم. فقال موسى لقومه: "يا قوم" الآية»[2].

أقول: هذه الرّواية تفسّر الأُولى[3]. و قيل: أي: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا أو يعذّبونا[4].

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: من كيدهم و استعبادهم إيّانا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: اتّخذا لهم مَباءَةً[5]، أي: مرجعاً يرجعون إليه للعبادة ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مصلّىً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فيها. قال: «لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها، أوحى الله إلى موسى و هارون "أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة". قال: أُمروا أن يصلّوا في بيوتهم»[6].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنّصرة في الدّنيا والجنّة في العقبىٰ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾: ما يتزيّن به من اللّباس والفرش والمراكب و نحوها ﴿وَأَمْوَالًا﴾: و أنواعاً من المال ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾. القمّي: أي: يفتنوا النّاس بالأموال، ليعبدوه ولا يعبدوك[7]. واللّام

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٨؛ والعيّاشي ٢: ١٢٧، الحديث: ٣٨، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «تفسير الأولى»
٤ـ تفسير أبي السعود ٤: ١٧١.
٥ـ في «ألف» و «ج»: «مباة» و في «ب»: «مباتاً».
٦ـ القمّي ١: ٣١٥، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٧ـ المصدر: ٣١٥.

للعاقبة. ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: أهلكها و امحقها ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ و أقسها واطبع عليها، حتّى لا تنشرح للإيمان ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. لمّا لم يبق له طمع في إيمانهم اشتدّ غضبه عليهم، فدعا الله عليهم بما علم أنّه لا يكون غيره.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ يعني موسى و هارون. قال: «دعا موسى و أمّن هارون و أمّنت الملائكة»[1]. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فاثبتا على ما أنتما عليه من الدّعوة و إلزام الحجّة ولا تستعجلا، فإنّ ما طلبتما كائن، و لكن في وقته. ورد: «كان بين قول الله: "قد أُجيبت دعوتكما" و بين أخذ فرعون أربعون سنة»[2]. ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في الاستعجال و عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿آلْآنَ﴾: أتؤمن الآن و قد أيست من نفسك و لم يبق لك اختيار ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل ذلك مدّة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: الضالّين المضلّين عن الإيمان.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: ننقذك عارياً عن الرّوح، ممّا وقع فيه قومك من البحر أو نلقيك على نجوة من الأرض، و هي المكان المرتفع ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾: علامة يظهر لهم عبوديّتك و مهانتك ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها.

قال: «إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يُرَ منهم أحدٌ، هَوَوْا في البحر إلى النّار، و أمّا فرعون فنبذه الله وحده، فالقاه بالسّاحل لينظروا إليه و ليعرفوه، ليكون لمن خلفه آيةً، و لئلاّ يشكّ أحد في هلاكه، إنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً فاراهم الله إيّاه جيفةً ملقاة

1 ـ الكافي ٢: ٥١٠، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله.
2 ـ العيّاشي ٢: ١٢٧، الحديث: ٤٠؛ والكافي ٢: ٤٨٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيهما: «اربعين سنة».

بالسّاحل ليكون لمن خلفه عبرةً و عظةً. يقول الله: "و إنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون"»[١].

و في رواية: «و قد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد، قد لبسه على بدنه، فلمّا غرق ألقاه الله على نَجْوَةٍ من الأرض ببدنه، ليكون لمن بعده علامةً، فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الارض و سبيل الثّقيل[٢] أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آيةً و علامةً، و لعلّة أُخرى أغرقه الله، و هي أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغَرَقُ و لم يستغث بالله، فأوحى الله إليه: يا موسى لم تُغِثْ فرعون، لأنّك لم تخلقه، ولو استغاث بي لأغثته»[٣].

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضياً و هو الشّام و مصر. القمّي: ردّهم إلى مصر و غرق فرعون[٤]. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: اللّذائذ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في أمر دينهم و ما تشعّبوا شُعَباً ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بدين الحقّ و قرؤوا التّوراة و علموا أحكامها، و في أمر محمّد ﷺ، إلاّ من بعد ما علموا صدقه بنعوته و تظافر معجزاته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيميز المحقّ من المبطل، بالإنجاء والإهلاك.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. قال: «المخاطب بذلك رسول الله ﷺ و لم يكن في شكّ ممّا أنزل الله، و لكن قالت الجهلة: كيف

١ـ القمّي ١: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «ب»: «و سبيل الثّقل» و في «الف»: «و سبيل الثّقيل يرسب». و ما في المتن موافق للمصدر.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٨، الباب: ٣٢، الحديث: ٧.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦.

لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة، لنفرق بينه و بين غيره في الاستغناء عن المآكل والمشرب والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيّه: "فاسأل الّذين يقرؤون الكتاب من قبلك" بمحضر من الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ و هو يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق؟ و لك بهم أسوة، و إنّما قال: "فإن كنت في شكّ" و لم يكن، ولكن ليتّبعهم، كما قال: "فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْنآءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِسآءَنا وَ نِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ"[١] ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، لم يكونوا يجيبون للمباهلة، فقد عرف أنّ نبيّه ﷺ مؤدّ عنه رسالته و ما هو من الكاذبين و كذلك عرف النّبي ﷺ أنّه صادق فيما يقول، و لكن أحبّ أن ينصف من نفسه»[٢].

و ورد: «قال رسول الله ﷺ: لا أشكّ و لا أسأل»[٣].

و في رواية: «لمّا أسري برسول الله ﷺ إلى السّماء، و أوحى الله إليه في عليّ عليه السلام ما أوحى، من شرفه و من عظمته عند الله، ورد إلى البيت المعمور و جمع له النّبيّين و صلّوا خلفه، عرض في نفس رسول الله ﷺ من عظم ما أوحى إليه في عليّ عليه السلام، فأنزل الله: "فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فاسأل الّذين يقرؤون الكتاب من قبلك" يعني الأنبياء. فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا في كتابك "لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الّذين كذّبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين". قال: فوالله ما شكّ و ما سأل»[٤].

١ـ آل عمران (٣): ٦١.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٨، الحديث: ٤٢؛ و علل الشّرايع ١: ١٢٩، الباب: ١٠٧، الحديث: ١، عن أبي الحسن الهادي عليه السلام.
٣ـ علل الشّرايع ١: ١٣٠، الباب: ١٠٧، الحديث: ٢، مرفوعاً عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: و على كلتا الرّوايتين، فالخطاب من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جاره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بأنّهم يموتون كفّاراً ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ و حينئذ لا ينفعهم، كما لم ينفع فرعون.

﴿فَلَوْلَا﴾: فهلاّ ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ من القرى الّتي أهلكناها ﴿آمَنَتْ﴾ قبل معاينة العذاب، و لم تؤخّر إليها كما أخّر فرعون إلى أن أدركه الغرقُ ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ بأن يَقبَلَهُ الله منها، و يكشف العذابَ عنها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: لكنّ قوم يونس ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾ أوّلَ ما رأوا أمارةَ العذاب و لم يؤخّروه إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾. و يجوز أن تكون الجملة في معنى النّفي، لتضمّن حرف التّحضيض معناه، فيكون الاستثناء متّصلاً، كأنّه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلّا قوم يونس.

قال: «ما ردّ الله العذاب إلّا عن قوم يونس، و كان يونس يدعوهم إلى الإسلام فتأبّوا ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم، و كان فيهم رجلان عابد و عالم، و كان اسم أحدهما «مليخا» والآخر اسمه «روبيل»، و كان العابد يشير على يونس بالدّعاء عليهم، و كان العالم ينهاه و يقول: لا تَدْعُ عليهم، فإنّ الله يستجيب لك ولا يحبّ هلاك عباده. فقبل قولَ العابد و لم يقبل من العالم، فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا و كذا، في شهر كذا و كذا، في يوم كذا و كذا، فلمّا قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، و بقي العالم فيها، فلمّا كان في ذلك اليوم نزل العذاب. فقال العالم لهم: يا قوم افزعُوا إلى الله، فلعلّه يرحمكم فيردّ العذاب عنكم. فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اخرجُوا إلى المفازة، و فرّقوا بين النّساء والأولاد، و بين الإبل و أولادها، و بين البقر و أولادها، و بين الغنم و أولادها، ثمّ ابكوا وادعوا. فذهبوا و فعلوا ذلك

و ضَجّوا[١] و بكوا، فرحمهم الله و صرف عنهم العذاب و فرّق العذاب على الجبال، و قد كان نزل و قرب منهم»[٢] الحديث. و يأتي تمامه في سورة الأنبياء إن شاء الله[٣].

و في رواية: «أصبحوا أوّل يوم و وجوههم صُفْرٌ، و أصبحوا اليومَ الثّاني و وجوههم سُوْدٌ، و أتاهم العذاب حتّى نالوه برماحهم، ففرّقوا بين الأمّهات و أولادهنّ، و لبسوا المُسُوح والصّوف، و وضعوا الحبال في أعناقهم والرّماد على رؤوسهم، و ضجّوا ضجّةً واحدةً إلى ربّهم و قالوا: آمنّا بإله يونس. فصرف الله عنهم العذاب، و أصبح يونس و هو يظنّ أنّهم هلكوا فوجدهم في عافية»[٤].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

قال: «إنّ المسلمين قالوا: لو أكْرَهْتَ يا رسول الله من قدرتَ عليه من النّاس على الإسلام، لكثر عددُنا و قوّتنا على عدوّنا[٥]. فقال: ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، و ما أنا من المتكلّفين، فأنزل الله عليه: يا محمّد "ولو شاء ربّك لآمن مَن في الارض كلّهم جميعاً" على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدّنيا، كما يؤمن عند المعاينة و رؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً، و لكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ليستحقّوا منّي الزّلفى والكرامةَ و دوامَ الخلود في جنّة الخلد "أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين". و أمّا قوله: "و ما كان

١ـ في «الف»: «فضجّوا».
٢ـ القمّي ١: ٣١٧ـ٣١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام. و تراه بالتّفصيل في العيّاشي ٢: ١٢٩ـ١٣٤، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله.
٣ـ في ذيل الآية: ٨٧.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٣٦، الحديث: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في المصدر: «و قوينا على عدوّنا».

لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله " [فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، و لكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله][1] و إذنه: أمره لها بالإيمان، ما كانت مكلّفة متعبّدة، و إلجاؤه[2] إيّاها إلى الإيمان عند زوال التّكليف والتّعبّد عنها»[3].

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من عجائب صنعه ليدلّكم على وحدته و كمال قدرته. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. "ما" نافية، أو استفهاميّة. قال: «الآيات: الأئمّة، والنّذر: الأنبياء عليهم السّلام»[4].

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مثلَ وقايعهم و نزول بأس الله بهم، إذ لا يستحقون غيرها ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني نُهلكُ الأُمَمَ ثمّ ننجّي ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾: حقّ ذلك علينا حقّاً؛ و هو اعتراض. ﴿نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حين نهلك المشركين. قال: «ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنّه من أهل الجنّة، إنّ الله يقول: "كذلك حقّاً علينا ننجي المؤمنين"»[5].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ و صحّته ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾. خصّ التّوفّي بالذّكر للتّهديد. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدّقين بالتّوحيد، فهذا ديني.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: و أُمرت بالاستقامة والسّداد في الدّين، بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

١ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «الف».
٢ ـ في المصدر: «و الجاه».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٣٥، الباب: ١١، الحديث: ٣٣.
٤ ـ الكافي ١: ٢٠٧، الحديث: ١؛ والقمّي ١: ٣٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ١٣٨، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن خذلته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: فإن دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنّ الشرك لظلم عظيم. القمّي: مخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس[1].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾. ذكْر المسّ مع الضّرّ والإرادة مع الخير تنبية على أنّ الخير مراد بالذّات، و أنّ الضّرّ إنّما مسّهم لا بالقصد الأوّل، و وضْع الفضل موضع الضّمير للدّلالة على أنّه متفضّل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه، و لم يستثن لأنّ مراد الله لا يمكن ردّه. ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فتعرّضوا لرحمته[2] بالطّاعة، ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ و لم يبق لكم عذر ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾: اختار الهدى بالإيمان والطّاعة ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأنّ نفعه لها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: اختار الضّلال بالجحود ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأنّ وباله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم على ما أريد، إنّما أنا بشير و نذير.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ بالامتثال والتّبليغ ﴿وَاصْبِرْ﴾ على دعوتهم و احتمال أذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ لك بالنّصر والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنّه لا يحكم إلّا بالحقّ والعدل.

١ـ القمّي ١: ٣٢٠.
٢ـ في «ب»: «فتعرّضوا الرّحمة».

سورة هود

[مكيّة إلّا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤، وآياتها مائة و ثلاث و عشرون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نُظِمَتْ نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خَلَلَ، كالبناء المحكم ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بدلائل التّوحيد والمواعظ والأحكام والقصص. و معنى «ثمّ» التّراخي في الحال لا في الوقت. قال: «هو القرآن» [2]. ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ بالعقاب على الشّرك والثّواب على التّوحيد.

﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ من الشّرك والمعصية ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ بالإيمان والطّاعة ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: يُعِشْكم في أمن ودعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هو آخر أعماركم ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ﴾ في دينه ﴿فَضۡلَهُۥ﴾: جزاءَ فضله في الدّنيا والآخرة ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ القمّي: يعني الدّخان والصّيحة [3].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ القمّي ١: ٣٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٢١.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على تعذيبكم أشدّ عذاب.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: يعطفونها ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾. قال: «إنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله ﷺ حول البيت طأطأ أحدهم ظهره و رأسه هكذا، و غطّى رأسه بثوبه حتّى لا يراه رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية»[1]. والقمّي: يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام[2]. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطّون بثيابهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. القمّي: كان النبيّ ﷺ إذا حدّث بشيء من فضل عليّ عليه السلام، أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه، نفضوا ثيابهم[3] ثمّ قاموا، يقول الله: "يعلم ما يسرّون و ما يعلنون" حين قاموا[4].

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ لتكفّله إيّاه تفضّلاً و رحمة ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ قال: «من الأرحام والظّهور إلى أن يتناهى[5] بهم الغايات»[6].

﴿كُلٌّ﴾ من الدّوابّ و رزقها و مستقرّها و مستودعها ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: مذكور في اللّوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. سبق تأويله[7]. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل خلقهما. قال: «يعني أنّ الله حمّل دينه و علمه الماء قبل أن يكون سماء أو أرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر»[8]. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلقهنّ لحكمة بالغة، و هي أن يجعلها مساكن لكم، و ينعم عليكم بفنون النّعم،

١ـ الكافي ٨: ١٤٤، الحديث: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٢١.
٣ـ نَفَضَ الثّوبَ: حرّكه لينتفض. القاموس المحيط ٢: ٣٥٩ (نفض).
٤ـ القمّي ١: ٣٢١.
٥ـ في المصدر: «تتناهى».
٦ـ نهج البلاغه (للصّبحي الصّالح): ١٢٣، الخطبة: ٩٠.
٧ـ في سورة الأعراف(٧): ٥٤.
٨ـ التّوحيد: ٣١٩، الباب: ٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و يكلّفكم و يعرّضكم لثواب الآخرة، و يفعل بكم ما يفعل المبتَلي لأحوالكم، ليظهر أيّكم أحسن عملاً. قال: «ليس يعني اكثركم عملاً، و لكن أصوبكم عملاً، و إنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصّادقة»[١]. و روي: «أيكم أحسن عقلاً، و أورع عن محارم الله، و أسرع في طاعة الله»[٢]. ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. تمويه لا حقيقة له.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى جماعة من الأوقات قليلة. قال: «يعني به الوقت»[٣]. و في رواية: «الأُمّة المعدودة أصحاب القائم الثّلاثمائة والبضعة عشر»[٤]. و في أُخرى: «يعني عِدّةً كعدّة بدر»[٥]. ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استعجالاً واستهزاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾: ما يمنعه من الوقوع ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قال: «يعني العذاب»[٦]. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: و أحاط بهم؛ وُضِعَ الماضي موضعَ المستقبل تحقيقاً و مبالغةً في التّهديد.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾: شديد اليأس من أن تعود إليه تلك النّعمة ﴿كَفُورٌ﴾: عظيم الكفران لنعمه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ كصحّة بعد سُقمٍ و غنىً بعد عُدْمٍ. في اختلاف الفعلين في الإسناد نكتة لا تخفى. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ اي: المصائب الّتي ساءتْني و حزنتني ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾: أشِرٌ بطرٌ مغترٌ بها ﴿فَخُورٌ﴾ على النّاس بما أنعم الله عليه، قد شغله الفَرَحُ والفَخْرُ عن الشكر والقيام بحقّها.

و في لفظتي الإذاقة والمسّ تنبيه على أنّ ما يجده الإنسان في الدّنيا من النّعم والمحن كالأُنموذج لما يجده في الآخرة، و أنّه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء؛ لأنّ الذّوق

١ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أكثر عملاً».
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٦٠؛ والبيضاوي ٣: ١٠٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣و٤ـ القمّي ١: ٣٢٣. عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و٦ـ العيّاشي ٢: ١٤٠، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إدراكُ الطَعم، والمسّ مبدءُ الوصول.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ في الشدّة على الضرّاء، إيماناً بالله و استسلاماً لقضائه ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الرخاء، شكراً لآلائه؛ سابقها ولا حقها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: تترك تبليغه مخافة ردّهم و استهزائهم ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ ينفقه في الاستتباع، كالملوك ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدّقه؟ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾: ليس عليك إلّا الإنذار بما أُوحي إليك ولا عليك، ردّوا، او اقترحوا، فما بالك يضيق به صدرك ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ لا أنت، فتوكّل عليه فإنّه عالم بحالهم و فاعل بهم جزاء أقوالهم و افعالهم.

قال: «إنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: إنّي سألت ربّي أن يوالي بيني و بينك ففعل، و سألت ربّي أن يواخي بيني و بينك ففعل، و سالت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل. فقال رجلان من قريش: والله لصاعٌ من تمر في شَنٍّ[1] بالٍ أحبُّ إلينا ممّا سال محمّد ﷺ ربّه، فهلاّ سال ربّه مَلَكاً يعضده على عدوّه، أو كنزاً يستغني به عن فاقته؟ والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلّا أجابه الله إليه. فأنزل الله تعالى إليه: "فلعلّك تارك" الآية»[2].

و في رواية: «إنّه ﷺ سال الله تعالى لعلّي عليه السلام المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين. فقال "رمع"[3]: والله لصاع إلى قوله: فاقته. فأنزل الله عشر آيات من هود، أوّلها: "فلعلّك تارك"»[4].

١ـ الشَنُّ: القربة الخَلَقُ الصَّغيرة. القاموس المحيط ٤: ٢٤٢ (شن).
٢ـ الكافي ٨: ٣٧٨، الحديث: ٥٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ كلمة مقلوبة.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٤٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في البيان و حسن النّظم ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: مختلقات من عند أنفسكم، إن صحّ أنّي اختلقته من عند نفسي، فإنّكم عرب فصحاء مثلي، تقدرون على مثل ما أقدر عليه؛ بل أنتم أقْدَر، لتعلّمكم القصص، و تعوّدكم الأشعار. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّه مفترى.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون مَنْ دعوتموهم إلى المعارضة، أو أيّها الكافرون من دعوتموهم إلى المعاونة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: متلبّساً بما لا يعلمه إلّا الله، ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لظهور عجز المدعوّين ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانه و برّه ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾: نُوصلْ إليهم جزاء أعمالهم في الدّنيا؛ من الصّحّة والرّياسة و سعة الرّزق و كثرة الأولاد. قال: «يعني فلان و فلان»[1]. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا يُنْقَصُون شيئاً من أُجورهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ لأنّهم استوفوا ما تقتضيه صُوَرُ أعمالهم الحسنة، و بقيت لهم أوزار العزائم السيّئة. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾: في الآخرة ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنّه لم يُعْمَلْ على ما ينبغي. القمّي: يعني من عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدّنيا، أعطاه الله ثوابه في الدّنيا، و كان له في الآخرة النّار[2].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: على برهان من الله يدلّه على الحقّ والثّواب فيما يأتيه و يذره؛ والهمزة لإنكار أن يَعْقُبَ مَنْ هذا شانه، هؤلاء المقصرين

١ـ العيّاشي ٢ : ١٤٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «يعني فلاناً وفلاناً».
٢ـ القمّي ١ : ٣٢٤.

هممهم و افكارهم على الدّنيا، و ان يقارب بينهم في المنزلة؛ يعني أفمن كان على بيّنة كمن يريد الحياة الدّنيا؟ كيف و بينهما بون بعيد! ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: و يتبعه شاهد يشهد له منه ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يعني التّوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «محمّد صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه، و أنا الشّاهد، و أنا منه»[١].

وورد: «إنّما نزل: أفمن كان على بيّنة من ربّه و يتلوه شاهد منه إماماً و رحمةً و من قبله كتاب موسى. قال: فقدّموا و أخّروا في التّأليف»[٢]. و يستفاد من بعض الرّوايات: أنّ المراد بالبيّنة القرآن، و أن يتلوه في التّلاوة[٣]. و في رواية: «شاهد من الله محمّد»[٤].

وعلى هذا فيعمّ "من كان على بيّنة" كلّ مؤمنٍ مخلصٍ ذو[٥] بصيرة في دينه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: من تحزّب على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ﴾ يردها لامحالة. ورد: «لايسمع بي أحد من الأمّة لايهوديّ و لانصرانيّ، ثمّ لايؤمن بي إلّا كان من أهل النّار»[٦]. ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: و يصفونها بالانحراف عن الحقّ والصّواب ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ورد: «هم اربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً»[٧]. «والأشهاد هم الائمّة عليهم السّلام»[٨].

١- الامالى (للطّوسي) ١: ٣٨١. و يقرب منه ما في العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٣، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢- القمّي ١: ٣٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام، مع زيادة.
٣- بصائر الدّرجات: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٤- مجمع البيان ٥-٦: ١٥٠، عن حسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥- كذا في جميع النّسخ، ولعلّ الصّواب: «ذابصيرة» كما في الصّافي.
٦- مجمع البيان ٥-٦: ١٥٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧- العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨- المصدر: ١٤٢، ذيل الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: الملوك الأربعة معروفة[1].

القمّي: "ألا لعنة الله على الظّالمين" آل محمّد عليهم السّلام حقّهم، و "سبيل الله" طريق الله، و هو الإمامة. "يبغونها عوجاً": حرّفوها إلى غيره[2].

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: ما كانوا معجزين الله في الدّنيا أن يعاقبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونهم من العقاب لو أراد عقابهم، و لكنّه أخّر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشدّ و أدوم. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لتصامّهم عن الحقّ وبغضهم له. القمّي: ما قدروا أن يسمعوا بذكر أمير المؤمنين عليه السلام[3]. ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ لتعاميهم عن آيات الله.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ خسروا بما بذلوا و ضاع[4] عنهم ما حصّلوا، فلم يبق معهم سوى الحسرة والنّدامة، ولا أحد أبين و أكثر خسراناً منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: اطمأنوا إليه و خشعوا له ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾: كالأعمى و كالأصمّ[5]، أو كالأعمى الأصمّ و كذا في نظيره، و ذلك لتعامي الكافر عن آيات الله و تصامّه عن استماع كلام الله، و تأبّيه عن تدبّر معانيه. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بضرب الأمثال والتأمّل فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أبيّن لكم موجبات العذاب

١ - قال في الصّافي (٢: ٤٣٩): هم الثلاثة و معاوية.
٢ - القمي ١: ٣٢٥. وفيه: «وهي الإمامة ... حرّفوها إلى غيرها».
٣ - المصدر.
٤ - في «الف»: «و ضايع».
٥ - «الف»: «والأصمّ».

و وجه الخلاص.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾: اتّبعوك ظاهرَ الرأي من غير تعمّق؛ من البُدُوّ، أو أولَ الرأي من البَدْء، و إنّما استرْذَلُوهُم لفقرهم، فإنّهم لمّا لم يعلموا إلّا ظاهراً من الحياة الدّنيا كان الأحظُّ بها أشرَفَ عندهم، والمحرومُ أرذَلَ. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: حجّة شاهدة بصحّة دعواي ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ بإيتاء البيّنة، أو النبوّة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: فخفِيَتْ عليكم[1] فلم تهدكم[2] ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنكرِهكُم على الاهتداء بها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا تختارونها ولا تتأمّلون فيها؟

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ على التّبليغ جُعلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الفقراء، و هو جواب لهم حين سالوا طردهم. ﴿إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ يلاقونه و يفوزون بقربه، فيخاصمون طاردَهُم فكيف أطردهم ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ الحقّ و أهله، أو تتسفّهون عليهم بان تدعوهم أراذل.

﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: يدفع انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ و هم بتلك المثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: خزائن رزقه حتّى جحدتم فضلي ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: ولا اقول: انا أعلم الغيب، حتّى تكذّبوني استبعاداً، او حتّى اعلم أنّ هؤلاء

١- الظاهر انّ المصنّف رجّح قراءة التّخفيف اي: «فَعَمِيَتْ» لمكان التفسير بقوله: فخفيت، و في المصحف: «فَعُمِّيَتْ» بضمّ العين و تشديد الميم اي: «اُخفِيَتْ عليكم».

٢- في جميع النّسخ: «فلم يهدكم».

اتبعوني بادي الرّأي من غير بصيرة و عقد قلب. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتّى تقولوا: "ما أنت إلّا بشر مثلنا"[1]. ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾: استرذلتموهم لفقرهم، من زرىٰ عليه: إذا عابه. و إسناده إلى الأعين، للمبالغة والتّنبيه على أنّهم استرذلوهم بادي الرّؤية من غير رويّة. ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ فإنّ ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير ممّا آتيكم في الدّنيا ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا﴾: إن قلت شيئاً من ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: فأطلته ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدّعوى والوعيد.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجلاً، او آجلاً ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بدفع العذاب.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ بأن علم منكم الإصرار على الكفر فخلّاكم و شأنكم. ورد: «يعني أنّ الأمر إلى الله يهدي من يشاء و يضلّ»[2]. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾. اعتراض. ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾: وباله ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ في إسناد الافتراء إليّ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن حزن بائسٍ مستكينٍ ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾. اقنطه الله من[3] إيمانهم، و نهاه أن يغتمّ بما فعلوه من الإيذاء والتّكذيب. قال: «فلذلك قال نوح: "و لا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً"»[4].

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: متلبساً باعيننا، اتى بصيغة الجمع للمبالغة في الحفظ

١ـ الشّعراء (٢٦): ١٥٤ و ١٨٦.
٢ـ قرب الإسناد: ٣٥٩، الحديث: ١٢٨٢؛ والعيّاشي ٢: ١٤٤، الحديث: ١٦، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «عن إيمانهم».
٤ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٤، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في سورة نوح (٧١): ٢٧.

والرّعاية، على طريقة التّمثيل. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ إليك كيف تصنعها ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بالإغراق، فلا سبيل إلى كفّه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾. حكايةُ حالٍ ماضيةٍ. ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا به. قال: «إنّه لمّا غرس النّوى مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون و يقولون: قد قعد[1] غرّاساً! حتّى إذا طال النّخل و كان جبّاراً[2] طوالاً قطعه ثمّ نحته، فقالوا: قد قعد نجّاراً! ثمّ ألّفه فجعله سفينة [فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون و يسخرون و يقولون: قد قعد ملّاحاً في فلاة من الأرض!»[3]][4]. ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذ أخذكم[5] الغَرَقُ في الدّنيا والحَرَقُ[6] في الآخرة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعني الغَرَقَ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يعني عذاب النّار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: نبع الماء فيه و ارتفع كالقِدْرِ تَفُورُ. قال: «كان التّنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ سُئِلَ: و كان بدو خروج الماء من ذلك التّنور؟ فقال: نعم، إنّ الله أحبّ أن يُرِيَ قومَ نوحٍ آيةً، ثمّ إنّ الله أرسل المطر يفيض فيضاً، و فاض الفرات فيضاً، والعيون كلّهن فيضاً»[7]. و في رواية: «و كان ميعاده فيما بينه و بين ربّه في إهلاك قومه أن يفور التّنّور، ففار. فقالت

١ـ لعلّه بمعنى صار نحو قولهم: حَدَّدَ شَفْرَتَهُ حتّى قَعَدَتْ كأنّها حَرْبَةٌ اي: صار. القاموس المحيط ١: ٣٤١ (قعد).
٢ـ الجبّار: النّخلة الطّويلة الفَتِيَّةُ و تُضَمُّ. القاموس المحيط ١: ٣٩٩ (جبر).
٣ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مابين المعقوفتين ليس في «الف».
٥ـ في «ج»: «إذا أخذكم».
٦ـ الحَرَق ـ بالتّحريك ـ النّار أو لَهَبُها. القاموس المحيط ٣: ٢٢٧ (حرق).
٧ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

امرأته: إنّ التّنور قد فار. فقام إليه فختمه فقام الماء [1]، و أدخل من أراد أن يُدْخلَ و أخرج من أراد أن يُخْرِجَ، ثمّ جاء إلى خاتمه و نزعه. يقول الله: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ" الآيتين [2] قال: و كان نَجْرُها [3] في وسط مسجدكم» [4].

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً و أُنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أُريد امرأته و بنوه و نساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بأنّه من المغرقين. أُريد ابنه «كنعان» و امرأته «واعلة»، فإنّهما كانا كافرين. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ من غيرهم ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. قال: «آمن مع نوح من قومه ثمانيةُ نفر» [5]. و ورد: «أمره الله أن ينادي بالسّريانيّة: لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلّا حضر، فادخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين السّفينةَ، وكان الّذين آمنوا به من جميع الدّنيا ثمانين رجلاً» [6].

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾: مُسَمِّينَ الله قائلين ذلك؛ ومعناه: بالله إجراؤها و إرساؤها. قال: «أي: مسيرها و موقفها» [7]. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لولا مغفرتُه لفَرَطاتكم، و رحمتُه إيّاكم لما نجّاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ﴾ من الطّوفان ﴿كَالْجِبَالِ﴾: كلُّ موجة منها كجبل في تراكمها و ارتفاعها ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾: كنعان. قال: «ليس بابنه إنّما هو ابن امرأته، وهو لغة طيّ يقولون لابن المرأة [8]: ابْنَهُ» [9]. يعني بفتح الهاء. و ورد: «إنّهم قرؤوا كذلك» [10]. و ورد أيضا: «ابْنَهَا» [11]. والضّمير لامْرأته. ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عزل فيه

١ـ قام الماء: انجمد. القاموس المحيط ٤: ١٧٠ (قوم).
٢ـ سورة القمر (٥٤): ١١و١٢.
٣ـ النّجْرُ: الأصل. القاموس المحيط ٢: ١٤٣ (نجر).
٤ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦و٧ـ القمّي ١: ٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ في «ب» و «ج»: «لابن الأمرأة». وفي المصدر: «لابن امرأته».
٩ـ العيّاشي ٢: ١٤٨، الحديث: ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٦٠، عن أمير المؤمنين والصّادقين عليهم السّلام.
١١ـ جوامع الجامع ٢: ١٤٧؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ١٦١.

نفسه عن المركب ﴿يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ في السّفينة ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾. قال: «نظر نوح إلى ابنه يقع و يقوم، فقال له: "يا بنيّ اركب" الآية»[1].

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ﴾: إلاّ الرّاحم و هو الله تعالى. ورد: «كان الجبل الّذي اعتصم به في النّجف، فاوحى الله إليه: يا جبل أيعتصم بك منّي احد؟ فغار في الارض و تقطّع إلى الشّام»[2].

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: انشفي[3]. قال: «نزلت بلغة الهند اشربي»[4]. و في رواية: «حبشيّة»[5]. ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ قال: «أمسكي»[6].

اقول: نداء الأرض و السّماء، عبارة عن كمال اقتداره و عظمته، و أنّ الخلايق عارفون به، منقادون له، ممتثلون لأمره على الفور.

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾: نقص ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: أنْجِزَ ما وعد ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ﴾[7]: استقرّت عليه ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: بَعُدَ بُعْداً بعيداً لا يرجى عوده؛ كناية عن الهلاك. ما افصح هذه الآية وأبلغها، و ما افخم لفظها و أحسن نظمها، و ما أدلّها على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، و في إيراد الإخبار فيها على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنّه متعيّن في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره.

قال: «فدارت السّفينة و ضربتها الأمواج حتّى وافت مكّة و طافت بالبيت، و غَرِقَ جميع الدّنيا إلاّ موضع البيت و إنّما سمّي البيتَ العتيق، لأنّه أُعتِقَ من الغَرَق، فبقي الماء

١ـ القمّي ١: ٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٥١، الحديث: ١٦١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ نَشِفَ الثّوبُ العَرَقَ و نَشِفَ الحوضُ الماءَ: شربَه. الصّحاح ٤: ١٤٣٢ (نشف).
٤ و ٥ـ العيّاشي ٢: ١٤٩، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الجوديّ: جبل بالموصل. معجم البلدان ٢: ١٧٩.

ينصبّ من السّماء أربعين صباحاً، و من الأرض العيون؛ حتّى ارتفعت السّفينة فمسحت السّماء. قال: فرفع نوح عليه السلام يده فقال: يا رهمان أتقن[1]. و تفسيرها: يا ربّ أحسن. فأمر الله عزّوجلّ الأرض أن تبلع ماءها فبلعت ماءها، فأراد ماء السّماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها، و قالت: إنّما أمرني الله أن أبلع مائي، فبقي ماء السّماء على وجه الأرض، واستوت السّفينة على جبل جوديّ، و هو بالموصل جبل عظيم، فبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدّنيا»[2].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ و قد وعدت أن تنجّي أهلي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدلهم و أعلمهم.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. قال: «نفاه عنه حين خالفه في دينه»[3]. و في رواية: «لمّا عصى الله نفاه عن أبيه»[4]. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ فيما يستقبل ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ما فرط منّي من السّؤال ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بالتوبة و التفضّل عليّ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾: انزل من السّفينة مسلّماً من المكاره محفوظاً من جهتنا ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾: و مباركاً عليك. والبركات: الخيرات النّامية. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يعني في السّفينة، لأنّهم كانوا جماعات، أو لتشعّب الأمم منهم ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي: و ممّن معك أمم سنمتّعهم في الدّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قيل: أراد بهم الكفّار من ذرّيّة من معه[5].

١- في المصدر: «يا رهمان اخفرس».
٢- القمّي ١: ٣٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣- عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٦، الباب: ٣٢، الحديث: ٣.
٤- المصدر: ٢٣٢، الباب: ٨٥، الحديث: ١.
٥- البيضاوي ٣: ١١١.

قال: «فنزل نوح بالمَوْصِل من السّفينة مع الثّمانين، و بنوا مدينة الثّمانين، و كانت لنوح ابنة ركبت معه السّفينة، فتناسل النّاس منها. و ذلك قول النّبيّ ﷺ: نوح أحد الأبوين»[١].

سئل: لأيّ علّة أغرق الله تعالى الدّنيا كلّها في زمن النّوح، و فيهم الأطفال، وفيهم من لاذنب له؟ فقال: «ما كان فيهم الأطفال، لأنّ الله تعالى أعقم أصلاب قوم نوح و أرحام نسائهم أربعين عاماً؛ فانقطع نسلهم، فغَرِقُوا و لاطفل فيهم، و ما كان اللّه لِيُهلك بعذا به من لاذنب له، و أمّا الباقون من قوم نوح فأُغرِقُوا بتكذيبهم لنبيّ اللّه نوح، و سائرُهُم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين؛ و من غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهد»[٢].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ﴾ على مشاقّ الرّسالة و إيذاء القوم، كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الدّنيا بالظّفر، و في الآخرة بالفوز ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشّرك و المعاصي.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. "أخاهم" يعني احدهم، كما سبق في الأعراف[٣].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على الله، باتّخاذ الأوثان شركاءَ، و جَعْلها شُفَعاءَ.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى﴾ الله[٤] ﴿الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرفوا المحقّ من المبطل.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: اطلبوا مغفرة الله بالإيمان، ثمّ توسّلوا إليها بالتوبة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثيرَ الدَّرِّ[٥] ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٥، الباب: ٣٢، الحديث: ٢.
٣ـ في ذيل الآية: ٦٥.
٤ـ لم ترد كلمة: «الله» في «الف» و «ج».
٥ـ في «الف»: «كثيرَ المَدَر» و هو تصحيف.

قيل: رغّبهم في الإيمان بكثرة المطر و زيادة القوّة، لأنّهم كانوا أصحاب زروع و بساتين، و كانوا يُدلّون بالقوّة و البطش[1]. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على اجرامكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بحجة تدلّ على صحّة دعواك، و هو كذب و جحود لفرط عنادهم و عدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾: بجنون، لسبّك إيّاها و صدّك عنها، فمن ثمّة تتكلّم[2] بكلام المجانين. ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: لاتمهلوني؛ واجههم بهذا الكلام مع قوّتهم و شدّتهم وكثرتهم و تعطّشهم إلى إراقة دمه؛ ثقة بالله و اعتماداً على عصمته إيّاه، واستهانةً بهم و بكيدهم، وإن اجتمعوا عليه وتواطؤوا على إهلاكه.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: إلّا و هو مالك لها قاهر عليها، يصرفها على ما يريد بها؛ و الاخذ بالنّاصية تمثيل لذلك. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إنّه على الحقّ و العدل، لايضيعُ عنده معتصم و لايفوته ظالم.

قال: «يعني أنّه على حقّ، يجزي بالإحسان إحساناً و بالسّيّء سيّئاً، و يعفو عمّن يشاء و يغفر سبحانه و تعالى»[3].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فإن تتولّوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾. وعيد لهم بالإهلاك. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بتولّيكم ﴿إِنَّ

١ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ١٥١؛ والكشّاف ٢: ٢٧٥.
٢ـ في «الف» و «ج»: «تتكلّم» والانسب بالسّياق ما اثبتناه كما في «ج» والصّافي.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥١، الحديث: ٤٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾: رقيب، فلا يخفى عليه أعمالكم، و لايغفل عن مؤاخذتكم.

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾. إمّا تكرير لبيان ما نجّاهم عنه، و إمّا المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً، والتّعريض بانّ المهلكين معذّبون في الآخرة أيضاً بالعذاب الغليظ.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾: كفروا بها ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾؛ لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميعَ رُسُلِ الله ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ يعني: رؤساءهم الدّعاة إلى تكذيب الرّسل.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يعني: جعلت اللّعنة تابعةً لهم في الدّارين تكبّهم في العذاب ﴿ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾. دعاء عليهم بالهلاك، و دلالة بانّهم كانوا مستوجبين لِما نزل بهم. و في تكرير "ألا" و إعادة ذكر "عاد" تفظيعٌ لأمرهم، و حثٌّ على الاعتبار بحالهم و الحذرِ من مثل أفعالهم؛ و إنّما قيل: "قوم هود" ليتميّزوا عن عاد إرَمَ.

القمّي: كانت بلادهم في البادية، و كان لهم زرع و نخيل كثيرة، ولهم أعمار طويلة و أجسام طويلة، فعبدوا الأصنام، و بعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلعِ الأنداد، فأبوا و لم يؤمنوا بهود و آذوه، فكفّت السّماء عنهم سبعَ سنينَ، حتّى قحطوا. قال: فجاؤوا إليه، فقالوا: يا نبيّ الله قد أجْدَبَتْ بلادُنا و لم يمطر، فاسأل الله أن يخصب بلادنا و يمطر، فتهيّأ للصّلاة، و صلّى و دعا لهم. فقال لهم: ارجعوا فقد أُمطرتم و أخصبت بلادكم. قال: فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتّى أخصبت بلادهم و أنزل الله عليهم المطر، و هو قوله تعالى: "يا قوم استغفروا ربّكم" الآيات. فلمّا لم يؤمنوا أرسل الله عليهم

الرِّيح الصَّرصر، يعني الباردة. و هو قوله ـ في سورة القمر ـ: "إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ"[١]. و في الحاقّة: "وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"[٢].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ لاغيره ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: استبقاكم، أو أمركم بعمارتها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ منكم ﴿مُّجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ نرجو منك الخير، لما كانت تلوح منك من مخائله[٣] ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٌ في الرِّيبة، أو ذي ريبة.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: بيانٍ و بصيرةٍ ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوّةً ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: فمن يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في تبليغ رسالته و النّهي عن الإشراك به ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذن باستتباعكم إيّاي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن أنسبكم إلى الخسران، أو غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾: عيشوا في منازلكم، أو بلدكم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثمّ تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي:

١ـ القمر (٥٤): ١٩.
٢ـ القمّي ١: ٣٢٩ـ٣٣٠. والآية في سورة الحاقّة (٦٩): ٦.
٣ـ المخائل جمع المَخِيلَة: ما يوقع في الخيال يعني به الأمارات. وخِلْتُ الشيء خيلاً و مَخيلةً: ظننتُه. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).

و نجيّناهم من خزي ذلك اليوم و ذلّه و فضيحته، و لا خزيَ أعظمُ من الهلاك بغضب الله وبأسه، أو أُريد بـ"يومئذ" يوم القيامة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: ميّتين لا حَراك بهم، أي: أُستُؤصلوا.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ﴾: كان لم يُقيموا فيها أحياءَ. و قد سبق تمام القصّة في الأعراف[1]. ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني الملائكة. قال: «كانوا أربعةً: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و كروبيل»[2]. ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: ببشارة الولد ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: سلّمنا عليك سلاماً، أي: سلامةً. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾: أمرُكم سلام. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ قال: «يعني مشويّاً نضيجاً»[3].

و ورد: «إنّه قال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتّى تخبرنا ما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، و إذا فرغتم فقولوا: الحمدلله. قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه ـ و كانوا أربعةً رئيسهم جبرئيل ـ فقال: حقّ لله أن يتّخذ هذا خليلاً»[4].

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: لا يمدّون إليه أيديهم ﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: و أضمر منهم خوفاً، أن يريدوا به مكروهاً ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾: إنّا ملائكةٌ، مُرْسَلةٌ إليهم بالعذاب؛ لا نأكل.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ تسمع[5] محاورتهم. قال: «إنّما عنى سارة»[6]. ﴿فَضَحِكَتْ﴾

١ـ في ذيل الآية: ٧٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ١٥٣، الحديث: ٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في "ج": "تستمع".
٦ـ العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «يعني تعجّبت من قولهم»[١]. و في رواية: «حاضت»[٢]. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: و من بعده. و قيل: الورآء: ولد الولد[٣].

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ﴾: يا عجبا! و أصله في الشرّ. فأُطلق في كلّ أمر فظيع. ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي﴾: زوجي ﴿شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [تعني][٤] بحسب العادة دون القدرة. قال: «و هي يومئذ ابنة تسعين سنةً، و إبراهيم يومئذٍ ابن عشرين و مائة سنة»[٥].

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يعني: أنّ أمثالَ هذه ممّا يكرمكم الله به يا أهل بيت النبوّة، فليس هذا مكانَ تعجّب. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: فاعل ما يوجب الحمد ﴿مَجِيدٌ﴾: كثير الخير و الإحسان.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: ما أوجس من الخيفة، يعني لمّا اطمأنّ قلبه بعد الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ مكان الرّوع ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: يجادل رسلَنا في شأنهم و معناهُمْ. و مجادلته إيّاهم: «أنّه قال لهم: إن كان فيها مائةٌ من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال جبرئيل: لا. قال: فإن كان فيها خمسون أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فاربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتّى قال: فواحد؟ قالوا: لا. "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ"[٦]». كذا ورد[٧].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غيرُ عجولٍ على من أساء إليه بالانتقام ﴿أَوَّاهٌ﴾: يكثر الدّعاء. قال: «دعّاء». [٨] ﴿مُّنِيبٌ﴾: راجع إلى الله بما يُحبّ و يرضى. والغرض من هذه

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٨٠، عن ابن عبّاس.
٤ـ مابين المعقوفتين لم ترد في «الف». وفي «ج»: «يعني».
٥ـ علل الشرايع ٢: ٥٥١، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٦، عن أحدهما عليهما السّلام.
٦ـ العنكبوت (٢٩): ٣٢.
٧ـ الكافي ٥: ٥٤٦، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الكلام، بيان الحامل له على المجادلة، و هو رقّة قلبه و فرطُ ترحُّمِه.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ على إرادة القول، أي: قالت الملائكة: يا إبراهيم! ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال، و إن كانت الرّحمة دأبك، فلا فائدة فيه ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: قضاؤه و حكمه الّذي لايصدر إلّا عن حكمة ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: لا مردّ له بجدال و لاغيره.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئُهم، لأنّهم جاؤوا في صورة غلمان، و ظنّ أنّهم أُناس، فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: و ضاق بمكانهم ذَرْعُه[1]، و هو كناية عن شدّة الانقباض، للعجز عن مدافعة المكروه. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديد.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يُسْرِعُون إليه، يُدْفَعُون دفعاً؛ لطلب الفاحشة من أضيافه ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾: و من قبل ذلك الوقت ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الفواحش، فتمرّنوا بها و لم يستحيوا منها، حتّى جاؤوا يهرعون إليه مجاهرين. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوَّجُوهُنّ. قال: «عرض عليهم التّزويج»[2]. و في رواية: «عرض عليهم بناته بنكاح»[3]. و القمّي: عنىٰ به أزواجَهم، و ذلك أنّ النّبيّ هو أبو أُمّته، فدعاهم إلى الحلال و لم يكن يدعوهم إلى الحرام[4]. ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: هنّ أنظف فعلاً و أقلّ فحشاً. قيل: يعني أدبارَهُنّ[5]. ورد: إنّه سئل عن إتيان الرّجل المرأةَ من خلفها. قال: «أحلّه آية من كتاب الله، هو قول لوط: "هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم" و قد علم أنّهم لايريدون الفرج»[6]. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مواقَعَةِ الذّكور ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾:

١ـ ضاق بالامر ذَرْعُهُ: ضَعُفَتْ طاقَتُهُ و لم يجدْ من المكروه فيه مخلصاً. القاموس المحيط ٣: ٢٣ (ذرع).
٢ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤؛ والكافي ٥: ٥٤٨، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤، عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٣٥.
٥ـ لم نعثر على قائله.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٥٧، الحديث: ٥٦؛ والتّهذيب ٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

ولاتُخجِلوني؛ من الخزاية، بمعنى الحياء، أولا تفضحوني، من الخزي ﴿فِي ضَيْفِيٓ﴾: في شأنهم ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يهتدي إلى الحقّ و يرْعوي[1] عن القبيح؟!

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. عنَوا إتيانَ الذُكران.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: لو قَوِيتُ بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾: أو أويتُ إلى قويٍّ أتمنّع به عنكم، لدفعتكم عن أضيافي. شبّه القويّ العزيز بالرّكن من الجبل في شدّته و منَعَته. قال: «لو يعلم أيّ قوّة له»[2]. و ورد: «رحم الله لوطاً لو يدري مَنْ معه في الحجرة، لعلم أنّه منصور. قال: أيّ ركن أشدّ من جبرئيل معه في الحجرة»[3].

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أرسلنا لإهلاكهم فلاتغتمّ ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بسوء أبداً ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ من الإسراء، و هو السّير ليلاً ﴿بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: بطائفة منه، و في قراءتهم عليهم السّلام: «بقطع من اللّيل مظلماً»[4]. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: ولايتخلّف، أو لاينظر إلى ورائه ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ﴾.

روي: «أنّه قال: متى موعد إهلاكهم؟ قالوا الصّبح. فقال: أُريد أسرَعَ من ذلك- لضيق صدره بهم- فقالوا: "أليس الصّبح بقريبٍ"؟»[5]. و ورد: «"فاسر بأهلك" يالوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام و لياليها. "بقطع من اللّيلِ": إذا مضى نصف

١- الارْعواء: النّزوع عن الجهل و حسن الرّجوع عنه. القاموس المحيط ٤: ٣٣٧ (الرّعو).
٢- مجمع البيان ٥-٦: ١٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣- الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤- العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث: ٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥- جوامع الجامع ٢: ١٦٠.

اللّيل. قال: فلمّا كان اليوم الثّامن مع طلوع الفجر، قدّم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسحاق و يعزّونه بهلاك قوم لوط، و ذلك قوله تعالى: "و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى"»[1].

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بان جعل جبرئيل جناحه في أسفلها، ثمّ رفعها إلى السّماء ثمّ قلّبها عليهم، واتبعوا الحجارة من فوقهم ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾ قال: «يقول: من طين»[2].

أقول، أي: من طين متحجّر، هي معرّبة من «سَنْك كِل»، بدليل قوله: " حِجارَةً مِنْ طِين "[3] في موضع آخر.

﴿مَّنضُودٖ﴾ قيل: نُضِدَ في الإرسال كقطار الأمطار، أو نُضِدَ مُعَدّاً لعذابهم[4].

القمّي: يعني بعضها على بعض منضّدة[5].

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعَلَّمَةً للعذاب. القمّي: أي: منقوطة[6]. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾. روي: «انّ النّبيّ ﷺ سأل جبرئيل، فقال: يعني ظالمي أُمّتك، ما من ظالم منهم إلاّ و هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة»[7]. و ورد: «أي: ظالمي أُمّتك، إن عملوا ما عمل قوم لوط»[8]. و في رواية: «من مات مصرّاً على اللّواط، لم يمت حتّى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار، فيكون فيه منيّته، و لا يراه أحد»[9]. و قد سبق نبذ من قصّة قوم لوط في الأعراف[10]، و يأتي طرف

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥٤٩ـ ٥٥٠، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٦٩.
٢ـ القمّي ٢: ١١٤، في تفسير الآية: ٤٠ من سورة الفرقان، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الذّاريات (٥١): ٣٣.
٤ـ البيضاوي ٣: ١١٧.
٥ و ٦ـ القمّي ١: ٣٣٦.
٧ـ البيضاوي ٣: ١١٧.
٨ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ في ذيل الآية: ٧٩.

آخر منه في الحجر[1] إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾: بسعة تغنيكم عن البَخْس. قال: «كان سعرُهم رخيصاً»[2]. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: مهلكٍ. كقوله: "وأُحيطَ بِثَمَرِه[3]"، أو لا يشذّ منه أحد منكم.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾. نبّه به على أنّه لا يكفي الكفّ عن التّطفيف، بل يلزم السّعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا يتأتّى الإيفاء بدونها. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والسّويّة. ورد: «إذا طفّف المكيال و الميزان أخذهم الله بالسّنين و النّقص»[4]. و في رواية: «و شدّة المؤونة و جور السّلطان»[5]. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. تعميم بعد تخصيص، فإنّه أعمّ من أن يكون في المقدار أو في غيره. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. هذا أيضاً تعميم بعد تخصيص، فإنّ العثوّ يعمّ تنقيص الحقوق و غيرَه من أنواع الفساد من السّرِقة و الغارة و قطع السّبيل و غير ذلك.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾: ما أبقاه لكم من الحلال بعد التّنزه عمّا هو حرام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ممّا تجمعون بالتّطفيف ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بشرط الإيمان، أو إن كنتم مصدّقين لي في نصيحتي ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ يعنون الأصنام؛ استهزؤوا به و تهكّموا بصلاته[6] و كان كثيرَ الصّلاة و هو جواب عن أمره إيّاهم بالتّوحيد.

١ـ الآيات: ٥٨ إلى ٧٥.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكهف (١٨): ٤٢.
٤ـ الكافي ٢: ٣٧٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٣٧٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٦ـ كذا في جميع النّسخ، و لكنّ المستفاد من الصّافي (٢: ٤٦٨) أنّه رجّح قراءة الجمع في قوله تعالى: "أصلواتك ..."

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ : او أن نترك[1] فعلنا في اموالنا؟ و هو جواب عن النّهي عن التّطفيف و الأمر بالإيفاء ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ . قيل: ارادوا بذلك نسبته إلى غاية السّفه والغيّ، فعكسوا ليتهكّموا به[2]. والقمّي: قالوا: إنّك لأنت السّفيه الجاهل، فحكى الله عزّوجلّ قولهم فقال: "إنّك لأنت الحليم الرّشيد"[3].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ . قيل: إشارة إلى ما آتاه الله من العلم و النّبوّة[4]. ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ . قيل: إشارة إلى ما آتاه اللّه من المال الحلال. و جواب الشّرط محذوف تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام ان أخون في وحيه، و أُخالفه في أمره و نهيه؟![5] ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يعني: و ما أُريد ان أسبقكم إلى شهواتكم الّتي نهيتكم عنها، لاستبدّ بها دونكم. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ : ان أُصلحكم ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[6]. و الجواب الاوّل إشارة إلى مراعاة حقّ اللّه، و الثّاني إلى مراعاة حقّ النّفس، و الثّالث إلى مراعاة حقّ النّاس.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ لإصابة الحقّ والصّواب ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ : إلّا بهدايته و معونته ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فإنّه القادر المتمكّن من كلّ شيء دون غيره. و فيه إشارة إلى محض التّوحيد الّذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ . إشارة إلى معرفة المعاد. نبّه بهذه الكلمات على اتّكاله[7] على اللّه بشراشره فيما يأتي و يذر، و حَسْمِ أطماع الكفّار، و عدم المبالاة بعداوتهم، و تهديدهم بالرّجوع إلى الله للجزاء.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ : يكسبنّكُمْ ﴿شِقَاقِيٓ﴾ : خلافي و معاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الرّيح ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ من

١ـ في «ب» و «ج»: «او نترك».
٢ـ الكشّاف ٢ : ٢٨٧.
٣ـ القمّي ١ : ٣٣٧.
٤ و ٥ـ البيضاوي ٣ : ١١٨.
٦ـ في «ب»: (إن أريد الأ الإصلاح ما استطعت): أن أصلحكم ما استطعت.
٧ـ في «ب» و «ج»: «على إقباله».

الرّجفة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني أنّهم أهلكوا في عهدٍ قريبٍ من عهدكم، فإن لم تعتبروا بمَنْ قَبْلَهم، فاعتبروا بهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عمّا أنتم عليه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لاقوّة لك و لاعزّ، فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهاً. القمّي: و قد كان ضعف بصره[١].

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: قومك و عزّتهم عندنا، لكونهم على ملّتنا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك شرّ قتلة ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾؛ بل رهطك هم الأعزّة علينا.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: وجعلتموه كالمنسيّ المنبوذ وراء الظّهر لايُعْبأُ به. و كسر الظّاء من تغييرات النّسب. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: قارّين على ما أنتم عليه من الشّرك و العداوة ﴿إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ منّي و منكم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾: وانتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾. روي: «انّ جبرئيل عليه السلام صاح بهم صيحةً فزهق روح كلّ واحدٍ منهم حيث هو»[٢]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: ميّتين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأنْ لم يُقيموا فيها احياء ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. قيل: شبّههم بهم، لأنّ عذابهم كان أيضاً بالصّيحة، غير انّ صيحتهم كانت من تحتهم و صيحة مدين كانت من فوقهم[٣].

١ـ القمّي ١: ٣٣٧.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١٦٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٠.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بالمعجزات القاهرة و الحجج الباهرة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يتقدّمهم إلى النّار و هم يتّبعونه، كما كان لهم قدوةً في الضّلال في الدّنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾. ذُكِرَ بلفظ الماضي مبالغةً في تحقّقه.

﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ الّذي يردونه: النّار؛ لأنّ الورد - و هو الماء الّذي يورد - إنّما يراد لتسكين العطش و تبريد الأكباد، و النّار ضدّه.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ﴾: الدّنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾: رفدهم؛ لأنّ الرّفد - و هو العون و العطاء - إنّما يراد للنّفع، و اللّعنة مدرّ للعذاب في الدّارين.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾: باقٍ كالزّرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾: ومنها عافي الأثر، كالزّرع المحصود.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكنا إيّاهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأن عرضوها له، بارتكاب ما يوجبه ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نفعتهم و لا قدرَتْ أن تدفَعَ عنهم ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه و نقمته ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: غير تخسير.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. روي: «انّ الله يُمْهِلُ الظّالمَ حتّى إذا أخذه لم يُفْلِتْه[١]، ثمّ تلا هذه الآية»[٢].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرةً ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ لعلمه بأنّه اُنموذج منه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ قال: «يوم القيامة، و هو اليوم الموعود، يجمع الله فيه

١ـ لم يُفْلِتْهُ: اي: لم يَنفلِتْ منه، و يجوز أن يكون بمعنى: لَمْ يُفْلِتْهُ منه احداً اي: لم يُخلِّصهُ. النّهاية ٣: ٤٦٦ (فلَتَ).

٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٩١، عن النّبيّ ﷺ.

الأوّلين و الآخرين»[١]. ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾. قيل: مشهود فيه أهل السّماوات والأرضين[٢]. و القمّي: يشهد عليه الأنبياء و الرّسل[٣].

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي: اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلاّ لانتهاء مدّة معدودة متناهية.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ﴾: لاتتكلّم ﴿نَفْسٌ﴾ بما ينفع و ينجي ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: إلاّ بإذن الله. «هذا في موطن من مواطن ذلك اليوم، و قوله: "هٰذا يَوْمُ لَايَنْطِقُونَ. وَلَايُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ"[٤] في موطن آخر منها». كذا ورد[٥]. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾. الزّفير: إخراج النّفس، والشّهيق: ردّه، دلّ بهما على شدّة كربهم و غمّهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غير مقطوع. قال: «هاتان الآيتان في غير أهل الخلود من أهل الشّقاوة و السّعادة»[٦].

والقمّي: هذا في دار الدّنيا قبل يوم القيامة؛ "ففي الجنّة" يعني: في جنان الدّنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين؛ "غير مجذوذ" يعني: غير مقطوع من نعيم الآخرة في

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦٥، عن أحدهما عليهما السّلام؛ و الكافي ٨: ٧٣ذيل الحديث: ٢٩، عن زين العابدين عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢١.
٣ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٤ـ المرسلات (٧٧): ٣٥ و ٣٦.
٥ـ التوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

الجنّة يكون متّصلاً به، و هو ردّ على من انكر[١] عذاب القبر و الثّواب و العقاب في الدّنيا في البرزخ قبل يوم القيامة[٢].

و في رواية: «إنّ المراد بالجنّة و النّار في هذه الآية ولاية آل محمّد عليهم السّلام و ولاية أعدائهم. قال: قال الجاهل بعلم التّفسير: إنّ هذا الاستثناء من الله إنّما هو لمن دخل الجنّة و النّار، و ذلك أنّ الفريقين جميعاً يخرجان منهما فتبقيان وليس فيهما أحدٌ وكذبوا. قال: والله ليس يُخرَجُ أهلُ الجنّة و لا كلُّ أهل النّار منها[٣] أبداً، كيف يكون ذلك و قد قال الله في كتابه: "ماكثين فيه أبداً"[٤] ليس فيها استثناء»[٥]؟

اقول: و يدلّ على أنّ هذا في الدّنيا قوله تعالى: "ما دامت السّماوات والأرضُ" إذ لاسماء و لاارض يوم القيامة؛ و قوله سبحانه: "النّارُ يُعرَضُون عليها غُدُوّاً وَعَشِيّاً"[٦] إذ ورد: «إنّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذا لاغدوّ و لاعشيّ في القيامة. قال: الم تستمع قول الله: "وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ الْعَذاب"[٧]»[٨].

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شكّ بعد ما أُنزِلَ عليك هذه القصصُ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ اي: مشركي[٩] قومك. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ اي: حالهم في الشّرك مثل حال آبائهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظّهم من العذاب كآبائهم

١ـ في المصدر: «من ينكر».
٢ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٣ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الصّواب: «منهما».
٤ـ الكهف (١٨): ٣.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٦، عن ابي عبدالله عليه السلام مع تفاوت يسير.
٦و٧ـ الغافر (٤٠): ٤٦.
٨ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢٦، عن ابي عبدالله عليه السّلام، ذيل الآية: ٤٦ من سورة المؤمن؛ والقمّي ٢: ٢٥٨، بالمضمون.
٩ـ كذا في جميع النّسخ، ولعلّ الاصحّ: «مشركوا قومك».

﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ قال: «اختلفوا كما اختلف هذه الأمّة في الكتاب، و سيختلفون في الكتاب الّذي مع القائم الّذي يأتيهم به، حتّى ينكره ناس منهم فيقدمهم فيضرب أعناقهم»[١]. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ قيل: يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة[٢] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال ما يستحقّه المبطل ليتميّز به عن المحقّ. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: و إنّ كفّار قومك ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع للريبة.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: و إنّ كلّ المختلفين من المؤمنين و الكافرين ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. قيل: "لمّا" أصله «لَمِنْ مَا»، يعني: لمن الّذين يوفّينّهم[٣]. و على قراءة التّخفيف[٤]، إحدى اللامين موطّئة للقسم و الأخرى للتّأكيد، و «ما» مزيدة للفصل بينهما، و على قراءة تخفيف «إن» و رفع «كلّ»[٥]، «إن» نافية و «لمّا» بمعنى إلاّ. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يفوت عنه شيء.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ على جادة الحقّ غير عادل عنها، و هي شاملة للعقائد والاعمال. قال: «أي: افتقرْ إلى الله بصحّة العزم»[٦]. ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: ولْيستقمْ من تاب من الكفر و آمن معك ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: و لاتخرجوا من حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مجازيكم عليه.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: و لاتميلوا أدنى ميل. ورد: «إنّ الركون المودّة و النّصيحةُ و الطّاعة»[٧]. و في رواية: «هو الرّجل يأتي السّلطان فيحبّ بقاءه، إلى

١ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٩٥؛ و البيضاوي ٣: ١٢٣.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٣.
٤و٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٩٦؛ والبيضاوي ٣: ١٢٣.
٦ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٠. عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٠٠، روي عنهم عليهم السلام.

أن يُدْخلَ يده كيسه فيعطيه»[١] . ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ . قال: «أما إنّه لم يجعلها خلوداً، و لكن تمسّكم فلا تركنوا إليهم»[٢] . ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ : من أنصار يمنعون العذاب عنكم ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ : ثمّ لاينصركم الله.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ : و ساعاتٍ من اللّيل، قريبةٍ من النّهار. من أزلَفَهُ: إذا قرّبه. قال: «طرفاه: المغرب و الغداة، و "زلفاً من اللّيل" هي صلاة العشاء الآخرة»[٣] . ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ : يكفّرنها. ورد: «إنّ الصّلاة إلى الصّلاة كفّارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر»[٤] . و في رواية: «هي صلاة المؤمن باللّيل، تذهب بما عمل من ذنب بالنّهار»[٥] و في أُخرى: «إنّ الله يكفّر بكلّ حسنة سيّئةً، ثمّ تلا هذه الآية»[٦] . ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ : عظةٌ للمتّعظين.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الطّاعات و عن المنهيّات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ فهلاّ[٧] كان ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ من الرّأي و العقل والفضل؛ و إنّما سمّي بقيّةً، لأنّ الرّجل يستبقي أفضل ما يُخرِجُه، و منه: «فلان من بقيّة القوم»، أي: من خيارهم. و قولهم: «في الزّوايا خبايا، و في الرِّجال بقايا».

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ : لكن قليلاً ممّن أنجينا من القرون نَهوا عن الفساد ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني: تاركي النّهي عن المنكرات ﴿مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ : ما أُنعمُوا فيه من الشّهوات؛ من حبّ الرّياسة و طلب أسباب العيش الهنيء، و رفضوا ما وراء ذلك ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ ؛ كأنّه أراد بيان سبب استيصال الأمم السّالفة،

١ـ الكافي ٥: ١٠٨، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٦١، الحديث: ٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ التّهذيب ٢: ٢٤١، الحديث: ٩٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٢: ٢٩٧؛ و البيضاوي ٣: ١٢٤.
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٩٩، الحديث: ١٣٧١؛ وعلل الشّرايع ٢: ٣٦٣، الباب: ٨٤، الحديث: ٧؛ و العيّاشي ٢: ١٦٢، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الامالي (للطوسي) ١: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ـ في «الف»: «هلاّ كان».

و هو فُشوُّ الظّلم فيهم، و اتّباعهم الهوى، و تركهم النّهي عن المنكرات.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لهم، أو منهم لأنفسهم، كشرك ومعصية[1] ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيما بينهم. قال: «ينصف بعضهم من بعض»[2].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مسلمين كلّهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قال: «في الدّين»[3].

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلّا ناساً هداهم الله و لطف بهم، فاتّفقوا على دين الحقّ. قال: «يعني آل محمّد عليهم السّلام و أتباعهم»[4]. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: «خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم»[5]. و في رواية: «النّاس يختلفون في إصابة القول، و كلّهم هالك "إلّا من رحم ربّك"، و هم شيعتنا، و لرحمته خلقهم، و هو قوله: "و لذلك خلقهم" يقول: لطاعة الإمام»[6]. و في أخرى: «"ولايزالون مختلفين" عنى بذلك من خالفنا من هذه الأمّة، و كلّهم مخالف بعضهم بعضاً في دينهم، و امّا قوله: "إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم" فأُولئك أولياؤنا من المؤمنين»[7]. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾ القمّي: و هم الّذين سبق الشّقاء لهم، فحقّ عليهم القول أنّهم للنّار خلقوا[8].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ فتصبر على أداء الرّسالة واحتمال الأذى، و اطمأنّ قلبك في ذلك ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء المقتصّة عليك ﴿ٱلْحَقُّ﴾: ما هو حقّ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١ ـ في «ألف»: «أو معصية».
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٠٢، عن النّبيّ ﷺ.
٣ و ٤ ـ القمّي ١: ٣٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ التّوحيد: ٤٠٣، الباب: ٦٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ الكافي ١: ٤٢٩، الحديث: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ العيّاشي ٢: ١٦٤، الحديث: ٨٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٨ ـ القمّي ١: ٣٣٨.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم الّذي أنتم عليه ﴿إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾ على حالنا.

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ بنا الدّوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحوُ ما نزل بأمثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا لغيره ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ لا إلى غيره ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنّه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أنت و هم، فيجازي كُلّاً ما يستحقّه.



سورة يوسف

[مكيّة إلّا الآيات ١و٢و٣و٧ مدنيّة، و آياتها: ١١١ نزلت بعد سورة هود] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾: بلغتكم ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: إرادة ان تفقهوه و تحيطوا بمعانيه. ورد: «تعلّموا العربيّة، فإنّها كلام الله الّذي تكلّم به خلقه»[2].

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ يحتمل الجمع و المصدر ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ اصله: يا ابي ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ ﴾ من الرّؤيا لا من الرّؤية ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾. قال: «إنّه رآها في أفق السّماء ساجدةً له، فلمّا قصّها على ابيه. قال: هذا أمر متشتّت يجمعه الله عزّو جلّ من بعد»[3]. ورد: «إنّ تأويل هذه الرّؤيا انّه سيملك مصر

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ الخصال ١: ٢٥٨، الحديث: ١٣٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر ٢: ٤٥٥، الحديث: ٢، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.

و يدخل عليه أبواه و إخوته، أمّا الشّمس فأمّ يوسف: "راحيل"، و القمر: "يعقوب"، و أمّا الأحدعشر كوكباً فإخوته»[١]. و في رواية: «خالته»[٢] مكان أمّه. و قال: «إنّه رأى هذه الرّؤيا و له تسع سنين»[٣].

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾. ضمّن "يكيدوا" معنى يحتالوا، فعدّاه باللّام ليفيد معنى الفعلين. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾. خاف عليه حسد إخوانه له و بَغْيَهُمْ عليه، لما عرف من دلالة رؤياه على أنّه يُبَلِّغُه[٤] من شرف الدّارين أمراً عظيماً.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: من تعبير الرّؤيا[٥]؛ سمّيت أحاديث لأنّها إمّا حديث المَلَك، و هي ما كان منها صادقة، وإمّا حديث النّفس أو الشّيطان، و هي ما كان منها كاذبة. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ بأن يصل نعمة الدّنيا بنعيم الآخرة، بأن يجعلهم أنبياء وملوكاً، ثمّ ينقلهم إلى الدّرجات العلى من الجنّة. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير الأشياء.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾: دلائل قدرة الله و حكمته و علامات نبوّتك ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لمن سأل عن قصّتهم.

روي: «أنّ اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّداً لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ و قصّة يوسف. قال: فأخبرهم بالصّحّة من غير سماع

١ـ القمّي ١: ٣٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ جامع البيان (للطّبري) ١٢: ٩١، عن ابن عبّاس، و ذكره في جوامع الجامع ٢: ١٧٥ بلفظة «قيل»؛ وفي تفسير البغوي ٢: ٤٠٩، عن قتادة والسّدي.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب» و «ج»: «على أن يبلغه».
٥ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الأصحّ: «الرُّؤى» بالجمع.

ولا قراءة كتاب»[1].

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين. خصّ بالأخوّة، لأنّ أُمّهما كانت واحدةً. وفي رواية: «كان ابن خالته»[2]. ﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: والحال أنّا جماعة أقوياء، أحقّ بالمحبّة من صغيرين لاكفاية فيهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لتفضيله المفضول و تركه التّعديلَ في المحبّة.

﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يَصفُ[3] لكم وجهه، فيُقْبِل عليكم بكلّيّته و لاينازعكم في محبّته احد ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ قال: «أي: تتوبون»[4].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ قال: «هو لاوي»[5]: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ الْجُبِّ﴾: في قعر البئر ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: الّذين يسيرون في الأرض ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: مشفقون مريدون له الخير.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصّحراء ﴿يَرْتَعْ﴾: يتّسع في اكل الفواكه و غيرها؛ من الرَّتْعَة، و هي الخِصْب ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالاستباق بالاقدام و الرّمي ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ لشدّة مفارقته عليّ، و قلّة صبري عنه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ قيل: لأنّ الأرض

١ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٧.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٤، عن ابي الحسن عليه السلام.
٣ـ صَفْوُ الشّيء: خالصه. وصَفَا صَفْواً (من باب قَعَد) وصَفاءً: إذا خلص من الكدر. المصباح المنير ١: ٤١٥ (صفو).
٤ـ عللِ الشّرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٥٦. عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.

كانت مذأبة[١]. قال: «إنّ يعقوب قرّب لهم العلّة فاعتلّوا بها في يوسف»[٢]. و ورد: «إنّما أبتلي يعقوب بيوسف إذ ذبح كبشاً سميناً، و رجل من أصحابه محتاج لم يجد ما يفطر عليه، فاغفله و لم يطعمه، وكان بعد ذلك ينادي مناديه إلى غدائه و عشائه»[٣].

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة اقوياء ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ و عزموا؛ و جوابه محذوف اي: فعلوا به ما فعلوا. ورد: «إنّهم نزعوا قميصه فدلّوه في البعر[٤] و تنحّوا عنه، فقال يوسف في الجبّ: يا إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب ارحم ضعفي و قلّة حيلتي وصغري»[٥]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: إلى يوسف ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾: لتحدّثنّهم بما فعلوا بك؛ بَشّرَه بما يؤول إليه أمره حين عرفهم و هم له منكرون؛ إيناساً له و تطييباً لقلبه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: «يقول: لايشعرون أنّك انت يوسف. أتاه جبرئيل فاخبره بذلك»[٦].

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: متباكين.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في العدو ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾: بمصدّق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لسوء ظنّك بنا و فرط محبّتك ليوسف.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: مكذوب فيه؛ وُصِفَ بالمصدر للمبالغة. قال: «ذبحوا جدْياً[٧] على قميصه»[٨]. و ورد: «لمّا اوتي بقميصه على يعقوب، قال: اللّهمّ

١ـ البيضاوي ٣: ١٢٨.
٢ـ علل الشرايع ٢: ٦٠٠، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «في اليمّ»، وفي «الف»: «في البحر».
٥ـ القمّي ١: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر ١: ٣٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ الجَدْي: من أولاد المعز و هو ما بلغ ستّة اشهر أو سبعة. مجمع البحرين ١: ٨١ (جدا).
٨ـ القمّي ١: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

لقد كان ذئباً رفيقاً، حين لم يشقّ القميص»[1]. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: سهّلت و هوّنت في أعينكم أمراً عظيماً؛ من السّوَل و هو الاسترخاء. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فامري صبر جميل. قال: «الصّبر الجميل الّذي لاشكوى فيه إلى الخلق»[2]. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف. قال: «إنّه لمّا سمع مقالتهم استرجع و استعبر، و ذكر ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء، و اذعن للبلوى. يعني بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجائع. فقال لهم: "بل سوّلت لكم انفسكم أمراً" و ما كان الله ليطعم لحم يوسف للذّئب من قبل أن أرى تأويل رؤياه الصّادقه»[3].

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة يسيرون، فنزلوا قريباً من الجبّ ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الّذي يرد الماء و يستسقي[4] لهم ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾: فارسلها في الجبّ ليملأها، فتدلّى بها يوسف، فلمّا رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ بشّر قومه ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾: أخفَوْه متاعاً للتّجارة. أي: أخفى الواردُ و أصحابُه من ساير الرّفقة، أو إخوةُ يوسف من السيّارة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لم يخف عليه أسرارهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مبخوسٍ ناقصٍ ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة؛ فإنّهم كانوا يَزِنُونَ الكثير، و يعدّون القليل. ورد: «كانت عشرين درهماً»[5]. و في رواية: «ثمانية عشر»[6]. ﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾: في يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: الرّاغبين عنه. ورد: «لمّا أصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتّى ننظر ما حال يوسف، أمات أم هو حيّ؟ فلمّا انتهوا إلى الجبّ، وجدوا سيّارةً قد أرسلوا واردهم، و أدلى دلوه؛ إذ هو بغلامٍ متعلّقٍ بدلوه! فقال

١ـ العيّاشي ٢: ١٧١، الحديث: ٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٩، ذيل الحديث: ٥؛ وعلل الشّرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٤ـ في «ج»: «يستقي».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٧٢، الحديث: ١٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ١٤، عن ابي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.

لأصحابه: يا بشرى هذا غلام! فلمّا أخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف، فقالوا: هذا عبدنا سقط منّا أمس في هذا الجبّ، و جئنا اليوم لنخرجه، فانتزعوه من أيديهم و تنحّوا به ناحية، فقالوا: إمّا أن تقرّ لنا أنّك عبدنا فنبيعك بعضَ هذه السيّارة، أو نقتلك. فقال: لاتقتلوني واصنعوا ما شئتم، فأقبلوا به إلى السيّارة فقالوا: منكم من يشتري منّا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً، و كان إخوته فيه من الزّاهدين»[1]. القمّي: فحملوا يوسف إلى مصر و باعوه من عزيز مصر[2].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ قال: «كان اسمها زليخا»[3]. ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعلي مقامه عندنا كريماً، أي: حسناً، و المعنى: أحسني تعهّده ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضياعنا و أموالنا، و نستظهر به في مصالحنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: نتبنّاه، و ذلك لما تفرّس[4] منه الرّشد. قال: «و كان عنّيناً»[5]. القمّي: و لم يكن له ولد، فأكرموه و ربّوه، فلمّا بلغ أشدّه هوته امرأة العزيز، و كانت لاتنظر إلى يوسف امرأة إلّا هوته، و لارجل إلّا أحبّه، و كان وجهه مثل القمر ليلة البدر[6]. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: لايُمنَعُ مّا يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لطائفَ صنعه، و أنّ الأمر كلّه بيده.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: منتهى اشتداد جسمه و قوّته ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمةً ﴿وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾: طلبت منه و تمحّلت[7] مُواقَعتَها؛ من راد

١ـ العيّاشي ٢: ١٧١، الحديث: ١٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٤٢.
٣ـ المصدر ١: ٣٥٧، عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.
٤ـ تفرّس: تثبّت. القاموس المحيط ٢: ٢٤٥ (فرس).
٥ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن أبي الحسن الثّالث عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٣٤٢.
٧ـ تمحّل له: احتال. القاموس المحيط ٤: ٥٠ (محل).

يرود: إذا جاء و ذهب لطلب شيء. ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ اي: أقبِلْ وبادِرْ. و في قراءتهم عليهم السّلام بالهمزة و ضمّ التّاء[1]، بمعنى تهيّأتُ لك. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾: سيّدي احسن تعهّدي، فليس جزاؤه أن أخونه في أهله، أو إنّ الله خالقي و أحسن منزلتي، بأن عطف عليّ قلبه فلا أعصيه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾: قصدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: «ولولا أن رأى برهان ربّه لَهَمَّ بها كما هَمَّتْ به، ولكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يَهُمُّ بذنب ولا يأتيه»[2]. و قال: «البرهان: النّبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصّارفة عن القبايح»[3]. و في رواية: «همّت بأن تفعل و همّ بأن لا يفعل»[4]. و في أُخرى: «إنّها همّت بالمعصية، و همّ يوسف بقتلها إن أجبرته؛ لعظم ما تداخله[5]، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة»[6]. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ قال: «يعني القتل والزّنا»[7]. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الّذين أخلصهم الله لطاعته، أو[8] أخلصوا دينهم لله، على اختلاف القراءتين[9].

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ اي: تسابقا إليه، و ذلك انّ يوسف فرّ منها ليخرُج، و اسرعت وراءه لتمنعه الخروج. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه. والقدُّ: الشّقُّ طولاً. والقطّ: الشّقُّ عرضاً. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾: و صادفا زوجها ﴿لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. بادرت إلى

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ و٤ ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٢٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «و همّ يوسف بقتلها أجبرته، لعظمة ما تداخله».
٦ و٧ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٣، الباب: ١٤، ذيل الحديث: ١.
٨ـ في «الف» و «ج»: «واخلصوا».
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٢٣؛ وجوامع الجامع ٢: ١٨٤.

هذا القول إيهاماً بأنّها فرّت منه؛ تبرأةً لساحتها عند زوجها، و «ما» نافية، أو استفهاميّة.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾: طالبتني بالمواتاة؛ و إنّما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السّجن والعذاب، و لولم تكذب عليه لما قاله. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾. قال: «وكان عندها صبيّ[١] من أهلها زائر لها؛ فأنطقه الله لفصل القضاء»[٢]. و في رواية: «ألهم الله عزّوجلّ يوسف أن قال للملك: سَلْ هذا الصّبيّ في المهد، فإنّه سيشهد أنّها راودتني عن نفسي. فقال العزيز للصّبيّ. فأنطق الله الصّبيّ في المهد ليوسف»[٣]. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ لأنّه يدلّ على أنّها قدّت قميصه من قدّامه بالدّفع عن نفسها، أو أنّه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لأنّه يدلّ على أنّها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ لأنّه يَعْلَقُ بالقلب و يؤثّر في النّفس، لمواجهتهنّ به، بخلاف كيد الشّطان، فإنّه يوسوس به مسارقة.

﴿يُوسُفُ﴾: يا يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: أكتمه و لاتذكره ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ يا زليخا ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ من القوم المذنبين؛ من خَطِئَ: إذا أذنب متعمّداً.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: تطلب مواقعة غلامها إيّاها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال: «قد حجبها حبّه عن النّاس، فلا تعقل غيره. والشّغاف هو حجاب القلب»[٤]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «بالمهملة»[٥]. أي:

١ـ في «الف»: «وكان صبيّ عندها».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٧٤، ذيل الحديث: ١٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٨٦، عن أهل البيت عليهم السّلام.

أحرقها، كما يُحرقُ البعير بالقَطِران[١] إذا هُنِئَ به. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عن الرّشد و الصّواب. القمّي: و شاع الخبر بمصر، و جعلن النّساء يتحدّثن بحديثها، ويعذلنها[٢] ويذكرنها[٣].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: باغتيابهنّ و تعييرهنّ؛ و إنّما سمّاه مكراً لأنّهنّ أخفينه، كما يخفي الماكر مكره ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: تدعوهنّ ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ قال: «هيّأت لهنّ طعاماً و مجلساً، ثمّ آتتهنّ بأُتْرُجٍ»[٤]. قيل: كانوا يتّكئون للطّعام و الشّراب ترفاً[٥]. والقمّي: متكأ أي: أُتْرُجاً[٦]. كأنّه قرأه باسكان التّاء و حذف الهمزة. ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ فقالت: اقطعن. ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ القمّي: و كان[٧] في بيت[٨].

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: عظمنه و هِبْنَ حسنه الفائق. و في حديث المعراج: «رأيت في السّماء الثّانية رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر، فقلت لجبرئيل: من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف»[٩]. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها بالسّكاكين من فرط الدّهشة ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾! تنزيهاً لله سبحانه من صفات العجز، و تعجّباً من قدرته على خلق مثله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ لأنّ هذا الجمال غير معهود للبشر ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لأنّ جماله فوق جمال البشر، و لأنّ الجمع بين الجمال الرّائق و الكمال الفائق و العصمة

١ـ القَطِرانُ: عُصارة الأَبهَلِ و الأرزِ و نحوهما يُطبَخُ فيُتحلب منه ثُمَّ تُهْنَأ به الإبلُ. لسان العرب ٥: ١٠٥ (قطر).
٢ـ العَذْلُ: الملامة. القاموس المحيط ٤: ١٤ (عذل).
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: «و يعيرنّها» بدل: «و يعذلنها».
٤ـ علل الشّرايع ١: ٤٩، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٣: ١٣٢؛ و الكشّاف ٢: ٣١٦.
٦ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: «أتْرُنجة».
٧ـ في «ج»: «وكانت».
٨ـ القمّي ١: ٣٤٣.
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٣١. عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

البالغة من خواصّ الملائكة.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قال: «يعني في حبّه»[1]. ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾: فامتنع طالباً للعصمة. أقرّت لهنّ حين عرفت أنّهنّ يعذرنها، كي يعاونها على إلانة عريكته[2]. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذلاّء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ قال: «فخرجن النّسوة من عندها، فأرسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف - سرّاً من صواحبها - تسأله الزّيارة، فأبى عليهنّ»[3]. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل إلى إجابتهنّ ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: من السّفهاء، بارتكاب ما يدعونني إليه.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: فثبّته بالعصمة، حتّى وطّن نفسه على مشقّة السّجن، و آثرها على اللّذّة المتضمّنة للعصيان ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: الشّواهد الدّالّة على براءته ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. قال: «الآيات: شهادة الصّبيّ، والقميص المخرق من دبر، و استباقهما الباب حتّى سمع مجاذبتها إيّاه على الباب. فلمّا عصاها لم تزل مولعة بزوجها حتّى حبسه»[4].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾. القمّي: عبدان للملك: أحدهما خبّازه[5]، والآخر صاحب الشّراب[6]. ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾: أرىٰ في المنام، و هي حكاية حالة ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً، سمّاه بما يؤول إليه. ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ

١ و ٣ - علل الشّرايع ١: ٤٩، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٢ - اي: على تليين شدّة يوسف و إمالته على إطاعتها.
٤ - القمّي ١: ٣٤٤، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «ملحة» بدل «مولعة».
٥ - في المصدر: «خبّاز».
٦ - القمّي ١: ٣٤٤.

﴿فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ قال: «جفنة فيها خبز»[١]. ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾. قال: «لمّا أمر الملك بحبس يوسف في السّجن ألهمه الله علم تأويل الرّؤيا، فكان يعبّر لأهل السّجن رؤياهم»[٢]. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. قال: «كان يوسّع المجلس و يستقرض للمحتاج و يعين الضّعيف»[٣].

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾. لعلّه أراد أن يدعوهما أوّلاً إلى التّوحيد، و يأتي بما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب، ليدلّ على صدقه، ثمّ يجيبهما عمّا سألا منه. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بالإلهام والوحي، و ليس من قبيل التّكهّن والتّنجّم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ يبعثنا لإرشادهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾: آلهة من غير حجّة تدلّ على استحقاقها الإلهيّة، و إنّما تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها اسم الإله ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: الحقّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيخبطون في جهالاتهم.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ يعني صاحب الشّراب ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ كما

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و الجفنة: القصعة، خصّت بوعاء الأطعمة، جمعها: جفان. القاموس المحيط ٤: ٢١١؛ والمفردات: ٩٣ (جفن).
٢ـ المصدر: ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٢: ٦٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يسقيه من قبل. القمّي: قال له يوسف: تخرج من السّجن و تصير على شراب الملك، وترتفع منزلتك عنده[1]. ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ يعني الخبّاز ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ القمّي: ولم يكن رأى ذلك و كَذَبَ. فقال له يوسف: أنت يقتلك الملك و يصلبك وتاكل الطّير من دماغك، فجحد الرّجل، فقال إنّي لم أر ذلك. فقال يوسف:[2] ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ و هو مايؤول إليه أمركما؛ يعني قُطِعَ و فُرِغَ منه؛ صَدَقْتُما أو كَذَبْتُما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾: علم نجاته ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: اذكر حالي عند المَلك، و أنّي حُبِستُ ظلماً، لكي يخلّصني من السّجن ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: فانسى الشّيطان صاحبَ الشّرابِ أن يذكره لربّه، أو انسى يوسف ذكرَ الله، فاستعان بغيره[3]. و ورد: «لم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه، فلذلك قال الله: "فأنساه الشّيطان ذكر ربّه"»[4]. ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ قال: «سبع سنين»[5].

ورد: «أوحى الله إليه في ساعته، كيف استعنت بغيري و لم تستعن بي[6] وتسالني أن أُخرِجَك من السّجن، و أملت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟! اِلْبَثْ في السّجن بذنبك بضع سنين، بإرسالك عبداً إلى عبد»[7].

و ورد: «لمّا انقضت المدّة و أذن الله له في دعاء الفرج، وضع خدّه على الأرض، ثمّ قال: اللّهم إن كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك، فإنّي أتوجّه إليك بوجوه آبائي

١ و ٢ ـ القمّي ١: ٣٤٤.
٣ ـ البيضاوي ٣: ١٣٤؛ و الكشّاف ٢: ٣٢٢.
٤ ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن ابي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ١٧٨، الحديث: ٣٠، مرفوعاً عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ في المصدر: «فكيف استغثت بغيري و لم تستغث بي».
٧ ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، مرفوعاً عن ابي عبدالله عليه السلام.

الصّالحين إبراهيم و إسماعيل و إسحق و يعقوب، ففرّج الله عنه»[1].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ في قراءتهم عليهم السّلام: «سبع سنابل»[2]. ﴿وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾: التوت على الخضر حتى غلبن عليها، و استغنى عن بيان حالها بذكر حال البقرات. ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾: عبّروها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾: إن كنتم عالمين بتأويلها.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: تخاليطها و أباطيلها، و ما يكون منها من وسوسة أو حديث نفس. جمع ضِغْث و هو ما جُمِعَ من أخلاط النّبات و حُزِمَ، فاستعير[3] للرّؤيا الكاذبة. ورد: «الرّؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن، و تحذير من الشّيطان، و أضغاث أحلام»[4]. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ أي: الباطلة خاصّة. اعتذار لجهلهم بتأويله، بأنّه ممّا ليس له تأويل.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾: من صاحبي السّجن، و هو الشّرابي ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: و تذكّر يوسف، بعد جماعة من الزّمان مجتمعة، أي: مدّة طويلة. قال: «أي: بعد وقت»[5]. ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ أي: إلى من عنده علمه.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي: فارسلوه إلى يوسف، فأتاه و قال له: يا يوسف أيّها البليغ في الصّدق. و إنّما قال ذلك لأنّه جرّب أحواله و عرف صدقه في تأويل رؤياه و رؤيا صاحبه. ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ أي: في رؤيا ذلك ﴿لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: على عادتكم المستمرّة ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٨، الحديث: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٧٩، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي ١: ٣٤٥.
٣ـ في «الف» و «ج»: «استعير».
٤ـ الكافي ٨: ٩٠، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٢٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلاّ يأكله السّوس، و هي نصيحة خارجة عن التّعبير ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ أي: يأكل أهلُهنّ ما ادّخرتم لأجلهنّ، فأسند إليهنّ على المجاز، تطبيقاً بين المعبّر والمعبّر به. و في قراءتهم عليهم السّلام: «ما قرّبتم لهنّ»[1]. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾: ممّا تُحرِزُون لبذور الزّراعة.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: يُمْطَرُون؛ من الغَيْث. أو يغاثون من القحط؛ من الغَوْث. ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾: ما يُعْصَرُ من الثّمار والحبوب والزّروع. و في قراءتهم عليهم السّلام: على البناء للمفعول[2]، أي: يمطرون بعد المجاعة. قال: «والدّليل على ذلك قوله تعالى: "وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً"»[3].

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ بعد ما جاءه[4] الرّسول بالتّعبير ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ ليُخرجه ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قال: «يعني العزيز»[5]. ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾. تأنّى في إجابة الملك، و قدّم سؤال النّسوة وفحص حاله، ليُظْهِرَ براءة ساحته، و يُعْلِمَ أنّه سُجِنَ ظلماً، و لم يتعرّض لامرأة العزيز مع ما صَنَعَتْ به، كرماً و مراعاةً للأدب.

ورد عن النّبيّ ﷺ: «لقد عجبت من يوسف و كرمه و صبره؛ والله يغفر له، حين سُئِلَ عن البقرات العجاف والسّمان؛ ولو كنتُ مكانه ما أخبرتهم حتّى أشترط أن يُخرجوني، و لقد عجبت من يوسف و صبره و كرمه، والله يغفر له، حين أتاه

١ـ القمّي ١: ٣٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ القمّي ١: ٣٤٦، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام. و الآية في سورة النّبأ(٧٨): ١٤.
٤ـ في «الف»: «جاء».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٨٠، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الرّسول، فقال: ارجع إلى ربّك؛ ولو كنت مكانه و لبثتُ في السّجن ما لبثَ، لأسرعت الإجابة و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر؛ إن كان[1] لحليماً ذا أناة»[2].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: قال الملك: ما شأنكنّ؟ ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾: من ذنب ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾: ثبت و استقرّ، أو ظهر ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ حيث قال: "هي راودتني عن نفسي"[3].

﴿ذَٰلِكَ﴾. قاله يوسف لمّا عاد إليه الرّسول و أخبره بكلامهنّ. أي: ذلك التّثبّت ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب في حرمته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا يُنفِّذُه و لا يُسدِّده؛ فيه تعريض بامرأة العزيز، و تأكيد لأمانته.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: لا أُنزّهها؛ تواضع لله و تنبيه على أنّه لم يُرِدْ بذلك تزكية نفسه و العُجْبَ بحاله، بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتّوفيق. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: إلّا وقت رحمة ربّي، أو إلّا ما رحمه الله من النّفوس، فعصمه عن ذلك. و يحتمل انقطاع الاستثناء، يعني: ولكن رحمة ربّي هي الّتي تصرف السّوء.

و قيل: إنّ الآيتين من تتمّة كلام امرأة العزيز، أي: ذلك الّذي قلتُ ليعلم يوسفُ أنّي لم أكذب عليه في غيبته، و صدقتُ فيما سُئلتُ عنه، و "ما أُبرّىء نفسي" مع ذلك من الخيانة، فإنّي خنته حين قذفته و سجنته، تريد الاعتذار ممّا كان فيه[4]. و هذا التّفسير هو المستفاد من كلام القمّي حيث قال: "لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" أي: لا أكذب عليه الآن كما

١ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «إنّه كان» كما في المصدر و الصّافي.
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٠. و الأناةُ ـ كقناةٍ ـ: الحِلْمُ و الوقار. القاموس المحيط ٤: ٣٠٢ (انى).
٣ـ نفس السّورة: ٢٦.
٤ـ الكشّاف ٢: ٣٢٧.

كذبت عليه من قبل[١]. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ميل النّفس، و يرحم من يشاء بالعصمة.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أجعله خالصاً لنفسي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: فلّما أتوابه و كلّمه، و شاهَدَ منه الرّشد و الأمانة، واستدلّ بكلامه على عقله، وبعفّته على أمانته ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة و منزلة ﴿أَمِينٌ﴾: مُؤتَمَنٌ على كلّ شيء.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: ولّني أمرها. و الأرض: أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ قال: «بما تحت يدي»[٢]. ﴿عَلِيمٌ﴾ قال: «بكلّ لسان»[٣]. قيل: إنّما طلب الولاية ليتوصّل بها إلى امضاء أحكام الله، و بسط الحقّ و وضع الحقوق مواضعه[٤]. ورد: «رحم الله أخي يوسف؛ لو لم يقل: "اجْعَلْني عَلىٰ خَزائِنِ الأَرْضِ" لولّاه[٥] من ساعته، و لكنّه أخّر ذلك سنة»[٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر. قال: «ملك يوسف مصر و براريها، لم يجاوزها إلى غيرها»[٧]. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: ينزل من بلادها حيث يهوى. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. ورد ما ملخّصه: «إنّه لم يبق بمصر و ما حولها مال و لا عبد و لا حرّ إلّا صار ليوسف، ببيعه الطّعام إيّاهم. فقال للملك: ما ترى فيما خولّني ربّي من ملك مصر و أهلها؟ اشر علينا برأيك، فإنّي لم أُصلحهم

١ـ القمّي ١: ٣٤٦.
٢ و ٣ـ علل الشّرايع ١: ١٢٥، الباب: ١٠٥، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ وعيون اخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٣٩، الباب: ٤٠، الحديث: ٤؛ والعيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٣٩، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٢: ٣٢٨.
٥ـ في «الف»: «لولّى».
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

لأفسدهم، و لم أنجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم، و لكنّ الله نجّاهم على يدي. قال له الملك: الرّأي رأيك. قال يوسف: إنّي أُشهد الله و أُشهدك أيّها الملك، إنّي قد أعتقت أهل مصر كلّهم، و رددت عليهم أموالهم و عبيدهم، و رددت عليك أيّها الملك خاتمك و سريرك و تاجك؛ على أن لا تسير إلّا بسيرتي و لا تحكم إلّا بحكمي. قال له الملك: إنّ ذلك لشرفي و فخري أن أسير بسيرتك و أحكم بحكمك، و لولاك ما قويت و لااهتديت له، و لقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام[1]، و أنا أشهد أن لاإله إلّا الله وحده لاشريك له، و أنّك رسوله. فاقم على ما ولّيتك، فإنّك لدنيا مكين أمين»[2].

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ لِلْمِيْرَة،[3] و ذلك لأنّه أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد من الجَدْب، فأرسل يعقوب بنيه غير بِنْيامين إليه.

القمّي: أمر يوسف أن يبنى له كُناديج[4] من صخر و طيّنها بالكِلْس[5]، ثمّ أمر بزرع مصر، فحصدت و دفع إلى كلّ إنسان حصّة، و ترك في سنبله لم يدسّه، فوضعها في الكناديج، ففعل ذلك سبع سنين. فلمّا جاء سنو القحط، كان يُخرِج السّنبل فيبيع بما شاء، و كان بينه و بين أبيه ثمانية عشر يوماً، و كان النّاس من الآفاق يخرجون إلى مصر لِيَمْتارُوا طعاماً، وكان يعقوب و ولده نزولاً في بادية فيها مُقْل[6]، فاخذ إخوة يوسف من ذلك المُقْل، و حملوه إلى مصر ليمتاروا به طعاماً، و كان يوسف يتولّى البيع بنفسه[7]. ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ لأنّ همّته كانت معقودة بهم ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾

١ـ في المصدر: «جعلت سلطاناً عزيزاً لايرام».
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٤، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ المِيرة ـ بالكسر ـ: جَلْبُ الطّعام. القاموس المحيط ٢: ١٤٢ (مير).
٤ـ كُناديج جمع كُنْدُوج: شبهُ المخزن، معرّب كَنْدُو. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (كلج).
٥ـ الكِلْس ـ بالكسر ـ: الصّاروج. القاموس المحيط ٢: ٢٥٦ (كلس).
٦ـ المُقْلُ ـ بالضّمّ ـ: الكُنْدُرُ الّذي يتدخّنُ به اليهود و صَمْغُ شجرةٍ. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مقل).
٧ـ القمّي ١: ٣٤٦.

قال: «لهيبة الملك و عزّه»[١].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أصلحهم بعُدَّتهم، و أوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله. وأصل الجهاز ما يعدّ من الأمتعة للنقلة. ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾.

ورد: «إنّه قال لهم يوسف: قد بلغني أنّ لكم أخوين لأبيكم، فما فعلا؟ قالوا: أمّا الكبير منهما فإنّ الذئب أكله، و أمّا الصّغير فخلّفناه عند أبيه، و هو به ضَنين[٢] وعليه شفيق قال: فإنّي أُحبّ أنّ تأتوني به معكم إذا جئتم تمتارون»[٣].

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: المُضيفِين، و كان أحسَنَ إنزالَهم وضيافتهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك لانتوانى فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾: لغلمانه الكيّالين ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ يعني: ثَمَنَ طعامهم وما كانوا جاؤوا به ﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾: في أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾: يعرفون حقّ ردّها، وحقّ التكرّم بإعطاء بدلَين ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ و فتحوا اوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلّ معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرّجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ أرادوا قول يوسف: "فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي". ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نرفع المانع[٤] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ عن أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ

١ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «وعزّته».
٢ـ الضّنين: البخيل، و الضِّنَّة: هو البخل بالشّيء النّفيس. المفردات: ٣٠٨ (ضنن).
٣ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «الف»: «نرفع الموانع».

﴿حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: يرحم ضعفي و كِبر سنّي، فيحفظه و يردّه عليّ، ولايجمع عليّ مصيبتين. ورد: «إنّ الله سبحانه قال فبعزتي لأردنّهما إليك بعد ما توكّلت عليّ»[1].

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك؟ أكرمنا و أحسن مثوانا و باع منّا وردّ علينا متاعنا؛ أو المعنى:[2] لانطلب وراء ذلك إحساناً، أو ما نريد منك بضاعةً أخرى. ﴿هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ بالرّجوع إلى المَلِك ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ عن المخاوف، في ذهابنا و إيابنا ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ باستصحاب أخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: مكيل قليل[3] لايكفينا؛ استقلّوا ما كيل لهم، فارادوا أن يزدادوا إليه ما يُكال لأخيهم، أو أرادوا أنّ كَيْلَ بعيرٍ يسيرٌ لايُضايقُنا فيه المَلِكُ.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً مؤكّداً بذكر الله. ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلّا ان تُغلَبوا فلا تُطيقوا ذلك، أو إلّا ان تَهلِكوا جميعاً. ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: رقيب مطّلع، إن أخلفتم[4] انتصف لي منكم.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لأنّهم كانوا ذوي جمال و بهاءٍ و هيئةٍ حسنةٍ، و قد شهِروا في مصرَ بالقرب من المَلِك، و التّكرمة الخاصّة التي لم تكن لغيرهم، فخاف عليهم العينَ. ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: وإن أراد الله بكم سوءً لم ينفعكم، و لم يدفع عنكم ما أشرتُ به عليكم من التّفرّق و هو مصيبكم لامحالة، فإنّ الحَذَرَ لايمنع القَدَرَ. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٨.
٢ـ في «الف»: «والمعنى».
٣ـ في «الف»: «كيل قليل».
٤ـ في «ج»: «إن اختلفتم».

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: من أبواب متفرّقة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾ رأي يعقوب ﴿مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: ممّا قضاه عليهم، فسرقوا و أُخِذَ[1] بنيامين، وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾. استثناء منقطع؛ يعني: ولكن حاجةً في نفسه، و هي شفقته عليهم، و حَرارَتُه من أن يُعانوا. ﴿قَضَاهَا﴾: أظهرها و وصّى بها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: لذو يقينٍ و معرفة بالله، من أجل تعليمنا إيّاه. و لذلك قال: «ما أُغْني عَنْكُمْ» ولم يغترّ بتدبيره. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: سرّ القَدَر، و أنّه لايغني عنه الحَذَرُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضمَّ إليه بنيامينَ ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن؛ من البؤس ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في حقّنا، فإنّ الله قد أحسن إلينا وجمعنا.

ورد: «و قد كان هيّأ لهم طعاماً، فلمّا دخلوا عليه قال: ليجلس[2] كُلُّ بني أُمٍّ على مائدة. قال: فجلسوا و بقي بِنيامينُ قائماً. فقال له يوسف: مالك لاتجلس؟ قال له: إنّك قلت: ليجلس كلّ بني أُمٍّ على مائدةٍ، وليس لي فيهم ابن أُمٍّ. فقال له[3] يوسف: أما كان لك ابن أُمٍّ؟ فقال له بِنْيامين: بلى. قال يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء أنّ الذّئب أكله. قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي أحد عشر ابناً، كلّهم اشتققتُ له اسماً من اسمه. فقال له يوسف: أراك قد عانقت النّساء و شممت الولد من بعده. قال له بنيامين: إنّ لي أباً صالحاً، و أنّه قال: تزوّجْ، لعلّ الله أن يُخرِج منك ذرّيّةً تثقل الأرض بالتّسبيح. فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي. فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله

١ـ في «ب»: «وأخذوا».
٢ـ في «الف»: «يجلس».
٣ـ في «الف» و «ج»: «فقال يوسف».

يوسف و أخاه، حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته»[١].

و القمّي: فلمّا خرجوا من عنده قال يوسف لأخيه: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون، ثمّ قال له: أنا أحبّ أن تكون عندي. فقال: لايدعوني إخوتي، فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهد الله و ميثاقه أن يردّوني إليه، قال: أنا أحتال بحيلة، فلا تنكر إذا رأيت شيئاً و لاتخبرهم، فقال: لا[٢].

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: المشربة. قال: «كان قدحاً من ذهب وكان صواع يوسف إذا كيل، كيل به»[٣]. ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ قال: «من حيث لم يقف عليه إخوته»[٤]. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى مناد: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أي: القافلة. و هو اسم الإبل الّتي عليها الاحمال، فقيل لاصحابها. القمّي: معناه يا أهل العير، و مثله «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا»[٥]. ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. قال: «ما سرقوا و ما كذب يوسف، فإنّما عنى سرقتهم[٦] يوسف من أبيه»[٧]. و في رواية: «الا ترى أنّهم حين قالوا: «مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا: نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ» و لم يقولوا: سرقتم صواع الملك»[٨].

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال: «الطّاس الّذي يشرب منه»[٩]. ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطّعام جعلاً له ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾: كفيل أؤدّيه.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾. قسمٌ فيه معنى التعجّب. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٥١ـ٢٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ و ٤ ـ القمّي ١: ٣٤٨.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩. والآية في نفس السورة: ٨٢.
٦ـ في «ب» و «ج» والمصدر: «سرقتم».
٧ـ القمّي ١: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٠ وعلل الشرايع ١: ٥٢، الباب: ٤٣، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ المصدر، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. استشهدوا بعلمهم علىٰ براءة أنفسهم، لِما ثبت عندهم دلائل دينهم و أمانتهم في معاملتهم معهم، مرّةً بعد أُخرىٰ.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: فما جزاء السَّرَق؟ ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في ادّعائكم البراءة منه.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: جزاء سَرِقَته أخذ من وجد في رحله و استرقاقُه. هكذا كان شَرْعُ يعقوبَ. قال: «يعنون السُّنَّة الّتي كانت تجري فيهم أن يحبسه»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسّرقة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: بنيامين؛ دفعاً للتهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ بان علّمناه إيّاه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: مَلِك مصرَ، لأنّ حكم السّارق في دينه أن يُضْرَبَ و يُغْرَم، لا أن يُستَعبَدَ. ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالعلم، كما رفعنا درجة يوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: أرْفَعُ درجةً منه في علمه.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ القمّي: يعنون يوسف[2].

و ورد: «كانت لإسحٰق النّبيّ مِنْطَقَةٌ[3] يتوارثها الأنبياء و الأكابر، و كانت عند عمّة يوسف، و كان يوسف عندها، و كانت تحبّه، فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إليّ و أردّه إليك، فبعثت إليه أن دَعْهُ عندي اللّيلة اشمّه، ثمّ أُرسله إليك غدوةً، فلمّا اصبحت أخذت المِنْطَقَةَ فربطتها في حَقْوِه[4] و ألبسته قميصاً و بعثت به إليه، و قالت: سُرِقَت المنطقة فَوُجِدَتْ عليه. و كان إذا سَرَقَ أحدٌ في ذلك الزّمان دُفِعَ إلى صاحب السّرقة، فأخذته فكان عندها»[5]. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: أكنّها و لم يظهرها لهم

۱ـ العيّاشي ۲: ۱۸۳، الحديث: ۴۴، عن أبي عبدالله عليه السلام.
۲ـ القمّي ۱: ۳۴۹.
۳ـ المِنْطَقَةُ: ماينتطق به و كمنبَر: شُقَّةٌ تَلْبَسُها المرأة و تشدُّ وسطها. القاموس المحيط ۳: ۲۹۵ (نطق).
۴ـ الحَقْوُ: موضع شدّ الإزار و هو الخاصرة. مجمع البحرين ۱: ۱۰۵ (حقا).
۵ـ العيّاشي ۲: ۱۸۵، الحديث: ۵۳، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿قَالَ﴾: في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلةً في سرقتكم أخاكم و سوء صنيعكم به ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: و هو يعلم أنّ الأمر ليس كما تصفون و أنّه لم يَسْرِق.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾. القمّي: و لم يقل: إلّا من سرَق متاعنا[1]. ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ يعني: عندكم. «اجتمعوا إلى يوسف يجادلونه في حبسه و هم يقولون: "خُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" فأطلق عن هذا وكانوا إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر، و يقطر من رؤوسها دم أصفر». كذا ورد[2].

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾: يئسوا من يوسف و إجابته إيّاهم. و زيادة السّين و التّاء للمبالغة ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا و اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾: متناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قال: «قال لهم يهوذا[3]، و كان أكبرهم»[4]. و القمّي: قال لهم لاوي[5] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهداً و ثيقاً؟ ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ ذلك ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: قصّرتم في شأنه ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: فلن أُفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرّجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: أو يقضي الله لي بالخروج ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. قال: «فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم و تخلّف يهوذا»[6].

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٤٩.
٢ـ راجع: القمّي ١: ٣٤٩؛ و العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٥ و ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «ألف»: «يهودا» في جميع المواضع.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩، وفيه: «لاوي بن يعقوب».
٦ـ العيّاشي ٢: ١٨٧، ذيل الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، و القمّي ١: ٣٤٩.

﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يعني: فلمّا رجعوا إلى أبيهم، و قالوا له ما قال لهم أخوهم، "قال: بَلْ سَوَّلَتْ"، أي: زيّنت و سهّلت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه كتعليمكم إيّاه أنّ السّارق يؤخذ بسرقته. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا شكوى فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: بيوسف و بنيامين و يهوذا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: و أعرض عنهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: تعال فهذا أو انك؛ والأسف أشدّ الحزن والحسرة، والالف بدل من ياء المتكلّم. وهذا الكلام من يعقوب يدلّ على أنّ مصابه بيوسف كان عنده غضّاً طرياً، مع طول العهد. ورد: سُئِلَ: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: «حزن سبعين ثكلى على أولادها»[1].

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ لكثرة بكائه ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ كأنّ العَبْرة[2] محقت سوادها. والقمّي: يعني: عميت من البكاء[3] ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ على أولاده، ممسك له في قلبه، ولا يظهره.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجّعاً عليه. حذف «لا» لعدم التباسه بالإثبات. ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مريضاً من الهمّ، مُشْفِياً على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾: همّي الّذي لا اقدر الصّبر عليه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره، فخلّوني و شكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من صنعه و رحمته ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنّ حسنَ ظنّي به أن يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب.

١ـ القمّي ١: ٣٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العَبْرَةُ: الدَّمْعَةُ قبل أن تَفيضَ. القاموس المحيط ٢: ٨٦ (عبر).
٣ـ القمّي ١: ٣٥٠.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: تفحّصوا من حالهما، و تطلّبوا خبرهما ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: لا تقنطوا من فرجه و تنفيسه [1] و رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. لأنّ المؤمن من الله على خير يرجوه عند البلاء و يشكره في الرّخاء.

ورد: «إنّه كان يعلم أنّ يوسف حيٌّ، لأنّه كان قد سأل مَلَكَ الموت بعد ما دعا الله أن يهبطه عليه فهبط، فقال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعةً أو متفرّقةً؟ فقال: بل متفرّقةً روحاً روحاً. قال: فمرّ بك روح يوسف؟ قال: لا. فعند ذلك علم أنّه حيّ»[2].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ بعد ما رجعوا إلى مصر ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: رديّة، و هي المُقْلُ، كما مرّ[3]. ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ قيل: و تفضّل علينا بالمُسامحة، و زدنا على حقّنا[4]. و ورد: «و تصدّق علينا بأخينا بنيامين»[5]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾. فرقّ لهم يوسف، و لم يتمالك أن عرّفهم نفسه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾. قاله شفقةً و نُصْحاً؛ لما رأى من عجزهم و تَمَسْكُنهم، لا معاتبةً و تثريباً، إيثاراً لحقّ الله على حقّ نفسه في ذلك المقام الّذي يَنْفُثُ فيه المَصْدُورُ[6]، و لعلّ فعلهم بأخيه إفراده عن يوسف. قيل: و إذلاله، حتّى

١ـ نَفَّسَ اللّهُ عنه كُرْبَتَهُ: فَرَّجَها. الصّحاح ٣: ٩٨٥ (نفس).
٢ـ علل الشّرايع ١: ٥٢، الباب: ٤٤، الحديث: ١؛ والكافي ٨: ١٩٩، الحديث: ٢٣٨؛ والقمّي ١: ٣٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ٥٨.
٤ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٢٠٧.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩١، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ النّفاثة: ما يَنْفُثُهُ المَصْدُورُ من فيه. القاموس المحيط ١: ١٨٢ (نفث).

لايستطيع أن يكلّمهم إلّا بعجز و ذلّة[١]. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾. ورد: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل، حين خاطر بنفسه معصية ربّه، فقد حكى اللّه سبحانه قول يوسف لإخوته: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ" فنسبهم إلى الجهل، لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية اللّه»[٢].

﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ من أبي و أُمّي؛ ذكره تعريفاً لنفسه و تفخيماً لشأنه. ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالسّلامة و الكرامة ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: يتّق اللّه ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البلايا و عن المعاصي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: اختارك علينا؛ بحسن الصّورة و كمال السّيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾: و إنّ شأننا و حالنا إنّا كنّا مذنبين بما فعلنا بك، لاجرم أنّ اللّه أعزّك وأذلّنا. ورد: «قالوا: فلاتفضحنا و لاتعاقبنا اليوم، واغفرلنا»[٣].

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾: لاتأنيب ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ بما فعلتم ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

ورد: «إنّ يعقوب اشتدّ حزنه و تقوّس ظهره، و أدبرت الدّنيا عنه و عن ولده، حتّى احتاجوا حاجةً شديدةً و فنيت ميرتهم، فعند ذلك قال لولده. "اذهبوا فتحسّسوا" الآية. فخرج منهم نفر، و بعثهم ببضاعةٍ يسيرةٍ، و كتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطّفه[٤] على نفسه و ولده، و أوصى ولده أن يبدؤوا بدفع كتابه قبل البضاعة، ثمّ ذكر صفة الكتاب. و ملخّصه: أنّه ذكر فيه ابتلاء جدّه بالإحراق و ابتلاء أبيه بالذّبح، و ابتلائه بفراق يوسف ثمّ أخيه، و أنّه كان يَسكُنُ إليه مكان يوسف. قال: وذكروا أنّه سرق مكيالَ المَلك، و نحن أهل بيت لانسرق، و قد حبسته و فجعتني به، و قد اشتدّ لفراقه حُزني؛

١ـ البيضاوي ٣: ١٤٢.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٢، عن أبي عبداللّه عليه السلام، ذيل الآية: ١٧ من سورة النّساء.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٩٢، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب»: «يتعطّفه».

حتّى تقوّس لذلك ظهري، و عظمت به مصيبتي مع مصائب متتابعات عليّ، فمُنَّ عليّ بتخلية سبيله و إطلاقه من محبسه، و طيّب لنا القَمْحَ[١]، وأسمح[٢] لنا في السّعر، وعجّل سَراحَ[٣] آل يعقوب. قال: فاخذ يوسف كتاب يعقوب، فقبّله و وضعه على عينيه، و بكى و انتحب[٤] حتّى بلّت دموعه القميصَ الّذي كان عليه، ثمّ اقبل عليهم فقال: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ" الآية»[٥]. «و أعطاهم قميصه، و هو قميص إبراهيم»[٦].

و في رواية: «قال: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا" الّذي بلّته دموعُ عيني، "فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" يرتدّبصيراً، لو قد شمّ ريحي»[٧].

و ورد: «إنّ يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشر ليال. قال: و هو القميص الّذي نزل على إبراهيم من الجنّة، فدفعه إبراهيم إلى إسحٰق، و إسحٰق إلى يعقوب، و يعقوب إلى يوسف»[٨]. و في رواية: «و كان نزل على إبراهيم من الجنّة في قصبة من فضّة، و كان إذا لبس كان واسعاً كبيراً قال: "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" يعني: ريح الجنّة، لأنّه كان من الجنّة»[٩].

اقول: يعني: من عالم الملكوت برز إلى عالم الملك.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١ـ القَمْحُ: البُرُّ. القاموس المحيط ١: ٢٥٢ (قمح).
٢ـ سَمُحَ و أسْمَحَ: جادَ. القاموس المحيط ١: ٢٣٧ (سمح).
٣ـ السَراح: الإرسال و تسريحُ المرأة: تطليقُها و الإسم: السَّراح. مجمع البحرين ٢: ٣٧١؛ و الصّحاح ١: ٣٧٤ (سرح).
٤ـ النَّحبُ والنَّحيب والانتحاب: البُكاء بصوت طويل ومدّ. النّهاية ٥: ٢٧ (نحب).
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩٠، الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ١٩٣، ذيل الحديث: ٦٨، مرفوعاً.
٧ـ المصدر: ١٩٦، الحديث: ٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٩٤، الحديث: ٧٣، مرفوعاً.
٩ـ المصدر، الحديث: ٧٢؛ وعلل الشّرايع ١: ٥٣، الباب: ٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ من مصر، وخرجت من عمرانها ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضره: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تنسبوني إلى الفَنَد، و هو نقصان عقل يحدث من الهرم؛ و جواب "لَوْلا" محذوف، تقديره: لصدّقتموني.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصّواب قدماً؛ بإفراطك في محبّة يوسف و إكثارك ذكره، و التوقّع للقائه.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾. قال: «و هو يهوذا ابنه»[1]. ﴿أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: طرح القميص على وجهه ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ لما انتعش فيه من القوّة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف، و إنزال الفرج من الله.

و يحتمل أن يكون "إِنّي أَعْلَمُ" مستأنفاً، و المقول محذوفاً دلّ عليه الكلام السّابق.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. قال: «أخّره إلى السّحر ليلة الجمعة»[2]. و ورد: «خير وقت دعوتم الله فيه الأسحار، و تلا هذه الآية»[3].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: ضمّهما إليه. و في رواية: «الّتي سارت[4] معهم إلى مصر كانت خالته و ليست بأُمّه»[5]. و لعلّها نزلت منزلة الأمّ، كما نزل العمّ منزلة الأب ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾: دخلتموه ﴿آمِنِينَ﴾ إنّما دخلوا عليه قبل دخولهم مصر، لأنّه استقبلهم يوسف

١ ـ كمال الدين ١: ١٤٢، الباب: ٥، ذيل الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٢، الحديث: ١٢٤٠؛ والعيّاشي ٢: ١٩٦، الحديث: ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيهما: «أخّرها».
٣ ـ الكافي ٢: ٤٧٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ في «ب»: «صارت».
٥ ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٩٦، ذيل الحديث: ٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٩٧، الحديث ٨٤، عن أبي الحسن عليه السلام.

ونزلهم[1] في بيت أو مضرَب هناك.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾. قال: «العرش: السّرير، و كان سجودهم ذلك عبادةً للّه»[2]. ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: صدقاً.

قال: «لمّا دخلوا على يوسف في دار المَلِك اعتنق أباه و بكى ورفعه و رفع خالته على سرير الملك، ثمّ دخل منزله؛ فادَّهن و اكتحل و لبس ثياب العزّ و المُلْك، ثمّ خرج إليهم. فلمّا رأوه سجدوا له إعظاماً له و شكراً للّه؛ فعند ذلك قال: "يا أبتِ هذا تأويلُ رؤياي مِنْ قَبْلُ"»[3].

و في رواية: «فسجد يعقوب و ولده و يوسف معهم شكراً للّه، لاجتماع شملهم. ألم تر أنّه يقول في شكره ذلك الوقت: "ربِّ قد آتيتني من المُلْكِ" الآية»[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «و خرّوا للّه ساجدين»[5].

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾. لعلّه لم يذكر الجبّ؛ لئلاّ يكون تثريباً عليهم ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: من البادية؛ لأنّهم كانوا أصحاب المواشي، ينتقلون في المياه و المناجع[6] ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: افسد و حرّش[7] ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾: بعضه ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: بعضه ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

١ـ في «ب» و «ج»: «نزل لهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢، الحديث: ٨٣، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦٥، عن ابي الحسن الثّالث عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٢١٠، مرويّاً عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ النُّجعة ـ بالضّم ـ: طلب الكلأ في موضعه. و المُنتَجَع: المَنزِل في طلب الكلأ و يقال للمُنتَجِع مُنجِعٌ، و جمعه مناجعُ. القاموس المحيط ٣: ٩٠؛ ولسان العرب ٨: ٣٤٧ (نجع).
٧ـ التّحريش: الإغراء بين القوم أو الكلاب. القاموس المحيط ٢: ٢٧٨ (حرش).

﴿بِالصَّالِحِينَ﴾. قال: «عاش يعقوب مائة و أربعين سنةً، و عاش يوسف مائة و عشرين[1] وعاش يعقوب مع يوسف بمصر حولين»[2].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يا][3] محمّد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على ما همّوا به ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: لم تَعرِفْ ذلك إلّا بالوحي.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم و بالغت في إظهار الآيات عليهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ لعنادهم و تصميمهم على الكفر.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة من الله ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تدلّ على حكمة الله و قدرته في صنعه ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ و يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها و لا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قال: «شرك طاعة و ليس شرك عبادة»[4]. و في رواية: «يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك»[5]. و في أخرى: «هو الرّجل يقول: لولا فلان لهلكت، و لولا فلان لأصبت كذا و كذا، و لولا فلان لضاع عيالي. ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه، يرزقه و يدفع عنه. قيل: فيقول: لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت. قال: نعم، لا بأس بهذا»[6]. و في أخرى: «من ذلك قول الرّجل: لا و حياتك»[7].

١ـ كمال الدّين: ٢٨٩ (النّسخة الحجريّة) عن أبي عبدالله عليه السلام، و في المطبوع منه ٢: ٥٢٤: «مائة و عشرين سنة».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٨، الحديث: ٨٧؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مابين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٤ـ الكافي ٢: ٣٩٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٠٠، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ١٩٩، الحديث: ٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ : عقوبةٌ تغشاهم و تشملهم ﴿ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ ﴾ : من غير سابقة علامة ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بإتيانها، غير مستعدّين لها.

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ . تفسيرٌ للسّبيل. ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ قال: «عليّ اتّبعه»[1]. ﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ . قال: «أنفَةٌ للّه[2]؛ أما ترى الرّجل إذا عجب من الشّيء قال: سبحان الله»[3]. و في رواية: «تنزيه»[4].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ﴾ قال: «يعني إلى الخلق»[5]. ﴿ إِلَّا رِجَالٗا ﴾ . ردّ لقولهم: لو شاء ربّك لأنزل ملائكة. ﴿ نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾ كما نوحي إليك ﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾ لأنّهم أعلم و أحكم من أهل البَدْوِ ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ ﴾ من المكذّبين بالرّسل و الآيات، فيحذروا تكذيبك، و من المشعوفين بالدّنيا فيزهدوا فيها. و قد سبق[6] تفسير الأرض بأرض القرآن. ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ . غايةُ كلامٍ محذوف. كأنّه قيل: قد تأخّر نصرُنا الرّسلَ، حتّى إذا استيأسوا عنه ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ هكذا في قراءتهم عليهم السّلام:[7] "كُذِبُوا" بالتّخفيف. و معناه: و ظنّ المرسَلُ إليهم أنّ الرّسل قد كَذَبوهم فيما أخبروهم، من نصرة الله إيّاهم. كذا ورد[8]. و على قراءة التّشديد، معناه:

١ـ روضة الواعظين: ١٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام، في مجلس ذكر فضائل امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ أنفَةٌ للّه: تنزيهٌ للّه. قال بعض الشّارحين: الأنَفَة في الاصل: الضّرب على الأنف ليرجع، ثمّ استعمل لتبعيد الأشياء، فيكون هنا بمعنى رفع الله عن مرتبة المخلوقين بالكلّيّة، لأنّه تنزيه عن صفات الرّذائل و الأجسام «مجمع البحرين ٥: ٢٨».
٣ـ الكافي ٣: ٣٣٠، ذيل الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر ١: ١١٨، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام و فيه: «تنزيهه».
٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٧٠، الباب: ٢٧، ذيل الحديث: ١.
٦ـ في ذيل الآية: ١٣٧ من سورة آل عمران، و الآية: ١١ من سورة الأنعام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٠١، الحديث: ١٠١؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦٩، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٨ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٢١٣.

و ظنّ الرّسل أنّهم قد كذّبتهم قومهم فيما وعدوا من العذاب والنّصرة عليهم. ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإرسال العذاب على الكفّار ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يُختلَق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الإلهيّة ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدّين ﴿وَهُدًى﴾ من الضّلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال بها خير الدّارين ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدّقونه.



سورة الرّعد

[مدنيّة، وهي ثلاث وأربعون آية. وقيل: مكيّة[1]][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾: بغير أساطين ﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾. صفةٌ لـ "عَمَدٍ". قال: «فثَمَّ عمد و لكن لا ترونها»[3]. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾. سبق معناه في الأعراف[4]. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾: لمدّةٍ معيّنةٍ يتمّ فيها أدواره، أولغايةٍ مضروبةٍ ينقطع دونها سيرُه، و هي "إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ و إذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ"[5]. ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾: أمرَ ملكوته من الإيجاد و الإعدام، و الإحياء و الإماتة وغير ذلك. ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: ينزلها و يبيّنها ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾:

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٣.
٢ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٠٣، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام، و فيه: «ولكن لا تُرىٰ».
٤ـ ذيل الآية: ٥٤.
٥ـ التّكوير (٨١): ٢و٣.

لكي تتفكّروا فيها، و تتحقّقوا كمال قدرته و صنعه في كلّ شيء، فتعلموا أنّه بكلّ شيء محيط. و هذا كقوله سبحانه: "ألا إنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ألا إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٌ"[١].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾: بسطها طولاً و عرضاً ليثبّت فيها الأقدام، و يتقلّب[٢] عليها الحيوان ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابتَ ﴿وَأَنْهَاراً﴾ تتولّد منها ﴿وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: صنفين اثنين: أسود و أبيض، حلواً و حامضاً، رطباً ويابساً، صغيراً و كبيراً، و ما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يُلْبِسُ ظلمةَ الليل ضياءَ النهار؛ فيصير الهواء مُظْلِماً بعد ما كان مضيئاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾: متلاصقة من طيّبة و سبْخَة، و رِخْوَة وصُلْبَة، وصالحة للزرع دون الشجر و بالعكس، و غير صالحة لشيء منهما. ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ فيها أنواع الأعناب و النخيل و الزروع ﴿صِنْوَانٌ﴾: نَخلات، أصلها واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: متفرقات مختلفة الأصول، أوأمثال[٣] و غير أمثال. ورد: «عمّ الرّجل صِنْوُ أبيه»[٤]. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾: في الثمر؛ شكْلاً و قدراً، و رائحةً و طعماً. قال: «يعني هذه الأرض الطيّبة مجاورة لهذه الأرض المالحة، و ليست منها، كما يجاور القومُ القومَ و ليسوا منهم»[٥]. و عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام: «النّاس من شجر[٦] شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة،

١ ـ فصّلت (٤١): ٥٤.
٢ ـ في «ألف»: «ينقلب».
٣ ـ في «ألف»: «و أمثال».
٤ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٦، عن النبيّ ﷺ.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٠٣، الحديث: ٤، مرفوعاً، رفعه إلى أهل العلم والفقه من آل محمّد عليهم السّلام.
٦ ـ في «ب»: «من شجرة».

ثمّ قرأ هذه الآية»[١] . ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ : يستعملون عقولهم بالتّفكّر فيهتدون إلى عظمة الصّانع، و علمه و حكمته البالغة، و قدرته النّافذة، و تدبيره الكامل، و لطفه الشّامل، و حسن تربيته صنايعه[٢] شيئاً فشيئاً إلى بلوغها منتهى كمالاتها اللاّئقة بها.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمّد من قولهم في إنكار البعث ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ : فحقيق بأن يتعجّب منه، فإنّ من قدر على إنشاء ما قصّ عليك كانت الإعادة أهون عليه ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ : مقيّدون بالضّلال، لا يرجى خلاصهم لإصرارهم ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ : بالعقوبة قبل العافية، و ذلك أنّهم استعجلوا بالعذاب استهزاءً ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ : مضت ﴿مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ : عقوباتُ أمثالهم من المكذّبين، فما بالهم[٣] لم يعتبروا بها! ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذّنوب[٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ . قيل: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: «لو لا عفو الله و تجاوزه ما هنا أحداً العيشُ، و لو لا وعيد الله و عقابه لاتّكل كلّ أحد»[٥] .

و ورد حين تذاكروا الكبائرَ و قولَ المعتزلة فيها: إنّها لا تغفر: «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة؛ قال الله جلّ جلاله: "و إنّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم"»[٦] .

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٦ .
٢ـ في «ب»: «و صنايعه» .
٣ـ في «الف»: «فما لهم لم يعتبروا بها» .
٤ـ في «الف»: «أي أنفسهم بالذّنوب» .
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٨ .
٦ـ التّوحيد: ٤٠٦، الباب: ٦٣، الحديث: ٤، عن أبي الحسن الثّاني، عن أبي عبدالله عليه السلام .

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ لم يعتدّوا بالآيات المُنْزَلَة، واقترحوا نحو ما أُوتي موسى و عيسى. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُرْسَلٌ للإنذار كغيرك من الرّسل، و ما عليك إلاّ الإتيان بما يصحّ به أنّك رسول مُنذِرٌ، و الآيات كلّها متساوية في حصول الغرض. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يهديهم إلى الدّين، و يدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، و بآية خُصَّ بها.

قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذرُ و عليٌّ الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون»[١]. و ورد: «كلّ إمامٍ هادٍ للقرن الّذي هو فيهم»[٢].

القمّي: هو ردّ على من انكر انّ في كلّ عصرٍ و زمان إماماً، و أنّ الأرض لا تخلو من حجّة[٣].

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: من ذكر او أنثى، تامّ و ناقص، حسن و قبيح، سعيد و شقيّ ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾: و ما تنقصه ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في المدّة و العدد و الخلقة. قال: «الغيض: كلّ حمل دون تسعة أشهر، "و ما تزداد": كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر، فكلّما رأت المرأة الدّم في حملها من الحيض، فإنّها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدّم»[٤]. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ في نفسه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾: طالب للخفاء في مُخْتَبأ[٥] باللّيل ﴿وَسَارِبٌۢ﴾: بارزٌ ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾ يراه كلُّ أحدٍ. قال: «يعني السرّ و العلانية عنده سواء»[٦].

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٧٨.
٢ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٥٩. وفي «ب»: «ان الارض لاتخلو من حجّة الله».
٤ـ الكافي ٦: ١٢، الحديث: ٢، عن احدهما عليهما السّلام، وفيه: «فكلّما رأت المرأة الدّم الخالص».
٥ـ في «ألف»: «مُخْتَباه».
٦ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لَهُۥ﴾ : لمن أسرّ أو جهر أو استخفى أو سرّب َ ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ : ملائكة يعقّب بعضهم بعضاً في حفظه و كَلاءَته ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ : من جوانبه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ قيل: من أجل أمر الله [1]. ورد: «إنّها قُرِئَتْ عنده، فقال لقاريها: ألستم عرباً؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه؟!، و إنّما المعقِّب من خلفه، فقال الرّجل: جعلت فداك، كيف هذا؟ فقال: إنّما أُنزلت: له معقّبات من خلفه، و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله. و من ذا الّذي يقدر أن يحفظ الشّيء من أمر الله، و هم الملائكة الموكّلون بالنّاس» [2]. و في رواية: «يقول: من أمر الله [3]، من أن يقع في ركيٍّ [4]، أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء، حتّى إذا جاء القدر خلّوا بينه [و بَيْنَهُمْ] [5] يدفعونه إلى المقادير، و هما ملكان يحفظانه باللّيل و ملكان بالنّهار يتعاقبانه» [6].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من العافية و النّعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة. قال: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً لا يُنعم على عبده نعمةً فيسلبها إيّاه قبل أن يُحدثَ العبدُ ذنباً، يستوجب بذلك الذّنب سلبَ تلك النّعمة، وذلك قول الله: "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم"» [7]. وورد: «الذّنوب الّتي تغيّر النّعم: البغي على النّاس، و الزّوال عن العادة في الخير، و اصطناع المعروف، و كفران النّعم، و ترك الشكر، ثمّ تلا الآية» [8]. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ : مَنْ يلي أمرهم فيدفع عنهم السّوء.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ قال: «خوفاً للمسافر و طمعاً

١ـ الكشّاف ٣: ٣٥٢؛ و البيضاوي ٣: ١٤٨.
٢ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «بأمر الله».
٤ـ الرّكيّ: جنسٌ للرّكيّة، و هي البئر و جمعها: ركايا «النّهاية ٢: ٢٦١ـ ركا». و في «الف»: «في ركو».
٥ـ ما بين المعقوفتين من المصدر. و في «ب» و «ج»: «خلّوا بينه و بينه».
٦ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٠٦، الحديث: ١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ـ معاني الأخبار: ٢٧٠، الحديث: ٢، عن السّجّاد عليه السلام.

للمقيم»[١]. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ القمّي: يعني يرفعها من الأرض[٢].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾. سئل عن الرّعد؟ فقال: «ملك موكّل بالسّحاب معه مخاريق من نار، يسوق بها السّحاب»[٣]. و في رواية: «إنّه بمنزلة الرّجل يكون في الإبل فيزجرها، هاي هاي كهيئة ذلك»[٤]. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ حيث يكذّبون رسول الله ﷺ فيما يصفه من التفرّد بالاُلوهيّة و إعادة النّاس و مجازاتهم ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ قال: «شديد الأخذ»[٥].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ فإنّه يُدْعى فيستجيب ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ من الطّلبات ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾: إلّا استجابةً كاستجابة مَنْ بسط كفّيه ﴿إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: يطلب منه أن يبلغه من بعيد ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ إذ لا يشعر الماءُ بدعائه، ولا يقدر على إجابته، و كذلك آلهتهم. قال: «هذا مَثَلٌ ضربه الله للّذين يعبدون الآلهة من دون الله فلا يستجيبون لهم بشيء و لا ينفعهم، إلّا كباسط كفّيه إلى الماء ليتناوله من بعيد و لا يناله»[٦]. ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: في ضياع و بطلان.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ قال: «أمّا من يسجد من أهل السّماوات طوعاً، فالملائكة يسجدون لله طوعاً؛ و من يسجد من أهل الأرض، فمَن وُلِدَ في الإسلام فهو يسجد له طوعاً؛ و أمّا من يسجد له كَرْهاً، فمن جُبِرَ على الإسلام؛ و أمّا من لم يسجد[له][٧] فظلّه يسجد له

١ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٥١.
٢ـ القمّي ١: ٣٦١.
٣ـ راجع: البيضاوي ٣: ١٤٨، عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٠٧، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٣، عن امير المؤمنين ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ٣٦١، عن ابي جعفر ﷺ.
٧ـ مابين المعقوفتين من «الف».

بالغداةوالعشيّ»[١] .

و القمّي: ليس شيء إلّا له ظلّ يتحرّك بحركته، و تحويلُه سجودُه للّه [٢].

و قيل: أُريد بالظّلّ الجسد[٣]. و إنّما يقال للجسم الظّلّ، لأنّه عنه الظّلّ، و لأنّه ظلّ للرّوح، لأنّه ظلمانيّ و الرّوح نورانيّ، و هو تابع له يتحرّك بحركته النّفسانيّة، و يسكن بسكونه النّفسانيّ. القمّي: ظلّ المؤمن يسجد طوعاً، و ظلّ الكافر يسجد كرهاً، و هو نموّهم و حركتهم، و زيادتهم و نقصانهم[٤].

و في رواية: «" وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ "؟ قال: هو الدّعاء قبل طلوع الشمس و قبل غروبها، و هي ساعة إجابة»[٥].

أقول: كما يجوز أن يراد بكلّ من السّجود و الظّلّ، و الغدوّ و الآصال معناه المعروف، كذلك يجوز أن يراد بالسّجود الانقياد، و بالظّلّ الجسد، و بالغدوّ و الآصال الدّوام، و يجوز أيضاً أن يراد بكلّ منها[٦] ما يشمل كلا المعنيين، فيكون في كلّ شيء بحسبه و على ما يليق به. و بهذا يتوافق الأخبار. و يأتي لهذا المعنى مزيد بيان في سورة النّحل[٧] إن شاء الله تعالى.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾: أجب عنهم بذلك، إذ لا جواب لهم سواه. ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فكيف لغيرهم! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ القمّي: الكافر و المؤمن[٨]. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾: الكفر و الإيمان ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: بل أجعلوا؛ و الهمزة

١ـ القمّي ١: ٣٦٢، عن ابي جعفر عليه السلام، و فيه «فَمَنْ أُجْبِرَ عَلَى الاسلام».
٢ـ المصدر: ٣٨٦، ذيل الآية: ٤٨ من سورة النّحل.
٣ـ الدرّ المنثور ٤: ٦٣٠، عن الحسن.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٥ـ الكافي ٢: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في «ألف» و «ج»: «منهما».
٧ـ في ذيل الآية: ٤٨.
٨ـ القمّي ١: ٣٦٢.

للإنكار. ﴿خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾. صفة لـ "شركاء". داخلة في حكم الإنكار. ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خلْقُ الله و خلْقُهُم؛ و المعنى: أنّهم ما اتّخذوا لله شركاء خالقين مثله، حتّى يتشابه الخلق عليهم، فيقولوا: هؤلاء خلَقُوا كما خلَقَ اللهُ، فاستحقّوا العبادة كما استحقّها. و لكنّهم اتّخذوا شركاء عاجزين، لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً عمّا يقدر عليه الخالق. ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: لا خالقَ غيره فيشاركه في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾: المتوحّد بالألوهيّة، الغالب على كلّ شيء.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: في الصّغر و الكبر، و على حسب المصلحة ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: مرتفعاً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ من أنواع الفلزّات، كالذّهب و الفضّة و الحديد و النّحاس ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾: طلب حلية ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ كالاواني و آلات الحرث و الحرب ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: مثل زبد الماء، و هو خبثه.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: مثّلهما مثَلَ الحقّ في إفادته و ثباته بالماء الّذي ينزل من السّماء، فيسيل[١] به الأوديةُ على وجه الحاجة و المصلحة، فينتفع به أنواع المنافع، و يمكث في الأرض؛ بأن يثبت[٢] بعضه في منابعه، و يسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون و الآبار، و بالفلزّ الّذي ينتفع به في صوغ الحُلِيّ و اتّخاذ الأمتعة المختلفة، و يدوم ذلك مدّة متطاولة. و الباطل في قلّة نفعه و سرعة اضمحلاله بزبدهما.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: يجفا[٣] به، أي: يرمي به السّيل أو الفلزّ المُذاب. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ كالماء و خلاصة الفلزّ ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ينتفع به أهلها ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ لإيضاح المشتبهات[٤].

١ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «تسيل».
٢ـ في «الف»: «ثبت».
٣ـ الجفاء: ما يرمي به الوادي أو القدرُ من الغثاء إلى جوانبه، يقال: أجفأت القدرُ زبدها: ألقتْه. المفردات: ٩٢ (جفا).
٤ـ في «الف»: «الشّبهات».

القمّي: يقول: أنزل الحقّ من السّماء فاحتمله القلوب بأهوائها؛ ذواليقين على قدر يقينه، و ذو الشّكّ على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً و جُفاءً، فالماء هو الحقّ، و الأودية هي القلوب، و السّيل هو الهوى، و الزّبد و خَبْثُ الحِلْيَة هو الباطل، و الحلية و المتاع هو الحقّ. من أصاب الحلية و المتاع في الدّين انتفع به، و كذلك صاحب الحقّ يوم القيامة ينفعه، و من أصاب الزَّبَدَ و خَبْثَ الحلية في الدّنيا لم ينتفع، و كذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به [1].

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾: الاستجابة الحسنى ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يعني: كذلك يضرب الأمثال للفريقَيْنِ؛ و ما بعده كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين، و يحتمل عدم تعلّقه بما قبله ويراد بالحسنى: المثوبة الحُسْنىٰ، و يكون ما بعده متعلّقاً به. كذا قيل [2]. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ قال: «هو أن لا تُقبَلَ لهم حسنةٌ و لا تُغفَرَ لهم سيّئةٌ» [3]. وورد: «من نوقش في الحساب عذّب» [4]. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: يمهّدون في النّار.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ فيستجيب ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾: اعمى القلب، لا يستبصر فيستجيب. و الهمزة للإنكار، يعني: لا شبهة في عدم تشابههما بعد ما ضُرِبَ من المَثَلِ، فإنّ بينهما من البون ما بين الزّبد و الماء، و الخَبْث والإبريزِ [5]. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول المُبرّأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: ما عقدوه على أنفسهم لله ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾:

١ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٢ـ الكشّاف ٢: ٣٥٦؛ والبيضاوي ٣: ١٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ المصدر. و فيه: «و من نوقش الحساب عذّب».
٥ـ ذَهَبٌ إبْرِيزٌ و إبْرِيزِيٌّ: خالصٌ. القاموس المحيط ٢: ١٧٢ (برز).

ما وثّقوه من المواثيق بينهم و بين الله و بين العباد. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و ما عاهدهم عليه، و ما أخذ عليهم من الميثاق في الذرّ، من ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام بعده»[1].

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الرّحم، و لا سيّما رحم آل محمّد عليهم السّلام و يندرج فيه موالاة المؤمنين و مراعاة حقوقهم. قال: «نزلت في رحم آل محمّد [عليه و آله السّلام][2] و قد تكون في قرابتك. ثمّ قال: فلا تكوننّ ممّن يقول للشّيء: إنّه في شيء واحد»[3]. و ورد: «الرّحم معلّقة بالعرش تقول: اللّهمّ صِلْ مَنْ وصلني و اقطع مَنْ قطعني، و هو رحم آل محمّد، و هو قول الله: "والّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل"، و رحم كلّ ذي رحم»[4]. و في رواية: «و رحم كلّ مؤمن»[5]. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ قال: «أن تُحْسَبَ عليهم السّيّئاتُ و لا تحسب لهم الحسنات»[6]. و ورد: «إنّه تلا هذه الآية حين وافى رجلاً استقصى حقّه من أخيه، و قال: أتراهم يخافون أن يظلمهم أو يجور عليهم؟ لا، و لكنّهم خافوا الاستقصاء و المداقّة، فسمّاه الله سوء الحساب، فمن استقصى فقد أساء»[7].

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على القيام بأوامر الله و مشاقّ التّكاليف، و على المصائب في النّفوس و الأموال، و عن معاصي الله ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا

١ـ القمّي ١: ٣٦٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٢ـ ما بين المعقوفتين من المصدر.
٣ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٠٨، الحديث: ٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، إلّا أنّ فيه: «و رحم كلّ مؤمن» بدل «و رحم كلّ ذي رحم».
٥ـ المصدر.
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٩؛ و العيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث: ٣٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع: الكافي ٥: ١٠٠، الحديث ١؛ والعيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث: ٤١؛ والقمّي ١: ٣٦٤؛ ومعاني الأخبار: ٢٤٦، الحديث: ١، جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف وتفاوت.

﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ طلباً لرضاه[1] ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: يدفعونها بها، فيُجازُون الإساءة بالإحسان، و يُتْبِعُون[2] الحسنةَ السيّئةَ فتمحوها. ورد: «أتبعِ السيّئةَ بالحسنة تمحها»[3]. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: عاقبةُ الدّنيا و ما ينبغي أن يكون مآلَ أهلها، و هي الجنّة.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾. العَدْنُ: الإقامة، أي: جنّاتٌ يقيمون فيها. قال: «جنّة عدن في وسط الجنان، سورها ياقوت أحمر و حَصْبَاؤُها[4] اللّؤلؤ»[5]. ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: «من أبواب غُرَفِهِمْ». كذا ورد[6].

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾. القمّي: نزلت في الأئمّة عليهم السّلام و شيعتهم الّذين صبروا[7]. و ورد: «نحن صُبَّرٌ[8] و شيعتنا أصبر منّا، لأنّا صبرنا بعلم، و [شيعتنا][9] صبروا على ما لا يعلمون»[10].

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول. القمّي: يعني: في أمير المؤمنين عليه السلام و هو الّذي أخذ الله عليهم في الذّرّ، و أخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ[11]. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الرّحِم وغيرها ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالظّلم و تهييج الفتن ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ

١ـ في «ب»: «طلباً لرضاء الله».
٢ـ في «الف»: «يبتغون».
٣ـ القمّي ١: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الحَصْباء: الحَصَى واحدتها حَصَبَة. القاموس ١: ٥٧ (حصب).
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٣، ذيل الحديث: ٩٠٥، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ـ الكافي ٨: ٩٨، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٨ـ في «ب» و المصدر: «صُبَّرْنا».
٩ـ ما بين المعقوفتين من «ب» و «ج».
١٠ـ القمّي ١: ٣٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ـ المصدر: ٣٦٣.

﴿ٱلنَّارِ﴾: عذاب النّار.

﴿ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه و يُضيّقه دون غيره ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم فيها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: في جنبها ﴿إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾: إلاّ شيء قليل يتمتّعُ به ثمّ يفنى؛ يعني: أنّهم أشِروا[1] بما نالوا من الدّنيا، ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيمَ الآخرة، و اغترّوا بما هو في جنبه نَزْرٌ[2]، قليل النّفع، سريع الزّوال.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: من أقبل إلى الحقّ و رجع عن العناد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: تَسكُنُ إليه، أُنساً به و اعتماداً عليه ورجاءً منه. قال: «بمحمّد ﷺ تطمئنّ، و هو ذكر الله و حجابه»[3]. و القمّي: «الّذين آمنوا»: الشّيعة، و ذكر الله: أميرُ المؤمنين و الائمّةُ عليهم السّلام[4]. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾. قال: «طوبى شجرةٌ في الجنّة، أصلها في دار النّبيّ ﷺ، و ليس من مؤمن إلاّ و في داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلاّ أتاه به ذلك، و لو أنّ راكباً مُجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، و لو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً، الا ففي هذا فارغبوا»[5]. و في رواية: «أصلها في دار عليّ بن

١ـ أشِرَ من باب تَعِبَ: بَطِر وكَفَر النّعمة فلم يشكرها. المصباح المنير ١: ٢١ (اشر).
٢ـ النَّزْرُ: القليل. القاموس المحيط: ٢: ١٤٦ (نزر).
٣ـ العيّاشي ٢: ٢١١، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٥ـ الكافي ٢: ٢٣٩، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أبي طالب»[١]. و ورد: «إنّه قيل للنّبيّ ﷺ في ذلك، فقال: إنّ داري و دار عليّ في الجنّة بمكان واحد»[٢].

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾: و حالهم أنّهم يكفرون بالواسع الرّحمة، الّذي احاطت بهم نعمتُهُ، و وسعت كلّ شيء رحمتُه. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: زُعْزِعَتْ عن مقارِّها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: تَصَدَّعَتْ من خشية الله و تشقّقتْ ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ فتسمعُ وتُجيبُ، لكان هذا القرآن؛ لعظم قدره و جلالة شانه. القمّي: لو كان شيء من القرآن كذلك لكان هذا[٣]، و ورد: «وقد ورثنا نحن هذا القرآنَ، الّذي فيه ما تُسَيَّرُ به الجبالُ، وتُقَطَّعُ به البلدانُ، و يُحْيىٰ به الموتى»[٤]. ﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: بل لله القدرةُ على كلّ شيء.

﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. قيل: أي: أفلم يعلم؟ و هي لغة قوم من النّخع[٥]. وقيل: إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه، لأنّ اليائس عن الشّيء عالم بأنّه لايكون[٦]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «أفلم يتبيّن»[٧]. ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾[٨]: داهيةٌ تقرعُهُم من[٩] صنوف

١ ـ كمال الدّين ٢: ٣٥٨، الباب: ٣٣، الحديث: ٥٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩١، عن أبي الحسن، عن آبائه عليهم السّلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٤ ـ الكافي ١: ٢٢٦، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الاوّل ﷺ.
٥ ـ النَّخع ـ محرّكة ـ قبيلةٌ باليمن. القاموس المحيط ٣: ٩٠(نخع).
٦ ـ الكشّاف ٢: ٣٦٠.
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٨ ـ القارعة: البليّة الّتي تقرعُ القلبَ بشدّة المخافة. مجمع البحرين ٤: ٣٧٧(قرع).
٩ ـ في «ب»: «عن».

المصائب، في أنفسهم و أموالهم. قال: «[هي] ١ النَّقمة» ٢ ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها و يتطاير إليهم شررها٣، كالسّرايا الّتي يبعثها رسول الله ﷺ فتُغير حواليهم، و تختطف مواشيهم. قال: «تحلّ بقوم غيرهم، فيرون ذلك و يسمعون به، والّذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم، و لا يتّعظ بعضهم ببعض» ٤.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قال: «و لن يزالوا كذلك، حتّى يأتي وعد الله الّذي وعد المؤمنين من النّصر، و يخزي الله الكافرين» ٥. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾. الإملاء: أن يُترك مُلاءةً ٦ من الزّمان في أمن و دعة. يعني: طوّلتُ لهم الأمل ثمّ أهلكتهم. و هو تسلية لرسول الله ﷺ، و وعيد للمستهزئين به. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: عقابي إيّاهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: رقيب عليه حافظ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خيرٍ و شرٍّ، فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم ٧، و لا يفوت عنه شيء من جزائهم، كمن ليس كذلك؟ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ مَنْ هُمْ؟ أو صفوهم، فانظروا هل لهم ما يستحقّون به العبادة، و يستأهلون الشّركة؟ ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾: بل أتنبّؤونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: بشركاءَ لا يَعلَمُهُمْ في الأرض، و هو العالم بما في السّماوات و الأرض. فإذا لم يَعلَمْهُمْ فإنّهم ليسوا بشيء يتعلّق به العلم. و المراد: نفي أن يكون له شركاء. ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾: أم تسمّونهم شركاءَ بظاهر من القول؛ من غير حقيقة و اعتبار، كتسمية الزّنجيّ كافوراً. أنظر إلى هذه الأساليب العجيبة في الاحتجاج، كيف تنادي بلسانٍ فصيح: أنّها ليست من كلام البشر. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: تمويههم،

١- ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ و ٤- القمّي ١: ٣٦٥-٣٦٦ عن أبي جعفر عليه السلام.
٣- في «ألف»: «شرها».
٥- القمّي ١: ٣٦٥-٣٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦- المُلاءة - بالحركات الثّلاث - اي: حيناً و برهةً. مجمع البحرين ١: ٣٩٨ (ملا).
٧- في «ألف»: «أحوالهم».

فتخيّلوا[1] أباطيل ثمّ خالوها. ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيلِ الحقّ ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: يَخذُلْهُ ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يوفّقه للهدى.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل و الأسر و سائر المصائب ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ لشدّته و دوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: من دافع.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: صفتها الّتي هي مَثَلٌ في الغرابة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾: لا مقطوعةٌ و لا ممنوعةٌ ﴿وَظِلُّهَا﴾ كذلك ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قال: «أي: يفرحون بكتاب الله إذا يُتلىٰ عليهم، و إذا تَلَوْهُ تفيض أعينهم دمعاً من الفزع و الحزن»[2]. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾: مَنْ تحزّب على رسول الله بالعداوة ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ و هو ما يخالف شرائعهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ فإنكاركم إنكار لعبادة الله و توحيده. ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾ لا إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾: و إليه مرجعي لا إلى غيره.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ مأموراً فيه بعبادة الله و توحيده، و الدّعوة إليه و إلى دينه ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: حِكْمَةً عربيّةً، مُتَرْجَمَةً بلسان العرب ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ في أُمور يدعونك إلى أن تُوافِقَهُمْ عليها ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بنسخ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ ينصرك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يمنع العقاب عنك، و هو حَسْمٌ لأطماعهم، و تهييج للمؤمنين على الثّبات في دينهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ بشراً مثلك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: نساءً و أولاداً. ردٌّ لتعييرهم إيّاه بكثرة الأزواج. قال: «فما كان رسول الله إلّا كاحد أُولئك، جعل الله له أزواجاً، و جعل له ذرّيّةً، لم يُسْلِمْ مع احدٍ من الأنبياء من أسلم من

[1] ـ في «ج»: «فيخيّلوا».
[2] ـ القمّي ١: ٣٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

أهل بيته، أكرم الله بذلك رسوله»[١]. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ يُقْتَرحُ عليه و يُلْتَمسُ منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فإنّه القادر على ذلك. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكلّ وقت حُكْمٌ يُكْتَبُ على العباد، و لهم ممّا يقتضيه صلاحهم.

﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: يَنْسَخُ ما ينبغي نسخه، و يُثْبِتُ ما يقتضيه حكمته، و يمحو سيّئات التّائب، و يُثْبِتُ الحسنات مكانها، و يمحو من كتاب الحَفَظَة ما لا يتعلّق به جزاء، و يترك غيره مُثْبَتاً، أو يُثْبِتُ ما رآه في صميم قلب عبده، و يمحو الفاسدات و يُثْبِتُ الكائنات، و يمحو قَرْناً و يثبت آخرين. و الأخير مرويّ[٢]، و هو أحد معانيه. و قال: «هل يُمْحىٰ إلّا ما كان ثابتاً، و هل يُثْبَتُ إلّا ما لم يكن؟»[٣].

و ورد: «إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة و الرّوح و الكَتَبَةُ إلى سماء الدّنيا، فكتبوا ما يكون من قضاء الله تلك السّنة. فإذا أراد الله ان يُقدِّم شيئاً أو يؤخّره أو ينقص[٤] شيئاً، أمر المَلَكَ ان يمحو ما يشاء، ثمّ أثبت الّذي أراد»[٥].

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: أصل الكتب؛ و هو اللّوح المحفوظ عن المحو و التّبديل، و هو جامع للكلّ، ففيه إثبات المُثْبَت و إثبات المَمْحوّ[٦]، و محوه و إثبات بدله.

قال: «هما كتابان: كتابٌ سوى أُمّ الكتاب، يمحو الله منه ما يشاء و يثبت؛ و أُمّ الكتاب لا يُغَيَّرُ منه شيء»[٧].

و في رواية: «هما أمران: موقوف و محتوم، فما كان من محتوم أمضاه، و ما كان من موقوف فله فيه المشيّة يقضي فيه ما يشاء»[٨].

١ـ العيّاشي ٢: ٢١٤، الحديث: ٥١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ١٤٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ألف» و «ج»: «ينقض».
٥ـ راجع: القمّي ١: ٣٦٦؛ و العيّاشي ٢: ٢١٦، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٦ـ في جميع النّسخ: «إثبات المحو». و ما أثبتناه من الصافي.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.
٨ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ يعني و كيفما دارت الحال من الأمرين ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ لا غير ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ للمجازاة لا عليك، فلاتحتفل بإعراضهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾: بإذهاب أهلها. قال: «يعني بذلك ما يهلك من القرون، فسمّاه إتياناً»[1]. و في رواية: «هو ذهاب العلماء»[2].

اقول: و على هذا التّفسير يكون الأطراف جمع طَرْفٍ بالتّسكين. قال في الغريبين[3]: أطراف الأرض: علماؤها و أشرافها، الواحد طَرْفٌ، و يقال طَرَفٌ أيضاً.

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا رادّ له، و المُعقِّبُ: الّذي يعقّب الشّيء فيبْطله. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. فيحاسبهم عمّا قليل.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ لا يُؤْبَهُ بمكر دون مكره، فإنّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيُعِدُّ جزاءه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ يعني: العاقبة المحمودة، و هذا كالتّفسير لمكر الله بهم.

القمّي: المكر من الله هو العذاب[4].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال: «إيّانا عنى، و عليٌّ أوّلنا، و أفضلُنا، و خيرُنا بعد النّبيّ ﷺ»[5].

---

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن امير المؤمنين عليه السلام.

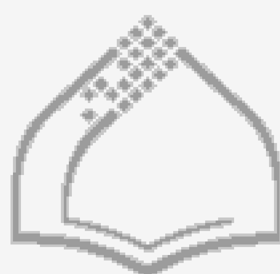
٢ ـ الكافي ١: ٣٨، الحديث: ٦، عن أبي جعفر، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السّلام. و في «ب»: «ذهاب العلماء».

٣ ـ لايوجد لدينا هذا الكتاب. راجع: أساس البلاغة: ٣٨٨؛ ولسان العرب ٩: ٢١٨؛ وتاج العروس ٢٤: ٧٩ (طرف)؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٠.

٤ ـ القمّي ١: ٣٦٧.

٥ ـ الكافي ١: ٢٢٩، الحديث: ٦؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٠، الحديث: ٧٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

و سئل عليّ عليه السلام عن افضل منقبة له فقرأ هذه الآية و قال: «إيّاي[1] عَنَى بـ ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾»[2].



١ ـ في «الف»: «إيّانا».
٢ ـ الاحتجاج ١: ٢٣٢.

سورة إبراهيم

[مكيّة، و هي اثنتان و خمسون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من الكفر و انواع الضّلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إلى الإيمان والهدى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾: بتوفيقه و تسهيله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾. بدل من قوله: «إلى النُّور».

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾.

الويل الهلاك، نقيض الوأل و هو النّجاة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يختارونها عليها ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾: يطلبون لها اعوجاجاً ليقدحوا فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: إلّا بلغة قومه الّذين هو منهم و بُعِثَ فيهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ ما أُمروا به فيفقهوه بيسرٍ و سرعةٍ.

1ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».

ورد: «و منّ عليّ ربّي وقال: يا محمّد قد أرسلت كلّ رسول إلى أُمّة بلسانها، و أرسلتك إلى كلّ أحمر و أسود من خلقي»[١].

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ بالتّوفيق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَ ذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: «بنعم الله و آلائه»[٢]. و قيل: بوقائعه الواقعة على الأمم الماضية[٣]. و في رواية: «أيّام الله: يوم يقوم القائم و يوم الكرّة و يوم القيامة»[٤]. و القمّي: أيّام الله ثلاثة: يوم القائم و يوم الموت و يوم القيامة[٥].

أقول: لا منافاة بين هذه التّفاسير، لانّ النّعمة على المؤمن نقمة على الكافر، وكذا الأيّام المذكورة نعمٌ لقوم و نقمٌ لآخرين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ يصبر على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ يشكر لنعمائه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يكلّفونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: استعبادكم بالأفعال الشّاقّة، كما سبق في سورة البقرة[٦]. ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: و اذكروا إذ أعلم ربكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الانجاء و غيره، بالإيمان و العمل الصّالح ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة. ورد: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه، و حمد الله ظاهراً بلسانه، فتمّ

١ ـ الخصال ٢: ٤٢٥، الحديث: ١، عن النّبيّ ﷺ، و فيه: «إلى أُمّته».
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٤؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٣: ١٥٦؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٤.
٤ ـ الخصال ١: ١٠٨، الحديث: ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ القمّي ١: ٣٦٧.
٦ ـ في ذيل الآية: ٤٩.

كلامه حتّى يُؤْمَر له بالمزيد»[١]. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ قال: «هو كفر النّعم»[٢].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحقّ للحمد في ذاته و إن لم يَحْمَدْهُ حامدٌ، محمود يحمَدُه نفسُه وملائكته و سائر المخلوقات، «و إنْ من شيْءٍ إلاّ يُسبّح بحَمْده»[٣].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾. القمّي: أي: في أفواه الأنبياء[٤]. أقول: يعني منعوهم من التكلّم، و هو تمثيل.

﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقت سمّاه الله و جعله آخر أعماركم. ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لا فضل لكم علينا، فلمَ خُصِصْتُم بالنّبوّة دوننا؟!. ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بحجّةٍ واضحةٍ. أرادوا بذلك ما اقترحوه من الآيات، تعنّتاً وعناداً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾. سلّموا مشاركتهم في البشريّة، و جعلوا الموجب لاختصاصهم بالنّبوّة فضلَ الله، و منّه عليهم بخصائص فيهم ليست في أبناء جنسهم. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

١ـ الكافي ٢: ٩٥، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الإسراء (١٧): ٤٤.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٨.

فلتتوكّل[1] في الصّبر على معاداتكم. عمّموا للإشعار بما يوجب التّوكّل، و هو الإيمان.

﴿وَمَا لَنَآ﴾ أي: أيّ عذرٍ لنا ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ الّتي بها نعرفه، و نعلم أنّ الأمور كلّها بيده ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾. حلفوا على أن يكون أحد الأمرين؛ و العودُ بمعنى الصّيرورة، لأنّهم لم يكونوا[2] على ملّتهم قطّ. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: أرضهم و ديارهم. ورد: «من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورّثه الله داره»[3]. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي: موقفي للحساب ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي: و عيدي بالعذاب.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾. سألوا من الله الفتح على أعدائهم، أو القضاء بينهم و بين أعدائهم[4]. مِنَ الفُتاحَة، بمعنى الحكومة. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾. قال: «يعني: مَنْ أبى أن يقول لا إله إلاّ الله»[5]. و في رواية: «العَنِيدُ: المعرض عن الحقّ»[6].

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾: من بين يدي هذا الجبّار نارُ جهنّم، فإنّه مرصد بها، واقف على شفيرها في الدّنيا، مبعوث إليها في الآخرة. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ أي: يُلْقىٰ فيها و يسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «و يسقى ممّا يسيل من الدّم و القيح من فروج الزّواني في النّار»[7].

١ـ في «ب»: «فليتوكل».
٢ـ في «الف»: «لا يكونوا».
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨، مرفوعاً عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ في «ب» و «ج»: «أعاديهم».
٥ـ التّوحيد: ٢١، الباب: ١، الحديث: ٩، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ٣٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و في رواية: «يقرب إليه فيكرهُهُ، فإذا أُدني منه شوى و جهه و وقع فروةُ رأسه[١]، فإذا شرب قُطِّعَ أمْعـاؤه[٢] حتّى يخرج من دبره، يقول الله عزّوجلّ: "وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أمْعاءَهُمْ"[٣]، و يقول: "وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوه[٤]"»[٥].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلّف جرعه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: و لا يُقارب أن يُسيغه، فكيف يسيغه؟ ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: أسبابه من الشّدائد، فيُحيط به من جميع الجهات ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: و من بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: يستقبل في كلّ وقت عذاباً أشدّ ممّا هو عليه. قال: «إنّ أهل النّار لمّا غَلَى الزّقّومُ و الضّريع[٦] في بطونهم كغَلْي الحميم، سألوا الشّراب فأُتوا بشراب غَسّاقٍ[٧] و صديد "يتجرّعه و لا يكاد يسيغه، و يأتيه الموت من كلّ مكان و ما هو بميّت، و من ورائه عذاب غليظ": حميم[٨]، يغلي به جهنّم منذ خلقت "كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً"»[٩].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾: صفتهم الّتي هي مثلٌ في الغرابة ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: حملته و اسرعت الذهاب به ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾. العَصْفُ: اشتداد الرّيح. وُصِفَ به اليوم للمبالغة. شبّه مكارمهم ـ من الصّدقة و صلة الرّحم و عتق الرّقاب

١ـ في المصدر: «وقعت»، و وَقَعَ: سَقَطَ؛ و الفَرْوَةُ: جِلْدَةُ الرّأسِ. القاموس المحيط ٣: ٩٩ (وقع) و ٤: ٣٧٦ (فرو).
٢ـ في «الف» و «ج» والمصدر: «قطّعَ أمعاءه».
٣ـ سورة محمّد (٤٧): ١٥.
٤ـ الكهف (١٨): ٢٩.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٨، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ الزّقّوم: شجرة مرّة، كريهة الطّعم و الرّائحة، و الضّريع ـ على ما نقل عن رسول الله ﷺ ـ: شيءٌ يكون في النّار يشبه الشّوك. امرّ من الصبر و انتن من الجيفة و اشدّ حرّاً من النّار. مجمع البحرين ٤: ٣٦٤ (ضرع) و ٦: ٧٩ (زقم).
٧ـ الغَسّاق: ما يُغْسَقُ من صديد أهل النّار أي: يَسيل، يقال: غَسَقَت العين: إذا سالت دموعها. مجمع البحرين ٥: ٢٢٣ (غسق).
٨ـ في المصدر: «و حميم».
٩ـ العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث: ٧، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن عليّ عليهم السّلام. والآية في سورة الكهف (١٨): ٢٩.

و إغاثة الملهوف في حبوطها و ذهابها هباءً منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله، والتوجّه بها إليه ـ برماد طيّرته الريح العاصف. ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ منها ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يعني لا يرون لشيء منها ثواباً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ضلالهم مع حسبانهم أنّهم محسنون ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ في غاية البعد عن الحقّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة و الغرض الصّحيح، ولم يخلقها عبثاً باطلاً ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر، أو متعسّر.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني يوم القيامة. ذُكرَ بلفظ الماضي لتحقّق و قوعه. ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: ضعفاء الرّاي، يعني الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: لرؤسائهم. قال: «أفتدرون الاستكبار ما هو؟ هو ترك الطّاعة لمن أُمروا بطاعته، و الترفّع على من نُدبوا إلى متابعته»[1]. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: منجىً و مهربٍ من العذاب.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾. قال: «كلّما كان في القرآن "قال الشيطان" يريد به الثاني»[2]. ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾. القمّي: أي: لمّا فرغ من أمر الدّنيا من أوليائه[3]. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ من البعث و الجزاء، فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾: فلم أوف لكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ فاجبركم على الكفر والعصيان ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ بتسويلي و وسوستي ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أسرعتم إجابتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بوسوستي، فإنّ من صرّح بعداوته لا يلام بأمثال ذلك ﴿وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ حيث اغتررتم ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنتُم

١ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨.

﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمغيثيّ، لا ينجي بعضنا بعضاً ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: تبرّأت منه. قال: «إنّ الكفر في هذه الآية البراءة»[١]. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. من تتمّة كلامه، أو استيناف.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: قولاً حقّاً و دعاءً إلى صلاح ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يطيب ثمرها، كالنّخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾: تعطي ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كلّ وقت وقّته الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. قال: «هذا مثل ضربه الله لأهل بيت نبيّه و لمن عاداهم»[٢]. و سئل عن هذه الشّجرة؟ فقال: «رسول الله ﷺ أصلها، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه فرعها، و الأئمّة من ذرّيتهما أغصانها، و علم الأئمّة ثمرها، و شيعتهم المؤمنون ورقها»[٣]. و قال: «"تؤتي أكلها كلّ حين": ما يخرج من علم الإمام إليكم في كلّ سنة من كلّ فجّ عميق»[٤].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: قول باطل، و دعاء إلى ضلال أو فساد ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لايطيب ثمرها، كشجرة الحنظل ﴿اجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت و أُخذت جثّته بالكلّيّة ﴿مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ لأنّ عروقها قريبة منه ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾. قال: «إنّ هذا مثل بني أُميّة»[٥].

١ـ الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٢٢٤، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «و شيعتهم ورقها».
٤ـ كمال الدّين ٢: ٣٤٥، الباب: ٣٣، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه بدل قوله: «من كلّ فجّ عميق»: «من حجّ وعمرة».
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

و قال: «كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السّماء»[١].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الّذي ثبت بالحجّة و البرهان عندهم، و تمكّن في قلوبهم و اطمأنّت إليه أنفسهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا يزلّون إذا افتتنوا في دينهم ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا يتلعثمون[٢] إذا سئلوا عن معتقدهم ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الّذين ظلموا أنفسهم بالجحود و الاقتصار على التّقليد، فلا يهتدون إلى الحقّ، ولاتثبتون في مواقف الفتن. قال: «يعني يضلّهم يوم القيامة عن دار كرامته»[٣].

ورد: «إنّ الشّيطان ليأتي الرّجل من أوليائنا عند موته عن يمينه و عن شماله ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله له ذلك، و ذلك قول الله عزّو جلّ: "يثبّت الله الّذين آمنوا" الآية»[٤]. ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دار الهلاك؛ بحملهم[٥] على الكفر.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾. قال: «عنى بها قريشاً قاطبةً، الّذين عادوا رسول الله و نصبوا له الحرب، و جحدوا وصيّه»[٦].

و في رواية: «هم الأفجَران من قريش: بنو أُميّة و بنو المُغيرة؛ فأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين؛ و أمّا بنو المُغيرة فكفيتموهم يوم بدر»[٧].

و في أُخرى: «ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله ﷺ، و عدلوا عن وصيّه لايتخوّفون أن ينزل بهم العذاب؟! ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: نحن و الله نعمة الله الّتي

١ـ القمّي ١: ٣٦٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ تَلَعْثَمَ الرّجل في الأمر: إذا تمكّث فيه و تأنّى. مجمع البحرين ٦: ١٦٢ (لعثم).
٣ـ التّوحيد: ٢٤١، الباب: ٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٦٣؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في «الف» و «ب»: «يحملهم».
٦ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «وصيّة وصيّه».
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٤، عن عليّ عليه السلام.

أنعم الله بها على عباده، و بنا يفوز من فاز يوم القيامة»[١].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أقيموا الصلاة، أو ليقيموا[٢] ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾. قال: «إنّه من الحقوق الّتي هي غير الزّكاة المفروضة»[٣]. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاعَ المقصّر ما يتدارك به تقصيره، أو يفدي به نفسه ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: و لا مُخالّة، فيشفعَ لك خليل. القمّي: لا صداقة[٤].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تعيشون به. يشمل المطعوم و الملبوس و غيرهما ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾: يدأبان في سيرهما لا يفتُران في منافع الخلق. قال: «في مرضاته»[٥]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لسباتكم[٦] ومعاشكم.

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: ما كان حقيقاً بأن يسأل. سئل أولم يسأل. قال: «و الشّيء الّذي لم تسأله إيّاه أعطاك»[٧]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من كلٍّ بالتّنوين»[٨]. ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تعدّوها و لا تطيقوا حصر أنواعها فضلاً عن أفرادها ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ﴾ للنّعمة لا يشكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ يكفرها.

١ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «نحن النّعمة الّتي ...».
٢ـ في «ب» و «ج»: «أقيموا الصّلاة يقيموا، أوليقيموا».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث: ٢٩، مضمراً.
٤ـ القمّي ١: ٣٧١.
٥ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ١٢٣، الخطبة: ٩٠.
٦ـ في «ألف»: «للباسكم». والسُّبات: نوم المريضِ والشيخِ المُسنّ، وهو النّومة الخفية. وأصله من السَّبْت: الرّاحة والسّكون. النّهاية ٢: ٣٣١ (سبت).
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث: ٣٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ٥-٦: ٣١٥، عنهما عليهما السّلام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: [بلد][١] مكّة ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن لمن فيها. و قد مرّ بيانه [٢]. ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾. قال: النّبيّ ﷺ: «فانتهت الدّعوة إليّ و إلى أخي عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً و عليّاً وصيّاً» [٣].

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: صرن سبباً لإضلالهم ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ قال: «من اتّقى الله منكم و أصلح» [٤]. و في رواية: «من أحبّنا فهو منّا أهل البيت. قيل: منكم أهل البيت؟! قال: منّا أهل البيت، قال فيها إبراهيم: "فمن تبعني فإنّه منّي"» [٥]. ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال: «تقدر أن تغفر له و ترحمه» [٦].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾: بعض وُلْدي، و هو إسماعيل و مَنْ وُلِدَ منه. قال: «نحن هم، و نحن بقيّة تلك الذّرّيّة» [٧]. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ يعني: وادي مكّة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: الّذي حرّمتَ التّعرّض له و التّهاون به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: بعضهم. قال: «أما إنّه لم يعن النّاس كلّهم، أنتم أُولئك ونظراؤكم، إنّما مثلكم في النّاس مَثَلُ الشّعرة البيضاء في الثّور الأسود، أو مثل الشّعرة السّوداء في الثّور الأبيض» [٨]. ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تسرَعُ إليهم، شوقاً ووداداً. و في قراءتهم عليهم السّلام: «تهوَى بفتح الواو» [٩]. مِنْ: هَوِيَ كرَضِيَ: إذا أحبّ؛ و تعديته بـ«إلى» لتضمين معنى النّزوع. قال: «و لم يعن البيت فيقول: "إليه"، فنحن والله دعوة إبراهيم» [١٠] ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال: «يعني من

١ـ مابين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٢ـ في سورة البقرة: ١٢٦.
٣ـ الأمالي (للطّوسي) ١: ٣٨٨.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الصّافي ٣: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢٣٣، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣١٧، عن أمير المؤمنين و الصّادقين عليهم السّلام.
١٠ـ الكافي ٨: ٣١١، الحديث: ٤٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

ثمرات القلوب»[1]. أي: حبّبهم إلى النّاس ليأتوا إليهم و يعودوا. و في رواية: «إنّ الثّمرات تُحْمَلُ إليهم من الآفاق، و قد استجاب الله له حتّى لا يوجد في بلاد الشّرق و الغرب ثمرة لا توجد فيها؛ حتّى حكي أنّه يوجد فيها في يوم واحد فواكه ربيعيّة و صيفيّة وخريفيّة و شتائيّة»[2]. و قد سبقت رواية أُخرى في سورة البقرة عند قوله: "و ارزق أهله من الثّمرات"[3]. و ورد: «إنّه نظر إلى النّاس حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة، إنّما أُمروا أن يطوفوا بها، ثمّ ينفروا إلينا فيُعلِموننا ولايتهم و مودّتهم، ويَعرِضوا علينا نصرتهم. ثمّ قرأ هذه الآية»[4].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾: تعلم سرّنا و علانيتنا. و المعنى: أنّك أعلم بأحوالنا و مصالحنا و أرحم بنا منّا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطّلب، لكنّا ندعوك إظهاراً لعبوديّتك، و افتقاراً إلى رحمتك، و استعجالاً لنيل ما عندك. ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: لَمجيبه[5]؛ مِنْ سمعه: إذا اعتدّ به. و فيه إشعار بأنّه دعا ربّه و سأل منه الولد، فأجابه حين ما وقع اليأس منه.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: معدلاً لها[6]، مواظباً عليها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾: وبعض ذرّيّتي ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾: عبادتي.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ قال: «آدم و حوّاء»[7]. و في قراءتهم عليهم السّلام:

١ـ القمّي ١: ٣٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عوالي اللّئالي ٢: ٩٦، الحديث: ٢٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ راجع: ذيل الآية: ١٢٦.
٤ـ الكافي ١: ٣٩٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ في «الف»: «يجيبه».
٦ـ في «ب»: «مُعداً لها».
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣٤ـ٢٣٥، الحديث: ٤٦، عن أحدهما عليهما السّلام.

«و لولَدَيَّ»[1]. قال: «هذه كلمة صحّفها الكُتّاب، إنّما كان استغفاره لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه، و إنّما كان: ربّنا اغفرلي و لولَدَيَّ يعني إسماعيل و إسحاق»[2]. ﴿وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾. القمّي: تبقى أعينهم مفتوحةً من هول جهنّم؛ لا يقدرون أن يَطْرِفُوا[3].

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الدّاعي، أو مقبلين بأبصارهم لا يَطْرِفُون هيبةً و خوفاً؛ و الاهطاع: الإقبال على الشّيء. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بل بقيت عيونهم شاخصةً لا تطرف ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ قيل: خَلاءٌ. أي: خالية عن العقول لفرط الحيرة و الدّهشة، لا قوّة لها و لا جراة و لا فهم[4]. و القمّي: قلوبهم تتصدّع من الخفقان[5].

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ القمّي: أي: لا تهلكون[6].

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما شاهدتم في منازلهم من آثار ما نزل بهم، و ما تواتر عندكم من أخبارهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ فلم تعتبروا.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ المستفرغ فيه جهدهم، لإبطال الحقّ و تقرير الباطل

١ـ العيّاشي ٢: ٢٣٥، الحديث: ٤٧، عن أحدهما عليهما السّلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٧، عن المجتبىٰ و الباقر عليهما السّلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٧٢، و فيه: «يطرفوها». طرف بَصَرَه: أطبق أحد جَفْنَيْه على الآخر. القاموس المحيط ٣: ١٧٢ (طرف).
٤ـ البيضاوي ٣: ١٦٣؛ و الكشّاف ٢: ٣٨٢.
٥و٦ـ القمّي ١: ٣٧٢.

﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: و مكتوب عنده مكرهم فهو مجازيهم عليه، أو عنده ما يَمْكُرُهم به جزاءً لمكرهم. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ في العظَم و الشدّة. القمّي: مكر بني فلان[1].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ قال: «يعني بأرضٍ لم تكسب[2] عليها الذنوب، بارزةً ليس عليها جبال و لا نبات، كما دحاها أوّل مرّة»[3]. و في رواية: «تبدّل[4] الارض خبزةً نقيّةً يأكل النّاس منها حتّى يفرغوا من الحساب»[5]. ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ يعني: والسّماوات غير السّماوات. روي: «أرضاً من فضّة و سماواتٍ من ذهب»[6]. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ لمحاسبته و مجازاته.

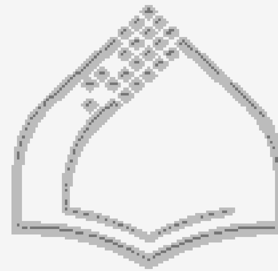
﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾. القمّي: مقيّدين بعضهم إلى بعض[7]. قيل: لعلّ ذلك بحسب مشاركتهم في العقائد و الأخلاق و الأعمال[8].

﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قُمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ و هو ما يُطلى به الإبل الجَربى، فيُحرِقُ الجَرَبُ و الجِلدُ، و هو أسود منتن يشتعل فيه النّار بسرعة. وورد: «هو الصُّفْرُ الحارّ الذائب. يقول الله: انتهى حرّه»[9]. أقول: بناءُ هذا الحديث على قراءة: " قطْرٍ آنٍ"، فإنّ القطْرَ: النُّحاسُ و الصُّفْرُ المذاب؛ و الآني: المتناهي حرُّه. ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٧٢.
٢ـ في المصدر: «لم تكتسب».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٦، الحديث: ٥٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٤ ـ في «الف»: «يتبدّل».
٥ـ الكافي ٦: ٢٨٦ـ٢٨٧، الحديث: ١ و ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ البيضاوي ٣: ١٦٤، عن عليّ عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٣٧٢.
٨ـ البيضاوي ٣: ١٦٤.
٩ـ القمّي ١: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: يفعل بهم ذلك ليجزى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لأنّه لا يشغله حساب عن حساب. و قد مضى تفسيره [١].

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾: كفاية لهم في الموعظة، لينْصحوا ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.



١ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢٠٢.

سورة الحجر

[مكيّة، وهي تسع وتسعون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾. قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من عندالله لايدخل الجنّة إلاّ مُسْلم، فيومئذ يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين»[2].

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بدنيا[3] ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ عن الاستعداد للمعاد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم، إذا عاينوا الجزاء.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: أجل مقدّر كتب في اللّوح المحفوظ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾. نادوه على سبيل التّهكّم والاستهزاء. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: لتقول قول المجانين، حين تدّعي ذلك.

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٢ ـ القمّي ١: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ في «ج»: «بدنياهم».

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ : هلاّ تاتينا ﴿بِالْمَلَائِكَةِ﴾ ليصدّقوك ويعضدوك ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾في دعواك.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ : بالحكمة والمصلحة ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ :مهلين. يعني لا يمهلهم ساعة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ . ردّ لإنكارهم واستهزائهم. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التّحريف والتّغيير، والزّيادة والنّقصان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ : في فِرَقِهم وطوائفهم. والشّيعة :الفرْقَة إذا اتّفقوا في مذهب وطريقة؛ من شاعَهُ إذا تَبِعَهُ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ . حكاية حال ماضية.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ نُدخلُ الذكر ونُنَظِّمُهُ، مكذّباً به غير مقبول، كذا قيل[1]. وقيل: الضّمير للاستهزاء[2].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ : بالذكر ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنّة الله فيهم، بأن خذلَهم وسلَكَ الكفر في قلوبهم؛ أو بأن أهلكهم حين كذّبوا رسلهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ : سُدّتْ من الإبصار بالسّحر، وخُيِّلَ إلينا على غير حقيقة ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قد سَحَرَنا محمّدٌ بذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ . قال: «البروج: الكواكب، والبروج الّتي للرّبيع والصّيف: الحمل والثّور والجوزاء والسّرطان والأسد والسّنبلة، وبروج الخريف والشّتاء: الميزان والعقرب والقوس والجدي والدّلو والحوت، وهي اثنى عشر برجاً»[3].

١ ـ الكشّاف٢: ٣٨٨.

٢ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٣١؛ والبيضاوي٣: ١٦٦.

٣ ـ القمّي٢: ١٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام.

والقمّي: هي منازل الشّمس والقمر[1].

أقول: معنى البروج القصور العالية، سُمّيت الكواكب بها لأنّها للسّيارات كالمنازل لسُكّانها، واشتقاقه من التّبرّج لظهوره. و ورد: «إنّ للشّمس ثلثمائة وستّين برجاً، كلّ برج منها مِثْل جزيرة من جزاير العرب، تَنْزِلُ كلّ يوم على برجٍ منها»[2].

أقول: وذلك لأنّ سير الشّمس يكون في كلّ برجٍ من البروج الاثنى عشر ثلاثين يوماً تقريباً، فبهذا الاعتبار ينقسم كلّ منها إلى ثلاثين برجاً، فتصير ثلثمائة وستّين. ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ قال: «بالكواكب النّيّرة»[3].

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يقدر أن يَصْعَدَ إليها، ويوسوس أهلها، ويتصرّف في أمرها، ويطّلع[4] على أحوالها.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾: اختلسه سرّاً ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ ولحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين. والشّهاب: شُعْلة نارٍ ساطعة، وقد يُطْلَق للكوكب والسّنان لما فيهما من البريق.

قال: «كان إبليس لعنه الله يخترق السّماوات السّبع، فلمّا وُلِدَ عيسى حُجِبَ عن ثلاث سماوات، وكان يَخْتَرِقُ أربع سموات، فلمّا وُلِدَ رسول الله ﷺ حُجِبَ عن السّبع كلّها، ورُمِيَتْ الشّياطين بالنّجوم. وقالت قريش: هذا قيام السّاعة الّذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه. وقال عمرو بن أُميّة، وكان من أزجر[5و6] أهل الجاهليّة: أُنظروا هذه النّجوم الّتي يُهْتَدَى بها و يُعْرف بها أزمان الشّتاء والصّيف، فإن كان يُرْمَى[7] بها فهو هلاك

١ ـ القمّي ١: ٣٧٣.
٢ ـ الكافي ٨: ١٥٧، الحديث: ١٤٨، عن امير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «فتَنْزِلَ».
٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٣١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ في «الف»: «يتطلّع».
٥ ـ والزَّجْرُ: العيافة، وهو ضرب من التّكهّن. الصّحاح ٢: ٦٦٨ (زجر).
٦ ـ في «الف»: «أرجز».
٧ ـ في «ج» والمصدر: «رمى».

كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورُمِيَ بغيرها فهو أمر حدث»[١] الحديث.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذّهب والفضّة، والجوهر والصُّفْر، والنّحاس والحديد، والرّصاص والكحل والزّرنيخ وأشباه هذه، لاتُباع إلاّ وزناً»[٢].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: وجعلنا لكم من لَستُم له برازقين، من العيال والخدَم والمماليك والحيوانات، وساير ماتحسبون أنّكم ترزقونه حسباناً كاذباً، فإنّ الله يرزقكم وإيّاهم.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾. القمّي: الخزانة: الماء الّذي ينزل من السّماء، فينبت لكلّ ضَرْبٍ من الحيوان ماقدَّرَ الله له من الغذاء[٣].

أقول: هذا تمثيل للتّقريب من أفهام الجمهور وتفسير في الظّاهر؛ وأمّا في الباطن: فالخزائن عبارةٌ عمّا كتبه القلم الأعلى، أوّلاً: على الوجه الكلّي، في لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل، الّذي منه يجري؛ ثانياً: على الوجه الجزئي، في لوح القدر الّذي فيه المحو و الإثبات، مدرّجاً على التّنزيل، ثمّ منه ينزل ويظهر في عالم الشّهادة، وإليه أشير ما ورد: «إنّ في العرش تمثال جميع ماخلَقَ الله من البرّ والبحر. قال: وهذا تأويل قوله تعالى: "وإنْ مِنْ شَيءٍ إلاّ عِنْدَنا خزائنُهُ"»[٤].

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾. القمّي: تَلْقَحُ الأشجار[٥]. و ورد: «لاتسبّوا الرّيح، فإنّها

١ ـ الامالي (للصّدوق): ٢٣٥، المجلس الثّامن والاربعون، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي١: ٣٧٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ ـ القمّي١: ٣٧٥.
٤ ـ روضة الواعظين: ٤٧، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام، وفيه: «في البرّ والبحر».
٥ ـ القمّي١: ٣٧٥.

بُشْر وإنّها نُذُر وإنّها لواقح، فاسألوا الله من خيرها وتعوّذوا به من شرّها»[١]. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أي: نحن الخازنون للماء، القادرون على خلقه في السّماء وإنزاله منها.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾. القمّي: أي: نَرِثُ الأرض ومَنْ عليها[٢].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ قال: «هم المؤمنون من هذه الأمّة»[٣].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ القمّي: الماء المتَصَلْصِل بالطّين[٤]. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: متغيّر. وفي حديث خلْق آدم: «فاغترف جلّ جلاله غرفةً من الماء فصلْصلها فجُمِدَتْ»[٥] الحديث.

والصّلصال: يقال للطّين اليابس الّذي يُصَلصِل، أي: يصوت إذا نقر وهو غير مطبوخ، فإذا طُبِخَ فهو فَخّار. والحمأ: الطّين الأسود المتغيّر. والمسنون: يقال للمصوَّر، وللمصبوب المُفْرَغ، وللمنتن؛ كأنّه أُفْرِغَ الحمأ فصُوِّرَ منها تمثال إنسانٍ أجوف، فيَبِسَ حتّى إذا نُقِرَ صَلْصَلَ، ثمّ غيّر فصيّر إنساناً.

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ يعني أبا الجنّ ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل خلق الإنسان ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: من نار الحرّ الشّديد النّافذ في المَسام[٦].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكر وقت قوله ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٣٩، الحديث: ٤، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٣٧٥.
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٠، الحديث: ٦، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي ١: ٣٧٥.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ ـ السَّمُّ: الثَّقْب، ومَسامُّ الجسد: ثُقَبه. الصّحاح ٥: ١٩٥٣؛ ومصباح المنير ١: ٣٩٤ (سمم).

مَّسۡنُونٖ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾: عدَّلْتُ خِلقته ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ حتّى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيّ. قال: «روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الأرواح، فنفخ منه في آدم»[١]. ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾. قال: «كان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم»[٢]. وقد سبق تفسيره في سورتي البقرة والأعراف[٣].

﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ وهو أخسّ العناصر، وخلقتني من نار وهي أشرفها، غرّته الحميّة وغلبت عليه الشّقوة. وقد سبق جوابه في الأعراف[٤].

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾: من المنزلة الّتي أنت عليها في السّماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾: مطرود من الخير والكرامة.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. فإنّه منتهى أمد اللّعن.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أراد أن يَجِدَ فُسْحَةً في الإغواء ونجاةً من الموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾. قال: «يوم الوقت المعلوم: يوم ينفخ في الصّور نفخة

١ـ التّوحيد: ١٧٠، الباب: ٢٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «فامر فنفخ منه في آدم».
٢ـ علل الشرايع١: ١٠٥، الباب: ٩٦، ذيل الحديث: ١؛ والقمّي١: ٣٧؛ والعيّاشي٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٣ـ البقره، ذيل الآيات: ٣٠الى٣٤؛ والاعراف، ذيل الآية: ١١و١٢.
٤ـ الأعراف(٧): ١٢.

واحدة، فيموت إبليس مابين النّفخة الأُولى والثّانية»[١].

وفي رواية: «إنّ الله أنْظَره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا، كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتّى يَجْثُوَ[٢] بين يديه على ركبتيه، فيقول: يا ويله من هذا اليوم! فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم»[٣].

وفي أُخرى: «يوم الوقت المعلوم: يوم يذبحه رسول الله ﷺ على الصّخرة الّتي في بيت المقدس»[٤].

أقول: يعني عند الرّجعة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: بسبب إغوائك إيّاي: وهو تكليفه إيّاه بما وقع في الغيّ ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: الّذين أخلصتهم لطاعتك، وطهّرتهم من الشّوائب، فلا يَعْمَل فيهم كيدي.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾ أي: هذا طريق حقّ، عَلَيَّ أن أراعيَهُ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لاانحراف عنه، وهو أن لايكون لك سلطان على عبادي المخلصين. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عليٌّ» بالرّفع[٥]. وفُسّر بعلوّ الشّرف[٦]. وورد: «هذا صراط عليّ مستقيم»[٧]. و هذا يحتمل الإضافة أيضاً. وفي رواية: «هو أمير المؤمنين عليه السلام»[٨].

١ ـ علل الشرايع ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ جثا، يَجْثُو: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. لسان العرب ١٤: ١٣١؛ ومجمع البحرين ١: ٨١ (جثا).
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ جوامع الجامع ٢: ٢٦٦؛ والكشّاف ٢: ٣٩١.
٧ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٥.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. قال: «قال الله إنّك لاتملك أن تُدْخلَهُم جنّة ولاناراً»[1]. وقال: «والله ماأراد بهذا إلاّ الأئمة وشيعتهم»[2]. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قال: «وقوفهم على الصّراط»[3].

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾. القمّي: يدخل في كلّ باب أهلُ ملّة[4]. وقد ورد تفصيل أصحاب الأبواب في رواية ذكرناها في الصّافي[5].

و ورد: «إنّ الأبواب أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأُخرى، فقال: هكذا، وإنّ الله تعالى وضع الجنان على العرض، ووضع النّيران بعضها فوق بعض؛ فأسفلها جهنّم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السّعير، وفوقها الهاوية»[6]. وفي رواية: «أسفلها الهاوية وأعلاها جهنّم»[7].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ على إرادة القول.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. القمّي: العداوة[8]. قال: «أنتم والله الّذين قال الله: "ونزعنا مافي صدورهم من غلّ"»[9]. ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعَبٌ وعناء ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

١ ـ العيّاشي٢: ٢٤٢، الحديث: ١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكافي٨: ٣٥، ذيل الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي١: ٣٧٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي١: ٣٧٦.
٥ ـ الصّافي٣: ١١٤؛ والخصال٢: ٣٦١، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام.
٦ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٣٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٨٨، في رواية الكلبي.
٨ ـ القمّي١: ٣٧٧.
٩ ـ الكافي٨: ٢١٤، الحديث: ٢٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ فارجوا رحمتي وخافوا عذابي .

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ .

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ : نُسلِّمُ عليك سلاماً ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ : خائفون وذلك لأنهم امتنعوا عن الاكل، كما سبق في سورة هود[1] .

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ قال: «هو إسماعيل من هاجر»[2] .

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ .

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ .

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ .

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ قال: «يعني قوم لوط»[3] .

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ : الباقين مع الكفرة لتَهلِكَ معهم .

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ .

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ تُنْكِرُكُمْ نفسي وتنفر عنكم، مخافة أن تطرقوني بشَرٍّ .

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قال: «من عذاب الله»[4] .

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ قال: «لتنذر قومك العذاب»[5] . ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ .

﴿فَأَسْرِ﴾ : سِرْ ليلاً يا لوط ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ قال: «إذا مضى نصف

١ ـ ذيل الآية: ٦٩ .

٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «قوم لوط» .

٤ و ٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام .

اللّيل»[1]. ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: وكن على أثرهم لتكون عيناً عليهم، فلا يتخلّف أحدٌ منهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ماوراءه ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيث أُمِرتم بالذّهاب إليه.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾: إلى لوط ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾. مبهمٌ يُفسّره مابعدَه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾: آخرهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾ يعني يستاصلون عن آخرهم، لايبقى منهم أحد ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصّبح.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾: مدينة سدُوم[2] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط؛ طمعاً فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ركوب الفاحشة ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ولاتُذلّوني، أو ولاتُخجلوني.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. قال: «أرادوا به النّهي عن ضيافة النّاس وإنزالهم»[3].

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾. قد سبق تفسيره في سورة هود[4].

﴿لَعَمْرُكَ﴾ القمّي: أي: وحياتك يا محمّد. قال: فهذه فضيلة لرسول الله ﷺ على الانبياء[5]. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: لفي غوايتهم الّتي أزالت عقولَهم يتحيّرون، فكيف يسمعون النّصح!

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صيحةُ جبرئيل ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شُروق الشّمس.

١ـ علل الشرايع٢: ٥٥٠، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ـ سَدوم، بفتح السّين: قرية قوم لوط عليه السلام، ومنها قاضي سَدوم. الصّحاح٥: ١٩٤٩، مجمع البحرين٦: ٨٢ (سدم). وفي لسان العرب١٢: ٢٨٥: سَدُوم: مدينة بحمص.

٣ـ علل الشرايع٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن ابي جعفر عليه السلام، نقلاً بالمضمون.

٤ـ ذيل الآية: ٧٨.

٥ـ القمّي١: ٣٧٧.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾: قلبنا[1] القرية بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرّسين، الّذين يتثبّتون في نظرهم، حتى يعرفوا حقيقة الشّيء بسمته. ورد: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[2]. وقال: «إنّ لله عباداً يعرفون النّاس بالتّوسّم»[3].

وفي رواية: «ليس مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم، وليس محجوباً عن الأئمّة من آل محمّد صلوات الله عليهم، ثمّ ليس يدخل عليهم أحد إلّا عرفوه مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية»[4].

﴿وَإِنَّهَا﴾: وإنّ آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه النّاس لم يندرس بعدُ، وهم يبصرون تلك الآثار؛ وهو تنبيه لقريش، كقوله: "وإنّكم لتمرّون عليهم مصبحين". كذا قيل[5]. و ورد: «نحن المتوسّمون، والسّبيل فينا مقيم»[6]. القمّي: والسبيل طريق الجنّة[7].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَإِن كَانَ﴾: وإنّه كان ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني الغيضة، وهي الشّجرة المتكاثفة

١ ـ في «الف»: «عليا».
٢ ـ الكافي١: ٢١٨، الحديث: ٣؛ وبصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب: ١٧، الحديث: ٤و١١، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وعيون اخبار الرضا عليه السلام٢: ٢٠٠، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومعاني الاخبار: ٣٥٠، ذيل الحديث: ١، عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٤٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ بصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب: ١٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٥ ـ الكشّاف٢: ٣٩٢. والآية في سورة الصّافات(٣٧): ١٣٧.
٦ ـ العيّاشي٢: ٢٤٧، الحديث: ٢٩؛ والكافي١: ٢١٨، باب انّ المتوسّمين ... هم الأئمة، الحديث: ١ و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ القمّي١: ٣٧٧.

﴿لَظَالِمِينَ﴾. قال: «هم قوم شعيب، كانوا يسكنون الغيضة، فبعثه الله إليهم فكذّبوه؛ فأهلكوا بالظلّة»[١].

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني سدوم والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾: لبطريق واضح يأمّ ويتّبع ويهتدى به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني ثمود كذّبوا صالحاً. والحجر: واديهم، وهو مابين المدينة والشّام، وكانوا يسكنونها.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ كالنّاقة و سقيها وشربها ودرّها ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فلا يُلائم استمرار الفساد ودوام الشرّ، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء، وإزاحة فسادهم من الارض. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فينتقم الله لك فيها ممّن كذّبك ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾. قال: «يعني العفو من غير عتاب»[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الّذي خلقك وخلقهم، وبيده أمرك وأمرهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم؛ فهو حقيق بأن تكل إليه، ليحكم بينكم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾. قال: «هي سورة الحمد وهي سبع آيات، منها بسم الله الرّحمن الرّحيم، وإنّما سمّيت المثاني لأنها تثنّى في الرّكعتين»[٣]. وفي رواية:

١ ـ لم نعثر عليه، والظاهر أنّها ليست برواية، ويحتمل ان تكون كلمة «قال» تصحيف «قيل»، وهذا القول بنصّه من البيضاوي في تفسيره٣: ١٧٣. ويؤيّده مافي البحار١٢: ٣٨٢ نقلاً عن البيضاوي، ويؤيّده أيضاً مافي الصافي٣: ١١٩ بأنّ المصنّف لم يذكر كلمة «قال».

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٥٠.

٣ ـ العيّاشي١: ١٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفيه: «يثنى».

«تثنّى فيها القول»[١]. وفي رواية: «نحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا ﷺ»[٢].

قيل: أي: نحن الّذين قرننا النّبيّ إلى القرآن، وأوصى بالتّمسّك بالقرآن وبنا، وأخبر أُمّته أنّا لانفترق حتّى نَرِدَ حوضه[٣].

أقول: لعلّهم إنّما عُدّوا سبعاً باعتبار أسمائهم؛ فإنّها سبعة، وعلى هذا فيجوز أن يجعل المثاني من الثّناء، وأن يجعل من التّثنية باعتبار تثنيتهم مع القرآن، وأن يجعل كناية عن عددهم الأربعة عشر، بأن يجعل نفسه واحداً منهم بالتّغاير الاعتباري بين المعطى والمعطى له. ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لاتطمَحْ ببصرك طُمُوحَ راغبٍ ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفّار، فإنّه مستحقر في جنب ماأوتيتَه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وتواضعْ لمَنْ معك من المؤمنين، وارفُقْ بهم، وطِبْ نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

ورد: «من أُوتي القرآن فظنّ أنّ أحداً من النّاس أُوتي أفضل ممّا أُوتي، فقد عظّم ماحقّر الله، وحقّر ماعظّم الله»[٤].

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. قيل: أي: أنزلنا عليك مثل ماأنزلنا على اليهود والنّصارى، الّذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء، وقالوا لعنادهم: بعضُه حقٌّ موافقٌ

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٤، عن احدهما عليهما السّلام، و فيه: «يثنى».

٢ ـ التّوحيد: ١٥٠، الباب: ١٢، الحديث: ٦؛ والقمّي ١: ٣٧٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٣، ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي العيّاشي: «نحن المثاني الّتي أعطى نبيّنا».

٣ ـ التّوحيد: ١٥١، الباب: ١٢، ذيل الحديث: ٦.

٤ ـ الكافي ٢: ٦٠٤، ذيل الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام عن رسول الله ﷺ.

للتّوراة أو الإنجيل، وبعضُه باطل مخالف له، فاقتسموه إلى حقٍّ وباطل[١]. وقيل: مثل العذاب الّذي أنزلنا عليهم[٢]. والقمّي: قسّموا القرآن ولم يألفوه على ما أنزل الله[٣]. وورد: «هم قريش»[٤].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فنجازيهم عليه.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهر به واظهره ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فلاتلتفت إلى مايقولون.

﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بقمعهم وإهلاكهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة امرهم. قال: «اكتتم رسول الله ﷺ مختفياً خائفاً خمس سنين -وفي رواية: «ثلاث سنين»[٥]- ليس يظهر أمره، وعلي عليه السلام معه وخديجة، ثمّ أمره الله أن يصدع بما أمر فظهر، فاظهر أمره»[٦].

وقال: «كان المستهزؤن برسول الله ﷺ خمسة: الوليدبن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطّلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن طُلاطِلَة الخُزاعي، فقتل الله خمستهم، كلّ واحد منهم بغير قتلة صاحبه، في يوم واحد. قال: وذلك أنّهم كانوا بين يديه. فقالوا له: يا محمّد ننتظر بك إلى الظّهر، فإن رجعت عن قولك وإلاّ قتلناك، فدخل منزله فاغلق عليه بابه مغتمّاً لقولهم، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال: يا

١ـ الكشّاف ٢: ٣٩٨.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٧٤.
٣ـ القمّي ١: ٣٧٧، وفيه: «على ما انزله الله».
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٥١ـ٢٥٢، الحديث: ٤٣، عن أحدهما عليهما السّلام، والحديث: ٤٤، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ كمال الدّين ٢: ٣٤٤، الباب: ٣٣، الحديث: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «بمكّة مختفياً ... فظهر رسول الله ﷺ واظهر أمره».

محمّد: السّلام يقرئك السّلام وهو يقول: "اصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وأعرِضْ عنِ المُشركين". يعني أظهر أمرك لأهل مكّة، وادعهم إلى الإيمان. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وماأوعدوني[1]؟ قال له: "إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهزئين". قال: يا جبرئيل كانوا السّاعة بين يديّ. قال: قد كُفِيتَهُم. فاظهر أمره عند ذلك»[2].

والقمّي: بعد ماذكر كيفيّة كفايتهم، قال: فخرج رسول الله ﷺ فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لاإله إلّا الله وأنّي رسول الله، آمركم بخلع الأنداد والأصنام، فاجيبوني تملّكوا به العرب، ويَدِنْ لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة. فاستهزؤوا منه وقالوا: جُنَّ محمّد بن عبدالله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب[3].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك والطّعن فيك وفي القرآن، وفي رواية: «يعني فيما يذكره في فضيلة وصيّه»[4].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾: فافزَعْ إلى الله فيما نابك بالتّسبيح والتّحميد والصّلاة، يَكْفِكَ الهمّ[5] ويكشف عنك الغمّ.

ورد: «كان رسول الله ﷺ إذا حزنه[6] أمر فزع إلى الصّلاة»[7].

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، يعني مادمت حيّاً.

١ ـ في «الف»: «اوعدوا فيّ».
٢ ـ الاحتجاج١: ٣٢١ـ٣٢٢، في حديث طويل عن أمير المؤمنين ﷺ. وانظر: العيّاشي٢: ٢٥٢، الحديث: ٤٦؛ والقمّي١: ٣٧٨؛ والخصال١: ٢٧٨ـ٢٧٩، الحديث: ٢٤ـ٢٥.
٣ ـ القمّي١: ٣٧٨، وفيه: «تملكوا بها العرب وتدين ...».
٤ ـ الكافي١: ٢٩٤، الحديث: ٣، في حديث طويل، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ ـ في «الف»و«ج»: «المهمّ».
٦ ـ في «ج» والكشّاف: «إذا حزبه»، أي: إذا نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غمٌّ. النّهاية١: ٣٧٧(حزب).
٧ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٤؛ والكشّاف٢: ٣٩٩.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة النّحل

[مكيّة، و هي مائة وثمان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ . القمّي: نزلت لمّا سألت قريش رسول الله ﷺ أن ينزل عليهما العذاب[2]. و ورد: «إذا أخبر الله أنّ شيئاً كائن، فكأنّه قد كان»[3].

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ . قيل: وكانوا يقولون: إن صحّ ماتقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلّصنا منه، فنزلت يعني: تبرّأ وجلّ أن يكونَ له شريكٌ، فيدفع ما أراد بهم[4].

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ : بما تحيا به القلوب الميّتة بالجهل. قال: «بالكتاب والنّبوّة»[5]. وفي رواية: «جبرئيل الّذي نَزَلَ على الأنبياء، والرّوح يكون معهم ومع الأوصياء لايفارقهم، يفقّههم ويسدّدهم من عند الله»[6]. ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ : من ملكوته

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٢ ـ القمّي١: ٣٨٢.
٣ ـ العيّاشي٢: ٢٥٤، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إنّ الله إذا أخبر ...».
٤ ـ البيضاوي٣: ١٧٥.
٥ ـ القمّي١: ٣٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ بصائر الدّرجات: ٤٦٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ بأن أعلموا؛ من أنذرت بكذا، إذا أعلمته.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: الأزواج الثمانية ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾. القمّي: ماتستدفؤون به، ممّا يتّخذ من صوفها ووبَرها[1] ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: نسلها و درّها وظهورها، وإثارة الأرض ومايعوّض بها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تَردّونها من مراعيها إلى مَراحها بالعشيّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها بالغَداة إلى المَرْعَى، فإنّ الأفنية تتزيّن بها في الوقتين، ويجلّ أهلها في أعين النّاظرين إليها. وتقديم الإراحة، لأنّ الجمال فيها أظهر، فإنّها تُقبِل مِلاءَ البطون، حافلةَ الضروع[2]، ثمّ تأوي إلى الحَظائر[3] حاضرة[4] لأهلها.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ إن لم تكن، فضلاً عن أن تحملوها على ظهوركم إليه ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ﴾: إلاّ بكُلفة مشقّة ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. القمّي: من العجائب الّتي خلقها الله في البرّ والبحر[5].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: هداية الطّريق المستقيم، الموصل إلى الحقّ ﴿وَمِنْهَا

١ـ القمّي١: ٣٨٢.
٢ـ ضَرْعٌ حافلٌ، اي: ممتلئٌ لبناً. الصحاح٤: ١٦٧١، (حفل).
٣ـ الحَظيرةُ: الموضع الّذي يحاط عليه، لتاوي إليه الماشية، فيقيها البرد والرّيح. راجع: الصّحاح٢: ٦٣٤؛ ومصباح المنير١: ١٧٣؛ ولسان العرب: ٤: ٢٠٣ (حظر).
٤ـ في «الف»: «خاضرة». شابّ أخضر وفلان أخضر أي: كثير الخير. اساس البلاغة: ١٦٦ (خضر).
٥ـ القمّي١: ٣٨٢.

﴿جَآئِرٌ﴾: حائد[1] عن القصد ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى القصد.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون مواشيكم.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بان هيّأها لمنافعكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. جَمعَ الآيات هنا، وذكَرَ العقل من دون الفكر، لأنّ في الآثار العُلْويّة أنواعاً من الدّلالة الظّاهرة للعقلاء على عظمة الله.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: وسخّر لكم ماخلَقَ لكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ومعدن ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أي: أصنافه، فإنّها تتخالف باللّون غالباً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾: ذلّله بحيث تتمكّنون من الانتفاع به، بالرّكوب والاصطياد والغوص ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللّؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: السّفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواري فيه تشقّه بحَيازيمها[2]، من المَخْر وهو شقّ الماء وقيل: صوت جَرْي الفُلك[3]. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من سعة رزقه بركوبها للتّجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تعرفون نعمة الله، فتقومون بحقّها.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن تميل بكم وتضطرب. ورد: «إنّ الله جعل الأئمّة أركان الارض أن تميد بأهلها»[4]. ﴿وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا

١ ـ حادَ عن الشّيء: تنحّى وبَعُدَ. مصباح المنير ١: ١٩٤ (حاد).
٢ ـ الحَيزُوم: وَسَطُ الصّدر. الصّحاح ٥: ١٨٩٩ (حزم).
٣ ـ الكشّاف ٢: ٤٠٤، عن الفرّاء.
٤ ـ الكافي ١: ١٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و١٩٨، ذيل الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ هي معالم الطّرق ممّا يستدلّ به المارّة: من جبل ومنهل[1] وغير ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ باللّيل في البراري والبحار. قال: «هو الجدي لأنّه نجم لايزول، وعليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البرّ والبحر»[2].

و ورد في أخبار كثيرة: «نحن العلامات، والنّجم رسول الله»[3].

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ يعني الأصنام ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفوا فساد ذلك.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لاتضبطوا عددها، فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾: يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها ﴿رَحِيمٌ﴾: لايقطعها لتفريطكم فيه، ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من عقائدكم وأعمالكم؛ وهو وعيد.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ هم أو عبدتهم.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ قال: «يعني الرّجعة»[4]. ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾. قال: «يعني كافرة»[5]. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أحاديثهم وأباطيلهم. قال: «يعني سجع أهل الجاهليّة في جاهليّتهم»[6].

١ـ المَنْهَلُ: المَشرَب، والشُّرب، والموضع الّذي فيه المَشرب. القاموس المحيط ٤: ٦٣(نهل).
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ١: ٢٠٧، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام؛ والقمّي ١: ٣٨٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٣٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤و٥ـ القمّي ١: ٣٨٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٧، ذيل الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٥٧، الحديث: ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك، ليضلّوا النّاس، ويحملوا أوزار ضلالتهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: «ليستكملوا الكفر ليوم القيامة»[1]. ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ وبعض أوزار من أضلّوهم. قال: «يعني كفر الّذين يتولّونهم»[2]. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يعني يضلّون من لايعلم أنّهم ضلال. وإنّما لم يعذر الجاهل لأنّ عليه أن يبحث وينظر بعقله، حتّى يميز بين المحقّ والمبطل. ورد: «أيّما داع[3] إلى ضلالة فاتّبع عليه، فإنّ عليه مثل أوزار من تبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم»[4]. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من الأساطين الّتي بنوا عليها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾. هذا تمثيل لاستيصالهم بمكرهم. والمعنى أنّهم سوّوا منصوبات ليمكروا الله بها، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمّدوه بالأساطين، فأتي البنيان من جهة الأساطين؛ بأن ضعضعت[5] فسقط عليهم السّقف وهلكوا. وفي المثل: من حفر لأخيه جبّاً، وقع فيه منكبّاً.

قال: «فإتيانه بنيانهم من القواعد: إرسال العذاب»[6].

وفي قراءتهم عليهم السّلام: «فأتى الله بيتهم»[7]. قال: «يعني بيت مكرهم»[8]. وفي رواية: «كان بيت غدر، يجتمعون فيه إذا أرادوا الشّرّ»[9]. وفي أخرى: «أي: ماتوا

١و٢ - العيّاشي ٢: ٢٥٧، الحديث: ١٦و١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ - في المصدر: «أيّما داعٍ دعا».
٤ - مجمع البيان ٥-٦: ٣٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ - ضعضعه، أي: هدمه حتّى الأرض. الصّحاح ٣: ١٢٥٠ (ضعع).
٦ - التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «إرسال العذاب عليهم».
٧ - العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠و٢١؛ وجوامع الجامع ٢: ٢٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥-٦: ٣٥٦، عن أهل البيت عليهم السّلام.
٨ - العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ - المصدر، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

فالقاهم الله في النّار. قال: وهو مثل لأعداء آل محمّد[١] عليه وعليهم السّلام.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يذلّهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة العذاب ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بأن عرّضوها للعذاب المخلّد. ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾: فسالموا وأخبتوا[٢] حين عاينوا الموت ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾. جحدوا ماعملوا. ﴿بَلَىٰ﴾ ردّ عليهم أولوا العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ كلّ صنف بابها المعدّ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أطبقوا الجواب على السّؤال معترفين بالإنزال؛ بخلاف الجاحدين إذ قالوا: "أساطيرُ الأوّلين"[٣]. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: مكافاة في الدنيا ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾. ورد: «عليكم بتقوى الله، فإنّها تجمع الخير ولاخير غيرها، ويدرك بها من الخير مالا يدرك بغيرها من خير الدّنيا والآخرة. قال الله تعالى: "وقيلَ للّذينَ اتّقَوا" وتلا هذه الآية»[٤]. وفي رواية: «"ولَنعمَ دارُ المتّقين": الدّنيا»[٥].

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة الرّحمة ﴿طَيِّبِينَ﴾ ببشارتهم إيّاهم بالجنّة

١ـ القمّي ١: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ أخبَتَ: خشع وتواضع. القاموس المحيط ١: ١٥٢ (خبت).
٣ـ الآية: ٢٤، من هذه السّورة.
٤ـ الامالي (للشيخ الطّوسي) ١: ٢٥، عن امير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «من خير الدّنيا وخير الآخرة».
٥ـ العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾: سلامة لكم من كلّ سوء ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظر[1] الّذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملائكة العذاب لقبض أرواحهم ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ القمّي: من العذاب والموت وخروج القائم عليه السلام[2]. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه. القمّي: من العذاب في الرّجعة[3].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: يبعثهم ليبيّن لهم ﴿ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو الحقّ ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾. قال: «ماتقول في هذه الآية؟ فقيل: إنّ المشركين يَزْعمون ويَحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله لايبعث الموتى، فقال: تبّاً لمن قال هذا، سلْهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللاّت والعزّى؟ ثمّ قال: لو قد قام قائمنا، بعث الله قوماً من شيعتنا قَبائع[4] سيوفهم على عواتقهم، فيَبلُغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا،

---

١ ـ في «ب»: «هل ينتظرون».
٢و٣ ـ القمّي ١: ٣٨٥.
٤ ـ في الكافي: «قُباع». قبيعة السّيف ونحوه: ماعلى طرف مقبضه من فضّة أو حديد، يقال: ماأحسن قبائع سيوفهم. اقرب الموارد٣: ٥٦٠(قبع).

فيقولون: بعث فلان وفلان[1] من قبورهم، وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا، فيقولون: يا معشر الشّيعة ماأكذبكم! هذه دولتكم وأنتم تقولون فيها الكذب، لاوالله ماعاش هؤلاء، ولايعيشون إلى يوم القيامة. فحكى الله قولهم»[2]. وفي معناه أخبار أُخر[3].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. بيان لإمكان البعث في عالم القدرة.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: في حقّه ولوجهه ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾. قيل: هم رسول الله ﷺ والمهاجرون، ظَلَمَهم قريش، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة، أو المحبوسون المعذّبون بمكّة بعد هجرة رسول الله ﷺ من أصحابه[4]. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: مَباءة[5] حسنة، وهي المدينة حيث آواهم الأنصار ونصروهم؛ أو نبوئة حسنة. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «لنثوّئنّهم»[6] بالثّاء المثلّثة، يعني لننزلنّهم في الدّنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكّة الّذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب[7]. ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ممّا تعجّل لهم في الدّنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى الكفّار ومفارقة الوطن ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾. قيل: ردّ لقولهم: الله أعظم من أن يرسل إلينا بشراً مثلنا[8]. وقد سبق بيان الحكمة فيه في سورة الأنعام[9] عن رسول الله ﷺ.

١ ـ في الكافي: «بعث فلان وفلان وفلان».
٢ ـ الكافي٨: ٥١، ذيل الحديث: ١٤؛ والعيّاشي٢: ٢٥٩، الحديث: ٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ العيّاشي٢: ٢٥٩، الحديث: ٢٨؛ والقمّي١: ٣٨٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي٣: ١٨١؛ والكشّاف٢: ٤١٠.
٥ ـ المَبَاءَة: المنزل. والباءَة هو الموضع الّذي تبوءُ إليه الإبل، ثمّ جُعِلَ عبارةً عن المنزل. القاموس المحيط١: ٩؛ والمصباح المنير١: ٨٤(باء).
٦ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٦١؛ والكشّاف٢: ٤١٠، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٧ ـ في «ألف»: «على أهل الشّرق والغرب».
٨ ـ البيضاوي٣: ١٨٢.
٩ ـ ذيل الآية: ٩.

ولعلّه أُشير إلى ذلك بقوله: "فَسْئَلوُا أَهلَ الذِّكْرِ" يعني وجه الحكمة فيه. ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال: «رسول الله ﷺ الذّكر، وأهل بيته المسؤولون، وهم أهل الذّكر»[١].

«قال الله تعالى: "قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيكُم ذِكراً. رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيكُم آياتِ اللهِ". فالذّكر رسول الله، ونحن أهله»[٢].

و في رواية: «الذّكر القرآن، وأهله آل محمّد، أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجُهّال. وسمّى الله القرآن ذكراً، فقال: "وَأَنزَلْنا إِليكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِم"»[٣].

وفي أُخرى: «قيل له: إنّ من عندنا يزعمون أهل الذّكر اليهود والنّصارى، فقال: إذا يدعونكم إلى دينهم»[٤].

[أقول: هذه الأخبار لاتلائم أن يكون "وماأرسلنا" ردّاً لقول المشركين؛ إلّا أن يكون "فاسئلوا" كلاماً مستأنفاً، أو يكون المسئول عنه بيان الحكمة فيه][٥].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: أرسلناهم بالمعجزات والكتب؛ كأنّه جواب قائل: بِمَ أرسلوا؟ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾. سمّي القرآن ذكراً، لأنّه موعظة وتنبيه. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ممّا أُمروا به ونهوا عنه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادةَ أن يتأمّلوا فيه، فيتنبّهوا للحقايق والمعارف.

١ـ الكافي١: ٢١١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام. وراجع: العيّاشي٢: ٢٦٠، الحديث: ٣٢؛ والقمّي٢: ٦٨، ذيل الآية: ٧ من سورة الأنبياء، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وعيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١. والآية في سورة الطّلاق(٦٥): ١٠ـ١١.
٣ـ بصائر الدّرجات: ٤١، الباب: ١٩، الحديث: ١٩؛ والكافي١: ٢٩٥، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي٢: ٢٦٠، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٥ـ مابين المعقوفتين من «ب».

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ إذا جاؤوا وذهبوا في متاجرهم وأعمالهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ القمّي: على تيقّظ[1]. و ورد: «هم أعداء الله، وهم يمسخون ويقذفون ويسيحون[2] في الأرض»[3]. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث[4] لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾: مستسلمين له منقادين ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾: صاغرون لأفعال الله فيها. القمّي: تحويل كلّ ظلّ خلقه الله، هو سجود لله[5]. قيل: ويجوز أن يكون المراد بقوله "وهم داخرون" أنّ الأجرام أنفسها أيضاً داخرة صاغرة منقادة لله سبحانه فيما يفعل فيها، ولمّا كان الدّخور من صفات العقلاء جمع بالواو والنّون[6].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾. الدّبيب هو الحركة الجسمانيّة، سواء كانت في أرض أو سماء. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ممّن لا مكان له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾: يخافونه وهو فوقهم بالقهر: "وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ"[7] ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قال: «إنّ لله ملائكة في السّماء السّابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة،

١ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٢ ـ في «الف» و«ج»: «يسخرون».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٦١، الحديث: ٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ في «الف»: «يعني».
٥ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٦ ـ الكشّاف ٢: ٤١٢؛ والبيضاوي ٣: ١٨٢.
٧ ـ الأنعام (٦): ١٨ و٦١.

ترعد فرائصهم[1] من مخافة الله، لاتقطر دموعهم[2] قطرة إلاّ صار مَلَكاً، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: ماعبدناك حقّ عبادتك»[3]. وقد سبق في سورة الرّعد[4] كلام في معنى سجود كلّ شيء.

قال بعض أهل المعرفة: إنّ في أمثال هذه الآيات دلالة على أنّ العالَم كلّه في مقام الشّهود والعبادة، إلاّ كلّ مخلوق له قوّة التّفكّر، وليس إلاّ النّفوس الإنسانيّة والحيوانيّة خاصّة، من حيث أعيان أنفسهم لامن حيث هياكلهم، فإنّ هياكلهم، كساير العالَم في التّسبيح له والسّجود، فاعضاء البدن كلّها مسبّحة ناطقة، ألا تراها تشهد على النّفوس المسخّرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسّمع والبصر وجميع القوى، فالحكم لله العليّ الكبير[5].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾. أكّد العدد في الموضعين دلالةً على العناية به. ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ كانّه قيل: وأنا هو فإيّاي فارهبون لاغير.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطّاعة ﴿وَاصِبًا﴾ قال: «واجبا»[6].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾. قال: «من لم يعلم أن الله عليه نعمة إلاّ في مطعم أو ملبس، فقد قصر عمله ودنا عذابه»[7]. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ فما تتضرّعون إلاّ إليه، والجُؤار: رفع الصّوت بالدّعاء والاستغاثة.

١ ـ الفَرِيصَةُ: لحمة عند نُغْض الكتف، في وسط الجنب، عند مَنْبض القلب؛ وهما فَريصتان تَرتَعدان عند الفزع. وقال ابو عبيد: الفرِيصةُ: المُضغةُ القليلة، تكون في الجنب، تُرْعَد من الدّابة إذا فَزِعَت. وقال ايضاً: هي اللّحمة الّتي بين الجنب والكتف، الّتي لاتزال تُرعَد من الدّابّة. وقيل: جَمعها: فَرِيصٌ وفَرائصُ. لسان العرب٧: ٦٤(فرص)
٢ ـ في المصدر: «لاتقطر من دموعهم».
٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٦٥، عن النّبي ﷺ.
٤ ـ ذيل الآية: ١٥.
٥ ـ أسرار الآيات(لصدر المتألهين): ٨١ـ٨٢؛ ولطائف الإشارات(للإمام القشيري)٢: ٣٠٠.
٦ ـ العيّاشي٢: ٢٦٢، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ القمّي١: ٣٨١؛ والامالي(للشّيخ الطوسي)٢: ١٠٥، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كأنّهم قصدوا بشركهم كفرانَ النّعمة وإنكارَ كونها من الله. ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. تهديد ووعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾: لآلهتهم الّتي لاعلم لها، أو لاعلم لهم بها ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الزّروع والانعام. القمّي :كانت العرب يجعلون للأصنام نصيباً في زرعهم وإبلهم وغنمهم، فردّ الله عليهم[١]. ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنّها آلهة وأنّها أهل للتقرّب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾. القمّي: قالت قريش الملائكة هم بنات الله[٢]. ﴿سُبْحَانَهُ﴾. تنزيه له من قولهم أو تعجّب منه. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾: أُخبر بولادتها ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة[٣] والحياء من الناس ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ﴾ مُحدّثاً نفسه متفكّراً في أن يتركه ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذُلّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: يُخْفيه فيه ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد، ماهذا محلّه عندهم.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفةُ السّوء وهي الحاجةُ إلى الولد، والاستظهارُ بالذكور، وكراهةُ الإناث، ووأدُهن[٤] خشيةَ الإملاق والعار. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهي صفات الإلهية والغنى عن الصّاحبة والولد، والنّزاهة عن صفات المخلوقين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: المتفرّد بكمال القدرة والحكمة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على

١ ـ القمّي١ : ٣٨٨. في «ب»: «فردّ الله إليهم».
٢ ـ المصدر؛ وفيه: «انّ الملائكة».
٣ ـ كَئِبَ يَكْأَبُ ـ من باب: تَعِبَ ـ كَأْبَةً وكَأْباً وكَآبَةً: حَزِنَ أشدّ الحزن. المصباح المنير٢ : ٢٣٧ (كئب).
٤ ـ وأدَابنته: دفنها في القبر وهي حيّةٌ. الصّحاح٢ : ٥٤٦ (وأد).

الارض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ بشؤم ظلمهم ؛ او من دابّة ظالمة ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ : مايكرهونه لأنفسهم من البنات، وأراذل الأموال والشّركاء في الرّياسة، والاستخفاف بالرّسل ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ مع ذلك. والقمّي يقول: ألسنتهم الكاذبة[1]. ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: عندالله، كقول قائلهم: "وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ"[2]. ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾. ردّ لكلامهم وإثبات لضدّه ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ : مقدّمون إلى النّار معجّلون. القمّي: معذّبون[3].

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ فأصرّوا على قبائحها، وكفروا بالمرسلين ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ : قرينهم أو ناصرهم. يعني: لاناصر لهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ من المبدأ والمعاد، والحلال والحرام ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ بسمع باطنهم وقلبهم، ويختصّ بـ"مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[4].

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾. تذكير الضّمير هاهنا باعتبار اللّفظ، وتأنيثه في المؤمنين باعتبار المعنى؛ لكونه اسم جمع. ﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا ﴾ يكتنفانه ﴿ خَالِصًا ﴾ : صافياً لايستصحبه لون الدّم ولارائحة الفرث، ولايشوبانه شيئاً

١ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٢ ـ فصّلت (٤١): ٥٠.
٣ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٤ ـ ق (٥٠): ٣٧.

﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ : سهل المرور في حلقهم . ورد : «ليس أحد يغصّ بشرب اللّبن ، لانّ الله عزّوجلّ يقول : " لبناً خالصاً سائغاً للشّاربين "»[1] .

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ . قيل : خمراً[2] . والقمّي : الخلّ[3] . وورد : «نزلت قبل آية التّحريم فنسخت بها»[4] .

أقول : وفيه دلالة على أنّ المراد به الخمر ، وقد جاء بالمعنيين جميعاً . وعلى إرادة الخمر لايستلزم حلّها في وقت ، لجواز أن يكون عتاباً ومنّة قبل بيان تحريمها . ومعنى النّسخ نسخُ السّكوت عن التّحريم . وفي مقابلتها بالرّزق الحسن ، تنبيه على قبحها .

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتّمر والزّبيب والدّبس ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ قال : «وحي إلهام»[5] .

أقول : يعني ألهمها وقذف في قلوبها ، فإنّ في صنعتها الأنيقة ولطفها في تدبير أمرها ودقيق نظرها ، شواهد بيّنة على أنّ الله سبحانه أودعها علماً بذلك .

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ : يعرش النّاس من كرْم أو سقف .

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ : من كلّ ثمرة تشتهيها ، حُلوها ومُرّها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ : الطّرق الّتي ألهمك في عمل العسل ﴿ذُلُلًا﴾ : مذلّلة ، ذلّلها وسهّلها لك ؛ أو أنت منقادة لما أُمرْت به ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني العسل فإنّه ممّا يشرب ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ : أبيض وأصفر وأحمر وأسود ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ . قال : «لعق

---

١ ـ الكافي٦ : ٣٣٦ ، الحديث : ٥ ، عن أبي عبدالله عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان٥ـ٦ : ٣٧٠ ؛ والكشّاف٢ : ٤١٧ ؛ والبيضاوي٣ : ١٨٥ .
٣ ـ القمّي١ : ٣٨٧ .
٤ ـ العيّاشي٢ : ٢٦٣ ، ذيل الحديث : ٤٠ ، عن أبي عبدالله عليه السلام . وآية التّحريم في سورة المائدة(٥) : ٩٠ .
٥ ـ القمّي١ : ٣٨٧ ؛ والعيّاشي٢ : ٢٦٣ ، الحديث : ٤١ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، وفيه «قال : إلهام» .

العسل شفاء من كلّ داء، ثمّ تلاهذه الآية»[1]. وفي رواية مامعناه: «النّحل: الأئمّة، والجبال: العرب، والشّجر: العجم، وممّا يعرشون: الموالي، والشّراب المختلف ألوانه: العلمُ الّذي يخرج منهم»[2]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بآجال مختلفة. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أخسّه وأحقره، يعني الهرم الّذي يشابه الطّفوليّة في نقصان القوّة والعقل. قال: «هو خمس وسبعون سنة»[3]. وفي رواية: «المائة»[4]. وفي أُخرى: «أن يكون عقله عقل ابن سبع سنين»[5]. ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. القمّي: إذا كبر لايعلم ماعلمه قبل ذلك[6]. وفي حديث الأرواح ذكر هذه الآية، ثمّ قال: «فيتنقص[7] منه جميع الأرواح، وليس بالّذي يخرج من دين الله، لأنّ الفاعل به ردّه إلى أرذل عمره، فهو لايعرف للصّلاة وقتاً، ولايستطيع التّهجّد باللّيل ولابالنّهار، ولاالقيام في الصّفّ مع النّاس، فهذا نقصان من روح الإيمان، وليس يضرّه شيئاً»[8]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما ينبغي ويليق بكم من مقادير الأعمار ﴿قَدِيرٌ﴾ على أن يعمّركم بذلك.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غنّي ومنكم فقير، ومنكم موالٍ يتولّون رزقهم ورزقَ غيرهم، ومنكم مماليك على خلاف ذلك. ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا

١ ـ الكافي٦: ٣٣٢، الحديث: ٢؛ والخصال٢: ٦٢٣، ذيل الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.
٢ ـ القمّي١: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام. وانظر العيّاشي٢: ٢٦٣ـ٢٦٤، الحديث: ٤٣و٤٤.
٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وفي الكشّاف٢: ٤١٨، والدّرّ المنثور٥: ١٤٦، عن عليّ عليه السلام.
٤ ـ القمّي٢: ٧٨، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السّلام؛ والخصال٢: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الخصال٢: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ القمّي١: ٣٨٧.
٧ ـ في المرجع: «فهذا ينتقص» وفي «ب»: «فينقص».
٨ ـ الكافي٢: ٢٨٣، ذيل الحديث: ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ﴾: بمعطي رزقهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: على مماليكهم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾. قيل: معناه أنّ الموالي والمماليك، الله رازقهم جميعاً، فهم في رزقه سواء[1]، فلا يَحْسَبُ الموالي أنّهم يرزقون المماليك من عندهم، وإنّما هو رزق الله، أجراه إليهم على أيديهم[2]. وقيل: معناه: فلم يردّ الموالي فَضْلَ مارُزِقوه على مماليكم، حتّى يتساووا في المطعم والملبس[3]. وقيل غير ذلك[4]. والقمّي: لايجوز للرّجل أن يخصّ نفسه بشيء من المأكول دون عياله[5]. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: من جنسكم لتأنسوا بها، ولتكون أولادكم مثلكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. قال: «الحفدة بنو البنت، ونحن حفدة رسول الله ﷺ»[6]. وفي رواية: «هم أُختان[7] الرّجل على بناته»[8]. وأصل الحافد: المسرع في الخدمة والطّاعة. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من اللّذائذ، أي: بعضها. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾. قيل: هو مايعتقدون من منفعة الأصنام وشفاعتها[9]. ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث يضيفونها إلى الأصنام، أو يحرّمون ما أحلّ الله. وقيل: يريد بنعمة الله رسول الله والقرآن والإسلام[10].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من مطر ﴿وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ من نبات ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يملكوه، أو لااستطاعة لهم.

١ـ في «الف»: «فهم فيه سواء».
٢ـ الكشّاف٢: ٤١٩؛ وجوامع الجامع٢: ٢٩٨.
٣ـ جوامع الجامع٢: ٢٩٨.
٤ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٢٩٩؛ والكشّاف٢: ٤١٩؛ والبيضاوي٣: ١٨٧.
٥ـ القمّي١: ٣٨٧.
٦ـ العيّاشي٢: ٢٦٤، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ الخَتَنُ ـ بالتحريك ـ: كلّ من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأختان؛ هكذا عند العرب. وأمّا عند العامّة فَخَتَنُ الرجل: زوج ابنته. الصّحاح٥: ٢١٠٧ (ختن).
٨ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٣٧٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ـ الكشّاف٢: ٤١٩.
١٠ـ جوامع الجامع٢: ٢٩٩.

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ : تشركون به أو تقيسونه على شيء . قيل : كانوا يقولون : إنّ عبادة عبيدالملك أدخل في التّعظيم من عبادته[1] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ كُنْهَ الأشياء، وضرب الأمثال ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ . قيل : معناه إذا لم يستويا هذا ن مع تشاركهما في الجنسيّة والمخلوقيّة، فكيف يستوي الأصنامُ الّتي هي أعجز المخلوقات والغنيُّ القادر على كلّ شيء؟ ويجوز أن يكون تمثيلاً للكافر المخذول والمؤمن الموفّق؛ أو الجاهل والعالم المعلّم[2] . ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لايستحقّه غيره فضلاً عن العبادة، لأنّ النّعم كلّها منه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفون النّعم إلى غيره ويشركون به .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ : وَلَدُ أخرس لايَفْهَمُ ولايُفْهِمُ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الصّنائع والتّدابير لنقصان عقله ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ : ثِقْلٌ وعِيالٌ ﴿عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ : على من يلي أمرَه ويعولُه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ : حيثما يُرسِلْهُ مولاه في أمر ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ : بنُجحٍ وكفاية مهم ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ومن كان سليم الحواسّ نفّاعاً كافياً ذا رشد وديانة، فهو يامر النّاس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ : وهو في نفسه على دين قويم وسيرة صالحة . وهذا المَثَل، مثل سابقه في الاحتمالات[3] .

القمّي : الّذي يامر بالعدل أمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم[4] .

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : ماغاب منهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ في سرعته

١ و٢ ـ البيضاوي٣ : ١٨٧ .
٣ ـ قيل في معنى هذا المثل أيضاً قولان : احدهما : انّه مَثَل ضَرَبَهُ الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته، ومن لايؤمل منه؛ وأصل الخير كلّه من الله تعالى . فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة . والآخر : انّه مَثَل للكافر والمؤمن؛ فالابكم الكافر، والّذي يامر بالعدل المؤمن «عن ابن عبّاس» . وقيل : إنّ الابكم أبيّ بن خلف، ومن يامر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون «عن عطاء» . وقيل : إنّ الابكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي، وكان قليل الخير، يعادي رسول الله ﷺ «عن مقاتل» . مجمع البيان٥ـ٦ : ٣٧٥ .
٤ ـ القمّي١ : ٣٨٧ .

وسهولته ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ : كرجع الطَّرْف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ لأنّه يقع دفعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على أن يُحْيِيَ الخلايقَ دفعة، كما قَدَرَ ان أحيا هم متدرّجاً.

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : كي تعرفوا ماأنعم الله عليكم، طَوْراً بعد طَوْر، فتشكروه.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فإنّ ثقل جسدها يقتضي سقوطها، ولاعلاقةَ فوقها ولادِعامَةَ تحتها تُمْسِكُها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ : موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ يعني الخِيَم والمضارب المتّخذة من الأدم[١] والوبر والصّوف والشّعر ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ : تجدونها خفيفة، يخفّ عليكم حملُها ونقلُها ووضعُها وضربُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ : ترحالكم وسفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ : نزولكم وحضركم ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا ﴾ يعني ماللضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني ماللإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ يعني ماللمعز ﴿أَثَٰثًا﴾ : مايلبس ويفرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾ : مايتفع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من الشّجر والجبل والأبنية وغيرها ﴿ظِلَٰلًا﴾ تتّقون به حرّ الشّمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ :مواضع تسكنون بها؛ من الغيران والبيوت المنحوتة فيها. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ ﴾ : ثياباً من القطن والكتّان والصّوف وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ .اكتفى بذكر أحد الضّدّين لدلالته على الآخر، ولأنّ وقاية الحرّ كانت عندهم أهمّ ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني الدُّرُوع والجواشنَ. والسِّر بالُ يعمّ كلَّ مايلبس ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: تنظرون في نِعَمه الفاشية، فتؤمنون به وتنقادون لحكمه.

١ ـ ادم ـ بفتحتين وضمّتين ـ: الجلد المدبوغ. المصباح المنير١ : ١٤ (ادم).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾. قال: «نحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده، وبنا فاز من فاز»[1]. وفي رواية: قال: «يعني ولاية علي»[2].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يشهد لهم وعليهم؛ بالإيمان والكفر. قال: «لكلّ زمانٍ وأُمّةٍ إمامٌ، يبعث كلّ أُمّةٍ مع إمامها»[3]. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، إذ لاعذر لهم، فدلّ بترك الإذن على أن لاحجّة لهم ولاعذر ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يُسْتَرضَوْنَ. أي: لايقال لهم: أرضُوا ربّكم؛ من العتبى وهو الرّضا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ ثقُلَ عليهم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الأصنام والشّياطين ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ﴾: نعبدهم أو نطيعهم ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني كذبهم الّذين عبدوهم بإنطاق الله إيّاهم في أنّهم شركاء الله، وأنّهم عبدوهم حقيقة؛ وإنّما عبدوا أهواءهم، كقوله "كلّا سيكفرون بعبادتهم"[4].

﴿وَأَلْقَوْا﴾: وألقى الّذين ظلموا ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾: الاستسلام لأمره وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدّنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وضاع عنهم وبطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من انّ لله[5] شركاء، وأنّهم ينصرونهم ويشفعون لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر.

١ ـ القمّي١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي١: ٤٢٧، ذيل الحديث: ٧٧، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.
٣ ـ مجمع البيان٥ ـ ٦: ٣٧٨؛ والقمّي١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مريم(١٩): ٨٢.
٥ ـ في «ألف»: «من دون الله».

القمّي: كفروا بعد النّبيّ وصدّوا عن الوصيّ[١]. ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ النّاس بصدّهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. سبق تفسيره في سورتي البقرة والنّساء[٢]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ بياناً بليغاً. قال: «حتّى والله ماترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لايستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؛ إلّا أنزله[٣] الله فيه»[٤]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾. قال: «العدل: الإنصاف، والإحسان: التّفضّل»[٥]. ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وإعطاء الأقارب مايحتاجون إليه ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ماجاوز حدود الله ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ماينكره العقول ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: التّطاول[٦] على النّاس بغير حقّ.

و ورد: في تأويله: «العدل: الشّهادتان»[٧]. وفي رواية: «العدل: محمّد، والاحسان: عليّ، وإيتاء ذي القربى: مودّة الأئمة وإيتاؤهم»[٨]. «والثّلاثة المنهيّ عنها: الأوّل والثّاني والثّالث»[٩]. ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. ورد: «جماع التّقوى في هذه الآية»[١٠].

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ

١ - القمّي ١: ٣٨٨، وفيه «وصدّوا عن امير المؤمنين عليه السلام».
٢ - البقرة(٢) ذيل الآية: ١٤٣؛ والنساء(٤) ذيل الآية: ٤١.
٣ - في «الف»: «أنزل».
٤ - الكافي ١: ٥٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ - معاني الأخبار: ٢٥٧، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٧، الحديث: ٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ - تطاول عليه: اعتدى عليه. الرّائد ١: ٤٠٨(طول).
٧ - القمّي ١: ٣٨٨.
٨ - العيّاشي ٢: ٢٦٧، الحديث: ٥٩؛ و٢٦٨، الحديث: ٦٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ - المصدر، الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام. وراجع: القمّي ١: ٣٨٨؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٨، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ - روضة الواعظين: ٤٣٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهداً ورقيباً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: من بعد إحكام وفتلٍ ﴿أَنكَٰثًا﴾. جمع نِكْث بالكسر، وهو ماينْكَثُ فَتْلُه.

قال: «الّتي نقضت غزلها، امرأةٌ من بني تيم بن مرّة، يقال لها: رَيطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن لويّ بن غالب، كانت حمقاء تغزل الشّعر، فإذا غزلته نقضته، ثمّ عادت فغزلته. فقال الله "كَالّتي نقضت غَزْلَها" الآية. قال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر بالوفاء ونهى عن نقض العَهْد، فضرب لهم مثلاً»[1].

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾: دَغَلاً وخيانة ومكْراً وخديعة، وذلك لأنّهم كانوا حين عهدهم يضمرون الخيانة، والنّاس يسكنون إلى عهدهم. والدَّخَلُ أن يكون الباطن خلاف الظّاهر، وأصله أن يدخل الشّيء مالم يكن منه. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ يعني لاتنقضوا العهد بسبب أن يكون جماعة ـ وهي كفَرة قريش ـ أزْيَدَ عدداً وأوفرَ مالاً من أمّة، يعني جماعة المؤمنين. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: إنّما يختبركم بكونهم أربى، لِيَنْظُرَ أتوفون بعهدالله، أم تغترّون بكثرة قريش وقوّتهم وثروتهم، وقلّة المؤمنين وضعفهم وفقرهم. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. وعيدٌ وتحذيرٌ من مخالفة الرّسول ﷺ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مُسلمةً مؤمنةً ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتّوفيق ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾. تصريح بالنّهي عنه بعد التّضمين، تأكيداً ومبالغة في قبح المنهيّ عنه ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ عن محجّة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها، أي: فتضلّوا عن الرّشد بعد أن تكونوا على هدى ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ في الدّنيا ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بصدودكم أو صدّكم غيركم. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

١ ـ القمّي ١: ٣٨٩، عن أبي جعفر ﷺ.

قال: «نزلت هذه الآيات[١] في ولاية عليّ والبيعة له، حين أُمروا بالتّسليم عليه بإمرة المؤمنين»[٢].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: يعيش عيشاً طيّباً. قال: «هي[٣] القناعة والرّضا بما قسم الله»[٤]. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: إذا أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: فاسأل الله أن يعيذك من وَساوسه، لئلاّ يُوَسْوِسك في القراءة. قال: «تقول: أستعيذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم»[٥]. قال: «الرّجيم أخبث الشّياطين»[٦].

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. قال: «يسلّط والله من المؤمن على بدنه، ولا يسلّط على دينه»[٧]. وفي رواية: «ليس له أن يزيلهم عن الولاية، فأمّا الذّنوب وأشباه ذلك، فإنّه ينال منهم كما ينال من غيرهم»[٨].

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يحبّونه ويطيعونه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾. قال: «يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم»[٩].

١ - في «ب» والمصدر: «هذه الآية».
٢ - جوامع الجامع ٢: ٣٠٦، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي الكافي ١: ٢٩٢، الحديث: ١، مايقرب منه.
٣ - في المصدر: «إنّها».
٤ - مجمع البيان ٥-٦: ٣٨٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ - العيّاشي ٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ - المصدر، الحديث: ٦٧-٦٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ - الكافي ٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي ٢: ٢٦٩، الحديث: ٦٦، ما يقرب منه.
٨ - العيّاشي ٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفي القمّي ١: ٣٩٠، مع اختلاف يسير.
٩ - الكافي ٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٩، الحديث: ٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بالنّسخ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من المصالح، فلعلّ مايكون مصلحةً في وقت يكون مفسدةً في آخر؛ وهو اعتراض. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾: متقوّل[1] على الله تأمر بشيء، ثمّ يبدو لك، فتنهى عنه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حكمة الاحكام.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾. قال: «هو جبرئيل والقدس الطّاهر»[2]. ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما يرون في النّاسخ من الصّلاح والحكمة. قال: «هم آل محمّد»[3].

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحكمه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يضيفون إليه التّعليم، ويميلون قولهم عن الاستقامة إليه ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ غير بيّن. القمّي: هو لسان أبي فكيهة مولى ابن الحضرميّ، كان أعجميّ اللّسان، وكان قد اتّبع النّبيّ ﷺ وآمن به، وكان من أهل الكتاب، فقالت قريش: هذا والله يعلّم محمّداً، علّمه بلسانه[4]. ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾: لا يصدّقون[5] أنّها من عندالله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾. ردّ لقولهم: "إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ" ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ﴾. نزلت في عمّار بن ياسر حين أخذته كفّار مكّة فعذّبوه، حتّى أعطاهم بلسانه ماأرادوا، "وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ" «فقال له النّبيّ ﷺ عندها: يا عمّار إن عادوا فعُدْ، فقد أنزل الله عذرك،

١ ـ تَقَوَّلَ قولاً: ابتدعه كذباً. القاموس المحيط ٤: ٤٣ (قول).
٢ و٣ ـ القمّي ١: ٣٩٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي ١: ٣٩٠، وفيه: «هذا والله يعلّم محمّداً بلسانه».
٥ ـ في «ألف»: «لا يصدّقون بها».

وأمرك أن تعود إن عادوا». كذا ورد[١]. ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ : اعتقده وطاب به نفساً. القمّي: هو عبدالله بن أبي سرح[٢]، وكان عاملاً لعثمان بمصر.[٣] ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا﴾: آثروا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عُذّبوا في الله وأُكرهوا على الكفر، فأعطَوا بعض ماأُريد منهم، لِيَسْلَموا من شرّهم، كعمّار ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الجهاد، وماأصابهم من المشاقّ، و«ثمّ» لتباعد حال هؤلاء من حال أُولئك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. خبر «إنّ» الأولى والثّانية جميعاً واحد، ونظير تكرير إنّ ربّك هاهنا في القرآن كثير[٤].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي: ذاتها، تحتجّ عنها وتعتذر لها وتسعى في خلاصها لايهمّها شأن غيرها ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: جزاء ماعملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لكلّ مَنْ انعم الله عليه، فَأَبْطَرَتْه النّعمةُ فكفر بها، فأنزل الله به النّقمة ﴿قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لايزعج[٥] أهلها خوفٌ ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾: واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا

١ - الكافي٢: ٢١٩، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي الكشّاف٢: ٤٣٠؛ والبيضاوي٣: ١٩٢ مايقرب منه.
٢ - تقدّمت ترجمته في سورة النّساء، ذيل الآية: ١٣٧.
٣ - القمّي١: ٣٩١.
٤ - الأنعام(٦): ٥٤؛ والنّحل(١٦): ١١٩.
٥ - زَعَجَه كَمَنَعَه: أقْلَعَه وقَلَعَه من مكانه. القاموس المحيط١: ١٩٨؛ والصّحاح١: ٣١٩(زعج).

﴿كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾. استعار[1] الذّوقَ لإدراك أثر الضّرر، واللّباسَ لِما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف.

قال: «إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم، كان الله قد وسّع عليهم حتّى طغوا[2]، فقال بعضهم لبعض: لو عَمَدْنا[3] إلى شيء من هذا النّقيّ فجعلناه تستنجي به، كان ألْيَنَ علينا من الحجارة. قال: فلمّا فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دواباً أصغر من الجُراد، فلم تَدَعْ لهم شيئاً خَلَقَه اللهُ إلّا أكَلَتْه[4] من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجُهْدُ إلى أن أقبلوا على الّذى كانوا يستنجون به فاكلوه. وهي القرية الّتي قال الله "ضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً" الآية»[5].

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قد سبق تفسيره[6].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾. مبالغة في وصف بالكذب، كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولةً، وألسنتهم تَصِفُها، وتعرفها بكلامهم. هذا كقولهم: وَجْهُها يَصِفُ الجمالَ وعيْنُها تصف السّحرَ. ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾. القمّي: هو ماكانت اليهود يقولون "مافي بُطُونِ هذه الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ومُحَرَّمٌ عَلىٰ أزْواجِنا"[7].

﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

١ـ في «الف»: «اشعار».
٢ـ في المصدر: «كان الله قد أوسع عليهم حتّى طغوا»
٣ـ عَمَدَ إليه: قَصَدَه، المصباح المنير٢: ٩٢ (عمد).
٤ـ في المصدر: «شيئاً خلقه الله يقدر عليه إلّا اكله ...».
٥ـ العيّاشي٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي معناه مافي المحاسن (للبرقي)٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨؛ والعيّاشي٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ ذيل الآية: ١٧٣ من سورة البقرة ٢.
٧ـ القمّي١: ٣٩١. والآية في سورة الأنعام(٦): ١٣٩.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: مايفترون[١] لأجله منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ورد: «من قال للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال ودان بذلك، فعندنا يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر»[٢].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: في سورة الأنعام بقوله: "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ"الآية[٣]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: جاهلين غير متدبّرين للعاقبة ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد التّوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذلك السوء ﴿رَّحِيمٌ﴾ يثيب على الإنابة.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾. قال: «وذلك إنّه كان على دين لم يكن عليه أحد غيره؛ فكان أمّة واحدة. قال: وأمّا قانتاً فالمطيع، وأمّا الحنيف فالمسلم»[٤]. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. تكذيب لقريش فيما كانوا يزعمون أنّهم على ملّة إبراهيم.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾: لأنعم الله، معترفاً بها. روي: «إنّه كان لايتغذّى إلّا مع ضيفه»[٥]. ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾: اختاره ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ بان حبّبه إلى النّاس، حتّى أنّ أرباب الملل يتولّونه ويثنون عليه، ورزقه أولاداً طيّبة، وعمراً طويلاً في السّعة والطّاعة.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لمن أهل الجنّة، كما سأله بقوله "وألحقني بالصّالحين"[٦].

١ ـ في «الف»: «ماتفترون».
٢ ـ التّوحيد(للصّدوق): ٢٢٩، الباب: ٣٠، ذيل الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الأنعام(٦): ١٤٦.
٤ ـ القمّي ١: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ الكشّاف ٢: ٤٣٩؛ وجوامع الجامع ٢: ٣١٣.
٦ ـ الشّعراء(٢٦): ٨٣.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

قيل : في «ثمّ» هذه تعظيمٌ[1] لمنزلة رسول الله ﷺ ، وإعلامٌ بأنّ أفضلَ ما أُوتي خليل الله من الكرامة اتّباعُ نبيّنا ﷺ ملّتَهُ، حيث دلّت على تباعد هذا النّعت في المرتبة من بين ساير النّعوت الّتي أثنى اللهُ عليه بها[2] .

ورد: «لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء، لأنّه المنهج الأوضح. قال الله عزّ وجلّ: "ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفاً" فلو كان لدين الله تعالى مسلك أقوم من الاقتداء، لَنَدَبَ أنبياءَه وأولياءَه إليه»[3] .

و ورد: «ما أحد على ملّة إبراهيم إلاّ نحن وشيعتنا، وساير النّاس منها بُرآء»[4] .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ . قد سبق قصّتهم في الأعراف[5] .

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ : بالمقالة المحكمة الصّحيحة، الموضحة للحقّ، المزيحة للشّبهة؛ هذا للخواصّ. ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ : الخطابات المُقنعة والعِبَر النافعة، الّتي لا يخفى عليهم أنّك تناصحهم بها وتنفعهم فيها؛ وهذا للعوامّ. ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ : بالطّريقة الّتي هي أحسن طُرُق المجادلة؛ وهذا للمعاندين والجاحدين. قال: «يعني بالقرآن»[6] . «وهذا كقوله سبحانه "وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ"[7] إلى آخر السّورة، مجادلاً به من جحد البعث بعد الموت، وبغير الّتي هي أحسن، أن تجادل مبطلاً يُورِد عليك حقّاً ليعين به باطلَه، فتجْحَدَ ذلك الحقّ مخافة أن

١ـ في «الف»: «التعظيم».
٢ـ جوامع الجامع ٢: ٣١٣؛ والكشّاف ٢: ٤٣٤؛ والبيضاوي ٣: ١٩٤.
٣ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، عن أبي عبدالله ﷺ. وفي «الف» و«ج»: «لندب أوليائه وأنبيائه إليه».
٤ـ العيّاشي ١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٦، عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥ـ الأعراف (٧): ١٦٣.
٦ـ الكافي ٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ يس (٣٦): ٧٨.

يكون له عليك فيه حجّة، لأنّك لاتدري كيف المخلص منه». كذا ورد[١]. قال: «والجدال بغير الّتي هي أحسن محرّم، حرّمه الله على شيعتنا»[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: ليس عليك أن تهديهم ولا أن تردّهم عن الضّلالة، وإنّما عليك البلاغ، فمن كان فيه خيرٌ كفاه البرهان أو الوَعْظ، ومن لاخير فيه عجزت عنه الحيل، فكأنّك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾. قال: «لمّا رأى رسول الله ﷺ ماصنع بحمزة بن عبدالمطّلب، قال: اللّهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت[٣] المستعان على ماأرى، ثمّ قال: لئن ظفرت لأمثّلنّ وأمثّلن[٤]، قال: فأنزل الله الآية، فقال رسول الله ﷺ أصبرُ أصبرُ»[٥]. وفي رواية: «إنّه لمّا رأى مافعل به بكى، ثمّ قال: ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثّلنّ سبعين رجلاً منهم، فنزلت، فقال: بل أصبر»[٦].

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: إلّا بتوفيقه وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على أصحابك ومافعل بهم، فإنّ الله نقلهم إلى دار كرامته ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٨، ذيل الآية: ١١١، من سورة البقرة؛ والاحتجاج١: ١٤و١٥، عن العسكري، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٧؛ والاحتجاج١: ١٤، عن العسكري، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي «ب»: «حرّم الله».
٣ ـ في «ب» و«ج»: «وإنّك».
٤ ـ في المصدر: «لأمثّلنّ لأمثّلنّ».
٥ ـ العيّاشي٢: ٢٧٤، الحديث: ٨٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي «الف»: «فقال رسول الله ﷺ: اصبر».
٦ ـ القمّي١: ١٢٣. وفي «الف»: «فقال: أصبر».

سورة بني إسرائيل[1]

[مكيّة، وهي مائة وإحدى عشرة آية][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ يعني إلى ملكوت المسجد الأقصى. قال: «ذاك في السّماء، إليه أُسري رسول الله ﷺ»[3].

وفي رواية: «نظر إلى السّماء مرّة وإلى الكعبة مرّة، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: ليس كمايقولون: أسرى به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ولكنّه أسرى به من هذه إلى هذه، وأشار بيده إلى السّماء»[4]. ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

قال: «أتى جبرئيل رسول الله ﷺ بالبراق، أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، مضطرب الأذنين، عينه في حافره، وخطاه مدّ بصره، فإذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه، فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه، أهْدَبَ العُرْفِ

١ ـ في «ب»: «سورة الإسراء».
٢ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٩، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الأيمن[١]، له جناحان من خلفه»[٢].

وفي رواية: «إنّ الله سخّرلي البراق، وهي دابّة من دوابّ الجنّة، ليست بالقصير ولابالطّويل، فلو انّ الله أذنَ لها لجالت الدّنيا والآخرة في جرية واحدة، وهي أحسن الدّوابّ لوناً»[٣].

و ورد: «جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ، فأخذ واحد باللّجام، وواحد بالرّكاب، وسوّى الآخر عليه ثيابه، فتضعضعت البراق، فلطمها جبريل، ثمّ قال: اسكني يابراق، فماركبك نبيٌّ قبله ولايَرْكَبُك بعده مثلُه، قال: فترقّت به، ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرئيل يريه الآيات من السّماء والارض»[٤]. ثمّ ذكر تفصيل الآيات وفيها أسرار لايعثرعليها إلاّ الرّاسخون في العلم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: ربّاً تكلون إليه أموركم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كثير الشكر. سئل بم سمّي شكوراً؟ قال: «بكلمات بالغ فيهنّ، كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً»[٥].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وأوحينا إليهم وحياً مقضيّاً مبتوتاً. والقمّي: أي: أعلمناهم[٦]. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التّوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: وعد عقاب أولاهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

١ـ أي: طويلة مرسلة من جانب الأيمن. العُرف: شعر عنق الفرس. أقرب الموارد٣: ٧٦٩(عرف).
٢ـ الكافي٨: ٣٧٦، الحديث: ٥٦٧، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «عينيه في حافره».
٣ـ عيون اخبار الرضا عليه السلام٢: ٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٤٩، عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ القمّي٢: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي٢: ٥٣٥، الحديث: ٣٨؛ والعيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي من لايحضره الفقيه١: ٣٣٥، الحديث: ٩٨١؛ وعلل الشرايع١: ٢٩، الباب: ٢١؛ والقمّي٢: ١٤، مايقرب منه.
٦ـ القمّي٢: ١٤.

شَدِيدٍ﴾: ذوي قوّة وبطش في الحرب شديد. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عبيداً لنا»[١].

﴿فَجَاسُواْ﴾: تردّدوا لطلبكم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾: وسطها، للقتل والغارة والسّبي.

﴿وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ﴾: الدّولة والغلبة ﴿عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ ممّا كنتم. والنّفير: مَنْ يَنْفرُ مع الرّجل من قومه.

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾: فإنّ وبالها عليها. قيل: وإنّما ذكر اللّام ازدواجاً[٢] و[٣]. وفي رواية: «فلها ربّ يغفر»[٤]. ورد: «ما أحسنت إلى أحد ولا أسات إليه، وتلا الآية»[٥]. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: وعد عقوبة المرّة الآخرة ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: بعثناهم ليجعلوا وجوهكم بادية آثارَ المساءة فيها، فحُذفَ لدلالة ما ذكره أوّلاً عليه. ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾: وليُهلكوا ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾: ماغلبوه واستولوا عليه؛ أو مدّة علوّهم ﴿تَتۡبِيرًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ نوبة أُخرى ﴿عُدۡنَاۚ﴾ مرّة ثالثة إلى عقوبتكم. ﴿وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾: محبساً لا يقدرون الخروج منها أبداً. قيل في تفسير الآيات: إنّ الإفسادتين: قتل زكريّا ويحيى. والعلوّ الكبير: استكبارهم عن طاعة الله، وظلمهم النّاس. والعباد أُولي بأس: بخت نصّر[٦] وجنوده، وردّ الكرّة

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٩٧؛ وجوامع الجامع ٢: ٣١٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ أي: للمشاكلة مع القرينة السابقة: «لأنفسكم».

٣ ـ البيضاوي ٣: ١٩٧.

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٤٩.

٥ ـ جوامع الجامع ٢: ٣١٨؛ والكشّاف ٢: ٤٣٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ بُخْتُ نَصَّرَ: أصله بُوخْتُ ومعناه إبن. ونَصَّر كَبَقَّم: صنم، وكان وُجد ملقاً عند الصنم ولم يعرف له أب، فنسب إليه. وفي رواية: انّه سمّي بذلك، لأنّه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب: بخت، واسم صاحبه: نصر. خرّب القدس. راجع: القاموس المحيط ٢: ١٤٨؛ وسفينة البحار ١: ٦٠. وتفصيل الكلام في البحار ١٤: ٣٥١.

عليهم: ردّ بهمن بن إسفنديار أسراءهم إلى الشّام وتمليكه دانيال عليهم، ووعد الآخرة: تسليط الله الفُرْسَ عليهم مرّة أُخرى[١].

و ورد: «إنّ الإفسادَتين: قتلُ عليّ بن أبي طالب وطعنُ الحسن، والعلوّ الكبير: قتلُ الحسين، والعبادَ أُولي بأس: قومٌ يبعثهم الله قبل خروج القائم، فلايَدعون وِتْراً لآل محمّد إلّا قتلوه، ووعد الله: خروج القائم، وردّ الكرّة عليهم: خروج الحسين فى سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهّب، حين كان الحجّة القائم بين أظهرهم»[٢].

وفي رواية: «إنّ العباد أُولي باس هم القائم وأصحابه عليهم السّلام»[٣].

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ قال: «يدعوا»[٤]. ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للطّريقة الّتي هي اقوم الطّرق وأشدّ استقامةً. قال: «يهدي إلى الإمام»[٥]. وفي رواية: «إلى الولاية»[٦].

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. يعني يبشّر المؤمنين ببشارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: مثل دعائه بالخير ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾. قال: «إعرف طريقَ نجاتك وهلاكك، كيلا تدعو الله بشيء، عسى أن يكون فيه هلاكك وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك، ثمّ تلاهذه الآية»[٧].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

١ - البيضاوي٣: ١٩٦-١٩٧.
٢ - الكافي٨: ٢٠٦، الحديث: ٢٥٠؛ والعيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ - العيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ - الكافي٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ - المصدر، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في العيّاشي٢: ٢٨٢، الحديث: ٢٤، مقطوعاً.
٦ - العيّاشي٢: ٢٨٣، الحديث: ٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ - مصباح الشّريعة: ١٣٢، الباب: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «أمر الله جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه، فأثّر المحو في القمر خطوطاً سوداء، ولو أنّ القمر ترك على حاله بمنزلة الشّمس ولم يمح[1]، لَما عُرِفَ اللّيل من النّهار، ولا النّهار من اللّيل، ولا علم الصّائم كم يصوم، ولا عَرَفَ النّاس عدد السّنين، وذلك قول الله: "وجعلنا اللّيل" الآية»[2].

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لتطلبوا في بياض النّهار أسباب معايشكم. ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ قال: «بمقادير هما»[3]. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ تفتقرون إليه في أمر الدّين والدّنيا ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾: بيّناه بياناً غير ملتبس.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾: عمله وما قُدِّرَ له، كأنّه طيّر له من عشّ الغيب ووكْرِ القدر. قال: «قدّره الّذي قدّر عليه»[4]. ﴿فِي عُنُقِهِ﴾: لزومَ الطوق في عنقه. قال: «خيره وشرّه معه، حيث كان لايستطيع فراقه، حتّى يُعطى[5] كتابه يوم القيامة بما عمل»[6]. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ هو صحيفة عمله، أعني نفسه الّتي رسخت فيها آثارُ أعماله. ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ لكشف الغطاء.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ على إرادة القول ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

قال: «يذكر العبد[7] جميع ماعمل وماكتب عليه، حتّى كأنّه فعله تلك السّاعة، فلذلك قالوا: "يا وَيلَتَنا مالِهذا الكتاب لايُغادِرُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلّا أحْصيٰها"»[8].

﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

---

١ ـ كذا في المصدر. وفي «الف» و«ج»: «لم يمسح». وفي «ب»: «لم يمح» بدون الواو.
٢ ـ علل الشرايع ٢: ٤٧٠، الباب: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ١٢٨، الخطبة: ٩١.
٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٢، عن الصادقين عليهما السلام؛ والقمّي ٢: ١٧.
٥ ـ في «الف»: «حتّى يؤتى».
٦ ـ القمّي ٢: ١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ في العيّاشي: «يذكر بالعبد».
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٣؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أُخْرَىٰ ﴾. التّأنيث باعتبار النّفس. ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ يبيّن الحجج ويمهّد الشّرائع، فيلزمهم الحجّة.

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾: متنعّميها. قال: «أكابرها»[١]. وقال: «أمّرنا، مشدّدة ميمه[٢]، تفسيرها: كثّرنا. وقال: لاقرأتها مخفّفة»[٣]. وفي رواية: «إنّه قرأ: آمرنا»[٤]. على وزن عامرنا. يقال: أمّرت الشّيء وآمرته إذا كثّرته[٥]. والقمّي: كثّرنا جبابرتها[٦]. ﴿ فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾. يعني كلمة العذاب ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾: أهلكنا هم.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ يُدْرِكُ بواطنَها وظواهرَها، فيُعاقب عليها.

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ﴾: النّعمة الدّنيويّة، مقصوراً عليها همّته ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾. قيّد المعجّل والمعجّل له بالمشيّة والإرادة لأنّه لايجد كلُّ متمنٍّ ما يتمنّاه، ولاكلُّ أحدٍ جميعَ مايهواه، وليعلم انّ الأمر بالمشيّة. ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾: مطروداً من رحمة الله.

في الحديث النّبويّ: «معنى الآية: من كان يريد ثواب الدّنيا بعمله الّذي افترضه الله عليه، لايريد به وجه الله والدّارَ الآخرة، عجّل له مايشاء الله من عرض الدّنيا، وليس له ثواب في الآخرة؛ وذلك انّ الله سبحانه يؤتيه[٧] ذلك ليستعين به على الطّاعة، فيستعمله

١ ـ العيّاشي٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ في المصدر: «مشدّدة منصوبة».
٣ ـ المصدر، الحديث: ٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٠٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام. ولم ترد كلمة: «انّه» في «الف».
٥ ـ في «الف»: «أكثرته».
٦ ـ القمّي٢: ١٧.
٧ ـ في «الف»: «يعطيه».

في معصية الله، فيعاقبه الله عليه»[١].

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾: حقها من السّعي، وهو الإتيان بما أمر به، والانتهاء عمّا نهي عنه، لا التقرّب بما يخترعون بآرائهم. وفائدة اللّام اعتبار النيّة والإخلاص. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إيماناً لا شرك فيه ولا تكذيب ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ من الله، مقبولاً عنده مثاباً عليه. في الحديث النّبويّ: «من أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدّنيا»[٢].

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾: كلّ واحد من الفريقين، نتفضّل عليه بالعطاء مرّة بعد أخرى، نجعل الآنف منه مدداً للسّالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً. ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: ممنوعاً، لا يمنع العاصي لعصيانه.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. يعني في الدّنيا ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ أي: التّفاوت في الآخرة أكثر. روي: «إنّ ما بين أعلى درجات الجنّة وأسفلها مثل ما بين السّماء والأرض»[٣]. وقال: «إنّما تفاضل القوم بالأعمال»[٤]. وفي رواية: «على قدر عقولهم»[٥].

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾. الخطاب لكلّ أحد، أو للرّسول والمراد به أمّته. ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾. يعني: إذا فعلتَ ذلك، بقيتَ ما عشتَ مذموماً على السنة العقلاء، مخذولاً لا ناصر لك. وإنّما عبّر عن ذلك بالقعود، لأنّ في القعود معنى الذّلّ والعجز والهوان. يقال: قعد به الضّعف.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾: وأمر أمراً مقطوعاً به ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾: بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾

١ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠٧.
٢ ـ روضة الواعظين: ٤٣٤؛ والخصال ١: ٢٩٣، ذيل الحديث: ٥٨، وفيه: «فليدع زينة الحياة الدنيا».
٣ ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٠٧، ولم ترد فيه كلمة: «مثل».
٤ ـ العيّاشي ١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٧؛ ومجمع البيان ٩ـ١٠: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الكافي ١: ١١، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إنّ الثواب على قدر العقل».

لأنّ غاية التّعظيم لايحقّ، إلّا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام. ويجوز أن تكون «أن» مفسّرة، و«لا» ناهية، كما يشعر به بعض الأخبار[١]. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وبأن تحسنوا، أو أحسنوا.

ورد: سئل ماهذا الإحسان؟ فقال: «أن تحسن صحبتهما، وأن لاتكلّفهما أن يسألاك شيئاً، وإن كانا مستغنيين»[٢].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾. زيدت على «إن» الشّرطيّة «ما» للتأكيد. ﴿عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾: في كنفك وكفالتك ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾. قال: «إن أضجراك»[٣].

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولاتزجرهما. قال: «إن ضرباك»[٤]. القمّي: أي: لاتخاصمهما[٥].

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: حسناً جميلاً. قال: «إن ضرباك، فقل لهما: غفرالله لكما، فذلك منك قول كريم»[٦].

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾: تذلّل لهما وتواضع ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك عليهما، لافتقارهما إلى مَنْ كان أفقر خلق الله إليهما. قال: «لاتملأ عينيك من النّظر إليهما إلّا برحمة ورقّة، ولاترفع صوتك فوق أصواتهما، ولايَدَكَ فوق أيديهما، ولاتقدّم قدّامهما»[٧]. ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾: وادع الله أن يرحمهما برحمة الباقية، ولاتكتف برحمتك الفانية ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: جزاء لرحمتهما عليّ، وتربيتهما لي في صغري.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾. قال: «هم التوّابون المتعبّدون»[٨].

١ ـ الكافي ٢: ٣٠، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢، ٣، ٤ و٦ ـ الكافي ٢: ١٥٧، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٥، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ١٨.
٧ ـ الكافي ٢: ١٥٨، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٥، ذيل الحديث: ٣٩؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٦، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. قال: «لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل قد عرَفْتُ المسكين، من[1] ذوالقربى؟ قال: هم أقاربك. فَدَعا حسناً وحسيناً وفاطمة فقال: إنّ ربّي أمرني أن أُعطيكم ممّا أفاء الله عليّ. قال: أعطيتكم[2] فدك[3]»[4]. وفي معناه أخبار مستفيضة[5]. وفي رواية: «وكان عليّ، وكان حقّه الوصيّة الّتي جعلت له، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النّبوّة»[6].

أقول: لاتنافي بين الرّوايتين، لأنّ حقّ عليّ كان الوصيّة، وحقّ فاطمة وأولادها فَدَك، ولكلّ أحد قرابةٌ، وفي قرابته مَنْ له عليه حقّ.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بصرف المال فيما لاينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. وأصل التّبذير: التّفريق. سئل عن هذه الآية فقال: «من أنفق شيئاً في طاعة الله فهو مبذّر، ومن أنفق في سبيل الله[7] فهو مقتصد»[8]. و ورد: «إنّه دَعا برطب، فأقْبَلَ بعضُهم يَرْمي بالنّوى، فقال عليه السلام: لاتفعل، إنّ هذا من التّبذير، وإنّ الله لايحبّ الفساد»[9].

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: أمثالهم، السّالكين طريقتهم، وهذا غاية

١ ـ في المصدر: «فمن».
٢ ـ في «ب» و«ج»: «اعطيكم».
٣ ـ فَدَك ـ بفتحتين ـ: قرية من قرى اليهود، بينها وبين مدينة يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة. وهي ماأفاء الله على رسوله، وكانت لرسول الله ﷺ؛ لأنّه فتحها هو وأمير المؤمنين عليهما السلام لم يكن معهما أحد، فزال عنها حكم الفيء ولزمها حكم الأنفال. وقد حدّها عليّ عليه السلام: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دَومَة الجندل، يعني الجوف. مجمع البحرين٥: ٢٨٣ (فدك).
٤ ـ العيّاشي٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الكافي١: ٥٤٣، الحديث: ٥؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٣، الباب: ٢٣، الحديث: ١؛ والعيّاشي٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٧، ٤٨، ٤٩ و٥٠؛ ومجمع البيان٥ ـ ٦: ٤١١.
٦ ـ الكافي١: ٢٩٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ في المصدر: «في سبيل الخير».
٨ ـ العيّاشي٢: ٢٨٨، الحديث: ٥٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ ـ المصدر، الحديث: ٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

الذمّ ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ .

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ : وإن تعرض عن هؤلاء الّذين امرتُك بإيتاء حقوقهم حياءً من الردّ، لتبتغي الفضل من ربّك والسّعة الّتي يمكنك معها البذلُ، فقُلْ لهم قولاً ليّناً وعِدْهُم عدة جميلة. روي: «إنّه كان لمّا نزلت هذه الآية، إذا سئل ولم يكن عنده مايعطي قال: يرزقنا الله وإيّاكم من فضله»[1].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ . تمثيل لمنع الشّحيح وإسراف المبذّر، نهى عنهما وأمر بالاقتصاد بينهما، الّذي هو الكرم والجود. ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ . قال: «نزلت لمّا سأله رجل فلم يحضره شيء، فاعطاه قميصه. قال: فأدبّه الله على القصد»[2]. وفي رواية: «فنهاه الله أن يبخل ويسرف، ويقعد محسوراً من الثّياب»[3]. وقال: «المحسور: العريان»[4]. وفي رواية: «الإحسار: الإقتار»[5]. وفي أخرى: «الفاقة»[6]. وفي رواية: «كانت عنده أُوقيّة من الذهب، فكرِه أن تبيت عنده، فتصدّق بها، فاصبح وليس عنده شيء، وجاء من يسأله فلم يكن عنده مايعطيه، فلامه السّائل واغتمّ هو»[7]. الحديث.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ : يوسّعه ويضيّقه بحسب المصلحة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ فيعلم مصالحهم، ومايبنغي لهم ومالاينبغي.

ورد: «وإنّ من عبادي من لايُصلِحه إلاّ الفقر، ولو أغنيتُه لأفسَده ذلك، وإنّ من

١ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤١١.
٢ ـ الكافي٤: ٥٦، الحديث: ٧؛ والعيّاشي٢: ٢٨٩، الحديث: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي٢: ١٩.
٤ ـ المصدر؛ ومجمع البيان٥ـ٦: ٤١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي٢: ٢٨٩، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ ـ الكافي٤: ٥٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الكافي٥: ٦٧، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

عبادي من لايصلحه إلّا الغنى، ولو أفقرتُه لأفسده ذلك»[١]. وقال: «وإنّي لأعلم بمصالح عبادي»[٢] الحديث.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾. القمّي: مخافة الفقر والجوع، فإنّ العرب كانوا يقتلون أولادهم لذلك[٣]. سئل: ما الإملاق؟ قال: «الإفلاس. ثمّ تلا هذه الآية»[٤].

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: ذنباً كبيراً.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قبيحة زائدة على حدّ القبح. قال: «معصية ومقتاً، فإنّ الله يمقته ويبغضه»[٥]. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾. قال: «وهو أشدّ النّاس[٦] عذاباً. قال: والزّنا من أكبر الكبائر»[٧].

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ككفر بعد إيمان، وزناً بعد إحصان، وقتل مؤمن عمداً. ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: تسلّطاً بالمؤاخذة. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾.

سئل: «ما هذا الإسراف الّذي نهى الله عنه؟ قال: «نهى أن يَقتُلَ غيرَ قاتله، أو يمثّل بالقاتل»[٨]. وفي رواية: «إذا اجتمع العدّة على قتل رجل واحد، حكم الوالي أن يقتل أيّهم شاؤوا. وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد»[٩].

١ ـ علل الشرايع١: ١٢، الباب: ٩، قطعة من حديث: ٧، عن النّبيّ ﷺ، في حديث قدسيّ.
٢ ـ الكافي٢: ٦٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، في حديث قدسيّ؛ بالمضمون.
٣ ـ القمّي٢: ١٩.
٤ ـ العيّاشي٢: ٢٩٠، ذيل الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥و٧ ـ القمّي٢: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في المصدر و«الف»: «أشدّ النّار».
٨ ـ الكافي٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٩ ـ الكافي٧: ٢٨٤، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي٢: ٢٩٠، الحديث: ٦٦، مع اختلاف في اللّفظ.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾. سئل عنه، قال: «و أيّ نصرة أعظم من أن يدفع القاتل أولياء المقتول فيقتله، ولاتبعة تلزمه من قتله؛ في دين ولادنيا»[١].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ فضلاً أن تتصرّفوا فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بالطّريقة الّتي هي أحسن، وهي حفظه عليه. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾. قال: «انقطاع يتم اليتيم الاحتلام، وهو أشدّه»[٢]. وفي رواية: «أشدّه ثلاث عشرة سنة والدّخول في الأربع عشرة، احتلم أو لم يحتلم»[٣]. ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾. قال: «ثلاثة لم يجعل الله لأحد من النّاس فيهنّ رخصة، وعدّ منها الوفاء بالعهد»[٤].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: بالميزان السّويّ. قال: «هو الميزان الّذي له لسان»[٥]. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسن عاقبة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: ولاتتّبع. والقمّي: أي: لاتقل، ولاترْمِ أحداً بما ليس لك به علم[٦]. و ورد: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة أُقيم في طينة خبال أو يخرج ممّا قال»[٧]. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. قال: «يسأل السّمع عمّا سمع، والبصر عمّا نظر إليه، والفؤاد عمّا عقد عليه»[٨].

١ـ الكافي٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ـ الكافي٧: ٦٨، الحديث: ٢؛ والتهذيب٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧؛ ومن لايحضره الفقيه٤: ١٦٣، الحديث: ٥٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي٧: ٦٩، الحديث: ٧؛ ومن لايحضره الفقيه٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الخصال١: ١٢٨، الحديث: ١٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي٢: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر.
٧ـ المصدر، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ الكافي٢: ٣٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾: ذا مرح وهو الاختيال. القمّي: أي: بطراً وفرحاً[١]. ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: لن تجعل فيها خرقاً لشدّة وطائك. القمّي: أي: لن تبلغها كلّها[٢]. ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك. القمّي: أي: لاتقدر أن تبلغ قلل الجبال[٣]. قيل: هو تهكّم بالمختال، وتعليل للنّهي بأنّ الاختيال حماقة مجرّدة، لايعود بجدوىٰ، ليس في التذلّل[٤].

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾. إشارة إلى خصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله و "لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ[٥]" ويقال: إنّها المكتوبة في ألواح موسى[٦]. ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾: المنهيّ عنه منه ﴿ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾: مبغوضاً.

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾. كرّره للتّنبيه على أنّ التّوحيد مبدء الأمر ومنتهاه، ورأس الحكمة وملاكها. ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴾ تلوم نفسك ويلومك غيرك ﴿ مَّدْحُورًا ﴾: مُبْعداً عن رحمة الله. القمّي: المخاطبة للنّبيّ والمعنى النّاس[٧].

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾. القمّي: هو ردّ على قريش فيما قالوا: إنّ الملائكة هي بنات الله[٨]. ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ بإضافة الولد إليه، ثمّ بتفضيل أنفسكم عليه، حيث تجعلون له ماتكرهون، ثمّ تجعل[٩] الملائكة الّذين هم من أشرف خلق الله أدونهم.

١، ٢و٣ـ القمّي٢: ٢٠.
٤ـ البيضاوي٣: ٢٠٢.
٥ـ الآية: ٢٢، من هذه السورة.
٦ـ البيضاوي٣: ٢٠٢؛ والكشّاف٢: ٤٥٠، عن ابن عبّاس.
٧ـ القمّي٢: ٢٠، وفيه: «والمعنى للنّاس».
٨ـ المصدر، وفيه: «هنّ بنات الله».
٩ـ في «ب»: «يجعل»، والأصحّ: «بجعل».

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا الدّلائل وفصّلنا العبر ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ ليتّعظوا ويعتبروا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحقّ.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: لطلبوا إلى مالك المُلْك سبيلاً بالتقرّب والطّاعة، كما قال: "يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ"[١]

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. قال: «تنقض[٢] الجدر تسبيحها»[٣]. وسئل: أتسبّح الشّجرة اليابسة؟ فقال: «نعم، أما سمعت خشب البيت كيف ينقض، وذلك تسبيحه لله، فسبحان الله على كلّ حال»[٤].

أقول: وذلك لأنّ نقصانات الخلايق دلائل كمالات الخالق، وكثراتها واختلافاتها شواهد وحدانيّته، وانتفاء الشّريك عنه والضّدّ والنّدّ.

قال: «بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له»[٥] الحديث.

فهذا تسبيحٌ فطريٌّ واقتضاءٌ ذاتيٌّ نشأ عن تجلٍّ تجلّىٰ لهم فأحبّوه؛ فانبعثوا إلى الثّناء عليه من غير تكليف، وهي العبادة الذاتيّة؛ الّتي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الّذي

١ ـ الآية: ٥٧، من نفس السورة.
٢ ـ تَنَقَّضَ البيت: تشقّق، فسُمِعَ له صوت: القاموس المحيط٢: ٣٦٠(نقض).
٣ ـ الكافي٦: ٥٣١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي٢: ٢٩٣، الحديث: ٧٩، عنه عليه السلام.
٤ ـ العيّاشي٢: ٢٩٤، الحديث: ٨٤، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السّلام، ولم ترد فيه كلمة «لله».
٥ ـ الكافي١: ١٣٩، ذيل الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ ونهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٧٣، الخطبة: ١٨٦.

يستحقّه جلّ جلاله.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب منكم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ عن الحسّ من قدرة الله تعالى يحجبك عنهم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ تُكنُّها وتحول دونها عن إدراك الحقّ وقبوله ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنعهم عن استماعه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ غير مشفوع به آلهتهم ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾: هرباً من استماع التّوحيد ونفرة.

قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزله واجتمعت عليه قريش يجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، ويرفع بها صوته فتولّي قريش فراراً. فأنزل الله في ذلك "وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ" الآية»[١].

وفي رواية: «كان إذا صلّى بالنّاس جهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، فتخلّف من خلفه من المنافقين عن الصّفوف، فإذا جازها في السّورة عادوا إلى مواضعهم، وقال بعضهم لبعض: إنّه ليردّد اسم ربّه تردداً[٢]، إنّه ليحبّ ربّه. فأنزل الله الآية»[٣].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: بسببه من اللّغو والاستهزاء بالقرآن. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾: متناجون ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: قد سُحِرَ به، فَجُنَّ واختلط عليه عقلُه.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: مثّلوكَ بالسّاحر والشّاعر والكاهن والمجنون. ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الحقّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إليه.

١ ـ الكافي٨: ٢٦٦، الحديث: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ في «ب»: «تردّدا».
٣ ـ العيّاشي٢: ٢٩٥، الحديث: ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾: تراباً وغباراً، وانتثر لحومنا ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾. على الإنكار والاستبعاد. قال: «جاء أُبيّ بن خلف، فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه ثمّ قال: يا محمّد "إذا كنّا عظاماً ورُفاتاً ءإنّا لَمَبْعوثون خلقاً"؟ فأنزل الله تعالى: "قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيها الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"[1]»[2].

﴿قُل﴾: جواباً لهم ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾.

﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾ فإنّه يقدر على إعادتكم أحياء. قال: «الخلق الّذي يكبر في صدوركم الموت»[3]. ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ فإنّه على الإعادة أقدر. ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾: فسيحرّكون نحوك رؤوسهم تعجّباً واستهزاء. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ فإنّ كلّ ما هو آتٍ قريب.

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ﴾. أي: يوم يبعثكم فتنبعثون منقادين. استعار لهما الدّعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسّراً مرهما. ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾: حامدين لله على كمال قدرته ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾ يعني المؤمنين ﴿يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: يقولوا للمشركين الكلمة الّتي هي أحسن، ولا يخاطبوهم بما يغيظهم ويغضبهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾: يهيج بينهم المراء والشرّ، فلعلّ المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾. قيل: هي تفسير للّتي هي أحسن، ومابينهما اعتراض، أي: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يصرّحوا بأنّهم

---

١ ـ يس(٣٦): ٧٨ ـ ٧٩.

٢ ـ العيّاشي٢: ٢٩٦، الحديث: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ ـ القمّي٢: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.

من أهل النّار، فإنّ ذلك يهيّجهم على الشرّ، مع انّ ختام أمرهم غيب لايعلمه إلاّ الله[١].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾: موكولاً إليك أمرهم، تجبرهم على الإيمان، وإنّما أرسلناك مبشّراً ونذيراً، فدارهم ومُر[٢] أصحابك بالاحتمال منهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وأحوالهم، فيختار منهم لنبوّته وولايته من يستأهل لهما، وهو ردّ لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيّاً، وأن يكون الفقراء أصحابه. ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾.

قال: «سادة النّبيّين والمرسلين خمسة، وهم أُولوا العزم من الرّسل وعليهم دارت الرّحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السّلام»[٣].

وفي الحديث النّبويّ: «إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللائمّة من ولدك»[٤].

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ انها آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير[٥] ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾: ولاتحويل ذلك منكم إلى غيركم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطّاعة ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أي: يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة، فكيف بغير الأقرب! ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ كساير العباد، فكيف يزعمون أنّهم آلهة! ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ حقيقاً بان يحذره كلّ احد، حتّى الملائكة والرّسل.

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٥؛ والكشّاف ٢: ٤٥٣.
٢ ـ في «ب»: «وأمر».
٣ ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ علل الشرايع ١: ٥، الباب، ٧، الحديث: ١.
٥ ـ في «ب»: «كالمسيح وعزير والملائكة».

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾. قال: «هو الفناء بالموت»[١]. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: في اللّوح المحفوظ مكتوباً.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ الّتي اقترحتها قريش ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾: إلاّ تكذيب الأولين الّذين هم أمثالهم كعاد وثمود، وأنّها لو أُرسلت لكذّبوا بها، كما كذّب أُولئك، واستوجبوا العذاب العاجل المستأصل، "وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ"[٢]. قال: «سأله قومه أن يأتيهم بآية، فنزل جبرئيل وقال: إنّ الله يقول "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ" الآية، وكنّا إذا أرسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها، أهلكناهم فلذلك أخّرنا عن قومك الآيات»[٣]. ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم ﴿مُبْصِرَةً﴾: آية بيّنة ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: فظلموا أنفسهم بسبب عقرها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وإنذاراً بعذاب الآخرة، فإنّ أمر مَنْ بُعِثْتَ إليهم مؤخّر إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم في قبضة قدرته. وقيل: أي: أهلكهم، يعني بشّرناك بوقعة بدر، ونصرتك عليهم، وهو قوله "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"[٤] "سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ"[٥]، فجعله تعالى كأنّه قد كان على عادته في إخباره[٦]. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. ورد في أخبار كثيرة: «إنّه ﷺ أري في منامه أنّ بني تيم وبني عديّ وبني أُميّة، يصعدون منبره، يردّون النّاس عن الإسلام القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً»[٧]. وفي رواية: «ينزون على منبره

١ـ من لايحضره الفقيه١: ١١٨، الحديث: ٥٦٢؛ والعيّاشي٢: ٢٩٧، الحديث: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الانفال (٨): ٣٣.
٣ـ القمّي٢: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمر (٥٤): ٤٥.
٥ـ آل عمران (٣): ١٢.
٦ـ الكشاف٢: ٤٥٤.
٧ـ الكافي٨: ٣٤٥، الحديث: ٥٤٣، عن أحدهما عليهما السّلام؛ والعيّاشي٢: ٢٩٨، الحديث: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

نزو القردة»[١]. وفي أخرى: «أُري في نومه كأنّ قروداً تصعد منبره، فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً، فأنزل الله "وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلاّ فتنةً للنّاس" ليعمهوا فيها»[٢]. القمّي: كذا نزلت[٣]. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾. عطف على الرّؤيا. قال: «يعني بني أميّة»[٤] في أخبار كثيرة[٥]. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواع التّخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ فيه لطافة لاتخفى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

قد سبق تفسيره[٦].

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾: أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾: فضّلته عليّ، لِمَ فضّلته وأنا خير منه؟! ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾: لأستأصلنّهم بالإغواء، ولأستولين[٧] عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لاأقدر أن أقاوم سكينتهم.

﴿قَالَ اذْهَبْ﴾: امض لما قصدته. وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسوّلت له نفسه. ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾: جزاؤك وجزاؤهم: ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾: مكمّلاً.

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾: واستخف[٨] ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ أن تستفزّه ﴿بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك إلى الفساد ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾: وصِحْ عليهم ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: بفرسانك

١ـ الصّحيفة السّجّاديّة: ٦٥، جملة: ٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن جدّه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٣: ٥٢.

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٢٤، بالمضمون.

٣ـ القمّي ١: ٢١.

٤ـ العيّاشي ٢: ٢٩٧، الحديث: ٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ المصدر، الأحاديث: ٩٤، ٩٥، ٩٩و١٠٠؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٤٢٤.

٦ـ ذيل الآية: ٣٤، من سورة البقرة؛ والآية: ١١، من سورة الأعراف.

٧ـ في «ألف»: «لأسولن».

٨ـ في «ألف»: «واستخفف».

ورجليك، واحشرهم[1] عليهم. تمثيل لتسلّطه على من يغويه، بمن صوّت على قوم فاستفزّهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام، وإنفاقها فيما لاينبغي ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾.

«فإنّه إذا زنى الرّجل، أو اشترى الأمة بمال حرام، أو ترك اسم الله عند النّكاح[2]، فإنّ الشّيطان يدخل ذكره حينئذ ثمّ يختلط النّطفتان». كذا ورد[3].

وقال: «إذا اشتركا فربّما خلق من أحدهما، وربّما خلق منهما جميعاً»[4].

قال: «ويعرف بحبّنا وبغضنا، فمن أحبّنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشّيطان»[5].

﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيدَ الكاذبة، كشفاعة الآلهة، وتأخير التّوبة لطول الأمل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾. اعتراض.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني المُخْلَصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم، يتوكّلون عليه في الاستعاذة منك، فيحفظهم من شرك.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي﴾: هو الّذي يجري ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: الرّبح[6] وانواع الأمتعة الّتي لاتكون عندكم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾: خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾: ذهب عن خواطركم كلُّ من تدعونه[7] في حوادثكم ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وحده، فلاترجون هناك النّجاة إلّا

١ - في «ب»: «فاجسرهم».
٢ - في «ب»: «على النّكاح».
٣ - الكافي ٥: ٥٠٢، الحديث: ٢، و٥٠٣، الحديث: ٥؛ والعيّاشي ٢: ٢٩٩، الحديث: ١٠٢ و١٠٤، و٣٠٠، الحديث: ١٠٨، بالمضمون.
٤ - الكافي ٥: ٥٠٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ - المصدر: ٥٠٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ - في «ب»: «الرّبح».
٧ - في «ب»: «من هو تدعونه».

من عنده. وقد مرّ في هذا المعنى حديث في سورة الفاتحة[1]. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التّوحيد، واتّسعتم في كفران النّعمة ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً ترمي بالحصباء[2] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يحفظكم من ذلك.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بتقوية دواعيكم، إلى أن ترجعوا فتركبوه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسراً ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾. قال: «هي العاصف»[3]. ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب إشراككم، أو كفرانكم نعمة الإنجاء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بالعقل والنّطق، والصّورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، والتّسلّط على مافي الأرض، وتسخير ساير الحيوانات، والتّمكّن من الصّناعات إلى غير ذلك. ورد: «في صورة الآدميّين، إنّها أكرم صورة على الله»[4]. ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال: «على الرّطب واليابس»[5]. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذّات. قال: «يقول من طيّبات الثّمار كلّها»[6].

وفي رواية: «إنّ الله لايُكرِّمُ روحَ كافر ولكن كَرَّمَ أرواحَ المؤمنين، وإنّما كرامة النّفس والدّم بالرّوح، والرّزق الطيّب هو العلم»[7].

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. قال: «من التّفضيل أنّه يرفع بيده إلى فيه طعامه»[8] «وأنّه خلق منتصباً»[9].

١ ـ ذيل كلمة «بسم الله».
٢ ـ الحَصْباء: صغار الحصى. المصباح المنير ١: ١٦٩ (حصب).
٣ ـ القمّي ٢: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي ١: ٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥، ٦ و٨ ـ الامالي (للشيخ الطوسي) ٢: ١٠٣، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٧ ـ القمّي ٢: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ ـ العيّاشي ٢: ٣٠٢، الحديث: ١١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾: بمن ائتمّوا به، من نبيّ أو وصيّ أو شقيّ.

قال: «بإمامهم الّذي بين أظهرهم، وهو قائم أهل زمانه»[١].

وفي رواية: «إمام دعا إلى هدى فأجابوه، وإمام دعا إلى ضلالة[٢] فأجابوه، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء إلى النّار»[٣].

وقال: «سيدعى كلّ أُناس[٤] بإمامهم، أصحاب الشّمس بالشّمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النّار بالنّار، وأصحاب الحجارة بالحجارة»[٥].

و رود: «كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه»[٦].

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ مبتهجين بما يرون فيه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء. والفتيل: المفتول الّذي في شقّ النّواة.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾: أعمى القلب، لا يبصر رشده، ولا يهتدي إلى طريق النّجاة ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: لا يهتدي إلى طريق الجنّة.

قال: «من لم يدلّه خلق السّموات والأرض، واختلاف اللّيل والنّهار، ودوران الفلك والشّمس والقمر، والآيات العجيبات، على أنّ وراء ذلك أمراً أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً»[٧].

وقال: «أشدّ العمى، من عَمِي عن فضلنا وناصبَنا العداوة، بلا ذنب سبق إليه منّا؛ إلّا أن دعوناه إلى الحقّ، ودعاه من سوانا إلى الفتنة والدّنيا، فأتاهما ونصب البراءة منّا

١ ـ الكافي١: ٥٣٦، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ في «ب»: «إلى ضلال».
٣ ـ الأمالي(للصدوق): ١٣١، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه «وهؤلاء في النار».
٤ ـ في «الف» و«ج»: «كلّ ناس».
٥ ـ العيّاشي٢: ٣٠٣، الحديث: ١١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ المصدر، الحديث: ١٢٠، و٣٠٤، الحديث: ١٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ التوحيد: ٤٥٥، الباب: ٦٧، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

والعداوة»[١].

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾: قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: عن حكمه ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾: غير ما أوحينا إليك. القمّي: يعني في أمير المؤمنين عليه السلام[٢]. ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾: ولو اتّبعت مرادهم لاظهروا خلّتك. القمّي: يعني لاتخذوك صديقاً لو أقمت غيره[٣].

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾: لَقاربْتَ أن تَميلَ إلى اتّباع مرادهم.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾. قيل: أي: عذاباً ضِعْفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات، يعني مضاعفاً على ما إذا فعله غيرك، لأنّ خطأ الخطير أخطر[٤].

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنك.

قال: «إنّ هذا ممّا نزل: بإيّاك أعني واسمعي يا جاره[٥]. خاطب الله بذلك نبيّه والمرادُ به أمّته»[٦]. وفي رواية: «عنى بذلك غيره»[٧]. وفي أخرى: «إنّه من فرية[٨] الملحدين

١ - الخصال٢: ٦٣٣، في حديث أربعمائة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه «والعداوة لنا».
٢ - القمّي٢: ٢٤.
٣ - القمّي٢: ٢٤.
٤ - البيضاوي٣: ٢٠٨.
٥ - إيّاكِ أعْني فاسمَعي يا جارَه: أوّل من قاله سَهْل بن مالك الفَزاريّ. وذلك أنّه عدل في طريقه إلى النعمان إلى خباء حارثة بن لام الطائي، فما أصابه شاهداً، فرحبت به أخته، وكانت جميلة نبيلة، ثمّ إنّه افتتن بها، فجلس وهو يترنّم بقوله:

يا أختَ خَيْرِ البَدْوِ والحَضارَهْ ... كَيفَ تَرَيْنَ في فَتى فَزارَهْ
أصبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطارَهْ ... إيّاكِ أعْني واسْمَعي يا جارَهْ

يضرب في التعريض بالشيء، يبديه الرجل وهو يريد غيره. المستقصى١: ٤٥٠؛ مجمع الأمثال١: ٨٠.
٦ - عيون أخبار الرّضا عليه السلام١: ٢٠٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي١: ١٠، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ - الكافي٢: ٦٣١، ذيل الحديث: ١٤؛ والعيّاشي١: ١٠، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ - في المصدر: «من فرقة».

وتحريفهم»[١].

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليزعجونك[٢] بمعاداتهم ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مكّة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني لو خرجتَ لايبقون بعد خروجك إلاّ زماناً قليلاً. القمّي: حتّى قتلوا ببدر[٣]. قيل: وكان ذلك بعد الهجرة بسنة[٤].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: سَنَّ الله ذلك سنّة، وهو أن يُهلك كلّ أُمّة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تغييراً.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾: لزوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: إلى ظلمته. قال: «دلوكها: زوالها، "وغسق اللّيل": انتصافه، وفيما بينهما أربع صلوات»[٥]. ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. قال: «يعني صلاة الفجر يشهده ملائكة اللّيل وملائكة النّهار، فإذا صلّى العبد الصّبح مع طلوع الفجر أثبتت له مرّتين، أثبتها ملائكة اللّيل وملائكة النّهار»[٦]. وقال: «في هذه الآية جمعت الصّلوات كلّهنّ»[٧].

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ وبعض اللّيل فاترك الهجود للصّلاة بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضة زائدة لك على الصّلوات المفروضة.

ورد: سئل عن النّوافل فقال: «فريضة، ثمّ قال: أعني صلاة اللّيل على رسول الله ﷺ، ثمّ تلا هذه الآية»[٨].

١ ـ الاحتجاج١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام، بالمضمون.
٢ ـ أزعجه: أي: اقلعه وقلعه من مكانه. الصحاح١: ٣١٩(زعج).
٣ ـ القمّي٢: ٢٤.
٤ ـ البيضاوي٣: ٢٠٨.
٥ ـ الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١؛ ومن لايحضره الفقيه١: ١٢٥، الحديث: ٦٠٠؛ والتهذيب٢: ٢٤١، الحديث: ٩٥٤؛ والعيّاشي٢: ٣٠٨، الحديث: ١٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تقدّم و تأخّر في العبارة.
٦ ـ الكافي٣: ٢٨٣، ذيل الحديث: ٢؛ والاستبصار١: ٢٧٥، الحديث: ٩٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ العيّاشي٢: ٣٠٩، الحديث: ١٤١، عن الصادقين عليها السلام.
٨ ـ التهذيب٢: ٢٤٢، الحديث: ٩٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾. قال: «هي الشفاعة»[1]. وفي الحديث النبويّ: «هو المقام الّذي أشفع لأمّتي»[2].

وقال: «إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي، فيشفّعني الله فيهم، والله لاتشفّعت فيمن آذىٰ ذرّيّتي»[3].

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾. القمّي: نزلت يوم فتح مكّة؛ لمّا أراد دخولها[4].

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾. قال: «إنّه دخل يوم فتح مكّة والأصنام حول الكعبة، وكانت ثلاثمائة وستّين صنماً، فجعل يطعنها بمخصَرَة[5] في يده ويقول: "جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زَهُوقاً" "وَما يُبدئُ الباطلُ وما يُعيدُ"[6]، فجعلت تنكّب لوجهها»[7].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: في معانيه شفاء الأرواح، وفي ألفاظه شفاء الأبدان.

ورد: «ماشتكى أحدٌ من المؤمنين شكاية قطّ وقال بإخلاص نيّة ومسح موضع العلّة "وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ" الآية إلّا عوفيَ من تلك العلّة، أيّة علّة كانت، ومصداق ذلك في الآية حيث يقول: "شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ"»[8].

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٤، الحديث: ١٤٨، عن أحدهما عليهما السلام.
٢ ـ روضة الواعظين: ٥٠٠.
٣ ـ روضة الواعظين: ٢٧٣، عن النبيّ ﷺ.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٦.
٥ ـ المِخْصَرَةُ ـ كمِكْنَسَة ـ: مايتوكّأ عليه كالعصا ونحوه؛ ومايأخذه المَلِك يشير به إذا خاطب؛ والخطيب إذا خطب. القاموس المحيط ٢: ٢١ (خصر).
٦ ـ سبأ (٣٤): ٤٩.
٧ ـ الأمالي ١: ٣٤٦، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام.
٨ ـ طبّ الأئمّة: ٢٨، عن أبي عبدالله ﷺ.

وقال: «لا بأس بالرّقية والعودة والنّشرة إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله»[١]. ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لتكذيبهم وكفرهم به.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالصحّة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾: لوى عِطفه وبَعُدَ بنفسه عنه، كأنّه مستغنٍ مستبدٌّ برأيه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من مرض أو فقر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾: شديد اليأس من روح الله.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾: على ما يُشاكِل حاله في الهدى والضّلالة. قال: «يعني على نيّته»[٢].

وقال: «إنّما خُلّد أهل النّار في النّار، لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو خُلّدوا فيها أن يَعْصوا الله أبداً، وإنّما خُلّد أهلُ الجنّة في الجنّة، لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً؛ فبالنّيات خُلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكلته"»[٣].

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ، وهو مع الأئمّة عليهم السلام، وهو من الملكوت»[٤]. وفي رواية: «خلق من خلقه، له بصر[٥] وقوّة وتاييد، يجعله في قلوب المؤمنين

١ ـ طبّ الأئمّة: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي٢: ١٦، الحديث: ٤، و٨٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي٢: ٨٥، الحديث: ٥؛ والعيّاشي٢: ٣١٦، الحديث: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الكافي١: ٢٧٣، الحديث: ٣؛ والقمّي٢: ٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ في «ألف»: «له نصرة».

والرّسل»[١]. وفي أُخرى: «وليس كلّما طلب وُجِد»[٢]. وفي رواية: «سئل عنها. فقال: الّتي في الدّوابّ والنّاس، قيل: وماهي؟ قال: هي من الملكوت من القدرة»[٣]. وقد سبق له بيان في سورة الحجر[٤]. وهذه الأخبار إخبار بما يتميّز به عن غيره، وماأبهم في الآية حقيقته، فلامنافاة.

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. قال: «وماأُوتيتم كثيرٌ فيكم، قليلٌ عندالله»[٥]. وفي رواية: «قال: تفسيرها في الباطن: انّه لم يُؤْتَ العلمَ إلاّ أناسٌ يسير فقال "وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاّ قَليلاً" منكم»[٦].

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصّدور ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾: من يتوكّل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً.

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: إلاّ ان يرحمك ربّك فيردّه عليك ﴿ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ في البلاغة وحسن النّظم وجزالة[٧] المعنى ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٦، الحديث: ١٦٠، عن ابي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام. وفيه: «يجعله في قلوب الرسل والمؤمنين».
٢ ـ الكافي ١: ٢٧٣، الحديث: ٤، والعيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي: «ليس كما طلب وجد».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٣، عن أحدهما عليهما السلام، مع تفاوت يسير.
٤ ـ ذيل الآية: ٢٩.
٥ ـ القمّي ٢: ١٦٦، عن ابي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ ـ العيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ جَزُلَ يَجْزُلُ جَزالَةً الشيءُ: عظم؛ واللفظُ: فصح ومتن، الرائد ١: ٥١٢ (جزل).

ورد: «إنّ ابن أبي العوجاء وثلاثة من الدّهريّة اتّفقوا على أن يُعارِضَ كلٌّ منهم ربعَ القرآن، وكانوا بمكّة، وعاهدوا على أن يجيئوا بمعارضته في العام القابل، فلمّا حال الحول واجتمعوا مقام إبراهيم، قال أحدهم: إنّي لمّا رأيت قوله: "يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ"[١] كففت عن المعارضة. وقال الآخر: وكذا أنا لمّا وجدت قوله: "فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً"[٢] آيست عن المعارضة. وكانوا يسترون ذلك، إذ مرّ عليهم جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السلام، فالتفت إليهم، وقرأ عليهم: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ" الآية. فبهتوا»[٣].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا بوجوه مختلفه؛ زيادة في التّقرير والبيان ﴿لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كلّ معنى كالمثل في غرابته ووقوعه موقعاً في الأنفس ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: إلّا جحوداً.

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ قال: «عيناً»[٤].

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ قال: «أي: بستان»[٥]. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: «أي: من تلك العيون»[٦].

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعاً. قال: «وذلك أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّه سيسقط من السّماء كسفاً، لقوله: "وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ"»[٧]. ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾. قال: «أو تأتي به وبهم، وهم لنا مقابلون»[٨]. وفي رواية: «القبيل: الكثير»[٩].

١ ـ هود (١١): ٤٤.
٢ ـ يوسف (١٢): ٨٠.
٣ ـ الخرائج والجرائح ٢: ٧١٠، الحديث: ٥؛ والاحتجاج ٢: ١٤٢.
٤، ٥، ٦ و٧ ـ القمّي ٢: ٢٧ عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الطّور (٥٢): ٤٤.
٨ ـ الاحتجاج ١: ٢٧، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن أبيه عليهم السلام.
٩ ـ القمّي ٢: ٢٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ﴾ قال: «من ذهب»[١]. ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ قال: «أي: تصعد»[٢]. ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ قال: «الصعودك»[٣] أي: وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ فيه تصديقك. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تنزيهاً لله من أن يتحكّم عليه أحدٌ، ويأتي بما يقترحه الجهّال ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ كسائر الرّسل، وقد كانوا لايأتون إلاّ بما يظهره الله عليهم من الآيات على ما يلائم حال قومهم، وليس أمر الآيات إليّ وإنّما هو إلى الله، وهو العالِمُ بالمصالح، فلاوجه لطلبكم إيّاها منّي.

قال ﷺ بعد تلاوة هذه الآية: «ما أبعد ربّي عن أن يفعل الأشياء على قدر مايقترحه الجهّال بمايجوز ومالايجوز[٤]، ﴿وَهَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً﴾ لايلزمني إلاّ إقامة حجّة الله الّتي اعطاني، وليس لي أن آمر على ربّي ولاانهى ولاأشير، فاكون كالرّسول الّذي بعثه مَلِكٌ إلى قومٍ من مخالفيه، فرجع إليه يامره أن يفعل بهم مااقترحوه عليه»[٥].

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾: ومامنعهم الإيمان بعد ظهور الحقّ إلاّ إنكارهم أن يرسل الله بشراً.

﴿قُل﴾ جواباً لشبهتهم ﴿لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كما يمشي بنو آدم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ لتمكّنهم من الاجتماع به والتّلقّي منه، وأمّا الإنس فعامّتهم عماة عن إدراك المَلَك والتّلقّف[٦] منه، فإنّ ذلك مشروط بنوع من التّناسب والتّجانس، وليس إلاّ لمن يصلح للنّبوّة.

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن ابيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم. وفيه: «وهو الذهب».

٢، ٣ ـ المصدر: ٢٨، عنه ﷺ.

٤ ـ في المصدر: «ممّا يجوز وممّا لايجوز».

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن ابيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

٦ ـ تلقّف الكلام من فمه: حفظه بسرعة. الرائد ١: ٤٤٥ (لقف).

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أنّي رسول إليكم، وأنّي قد قضيتُ ماعليّ من التّبليغ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. فيه تسلية للرّسول، وتهديد للكفّار.

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ يهدونه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[1] قال: «على جباههم»[2]. ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: لايُبصرون مايقرّ أعينهم، ولايسمعون مايلذّ مسامعهم، ولاينطقون بما ينفعهم ويقبل منهم، لأنّهم في الدّنيا لم يستبصروا بالآيات والعبر، وتصامّوا عن استماع الحقّ، وأبوا أن ينطقوا به.

﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: كلّما انطفت بأن أكلت جلودهم ولحومهم، زدناهم توقّداً، بأن تبدّل جلودهم ولحومهم متلهّبة متسعّرة.

ورد: «إنّ في جهنّم وادياً يقال له «سعير»، إذا خبت جهنّم فتح سعيرها[3]، وهو قوله تعالى "كُلَّمٰا خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعيراً"»[4]. أي: كلّما انطفت.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: فنفنيهم ونعيدهم، ليزيد ذلك تحسّرهم على التّكذيب بالبعث، فإنّهم لما كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله، بأن لايزالون على الإعادة والإفناء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أو لم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإنّهم ليسوا أشدّ خلقاً منهنّ، ولاإعادة أصعب عليه من الإبداء ﴿وَجَعَلَ

١ - أخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، ونسائي، وابن جرير، وابن ابي حاتم، والحاكم، وأبونعيم في المعرفة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات، عن انس قال: قيل يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «الّذي امشاهم على أرجلهم، قادرٌ أن يمشيهم على وجوههم». الدّر المنثور٥: ٣٤١.

٢ - العيّاشي٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٨، مرفوعة، عن أحدهما عليهما السلام.

٣ - في العيّاشي: «فتح بسعيرها».

٤ - العيّاشي٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٩؛ والقمّي٢: ٢٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: جحوداً.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: خزائن أرزاق الله ونعمه على خلقه ﴿إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾: لبخلتم[1] مخافة النّفاد بالإنفاق ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾: بخيلاً، لأنّ بناء أمره على الحاجة والضِّنَّة[2] بما يحتاج إليه، وملاحظة العوض فيما يبذل.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾. قال: «هي الجراد والقمّل والضّفادع والدّم والطّوفان والبحر والحجر والعصا ويده»[3]. وفي رواية: «العصا وإخراج يده من جيبه بيضاء، والجراد والقمّل والضّفادع والدّم، ورفع الطّور، والمنّ والسّلوى آية واحدة، وفلق البحر»[4].

﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عنها، ليظهر للمشركين صدقك. فهو اعتراض. كذا قيل[5]. ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: سُحرت، فتخبط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾: بيّنات، تبصّرك صدقي، ولكنّك معاند ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: مصروفاً عن الخير أو هالكاً. قابل ظنّه المكذوب بظنّه الصّحيح. قال: «أراد أن يخرجهم من الأرض، وقد علم فرعون وقومه ما أنزل تلك الآيات إلّا الله»[6]. وفي رواية: «علمتُ بضمّ التّاء، قال: والله ما علم عدوّ الله، ولكن موسى هو الّذي

١ ـ في «الف»: «لبخلهم».
٢ ـ الضِّنَّة ـ بالكسر ـ: البخل. المصباح المنير ٢: ١٢ (ضنن).
٣ ـ الخصال ٢: ٤٢٣، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ قرب الإسناد: ٣١٨، ذيل الحديث: ١٢٢٨، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.
٥ ـ تفسير الكبير (للفخر الرّازي) ٢١: ٦٤.
٦ ـ القمّي ٢: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

علم»[1].

﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: أن يستخفّ موسى وقومه، وينفيهم من الأرض بالاستيصال، أو أرضِ مصرَ ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾: فعكسنا عليه مكره، فاستفززناه وقومه بالإغراق.

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ التي أراد أن يستفزكم منها ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: مختلطين، ثمّ نحكم بينكم. واللّفيف: الجماعات من قبائل شتّى. قال: «أي: من كلّ ناحية»[2]. وفي رواية: «لفيفاً يقول: جميعاً»[3].

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: وماأنزلنا القرآن إلاّ بالحقّ، ومانزل إلاّ بالحقّ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمطيع بالثّواب ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعاصي بالعقاب.

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾: نزّلناه منجماً ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على مَهْلٍ وتُؤَدَةٍ، فإنّه أيسر للحفظ وأعون في الفهم ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ فإنّ إيمانكم بالقرآن لايزيده كمالاً، وامتناعكم عنه لايورثه نقصاناً ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: العلماء الّذين أوتوا الكتب السّابقة، وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النّبوّة، وتمكّنوا من الميز بين المحقّ والمبطل. القمّي: يعني أهل الكتاب الّذين آمنوا برسول الله[4]. ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله، وشكراً لإنجازه وعده في تلك الكتب، ببعثة محمّد ﷺ على فترة من الرّسل، وإنزال القرآن عليه.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ عن خلف الوعد ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: إنّه كان

١ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٤٤ والدّرّ المنثور٥: ٣٤٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ القمّي٢: ٢٩، في رواية عليّ بن إبراهيم.
٣ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي٢: ٢٩.

وعده كائناً لامحالة.

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾. كرّره لاختلاف الحالين، وهما: خرورهم للشكر وإنجاز الوعد[1] حال كونهم ساجدين؛ وخرورهم لما أثّر فيهم من المواعظ، حال كونهم باكين. وذكر الذقن، لأنّه أوّل مايلقى الأرض من وجه السّاجد. والقمّي: فسّر الأذقان بالوجوه[2]. ومعنى اللاّم الاختصاص، لأنّهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للسّجود والخرور ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ سماع القرآن ﴿ خُشُوعًا ﴾ لما يزيدهم علماً ويقيناً.

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾: سمّوا الله بايّ الاسمين شئتم، فإنّهما سيّان في حسن الإطلاق. والمعنى بهما واحد ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: أيّ هذين الاسمين سمّيتم وذكرتم فهو حسن. فوضع موضعه: "فله الأسماء الحسنى" للمبالغة والدّلالة على ماهو الدّليل عليه، فإنّه إذا حسنت أسماؤه كلّها، حسن هذان الاسمان؛ لأنّهما منها. و«ما» مزيدة مؤكّدة للشّرط، والضّمير في «له» للمسمّى. ومعنى كون أسمائه أحسن الأسماء، استقلالها بمعاني التّمجيد والتّعظيم والتّقديس، ودلالتها على صفات الجلال والإكرام.

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ يعني بقراءتها ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.

قال: «الجهر بها: رفع الصّوت، والتّخافت: مالاتسمع نفسك، واقرأ بين ذلك»[3].

وفي رواية: «الإجهار أن ترفع صوتك تسمعه من بَعُدَ عنك، والإخفات أن لاتسمع من معك إلاّ يسيراً»[4].

و ورد: «إنّه ﷺ إذا كان[5] بمكّة جهر صوته، فيعلم بمكانه المشركون، فكانوا يؤذونه

١ ـ في «ب»: «وهما خرورهم لانجاز الوعد».
٢ ـ القمّي ٢: ٢٩.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ في «ب» و«ج»: «إذ كان».

فنزلت»[١].

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾. القمّي: ولم يذلّ فيحتاج إلى ناصر ينصره[٢]. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾. ورد: «إنّ معنى الله أكبر: الله أكبر من أن يوصف»[٣].

تمّ الجزء الأوّل من الاصفى، ويتلوه في الجزء الثّاني من سورة الكهف إلى آخر القرآن، إن شاء الله العزيز المنّان.



١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٠.
٣ ـ الكافي ١: ١١٧ ـ ١١٨، الحديث: ٨ و٩؛ والتّوحيد: ٣١٣، الباب: ٤٦، الحديث: ١ و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

فهرس المصادر[1]

«الاحتجاج». لابي منصور احمدبن علي بن ابي طالب الطبرسي(ق ٦). قم، مكتبة القدس.

«الإرشاد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣). قم، مكتبة بصيرتي. [بالأوفست عن مطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف].

«الاستغاثة في بدع الثلاثة». للسيّد ابي القاسم علي بن احمد الكوفي (م٣٥٢). جزءان في مجلدٍ واحد، ٨٢ + ٩٢ ص/ النجف الأشرف.

«اسد الغابة». لابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، ابن الأثير. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«أسرار الآيات». لصدرالدين محمّدبن إبراهيم الشيرازي (١٠٥٠). تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٤٠٢.

«الإصابة في تمييز الصحابة». لاحمدبن علي بن محمّد العسقلاني، ابن الحجر (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨.

«الاعلام». لخيرالدين الزِرِكْلي (١٣١٠ـ ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

١ـ يشتمل مصادر الجزئين.

«اعيان الشيعة». للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«أقرب الموارد». لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني. الطبعة الأولى.

«امالي الصدوق». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (٣٨١). تقديم الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠.

«امالي الطوسي». لأبي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. مجلّدان، بغداد، المكتبة الأهلية، ١٣٨٤/ ١٩٦٤م.

«امالي المفيد». لأبي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري وحسين أُستاد ولي. الطبعة الثانية، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

«بحار الأنوار الجامعة لدُرَر أخبار الأئمة الأطهار». للعلاّمة محمّد باقربن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد عدّة من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلّا ٦ مجلّدات، من المجلّد ٢٩ ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م. [بالأوفست عن طبعة إيران].

«بشارة المصطفى لشيعة المرتضى». لأبي جعفر محمّدبن أبي القاسم محمّدبن عليّ الطبري (القرن السادس). الطبعة الثانية، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

«بصائر الدرجات». لأبي جعفر محمّدبن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠). تقديم وتعليق و تصحيح ميرزا محسن كوچه باغي، شركت چاپ كتاب، ١٣٨٠.

«البيان في تفسير القرآن». للسيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الثانية، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٥/ ١٩٦٦.

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي

(١١٤٥ ـ ١٢٠٥). ١٠ مجلّدات، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧[1].

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّدبن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٥ ـ ١٤٠٩ / ١٩٦٥ ـ ١٩٨٩م].

«تاويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة». للسيد شرف الدين عليّ الحسيني الأسترابادي الغروي (القرن العاشر). تحقيق حسين أستاد ولي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

«التبيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد احمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«تحف العقول». لحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني (ق ٤). تصحيح وتعليق عليّ اكبر الغفاري، الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤.

«ترتيب كتاب العين». ترتيب وإعداد محمّدحسن بكائي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤.

«تفسير ابن جزي». لمحمّدبن أحمدبن جزي الكلبي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣.

«تفسير أبي السعود» = «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم». للإمام أبي السعود محمّدبن محمّد العمادي (٩٥١). ٩ اجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«تفسير البغوي». لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠). بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥.

«تفسير البيضاوي». لأبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٦٨٥). بيروت، دار الجليل.

«تفسير روح البيان». للشيخ إسماعيل حقي البرسوي (م١١٣٧). ١٠ مجلّدات، بيروت،

---

١ ـ كلّما ارجعنا إلى هذه الطبعة ـ لانّ الطبعة المحقّقة لمّا تكمل بعدُ ـ ذكرنا بعد اسم الكتاب: «الطبعة القديمة»؛ تمييزاً بينها وبين الطبعة الجديدة المحقّقة.

دار إحياء التراث العربي.
«تفسير روح الجنان». لأبي الفتوح الرازي (ق ٦). قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤.
«تفسير الصافي». لمحمّدبن مرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتقديم وتعليق الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مشهد، دار المرتضى.
«تفسير العياشي». لأبي النضر محمّدبن مسعودبن عياش السمرقندي (ق٣). تصحيح و تحقيق و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. قم، المطبعة العلمية.
«تفسير فرات الكوفي». لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ق٣). قم، مكتبة الداوري.
«تفسير القرآن العظيم». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). الطبعة الجديدة المصحّحة، ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.
«تفسير القمي». لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ق ٣ـ٤). تصحيح و تعليق و تقديم السيد طيب الجزائري. الطبعة الثالثة، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤.
«التفسير الكبير» = «تفسير الرازي» = «مفاتيح الغيب». لمحمّدبن عُمَر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ـ ٦٠٦). الطبعة الثالثة، ٣٢جزءاً في ١٦ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
«التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّدالحسن بن عليّ العسكري عليهم السلام». تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. قم، مطبعة مهر، ١٤٠٩هـ.
«تفسير نور الثقلين». للشيخ عبدعليّ بن جمعة العروسي الحويزي. (م ١١١٢). تصحيح و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلّاتي. ٥مجلّدات، قم، مطبعة العلمية [بالأوفست].
«تنقيح المقال في علم الرجال». للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ ـ ١٣٥١). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأوفست عن طبعة النجف الاشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].
«التوحيد». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م٣٨١). الطبعة الرابعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.
«تهذيب الأحكام». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب

الإسلامية، ١٣٦٤هـ ش.

«تهذيب التهذيب». لأبي الفضل احمدبن عليّ بن حجر العسقلاني (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ١٣٢٥.

«ثواب الأعمال». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١.

«الجامع لاحكام القرآن». لأبي عبدالله محمّدبن احمد الانصاري القرطبي (م ٦٧١). الطبعة الثانية، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧م. [بالأوفست عن الطبعة السابقة].

«جامع البيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر محمّدبن جرير الطبري (م ٣١٠). ٣٠ جزءاً في ١٢ مجلّداً، بيروت، دار المعرفة.

«جوامع الجامع في تفسير القرآن الكريم». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَّبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق السيد محمد عليّ القاضي الطباطبائي. مجلّد واحد، تبريز، مطبعة مصباحي. [بالأوفست عن طبعة تبريز، الرجب ١٣٧٩هـ].

«جوامع الجامع». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَّبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ ٥٤٨). تحقيق ابوالقاسم گُرجي. الطبعة الثانية، مجلّدان حتّى الآن، قم، شورى مديرية الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٩/١٣٦٧هـ ش.

«الخرائج والجرائح». لقطب الدين الراوندي (٥٧٣). الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، ١٤٠٩.

«الخصال». لأبي جعفر محمّدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«دائرة المعارف الإسلامية». لمجموعة من المستشرقين. ترجمة محمّد ثابت الفندي، أحمد الشنتناوي إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس.

«دائرة معارف القرن العشرين». لمحمّد فريد وجدي (١٣٧٣). الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩.

«الدرّ المنثور في التفسير المأثور». لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«الرائد». لجبران مسعود. الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦.

«روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». لأبي الفضل شهاب الدين السيد المحمود الآلوسي البغدادي (م ١٢٧٠). ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«روضة الواعظين». لمحمّد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨). تقديم السيد محمّد مهدي الخرسان، قم، منشورات الشريف الرضي.

«زاد المسير في علم التفسير». لأبي الفرج عبدالرحمن بن عليّ ابن الجوزي (م٥٩٧). تحقيق محمّدبن عبدالرحمن عبدالله. ٨مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«سعد السعود». لرضي الدين السيّد علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (٥٨٩ـ ٦٦٤). قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«سنن أبي داود». لأبي داود سليمان بن الأشعث السجسْتاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبوية.

«سنن البيهقي» = «السنن الكبرى». لأبي بكر أحمدبن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ـ ٤٥٨). ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار المعرفة. [بالأوفست عن طبعة حيدرآباد الدكن].

«سنن الترمْذي». لأبي عيسى محمّدبن عيسى بن سورة الترِمْذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩). تحقيق أحمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«السيرة النبوية». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧). تحقيق مصطفى عبدالواحد. بيروت، دار احياء التراث العربي.

«شرح أُصول الكافي والروضة». للمولى محمّد صالح المازندراني (١٠٨١ او ١٠٨٦). تعليق الميرزا أبوالحسن الشعراني. تصحيح وتخريج عليّ أكبر الغفاري. طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٢.

«شواهد التنزيل». لعبيد الله بن عبدالله، الحاكم الحسكاني (ق ٥). تحقيق و تعليق محمّد باقر

المحمودي. الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١.

«الصحاح». لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣). تحقيق احمد عبدالغفور عطار. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤.

«صحيح البخاري». لأبي عبدالله محمّدبن إسماعيل البخاري (١٩٤ـ ٢٥٦). تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الرابعة، ٦ مجلّدات + الفهرس، دمشق و بيروت، دار ابن كثير و اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠/ ١٩٩٠م.

«صحيح مسلم». لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ـ ٢٦١). تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ [بالأوفست عن طبعته السابقة].

«الصحيفة السجادية الكاملة». تقديم السيّد محمّد باقر الصدر. بيروت، دارالتعارف للمطبوعات.

«طب الائمّة». لأبي عتاب عبدالله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوري. الطبعة الثانية، قم، منشورات الرضي، ١٤١١ـ ١٣٧٠ [بالأوفست عن طبعة النجف الاشرف، ١٣٨٥هـ].

«علم اليقين». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). قم، انتشارات بيدار، ١٤٠٠.

«علل الشرائع». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تقديم السيّد محمّدصادق بحرالعلوم. [الطبعة الأولى]، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

«عوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة». للشيخ محمّدبن علي بن إبراهيم الإحسائي، ابن أبي جمهور. تحقيق مجتبى العراقي. ٤ مجلّدات، قم، مطبعة سيد الشهداء.

«عيون اخبار الرضا ـع ـ». لمحمّدبن علي بن الحسين، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح وتذييل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. الطبعة الثانية، قم، نشر رضا مشهدي.

«غرائب القرآن». لحسن بن محمّد القمي النيسابوري، نظام النيسابوري. ٣ مجلّدات، الطبعة الحجرية، ١٢٨٠هـ.

«الغيبة». لابي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٤٦٠). تقديم آغابزرك الطهراني. الطبعة الثانية، قم، مكتبة بصيرتي، ١٤٠٨.

«فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير». لمحمّدبن عليّ بن محمّد الشوكاني (م ١٢٥٠). ٥ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«فيض القدير». لمحمّد عبدالرّؤوف المناوي. بيروت، دار الفكر.

«القاموس المحيط». لمجدالدين محمّدبن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧). الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

«قُرْب الإسناد». لابي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري القمي(م بعد ٣٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣.

«قصص الانبياء». لقطب الدين سعيدبن هبة الله الراوندي. تصحيح غلامرضا عرفانيان. الطبعة الأولى، رجب ١٤٠٩هـ، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.

«قصص الانبياء». لابي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). تحقيق شيخ خليل الميس. الطبعة السابعة، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

«الكافي». لابي جعفر ثقة الإسلام محمّدبن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١. [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].

«كتاب العين». لابي عبدالرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة الأولى، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥.

«الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التأويل». لابي القاسم جار الله محمودبن عُمَر الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨). ٤ مجلّدات، [قم]، نشر أدب الحوزة

[بالأوفست عن طبعته السابقة، ١٣٦٦/١٩٤٧م].

«كشف المهجّة لثمرة المهجة». لأبي القاسم رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس الحسيني (٥٨٩ـ٦٦٤). قم، مكتبة الداوري [بالأوفست عن طبعة النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م].

«كمال الدين و تمام النعمة». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ اكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، قم، مؤسّسة النشر الاسلامي، ١٣٦٣/١٤٠٥.

«كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال». لعلاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨ـ ٩٧٥). ١٦ مجلّداً + ١٢ الفهارس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

«لسان العرب». لجمال الدين محمّدبن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ـ ٧١١). ١٥ مجلّداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٧٦].

«مجمع البيان لعلوم القرآن». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَّبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ ٥٤٨). تحقيق الميرزا ابوالحسن الشعراني. الطبعة الخامسة، ١٠ أجزاء في ٥ مجلّدات، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٥.

«مجمع البحرين». لفخر الدين الطريحي (١٠٨٥). تحقيق السيد احمد الحسيني. الطبعة الثانية، طهران، مكتبة مرتضوي، ١٣٦٥.

«المحاسن». لأبي جعفر أحمد بن محمّدبن خالد البرقي (م ٢٧٤/ ٢٨٠). تحقيق جلال الدين الحسيني، المحدّث الأرموي. الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلامية.

«المحجة البيضاء». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري. الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٨٣.

«مختصر بصائر الدرجات». للشيخ حسن بن سليمان الحلّي (ق ٩). الطبعة الأولى، قم، انتشارات الرسول المصطفى (ص).

«مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول». للعلامة محمّدباقر بن محمّد تقي المجلسي

(١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد هاشم الرسولي ومحسن الحسيني الأميني. الطبعة الأولى، ٢٦ مجلّداً، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ ـ ١٤١١/١٣٦٣ ـ ١٣٦٩هـ ش.

«المستدرك على الصحيحين». لأبي عبدالله محمّدبن عبدالله، الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المسند». لأحمدبن حنبل (٢٤١). ٦ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«مصباح الشريعة». المنسوب إلى الإمام جعفربن محمّد الصادق(ع) (١٤٨). الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٠.

«مصباح المتهجد». لأبي جعفر محمّدبن الحسن الطوسي (٤٦٠). تصحيح و تقديم و نشر إسماعيل الانصاري الزنجاني.

«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». لأحمدبن محمّدبن عليّ الفيّومي (م حوالي ٧٧٠). جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المعارف». لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ق). تصحيح و تعليق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٩.

«معاني الأخبار». لمحمّدبن علي بن الحسين ابن بابويه، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح عليّ أكبر الغفّاري. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦١.

«معجم البلدان». لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحَمَوي (٥٧٤ ـ ٦٢٦). الطبعة الثالثة ٥مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩/١٩٧٩م.

«معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة». للسيّد أبي القاسم ابن السيّد عليّ أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

«معجم مفردات ألفاظ القرآن». للراغب الإصفهاني(٥٠٣). تحقيق نديم مرعشلي. قم، دار الكتب العلمية.

«المعجم الوسيط». لدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي. محمد خلف الله أحمد. الطبعة الرابعة، قم، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

«المغازي». لمحمّدبن عمر بن واقد، الواقدي (٢٠٧). تحقيق الدكتور مارسدن جونس. نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥.

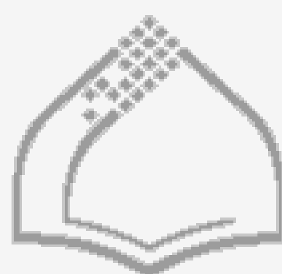
«مناقب ابن شهر آشوب». لأبي جعفر رشيد الدين محمّدبن عليّ بن شهر آشوب (٥٨٨). قم، المطبعة العلمية.

«من لا يحضره الفقيه». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق السيّد حسن الموسوي الخرسان. ٤ مجلّدات، بيروت، دارصعب و دارالتعارف، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

«النهاية في غريب الحديث والأثر». لأبي السعادات مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد، ابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣هـ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت].

«نهج البلاغة». (ما اختاره المؤلّف من كلام أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين). لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّدبن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. قم، الهجرة، ١٣٩٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٨٧].

«الوافي». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١). منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام العامّة. ١٧ مجلّداً حتّى الآن، إصفهان، مطبعة نشاط.



Al-Aṣfā Fi Tafsir Al-Qurān

[The Clearer Interpretation For Qurān]

Al-Mawla Moḥammad Moḥsin

Al-Fayḍ Al-Kāshāni

(1007 - 1091 A.H.)

Islamic Studies and Research Center



The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.

P. O. Box: 37185. 917

Qum, I.R. IRAN. phon no: 742155 - 7 Fax: 742154

Al-Asfā Fi Tafsir Al-Qurān

[The Clearer Interpretation For Qurān]

Al-Mawlā Mohammad Moḥsin
Al-Fayḍ Al-Kāshāni
(1007 - 1091 A.H.)

Islamic Studies and Research Center

The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.

P. O. Box: 37185, 917

Qum, I.R. IRAN. phon no: 742155 - 7 Fax: 742154

شابک ٢ _ ٢٥٧ _ ٤٢٤ _ ٩٦٤

ISBN 964 - 424 - 257 - 2

الأصفى

في تفسير القرآن

الجزء الثاني

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني

(١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

سورة الكهف

[مكيّة وهي مائة وعشر آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ الكِتابَ﴾ يعني القرآن، علّم اللّه سبحانه عباده كيف يحمدونه على أجلّ نعمه عليهم، الّذي هو سبب نجاتهم ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ باختلالٍ في اللفظ وتناقضٍ في المعنى.

﴿قَيِّماً﴾: جعله مستقيماً معتدلاً، لا إفراط فيه ولا تفريط.

والقمّي قال: هذا مقدّم ومؤخّر؛ لأنّ معناه: الّذي أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً، فقُدِّمَ حرف على حرف[2].

﴿لِيُنْذِرَ﴾ الذين كفروا ﴿بَأْساً﴾: عذاباً ﴿شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾.

﴿ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً﴾.

﴿ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ﴾ الذين يقلّدونهم فيه، بل يقولونه عن جهل مفرط

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمي ٢: ٣٠.

وتوهّم كاذب ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: عظمت مقالتهم هذه في الكفر ؛ لما فيها من التّشبيه والإشراك ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ﴾. استعظام لاجترائهم على إخراجها من أفواههم. ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلّا كَذِباً﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ قال: «قاتلٌ نفسك»[1]. ﴿عَلىٰ آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذا الحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَسَفاً﴾. متعلّق بباخع، وهو فرط الحزن والغضب.

﴿إِنّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها﴾: ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها؛ من زخارفها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ في تعاطيه[2]. وهو من زهد فيه، ولم يغترّ به، وقنع منه بالكفاف.

﴿وَإِنّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً﴾ قال: «لا نبات فيها»[3]. وهو تزهيد في الدّنيا، وتنبيه على المقصود من حسن العمل.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ في إبقاء حياتهم على تلك الحال مدّة مديدة ﴿كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾. القمّي يقول: قد آتيناك من الآيات ما هو أعجب منه.

قال القمّي: وهم فتية كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله، وأمّا الرّقيم[4]: فهما لوحان من نحاس مرقوم، مكتوب فيهما أمر الفتية وأمر إسلامهم، وما أراد منهم دقيانوس[5] الملك، وكيف كان أمرهم وحالهم[6].

١ ـ القمّي ٢: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ تعاطاه: تناوله، وفلان يتعاطى كذا، أي: يخوض فيه. الصّحاح ٦: ٢٤٣١(عطا).

٣ ـ القمّي ٢: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ واختلف في «الرّقيم»: فقيل: هو لوح من رصاص رُقِمَتْ فيه أسماؤهم جُعِلَ على باب الكهف، وقيل: هو اسم الوادي الّذي كان فيها الكهف، وقيل: هم النَّفَر الثلاثة الذين دخلوا في غارٍ فانسدّ عليهم فدعا كلّ واحد منهم بما عَمِلَهُ للّه خالصاً ففرّج عنهم. جوامع الجامع ٢: ٣٥٤.

٥ ـ دَقْيانُوس بن خلاتوس: كان مَلِكاً جبّاراً، كان على بقايا ممّن كان على دين المسيح عليه السلام، وكان يعبد الأصنام ويذبح للطّواغيت، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكان أصحاب الكهف في زمانه، وكان في زمن الفترة. مجمع البحرين ٤: ٧١(دقيس).

٦ ـ القمّي ٢: ٣١.

وفي رواية: «هم قوم فقدوا[1] وكتَبَ مَـلِكُ ذلك الدّيـار[2] بأسـمائهم وأسـماء آبـائهم وعشائرهم في صحف من رصاص ، فهو قوله: "أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيم"»[3] .

وورد في قصّتهم ما ملخّصه: «إنّهم كانوا مؤمنين ، وكانوا في زَمَنِ مَلِك جبّار عـات ، يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام ، فمن لم يجبه قتله ، فخرجوا هـؤلاء بـعلّة الصّـيد ، ومرّوا براعٍ في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم ، وكان مع الرّاعـي كـلب ، فأجـابهم الكلب وخرج معهم ، فلمّا أمسوا دخلوا كهفاً والكلب معهم ، فألقى اللّـه عـليهم النّـعاس فناموا ، حتّى أهلك اللّه المَلِكَ وأهلَ مملكتِه ، وذهب ذلك الزّمان وجاء زمان آخر وقـوم آخرون ، ثمّ انتبهوا» الحديث[4] . وتمامه يأتي متفرّقاً .

﴿إذ أَوَى الفِتْيَةُ إلى الكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ توجب لنـا المـغفرة والرّزق والأمن من العدوّ ﴿وَهَيِّئ لَنا مِنْ أَمْرِنا﴾: من الأمر الّذي نحن عليه ، من مفارقة الكفّار ﴿رَشَداً﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين .

﴿فَضَرَبْنا عَلَىٰ آذانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجاباً يمنع السّماع . يعني أنمناهم إنامَةً لا يُنَبِّهُهُمْ منها الأصوات ﴿فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ : ذوات عددٍ .

﴿ثُمَّ بَعَثْناهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليقع علمنا الأزليّ على المعلوم بعد وقوعه ويـظهر لهم ﴿أَيُّ الحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين ﴿أَحْصىٰ لِما لَبِثُوا أَمَداً﴾: ضبط أمداً لزمان لبثهم ، أو أضبط له .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ . قال: «كانوا شيوخاً[5]»[6] . وفي رواية:

١ ـ في المصدر: «فرّوا» .

٢ ـ في المصدر: «ذلك الزمان» .

٣ ـ العيّاشي ٢: ٥٣٦ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ القمي ٢: ٣٢ ـ ٣٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٥ ـ الشَّيْخ: مَن اسْتَبانَتْ فيه السِّنُّ ؛ أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين . القاموس المحيط ١: ٢٧٣ (شيخ) .

٦ ـ الكافي ٨: ٣٩٥ ، الحديث: ٥٩٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

«كُهُولاً[١] فسمّاهم اللّه فتية بإيمانهم، وقال: من آمن باللّه واتّقى فهو الفتى»[٢]. ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ بالتّوفيق والتّثبيت.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوّيناها وشدّدنا عليها، حتّى صبروا على هجر الأوطان، والفرارِ بالدّين إلى بعض الغيران ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾: قولاً ذا شَطَطٍ، أي: ذا بُعْدٍ عن الحقّ مفرطاً في الظّلم. قال: «يعني جوراً على اللّه تعالى، إن قلنا: إنّ له شريكاً»[٣].

أقول: قالوه سرّاً من الكفّار، ليس كما زعمه المفسّرون: أنّهم جهروا به بين يدي دقيانوس الجبّار[٤].

فقد ورد: «إنّ مَثَلَ أبي طالب مَثَلُ أصحاب الكهف، أسرّوا الإيمان وأظهروا الشّرك، فآتاهم اللّه أجرهم مرّتين»[٥].

وفي رواية: «ما بلغت تقيّةُ أحدٍ تقيّةَ أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدّون الزّنانير[٦]، فأعطاهم اللّه أجرهم مرّتين»[٧].

وفي أُخرى: «وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجراً منهم على الإسرار بالإيمان»[٨].

﴿هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ﴾: هلّا يأتون ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: ببرهان ظاهر ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً﴾ بنسبة

١ ـ الكَهْل: من وَخَطَه الشّيب ورأيت له بَجالةً؛ أو من جاوز الثلاثين، أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. القاموس المحيط ٤: ٤٨ (كهل).
٢ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٣، الحديث: ١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ٣: ٢١٨؛ والكشّاف ٢: ٤٧٤.
٥ ـ الكافي ١: ٤٤٨، الحديث: ٢٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ الزُّنّار: هو ما يشدّه أهل الذّمّة على أوساطهم. لسان العرب ٤: ٣٣٠ (زنر).
٧ ـ الكافي ٢: ٢١٨، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي العيّاشي ٢: ٣٢٣، الحديث: ٩، مع تقدّم وتأخّر.
٨ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٣، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الشّريك إليه .

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ . خطاب بعضهم لبعض . ﴿وَما يَعْبُدُونَ إِلّا اللّـهَ﴾: واعتزلتم معبوديهم ، أو عبادتهم إلاّ اللّه ﴿فَأْوُوا إِلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾: ما ترتفقون به ، أي تنتفعون به ، وكان جزمهم بذلك لشدّة وثوقهم بفضل اللّه ، وقوّة يقينهم باللّه .

﴿وَتَرى الشَّمْسَ﴾ لو رأيتهم ﴿إِذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾: تميل ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيَهم ، ولعلّ الكهف كان جنوبيّاً ﴿ذاتَ اليَمِينِ﴾: جهة يمين الكهف ﴿وإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم وتَصْرِمُ عنهم ﴿ذاتَ الشِّمالِ﴾: جهة شمال الكهف ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾: وهم في متّسع من الكهف ، يعني في وسطه بحيث ينالهم برد النّسيم وروح الهواء ، ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشّمس ، لا في طلوعها ولا في غروبها . ﴿ذٰلِكَ مِنْ آياتِ اللّهِ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ﴾ . ثناء عليهم . ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ .

سئل عنه ، فقال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى يُضِلُّ الظّالمين يوم القيامة عن دار كرامته ، ويهدي أهل الإيمان والعمل الصّالح إلى جنّته ، كما قال عزّوجلّ: "وَيُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ ما يَشاءُ"[١] وقال: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ"[٢]»[٣] .

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً﴾ قال: «ترى أعينهم مفتوحة»[٤] ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: «نيام»[٥] ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ في رقدتهم ﴿ذاتَ اليَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ﴾ كيلا تأكل الأرض ما يليها من

١ ـ إبراهيم ١٤: ٢٧ .

٢ ـ يونس ١٠: ٩ .

٣ ـ التّوحيد: ٢٤١ ، الباب: ٣٥ ، الحديث: ١ ؛ معاني الأخبار: ٢١ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٣٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٧ـ ٢

أبدانهم على طول الزّمان .

قال: «لهم في كلّ سنة نقلتان ، ينامون ستّة أشهر على جنوبهم الأيمن ، وستّة أشهر على جنوبهم الأيسر»[1] .

﴿وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾: «بالفناء»[2] ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً﴾: لهَرَبْتَ منهم ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾: خوفاً يملأ صدرك ، لما ألبسهم اللّه من الهيبة .

قال: «إنّ ذلك لم يعن به النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله ، إنّما عني به المؤمنون بعضهم لبعض ، لكنّه حالهم الّتي هم عليها»[3] .

﴿وَكَذٰلِكَ بَعَثْناهُمْ﴾: وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ﴿لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾: ليسأل بعضهم بعضاً ، فيتعرّفوا حالهم وما صنع اللّه بهم ، فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم ، ويستبصروا به أمر البعث . ﴿قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال: «فنظروا إلى الشّمس قد ارتفعت فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم»[4] . ﴿قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾: بفضّتكم ﴿هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكىٰ طَعاماً﴾: أيّ الأطعمة أطيب . قال: «أزكى طعاماً التّمر»[5] . ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليتكلّف اللّطف في التّخفّي والتّنكّر ، حتّى لا يُعْرَف ﴿وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ .

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: إن يظفروا بكم ، يعني أهل المدينة ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرّجم ، وهي أخبث قتلة ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: يصيّروكم إليها كرهاً ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ إن دخلتم في ملّتهم .

قال: «فجاء ذلك الرّجل فرأى المدينة بخلاف الّذي عهدها ، ورأى قوماً بخلاف أُولئك ، لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم . فقالوا له: من أنت ومن أين جئت؟

۱ و ۲ و ٤ ـ القمّي ۲: ۳۳ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
۳ ـ العيّاشي ۲: ۳۲٤ ، الحديث: ۱۳ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٥ ـ المحاسن: ٥۳۱ ، الحديث: ۷۷۹ ، عن أحدهما عليهما السلام .

فأخبرهم . فخرج مَلِكُ تلك المدينة مع أصحابه والرّجل معهم ، حتّى وقفوا على باب الكهف ، وأقبلوا يتطلّعون فيه ، فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم إلى آخر ما قال اللّه . قال: وحجبهم اللّه عزّوجلّ بحجاب من الرّعب ، فلم يكن أحد يقدم بالدّخول عليهم غير صاحبهم ، فإنّه لمّا دخل إليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم ، فأخبرهم صاحبهم: أنّهم كانوا نائمين هذا الزّمن الطّويل ، وأنّهم آية للنّاس ، فبكوا ، وسألوا اللّه أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا»[١] .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أنمناهم وبعثناهم ليزدادوا بصيرة ، أطْلَعْنا عليهم أهل مدينتهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾: ليعلم الّذين أطْلَعْناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَأَنَّ السّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها﴾ لأنّ حالهم في نومهم وانتباههم ، كحال من يموت ويبعث .

وفي الحديث النّبويّ: «كما تنامون تموتون ، وكما تستيقظون تبعثون»[٢] .

وفي آخر: «النّوم أخ الموت»[٣] .

وفي حديث الرّجعة: «وقد رجع إلى الدّنيا ممّن مات خلق كثير ، منهم أصحاب الكهف ، أماتهم اللّه ثلاثمائة عام وتسعة ، ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ، ليقطع حجّتهم وليريهم قدرته ، وليعلموا أنّ البعث حقّ»[٤] .

﴿إِذْ يَتَنازَعُونَ﴾: أعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ قيل: أمر دينهم ؛ وكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح مجرّدة ، وبعضهم يقول: تبعثان معاً[٥] . وقيل: أمر الفتية

١ ـ القمّي ٢: ٣٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٥: ٢٦١ ، ذيل الآية: ٤٢ من سورة الزمر ؛ وروضة الواعظين: ٥٣ ، مع تفاوت يسير .
٣ ـ فيض القدير ٦: ٣٠٠ ، الحديث: ٩٣٢٥ ، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله .
٤ ـ الاحتجاج ٢: ٨٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ البيضاوي ٣: ٢٢٠ ؛ الكشّاف ٢: ٤٧٧ .

حين توفّاهم ثانياً ، وكان بعضهم يقول: ماتوا ، وبعضهم يقول: ناموا كنومهم أوّل مرّة[١] .

﴿فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً﴾ حين توفّاهم ثانياً ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ . اعتراض . ﴿قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلىٰ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين ومَلِكهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ يصلّي فيه المسلمون ويتبرّكون بمكانهم .

قال: «قال الملك: ينبغي أن يُبْنىٰ هاهنا مسجدٌ ونزوره ، فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون»[٢] .

﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ يعني أهل المدينة وملكهم ، كما سبق . وقيل: بل يعني بهم الخائضين في قصّتهم ، في عهد نبيّنا صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب والمؤمنين[٣] .

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ يرمون رمياً بالخبر الخفيّ . والقمّي: ظنّاً بالغيب ما يستفتونهم[٤] . ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ .

في حديث: «من يخرج مع القائم عليه السلام فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً ، قال: وسبعة من أهل الكهف»[٥] .

﴿فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلَّا مِراءً ظاهِراً﴾: ولا تجادل أهل الكتاب في شأن الفتية إلّا جدالاً ظاهراً غير متعمّق فيه ، وهو أن تقصّ عليهم بما أُوحي إليك من غير تجهيل لهم ، والرّدّ عليهم ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ . القمّي يقول: حسبك ما قصصنا عليك من أمرهم ، ولا تسأل أحداً من أهل الكتاب عنهم[٦] .

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ تعزم عليه ﴿إِنِّي فاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً﴾ .

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٢٠ .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ البيضاوي ٣: ٢٢٠ ؛ الكشّاف ٢: ٤٧٨ .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٤ . وفي «ب» : «ما يستيقنونهم» .

٥ ـ روضة الواعظين: ٢٦٦ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٦ ـ القمّي ٢: ٣٤ .

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلّا متلبّساً[1] بمشيئته، قائلاً: إن شاء الله. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ يعني إذا نسيت الاستثناء، فاستثن إذا ذكرت.

قال: «للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي؛ إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أتاه ناس من اليهود فسألوه عن أشياء، فقال لهم: تعالوا غداً أحدّثكم؛ ولم يستثن، فاحتبس جبرئيل عليه السلام عنه أربعين يوماً، ثمّ أتاه فقال: "ولا تقولنّ" الآية»[2].

و ورد: «كانت الأشياء المسؤول عنها: قصّة أصحاب الكهف، وقصّة موسى عليه السلام مع العالِم، وقصّة ذي القرنين، ومتى قيام السّاعة»[3].

﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ قيل: أي يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسيّ، أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة، أو لما هو أظهر دلالة، على أنّي نبيّ، من نبأ أصحاب الكهف[4].

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. قال: «ذلك بسِنِي الشّمس، وهذا بسِنِي القمر»[5].

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾: بمدّة لبثهم، من الّذين اختلفوا فيها من أهل الكتاب. ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: ما أبصره وأسمعه. ذكر بصيغة التّعجّب؛ للدّلالة على أنّ أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك كلّ مبصر وسامع، إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف، وصغير وكبير، وخفيّ وجليّ. ﴿مَا لَهُمْ﴾: ما لأهل السّماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولّى أمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ

١ـ في «ألف» و«ج»: «ملتبساً».
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٢٩، الحديث: ٤٢٨٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ٣١ ـ ٣٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ البيضاوي ٣: ٢٢٢؛ الكشّاف ٢: ٤٨٠.
٥ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٦٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «ذاك» بدل «ذلك».

أَحَداً﴾ منهم.

﴿وَاتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ﴾: من القرآن ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾: ملتجأ وموئلاً. يقال: التحد إلى كذا إذا مال إليه.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ﴾ في طرفي النّهار، أو في مجامع أوقاتهم. قال: «إنّما عنى بهما الصّلاة»[١]. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ رضا الله وطاعته ﴿وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ﴾: ولا يجاوزهم[٢] نظرك إلى غيرهم من أبناء الدّنيا ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾ بالخذلان ﴿وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾: إفراطاً وتجاوزاً للحدّ، ونَبْذاً للحقّ وراء ظَهرِهِ.

القمّي: نزلت في سلمان الفارسي رضي الله عنه. كان عليه كساء فيه يكون طعامه، وهو دِثاره ورِداؤه، وكان كساء من صوف، فدخل عيينة بن حصين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمان عنده، فتأذّى بريح كساء سلمان، وقد كان عَرِقَ فيه، وكان يوماً شديد الحرّ. فقال: يا رسول الله إذا نحن دخلنا عليك فأخرج هذا وحزبه[٣] من عندك، فإذا نحن خرجنا فأدخل من شئت[٤].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾. قال: «وعيد»[٥].

﴿إِنّا أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾: فسطاطها؛ شبّه به ما يحيط بهم من النّار. ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ من العطش ﴿يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾: «كدُرديّ الزّيت المغليّ». كذا ورد[٦]. ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ إذا قُدِّمَ ليُشرَبَ، من فَرْط حرارته ﴿بِئْسَ الشَّرابُ﴾: المُهْل

١ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٦، الحديث: ٢٥، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وفيه: «بها».
٢ ـ في «ألف»: «ولا تجاوز».
٣ ـ في المصدر: «واصرفه».
٤ ـ القمّي ٢: ٣٤.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٦، الحديث: ٢٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ القمّي ٢: ٣٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَساءَتْ﴾ النّار ﴿مُرْتَفَقاً﴾: مُتّكأً ؛ من المِرْفَقِ ، وهو يشاكل قوله: "وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً" .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ .

﴿أُولئِكَ لَهُمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ممّا رَقّ من الدّيباج وما غَلُظَ منه ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الأَرائِكِ﴾ . قال: «الأرائك: السّرر عليها الحِجال»[١] . ﴿نِعْمَ الثَّوابُ﴾ الجنّة ونعيمها ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الأرائك ﴿مُرْتَفَقاً﴾ .

أقول: وكان الثّياب الخضر كناية عن أبدانهم المثاليّة البرزخيّة ، المتوسّطة بين سواد هذا العالَم وبياض العالَم الأعلى ، فإنّ الخضرة مركّبة من سواد وبياض ، والرّقّة والغلظ كنايتان عن تفاوتهما في مراتب اللّطافة .

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾ للكافر والمؤمن ﴿رَجُلَيْنِ﴾: حال رجلين ﴿جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين ﴿مِنْ أَعْنابٍ﴾: من الكروم ﴿وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ﴾: وجعلنا النّخل محيطة بهما ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً﴾ ليكون كلّ منهما جامعاً للأقوات والفواكه على شكل حسن وترتيب أنيق .

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾: ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ﴾: ولم تنقص من أكلها ﴿شَيْئاً﴾ كما يكون في سائر البساتين ، فإنّ الثّمار تتمّ في عام وتنقص[٢] في عام غالباً ﴿وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً﴾ لِيدومَ شربُهما ويزيد بهاؤهما .

﴿وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾: [مال كثير ، وعلى قراءة بضمّتين:][٣] أنواع من المال سوى الجنّتين ؛ من ثمّر ماله إذا كثّره[٤] ﴿فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ﴾: يُراجِعُه في الكلام ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ

١ ـ القمّي ٢: ٢١٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، في ذيل الآية: ٥٦ من سورة يس .

٢ ـ في «ألف»: «يتمّ في عام وينقص» .

٣ ـ ما بين المعقوفتين من «ج» .

٤ ـ في «الف» و«ب»: «إذا كاثره» .

مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾: أولاداً وأعواناً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه؛ يطوف به فيها، ويفاخره بها ﴿وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: ضارّ لها بعُجْبه وكُفْره ﴿قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾: تفنى ﴿هٰذِهِ﴾ يعني هذه الجنّة[1] ﴿أَبَداً﴾ لطول أمَلِه، وتمادي غفلته، واغتراره بمُهْلَتِه.

﴿وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّي﴾ بالبعث كما زعمت ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً﴾: مَرجِعاً وعاقبةً.

﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلاً﴾.

﴿لٰكِنَّا هُوَ اللّٰهُ رَبِّي﴾. أَصْلُهُ: لكن أنا. ﴿وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾: وهلّا قلت عند دخولها: ﴿ما شاءَ اللّٰهُ﴾: ما شاء الله كائن؛ إقراراً بأنّها وما فيها بمشيئة الله، إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها.

﴿لا قُوَّةَ إِلّا بِاللّٰهِ﴾ اعترافاً بالعجز على نفسك، وبالقدرة لله، وأنّ ما تيسّر لك من عمارتها وتدبيرها فبمعونته وإقداره. ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً﴾.

﴿فَعَسىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾ في الدّنيا أو في الآخرة، لإيماني ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْها﴾: على جنّتك لكفرك ﴿حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾: مَراميَ من عذابه، كصاعقة ونحوها ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾: أرضاً مَلْساء[2] يُزْلَقُ[3] عليها؛ باستئصال نباتها وأشجارها. والقمّي: محترقاً[4].

١ ـ في «ألف»: «يعني الجنّة».

٢ ـ مَلِسَ الشيءُ ـ من بابَيْ: تَعِبَ وقَرُبَ ـ مَلاسَةً: إذا لم يكن له شيء يُستمسك به وقد لانَ؛ فهو أمْلَس، والأنثى: مَلْساء. المصباح المنير ٢: ٢٧٩ (ملس).

٣ ـ زَلِقَتِ القدمُ: لم تَثبُتْ حتّى سَقَطَتْ. المصباح المنير ١: ٣٠٨ (زلق).

٤ ـ القمّي ٢: ٣٥.

﴿أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً﴾: غائراً في الأرض ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾: وأهلك أمواله حسبما أنذره صاحبه. روي «إنّ اللّه أرسل عليها ناراً، فأهلكها وغار ماؤها»[1]. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهر البطن، تلهّفاً وتحسّراً ﴿عَلىٰ ما أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ خاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلىٰ عُرُوشِها﴾ يعني سقطت عروش كرومها على الأرض، وسقطت الكروم فوقها ﴿وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ﴾ بدفع الإهلاك، أو ردّ المُهْلَك ﴿مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ فإنّه القادر على ذلك وحده ﴿وَما كانَ مُنْتَصِراً﴾: ممتنعاً عن انتقام اللّه منه.

﴿هُنالِكَ﴾: في ذلك المقام وتلك الحال، أو في الآخرة ﴿الوَلايَةُ﴾: النّصرة، إن فتحت الواو؛ والسّلطانُ والمُلك، إن كسرتها. ﴿لِلّهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ لأوليائه.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ في زهرتها[2] وسرعة زوالها ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ﴾: تكاثف بسببه والتفّ، حتّى خالط بعضه بعضاً ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً﴾: مهشوماً مكسوراً ﴿تَذْرُوهُ الرِّياحُ﴾: تفرّقه، فيصير كأن لم يكن ﴿وَكانَ اللّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾.

﴿المالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَياةِ الدُّنْيا وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾: وأعمال الخير والبرّ الّتي تبقى ثمرتها أبد الآباد ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من المال والبنين ﴿ثَواباً﴾: عائدة[3] ﴿وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ لأنّ صاحبها ينال في الآخرة ما كان يأمل بها في الدّنيا.

قال: «هي الصّلوات الخمس»[4].

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٢.
٢ ـ زَهْرَةُ الدنيا: غضارَتُها وحُسْنُها. الصّحاح ٢: ٦٧٤ (زهر).
٣ ـ في «ب»: «فائدة».
٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وقال: «إنّ من الباقيات الصّالحات القيام لصلاة اللّيل»[١].

وفي رواية: «التّسبيحات الأربع»[٢].

وفي أُخرى: «لا تستصغر مودّتنا، فإنّها من الباقيات الصّالحات»[٣].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبالَ﴾: نسيّرها في الجوّ ونجعلها هباءً منبثّاً ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً﴾: بادية برزت من تحت الجبال، ليس عليها ما يَسْترها ﴿وَحَشَرْناهُمْ﴾: وجمعناهم إلى المَوقف ﴿فَلَمْ نُغادِرْ﴾: فلم نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

﴿وَعُرِضُوا عَلىٰ رَبِّكَ صَفّاً﴾ تُرى[٤] جماعتُهم كما يرى كلّ واحد منهم، لا يحجب أحدٌ أحداً. قال: «هم يومئذ عشرون ومائة ألف صفّ في عرض الأرض»[٥].

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لا شيء معكم من المال والولد ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾: وقتاً لإنجاز الوعد.

﴿وَوُضِعَ الكِتابُ﴾: صحائف الأعمال ﴿فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ﴾: خائفين من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هٰذا الكِتابِ﴾ تعجيباً من شأنه. ﴿لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلّا أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً﴾ مكتوباً.

﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

قال: «إذا كان يوم القيامة دُفِعَ إلى الانسان كتابُه، ثمّ قيل له: اقرأه، فَيَقرأُ[٦] ما فيه، فيذكره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم إلّا ذكره، كأنه فعله تلك السّاعة، فلذلك قالوا:

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «القيام باللّيل لصلاة اللّيل».

٢ ـ الكافي ٢: ٥٠٦، الحديث: ٤؛ القمّي ٢: ٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ معاني الأخبار: ٣٢٤، الحديث: ١؛ العيّاشي ٢: ٣٢٧، الحديث: ٣٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، بالمضمون.

٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ في «ألف»: «يرى».

٥ ـ الاحتجاج ٢: ٩٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ في المصدر: «فيعرف».

"يا ويلتنا" الآية»[1] .

﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ سبق تفسيره[2] . وإنّما كرّر في مواضع ؛ لكونه مقدّمةً للأُمور المقصود بيانها في تلك المحالّ ، وهكذا كلّ تكرير في القرآن . ﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾: فخرج ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾ فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً﴾ من الله إبليس وذرّيّته .

﴿ما أَشْهَدْتُهُمْ﴾: ما أحضرت إبليس وذرّيّته أو[3] رؤساء المشركين ، وبالجملة شياطين الجنّ والإنس ﴿خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتضاداً بهم ﴿وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾: ولا أحضرت بعضهم خَلْقَ بعض ﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ .

قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللّهمّ أعزّ الإسلام[4] بعمر بن الخطّاب ، أو بأبي جهل بن هشام ، فأنزل الله هذه الآية يعنيهما»[5] .

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتم أنّهم شركائي ؛ توبيخ وتبكيت ، والمراد ما عبد «من دونه» من الجنّ والإنس وغيرهما ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾: مهلكاً يشتركون فيه ، وهو وادٍ من أودية جهنّم .

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها﴾ . قال: «يعني أيقنوا أنّهم داخلوها»[6] . ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً﴾ .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ .

١ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٨ ، الحديث: ٣٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٢ ـ في سورة البقرة ، الآية ٣٤ .
٣ ـ في «ب»: «ورؤساء» .
٤ ـ في المصدر: «أعزّ الدين» .
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٨ ، الحديث: ٣٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٦ ـ التوحيد: ٢٦٧ ، الباب: ٣٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

﴿وَما مَنَعَ النّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾: إلّا انتظار أن تأتيهم ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهي الإهلاك والاستيصال. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ﴾: عذاب الآخرة ﴿قُبُلاً﴾: عياناً.

﴿وَما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: ليزيلوا بالجدال الحقّ عن مقرّه ويبطلوه ﴿وَاتَّخَذُوا آياتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُواً﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾ من الكفر والمعاصي، فلم يتفكّر في عاقبتهما ﴿إِنّا جَعَلْنا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: تمنعهم أن يفقهوه ﴿وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾ يمنعهم أن يسمعوه ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ لا تحقيقاً لأنّهم لا يفقهون، ولا تقليداً لأنّهم لا يسمعون.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾: ملجأ ومنجى.

﴿وَتِلْكَ الْقُرىٰ﴾: قرى عاد وثمود وأضرابهم ﴿أَهْلَكْناهُمْ لَمّا ظَلَمُوا﴾ مثل ظلم قريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصي ﴿وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾: وقتاً معلوماً. فليعتبروا بهم، ولا يغترّوا بتأخّر[1] العذاب عنهم.

﴿وَإِذْ قالَ مُوسىٰ لِفَتاهُ﴾ قال: «هو يوشع بن نون»[2]. ﴿لا أَبْرَحُ﴾ قال: «لا أزال أسير»[3]. ﴿حَتّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى بحرَيْ فارس والرّوم، وهو المكان الّذي وعد فيه موسى لقاء الخضر ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾: أو أسير زماناً طويلاً. قال: «الحُقُب: ثمانون سنة»[4].

١ ـ في «ألف»: «بتأخير».

٢ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٠، الحديث: ٤٢؛ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

ورد: «إنّ موسى قال في نفسه: ما أرى أنّ اللّه خلق خلقاً أعلم منّي، فأوحى اللّه إلى جبرئيل: أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك، وقل له: إنّ عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً، فاتّبِعْهُ وتَعَلَّمْ منه»[١].

القمّي: «فنزل جبرئيل على موسى وأخبره، وذلّ موسى في نفسه، وعلم أنّه أخطأ، ودخله الرّعب، وقال لوصيّه يوشع: إنّ اللّه قد أمرني أن أتّبع رجلاً عند ملتقى البحرين، وأتعلّم منه، فتزوّد يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا»[٢].

﴿فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما﴾: تركاه ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾: مسلكاً.

القمّي: «فلمّا بلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه؛ فلم يعرفاه، فأخرج وصيّ موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصّخرة، ومضيا ونسيا الحوت، وكان ذلك الماء ماء الحيوان، فحيي الحوت ودخل في الماء» الحديث[٣].

وفي رواية: «فانطلق الفتى يغسل الحوت في العين، فاضطرب في يده حتّى خدشه وتفلّت منه، ونسيه الفتى»[٤].

وفي أُخرى: «فقطرت قطرة من السّماء فاضطرب الحوت، ثمّ جعل يَثِبُ[٥] إلى البحر»[٦].

﴿فَلَمّا جاوَزا﴾ مجمع البحرين ﴿قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا﴾: ما نتغدّى به ﴿لَقَدْ لَقِينا مِنْ

١ـ علل الشّرائع ١: ٥٩، الباب: ٥٤، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. وفي العياشي ٢: ٣٣٢، الحديث: ٤٧؛ والقمّي ٢: ٣٧، ما يقرب منه.

٢ـ القمّي ٢: ٣٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ـ القمّي ٢: ٣٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ـ العيّاشي ٢: ٣٢٩، الحديث ٤١، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٥ـ وَثَبَ يَثِبُ والعامّة تستعمله بمعنى المبادرة والمسارعة. المصباح المنير ٢: ٣٦٣(وثب).

٦ـ المصدر: ٣٣٢، الحديث: ٤٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سَفَرِنا هـٰذا نَصَباً﴾: عَناء . قال: «وإنّما أعيا حيث جاوزا الوقت»[١] . ﴿قالَ أَرَأَيْتَ﴾ ما دهاني ﴿إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾: تركتُه وفقدتُه ، أو نسيتُ ذكر حاله وما رأيتُ منه لك ﴿وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾ .

﴿قالَ ذٰلِكَ ما كُنّا نَبْغِ﴾ . قال: «قال ذلك الرّجل الّذي رأيناه عند الصّخرة هو الّذي نريده»[٢] . وذلك لأن أمر الحوت كان آيته كما أخبر به . ﴿فَارْتَدّا عَلىٰ آثارِهِما قَصَصاً﴾: فرجعا في الطّريق الذي جاءا فيه ، يتّبعان آثارهما اتّباعاً .

﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا﴾ قال: «هو الخضر عليه السلام»[٣] . قال: «وكان نبيّاً مرسلاً بعثه الله إلى قومه ، فدعاهم إلى توحيده ، والإقرار بأنبيائه ورُسُله وكُتُبه ، وكانت آيته أنّه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلاّ اهتزّت خضراء ، وإنّما سمّي خِضْراً لذلك ، وكان اسمه بليا بن ملكا بن عامر بن أرفخشد[٤] بن سام بن نوح»[٥] .

﴿آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾ هي الوحي والنّبوّة ﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾ قيل: أي: ممّا يختصّ[٦] بنا من العلم ، وهو علم الغيوب[٧] .

﴿قالَ لَهُ مُوسىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ .

﴿قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ . قال: «قال: لأنّي وكّلت بأمر لا تطيقه ، وأنت وكّلت بأمر لا أُطيقه . قال موسى: بل أستطيع معك صبراً ، فقال الخضر: إنّ القياس لا مجال

١ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٢ ، الحديث: ٤٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٨ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٣ ـ المصدر ، عن علي بن موسى الرّضا عليه السلام ؛ علل الشرائع ١: ٦٠ ، الباب: ٥٤ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ في «ألف» و«ج»: «ارفخشيد» .

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٥٩ ، الباب: ٥٤ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٦ ـ في «ب»: «ما يختصّ» .

٧ ـ البيضاوي ٣: ٢٣١ ؛ الكشّاف ٢: ٤٩٢ .

له في علم اللّه وأمره»[١] . قال: «وكان موسى أعلم من الخضر»[٢] .

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلىٰ ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ .

﴿قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّٰهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾ . قال: «فقال له ذلك وهو خاضع له ، يستلطفه على نفسه كي يقبله»[٣] . قال: «فلمّا استثنى المشيّة قَبِلَه»[٤] .

﴿قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ قال: «يقول: لا تسألني عن شيء أفعله ولا تنكره عليّ ، حتّى أُخبرك أنا بخبره ، قال: نعم»[٥] .

﴿فَانْطَلَقا﴾ على السّاحل يطلبان السّفينة ﴿حَتّىٰ إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها﴾ الخضر ﴿قالَ﴾ موسى ﴿أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ : عظيماً . القمّي: «هو المنكر . وكان موسى ينكر الظّلم ، فأعظم ما رأى»[٦] .

﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ .

﴿قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾: ولا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسيّ ، فإنّ ذلك يعسّر عليّ متابعتك .

روي: «كانت الأُولى من موسى نسياناً»[٧] .

﴿فَانْطَلَقا﴾ أي: بعد ما خرجا من السّفينة ﴿حَتّىٰ إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ﴾ من غير تروّ واستكشاف حال ﴿قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾: طاهرة من الذّنوب .

قال: «إنّه كان حسن الوجه ، كأنّه قطعة قمر ، وفي أُذُنَيْه دُرَّتان . وكان يلعب بين

١ ـ علل الشّرائع ١: ٦٠ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه «بعلم» بدل «بأمر» في الموضعين .
٢ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٠ ، الحديث: ٤٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ المصدر: ٣٣١ ، الحديث: ٤٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه: «يستعطفه» .
٤ ـ علل الشّرائع ١: ٦٠ ، الباب: ٥٤ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ القمّي ٢: ٣٨ ـ ٣٩ ، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام .
٦ ـ القمّي ٢: ٤٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، وفيه: «هو المنكر» .
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٨١ ؛ تفسير البغوي ٣: ١٧٤ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

الصّبيان»[١].

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: من غير أن قتلتْ نفساً فتقادَ بها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ أي: منكراً.

قال: «فغضب موسى، وأخذ بتلابيبه[٢] و "قالَ أَقَتَلْتَ" الآية. قال الخضر: إنّ العقول لا تحكم على أمر اللّه، بل أمر اللّه يحكم عليها، فسَلِّمْ لما ترى منّي، واصبر عليه، فقد كُنْتُ عَلِمْتُ أنك لن تستطيع معي صبراً»[٣].

﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾. في زيادة «لك» زيادة عتاب على رفض الوصيّة.

﴿قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾: قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرّات.

روي: «وددنا أنّ موسى كان صبر حتّى يقصّ علينا من خبرهما»[٤]. «وأنّه لو لبث مع صاحبه، لأبصر أعجب الأعاجيب»[٥].

﴿فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قال: «هي النّاصرة، وإليها تنسب النّصارى»[٦]. ﴿اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾: يداني أن يسقط؛ أُستعيرت الإرادة للمشارفة. ﴿فَأَقامَهُ﴾ قال: «بوضع يده عليه»[٧]. ﴿قالَ لَوْ شِئْتَ

١ ـ القمّي ٢: ٣٩، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، مع تقدّم وتأخّر.

٢ ـ لَبَّبَهُ تَلْبيباً: جَمَعَ ثيابَه عند نحره في الخصومة، ثم جرّه. القاموس المحيط ١: ١٣٢ (لبب).

٣ ـ علل الشّرائع ١: ٦٠ ـ ٦١، الباب: ٥٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ صحيح البخاري ٣: ١٥٤، كتاب تفسير القرآن؛ سنن الترمذي ٤: ٣٧٣، أبواب تفسير القرآن، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٥ ـ الكشّاف ٢: ٤٩٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. وفي صحيح مسلم ٤: ١٨٥١، كتاب الفضائل، الباب: ٤٦، الحديث: ١٧٢؛ وسنن أبي داود ٤: ٢٨٦، الحديث: ٣٩٨٤، ما يقرب منه.

٦ ـ علل الشّرائع ١: ٦١، الباب: ٥٤، ذيل الحديث: ١؛ العيّاشي ٢: ٣٣٢، الحديث: ٤٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ علل الشّرائع ١: ٦١، الباب: ٥٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ قال: «خبزاً نأكله ، فقد جعنا»[١] .

﴿قالَ هٰذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ .

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ . في قراءتهم عليهم السلام : «كلّ سفينة صالحة»[٢] . قال: «وإذا كانت معيوبة لم يأخذ منها شيئاً»[٣] .

﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ في قراءتهم عليهم السلام : «وهو طبع كافراً»[٤] . ﴿فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما﴾: أن يغشيهما ﴿طُغْياناً وَكُفْراً﴾ .

قال: «علم اللّه أنّه إن بقي كفر أبواه ، وافتتنا به وضلّا بإضلاله ، فأمرني اللّه بقتله ، وأراد بذلك نقلهم إلى محلّ كرامته في العاقبة»[٥] .

﴿فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً﴾: ولداً خيراً منه : طهارة من الذّنوب والأخلاق الرّديّة ﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾: رحمة وعطفاً على والديه .

قال: «إنّهما أُبدلا بالغلام المقتول ابنة ، فولد منها سبعون نبيّاً»[٦] .

﴿وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنْزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

قال: «كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب: بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم ، لا إله إلّا

١ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٣ ، الحديث: ٤٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٨١ ، عن أمير المؤمنين والباقر والصادق عليهم السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٩ ، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام .

٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٦ ، الحديث: ٥٥ ، عن أحدهما عليهما السلام ؛ علل الشّرائع ١: ٦١ ، الباب: ٥٤ ، ذيل الحديث: ١ ؛ القمّي ٢: ٣٩ ؛ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٨٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٦١ ، الباب: ٥٤ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ الكافي ٦: ٧ ، الحديث: ١١ ؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣١٧ ، الحديث: ١٥٤٢ ؛ العيّاشي ٢: ٣٣٦ ، الحديث: ٦٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ العيّاشي ٢: ٣٣٧ ، الحديث: ٦١ ، عن أحدهما عليهما السلام .

اللّه ، محمّد رسول اللّه ، عجبت لمن يعلم أنّ الموت حقّ ، كيف يفرح! عجبت لمن يؤمن بالقدر ، كيف يحزن! عجبت لمن يذكر النّار ، كيف يضحك! عجبت لمن يرى الدّنيا وتَصَرُّفَ أهلها حالاً بعد حال ، كيف يطمئنّ إليها!»[١] . وفيه روايات أُخَر يقرب بعضها من بعض[٢] .

﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾: وإنّما فعلته عن أمر اللّه ﴿ذٰلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ حُذِفَ التّاء تخفيفاً .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ ورد: «إنّه سئل عن طائف طاف المشرق والمغرب ، من هو؟ وما قصّته؟ فنزلت»[٣] .

«وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عنه أنبيّاً كان أم مَلِكاً؟ فقال: لا نبيّاً ولا ملكاً ، عبد أحبّ اللّه فأحبّه اللّه ، ونصح للّه فنصح له ، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن ، فغاب عنهم ما شاء اللّه أن يغيب ، ثمّ بعثه الثّانية ، فضربوه على قرنه الأيسر ، فغاب عنهم ما شاء اللّه ، ثم بعثه الثّالثة ، فمكّن اللّه له في الأرض ، وفيكم مثله ، يعني نفسه»[٤] . وفي رواية: «فقتلوه»[٥] . مكان: فغاب عنهم . وفي [رواية][٦] أُخرى: «فأماته اللّه خمسمائة عام»[٧] . و ورد: «إنّ اسمه عيّاش»[٨] .

﴿إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده وتوجه إليه ﴿سَبَباً﴾: وصلة

١ ـ معاني الأخبار: ٢٠٠ ، الحديث ١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ القمّي ٢: ٤٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ الكافي ٢: ٥٨ ، الحديث: ٦ و ٥٩ ، الحديث: ٩ ؛ الخصال ١: ٢٣٦ ، الحديث: ٧٩ ؛ معاني الأخبار: ٢٠٠ ، الحديث: ١ .
٣ ـ القمّي ٢: ٤٠ .
٤ ـ المصدر: ٤١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٠ ، الحديث: ٧٣ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٦ ـ الزّيادة من «ألف» .
٧ ـ القمّي ٢: ٤٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٨ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٠ ، الحديث: ٧٥ و ٣٥٠ ، الحديث: ٨١ ؛ الخصال ١: ٢٤٨ ، الحديث: ١١٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

توصله إليه ؛ من العلم والقدرة والآلة . و ورد: «أي: دليلاً»[١] . قال: «سخّر اللّه له السّحاب ، ويسّر له الأسباب ، وبسط له النّور ، وكان اللّيل والنّهار عليه سواء»[٢] .

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ أي: فأراد بلوغ المغرب ، فأتبع سبباً يوصله إليه .

﴿ حَتّىٰ إذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أي: ذات حَمْأةٍ ، وهي الطّين الأسود . وعلى قراءة حَامِيَة ، أي: حارّة . ورد: «في عين حامية ، في بحر دون المدينة الّتي ممّا يلي المغرب ، يعني جابلقا[٣]»[٤] . ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَها قَوْماً ﴾: ناساً كفرة ﴿ قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ ﴾ أي: بالقتل على كفرهم ﴿ وَإِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾ بإرشادهم وتعليمهم الشّرايع .

﴿ قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ أي: نفسه بإصراره على كفره ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ قال: «بعذاب الدّنيا»[٥] . ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلىٰ رَبِّهِ ﴾ قال: «في مرجعه»[٦] . ﴿ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً ﴾: منكراً لم يعهد مثله في الآخرة . قال: «أي: في النّار»[٧] .

﴿ وَأَمّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا ﴾: ممّا نأمر به من الخراج وغيره ﴿ يُسْراً ﴾: سهلاً متيسّراً غير شاقّ .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴾ يوصله إلى المشرق .

﴿ حَتّىٰ إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ . قيل: يعني الموضع الّذي تطلع الشّمس عليه[٨] أوّلاً ؛

١ ـ القمّي ٢: ٤٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٣٩٣ ، الحديث: ٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ الخرائج ٣: ١١٧٤ ، الحديث: ٦٨ ، عن العسكري عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٣ ـ جابَلْق: روى أبو روح عن الضحّاك عن ابن عبّاس أنّ جابلق مدينة بأقصى المغرب ، وأهلها من ولد عاد ، وأهل جابَرْس من ولد ثمود ، ففي كلّ واحدة منهما بقايا ولد موسى عليه السلام . معجم البلدان ٢: ٩١ .

٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٥٠ ، الحديث: ٨٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ و ٦ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٢ ، ذيل الحديث: ٧٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٧ ـ القمّي ٢: ٤١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٨ ـ في «ألف»: «تطلع عليه الشّمس» .

من معمورة الأرض[١] . ﴿وَجَدَها تَطْلُعُ عَلىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً﴾ .

قال: «ورد على قوم قد أحرقتهم[٢] الشّمس ، وغيّرت أجسادهم وألوانهم ، حتّى صيّرتهم كالظّلمة»[٣] . قال: «لم يعلموا صنعة البيوت»[٤] . والقمّي: لم يعلموا صنعة الثّياب[٥] .

﴿كَذٰلِكَ﴾ كان أمره ﴿وَقَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً﴾ من الجنود والآيات والعُدد والأسباب[٦] .

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب ، آخذاً من الجنوب إلى الشّمال . قال: «سبباً في ناحية الظّلمة»[٧] .

﴿حَتّىٰ إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين المبنيّ بينهما سدّه ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ لغرابة لغتهم ، وقلّة فطنتهم .

﴿قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ . قيل: هما قبيلتان من ولد يافث بن نوح[٨] . و ورد: «جميع التّرك والسّقالب[٩] ويأجوج ومأجوج والصّين من يافث ؛ حيث كانوا»[١٠] .

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال: «قالوا ياذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج خلف هذين

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٣٥ .

٢ ـ في «ب»: «أحرقهم» . وفي «ج»: «احترقتهم» .

٣ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٢ ، ذيل الحديث: ٧٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٣٥٠ ، الحديث: ٨٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٤١ .

٦ ـ في «ب»: «والآلات» .

٧ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٢ ، ذيل الحديث: ٧٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٨ ـ البيضاوي ٣: ٢٣٥ .

٩ ـ المشهور على الألسنة بالصاد ؛ وهم جيل من النّاس بين بلاد البلغار والقسطنطنيّة فقط ولكنّهم منتشرون في الشمال الشرقي لأوربا وفي غرب البلغار أيضاً . انظر: تاج العروس ٣: ٦٤ و ٢٠٠ ودائرة المعارف (للفريد وجدي) ٥: ٥٢١ .

١٠ ـ علل الشّرائع ١: ٣٢ ، الباب: ٣٨ ، الحديث: ١ عن الهادي عليه السلام .

الجبلين ، وهم يفسدون في الأرض ، إذا كان إبّانُ[1] زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السّدّين ، فرعوا من ثمارنا وزروعنا[2] ، حتّى لا يبقون منها شيئاً»[3] . ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾ قال: «أي: نؤدّيه إليك في كلّ عام»[4] .

﴿عَلىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ .

﴿قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ممّا تبذلون لي من الخراج ، ولا حاجة بي إليه ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بقوّة فعلة ، أو بما أتقوّى به من الآلات ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾: حاجزاً حصيناً ، وهو أكبر من السّدّ .

﴿آتُونِي﴾: ناولوني ﴿زُبَرَ الحَدِيدِ﴾: قِطَعه الكبيرة ﴿حَتّىٰ إِذا ساوىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: بين جانبي الجبلين ؛ بتنضيدها ﴿قالَ انْفُخُوا﴾ أي: قال للعملة: انفخوا في الأكوار ﴿حَتّىٰ إِذا جَعَلَهُ ناراً﴾: كالنّار بالإحماء ﴿قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ أي: آتوني قطراً أفرغه عليه ، أي: نحاساً .

قال: «احتفروا له جبلَ حديد ، فقلعوا له أمثال اللَّبِن ، فطرح بعضه على بعض فيما بين الصّدفين ، وكان ذو القرنين أوّلَ من بَنىٰ رَدْماً على وجه الأرض ، ثمّ جعل عليه الحطب وألهب فيه النّار ، ووضع عليه المنافيخ ؛ فنفخوا عليه . قال: فلمّا ذاب قال: آتوني بقطر ، فاحتفروا له جبلاً من مس ، فطرحوه على الحديد ، فذاب معه واختلط به»[5] .

﴿فَمَا اسْطاعُوا﴾ «يعني يأجوج ومأجوج»[6] . ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه بالصّعود لارتفاعه وانملاسه ﴿وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ لثخنه وصلابته .

﴿قالَ هٰذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ على عباده ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بقيام السّاعة ﴿جَعَلَهُ

١ ـ في «ألف» و«ب»: «أيّان» . وإبّان الشيء: حينُه أو أوّله . القاموس المحيط ٤: ١٩٦ (أبن) .

٢ ـ في «ب» و«ج»: «فرعوا في ثمارنا وفي زروعنا» .

٣ و ٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٣ ، ذيل الحديث: ٧٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ و ٦ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٣ ، ذيل الحديث: ٧٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

دَكّاءَ﴾: أرضاً مستوية ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً﴾.

القمّي: إذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزّمان، انهدم ذلك السّدّ وخرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا، وأكلوا النّاس. وهو قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"[١].

و ورد: «هم أكثر خَلْق خلقوا بعد الملائكة، وليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه ألف ولد ذكر»[٢].

«والرّدم في التّأويل التّقيّة، وهي[٣] الحصن الحصين، فإذا جاء الوعد رفعت، وانتقم من أعداء اللّه». كذا ورد[٤].

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ قال: «يعني يوم القيامة»[٥]. ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يختلطون، مزدحمين، حيارى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾ للحساب والجزاء.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً﴾ أي: أبرزناها لهم، فشاهدوها.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾ أي: كانوا صُمّاً عنه. قال: «لم يعبهم بما صنع هو بهم، ولكن عابهم بما صنعوا، ولو لم يتكلّفوا لم يكن عليهم شيء»[٦].

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعبدونهم أو يحبّونهم، أي: أفحسبوا أنّهم ينجونهم من عذابي. وفي قراءة أمير المؤمنين عليه السلام:

١ـ القمّي ٢: ٤١. والآية في سورة الأنبياء (٢١): ٩٦.

٢ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ في «ج»: «وهو».

٤ـ العيّاشي ٢: ٣٥١، الحديث: ٨٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ المصدر، الحديث: ٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ المصدر: ٣٥٢، الحديث: ٨٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. وفيه: «لم يعتبهم... ولكن يعاتبهم».

«أَفَحَسْبُ»[١] بسكون السّين ورفع الباء، يعني أفكافيهم في النّجاة. ﴿إِنّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً﴾ قال: «مأوى ومنزلاً»[٢].

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا﴾: ضاع وبطل لكفرهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ لعُجْبهم واعتقادهم أنّهم على الحقّ.

قال: «هم النّصارى والقسّيسون والرّهبان، وأهل الشّبهات والأهواء من أهل القبلة، والحروريّة[٣] وأهل البدع»[٤].

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْناً﴾. قال: «ولا يعبأ بهم، لأنّهم لم يعبأوا بأمره ونهيه»[٥].

﴿ذٰلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آياتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾. قال: «الجنّة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السّماء والأرض، الفردوس أعلاها درجة»[٦].

قال: «نزلت في أبي ذرّ والمقداد وسلمان وعمّار»[٧].

﴿خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾: تحوّلاً[٨]. قال: «لا يريدون بها بدلاً»[٩].

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٩٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ حروراء، أو حرورا: موضع غير بعيد من الكوفة، اجتمع فيه أهل الخوارج عندما جهروا بالخروج على عليّ عليه السلام وسرعان ما قضى عليهم إلى آخر رجل تقريباً في وقعة النهروان الدامية. وقد نسب الخوارج إلى حروراء، فعرفوا بالحروريّة. دائرة المعارف الاسلاميّة ٧: ٣٦١ (حروراء).
٤ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الاحتجاج ١: ٣٦٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «ولا يعبأ بهم بأمره ونهيه يوم القيامة».
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٩٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ و ٩ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ـ لم ترد في «ب».

﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾. قال: «إنّ كلام اللّه عزّوجلّ ليس له آخر ولا غاية، ولا ينقطع أبداً»[١].

﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾. قال: «يعني قل لهم: أنا في البشريّة مِثْلُكم، ولكن ربّي خصّني بالنّبوّة دونكم، كما يَخُصُّ بعضَ البشر بالغنى والصّحّة والجمال دون بعض»[٢].

﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ﴾ قال: «يؤمن بأنّه مبعوث»[٣]. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً﴾: خالصاً للّه ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾.

قال: «الرّجل يعمل شيئاً من الثّواب لا يَطْلُبُ به وجهَ اللّه؛ إنّما يَطْلُبُ تزكيةَ النّاس، يَشْتَهي أن يسمع به النّاس، فهذا الّذي أشرك بعبادة ربّه، ثمّ قال: ما من عبد أسرّ خيراً، فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر اللّه له خيراً، وما من عبد يُسِرُّ شرّاً، فذهبت الأيّام حتّى يظهر اللّه له شرّاً»[٤].

وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريءٌ؛ فهو للّذي أشرك»[٥].

وفي الحديث النّبويّ في تفسير هذه الآية: «من عمل عملاً ممّا أمره اللّه عزّوجلّ مُراآة[٦] النّاس فهو مشرك، ولا يقبل اللّه عزّوجلّ عمل مرائي»[٧].

وورد في تفسيرها: «من صلّى أو صام أو أعتق أو حجّ يريد مَحْمَدَةَ النّاس فقد أشرك

١ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٩، عن العسكري عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ التّوحيد: ٢٧٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٢٩٤، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٤٩٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ـ في «ألف» و«ج»: «مراياة».
٧ـ القمّي ٢: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، مع تفاوت يسير.

في عمله ، وهو مشرك مغفور»[١] .

أقول: يعني أنّه ليس من الشّرك الّذي قال اللّه: "إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ"[٢] وذلك لأنّ المراد بذلك ، الشّرك الجليّ ، وهذا هو الشّرك الخفيّ .

و ورد: «إنّه كان يتوضّأ للصّلاة ، فأراد رجل أن يصبّ الماء على يديه فأبى ، وقرأ هذه الآية ، وقال: ها أناذا أتوضّأ للصّلاة وهي العبادة ، فأكره أن يشركني فيها أحد»[٣] .

أقول: وهذا تفسيرٌ آخر للآية ، ولعلّه تنزيه وذاك تحريم .



١ ـ العيّاشي ٢: ٣٥٢ ، الحديث: ٩٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ النّساء (٤): ٤٨ و١١٦.
٣ ـ الكافي ٣: ٦٩ ، الحديث: ١ ، عن علي بن موسى الرّضا عليه السلام .

١٧٣

سورة مريم

[مكّيّة وهي ثمان وتسعون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿كهيعص﴾ . قال: «إنّ هذه الحروف من أنباء الغيب . أطْلَعَ اللّهُ عبدَه زكريّا عليها ، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله ، ثمّ ذكر: أنّ الكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد ، وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصّاد صبره»[2] . في قصّة مذكورة في الصّافي[3] .

وورد في بعض الأدعية: «يا كهيعص»[4] .

﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ أي: هذا ذكر رحمة ربّك ، و ورد: «ذكر ربّك زكريّا فرحِمَه»[5] .

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ لأنّه أشدّ إخباتاً[6] وأكثر إخلاصاً .

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٤٦١ ، الباب: ٤٣ ، ذيل الحديث الطّويل: ٢١ ؛ المناقب ٤: ٨٤ ، عن الحجّة عليه السلام .

٣ ـ الصّافي ٣: ٢٧٢ ، نقلاً عن كمال الدّين ، عن الحجّة عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٤٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ أخبت الرجل اخباتاً: خضع للّه وخشع قلبه . المصباح المنير ١: ١٩٧ (خبت) .

و ورد: «خير الدّعاء الخفيّ»[١].

﴿قالَ رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾. شبّه الشّيب في بياضه وإنارته بشواظ[٢] النّار، وانتشاره في الشّعر باشتعالها. ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ بل كلّما دعوتُكَ استجبْتَ لي، فلا يبعد أن أُجبْتَني.

﴿وَإِنّي خِفْتُ المَوالِيَ﴾ قال: «الورثة»[٣]. ﴿مِنْ وَرائِي﴾ أن لا يحسنوا خلافتي على أُمّتي، ويبدّلوا عليهم دينهم ﴿وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً﴾: لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ فإنّ مثله لا يرجى إلّا من فضلك وكمال قدرتك ﴿وَلِيّاً﴾ من صلبي.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ ترضاه قولاً وعملاً.

﴿يا زَكَرِيّا إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى﴾. جوابٌ لندائه، ووعدٌ بإجابة دعائه. ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾.

﴿قالَ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً﴾: عتوّاً؛ من عتا الشّيخ يعتو، إذا كبر وأسنّ؛ وهو اعتراف منه بأنّ المؤثّر فيه كمال قدرته، وأنّ الأسباب عند التّحقيق ملغاة.

﴿قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾.

﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: علامة أعلمُ بها وقوعَ ما بشّرتني به ﴿قالَ آيَتُكَ أَلّا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾: سويّ الخَلْقِ، ما بك من خرسٍ ولا بكم. وفي آل عمران: "ثَلاثَةَ أَيّامٍ"[٤]. وفيه دلالة على أنّه تجرّد للذّكر والشّكر ثلاثة أيّام بلياليهنّ.

﴿فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ﴾: من المصلّى، أو من الغرفة ﴿فَأَوْحى إِلَيْهِمْ﴾: فأومأ إليهم، لقوله "إِلّا رَمْزاً"[٥] ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾.

﴿يا يَحْيى﴾ على تقدير القول ﴿خُذِ الكِتابَ﴾: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدٍّ واستظهار

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠٢.
٢ ـ الشّواظ ـ كغُراب وكتاب ـ: لهب لا دخان فيه؛ أو دخان النار وحرّها. القاموس المحيط ٢: ٤١٠ (شوظ).
٣ ـ القمّي ٢: ٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ ـ آل عمران (٣): ٤١.
١٠ ـ ١١

بالتوفيق ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ .

قال: «مات زكريّا فورِثه ابنُه يحيى الكتابَ والحكمةَ ، وهو صبيّ صغير ، ثمّ تلا هذه الآية»[1] .

و ورد: «إنّ الصّبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب ، فقال: ما للّعب خُلِقْنا»[2] .

﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا﴾: ورحمة منّا عليه وتعطّفاً . قال: «تحنّن اللّه . سئل: فما بلغ من تحنّن اللّه عليه؟ قال: كان إذا قال: يا ربّ ، قال اللّه عزّوجلّ له: لبّيك يا يحيى»[3] . وزاد في رواية: «سَلْ ، ما حاجتك؟»[4] . في رواية: «يعني تحنّناً ورحمة على والديه وسائر عبادنا»[5] . ﴿وَزَكَاةً﴾ قال: «وطهارة لمن آمن به وصدّقه»[6] . ﴿وَكَانَ تَقِيّاً﴾ قال: «يتّقي الشّرور والمعاصي»[7] .

﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ﴾ قال: «محسناً إليهما ، مطيعاً لهما»[8] . ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ . قال: «يقتل على الغضب ويضرب على الغضب ، لكنّه ما من عبد للّه[9] إلّا وقد أخطأ أو همّ بخطيئة ، ما خلا يحيى بن زكريّا ، فلم يذهب ولم يهُمّ بذنب»[10] .

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشّيطان بما ينال به بني آدم ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ من هول القيامة وعذاب النّار .

ورد: «إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ، ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدّنيا ، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار

١ ـ الكافي ١: ٣٨٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠٦ ، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام .

٣ ـ الكافي ٢: ٥٣٥ ، ذيل الحديث: ٣٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ المحاسن ١: ٣٥ ، الباب: ٢٥ ، الحديث: ٣٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام . وفيه: «سل حاجتك» .

٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٥٩ .

٩ ـ في المصدر: «ما من عَبْد عَبَدَ اللّه» .

الدّنيا ، وقد سلّم الله عزّوجلّ على يحيى في هذه الثّلاثة المواطن ، وآمن رَوْعَتَه[1] ، وتلا الآية . قال: وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثّلاثة المواطن ، وتلا الآية الآتية»[2] .

﴿وَٱذْكُرْ فِي الكِتابِ مَرْيَمَ﴾: قِصّتَها ﴿إِذِ ٱنْتَبَذَتْ﴾: اعتزلت ﴿مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيّاً﴾ .

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً﴾: ستراً وحاجزاً . القمّي قال: في محرابها[3] . ﴿فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا﴾قال: «يعني جبرئيل»[4] . ﴿فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيّاً﴾: سويّ الخلق .

﴿قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ﴾ من غاية عفافها ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ فكيف إن لم تكن ، أو أن تتّقي الله فلا تتعرّضْ لي .

﴿قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ .

﴿قالَتْ أَنّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يعني بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾: زانية .

﴿قالَ كَذٰلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ﴾: علامة وبرهاناً على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنّا﴾ على العباد ، يهتدون بإرشاده ﴿وَكانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾ .

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ . قال: «إنّه تناول جَيْب مِدْرَعَتها[5] ، فنفخ فيه نفخة ، فكمل الولد في الرّحم من ساعته ، كما يكمل في أرحام النّساء تسعة أشهر ، فخرجت من المُسْتَحَمّ وهي حامل

١ ـ الرَّوْعُ ـ بالفتح ـ: الفَزَعُ . والرَّوْعَةُ: الفَزْعَة. الصّحاح ٣: ١٢٢٣(روع) .

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٥٧ ، الباب: ٢٦ ، الحديث: ١١ ؛ الخصال ١: ١٠٧ ، الحديث: ٧١ ، عن علي بن موسى الرّضا عليه السلام .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٩ .

٥ ـ المِدْرَع والمِدْرَعة واحد ، وهو ثوب من صوف يتدرّع به . مجمع البحرين ٤: ٣٢٤(درع) .

مُجِحٌّ[١] مثقل، فنظرت إليها خالتُها فأنكرتها، ومضت مريم على وجهها؛ مستحية[٢] من خالتها ومن زكريّا»[٣]. وقال: «كانت مدّة حملها تسع ساعات»[٤].

﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾: فاعتزلت، وهو في بطنها ﴿مَكاناً قَصِيّاً﴾: بعيداً من أهلها. قال: «خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء، فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثمّ رجعت من ليلتها»[٥].

﴿فَأَجاءَهَا المَخاضُ﴾: فألجأها تحرّك الولد في بطنها ﴿إِلىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتستتر به، وتعتمد عليه ﴿قالَتْ يالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذا﴾ استحياءً من النّاس، ومخافة لومهم. قال: «لأنّها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزّهها من السّوء»[٦]. ﴿وَكُنْتُ نَسْياً﴾: ما من شأنه أن يُنسى ولا يُطْلَب ﴿مَنْسِيّاً﴾: منسيّ الذّكر، لا يخطر ببالهم.

﴿فَناداها مِنْ تَحْتِها﴾. [قال][٧] القمّي: أي: عيسى عليه السلام[٨]. ﴿أَلّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ روي: «أي: جَدْوَلاً»[٩]. وقال: «ضرب عيسى برجله؛ فظهر عين ماء يجري»[١٠].

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: حرّكيه وأميليه إليك ﴿تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾:

١ـ الجَحّ: بسط الشّيء، ويقال أجَحّت المرأة: إذا حَمَلتْ فأقربت وعَظُمَ بطنُها، فهي مُجِحٌّ. تاج العروس ٦: ٣٣٢ (جحح).

٢ـ في «ب»: «مستحيية».

٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ التّهذيب ٦: ٧٣، الحديث: ١٣٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٧ـ الزّيادة من «ب».

٨ـ القمّي ٢: ٤٩.

٩ـ جوامع الجامع ٢: ٣٩١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والجَدْوَل: النّهر الصّغير. الصحاح ٤: ١٦٥٤ (جدل).

١٠ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١١، عن أبي جعفر عليه السلام.

طريّاً. القمّي: وكانت النّخلة قد يَبِسَتْ منذ دهر، فمدّت يدها إليها؛ فأورقت وأثمرت وسقط عليها الرّطب الطّريّ! فطابت نفسها، فقال لها عيسى: قمّطيني[1] وسوّيني، ثمّ افعلي كذا وكذا. فقمّطته وسوّته[2].

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً﴾ قال: «أي: صمتاً»[3]. والقمّي: صوماً وصمتاً. كذا نزلت[4]. ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾: بديعاً منكراً.

﴿يا أُخْتَ هٰرُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾. روي: «إنّ هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل، ينسب إليه كلّ من عُرِفَ بالصّلاح»[5]. والقمّي: كان رجلاً فاسقاً زانياً، فشبّهوها به[6].

﴿فَأَشارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى، أي: كلّموه ليجيبكم ﴿قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾.

﴿قالَ إِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ آتانِيَ الْكِتابَ﴾ قيل: الإنجيل[7] ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾.

﴿وَجَعَلَنِي مُبارَكاً﴾ قال: «نفّاعاً»[8]. ﴿أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ﴾ قال: «زكاة الرّؤوس؛ لأنّ كلّ النّاس ليست لهم أموال، وإنّما الفطرة على الفقير والغنيّ، والصّغير

١ ـ قَمَطَهُ (كقمّطه): شدّ يديه ورجليه كما يُفعل بالصّبيّ في المهد. والقِماط: ذلك الحبلُ والخرقة التي تَلُفُّها على الصّبيّ. القاموس المحيط ٢: ٣٩٦ (قمط).

٢ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٩.

٣ ـ الكافي ٤: ٨٩، الحديث: ٩؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٠٩، الحديث: ١٨٦١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ ـ القمّي ٢: ٥٠.

٧ ـ الكشّاف ٢: ٥٠٨؛ البيضاوي ٤: ٨.

٨ ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث: ١١؛ معاني الأخبار: ٢١٢، الحديث: ١، القمّي ٢: ٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

والكبير»[١]. ﴿ما دُمْتُ حَيّاً﴾.

﴿وَبَرّاً بِوالِدَتِي﴾. عَطفٌ على «مباركاً». ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبّاراً شَقِيّاً﴾. ورد: «إنّه عَدَّ العقوق من الكبائر. قال: لأنّ اللّه جعل العاقّ جبّاراً شقيّاً في قوله، حكاية عن عيسى»[٢].

﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾.

﴿ذٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما يصفه النّصارى. وهو تكذيب لهم فيما يصفونه، على الوجه الأبلغ؛ حيث جعله الموصوف بأضداد ما يصفونه، ثمّ عكس الحكم. ﴿قَوْلَ الحَقِّ﴾ أي: هو قول الحقّ الّذي لا ريب فيه ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ القمّي: أي: يتخاصمون[٣].

﴿ما كانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ﴾. تكذيب للنّصارى وتنزيه للّه عمّا بهتوه.

﴿إِذا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. تبكيت لهم بأنّ مَن إذا أراد شيئاً أوجده بـ«كُنْ» كان منزّهاً عن شبه الخلق، والحاجة في اتّخاذ الولد بإحبال الإناث.

﴿وَإِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اليهود والنّصارى، أو فِرَق النّصارى، فإنّ منهم من قال: ابن اللّه؛ ومنهم من قال: هو اللّه، هبط إلى الأرض، ثمّ صعد إلى السّماء؛ ومنهم من قال: هو عبد اللّه ونبيّه. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنا﴾ أي: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ﴿لٰكِنِ الظّالِمُونَ اليَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ﴾: يوم يتحسّر النّاس؛ المُسيءُ على إساءته، والمُحْسِنُ على

١ـ القمّي ٢: ٥٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٨٦، الباب: ٢٨، ذيل الحديث: ٣٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٥٠، وفيه: «يخاصمون».

قلّة إحسانه . قال: «يوم يؤتى بالموت فيذبح»[١] . ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب ، وتصادر الفريقان إلى الجنّة والنّار . قال: «أي: قُضِيَ على أهل الجنّة بالخلود فيها ، وقُضِيَ على أهل النّار بالخلود فيها»[٢] . ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ . متعلّق بقوله «في ضلال» ، وما بينهما اعتراض ؛ أو بـ«أنذرهم» .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها﴾ لا يبقى فيها مالك ولا متصرّف ﴿وَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ .

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾ .

﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ﴾ . التّاء عوض عن ياء الإضافة . وإنّما تذكر للاستعطاف ، ولذا كرّرها . ﴿لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ﴿وَلا يُبْصِرُ﴾ فيرى خضوعك ﴿وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ في جلب نفع أو دفع ضرّ .

﴿يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا﴾ .

﴿يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا﴾ .

﴿يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا﴾ . دعاه صلوات اللّه عليه إلى الهدى ، وبيّن ضلاله ، واحتجّ عليه أبلغ احتجاج ، وأرشقه[٣] برفق وحسن أدب ؛ حيث لم يصرّح بضلاله ، بل طلب العلّة الّتي تدعوه إلى عبادة ما لا يستحقّ للعبادة بوجه . ثمّ دعاه إلى أن يتّبعه ليهديه الحقّ القويم والصّراط المستقيم ، لما لم يكن مستقلاً بالنّظر السّويّ . ولم يَسِمْهُ بالجهل المفرط ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، بل جعل نفسه كرفيق له في مسيره ، يكون أعرف بالطّريق . ثمّ ثبّطه عمّا كان عليه ؛ بأنّه مع خلوّه عن النّفع ، مستلزمٌ للضرّ ، فإنّه في الحقيقة عبادة الشّيطان ، فإنّه الآمر به . وبيّن أنّ الشّيطان

١ ـ معاني الأخبار: ١٥٦ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٥٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ الرشاقة: الحسن والاعتدال . لسان العرب ١٠: ١١٧ (رشق) .

مستعصٍ لربّك المولي للنّعم كلّها . وكلّ عاص حقيق بأن يستردّ منه النّعم ، وينتقم منه ؛ ولذلك عقّبه بتخويفه وسوء عاقبته ، وما يجرّه إليه من صيرورته قريناً للشّيطان في اللّعن والعذاب .

﴿ قالَ أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ . قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفَظاظَة[1] وغِلْظَةِ العناد ، فناداه باسمه ولم يقابل بـ «يابنيّ» وأخّره وقدّم الخبر على المبتدأ ، وصدّره بهمزة الإنكار على ضرب من التّعجّب ، ثمّ هدّده بالرّجم بلسانه ، أو الحجارةِ وأَمَرَهُ بالذّهاب عنه زماناً طويلاً .

﴿ قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ ﴾ . توديعٌ ، ومتاركةٌ ، ومقابلةٌ للسّيّئة بالحسنة ، أي: لا أُصيبك بمكروه ، ولا أقول لك بَعْدُ ما يؤذيك ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ لعلّه يوفّقك للتّوبة والإيمان ﴿ إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيّاً ﴾: بليغاً في البرّ والإعطاف .

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بالمهاجرة بديني ﴿ وَأَدْعُوا رَبِّي ﴾: وأعبده وحده ﴿ عَسىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾: خائباً ضائع السّعي مثلكم في دعاء آلهتكم . وفي تصدير الكلام بـ «عسى» التّواضع ، وهضم النّفس ، والتّنبيه على أنّ الإجابة والإثابة تفضّلٌ غير واجب ، وأنّ ملاك الأمر خاتمته ، وهو غيب .

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بالهجرة إلى الشّام ﴿ وَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ بدل مَن فارَقَهُمْ من الكفرة ﴿ وَكُلّاً جَعَلْنا نَبِيّاً ﴾ .

﴿ وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا ﴾: كلّ خير دينيّ ودنيويّ ﴿ وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ ﴾: ذكر جميل وثناء حسن ﴿ عَلِيّاً ﴾: مرتفعاً ، فإنّ جميع أهل الأديان يتولّونه ويُثْنُونَ عليه وعلى ذرّيّته ، ويفتخرون به . وهي إجابة لدعوته ، حيث قال: "وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ"[2] .

١ ـ الفظّ: الغليظ الجانب ، السّيّء الخُلُق ، القاسي ، الخشن الكلام . القاموس المحيط ٢: ٤١٢ (فظظ) .
٢ ـ الشّعراء (٢٦): ٨٤ .

وورد في تأويل: «الرّحمة: رسول اللّه، واللّسان الصّدق العليّ: أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه»[١].

﴿وَٱذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً﴾: موحّداً أخلص عبادته عن الشّرك والرّياء، وأسلم وجهه للّه. وعلى قراءة الفتح[٢]: أَخْلَصَهُ اللّهُ. ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾. قد سبق بيان الرّسول والنّبيّ في الأعراف[٣].

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾: مناجياً.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ﴾: معاضدة أخيه ومؤازرته، إجابة لدعوته "وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي"[٤] ﴿هَٰرُونَ نَبِيّاً﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَٰعِيلَ﴾. قيل: هو إسماعيل بن إبراهيم[٥]. وفي رواية: «هو إسماعيل بن حزقيل»[٦]. ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾. ورد: «إنّما سمّي صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة، ثمّ إنّ الرّجل أتاه بعد ذلك، فقال له إسماعيل: ما زلتُ منتظراً لك»[٧].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ قيل: هو سبط شيث وجدّ أبي نوح، واسمه أُخنوخ[٨]. وروي: «إنّه أُنزل عليه ثلاثون صحيفة، وإنّه أوّل من خطّ بالقلم، ونظر في علم النّجوم

١ـ القمّي ٢: ٥١، عن العسكري عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١٧؛ البيضاوي ٤: ٩، وفيه: «وقرأ الكوفيّون بالفتح على أنّ اللّه أخلصه».
٣ـ ذيل الآية: ١٥٧.
٤ـ طه (٢٠): ٢٩.
٥ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١٨.
٦ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ القمّي ٢: ٥١.
٧ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٨ـ البيضاوي ٤: ١٠.

والحساب، وأوّل من خاط الثّياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود»[١]. ﴿إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾.

﴿وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾ قيل: شرف النّبوّة والزّلفى عند اللّه[٢].

وورد ما معناه: «إنّه صعد إلى السّماء على جناح ملك، يطلب ملك الموت ليأنس به، فقبض روحه بين السّماء الرّابعة والخامسة»[٣].

﴿أُولئِكَ﴾: المذكورون في السّورة[٤] ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بأنواع النّعم الدّينيّة والدّنيويّة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَإِسْرائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنا وَاجْتَبَيْنا﴾. قال: «نحن عُنينا بها»[٥]. ﴿إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾: خشيةً من اللّه وإخباتاً له.

روي: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[٦].

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: عَقِبُ سوء ﴿أَضاعُوا الصَّلاةَ﴾ قال: «بتأخيرها عن مواقيتها، من غير أن تركوها أصلاً»[٧]. ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ﴾ قال: «من بنى الشّديد وركب المنظور ولبس المشهور»[٨]. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾: شرّاً.

﴿إِلّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾.

﴿جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾: يأتيه أهله.

١ ـ الكشّاف ٢: ٥١٣؛ جوامع الجامع ٢: ٤٠٠؛ قصص الأنبياء (للرّاوندي): ٧٩.
٢ ـ الكشّاف ٢: ٥١٣؛ البيضاوي ٤: ١٠.
٣ ـ الكافي ٣: ٢٥٧، الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ ـ من زكريّا إلى إدريس عليهم السلام.
٥ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١٩؛ المناقب (لابن شهرآشوب) ٤: ١٢٩، عن السّجاد عليه السلام.
٦ ـ الكشّاف ٢: ٥١٤؛ البيضاوي ٤: ١٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٨ ـ جوامع الجامع ٢: ٤٠١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلّا سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ على عادة المتنعّمين، والتّوسّط بين الزّهادة والرّغابة.

القمّي: ذلك في جنّات الدّنيا قبل القيامة، لأنّ البكرة والعشيّ لا يكونان[1] في الآخرة في جنّات الخلد، وإنّما يكونان[2] في جنّات الدّنيا، الّتي تنتقل[3] إليها أرواح المؤمنين، وتَطْلُعُ فيها الشّمس والقمر[4].

﴿تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيّاً﴾.

﴿وَما نَتَنَزَّلُ إِلّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾. حكاية قول جبرئيل. روي: «إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل: ما منعك أن تزورنا؟ فنزلت»[5]. ﴿لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بَيْنَ ذٰلِكَ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين[6]، لا تنتقل[7] من مكان إلى مكان، ولا تنزل[8] في زمان دون زمان إلّا بأمره ومشيئته. ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾: تاركاً لك. قال: «ليس بالّذي يَنْسىٰ، ولا يَغْفُلُ، بل هو الحفيظ العليم»[9].

﴿رَبُّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾. بيانٌ لامتناع النّسيان عليه. ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ﴾. خطاب للرّسول مرتّب عليه. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾. قال: «تأويله: هل تعلم أحداً اسمه «الله» غير الله؟»[10].

١ و ٢ ـ في «ألف»: «تكونان».

٣ ـ في «ألف»: «ينتقل».

٤ ـ القمّي ٢: ٥٢، مع تفاوت يسير.

٥ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢١.

٦ ـ الحِينُ: الدهر، أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان، طال أو قصر. الجمع: أحيان، وجمع الجمع: أحايين. القاموس المحيط ٤: ٢١٩ (حين). وفي «ألف» و«ب»: «الأحانين».

٧ ـ في «ألف»: «لا ينتقل».

٨ ـ في «ألف»: «لا ينزل».

٩ ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠ ـ المصدر: ٢٦٤، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَيَقُولُ الإِنْسانُ أَئِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً﴾ .

﴿أَوَ لا يَذْكُرُ الإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قدّرناه في العلم، حيث كان الله ولم يكن معه شيء ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ بل كان عَدَماً صِرْفاً. قال: «لا مقدّراً ولا مكوّناً»[1].

﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾ على رُكَبِهم، كما هو المعتاد في مواقف التّقاول، وهو كقوله: ﴿وَتَرىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾[2].

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: من كلّ أمّة شايعت ديناً، أي: تبِعَتْ. ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيّاً﴾: من كان أعصى وأعتى منهم، فنَطْرَحُهُم[3] فيها.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلىٰ بِها صِلِيّاً﴾: أولى بالصَّلْي[4].

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها﴾. قال: «أما تسمع الرّجل يقول: وَرَدْنا ماءَ بني فلان، فهو الورود، ولم يدخل»[5]. وفي رواية: «الورود: الدّخول، لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا يدخلها، فتكون[6] على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتّى أنّ للنّار ـ أو قال: لجهنّم ـ ضجيجاً من بردها» الحديث[7]. ﴿كانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾: كان ورودهم واجباً، أوجبه الله على نفسه وقضى به.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فيساقون إلى الجنّة ﴿وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً﴾: على هيأتهم كما كانوا.

١ ـ الكافي ١: ١٤٧، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ الجاثية (٤٥): ٢٨.
٣ ـ في «ألف» و«ج»: «فيطرحهم».
٤ ـ أصل الصَّلْي لإيقاد النّار. المفردات: ٢٩٣ (صلا).
٥ ـ القمّي ٢: ٥٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «ولم يدخله».
٦ ـ في «ألف» و«ج»: «فيكون».
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢٦، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

روي: أنّه قال: «يرد النّاس النّار، ثمّ يصدرون بأعمالهم، فأوّلهم كلمع[١] البرق، ثمّ كمرّ الرّيح، ثمّ كحضر الفرس، ثمّ كالرّاكب، ثمّ كشدّ الرّجل، ثمّ كمشيه»[٢].

وفي رواية: «تقول النّار للمؤمن يوم القيامة: جُزْيا مؤمن فقد أطفأ نورُك لَهَبي»[٣].

و ورد: «الحُمَّى رائد الموت وسجن اللّه في أرضه وفَوْرها من جهنّم، وهي حظّ كلّ مؤمن من النّار»[٤].

وروي: «إنّه لا يصيب أحداً من أهل التّوحيد ألماً في النّار إذا دخلوها، وإنّما يصيبهم الألم عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم وما اللّه بظلّام للعبيد»[٥].

وسئل عن هذه الآية، فقال: «إذا دخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، قال بعضهم لبعض: أليس قد وَعَدَنا رَبُّنا أن نَرِدَ النّار؟! فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة»[٦].

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: لأجلهم أو معهم ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: المؤمنين بها أو الجاحدين لها ﴿خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾: مجلساً ومجتمعاً. يعني أنّهم لمّا سمعوا الآيات الواضحات، وعَجِزُوا عن معارضتها والدّخل عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدّنيا، وزعموا: أنّ زيادة حظّهم فيها تدلّ على فضلهم وحسن حالهم عند اللّه تعالى.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَرِئْياً﴾. قال: «الأثاث: المتاع. ورئيا: الجمال والمنظر الحسن»[٧].

١ ـ في «ب»: «كلمح». وهو بمعناه، والأصحّ ما أثبتناه كما في المصدر.
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢٥، عن النّبيّ ﷺ.
٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢٦، عن النّبيّ ﷺ.
٤ ـ الكافي ٣: ١١٢، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ الاعتقادات (للصّدوق): ٩٠، باب الاعتقاد في الجنّة والنار؛ الاعتقادات (للمفيد): ٧٧.
٦ ـ البيضاوي ٤: ١٣.
٧ ـ القمّي ٢: ٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدّاً﴾: فيمدّه ويمهله بطول العمر والتّمتّع به ﴿حَتّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا العَذابَ وَإِمَّا السّاعَةَ﴾. قال: «خروج القائم، وهو السّاعة»[1]. والقمّي: العذاب: القتل، والسّاعة: الموت[2]. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً﴾ من الفريقَيْن. قال: «يعني عند القائم»[3]. بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه، وعاد ما متّعوا به خذلاناً ووبالاً عليهم ﴿وَأَضْعَفُ جُنْداً﴾ أي: فئة وأنصاراً. قابل به النّدى، فإنّ حسن النّدى باجتماع وجوه القوم وظهور شوكتهم.

﴿وَيَزِيدُ اللّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾ قال: «يزيدهم في ذلك اليوم هدى على هدى باتّباعهم القائم، حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه».[4] ﴿وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾: الطّاعات الّتي تبقى عائدتها أبد الآباد ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً﴾: عائدة ممّا متّع به الكفرة من النّعم المُخْدَجَة[5] الفانية الّتي يفتخرون بها ﴿وَخَيْرٌ مَرَدّاً﴾: مرجعاً وعاقبة، فإنّ مآلها النّعيم المقيم، ومآل هذه الحسرة والعذاب الدّائم.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا وَقالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَداً﴾ يعني في الآخرة.

قال: «إنّ العاص بن وائل بن هشام القرشيّ، ثمّ السّهميّ[6]، وهو أحد المستهزئين، وكان لخبّاب بن الأرتّ[7] عليه حقّ فأتاه يتقاضاه، فقال له العاص: ألستم تزعمون: أنّ في

١ و ٣ و ٤ ـ الكافي ١: ٤٣١، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٥٢.

٥ ـ المخدجة: النّاقصة. الصّحاح ١: ٣٠٨ (خدج).

٦ ـ العاص (أو العاصي) بن وائل بن هشام السهميّ، من قريش: أحد الحكّام في الجاهليّة، وكان نديماً لهشام بن المغيرة، وأدرك الإسلام وظلّ على الشّرك. ويُعدّ من المستهزئين ومن الزنادقة الّذين ماتوا كفّاراً وثنيّين. وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار. وقيل في خبر موته: خرج يوماً على راحلته، ومعه أبناء له يتنزّه، ونزل في أحد الشعاب، فلمّا وضع قدمه على الأرض صاح، فطافوا فلم يروا شيئاً. وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، ومات، فقالوا: لدغته الأرض. وكان ذلك في الأبواء، بين مكّة والمدينة، وهو والد عمر بن العاص. وكان هلاكه في ثلاث سنة قبل الهجرة. الأعلام (للزركلي) ٣: ٢٤٧.

٧ ـ خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التميميّ، أبو يحيى أو أبو عبد الله: صحابيّ من السّابقين. كان في ←

الجنّة الذّهب والفضّة والحرير؟! قال: بلى! قال: فموعد ما بيني وبينك الجنّة ، فواللّه لأُوتينّ فيها خيراً ممّا أُوتيت في الدّنيا»[١].

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾: قد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الّذي توحّد به الواحد القهّار!! حتّى ادّعاه أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً ، وتألّى عليه ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً﴾ بذلك .

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدّاً﴾ .

﴿وَنَرِثُهُ﴾ بإملاكنا إيّاه ﴿ما يَقُولُ﴾ يعني المال والولد ممّا عنده منهما ﴿وَيَأْتِينا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْداً﴾ لا يصحبه مال ولا ولد ممّا كان له في الدّنيا ، فضلاً أن يؤتى ثمّة زائداً .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً﴾ ليتعزّزوا بها ، حيث تكون لهم وصلة إلى اللّه ، وشفعاء عنده .

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ . قال: «يكونون هؤلاء الّذين اتّخذوهم آلهة من دون اللّه ضدّاً يوم القيامة ، ويتبرّؤون منهم ومن عبادتهم ، ثمّ قال: ليس العبادة هي السّجود ولا الرّكوع ، وإنّما هي طاعة الرّجال ، من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد عبده»[٢].

أقول: يعني عليه السلام بذلك: أنّ المراد بالآلهة المتّخذة من دون اللّه ، رؤساؤهم الّذين أطاعوهم في معصية الخالق .

← الجاهلية قيناً يعمل السّيوف بمكّة ، ولمّا أسلم استضعفه المشركون ، فعذّبوه ليرجع عن دينه ، فصبر ، إلى أن كانت الهجرة ، ثمّ شهد المشاهد كلّها ، ونزل الكوفة فمات فيها وهو ابن ٧٣ سنة . ولمّا رجع عليّ عليه السلام من صفّين مرّ بقبره ، فقال: رحم اللّه خبّاباً ، أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، توفّي سنة ٣٧هـ. الأعلام (للزّركلي) ٢: ٣٠١ .

١ ـ القمّي ٢: ٥٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٥٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الكافِرِينَ تَـؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾: تهزّهم[1] وتغريهم على المعاصي، بالتّسويلات وتحبيب الشّهوات.

القمّي: لمّا طغوا فيها وفي فتنتها وفي طاعتهم، ومدّ لهم في طغيانهم وضلالتهم، أرسل عليهم شياطين الإنس والجنّ "تؤزّهم أزّاً"، أي: تنخسهم[2] نخساً؛ وتحضّهم على طاعتهم وعبادتهم[3].

﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْـهِمْ إِنَّما نَعُـدُّ لَهُمْ عَـدّاً﴾: فلا تعجل بهلاكهم لتستريح من شرورهم، فإنّه لم يبق لهم إلّا أنفاس معدودة. قيل له: أي عدد الأيّام، فقال عليه السلام: «إنّ الآباء والأُمّهات يحصون ذلك، لا، ولكنّه عدد الأنفاس»[4]. ورد: «نَفَسُ المرء خُطاه إلى أجله»[5].

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُـتَّقِـينَ﴾: نجمعهم ﴿إِلَى الرَّحْمـٰنِ﴾: إلى ربّهم الّذي غمرهم برحمته ﴿وَفْداً﴾: وافدين عليه كما يَفِدُ الوُفّاد على الملوك؛ منتظرين لكرامتهم وإنعامهم.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِـينَ﴾ كما تساق البهائم ﴿إِلىٰ جَهَـنَّمَ وِرْداً﴾: عطاشاً، كما ترد الدّوابّ الماء.

وفي قراءتهم عليهم السلام: «يوم يحشر المتّقون إلى الرّحمان وفداً ويساق المجرمون إلى جهنّم وِرْداً»[6]. وقد سمع هكذا من قبر الرّضا عليه السلام، وقصّته مذكورة في عيون أخبار الرّضا[7].

قال: «يُحْشَرون على النّجائب»[8].

وفي رواية: «إنّ الوفد لا يكونون إلّا ركباناً، أُولئك رجال اتّقوا اللّه فأحبّهم اللّه

١ـ هزّه: حرّكه. القاموس المحيط ٢: ٢٠٣ (هزز).

٢ـ نَخَسَ بالرجل: هيّجه وأزعجه. لسان العرب ٦: ٢٢٩ (نخس).

٣ـ القمّي ٢: ٥٥، مع تفاوت يسير.

٤ـ الكافي ٣: ٢٥٩، الحديث: ٣٣؛ القمّي ٢: ٥٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ نهج البلاغة: ٤٨٠، الحكمة: ٧٤.

٦ و ٧ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٨٢، الباب: ٦٩، ذيل الحديث: ٦.

٨ـ المحاسن ١: ١٨٠، الباب: ٤١، الحديث: ١٧٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

واختصّهم، ورضي أعمالهم، فسمّاهم المتّقين» الحديث بطوله[١]، وفيه صفة حشرهم إلى الجنّة وفي آخره: «هؤلاء شيعتك يا عليّ وأنت إمامهم»[٢].

﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ﴾ قال: «لا يُشفَع لهم ولا يَشْفَعُون»[٣]. ﴿إِلّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾ قال: «إلّا من دان اللّه بولاية أمير المؤمنين والأئمّة من بعده؛ فهو العهد عند اللّه»[٤].

وفي رواية: «إنّ العهد هو الوصيّة عند الموت بما اعتقده من الدّين الحقّ»[٥] في ألفاظٍ هذا معناها.

وفي أُخرى: «أيعجز أحدكم أن يتّخذ كلّ صباح ومساء عند اللّه عهداً ـ ثمّ ذكر مثل ذلك، ثمّ قال: ـ فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع، ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الّذين لهم عند اللّه عهد؟ فيدخلون الجنّة»[٦].

﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً﴾. قال: «هذا حيث قالت قريش: إنّ للّه عزّوجلّ ولداً من الملائكة إناثاً»[٧].

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ قال: «أي: عظيماً»[٨].

﴿تَكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ قال: «يعني ممّا قالوه، وممّا رموه به»[٩]. ﴿وَتَنْشَقُّ

---

١ ـ الكافي ٨: ٩٥، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي القمّي ٢: ٥٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٢ ـ القمّي ٢: ٥٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣١، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٧: ٢، الحديث: ١؛ التهذيب ٩: ١٧٤، الحديث: ١١؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٣٨، الحديث: ٤٨٢؛ القمّي ٢: ٥٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

٦ ـ جوامع الجامع ٢: ٤١٠، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

٧ و ٨ ـ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٩ ـ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً﴾ .

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً﴾ .

﴿وَما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ .

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ إِلّا آتِي الرَّحْمنِ﴾ . مبدئ نعمه ومولّيها ﴿عَبْداً﴾ يأوي إليه بالعبوديّة والانقياد، لا يدّعي لنفسه ما يدّعيه هؤلاء .

﴿لَقَدْ أَحْصاهُمْ﴾: حصَرَهم وأحاط بهم ، بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقَبْضَةِ قدرته ﴿وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾: عدّ أشخاصَهم وأنفاسَهم وأفعالَهم ، فإنّ كلّ شيء عنده بمقدار .

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً﴾ قال: «واحداً واحداً»[١] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً﴾: سيحدث لهم في القلوب مودّة .

قال: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، هي الودّ الّذي قال اللّه»[٢] .

وقال: «إنّه عليه السلام كان جالساً بين يدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، فقال له: قل يا عليّ: اللّهم اجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً ، فأنزل اللّه»[٣] .

وفي رواية: «دعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله له في آخر صلاته رافعاً بها صوته يُسمع[٤] النّاس ، يقول: اللّهمّ هَبْ لعليّ المودّةَ في صدور المؤمنين ، والهيبةَ والعظمةَ في صدور المنافقين ، فأنزل اللّه»[٥] .

﴿فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ﴾ بأن أنزلناه بلُغَتك . قال: «يعني القرآن»[٦] . ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ

١ ـ القمّي ٢: ٥٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ الكافي ١: ٤٣١ ، الحديث: ٩٠ ؛ القمّي ٢: ٥٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٥٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ في «ألف»: «ليسمع» .

٥ ـ العيّاشي ٢: ١٤٢ ، الحديث: ١١ ، ذيل الآية ١٢ من سورة هود ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ القمّي ٢: ٥٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾: أشدّاء الخصومة. قال: «أصحاب الكلام والخصومة»[١] وفي رواية: «أي: كفّاراً»[٢]. وفي أُخرى: «بني أُميّة قوماً ظلمة»[٣].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ قال: «أي: ذكراً»[٤]. والرّكز: الصّوت الخفيّ.



١ ـ القمّي ٢: ٥٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ الكافي ١: ٤٣٢، ذيل الحديث: ٩٠؛ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ روضة الواعظين: ١٠٦، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة طه

[مكيّة وهي مائة وخمس وثلاثون آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ﴾ .

﴿ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرآنَ لِتَشْقى﴾ قال: «بل لتسْعَدَ به»[2] .

ورد: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا صلّى قام على أصابع رجلَيْه حتّى تورّم ، فأنزل الله تبارك وتعالى «طه» بلُغة طيّ‌ء: يا محمّد ما أَنْزَلْنا ، الآية»[3] .

أقول: الشَّقاء بمعنى التَّعَب ، ومنه سيّد القوم أشقاهم . وإنّما عدل إليه إشعاراً بأنّه أُنزل إليه ليَسْعَدَ .

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ﴾: لكن تذكيراً لمن في قلبه خشية ورقّة ، يتأثّر بالإنذار .

﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمٰواتِ العُلىٰ﴾ جمع العليا ، مؤنّث الأعلى .

﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوىٰ﴾ قال: «يقول: على الملك احتوى»[4] . وقد سبق تمام

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٥٨ ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

٤ ـ التّوحيد: ٣٢١ ، الباب: ٥٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

تفسيره في الأعراف[1].

﴿لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرىٰ﴾. قال: «فكلّ شيء على الثّرى، والثّرى على القدرة، والقدرة تحمل كلّ شيء»[2].

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفىٰ﴾. قال: «السّرّ: ما أكْنَنْتَهُ في نفسك، وأخفى: ما خطر ببالك ثمّ أُنسِيتَه»[3].

﴿اللَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنىٰ﴾.

﴿وَهَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسىٰ﴾.

﴿إِذْ رَأىٰ ناراً﴾ «وذلك حين خرج بأهله من عند شعيب يريد أُمّه ووطنه، فأصابهم برد شديد وريح وظلمة في مفازة، وجَنَّهم اللّيلُ وامرأته تَمْخَضُ، فنظر موسى إلى نار قد ظهرت». كذا ورد[4].

﴿فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً﴾: أبصرتُها إبصاراً لا شبهة فيه، أو إبصار ما يؤنس به ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ﴾: بشُعْلة. قال: «يقول: آتيكم بقبس من النّار تصطلون من البرد»[5]. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النّارِ هُدىً﴾. قال: «كان قد أخطأ الطّريق، يقول: أو أجد عند النّار طريقاً»[6].

﴿فَلَمّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسىٰ﴾.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾. قال: «يعني ارفع خَوْفَيْك، يعني خوفه من ضياع

١ ـ ذيل الآية: ٥٤.

٢ ـ الخصال ٢: ٥٩٧، ذيل الحديث: ١، عن أمير المؤمنين ﷺ.

٣ ـ معاني الأخبار: ١٤٣، الحديث ١، عن أبي عبد الله ﷺ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣، عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ.

٤ ـ القمّي ٢: ١٣٩، ذيل الآية: ٢٨، من سورة القصص، عن أبي عبد الله ﷺ.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٦٠، عن أبي جعفر ﷺ، وفيه: «على النار طريقاً».

أهله ؛ وقد خلفها تمخض ، وخوفه من فرعون»[١] .

وفي رواية: «أي: انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة ، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسول»[٢] .

﴿إنّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ﴾ . قال: «لأنّه قُدّسَتْ فيه الأرواح ، واصْطُفِيَتْ فيه الملائكة ، وكَلَّمَ اللّه عزّوجلّ موسى تكليماً»[٣] . ﴿طُوىً﴾: اسم للوادي[٤] .

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: اصطفيْتُك للنبوّة ﴿فَاسْتَمِعْ لِما يُوحىٰ﴾ .

﴿إنّنِي أَنَا اللّهُ لا إلـهَ إلّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ . قال: «معناه أقم الصّلاة متى ذكرت أنّ عليك صلاة ، كنت في وقتها أم لم تكن»[٥] .

﴿إنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها﴾: أُخفي وقتها . قال: «أُخفيها من نفسي[٦] . قيل: كيف يخفيها من نفسه؟! قال: جعلها من غير وقت»[٧] . وقيل: معناه: أكاد أُظهرها ، مِنْ أَخْفاهُ: إذا سَلَبَ خَفاه[٨] . ﴿لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعىٰ﴾ .

﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها مَنْ لا يُؤْمِنُ بِها وَاتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدىٰ﴾ .

﴿وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسىٰ﴾ . استفهام يتضمّن استيقاظاً ؛ لما يُريه فيها من العجائب .

١ ـ علل الشّرائع ١: ٦٦ ، الباب: ٥٥ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٤٦٠ ، الباب: ٤٣ ، الحديث: ٢١ ، عن الحجّة القائم عليه السلام .

٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٧٢ ، الباب: ٢٢٢ ، ذيل الحديث: ٣٣ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٤ ـ طُوَى ـ بالضّمّ والكسر ، وينوّن ـ: وادٍ بالشّام عند الطّور . القاموس المحيط ٤: ٣٦٠ ؛ معجم البلدان ٤: ٤٤ (طوى) .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ المصدر: ٦ ؛ جوامع الجامع ٢: ٤١٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٧ ـ القمّي ٢: ٦٠ .

٨ ـ الكشّاف ٢: ٥٣٢ ؛ البيضاوي ٤: ١٩ ، وفيه: «خفاءه» .

﴿قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلىٰ غَنَمِي﴾ وأخبط[1] الورق بها على رؤوس غنمي ﴿وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرىٰ﴾: حوائج أُخرى. مثل أنّه إذا تعرّضت السّباع لغنمه قاتل بها، وإذا قصر الرّشاء[2] وَصَلَه بها، وكان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلّق بها أدواته[3]، وإذا كان في البريّة ركزها وعرض الزّندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظلّ بها.

القمّي: فمن الفَرَق لم يستطع الكلام، فجمع كلامه فقال: "فيها مَآرِبُ أُخْرىٰ"[4].

﴿قالَ أَلْقِها يا مُوسىٰ﴾.

﴿فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعىٰ﴾.

﴿قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ﴾. قال: «ففزع منها موسى وعدا، فناداه اللّه "خُذْها ولا تَخَفْ"»[5]. ﴿سَنُعِيدُها سِيرَتَها﴾: هيئتها وحالتها ﴿الأُولىٰ﴾.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَناحِكَ﴾: تحت العضد ﴿تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قال: «يعني من غير برص»[6]. وفي رواية: «أي من غير علّة، قال: وذلك أنّ موسى كان شديد السُّمْرَة[7]، فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدّنيا»[8]. ﴿آيَةً أُخْرىٰ﴾: معجزة ثانية.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنَا الْكُبْرىٰ﴾.

﴿اِذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بهاتين الآيتين، وادعه إلى العبادة ﴿إِنَّهُ طَغىٰ﴾: عصى وتكبّر.

١ ـ خَبَطْتُ الشجرَ خَبْطاً: إذا ضربتها بالعصاء ليسقط ورقها. الصّحاح ٣: ١١٢١ (خبط).

٢ ـ الرّشاء: الحبل. والجمع: أَرْشِيَة. الصّحاح ٦: ٢٣٥٧ (رشا).

٣ ـ الإداوة: المِطْهَرَة. والجمع: الأداوى: وهي إناء صغير من جلد يُتطهّر به ويُشرب. انظر: الصّحاح ٦: ٢٢٦٦ (ادا).

٤ ـ القمّي ٢: ٦٠.

٥ ـ المصدر: ١٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ذيل الآية: ٣١ من سورة القصص.

٦ ـ طبّ الأئمّة: ٥٦، عن أبي جعفر عليه السلام. وفيه: «من غير مرض».

٧ ـ السُّمْرَة: منزلة بين البياض والسّواد، تكون في ألوان الناس والإبل وغيرها. تاج العروس ١٢: ٧١ (سمر).

٨ ـ القمّي ٢: ١٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾.

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾: «كان في لسانه رُتَّة[١]، من جمرة أدخلها فاه». كذا ورد[٢] في قصّة له مع فرعون في صباه.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾.

﴿هارُونَ أَخِي﴾ يُعينني على ما كلّفتني به.

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾: قوّتي.

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾.

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ فإنّ التهاون يهيّج الرّغبات ويؤدّي إلى تكاثر الخيرات.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً﴾.

﴿قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنّا﴾: أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى﴾.

﴿إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ ما يُوحى﴾: ما لا يعلم إلّا بالوحي.

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ قال: «ضعيه»[٣]. ﴿فِي التّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: ألقيه فيه، فإنّ القذف جاء بالمعنيين ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾. تكرير عدوّ للمبالغة، أو لأنّ الأوّل باعتبار الواقع، والثّاني باعتبار المتوقّع ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾. قيل: أي: أحببتك، أو محبّة كائنة منّي قد زرعتها في القلوب، بحيث لا يكاد يصبر

١ ـ الرُّتَّة: العُجْمَة والحُكْلَة في اللّسان. القاموس المحيط ١: ١٥٣ (رتت).

٢ ـ القمّي ٢: ١٣٦؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام؛ تفسير البغوي ٣: ٢١٦، في رواية.

٣ ـ القمّي ٢: ١٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

عنك من رآك[١]. قال: «وكان موسى لا يراه أحد إلّا أحبّه. وهو قوله تعالى "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي"»[٢]. ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾: ولتربّى ويحسن إليك، وأنا راعيك وراقبك.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ هي بفراقك[٣]؛ أو أنت على فراقها. وفَقْد إشفاقها ﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً﴾: نفس القبطيّ الّذي استغاثة عليه الإسرائيليّ، كما يأتي قصّته في القصص[٤].

﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾: غمّ قتله ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾: وابتليناك ابتلاءً، أو[٥] أنواعاً من الابتلاء فتنة بعد فتنة. وذلك أنّه ولد في عام كان يقتل فيه الوِلْدان، وألقته أُمّه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، ونال في سفره ما نال من الهجرة عن الوطن ومفارقة الأُلّاف، والمشي راجلاً على حذر، وفَقْد الزّاد، وأجر نفسه عشر سنين، إلى غير ذلك.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ قيل: أي: على مقدار من الزّمان، يوحى فيه إلى الأنبياء، وهو رأس أربعين سنة[٦]. وقيل: معناه: سبق في قدري وقضائي أن أكلّمك في وقت بعينه، فجئت على ذلك القدر[٧]. ﴿يَا مُوسَىٰ﴾. كرّره ليكون تنبيهاً على أنّه غاية الحكاية.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: واتّخذتك صنيعتي وخالصتي، واصطفيتك لمحبّتي ورسالتي وكلامي.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾: بمعجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: ولا تفترا ولا تقصّرا ﴿فِي

١ـ البيضاوي ٤: ٣١.
٢ـ القمّي ٢: ١٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «وأنت».
٤ـ ذيل الآيات ١٥ إلى ٢١.
٥ـ في «ب»: «وأنواعاً».
٦ و ٧ـ الكشّاف ٢: ٥٣٧.

﴿ذِكْرِي﴾: لا تنسياني حيث ما تقلّبتما وقيل: في تبليغ ذكري والدّعاء إليّ[١].

﴿اِذْهَبا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ﴾.

﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً﴾ مثل: "هَلْ لَكَ إِلىٰ أَنْ تَزَكّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ"[٢]، فإنّه دعوة في صورة عرض ومشورة، حذراً أن يحمله الحماقة على أن يسطو عليكما ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ﴾.

قال: «أمّا قوله: "فقولا له قولاً ليّناً"، أي: ليّناه وقولا له: يا أبا مصعب[٣]، وأمّا قوله: "لعلّه يتذكّر أو يخشى" فإنّما قال ذلك ليكون أحرص لموسى على الذّهاب، وقد علم اللّه أنّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى إلّا عند رؤية البأس»[٤].

﴿قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا﴾: أن يَعْجَلَ علينا بالعقوبة، ولا يصبر إلى إتمام الدّعوة وإظهار المعجزة ﴿أَوْ أَنْ يَطْغىٰ﴾: أن يزداد طغياناً، فيتخطّى إلى أن يقول فيك مالا ينبغي، لجرأته وقساوته، وإطلاقه من حسن الأدب.

﴿قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما﴾: بالحفظ والنّصرة ﴿أَسْمَعُ وَأَرىٰ﴾ ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأُحدث في كلّ حال ما يصرف شرّه عنكما، ويوجب نصرتي لكما.

﴿فَأْتِياهُ فَقُولا إِنّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ﴾: أطلقهم ﴿وَلا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالتّكاليف الصّعبة ﴿قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾: بمعجزة وبرهان ﴿وَالسَّلامُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدىٰ﴾: والسّلامة من عذاب اللّه على المهتدين.

﴿إِنّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّىٰ﴾: أنّ العذاب على المكذّبين للرّسل.

١ـ البيضاوي ٤: ٢٢.

٢ـ النّازعات (٧٩): ١٨ و ١٩.

٣ـ وكان اسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب. منه رحمه الله في المصدر.

٤ـ علل الشّرائع ١: ٦٧، الباب: ٥٦، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر عليهما السلام، مع تفاوت يسير.

﴿قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسىٰ﴾ أي: بعد ما أَتَيَاه ، وقالا له ما أُمرا به .

﴿قالَ رَبُّنا الَّذِي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾: صورته وشكله الّذي يوافق المنفعة المنوطة به ﴿ثُمَّ هَدىٰ﴾: عرّفه كيف يرتفق بما أعطى .

قال: «ليس شيء من خلق اللّه إلّا وهو يعرف من شكله ، الذّكر من الأُنثى . سئل: ما معنى "ثمّ هدى"؟ قال: هداه للنّكاح والسّفاح[1] من شكله»[2] .

قيل: وهو جواب في غاية البلاغة ، لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ، ودلالته على أنّ الغنيّ القادر بالذّات ، المنعِم على الإطلاق هو اللّه تعالى ، وأنّ جميع ما عداه مفتقر إليه ، منعم عليه في ذاته وصفاته وأفعاله ، ولذلك بهت الّذي كفر ، فلم ير إلّا صَرف الكلام عنه[3] .

﴿قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولىٰ﴾: فما حالهم بعد موتهم ، من السّعادة والشّقاوة؟

﴿قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي﴾ يعني أنّه غيب لا يعلمه إلّا اللّه ، وإنّما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلّا ما أخبرني به ﴿فِي كِتابٍ﴾: مُثبتٌ في اللّوح المحفوظ ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسىٰ﴾ . الضّلال: أن يُخطئ الشّيء في مكانه فلم يهتد إليه ؛ والنّسيان: أن يذهب بحيث لا يخطر بالبال .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً﴾: أصنافاً ﴿مِنْ نَباتٍ شَتّىٰ﴾ .

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهىٰ﴾: لذوي العقول النّاهية عن اتّباع الباطل وارتكاب القبائح ؛ جمع: نُهْيَة . قال: «نحن واللّه أُولو النّهى»[4] .

١ ـ السِّفاح ، والتّسافُح ، والمُسافَحَة: الزّنا والفجور . تاج العروس ٦: ٤٧٦ (سفح) .
٢ ـ الكافي ٥: ٥٦٧ ، الحديث: ٤٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ البيضاوي ٤: ٢٣ .
٤ ـ القمّي ٢: ٦١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

و ورد: «إنّ خياركم أُولو النّهى . قيل: يا رسول الله ومن أُولو النّهى؟ قال: هم أُولو الأخلاق الحسنة ، والأحلام الرّزينة[1] ، وصلة الأرحام ، والبَرَرَة[2] بالأُمّهات والآباء ، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى ، ويطعمون الطّعام ، ويُفْشون السّلام في العالَم ، ويصلّون والنّاس نيامٌ غافلون»[3] .

﴿مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرىٰ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَأَبىٰ﴾ .

﴿قالَ أَجِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا﴾: أرض مصر ﴿بِسِحْرِكَ يا مُوسىٰ﴾ .

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكاناً سُوىً﴾: منتصفاً يستوي مسافته إلينا وإليك .

﴿قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ وهو يوم عيد كان لهم في كلّ عام ، وإنّما خصّه به ليظهر الحقّ ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ، ويشيع ذلك في الأقطار . ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحىً﴾: واجتماع النّاس في ضحى .

﴿فَتَوَلّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: ما يكاد به من السّحرة والاتهم ﴿ثُمَّ أَتىٰ﴾ .

﴿قالَ لَهُمْ مُوسىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللّٰهِ كَذِباً﴾ بأن تدعو آياته سحراً ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ﴾: فيهلككم ويستأصلكم ﴿وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرىٰ﴾ .

﴿فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ . قيل: أي: تنازعت السّحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه ، فقال بعضهم: ليس هذا من كلام السّحرة[4] . ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوىٰ﴾ . قيل: كان نجواهم:

١ ـ الأحلام: جمع حِلْم ـ بالكسر ـ بمعنى العقل أو الاناءة وعدم التسرّع إلى الانتقام ، وهو هنا أظهر . وفي القاموس: الرزين: الثقيل ، وترزّن في الشيء: توقّر . مرآة العقول ٩: ٢٧٨ .

٢ ـ في «ب»: «والبَرازة».

٣ ـ الكافي ٢: ٢٤٠ ، الحديث: ٣٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ البيضاوي ٤: ٢٥ .

إن غَلَبَنا موسى اتّبعناه ، أو إن كان ساحراً فسنغلبه ، وإن كان من السّماء فله أمر [١] .

﴿قالُوا إِنْ هـٰذانِ لَساحِرانِ﴾ وهي لغة فيه [٢] . ﴿يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ بالاستيلاء عليها ﴿بِسِحْرِهِما وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلىٰ﴾: بمذهبكم الّذي هو أفضل المذاهب .

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾: فأزمعوه [٣] واجعلوه مجمعاً عليه ، لا يتخلّف عنه واحد منكم ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا صَفّاً﴾: مصطفّين ، لأنّه أهْيَب في صدور الرّائين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلىٰ﴾ .

﴿قالُوا يا مُوسىٰ إِمّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقىٰ﴾ أي: بعدما أتوا ؛ مراعاةً للأدب .

﴿قالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ مقابلة أدب بأدب ، وعدم مبالاة بسحرهم ، ولأن يأتوا بأقصى وُسعهم ، ثمّ يظهر اللّه سلطانه ، فيقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه . ﴿فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعىٰ﴾ أي: فألقوا فإذا . قيل: لطخوها بالزّيبق ، فلمّا ضربت عليها الشّمس اضطربت ، فخيّل إليه أنّها تتحرّك [٤] .

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسىٰ﴾: فأضمر فيها خوفاً . قال: «لم يوجس موسى خيفةً على نفسه ، أشفق من غلبة الجُهّال ودُوَل الضّلال» [٥] .

﴿قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلىٰ﴾ . قال: «قال: اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل

١ ـ الكشّاف ٢: ٥٤٣ .

٢ ـ وقرأ أبو عمرو: «إنّ هذين» بتشديد «إنّ» ونصب «هذين» . وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بتشديد «إنّ» ، والألف في «هذان» . وقرأ ابن كثير: «إنْ» مخفّفه «هذانّ» مشدّدة النون . وقرأ ابن عامر بتخفيف نون «إن» وتخفيف نون «هذان» . التّبيان ٧: ١٨٢ .

٣ ـ أزْمَعْتُ على أمر: إذا ثبّت عليه عزمك . وقال الفرّاء: أزْمَعْتُهُ وأزْمَعْتُ عليه: مثل: اجمعته واجمعت عليه . الصّحاح ٣: ١٢٢٥ (زمع) .

٤ ـ البيضاوي ٤: ٢٥ .

٥ ـ نهج البلاغة: ٥١ ، الخطبة: ٤ ، وفيه: «بل أشفق» .

محمّد لما آمَنْتَني . فقال اللّه: "لا تَخَفْ"»[1] .

﴿وَأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا﴾: تبتلعه بقدرة اللّه تعالى ﴿إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتىٰ﴾: حيث كان ، وأين أقبل .

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ أي: فألقى ، فتلقف ، فتحقّق عند السّحرة أنّه ليس بسحر ، وإنّما هو من آيات اللّه ومعجزاته ، فألقاهم ذلك على وجوههم سجّداً للّه ؛ توبة عمّا صنعوا ، وتعظيماً لما رأوا ﴿قالُوا آمَنّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسىٰ﴾ .

﴿قالَ آمَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: لموسى ، بتضمين معنى الاتّباع ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾: لعظيمكم في فنّكم ، وأعلمكم به وأُستاذكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾: اليد اليمنى والرّجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا﴾: أنا أو ربّ موسى ﴿أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقىٰ﴾: أدوم عقاباً .

﴿قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلىٰ ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالَّذِي فَطَرَنا﴾ . عطفٌ على "ما جاءنا" أو قسم . ﴿فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ﴾: ما أنت صانعه أو حاكمه ﴿إِنَّما تَقْضِي هٰذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾: إنّما تصنع ما تهواه ، أو تحكم بما تراه في هذه الدّنيا ، والآخرة خير وأبقى .

﴿إِنّا آمَنّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ في معارضة المعجزة .

روي: «إنّهم قالوا لفرعون: أرِنا موسى نائماً ، فوجدوه يَحْرُسُه العصا! فقالوا: ما هذا بسحر ، فإنّ السّاحر إذا نام بطل سحره ، فأبى إلّا أن يعارضوه»[2] .

﴿وَاللّهُ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ .

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريح ﴿وَلا يَحْيىٰ﴾

١ ـ الاحتجاج ١: ٥٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، من النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ ـ البيضاوي ٤: ٢٦ ؛ الكشّاف ٢: ٥٤٦ ؛ جوامع الجامع ٢: ٤٣٠ .

حياة مُهَنَّأة.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولـٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلىٰ﴾.

﴿جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذٰلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكّىٰ﴾: مَنْ تطهّر من أدناس الكفر والمعاصي. والآيات الثّلاث إمّا من كلام السّحرة أو ابتداء كلام من الله.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي﴾ أي: من مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾: فاجعل ﴿لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً﴾: يابساً ﴿لا تَخافُ دَرَكاً﴾ آمناً من أن يدرككم العدوّ ﴿وَلا تَخْشىٰ﴾.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُمْ﴾: ما سمعت قصّته، ولا يعرف كنهه إلّا الله، فيه مبالغة ووجازة.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدىٰ﴾. روي: «إنّه لمّا انتهى إلى البحر فرآه قد يَبِسَ، فقال لقومه: ترون البحر قد يبس من فَرَقي فصدّقوه، فقال: "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى"[1]. فذلك قوله تعالى "وأضلّ فرعون قومه وما هدى"»[2].

﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾: فرعون وقومه ﴿وَواعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾ لمناجاة موسى، وإنزال التّوارة عليه ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوىٰ﴾ يعني في التّيه، كما مرّ[3].

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بالإخلال بشكره، والتّعدّي لما حدّ الله لكم فيه كالسَّرَف والبَطَر والمنع عن المستحقّ ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾: فيلزمكم

١ ـ النّازعات (٧٩): ٢٤.

٢ ـ سعد السعود: ٢١٨، عن تفسير الكلبي.

٣ ـ ذيل الآية: ٥٧، من سورة البقرة.

عذابي، ويجب لكم. قال: «هو العقاب، إنّ اللّه لا يستفزّه[1] شيء ولا يغيّره»[2]. ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ﴾: فقد تردّى وهلك.

﴿وَإِنِّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ﴾ عن الشّرك ﴿وَآمَنَ﴾ بما يجب الإيمان به ﴿وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ﴾ قال: «ثمّ اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت» في أخبار كثيرة[3].

قال: «فواللّه لو أنّ رجلاً عَبَدَ اللّهَ عُمْرَه ما بين الرّكن والمقام، ثمّ مات ولم يجئ بولايتنا، لأكبّه اللّه في النّار على وجهه»[4].

﴿وَما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسىٰ﴾.

﴿قالَ هُمْ أُولاءِ عَلىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضىٰ﴾. قال: «ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه، أربعين يوماً؛ شوقاً إلى ربّه»[5].

﴿قالَ فَإِنّا قَدْ فَتَنّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾: ابتليناهم بعبادة العِجْل بعد خروجك من بينهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ السّامِرِيُّ﴾ باتّخاذ العجْل، والدّعاء إلى عبادته.

﴿فَرَجَعَ مُوسىٰ إِلىٰ قَوْمِهِ﴾ بعد استيفاء الأربعين، وأخذ التّوارة ﴿غَضْبانَ﴾ عليهم ﴿أَسِفاً﴾: حزيناً بما فعلوه ﴿قالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾ بأن يعطيكم التّوارة فيها هدى ونور ﴿أَفَطالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادة ما هو مثل في الغباوة ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾: وعدكم إيّاي بالثّبات على الإيمان باللّه والهدى، والقيام على ما أمرتكم به.

١ ـ لا يستفزّه: لا يستخفّه. مجمع البحرين ٤: ٣٠ (فزز).

٢ ـ التّوحيد: ١٦٨، الباب: ٢٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٣٩٢، الحديث: ٣؛ الأمالي (للصدوق): ٤٠٠، الحديث: ١٣؛ القمّي ٢: ٦١؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ المحاسن ١: ١٤٢، الحديث: ٣٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ العيّاشي ١: ٢٥٩، الحديث: ٢٠٢؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ عقاب الأعمال: ٢٥٠، الحديث: ١٥ و١٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ مصباح الشّريعة: ١٩٦، الباب: ٩٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

﴿قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا﴾: بأن ملكنا أمرنا، أي: لو خُلّينا وأمرَنا، ولم يُسَوِّلْ لنا السّامريّ، لَما أخلفنا. ﴿وَلٰكِنّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: احمالاً من حُليّ القبط ﴿فَقَذَفْناها﴾ أي: في النّار ﴿فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السّامِرِيُّ﴾ أي: ما كان معه منها.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً﴾ من تلك الحُليّ المذابة ﴿لَهُ خُوارٌ﴾: صوت العجل ﴿فَقالُوا﴾ يعني السّامريّ ومن افتتن به أوّل ما رآه ﴿هٰذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسىٰ فَنَسِيَ﴾ قيل: يعني فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطّور، أو فنسي السّامريّ، أي: ترك ما كان عليه من إظهار الايمان[١].

﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾.

﴿وَلَقَدْ قالَ لَهُمْ هٰرُونُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل رجوع موسى ﴿يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ﴾ لا غير ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ في الثّبات على الدّين.

﴿قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ﴾: على العجل ﴿عاكِفِينَ﴾: مقيمين ﴿حَتّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسىٰ﴾. القمّي: فهمّوا بهارون فهرب منهم[٢]، وبقوا في ذلك، حتّى تمّ ميقات موسى[٣].

﴿قالَ يا هٰرُونُ﴾ أي: قال له موسى لمّا رجع ﴿ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾.

﴿أَلّا تَتَّبِعَنِ﴾ أي: تأتي عقبي وتلحقني؛ و«لا» مزيدة، كما في قوله "ما مَنَعَكَ أَلّا تَسْجُدَ"[٤]. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بالصّلابة في الدّين والمحاماة عليه.

﴿قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ قال: «يعني لو فعلت ذلك لتفرّقوا»[٥]. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت: "أُخْلُفْني في

١ ـ البيضاوي ٤: ٢٨؛ الكشّاف ٢: ٥٥٠.

٢ ـ في المصدر: «حتّى هرب من بينهم».

٣ ـ القمّي ٢: ٦٢.

٤ ـ الأعراف (٧): ١٢.

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

قَوْمي وَأَصْلِحْ"[١]، فإنّ الإصلاح في حفظهم، والمداراة بينهم إلى أن ترجع اليهم فتدارك الأمر.

﴿قالَ فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ﴾ أي: ثمّ أقبل عليه وقال له منكراً: ما طلبك له، وما الّذي حملك عليه؟!

﴿قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: عَلِمْتُ ما لم يعلموا، وفطنتُ لما[٢] لم يفطنوا له، وهو أنّ الرّسول الّذي جاءك روحانيّ محض، لا يمسّ أثره شيئاً إلّا أحياه. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ القمّي: يعني من تحت حافر رَمَكَةِ جبرئيل في البحر[٣]. [والرَّمَكُ والرَّمَكَةُ: الأُنثى من البراذين[٤]][٥]. ﴿فَنَبَذْتُها﴾ يعني أمسكتها فنبذتها في جوف العجل، وقد مضت هذه القصّة في سورة البقرة[٦]، ثمّ في سورة الأعراف[٧]. ﴿وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾: زيّنت.

﴿قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَياةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ﴾ خوفاً أن يمسّك أحد فيأخذك الحمى، ومن مسّك فتحامي النّاس ويحاموك، وتكون طريداً وحيداً، كالوحشيّ النّافر. القمّي: يعني ما دمت حيّاً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة، حتّى تعرفوا[٨] أنّكم سامريّة، فلا يغترّ بكم النّاس، فهم إلى السّاعة بمصر والشّام معروفين بـ«لا مساس»[٩].

ورد: إنّ موسى همّ بقتل السّامريّ، فأوحى اللّه إليه: لا تقتله يا موسى، فإنّه سخيّ»[١٠].

١ ـ الأعراف (٧): ١٤٢.
٢ ـ في «ألف»: «بما».
٣ ـ القمّي ٢: ٦١.
٤ ـ جمعٌ، مفرده: بِرْذَونة.
٥ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٦ ـ ذيل الآية: ٩٢ ـ ٩٣.
٧ ـ ذيل الآيات: ١٤٨ إلى ١٥٥.
٨ ـ في «ب» و«ج»: «حتّى يعرفوا».
٩ ـ القمّي ٢: ٦٣.
١٠ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً﴾ في الآخرة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلىٰ إِلـٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً﴾: ظللت[١] على عبادته مقيماً. حذف اللّام تخفيفاً. ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنّار أو بالمبرد، والتّشديد للمبالغة في حرق إذا برد بالمبرد. وفي قراءة عليّ عليه السلام فتح النون[٢]. وقد سبق ذكر وقوع الأمرين[٣]. ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾: لنذرينّه رَماداً[٤] أو مبروداً ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾.

﴿إِنَّما إِلـٰهُكُمُ اللّهُ الَّذِي لا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾.

﴿كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنّا ذِكْراً﴾.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً﴾: عقوبة ثقيلة فادحة[٥] على كفره وذنوبه.

﴿خالِدِينَ فِيهِ﴾: في الوزر ﴿وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلاً﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾. قيل: يعني زُرق العيون، لأنّ الزُّرقة[٦] أسوء ألوان العين وأبغضها عند العرب[٧]. وقيل: أي: عمياً، فإنّ حدقة الأعمى تزراقّ[٨]. وقيل: عطاشاً يظهر في أعينهم كالزّرقة[٩]. القمّي: تكون أعينهم مزرقة لا يقدرون أن يطرفوها[١٠].

﴿يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرّعب والهول ﴿إِنْ

١ ـ في «ب»: «ظلت».
٢ ـ التّبيان ٧: ٢٠٥؛ جوامع الجامع ٢: ٤٣٥.
٣ ـ ذيل الآية: ٩٣، من سورة البقرة.
٤ ـ الرّماد: دُقاق الفحم من حُراقة النّار، وما هَبا من الجَمْر فطار دُقاقاً. لسان العرب ٣: ١٨٥ (رمد).
٥ ـ أي: صعبة، ثقيلة. والفَدْح: إثقال الأمر. لسان العرب ٢: ٥٤٠ (فدح).
٦ ـ الزُّرقة: خضرة في سواد العين، وقيل: هو أن يتغشّى سوادها بياضٌ. لسان العرب ١٠: ١٣٨ (زرق).
٧ ـ الكشّاف ٢: ٥٥٣؛ البيضاوي ٤: ٣٠.
٨ ـ البيضاوي ٤: ٣٠.
٩ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٩.
١٠ ـ القمّي ٢: ٦٤.

لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً﴾. يستقصرون مدّة لبثهم في الدّنيا ـ أو في القبر ـ لزوالها.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ﴾ أي: بمدّة لبثهم. ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أعد لهم. القمّي: أعلمهم وأصلحهم[1]. ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبالِ﴾: عن مآل أمرها ﴿فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً﴾. قال: «يسوقها بأن يجعلها كالرّمال، ثمّ يرسل عليها الرّياح فتفرّقها»[2]

﴿فَيَذَرُها﴾: فيذر الأرض ﴿قاعاً﴾: خالياً ﴿صَفْصَفاً﴾: مستوياً كأنّ أجزاءها على صفّ واحد. القمّي: القاع: الّذي لا تراب فيه، والصّفصف: الّذي لا نبات له[3].

﴿لا تَرىٰ فِيها عِوَجاً﴾: اعوجاجاً ﴿وَلا أَمْتاً﴾ ولا نُتُوّاً[4].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّاعِيَ﴾: داعي اللّه إلى المحشر ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾: لا يعوجّ له مدعوّ ولا يعدل عنه ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾: صوتاً خفيّاً لمهابته.

قال: «جمع اللّه النّاس في صعيد واحد حُفاة عُراة، فيوقفون في المحشر حتّى يَعْرَقُوا عرقاً شديداً، وتشتدّ أنفاسهم، فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً، وهو قول اللّه عزّوجلّ "وخشعت الأصوات للرّحمٰن فلا تسمع إلّا همساً"»[5].

﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾: إلّا شفاعة من أذن له، أو إلّا من أذن في أن يشفع له، ورضي لأجله قول الشّافع، أو قوله في شأنه.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما تقدّمهم من الأحوال ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾: وما بعدهم ممّا يستقبلونه ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾.

۱ـ القمّي ۲: ٦٤.
۲ـ مجمع البيان ۷ـ۸: ۲۹، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
۳ـ القمّي ۲: ٦۷.
٤ـ نَتَا عضوه يَنْتُو نتوّاً: وَرِمَ. القاموس المحيط ٤: ۳۹٥ (نتو).
٥ـ القمّي ۲: ٦٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «لا يحيط الخلايق باللّه عزّوجلّ علماً، إذ هو تبارك وتعالى جَعَلَ على أبصار القلوب الغطاء، فلا فهم يناله بالكيف، ولا قلب يثبته بالحدّ[1]، فلا تصفه إلّا كما وصف نفسه "لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ"[2] "الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ"[3] "الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ"[4] خلق الأشياء، فليس من الأشياء شيءٌ مثلَه، تبارك وتعالى»[5].

﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ﴾: ذلّت وخضعت له خضوع العُناة، وهم الأُسارى في يد المَلِكِ القهّار ﴿وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ﴾ بعضها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً﴾: منع ثواب مستحقّ بالوعد ﴿وَلا هَضْماً﴾: ولا كسراً منه بنقصان. قال: «لا ينقص من عمله شيء، قال: وأمّا ظلماً: يقول: لن يذهب به»[6].

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾: كلّه على هذه الوتيرة ﴿وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ﴾: مكرّرين فيه آيات الوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فيصير التّقوى لهم ملكة ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾: عظة واعتباراً حين يسمعونها؛ فيثبّطهم عنها، ولهذه النّكتة أسند التّقوى إليهم، والإحداث إلى القرآن.

﴿فَتَعالَى اللّهُ المَلِكُ الحَقُّ﴾ عن مماثلة المخلوقين. ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾. القمّي: كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول تمام الآية، والمعنى فأنزل اللّه[7]. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾: سل اللّه زيادة العلم بدل

١ ـ في المصدر: «بالحدود».
٢ ـ الشّورى (٤٢): ١١.
٣ ـ الحديد (٥٧): ٣.
٤ ـ الحشر (٥٩): ٢٤.
٥ ـ التّوحيد: ٢٦٣، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ ـ القمّي ٢: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ القمّي ٢: ٦٥.

الاستعجال ، فإنّ ما أُوحي إليك تناله لا محالة .

قال: «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقرّبني إلى اللّه ، فلا بارك اللّه لي في طلوع شمسه»[١] .

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ .

قال: «إنّ اللّه عهد إلى آدم أن لا يقرب هذه الشّجرة ، فلمّا بلغ الوقت الّذي كان في علم اللّه أن يأكل منها نسي فأكل منها»[٢] .

وفي رواية: «فقالا: نعم يا ربّنا لا نقربها ولا نأكل منها ، ولم يستثنيا في قولهما: نعم ، فوكلهما اللّه في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما»[٣] .

وفي أُخرى: «عَهِدَ إليه في محمّد والأئمّة من بعده ، فترك ولم يكن له عزم فيهم إنّهم هٰكذا»[٤] .

أقول: الاعتماد على الرّواية الأخيرة ، لعدم جواز المؤاخذة على النّسيان ، ولأنّ آدم لم ينس النّهي . وقد ورد إنّه سئل: كيف أخذ اللّه آدم على النّسيان؟ فقال: «إنّه لم ينس ، وكيف ينسى! وهو يذكره ، ويقول له إبليس: "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ"[٥]»[٦] . ويجوز أن يكون المنسيّ عزيمةَ النّهي ، بحيث لا يقبل التأويل ، وغير المنسيّ أصل النّهي .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢ ، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

٢ ـ الكافي ٨: ١١٣ ، الحديث: ٩٢ ؛ كمال الدين ١: ٢١٣ ، الباب: ٢٢ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ الكافي ٧: ٤٤٨ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٤١٦ ، الحديث: ٢٢ ؛ علل الشّرائع ١: ١٢٢ ، الباب: ١٠١ ، الحديث: ١ ؛ بصائر الدرجات: ٧٠ ، الباب: ٧ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ الأعراف (٧): ٢٠ .

٦ ـ العيّاشي ٢: ٩ ، الحديث: ٩ ، عن أحدهما عليهما السلام .

﴿فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هٰذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقىٰ﴾.

﴿إِنَّ لَكَ أَلّا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرىٰ﴾.

﴿وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَلا تَضْحىٰ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرَةِ الخُلْدِ﴾: الشّجرة الّتي من أكَلَ منها خُلِّدَ ولم يمت أصلاً ﴿وَمُلْكٍ لا يَبْلىٰ﴾: لا يزول ولا يَضْعُف.

﴿فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾: أخذ يلزقان الورق على سوآتهما للتّستّر ﴿وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ بالأكل من الشّجرة ﴿فَغَوىٰ﴾: فضلّ عن المطلوب وخاب، حيث طلب الخُلد بأكلها.

﴿ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه وقرّبه، بالحمل على التّوبة والتّوفيق له ﴿فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدىٰ﴾.

﴿قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ﴾ في الدّنيا ﴿وَلا يَشْقىٰ﴾ في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾: ضيّقاً. قال: «هي واللّٰه للنّصّاب في الرّجعة، يأكلون العذرة»[١]. ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أَعْمىٰ﴾.

﴿قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾.

﴿قالَ كَذٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك فَعَلْتَ، ثمّ فسّره ﴿أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها﴾: فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها ﴿وَكَذٰلِكَ﴾: ومثل تركك إيّاها ﴿اليَوْمَ تُنْسىٰ﴾: تترك في العمى والعذاب.

و ورد: «إنّ الذّكر: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والعمى: عمى البصر في الآخرة وعمى القلب في الدّنيا عن ولايته، والآيات: الأئمّة، فنسيتها يعني تركتها وكذلك اليوم تترك في

١ـ القمّي ٢: ٦٥، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

النّار، كما تركت الأئمّة فلم تطع أمرهم»[١].

﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقىٰ﴾ من ضَنْك العيش ومن العمى. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبيّن لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ﴾ ويشاهدون آثار هلاكهم ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهىٰ﴾: لذوي العقول النّاهية عن التّغافل والتّعامي.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي العِدَةُ بتأخير عذاب هذه الأُمّة إلى الآخرة ﴿لَكانَ لِزاماً﴾: لَكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازماً لهذه الكفرة ﴿وَأَجَلٌ مُسَمّىً﴾. عطفٌ على «كَلِمَة» أي: ولولا العِدَةُ بتأخير العذاب، وأجل مسمّى لأعمارهم أو لعذابهم، لَكان العذاب لزاماً؛ والفصل للدّلالة على استقلال كلٍّ منهما بنفي لزوم العذاب.

﴿فَاصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ﴾: ساعاته ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضىٰ﴾ طمعاً أن تنال عند اللّه ما به ترض.

سئل عن هذه الآية؟ فقال: «فريضة على كلّ مسلم أن يقول قبل طلوع الشّمس وقبل غروبها عشر مرّات: لا إلّا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير»[٢]. وقال: «"وأطْرافَ النَّهار" يعني تطوّع بالنّهار»[٣].

﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي نَظَرهما ﴿إِلىٰ ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفرة ﴿زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾: زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذّبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ أي: الهدى والنّبوّة، فإنّه لا ينقطع.

١ ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الخصال ٢: ٤٥٢، الحديث: ٥٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٣: ٤٤٤، الحديث: ١١١، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية استوى رسول الله صلّى الله عليه وآله جالساً، ثمّ قال: من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه على الدّنيا حسرات، ومن أتبَعَ بصره ما في أيدي النّاس طال همّه ولم يشف غيظه، ومن لم يعرف أنّ للّه عليه نعمة إلّا في مطعم ومشرب قصر أجله ودنا عذابه»[1].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾: وداوِمْ عليها ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾: أن ترزق نفسك وأهلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإيّاهم، ففرّغ بالك للآخرة ﴿وَالْعاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلتَّقْوى﴾: لذوي التقوى.

قال: «أمر الله نبيّه أن يخصّ أهل بيته و[هم][2] أهله دون النّاس، ليعلم النّاس أنّ لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم، فأمرهم مع النّاس عامّة، ثمّ أمرهم خاصّة»[3].

و ورد: «فكان يجيء إلى باب عليّ وفاطمة عند حضور كلّ صلاة، فيقول: الصّلاة رحمكم الله، حتّى فارق الدّنيا»[4].

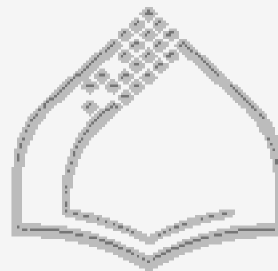
﴿وَقالُوا لَوْلا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الْأُولى﴾ فإنّ القرآن مشتمل على زبدة ما فيها من العقايد والأحكام الكلّيّة.

﴿وَلَوْ أَنّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل محمّد صلّى الله عليه وآله ﴿لَقالُوا رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ بالقتل والسّبي في الدّنيا ﴿وَنَخْزى﴾ بدخول النّار في الآخرة.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ﴾: كلّ واحد منّا ومنكم منتظر لما يؤول إليه أمره ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدى﴾.

١ـ القمّي ٢: ٦٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «ألف» والمصدر.
٣ـ عوالي اللئالي ٢: ٢٢، الحديث: ٤٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٠، الباب: ٢٣؛ القمّي ٢: ٦٧.

قال: «سئل في حديث: فمَن الوليّ يا رسول اللّه؟ قال: وليّكم في هذا[١] الزّمان أنا، ومن بعدي وصيّي، ومن بعد وصيّي لكلّ زمان حجج اللّه، لكيلا تقولون كما قال الضّلّال من قبلكم فارقهم نبيّهم: "ربّنا لو لا أرسلت" الآية وإنّما كان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات، وهم الأوصياء، فأجابهم اللّه: "قل كلّ متربّص" الآية، وإنّما كان تربّصهم أن قالوا: نحن في سعة من معرفة الأوصياء، حتّى يُعْلِنَ إمامٌ علمَه»[٢].



١ ـ في «ألف»: «هذه».

٢ ـ كشف المحجّة (لابن طاووس): ١٩٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

سورة الأنبياء

[مكيّة وهي مائة واثنتا عشرة آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ إقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ ﴾ أي: القيامة ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ .

﴿ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾ لكي يتّعظوا بالتكرير ﴿ إلّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾: يستهزئون .

﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ . أبدل من الضّمير ليُنَبّهَ على ظلمهم . ﴿ هَلْ هذا إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ .

﴿ قالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ ﴾ جهراً كان أو سرّاً ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ .

﴿ بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ مثل اليد البيضاء وإحياء الموتى .

﴿ ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها ﴾ باقتراح الآيات لمّا جاءتهم ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ وهم أعتى منهم .

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾. قيل: جواب لقولهم: "هَل هٰذا إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ"[١]. ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. مرّ تفسيره في سورة النّحل[٢].

﴿وَما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَما كانُوا خالِدِينَ﴾. نفي لما اعتقدوه أنّ الرّسالة من خواصّ الملك.

﴿ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ وَمَنْ نَشاءُ﴾ ممّن آمن بهم ومن في إبقائه حكمة؛ كمن يؤمن هو أو واحد من ذرّيّته ﴿وَأَهْلَكْنا المُسْرِفِينَ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً﴾ يعني القرآن ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: صيتكم[٣] أو موعظتكم ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ﴾.

﴿فَلَمّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ﴾ قال: «يهربون»[٤].

﴿لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلىٰ ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من التّنعّم والتّلذّذ. والإتراف: إبطار النّعمة. ﴿وَمَساكِنِكُمْ﴾. قيل لهم ذلك استهزاءً. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾. قيل: يعني تسألون من دنياكم شيئاً، فإنّكم أهل ثروة ونعمة[٥].

قيل: نزلت في أهل اليمن، كذّبوا نبيّهم حنظلة[٦] وقتلوه. فسلّط اللّه عليهم بخت

١ ـ البيضاوي ٤: ٣٦.

٢ ـ ذيل الآية: ٤٣.

٣ ـ الصّيت: الذكر الجميل الّذي ينتشر في النّاس، دون القبيح. وأصله من الواو، وإنّما انقلبت ياءً لانكسار ما قبلها، كأنّهم بنوه على فِعْلٍ بكسر الفاء، للفرق بين الصوت المسموع وبين الذكر المعلوم. الصّحاح ١: ٢٥٧ (صوت).

٤ ـ الكافي ٨: ٧٤، قطعة من حديث: ٢٩، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

٥ ـ تفسير البغوي ٣: ٢٤٠، عن قتادة.

٦ ـ حنظلة بن صفوان الرسّي: من أنبياء العرب في الجاهليّة. كان في الفترة الّتي بين الميلاد وظهور الإسلام. وهو من أصحاب الرسّ الوارد ذكرهم في القرآن، بعث لهدايتهم فكذّبوه وقتلوه. وفي خبر أورده الهمداني أنّ جماعة قبل الإسلام عثروا بقبر حنظلة صاحب الرسّ ورأوا في يده خاتماً كتب عليه: أنا حنظلة بن صفوان رسول اللّه. ورأوا مكتوباً عند رأسه: بعثني اللّه إلى حِمْيَر والعرب من أصل الرسّ فكذّبوني وقتلوني. وقال ابن خلدون: والرسّ ما بين نجران إلى اليمن، ومن حضرموت إلى اليمامة. الأعلام (للزّركلي) ٢: ٢٨٦.

نصر[1]، حتّى أهلكهم بالسّيف[2].

و ورد: «إنّ ذلك في زمان القائم، يفعل ذلك ببني أميّة حين يهربون إلى الرّوم، يسألهم الكنوز وهو أعلم بها»[3] في حديث هذا معناه.

﴿قالُوا ياوَيْلَنا إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾.

﴿فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ﴾ أي: يدعون الويل ﴿حَتّىٰ جَعَلْناهُمْ حَصِيداً﴾ كالنّبت المحصود ﴿خامِدِينَ﴾: ميّتين. قال: «بالسّيف»[4].

﴿وَما خَلَقْنا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾ وإنّما خلقناهما تبصرة للنُّظّار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبيباً لما ينتظم به أُمور العباد في المعاش والمعاد.

﴿لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً﴾: ما يتلهّى به ويلعب ﴿لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا﴾. قيل: أي: من جهة قدرتنا أو من عندنا، ممّا يليق بحضرتنا من الرّوحانيّات لا من الأجسام[5]. ﴿إنْ كُنّا فاعِلِينَ﴾.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾: فيمحقه ﴿فَإذا هُوَ زاهِقٌ﴾: هالك؛ إضرابٌ عن اتّخاذ اللّهو، وتنزيهٌ لذاته سبحانه من اللّعب، أي: من شأننا أن نُغَلِّبَ الحقّ الّذي من جملته الجِدّ، على الباطل الّذي من عداده اللّهو.

قال: «ليس من باطل يقوم بإزاء حقّ إلّا غلب الحقّ الباطل، وذلك قوله تعالى، وتلا الآية»[6]. ﴿وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ﴾ ممّا لا يجوز عليه.

١ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٨ من سورة بني اسرائيل.

٢ـ البيضاوي ٤: ٣٦.

٣ـ الكافي ٨: ٥١ـ٥٢، الحديث: ١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ المصدر: ٥٢، ذيل الحديث: ١٥؛ وتأويل الآيات الظّاهرة: ٣٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ البيضاوي ٤: ٣٧، وفيه: «من المجرّدات» بدل: «من الرّوحانيّات».

٦ـ المحاسن ١: ٢٢٦، الباب: ١٤، الحديث: ١٥٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ قال: «يعني الملائكة»[١]، ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: ولا يعيون منها.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾. قال: «أنفاسهم تسبيح»[٢]. وفي رواية: «ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا ويسبّح اللّه ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة»[٣].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الموتى، وهم وإن لم يصرّحوا به لكن لزمهم ذلك، فإنّ من لوازم الإلٰهيّة الاقتدارَ على ذلك، والمراد به تجهيلهم والتهكّم بهم.

﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللّهُ﴾: غير اللّه ﴿لَفَسَدَتا﴾: لبطلتا وتفطّرتا، وقد وجد الصّلاح وهو بقاء العالَم، فدلّ على أنّ صانعه واحد.

سئل: ما الدّليل على أنّ اللّه واحد؟ قال: «اتّصال التّدبير وتمام الصّنع كما قال، وتلا الآية»[٤]. ﴿فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ﴾.

﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ﴾ قال: «لأنّه لا يفعل إلّا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبّر الجبّار والواحد القهّار، فمن وجد في نفسه حرَجاً في شيء ممّا قضى كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد»[٥]. ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ قال: «يعني بذلك خلقه إنّه يسألهم»[٦].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾. كرّره استعظاماً لكفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم. ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ فإنّه لا يصلح القول بما لا دليل عليه ﴿هٰذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ قال: «يعني بـ "ذِكْرُ مَنْ مَعِي" ما هو كائن، وبـ "ذِكْرُ مَنْ

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٦٩، الباب: ٢٧، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ كمال الدّين ٢: ٦٦٦، الباب: ٥٨، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ التّوحيد: ٢٨٠، الباب: ٣٨، الحديث: ٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. وفي صدر الرّواية هكذا: «إنّ للّه ملائكة ليس شيء...».
٤ ـ التّوحيد: ٢٥٠، الباب: ٣٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ التّوحيد: ٣٩٧، الباب: ٦١، الحديث: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «ممّا قضى اللّه فقد كفر».
٦ ـ علل الشّرائع ١: ١٠٦، الباب: ٩٦، ذيل الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

قَبْلي" ما قد كان»[١] . ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ .

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ .

﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾ يعني هؤلاء الّذين زعموا أنّهم ولد اللّه .

﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾: ما قدّموا وما أخّروا ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضى﴾ قال: «إلّا لمن ارتضى اللّه دينه»[٢] . وزاد في رواية: «والدّين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسّيّئات ، فمن ارتضى اللّهُ دينَه ندم على ما ارتكبه من الذّنوب ؛ لمعرفته بعاقبته في القيامة»[٣] . ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾: من عظمته ومهابته مرتعدون .

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ﴾ .

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾ . قال: «كانت السّماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ فلمّا خلق اللّه الخلق وبثّ فيها من كلّ دابّة فتق السّماء بالمطر ، والأرض بنبات الحبّ»[٤] .

﴿وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: وخلقنا من الماء كلّ حيوان ـ كقوله: "وَاللّهُ خَلَقَ

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٧ ، الباب: ١١ ، ذيل الحديث: ٣٥ ؛ التّوحيد: ٤٠٨ ، الباب: ٦٣ ، ذيل الحديث: ٦ ، عن موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وعليهم .

٣ ـ التّوحيد: ٤٠٨ ، الباب: ٦٣ ، ذيل الحديث: ٦ ، عن موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وعليهم .

٤ ـ الكافي ٨: ٩٥ ، ذيل الحديث: ٦٧ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وفي الكافي ٨: ١٢١ ، الحديث: ٩٣ ؛ الاحتجاج ٢: ٦٢ ما يقرب منه .

كُلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ"[١] . لأنّه أعظم موادّه . ولفرط احتياجه إليه وانتفاعه به ـ أو صيّرنا كلّ شيء حيّ بسبب من الماء لا يحيا دونه ﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَجَعَلْنا فِي الأَرْضِ رَواسِيَ﴾ : ثابتات ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ : كراهة أن تميل بهم ﴿وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً﴾ : مسالك واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالحهم .

﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ عن الوقوع ، كقوله : "وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ"[٢] . ﴿وَهُمْ عَنْ آياتِها﴾ : أحوالها الدالّة على كمال قدرته وعظمته ، وتناهي علمه وحكمته ﴿مُعْرِضُونَ﴾ : غير متفكّرين .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ : يُسْرِعون إسراع السّابح في الماء .

﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدُونَ﴾ .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ﴾ . القمّي : لمّا أخبر الله نبيّه بما يصيب أهل بيته بعده ، وادّعاء من ادّعى الخلافة دونهم ، اغتمّ ، فنزلت[٣] . ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ : بالبلايا والنّعم . قال : «الخير : الصّحّة والغنى ، والشّرّ : المرض والفقر»[٤] . ﴿فِتْنَةً﴾ : ابتلاء ﴿وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصّبر والشّكر .

﴿وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي : بسوء ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ﴾ .

﴿خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ . مبالغةٌ في لزومه له . ﴿سَأُورِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ .

١ ـ النّور (٢٤) : ٤٥ .

٢ ـ الحجّ (٢٢) : ٦٥ .

٣ ـ القمّي ٢ : ٧٠ .

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨ : ٤٦ ، عن أبي عبد الله ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتىٰ هـٰذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ .

﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ . محذوف الجواب ، يعني: لما استعجلوا .

﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ﴾: فتغلبهم أو تحيّرهم ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾: يمهلون .

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . تسلية للرّسول ووعد له ، بأنّ ما يفعلونه يحيق بهم .

﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ ﴾: يحفظكم ﴿ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ ﴾: من بأسه ﴿ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾: لا يخطرونه ببالهم ، فضلاً أن يخافوا بأسه .

﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ ﴾: ولا يصحبهم نَصْرٌ منّا .

﴿ بَلْ مَتَّعْنا هـٰؤُلاءِ وَآباءَهُمْ حَتّىٰ طالَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ ﴾ فحسبوا أن لا يزالوا كذلك ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها ﴾ . قيل: بتسليط المسلمين عليها[1] . و ورد: «ننقصها يعني بموت العلماء ، قال: نقصانها ذهاب عالمها»[2] . ﴿ أَفَهُمُ الغالِبُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ ﴾ .

﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾: أدنى شيء ﴿ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا إِنّا كُنّا ظالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ ﴾: العدل ﴿ لِيَوْمِ القِيامَةِ ﴾ يُوزَنُ بها الأعمالُ . قال: «هم

١ ـ البيضاوي ٤: ٤١ ؛ الكشّاف ٢: ٥٧٤ .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ وفي الكافي ١: ٣٨ ، الحديث: ٦ ، عن أبي جعفر ، عن أبيه عليهما السلام ، ما يقرب منه .

الأنبياء والأوصياء»[١]. وقد مضى تحقيقه في الأعراف[٢]. ﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَهارُونَ الْفُرْقانَ وَضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الكتاب الجامع، لكونه فارقاً بين الحقّ والباطل، وضياءً يُستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، وذكراً يتّعظ به المتّقون.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: خائفون.

﴿وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ﴾: وهذا القرآن ذكر، كثير خيره ﴿أَنْزَلْناهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ﴾. أضافه إليه، ليدلّ على أنّه رشد مثله، وأنّ له شأناً ﴿مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عالِمِينَ﴾ أنّه أهل لما آتيناه.

﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾.

﴿قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾.

﴿قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿قالُوا أَجِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾.

﴿قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾: لأجتهدنّ في كسرها، بنوع من الكيد ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾. ولعلّه قال ذلك سرّاً.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً﴾: قطاعاً ﴿إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ﴾: للأصنام ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قالُوا﴾ حين رجعوا ﴿مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يعيبهم ﴿يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ﴾.

١ ـ الكافي ١: ٤١٩، الحديث: ٣٦؛ معاني الأخبار: ٣١، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ ذيل الآية: ٨ و ٩.

﴿قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلىٰ أَعْيُنِ النّاسِ﴾: بمرأى منهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بفعله أو قوله.

﴿قالُوا﴾ حين أحضروه ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ﴾.

﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

قال: «إنّما قال إبراهيم "إن كانوا ينطقون" فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً؛ فما نطقوا وما كذب إبراهيم»[1].

وفي رواية: «إنّما قال: "فعله كبيرهم" إرادة الإصلاح، ودلالة على أنّهم لا يفعلون»[2].

ثمّ قال: «واللّه ما فعلوه وما كذب»[3].

﴿فَرَجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: فراجعوا عقولهم ﴿فَقالُوا﴾: فقال بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ﴾ عبادة ما لا ينطق ولا يضرّ ولا ينفع، لا من ظلمتموه.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُوسِهِمْ﴾. قيل: يعني انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة؛ شبّه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه[4].

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما هٰؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فكيف تأمر بسؤالهم.

﴿قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ﴾.

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾: قبحاً ونتناً[5]، تضجّر منه على إصرارهم بالباطل البيّن ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾. أخذوا في المضارّة لمّا عجزوا عن المحاجّة.

١ ـ معاني الأخبار: ٢١٠، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٢: ٣٤٢، الحديث: ١٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ المصدر: ٣٤٣، الحديث: ٢٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ٤: ٤٣.
٥ ـ في «ألف» و«قبحاً ونتناً وشيناً».

﴿قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلىٰ إِبْراهِيمَ﴾: ابردي برداً غير ضارّ. ورد: «إنّ دعاءه يومئذٍ كان: يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ثمّ قال: توكّلت على اللّه»[١].

وفي رواية قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها، فجعلها اللّه عليه برداً وسلاماً»[٢].

﴿وَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾: أخسر من كلّ خاسر، عاد سعيهم برهاناً قاطعاً على أنّهم على الباطل، وإبراهيم على الحقّ.

﴿وَنَجَّيْناهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ﴾ قال: «إلى الشّام وسواد الكوفة»[٣].

﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً﴾. قال: «وَلَدُ الولدِ نافلة»[٤]. ﴿وَكُلّاً جَعَلْنا صالِحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾ قال: «لا بأمر النّاس، يقدّمون ما أمر اللّه قبل أمرهم، وحكم اللّه قبل حكمهم»[٥]. ﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾: موحّدين مخلصين في العبادة.

﴿وَلُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ﴾.

﴿وَأَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾.

١ ـ الكافي ٨: ٣٦٩، ذيل الحديث: ٥٥٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الاحتجاج ١: ٥٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٧٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ معاني الأخبار: ٢٢٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ الكافي ١: ٢١٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَ نُوحاً إِذْ نادىٰ﴾ ربّه بإهلاك قومه ﴿مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَنَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: رعته ليلاً ﴿وَكُنّا لِحُكْمِهِمْ﴾: حكم الحاكمين والمتحاكمين ﴿شاهِدِينَ﴾.

﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلّاً آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾. قال: «كان أوحى اللّه إلى النّبيّين قبل داود إلى أن بعث داود: أيّ غنم نفشت في الحرث، فلصاحب الحرث رقاب الغنم. ولايكون النّفش إلّا باللّيل، فإنّ على صاحب الزّرع أن يحفظ زرعه بالنّهار، وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم باللّيل. فحكم داود بما حكم به الأنبياء من قبله. فأوحى اللّه إلى سليمان: أيّ غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزّرع إلّا ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السّنّة بعد سليمان، وهو قول اللّه تعالى: "وَكُلّاً آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً" فحكم كلّ واحد منهما بحكم اللّه عزّوجلّ»[1].

﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾. قال: «كان إذا قرأ الزّبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلّا جاوبه»[2]. وفي رواية: «إنّه بكى على خطيئته حتّى سارت الجبال معه لخوفه»[3]. ﴿وَكُنّا فاعِلِينَ﴾ لأمثاله، فليس ببدع منّا وإن كان عجيباً عندكم.

﴿وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾: عمل الدّرع، وهو في الأصل اللّباس ﴿لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ

١ ـ الكافي ٥: ٣٠٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٢ ـ الأمالي (للصّدوق): ٨٨، المجلس: ٢١، الحديث: ٨؛ كمال الدّين ٢: ٥٢٤، الباب: ٤٦، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٦، عن موسى بن جعفر، عن أبيه عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «قال له اليهوديّ: هذا داود بكى على خطيئته حتّى سارت الجبال معه لخوفه. قال له عليّ عليه السلام: لقد كان كذلك...».

بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ ﴾.

ورد: «أوحى اللّه إلى الحديد أن لِنْ لعبدي داود فَلان[1] له الحديد، فكان يعمل في كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، واستغنى عن بيت المال»[2].

﴿ وَلِسُلَيْمانَ ﴾: وسخّرنا له ﴿ الرِّيحَ عاصِفَةً ﴾: شديدة الهبوب، يقطع مسافة كثيرة في مدّة يسيرة، كما قال: "غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ"[3] ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها ﴾. القمّي: إلى بيت المقدّس والشّام[4]. ﴿ وَكُنّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ ﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة.

﴿ وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ في البحار ويخرجون نفايسه ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ ﴾: ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أُخر، كبناء المُدُن والقصور واختراع الصّنائع الغريبة، كما قال اللّه تعالى: "وَيَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَتَماثِيلَ"[5] ﴿ وَكُنّا لَهُمْ حافِظِينَ ﴾ عن أن يزيغوا عن أمره، أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلّتهم.

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾: المرض؛ ابتلاه اللّه بالمرض في بدنه، وهلاك أولاده، وذهاب أمواله. ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ ﴾. وَصَفَ ربّه بغاية الرّحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السّؤال.

﴿ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾ بالشّفاء من مرضه ﴿ وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ﴾. سئل: كيف أُوتي مثلهم معهم؟ قال: «أحيا له من ولده، الّذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم، مثل الّذين هلكوا يومئذ»[6]. ويأتي تمام قصّته في «ص»[7] إن شاء اللّه ﴿ رَحْمَةً مِنْ

١ ـ في المصدر: «فألان».
٢ ـ الكافي ٥: ٧٤، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.
٣ ـ سبأ (٣٤): ١٢.
٤ ـ القمّي ٢: ٧٤.
٥ ـ سبأ (٣٤): ١٣.
٦ ـ الكافي ٨: ٢٥٢، الحديث: ٣٥٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٧ ـ ذيل الآية: ٤١.

عِنْدِنا﴾ عليه ﴿وَذِكْرىٰ﴾: وتذكرة ﴿لِلْعابِدِينَ﴾.

﴿وَإِسْمٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ قال: «هو يوشع بن نون»[١]. ﴿كُلٌّ مِنَ الصّابِرِينَ﴾.

﴿وَأَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصّالِحِينَ﴾.

﴿وَذَا النُّونِ﴾ و[هو][٢] صاحب الحوت يونس بن متّى ﴿إِذ ذَهَبَ مُغاضِباً﴾ لقومه، لما برم لطول دعوتهم، وشدّة شكيمتهم، وتمادي إصرارهم، مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر به، كما سبق[٣].

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾. قيل: أي: لن نضيق عليه، أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر، أو لن نعمل فيه قدرتنا[٤]. وقيل: هو تمثيل لحاله بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه، في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا، أو خطرة شيطانيّة سبقت إلى وهمه، فسمّى ظنّاً للمبالغة[٥].

و ورد: «أي: استيقن أن لن نضيق عليه رزقه، ومنه قول الله عزّوجلّ: "وَأَمّا إذا ما ابتَلٰيهُ فَقَدَرَ عليه رِزْقَهُ"[٦] أي: ضيّق وقتّر»[٧].

قال: «ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر»[٨].

وفي رواية يقول: «ظنّ أن لن يعاقب بما صنع»[٩].

١ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٥، الباب: ٢٤، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ ما بين المعقوفتين من «ألف».

٣ـ ذيل الآية: ٩٨ من سورة يونس.

٤ و ٥ـ البيضاوي ٤: ٤٥.

٦ـ الفجر (٨٩): ١٦.

٧ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٠١، الباب: ١٥، قطعة من حديث: ١.

٨ـ المصدر: ١٩٣، الباب: ١٤، ذيل الحديث: ١.

٩ـ القمّي ٢: ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي أُخرى سئل: ما كان سببه، حتّى ظنّ أن لن يقدر عليه؟ قال: «وكله اللّه إلى نفسه طرفة عين»[١].

﴿فَنادىٰ فِي الظُّـلُماتِ﴾ قال: «ظلمة اللّيل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت»[٢].

﴿أَنْ لا إِلـٰهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِـينَ﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة. و ورد: «أي: بتركي مثل هذه العبادة الّتي قد فرغتني لها في بطن الحوت»[٣].

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَـجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ﴾ بأن قذفه الحوت إلى السّاحل، وأنبت اللّه عليه شجرة من يقطين ﴿وَكَذٰلِكَ نُـنْجِي المُـؤْمِنِـينَ﴾ من غموم دعوا اللّه فيها بالإخلاص.

﴿وَزَكَرِيّا إِذْ نادىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً﴾: وحيداً بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الوارِثِـينَ﴾ فإن لم ترزقني من يرثني فلا أُبالي به.

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيىٰ وَأَصْلَحْنا لَـهُ زَوْجَـهُ﴾. قال: «كانت لا تحيض فحاضت»[٤]. ﴿إِنَّـهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَـباً وَرَهَـباً وَكـانُوا لَـنا خاشِعِـينَ﴾.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها﴾. القمّي: مريم لم ينظر إليها شيء[٥]. ﴿فَـنَفَخْنا فِـيها مِـنْ رُوحِنا﴾ قال: «روح مخلوقة، يعني من أمرنا»[٦]. ﴿وَجَعَلْناها وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمِـينَ﴾.

﴿إِنَّ هـٰذِهِ أُمَّـتُـكُمْ﴾: ملّتكم، وهي ملّة الاسلام والتّوحيد ﴿أُمَّـةً واحِـدَةً﴾: غير مختلفة فيما بين الأنبياء ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا إله لكم غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ لا غير.

﴿وَتَـقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: تفرّقوا في الدّين، وجعلوا أمره قطعاً موزّعة ﴿كُـلٌّ﴾ من

١ ـ القمّي ٢: ٧٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠١، الباب: ١٥، قطعة من حديث: ١.
٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠١، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.
٤ و ٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٧٥.

الفرق المتحزّبة[1] ﴿إِلَيْنا راجِعُونَ﴾ فنجازيهم .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورسله ﴿فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ﴾: فلا تضييع له ﴿وَإِنّا لَهُ كاتِبُونَ﴾ في صحيفة عمله .

﴿وَحَرامٌ عَلىٰ قَرْيَةٍ﴾: ممتنع على أهلها ﴿أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ . قيل: «لا» مزيدة . يعني حرام رجوعهم إلى الدّنيا ، أو إلى التوبة[2] . وقيل: أي: حرام عدم رجوعهم للجزاء[3] . وورد ما يؤيّد الأوّل[4] . وقال: «كلّ قرية أهلك اللّه عزّوجلّ أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرّجعة»[5] .

﴿حَتّىٰ إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ سدّهما . القمّي: إذا كان في آخر الزّمان ، خرج يأجوج ومأجوج إلى الدّنيا ، ويأكلون النّاس[6] . ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾: نَشز[7] من الأرض ﴿يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون .

﴿وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذا هِيَ﴾ . جوابُ الشّرط ، و«إذا» للمفاجأة . ﴿شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ياوَيْلَنا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا﴾: لم نعلم أنّه حقّ ﴿بَلْ كُنّا ظالِمِينَ﴾ لأنفسنا بالإخلال بالنّظر ، وعدم الاعتداد بالنّذر .

﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ يرمى به إليها ؛ مِن حَصَبَه: إذا رماه بالحصباء . وفي قراءة عليّ عليه السلام بالطّاء[8] . ﴿أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾ . عوّض «اللّام» مِن «على» للاختصاص ، والدّلالة على أنّ ورودهم لأجلها .

١ـ في «ب»: «المتجزّئة» .

٢ و ٣ـ البيضاوي ٤: ٤٦ .

٤ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٧٦ ، ذيل الحديث: ٤٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ـ القمّي ٢: ٧٢ ، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام .

٦ـ المصدر .

٧ـ النَّشزُ: المكان المرتفع . القاموس المحيط ٢: ٢٠١ (نشز) .

٨ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٦٣ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

﴿لَوْ كانَ هـٰؤُلاءِ آلِـهَةً ما وَرَدُوها وَكُـلٌّ فِـيها خالِدُونَ﴾ .

﴿لَهُمْ فِـيها زَفِـيرٌ﴾: أنين[1] وتنفّس شديد ﴿وَهُمْ فِـيها لا يَـسْمَعُونَ﴾ .

ورد: «إنّ اللّه يأتي يوم القيامة بكلّ شيء يعبد من دونه ؛ من شمسٍ أو قمرٍ أو غير ذلك ، ثمّ يسأل كلّ إنسان عمّا كان يعبد ؛ فيقول كلّ من عَبَدَ غير اللّه: ربّنا إنّا كنّا نعبدها لتقرّبنا إليك زلفى . قال: فيقول اللّه تبارك وتعالى للملائكة: اذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون إلى النّار ، ما خلا من استثنيت ، فأُولئك عنها مبعدون»[2] .

﴿إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الحُسْنىٰ أُولـٰئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾ . القمّي: يعني الملائكة وعيسى بن مريم[3] .

﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها﴾: صوتها الّذي يحسّ به ﴿وَهُمْ فِـيما آشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ﴾ .

﴿لا يَحْـزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقّاهُمُ المَلائِكَةُ هـٰذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ .

ورد: «يا عليّ أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم ، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش ، يفزع النّاس ولا تفزعون ، ويحزن النّاس ولا تحزنون ، وفيكم نزلت هذه الآية "إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى" الآية وفيكم نزلت: "لا يحزنهم الفزع الأكبر"»[4] .

﴿يَـوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قيل: كطيّ الطّومار للمعاني المكتوبة فيه[5] . والقمّي: السّجلُّ: اسمُ المَلَك الّذي يطوي الكتب . ومعنى نطويها: نفنيها ، فتتحوّل

١ ـ الأنين: الصوت المنبعث من الإنسان أو الحيوان من ألم أو حسرة . الرّائد ١: ٢٧٧ (أنن) .
٢ ـ قرب الإسناد: ٤١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ القمّي ٢: ٧٦ .
٤ ـ الأمالي (للصّدوق): ٤٥١ ، المجلس: ٨٢ ، ذيل الحديث: ٢ ؛ بشارة المصطفى: ١٨١ ، عن أبي عبد اللّه ، عن آبائه ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .
٥ ـ البيضاوي ٤: ٤٧ .

دخاناً، والأرض نيراناً[1]. ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا﴾ أي: علينا إنجازه ﴿إِنَّا كُنّا فاعِلِينَ﴾.

روي: «تحشرون يوم القيامة عراة حفاة عزلاً، كما بدأنا أوّل خلق نعيده»[2].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ﴾ قال: «الّذي أنزل على داود»[3]. ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

ورد: «الزّبور فيه توحيد وتمجيد ودعاء، وأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّتهما عليهم السلام، وأخبار الرّجعة، وذكر القائم صلوات الله عليه»[4].

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾. قال: «هم أصحاب المهديّ في آخر الزّمان»[5].

﴿إِنَّ فِي هٰذا﴾: فيما ذكر من الأخبار والمواعظ ﴿لَبَلاغاً﴾: لكفاية إلى البلوغ إلى البغية ﴿لِقَوْمٍ عابِدِينَ﴾: همّهم العبادة، دون العادة.

﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ لأنّ ما بعثت به سببٌ لإسعادهم، وموجبٌ لصلاح معاشهم ومعادهم، وكونه رحمة للكفّار أمنهم به من الخَسْف والمَسْخ وعذاب الاستيصال.

قال: «إنّما عنى بذلك أنّه جعله سبيلاً لأنظار أهل هذه الدّار، لأنّ الأنبياء قبله بُعثوا بالتّصريح لا بالتّعريض»[6].

﴿قُلْ إِنَّما يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون العبادة

١ـ القمّي ٢: ٧٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٦٦، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ١: ٢٢٦، الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ١٢٦، ذيل الآية: ١٥ من سورة النّحل.
٥ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الاحتجاج ١: ٣٨٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

لله على مقتضى الوحي. و ورد: «فهل أنتم مسلمون الوصيّة بعدي[۱]. نزلت مشدّدة»[۲].

أقول: مآلهما واحد، لأنّ مخالفة الوصيّة عبادة للهوى.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾: أعلمتكم ما أمرت به ﴿عَلىٰ سَواءٍ﴾: عدل ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ﴾.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾: ما تجاهرون به من الطّعن في الاسلام ﴿وَيَعْلَمُ ما تَكْتُمُونَ﴾ من الإحن والأحقاد للمسلمين، فيجازيكم عليه.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾: وما أدري لعلّ تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم، أو امتحان لينظر كيف تعملون ﴿وَمَتاعٌ إِلىٰ حِينٍ﴾: وتمتيع إلى أجل مقدّر تقتضيه مشيئته.

﴿قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: اقض بيننا وبينهم بالعدل ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ ما تَصِفُونَ﴾ بأنّ الشّوكة تكون لهم، وأنّ راية الاسلام تخفق أيّاماً ثمّ تسكن، وأنّ الموعد به لو كان حقّاً لنزل بهم، فأجاب الله دعوة رسوله، فخيّب أمانيّهم ونصر رسوله عليهم. والحمد لله.

۱ ـ في المصدر: «الوصيّة لعليّ بعدي».
۲ ـ المناقب ٤: ٤٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة الحجّ

[مدنيّة إلّا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكّة ومدينة ، وآياتها ٧٨ نزلت بعد سورة النّور][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّها النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ . قيل: هي زلزلة تكون قُبَيْلَ طلوع الشّمس من مغربها ، وهي من أشراط السّاعة[2] .

﴿يَوْمَ تَرَوْنَها﴾: ترون الزّلزلة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ﴾ . قيل: هو تصوير لهولها ، والمراد الدّلالة على أنّ هولها بحيث إذا دَهِشَت الّتي ألقمت الرّضيع ثديها ، نزعته عن فيه وذهلت عنه[3] . ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها﴾: جنينها ﴿وَتَرَى النّاسَ سُكارىٰ﴾: كأنّهم سكارى . القمّي: يعني ذاهبة عقولهم من الحزن والفزع ، متحيّرين[4] . ﴿وَما هُمْ بِسُكارىٰ﴾ على الحقيقة ﴿وَلٰكِنَّ عَذابَ اللّٰهِ شَدِيدٌ﴾ .

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: يخاصم ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾:

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

٢ و ٣ ـ البيضاوي ٤: ٤٩ .

٤ ـ القمّي ٢: ٧٨ .

متجرّد للفساد ، وأصله العُري . والقمّي: المريد: الخبيث[١] .

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلّاهُ﴾: تبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ أي: كتب [عليه][٢] إضلال من يتولّاه ، لأنّه جُبِلَ عليه . ﴿وَيَهْدِيهِ إِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ﴾ بحمله على ما يؤدّي إليه .

﴿يا أَيُّها النّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾: من إمكانه وكونه مقدوراً ﴿فَإِنّا خَلَقْناكُمْ﴾ أي: فانظروا في بدو خلقكم ؛ فإنّه يُزيحُ ريبَكم . ﴿مِنْ تُرابٍ﴾ بخلق آدم منه ، وبخلق الأغذية المتكوّن منها المنيّ منه . ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ .

قال: «النّطفة تكون بيضاء مثل النّخامة الغليظة ، فَتمكثُ في الرّحم إذا صارت فيه أربعين يوماً ، ثمّ تصير إلى علقة . قال: وهي علقة كعلقة دم المحجمة الجامدة ، تمكث في الرّحم بعد تحويلها عن النّطفة أربعين يوماً ، ثمّ تصير مضغة . قال: وهي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة ، ثمّ تصير إلى عظم ، وشقّ له السّمع والبصر ، ورتّبت جوارحه»[٣] .

﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: تامّة وغير تامّة . قال: «"المُخَلَّقَة" هم الذّرّ الّذين خلقهم اللّه في صُلْبِ آدم ، أخذ عليهم الميثاق ، ثمّ أجراهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء ، وهم الّذين يخرجون إلى الدّنيا ؛ حتّى يسألوا عن الميثاق ، وأمّا قوله: "غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ" فهم كلّ نَسَمَةٍ لم يخلقهم اللّه عزّوجلّ في صلب آدم حين خلق الذّرّ ، وأخذ عليهم الميثاق ، وهم النُّطَف من العزل والسّقط قبل أن ينفخ فيه الرّوح والحياة والبقاء»[٤] .

﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ . قال: «لنبيّن لكم أنّكم كنتم كذلك في الأرحام»[٥] . ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ﴾ . قال: «فلا يخرج سقطاً»[٦] . ﴿إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو وقت الولادة:

١ ـ القمّي ٢: ٧٨ .

٢ ـ الزيادة من «ب» .

٣ ـ الكافي ٧: ٣٤٥ ، الحديث: ١٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الكافي ٦: ١٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٧٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

«أدناه ستّة أشهر وأقصاه تسعة». كذا ورد[1]. وفي رواية: «إذا جاءت به لأكثر من سنة لم تصدّق»[2]. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: كمالكم في القوّة والعقل. قال: «الاحتلام وهو أشُدُّه»[3].

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ﴾ قبل بلوغ الأشُدّ أو بعده ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: الهَرِم والخَرِف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ ليعود كهيئته في أوان الطّفوليّة؛ من سخافة العقل وقلّة الفهم. فينسى ما علمه وينكر ما عرفه. وقد مضى تمام تفسيره في سورة النّحل[4]. ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: ميتة يابسة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحرّكت بالنّبات ﴿وَرَبَتْ﴾: وانتفخت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن رائق.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة، وتحويله على أحوال متضادّة، وإحياء الأرض بعد موتها ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: بأنّه الثّابت في ذاته الّذي به تتحقّق الأشياء. ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾: وأنّه يقدر على إحيائها، وإلّا لَما أحيى النّطفة والأرض الميتة. ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإنّ التّغيّر دليل الإنصرام والتّجدّد. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ بمقتضى وعده.

قال: «إذا أراد اللّه أن يبعث الخلق أمطر السّماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم»[5].

١ ـ الكافي ٥: ٥٦٣، الحديث: ٣٢ عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ المصدر ٦: ٥٢، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٦: ١٠١، الحديث: ٣، عن الصادق أو الكاظم عليهما السلام.

٣ ـ الكافي ٧: ٦٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ ذيل الآية: ٧٠.

٥ ـ الأمالي (للصدوق): ١٤٩، الحديث: ٥؛ القمّي ٢: ٢٥٣، ذيل الآية: ٦٨ من سورة الزّمر، تحريرات في الأصول ←

وفي رواية قال: «قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: يا جبرئيل أرني كيف يَبْعَثُ الله تبارك وتعالى العبادَ يوم القيامة؟ قال: نعم، فخرج إلى مقبرة بني ساعدة، فأتى قبراً فقال له: أُخرج بإذن الله، فخرج رجل[1] يَنْفُضُ رأسه من التراب وهو يقول: والَهْفاهُ ـ واللَّهْف: الثُّبور ـ ثمّ قال: اُدخل، فدخل. ثمّ قصد به إلى قبر آخر، فقال: اُخرج بإذن الله، فخرج شابٌّ يَنْفُضُ رأسه من التّراب، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأشهد "أنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وَأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبُور"، ثمّ قال: هكذا يُبْعَثون يوم القيامة»[2].

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾. قال: «من خاصم الخلق في غير ما يؤمر به، فقد نازع الخالقيّة والرّبوبيّة، ثمّ تلا هذه الآية وقال: وليس أحد أشدّ عقاباً ممّن لبس قميصَ النُّسك بالدّعوى، بلا حقيقة ولا معنى»[3].

﴿ثانِيَ عِطْفِهِ﴾: متكبّراً، فإنّ ثَنْيَ العِطْفِ كناية عن التّكبّر، كليّ الجِيد[4]. القمّي: تولّى عن الحقّ[5]. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَذابَ الحَرِيقِ﴾.

﴿ذٰلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَأَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. القمّي: نزلت في أبي جهل[6].

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلىٰ حَرْفٍ﴾: على طرف من الدّين لا ثبات له فيه، كالّذي يكون على طرف الجيش، فإن أحسّ على ظفرٍ قرّ، وإلّا فرّ.

← أبي عبد الله ؑ.

١ ـ في «ب»: «شابّ».

٢ ـ قرب الإسناد: ٥٨، الحديث: ١٨٧، عن أبي عبد الله ؑ.

٣ ـ مصباح الشّريعة، ٥٧، الباب: ٢٥، عن أبي عبد الله ؑ.

٤ ـ أي: التواء العُنُق تكبّراً.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٧٩.

قال: «هم قوم وحّدوا اللّه، وخلعوا عبادة من يعبد من دون اللّه، فخرجوا من الشّرك، ولم يعرفوا أنّ محمّداً رسول اللّه، فهم يعبدون اللّه على شكّ في محمّد وما جاء به. فأتوا رسول اللّه ﷺ وقالوا: ننظر، فإن كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا؛ علمنا أنّه صادق وأنّه رسول اللّه، وإن كان غير ذلك نظرنا»[1].

﴿فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ قال: «يعني عافية في الدّنيا»[2]. ﴿وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ قال: «يعني بلاء في نفسه»[3]. ﴿انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ﴾ قال: «انقلب على شكّه[4] إلى الشّرك»[5]. ﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد. ﴿ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ ما لا يَضُرُّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ﴾. قال: «ينقلب مشركاً يدعو غير اللّه ويعبد غيره، فمنهم من يعرف فيدخل الإيمان قلبه فيؤمن، ويصدّق ويزول عن منزلته من الشّكّ إلى الإيمان، ومنهم من يثبت على شكّه[6]، ومنهم من ينقلب إلى الشّرك»[7]. ﴿ذٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ عن المقصد.

﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ بكونه معبوداً ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ الّذي يتوقّع بعبادته. لأنّه يوجب القتل في الدّنيا، والعذاب في الآخرة. ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلىٰ﴾: النّاصر ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾: الصّاحب.

﴿إِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾.

﴿مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ﴾. قيل: معناه أنّ اللّه ناصر رسوله في الدّنيا والآخرة، فمن كان يظنّ خلاف ذلك ويتوقّعه من غيظه، فليستقص في إزالة غيظه، بأن

١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٧ ـ الكافي ٢: ٤١٣ ـ ٤١٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر ؑ.
٤ و ٦ ـ في «ب»: «على شكله».

يفعلَ كلّ ما يفعله الممتلئ غضباً ، حتّى يمدّ حبلاً إلى سماء بيته فيختنق ؛ مِن قَطَعَ: إذا اختنق ؛ أو إلى سماء الدّنيا ، ثمّ ليقطع به المسافة ، فيجتهد في دفع نصره[١] . وقيل: المراد بالنّصر الرّزق ، والضّمير لـ«من»[٢] .

والقمّي ما معناه: يعني من شكّ أنّ اللّه عزّوجلّ لن يثيبه[٣] في الدّنيا والآخرة ، "فليمدد بسبب إلى السّماء" ، أي: يجعل بينه وبين اللّه دليلاً ، "ثُمّ ليقطع" ، أي: يميّز ، "فلينظر هل يذهبنّ كيده" ، أي حيلته "ما يغيظ" . قال: فإذا وضع لنفسه سبباً وميّز ، دلّه على الحقّ . قال: فأمّا العامّة فإنّهم رووا[٤] في ذلك: إنّه من لم يصدّق بما قال اللّه عزّوجلّ ، فليلق حبلاً إلى سقف البيت ، ثمّ ليختنق[٥] .

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بالحكومة بينهم ، وإظهار المحقّ منهم من المبطل ، وجزاء كلٍّ بما يليق به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾: ينقاد لأمره ﴿مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ .

قال بعض أهل المعرفة: وهذا سجود ذاتيّ ، نشأ عن تَجَلٍّ تجلّىٰ لهم فانبعثوا إليه ؛ وهي العبادة الذّاتيّة ، الّتي أقامهم اللّه فيها بحكم الاستحقاق الّذي يستحقّه[٦] ، وقد مضى تمام

١ ـ البيضاوي ٤: ٥٦ ؛ الكشّاف ٣: ٨ .
٢ ـ التّبيان ٧: ٢٩٨ ؛ الدّرّ المنثور ٦: ١٥ ؛ البيضاوي ٤: ٥١ .
٣ ـ في جميع النّسخ: «يثيبه» بدون «لن» والصحيح ما أثبتناه كما في المصدر .
٤ ـ الدّرّ المنثور ٦: ١٦ ، عن الضّحّاك وقتادة .
٥ ـ القمّي ٢: ٧٩ ـ ٨٠ .
٦ ـ أسرار الآيات (الصدر المتألّهين): ٨٠ .

تفسيره في سورة النّحل[1].

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ﴾ بكفره وإبائه عن الطّاعة والانقياد. ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾.

﴿هٰذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ المؤمنون والكافرون. قال: «نحن وبنو أُميّة؛ نحن قلنا: صدق اللّه ورسوله، وقالت بنو أُميّة: كذب اللّه ورسوله»[2]. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فصلٌ لخصومتهم. قيل: وهو المعنيّ بقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ"[3]. ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: الماء الحارّ.

﴿يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ أي: يؤثّر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم، فتُذاب به أحشاؤهم، كما تُذاب به جلودُهم.

﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: سياط يُجْلَدون بها. القمّي: الأعمدة الّتي يضربون بها[4]. ورد: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض، ثمّ اجتمع عليه الثّقلان ما أقلّوه من الأرض»[5].

﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها﴾ ضرباً بتلك الأعمدة.

ورد: «إنّ جهنّم إذا دخلوها هَوَوْا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأُعيدوا في دَرَكِها، هذه حالهم. وهو قول اللّه تعالى "كُلَّما أَرادُوا، الآية".»[6].

﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾: النّار البالغة في الإحراق.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ

١ ـ ذيل الآية: ٥٠.
٢ ـ الخصال ١: ٤٢، الحديث: ٣٥، عن حسين بن عليّ عليهما السلام؛ القمّي ٢: ٨٠.
٣ ـ الكشّاف ٣: ٩؛ البيضاوي ٤: ٥٢.
٤ ـ القمّي ٢: ٨٠.
٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٧٨؛ الدرّ المنثور ٦: ٢٢، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.
٦ ـ القمّي ٢: ٨١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ﴾. القمّي: التّوحيد والإخلاص[١]. ﴿وَهُدُوا إِلى صِراطِ الحَمِيدِ﴾. قال: «هو واللّه هذا الأمر الّذي أنتم عليه»[٢].

و ورد: «ذاك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذرّ والمقداد بن الأسود وعمّار، هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام»[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَالمَسْجِدِ الحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنّاسِ﴾. حذف خبره لدلالة آخر الآية عليه، أي: معذّبون. القمّي: نزلت في قريش، حين صدّوا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله عن مكّة[٤]. ﴿سَواءً العاكِفُ فِيهِ﴾ قال: «المقيم»[٥]. ﴿وَالبادِ﴾ قال: «الّذي يحجّ إليه من غير أهله ـ كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامِلِه بمكّة: ـ وأمر أهل مكّة أن لا يأخذوا من ساكنٍ أجراً، فإنّ اللّه يقول: "سَواءً" الآية»[٦].

و ورد: «لم يكن ينبغي أن يُوضَعَ[٧] على دور مكّة أبوابٌ لأنّ للحاجّ[٨] أن ينزلوا معهم في دورهم، في ساحة الدّار، حتّى يقضوا مناسكهم، وإنّ أوّل من جعل لدور مكّة أبواباً معاوية»[٩].

وفي رواية: «إنّ معاوية أوّل من علّق على بابه مصراعين بمكّة، فمنع حاجَّ بيت اللّه ما قال اللّه عزّوجلّ "سواءً العاكف فيه والباد" وكان النّاس إذا قدِموا مكّة نزل البادي على

١ ـ القمّي ٢: ٨٣.
٢ ـ المحاسن: ١٦٩، الباب: ٣٥، الحديث: ١٣٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ الكافي ١: ٤٢٦، الحديث: ٧١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٨٣.
٥ ـ نهج البلاغة: ٤٥٨، الكتاب: ٦٧، وفيه: «المقيم به».
٦ ـ المصدر، وفيه: «ومُرْ أهل مكّة...».
٧ ـ في المصدر: «أن يصنع».
٨ ـ في «ب»: «للحجّاج».
٩ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٩٦، الباب: ١٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الحاضر، حتّى يقضي حجّه»[١].

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ﴾: عدول عن القصد ﴿بِظُلْمٍ﴾: بغير حقّ، وهو ممّا ترك مفعوله ليتناول كلّ متناول. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

قال: «من عبد فيه غير اللّه أو تولّى فيه غير أولياء اللّه؛ فهو ملحد بظلم، وعلى اللّه أن يذيقه من عذاب أليم»[٢].

وقال: «كلّ ظلم يَظْلِمُ به الرّجلُ نفسه بمكّة؛ من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظّلم، فإنّي أراه إلحاداً، ولذلك كان ينهى أن يسكن الحرم»[٣].

و ورد: «نزلت فيهم، حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم، وجحودهم بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام، فألحدوا في البيت بظلمهم الرّسولَ ووليّه، فبُعْداً للقوم الظّالمين»[٤].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. مضى تفسيره في سورة البقرة[٥].

﴿وَأَذِّنْ فِي النّاسِ﴾: نادِ فيهم ﴿بِالْحَجِّ﴾ بأن تدعوهم إليه ﴿يَأْتُوكَ رِجالاً﴾: مُشاةً وركباناً ﴿وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ﴾: على كلّ بعير مهزول، أتعبه بُعْدُ السّفر فهزله. ﴿يَأْتِينَ﴾. صفةٌ لـ «ضامر». وفي قراءتهم عليهم السلام «يأتون»[٦]. ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد الأطراف.

ورد: «إنّ اللّه جلّ جلاله لمّا أمر إبراهيم عليه السلام ينادي في النّاس بالحجّ، قام على المقام فارتفع به، حتّى صار بإزاء أبي قبيس، فنادى في النّاس بالحجّ، فأسمع مَنْ في أصلاب

١ ـ الكافي ٤: ٢٤٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٨: ٣٣٧، الحديث: ٥٣٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٤٥، الباب: ١٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ الكافي ١: ٤٢١، الحديث: ٤٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ ذيل الآية: ١٢٥.
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الرّجال وأرحام النّساء، إلى أن تقوم السّاعة»[١].

وفي رواية: «إنّ الخطاب لرسول اللّه صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، فأمر المؤذّنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم» الحديث، في لفظٍ هذا معناه[٢].

﴿لِيَشْهَدُوا﴾: ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دينيّة ودنيويّة. سئل: منافع الدّنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: «الكلّ»[٣].

وقال: «لا يشهد أحد إلّا نفعه اللّه، أمّا أنتم فترجعون مغفوراً لكم، وأمّا غيركم فيحفظون في أهاليهم وأموالهم»[٤].

وفي رواية علل الحجّ: «ومنفعة من [هو][٥] في شرق الأرض وغربها، ومن في البرّ والبحر ممّن يَحُجُّ ومن لا يَحُجُّ، من تاجر وجالب وبايع ومشتر وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف»[٦].

وفي أُخرى: «مع ما فيه من التّفقّه، ونقل أخبار الأئمّة إلى كلّ صُقْعٍ وناحية كما قال اللّه تعالى: "فَلَوْلاَ نَفَرَ" الآية»[٧].

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾. قال: «هو التّكبير عقيب خمس عشرة صلاة، أوّلها ظهر العيد»[٨]. ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ قال: «أيّام التّشريق»[٩]. وفي رواية: «[هي][١٠]

١ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٢٠، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٤: ٢٤٥، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ المصدر: ٤٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ المصدر: ٢٦٤، ذيل الحديث: ٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ الزّيادة من «ألف».
٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٩٠، الباب: ٣٣، ذيل الحديث: ١.
٧ ـ المصدر: ١١٩، الباب: ٣٤، ذيل الحديث الطويل: ١، والآية في سورة التوبة (٩): ١٢٢.
٨ ـ عوالي اللئالي ٢: ٨٨، الحديث: ٢٣٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٩ ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
١٠ ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «ألف» والمصدر.

أيّام العشر»[١]. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾. قال: «البائس: الفقير»[٢]. وفي رواية: «هو الزّمن الّذي لا يستطيع أن يخرج لزمانته[٣]»[٤].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: ثمّ ليزيلوا وَسَخَهم. قال: «التَّفَثُ: هو الحلق، وما في جلد الإنسان»[٥]. وفي رواية: «تقليم الأظفار وطرح الوَسَخ وطرح الإحرام[٦] عنه»[٧]. وورد في تأويله: «لقاء الإمام»[٨].

أقول: جهة الاشتراك هو التّطهير، فإنّ أحدهما تطهير عن الأوساخ الظّاهرة، والآخر عن الجهل والعمى.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قال: «تلك المناسك»[٩]. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ قال: «هو طواف النّساء»[١٠]. قال: «سمّي البيت العتيق لأنّه أُعتق[١١] من الغرق»[١٢]. وفي رواية: «حرّ عتيق من النّاس، لم يملكه أحد»[١٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر. «ذلك» ومثله يطلق للفصل بين الكلامين. ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ

١ ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٤: ٥٠٠، الحديث: ٦؛ التّهذيب ٥: ٢٢٣، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ لزمانته: أي لمرضه الّذي يدوم عليه زماناً طويلاً. مجمع البحرين ٦: ٢٦٠ (زمن).
٤ ـ الكافي ٤: ٤٦، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ الكافي ٤: ٥٠٣، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ في «ب» و«ج»: «الأجرام».
٧ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٩٠، الحديث: ١٤٣٦، عن الرّضا عليه السلام.
٨ ـ الكافي ٤: ٥٤٩، ذيل الحديث: ٤؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٩٠، الحديث: ١٤٣٢ عن أبي عبد الله عليه السلام.
٩ ـ المصدر؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٩١، الحديث: ١٤٣٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١٠ ـ التّهذيب ٥: ٢٥٣، الحديث: ٨٥٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١١ ـ في «ألف»: «عتق».
١٢ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٩٩، الباب: ١٤٠، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١٣ ـ المصدر، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿اللّٰهِ﴾: أحكامه وما لا يحلّ هتكه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ كالميتة وما أُهلّ به لغير اللّه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾: الرّجس الّذي هو الأوثان، كما يجتنب الأنجاس. ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: كلّ افتراء.

روى: «عدلت شهادة الزّور بالشّرك باللّه، ثمّ قرأ هذه الآية»[١].

وفي رواية: «الرّجس من الأوثان: الشّطرنج، وقول الزّور: الغناء»[٢].

وزيد في أُخرى: «وسائر أنواع القمار، وسائر الأقوال الملهية»[٣].

﴿حُنَفَاءَ لِلّٰهِ﴾ قال: «أي: طاهرين»[٤] ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لأنّه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ فإنّ الأهواء المردية توزّع أفكاره. ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد، فإنّ الشّيطان قد طرح به في الضّلالة.

﴿ذٰلِكَ﴾: الأمر ذلك ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّٰهِ﴾: أعلام دينه ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. القمّي: تعظيم البدن وجودتها[٥].

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. قال: «إن احتاج إلى ظهرها ركبها من غير أن يعنف عليها، وإن كان لها لبن حلبها حلاباً لا ينهكها[٦]»[٧]. ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أهل دين ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾: متعبّداً، وقرباناً يتقرّبون به إلى اللّه

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٨٢، عن النّبيّ ﷺ.

٢ـ الكافي ٦: ٤٣٥، الحديث: ٢؛ و٤٣٦، الحديث ٦؛ معاني الأخبار: ٣٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٨٢.

٤ـ القمّي ٢: ٨٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٨٤.

٦ـ نهك الضّرع نهكاً: استوفى جميع ما فيه. القاموس المحيط ٣: ٣٣٢ (نهك).

٧ـ الكافي ٤: ٤٩٣، الحديث: ١؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٠٠، الحديث: ١٤٩٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ دون غيره ، ويجعلوا نسيكتهم لوجهه . فيه تنبيه على أنّ المقصود من المناسك تذكّر المعبود . ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أخلِصوا التقرّبَ والذّكرَ ، ولا تَشُوبُوه بالإشراك ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: الخاشعين .

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبة منه ، لإشراق[1] أشعّة جلاله عليها ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾من المصائب ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾في وجوه الخير .

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: منافع دينيّة ودنيويّة ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ قائمات ، قد صففن أيديهنّ وأرجلهنّ . قال: «ذلك حين تصفّ للنحر ، تَرْبُطُ يديها ما بين الخفّ إلى الرّكبة»[2] .

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ قال: «إذا وقعت على الأرض»[3] . ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ .

قال: «القانع: الّذي يرضى بما أعطيته ، ولا يسخط ولا يَكْلَحُ[4] ولا يلوي شِدْقه[5] غضباً ، والمعترّ: المارّ بك لتطعمه»[6] .

ورد: «أطعِمْ أهلَك ثُلثاً وأطعِمِ القانعَ ثلثاً وأطعم المسكين ثُلثاً . قيل: المسكين هو السّائل؟ قال: نعم . والقانع: يقنع بما أرسلت اليه من البضعة فما فوقها ، والمعترّ يعتريك لا يسألك»[7] .

١ـ في «ألف» و«ج»: «لإشراف» .
٢ و ٣ـ الكافي ٤: ٤٩٧ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ـ الكُلُوح: تكشّر في عبوس . الصّحاح ١: ٣٩٩ (كلح) .
٥ـ ألوى شدقه: أعرض به . والشِدق: جانب الفم . مجمع البحرين ١: ٣٨١ ؛ و ٥: ١٨٩ (لوا ـ شدق) .
٦ـ الكافي ٤: ٤٩٩ ، الحديث: ٢ ؛ معاني الأخبار: ٢٠٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٧ـ معاني الأخبار: ٢٠٨ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «ينبغي أن يطعم ثلثه، ويعطي القانع والمعترّ ثلثه، ويهدي لأصدقائه الثّلث الباقي»[١]. ﴿كَذٰلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها﴾ من حيث أنّها لحوم ودماء ﴿وَلٰكِنْ يَنالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ﴾: ما يَصْحَبُه من تقوى قلوبكم، الّتي تدعوكم إلى أمر اللّه وتعظيمه، والتّقرّب إليه والإخلاص له.

سئل: ما علّة الأُضحيّة؟ قال: «إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطرة تَقْطُرُ من دمها إلى الأرض، وليعلم اللّه عزّوجلّ من يتّقيه بالغيب. قال اللّه عزّوجلّ: "لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها" الآية. ثمّ قال: أنظر كيف قبل اللّه قربان هابيل، ورَدَّ قربان قابيل»[٢].

﴿كَذٰلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللّهَ﴾: لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره، فتوحّدوه بالكبرياء. والقمّي: التّكبير أيّام التّشريق عقيب الصّلوات[٣]. ﴿عَلىٰ ما هَداكُمْ﴾: أرشدكم إلى طريق تسخيرها، وكيفيّة التّقرّب بها. ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: المخلصين فيما يأتونه ويذرونه.

﴿إِنَّ اللّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غائلة المشركين ﴿إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ﴾ في أمانة اللّه ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته، كمن يتقرّب إلى الأصنام بذبيحته.

﴿أُذِنَ﴾: رُخِّصَ ﴿لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ﴾ المشركين، أي: في القتال ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾: بسبب أنّهم ظلموا.

قال: «لم يؤمر رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وآله بقتال، ولا أُذن له فيه حتّى نزل جبرئيل بهذه الآية، وقلّده سيفاً»[٤].

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٦، عنهم عليهم السلام.

٢ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٣٧، الباب: ١٧٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٨٤.

٤ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت في اللفظ.

وروي: «كان المشركون يؤذون المسلمين، لا يزال يجيء مشجوج[١] ومضروب إلى رسول الله ﷺ، ويشكون ذلك إليه، فيقول لهم: اصبروا فإنّي لم أُؤمَرْ بالقتال حتّى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة. وهي أوّل آية نزلت في القتال»[٢]. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾. قال: «نزلت في المهاجرين، وجرت في آل محمّد عليهم السلام الّذين أُخرجوا من ديارهم وأُخيفوا»[٣].

وفي رواية: «نزلت في رسول الله وعليّ وحمزة وجعفر عليهم السلام وجرت في الحسين عليه السلام»[٤].

القمّي: الحسين عليه السلام حين طلبه يزيد ليحمله إلى الشّام، فهرب إلى الكوفة، وقُتِلَ بالطّفّ[٥].

﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ يعني أنّهم لم يخرجوهم إلّا لقولهم: "رَبُّنا اللّهُ". ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿لَهُدِّمَتْ﴾: لخربت، باستيلاء المشركين على أهل الملل ﴿صَوَامِعُ﴾: صوامع الرّهبانيّة ﴿وَبِيَعٌ﴾: وبيع النّصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: كنائس اليهود. قيل: أصلها «صلوثا» بالثّاء المثلّثة بالعبريّة، بمعنى المصلّى فعُرِّبت[٦]. وفي قراءتهم عليهم السلام بضمّ الصّاد واللّام[٧]. ﴿وَمَسَاجِدُ﴾: مساجد

١ـ الشَّجَّة والشِّجَاج والشَّجّ: أن يضربه بشيء فيجرحه ويشقّه، وهو في الرأس خاصّة، ثمّ استعمل في غيره من الأعضاء. مجمع البحرين ١: ٣١٢ (شجج).
٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٨٧؛ البيضاوي ٤: ٥٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٣٣٨، ذيل الحديث: ٥٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ٢: ٨٤.
٦ـ الكشّاف ٣: ١٦؛ البيضاوي ٤: ٥٦.
٧ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

المسلمين ﴿يُذكَرُ فِيها اسْمُ اللّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

قال: «فهذه لآل محمّد إلى آخر الآية. والمهديّ وأصحابه، يملّكهم اللّه مشارقَ الأرض ومغاربها، ويظهر الدّين، ويميت اللّه به وبأصحابه البدعَ والباطلَ، كما أمات الشّقاة الحقّ، حتّى لا يرى أين الظّلم»[1]. ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَثَمُودُ﴾.

﴿وَقَوْمُ إِبْراهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَصْحابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسىٰ﴾. قيل: غيّر فيه النّظم، لأنّ قومه لم يكذّبوه، وإنّما كذّبه القبط، ولأنّ تكذيبه كان أشنع، وآياته كانت أعظم وأشيع[2]. ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ﴾: فأمهلتهم، حتّى انصرمت آجالهم المقدّرة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بتغيير النّعمة محنةً، والحياة هلاكاً، والعمارة خراباً.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ﴾ أي: أهلها ﴿فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِها﴾: ساقطة حيطانُها على سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾: لا يُستَقى منها، لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾: مرتفع، أخليناه عن ساكنيه.

قال: «البئر المعطّلة: الإمام الصّامت، والقصر المشيد: الإمام النّاطق»[3].

أقول: إنّما كنّى عن الإمام الصّامت بالبئر، لأنّه منبع العلم الّذي هو سبب حياة

١ـ القمّي ٢: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ البيضاوي ٤: ٥٦.
٣ـ الكافي ١: ٤٢٧، الحديث: ٧٥، عن الكاظم عليه السلام؛ كمال الدّين ٢: ٤١٧، الباب: ٤٠، الحديث: ١٠؛ معاني الأخبار: ١١١، الحديث: ١ و٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الأرواح ، مع خفائه إلّا على من أتاه ؛ كما أنّ البئر منبع الماء الّذي هو سبب حياة الأبدان ، مع خفائها إلّا على من أتاها . وكنّى عن صَمْتِه بالتّعطيل ، لعدم الانتفاع بعلمه ، وكنّى عن الإمام النّاطق بالقصر المشيد ، لظهوره وعلوّ منصبه وإشادة ذكره .

وورد في قوله: "وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ": «أي: وكم من عالم لا يُرْجَعُ إليه ، ولا يُنْتَفَعُ بعلمه»[١] .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ قال: «أو لم ينظروا في القرآن»[٢] . ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ عن الاعتبار . أي: ليس الخلل في مشاعرهم ، وإنّما إيفت[٣] عقولهم باتّباع الهوى ، والانهماك في التّقليد . ورد: «إنّما العمى عمى القلب»[٤] . ثمّ تلا الآية .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ المتوعَّد به ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يعني: «يوم القيامة» . كذا ورد[٥] .

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ كما أمهلتكم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلكم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ .

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ بالرّدّ والإبطال ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: مسابقين مشاقّين للسّاعين فيها بالقبول والتّحقيق ؛ مِنْ عاجزه فأعجزه ، إذا سابقه فسبقه . ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٩ ، في تفسير أهل البيت عليهم السلام .
٢ ـ الخصال ٢: ٣٩٦ ، ذيل الحديث: ١٠٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ قد إيف الزرع ، أي: أصابته آفة . الصّحاح ٤: ١٣٣٣ (أوف) .
٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٤٨ ، الحديث: ٢٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وفيه: «إنّما الأعمى أعمى القلب» .
٥ ـ الإرشاد (للمفيد): ٣٦٥ ، في ذكر قيام القائم عليه السلام ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾ زاد: «ولا محدَّث»[١] بفتح الدّال.

قال: «الرّسول: الّذي يظهر له المَلَكُ فيكلّمه. والنّبيّ: هو الّذي يرى في منامه، وربّما اجتمعت النّبوّة والرّسالة لواحد. والمحدَّث: الّذي يَسْمَعُ الصّوتَ ولا يَرى الصّورة»[٢].

و ورد: «إنّ الأئمّة كانوا محدَّثين، كانوا يَسْمَعون الصّوت ولا يرون المَلَكَ»[٣].

﴿إِلّا إِذا تَمَنّى﴾. قال: «تمنّى مفارقةَ ما يعاينه من نفاق قومه وعقوقهم، والانتقال عنهم إلى دار الإقامة»[٤]. ﴿أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قال: «ألقى الشّيطان المعرّض بعداوته، عند فقده في الكتاب الّذي أُنزل عليه، ذَمَّه والقَدْحَ فيه والطَّعنَ عليه»[٥].

﴿فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ﴾. قال: «ينسخ اللّه ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله[٦]، ولا يصغى إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين»[٧].

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللّهُ آياتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال: «بأن يَحْمِيَ أولياءه من الضّلال والعدوان[٨]، ومشايعة أهل الكفر والطّغيان، الّذين لم يرض اللّه أن يجعلهم كالأنعام، حتّى قال "بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً"[٩]»[١٠].

وفي رواية: «إنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله أصابه خَصاصَةٌ، فجاء إلى رجل من الأنصار فقال له: هل عندك من طعام؟ قال: نعم يا رسول اللّه، وذَبَحَ له عَناقاً[١١] وشواه، فلمّا أدناه منه تمنّى

١ ـ الكافي ١: ١٧٦ ـ ١٧٧، الحديث: ١ و ٤، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٢ ـ الكافي ١: ١٧٧، الحديث: ٤، عن الصادقين عليهما السلام.

٣ ـ المصدر: ١٧٠ ـ ١٧١، الأحاديث: ١، ٣ و ٤، عن أبي جعفر، وأبي الحسن، وأبي عبد اللّه عليهم السلام.

٤ و ٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٢: عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ في «ب»: «فلا يقبله».

٧ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ في «ب»: «من الضّلال والعدوان والكفران».

٩ ـ الفرقان (٢٥): ٤٤.

١٠ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١١ ـ العَنَاقُ: الأُنثى من ولد المعز، والجمع: أَعْنُقٌ وعُنُوق. الصّحاح ٤: ١٥٣٤ (عنق).

رسول اللّه أن يكون معه عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم، فجاء أبو بكر وعمر، ثمّ جاء عليّ بعدهما، فأنزل اللّه في ذلك "وما أرسلنا" الآية. يعني أبا بكر وعمر. "فينسخ اللّه ما يلقي الشّيطان" يعني لمّا جاء عليّ عليه السلام بعدهما. "ثمّ يحكم اللّه آياته" للنّاس، يعني ينصر اللّه أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

﴿لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً﴾. قال: «يعني فلاناً وفلاناً»[2]. ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: «شكّ»[3]. ﴿وَالقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ بالانقياد والخشية ﴿وَإِنَّ اللّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتّى تَأْتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾. القمّي: العقيم: الّذي لا مثل له في الأيّام[4].

﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا فَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾. روي: «إنّهم قالوا: يا رسول اللّه هؤلاء الّذين قُتِلوا قد عَلِمْنا ما أعطاهم اللّه من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا،

١ ـ القمّي ٢: ٨٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ ـ القمّي ٢: ٨٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ لم نعثر عليه.
٤ ـ القمّي ٢: ٨٦.

فما لنا أن مُتْنا معك؟ فأنزل اللّه هاتين الآيتين»[١].

﴿ذٰلِكَ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يَزِدْ في الاقتصاص ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللّهُ﴾ لا محالة للمنتصر. ﴿إِنَّ اللّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾

القمّي: هو رسول اللّه صلى الله عليه وآله لمّا أخرجته قريش من مكّة، وهرب منهم إلى الغار وطلبوه ليقتلوه، فعاقبهم اللّه يوم بدر، فلمّا قبض رسول اللّه صلى الله عليه وآله، طلب بدمائهم فقتل الحسين وآل محمّد صلوات اللّه عليهم بغياً وعدواناً، لينصرنّه اللّه بالقائم عليه السلام من ولده[٢]. هذا ملخّص ما قاله.

﴿ذٰلِكَ﴾ أي: ذلك النّصر ﴿بِأَنَّ اللّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بسبب أنّ اللّه قادر على تغليب بعض الأُمور على بعض، والمُداوَلَةِ بين الأشياء المتعاندة.

﴿وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: يسمع قول المعاقِب والمعاقَب، يبصر أفعالهما فلا يمهلهما.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الباطِلُ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾. إنّما عدل عن صيغة الماضي، للدّلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان. ﴿إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ﴾: يَصِلُ علمُه إلى كلّ ما جَلَّ ودَقَّ. ﴿خَبِيرٌ﴾ بالتّدابير الظّاهرة والباطنة.

﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ وَالفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

١ ـ جوامع الجامع: ٣٠٣.
٢ ـ القمّي ٢: ٨٦.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُورٌ﴾.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً﴾: شريعةً ومذهباً ﴿هُمْ ناسِكُوهُ﴾: يتديّنون به، ويذهبون إليه ﴿فَلا يُنازِعُنَّكَ﴾ سائرُ أرباب الملل ﴿فِي الأَمْرِ﴾: في أمر الدّين. قيل: إنّهم قالوا للمسلمين: مالكم تأكلون ما قَتَلْتُم ولا تأكلون ما قَتَلَه اللّه! يعنون الميتة، فنزلت[1] ﴿وَادْعُ إِلىٰ رَبِّكَ﴾: إلى توحيده وعبادته ﴿إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَإِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾ من المجادلة الباطلة، فيجازيكم عليها؛ وهو وعيد فيه رِفْق.

﴿اللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدّين.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾: حجّةً تدلّ على جواز عبادته. ﴿وَما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا المُنْكَرَ﴾: الإنكار لفَرْط نكيرهم للحقّ، وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليداً. ﴿يَكادُونَ يَسْطُونَ﴾: يَثِبُون ويَبْطُشُون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمْ﴾ من غيظكم على التّالين، وضجركم ممّا تلوا عليكم ﴿النّارُ وَعَدَهَا اللّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ النّار.

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ استماع تدبّر وتفكّر ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً﴾: لا يقدرون على خلقه مع صِغَره ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾: ولو تعاونوا على خلقه. ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ

١ـ الكشّاف ٣: ٢١؛ البيضاوي ٤: ٦٠.

ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطْلُوبُ﴾ فكيف يكونون آلهةً قادرين على المقدورات كلّها؟!

قال: «كانت قريش تَلْطَخ الأصنام الّتي كانت حول الكعبة بالمِسْكِ والعنبر، وكانوا إذا دخلوا خرّوا سجّداً لها، إلى أن قال: فبعث اللّه ذباباً أخضر، له أربعة أجنحة، فلم يبق من ذلك المِسْكِ والعنبر شيئاً إلّا أكله، فأنزل اللّه الآية»[1].

﴿ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عرفوه حقّ معرفته، حيث أشركوا به، وسمّوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة. وقد مرّ فيه حديث في الأنعام[2]، ويأتي حديث آخر في الزّمر[3] إن شاء اللّه. ﴿إنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه شيء.

﴿اللّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً﴾: سَفَرَة يتوسّطون بينه وبين الأنبياء بالوحي.

﴿وَمِنَ النّاسِ﴾ رسلاً يدعون سائرهم إلى الحقّ، ويبلّغون إليهم ما نزل عليهم. ﴿إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَإلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ﴾. ورد: «جُعِل الخيرُ كلُّه في بيت، وجُعِل مفتاحُه الزّهدَ في الدّنيا»[4]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَجاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾ الأعداء الظّاهرة والباطنة. ورد: «أعدى عدوّك نفسُك الّتي بين جنبيك»[5] ﴿هُوَ اجْتَباكُمْ﴾: اختاركم لدينه ولنصرته. قال: «إيّانا عنى[6]، ونحن المجتبون»[7].

١ ـ الكافي ٤: ٥٤٢، الحديث: ١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ ذيل الآية: ٩١.
٣ ـ ذيل الآية: ٦٧.
٤ ـ الكافي ٢: ١٢٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ عوالي اللآلي ٤: ١١٨، الحديث: ١٨٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ ـ في «ج»: «إيّانا عنى خاصّة».
٧ ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ قال: «يقول: من ضيق»[١] ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ﴾ قال: «إيّانا عنى خاصّة»[٢]. ﴿هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: «اللّه سمّانا المسلمين»[٣]. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «في الكتب الّتي مضت»[٤]. ﴿وَفِي هٰذا﴾: القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ﴾.

قال: «فرسول اللّه الشّهيد علينا بما بلّغنا عن اللّه، ونحن الشّهداء على النّاس يوم القيامة. فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه، ومن كذّب كذّبناه»[٥].

وفي الحديث النّبويّ: «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأُمّة، ثمّ قال صلّى الله عليه وآله: أنا وأخي وأحد عشر من ولدي»[٦].

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾: فتقرّبوا إلى اللّه بأنواع الطّاعات، لما خصّكم بهذا الفضل والشّرف. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ﴾: وثقوا به في جميع أُموركم ﴿هُوَ مَوْلاكُمْ﴾: ناصِرُكم ومتولّي أُموركم. ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو.

١ ـ قرب الإسناد: ٨٤، الحديث: ٢٧٧، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٢ و ٣ و ٤ و ٥ ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ كمال الدّين ١: ٢٧٩، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ٢٥، وفيه ما هذا نصّه: «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأُمّة. قال سلمان: بيّنهم لي يا رسول اللّه. قال: أنا وأخي عليّ وأحد عشر من ولدي».

سورة المؤمنون

[وهي مائة وثماني عشر آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: «المسلمون، إنّ المسلمين هم النّجباء»[2].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ «بغضّ البصر والإقبال على الصّلاة». كذا ورد[3].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال: «عن الغناء والملاهي»[4]. و ورد: «كلّ قول ليس فيه ذكر فهو لغو»[5]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾.

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكافي ١: ٣٩١، الحديث: ٥؛ بصائر الدّرجات: ٥٢٠، الباب: ٢٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي الكافي و«ج»: «المسلّمون، إنّ المسلّمين هم النجباء» بالتشديد.

٣ ـ القمّي ٢: ٨٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٩٩؛ القمّي ٢: ٨٨.

٥ ـ الإرشاد (للمفيد): ١٥٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿إِلَّا عَلىٰ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ابْتَغىٰ وَراءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ العادُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾ القمّي: على أوقاتها وحدودها[1]. ورد: «هي الفريضة، وعلى صلواتهم دائمون. هي النّافلة»[2].

﴿أُولٰئِكَ هُمُ الوارِثُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ قال: «ما منكم من أحد إلّا وله منزلان: منزلٌ في الجنّة ومنزلٌ في النّار. فإن مات ودخل النّار ورث أهلُ الجنّة منزلَه»[3].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾. القمّي: السّلالة: الصّفوة من الطّعام والشّراب الّذي يصير نطفة[4].

﴿ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً﴾. سبق تفسيرها[5]. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ قال: «هو نفخ الرّوح فيه»[6].

﴿فَتَبارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ﴾. قال: «أخبر أنّ في عباده خالقين [وغير خالقين][7]؛ منهم عيسى بن مريم، خلق من الطّين كهيئة الطّير بإذن اللّه، والسّامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار»[8].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٨٩.

٢ ـ الكافي ٣: ٢٧٠، الحديث: ١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٦٥، الباب: ٣١، الحديث: ٢٨٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٩٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ القمّي ٢: ٨٩.

٥ ـ ذيل الآية: ٥ من سورة الحجّ.

٦ ـ القمّي ٢: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ ـ مابين المعقوفتين لم ترد في المصدر.

٨ ـ التّوحيد: ٦٣، الباب: ٢، ذيل الحديث الطّويل: ١٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ﴾: سبع سماوات. قيل: سمّاها طرائق، لأنّها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النّعل، وكلّ ما فوقه مثله فهو طريقة[1]. ﴿وَما كُنّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «فهي الأنهار والعيون والآبار»[2]. ﴿وَإِنّا عَلىٰ ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ﴾.

﴿فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكّهون بها ﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾ تغذّياً.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ﴾ القمّي: شجرة الزّيتون[3]. ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ أي: تنبت بالشّيء الجامع بين كونه دُهْناً يُدْهَنُ به ويُسْرَجُ منه، وكونه إداماً يُصْبَغُ فيه الخبز، أي: يُغْمَسُ فيه للائتدام.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِها﴾ من الألبان ﴿وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها ﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ في البرّ والبحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَقالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لعوامّهم: ﴿ما هٰذا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شاءَ اللّٰهُ﴾ أن يرسل رسولاً ﴿لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهٰذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ أي: التّوحيد الّذي يدعونا إليه.

١ـ البيضاوي ٤: ٦٣؛ الكشّاف ٣: ٢٨.
٢ـ القمّي ٢: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ٩١.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ لعلّه يُفيقُ من جنونه .

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي﴾ عليهم بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسبب تكذيبهم إيّاي .

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا ، أن تخطئ فيه ، أو يفسد عليك مفسد ﴿وَوَحْيِنَا﴾: وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بنزول العذاب ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: فادخل فيها ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: الذكر والأُنثى ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بإهلاكه لكفره ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالدّعاء بالإنجاء ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ .

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ . قد سبق تمام القصّة في سورة هود[1] .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: وإنّه كنّا لممتحنين عبادنا بهذه الآيات . ورد: «إنّ اللّه قد أعاذكم من أن يجور عليكم ، ولم يُعِذْكُمْ من أن يبتليكم ، ثمّ تلا هذه الآية»[2] .

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ هم عاد أو ثمود .

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾: ونعّمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ .

١ ـ ذيل الآيات: ٣٠ إلى ٤٥ .

٢ ـ نهج البلاغة: ١٥٠ ، الخطبة: ١٠٣ .

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ ﴾ حيث أذللتم أنفسكم .

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ من الأجداث .

﴿ هَيْهاتَ هَيْهاتَ ﴾: بَعُدَ ﴿ لِما تُوعَدُونَ ﴾ . اللّام للبيان ، كما في هَيْتَ لك .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا ﴾: يموت بعضنا ويُولَدُ بعض ﴿ وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً وَما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ ﴾ .

﴿ قالَ عَمّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ ﴾ .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ﴾: صيحة جبرئيل ، صاح عليهم صيحة هائلة ، تصدّعت منها قلوبهم فماتوا ﴿ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً ﴾ . قال: «الغثاء: اليابس الهامد[1] من نبات الأرض»[2] .

﴿ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ ﴾ . يحتمل الإخبار والدّعاء .

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ ﴾ .

﴿ ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها ﴾: الوقت الّذي قُدِّرَ لهلاكها ﴿ وَما يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ الأجل .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا ﴾: متواترين واحداً بعد واحد ﴿ كُلَّما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً ﴾ في الهلاك ﴿ وَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ ﴾: لم يبق منهم إلّا حكايات يُسْمَرُ بها ﴿ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسىٰ وَأَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ ﴾ .

﴿ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً عالِينَ ﴾: متكبّرين .

﴿ فَقالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَقَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ ﴾ .

١ ـ الهامد: الميّت ، والهُمود: الموت ، وفي الأرض أن لا يكون بها حياة ولا عُودٌ ولا نَبْتٌ ولا مطر . القاموس المحيط ١: ٣٦١ (همد) .

٢ ـ القمّي ٢: ٩١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ بولادتها إيّاه من غير مسيس ﴿وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ﴾: إلى مكان مرتفع ﴿ذاتِ قَرارٍ﴾: صالحة للاستقرار ﴿وَمَعِينٍ﴾: ماء ظاهر جارٍ على وجه الأرض.

قال: «الرّبوة: نجف الكوفة، والمعين: الفرات»[1].

وفي رواية: «الرّبوه: حيرة الكوفة وسوادها، والقرار: مسجد الكوفة، والمعين: الفرات»[2].

﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ القمّي: على مذهب واحد[3]. ﴿وَأَنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ في شقّ العصا ومخالفة الكلمة.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: فتحزّبوا وافترقوا، وجعلوا دينهم أدياناً متفرّقة. ﴿زُبُراً﴾: قطعاً ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ من المتحزّبين ﴿بِما لَدَيْهِمْ﴾ من الدّين ﴿فَرِحُونَ﴾: معجبون، معتقِدون أنّهم على الحقّ. القمّي: كلّ من اختار لنفسه ديناً فهو فرِحٌ به[4].

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: في جهالتهم. شبّهها بالماء الّذي يغمر القامة. ﴿حَتّى حِينٍ﴾: إلى أن يقتلوا أو يموتوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم ﴿مِنْ مالٍ وَبَنِينَ﴾.

﴿نُسارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْراتِ﴾: ما فيه خيرهم وإكرامهم ﴿بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ ذلك

١ ـ التهذيب ٦: ٣٨، الحديث: ٧٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٠٨؛ جوامع الجامع: ٣٠٧، عن الباقر والصّادق عليهما السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٩١.

٤ ـ القمّي ٢: ٩١.

استدراج .

ورد: «إنّ الله تعالى يقول: يحزن عبدي المؤمن إذا اقْتَرْتُ عليه شيئاً من الدّنيا ، وذلك أقرب له منّي ، ويفرح إذا بَسطت له الدّنيا ، وذلك أبعد له منّي ثمّ تلا هذه الآية ، ثمّ قال: إنّ ذلك فتنة لهم»[1] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾: من خوف عذابه حَذِرُون .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ شركاً جليّاً ولا خفيّاً .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾: يعطون ما أعْطَوه من العبادة والطّاعة والصّدقات .

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾لأنّ مرجعهم إليه ، أو من أنّ مرجعهم إليه ، وهو يعلم ما يخفى عليهم .

قال: «قلوبهم وجلة ، معناه: خائفة أن لا يقبل منهم»[2] . وقال: «هي إشفاقهم[3] ورجاؤهم ، يخافون أن تردّ عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا الله عزّ ذكره ، ويرجون أن تقبل منهم»[4] . وقال: «يؤتي ما آتى وهو خائف راج»[5] . وفي رواية: «آتوا والله الطّاعة[6] مع المحبّة والولاية ، وهم في ذلك خائفون ، ليس خوفهم خوف شكّ ، ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا»[7] .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٠ ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن رسول الله ﷺ .

٢ ـ المصدر ، عن أبي عبد الله ؈ .

٣ ـ في المصدر: «شفاعتهم» . لعلّ المراد دعاؤهم وتضرّعهم كأنّهم شفعوا لأنفسهم أو طلب الشفاعة من غيرهم أو تضاعف حسناتهم ، ولعلّه تصحيف شفقتهم .

٤ ـ الكافي ٨: ٢٢٩ ، الحديث: ٢٩٤ ، عن أبي عبد الله ؈ .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٠ ، عن أبي عبد الله ؈ .

٦ ـ في المصدر: «آتوا والله مع الطّاعة المحبّة والولاية» .

٧ ـ الكافي ٢: ٤٥٧ ، الحديث: ١٥ ، عن أبي عبد الله ؈ .

﴿أُولٰئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ﴾: يَرْغَبُونَ في الطّاعات أشدّ الرّغبة فيبادرون بها ﴿وَهُمْ لَها سابِقُونَ﴾. قال: «هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يسبقه أحد»[١].

﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلّا وُسْعَها﴾: دون طاقتها، يريد به التّحريضَ[٢] على ما وصف به الصّالحون، وتسهيلَه على النّفوس. ﴿وَلَدَيْنا كِتابٌ﴾ هو صحيفة الأعمال ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بالصّدق، لا يُوجَدُ فيه ما يخالِف الواقع ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة عقاب أو نقصان ثواب.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب الكفرة ﴿فِي غَمْرَةٍ مِنْ هٰذا﴾: في غفلة غامرة. القمّي: يعني من القرآن[٣]. ﴿وَلَهُمْ أَعْمالٌ﴾ خبيثة ﴿مِنْ دُونِ ذٰلِكَ﴾: سوى ما هم عليه من الشّرك ﴿هُمْ لَها عامِلُونَ﴾: معتادون فعلها.

﴿حَتّىٰ إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ﴾: متنعّميهم. القمّي: يعني كبراءهم[٤]. ﴿بِالْعَذابِ﴾. قيل: هو قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: اللّهم اشدد وطأتك على مُضَر[٥]، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف، فابتلاهم بالقحط، حتّى أكلوا الجيفَ والكلابَ، والعظامَ المحترقة والقِدَّ[٦] والأولاد[٧]. ﴿إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾: فاجؤوا الصّراخ بالاستغاثة.

١ ـ القمّي ٢: ٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ في «ج»: «التحريص»، وهي بمعناها.

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٩٢.

٥ ـ قبيلة منسوبة إلى مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان ويقال له «مُضر الحمراء»، ولأخيه «ربيعة الفرس»؛ لأنّهما لمّا اقتسما الميراث أُعطي «مضر» الذهب، وهي تؤنّث. وأُعطي «ربيعة» الخيل. مجمع البحرين ٣: ٤٨٢؛ قاموس المحيط ٢: ١٣٩ (مضر).

٦ ـ في جميع النُّسَخ «القدد» والصحيح ما أثبتناه كما في المصادر.

والقِدُّ ـ بالكسر ـ: سَيْر يُقَدُّ من جلدٍ غير مدبوغ.

والجمع: أَقُدٌّ. الصّحاح ٢: ٥٢٢ (قدد).

٧ ـ جوامع الجامع: ٣٠٨؛ الكشّاف ٣: ٣٦؛ البيضاوي ٤: ٦٨.

﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنّا لا تُنْصَرُونَ﴾.

﴿قَدْ كانَتْ آياتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾: تعرضون مدبرين. والنّكوص: الرّجوع القهقري[1].

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قيل: أي: بالقرآن، ضمّن الاستكبار معنى التّكذيب[2]. ﴿سامِراً﴾ أي: يسمرون[3] بذكر القرآن والطّعن فيه ﴿تَهْجُرُونَ﴾. إمّا مِن الهَجْرِ بمعنى القطيعة أو الهذيان، أي: تُعْرِضون عن القرآن أو تهذون في شأنه؛ وإمّا من الهُجْرِ بالضّمّ بمعنى الفحش.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الرّسول والكتاب.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالأمانة والصّدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التّعلّم، إلى غير ذلك ممّا هو صفة الأنبياء عليهم السلام ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ مع أنّهم يعلمون أنّه أرجحهم عقلاً وأثبتهم نظراً ﴿بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ لأنّه يخالف شهواتِهم وأهواءَهم، فلذلك أنكروه قيل: إنّما قيّد الحكم بالأكثر لأنّه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه، أو لقلّة فطنته وعدم فكرته، لا لكراهة الحقّ[4].

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰواتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: لذهب ما قام به العالَم، فلا يبقى. القمّي: فساد السّماء إذا لم تمطر، وفساد الأرض إذا لم تنبت،

١ ـ في «ألف» و«ج»: «قهقري».
٢ ـ الكشّاف ٣: ٣٦.
٣ ـ سَمَرَ يَسْمُرُ: لم يَنَمْ، والسَّمَرُ: المُسامَرَة، وهو الحديث باللّيل. لسان العرب ٤: ٣٧٦ (سمر).
٤ ـ البيضاوي ٤: ٦٩.

وفساد النّاس في ذلك[١]. ﴿بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: بوعظهم، أو بصيتهم وفخرهم، أو الذّكر الّذي تمنّوه بقولهم: "لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ"[٢]. ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَراجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ قال: «يقول: أم تسألهم أجراً فأجر ربّك خير»[٣]. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ القمّي: إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ﴾: لعادلون عنه؛ فإنّ خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحقّ وسلوك طريقه. القمّي: عن الإمام لحادّون[٥].

وورد «إنّ اللّه تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العبادَ نفسَه، ولكن جعَلَنا أبوابَه وصراطَه وسبيلَه والوجهَ الّذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرَنا فإنّهم عن الصّراط لناكبون»[٦].

﴿وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وَكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ أي: القحط ﴿لَلَجُّوا فِي طُغْيانِهِمْ﴾: لتمادوا في إفراطهم في الكفر، والاستكبار عن الحقّ، وعداوة الرّسول والمؤمنين. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ عن الهدى.

روي: «إنّهم قحطوا حتّى أكلوا العِلْهِزَ[٧]، فجاء أبو سفيان إلى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله فقال: أنشدك اللّه والرّحم، ألستَ تزعم أنّك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين، قتلت الآباء بالسّيف والأبناء

١ـ القمّي ٢: ٩٢.
٢ـ الصّافّات (٣٧): ١٦٨.
٣ـ القمّي ٢: ٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٩٢.
٥ـ القمّي ٢: ٩٣؛ وصوابه: «لحائدون».
٦ـ الكافي ١: ١٨٤، الحديث: ٩، عن أبي عبد اللّه، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.
٧ـ العِلْهِزُ ـ بالكسر ـ طَعامٌ كانوا يتّخذونه من الدّم ووبر البعير في سِنِي المجاعة. الصّحاح ٣: ٨٨٧ (علهز).

بالجوع، فنزلت»[1].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾. القمّي: هو الجوع والخوف والقتل[2]. ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ بل أقاموا على عتوّهم. قال: «الاستكانة هي الخضوع، والتضرّع: رفع اليدين والتضرّع بهما»[3]. وفي رواية: «الاستكانة: الدّعاء، والتضرّع: رفع اليدين في الصّلاة»[4].

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. قال: «وذلك حين دعا النّبيّ صلّى الله عليه وآله عليهم، فقال: اللّهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فجاعوا حتّى أكلوا العِلْهِز، وهو الوبر بالدّم»[5]. وفي رواية: «هو في الرّجعة»[6]. ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: متحيّرون، آيسون من كلّ خير.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ لتحسّوا بها ما نصب من الآيات ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لتتفكّروا فيها، وتستدلّوا بها إلى غير ذلك من المنافع ﴿قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾: تشكرونها شكراً قليلاً، لأنّ العمدة في شكرها استعمالها فيما خُلِقَتْ لأجلها، والإذعان لمُنْعِمِها من غير إشراك.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: خلقكم وبثّكم فيها بالتّناسل ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون بعد تفرقتكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالنّظر

١ ـ جوامع الجامع: ٣٠٩.
٢ ـ القمّي ٢: ٩٤.
٣ ـ الكافي ٢: ٤٨٠، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «الاستكانة هو الخضوع، والتضرّع هو رفع اليدين والتضرّع بهما».
٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ١١٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

والتّأمّل أنّ الكلّ منّا، وأنّ قدرتنا تعمّ كلّ شيء.

﴿بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الأَوَّلُونَ﴾.

﴿قالُوا أَئِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استبعاداً، ولم يتأمّلوا أنّهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فَخُلِقوا.

﴿لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَآباؤُنا هٰذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذا إِلّا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: إلّا أكاذيبهم الّتي كتبوها.

﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ﴾ لأنّ العقل الصّريح اضطرّهم بأدنى نظر بأنّه خالقها ﴿قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أنّ مَنْ فطر الأرض ومن فيها[1] ابتداءً، قدر على إيجادها ثانياً، وأنّ بَدْءَ الخلق ليس بأهون من إعادته.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ فإنّها أعظم من ذلك.

﴿سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته، ولا تُنْكِروا قدرتَه على بعض مقدوراته.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: الملك الّذي وكّل به ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: يُغيثُ من يشاء ويَحْرُسُه ﴿وَلا يُجارُ عَلَيْهِ﴾: ولا يغاث ولا يُحْرَسُ. وتعديته بـ«على» لتضمين معنى النّصرة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: فمن أين تُخْدَعون، فَتُصْرَفون عن الرّشد مع ظهور الأمر وتَظاهُرِ الأدلّة.

﴿بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالحَقِّ﴾ من التّوحيد والوعد بالنّشور ﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ حيث أنكروا ذلك.

١ ـ في «ألف»: «من عليها».

﴿ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ لتقدّسه عن مماثلة أحد ﴿وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ﴾ يُساهِمُه في الألُوهيّة ﴿إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ﴾ واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ﴾ كما هو حال ملوك الدّنيا، فهذا التّدبير المحكم، واتّصاله وقوام بعضه ببعض، يدلّ على صانع واحد. ﴿سُبْحانَ اللهِ عَمّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشّريك.

﴿عالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾. قال: «الغيب: ما لم يكن، والشّهادة: ما قد كان»[1].
﴿فَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿قُلْ رَبِّ إِمّا تُرِيَنِّي﴾: إن كان لابدّ من أن تريني؛ فإنّ «ما» والنّون للتّأكيد. ﴿ما يُوعَدُونَ﴾.

﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظّالِمِينَ﴾: قريناً لهم.

ورد: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد خطبنا يوم الفتح: أيّها النّاس لأعرفنّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولئن فعلتم أضربكم بالسّيف، ثمّ التفت عن يمينه، فقال النّاس: غمزه جبرئيل، فقال له: أو عليّ، فقال: أو عليّ»[2]. وفي رواية: «فنزلت هذه الآية»[3].

أقول: وذلك إنّما يكون في الرّجعة، كما يستفاد من أخبار أُخر[4].

﴿وَإِنّا عَلىٰ أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ﴾ يعني الرّجعة.

﴿اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾. قيل: هي الصّفح عنها، والإحسان في مقابلتها،

١ـ معاني الأخبار: ١٤٦، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ مختصر بصائر الدّرجات: ٢١، مع تفاوت يسير.
٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١١٧؛ شواهد التنزيل ١: ٤٠٤، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٤ـ مختصر بصائر الدّرجات: ١٩؛ بحار الأنوار ٥٣: ٦٦، الحديث: ٦٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السّيّئة ، لما فيه من التّنصيص على التّفضيل[١] . و ورد: «الّتي هي أحسن التّقيّة»[٢] . ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ﴾: بما يصفونك به .

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ﴾: وساوسهم ، وأصل الهمز النّخس .

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ ويحوموا حولي .

﴿حَتّىٰ إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ . متعلّق بـ«يَصِفُونَ» ، وما بينهما اعتراض . ﴿قالَ﴾ تحسّراً على ما فرّط فيه من الإيمان والطّاعة لمّا اطّلع على الأمر: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾: رُدّوني إلى الدّنيا . والواو لتعظيم المخاطب .

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ﴾ . «نزلت في مانع الزّكاة» . كذا ورد[٣] . ﴿كَلّا﴾ ردع عن طلب الرّجعة واستبعاد لها . ﴿إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾ لتسلّط الحسرة عليه ﴿وَمِنْ وَرائِهِمْ﴾: أمامهم ﴿بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ . القمّي: البرزخ أمر بين أمرين ، وهو الثّواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة ، وهو قول الصّادق عليه السلام: «والله ما أخاف عليكم إلّا البرزخ ، وأمّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم»[٤] .

و ورد: «أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النّبيّ المطاع ، أو وصيّ النّبيّ ، ولكن[٥] والله أتخوّف عليكم في البرزخ . قيل: وما البرزخ؟ فقال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»[٦] .

﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام السّاعة ﴿فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ تنفعهم ، من

١ ـ الكشّاف ٣: ٤١ ؛ البيضاوي ٤: ٧١ .
٢ ـ الكافي ٢: ٢١٨ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ الكافي ٣: ٥٠٣ ، الحديث: ٣ و ٥٠٤ ، الحديث: ١١ ؛ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٨٠ ، الحديث: ٥ ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٧ ، جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام .
٤ ـ القمّي ٢: ٩٤ .
٥ ـ في المصدر: «ولكنّي» .
٦ ـ الكافي ٣: ٢٤٢ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

فرط الحيرة واستيلاء الدّهشة، بحيث "يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخيهِ وَأُمِّهِ وَأَبيهِ وَصاحِبَتِهِ وَبَنيهِ"[١] ﴿وَلا يَتَساءَلُونَ﴾: ولا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه. قال: «لا يتقدّم يوم القيامة أحد إلّا بالأعمال»[٢].

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ بالأعمال الحسنة ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ من تلك الأعمال الحسنة ﴿فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: غبنوها، حيث ضيّعوا زمان استكمالها، وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها ﴿فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾: تلهب عليهم، فتحرقهم ﴿وَهُمْ فِيها كالِحُونَ﴾ من شدّة الاحتراق. والكلوح: تقلّص الشّفتين عن الأسنان. القمّي: أي: مفتوحي الفم متربّدي الوجوه[٣].

﴿أَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا﴾: ملكتنا. قال: «بأعمالهم شقوا»[٤]. ﴿وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ﴾.

﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ﴾.

﴿قالَ اخْسَؤُا فِيها﴾: أسكتوا سكوت هوان، فإنّها ليست مقام سؤال ﴿وَلا تُكَلِّمُونِ﴾.

﴿إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

١ ـ عبس (٨٠): ٣٤ ـ ٣٦.

٢ ـ القمّي ٢: ٩٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ المصدر.

٤ ـ التّوحيد: ٣٥٦، الباب: ٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً﴾: هزواً ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم، فلم تخافوني في أوليائي ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا﴾ على أذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الفائِزُونَ﴾.

﴿قالَ﴾ أي: قال اللّٰهُ أو المَلَكُ المأمور بسؤالهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أحياءً وأمواتاً[1] في القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾.

﴿قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصاراً لمدّة لبثهم فيها ﴿فَاسْأَلِ العادِّينَ﴾. القمّي: سل الملائكة الّذين يعدّون علينا الأيّام، ويكتبون ساعاتنا وأعمالنا الّتي اكتسبناها فيها[2].

﴿قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾. توبيخ لهم على تغافلهم.

ورد: «إنّ اللّه لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلّفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد»[3].

وقيل له: خلقنا للفناء. فقال: «مه[4] خلقنا للبقاء، وكيف! وجنّة لا تبيد ونار لا تخمد[5]، ولكن إنّما نتحوّل من دار إلى دار»[6].

﴿فَتَعالَى اللّٰهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ﴾.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ﴾ فإنّ الباطل لا برهان به. نبّه بذلك

١ ـ في «ج»: «أحياءً أو أمواتاً».
٢ ـ القمّي ٢: ٩٥.
٣ ـ علل الشّرائع ١: ٩، الباب: ٩، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ في «ألف»: «فقال له».
٥ ـ في «ب»: «كيف وجنّته لا تبيد وناره لا تخمد».
٦ ـ علل الشّرائع ١: ١١، الباب: ٩، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.

على أنّ التّديّن بما لا دليل عليه ممنوع . فضلاً عمّا دلّ الدّليل على خلافه . ﴿فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فهو مجاز له مقدار ما يستحقّه ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ﴾ .

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ﴾ .



سورة النّور

[مدنيّة، وهي أربع وستّون آية][1]

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها﴾: وفرضنا ما فيها من الأحكام ﴿وَأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتتّقون المحارم.

﴿الزّانِيَةُ وَالزّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾. القمّي: هي ناسخة لقوله: "وَاللّاتي يَأْتينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ"[2].

و ورد: «سورة النّور أُنزلت بعد سورة النّساء، وتصديق ذلك أنّ اللّه عزّوجلّ أنزل في سورة النّساء "وَاللّاتي يَأْتينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ" إلى قوله "لَهُنَّ سَبيلاً" والسّبيل الّذي قال اللّه: "سورة أنزلناها" إلى قوله "من المؤمنين"»[3].

وقال: «الحرّ والحرّة إذا زنيا جلد كلّ واحد منهما مائة جلدة. فأمّا المحصن والمحصنة فعليهما الرّجم»[4].

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٩٥. والآية في سورة النّساء (٤): ١٥.

٣ ـ الكافي ٢: ٣٢ و ٣٣، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي جعفر ﷺ.

٤ ـ الكافي ٧: ١٧٧، الحديث: ٢؛ التّهذيب ١٠: ٣، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه ﷺ.

وقال: «من كان له فرج يغدو عليه ويروح فهو محصن»[١].

و ورد: «الرّجم في القرآن قوله تعالى: الشّيخ والشّيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتّة، فإنّهما قضيا الشّهوة»[٢].

و ورد: «لا يرجم الرّجل والمرأة حتّى يشهد عليهما أربعة شهداء على الجماع والإيلاج والإدخال كالميل في المكحلة»[٣].

﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ﴾ قال: «في إقامة الحدود»[٤]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما﴾ قال: «يقول ضربهما»[٥]. ﴿طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «يجمع لهما النّاس إذا جلدا»[٦]. وفي رواية: «إنّ أقلّها رجل واحد»[٧].

﴿الزّانِي لا يَنْكِحُ إِلّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال: «هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول اللّه صلّى الله عليه وآله مشهورين بالزّنا، فنهى اللّه عن أولئك الرّجال والنّساء، والنّاس اليوم على تلك المنزلة، من شهر شيئاً من ذلك أو أُقيم عليه الحدّ، فلا تزوّجوه حتّى تعرف توبته»[٨].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ﴾: يقذفونهنّ بالزّنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً﴾ وفي حكمهنّ المحصنين، فقد ورد في الرّجل يقذف الرّجل بالزّنا، قال: «يجلد، هو في كتاب اللّه وسنّة نبيّه»[٩]. وفي امرأة قذفت رجلاً، قال: «تجلد

١ـ الكافي ٧: ١٧٩، الحديث: ١٠؛ التّهذيب ١٠: ١٢، الحديث: ٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكافي ٧: ١٧٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ المصدر: ١٨٤، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ التّهذيب ١٠: ١٥٠، الحديث: ٦٠٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٩٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «إذا جلدوا».

٧ـ جوامع الجامع: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ـ الكافي ٥: ٣٥٥، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ الكافي ٧: ٢٠٥، الحديث: ٣؛ التّهذيب ١٠: ٦٥، الحديث: ٢٣٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

ثمانين جلدة»[١] . ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَـهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَأُولـئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ .

﴿إِلّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . سئل كيف تعرف توبته؟ فقال: «يكذّب نفسه على رؤوس الخلائق حين يضرب ، ويستغفر ربّه ، فإذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته»[٢] .

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَـهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَـهُمْ شُـهَداءُ إِلّا أَنْـفُسُهُمْ فَـشَهادَةُ أَحَـدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِـينَ﴾ أي: فيما رماها به من الزّنا .

﴿وَالخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ في الرّمي .

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْها العَذابَ﴾: ويدفع عنها الرّجم ﴿أَنْ تَـشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّـهُ لَمِنَ الكاذِبِينَ﴾ فيما رماني به .

﴿وَالخامِسَةَ أَنَّ غَـضَبَ اللّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصّادِقِـينَ﴾ .

سئل عن هذه الآيات ، فقال: «هو القاذف الّذي يقذف امرأته ، فإذا قذفها ثمّ أقرّ أنّه كذب عليها ، جلد الحدّ وردّت إليه امرأته ، وإن أبى إلّا أن يمضي ، فـليشهد عـليها أربـع شهادات باللّه إنّه لمن الصّادقين ، والخامسة يلعن فيها نفسه إن كـان مـن الكـاذبين ، وإن أرادت أن تدرأ عن نفسها العذاب ـ والعذاب هو الرّجم ـ شهدت "أربع شهادات باللّه إنّه لمن الكاذبين ، والخامسة أنّ غضب اللّه عليها إن كان من الصّادقين" . فإن لم تفعل رجمت ، وإن فعلت درأت عن نفسها الحدّ ، ثمّ لا تحلّ له إلى يوم القيامة»[٣] .

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللّهَ تَـوّابٌ حَكِـيمٌ﴾ لفضحكم ، وعاجلكم

١ ـ الكافي ٧: ٢٠٥ ، الحديث: ٤ ؛ التّهذيب ١٠: ٦٦ ، الحديث: ٢٣٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨ ، الحديث: ١٢١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ الكافي ٧: ٢٤١ ، الحديث: ٧ ؛ التّهذيب ٦: ٢٦٣ ، الحديث: ٦٩٩ ، مضمراً ؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦ ، الحديث: ١٢١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٣ ـ الكافي ٦: ١٦٢ ، الحديث: ٣ ؛ التّهذيب ٨: ١٨٤ ؛ الحديث: ٦٤٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

بالعقوبة. حذف الجواب لتعظيمه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جاءُوا بِالإِفْكِ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: جماعة منكم ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ﴾. استئناف والهاء للإفك. ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لاكتسابكم به الثّواب العظيم ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ بقدر ما خاض فيه ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: معظمه ﴿مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

روي في سبب الإفك: «إنّ عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة فرجعت طالبة له، وحمل هودجها على بعيرها ظنّاً منهم أنّها فيها، فلمّا عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا، وكان صفوان من وراء الجيش، فلمّا وصل إلى ذلك الموضع وعرفها، أناخ بعيره حتّى ركبته وهو يسوقه، حتّى أتى الجيش وقد نزلوا في قائم الظّهيرة»[1].

والقمّي: روت العامّة: أنّها نزلت في عائشة، وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وأمّا الخاصّة فإنّهم رووا: أنّها نزلت في مارية القبطيّة وما رمتها به عائشة. ثمّ ذكر القصّة، وفيها ما فيها[2].

﴿لَوْلا﴾: هلّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقالُوا هٰذا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كما يقول المستيقن المطّلع على الحال. وإنّما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التّوبيخ، وإشعاراً بأنّ الإيمان يقتضي ظنّ الخير بالمؤمنين، والكفّ عن الطّعن فيهم، وذبّ الطّاعنين عنهم كما يذبّون عن أنفسهم.

﴿لَوْلا جاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾. استئناف، أو هو من جملة المقول، تقريراً لكونه كذباً، فإنّ ما لا حجّة عليه مكذّب عند الله، أي في حكمه. ولذلك رتّب عليه الحدّ.

١ـ جوامع الجامع: ٣١٣.
٢ـ القمّي ٢: ٩٩.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ﴾: لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، يعني لولا فضل اللّه عليكم في الدّنيا بأنواع النّعم الّتي من جملتها الإمهال للتوبة، ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّرَيْن لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: خضتم فيه ﴿عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ يستحقر دونه اللّوم والجلد.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يأخذه بعضكم عن بعض بالسّؤال عنه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ﴾ بلا مساعدة من القلوب ﴿ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾: سهلاً ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر واستجرار العذاب.

﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ﴾. تعجّب ممّن يقول ذلك، فإنّ اللّه ينزّه عند كلّ متعجّب من أن يصعب عليه، أو تنزيه للّه من أن يكون حرمة نبيّه فاجرة، فإنّ فجورها تنفير عنه، بخلاف كفرها. ﴿هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ﴾ لعظمة المبهوت عليه.

﴿يَعِظُكُمُ اللّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَيُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ الدّالّة على الشّرائع ومحاسن الآداب، كي تتّعظوا وتتأدّبوا ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. قال: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أُذناه، فهو من الذين قال اللّه عزّوجلّ: "انّ الّذين يحبّون" الآية»[١].

و ورد: إنّه قيل له: الرّجل من إخواني بلغني عنه الشّيء الّذي أكرهه، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال: «كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، وإن شهد عندك خمسون قسامة. وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به

١ ـ الكافي ٢: ٢٥٧، الحديث: ٢؛ الأمالي (للصّدوق): ٢٧٦، المجلس: ٥٤، الحديث: ١٦؛ القمّي ٢: ١٠٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

مروّته، فتكون من الّذين قال اللّه عزّوجلّ: "إنّ الّذين يحبّون" الآية»[1].

و ورد: «من أذاع فاحشة كان كمبتديها»[2].

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾. كرّر المنّة بترك المعاجلة بالعقاب، للدّلالة على عظم الجريمة، وحذف الجواب للاستغناء عنه بذكره مرّة. ﴿وَأَنَّ اللّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾ بإشاعة الفاحشة ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. الفحشاء ما أُفرط في قبحه، والمنكر ما أنكره الشّرع أو[3] العقل. ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيق التّوبة الماحية للذّنوب، وشرع الحدود المكفّرة لها ﴿ما زَكى﴾: ما طهر من دنسها ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلٰكِنَّ اللّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ﴾ بحمله على التّوبة وقبولها ﴿وَاللّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم.

﴿وَلا يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف، من الأليّة، أو ولا يقصّر، من الألو. ﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾ الغنيّ ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ في المال ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَالْمَساكِينَ وَالْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾. قيل: نزلت في جماعة من الصّحابة، حلفوا أن لا يتصدّقوا على من تكلّم بشيء من الإفك، ولا يواسوهم[4]. ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال: «"أُولي القربى" هم قرابة رسول اللّه صلّى الله عليه وآله. يقول يعفو بعضكم عن بعض، ويصفح

١ـ الكافي ٨: ١٤٧، الحديث: ١٢٥؛ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٩٥، الحديث: ١، عن الكاظم عليه السلام.

٢ـ الكافي ٢: ٣٥٦، الحديث: ٢؛ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٩٥، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٣ـ في «ألف»: «والعقل».

٤ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٣٣؛ تفسير البغوي ٣: ٣٣٤، عن ابن عبّاس.

بعضكم بعضاً[١]، فإذا فعلتم كانت رحمة من اللّه لكم، يقول اللّه: "ألا تحبّون" الآية»[٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ﴾ ممّا قذفن به ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ باللّه ورسوله ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ كما طعنوا فيهنّ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بإنطاق اللّه إيّاها بغير اختيارهم.

قال: «وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب. قال: فبرّأه اللّه ما كان مقيماً على الفرية، من أن يسمّى بالإيمان»[٣].

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: جزاءهم المستحقّ ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ لمعاينتهم الأمر ﴿أَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: العادل الظّاهر العدل، الّذي لا جور في حكمه.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾.

قال: «الخبيثات من النّساء للخبيثين من الرّجال، والخبيثون من الرّجال للخبيثات من النّساء، والطّيّبات من النّساء للطّيّبين من الرّجال، والطّيّبون من الرّجال للطّيّبات من النّساء. قال: هي مثل قوله: "الزّاني لا يَنْكِحُ إلّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً"[٤] إلّا أنّ ناساً همّوا أن يتزوّجوا منهنّ فنهاهم اللّه عن ذلك، وكره ذلك لهم»[٥].

والقمّي يقول: الخبيثات من الكلام والعمل للخبيثين من الرّجال والنّساء، يسلّمونهم ويصدّق عليهم من قال: والطّيّبون من الرّجال والنّساء للطّيّبات من الكلام والعمل[٦].

١ ـ في «ب»: «يقول يعفو بعضكم بعضاً، فاذا فعلتم».

٢ ـ القمّي ٢: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٢: ٣٢، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٤ ـ نفس السّورة، الآية: ٣.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٥، عن الباقر والصادق عليهما السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ١٠١.

﴿أُولـٰئِكَ﴾ يعني الطّيّبين والطّيّبات أو الطّيّبين ﴿مُبَرَّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ﴾ فيهم، أو من أن يقولوا مثل قولهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ الّتي تسكنونها ﴿حَتّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾: تستأذنوا؛ من الاستئناس، بمعنى الاستعلام، فإنّ المستأذن مستعلم هل يراد دخوله؛ أو ما يقابل الاستيحاش، فإنّه خائف أن لا يؤذن له. ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِها﴾ بأن تقولوا: السّلام عليكم، ءأدخل؟

قال: «الاستئناس وقع النّعل والتّسليم»[١].

وفي رواية: «يتكلّم بالتّسبيحة والتّحميدة والتّكبيرة، يتنحنح على أهل البيت»[٢].

و ورد: «إنّما الإذن على البيوت، ليس على الدّار إذن»[٣].

﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغتة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: قيل لكم هذا إرادة أن تذكّروا وتعملوا[٤] بما هو أصلح لكم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً﴾ يأذن لكم ﴿فَلا تَدْخُلُوها حَتّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ ولا تلحّوا. ﴿هُوَ أَزْكىٰ لَكُمْ وَاللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ﴾ استمتاع كالاستكنان من الحرّ والبرد، وإيواء الرّجال، والجلوس للمعاملة. قال: «هي الحمّامات والخانات والأَرْحِيَة[٥]، تدخلها بغير إذن»[٦]. ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما تَكْتُمُونَ﴾. وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد، أو تطّلع على عورة.

١ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٤، الحديث: ٦٧٧؛ التّهذيب ٧: ١٥٤، الحديث: ٦٨٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ في «ب» و«ج»: «تعلموا».
٥ ـ الأَرْحِيَة، جمع الرَّحى: معروفة الّتي يُطْحَن فيها. لسان العرب ٥: ١٧٦ (رحا).
٦ ـ القمّي ٢: ١٠١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ﴾ أي: ما يكون نحو محرّمٍ ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أي: من النّظر المحرّم ﴿ذٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ﴾: أطهر لما فيه من البعد عن الرّيبة ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾. قال: «كلّ آية في القرآن في ذكر الفروج فهي من الزّنا إلّا هذه الآية، فإنّها من النظر؛ فلا يحلّ لرجل مؤمن أن ينظر إلى فرج أخيه، ولا يحلّ للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها»[١]. وزاد في رواية: «ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليه[٢]»[٣].

﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلّا ما ظَهَرَ مِنْها﴾. قال: «الزّينة الظّاهرة: الكحل والخاتم»[٤]. وفي رواية: «هي الثّياب والكحل والخاتم وخضاب الكفّ والسّوار»[٥]. وسئل: ما يحلّ للرّجل أن يرى من المرأة، إذا لم تكن محرماً؟ قال: «الوجه والكفّان والقدمان»[٦].

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ستراً لأعناقهنّ ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾. كرّره لبيان من يحلّ له الإبداء ومن لا يحلّ. ﴿إِلّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ﴾.

قال: «الزّينة ثلاث: زينة للنّاس، وزينة للمحرم، وزينة للزّوج. فأمّا زينة النّاس فقد ذكرناها ـ أقول: يعني ما مرّ في الرّواية الثّانية ـ قال: وأمّا زينة المحرم: فموضع القلادة فما فوقها، والدُّمْلُج[٧] وما دونه، والخلخال وما أسفل منه. وأمّا زينة الزّوج: فالجسد

١ ـ القمّي ٢: ١١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ في المصدر: «أن ينظر إليها».
٣ ـ الكافي ٢: ٣٥، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٥: ٥٢١، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ١٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ الكافي ٥: ٥٢١، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «إذا لم يكن محرماً».
٧ ـ الدُّمْلُجُ: المِعْضَدُ. الصّحاح ١: ٣١٦ (دملج).

كلّه»[١].

و ورد: «إنّ للزّوج ما تحت الدّرع، وللإبن والأخ ما فوق الدّرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار»[٢].

﴿أَوْ نِسائِهِنَّ﴾ أي: النّساء المؤمنات. ورد: «لا ينبغي للمرأة أن تنكشف بين[٣] اليهوديّة[٤] والنّصرانيّة، فإنّهنّ يصفن ذلك لأزواجهنّ»[٥].

﴿أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ﴾ قال: «يعني العبيد والإماء»[٦]. و ورد: «لا بأس أن يرى المملوك شعر مولاته وساقها»[٧]. وفي رواية: «لا بأس أن ينظر إلى شعرها إذا كان مأموناً»[٨]. وفي أُخرى: «لا يحلّ للمرأة أن ينظر عبدها إلى شيء من جسدها، إلّا إلى شعرها، غير متعمّد لذلك»[٩].

﴿أَوِ التّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ أي: أولي الحاجة إلى النّساء. قال: «التّابع: الّذي يتبعك وينال من طعامك ولا حاجة له في النّساء، وهو الأبله المولّى عليه»[١٠]. ﴿مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ﴾ لعدم تمييزهم[١١]. من الظّهور، بمعنى الاطّلاع، أو لعدم بلوغهم حدّ الشّهوة. من الظّهور، بمعنى الغلبة.

١ـ القمّي ٢: ١٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٥٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ـ في «ألف»: «ما بين».

٤ـ في المصدر: «ما بين يدي اليهوديّة».

٥ـ الكافي ٥: ٥١٩، الحديث: ٥؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦٦، الحديث: ١٧٤٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٣٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٧ـ الكافي ٥: ٥٣١، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٨ـ المصدر، ذيل الحديث: ٤.

٩ـ المصدر، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

١٠ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٣٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

١١ـ في «ألف»: «تميّزهم».

﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: ليتقعقع خلخالها، فيعلم أنّها ذات خلخال، فإنّ ذلك يورث ميلاً في الرّجال. ﴿وَتُوبُوا إِلى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط، سيّما في الكفّ عن الشّهوات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بسعادة الدّارين.

﴿وَأَنْكِحُوا الأَيامىٰ مِنْكُمْ﴾. هي مقلوب أيايم جمع أيّم، وهو العزب، ذكراً كان أو أُنثى، بكراً كان أو ثيّباً. ﴿وَالصّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ﴾ للنّكاح، أو خصّ الصّالحين، لأنّ إحصان دينهم أهمّ ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾. ورد: «من ترك التّزويج مخافة العيلة فقد أساء ظنّه باللّه، إنّ اللّه يقول "إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ" الآية»[١].

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً﴾ أسبابه ﴿حَتّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قيل: أي: ليجتهدوا في قمع الشّهوة بالرّياضة[٢]؛ كما ورد: «يا معشر الشّبّان من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم؛ فإنّه له وجاء»[٣].

أقول: الباءة: الجماع. والوجاء: أن ترضّ أُنثيا الفحل رضّاً شديداً يذهب بشهوة الجماع. أراد: أنّ الصّوم يقطع النّكاح كما يقطعه الوجاء.

و ورد: «يتزوّجون حتّى يغنيهم اللّه من فضله»[٤]. ولعلّ معناه: يطلبون العفّة بالتّزويج والإحصان، ليصيروا أغنياء، فيكون بمعنى الآية الأُولى. إلّا أنّ هذا التّفسير لا يلائم عدم الوجدان إلّا بتكلّف، ولعلّ لفظة «لا» سقطت من صدر الحديث.

١ـ الكافي ٥: ٣٣١، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن النّبيّ صلوات اللّه عليهم.

٢ـ البيضاوي ٤: ٧١.

٣ـ الكافي ٤: ١٨٠، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٤٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ـ الكافي ٥: ٣٣١، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتابَ﴾: المكاتبة، وهي أن يقول الرّجل لمملوكه: كاتبتُك على كذا، أي: كتبتُ على نفسي عِتْقَك، إذا أدّيتَ كذا من المال. ﴿مِمّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمة ﴿فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾ قال: «إن علمتم لهم مالاً»[١]. وفي رواية: «ديناً ومالاً»[٢]. وفي أُخرى: «الخير أن يشهد أن لا إله إلّا اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه، ويكون بيده عمل يكتسب به، أو يكون له حرفة»[٣]. ﴿وَآتُوهُمْ مِنَ مالِ اللّهِ الَّذِي آتاكُمْ﴾ قال: «أعطوهم ممّا كاتبتموهم به شيئاً»[٤].

﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى البِغاءِ﴾: على الزّنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾: تعفّفاً؛ شرط للإكراه، فإنّه لا يوجد بدونه، وإن جعل شرطاً للنّهي لم يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النّهي بارتفاع المنهيّ عنه. ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ القمّي: كانت العرب وقريش يشترون الإماء، ويضعون عليهم الضّريبة الثّقيلة، ويقولون: اذهبوا وأزْنوا واكتسبوا، فنهاهم اللّه عن ذلك[٥]. ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لهنّ. وفي قراءة الصّادق عليه السلام: «لهنّ غفور رحيم»[٦]. والقمّي: أي: لا يؤاخذهنّ اللّه بذلك إذا أكرهن عليه[٧]. و ورد: «هذه الآية منسوخة، نسختها "فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصِناتِ مِنَ الْعَذابِ"[٨]»[٩].

١ ـ الكافي ٦: ١٨٧، الحديث: ٩؛ التّهذيب ٨: ٢٦٨، الحديث: ٩٧٥؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٧٣، الحديث: ٢٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٦: ١٨٧، الحديث: ١٠؛ التّهذيب ٨: ٢٧٠، الحديث: ٩٨٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٧٨، الحديث: ٢٧٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ لم نعثر على نصّه في الرّوايات، وفي القمّي ٢: ١٠٢ بالمضمون.

٥ ـ القمّي ٢: ١٠٢.

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٩.

٧ ـ القمّي ٢: ١٠٢.

٨ ـ النّساء (٤): ٢٥.

٩ ـ القمّي ٢: ١٠٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وقصّة عجيبة من قصصهم ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾: الظّاهرُ بذاته المُظْهِرُ لهما بما فيهما. قال: «هَدٰى مَنْ في السّموات، وهَدٰى مَنْ في الأرض»[١]. وفي رواية: «هادٍ لأهل السّموات، وهادٍ لأهل الأرض»[٢].

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ قال: «مثل هداه في قلب المؤمن»[٣]. ﴿كَمِشْكٰوةٍ﴾: كمثل مشكاة، وهي الكوّة غير النّافذة ﴿فِيها مِصْباحٌ﴾: سراج ضخم ثاقب ﴿الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ﴾: في قنديل من الزّجاج ﴿الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: مضيء متلألئ. قال: «المشكاة: جوف المؤمن، والقنديل: قلبه، والمصباح: النّور الّذي جعله اللّه فيه[٤]»[٥]. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ بأن رويت ذبالتها[٦] بزيتها. قال: «الشّجرة: المؤمن»[٧]. ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: «على سواء الجبل، إذا طلعت الشّمس طلعت عليها، وإذا غربت غربت عليها»[٨].

أقول: وذلك لأنّها إذا وقع عليها الشّمس طول النّهار، تكون ثمرتها أنضج وزيتها أصفى.

﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾ أي: يكاد يضيء بنفسه من غير نار؛

١ـ التّوحيد: ١٥٥، الباب: ١٥، الحديث: ١، في رواية البرقي.
٢ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ١٠٣، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام.
٤ـ في المصدر: «في قلبه».
٥ـ القمّي ٢: ١٠٣، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام.
٦ـ الذُّبالة: الفتيلة الّتي تُسرَج، والجمع: ذُبال. لسان العرب ٥: ٢٦ (ذبل).
٧ و ٨ـ القمّي ٢: ١٠٣، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام.

لتلألؤه . قال: «يعني يكاد النّور الّذي جعله اللّه في قلبه يضيء وإن لم يتكلّم»[١] . ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: نور متضاعف[٢] . فإنّ نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزّيت ، وزهرة القنديل ، وضبطَ المشكاة لأشعّته . قال: «فريضة على فريضة ، وسنّة على سنّة»[٣] .

أقول: يعني يستمدّ نور قلبه من نور الفرائض والسّنن متدرّجاً .

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: «يهدي اللّه لفرائضه وسننه من يشاء»[٤] . ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً للمعقول إلى المحسوس ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ معقولاً كان أو محسوساً .

قال: «فهذا مثل ضربه اللّه للمؤمن . قال: فالمؤمن يتقلّب في خمسة من النّور: مدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، وكلامه نور ، ومصيره يوم القيامة إلى الجنّة نور»[٥] . وفي رواية: «هو مثل ضربه اللّه لنا»[٦] .

وفي أُخرى: «"مثل نوره" ، قال: محمّد صلى الله عليه وآله "كمشكوة" ، قال: صَدْرُ محمّد صلى الله عليه وآله "فيها مصباح" ، قال: فيه نور العلم ، يعني النّبوّة . "المصباح في زجاجة" ، قال: علم رسول اللّه صلى الله عليه وآله صَدَرَ إلى قلب عليّ عليه السلام . "الزّجاجة كأنّها" ، قال: كأنّه كوكب . إلى قوله: "ولا غربيّة" ، قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام ، لا يهوديّ ولا نصرانيّ . "يكاد زيتها يضيء" ، قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمّد من قبل أن ينطق به . "نور على نور" ، قال: الإمام في أثر الإمام»[٧] .

١ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٢ ـ في «ألف»: «مضاعف» .
٣ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٤ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٥ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٦ ـ التّوحيد: ١٥٧ ، الباب: ١٥ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٧ ـ المصدر ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «"يكاد زيتها يضيء"، يقول: مثل أولادكم الّذين يولدون منكم، مثل الزّيت الّذي يعصر من الزّيتون، يكادون أن يتكلّموا بالنّبوّة؛ ولو لم ينزل عليهم ملك»[١].

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ أي: كمشكاة في بعض بيوت، أو توقد في بيوت. قال: «هي بيوت النّبيّ»[٢]. وفي رواية: «هي بيوتات الأنبياء والرّسل والحكماء وأئمّة الهدى»[٣]. ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ بالتّعظيم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ﴾ قال: «كانوا أصحاب تجارة، فإذا حضرت الصّلاة تركوا التّجارة وانطلقوا إلى الصّلاة؛ وهم أعظم أجراً ممّن لا يتّجر»[٤]. ﴿يَخافُونَ يَوْماً﴾ مع ما هم عليه من الذّكر والطّاعة ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ﴾: تضطرب وتتغيّر من الهول.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مالا يخطر ببالهم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾. تقرير للزّيادة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ﴾: بأرض مستوية ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ ممّا ظنّه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ محاسباً إيّاه ﴿فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾.

روي: «إنّها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أُميّة[٥]، تعبد في الجاهليّة والتمس الدّين، فلمّا

١ ـ الكافي ٨: ٣٨١، ذيل الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٨: ٣٣١، الحديث: ٥١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ المصدر عن أبي عبد الله عليه السلام؛ كمال الدّين ١: ٢١٨، الباب: ٢٢، ذيل الحديث الطّويل: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١١٩، الحديث: ٥٠٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبوالوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهليّة، نشأ يتيماً في حجر حرب بن أُميّة. أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدراً مع المشركين. وكان ضخم الجثّة، عظيم الهامة، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه. الأعلام (للزركلي) ٤: ٢٠٠.

جاء الاسلام كفر»[١].

﴿أَوْ كَظُلُماتٍ﴾ «أو» للتّخيير، فإنّ أعمالهم لكونها لاغيةً لا منفعة لها كالسّراب، ولكونها خاليةً عن نور الحقّ كالظّلمات المتراكمة من لجّ البحر والأمواج والسّحاب؛ أو للتّنويع، فإنّ أعمالهم إن كانت حسنة فكالسّراب، وإن كانت قبيحة فكالظّلمات. ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾: عميق منسوب إلى اللّجّ، وهو معظم الماء ﴿يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ أي: أمواج مترادفة متراكمة ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ﴾ غطّى النّجوم وحجب الأنوار ﴿ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ يعني من كان هناك ﴿لَمْ يَكَدْ يَراها﴾ فضلاً أن يراها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً﴾: لم يقدّر له الهداية، ولم يوفّقه لأسبابها ﴿فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ خلاف الموفّق الّذي له نور على نور.

ورد في تأويله: «"أو كظلمات": الأوّل والثّاني، "يغشيه موج": الثّالث، "من فوقه موج": طلحة والزّبير، "ظلمات بعضها فوق بعض": معاوية ويزيد وفتن بني أُميّة، "إذا أخرج يده": في ظلمة فتنتهم "لم يكد يراها"، "ومن لم يجعل اللّه له نوراً": يعني إماماً من ولد فاطمة عليها السلام، "فما له من نور": من إمام يوم القيامة يمشي بنوره، كما في قوله تعالى: "يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ"[٢] قال: إنّما المؤمنون يوم القيامة "نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ"[٣]، حتّى ينزلوا منازلهم من الجنان»[٤].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صافّاتٍ﴾: واقفات[٥] في الجوّ، مصطفّات الأجنحة في الهواء ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِما

١ ـ البيضاوي ٤: ٨٢.
٢ ـ الحديد (٥٧): ١٢.
٣ ـ التّحريم (٦٦): ٨.
٤ ـ القمّي ٢: ١٠٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ في «ألف»: «واقعات».

يَفْعَلُونَ﴾ . ورد: «ما من طير يصاد في برّ ولا بحر[1] ، ولا يصاد شيء من الوحش ، إلّا بتضييعه التّسبيح»[2] . وقد سبق[3] معنى تسبيح الحيوان والجماد .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَإِلى اللَّهِ المَصِيرُ﴾: مرجع الجميع .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي﴾: يسوق ﴿سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بأن يكون قطعاً ، فيضمّ بعضه إلى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾: متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾: من فتوقه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ﴾: من الغمام ، فإنّ كلّ ما علاك فهو سماء ﴿مِنْ جِبالٍ﴾: من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وجمودها ﴿فِيها مِنْ بَرَدٍ﴾ . بيان للجبال . ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾: بالبرد ﴿مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ﴾ .

ورد: «إنّ اللّه جعل السّحاب غرابيل للمطر ، هي تذيب البرد ماء لكيلا يضرّ شيئاً يصيبه ، والّذي ترون فيه من البرد والصّواعق نقمة من اللّه عزّوجلّ ، يصيب بها من يشاء من عباده»[4] . ﴿يَكادُ سَنابَرْقِهِ﴾: ضوء برقه ﴿يَذْهَبُ بِالأَبْصارِ﴾: بأبصار النّاظرين إليه لفرط الإضاءة .

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ﴾ بالمعاقبة بينهما ، ونقص أحدهما وزيادة الآخر ، وتغيير أحوالهما بالحرّ والبرد ، والظّلمة والنّور ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾: فيما تقدّم ذكره ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصارِ﴾ .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ﴾: كلّ ما يدبّ على الأرض ﴿مِنْ ماءٍ﴾ القمّي: من منيّ[5] ، وقيل: من الماء الّذي جزء مادّته ، إذ من الحيوان ما يتولّد لا من نطفة[6] . ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

١ ـ في المصدر: «في البرّ ولا في البحر» .
٢ ـ القمّي ٢: ١٠٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ ذيل الآية: ٤٤ من سورة الإسراء ، وذيل الآيات: ٤٨ إلى ٥٠ من سورة النّحل .
٤ ـ الكافي ٨: ٢٤٠ ، ذيل الحديث: ٣٢٦ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين ، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله .
٥ ـ القمّي ٢: ١٠٧ .
٦ ـ البيضاوي ٤: ٨٤ .

عَلىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحيّة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطّير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ أَرْبَعٍ﴾ كالنَّعَم والوحش. قال: «ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك»[1]. ﴿يَخْلُقُ اللّٰهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ﴾ للحقائق بأنواع الدّلائل ﴿وَاللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ بالتّوفيق للنّظر فيها، والتّدبّر لمعانيها ﴿إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنّا بِاللّٰهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾: بعد قولهم هذا ﴿وَما أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين عرفتهم، وهم المخلصون في الإيمان الثّابتون عليه.

﴿وَإِذا دُعُوا إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: ليحكم النّبيّ ﴿إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحقّ عليهم، لعلمهم بأنّه لا يحكم لهم؛ وهو شرح للتّولّي ومبالغة فيه.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ لا عليهم ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: منقادين لعلمهم بأنّه يحكم لهم.

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: كفر وميل إلى الظّلم ﴿أَمِ ارْتابُوا﴾ بأن رأوا منك تهمة، فزالت ثقتهم بك ﴿أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ في الحكومة.

﴿بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

﴿إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّٰهَ وَيَتَّقْهِ[2] فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ١٠٧، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ و«يتّقه» عطف على الشّرط المجزوم، أي: ومن يطع الله؛ لأنّ كلمة «من» تتضمّن معنى الشّرط فحذف الياء ←

قال: «نزلت هذه الآيات في أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان، وذلك أنّه كان بينهما منازعة في حديقة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نرضى برسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عبد الرّحمٰن بن عوف[1] لعثمان: لا تحاكم إلى رسول الله، فإنّه يحكم له عليك، ولكن حاكمه إلى ابن شيبة اليهوديّ!! فقال ابن شيبة لعثمان: تأتمنون رسول الله على وحي السّماء وتتّهمونه في الأحكام!! فأنزل الله على رسوله "وإذا دُعوا إلى اللهِ وَرَسُولِه" الآيات»[2].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج عن ديارهم وأموالهم ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا﴾ على الكذب ﴿طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾: المطلوب منكم طاعة معروفة، لا اليمين على الطّاعة النّفاقيّة المنكرة ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ﴾: على محمّد ﴿ما حُمِّلَ﴾ من التّبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ﴾ من الامتثال ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى الحقّ ﴿وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ليجعلنّهم خلفاء بعد نبيّكم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني وصاة الأنبياء بعدهم ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الأعداء ﴿أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ﴾: ارتدّ أو كفر هذه النّعمة

← منها، لأنّ المعطوف بالشّرط المجزوم مجزوم أيضاً، فصار «يتّق»، فاتّصل به هاء السّاكن فصار «يتّقه»، فحسب اللّام المحذوف كأن لم يكن، فصار اللّام حينئذ حرف القاف، فصار القاف مجزوماً، فصار «يتّقه»، فالتقى السّاكنان، أعني القاف والهاء، فكسرت الهاء لدفع التقاء السّاكنين، فصار «يتّقه». كذا إعلاله في الصّرف. منه في نسخة «ب».

١ ـ عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمّد، الزهري القرشي، وهو أحد السّتّة من أصحاب الشّورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، ولد بعد الفيل بعشر سنين، وتوفّى سنة: ٣٢هـ في المدينة. الأعلام (للزركلي) ٣: ٣٢١.

٢ ـ القمّي ٢: ١٠٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿بَعْدَ ذٰلِكَ﴾: بعد حصوله ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾: الكاملون في الفسق.

ورد: «إنّها نزلت في المهديّ من آل محمّد عليهم السلام»[١].

وقال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منّا، وهو مهديّ هذه الأُمّة، وهو الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتّى يلي رجلٌ من عترتي اسمه اسمي، يملأُ الأرضَ عدلاً وقسطاً، كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً»[٢]. وفي معناه أخبار أُخر[٣].

وفي رواية: «هم الأئمّة»[٤]. قال: «ولقد قال الله في كتابه لولاة الأمر من بعد محمّد صلى الله عليه وآله خاصّة: "وَعَدَ اللّٰهُ الّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ" إلى قوله: "فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ" يقول: أستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيّكم، كما استخلف وصاة آدم من بعده، حتّى يبعث النّبيّ الّذي يليه. قال: فقد مكّن ولاة الأمر بعد محمّد بالعلم، ونحن هم؛ فاسألونا، فإن صدقناكم فأقرّوا، وما أنتم بفاعلين»[٥].

أقول: لا تنافي بين الرّوايتين، لأنّ استخلافهم وتمكينهم بالعلم قد حصل، وأمّا تبديل خوفهم بالأمن، فإنّما يكون بالمهديّ عليه السلام.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾: معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم ﴿وَمَأْواهُمُ النّارُ وَلَبِئْسَ المَصِيرُ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾. قال: «هي خاصّة في

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٢، عن أهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ المصدر، عن علي بن الحسين عليهما السلام؛ جوامع الجامع: ٣١٨، عن السّجاد والباقر والصادق عليهم السلام.

٣ ـ كمال الدّين ٢: ٣٥٦، الباب: ٣٣، ذيل الحديث: ٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ الاحتجاج ١: ٣٨٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ١٩٤، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ المصدر: ٢٥٠، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

الرّجال دون النّساء»[١] . وفي رواية: «هم المملوكون من الرّجال والنّساء والصّبيان»[٢] .

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ﴾: الصّبيان من الأحرار . قال: «من أنفسكم»[٣] . ﴿ثَلاثَ مَرّاتٍ﴾ يعني في اليوم واللّيلة ﴿مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ﴾ لأنّه وقت القيام من المضاجع ، وطرح ثياب النّوم ولبس ثياب اليقظة ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ﴾ يعني للقيلولة ﴿مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ . بيان للحين ، أي وقت الظّهر ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ﴾ لأنّه وقت التّجرّد عن اللّباس والالتحاف باللّحاف ﴿ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ﴾ أي: ثلاث أوقات يختلّ فيها تستّركم ؛ وأصل العورة الخلل .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان . قال: «ويدخل مملوككم وغلمانكم من بعد هذه الثّلاث عورات بغير إذن إن شاؤوا»[٤] .

﴿طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هم طوّافون ؛ استئناف لبيان العذر المرخّص في ترك الاستئذان ، وهو المخالطة وكثرة المداخلة ﴿بَعْضُكُمْ﴾: طائف ﴿عَلىٰ بَعْضٍ﴾ هؤلاء للخدمة وهؤلاء للاستخدام ، فإنّ الخادم إذا غاب احتيج إلى الطّلب ، وكذا الأطفال للتّربية . ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ أي: الأحكام ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لكم .

﴿وَإِذا بَلَغَ الأَطْفالُ مِنْكُمُ﴾ أيها الأحرار ﴿الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ يعني في جميع الأوقات ﴿كَما اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الّذين بلغوا من قبلهم من الأحرار المستأذنين في الأوقات كلّها ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ . كرّره تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان .

قال: «ومن بلغ الحلم منكم فلا يلج على أُمّه ، ولا على أُخته ، ولا على خالته ، ولا

١ ـ الكافي ٥: ٥٢٩ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٢ ـ المصدر: ٥٣٠ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ المصدر: ٥٣٠ ، ذيل الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٤ ـ المصدر: ٥٣٠ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

على من سوى ذلك إلّا بإذن، ولا تأذنوا حتّى يسلّم، فإنّ السّلام طاعة لِلّه عزّوجلّ»[١].

﴿وَالْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ﴾: العجائز اللّاتي قعدن من الحيض والتّزويج ﴿اللّاتِي لا يَرْجُونَ نِكاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ﴾ أي: الثّياب الظّاهرة. وفي قراءتهم عليهم السلام «من ثيابهنّ»[٢]. قال: «الخمار والجلباب. قيل: بين يدي من كان؟ قال: بين يدي من كان»[٣]. وفي رواية: «الجلباب وحده[٤]، إلّا أن تكون أمة ليس عليها جناح أن تضع خمارها»[٥]. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ﴾: غير مظهرات زينة ممّا أُمرن بإخفائه، وهو ما عدا الوجه والكفّين والقدمين، وأصل التّبرّج التّكلّف في إظهار ما يخفي. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ من الوضع. قال: «فإن لم تفعل فهو خير لها»[٦]. ﴿وَاللّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهنّ للرّجال ﴿عَلِيمٌ﴾ بمقصودهنّ.

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً﴾: مجتمعين أو متفرّقين؛ نفي لما كانوا يتحرّجون منه.

قال: «وذلك أنّ أهل المدينة قبل أن يُسْلِموا، كانوا يعتزلون الأعمى والأعرج

١ ـ الكافي ٥: ٥٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٣، عن الباقر والصادق عليهما السلام.

٣ ـ الكافي ٥: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ في المصدر: «تضع الجلباب وحده».

٥ ـ الكافي ٥: ٥٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وأنظر ذيل الحديث في التهذيب ٧: ٤٨٠، الحديث: ١٩٢٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ الكافي ٥: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

والمريض ، وكانوا لا يأكلون معهم ، وكان الأنصار فيهم تيه[١] وتكرم ، فقالوا: إنّ الأعمى لا يبصر الطعام ، والأعرج لا يستطيع الزّحام على الطّعام ، والمريض لا يأكل كما يأكل الصّحيح ، فعزلوا لهم طعامهم على ناحية ، وكانوا يرون عليهم في مواكلتهم جناح ، وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلّنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم ، فاعتزلوا من مواكلتهم ، فلمّا قدم النّبيّ عليه السلام سألوه عن ذلك ، فأنزل الله عزّوجلّ "ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً"»[٢].

والقمّي: لمّا هاجر رسول الله عليه السلام إلى المدينة وآخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار ، قال: فكان بعد ذلك إذا بعث أحداً من أصحابه في غزاة أو سريّة ، يدفع الرّجلُ مفتاحَ بيتهِ إلى أخيه في الدّين ويقول له: خُذْ ما شئْتَ ، وكُلْ ما شئْتَ ، فكانوا يمتنعون من ذلك ، حتّى ربّما فسد الطّعام في البيت ، فأنزل الله "ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً" يعني إن حضر صاحبه أو لم يحضر إذا ملكتم مفاتحه[٣].

قيل: "بيوتكم" تشمل بيت الولد[٤]. وقد ورد: «إنّ أطيب ما يأكل المرء من كسبه ، وإنّ ولده من كسبه»[٥]. و ورد: «أنت ومالك لأبيك»[٦].

قال: «هؤلاء الّذين سمّى الله عزّوجلّ في هذه الآية ، يأكل بغير إذنهم من التّمر والمأدوم ، وكذلك تطعم المرأة من منزل زوجها بغير إذنه ، فأمّا ما خلا ذلك من الطّعام فلا»[٧].

١ ـ التّيهُ: الصَّلَف والكِبْر ، لسان العرب ٢: ٧٢ (تيه) .
٢ ـ القمّي ٢: ١٠٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٣ ـ المصدر: ١٠٩ .
٤ ـ البيضاوي ٤: ٨٧ ؛ تفسير أبي السّعود ٦: ١٩٦ بالمضمون .
٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٦ ؛ الكشّاف ٣: ٧٧ ، عن النّبيّ عليه السلام .
٦ ـ الكافي ٥: ١٣٥ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن النّبيّ عليه السلام ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٦ ، عن النّبيّ عليه السلام .
٧ ـ الكافي ٦: ٢٧٧ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، وفيه: «تأكل بغير إذنهم» .

وقال: «للمرأة أن تأكل وأن تتصدّق، وللصّديق أن يأكل من منزل أخيه ويتصدّق»[١]. وقال: «الرّجل له وكيل يقوم في ماله، فيأكل بغير إذنه»[٢]. وقال: «ليس عليك جناح فيما أطعمتَ أو أكلتَ ممّا ملكتَ مفاتحه ما لم تفسده»[٣].

﴿فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً﴾ قال: «هو تسليم الرّجل على أهل البيت حين يدخل، ثمّ يردّون عليه، فهو سلامكم على أنفسكم»[٤]. وقال: «إذا دخل الرّجل منكم بيته فإن كان فيه أحد يسلّم عليهم، وإن لم يكن فيه أحد فليقل: السّلام علينا من عند ربّنا، يقول اللّه: "تحيّةً من عند اللّه مباركة طيّبة"»[٥]. و ورد: «سَلِّمْ على أهل بيتك يكثر خير بيتك»[٦]. ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الخير في الأُمور.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ من صميم قلوبهم ﴿وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلىٰ أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾. القمّي: نزلت في قوم كانوا إذا جمعهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله لأمر من الأُمور، في بعث يبعثه أو في حرب قد حضرت، يتفرّقون بغير إذنه، فنهاهم اللّه عن ذلك[٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾. إنّما أعاده مؤكّداً على أُسلوب أبلغ، ليفيد أنّ المستأذن مؤمن لا محالة، وأنّ الذّاهب بغير إذن ليس كذلك. تنبيهاً على كونه مصداقاً لصحّة الإيمان، ومميّزاً للمخلص عن المنافق، وتعظيماً للجرم.

١ ـ الكافي ٦: ٢٧٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ المصدر، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «الرجل يكون له وكيل...».
٣ ـ المصدر، الحديث: ٤، عن أحدهما عليهما السلام، وفيه: «فيما طعمت...».
٤ ـ معاني الأخبار: ١٦٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ١٠٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ جوامع الجامع: ٣١٩.
٧ ـ القمّي ٢: ١١٠.

﴿فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: ما يعرض لهم من المهامّ ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ بعد الإذن، فإنّ الاستيذان ولو لعذرٍ قصورٌ، لأنّه تقديم لأمر الدّنيا على أمر الدّين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

القمّي: نزلت في حنظلة بن أبي عيّاش[1]، وذلك أنّه تزوّج في اللّيلة الّتي كانت في صبيحتها حَرْبُ أُحُد، فاستأذن رسولَ اللّه صلّى الله عليه وآله أن يقيمَ على أهله، فأنزل اللّه عزّوجلّ هذه الآية: "فأذن لمن شئت منهم" فأقام عند أهله، ثمّ أصبح وهو جنب، فحضر القتال واستشهد، فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله: رأيتُ الملائكةَ تغسل حنظلة بماء المُزْنِ[2] في صحائف فضّة بين السّماء والأرض، فكان سمّى غسيل الملائكة[3].

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ قال: «يقول: لا تقولوا: يا محمّد، ولا يا أبا القاسم، لكن قولوا: يا نبيّ اللّه، ويا رسول اللّه»[4].

و ورد: «قالت فاطمة عليها السلام: لمّا نزلت هذه الآية هبت رسول اللّه صلّى الله عليه وآله أن أقول له: يا أبه، فكنتُ أقول: يا رسول اللّه، فأعرض عنّي مرّة أو ثنتين[5] أو ثلاثاً، ثمّ أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنّها لم تنزل فيك، ولا في أهلك، ولا في نسلك، أنت منّي وأنا منك؛ إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحابِ البَذَخ[6] والكبر، قولي: يا أبه، فإنّها أحيل للقلب،

١ ـ هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أُميّة المعروف بغسيل الملائكة، وكان أبوه في الجاهليّة يعرف بالراهب، وكان يذكر البعث ودين الحنيفة فلمّا بُعث النّبيّ صلّى الله عليه وآله عانده وحسده وخرج عن المدينة وشهد مع قريش وقعة أُحد ثم رجع مع قريش إلى مكّة ثم خرج إلى الروم فمات بها سنة تسع. وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه واستشهد بأُحد؛ لا يختلف أصحاب المغازي في ذلك. الإصابة ٢: ٤٤.

٢ ـ المُزْن: السّحاب عامّة، وقيل: السّحاب ذو الماء. لسان العرب ١٣: ٩٦ (مزن).

٣ ـ القمّي ٢: ١١٠.

٤ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ في «ألف»: «اثنين».

٦ ـ البَذَخ: الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره. لسان العرب ١: ٣٥٠ (بذخ).

وأرضى للرّبّ»[1].

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾: يخرجون قليلاً قليلاً من الجماعة ﴿لِواذاً﴾ ملاوذة، بأن يستتر بعضهم ببعض حتّى يخرج، أو يلوذ بمن يؤذن، فينطلق معه كأنّه تابعه ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: يعصون أمره ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: محنة في الدّنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾. قال: «يسلّط عليهم سلطان جائر أو عذاب أليم في الآخرة»[2]. وفي رواية: «فتنة في دينه أو جراحة لا يأجره اللّه عليها»[3].

﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من المخالفة والموافقة والنّفاق والإخلاص ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يرجع المنافقون إليه أو الكلّ؛ فيكون التفاتاً في الكلام ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.



١ ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٢٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ جوامع الجامع: ٣٢٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٨: ٢٢٣، الحديث: ٢٨١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الفرقان

[مكيّة ، وهي سبع وسبعون آية][1]

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾: تكاثر خيره ، من البركة وهي كثرة الخير . ﴿نَـزَّلَ الْفُـرْقَانَ عَـلَىٰ عَبْدِهِ﴾ . سبق تفسير الفرقان في آل عمران[2] . ﴿لِـيَكُونَ﴾ العبد أو الفـرقان ﴿لِـلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾: للجنّ والإنس منذراً ، أو إنذاراً ، كالنّكير بمعنى الإنكار .

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَـتَّخِذ وَلَداً﴾ كما زعمه النّصارى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما يقوله الثّنويّة ﴿وَخَلَقَ كُـلَّ شَيءٍ فَقَـدَّرَهُ تَـقْدِيراً﴾ . قال: «هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق ، والبقاء والفناء»[3] .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِـهَةً لا يَـخْلُقُونَ شَيْـئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأنّ عبدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم ﴿وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِـهِمْ ضَـرّاً وَلا نَـفْعاً﴾: دفع ضـرّ ولا جـلب نـفع ﴿وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُـشُوراً﴾: ولا يملكون إماتة أحدٍ ولا إحياءه أوّلاً وبَعْثَه ثانياً .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰـذَا﴾ يعنون القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾: كِذْب مصروف عن وجهه .

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ ذيل الآية: ٤ .

٣ ـ القمّي ١: ٢٤ ، عن عليّ بن موسى الرّضاعليه السلام .

قال: «الإفك: الكذب»[١] . ﴿ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ . قال: «يعنون أبافهيكة وحبراً وعداساً وعابساً ؛ مولى حويطب»[٢] . ﴿ فَقَدْ جاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴾ .

﴿ وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾: ما سطره المتقدّمون ﴿ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ . القمّي: هو قول النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة[٣] .

﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لتضمّنه إخباراً عن مغيبات مستقبلة ، وأشياء مكنونة لا يعلمها إلاّ عالِم الأسرار ﴿ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ فلذلك لا يعاجلكم بعقوبته مع كمال قدرته ، واستحقاقكم أن يصبّ عليكم العذاب صبّاً .

﴿ وَقالُوا مالِ هذَا الرَّسُولِ ﴾: ما لهذا الّذي يزعم الرّسالة! . وفيه استهانة وتهكّم . ﴿ يَأْكُلُ الطَّعامَ ﴾ كما نأكل ﴿ وَيَمْشِي فِي الْأَسْواقِ ﴾ لطلب المعاش كما نمشي . والمعنى إن صحّ دعواه ، فما باله لم يخالف حاله حالنا! وذلك لعمههم[٤] وقصور نظرهم على المحسوسات ، فإنّ تميّز الرّسل عمّن عداهم ليس بأمور جسمانيّة ، وإنّما هو بأحوال روحانيّة ، كما أُشير إليه بقوله سبحانه: "قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ"[٥] . ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴾ ليعلم صدقه بتصديق الملك .

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١١١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ، من بني عبد الدّار ، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر ، كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها . له اطّلاع على كتب الفرس وغيرهم . وهو ابن خالة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولمّا ظهر الإسلام استمرّ على عقيدة الجاهليّة وآذى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله كثيراً . وكان إذا جلس النّبيّ مجلساً للتذكير باللّه والتحذير من نقمة اللّه ، جلس النّضر بعده ، فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم واسفنديار ، ويقول: أنا أحسن منه حديثاً! إنّما يأتيكم محمّد بأساطير الأوّلين! . وشهد وقعة بدر مع مشركي قريش ، فأسره المسلمون ، وقتلوه بالأثيل ـ قرب المدينة ـ بعد انصرافهم من الوقعة . وفي الرواية من يرى أنّ النّضر لم يقتل صبراً وإنّما أصابته جراحة ، فامتنع عن الطعام والشراب مادام في أيدي المسلمين ، فمات . الأعلام (للزركلي) ٨: ٣٣ .

٤ ـ العَمَهُ: التّحيُّرُ والتّردّد . الصّحاح ٦: ٢٢٤٢ (عمه) .

٥ ـ الكهف (١٨): ١١٠ .

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: إن لم يُلْقَ إليه كنزٌ فلا أقلّ أن يكون له بستان، كما للدّهاقين والمياسير، فيتعيّش بِرِيْعِه[1] ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾. وضع الظّالمون موضع ضميرهم، تسجيلاً عليهم بالظّلم فيما قالوه. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: سحر فغلب على عقله.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ قال: «إلى أن يثبتوا عليك عمى بحجّة»[2].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدّنيا ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ ولكن أخّره إلى الآخرة، لأنّه خير وأبقى ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ فقصرت أنظارهم على الحطام الدّنيويّة، فظنّوا أنّ الكرامة إنّما هي بالمال، وطعنوا فيك بفقرك ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾: إذا كانت بمرأى منهم ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قال: «من مسيرة سنة»[3].

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾: صوت تغيّظ ﴿وَزَفِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ القمّي: مقيّدين بعضهم مع بعض[4]. ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: هلاكاً، أي: يتمنّون هلاكاً وينادونه.

﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لأنّ عذابكم أنواع كثيرة.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾: حقيقاً بأن

١ ـ الرَّيْعُ: النَماءُ والزّيادة. الصّحاح ٣: ١٢٢٣ (ريع).

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٠٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ القمّي ٢: ١١٢؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٦٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ١١٢.

يسأل، أو سأله النّاس بقولهم: "رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ"[١]. كذا قيل[٢].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَيَقُولُ﴾ للمعبودين ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هٰؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾.

﴿قالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَّخِذَ﴾. في قراءتهم عليهم السلام بضمّ النّون وفتح الخاء[٣]. ﴿مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآباءَهُمْ﴾ بأنواع النّعم، واستغرقوا في الشّهوات ﴿حَتّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾: حتّى غفلوا عن ذكرك، والتّذكّر لآلائك، والتّدبّر في آياتك ﴿وَكانُوا قَوْماً بُوراً﴾: هالكين.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾. التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول، والمعنى: فقد كذّبكم المعبودون ﴿بِما تَقُولُونَ﴾: في قولكم. إنّهم آلهة، وهؤلاء أضلّونا ﴿فَما تَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: المعبودون ﴿صَرْفاً﴾: دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلا نَصْراً﴾ فيعينكم عليه ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً﴾.

﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ﴾. جواب لقولهم: "ما لِهٰذَا الرَّسُولِ". ﴿وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: ابتلاء، ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء، والمرسَلين بالمرسَل إليهم، ومناصبتهم لهم العداوة وإيذاؤهم لهم؛ وهو تسلية للنّبيّ على ما قالوه بعد نقضه. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: لنعلم أيّكم يصبر ﴿وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ بمن يصبر ومن لا يصبر.

﴿وَقالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا﴾ لكفرهم بالبعث ﴿لَوْلا﴾: هلّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ﴾ فيخبرونا بصدق محمّد، أو يكونون رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرىٰ رَبَّنا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتّباعه ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في شأنها ﴿وَعَتَوْا﴾: وتجاوزوا الحدّ

١ ـ آل عمران (٣): ١٩٤.

٢ ـ الكشّاف ٣: ٨٤؛ البيضاوي ٤: ٩٠.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٦٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

في الظّلم ﴿عُتُوّاً كَبِيراً﴾: بالغاً أقصى مراتبه ، حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها ، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدّت دونه مطامح النّفوس القدسيّة .

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ لاَ بُشْرىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾: يستعيذون منهم ، ويطلبون من اللّه أن يمنع لقاءهم ، وهي ممّا كانوا يقولون عند لقاء عدوّ أو هجوم مكروه .

﴿وَقَدِمْنا إِلىٰ ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً﴾ . قال: «إن كانت أعمالهم لأشدّ بياضاً من القَباطِيّ[1] ، فيقول اللّه عزّ وجلّ لها: كوني هباء ، وذلك أنّهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه»[2] .

﴿أَصْحابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً﴾: مكاناً يستقرّ فيه ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾: مكاناً يُؤوى إليه للاسترواح من القيلولة . قال: «لا ينتصف ذلك اليوم حتّى يقيل أهل الجنّة في الجنّة ، وأهل النّار في النّار»[3] .

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ﴾: تتشقّق ﴿بِالْغَمامِ﴾: بسبب طلوع الغمام منها ﴿وَنُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلاً﴾ . وقد مرّ في سورة البقرة "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ في ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلٰئِكَةِ"[4] .

﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكانَ يَوْماً عَلَى الكافِرِينَ عَسِيراً﴾ .

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ﴾ من فرط الحسرة . القمّي: الأوّل.[5] ﴿يَقُولُ يا

١ ـ القَباطِيّ ـ بفتح القاف وقد يضمّ ـ: ثياب بيض رقيقة من كتّان تجلب من مصر . واحدها: قُبْطِي ، نسبة إلى القِبْط ، وهم أهل مصر . الصّحاح ٣: ١١٥١ ؛ مجمع البحرين ٤: ٢٦٦ (قبط) .

٢ ـ الكافي ٥: ١٢٦ ، الحديث: ١٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٦٧ ، عن ابن عباس وابن مسعود .

٤ ـ البقرة (٢): ٢١٠ .

٥ ـ القمّي ٢: ١١٣ .

لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ قال: «عليّاً وليّاً»[١].

﴿يا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً﴾. القمّي: يعني الثّاني[٢].

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾. القمّي: يعني الولاية[٣]. ﴿بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ﴾ القمّي: وهو الثّاني[٤]. ﴿لِلْإِنْسانِ خَذُولاً﴾.

في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «ولئن تقمّصها دوني الأشقيان، ونازعاني فيما ليس لهما بحقّ، وركباها ضلالة، واعتقداها جهالة، فلبئس ما عليه وردا، ولبئس ما لأنفسهما مهدا[٥]، يتلاعنان في دورهما، ويتبرّأ كلّ منهما من صاحبه[٦]؛ يقول لقرينه إذا التقيا: "يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ"[٧] فيجيبه الأشقى على وثوبه[٨]: يا ليتني لم أتّخذك خليلاً، لقد أضللتني عن الذّكر بعد إذ جاءني، وكان الشّيطان للإنسان خذولاً. فأنا الذّكر الّذي عنه ضلّ، والسّبيل الّذي عنه مالَ، والإيمان الّذي به كفر، والقرآن الّذي إيّاه هجر، والدّين الّذي به كُذِّب، والصّراط الّذي عنه نكب»[٩].

وقال: «إنّ اللّه ورّى أسماء من اغترّ وفتن خلقه وضلّ وأضلّ، وكنّى عن أسمائهم في هاتين الآيتين»[١٠].

﴿وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ بأن تركوه وصدّوا عنه.

١ ـ القمّي ٢: ١١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ و ٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ١١٣.
٥ ـ في المصدر: «مهّدا».
٦ ـ في «ألف»: «تبرّأ كلّ منهما صاحبه». وفي المصدر: «يتبرّأ كلّ واحد منهما من صاحبه».
٧ ـ الزّخرف (٤٣): ٣٨.
٨ ـ في المصدر: «على رثوثة».
٩ ـ الكافي ٨: ٢٧، الحديث: ٤، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.
١٠ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ المُجْرِمِينَ﴾ كما جعلناه لك، فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هادِياً وَنَصِيراً﴾ لك عليهم.

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ﴾ أي: أُنزل عليه ﴿جُمْلَةً واحِدَةً﴾: دفعة واحدة، كالكتب الثّلاثة ﴿كَذٰلِكَ﴾ أنزلناه مفرّقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾: لِنُقوّي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه، وبنزول جبرئيل به حالاً بعد حال ﴿وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً﴾: وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهّل.

﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ سؤال عجيب، كأنّه مثل في البطلان، يريدون به القدح في نبوّتك ﴿إِلّا جِئْناكَ بِالحَقِّ﴾ الدّامغ له في جوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾: وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ إِلىٰ جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

سئل: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «إنّ الّذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»[١].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هٰرُونَ وَزِيراً﴾ يؤازره في الدّعوة وإعلاء الكلمة.

﴿فَقُلْنا اذْهَبا إِلَى القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً﴾ أي: فذهبا إليهم فكذّبوهما؛ فدمّرناهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آيَةً﴾: عبرة ﴿وَأَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾.

﴿وَعاداً وَثَمُودَ﴾: وجعلناهم آية أيضاً ﴿وَأَصْحابَ الرَّسِّ﴾. قال: «إنّهم كانوا قوماً

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٧٠، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

يعبدون شجرة صنوبر، يقال لها: "شاه درخت"، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها: "روشاب"، كانت أنبتت لنوح عليه السلام بعد الطّوفان، وإنّما سمّوا أصحاب الرّسّ لأنّهم رسّوا نبيّهم في الأرض، وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام ـ قال: ـ فأهلكوا بريح عاصفة[١] شديدة الحمرة، تحيّروا فيها وذعروا منها، وتضامّ بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد، وأظلّتهم سحابة سوداء، فألقت عليهم كالقبّة جمراً يلتهب، فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النّار»[٢]. ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً﴾.

﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾: بيّنّا له القصص العجيبة، إعذاراً وإنذاراً. فلمّا أصرّوا أهلكوا ﴿وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً﴾ فتّتناه[٣] تفتيتاً، ومنه التّبر، لفتات الذّهب والفضّة. قال: «يعني كسّرنا تكسيراً. قال: هي لفظة بالنّبطيّة»[٤].

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني قريشاً، مرّوا مراراً في متاجرهم إلى الشّام ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾. قال: «هي سَدُوم[٥] قرية قوم لوط، أمطر الله عليهم حجارة من سجّيل، يقول: من طين»[٦]، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في مرار مرورهم، فيتّعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله ﴿بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ فلذلك لم ينظروا ولم يتّعظوا، فمرّوا بها كما مرّت ركابهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾.

١ ـ في «ألف» والمصدر: «بريح عاصف».

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٥ ـ ٢٠٨، الباب: ١٦، الحديث: ١؛ علل الشرائع ١: ٤٠ ـ ٤٣، الباب: ٣٨، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٣ ـ الفَتُّ: الدَّقُّ والكسر بالأصابع والشَّقُّ في الصَّخْرة. القاموس المحيط ١: ١٥٩ (فتت).

٤ ـ القمّي ٢: ١١٤؛ ومعاني الأخبار: ٢٢٠، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ سَدُوم ـ فعول، من السَّدَم، وهو الندم مع غمّ ـ بلدة من أعمال حلب، معروفة عامرة عندهم، وهي من مدائن قوم لوط. معجم البلدان ٣: ٢٠٠.

٦ ـ القمّي ٢: ١١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿إِنْ كادَ﴾: إنّه كاد ﴿لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا﴾: ليصرفنا عن عبادتها ﴿لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها﴾: ثبتنا عليها، واستمسكنا بعبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه، لا يسمع حجّة ولا يتبصّر دليلاً ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾: حفيظاً تمنعه عن الشّرك والمعاصي وحاله هذا؛ فالاستفهام الأوّل للتّقرير والتّعجيب، والثّاني للإنكار.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فتهتمّ بشأنهم، وتطمع في إيمانهم ﴿إِنْ هُمْ إِلّا كَالْأَنْعامِ﴾ في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم، وعدم تدبّرهم فيما شاهدوا من الدّلائل والمعجزات ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ من الأنعام؛ لأنّها تنقاد من يتعهّدها، وتميّز من يحسن إليها ممّن يسيء، وتطلب ما ينفعها وتتجنّب ما يضرّها، وهؤلاء لا ينقادون لربّهم، ولا يعرفون إحسان الرّحمٰن من إساءة الشّيطان، ولا يطلبون الثّواب الّذي هو أعظم المنافع، ولا يتّقون العقاب الّذي هو أشدّ المضارّ؛ ولأنّها لو لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شرّاً، بخلاف هؤلاء، ولأنّ جهالتها لا تضرّ بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدّي إلى هيج الفتن وصدّ النّاس عن الحقّ؛ ولأنّها غير متمكّنة من تحصيل الكمال، فلا تقصير منها ولا ذمّ، وهؤلاء مقصّرون مستحقّون أعظم العقاب على تقصيرهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ﴾: ألم تنظر إلى صنعه؟! ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: كيف بسطه. قال: «الظّلّ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس»[1]. قيل: وهو أطيب الأحوال. فإنّ الظّلمة الخالصة تنفر الطّبع وتسدّ النّظر، وشعاع الشّمس يسخن الهواء ويبهر البصر، ولذلك وصف به الجنّة فقال "وَظِلٍّ مَمْدُودٍ"[2] ﴿وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ بأن يجعل الشّمس مقيمة على

١ـ القمّي ٢: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٤: ٩٥. والآية في سورة الواقعة (٥٦): ٣٠.

وضع واحد ﴿ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ فإنّه لا يظهر للحسّ[١] حتّى تطلع، فيقع ضوؤها على بعض الأجرام، فلولاها لَما عرف الظّلّ، ولا يتفاوت إلّا بسبب حركتها.

﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا﴾ أي: أزلناه بإيقاع الشّمس موقعه، لمّا عبّر عن إحداثه بالمدّ، بمعنى التّسيير، عبّر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الّذي هو في معنى الكفّ. ﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾: قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشّمس، لتنتظم بذلك مصالح الكون، ويتحصّل به ما لا يحصى من منافع الخلق.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً﴾. شبّه ظلامه باللّباس في ستره. ﴿وَالنَّوْمَ سُباتاً﴾: راحةً للأبدان بقطع المشاغل ﴿وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً﴾ ينتشر فيه النّاس للمعاش؛ وفيه إشارة إلى أنّ النّوم واليقظة أُنموذج للموت والنّشور.

قال: «كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون»[٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً﴾: مبشّرات، وبالنّون أي: ناشرات للسّحاب ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: قدّام المطر ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾: مطهّراً أو بليغاً في الطّهارة.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً﴾: بلداً ﴿مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ﴾ قيل: صرّفنا هذا القول بين النّاس في القرآن وسائر الكتب، أو المطر بينهم في البلدان المختلفة، والأوقات المتغايرة، والصّفات المتفاوتة من وابل وطلّ[٣] وغيرهما[٤]. قال: «ما أتى على أهل الدّنيا يوم واحد منذ خلقها الله إلّا والسّماء فيها

١ ـ في «ألف»: «فانّه لا يحسّ».

٢ ـ روضة الواعظين: ٥٣؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٥: ٢٦١، ذيل الآية: ٤٢ من سورة الزمر، مع تفاوت يسير، عن النّبيّ ﷺ.

٣ ـ الوابل: المطر الشّديد. والطّلّ: أضعف المطر. الصّحاح ٥: ١٨٤٠، ١٧٥٢ (وبل ـ طلل).

٤ ـ الكشّاف ٣: ٩٦؛ البيضاوي ٤: ٩٦.

تمطر، فيجعل اللّه ذلك حيث يشاء»[1]. ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: ليتفكّروا ويعرفوا كمال القدرة وحقّ النّعمة في ذلك، ويقوموا بشكره، ويعتبروا بالصّرف عنهم وإليهم.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾: إلّا كفران النّعمة وقلّة الاكتراث لها، أو جحودها بأن يقولوا: أمطرنا بنوء[2] كذا، من غير أن يروه من اللّه، ويجعلوا الأنواء وسائطَ مسخّراتٍ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً﴾: نبيّاً ينذر أهلها، فتخفّ عليك أعباء النّبوّة، لكن قصرنا الأمرَ عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرّسل، فَقابِلْ ذلك بالثّبات والاجتهاد في الدّعوة، وإظهار الحقّ.

﴿فَلَا تُطِعِ الكافِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه ﴿وَجاهِدْهُمْ بِهِ﴾ بترك طاعتهم ﴿جِهاداً كَبِيراً﴾ يعني أنّهم يجتهدون في إبطال حقّك، فَقابِلْهُمْ بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحةِ باطلهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنِ﴾: خلّاهما متلاصقَين، بحيث لا يتمازجان ﴿هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ﴾: بليغ العذوبة[3] ﴿وَهٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾: بليغ الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً﴾: حاجزاً من قدرته ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ القمّي: حراماً محرّماً أن يغيّر واحد منهما طعم الآخر[4].

١ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣٣، الحديث: ١٤٩٦، عن النّبيّ ﷺ.

٢ ـ النَّوْء: النجم ـ والجمع: أنواء ونوآن ـ وهي ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السّنة، يسقط منها كلّ ثلاث عشرة ليلة نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين مع انقضاء السّنة. وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع الآخر قالوا: لابدّ أن يكون عند ذلك رياح ومطر، فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى النجم الّذي يسقط حينئذ، فيقولون: «مطرنا بنوء كذا». ويسمّى نَوْءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب، ناء الطالع بالمشرق بالطلوع، وذلك النهوض هو النوء، فسمّي النّجم به. وعن أبي جعفر ﷺ قال: «ثلاثة من عمل الجاهليّة: الفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، والاستسقاء بالأنواء. راجع: معاني الأخبار: ٣٢٦؛ مجمع البحرين ١: ٤٢٢؛ الصّحاح ١: ٧٩ (نوأ).

٣ ـ في «ألف»: «الفروتة» وهي بمعناه.

٤ ـ القمّي ٢: ١١٥.

أقول: وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقّه، فتجري في خلاله فراسخ لا يتغيّر طعمها.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً﴾: ذكوراً ينسب إليهم ﴿وَصِهْراً﴾: إناثاً يصاهر بهنّ ﴿وَكانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾.

قال: «إنّ اللّه خلق آدم من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه، فَبَرَأها[1] من أسفل أضلاعه، فجرى بذلك الضّلع بينهما سبب ونسب، ثمّ زوّجها إيّاه، فجرى بينهما بسبب ذلك صهر، فذلك قوله: "نَسَباً وَصِهْراً" فالنّسب ما كان بسبب الرّجال، والصّهر ما كان بسبب النّساء»[2].

وفي رواية نبويّة: «خلق اللّه عزّوجلّ نطفة بيضاء مكنونة، فنقلها من صلب إلى صلب، حتّى نقلت النّطفة إلى صلب عبد المطّلب، فجعل نصفين، فصار نصفها في عبد اللّه ونصفها في أبي طالب، فأنا من عبد اللّه وعليّ من أبي طالب، وذلك قول اللّه عزّوجلّ: "وَهُوَ الّذي خَلَقَ" الآية»[3].

وفي حديث عليّ عليه السلام: «ألا وإنّي مخصوص في القرآن بأسماء، احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم، أنا الصّهر يقول اللّه عزّوجلّ: "وَهُوَ الّذي خَلَقَ" الآية»[4].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾: يظاهر الشّيطان في العداوة والشّرك.

القمّي: قد يسمّى الإنسان ربّاً، كقوله تعالى: "أُذْكُرْني عِنْدَ رَبّكَ"[5] وكلّ مالكٍ لشيء يسمّى ربّه، فقوله تعالى: "وكانَ الكافِرُ عَلىٰ رَبِّهِ ظَهيراً" فالكافر: الثّاني، وكان على

١ ـ بَرَأها: خَلَقَها. المصباح المنير ١: ٦٠ (برى).
٢ ـ الكافي ٥: ٤٤٢، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام؛ القمّي ٢: ١١٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ روضة الواعظين ١: ٧١؛ تفسير فرات: ٢٩٢، الحديث: ٣٩٤، مع تفاوت في اللّفظ.
٤ ـ معاني الأخبار: ٥٩، ذيل الحديث: ٩، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.
٥ ـ يوسف (١٢): ٤٢.

أمير المؤمنين صلوات الله عليه ظهيراً[1].

﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾.

﴿قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرّسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ الإطاعة، مَنْ شاء التّقرّبَ إلى الله، جعل ذلك أجراً من حيث إنّه مقصود.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ في استكفاء شرورهم والإغناء عن أُجورهم ﴿عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ فإنّه الحقيق بأن يتوكّل عليه دون الأحياء الّذين يموتون، فإنّهم إذا ماتوا ضاع من توكّل عليهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: ونزّهه عن صفات النّقصان، مثنياً عليه بأوصاف الكمال، طالباً لمزيد الإنعام بالشّكر على سوابقه ﴿وَكَفىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً﴾ ما ظهر منها وما بطن، فلا عليك إن آمنوا أو كفروا.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾. قد سبق الكلام فيه في سورة الأعراف[2]، ولعلّ ذكره لزيادة تقرير، لكونه حقيقاً بأن يتوكّل عليه، من حيث إنّه الخالق للكلّ والمتصرّف فيه، وتحريض[3] على الثّبات والتّأنّي في الأمر، فإنّه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره، خلق الأشياء على تؤدة وتدرّج.

﴿الرَّحْمٰنُ﴾ خبر لـ "الّذي"، أو لمحذوف، أو بدل من المستكن في "اسْتَوىٰ".

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾: فاسأل عمّا ذكر من الخلق والاستواء، أو عن أنّه هو الرّحمن.

روي: «إنّ اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر الله عنه، فقال سبحانه: "فاسئل به خبيراً"»[4].

١ ـ القمّي ٢: ١١٥، مع تفاوت يسير.

٢ ـ ذيل الآية: ٥٤.

٣ ـ في «ألف»: «تحريص».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٧٦.

والسّؤال كما يعدّى بـ"عن" لتضمّنه معنى التّفتيش ، يعدّى بالباء لتضمّنه معنى الاعتناء ، ويجوز أن يكون صلة "خبيراً" ؛ والخبير هو اللّه تعالى ، أو جبرئيل ، أو الرّسل الماضون في عالَم الأرواح كقوله: "واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا"[١] ، أو مَنْ وجده في الكتب المتقدّمة ، ليصدّقك فيه . وقيل: الضّمير للرّحمن ، والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على اللّه ، فَاسْأَلْ عنه من يُخبرك من أهل الكتاب ، ليعرفوا مجيءَ ما يرادفه في كتبهم[٢] .

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَمَا الرَّحْمنُ﴾ لأنّهم ما كانوا يُطْلقونه على اللّه ، أو لأنّهم ظنّوا أنّه أراد به غيرَه تعالى . القمّي قال: جوابه: "الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ"[٣] . ﴿أَنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَزادَهُمْ نُفُوراً﴾ .

﴿تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً﴾ . قد سبق تفسير البروج في الحجر[٤] . ﴿وَجَعَلَ فِيها سِراجاً﴾ يعني الشّمس لقوله: "وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً"[٥] ﴿وَقَمَراً مُنِيراً﴾ باللّيل .

قال: «يسبحان في فلك يدور بهما دائبين ، يطلعهما تارة ويؤفلهما أُخرى ، حتّى تعرف عدّة الأيّام والشّهور والسّنين ، وما يستأنف من الصّيف والرّبيع والشّتاء والخريف ، أزمنة مختلفة باختلاف اللّيل والنّهار»[٦] .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً﴾ يخلف كلّ منهما الآخر ، بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يفعل فيه . قال: «يعني أن يقضي

١ ـ الزّخرف (٤٣): ٤٥ .
٢ ـ الكشّاف ٣: ٩٨ ؛ البيضاوي ٤: ٩٨ .
٣ ـ القمّي ٢: ١١٥ ، والآية في سورة الرّحمن (٥٥): ١ ـ ٤ .
٤ ـ ذيل الآية: ١٦ .
٥ ـ نوح (٧١): ١٦ .
٦ ـ نور الثّقلين ٤: ٢٥ ؛ بحار الأنوار ٣: ١٩٦ ، ذيل الحديث الطّويل المشتهر بالاهليلجة ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

الرّجل ما فاته باللّيل بالنّهار، وما فاته بالنّهار باللّيل»[١].

﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾. قال: «هو الرّجل يمشي بسجيّته الّتي جبل عليها، لا يتكلّف ولا يتبختر»[٢]. وفي رواية: «هم الأوصياء، مخافة من عدوّهم»[٣]. ﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾: تسليماً منكم ومتاركة لكم، لا خير بيننا ولا شرّ.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً﴾ في الصّلاة.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً﴾ قال: «ملازماً لا يفارق»[٤].

دلّت الآية على أنّهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق، واجتهادهم في عبادة الحق، وَجِلونَ من العذاب، مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم، لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ولا وثوقهم على استمرار أحوالهم.

﴿إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾. القمّي: الإسراف: الإنفاق في المعصية في غير حقّ[٥]. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ القمّي: لم يبخلوا عن حقّ الله عزّوجلّ[٦]. ﴿وَكانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَواماً﴾. القمّي: والقوام العدل، والإنفاق فيما أمر الله به[٧]. و ورد: «من أعطى في غير حقّ فقد أسرف، ومن منع من حقّ فقد قتر»[٨].

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ قتلها

١ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٥، الحديث: ١٤٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٧٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ الكافي ١: ٤٢٧، الحديث: ٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «من مخافة عدوّهم».
٤ ـ القمّي ٢: ١١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ و ٦ و ٧ ـ المصدر: ١١٧.
٨ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٧٩، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثاماً﴾ جزاء إثم.

﴿يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً﴾.

﴿إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

قال: «إذا كان يوم القيامة تجلّى اللّه عزّوجلّ لعبده المؤمن، فيقفه[1] على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثمّ يغفر له؛ لا يُطلع اللّه على ذلك ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً، ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد، ثمّ يقول لسيّئاته: كوني حسنات»[2].

﴿وَمَنْ تابَ وَعَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ مَتاباً﴾ القمّي: يقول: لا يعود إلى شيء من ذلك بإخلاص ونيّة صادقة[3].

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾. قال: «هو الغنا»[4]. وزاد القمّي: ومجالس اللّهو[5].

﴿وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾ معرضين عنه، مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه. قال: «هم الّذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنّوا عنه»[6].

﴿وَالَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمّاً وَعُمْياناً﴾ قال: «مستبصرين، ليسوا بشكّاك»[7].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بتوفيقهم للطّاعة، فإنّ المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة اللّه، سرّ به قلبه وقرّ بهم عينه.

ورد: «هذه الآية واللّه خاصّة في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، كان أكثر دعائه يقول: "ربّنا

١ ـ في المصدر: «فيوقفه».

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٣٣، الباب: ٣١، الحديث: ٥٧.

٣ و ٥ ـ القمّي ٢: ١١٧.

٤ ـ الكافي ٦: ٤٣٣، الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٨١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ ـ الكافي ٨: ١٧٨، الحديث: ١٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

هب لنا من أزواجنا" يعني فاطمة، "وذرّيّاتنا" يعني الحسن والحسين "قرّة أعين"، قال أمير المؤمنين عليه السلام: واللّه ما سألت ربّي ولداً نضير الوجه، ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربّي ولداً مطيعين للّه، خائفين وجلين منه، حتّى إذا نظرتُ إليه وهو مطيع للّه قرّتْ به عيني»[1].

﴿وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إماماً﴾ قال: «نقتدي بِمَنْ قَبْلَنا من المتّقين، فيقتدي المتّقون بنا من بعدنا»[2]. وفي رواية: «إنّما أنزل اللّه: واجعل لنا من المتّقين إماماً»[3].

﴿أُولئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ﴾: أعلى موضع الجنّة ﴿بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾.

﴿خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً﴾.

﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ قال: «يقول: ما يفعل ربّي بكم»[4]. ﴿لَوْلا دُعاؤُكُمْ﴾.

سئل: كثرة القراءة أفضل أو كثرة الدّعاء؟ قال: «كثرة الدّعاء أفضل. وقرأ هذه الآية»[5].

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما أخبرتكم به ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً﴾: جزاء التّكذيب لازماً، يحيق بكم لا محالة.

١ و ٢ ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٨٠، عن سعيد بن جبير.

٣ ـ القمّي ٢: ١١٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ١١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة الشّعراء

[مكيّة ، وهي مائتان وسبع وعشرون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿طسٓمٓ﴾ .

﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ﴾ .

﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ﴾: قاتل ﴿نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً﴾: دلالة ملجئة إلى الإيمان ، وبليّة قاسرة عليه ﴿فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾: منقادين .

قال: «سيفعل الله ذلك بهم . قيل: من هُمْ؟ قال: بنو أُميّة وشيعتهم . قيل: وما الآية؟ قال: ركود الشّمس ما بين زوال الشّمس إلى وقت العصر ، وخروج صدر[2] ووجه في عين الشّمس يعرف بحسبه ونسبه ، وذلك في زمان السّفياني ، وعندها يكون بواره وبوار قومه»[3] .

وفي رواية يصف فيها القائمعليه السلام : «ينادي مناد من السّماء يسمعه جميع أهل الأرض

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ في المصدر: «وخروج صدر الرّجل» .

٣ ـ الإرشاد (للمفيد): ٣٥٩ ، باب علامات قيام القائمعليه السلام ، عن أبي جعفرعليه السلام .

بالدّعاء إليه . يقول: ألا إنّ حجّة اللّه قد ظهر عند بيت اللّه فاتّبعوه ، فإنّ الحقّ معه وفيه ، وهو قول اللّه عزّوجلّ: "إن نشأ ننزّل عليهم" الآية»[1] .

﴿وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ .

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي: بالذّكر بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبهم ، بحيث أدّى بهم إلى الاستهزاء به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من أنّه كان حقّاً أم باطلاً ، وكان حقيقاً بأن يصدّق ويعظم قدره ، أو يكذّب فيستخفّ أمره .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾: أو لم ينظروا إلى عجائبها ﴿كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿كَرِيمٍ﴾: كثير المنفعة .

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾ على أنّ منبتها تامّ القدرة والحكمة ، سابغ النّعمة والرّحمة ﴿وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿الرَّحِيمُ﴾ حيث أمهلهم .

﴿وَإِذْ نادىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾ بالكفر ، واستعباد بني إسرائيل ، وذبح أولادهم .

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿أَلا يَتَّقُونَ﴾ . تعجيب من إفراطهم في الظّلم واجترائهم .

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ .

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ إِلىٰ هٰرُونَ﴾ ليقوى به قلبي .

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: تبعة ذنب ، وهو قتل القبطيّ ؛ سمّاه ذنباً على زعمهم .

﴿فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به ، قبل أداء الرّسالة .

﴿قالَ كَلّا فَاذْهَبا﴾ إجابة له إلى الطّلبتين ، يعني ارتدع يا موسى عمّا تظنّ ، فاذهب

١ ـ كمال الدّين ٢: ٣٧٢ ، الباب: ٣٥ ، ذيل الحديث: ٥ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

أنت والّذي طلبته ﴿بِآيَاتِنا إنّا مَعَكُمْ﴾ يعني موسى وهٰرون وفرعون ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لما يجري بينكما وبينه، فاظهركما عليه.

﴿فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إنّا رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ﴾. أفرد الرّسول، لأنّه مصدر وصف به.

﴿أنْ أرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسْرائِيلَ﴾: خلّهم يذهبوا معنا إلى الشّام.

﴿قالَ﴾ أي: فرعون لموسى بعد أن أتياه، فقالا له ذلك ﴿ألَمْ نُرَبِّكَ فِينا﴾: في منازلنا ﴿وَلِيداً﴾: طفلاً ﴿وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطيّ ﴿وَأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ قال: «يعني كفرت نعمتي»[1].

﴿قالَ فَعَلْتُها إذاً وَأنَا مِنَ الضّالِّينَ﴾ قيل: من الجاهلين أو[2] الضّالّين عن طريق النّبوّة[3]. وسئل عن ذلك، مع أنّ الأنبياء معصومون، فقال: «من الضّالّين عن الطّريق، بوقوعي إلى مدينة من مدائنك»[4].

أقول: لعلّ المراد أنّه ورّى لفرعون، فقصد الضّلال عن الطّريق، وفهم فرعون منه الضّلال عن الحقّ، فإنّ الضّلال عن الطّريق لا يصلح عذراً للقتل.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾: حكمة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أنْ عَبَّدْتَ بَنِي إسْرائِيلَ﴾ أي: وتلك التّربية نعمة تمنّها عليّ بها ظاهراً، وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل، وقصدهم بذبح أبنائهم، فإنّه السّبب

١ ـ القمّي ٢: ١١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ في «ألف»: «والضّالّين».

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٨٧.

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.

في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك، ويحتمل تقدير همزة الإنكار، أي: أو تلك نعمة تمنّها عليّ، وهي أن عبّدت.

﴿قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ العالَمِينَ﴾ لمّا سمع جواب ما طعن به فيه، ورأى أنّه لم يرعو بذلك، شرع في الاعتراض على دعواه، فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل.

﴿قالَ رَبُّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾. عرّفه بأظهر خواصّه وآثاره، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته[١]: «الّذي سُئلَتِ الأنبياءُ عنه، فلم تصفه بحدّ ولا ببعض[٢]، بل وصفته بفعاله، ودلّت عليه بآياته»[٣]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ علمتم ذلك. ﴿قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾ قال: «فقال متعجّباً لأصحابه: "ألا تستمعون" أسأله عن الكيفيّة، فيجيبني عن الحقّ»[٤].

أقول: يعني بالحقّ، التّحقّق[٥] والثّبوت.

﴿قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾. عدل إلى ما لا يشكّ في افتقاره إلى مصوّر حكيم وخالق عليم، ويكون أقرب إلى النّاظر وأوضح عند التّأمّل.

﴿قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر.

﴿قالَ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما﴾: تشاهدون كلّ يوم أنّه يأتي بالشّمس من المشرق ويذهب بها إلى المغرب على وجه نافع، ينتظم به أُمور الخلق ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك.

﴿قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ﴾. عدل إلى التّهديد بعد

١ ـ في «ب»: «في خطبة».

٢ ـ أي: بكونه محدوداً بحدود جسمانيّة أو عقلانيّة أو بأجزاء وأبعاض خارجيّة أو عقليّة. وقيل: أي لم يحسبوا بحدّ ولا يبعض حدّ، وهو الحدّ الناقص كالجواب بالفصل القريب دون الجنس القريب. مرآة العقول ٢: ١٠٦.

٣ ـ الكافي ١: ١٤١، الحديث: ٧.

٤ ـ القمّي ٢: ١١٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ في «ب»: «التحقيق».

الانقطاع، وهكذا دَيْدَنُ المعاند المحجوج.

﴿قالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ أي: أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين على[1] صدق دعواي؟! يعني المعجزة، فإنّها الجامعة بين الدّلالة على وجود الصّانع وحكمته، والدّلالة على صدق مدّعي نبوّته.

﴿قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾: ظاهر الثّعبانيّة.

قال: «فالتقمت الإيوان بلَحْيَيْها، فدعاه أن يا موسى أقلني إلى غد، ثمّ كان من أمره ما كان»[2].

وفي رواية: «فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلّا هرب، ودخل فرعون من الرّعب مالم يملك نفسه، فقال: يا موسى! أنشدك بالله وبالرّضاع إلّا ما كففتها عنّي، فكفّها. قال: فلمّا أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهمّ بتصديقه، فقام إليه هامان فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ صرت تابعاً لعبد!»[3]

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ قال: «قد حال شعاعها بينه وبين وجهه»[4].

﴿قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فائق في علم السّحر.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَماذا تَأْمُرُونَ﴾ بَهَرَه[5] سلطان المعجز، حتّى حطّه عن دعوى الرّبوبيّة إلى مؤامرة القوم وائتمارهم.

١ـ لم ترد كلمة «على» في «ألف» و«ج».
٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ١١٩، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٤ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ بَهَرَه: غلبه وفضّله. المصباح المنير ١: ٨١ (بهر).

﴿قالُوا أَرْجِهْ وَأَخاهُ﴾: أَخِّرْ أمرهما.

﴿وَابْعَثْ فِي المَدائِنِ حاشِرِينَ﴾ شرطاً يحشرون السّحرة.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفضلون عليه في هذا الفنّ.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ لما وقّت به من ساعات يوم معيّن، وهو وقت الضّحى من يوم الزّينة، كما سبق في سورة طه[1].

﴿وَقِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

﴿لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ أي: في دينهم، ومقصودهم أن لا يتّبعوا موسى ﴿إِنْ كانُوا هُمُ الغالِبِينَ﴾.

﴿فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ﴾. ﴿قالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾. ﴿قالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾. ﴿فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الغالِبُونَ﴾.

﴿فَأَلْقىٰ مُوسىٰ عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع[2] ﴿ما يَأْفِكُونَ﴾: ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم، فيخيّلون حبالهم وعصيّهم أنّها حيّات تسعى.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ﴾ لعلمهم بأنّ مثله لا يتأتّى بالسّحر.

﴿قالُوا آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسىٰ وَهٰرُونَ﴾. إبدال للتّوضيح ودفع التّوهّم، والإشعار على أنّ الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما.

﴿قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فعلّمكم شيئاً دون شيء، ولذلك غلبكم. أراد به التّلبيس على قومه، كي لا يعتقدوا أنّهم آمنوا على بصيرة وظهور حقّ ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبالَ فعلكم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

١ ـ ذيل الآية: ٥٩.

٢ ـ في «ألف»: «تبلع».

مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿قالُوا لا ضَيْرَ﴾: لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنّا إِلىٰ رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾ بما توعدنا إليه .

﴿إِنّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنّا﴾: لأن كنّا ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من أهل المشهد .

﴿وَأَوْحَيْنا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي﴾ وذلك بعد سنين يدعوهم إلى الحقّ ويظهر لهم الآيات ؛ فلم يزيدوا إلّا عتوّاً ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾: يتّبعكم فرعون وجنوده .

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ﴾ . قال: «فخرج موسى ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر ، فجمع فرعون أصحابه وبعث في المدائن حاشرين العساكر ليتّبعوهم ، وحشر النّاس ، وقدّم مقدّمته في ستمائة ألف ، وركب هو في ألف ألف وخرج»[١] .

﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ على إرادة القول . قال: «يقول عصبة قليلة»[٢] .

﴿وَإِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ﴾: لفاعلون ما يغيظنا .

﴿وَإِنّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ﴾: لَجمْع عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأُمور .

﴿فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾: المنازل الحسنة والمجالس البهيّة .

﴿كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ .

﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شروق الشّمس .

﴿فَلَمّا تَراءَى الْجَمْعانِ﴾: تقاربا بحيث رأى كلّ منهما الآخر ﴿قالَ أَصْحابُ مُوسىٰ إِنّا لَمُدْرَكُونَ﴾: لملحقون .

﴿قالَ كَلّا﴾: لن يدركوكم ، فإنّ الله وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالحفظ والنّصرة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النّجاة منهم .

١ ـ القمّي ٢: ١٢١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ المصدر: ١٢٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿فَأَوْحَيْنا إِلىٰ مُوسىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ أي: ضرب فانفلق ﴿فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ قال: «أي: كالجبل المنيف»[1] الثّابت في مقرّه، فدخلوا في شعابها.

﴿وَأَزْلَفْنا﴾: وقرّبنا ﴿ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه، حتّى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنْجَيْنا مُوسىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة حتّى عبروا.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ بإطباقه[2] عليهم.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾ وأيّة آية ﴿وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وما تنبّه عليها أكثرهم، إذ لم يؤمن بها أحد ممّن بقي في مصر من القبط، وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها، واتّخذوا العجل وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً﴾[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنتقم من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ﴾. ﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ﴾. ﴿قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ﴾. ﴿قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ على عبادتكم لها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ من أعرض عنها.

﴿قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. ﴿قالَ أَفَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾. ﴿أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ يريد عدوّ لكم، ولكنّه صوّر الأمر في نفسه تعريضاً لهم، فإنّه أنفع في النّصح من التّصريح، والبداءة بنفسه في النّصيحة أدعى للقبول. ﴿إِلّا رَبَّ الْعالَمِينَ﴾ استثناء منقطع أو متّصل، على أنّ الضّمير لكلّ معبود عبدوه، وكان من آبائهم

١ ـ القمّي ٢: ١٢٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «كالجبل العظيم».
٢ ـ أطبق الشيء: غطّاه. الصّحاح ٤: ١٥١٢ (طبق).
٣ ـ البقرة (٢): ٥٥.

من عبد اللّه.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ لأنّه يهدي كلّ مخلوق لما خلق له من أُمور المعاش والمعاد، هداية متدرّجة من مبدأ الإيجاد إلى منتهى أجله. كما قال: "الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ"[١].

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. إنّما لم ينسب المرض إليه لأنّ مقصوده تعديد النّعم، ولأنّه في غالب الأمر إنّما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه، وفي أوامر اللّه تعالى ونواهيه، كما قال اللّه سبحانه: "مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ"[٢].

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ عدّ الموت من جملة النّعم، وأضافه إلى اللّه، لأنّه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحابّ الّتي تُستحقر دونها الحياة الدّنيويّة، وخلاص من أنواع المحن والبليّة ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ذكر ذلك هضماً لنفسه وتعليماً للأُمّة، أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر، وطلب لأن يغفر لهم ما يفرّط منهم، واستغفار لما عسى يندر منه من خلاف الأولى، وحمل الخطيئة على كلماته الثّلاث: "إِنِّي سَقِيمٌ"[٣]، "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ"[٤]، و«هي أُختي»[٥] لا وجه له؛ لأنّها معاريض وليست بخطايا.

١ ـ ليست بعين هذه الألفاظ آية في القرآن، وهذه متّخذة من آيتين في سورة طه والسجدة. وهذا نصّهما: ﴿الّذي أعطىٰ كُلَّ شيءٍ خَلْقَه ثُمَّ هَدىٰ﴾ طه (٢٠): ٥٠؛ ﴿الّذي أحسنَ كلّ شيء خَلَقَهُ﴾ السّجدة (٣٢): ٧.

٢ ـ الشّورى (٤٢): ٣٠.

٣ ـ الصّافّات (٣٧): ٨٩.

٤ ـ الانبياء (٢١): ٦٣.

٥ ـ قال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبّار من الجبابرة، فقيل له: إنّ هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن

←

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾: كمالاً في العلم والعمل، استعدّ به لخلافة الحقّ ورياسة الخلق ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: ووفّقني للكمال في العمل، لأنتظم به في عداد الكاملين في الصّلاح.

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ قيل: أي: جاهاً وحسن صيت في الدّنيا يبقى أثره إلى يوم الدّين، ولذلك ما من أُمّة إلّا وهم له محبّون وعليه يثنون[١].

ورد: «لسان الصّدق للمرء يجعله الله في النّاس، خيراً له من المال يأكله ويورّثه»[٢].

وقيل: بل يعني واجعل صادقاً من ذرّيّتي يجدّد ديني، ويدعو النّاس إلى ما كنت أدعوهم إليه؛ وهو محمّد[٣] وعليّ والأئمّة من ذرّيّتهما عليهم السلام.

القمّي: هو أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ في الآخرة وقد سبق[٥] معنى الوراثة فيها.

﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾ بالهداية والتّوفيق للإيمان ﴿إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ طريق الحقّ؛ وإنّما دعا له بالمغفرة لما وعده بأنّه سيؤمن، كما قال الله عزّ وجلّ: "وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ"[٦].

﴿وَلا تُخْزِنِي﴾ بمعاتبتي على ما فرّطت؛ من الخزي بمعنى الهوان، أو من الخزاية بمعنى الحياء ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾. الضّمير للعباد، لأنّهم معلومون.

← النّاس، فأرسل إليه وسأله عنها، فقال: من هذا؟ قال: أُختي. فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وانّ هذا سألني فأخبرته أنّك أُختي فلا تكذبيني. قصص الأنبياء (لابن كثير): ١٤٩، نقلاً عن البخاري.

١ ـ البيضاوي ٤: ١٠٦.

٢ ـ الكافي ٢: ١٥٤، الحديث: ١٩، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٠٦.

٤ ـ القمّي ٢: ١٢٣.

٥ ـ ذيل الآية: ١٠ ـ ١١، من سورة المؤمن.

٦ ـ التّوبة (٩): ١١٤.

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ﴾ .

﴿إِلّا مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: لا ينفعان أحداً إلّا مخلصاً سليم القلب .

قال: «هو القلب الّذي سلم من حبّ الدّنيا»[١] .

وفي رواية: «هو الّذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه . قال: وكلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط ، وإنّما أرادوا بالزّهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم إلى الآخرة»[٢] .

﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بحيث يرونها في الموقف ، فيتبجّحون بأنّهم المحشورون إليها .

﴿وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغاوِينَ﴾: مكشوفة يتحسّرون على أنّهم المسوقون إليها .

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ .

﴿مِنْ دُونِ اللّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ .

﴿فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالغاوُونَ﴾ أي: الآلهة وعبدتهم . والكبكبة: تكرير الكبّ[٣] لتكرير معناه ، كأنّ من أُلقي في النّار ينكبّ مرّة بعد أُخرى ، حتّى يستقرّ في قعرها . قال: «هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره»[٤] .

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ قال: «ذرّيّته من الشّياطين»[٥] ﴿أَجْمَعُونَ﴾ .

﴿قالُوا وَهُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ﴾ .

﴿تَاللّهِ إِنْ كُنّا﴾: إنّه كنّا ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ .

﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمِينَ﴾: أطعناكم كما أطعنا اللّه .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٩٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ الكافي ٢: ١٦ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٣ ـ كَبَبْتُ فلاناً كَبّاً: ألقيته على وجهه . مجمع البحرين ٢: ١٥١ (كبب) .

٤ ـ الكافي ٢: ٣٠٠ ، الحديث: ٤ ؛ القمّي ٢: ١٢٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ المصدر: ٣١ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ قال: «يعني المشركين الّذين اقتدوا بهم هؤلاء، فاتّبعوهم على شركهم، وهم قوم محمّد صلّى الله عليه وآله ليس فيهم من اليهود والنّصارى أحد»[١].

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ قال: «الأئمّة»[٢].

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ قال: «من المؤمنين»[٣]. قال: «والله لنشفعنّ في المذنبين من شيعتنا، حتّى يقول[٤] أعداؤنا إذا رأوا ذلك: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم"»[٥].

و ورد: «إنّ الرّجل يقول في الجنّة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم! فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنّة[٦]، فيقول من بقي في النّار: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم"»[٧].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القمّي: من المهتدين؛ لأنّ الإيمان قد لزمهم بالإقرار[٨].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لحجّة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: القادر على تعجيل الانتقام ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال، لكي يؤمنوا هم أو واحد من ذرّيّتهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾. قال: «إنّه[٩] قدّم على قوم مكذّبين للأنبياء الّذين

١ ـ الكافي ٢: ٣١، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ و ٣ ـ المحاسن: ١٨٤، الباب: ٤٥، الحديث: ١٨٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ في المصدر: «حتّى يقولوا».
٥ ـ القمّي ٢: ١٢٣، عن الباقر والصادق عليهما السلام.
٦ ـ في «ب» و«ج»: «في الجنّة»، ولم ترد في «ألف»، وما أثبتناه من المصدر.
٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٩٥، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله.
٨ ـ القمّي ٢: ١٢٣.
٩ ـ في المصدر: «لكنّه».

كانوا بينه وبين آدم»[1].

﴿إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ اللّه، فتتركوا عبادة غيره.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من التّوحيد والطّاعة للّه.

﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على ما أنا عليه من الدّعاء والنّصح ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. كرّره للتّأكيد والتّنبيه على دلالة كلّ واحد من أمانته وحسم طمعه، لوجوب طاعته فيما يدعوهم إليه، فكيف إذا اجتمعا؟!

﴿قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾: الأقلّون مالاً وجاهاً، يعني أهل الطّمع في مال أو رفعة.

﴿قالَ وَما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إنّهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة، وما عليّ إلّا اعتبار الظّاهر.

﴿إِنْ حِسابُهُمْ إِلّا عَلىٰ رَبِّي﴾ فإنّه المطّلع على البواطن ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لعلمتم ذلك، ولكنّكم تجهلون، فتقولون ما لا تعلمون.

﴿وَما أَنَا بِطارِدِ المُؤْمِنِينَ﴾. جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم، وتوقيف إيمانهم على ذلك، حيث جعلوا اتّباعهم المانع عنه.

﴿إِنْ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لا يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ﴾: من المشتومين، أو المضروبين بالحجارة.

﴿قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

١ ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث الطّويل: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿فَافْتَحْ﴾: فاحكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾. قال: «المشحون: المجهّز الّذي قد فرغ منه، ولم يبق إلّا دفعه»[١].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الباقِينَ﴾. ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ﴿كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ قيل: أي بكلّ مكان مرتفع[٢]. ﴿آيَةً﴾: عَلَماً للمارّة، أو بناء لا تحتاجون إليه ﴿تَعْبَثُونَ﴾ ببنائه، لاستغنائكم بالنّجوم للاهتداء في أسفاركم، وبمنازلكم للسّكنى.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ﴾ قيل: مآخذ الماء[٣] وقيل: قصوراً مشيّدة وحصوناً[٤]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ فتحكمون بنيانها.

ورد: «كلّ[٥] بناء يبنى وَبالٌ على صاحبه يوم القيامة إلّا ما لابدّ منه»[٦].

﴿وَإِذا بَطَشْتُمْ﴾ بسوط أو سيف ﴿بَطَشْتُمْ جَبّارِينَ﴾: متسلّطين غاشمين[٧]، بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة. القمّي: يقتلون بالغضب من غير استحقاق[٨].

١ ـ القمّي ٢: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٩٨؛ البيضاوي ٤: ١٠٧.
٣ و ٤ ـ المصدرين السابقين؛ والكشّاف ٣: ١٢٢.
٥ ـ في المصدر: «إنّ لكلّ».
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٩٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ ـ الغَشْم: الظلم. القاموس المحيط ٤: ١٥٨ (غشم).
٨ ـ القمّي ٢: ١٢٣.

﴿فَاتَّقُوا اللّهَ﴾ بترك هذه الأشياء ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه .

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ﴾: بما تعرفونه من أنواع النّعم .

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ﴾ . ﴿وَجَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ . ﴿إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

﴿قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الواعِظِينَ﴾ فإنّا لا نرعوي عمّا نحن عليه .

﴿إِنْ هذا﴾ الّذي جئت به ﴿إِلّا خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: عادتهم إن ضَمَمْتَ الخاء ، أو كذبهم إن فَتَحْتَها ؛ أو المعنى إنْ هذا الّذي نحن عليه إلّا عادة الأوّلين ، ونحن بهم مقتدون ؛ أو ما خَلْقنا هذا إلّا خَلْقهم ، نحيا ونموت مثلهم ، ولا بعث ولا حساب . كذا قيل[1] .

﴿وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْناهُمْ﴾ بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ . ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ﴾ . ﴿إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ . ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ . ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ . ﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلَى رَبِّ العالَمِينَ﴾ .

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي ما هٰهُنا آمِنِينَ﴾ . إنكار لأن يتركوا كذلك ، أو تذكير بالنّعمة في تخلية اللّه إيّاهم ، وأسباب تنعّمهم .

﴿فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ﴾: لطيف ليّن ، أو متدلٍّ منكسر من كثرة الحمل .

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ﴾: حاذقين ، وبحذف الألف: بطرين .

١ ـ البيضاوي ٤: ١٠٨ ؛ الكشّاف ٣: ١٢٢ .

﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ﴾. ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾.

﴿قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ﴾ القمّي يقول: أجوف مثل خلق النّاس، ولو كنت رسولاً ما كنت مثلنا[1].

أقول: يعني من ذوى السَّحْر، وهي الرّئة، فما بعده تأكيد له.

﴿ما أَنْتَ إِلّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾.

﴿قالَ هٰذِهِ ناقَةٌ﴾ أي: بعدما أخرجه اللّه من الصّخرة بدعائه، كما اقترحوها؛ على ما سبق ذكره[2]. ﴿لَها شِرْبٌ﴾: نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها.

﴿وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَعَقَرُوها﴾: «أسند العقر إلى كلّهم؛ لأنّ عاقرها إنّما عقر برضاهم، ولذلك أخذوا جميعاً». كذا ورد[3]. ﴿فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ﴾ على عقرها عند معاينة العذاب.

﴿فَأَخَذَهُمُ العَذابُ﴾ قال: «فما كان إلّا أن خارَتْ[4] أرضهم بالخسفة خُوارَ السِّكَّةِ المُحْماة[5] في الأرض الخَوّارة[6]»[7]. ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ﴾. ﴿إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ

١ ـ القمّي ٢: ١٢٥.

٢ ـ في تفسير الآية: ٧٩، من سورة الأعراف.

٣ ـ نهج البلاغة: ٣١٩، الخطبة: ٢٠١.

٤ ـ خارت: صوّتت كخُوار الثور.

٥ ـ السِّكَّة المُحْماة: حديدة الحراث إذا أُحمِيَتْ في النار فهي أسرع غوراً في الأرض.

٦ ـ الخَوّارَة: السهلة اللّيِّنة.

٧ ـ نهج البلاغة: ٣١٩، الخطبة: ٢٠١.

وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمِينَ﴾. ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العالَمِينَ﴾. ﴿وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ﴾.

﴿قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخْرَجِينَ﴾: من المنفيّين من بين أظهرنا.

﴿قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالِينَ﴾: من المبغضين غاية البُغْض.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من شؤمه وعذابه.

﴿فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلّا عَجُوزاً﴾ هي امرأته ﴿فِي الغابِرِينَ﴾: مقدّرة في الباقين في العذاب.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ﴾: أهلكناهم.

﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾: حجارة ﴿فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ﴾. قد مرّت قصّتهم في الأعراف[1].

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحابُ لْئَيْكَةِ المُرْسَلِينَ﴾ الأيكة: غيضة[2] تنبت ناعم الشّجر.

﴿إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ «فإنّه أُرسل إليهم كما أُرسل إلى مدين». كذا ورد[3].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعونِ﴾. ﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

١ـ ذيل الآية: ٨٤.

٢ـ الغَيْضَة: الأجَمَة، وهي مغيض ماءٍ يجتمع، فينبت فيه الشّجر، والجمع: غِياض وأغياض. الصّحاح ٣: ١٠٩٧ (غيض).

٣ـ جوامع الجامع: ٣٣٢؛ الكشّاف ٣: ١٢٦ و١٢٧ ذيل الآية: ١٨٩.

مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ العالَمِينَ ﴾ . ﴿ أَوْفُوا الكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ ﴾ . ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ ﴾ .

﴿ وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطّريق .

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالجِبِلَّةَ ﴾ : ذوي الجبلّة ﴿ الأَوَّلِينَ ﴾ القمّي: والخلق الأوّلين[١] .

﴿ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ ﴾ .

﴿ وَما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ ﴾ .

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ ﴾ : قطعة منها ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ ﴾ .

﴿ قالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ القمّي: يوم حرّ وسمائم[٢] . فبلغنا ـ والله أعلم ـ: أنّه أصابهم حرّ وهم في بيوتهم ، فخرجوا يلتمسون الرّوح من قِبَل السّحابة الّتي بعث الله فيها العذاب ، فلمّا غشيتهم أخذتهم الصّيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين[٣] . وقيل: فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا[٤] . ﴿ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ . ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ ﴾ .

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ : جبرئيل ، فإنّه أمين الله على وحيه .

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ١٢٣ .

٢ ـ المصدر: ١٢٤ ، سطر ١ . والسّمائم ، جمع السّموم: الرّيح الحارّة . لسان العرب ٦: ٣٧٣ (سمم) .

٣ ـ القمّي ٢: ١٢٥ ، سطر ١٨ .

٤ ـ الكشّاف ٣: ١٢٧ ؛ البيضاوي ٤: ١٠٩ .

﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ قال: «يبيّن الألسنَ ولا تبيّنه الألسنُ»[١].

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ قيل: أي: معناه، أو ذكره[٢].

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ على صحتّه ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾: أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾.

﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لفرط عنادهم، واستنكافهم من اتّباع العجم.

قال: «لو نزّلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب، وقد نزّل على العرب فآمنت به العجم»[٣].

﴿كَذٰلِكَ سَلَكْناهُ﴾: أدخلنا معانيه ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ثمّ لم يؤمنوا به عناداً.

﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ تحسّراً وتأسّفاً.

﴿أَفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ بقولهم: "فَأْتِنا بِما تَعِدُنا"[٤] وأمثاله، وحالهم عند نزول العذاب طلب النّظرة.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ﴾. ﴿ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ﴾.

﴿ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ﴾: لم يغن عنهم تمتّعهم المتطاول في دفع

١ـ الكافي ٢: ٦٣٢، الحديث: ٢٠، عن أحدهما عليهما السلام.

٢ـ الكشّاف ٣: ١٢٨؛ البيضاوي ٤: ١١٠.

٣ـ القمّي ٢: ١٢٤، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه زيادة: «فهذه فضيلة العجم».

٤ـ الأعراف (٧): ٧٠؛ هود (١١): ٣٢؛ الأحقاف (٤٦): ٢٢.

العذاب وتخفيفه .

«نزلت حين أُري رسول الله صلّى الله عليه وآله في منامه بني أُميّة يصعدون على منبره من بعده، يضلّون النّاس عن الصّراط القهقري» . كذا ورد[١] .

﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ﴾ .

﴿ذِكْرىٰ﴾: تذكرة ﴿وَما كُنّا ظالِمِينَ﴾ فنهلك قبل الإنذار وإلزام الحجّة .

﴿وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ﴾ كما زعم المشركون أنّه من قبيل ما تُلقي الشّياطين على الكهنة .

﴿وَما يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: وما يصحّ لهم أن ينزلوا به ﴿وَما يَسْتَطِيعُونَ﴾ .

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: لمصروفون، حيل بينهم وبين السّماء بالملائكة والشّهب، كما يأتي بيانه في الصّافّات[٢]، وسورة الجنّ[٣] .

﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ . من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جارة[٤] .

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فإنّ الاهتمام بشأنهم أهمّ . قال: «وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال»[٥] . وزيد في قراءة أُبيّ وابن مسعود والصّادق عليه السّلام: «ورهطك المخلصين» . كذا ورد[٦] . قال: «وهي ثابتة في مصحف ابن مسعود»[٧] .

١ ـ الكافي ٤: ١٥٩، الحديث: ١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ ذيل الآيات: ٨ إلى ١١ .

٣ ـ ذيل الآية: ٩ .

٤ ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية ٧٥ من سورة بني إسرائيل .

٥ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣١، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١ .

٦ ـ المصدر؛ وفي مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٠٦، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «ورهطك منهم المخلصين» .

٧ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣١، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطويل: ١؛ الأمالي (للصّدوق): ٤٢٣، المجلس: ٧٩، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام .

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ليّنْ جانبك لهم ؛ مستعار من خفض الطّائر جناحه إذا أراد أن ينحطّ .

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الّذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه ، يكفك شرّ من يعصيك .

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: «حين تقوم في النّبوّة»[1] .

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: «في أصلاب النّبيّين»[2] .

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ .

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذّاب شديد الإثم .

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ أي: الأفّاكون يلقون السّمع إلى الشّياطين ، فيتلقّون منهم ظنوناً وأمارات ، فيضمّون إليها على حسب تخيّلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها . كذا قيل[3] .

و ورد: «إنّ الشّياطين تزور أئمّة الضّلال ، فتأتيهم بالإفك والكذب ، وبعددهم من الملائكة تزور أئمّة الهدى كلّ يوم وليلة»[4] في لفظٍ هذا معناه .

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قال: «هم قوم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا»[5] . وفي أُخرى: «هم القصّاص»[6] .

١ ـ القمّي ٢: ١٢٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٠٧ ، عن الباقر والصّادق عليهما السلام .

٣ ـ البيضاوي ٤: ١١١ .

٤ ـ الكافي ١: ٢٥٣ ، ذيل الحديث: ٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٠٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٦ ـ الاعتقادات (في شرح باب الحادي عشر): ١٠٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ﴾ القمّي: يعني يناظرون بالأباطيل، ويجادلون بالحجج المضلّة، وفي كلّ مذهب يذهبون، يعني بهم المغيّرين دين اللّه[1].

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ القمّي: يعظون النّاس ولا يتّعظون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، وهم الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم[2].

أقول: إنّما سمّوا بالشّعراء، لأنّ حجج المبطلين من أهل الجدل أكثرها خيالات شعريّة لا حقيقة لها، وتمويهات لا طائل تحتها؛ كأقاويل الشّعراء المادحين من لا يستحقّ، واللّئام الممزّقين أعراض الأنام، والمموّهين الكلام، فكلا الفريقين سيّان في "أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنّهم يقولون ما لا يفعلون" إلّا أنّ ذكر اتباعهم الغاوين، إنّما هو بالنّظر إلى مَنْ له رياسة في الإضلال مِنْ أهل المذاهب الباطلة، فإنكار أحد المعنيين في الحديث يرجع إلى إنكار الحصر فيه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَذَكَرُوا اللّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾.

سئل: ما هذا الذّكر الكثير؟ قال: «من سبّح تسبيح فاطمة الزّهراء، فقد ذكر اللّه كثيراً»[3].

وفي رواية: «من ذكر اللّه في السّرّ، فقد ذكر اللّه كثيراً»[4].

قيل: هو استثناء للشّعراء المؤمنين الصّالحين، الّذين يكثرون ذكر اللّه، ويكون أكثر أشعارهم في التّوحيد والثّناء على اللّه تعالى، والحثّ على طاعته، ولو قالوا هجواً، أرادوا به الانتصار ممّن هجاهم من الكفّار، ومكافاة هجاة المسلمين، كحسّان بن ثابت[5]

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٢٥.
٣ ـ معاني الأخبار: ١٩٣، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٤ ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجيّ الأنصاري، أبو الوليد: الصّحابيّ، شاعر النّبي صلّى اللّه عليه وآله. أدرك الجاهلية ←

وكعب بن مالك[١] وكعب بن زهير[٢]. [٣] وهذا معنى: "وانتصروا من بعد ما ظلموا".

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ في قراءتهم: «الّذين ظلموا آل محمّد حقّهم»[٤].



← والإسلام، عاش ستّين سنة في الجاهليّة، ومثلها في الاسلام. وكان من سكّان المدينة. لم يشهد مع النّبيّ مشهداً» لعلّة أصابته، وعمّي قبيل وفاته، توفّي سنة ٥٤هـ. الأعلام (للزركلي) ٢: ١٧٥.

١ ـ كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السّلمي الخزرجي: صحابيّ، من أكابر الشّعراء، من أهل المدينة، اشتهر في الجاهليّة، وكان في الاسلام من شعراء النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وشهد أكثر الوقائع. ثمّ كان من أصحاب عثمان، وأنجده يوم الثّورة وحرّض الأنصار على نصرته. ولمّا قتل عثمان قعد عن نصرة عليّ فلم يشهد حروبه. وعمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة. توفّي في سنة: ٥٠هـ. الأعلام (للزركلي) ٥: ٢٢٨.

٢ ـ كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبوالمضرّب: شاعر عالي الطّبقة، من أهل نجد. له ديوان شعر. كان ممّن اشتهر في الجاهليّة، ولمّا ظهر الإسلام هجا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النّبيّ دمه، فجاءه «كعب» مستأنساً وقد أسلم، وأنشد لاميّته المشهورة، فعفا عنه النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وخلع عليه بردته. توفّي في سنة: ٢٦هـ. الأعلام (للزركلي) ٥: ٢٢٦.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١١١.

٤ ـ جوامع الجامع: ٣٣٤، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ والقمّي ٢: ١٢٥.

سورة النّمل

[مكيّة ، وهي ثلاث وتسعون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿طسٓ تِـلْكَ آياتُ القُـرْآنِ وَكِتابٍ مُـبِينٍ﴾ .

﴿هُـدىً وَبُـشْرىٰ لِـلْمُـؤْمِنِـينَ﴾ .

﴿الَّذِينَ يُـقِـيمُونَ الصَّـلاةَ وَيُـؤْتُـونَ الزَّكاةَ وَهُـمْ بِالآخِـرَةِ هُـمْ يُـوقِنُونَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُـؤْمِنُـونَ بِالآخِـرَةِ زَيَّـنّا لَهُمْ أَعْمالَـهُمْ فَـهُمْ يَـعْمَـهُونَ﴾ عـنها لا يدرون ما يتبعها .

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَـهُمْ سُوءُ العَذابِ وَهُـمْ فِـي الآخِـرَةِ هُـمُ الأَخْسَـرُونَ﴾ .

﴿وَإِنَّكَ لَـتُلَـقَّى القُـرْآنَ مِـنْ لَـدُنْ حَكِـيمٍ عَلِـيمٍ﴾ .

﴿إِذْ قالَ مُوسىٰ لِأَهْـلِهِ إِنِّـي آنَسْـتُ ناراً سَآتِـيكُمْ مِنْـها بِـخَـبَرٍ﴾ أي: عـن حـال الطّريق ، لأنّه قد ضلّه ﴿أَوْ آتِـيكُمْ﴾ منها ﴿بِشِـهابٍ قَـبَسٍ﴾: شعلة نـار مـقبوسة ، إن لم أظفر بهما لم أعدم أحدهما ؛ بناءً على ظاهر الأمر ، وثقةً بالله ﴿لَعَلَّـكُمْ تَـصْطَلُونَ﴾: رجاء

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

أن تستدفئوا بها . قال: «إنّه أصابهم برد شديد وريح وظلمة ، وجنّهم اللّيل»[١] .

﴿فَلَمّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ﴾: من في مكان النّار ، وهو الوادي المقدّس المذكور في طٰه[٢] ، والبقعة المباركة المذكورة في القصص[٣] . ﴿وَمَنْ حَوْلَها﴾: ومن حول مكانها ﴿وَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ من تمام ما نودي به ، لئلّا يتوهّم من سماع كلامه تشبيهاً ، وللتّعجيب من عظمة ذلك الأمر .

﴿يا مُوسىٰ إِنَّهُ أَنَا اللّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ .

﴿وَأَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ﴾: تتحرّك باضطراب ﴿كَأَنَّها جانٌّ﴾: حيّة خفيفة سريعة ﴿وَلّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ولم يرجع ؛ من عقّب المقاتل: إذا كرّ بعد ما فرّ .

﴿يا مُوسىٰ لا تَخَفْ﴾ من غيري ؛ ثقة بي ﴿إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ﴾ .

﴿إِلّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . قيل: فيه تعريض لموسى بوكزه القبطيّ[٤] .

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ﴾ في جملتها أو معها ، وقد مضى ذكر تفصيلها[٥] . ﴿إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ .

﴿فَلَمّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً﴾: بيّنة ، كأنّها لاجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت ممّا تبصر . وفي قراءة السّجّاد عليه السلام : «مَبصَرة»[٦] بفتح الميم ، أي: مكاناً يكثر فيه التّبصّر . ﴿قالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

﴿وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً﴾ لأنفسهم ﴿وَعُلُوّاً﴾: ترفّعاً من الإيمان والانقياد ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ﴾ هو الغرق في الدّنيا والحرق في

١ ـ القمّي ٢: ١٣٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ طه (٢٠): ١٢ .

٣ ـ قصص (٢٨): ٣٠ .

٤ ـ البيضاوي ٤: ١١٣ ؛ الكشّاف ٣: ١٣٨ .

٥ ـ ذيل الآية: ١٠١ من سورة الإسراء .

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢١٢ ، عن السّجّاد عليه السلام .

الآخرة .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا داوُودَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالا الْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ : ففعلا شكراً له ما فعلا ، وقالا : الحمد للّه ﴿ الَّذي فَضَّلَنا عَلى كَثيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنينَ ﴾ يعمّ من لم يؤت علماً ، أو مثل علمهما .

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُودَ ﴾ المُلك والنبوّة . قال : «وهو صبيّ يرعى الغنم»[١] . ﴿ وَقالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ تشهيراً[٢] لنعمة اللّه وتنويهاً[٣] بها ، ودعاءً للنّاس إلى التّصديق بذكر المعجزة . قال : «ليس في الآية "مِن" وإنّما هي : وأُوتينا كلّ شيء»[٤] . ﴿ إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبينُ ﴾ . قال : «يعني الملك والنبوّة»[٥] .

ورد : «أُعطي سليمان بن داود مع علمه ، معرفةَ المنطق بكلّ لسان ، ومعرفة اللّغات ومنطق الطّير والبهائم والسّباع ، وكان إذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسيّة ، وإذا قعد لعمّاله وجنوده وأهل مملكته تكلّم بالرّوميّة ، وإذا خلا بنسائه تكلّم بالسّريانيّة والنّبطيّة ، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة ، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة»[٦] .

قال : «وأُعطي مُلك مشارق الأرض ومغاربها ، فَمَلَكَ سبعمائة سنة وستّة أشهر ، ملك أهل الدّنيا كلّهم ؛ من الجنّ والإنس والشّياطين ، والدّوابّ والطّير والسّباع ، وأُعطي علم كلّ شيء ومنطق كلّ شيء ، وفي زمانه صنعت الصّنائع العجيبة الّتي سمع بها النّاس ؛ وذلك قوله : "علّمنا منطق الطّير" ، الآية»[٧] .

١ ـ الكافي ١: ٣٨٢ ، الحديث: ٣ ، عن الجواد عليه السلام .
٢ ـ في «ألف»: «تشديراً» .
٣ ـ نوّه به تنويهاً: رفع ذكره وعظّمه . المصباح المنير ٢: ٣٤٤ (نوه) .
٤ ـ بصائر الدّرجات: ٣٤٢ ، الحديث: ٣ ، باب أنّ الأئمّة يعرفون منطق الطير ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ جوامع الجامع: ٣٣٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٦ ـ القمّي ٢: ١٢٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢١٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «أُعطي داود وسليمان ما لم يُعْطَ أحدٌ من أنبياء الله من الآيات عُلّمنا منطق الطّير ولانَ لهما الحديد والصُّفْر من غير نار»[١] الحديث. ويأتي تمامه في ص[٢] إن شاء الله.

﴿وَحُشِرَ﴾: وجمع ﴿لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبسون ليتلاحقوا. قال: «يحبس أوّلهم على آخرهم»[٣].

﴿حَتّىٰ إِذا أَتَوْا عَلىٰ وادِي النَّمْلِ﴾ القمّي: قعد على كرسيّه، وحملته الرّيح فمرّت به على وادي النّمل، وهو واد ينبت فيه الذّهب والفضّة، وقد وكّل به النّمل، وهو قول الصّادق عليه السلام: «إنّ للّه وادياً ينبت فيه الذّهب والفضّة، وقد حماه الله بأضعف خلقه وهو النّمل، لو رامته البَخاتيّ[٤] ما قدرت عليه»[٥].

﴿قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لايَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنّهم يحطمونكم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها﴾. ورد: «إنّ الرّيح حملت صوت النّملة إلى سليمان عليه السّلام وهو مارّ في الهواء، والرّيح قد حملته، فوقف وقال: عليّ بالنّملة. فلمّا أُتي بها قال سليمان: يا أيّتها النّملة أما علمت[٦] أنّي نبيّ الله، وأنّي لا أظلم أحداً؟ قالت النّملة: بلى. قال سليمان: فَلِمَ تحذّرينهم[٧] ظلمي، وقُلْتِ: "يا أيّها النّمل ادخلوا مساكنكم"؟! قالت النّملة: خشيتُ أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها، فيبعدوا عن الله عزّ وجلّ. ثمّ قالت النّملة:

١ ـ القمّي ٢: ١٢٦.

٢ ـ لم نعثر عليه في سورة ص، ولكن يوجد في سورة سبأ. ذيل الآية: ١٠.

٣ ـ القمّي ٢: ١٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ البَخاتيّ جمع البُخْت ـ بالضمّ ـ: الإبل الخراسانيّة. القاموس المحيط ١: ١٤٨ (بخت).

٥ ـ القمّي ٢: ١٢٦.

٦ ـ في «ألف»: «ما علمت».

٧ ـ في المصدر: «حذّرتهم».

هل تدري لِمَ سُخِّرَتْ لك الرّيح من بين سائر المملكة؟ قال سليمان: مالي بهذا علم ، قالت النّملة: يعني عزّوجلّ بذلك: لو سخّرت لك جميع المملكة كما سخّرت لك هذه الرّيح ؛ لكان زوالها من بين يديك كزوال الرّيح . فحينئذ تبسّم ضاحكاً من قولها»[١] .

﴿وَقالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلىٰ والِدَيَّ﴾: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي ، أي: أكفّه وارتبطه ، بحيث لا ينفلت عنّي ولا أنفكّ عنه ، وأدرج ذكر والديه تكثيراً للنّعمة . ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ﴾ تماماً للشّكر واستدامة[٢] للنّعمة ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصّالِحِينَ﴾ في عدادهم في الجنّة .

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾: وتعرّف الطّير فلم يجد فيها الهدهد ﴿فَقالَ مالِيَ لا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبِينَ﴾ .

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً﴾: كنتف ريشه ، أو جعله مع ضدّه في قفص ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ ليعتبر به أبناء جنسه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾: بحجّة تبيّن عذره .

القمّي: وكان سليمان إذا قعد على كرسيّه جاءت جميع الطّير الّتي سخّرها اللّه عزّوجلّ له ، فتظلّ الكرسيّ والبساط بجميع من عليه عن الشّمس ، فغاب عنه الهدهد من بين الطّير ، فوقع الشّمس من موضعه في حجر سليمان ، فرفع رأسه وقال كما حكى اللّه عزّوجلّ[٣] .

ورد: «وإنّما غضب عليه لأنّه كان يدلّه على الماء»[٤] .

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زماناً غير مديد ؛ يريد به الدّلالة على سرعة رجوعه ﴿فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ يعني حال سبأ . وفي مخاطبته إيّاه بذلك تنبيه على أنّه في أدنى خلق اللّه من أحاط علماً بما لم يحط به ، لتتحاقر إليه نفسه ، ويتصاغر لديه علمه ﴿وَجِئْتُكَ

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٨ ، الباب: ٣٢ ، الحديث: ٨ .

٢ ـ في «ألف»: «استدانه».

٣ ـ القمّي ٢: ١٢٧ .

٤ ـ الكافي ١: ٢٢٦ ، الحديث: ٧ ، عن الكاظم عليه السلام .

مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ .

﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ القمّي: هي بلقيس بنت شرح الحميريّة[١] ، وقيل: بنت شراحيل بن مالك بن ريّان[٢] . ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه الملوك ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾: سبيل الحقّ والصّواب ﴿ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾ .

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾: فصدّهم ألّا يسجدوا ، أو زيّن لهم ألّا يسجدوا ، أو لا يهتدون أن يسجدوا ؛ بزيادة لا ، كقوله تعالى: "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ"[٣] . وعلى قراءة التّخفيف[٤] ، للتّنبية ، ويا للنّداء مناداه محذوف ، أي: ألا يا قوم اسجدوا ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ . الخبء: ما خفي في غيره ، وإخراجه إظهاره ، وهو يعمّ إشراق الكواكب ، وإنزال الأمطار ، وإنبات النّبات ، بل الإنشاء والإبداع .

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ المشتمل على المخلوقات كلّها .

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ ﴾: سنتعرّف ؛ من النّظر بمعنى التّأمّل ﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾: تنحّ إلى مكان قريب تتوارى فيه ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول .

القمّي: قال الهدهد: إنّها لفي حصن منيع . قال سليمان: ألق كتابي على قبّتها فجاء الهدهد فألقى الكتاب في حجرها ، فارتاعت من ذلك ، وجمعت جنودها ، وقالت لهم كما

١ ـ القمّي ٢: ١٢٧ .
٢ ـ البيضاوي ٤: ١١٥ ؛ الكشّاف ٣: ١٤٤ .
٣ ـ الأعراف (٧): ١٢ .
٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢١٦ .

حكى اللّه[1].

﴿قالَتْ﴾ أي: بعد ما ألقى إليها ﴿يا أَيُّها المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ﴾ القمّي: أي: مختوم[2]. ورد: «كرم الكتاب ختمه»[3].

﴿إِنَّهُ﴾: إنّ الكتاب ﴿مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ﴾: وإنّ المكتوب ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿أَلّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: مؤمنين منقادين.

قيل: هذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدّلالة على المقصود، لاشتماله على البسملة الدّالّة على ذات الصّانع وصفاته، والنّهي عن التّرفّع الّذي هو أُمّ الرّذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأُمّهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجّة على رسالته، حتّى يكون استدعاء للتّقليد، فإنّ إلقاء الكتاب على تلك الحالة من أعظم الأدلّة[4].

﴿قالَتْ يا أَيُّها المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: اذكروا ما تستصوبونه فيه ﴿ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتّى تَشْهَدُونِ﴾: إلّا بمحضركم، كأنّها استعطفتهم بذلك، ليمالئوها على الإجابة ﴿قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ﴾ بالأجساد والعدد. ورد: «ما يكون أُولو قوّة إلّا عشرة آلاف»[5].

﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: نَجْدة وشجاعة ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ موكول ﴿فَانْظُرِي ماذا تَأْمُرِينَ﴾ من المقاتلة والصّلح نطعك ونتّبع رأيك.

﴿قالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها﴾ بنهب الأموال وتخريب الدّيار ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً﴾ بالإهانة والأسر ﴿وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ القمّي: فقال اللّه تعالى:

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٢٧.

٣ ـ جوامع الجامع: ٣٣٧؛ الكشّاف ٣: ١٤٦، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٤ ـ البيضاوي ٤: ١١٦.

٥ ـ كمال الدّين ٢: ٦٥٤، الباب: ٥٧، الحديث: ٢٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «ما تكن أُولوا القوّة أقلّ من عشرة آلاف».

"وكذلك يفعلون"[1].

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ﴾ قال: «منتظرة»[2]. ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من حاله، حتّى أعمل بحسب ذلك.

القمّي: قالت: إن كان هذا نبيّاً من عند اللّه كما يدّعي، فلا طاقة لنا به، فإنّ اللّه عزّوجلّ لا يُغلَبُ، ولكن سأبعث إليه بهديّة، فإن كان مَلِكاً يميل إلى الدّنيا قَبِلَها، وعلمت[3] أنّه لا يقدر علينا، فبعثت حُقَّةً[4] فيها جوهرة عظيمة، وقالت للرّسول: قل له يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار، فأتاه الرّسول بذلك، فأمر سليمان بعض جنوده من الدّيدان، فأخذ خيطاً في فمه ثمّ ثقبها وأخذ الخيط من الجانب الآخر[5].

﴿فَلَمّا جاءَ سُلَيْمانَ﴾ أي: الرّسول وما أهدت إليه ﴿قالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِيَ اللّهُ﴾ من المُلْكِ والنّبوّة، الّذي لا مزيد عليه ﴿خَيْرٌ مِمّا آتاكُمْ﴾ فلا حاجة لي إلى هديّتكم، ولا وقع لها عندي ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لأنّكم لا تعلمون إلّا ظاهراً من الحياة الدّنيا.

﴿ارْجِعْ﴾ أيّها الرّسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾: إلى بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها﴾: لا طاقة لهم بمقاومتها، ولا قدرة لهم على مقاتلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها﴾: من سبأ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ﴾. القمّي: فرجع اليها الرّسول، فأخبرها بذلك وبقوّة سليمان، فعَلِمَتْ أنّه لا محيص لها، فخرجت وارتحلَتْ نحوَ سليمان[6].

١ـ القمّي ٢: ١٢٨.
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٦٢.
٣ـ في المصدر: «وعلمنا».
٤ـ الحُقّة: وعاءٌ صغير من خشب أو عاج أو غير ذلك ممّا يصلح أن يُنحت منه. القاموس المحيط ٣: ٢٢٩؛ لسان العرب ١٠: ٥٦ (حقق).
٥ـ القمّي ٢: ١٢٨.
٦ـ القمّي ٢: ١٢٨.

﴿قالَ يا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. القمّي: لمّا علم سليمان بإقبالها نحوه قال ذلك[١]. قيل: أراد بذلك أن يريها بعض ما خصّه اللّه به من العجائب الدّالّة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النّبوّة، ويختبر عقلها بعرفان عرشها بعد التّنكير[٢].

﴿قالَ عِفْرِيتٌ﴾: خبيث مارد ﴿مِنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ﴾: مجلسك للحكومة. قيل: وكان يجلس إلى نصف النّهار[٣]. ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾: على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾: لا أختزل منه شيئاً ولا أُبدّله. القمّي: قال سليمان: أُريد أسرع من ذلك[٤].

﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ﴾: آصف بن برخيا[٥]. ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

قال: «إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السّرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين؛ وعندنا نحن من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند اللّه استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم»[٦]. وفي رواية: «إنّ الأرض طويت له»[٧].

ورد: «ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنّه أحبّ أن يعرّف الجنّ

١ ـ القمّي ٢: ١٢٨.

٢ ـ ٣ ـ البيضاوي ٤: ١١٧.

٤ ـ القمّي ٢: ١٢٨.

٥ ـ آصف بن برخيا: كان وزير سليمان وابن أُخته، وكان صدّيقاً يعرف اسم اللّه الأعظم الّذي إذا دعي به أجاب. عن ابن عبّاس. مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٢٣.

٦ ـ بصائر الدّرجات: ٢٠٨، الباب: ١٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي الكافي ٢: ٢٣٠، الحديث: ١، عنه عليه السلام، مع تفاوت.

٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٢٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

والإنس أنّه الحجّة من بعده»[١].

﴿فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنّه يستجلب به دوام النّعمة ومزيدها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام عليه ثانياً.

﴿قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها﴾ بتغيير هيئته وشكله ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته.

﴿فَلَمّا جاءَتْ قِيلَ أَهكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل: هو هو، لاحتمال أن يكون مثله، وذلك من كمال عقلها ﴿وَأُوتِينا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَكُنّا مُسْلِمِينَ﴾. قيل: هو من تمام كلامها، كأنّها ظنّت أنّه أراد بذلك اختبار عقلها، وإظهار معجزة لها، فقالت: أُوتينا العلم بكمال قدرة اللّه وصحّة نبوّتك، قبل هذه الحالة[٢].

﴿وَصَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ أي: وصدّها عبادتها الشّمس عن التّقدّم إلى الإسلام ﴿إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ﴾: نشأت بين أظهر الكفّار.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: القصر أو عرصة الدّار ﴿فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قالَ إِنَّهُ﴾: إنّ ما تظنّينه ماء ﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾: مملّس ﴿مِنْ قَوارِيرَ﴾: من الزّجاج ﴿قالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادتي الشّمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾.

روي: «إنّه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه من حيوانات البحر، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلمّا أبصرته ظنّت ماءً راكداً، فكشفت عن ساقيها»[٣].

١ـ تحف العقول: ٤٧٨؛ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٢٥، عن الهادي عليه السلام، في أجوبته عن مسائل يحيى بن أكثم.

٢ـ البيضاوي ٤: ١١٧.

٣ـ الكشّاف ٣: ١٥٠؛ البيضاوي ٤: ١١٨.

والقمّي: قد أمر أن يتّخذ لها بيتاً من قوارير، ووضعه على الماء، ثمّ "قيل لها: ادخلي الصّرح"، فظنّت أنّه ماء، فرفعت ثوبها وأبدت ساقيها، فإذا عليها شعر كثير، فتزوّجها سليمان، وقال للشّياطين: اتّخذوا لها شيئاً يذهب هذا الشّعر عنها، فعملوا الحمّامات وطبخوا النّورة[١].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلىٰ ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ﴾. قال: «يقول: مصدّق ومكذّب، قال الكافرون منهم: أتشهدون أنّ صالحاً مرسل من ربّه؟ قال المؤمنون: إنّا بالّذي أُرسل به مؤمنون[٢]، قال الكافرون منهم: "إنّا بالّذي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرون"[٣]»[٤].

﴿قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾ القمّي: إنّهم سألوه قبل أن يأتيهم النّاقة أن يأتيهم بعذاب أليم. فأرادوا بذلك امتحانه! فقال: "يا قوم لم تستعجلون بالسّيّئة قبل الحسنة" يقول: بالعذاب قبل الرّحمة[٥] وقيل: كانوا يقولون: إن صدق إيعاده تُبنا، فالحسنة التّوبة[٦]. ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللّٰهَ﴾ قبل نزوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بقبولها، فإنّها لا تقبل حينئذ.

﴿قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾: تشأمنا إذ تتابعت علينا الشّدائد، وأوقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم. القمّي: أصابهم جوع شديد[٧]. ﴿قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ﴾

١ـ القمّي ٢: ١٢٨.
٢ـ اقتباس من القرآن، ونصّ الآية هكذا: ﴿قالوا إنّا بما أُرسِلَ بِهِ مُؤمنون﴾ الأعراف (٧): ٧٥.
٣ـ الأعراف (٧): ٧٦.
٤ـ القمّي ٢: ١٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر.
٦ـ البيضاوي ٤: ١١٨.
٧ـ القمّي ٢: ١٣٢.

القمّي: يقول: خيركم وشرّكم من عند اللّه[1] ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تختبرون بتعاقب السّرّاء والضّرّاء.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: نفر ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصّلاح. القمّي: كانوا يعملون في الأرض بالمعاصي[2].

﴿قَالُوا﴾: قال بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾: تحالفوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾: لنباغتن[3] صالحاً وأهله ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾: لوليّ دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ فضلاً أن تولّينا إهلاكهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: ونحلف إنّا لصادقون، أو يعنون نُوَرّي. كذا قيل[4].

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ بهذه المواضعة ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

القمّي: فأتوا صالحاً ليلاً ليقتلوه، وعند صالح ملائكة يحرسونه، فلمّا أتوه قاتلتهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة، فأصبحوا في داره مقتّلين[5]، وأخذت قومه الرّجفة "فأصبحوا في دارهم جاثمين"[6].

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: خالية أو ساقطة منهدمة ﴿بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ خبثها، أو يبصرها بعضكم

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٣٢.
٣ ـ من البغتة وهو الفجأة. جاء بغتة، أي: فجأة على غرّة. المصباح المنير ١: ٧١ (بغت).
٤ ـ البيضاوي ٤: ١١٨.
٥ ـ في «ألف»: «مقتولين».
٦ ـ القمّي ٢: ١٣٢. والآية في سورة الأعراف (٧): ٧٨.

من بعض، وكانوا يعلنون.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ﴾ اللّاتي خُلِقنَ لذلك ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: سفهاء.

﴿فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزّهون عن أفعالنا.

﴿فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب. ﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ﴾.

﴿قُلِ الحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلامٌ عَلىٰ عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفىٰ﴾ قال: «هم آل محمّد عليهم السّلام»[١]. ﴿آللّٰهُ خَيْرٌ أَمّا يُشْرِكُونَ﴾. إلزام لهم وتهكّم بهم وتسفيه لرأيهم.

﴿أَمَّنْ﴾: بل أمّن ﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ﴾. عدل به عن الغيبة إلى التكلّم، لتأكيد اختصاص الفعل بذاته.

﴿ماكانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها﴾: شجر الحدائق ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحقّ، وهو التّوحيد.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ﴾: جبالاً ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ﴾: العذب والمالح ﴿حاجِزاً﴾: برزخاً، وقد مرّ بيانه في سورة الفرقان[٢]. ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأَرْضِ﴾: خلفاء فيها، بأن ورثكم سكناها والتّصرّف فيها ممّن كان قبلكم. كذا قيل[٣]. ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ﴾ الّذي حفّكم بهذه النّعم ﴿قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾.

١ ـ جوامع الجامع: ٣٣٩، عنهم عليهم السلام؛ القمّي ٢: ١٢٩.
٢ ـ ذيل الآيات: ٥٣ ـ ٥٤.
٣ ـ البيضاوي ٤: ١١٩؛ الكشّاف ٣: ١٥٥.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالنّجوم وغيرها ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني المطر ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ﴾ يقدر على شيء من ذلك ﴿تَعالَى اللّٰهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ بأسباب سماويّة وأرضيّة ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على شيء من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في إشراككم .

﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ﴾ .

﴿بَلِ ادّارَكَ﴾: تتابع حتّى استحكم ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ القمّي: يقول: علموا بعد ما كانوا جهلوا في الدّنيا[١] . ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها﴾: في حيرة ﴿بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ﴾ لاختلال بصيرتهم . قيل: الاضرابات الثّلاث تنزيل لأحوالهم[٢] .

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذا كُنّا تُراباً وَآباؤُنا أَإِنّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من الأجداث ، أو من الفناء إلى الحياة .

﴿لَقَدْ وُعِدْنا هٰذا نَحْنُ وَآباؤُنا مِنْ قَبْلُ﴾: قبل هذا ﴿إِنْ هٰذا إِلّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم الّتي هي كالأسمار[٣] .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد وتخويف .

﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ﴾ فإنّ اللّه يعصمك منهم .

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ﴾: العذاب الموعود ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ١٣٢ .

٢ ـ الكشّاف ٣: ١٥٧ ؛ البيضاوي ٤: ١٢٠ .

٣ ـ الأسمار جمع السَّمَر: الحديث في اللّيل . القاموس المحيط ٢: ٥٣ (سمر) .

﴿قُلْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾: تبعكم ولحقكم ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ قيل: هو عذاب يوم بدر[١].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ﴾ بتأخيره عقبوتهم لعلّهم يرجعون ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: ما تخفيه ﴿وَما يُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَما مِنْ غائِبَةٍ﴾: خافية ﴿فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾: «في أمّ الكتاب». كذا ورد[٢].

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كالتّشبيه والتّنزيه، وأحوال الجنّة والنّار، وعزير والمسيح.

﴿وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ وصاحب الحقّ حقيق بالوثوق بحفظ اللّه ونصرته.

﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

﴿وَما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ شبّهوا بالموتى والصّمّ والعمي، لعدم انتفاعهم بما يتلى عليهم ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا﴾: من هو في علم اللّه كذلك ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون.

﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ «وهو ما وعدوا به من الرجعة عند قيام المهديّ» كذا ورد[٣]. ﴿أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ «وهو أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه حين يكرّ».

١ ـ الكشّاف ٣: ١٥٨؛ البيضاوي ٤: ١٢١.

٢ ـ الكافي ١: ٢٢٦، ذيل الحديث: ٧، عن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ تأويل الآيات الظّاهرة: ٤٠٠، عن أميرالمؤمنين عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣٤؛ جوامع الجامع: ٣٤١، ورد ←

كذا ورد في أخبار[١] كثيرة[٢] ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾. قال: «كلم الله من قرأ تكلمهم يعني بالتّخفيف. قال: ولكن تكلّمهم بالتّشديد»[٣].

قال: «والله ما لها ذَنَب وإنّ لها لَلِحْيَةً»[٤].

وقال: «معها خاتم سليمان وعصا موسى، يضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقّاً، ويضعه على وجه كلّ كافر فيكتب: هذا كافر حقّاً. قال: وذلك بعد طلوع الشّمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التّوبة، فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع "ولا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً"[٥]»[٦].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ قال: «يعني يوم الرّجعة»[٧]. ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا﴾. قال: «الآيات أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام»[٨]. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا.

﴿حَتّىٰ إذا جاؤُوا﴾ إلى المحشر ﴿قالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمّاذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. تبكيت لهم، إذ لم يفعلوا غير التّكذيب.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: حلّ بهم العذاب الموعود ﴿بِما ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم، وهو التّكذيب بآيات الله ﴿فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ﴾ باعتذار؛ لشغلهم بالعذاب.

← من آل محمّد عليهم السلام.

١ ـ الكافي ١: ١٩٨، الحديث: ٣؛ القمّي ٢: ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٢ ـ ٤٣ و ٢٠٩؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣٤.

٢ ـ في «ب» زيادة: «غير معتبرة».

٣ ـ جوامع الجامع: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ الأنعام (٦): ١٥٨.

٦ ـ كمال الدّين ٢: ٥٢٧، الباب: ٤٧، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٦ و ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام بالمضمون.

٨ ـ القمّي ٢: ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

قال: «والدّليل على أنّ هذا في الرّجعة، قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً﴾ فقيل: إنّ العامّة تزعم: أنّه يوم القيامة، فقال: فيحشر اللّه عزّوجلّ يوم القيامة من كلّ أُمّة فوجاً، ويدع الباقين؟! لا، ولكنّه في الرّجعة. وأمّا آية القيامة فهي ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[1]»[2].

و ورد: «ليس أحد من المؤمنين قتل إلّا ويرجع حتّى يموت، ولا يرجع إلّا مَنْ محض الإيمان محضاً، ومَنْ محض الكفر محضاً»[3]. وفي رواية: «فلا يدعون وتراً لآل محمّد إلّا قتلوه»[4].

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بالنّوم والقرار ﴿وَالنَّهارَ مُبْصِراً﴾ أصله ليبصروا فيه، فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجبول عليها ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ روي: «إنّه قرن من نور التقمه إسرافيل»[5]. ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الهول. وعبّر عنه بالماضي لتحقّق وقوعه ﴿إِلَّا مَنْ شاءَ اللّٰهُ﴾ أن لا يفزع، بأن يثبت قلبه ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ﴾: صاغرين.

﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً﴾: ثابتة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ في السّرعة. قيل: وذلك لأنّ الأجرام الكبار إذا تحرّكت في سمت واحد لا تكاد تبين[6] حركتها[7]. ﴿صُنْعَ اللّٰهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: أحكم خلقه وسوّاه على ما ينبغي ﴿إِنَّهُ

١ـ الكهف (١٨): ٤٧.
٢ـ القمّي ٢: ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٣١؛ مختصر بصائر الدرجات: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٦، الحديث: ٢٠٥؛ العيّاشي ٢: ٢٨١، الحديث: ٢٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٣: ١١٢، ذيل الآية: ٩٩ من سورة الكهف.
٦ـ في «ب»: «تتبيّن».
٧ـ البيضاوي ٤: ١٢٢.

خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ ﴾ .

﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ .

﴿ وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾: فكبّوا على وجوههم.

قال: «الحسنة معرفة الولاية وحبّنا أهل البيت ، والسّيّئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت»[١] . ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها ﴾ . ورد: «إنّ قريشاً لمّا هدموا الكعبة وجدوا في قواعده حجراً فيه كتاب لم يحسنوا قراءته ، حتّى دعوا رجلاً فقرأه ، فإذا فيه: أنا الله ذو بكّة ، حرّمتُها يوم خلقت السّماوات والأرض ، ووضعتُها بين هذين الجبلين ، وحففتُها بسبعة أملاك حفّاً»[٢] .

وقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «ألا إنّ الله حرّم مكّة يوم خلق السّماوات والأرض ، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لا ينفر صيدها ، ولا يعضد شجرها ، ولا يختلى خلاها ، ولا تحلّ لقطتها إلّا لمنشدٍ[٣] . فقال العبّاس: يا رسول الله إلّا الإذخر فإنّه للقبر والبيوت؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إلّا الإذخر»[٤] . ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾: المنقادين .

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدىٰ ﴾ باتّباعه إيّاي في ذلك ﴿ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾: فإنّ منافعه عائدة إليه ﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ بمخالفتي ﴿ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ فلا عليّ من وبال ضلالته شيء ، إذ ما على الرّسول إلّا البلاغ ، وقد بلّغت .

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على نعمة النّبوّة ، وعلى ما علّمني ربّي ووفّقني للعمل به

١ ـ الكافي ١: ١٨٥ ، الحديث: ١٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ الكافي ٤: ٢٢٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ نَشَدَ الضّالّة: طَلَبَها وعرّفها . القاموس المحيط ١: ٣٥٤ (نشد) .

٤ ـ الكافي ٤: ٢٢٦ ، ذيل الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ إذا رجعتم إلى الدّنيا ورجعوا ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: فتعرفون أنّها آيات اللّه، حين لا تنفعكم المعرفة.

قال: «الآيات أمير المؤمنين والأئمّة صلوات اللّه عليهم، إذا رجعوا إلى الدّنيا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم في الدّنيا. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: واللّه ما للّه آية أكبر منّي»[١]. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.



١ ـ القمّي ٢: ١٣٢.

سورة القصص

[مكيّة، وهي ثمان وثمانون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿طسٓمٓ﴾.

﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ﴾.

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً﴾: فرقاً يشيعون ﴿يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ﴾ وذلك لأنّ كاهناً قال له: يولَدُ مولودٌ في بني إسرائيل يَذْهَبُ مُلْكُك على يده. ﴿إِنَّهُ كانَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾: نتفضّل ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: نسلّطهم فيها ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب مُلكهم وهلاكهم. قال: «هم آل محمّد. يبعث الله مهديّهم بعد

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

جهدهم ؛ فَيَعِزَّهُمْ ويذلّ عدوّهم»[١].

أقول: يعني في الباطن والتأويل، وكذا كلّ ما في معناه من الأخبار[٢].

﴿وَأَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك إخفاؤه ﴿فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ الصوت ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: في النّيل ﴿وَلا تَخافِي﴾ عليه ضيعة ولا شدّة ﴿وَلا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنّا رادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾. تعليل لالتقاطهم إيّاه، بما هو عاقبته ومؤدّاه، تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ﴾.

﴿وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: لفرعون حين أخرجته من التّابوت: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ عن ابن عبّاس: «قال فرعون: قرّة عين لك، فأمّا لي فلا. قال: قال رسول اللّه ﷺ: والّذي يُحْلَف[٣] به لو أقرّ فرعون بأن يكون له قرّة عين كما أقرّت امرأته، لهداه اللّه به كما هداها، ولكنّه أبى للشّقاء الّذي كتب اللّه عليه»[٤]. ﴿لا تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنا﴾ فإنّ فيه مخايل[٥] اليُمْن ودلائل النّفع ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾: نتبنّاه، فإنّه أهل له ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنّه الّذي ذهاب ملكهم على يديه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسىٰ فارِغاً﴾: صِفْراً[٦] من العقل، لما دهمها[٧] من الخوف والحيرة ﴿إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: إنّها كادت لتظهر بأمره وقصّته. قال: «كادت تخبر بخبره أو تموت، ثمّ حفظت نفسها»[٨]. ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلىٰ قَلْبِها﴾ بالصّبر والثّبات ﴿لِتَكُونَ مِنَ

١ـ الغيبة (للطّوسي): ١٨٤، الحديث: ١٤٢، عن أمير المؤمنين ؑ.

٢ـ نهج البلاغة: ٥٠٦، الحكمة: ٢٠٩؛ معاني الأخبار: ٧٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه ؑ.

٣ـ في «ج»: «نحلف».

٤ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٤١؛ الكشّاف ٣: ١٦٦؛ البيضاوي ٤: ١٢٤.

٥ـ مخايل، جمع المَخْيَلَة وهي ما يوقع في الخيال يعني به الأمارات. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).

٦ـ الصِّفْر ـ بالكسر فالسّكون ـ: الخالي. مجمع البحرين ٣: ٣٦٧ (صفر).

٧ـ دَهَمَهُمْ أمرٌ: إذا غشيهم فاشياً. لسان العرب ١٢: ٢١٠ (دهم).

٨ـ القمّي ٢: ١٣٦، عن أبي جعفر ؑ.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: من المصدّقين بوعد اللّه ، والواثقين بحفظه .

قال: «فلمّا خافت عليه الصّوت أوحى اللّه إليها أن اعملي التّابوت ثمّ اجعليه فيه ، ثمّ أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر ، فوضعته في التّابوت ثمّ دفعته في اليمّ ، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر[1] ، وأنّ الرّيح ضربته فانطلقت به ، فلمّا رأته قد ذهب به الماء همّت أن تصيح ، فربط اللّه على قلبها»[2] .

﴿وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾: اتّبعي أثره وتتبّعي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾: عن بُعْدٍ ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنّها تقصّ وأنّها أُخته .

﴿وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ﴾: ومنعناه أن يرتضع من المرضعات ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل قصصها أثره ﴿فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ﴾: لا يقصّرون في إرضاعه وتربيته .

﴿فَرَدَدْناهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾ علم مشاهدة . ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ قد مرّت هذه القصّة في «طٰه»[3] .

﴿وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال: «ثمان عشرة سنة»[4] . ﴿وَاسْتَوىٰ﴾ قال: «التحى»[5]. ﴿آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ قال: «مدينة من مدائن فرعون»[6]. ﴿عَلىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها﴾ قال: «بين المغرب والعشاء»[7]. ﴿فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هٰذا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ قال:

١ ـ الغَمْر: الماء الكثير . الصّحاح ٢: ٧٧٢ (غمر) .

٢ ـ كمال الدّين ١: ١٤٨ ، الباب: ٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ١٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ ذيل الآية: ٤٠ ، واطلب تفصيل القصّة في الصّافي ٣: ٣٠٦ .

٤ و ٥ ـ معاني الأخبار: ٢٢٦ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبداللّه عليه السلام . التحى الغلام: نبتت لحيته . مصباح المنير ٢: ٢٤٣ (لحي) .

٦ و ٧ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨ ، الباب: ١٥ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ .

«يقول بقول موسى»[١]. ﴿وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قال: «يقول بقول فرعون»[٢]. ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾: سأله أن يغيثه بالإعانة، ولذلك عدّي بـ«على» ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾: فضرب العدوّ بجُمْع كفّه[٣] ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قيل: أي: قتله، وأصله أنهى حياته[٤]. وقال: «أي: قضى على العدوّ بحكم الله، فوكزه فمات»[٥]. ﴿قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ قال: «يعني الاقتتال الّذي كان وقع بين الرّجلين، لا ما فعله موسى من قتله»[٦]. ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ قال: «يقول: وضعت نفسي غير موضعها، بدخول هذه المدينة»[٧]. ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ أي: أُسترني من أعدائك، لئلّا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ ـ الباء للسّببيّة وقيل: للقسم ـ[٨] قال: «يعني من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة»[٩]. ورد: «وكان موسى قد أُعطي بسطة في الجسم وشدّة في البطش[١٠]»[١١]. ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ قال: «بل أُجاهدهم في سبيلك بهذه القوّة حتّى ترضى»[١٢].

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: يترصّد الاستقادة ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٣٧، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ جُمْع الكَفّ ـ بالضمّ ـ وهو حين تَقْبِضُها. الصّحاح ٣: ١١٩٨ (جمع).
٤ ـ البيضاوي ٤: ١٢٥.
٥ و ٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.
٧ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١، مع تفاوت يسير.
٨ ـ البيضاوي ٤: ١٢٥؛ الكشّاف ٣: ١٦٩.
٩ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.
١٠ ـ البطش: الأخذ بسرعة والأخذ بعنف وسطوة. مجمع البحرين ٤: ١٣٠ (بطش).
١١ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠، الباب: ٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١، مع تفاوت يسير.

بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾: يستغيثه على آخر ﴿قالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾.

قال: «قال له: قاتلت رجلاً بالأمس، وتقاتل هذا اليوم! لأُوذينّك، وأراد أن يبطش به»[١].

﴿فَلَمّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلّا أَنْ تَكُونَ جَبّاراً فِي الأَرْضِ وَما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ﴾.

قال: «فلمّا كان من الغد جاء آخر فتشبّث بذلك الرّجل الّذي يقول بقول موسى، فاستغاث بموسى، فلمّا نظر صاحبه إلى موسى قال له: "أتريد أن تقتلني"؟! فخلّى عن صاحبه وهرب»[٢].

﴿وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعىٰ﴾: يسرع ﴿قالَ يا مُوسىٰ إِنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون بسببك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ﴾.

قال: «وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى، قد كتم إيمانه ستّمائة سنة، وهو الّذي قال اللّه عزّوجلّ: "وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ"[٣] قال: وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرّجلَ، فطلبه ليقتله، فبعث المؤمن إلى موسى: "إنّ الملأ يأتمرون بك"»[٤].

﴿فَخَرَجَ مِنْها﴾: من المدينة ﴿خائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب ﴿قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظّالِمِينَ﴾: خلّصني منهم واحفظني من لحوقهم.

قال: «يلتفت يمنة ويسرة ويقول: "ربِّ نجّني من القوم الظّالمين" ـ قال: ـ ومرّ نحو

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١، مع تفاوت يسير.

٢ ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ الغافر (٤٠): ٢٨.

٤ ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

مدين، وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيّام»[١].

﴿وَلَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ﴾: قبالة مدين؛ قرية شعيب ﴿قالَ عَسىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾ أي: البئر. قال: «فخرج من مصر بغير ظَهْر[٢] ولا دابّة ولا خادم، تخفضه الأرض مرّة وترفعه أُخرى، حتّى انتهى إلى أرض مدين، فانتهى إلى أصل شجرة، فنزل فإذا تحتها بئر»[٣]. ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النّاسِ﴾: جماعة كثيرة مختلفين ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾: في مكان أسفل من مكانهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء، لئلّا تختلط بأغنامهم ﴿قالَ ما خَطْبُكُما﴾: ما شأنكما تذودان ﴿قالَتا لا نَسْقِي حَتّىٰ يُصْدِرَ الرِّعاءُ﴾: يصرف الرّعاة مواشيهم عن الماء، حذراً من مزاحمة الرّجال ﴿وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: كبير السّنّ لا يستطيع أن يخرج للسّقي، فيرسلنا اضطراراً.

﴿فَسَقىٰ لَهُما﴾ مواشيهما رحمة عليهما. قال: «فرحمهما موسى ودنا من البئر، فقال لِمَنْ على البئر: أَسْتَقي لي دلواً ولكم دلواً، وكان الدّلو يمدّه عشرة رجال، فاستقى وحده دلواً لِمَنْ على البئر ودلواً لبنتي شعيب، وسقى أغنامهما. قال: وكان شديد الجوع[٤]؛ ولم يكن أكل منذ ثلاثة أيّام شيئاً»[٥]. قيل: وكان على رأس البئر حجر لا يقلّه إلّا سبعة رجال، وقيل: عشرة، وقيل: أربعون، فأقلّه وحده[٦].

١ ـ القمّي ٢: ١٢٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ ظهر ـ بالفتح فالسّكون ـ استعارة للدّابّة والرّاحلة. مجمع البحرين ٣: ٣٨٩ (ظهر).
٣ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠، الباب: ٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ١٣٨، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ١٢٧، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ جوامع الجامع: ٣٤٤؛ الكشّاف ٣: ١٧٠؛ البيضاوي ٤: ١٢٦.

﴿ثُمَّ تَوَلّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ قال: «إلى الشّجرة فجلس فيها»[١]. ﴿فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. قال: «سأل الطّعام»[٢]. وفي رواية: «واللّه ما سأل اللّه عزّوجلّ إلّا خبزاً يأكله. لأنّه كان يأكل بَقْلَةَ الأرض. ولقد كانت خُضْرَةُ البقل تُرىٰ من شَفيف[٣] صِفاق[٤] بطنه لهُزالهِ وتَشَذُّب لحمه[٥]»[٦]. وفي رواية: «قال ذلك وهو محتاج إلى شقّ تمرة»[٧].

﴿فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾.

﴿قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعي الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

قال: «قال لها شعيب: يا بنيّة هذا قويّ، قد عرفته برفع الصّخرة ـ وفي رواية: بأنّه يستقي الدّلو وحده[٨] ـ الأمين من أين عرفته؟ قالت: يا أبة إنّي مشيت قدّامه فقال: امشي من خلفي، فإن ضللتُ فارشديني إلى الطّريق، فإنّا قوم لا ننظر في أدبار النّساء»[٩].

﴿قالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ تفضّلاً منك لا إلزاماً عليك ﴿وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإلزام

١ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠، الباب: ٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «فجلس تحتها».
٢ ـ الكافي ٦: ٢٨٧، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي العيّاشي ٢: ٣٣٠، الحديث: ٤٤، عنه عليه السلام، وفيه: «إنّما عنى الطعام».
٣ ـ شفيف: رقيق يُسْتَشَفُّ ما وراءه، أي يبصر. المصباح المنير ١: ٣٨٤ (شفف).
٤ ـ الصِفاق: الجلد الأسفل الرقيق تحت الجلد الّذي عليه الشعر وفوق اللحم. لسان العرب ٧: ٢٦٧ (صفق).
٥ ـ تَشَذُّبُ اللّحم: فقدانه وتفرّقه، ويقال: فرس مُشَذَّبٌ، إذا كان طويلاً ليس كثير اللحم. لسان العرب ١: ٤٨٧ (شذب).
٦ ـ نهج البلاغة: ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الخطبة: ١٦٠.
٧ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠، الباب: ٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٨ ـ القمّي ٢: ١٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٢، الحديث: ٦، عن الكاظم عليه السلام.

الإتمام ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾ في حسن المعاملة.

﴿قالَ ذٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ لا نخرج عنه ﴿أَيَّما الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ وَاللّهُ عَلىٰ ما نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شاهد حفيظ.

﴿فَلَمّا قَضىٰ مُوسَى الأَجَلَ﴾ سئل: أيّ الأجلين قضى؟ قال: «أوفاهما وأبعدهما، عشر سنين»[١]. و في رواية: «وإن سئلت أيّة الابنتين تزوّج؟ فقل: الصّغرى منهما، وهي الّتي جاءت وقالت: "يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ"»[٢]. ﴿وَسارَ بِأَهْلِهِ﴾: بامرأته ﴿آنَسَ﴾: أبصر ﴿مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾ أي: عن الطّريق، فإنّه قد ضلّه ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: عود غليظ ﴿مِنَ النّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون بها. قال: «فلمّا صار في مفازة ومعه أهله، أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنّهم اللّيل، فنظر موسى إلى نار قد ظهرت»[٣].

﴿فَلَمّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الوادِ الأَيْمَنِ﴾ قال: «هو الفرات»[٤]. ﴿فِي البُقْعَةِ المُبارَكَةِ﴾ قال: «هي كربلا»[٥]. ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ قيل: كانت نابتة على الشّاطئ[٦]. ﴿أَنْ يا مُوسىٰ إِنِّي أَنَا اللّهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾. هذا وإن خالف ما في طه[٧] والنّمل[٨] لفظاً، فلا يخالفه في المعنى.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ﴾ أي: فألقاها فصارت ثعباناً واهتزّت، فلمّا رآها تهتزّ ﴿كَأَنَّها جانٌّ﴾: حيّة في الهيئة والجثّة، أو في السّرعة ﴿وَلّىٰ مُدْبِراً﴾: مهزماً من

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام، ذيل الآية: ٢٧.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ القمّي ٢: ١٣٩، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ و ٥ ـ التهذيب ٦: ٣٨، الحديث: ٨٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ الكشّاف ٣: ١٧٥؛ البيضاوي ٤: ١٢٧.

٧ ـ الآية: ١٠ ـ ١١.

٨ ـ الآية: ٧ ـ ٨.

الخوف ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ولم يرجع ﴿يا مُوسىٰ﴾: نودي يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾ من المخاوف، فإنّه "لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ"[1].

﴿أُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قال: «أي: من غير علّة»[2].

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾. قيل: ولعلّ ذلك لإخفاء الخوف عن العدوّ[3]، أو لتسكينه بناء على ما يقال: إنّ الخوف يسكن بوضع اليد على الصّدر. ﴿فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾.

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بها.

﴿وَأَخِي هٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً﴾: معيناً ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بتلخيص الحقّ وتقرير الحجّة وتزييف الشّبهة ﴿إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سنقوّيك به ﴿وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً﴾: غلبة ﴿فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما﴾ باستيلاء ﴿بِآياتِنا أَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغالِبُونَ﴾.

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ مُوسىٰ بِآياتِنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هٰذا إِلّا سِحْرٌ مُفْتَرىً وَما سَمِعْنا بِهٰذا فِي آبائِنا الأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَقالَ مُوسىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالهُدىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ﴾: العاقبة المحمودة لدار الدّنيا الّتي هي الجنّة، لأنّها خلقت مجازاً إليها ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾.

﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّها المَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكاذِبِينَ﴾.

قال: «فبنى هامان له صرحاً، حتّى بلغ مكاناً في الهواء، لا يتمكّن الإنسان أن يقوم

١ـ النّمل (٢٧): ١٠، والآية: «إنّي لا يخاف لديّ المرسلون».

٢ـ القمّي ٢: ١٤٠، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ـ غرائب القرآن ٣: ١٥١.

عليه من الرّياح القائمة في الهواء، فقال لفرعون: لا نقدر أن نزيد على هذا، فبعث اللّه عزّوجلّ رياحاً فرمت به» الحديث[1].

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَيَوْمَ القِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَأَتْبَعْناهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً﴾: طرداً عن الرّحمة ﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ﴾: ممّن قبحت وجوههم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ﴾: التّوراة ﴿مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنا القُرُونَ الأُولىٰ﴾: أقوام نوح وهود وصالح ولوط.

ورد: «ما أهلك اللّه قوماً ولا قرناً[2] ولا أُمّة ولا أهل قرية بعذاب من السّماء، منذ أنزل التّوراة على وجه الأرض، غير القرية الّتي مسخوا قردة ثمّ تلا هذه الآية»[3].

﴿بَصائِرَ لِلنّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الغَرْبِيِّ﴾: بجانب جبل الطّور الغربيّ حيث كلّم اللّه فيه موسى ﴿إِذْ قَضَيْنا﴾: أوحينا ﴿إِلىٰ مُوسَى الأَمْرَ﴾ وكلّمناه ﴿وَما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ لتكليمه.

﴿وَلٰكِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ﴾ فحرّفت الأخبار وتغيّرت الشّرائع واندرست العلوم، فأوحيناه إليك ﴿وَما كُنْتَ ثاوِياً﴾: مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون به ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ قيل: يعني فتقرأ على أهل مكّة[4]. ﴿آياتِنا﴾ الّتي فيها قصّتهم ﴿وَلٰكِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ﴾ إيّاك ومخبرين لك بها.

١ ـ القمّي ٢: ١٤٠، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ القَرْن من النّاس: أهل زمان واحد. الصّحاح ٦: ٢١٨٠ (قرن).

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه: «غير أهل القرية الّتي مسخوا قردة».

٤ ـ المصدر: ٢٥٧.

﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَلٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: ولكن علّمناك رحمة ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لوقوعهم في فترة بينك وبين من تقدّمك من الأنبياء ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. جوابه محذوف، يعني: لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم: ربّنا هلّا أرسلت إلينا رسولاً يبلّغنا آياتك فنتّبعها ونكون من المصدّقين، ما أرسلناك، أي: إنّما أرسلناك لعذرهم، وإلزام الحجّة عليهم.

﴿فَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسىٰ﴾ من الكتاب جملة، واليد والعصا وغيرهما اقتراحاً وتعنّتاً ﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أبناء جنسهم في الرّأي والمذهب، وهم كفرة زمان موسى ﴿قالُوا سِحْرانِ﴾ قيل: يعنون التّوراة والقرآن[1]. وعلى قراءة «ساحران»: موسى ومحمّد[2]، أو قيل موسى وهٰرون[3]. ﴿تَظاهَرا﴾: تعاونا بتوافق الكتابين أو بإظهار تلك الخوارق ﴿وَقالُوا إِنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُما﴾: ممّا نزّل على موسى وعليّ ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ﴾ إذ لو اتّبعوا حجّة لأتوا بها.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّٰهِ﴾ قال: «من اتّخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمّة الهدى»[4]. ﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٧، عن عكرمة والكلبي ومقاتل.

٢ ـ المصدر؛ البيضاوي ٤: ١٢٩؛ الكشاف ٣: ١٨٣.

٣ ـ القمّي ٢: ١٤١؛ البيضاوي ٤: ١٢٩.

٤ ـ الكافي ١: ٣٧٤، الحديث: ١، عن الكاظم عليه السلام؛ بصائر الدّرجات: ١٣، الباب: ٨، الحديث: ٣، عن الباقر عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ﴾: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال أو النّظم[١]. قال: «إمام إلى إمام»[٢]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لما رأوا ذكره في الكتب المتقدّمة.

﴿أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا﴾ قال: «بما صبروا على التّقيّة»[٣].

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قال: «الحسنة: التّقيّة، والسّيّئة: الإذاعة»[٤]. وفي رواية: «أي: يدفعون سيّئة من أساء إليهم بحسناتهم»[٥]. و ورد: «اتبع الحسنة السّيّئة تمحها»[٦].

﴿وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

﴿وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرّماً. القمّي: اللّغو: الكذب واللّهو والغناء[٧].

﴿وَقالُوا﴾ للّاغين ﴿لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لهم وتوديعاً ﴿لا نَبْتَغِي الجاهِلِينَ﴾: لا نطلب صحبتهم ولا نريدها.

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. إن ثبت نزولها في أبي طالب فلا دلالة فيها على عدم إيمانه، كما ظنّته العامّة[٨]، «فإنّ اللّه هداه للإيمان قبل بعثة ابن أخيه، واستودعه الوصايا، فدفعها إليه صلى الله عليه وآله». كما ورد[٩].

١ ـ أي: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتّصل التّذكير، أو في النّظم لتقرّر الدّعوة بالحجّة، والمواعظ بالمواعيد، والنّصائح بالعبر. كذا في الصّافي ٤: ٩٤.

٢ ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٨، عن الكاظم عليه السلام.

٣ و ٤ ـ الكافي ٢: ٢١٧، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ١٤٢.

٦ ـ مسند أحمد ٥: ٢٣٦؛ البيضاوي ٤: ١٣٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٧ ـ القمّي ٢: ١٤٢.

٨ ـ الكشّاف ٣: ١٨٥؛ البيضاوي ٤: ١٣٠.

٩ ـ الكافي ١: ٤٤٥، الحديث: ١٨؛ كمال الدّين ٢: ٦٦٥، الباب: ٥٨، الحديث: ٧، عن الكاظم عليه السلام. وفي مجمع ←

قال: «إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف، أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرّتين»[1].

أقول: وإنّما أسرّ الإيمان وأظهر الشّرك ليكون أقدر على نصرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله، كما يستفاد من أخبار أُخر[2]. وفي الآية إيماء بسبق هدايته من الله[3]، وإنّه كان يُسِرُّها.

وورد فيه: «إنّه لو شفع [أبي][4] في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، وإنّ نوره يوم القيامة ليطفي أنوار الخلق إلّا أنوار الخمسة[5] والأئمّة من ولدهم عليهم السلام»[6].

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾: نخرج منها. ورد: «إنّها نزلت في قريش حين دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الإسلام والهجرة»[7].

وفي رواية قال: «لأدعونّ إلى هذا الأمر الأبيض والأسود، ومَنْ على رؤوس الجبال، ومن في لجج البحار، ولأدعونّ إليه فارس والرّوم. فقالوا: والله لو سمعت بهذا فارس والرّوم لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً. فأنزل الله هذه الآية»[8].

← البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٧: «وقد ذكرنا في سورة الأنعام ـ ذيل الآية: ٢٦ ـ أنّ أهل البيت عليهم السلام قد أجمعوا على أنّ أبا طالب مات مسلماً، وتظاهرت الرّوايات بذلك عنهم، وأوردنا هناك طرفاً من أشعاره الدّالّة على تصديقه للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وتوحيده، فإنّ استيفاء ذلك جميعه لا تتّسع له الطوامير. وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النّبي صلّى الله عليه وآله ويناضل عنه ويصحّح نبوّته، وقال بعض الثقاة أنّ قصائده في هذا المعنى يبلغ قدر مجلّد وأكثر من هذا، ولا شكّ في أنّه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء، استصلاحاً لهم، وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلّا يُلجئوا الرسول إلى ما ألجأوه إليه بعد موته».

١ ـ الكافي ١: ٤٤٨، الحديث: ٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ المصدر: ٤٤٠، ذيل الحديث مولد النّبي صلّى الله عليه وآله؛ و٤٤٨، الحديث: ٢٩ و٣١.

٣ ـ راجع: مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٩؛ روح الجنان وروح الجنان (لأبي الفتوح الرّازي) ٤: ٢١٠.

٤ ـ ما بين المعقوفتين من المصدر.

٥ ـ في «ألف» و«ج»: «الخمسة أنوار».

٦ ـ بشارة المصطفى: ٢٠٢، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٧ ـ القمّي ٢: ١٤٢؛ كشف المهجّة: ١٧٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ روضة الواعظين، في مبعث النّبيّ صلّى الله عليه وآله، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىٰ إِلَيْهِ﴾: يحمل إليه ويجمع فيه ﴿ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كلّ أوْب[1] ﴿رِزْقاً مِنْ لَدُنّا﴾. فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام، فكيف نعرّضهم للتّخوّف[2] والتّخطّف إذا كانوا موحّدين؟! ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة لا يتفطّنون له.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها﴾: كانت[3] حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش حتّى أشروا، فدمّر اللّه عليهم وخرّب ديارهم ﴿فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ﴾ خاوية ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلّا قَلِيلاً﴾ من شؤم معاصيهم ﴿وَكُنّا نَحْنُ الْوارِثِينَ﴾.

﴿وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّها﴾: في أصلها، لأنّ أهلها[4] يكون أفطن وأنبل ﴿رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا﴾ لإلزام الحجّة وقطع المعذرة ﴿وَما كُنّا مُهْلِكِي الْقُرىٰ إِلّا وَأَهْلُها ظالِمُونَ﴾ بتكذيب الرّسل والعتوّ في الكفر.

﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَزِينَتُها﴾ تتمتّعون وتتزيّنون به مدّة حياتكم المنقضية ﴿وَما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ لأنّه لذّة خالصة وبهجة كاملة أبديّة ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ فتستبدلون الّذي هو أدنى بالّذي هو خير.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ الّذي هو مشوب بالآلام، مكدّر بالمتاعب، مستعقب للتّحسّر على الانقطاع ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب أو العذاب. وهذه الآية كالنّتيجة للّتي قبلها.

﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: تزعمونهم شركائي.

﴿قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنا هٰؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا

١ ـ جاؤوا من كلّ أوْب ـ أي: من كلّ طريق ووجهٍ وناحيةٍ. لسان العرب ١: ٢٢٠ (أوب).

٢ ـ في «ألف»: «فكيف تعرضهم التّخوّف».

٣ ـ في «ألف»: «قال: كانت».

٤ ـ في «ألف» و«ج»: «أهله».

﴿إِلَيْكَ﴾ منهم وممّا اختاروه من الكفر ﴿ما كانُوا إِيّانا يَعْبُدُونَ﴾ وإنّما يعبدون أهواءهم.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ من فرط الحيرة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لعجزهم عن الإجابة والنّصرة ﴿وَرَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ﴾. «لو» للتمنّي، أو محذوف الخبر، أي: لو يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ماذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ﴾: لا تهتدي إليهم، وأصله فعموا عن الأنباء، لكنّه عكس مبالغة ودلالة على أنّ ما يحضر الذّهن إنّما يرد عليه من خارج، فإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى استحضاره ﴿فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب.

القمّي: إنّ العامّة قد رووا: أنّ ذلك يعني النّداء في القيامة، وأمّا الخاصّة فعن الصّادق عليه السلام: «إنّ العبد إذا دخل قبره وفرغ منه، يسأل عن النّبيّ صلى الله عليه وآله» ثمّ ذكر حديث سؤال القبر[1].

﴿فَأَمَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: التّخيّر، كالطّيرة بمعنى التّطيّر، يعني: ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه؛ أوليس لأحد أن يختار شيئاً إلّا بقدرته ومشيّته واختياره.

يدلّ على الأوّل: ما ورد في حديث الإمامة: «رغبوا عن اختيار اللّه واختيار رسول اللّه إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم، "وربّك يخلق ما يشاء ويختار" الآية»[2].

وعلى الثّاني: ما ورد في حديث: «وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا

١ ـ القمّي ٢: ١٤٣.

٢ ـ الكافي ١: ٢٠١، ذيل الحديث: ١؛ الأمالي (للصّدوق): ٥٣٩، المجلس: ٩٧، ذيل الحديث: ١، عن الرّضا عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٦٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

لحظة[١] إلّا بقدرته ومشيّته، وهم عاجزون عن إتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته، قال اللّه تعالى: "وربّك يخلق" الآية»[٢]. ﴿سُبْحانَ اللّهِ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَما يُعْلِنُونَ﴾ فله أن يختار للنّبوّة والإمامة وغيرهما دونهم، هذا على المعنى الأوّل للآية السّابقة، وفي بعض الأخبار دلالة عليه[٣].

﴿وَهُوَ اللّهُ﴾ المستحقّ للعبادة ﴿لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ﴾: لا أحد يستحقّها إلّا هو ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ لأنّه المولى للنّعم كلّها عاجِلها وآجِلها ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾: القضاء النّافذ في كلّ شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبّر واستبصار.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: في اللّيل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النّهار بأنواع المكاسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولكي تعرفوا نعمة اللّه في ذلك، فتشكروه[٤] عليها.

﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. تقريع بعد تقريع، للإشعار بأنّه لا شيء أجلب لغضب اللّه من الإشراك به، ولأنّ الأوّل لتقرير فساد رأيهم، والثّاني لبيان أنّه لم يكن عن برهان.

﴿وَنَزَعْنا﴾: وأخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ يشهد عليهم بما كانوا عليه. قال: «من

١ ـ في «ب» و«ج»: «ولحظة».

٢ ـ مصباح الشّريعة: ٩٣، الباب: ٤٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ كمال الدّين ٢: ٤٦١ ـ ٤٦٢، الباب: ٤٣، ذيل الحديث: ٢١، عن الحجّة عليه السلام.

٤ ـ في «ألف»: «فتشكرون».

كلّ فرقة من هذه الأُمّة إمامها»[١] . ﴿فَقُلْنا﴾ للأُمم ﴿هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على صحّة ما تتديّنون به ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الحَقَّ لِلّٰهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: وغاب عنهم غيبة الضّائع ﴿ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل .

﴿إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ﴾ قال: «هو ابن خالته»[٢] . وقيل: كان ابن عمّه يصهر بن قاهث بن لاوي ـ ولا تنافي بينهما ـ وكان ممّن آمن به[٣] ، «وكان موسى يحبّه» . كذا ورد[٤] . ﴿فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ﴾: فطلب الفضل عليهم وتكبّر ﴿وَآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ﴾: من الأموال المدّخرة ﴿ما إِنَّ مَفاتِحَهُ﴾: مفاتح صناديقه ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ﴾: لتثقل[٥] الجماعة الكثيرة الأقوياء . القمّي: العصبة: ما بين العشرة إلى تسعة عشر[٦] . ﴿إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ﴾: لا تبطر[٧] ﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾ بزخارف الدّنيا .

﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللّٰهُ الدّارَ الآخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك ﴿وَلا تَنْسَ﴾: ولا تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾ قال: «أي: لا تنس صحّتك وقوّتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة»[٨] . ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى عباد اللّه ﴿كَما أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ﴾ بالإنعام ﴿وَلا تَبْغِ الفَسادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾ .

ورد: «إنّ فساد الظّاهر من فساد الباطن ، ومن أصلح سريرتَه أصلح اللّه علانيتَه ، ومن خان اللّهَ في السّرّ هتك اللّهُ سترَه في العلانية . وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن اللّه

١ ـ القمّي ٢: ١٤٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٦٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ البيضاوي ٤: ١٣٢ .
٤ ـ القمّي ٢: ١٤٥ .
٥ ـ في «ألف»: «لتنقل» .
٦ ـ القمّي ٢: ١٤٤ .
٧ ـ البَطَر: النشاط والطّغيان في النّعمة . لسان العرب ٤: ٦٨ (بطر) .
٨ ـ معاني الأخبار: ٣٢٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

تعالى وهذا الفساد يتولّد من طول الأمل والحرص والكبر، كما أخبر اللّه في قصّة قارون في قوله: "ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ اللّه لا يحبّ المفسدين" وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده، وأصلها من حبّ الدّنيا وجمعها، ومتابعة النّفس وهواها، وإقامة شهواتها، وحبّ المحمدة، وموافقة الشّيطان واتّباع خطراته[١]، وكلّ ذلك مجتمع تحت الغفلة عن اللّه ونسيان مننه[٢]»[٣].

﴿قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القمّي: يعني ماله، وكان يعمل الكيمياء[٤].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القمّي: أي: لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء[٥].

﴿فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ القمّي: في الثّياب المصبّغات، يجرّها على الأرض[٦].

﴿قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وَلا يُلَقّاها﴾ أي: هذه الكلمة الّتي تكلّم بها العلماء ﴿إِلَّا الصّابِرُونَ﴾ على الطّاعات وعن المعاصي.

﴿فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾: أعوان ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿وَما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ الممتنعين منه.

القمّي في كلام طويل ما معناه: إنّه كان يؤذي موسى عليه السلام فقال موسى: يا ربّ إن لم تغضب لي فلست لك بنبيّ، فأوحى اللّه إليه: قد أمرت الأرض أن تطيعك، فمُرْها بما شئت. فقال موسى عليه السلام: يا أرض خُذيه، فدخل قصره بما فيه في الأرض، ودخل قارون فيها إلى

١ ـ في المصدر: «واتّباع خطواته».
٢ ـ في «ب» و«ج»: «منّته».
٣ ـ مصباح الشريعة: ١٠٧، الباب: ٥١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ١٤٤.
٦ ـ القمّي ٢: ١٤٤.

ركبتيه ، فبكي وحلّفه بالرَّحِمِ ، فقال له موسى: يابن لاوى لا تزدني من كلامك ، يـا أرض خُذيه ، فابتلعته بقصره وخزائنه ، فعيّر اللّه موسى بما قاله ، فقال: يا ربّ إنّ قارون دعـاني بغيرك ، ولو دعاني بك لأجبته . فقال اللّه عزّوجلّ: يابن لاوي لا تزدني من كلامك ، فقال موسى: ياربّ لو علمت أنّ ذلك لك رضا لأجبته ، فقال اللّه: يا مـوسى وعـزّتي وجـلالي وجودي ومجدي وعلّو مكاني ، لو أنّ قارون كما دعاك دعاني لأجبته ، ولكنّه لمّا دعـاك وكلته إليك[١] . هذا ملخّص كلامه .

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ﴾: منزلته ﴿بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللّٰهَ﴾ القمّي: هي لغة سريانيّة[٢] . ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ بمقتضى مشيّته ، لا لكرامة يقتضي البسط ، ولا لهوان يوجب القبض ﴿لَوْلا أَنْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنا﴾ فلم يعطنا ما تـمنّينا ﴿لَـخَسَفَ بِنا﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه ، فخسف به لأجله ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ﴾ لنعمة اللّه .

﴿تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ﴾ الّتي سمعت خبرها وبلغك وصفها ﴿نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُـرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ﴾: غلبة وقهراً ﴿وَلا فَساداً﴾: ظلماً على النّـاس. قـال: «العـلوّ: الشّـرف، والفساد: البناء»[٣]. و ورد: «نزلت في أهل العدل والتّواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر النّاس»[٤]. و ورد: «إنّ الرّجل ليعجبه أن يكون شراك[٥] نعله أجود من شراك نـعل صـاحبه، فيدخل تحت هذه الآية»[٦]. ﴿وَالعاقِـبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُـتَّقِـينَ﴾: من اتّقى ما لا يرضاه اللّه.

﴿مَنْ جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَمَنْ جاءَ بِـالسَّـيِّئَةِ فَـلا يُـجْزَى الَّـذِينَ عَـمِلُوا

١ ـ القمّي ٢: ١٤٥ .
٢ ـ القمّي ٢: ١٤٤ .
٣ ـ القمّي ٢: ١٤٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام . وفيه: «والفساد: النساء» ولكن في المخطوط من القمّي كما أثبتناه .
٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٦٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٥ ـ الشّراك: أحد سيور النعل الّتي يكون على وجهها توثق به الرجل ، مجمع البحرين ٥: ٢٧٦ (شرك) .
٦ ـ سعد السّعود (لابن طاووس): ٨٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

السَّيِّئاتِ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرادُّكَ إِلىٰ مَعادٍ﴾ أيّ معاد . قال: «يرجع إليكم نبيّكم وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام»[1] . ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ . يعني به نفسه والمشركين .

﴿وَما كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقىٰ إِلَيْكَ الكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ولكن ألقاه رحمة منه ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ﴾ بمداراتهم . القمّي: قال: المخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس[2] . وكذا قال فيما بعده[3] .

﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللّٰهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ .

﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: «دينه والوجه الّذي يؤتى منه»[4] . قال: «ونحن الوجه الّذي يؤتى منه ، لم نزل في عباده»[5] .

أقول: وذلك لأنّ الوجه ما يواجه به ، واللّه سبحانه إنّما يواجه عباده ويخاطبهم بواسطة نبيّ أو وصيّ نبيّ .

وفي رواية: إنّ الضّمير في وجهه راجع إلى الشّيء[6] .

أقول: وعلى هذا فمعناه: إنّ وجه الشّيء لا يهلك ، وهو ما يقابل منه إلى اللّه ، وهو روحه وحقيقته وملكوته ومحلّ معرفة اللّه منه ، الّتي تبقى بعد فناء جسمه وشخصه ، والمعنيان متقاربان ﴿لَهُ الحُكْمُ﴾: القضاء النّافذ في الخلق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ١٤٧ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .
٢ ـ المصدر .
٣ ـ المصدر ، ذيل الآية: ٨٨ .
٤ ـ التّوحيد: ١٤٩ ، الباب: ١٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٥ ـ المصدر: ١٥١ ، الباب: ١٢ ، الحديث: ٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ القمّي ٢: ١٤٧ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٦ ـ الدّرّ المنثور ٦: ٤٤٧ .

سورة العنكبوت

[مكيّة ، وهي تسع وستّون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾ .

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا﴾: لقولهم ﴿آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾: لا يختبرون . قال: «معنى يفتنون: يبتلون في أنفسهم وأموالهم»[2] . وفي رواية: «الفتنة في الدّين»[3] . و ورد: لمّا نزلت هذه الآية قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لابدّ من فتنة تبتلى بها الأمّة بعد نبيّها ، ليتبيّن الصّادق من الكاذب ، لأنّ الوحي قد انقطع ، وبقي السّيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة»[4] .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: اختبرناهم ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ﴾: فليعلمنّهم في الوجود ممتحنين بعد علمه السّابق بأنّهم سيوجدون كذلك . وفي

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٧٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ الكافي ١: ٣٧٠ ، الحديث: ٤ ، عن الكاظم عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣١٥ ، ذيل الآية: ٦٥ من سورة الأنعام .

قراءتهم عليهم السّلام: «ليُعْلِمنّ»[1] في الموضعين، من الإعلام.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونا﴾: أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم ﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾.

﴿مَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ قال: «يعني من كان يؤمن بأنّه مبعوث، فإنّ وعد اللّه لآتٍ من الثّواب والعقاب. قال: فاللّقاء هاهنا ليس بالرّؤية، واللّقاء هو البعث»[2]. والقمّي: من أحبّ لقاء اللّه جاءه الأجل[3]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿العَلِيمُ﴾ بعقائدهم وأعمالهم.

﴿وَمَنْ جاهَدَ﴾ نفسه بالصّبر على مضض الطّاعة والكفّ عن الشّهوات ﴿فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنّ منفعته لها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أحسن جزاء أعمالهم.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بإلاهيّته. عبّر عن نفيها بنفي العلم بها، إشعاراً بأنّ ما لا يعلم صحّته لا يجوز اتّباعه وإن لم يعلم بطلانه، فضلاً عمّا علم بطلانه. ﴿فَلا تُطِعْهُما﴾ في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصّالِحِينَ﴾.

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ﴾ القمّي: إذا آذاه إنسان، أو أصابه ضرّ أو فاقة أو خوف من الظّالمين، دخل[4] معهم في دينهم، فرأى أنّ ما يفعلونه هو مثل عذاب اللّه الّذي لا ينقطع[5]. ﴿وَلَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: فتح

١ ـ المصدر ٧ ـ ٨: ٢٧١، عن أمير المؤمنين، وعن أبي عبد اللّه عليهما السلام.
٢ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ١٤٨.
٤ ـ في المصدر: «ليدخل».
٥ ـ القمّي ٢: ١٤٩.

وغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنّا كُنّا مَعَكُمْ﴾ في الدّين فأشركونا فيه ﴿أَوَ لَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ العالَمِينَ﴾ من الإخلاص والنّفاق.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ المُنافِقِينَ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ﴾. القمّي: كان الكفّار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا، فإنّ الّذي تخافون أنتم ليس بشيء، فإن كان حقّاً نتحمّل نحن ذنوبكم، فيعذّبهم اللّه مرّتين؛ مرّة بذنوبهم ومرّة بذنوب غيرهم[١]. ﴿وَما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ﴾: أثقال ما اقترفته أنفسهم ﴿وَأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ﴾: وأثقالاً آخر معها، لما تسبّبوا له بالإضلال والحمل على المعصية، من غير أن ينقص من أثقال مَنْ تَبِعَهم شيء ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ القِيامَةِ عَمّا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلّا خَمْسِينَ عاماً﴾ قال: «لم يشاركه في نبوّته أحد»[٢]. وقال: «يدعوهم سرّاً وعلانية، فلمّا أبوا وعتوا قال: ربّ إنّي مغلوب فانتصر»[٣]. ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْناهُ وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ﴾ يتّعظون ويستدلّون بها.

﴿وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ممّا أنتم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾: وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادّعاء شفاعتها عند اللّه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ١٤٩.
٢ ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث الطّويل: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٨: ٢٨٣، ذيل الحديث: ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ قيل: هي من جملة قصّة إبراهيم[١]. والقمّي: خطاب لهذه الأمّة معترض في قصّة إبراهيم، وهو من المنقطع المعطوف[٢].

أقول: الوجه فيه أنّ مساق قصّة إبراهيم لتسلية الرّسول، والتّنفيس عنه؛ بأنّ أباه خليل اللّه كان ممنوّاً[٣] بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم، وتشبيه حاله فيهم بتشبيه حال إبراهيم في قومه. ولذلك توسّط مخاطبتهم بين طرفي قصّته ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الرّسلَ ﴿وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلاغُ المُبِينُ﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِىءُ اللّهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾. خطابٌ لإبراهيم على الأوّل، ولنبيّنا على الثّاني. ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تردّون.

﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ربّكم عن إدراككم ﴿فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾ إن فررتم من قضائه بالتّواري في إحداهما ﴿وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللّهِ وَلِقائِهِ﴾ بالبعث ﴿أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم.

﴿فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ﴾: قوم إبراهيم له ﴿إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾. كان ذلك قول بعضهم، لكن لمّا رضي به الباقون أُسند إلى كلّهم. ﴿فَأَنْجاهُ اللّهُ مِنَ النّارِ﴾ بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ﴾ هي حفظه من أذى النّار، وإخمادها مع عظمها في زمان يسير، وإنشاء روض مكانها ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقالَ إِنَّما اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: لتتوادّوا بينكم،

١ ـ الكشّاف ٣: ٢٠١؛ البيضاوي ٤: ١٣٦.
٢ ـ القمّي ٢: ١٤٩، مع تفاوت يسير.
٣ ـ مَناهُ، يَمْنُوه: ابتلاه واختبره. القاموس المحيط ٤: ٣٩٤ (منو).

وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها ﴿فِي الحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ قال: يعني يتبرّأ بعضكم من بعض»[1]. وقال: «الكفر في هذه الآية البراءة»[2]. ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْواكُمُ النّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾.

﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي﴾ قيل: مهاجر من قومي إلى حيث أمرني ربّي[3]. ﴿إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ﴾ الّذي يمنعني من أعدائي ﴿الحَكِيمُ﴾ الّذي لا يأمرني إلّا بما فيه صلاحي.

﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه، والذرّيّة الطّيّبة الّتي من جملتهم خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين وأميرالمؤمنين وعترتهما الطّيّبين، واستمرار النّبوّة فيهم، وانتماء[4] الملل إليه، والصّلاة والثّناء عليه إلى آخر الدّهر ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ﴾.

﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ العالَمِينَ﴾.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: تتعرّضون للسّابلة[5] بالفاحشة والفضيحة، حتّى انقطعت الطّرق ﴿وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ﴾: في مجالسكم الغاصّة؛ ولا يقال النّادي إلّا لما فيه أهله ﴿المُنْكَرَ﴾. قال: «كانوا يتضارطون في مجالسهم في غير حشمة ولا حياء»[6]. وفي رواية: «هو الخذف»[7] أي: الرّمي بالحصا. ﴿فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلّا أَنْ

١ـ الكافي ٢: ٣٩١، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ البيضاوي ٤: ١٣٧.

٤ـ الانتماء: الانتساب. مجمع البحرين ١: ٤٢١.

٥ـ السّابلة: الطريق المسلوك، والجمع: السّوابل. أقرب الموارد ١: ٤٩٢ (سبل).

٦ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٨٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، وفيه: «من غير حشمة ولا حياء».

٧ـ التهذيب ٣: ٢٦٣، الحديث: ٧٤١، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن النّبيّ صلوات الله عليهم؛ عوالى اللئالي ←

قالُوا ٱئْتِنا بِعَذابِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ .

﴿قالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾

﴿وَلَمّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرىٰ﴾: بالبشارة بالولد والنّافلة[1] ﴿قالُوا إِنّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: قرية سَدوم[2] ﴿إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ﴾ .

﴿قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلّا ٱمْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب .

﴿وَلَمّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾: جاءته المساءة والغمّ بسببهم ﴿وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾: وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه ، أي: طاقته ﴿وَقالُوا﴾ لمّا رأوا فيه من أثر الضّجرة ﴿لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلّا ٱمْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ﴾ .

﴿إِنّا مُنْزِلُونَ عَلىٰ أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ﴾: عذاباً منها ﴿بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هي منزل لوط ، بقي عبرة للسّيّارة .

﴿وَإِلىٰ مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ ٱعْبُدُوا اللّٰهَ وَٱرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قيل: أي افعلوا ما ترجون به ثوابه[3] . وقيل: إنّه من الرّجاء ، بمعنى الخوف[4] . ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ .

← ١: ٣٢٧ ، الحديث: ٧٢ ، عن النبيّ ﷺ .

١ ـ ويقال لولد الولد: نافلة ، لأنّه زيادةٌ على الولد . ومنه قوله تعالى في سورة الانبياء (٢١): ٧٢: «وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً» . فانّه دعي بإسحاق ، فاستجيب له ، وزيد يعقوب نافلةً ، تفضّل من اللّه وإن كان الكلّ بتفضّله . مجمع البحرين ٥: ٤٨٥ (نفل) .

٢ ـ سَدُوم ـ فعول من السَّدَم ، وهو النّدم مع غمّ ـ: بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم ، وهي من مدائن قوم لوط ، وقاضيها يضرب به المَثَل فيقال: أجور من قاضي سدوم . معجم البلدان ٣: ٢٠٠ .

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٣٨ .

٤ ـ المصدر : الكشّاف ٣: ٢٠٥ .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزّلزلة الشّديدة الّتي فيها الصّيحة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ﴾: باركين على الرُّكَب ميّتين.

﴿وَعاداً وَثَمُوداً﴾ أي: واذكرهما، أو وأهلكنا ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ﴾: بعض مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾: متمكّنين من النّظر والاستبصار، ولكنّهم لم يفعلوا.

﴿وَقارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهامانَ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَما كانُوا سابِقِينَ﴾: فائتين، بل أدركهم أمر اللّه.

﴿فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً﴾ كقوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كمدين وثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا﴾ كفرعون وقومه، وقوم نوح ﴿وَما كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالتّعريض للعذاب.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِياءَ﴾ فيما اتّخذوه معتمداً ومتّكلاً ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ فيما نسجه، في الوهن والخور[1] ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾: يرجعون إلى علم، لعلموا أنّ هذا مثلهم.

﴿إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ﴾ يعني هذا المَثَل ونظائره ﴿نَضْرِبُها لِلنّاسِ﴾ تقريباً لما بَعُدَ من أفهامهم ﴿وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾ الّذين يتدبّرون الأشياء على ما ينبغي.

ورد: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية فقال: «العالم الّذي عقل عن اللّه[2]، فعمل بطاعته،

١ ـ الخور: الضّعف. الصّحاح ٢: ٦٥١ (خور).

٢ ـ عقل عن اللّه، أي: عرف عنه، كأنّ أخذ العلم من كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله. وأيضاً عقل عن اللّه، أي: اعتزل عن أهل الدّنيا. مجمع البحرين ٥: ٤٢٦ ـ ٤٢٧ (عقل).

واجتنب سخطه»[١].

﴿خَلَقَ اللّهُ السَّموٰاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿أُتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتابِ﴾ تقرّباً إلى اللّه بقراءته، وتحفّظاً لألفاظه، واستكشافاً لمعانيه ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ﴾.

قال: «الصّلاة حُجْزَة[٢] اللّه، وذلك أنّها تحجز المصلّي عن المعاصي مادام في صلاته، ثمّ تلا هذه الآية»[٣].

وروي: إنّ فتى من الأنصار كان يصلّي الصّلوات[٤] مع رسول اللّه صلّى الله عليه وآله ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله فقال: «انّ صلاته تنهاه يوماً[٥]»[٦] فلم يلبث أن تاب.

﴿وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ﴾. قال: «يقول: ذكر اللّه لأهل الصّلاة أكبر من ذكرهم إيّاه، ألا ترى أنّ يقول: "أُذكُروني أذكُركُمْ"»[٧].

وفي رواية قال: «ذكر اللّه عند ما أحلّ وحرّم»[٨].

وورد في التأويل: «الصّلاة تتكلّم ولها صورة وخلق، تأمر وتنهى، والنّهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر اللّه ونحن أكبر»[٩].

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٤.

٢ ـ حَجَزَ يَحْجُزُه حَجْزاً، أي: منعه. والحُجْزَة: استعير للتمسّك والاعتصام أو الهداية. مجمع البحرين ٤: ١٤ ـ ١٥ (حجز).

٣ ـ التّوحيد: ١٦٦، الباب: ٢٣، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ في «ب»: «الصّلاة».

٥ ـ في مجمع البيان والصّافي ٤: ١١٨: «إنّ صلاته تنهاه يوماً مّا».

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٥؛ الكشّاف ٣: ٢٠٧؛ البيضاوي ٤: ١٣٩.

٧ ـ القمّي ٢: ١٥٠. والآية في سورة البقرة (٢): ١٥٢، ونصّ الآية هكذا: «فاذكُرُوني أذكُركُم».

٨ ـ الكافي ٢: ٨٠، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٩ ـ الكافي ٢: ٥٩٨، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي جعفر عليه السلام. وراجع في تفسير الحديث: مرآة العقول ١٢: ←

﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ﴾ .

﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . قد مضى تفسيره في سورة النّحل[1] . ﴿إِلّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في الاعتداء ﴿وَقُولُوا آمَنّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنا وَإِلٰهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ . هو من المجادلة بالّتي هي أحسن .

روي أنّه صلّى الله عليه وآله قال: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ، وقولوا: آمنّا بالله وبكتبه ورسله ، فإن قالوا باطلاً لم تصدّقوهم ، وإن قالوا حقّاً لم تكذّبوهم»[2] .

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلاءِ﴾ يعني أهل الإيمان من أهل القبلة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلّا الكافِرُونَ﴾ .

﴿وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ ذكر اليمين زيادة تصوير للمنفيّ ، ونفي للتّجوّز في الإسناد ﴿إِذاً لَارْتابَ المُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت ممّن يخطّ ويقرأ لقالوا: لعلّه أو التقطه من كتب الأقدمين .

القمّي: هذه الآية معطوفة على قوله في سورة الفرقان[3]: "اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً"[4] .

﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ قال: «هم الأئمّة»[5] . ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلّا الظّالِمُونَ﴾ .

→ ٤٧٧ .

١ ـ ذيل الآية: ١٢٥ .

٢ ـ الكشّاف ٣: ٢٠٨ ؛ البيضاوي ٤: ١٤٠ ؛ الدرّ المنثور ٦: ٤٦٩ ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله .

٣ ـ الفرقان (٢٥): ٥ .

٤ ـ القمّي ٢: ١٥١ .

٥ ـ الكافي ١: ٢١٤ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ إِنَّما الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء، لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه. ﴿وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ﴾: يدوم تلاوته عليهم ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: وتذكرة لمن همّه الإيمان دون التّعنّت.

روي «إنّ أُناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود، فقال: كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عمّا جاء به نبيّهم، إلى ما جاء به غير نبيّهم. فنزلت»[1].

﴿قُلْ كَفىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ بصدقي وقد صدّقني بالمعجزات.

﴿يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ لكلّ عذاب وقوم ﴿لَجاءَهُمُ الْعَذابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾ لإحاطة أسبابها بهم.

﴿يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ أي: إذا لم يتيسّر لكم العبادة في بلدة، فهاجروا إلى حيث يتمشّى لكم ذلك.

قال: «يقول: لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك، فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم، فإنّ أرضي واسعة، هو يقول: "فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعفين في الأرض" فقال: "ألم تكن

١ ـ البيضاوي ٤: ١٤٠.

أرضُ اللّه واسعةٌ فتُهاجِروا فيها[١]»[٢].

و ورد: «إذا عُصي اللّه في أرضٍ أنت بها[٣] فاخرج منها إلى غيرها»[٤].

وقال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً، استوجب بها الجنّة، وكان رفيق إبراهيم ومحمّد عليهما السلام»[٥].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: لننزّلنّهم ﴿مِنَ الجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على المِحَن والمَشاقّ ﴿وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها اَللّٰهُ يَرْزُقُها وَإِيّاكُمْ﴾. القمّي: كانت العرب يقتلون أولادهم مخافة الجوع، فقال اللّه تعالى: "اللّه يرزقها وإيّاكم"[٦]. وقيل: لمّا أُمروا بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟! فنزلت[٧]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ لقولكم وبضميركم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ عن توحيده بعد إقرارهم بذلك بالفطرة.

﴿اللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ على التّعاقب، أو لمن يشاء

١ ـ النّساء (٤): ٩٧.

٢ ـ القمّي ٢: ١٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «أنت فيها».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٩١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ جوامع الجامع: ٣٥٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ ـ القمّي ٢: ١٥١.

٧ ـ الكشّاف ٣: ٢١١؛ البيضاوي ٤: ١٤١.

لإبهامه[١] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ فيتناقضون حيث يقرّون بأنّه خالق كلّ شيء، ثمّ إنّهم يشركون به الأصنام.

﴿وَما هٰذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: إلّا كما يلهو ويلعب به الصّبيان، يجتمعون عليه ويتبهّجون به ساعة، ثمّ يتفرّقون متعبين ﴿وَإِنَّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ﴾ لهي دار الحياة الحقيقيّة، لامتناع طريان الموت عليها. وفي لفظة «الحيوان» من المبالغة ما ليس في لفظة «الحياة»؛ لبناء فَعَلان على الحركة، والاضطراب اللّازم للحياة. ﴿لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لم يؤثروا عليها الدّنيا الّتي حياتها عارضة سريعة الزّوال.

﴿فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ على ما هم من الشّرك ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: في صورة من أخلص دينه من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلّا اللّه ولا يدعون سواه، لعلمهم بأنّه لا يكشف الشّدائد إلّا هو. ﴿فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾: فاجأوا المعاودة إلى الشّرك.

﴿لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ﴾: لكي يكونوا كافرين بشركهم نعمة النّجاة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادّهم عليها ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك حين يعاقبون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكّة ﴿أَنّا جَعَلْنا﴾ لهم ﴿حَرَماً آمِناً﴾ أي: جعلنا بلدهم مصوناً عن النّهب والتّعدّي، آمناً أهله عن القتل والسّبي ﴿وَيُتَخَطَّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: يختلسون قتلاً وسبياً إذ كانت[٢] العرب حوله في تغاور وتناهب ﴿أَفَبِالْباطِلِ﴾: أبعد هذه

١ ـ يعني يحتمل أن يكون الموسّع له والمضيّق عليه واحداً، على أنّ البسط والقبض على التّعاقب، وأن لا يكون على وضع الضمير موضع «من يشاء» وإبهامه؛ لأنّ «من يشاء» مبهم. البيضاوي ٤: ١٤١.

٢ ـ في «ألف» و«ب»: «إذا كانت».

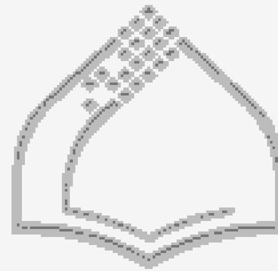
النّعمة الظّاهرة وغيرها ممّا لا يقدر عليه إلّا اللّه ، بالصّنم أو الشّيطان ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بأن زعم أنّ له شريكاً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾: في حقّنا ؛ يشمل جهاد الأعداء الظّاهرة والباطنة ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: سبل السّير إلينا والوصول إلى جنابنا .

ورد: «من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لم يعلم»[1] .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنّصر والإعانة . ورد: «هذه الآية لآل محمّد عليهم السلام وأشياعهم»[2] .



١ ـ محجّة البيضاء ١: ١٤٨ ؛ و٥: ٤٣ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ؛ البيضاوي ٤: ١٤٢ .

٢ ـ القمّي ٢: ١٥١ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، وفيه: «ولأشياعهم» .

سورة الرّوم

[مكيّة، وهي ستّون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴾.

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾. قال: «يعني غلبتها فارس»[2].

﴿ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ قيل: أي: أدنى أرض العرب منهم، أو أدنى أرضهم من العرب[3]. قال: «وهي الشّامات وما حولها»[4]. ﴿ وَهُمْ ﴾ قال: «يعني وفارس»[5]. ﴿ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ الرومَ ﴿ سَيَغْلِبُونَ ﴾.

﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ قال: «يعني يغلبهم المسلمون»[6].

أقول: وهو ما وقع في زمن عمر؛ وهذا على قراءة "سَيُغْلَبُونَ" بضمّ الباء. وعلى قراءة الفتح، قيل ظهرت الرّوم على فارس يوم الحديبيّة[7].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الكافي ٨: ٢٦٩، الحديث: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ الكشّاف ٣: ٢١٣؛ البيضاوي ٤: ١٤٢.

٤، ٥ و ٦ـ الكافي ٨: ٢٦٩، الحديث: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ الكشّاف ٣: ٢١٤؛ البيضاوي ٤: ١٤٣.

﴿لِلّٰهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ قال: «له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر به، يقضي بما يشاء»[١]. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بِنَصْرِ اللّٰهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

قال: «إنّ لها تأويلاً لا يعلمه إلّا الرّاسخون في العلم من آل محمّد صلوات الله عليهم. إنّ رسول الله لمّا هاجر إلى المدينة وأظهر الإسلام، كتب إلى مَلِكِ الرّوم كتاباً وبعث به مع رسول يدعوه إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً يدعوه إلى الإسلام وبعثه إليه مع رسوله. فأمّا مَلِكُ الرّوم فعظّمَ كتابَ رسول الله وأكرم رسوله. وأمّا مَلِكُ فارس فإنّه استخفّ بكتاب رسول الله ومزّقه واستخفّ برسوله. وكان مَلِكُ فارس يومئذ يقاتل مَلِكَ الرّوم. وكان المسلمون يهوون أن يغلب مَلِكُ الرّوم مَلِكَ فارس، وكانوا لناحيته أرجى منهم لِمَلِكِ فارس. فلمّا غلب ملك فارس ملك الرّوم كره ذلك المسلمون واغتمّوا به، فأنزل اللّه عزّوجلّ بذلك كتاباً، ثمّ فسّر الآية كما ذكر أوّلاً. قال: فلمّا غزا المسلمون فارسَ وافتتحوها، فرح المسلمون بنصر اللّه عزّوجلّ. قيل: أليس اللّه يقول "في بِضعِ سنينَ" وقد مضى للمؤمنين سنون كثيرة مع رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وفي إمارة أبي بكر، وإنّما غلب المسلمون فارس في إمارة عمر، فقال: ألم أقل لك: إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً والقرآن ناسخ ومنسوخ، أما تسمع لقول اللّه: "للّه الأمر من قبل ومن بعد" يعني إليه المشيّة في القول، أن يؤخّر ما قدّم ويقدّم ما أخّر في القول إلى يوم تحتم[٢] القضاء بنزول النّصر فيه على المؤمنين، وذلك قوله عزّوجلّ: "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه" أي: يوم تحتم القضاء بالنّصر»[٣].

وفي رواية: «إنّ بني أُميّة ليسوا من قريش وإنّ أصلهم من الرّوم، وفيهم تأويل هذه الآية، يعني إنّهم غلبوا على المُلْك وسيغلبهم على ذلك بنو العبّاس»[٤].

١ـ الخرائج والجرائح ٢: ٦٨٦، الحديث: ٨، عن حسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام.
٢ـ في المصدر و«ألف»: «يحتم القضاء» في الموضعين.
٣ـ الكافي ٨: ٢٦٩، الحديث: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في ابتداء الحديث.
٤ـ الاستغاثة (لأبي القاسم الكوفي): ٧٤، قال: لقد روينا من طريق علماء أهل البيت عليهم السلام.

أقول: وهذا على قراءة "غَلَبَتْ" بالفتح، و"سَيُغْلَبُونَ" بالضمّ، كما وردت في الشواذّ[1].

﴿وَعْدَ اللّٰهِ لا يُخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ قال: «منه الزّجر[2] والنّجوم»[3]. ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ﴾. القمّي: يرون حاضرَ الدّنيا ويتغافلون عن الآخرة[4].

﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فإنّها أقرب إليهم من غيرها، ومرآة يجتلي للمستبصر ما يجتلي له في سائر المخلوقات، ليتحقّق لهم قدرة مبدعها على إعادتها قدرته على إبدائها. ﴿ما خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ تنتهي عنده ولا تبقى بعده ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ﴾: جاحدون، يحسبون أنّ الدّنيا أبديّة وأنّ الآخرة لا تكون.

﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ قال: «أو لم ينظروا في القرآن»[5]. ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثارُوا الأَرْضَ﴾: وقلّبوا وجهها لاستنباط المياه، واستخراج المعادن، وزرع البذور وغيرها ﴿وَعَمَرُوها﴾: وعمروا الأرض ﴿أَكْثَرَ مِمّا عَمَرُوها﴾: من عمارة أهل مكّة إيّاها، فإنّهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها. وفيه تهكّم بهم، من حيث أنّهم مغترّون بالدّنيا مفتخرون بها، وهم أضعف حالاً فيها. ﴿وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ﴾: بالآيات الواضحات ﴿فَما كانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١ـ البيضاوي ٤: ١٤٣؛ الكشّاف ٣: ٢١٤.

٢ـ الزّجر: التيمّن والتشاؤم بالطير والتفاؤل بطيرانها، وهو نوع من الكهانة والعيافة. قيل: إنّما سمّي الكاهن زاجراً؛ لأنّه إذا رأى ما يظنّ أنّه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضيّ في تلك الحاجة برفع صوت وشدّة.

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٩٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ١٥٣.

٥ـ الخصال ٢: ٣٩٦، الحديث: ١٠٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُوا السُّوأىٰ﴾ . هي تأنيث «أسوأ»[١] أو مصدر . ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّٰهِ﴾ علّة أو بدل أو خبر كان . ﴿وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِءُونَ﴾ .

﴿اللّٰهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: ينشئهم ثمّ يبعثهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ﴾ يسكتون[٢] متحيّرين آيسين .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ﴾ ممّن أشركوهم باللّه ﴿شُفَعاؤُا﴾ يجيرونهم من عذاب اللّه ﴿وَكانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ﴾ .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ القمّي: إلى الجنّة والنّار[٣] .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ القمّي: أي: يُكْرَمُونَ[٤] ؛ وأصله: السّرور .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا وَلِقاءِ الآخِرَةِ فَأُولٰئِكَ فِي العَذابِ مُحْضَرُونَ﴾ .

﴿فَسُبْحانَ اللّٰهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ .

﴿وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قيل: إخبار في معنى الأمر بتنزيه اللّه تعالى والثّناء عليه ، في هذه الأوقات الّتي تظهر فيها قدرته ، وتتجدّد فيها نعمته . والآية جامعة للصّلوات الخمس ؛ تمسون صلاة المغرب والعشاء ، وتصبحون صلاة الفجر ، وعشيّاً صلاة العصر ، وتظهرون صلاة الظّهر[٥] .

﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: «يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن»[٦] . ﴿وَيُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾ قال: «ليس يحييها

١ ـ كما أنّ الحسنى تأنيث الأحسن .

٢ ـ في «ب»: «يسكنون» . وفي الكشّاف ٣: ٢١٦: «الإبلاس ، أي: يبقى بائسا ساكناً متحيّراً . وقرئ "يُبْلَسُ" بفتح اللّام ـ من أبلسه إذا أسكته» .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ١٥٣ .

٥ ـ البيضاوي ٤: ١٤٤ .

٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٢٨، ذيل الآية: ٢٧ من سورة الأنعام، عن الباقر والصادق عليهما السلام . وفي الكافي ٢: ٥، ←

بالقطر، ولكن يبعث اللّه رجالاً فيحيون العدل، فتحيا الأرض لإحياء العدل، ولإقامة حدّ فيه أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً»[1]. ﴿وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها﴾: لتألفوا بها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ﴾.

ورد: «الإمام إذا أبصر الرّجل[2] عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو، إنّ اللّه يقول: "وَمِنْ آياتِهِ" إلى قوله "للعالِمين" قال: وهم العلماء، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلّا عرفه ناجٍ أو هالك، فلذلك يجيبهم بالّذي يجيبهم»[3].

﴿وَمِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: منامكم في الزّمانين لاستراحة البدن وطلب معايشكم فيهما، أو منامكم باللّيل وابتغاؤكم بالنّهار، فلفّ وضمّ بين الزّمانَيْن والفعلَيْن بعاطفَيْن؛ إشعاراً بأنّ كلّاً من الزّمانين وإن اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيّده سائر الآيات الواردة فيه[4]. ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهّم واستبصار.

﴿وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً﴾ من الصّاعقة وللمسافر ﴿وَطَمَعاً﴾ في الغيث وللمقيم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ

← الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ما يقرب منه.

١ ـ الكافي ٧: ١٧٤، الحديث: ٢، عن الكاظم عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٢ ـ في المصدر: «الإمام إذا أبصر إلى الرجل».

٣ ـ الكافي ١: ٤٣٩، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القصص (٢٨): ٧٣.

يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: ثمّ خروجكم من القبور بغتة إذا دعاكم من الأرض دعوة واحدة بلا توقّف.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾: منقادون لفعله فيهم، لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ بالإضافة إلى قدركم، والقياس على أُصولكم، وإلّا فهما عليه سواء ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلىٰ﴾: الوصف العجيب، الشّأن الّذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه. قال: «الّذي لا يُشْبِهُهُ شيء ولا يُوصَفُ ولا يُتَوَهَّمُ، فذلك المثل الأعلى»[1]. ﴿فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ﴾: فتكونون[2] أنتم وهم فيه سواء، يتصرّفون فيه كتصرّفكم مع أنّهم بشر مثلكم، وأنّها معادة لكم ﴿تَخافُونَهُمْ﴾ أن تستبدّوا[3] بتصرّف فيه ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض ﴿كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾: نبيّنها، فإنّ التّمثيل ممّا يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال.

القمّي في سبب نزولها ما ملخّصه: إنّ إبليس جاء قريشاً في صورة شيخ وقال لهم: هكذا تلبية أسلافكم إذا حجّوا: لبّيك اللّهمّ لبّيك، لا شريك لك إلّا شريك هو لك، تملكه ولا يملكك. فرضوا بذلك، وكانوا يلبّون بها، فلمّا بعث اللّه رسوله أنكر ذلك عليهم وقال: هذا

١ ـ التّوحيد: ٣٢٤، الباب: ٥٠، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في «ألف»: «فتكون».

٣ ـ في «ألف»: «أن يستبدّوا».

شرك، فنزلت[١].

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾. قال: «أمره أن يقيم وجهه للقبلة[٢]، ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[٣]. وفي رواية قال: «يقيم للصّلاة لا يلتفت يميناً ولا شمالاً»[٤].

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: «هي الإسلام، فطرهم اللّه حين أخذ ميثاقهم على التّوحيد، قال "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"[٥]، وفيهم[٦] المؤمن والكافر»[٧].

وفي رواية قال: «هو لا إله إلّا اللّه ومحمّد رسول اللّه وعليّ وليّ اللّه إلى هاهنا التّوحيد»[٨].

وفي أُخرى: «لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود»[٩].

وفي أُخرى: «فطرهم على المعرفة به»[١٠].

وفي لفظ آخر: «فطرهم على التّوحيد عند الميثاق على معرفة أنّه ربّهم. قال: لولا ذلك لم يعلموا مَنْ ربّهم، ولا مَنْ رازقهم»[١١].

١ ـ القمّي ٢: ١٥٤، مع تفاوت يسير.
٢ ـ في المصدر زيادة: «خالصاً مخلصاً».
٣ ـ التّهذيب ٢: ٤٣، ذيل الحديث: ١٣٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ١٥٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «قم للصّلاة، لا تلتفت يميناً ولا شمالاً».
٥ ـ الأعراف (٧): ١٧٢.
٦ ـ في المصدر: «فيه».
٧ ـ الكافي ٢: ١٢، الحديث: ٢؛ التوحيد: ٣٢٩، الباب: ٥٣، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٨ ـ القمّي ٢: ١٥٥، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.
٩ ـ الكافي ٢: ٤١٧، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
١٠ ـ المصدر: ١٣، ذيل الحديث: ٣؛ التّوحيد: ٣٣٠، الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
١١ ـ التّوحيد: ٣٣٠، الباب: ٥٣، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لا يقدر أحد أن يغيّره ﴿ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المستوي الّذي لا عوج له ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه مرّة بعد أُخرى، متعلّق بـ «أقم»؛ وأُتي بالجمع لدخول الأُمّة في الخطاب معنىً. ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: اختلفوا فيه على اختلاف أهوائهم ﴿وَكانُوا شِيَعاً﴾: فرقاً، تشايع كلّ إمامها الّذي أضلّ دينها ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون، ظنّاً بأنّه الحقّ.

﴿وَإِذا مَسَّ النّاسَ ضُرٌّ﴾: شدّة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾: خلاصاً من تلك الشّدّة ﴿إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ﴾. اللام فيه للعاقبة. ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً﴾: حجّة أو ذا سلطان، أي: مَنْ معه برهان ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذا أَذَقْنَا النّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة من صحّة وسعة ﴿فَرِحُوا بِها﴾: بطروا بسببها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدّة ﴿بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بشؤم معاصيهم ﴿إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من رحمته.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾ فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السّرّاء والضّرّاء ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يستدلّون بها على كمال القدرة والحكمة.

﴿فَآتِ ذَا القُرْبىٰ حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية على النّبيّ صلّى الله عليه وآله، أعطى فاطمة فدكاً وسلّمه إليها»[١]. وقد سبق في بني إسرائيل فيه كلام[٢].

﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً﴾: هديّة يتوقّع بها مزيد مكافاة ﴿لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النّاسِ﴾: ليزيد ويزكو في أموالهم، يعني ينمو فيها ثمّ يرجع إليه ﴿فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللّهِ﴾: فلا يزكو عنده، يعني لا يثاب عليه من عند اللّه. قال: «هو أن يعطي الرّجل العطيّة أو يهدي الهديّة ليثاب أكثر منها، فليس فيه أجر ولا وزر»[٣].

وفي رواية: «الرّبا ربَوان: أحدهما حلال، والآخر حرام. فأمّا الحلال: فهو أن يقرض الرّجل أخاه قرضاً، طمعاً أن يزيده ويعوّضه بأكثر ممّا يأخذه بلا شرط بينهما، فإن أعطاه أكثر ممّا أخذه على غير شرط بينهما فهو مباح له، وليس له عند اللّه ثواب فيما أقرضه، وهو قوله: "فلا يربوا عند اللّه". وأمّا الحرام: فالرّجل يقرض قرضاً ويشترط أن يردّ أكثر ممّا أخذه، فهذا هو الحرام»[٤].

﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾: ذوو الأضعاف؛ من الثّواب في الآجل، والمال في العاجل.

ورد: «الزّكاة زيادة في الرّزق»[٥]. والقمّي: أي: ما بررتم به إخوانكم وأقرضتموهم، لا طمعاً في زيادة[٦].

ورد: «على باب الجنّة مكتوب: القرض بثمانية عشر والصّدقة بعشرة»[٧].

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٠٦، عن الباقر والصّادق عليهما السلام.
٢ـ ذيل الآية: ٢٦ من سورة بني إسرائيل.
٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ١٥٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٧٢، الحديث: ١٧٥٤، من خطبة فاطمة عليها السلام.
٦ـ القمّي ٢: ١٥٩.
٧ـ القمّي ٢: ١٥٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ﴾. قال: «حياة دوابّ البحر بالمطر، فإذا كفّ المطر ظهر الفساد في البرّ والبحر، وذلك إذا كثرت الذّنوب والمعاصي»[1].

وفي رواية: «ذاك[2] واللّه حين قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير»[3]. ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: بعض جزائه، فإنّ تمامه في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عمّا هم عليه.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ أي: كان سوء عاقبتهم، لفشوّ الشّرك فيهم.

قال: «عنى بذلك، أي: انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الّذين من قبلكم، وما أخبركم عنه»[4].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ﴾: البليغ الاستقامة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتصدّعون، أي: يتفرّقون، فريق في الجنّة، وفريق في السّعير ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وباله، وهو النّار المؤبّدة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يسوّون منازلهم في الجنّة.

قال: «إنّ العمل الصّالح ليسبق[5] صاحبه إلى الجنّة، فيمهّد له كما يمهّد لأحدكم خادمه فراشه»[6].

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ١٦٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في «ألف»: «ذلك».

٣ ـ الكافي ٨: ٥٨، الحديث: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي القمّي ٢: ١٦٠، عنه عليه السلام، مع تفاوت.

٤ ـ الكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ في «ج» والمصدر: «ليسبق».

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٠٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

اكتفى عن ذكر جزائهم بالفحوى .

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ﴾: رياح الرّحمة ﴿مُبَشِّراتٍ﴾ بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المنافع التابعة لها ﴿وَلِتَجْرِيَ الفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلىٰ قَوْمِهِمْ فَجاءُوهُمْ بِالبَيِّناتِ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بالتّدمير ﴿وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾ . فيه إشعار بأنّ الانتقام لهم وإظهار لكرامتهم ، حيث جعلهم مستحقّين على اللّه أن ينصرهم .

ورد: «ما من امرئ مسلم[١] يردّ عن عِرض أخيه إلّا كان حقّاً على اللّه أن يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة ، ثمّ قرأ: "وَكانَ حَقّاً" ، الآية»[٢] .

﴿اللّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً﴾ أي: ترفعه ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ سائراً وواقفاً ، مُطبَقاً وغير مطبَق من جانب دون جانب إلى غير ذلك ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ قيل: أي قطعاً ، يعني يبسطه تارة متّصلاً وأُخرى قطعاً[٣] . والقمّي: قال: بعضه على بعض[٤] . ﴿فَتَرَى الوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ قال: «من خلله»[٥] . ﴿فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ يعني بلادهم وأراضيهم ﴿إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بمجيء الخِصْب[٦] ﴿وَإِنْ كانُوا﴾: وإنّه كانوا . ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ كرّره للتّأكيد . ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: لآيسين .

﴿فَانْظُرْ إِلىٰ آثارِ رَحْمَتِ اللّهِ﴾: آثار الغيث ؛ من النّبات والأشجار وأنواع الثّمار

١ ـ في «ألف»: «ما من مؤمن» .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٠٩ ، عن النبي صلّى الله عليه وآله .

٣ ـ الكشّاف ٣: ٢٢٦ ؛ البيضاوي ٤: ١٤٨ .

٤ ـ القمّي ٢: ١٦٠ .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٠٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٦ ـ الخِصْب: كثرة العُشب ورَفاغَة العيش . القاموس المحيط ١: ٦٤ (خصب) .

﴿كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذٰلِكَ﴾ يعني الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ﴿لَمُحْيِ المَوْتىٰ﴾: لمحييهم لا محالة ﴿وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ أي: الأثر والزرع ، أو السّحاب فإنّه إذا كان مصفرّاً لم يمطر ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ . قيل: هذه الآيات ناعية على الكفّار بقلّة تثبّتهم ، وعدم تدبّرهم ، وسرعة تزلزلهم ، لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم ، فإنّ النّظر السّويّ يقتضي أن يتوكّلوا على اللّه ، ويلتجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته ، وأن يبادروا إلى الشّكر والاستدامة بالطّاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار ، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ، ولم يكفروا نعمه[1] .

﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتىٰ﴾ وهم مثلهم ، لما سدّوا عن الحقّ مشاعرهم ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ فإنّ الأصمّ المقبل وإن لم يسمع الكلام تفطّن منه بواسطة الحركات شيئاً .

﴿وَما أَنْتَ بِهادِي العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا﴾ لأنّه الّذي يتلقّى اللّفظ ويتدبّر المعنى ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لما تأمرهم به .

﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: ابتدأكم ضعفاء ، أو خلقكم من أصل ضعيف ، وهو النّطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وهو بلوغكم الأشدّ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ من ضعف وقوّة وشيبة وشبيبة ﴿وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ﴾ .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا﴾ في الدّنيا أو القبور ﴿غَيْرَ ساعَةٍ﴾ . استقلّوا مدّة لبثهم . ﴿كَذٰلِكَ﴾: مثل ذلك الصّرف عن الصّدق ﴿كانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون في الدّنيا .

﴿وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمانَ﴾ «يعني الأئمّة» . كذا ورد[2] . ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي

١ ـ البيضاوي ٤: ١٤٩ .

٢ ـ الكافي ١: ٢٠٠ ، ذيل الحديث: ١ ؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٨ ، الباب: ٢٠ ، ذيل الحديث: ١ ، عن عليّ ←

كِتابِ اللّهِ﴾ قيل: في علمه وقضائه، وما أوجبه لكم وكتبه[1]. ﴿إلىٰ يَوْمِ البَعْثِ﴾ القمّي: هذه الآية مقدّمة ومؤخّرة، وإنّما هي: وقال الّذين أُوتوا العلم والإيمان في كتاب اللّه لقد لبثتم إلى يوم البعث[2]. ﴿فَهٰذا يَوْمُ البَعْثِ وَلٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم، أي: إزالة عتبهم والرّضا عنهم، من التّوبة والطّاعة، كما دعوا إليه في الدّنيا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِي هٰذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم ﴿إنْ أَنْتُمْ﴾ يعنون الرّسول والمؤمنين ﴿إلّا مُبْطِلُونَ﴾: مزوّرون.

﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذاهم ﴿إنَّ وَعْدَ اللّهِ﴾ بنصرتك، وإظهار دينك على الدّين كلّه ﴿حَقٌّ﴾ لابدّ من إنجازه ﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾: ولا يحملنّك على الخفّة والقلق بتكذيبهم وإيذائهم، فإنّهم شاكّون ضالّون، لا يستبدع منهم ذلك. والقمّي: أي: لا يغضبنّك[3].

← بن موسى الرّضا عليه السلام، بالمضمون.

١ـ الكشّاف ٣: ٢٢٧؛ البيضاوي ٤: ١٤٩.

٢ـ القمّي ٢: ١٦٠.

٣ـ القمّي ٢: ١٦٠.

سورة لقمان

[مكيّة، إلّا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنيّة، وآياتها أربع وثلاثون][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة، أو المحكم آياته.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: ما يلهي عمّا يعني. قال: «هو الطّعن في الحقّ والاستهزاء به»[2]. قال: «ومنه الغناء»[3]. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: ويتّخذ السّبيل سخريّة ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لإهانتهم الحقّ وإيثار الباطل عليه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: ثقلاً

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣١٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ المصدر: معاني الأخبار: ٣٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾. قال: «هو النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة[١]، وكان ذا رواية من أحاديث النّاس وأشعارهم»[٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتُ النَّعِيمِ﴾.

﴿خالِدِينَ فِيها وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ قال: «ثمّ عمد ولكن لا ترونها»[٣]. ﴿وَأَلْقىٰ فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ﴾: جبالاً شوامخ ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن تميل بكم ﴿وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من كلّ صنف كثير المنفعة.

﴿هٰذا خَلْقُ اللّٰهِ فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: «الفهم والعقل»[٤]. وفي رواية قال: «أُوتي معرفة إمام زمانه»[٥]. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لاستحقاقه بالشّكر دوام النّعمة ومزيدها. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ﴾ عن الشّكر ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود، ينطق بحمده جميع مخلوقاته، حقيق بالحمد حُمِدَ أو لم يحمد.

قال: «شكر كلّ نعمة وإن عظمت، أن يحمد اللّٰه عليها»[٦]. قال: «وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ، أدّاه»[٧].

١ ـ مرّت ترجمته ذيل الآية: ٥ من سورة الفرقان ج ٢ ص ١٣٧.

٢ ـ القمّي ٢: ١٦١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ٣٢٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ١٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٢، عن الكاظم عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ١٦١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

٦ ـ الكافي ٢: ٩٥، الحديث: ١١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

٧ ـ المصدر: ٩٦، ذيل الحديث: ١٢، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

وفي رواية: «من أنعم اللّه عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها»[١].

و ورد: «أوحى اللّه إلى موسى اُشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك، وليس مِنْ شُكْرٍ أشكرك بـه، إلّا وأنت أنـعمْتَ بـه عـليّ؟! قـال: يـاموسى الآن شكرتني؛ حين عَلِمْتَ أنّ ذلك منّي»[٢].

﴿وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق. ﴿لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنّه تسوية بين مَنْ لا نعمة إلّا منه ومَنْ لا نعمة منه.

قال: «الظّلم ثلاثة: ظلم يغفره اللّه، وظلم لا يغفره اللّه، وظلم لا يدعه اللّه. فأمّا الظّلم الّذي لا يغفره اللّه فالشّرك، وأمّا الظّلم الّذي يغفره فظلم الرّجل نفسه فيما بينه وبين اللّه، وأمّا الظّلم الّذي لا يدعه اللّه فالمداينة[٣] بين العباد»[٤].

﴿وَوَصَّيْنا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ﴾: تضعف ضعفاً فوق ضعف، فإنّها لايزال يتضاعف ضعفها ﴿وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ﴾: وفطامه في انقضاء عامين، وكـانت ترضعه في تلك المدّة. والجملتان اعتراض مؤكّد للتّوصية فـي حـقّها. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ﴾ فأُحاسبك على شكرك وكفرك.

قال: «أمر بالشّكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر اللّه»[٥].

وقال: «من لم يشكر المُنْعِمَ من المخلوقين لم يشكر اللّه عزّوجلّ»[٦].

﴿وَإِنْ جاهَداكَ عَلىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك تقليداً

١ ـ الكافي ٢: ٩٦، الحديث: ١٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ المصدر: ٩٨، الحديث: ٢٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ المداينة: المجازاة، ومنه: «كما تدين تدان».
٤ ـ الكافي ٢: ٣٣٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٥٨، الباب: ٢٦، الحديث: ١٣.
٦ ـ المصدر ٢: ٢٤، الباب: ٣١، الحديث: ٢.

لهما، يعني ما ليس ﴿فَلا تُطِعْهُما﴾ في ذلك «إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١].

﴿وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾: صحاباً معروفاً يرتضيه الشّرع ويقتضيه الكرم.

قيل: «أوصني يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فقال: لا تشرك باللّه شيئاً وإن حرّقت بالنّار وعذّبت إلّا وقلبك مطمئنّ بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرّهما حيّين كانا أو ميّتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإنّ ذلك من الإيمان»[٢].

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ﴾ بالتّوحيد والإخلاص في الطّاعة. قال: «يقول: سبيل محمّد صلّى اللّه عليه وآله»[٣]. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

والآيتان معترضتان في تضاعيف وصيّة لقمان، تأكيداً لما فيها من النّهي عن الشّرك، كأنّه قال: وقد وصّينا بمثل ما وصّى به، وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك، فإنّهما مع أنّهما تِلْوَا الباري عزّ اسمه في استحقاق التّعظيم والطّاعة، لا يجوز أن يطاعا في الإشراك، فما ظنّك بغيرهما.

﴿يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: الخصلة من الإساءة والإحسان، إن تك مثلاً في الصّغر كحبّة الخردل. وعلى رفع مثقال، فالهاء للقصّة، والكون تامّة. ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: في أخفى مكان وأحرزه، أو أعلاه أو أسفله ﴿يَأْتِ بِهَا اللّهُ﴾: يحضرها ويحاسب عليها ﴿إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه إلى كلّ خفيّ ﴿خَبِيرٌ﴾: يعلمه بكنهه.

ورد: «اتّقوا المحقّرات من الذّنوب، فإنّ لها طالباً. لا يقولنّ أحدكم أذنب واستغفر اللّه إنّ اللّه يقول: "إنّ تك مثقال حبّة" الآية»[٤].

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢٤، الباب: ٣٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.
٢ ـ الكافي ٢: ١٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ١٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٢: ٢٧٠، الحديث: ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَٱصْبِرْ عَلىٰ ما أَصابَكَ﴾ من الشّدائد. قال: «من المشقّة والأذى في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[١]. ﴿إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾: عزيمة، قَطْعُه قَطعُ إيجابٍ وإلزام لا رخصة فيه.

﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ﴾ قال: «ولا تُمِلْ وجْهَك من النّاس تكبّراً، ولا تُعْرِضْ عمّن يكلّمك استخفافاً به»[٢]. قيل: هو من الصّعر، وهو داء يعتري البعير فيلوي عنقه[٣]. والقمّي: أي: لا تذلّ للنّاس طمعاً فيما عندهم[٤].

﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾: بطراً. قال: «يقول: بالعظمة»[٥]. ﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾. علّة النّهي. ورد: «من اختال فقد نازع اللّه في جبروته»[٦].

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسّط فيه بين الدّبيب والإسراع. والقمّي: أي: لا تعجل[٧]. ورد: «سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن»[٨]. ﴿وَٱغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: اقصر منه. القمّي: أي: لا ترفعه[٩]. ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْواتِ﴾: أوحشها ﴿لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾.

قال: «هي العطسة المرتفعة القبيحة؛ والرّجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً، إلّا أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن»[١٠].

١ ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ الكشّاف ٣: ٢٣٤؛ البيضاوي ٤: ١٥٢.
٤ ـ القمّي ٢: ١٦٥.
٥ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٧، ذيل الحديث: ١؛ الأمالي (للصّدوق): ٣٤٨، المجلس: ٦٦، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام.
٧ ـ القمّي ٢: ٦٥.
٨ ـ الخصال ١: ٩، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٩ ـ القمّي ٢: ٦٥.
١٠ ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٢٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمٰواتِ﴾ بأن جعله أسباباً لمنافعكم ﴿وَما فِي الأَرْضِ﴾ بأن مكّنكم من الانتفاع به ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾: محسوسة ومعقولة، ما تعرفونه وما لاتعرفونه.

قال: «أمّا النّعمة الظّاهرة فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة اللّه وتوحيده، وأمّا النّعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا»[1].

وفي رواية: «النّعمة الظّاهرة الإمام الظّاهر، والباطنة الإمام الغائب»[2].

وفي أُخرى: «أمّا ما ظَهَر فالإسلام، وما سوّى اللّه من خلقك، وما أفضل[3] عليك من الرّزق؛ وأمّا ما بَطَن فستْر مساوئ عملك ولم يفضحك به»[4].

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ﴾: في توحيده وصفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من برهان ﴿وَلا هُدىً﴾ راجع إلى رسول أو وصيّ رسول ﴿وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾ أنزله اللّه، بل بتقليد من لا يجوز تقليده.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ﴾. قال: «هو النّضر بن الحارث[5]. قال له رسول اللّه صلّى الله عليه وآله: اتّبع ما أُنزل إليك من ربّك. قال: بل أتّبع ما وجدت عليه آبائي»[6].

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ بأن فوّض أمره إليه، وأقبل بشراشره عليه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ﴾: تعلّق بأوثق ما يتعلّق به ﴿وَإِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ إذ الكلّ صائر إليه.

١ ـ القمّي ٢: ١٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٣٦٨، الباب: ٣٤، الحديث: ٦؛ المناقب ٤: ١٨٠، عن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «أفاض».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢٠، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٥ ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٧ من نفس السّورة.

٦ ـ القمّي ٢: ١٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ﴾ لوضوح البرهان، بحيث اضطرّوا إلى الإذعان.

قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني على المعرفة بأنّ اللّه عزّوجلّ خالقه، فذلك قول اللّه عزّوجلّ: "ولئن سئلتهم" الآية»[1].

﴿قُلِ الحَمْدُ لِلّهِ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ذلك يلزمهم.

﴿لِلّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ والبحر المحيط بسعته مداد ممدوداً بسبعة أبحر، فأغنى عن ذكر المداد «يمدّه»، لأنّه من مدّ الدّواة وأمدّها. وفي قراءتهم عليهم السلام: «والبحر مداده»[2]. ﴿ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ﴾ بكتبها بتلك الأقلام، بذلك المداد. ﴿إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يخرج عن علمه وحكمته أمر.

﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾: إلّا كخلقها وبعثها، إذ لا يشغله شأن عن شأن.

قال: «بلغنا والله أعلم أنّهم قالوا: يا محمّد خلقنا أطواراً؛ نطفاً ثمّ علقاً، ثمّ أنشأنا خلقاً آخر كما تزعم، وتزعم أنّا نبعث في ساعة واحدة. فقال اللّه: "ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة" "إنّما يقولُ لَهُ كُنْ فَيَكونَ"[3]»[4].

١ ـ التوحيد: ٣٣١، الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام. ٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ البقرة (٢): ١١٧؛ آل عمران (٣): ٤٧؛ مريم (١٩): ٣٥؛ غافر (٤٠): ٦٨. وفي جميع الآيات: «فإنّما».
٤ ـ القمّي ٢: ١٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لا يشغله سمع عن سمع، ولا إبصار عن إبصار.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ من النيّرين ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ القمّي يقول: كلّ واحد منهما يجري إلى منتهاه، لا يقصر عنه ولا يجاوزه[1]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى الّذي ذكر من سعة العلم، وشمول القدرة وعجائب الصّنع، واختصاص الباري عزّ اسمه بها. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾: بإحسانه في تهيئة أسبابه ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾ قيل: أي: لكلّ من حبس نفسه على النّظر في آيات اللّه، والتفكّر في آلائه، والشكر لنعمائه، أو لكلّ مؤمن كامل الإيمان[2]. «فإنّ الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر». كما ورد[3].

أقول: راكب البحر بين خوف من الغرق ورجاء للخلاص [والوصول إلى المطلوب بسرعة[4]]. فهو لايزال بين بليّة ونعمة، والبليّة تطلبه بالصّبر، والنّعمة تطلبه بالشّكر، فهو صبّار شكور.

﴿وَإِذا غَشِيَهُمْ﴾: علاهم وغطّاهم، يعني في البحر ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كما يظلّ من جبل أو سحاب أو غيرهما ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتّقليد، بما دهاهم من الخوف الشّديد. ﴿فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ القمّي: أي: صالح[5]. ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلّا كُلُّ خَتّارٍ﴾: غدّار ينقض العهد الفطريّ، وما

١ ـ القمّي ٢: ١٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ البيضاوي ٥: ٥٥، ذيل الآية: ٣٣ من سورة الشّورى.
٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢٣.
٤ ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «ألف».
٥ ـ القمّي ٢: ١٦٧.

كان في البحر . والقمّي: الختّار الخدّاع[1] . ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم .

﴿يا أَيُّها النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي﴾: لا يقضي ، وعلى ضمّ الياء: لا يغني ﴿والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾ بالثواب والعقاب . القمّي: ذلك القيامة[2] ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنْيا﴾ قال: «بتشويقها»[3] . وقال: «الدّنيا دنياءان: دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة»[4] . ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الغَرُورُ﴾: الشّيطان بأن يرجيكم التّوبة والمغفرة ، فيجسركم على المعاصي .

﴿إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ﴾: علم وقت قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾ في إبّانه المقدّر له ، والمحلَ المعيّن له في علمه . ﴿وَيَعْلَمُ ما فِي الأَرْحامِ﴾ قال: «من ذكر أو أُنثى ، وقبيح أو جميل ، وسخيّ أو بخيل ، وشقيّ أو سعيد ، ومن يكون للنّار حطباً أو في الجنان للنّبيّين مرافقاً»[5] . ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً﴾ من خير أو شرّ ، وربّما تعزم على شيء ، فتفعل خلافه . ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ .

قال: «هذه الخمسة أشياء لم يطّلع عليها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ، وهي من صفات اللّه تعالى»[6] .

و ورد: «هذا هو علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلّا اللّه»[7] .

﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٦٧ .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٧٤ ، ذيل الحديث: ٨٢٩ ؛ معاني الأخبار: ١٩٩ ، ذيل الحديث: ٤٤ ، عن الكاظم ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ، وفيهما: «بتشوقّها» .

٤ ـ الكافي ٢: ١٣١ ، ذيل الحديث: ١١ ، عن السجاد عليه السلام .

٥ ـ نهج البلاغة: ١٨٦ ، ذيل الخطبة: ١٢٨ .

٦ ـ القمّي ٢: ١٦٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٧ ـ نهج البلاغة: ١٨٦ ، ذيل الخطبة: ١٢٨ .

سورة السّجدة

[مكيّة ، وهي ثلاثون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾ .

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ﴾ .

﴿أمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ .

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾ . سبق في الأعراف[2] . ﴿ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ .

﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّماءِ إلَى الأرْضِ﴾ بأسباب سماويّة ، نازلة آثارها إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ﴾: يصعد الأمر إليه ﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ . القمّي: يعني الأُمور الّتي يدبّرها ، والأمر والنّهي الّذي أمر به ، وأعمال العباد ، كلّ هذا يظهر[3] يوم

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ ذيل الآية: ٥٤ .

٣ ـ في المصدر: «يظهره» .

القيامة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدّنيا[1].

﴿ذٰلِكَ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾ فيدبّر أمرهما على وفق الحكمة ﴿العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ على العباد في تدبيره.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ موفّراً عليه ما يستعدّه ويليق به، على وفق الحكمة والمصلحة ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسانِ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ولده ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ القمّي: هو الصّفو من الطّعام والشّراب[2]. ﴿مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾: المنيّ.

﴿ثُمَّ سَوّاهُ﴾: قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغي ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾. أضافه إلى نفسه تشريفاً وإظهاراً بأنّه خلق عجيب، وأنّ له لشأناً. وقد سبق في الحجر[3]. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَقالُوا أَإِذا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ﴾: غبنا فيها، بحيث لا نتميّز من ترابها ﴿أَإِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ﴾ قال: «يعني البعث»[4].

﴿قُلْ يَتَوَفّاكُمْ﴾: يستوفي نفوسكم، لا يترك منها شيئاً، ولا يُبقي منكم أحداً ﴿مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾ من الحياء والخزي ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا﴾ ما وعدتنا ﴿وَسَمِعْنا﴾ منك تصديق رسلك. كذا قيل[5]. والقمّي: "أبصرنا وسمعنا" في الدّنيا ولم نعمل به[6]. ﴿فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ﴾ إذ لم يبق لنا شكّ بما شاهدنا.

١ و ٢ - القمّي ٢: ١٦٨.

٣ - الآية: ٢٩.

٤ - التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ - الكشّاف ٣: ٢٤٢؛ البيضاوي ٤: ١٥٥.

٦ - لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوعة، ولعلّه سقط من النسّاخ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي، الموجودة في مكتبة الإعلام الاسلامي، تحت رقم: ٢٦٨١٨.

﴿وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: ثبت قضائي وسبق وعيدي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هٰذا إِنّا نَسِيناكُمْ﴾ القمّي: أي: تركناكم[1].

﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً﴾ خوفاً من عذاب اللّه ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: نزّهوه عمّا لا يليق به، حامدين له، شكراً على ما وفّقهم للإسلام وآتاهم الهدى ﴿وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطّاعة.

﴿تَتَجافىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: ترتفع وتتنحّى ﴿عَنِ الْمَضاجِعِ﴾: الفرش ومواضع النّوم. قال: «هم المتهجّدون باللّيل، الّذين يقومون عن فرشهم للصّلاة»[2]. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً﴾ من سخطه ﴿وَطَمَعاً﴾ في رحمته ﴿وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في وجوه الخير.

قال: «لعلّك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون، لا بدّ لهذا البدن أن تريحه حتّى يخرج نفسه، فإذا خرج النّفس استراح البدن، ورجع الرّوح قوّة على العمل. قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعتنا، ينامون في أوّل اللّيل، فإذا ذهب ثلثا اللّيل أو ما شاء اللّه، فزعوا إلى ربّهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده، فذكر اللّه في كتابه فأخبركم بما أعطاهم، إنّه أسكنهم في جواره، وأدخلهم جنّته، وآمنهم خوفهم، وأذهب رعبهم»[3].

﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: ممّا تقرّ به عيونهم ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال: «ما من عمل حسن يعمله العبد إلّا وله ثواب في القرآن إلّا صلاة اللّيل، فإنّ اللّه عزّوجلّ لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها عنده، فقال جلّ ذكره: "تتجافى جنوبهم ـ إلى قوله:ـ

١ ـ القمّي ٢: ١٦٨.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣١، عنهما عليهما السلام.

٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٦٥، الباب: ٨٦، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

يعملون"»[١].

و ورد: «يقول اللّه: أعدَدْت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ ما اطّلعتكم عليه ، اقرأوا إن شئتم: "فلا تعلم نفس" الآية»[٢].

أقول: بَلْهَ مبنّي على الفتح ككيف ، بمعنى دَعْ أو سوى .

﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً﴾: خارجاً عن الإيمان ﴿لا يَسْتَوُونَ﴾ .

﴿أَمّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنّاتُ المَأْوىٰ نُزُلاً﴾ هو ما يعدّ للنّازل من طعام وشراب وصِلَة ﴿بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَأَمّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ .

قال: «إنّ عليّ بن أبي طالب والوليد بن عقبة[٣] تشاجرا ، فقال ـ الفاسق ـ الوليد بن عقبة: أنا واللّه أبسط منك لساناً ، وأحدّ منك سناناً ، وأمثل منك جثواً في الكتيبة . فقال عليّ عليه السلام: اسكت! إنّما أنت فاسق ، فأنزل اللّه هذه الآيات»[٤].

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأَدْنىٰ دُونَ العَذابِ الأَكْبَرِ﴾ قبل أن يصلوا إلى الآخرة

١ ـ القمّي ٢: ١٦٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣١ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .
٣ ـ الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، أبو وهب ، الأموي القرشي: من فتيان قريش وشعرائهم ، وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه ، أسلم يوم فتح مكّة . بعثه رسول اللّه صلى الله عليه وآله على صدقات بني المصطلق ، ولا خلاف بين أهل العلم في أنّ قوله عزّوجلّ: ﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا﴾ أُنزلت في الوليد بن عقبة . ثمّ ولّاه عمر صدقات بني تغلب ، وولّاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقّاص (سنة ٢٩هـ) . كان الأصمعي وأبو عبيدة والكلبي وغيرهم يقولون: كان الوليد شريب خمر ، وروي انّ الوليد صلّى صلاة الصبح بأهل الكوفة أربع ركعات وهو سكران ، ثمّ التفت إليهم فقال: أزيدكم . وهذه الرّواية مشهورة من رواية الثّقات من أهل الحديث . ولمّا قتل عثمان تحوّل الوليد إلى الجزيرة الفراتيّة واعتزل الفتنة . وقيل: شهد صفّين مع معاوية ، وقيل: لم يشهدها ، ولكنّه يحرض معاوية بكتبه وشعره على الأخذ بثأر عثمان . ومات بالرقّة سنة ٦١هـ . راجع: أُسد الغابة ٥: ٩١ ـ ٩٢؛ الأعلام ٨: ١٢٢ .
٤ ـ القمّي ٢: ١٧٠ .

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. قال: «العذاب الأدنى عذاب القبر»[١]. وفي رواية: «الدّابّة والدّجّال»[٢].

والقمّي: العذاب الأدنى عذاب الرّجعة بالسّيف، فإنّهم يرجعون حتّى يعذّبوا[٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتفكّر فيها، و«ثمّ» لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها، وإرشادها إلى أسباب السّعادة بعد التّذكّر لها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ فكيف بمن كان أظلم من كلّ ظالم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ قال: «من لقاء موسى ربّه في الآخرة»[٤]. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ قال: «لا بأمر النّاس، يقدّمون أمر اللّه قبل أمرهم، وحكم اللّه قبل حكمهم»[٥]. ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾. القمّي: كان في علم اللّه أنّهم يصبرون على ما يصيبهم، فجعلهم أئمّة[٦]. ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدّين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: كثرة من أهلكنا[٧].

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: يمرّون في متاجرهم على ديارهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: الّتي جرز نباتها أي: قطع

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٣٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ المصدر، عنهما عليهما السلام.
٣ـ القمّي ٢: ١٧٠.
٤ـ الدّرّ المنثور ٦: ٥٥٦. لم نعثر عليه في كتب الخاصّة، ونقله بنصّه في التّبيان ومجمع البيان بلفظة «قيل».
٥ـ القمّي ٢: ١٧٠.
٦ـ المصدر: ١٧١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٧ـ في «ب»: «أهلكناهم».

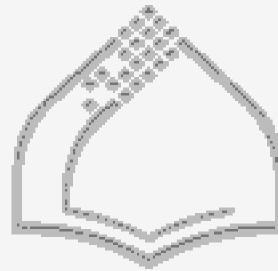
وأزيل. القمّي: الأرض الخراب[1]. ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: ولا يمهلون.

القمّي: هو مَثَلٌ ضربه الله عزّوجلَ في الرّجعة والقائم عليه السلام. فلمّا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بخبر الرّجعة قالوا: "متى هذا الفتح إن كنتم صادقين". وهذه معطوفة على قوله: "ولَنُذيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنى"[2].

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾.



١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٧١.

سورة الأحزاب

[مدنيّة، وهي ثلاث وسبعون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللّٰهَ وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ﴾ القمّي: وهذا هو الّذي قال الصّادق عليه السلام: «إنّ الله بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جاره، فالمخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس»[2]. ﴿إِنَّ اللّٰهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾. قيل: قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وقل: إنّ لها شفاعة لمن عبدها[3] وندعك وربّك، فنزلت[4].

﴿وَاتَّبِعْ ما يُوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللّٰهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ وَكَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً﴾.

﴿ما جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ردّ لما زعمت العرب من أنّ اللّبيب الأريب له قلبان. قال: «لا يجتمع[5] حبّنا وحبّ عدوّنا في جوف إنسان، إنّ الله لم يجعل

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ١٧١، وفيه: «والمعنيّ للنّاس».

٣ ـ لم ترد «لمن عبدها» في «ألف» و«ج».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣٥.

٥ ـ في «ألف»: «لا يجتمعان».

لرجل قلبين[١] في جوفه ؛ فيحبّ بهذا ويبغض بهذا»[٢] الحديث .

و ورد: «من كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيء دون الله ، فهو قريب من ذلك الشيء ، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته ، ثمّ تلا هذه الآية»[٣].

﴿وَما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللّائِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ﴾ ردّ لما زعمت العرب: أنّ من قال لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أُمّي ، صارت زوجته كالأُمّ له . ﴿وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ﴾ ردّ لما زعمت العرب: «أنّ دعيّ[٤] الرّجل ابنه ، ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبيّ[٥] عتيقِ رسول الله: ابن محمّد ، وذلك لأنّه حين برئ منه أبوه لإسلامه ، وعدم مفارقته النّبيّ ولحوقه بأبيه ؛ ألحقه رسول الله ﷺ بنفسه» . كذا ورد[٦] . ﴿ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ﴾ لا حقيقة له ﴿وَاللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ .

﴿ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ﴾: أعدل ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ﴾ لتنسبوا إليهم ﴿فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾: فهم إخوانكم في الدّين ﴿وَمَوالِيكُمْ﴾: وأولياؤكم فيه ، فقولوا: هذا أخي ومولاي ، بهذا التّأويل . ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ .

﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني أولى بهم في الأُمور كلّها ، فإنّه لا

١ ـ في المصدر: «من قلبين» .

٢ ـ القمّي ٢: ١٧١ ، عن أبي جعفر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . وفي الأمالي (للشيخ الطّوسي) ١: ١٤٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يقرب منه .

٣ ـ مصباح الشّريعة: ٩٢ ، الباب: ٤١ في السّجود ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ الدَّعِيّ: من يتبنّاه الإنسان وأنّه ليس بابن حقيقة . مجمع البحرين ١: ١٤٤ (دعا) .

٥ ـ زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي: صحابيّ . اختطف في الجاهليّة صغيراً ، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النّبيّ ﷺ حين تزوّجها ، فتبنّاه النّبيّ قبل الإسلام وأعتقه وزوّجه بنت عمّته . واستمرّ النّاس يسمّونه «زيد بن محمّد» حتّى نزلت آية «أُدعوهم لآبائهم» . وهو من أقدم الصحابة إسلاماً . وكان النّبيّ يحبّه ويقدّمه ، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة ، فاستشهد فيها في سنة ٨ من الهجرة . الأعلام (للزركلي) ٣: ٥٧ .

٦ ـ القمّي ٢: ١٧٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، بالمضمون .

يأمرهم ولا يرضى منهم إلّا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النّفس ؛ فلذلك أطلق ، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم ، وأمره أنفذ عليهم من أمرها ، وشفقتهم عليه أتمّ من شفقتهم عليها . ورد: «إنّه لمّا أراد غزوة تبوك وأمر النّاس بالخروج ، قال قوم: نستأذن آباءنا وأُمّهاتنا . فنزلت»[١] .

وكذلك الأئمّة عليهم السلام من بعده ، فإنّ كلّ واحد منهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم واحداً بعد واحد . سئل عن معنى ذلك ، فقال: «قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: من ترك دَيْناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ[٢] ، ومن ترك مالاً فلورثته ، فالرّجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال ، وليس له على عياله أمر ولا نهي إذا لم يُجْرِ عليهم[٣] النّفقة ، والنّبيّ وأمير المؤمنين ومَنْ بعدهما سلام اللّه عليهم ألزمهم اللّه هذا ، فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم ، وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلّا من بعد هذا القول من رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، لأنّهم آمنوا على أنفسهم وعيالاتهم»[٤] .

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: منزّلات منزلتهنّ في التّحريم مطلقاً ، «وفي استحقاق التّعظيم ما دُمْنَ على الطّاعة» . كذا ورد[٥] .

وزيد في قراءتهم عليهم السلام «وهو أب لهم»[٦] . القمّي: نزلت: وهو أب لهم[٧] .

أقول: وذلك لما مرّ من إلزام نفسه مؤنتهم وتربية أيتامهم ومن يضيع منهم ، ولأنّ كلّ نبيّ أب لأُمّته ، من جهة أنّه أصل فيما به الحياة الأبديّة ، ولذلك صار المؤمنون إخوة . و ورد:

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣٨ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .
٢ ـ ليس في المصدر كلمة: «وإليّ» .
٣ ـ في «ألف» و«ج»: «عليه» .
٤ ـ الكافي ١: ٤٠٦ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ كمال الدّين ٢: ٤٥٩ ، الباب: ٤٣ ، ذيل الحديث الطّويل: ٢١ ، عن القائم عليه السلام .
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣٨ .
٧ ـ القمّي ٢: ١٧٥ .

«أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة»[١]. وذلك لأنّهما في هذا المعنى سواء.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّٰهِ﴾: في حكمه المكتوب. قال: «نزلت في الإمرة، إنّ هذه الآية جرت في ولد الحسين من بعده، فنحن أولى بالأمر وبرسول اللّه من المؤمنين والمهاجرين والأنصار»[٢]. وقد مضت هذه الآية في آخر الأنفال[٣]، وأنّها نزلت في نسخ التّوارث بالهجرة والنّصرة.

والتّوفيق بنزول هذه في الإمرة، وتلك في الميراث، لا يلائم الاستثناء في هذه الآية ولا ما يأتي في بيانه؛ بلى إن عكسنا استقام، وكذا إذا عمّمنا الحكم وإن كان المورد خاصّاً، وكذا إذا جعلنا أحدهما تأويلاً، كما يستفاد من بعض الأخبار[٤].

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهاجِرِينَ﴾ صلة لأولي، أي: أولوا الأرحام بحقّ القرابة أولى بالإمرة أو بالميراث من المؤمنين بحقّ الدّين، والمهاجرين بحقّ الهجرة. وإن حملنا الآية على الميراث احتمل أيضاً أن تكون بياناً لأُولي الأرحام. ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلىٰ أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً﴾ يعني بالتّوصية. سئل: أيّ شيء للموالي؟ فقال: «ليس لهم من الميراث إلّا ما قال اللّه: "إلّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً"»[٥]. ﴿كانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنا﴾ مقدّر بأذكر. ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ القمّي: الواو في "وَمِنْكَ" زيادة، إنّما هو "منك ومن نوح"، فأخذ اللّه الميثاق لنفسه على الأنبياء، ثمّ أخذ لنبيّه على الأنبياء

١ ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٢، المجلس: ٤، ذيل الحديث: ٦؛ علل الشّرائع ١: ١٢٧، الباب: ١٠٦، الحديث: ٢، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ الكافي ١: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ الآية: ٧٥.

٤ ـ علل الشّرائع ١: ٢٠٥، الباب: ١٥٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٧: ١٣٥، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

والأئمّة عليهم السلام ثمّ أخذ للأنبياء على رسوله صلوات الله عليهم[1].

﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ أي: فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الّذين صدقوا عهدهم، فيظهر صدقهم. ﴿وَأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾ كأنّه قيل: فأثاب المؤمنين وأعدّ للكافرين.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾ يعني الأحزاب، وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنّضير في عشرة آلاف، وكان المسلمون سبعمائة. فلمّا سمع النّبيّ صلى الله عليه وآله بإقبالهم، ضرب الخندق على المدينة بينه وبينهم؛ بإشارة سلمان رضي الله عنه عليه وتصويبه الوحي، فبقي يحاربهم في الخندق أيّاماً، فلمّا طال الأمر واشتدّ عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد، وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلّم المنافقون بما حكى الله عنهم، ونافق أكثر من معه، وقد كان أخبرهم بتحزّب العرب عليه ومجيئهم من فوق، ويغدر يهود ونقضهم عهدَه ومجيئهم من أسفل، وأنّه يصيبهم جهد شديد، وأنّ العاقبة له عليهم، بعث الله الدّبور[2] مع الملائكة فهزموهم بإذن الله. كذا ذكره القمّي[3] في خلال قصّتهم بطولها.

﴿وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها﴾ يعني الملائكة ﴿وَكانَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ أي: حفر الخندق؛ وعلى الغيبة، أي: التّحزّب والمحاربة.

﴿إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: من أعلى الوادي ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: من أسفل الوادي ﴿وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ﴾: مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ﴾ رعباً. فإنّ الرّئة تنتفخ من شدّة الرّوع، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس

١ ـ القمّي ٢: ١٧٦.

٢ ـ الدَّبُور: الريح الّتي تُقابِل الصَّبا والقبول. وهي ريح تَهُبُّ من نحو المغرب. والصَّبا تقابلها من ناحية المشرق. الصّحاح ٢: ٦٥٤؛ لسان العرب ٤: ٢٧١ (دبر).

٣ ـ القمّي ٢: ١٧٦ إلى ١٨٨.

الحنجرة، وهي منتهى الحلقوم. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونا﴾: الأنواع من الظّنّ.

﴿هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اختبروا؛ فظهر المخلص من المنافق، والثّابت من المتزلزل. ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً﴾ من شدّة الفزع.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الظّفر وإعلاء الدّين ﴿إِلّا غُرُوراً﴾: وعداً باطلاً.

﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾: أهل المدينة ﴿لا مُقامَ لَكُمْ﴾: لا موضع قيام لكم ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم هاربين ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للرّجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ﴾: غير حصينة، وأصلها الخلل ﴿وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ قال: «بل هي رفيعة السّمك[1] حصينة»[2]. وفي رواية: «وكانت بيوتهم في أطراف البيوت حيث ينفرد النّاس، فأكذبهم. قال "وما هي بعورة"»[3]. ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلّا فِراراً﴾ من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها﴾: من جوانبها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: الرّدّة ومقاتلة المسلمين ﴿لَآتَوْها﴾: لأعطوها ﴿وَما تَلَبَّثُوا بِها﴾ بالفتنة، أي بإعطائها ﴿إِلّا يَسِيراً﴾.

﴿وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْئُولاً﴾.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلّا قَلِيلاً﴾.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيّاً﴾ ينفعهم ﴿وَلا نَصِيراً﴾ يدفع الضّرّ عنهم.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: المثبّطين[4] عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ وهم المنافقون ﴿وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا﴾: قرّبوا أنفسكم إلينا ﴿وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾: ولا يقاتلون

١ـ السَّمْك: السقف. الصّحاح ٤: ١٥٩٢ (سمك).

٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٤٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٣، الحديث: ٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ ثبّطه: قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه تخذيلاً ونحوه. المصباح المنير ١: ١٠٠ (ثبط).

﴿إلّا قَلِيلاً﴾ .

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بُخَلاء بالمعاونة أو النّفقة أو الظّفر أو الغنيمة ﴿فَإِذا جاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم ﴿كَالَّذِي يُغْشىٰ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾: من معالجة سكرات الموت ؛ خوفاً ولواذاً بك ﴿فَإِذا ذَهَبَ الخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُمْ﴾: ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ﴾: ذربة[1] يطلبون الغنيمة . والسّلق: البسط بقهر ، باليد أو باللّسان . ﴿أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ إخلاصاً ﴿فَأَحْبَطَ اللّٰهُ أَعْمالَهُمْ وَكانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيراً﴾ .

القمّي: نزلت هذه الآية في الثّاني لمّا قال لعبد الرّحمن بن عوف: هلمّ ندفع محمّداً إلى قريش ونلحق نحن بقومنا[2] .

﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: هؤلاء لجبنهم يظنّون أنّ الأحزاب لم ينهزموا ، وقد انهزموا ﴿وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزابُ﴾ كرّة ثانية ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الأَعْرابِ﴾: تمنّوا أنّهم خارجون إلى البَدو وحاصلون بين الأعراب ﴿يَسْأَلُونَ﴾ كلّ قادم من جانب المدينة ﴿عَنْ أَنْبائِكُمْ﴾: عمّا جرى عليكم ﴿وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكرّة ولم يرجعوا إلى المدينة . وكان قتال ﴿ما قاتَلُوا إِلّا قَلِيلاً﴾ رياءً وخوفاً عن التّعيير .

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ في أفعاله وأخلاقه ، كثباته في الحرب ومقاساته للشّدائد وغير ذلك ﴿لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّٰهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّٰهَ كَثِيراً﴾ . قرن بالرّجاء كثرة الذّكر المؤدّية إلى ملازمة الطّاعة ، فإنّ المؤتسي بالرّسول من كان كذلك .

﴿وَلَمّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هٰذا ما وَعَدَنا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلّا إِيماناً وَتَسْلِيماً﴾ . روي: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «سيشتدّ الأمر

١ ـ الذَّرِب: الحادّ من كلّ شيء . ولسان ذَرِبٌ وفيه ذَرابَةٌ، أي: حِدَّةٌ. قال أبو زيد: في لسانه ذَرَبٌ، وهو الفحش. الصّحاح ١: ١٢٧ (ذرب).

٢ ـ القمّي ٢: ١٨٨ .

باجتماع الأحزاب عليكم، والعاقبة لكم عليهم. وقال: إنّهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر»[١].

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ قال: «أن لا يفرّوا أبداً»[٢]. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ﴾ قال: «أجله، وهو حمزة وجعفر»[٣]. قيل: النّحب: النّذر، استعير للموت لأنّه كنذر لازم في الرّقبة[٤]. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ قال: «أجله، يعني عليّاً»[٥]. ﴿وَما بَدَّلُوا﴾ العهدَ ولا غيّروه ﴿تَبْدِيلاً﴾: شيئاً من التّبديل. فيه تعريض لأهل النّفاق ومرض القلب بالتّبديل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد كنت عاهدت اللّه تعالى ورسوله أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر وابن عمّي عبيدة على أمر وفينا به للّه تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله، فتقدّمني أصحابي وتخلّفت بعدهم لما أراد اللّه تعالى، فأنزل اللّه فينا: "من المؤمنين رجال صدقوا" الآية»[٦].

وفي لفظ آخر قال: «فينا نزلت: "رجال صدقوا" فأنا واللّه المنتظر، وما بدّلت تبديلاً»[٧].

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ﴾: المبدّلين ﴿إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً﴾: غير ظافرين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ﴾ قال: «كفى اللّه المؤمنين القتال بعليّ بن أبي طالب وقتله

١ ـ البيضاوي ٤: ١٦١.
٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ١٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ٤: ١٦١.
٥ ـ القمّي ٢: ١٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ الخصال ٢: ٣٧٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥٨، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.
٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

عمرو بن عبد ود»[1]. ﴿وَكانَ اللّٰهُ قَوِيّاً﴾ على إحداث ما يريده ﴿عَزِيزاً﴾ غالباً على كلّ شيء.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ﴾: ظاهروا الأحزاب ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ﴾ القمّي: يعني بني قريظة[2]. ﴿مِنْ صَياصِيهِمْ﴾: من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ﴾: مزارعهم وحصونهم ﴿وَأَمْوالَهُمْ﴾: نقودهم ومواشيهم وأثاثهم ﴿وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَكانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾. وذلك أنّه لمّا دخل رسول اللّهﷺ المدينة واللّواءُ معقودٌ، أراد أن يغتسل من الغبار، فناداه جبرئيل عليه السلام: ما وضعت الملائكة لأمتها[3]، فكيف تضع لأمتك! إنّ اللّه يأمرك أن لا تصلّي العصر إلّا ببني قريظة؛ فإنّي متقدّمكم ومُزَلزِلٌ بهم حصنَهم، إنّا كنّا في آثار القوم نزجرهم زجراً. فخرج رسول اللّهﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام بين يديه مع الرّاية العظمى، وأنزل العسكر حول حصنهم، فحاصرهم ثلاثة أيّام، فجزعوا وأكثروا عليه، فأنزلهم على حكم سعد بن معاذ فرضوا بذلك، فحكم سعد: أن يُقتَلَ رجالُهم وتُسبىٰ نساؤهم وذراريهم، وتُقسَمَ غنائمُهم وأموالُهم بين المهاجرين والأنصار. فقال رسول اللّهﷺ: قد حَكَمْتَ بقول اللّه عزّوجلّ فوق سبعة أرقعة[4]. هذا ملخّص ما ذكره القمّي[5].

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾: السّعة والتّنعّم فيها ﴿وَزِينَتَها﴾: وزخارفها ﴿فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أُعطكنّ المتعة ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً﴾:

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٥٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ١٨٩.
٣ ـ اللّأمة: الدّرع. الصّحاح ٥: ٢٠٢٦ (لأم).
٤ ـ الرّقيع: سماء الدنيا. وكذلك سائر السماوات. الصّحاح ٣: ١٢٢٢ (رقع).
٥ ـ القمّي ٢: ١٨٩ إلى ١٩١.

طلاقاً من غير ضرار برغبة .

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالدّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ . استحقر دونه الدّنيا وزينتها .

ورد: «إنّ زينب بنت جحش قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت رسول الله! وقالت حفصة: إن طلّقتنا وجدنا أكفائنا من قومنا . فاحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين يوماً ، قال: فأنف الله لرسوله ، فأنزل هذه الآية . قال: فاخترن الله ورسوله ولم يكن شيء ، ولو اخترن أنفسهنّ لَبِنَّ[1]»[2] .

والقمّي: أصاب غنيمة ، فقلن أزواجه: أعطنا ما أصبتَ ، فقال: قَسَمْتُه بين المسلمين على ما أمر الله ، فغضبن من ذلك ، وقلن: لعلّك ترى أنّك إن طلّقتنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوّجونا! فأنف الله عزّوجلّ لرسوله ، فأمره أن يَعْتَزِلَهنّ تسعة وعشرين يوماً حتّى حِضْنَ وطَهُرْنَ ، ثمّ أنزل الله هذه الآية ، وهي آية التّخيير ، فقامت أمّ سلمة أوّل من قامت ، فقالت: قد اخترتُ اللّهَ ورسولَه ، فقُمْنَ كلّهنّ ، فعانقنه ، وقلن مثل ذلك ، فأنزل الله: "تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ" الآية[3] ، فهذه الآية مع هذه ؛ وقد أخّرت عنها في التأليف[4] .

ورد: «إنّما هذا شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة ، أُمر بذلك فَفَعَلَ ، ولو اخترن أنفسهنّ لطلّقهنّ»[5] .

﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾: ظاهر قبحها ﴿يُضاعَفْ لَها العَذابُ

١ ـ أي: لصرن بائنات ، يعني حصل البينونة بينك وبينهنّ .

٢ ـ الكافي ٦: ١٣٨ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ نفس السورة: ٥١ .

٤ ـ القمّي ٢: ١٩٢ .

٥ ـ الكافي ٦: ١٣٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

ضِعْفَيْنِ ﴾: ضعفي عذاب غيرهنّ. قال: «الفاحشة: الخروج بالسّيف»[١].

﴿ وَكانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً ﴾ لا يمنعه عن التّضعيف كونهنّ نساء النّبيّ، وكيف وهو سببه؟!

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ ﴾: ومن يدم على الطّاعة ﴿ لِلّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ ﴾: مرّة على الطّاعة ومرّة على طلب رضا النّبيّ صلّى الله عليه وآله؛ بالقناعة وحسن المعاشرة وغير ذلك. ﴿ وَأَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً ﴾ في الجنّة زيادة على أجرها. قال: «كلّ ذلك[٢] في الآخرة، حيث يكون الأجر يكون العذاب»[٣].

﴿ يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ اللّه ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾: فلا تُجِبْنَ بقولكنّ خاضعاً ليّناً مثل قول المريبات ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾: فجور ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾: حسناً بعيداً عن الرّيبة.

﴿ وَقَرْنَ ﴾ من الوقار أو القرار ﴿ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولىٰ ﴾ التّبرّج: إظهارُ النّساء زينتَهنّ ومحاسنَهنّ للرّجال.

ورد: «إنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحقّ بالأمر منك، فقاتلها فقتل مقاتلتها وأحسن أسرها، وإنّ ابنة أبي بكر ستخرج على عليّ في كذا وكذا ألفاً من أُمّتي، فيقاتلها فيقتل مقاتلتها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل اللّه: "وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأُولى" يعني صفراء بنت شعيب»[٤]. وفي رواية: «أي: سيكون جاهليّة

١ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ في المصدر: «كلّ هذا».
٣ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ كمال الدّين ١: ٢٧، في مقدّمة المصنّف، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

أُخرى»[١].

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قال: «نزلت هذه الآية في رسول اللّه وعليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم، وذلك في بيت أُمّ سلمة زوج النّبيّ، فدعا رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ ألبسهم كساءً له خيبريّاً، ودخل معهم فيه، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي الّذين وَعَدْتَني فيهم ما وَعَدْتَني، اللّهمّ اذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول اللّه؟ قال: ابشري يا أُمّ سلمة، فإنّك إلى خير»[٢].

وزيد في رواية: «إنّما نزلت فيّ وفي أخي وفي ابنتي وفي ابنيّ وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصّة، ليس معنا[٣] أحد غيرنا»[٤].

وفي أُخرى: «يعني الأئمّة وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النّبيّ»[٥]. وفي نزولها في شأنهم أخبار كثيرة من طريق العامّة[٦] والخاصّة[٧].

وعن زيد بن عليّ بن الحسين: إنّ جهّالاً من النّاس يزعمون: أنّه إنّما أراد اللّهُ بهذه الآية أزواجَ النّبيّ، وقد كذبوا وأثموا وأيمن اللّه، ولو عنى أزواج النّبيّ لقال: ليذهب عنكنّ

١ ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «ليست فيها».

٤ ـ كمال الدّين ١: ٢٧٨، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٥ ـ الكافي ١: ٤٢٣، الحديث: ٥٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ السنن الكبرى (للبيهقي) ٢: ١٥٠؛ المستدرك (للحاكم) ٢: ٤١٦؛ البيضاوي ٤: ١٦٣؛ روح المعاني ٢٢: ١٤.

٧ ـ القمّي ٢: ١٩٣؛ علل الشّرائع ١: ١٩١، الباب: ١٥١، الحديث: ١؛ الخصال ٢: ٥٦١، ذيل الحديث: ٣١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٢٩، الباب: ٢٣، الحديث: ١.

الرّجس ويطهّركنّ تطهيراً، ولكان الكلام مؤنّثاً، كما قال: "أُذكُرْنَ ما يُتْلىٰ في بُيُوتِكُنَّ"، "ولا تبرّجن" "ولستنّ كأحد من النّساء"[١].

و ورد: «ليس شيء أبعد من عقول الرّجال من تفسير القرآن، إنّ الآية أوّلها ينزل في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء ثمّ قال: "إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً" من ميلاد الجاهليّة»[٢].

وفي رواية: «الرّجس هو الشّكّ، ولا نشكّ في ديننا أبداً»[٣].

﴿وَاذْكُرْنَ ما يُتْلىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللّهِ وَالحِكْمَةِ﴾ من الكتاب الجامع بين الأمرين ﴿إِنَّ اللّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾.

﴿إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِماتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾. ورد: «إنّ الإيمان ما وقّر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدّماء، والإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان»[٤]. ﴿وَالقانِتِينَ﴾: المداومين على الطّاعة ﴿وَالقانِتاتِ وَالصّادِقِينَ﴾ في القول والفعل ﴿وَالصّادِقاتِ وَالصّابِرِينَ﴾ على الطّاعات وعن المعاصي ﴿وَالصّابِراتِ وَالخاشِعِينَ﴾: المتواضعين للّه بقلوبهم وجوارحهم ﴿وَالخاشِعاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ﴾ من أموالهم ابتغاء مرضاة اللّه ﴿وَالمُتَصَدِّقاتِ وَالصّائِمِينَ﴾ للّه بنيّة صادقة ﴿وَالصّائِماتِ وَالحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الحرام ﴿وَالحافِظاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿وَالذّاكِراتِ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْراً عَظِيماً﴾ على طاعتهم.

روي: «دخلت أسماء بنت عميس على نساء رسول اللّه ﷺ فقالت: هل فينا شيء من

١ـ القمّي ٢: ١٩٣.
٢ـ العيّاشي ١: ١٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ بصائر الدّرجات: ٢٠٦، الباب: ١١، الحديث: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٢٦، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

القرآن؟ قلن: لا . فأتت رسول اللّه فقالت: يا رسول اللّه إنّ النّساء لفي خيبة وخسار! فقال: وممّ ذلك؟ قالت: لأنّهنّ لا يُذكرنَ بخير كما يُذكَرُ الرّجال . فأنزل اللّه هذه الآية»[١] .

﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمراً أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ﴾: أن يختاروا من أمرهم شيئاً ، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار اللّه ورسوله ، والخيرة: ما يخيّر .

ورد: «إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله خطب على زيد بن حارثة زينبَ بنت جحش ، وهي بنت عمّة النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقالت: يا رسول اللّه حتّى أوامر نفسي فانظر . فأنزل اللّه هذه الآية ، فقالت: يا رسول اللّه أمري بيدك ، فزوّجها إيّاه»[٢] . ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ .

﴿وَإذْ تَقُولُ لِلَّذِي أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق ؛ وهو زيد بن حارثة ﴿أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: زينب ﴿وَاتَّقِ اللّهَ﴾ في أمرها فلا تطلّقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْدِيهِ﴾ .

قال: «إنّ الّذي أخفاه في نفسه هو أنّ اللّه سبحانه أعلمه أنّها ستكون من أزواجه ، وأنّ زيداً سيطلّقها . فلمّا جاء زيد وقال له: أُريد أن أُطلّق زينب ، قال له: "أمسك عليك زوجك" ، فقال سبحانه: لِمَ قُلْتَ: أمسك عليك زوجك؟ وقد أعلمتك أنّها ستكون من أزواجك»[٣] . وزاد في رواية: «ولم يبده ؛ لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنّه قال في امرأة في بيت رجل: إنّها أحد أزواجه من أُمّهات المؤمنين ، وخشي قول المنافقين[٤]»[٥] .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٥٨ ، عن مقاتل بن حيان ، مع تفاوت يسير .
٢ ـ القمّي ٢: ١٩٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٦٠ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .
٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٥ ، الباب: ١٤ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ .
٥ ـ وزاد في «ألف»: «وفي المخفى رواية أُخرى ذكرناها في الصّافي» .

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ تعييرَهم إيّاك به. ﴿وَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾ إن كان فيه ما يخشى ﴿فَلَمّا قَضىٰ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً﴾ بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة، وطلّقها وانقضت عدّتها ﴿زَوَّجْناكَها﴾ وفي قراءتهم عليهم السلام: «زوّجتكها»[1].

ورد: «إنّ اللّه ما تولّى تزويجَ أحدٍ من خلقه إلّا تزويج حوّاء من آدم، وزينب من رسول اللّه، وفاطمة من عليّ»[2].

﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً﴾.

﴿ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللّهُ لَهُ سُنَّةَ اللّهِ﴾: سنّ ذلك سنّة ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء، وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿وَكانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾: قضاءً مقضيّاً وحكماً قطعيّاً.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلّا اللّهَ وَكَفىٰ بِاللّهِ حَسِيباً﴾ فينبغي أن لا يخشى إلّا منه.

﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ﴾ على الحقيقة، فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها.

أقول: لا يُنتقَضُ عمومُه بكونه أباً للأئمّة عليهم السلام وأنّهم بنوه، لأنّهم رجاله ليسوا برجال النّاس، مع أنّهم لا يقاسوا بالنّاس. ورد: إنّه صلى الله عليه وآله قال: «إنّ كلّ بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلّا أولاد فاطمة فإنّي أنا أبوهم، وقال للحسن والحسين: ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[3].

١ ـ جوامع الجامع: ٣٧٣، عن أهل البيت وعليّ والصادق عليهم السلام.
٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٩٥، الباب: ١٤، ذيل الحديث الطّويل: ١.
٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٦١.

يعني قاما بالإمامة أو قعدا عنها، وقد مرّ في سورتي النّساء[1] والأنعام[2] ما يدلّ على أنّهما ابناه أيضاً.

﴿وَلٰكِنْ رَسُولَ اللّٰهِ﴾ وكلّ رسولٍ أبو أُمّته لا مطلقاً، بل من حيث أنّه شفيق ناصح لهم، واجب التّوقير والطّاعة عليهم؛ وزيدٌ منهم. ﴿وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾: وآخرهم الّذي ختمهم أو خُتموا به، على اختلاف القراءتين[3]. ﴿وَكانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾: يغلب الأوقات وتعمّ أنواعه.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: أوّل النّهار وآخره، خصوصاً لفضلهما على سائر الأوقات، بكونهما مشهودين.

ورد: «ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه، إلّا الذّكر فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض اللّٰه الفرائضَ فمن أدّاهنّ فهو حدّهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه، والحجّ فمن حجّ فهو حدّه، إلّا الذّكر فإنّ اللّٰه لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ثمّ تلا هذه الآية»[4].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ بالرّحمة ﴿وَمَلائِكَتُهُ﴾ بالاستغفار لكم، والاهتمام بما يصلحكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطّاعة ﴿وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ حيث اعتنى بصلاح أمرهم وإنافة[5] قدرهم، واستعمل في ذلك ملائكته المقرّبين.

ورد: «من صلّى على محمّد وآل محمّد عشراً صلّى اللّٰه عليه وملائكته مائة مرّة، ومن

١ـ ذيل الآية: ٢٣.

٢ـ ذيل الآية: ١٥٣.

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٥٨.

٤ـ الكافي ٢: ٤٩٨، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام، وفيه: «اللّٰه عزّوجلّ» في الموضعين.

٥ـ نافَ الشيء يَنوف، أي: طال وارتفع. الصّحاح ٤: ١٤٣٦ (نوف).

صلّى على محمّد وآل محمّد[١] مائة مرّة صلّى اللّه عليه وملائكته ألفاً، أما تسمع قولَ اللّه عزّوجلّ: "هو الّذي يصلّي عليكم" الآية»[٢].

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ قيل: أي: يحيّون يوم لقائه بالسّلامة من كلّ مكروه وآفة[٣]. و ورد: «يعني أنّه لايزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون»[٤]. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾.

﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً﴾: «على من بعثت إليه، بتصديقهم وتكذيبهم»[٥] ﴿وَمُبَشِّراً﴾ «بالجنّة من أطاعك»[٦] ﴿وَنَذِيراً﴾ «بالنّار من عصاك»[٧].

﴿وَداعِياً إِلَى اللّهِ﴾: «إلى دينه». كذا ورد في الأربعة[٨]. ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بتيسيره ﴿وَسِراجاً مُنِيراً﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالة، ويقتبس من نوره أنوار البصائر.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾.

﴿وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ﴾. تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ﴿وَدَعْ أَذاهُمْ﴾: إيذاءهم إيّاك، أو إيذاءك[٩] إيّاهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ فإنّه يكفيهم ﴿وَكَفى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾. القمّي: نزلت بمكّة قبل الهجرة بخمس سنين، قال: فهذا دليل على خلاف التّأليف[١٠].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾:

١ ـ في «ألف»: «ومن صلّى عليه».
٢ ـ الكافي ٢: ٤٩٣، الحديث: ١٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٤: ١٦٥.
٤ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام، بالمضمون.
٦ و ٧ و ٨ ـ علل الشّرائع ١: ١٢٧، الباب: ١٠٦، ذيل الحديث: ١؛ معاني الأخبار: ٥٢، ذيل الحديث: ٢، عن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.
٩ ـ في «ب»: «وإيذاءك».
١٠ ـ القمّي ٢: ١٩٤.

تجامعوهنّ ﴿فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾: أيّام يتربّصن فيها بأنفسهنّ ﴿تَعْتَدُّونَها﴾: تستوفون عددها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلاً﴾ من غير ضرار ولا منع حقّ.

قال: «عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئاً، وإن لم يكن فرض لها فليمتّعها على نحو ما يتمتّع مثلها من النّساء»[١]. وقد سبق في سورة البقرة[٢].

﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ؛ لأنّ المهر أجر على البضع ﴿وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمّا أَفاءَ اللّهُ عَلَيْكَ﴾ بالسّبي ﴿وَبَناتِ عَمِّكَ وَبَناتِ عَمّاتِكَ وَبَناتِ خالِكَ وَبَناتِ خالاتِكَ اللّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها﴾. «نزلت في خولة بنت حكيم من الأنصار، عرضت نفسها عليه وقالت: وهبت نفسي لك إن قبلتني، فقال لها خيراً ودعا لها وللأنصار، فنزلت». كذا ورد[٣]. ﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «ولا يحلّ ذلك لغيره»[٤]. ﴿قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ﴾ من الشّرائط والحصر في الأربع ﴿وَما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ﴾ والجملة إعتراض. ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي: خلص إحلالها لك لمعان يقتضي التوسيع عليك ﴿وَكانَ اللّهُ غَفُوراً﴾ لما يعسر التّحرّز عنه ﴿رَحِيماً﴾ بالتوسعة في مظانّ الحرج.

﴿تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ﴾ بترك نكاحها أو تطليقها ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ﴾ بضمّها إليك وإمساكها ﴿مَنْ تَشاءُ﴾ قال: «من آوى فقد نكح، ومن أرجى فلم ينكح»[٥]. وفي رواية: «ومن أرجى فقد طلّق»[٦]. ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾: طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ﴾ في

١ـ الكافي ٦: ١٠٨، الحديث: ١١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ ذيل الآية: ٢٣١.
٣ و ٤ـ الكافي ٥: ٥٦٨، الحديث: ٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٦٧، عن الباقر والصّادق عليهما السلام.
٦ـ القمّي ٢: ١٩٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

شيء من ذلك. ﴿ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾: ذلك التّفويض إلى مشيّتك، أقرب إلى قرّة عيونهنّ وقلّة حزنهنّ ورضاهنّ جميعاً؛ لأنّه حكم كلّهنّ فيه سواء، ثمّ إن سوّيت بينهنّ وجدن ذلك تفضّلاً منك، وإن رجّحت بعضهنّ علمن أنّه بحكم اللّٰه، فتطمئنّ نفوسهنّ. ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَكانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾.

﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾. قيل: المعنى لا يحلّ لك النّساء من بعد الأجناس المذكورة اللّاتي نصّ على إحلالهنّ لك، ولا أن تبدّل بهنّ أزواجاً من أجناس أخر[١]؛ وقيل: من بعد النّساء اللّاتي اخترن اللّٰه ورسوله، إذ خيّرن مكافاة لهنّ على ذلك، وهنّ التّسع[٢].

و ورد: «إنّما عنى به: لا يحلّ لك النّساء اللّاتي حرّم اللّٰه عليك في هذه الآية "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُم وبَناتُكُم" إلى آخرها[٣]. قال: ولو كان الأمر كما يقولون، كان قد أحلّ لكم ما لم يحلّ له، لأنّ أحدكم يستبدل كلّما أراد، ولكنّ الأمر ليس كما يقولون، إنّ اللّٰه عزّوجلّ أحلّ لنبيّه أن ينكح من النّساء ما أراد إلّا ما حرّم في هذه الآية في سورة النّساء»[٤]. وفيه ما فيه.

وقيل: هي منسوخة بقوله: "ترجي من تشاء" فإنّه وإن تقدّمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً[٥].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلىٰ طَعامٍ﴾: تدعون

١ ـ جوامع الجامع: ٣٧٦؛ الكشّاف ٣: ٢٧٠؛ البيضاوي ٤: ١٦٦.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٦٧.
٣ ـ النّساء (٤): ٢٣.
٤ ـ الكافي ٥: ٣٨٩، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ البيضاوي ٤: ١٦٦.

اليه ﴿غَيْرَ ناظِرِينَ إناهُ﴾: غير منتظرين وقته أو إدراكه ؛ من أنى الطّعام إذا أدرك . ﴿وَلٰكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: تفرّقوا ولا تمكثوا ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذٰلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله ، واشتغاله بما لا يعنيه ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾: من إخراجكم ﴿وَاللّٰهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ فيأمركم بالخروج ﴿وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً﴾: شيئاً ينتفع به ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر الشّيطانيّة .

القمّي: لمّا تزوّج رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بزينب بنت جحش وكان يحبّها ، فأولم ودعا أصحابه ، وكانوا إذا أكلوا يحبّون أن يتحدّثوا عنده ، وكان يحبّ أن يخلو معها ، فأنزل اللّه عزّ وجلّ هذه الآية[١] .

﴿وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾: من بعد وفاته أو فراقه ﴿إِنَّ ذٰلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيماً﴾ .

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً﴾ كنكاحهنّ ، على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ .

القمّي: لمّا أنزل: "وأزواجُهُ أُمّهاتُهُم"[٢] وحرّم اللّه نساء النّبيّ على المسلمين ، غضب طلحة فقال: يحرم[٣] محمّد علينا نساءه ويتزوّج هو بنسائنا ، لئن أمات اللّه محمّداً لنركضنّ بين خلاخيل نسائه ، كما ركض بين خلاخيل نسائنا ، فأنزل اللّه[٤] .

﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَلا أَبْنائِهِنَّ وَلا إِخْوانِهِنَّ وَلا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَلا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ﴾ . استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم .

١ ـ القمّي ٢: ١٩٥ .

٢ ـ نفس السّورة: ٦ .

٣ ـ في «ب»: «حرّم» .

٤ ـ القمّي ٢: ١٩٥ .

روي: «إنّه لمّا نزلت آية الحجاب، قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول اللّه أو نكلّمهنّ أيضاً من وراء حجاب؟ فنزلت»[١].

﴿وَلا نِسائِهِنَّ﴾ يعني النّساء المؤمنات ﴿وَلا ما مَلَكَتْ أيْمانُهُنَّ﴾. سبق بيانه في سورة النّور[٢]. ﴿وَاتَّقِينَ اللّهَ﴾ فيما أُمرتنّ به ﴿إنَّ اللّهَ كانَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ لا تخفى عليه خافية.

﴿إنَّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾. قال: «الصلاة من اللّه رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن النّاس دعاء»[٣]. ورد: «صلّ على النّبيّ ﷺ كلّما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان وغيره»[٤].

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. قال: «يعني التّسليم»[٥] فيما ورد عنه.

وفي رواية: «لهذه الآية ظاهر وباطن، فالظّاهر: قوله: "صلّوا عليه". والباطن قوله: "سلّموا تسليماً"، أي: سلّموا لمن وصّاه واستخلفه عليكم فضله[٦] وما عهد به اليه، تسليماً، قال: وهذا ممّا أخبرتك: أنّه لا يعلم تأويله إلّا من[٧] لطف حسّه وصفا ذهنه وصحّ تمييزه»[٨].

﴿إنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمخالفة ﴿لَعَنَهُمُ اللّهُ﴾: أبعدهم من رحمته ﴿فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً﴾: يهينهم مع الإيلام. القمّي: نزلت فيمن غصب أمير المؤمنين حقّه، وأخذ حقّ فاطمة وآذاها[٩].

١ ـ الكشّاف ٣: ٢٧٢؛ البيضاوي ٤: ١٦٧.
٢ ـ ذيل الآية: ٣١.
٣ ـ معاني الأخبار: ٣٦٨، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه ﷺ.
٤ ـ الكافي ٢: ٣٠٣، الحديث: ٧؛ من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٥، الحديث: ٨٧٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٥ ـ معاني الأخبار: ٣٦٨، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه ﷺ.
٦ ـ في المصدر: «واستخلفه وفضّله عليكم».
٧ ـ في جميع النّسخ: «إلّا لمن لطف» وما أثبتناه من المصدر.
٨ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٩ ـ القمّي ٢: ١٩٦.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغير جناية استحقّوا بها ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

ورد: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين المؤذون[1] لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين، ونصبوا لهم، وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم، ثمّ يؤمر بهم إلى جهنّم»[2].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾: يغطّين وجوههنّ وأبدانهنّ بملاحفهنّ إذا برزن لحاجة ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾: يميّزن من الإماء والقينات ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: فلا يؤذيهنّ أهل الرّيبة بالتعرّض لهنّ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لما سلف ﴿رَحِيماً﴾ بعباده، يراعي مصالحهم حتّى الجزئيّات منها.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ القمّي: شكّ[3]. ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: الّذين يرجفون أخبار السّوء؛ وأصله التّحريك، من الرّجفة وهي الزّلزلة، سمّي به الأخبار الكاذب، لكونه متزلزلاً غير ثابت.

القمّي: نزلت في قوم منافقين، كانوا في المدينة يرجفون برسول الله صلى الله عليه وآله إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قتل وأسر، فيغتمّ المسلمون لذلك ويشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[4].

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ قيل: لنأمرنّك بقتالهم أو إجلائهم[5]. والقمّي: نأمرك بإخراجهم من المدينة[6] ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾.

١ـ في المصدر: «أين الصدود».
٢ـ الكافي ٢: ٣٥١، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ١٩٦.
٤ـ القمّي ٢: ١٩٦.
٥ـ البيضاوي ٤: ١٦٨.
٦ـ القمّي ٢: ١٩٧.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ قال: «فوجبت عليهم اللّعنة»[١]. ﴿أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾.

﴿سُنَّةَ اللّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾: سنّ اللّه ذلك في الأُمم الماضية، وهو أن يُقتل الّذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه، أينما ثقفوا ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً﴾.

﴿يَسْأَلُكَ النّاسُ عَنِ السّاعَةِ﴾: عن وقت قيامها ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ﴾ لم يطلع عليه ملكاً ولا نبيّاً ﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾.

﴿إِنَّ اللّهَ لَعَنَ الكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾.

﴿خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً﴾ يحفظهم ﴿وَلا نَصِيراً﴾ يدفع العذاب عنهم.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النّارِ﴾ تصرف من جهة إلى جهة، أو من حال إلى حال ﴿يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنا اللّهَ وَأَطَعْنا الرَّسُولا﴾.

﴿وَقالُوا رَبَّنا إِنّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾.

﴿رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذابِ﴾: مثلي ما آتيتنا به؛ لأنّهم ضلّوا وأضلّوا ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾: أشدّ اللّعن وأعظمه.

القمّي: هي كناية عن الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم. "يا لَيتَنا أطَعنا": يعني في أمير المؤمنين، والسّادة والكبراء: هما أوّل من بدأ بظلمهم وغصبهم[٢].

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسىٰ فَبَرَّأَهُ اللّهُ مِمّا قالُوا وَكانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيهاً﴾. قال: «كانوا يقولون: ليس له ما للرّجال»[٣]. وفي رواية: «يقولون: إنّه

١ ـ المصدر: عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ١٩٧.
٣ ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

عنّين»[١]. وفي أُخرى: «إنّه كان حييّاً[٢] ستيراً، يغتسل وحده. فقالوا: ما يتستّر منّا إلّا لعيب بجلده؛ إمّا برص وإمّا أدرة[٣]، فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، فمرّ الحجر بثوبه، فطلبه موسى. فرأوه عرياناً كأحسن الرّجال خلقاً. "فبرّأه اللّه ممّا قالوا"»[٤].

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ قال: «عدلاً»[٥].

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: «في ولاية عليّ والأئمّة من بعده»[٦]. ﴿فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

قال[٧]: «الأمانة الولاية، من ادّعاها بغير حقّ كفر»[٨].

أقول: يعني بالولاية: الإمارة والإمامة المتقرّب بهما إلى اللّه[٩].

وفي رواية: «الأمانة: الولاية. والإنسان: أبو الشّرور المنافق، يعني الأوّل»[١٠].

١ ـ الأمالي (للصّدوق): ٩٢، المجلس: ٢٢، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في «ج»: «حيّياً». والحَيِيّ والحَيّي: ذو الحياء.

٣ ـ الأُدرَة: نفخة في الخُصية. النّهاية ١: ٣١ (أدر).

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٧٢، مرفوعة.

٥ ـ الكافي ٨: ١٠٧، الحديث: ٨١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ٨؛ القمي ٢: ١٩٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ في «ألف»: «أقول: ما قيل في تفسير هذه الآية في مقام التّعميم انّ المراد بالأمانة التّكليف، وبعرضها عليهنّ النّظر إلى استعدادهنّ، وبإبائهنّ الإباء الطّبيعي الّذي هو عدم اللّياقة والاستعداد، وبحمل الانسان قابليّته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشّهويّة، وهو وصف للجنس باعتبار الأغلب، وكلّ ما ورد في تفسيرها في مقام التّخصيص يرجع إلى هذا؛ مثل ما ورد ان...».

٨ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٦، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٦؛ معاني الأخبار: ١١٠، ذيل الحديث: ٣، عن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام.

٩ ـ في «ألف»: «الإمارة والإمامة ويحتمل إرادة القرب من اللّه».

١٠ ـ معاني الأخبار: ١١٠، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وفي أخرى: «هي الولاية أبين أن يحملنها كفراً ، وحملها الإنسان ، والإنسان أبو فلان»[١] .

والقمّي: الأمانة هي الإمامة والأمر والنّهي . قال: والدّليل على أنّ الأمانة هي الإمامة قوله عزّوجلّ للأئمة: "إنّ اللّه يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها" يعني الإمامة ، فالأمانة هي الإمامة عرضت على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يدعوها أو يغصبوها أهلها "وأشفقن منها وحملها الإنسان" ؛ يعني الأوّل ؛ "إنّه كان ظلوماً جهولا"[٢] .

أقول:[٣] تخصيص الأمانة في هذه الأخبار بالولاية والإمامة[٤] ، والإنسان بالأوّل ، لاينافي عمومها لكلّ تكليف بعبوديّة للّه وأمانة وشمول الإنسان كلّ مكلّف . فقد ورد: «إنّ عليّاًعليه السلام إذا حضر وقت الصّلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن ، فيقال له: مالَكَ يا أمير المؤمنين؟! فيقول: جاء وقت الصّلاة ، وقت أمانة عرضها اللّه على السّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها»[٥] .

وفي وصاياه‌عليه السلام : «ثمّ أداء الأمانة ، فقد خاب من ليس من أهلها ، إنّها عُرِضَت على السّماوات المبنيّة ، والأرض المدحوّة ، والجبال ذات الطّول المنصوبة ، فلا أطولَ ولا أعرضَ ولا أعلى ولا أعظمَ منها ، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أوقوّة أو عزّ لامتنعنَ ، ولكن أشفَقنَ من العقوبة ، وعَقَلنَ ما جَهِلَ من هو أضعف منهنّ ، وهو الإنسان ؛ "إنّه كان ظلوماً جهولا"»[٦] . وظاهر هذه الوصيّة التّعميم .

و ورد: «في الرّجل يبعث إلى الرّجل يقول له: ابتع لي ثوباً ، فيطلب له في السّوق

١ـ بصائر الدّرجات: ٧٦ ، باب آخر في ولاية أمير المؤمنين‌عليه السلام ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفرعليه السلام .

٢ـ القمّي ٢: ١٩٨ . والآية في سورة النساء(٤): ٥٨ .

٣ـ في «ألف» زيادة: «الدليل على أنّ» .

٤ـ في «ألف» زيادة: «اللتين مرجعهما واحد» .

٥ـ عوالي اللئالي ١: ٣٢٤ ، الحديث: ٦٢ .

٦ـ نهج البلاغة: ٣١٧ ، الخطبة: ١٩٩ . وفي الكافي ٥: ٣٧ ، ذيل الحديث: ١ ، ما يقرب منه .

فيكون عنده ما يجد له في السّوق فيعطيه من عنده. قال: لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه، إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: "إنّا عرضنا الأمانة" الآية»[١].

فتأويل هذه الآية في مقام التّعميم أن يقال: المراد بالأمانة: التّكليف بالعبوديّة للّه لكلّ عبد بحسب وسعه، وأعظمها الخلافة الإلهيّة لأهلها، ثمّ تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها، وعدم ادّعاء منزلتها لنفسه، ثمّ ساير التّكاليف؛ والمراد بعرضها على السّماوات والأرض والجبال: النّظر إلى استعدادهنّ لذلك، وبإبائهنّ: الإباء الذّاتيّ الّذي هو عبارة عن عدم اللّياقة لها، وبحمل الإنسان إيّاها: تحمّله لها من غير استحقاق لها واقتدار بها، وبكونه ظلوماً جهولاً: ما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشّهويّة، وهو وصف للجنس باعتبار الأغلب، فكلّ ما ورد في مقام التّخصيص يرجع إلى هذا، كما يظهر عند التّدبّر.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾. تعليل للحمل من حيث أنّه نتيجته؛ وذكر التّوبة في الوعد إشعار بأنّ كونهم "ظلوماً جهولاً" في جبلّتهم لا يخليهم من فرطات.

١ـ التّهذيب ٦: ٣٥٢، الحديث: ٩٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة سبأ

[مكيّة ، وهي أربع وخمسون آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ ﴾ كلّه نعمة من اللّه ، فله الحمد في الدّنيا ﴿ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ ﴾ لأنّ نعمها أيضاً من اللّه كلّها ﴿ وَهُوَ الحَكِيمُ ﴾: الّذي أحكم أمر الدّارين ﴿ الخَبِيرُ ﴾ ببواطن الأشياء .

﴿ يَعْلَمُ ما يَلِجُ ﴾: يدخل ﴿ فِي الأَرْضِ ﴾ من مطر أو كنز أو ميّت ﴿ وَما يَخْرُجُ مِنْها ﴾ من ماء أو فلزّ ، أو نباتٍ أو حيوانٍ ﴿ وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ﴾ من مطر أو مَلَكٍ أو رزق ﴿ وَما يَعْرُجُ فِيها ﴾ من عمل أو مَلَك ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ ﴾ للمقصّرين في شكر نعمه .

﴿ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينا السّاعَةُ ﴾ . إنكار لمجيئها ، أو استبطاء استهزاء بالوعد به . ﴿ قُلْ بَلىٰ وَرَبِّي ﴾ . ردّ لكلامهم وإثبات لما نفوه . ﴿ لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الغَيْبِ ﴾ . تكرير لإيجابه ، مؤكّداً بالقسم ، مقرّراً له بوصف المقسم به بصفات تقرّر إمكانه ، وتنفي استبعاده .

﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰواتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ ﴾ . رَفْعُهُما بالابتداء ، والجملة تأكيد لنفي العُزوب .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾. علّة لإتيانها وبيان لما يقتضيه ﴿أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تعب فيه ولا مَنّ عليه.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا﴾ بالإبطال وتزهيد النّاس فيها ﴿مُعاجِزِينَ﴾: مسابقين كي يفوتونا. وعلى قراءة. «معجزين»[١]. أي: مثبّطين عن الإيمان من أراده. ﴿أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾: من سيّء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ وَيَهْدِي إِلى صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾. القمّي: هو أمير المؤمنين عليه السلام صدّق رسول الله بما أنزل الله عليه[٢].

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ﴾ يعنون النّبيّ صلى الله عليه وآله ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يُحدّثكم بأعجب الأعاجيب ﴿إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: تفرّق أجسادكم كلّ تفريق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: تنشؤون خلقاً جديداً.

﴿أَفْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون، يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه. ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي العَذابِ وَالضَّلالِ البَعِيدِ﴾ ردٌّ من الله عليهم ترديدَهم.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾: ما أحاط بجوانبهم ﴿مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾ ممّا يدلّ على كمال قدرة الله، وأنّهم في سلطانه تجري عليهم قدرته ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ﴾: النّظر والفكر فيهما وما يدلّان عليه ﴿لَآيَةً﴾: لَدلالة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: راجعٍ إلى ربّه، فإنّه يكون كثيرَ التّأمّل في أمره.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُودَ مِنّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾: رجّعي معه التّسبيحَ ﴿وَالطَّيْرَ﴾ رجّعي أيضاً، أو أنت والطّير ﴿وَأَلَنّا لَهُ الحَدِيدَ﴾: جعلنا في يده كالشّمعِ، يصرفه كيف يشاء من غير إحماءٍ وطَرْقٍ؛ وقد سبق نحوه في سورة الأنبياء[٣].

١ ـ التبيان ٧: ٣٢٩؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٧٩؛ البيضاوي ٤: ١٧٠.

٢ ـ القمّي ٢: ١٩٨، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ ذيل الآية: ٧٩.

القمّي: كان داودعليه السلام إذا مرّ بالبراري يقرأ الزّبور، تسبّح الجبال والطّير معه والوحوش، وألان اللّه له الحديد مثل الشّمع، حتّى كان يتّخذ منه ما أحبّ[١].

﴿أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ﴾: دروعاً واسعات ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: في نسجها بحيث يتناسب حَلَقُها، أو في مساميرها في الرّقّة والغلظ. قال: «الحلقة بعد الحلقة»[٢]. والقمّي: المسامير الّتي في الحلقة[٣] ﴿وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ﴾: وسخّرنا له الرّيح ﴿غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾ القمّي: كانت الرّيح تحمل كرسيّ سليمان، فتسير به في الغداة مسيرة شهر وبالعشيّ مسيرة شهر[٤]. ﴿وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ القمّي: الصّفر[٥]. وقيل: أسال له النّحاس المذاب من معدنه، فنبع منه نبوع الماء من الينبوع، ولذلك سمّاه عيناً، وكان ذلك باليمن[٦]. ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا﴾: ومن يعدل منهم عمّا أمرناه من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ﴾ في الدّنيا أو في الآخرة.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ﴾ قصوراً حصينة ومساكن شريفة، سمّيت بها لأنّها يذبّ عنها ويحارب عليها ﴿وَتَماثِيلَ﴾: وصُوَراً. قال: «واللّه ما هي تماثيل الرّجال والنّساء ولكنّها الشّجر وشبهه»[٧]. ﴿وَجِفانٍ﴾: صحاف ﴿كَالْجَوابِ﴾: كالحياض الكبار ﴿وَقُدُورٍ راسِياتٍ﴾: ثابتات على الأثافي[٨] لا تنزل عنها لعظمها. ﴿اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ١٩٩.

٢ ـ قرب الإسناد: ٣٦٤، الحديث: ١٣٠٥، عن أبي الحسن الرّضاعليه السلام.

٣ و ٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ١٩٩.

٦ ـ البيضاوي ٤: ١٧١.

٧ ـ الكافي ٦: ٥٢٧، الحديث: ٧؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٨٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي الكافي ٦: ٤٧٧، الحديث: ٣، عن أبي جعفرعليه السلام.

٨ ـ الأثافي جمع الأُثْفِيَّة، وهي الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها. مجمع البحرين ١: ٧٣ (ثفا).

﴿فَلَمّا قَضَيْنا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾: على سليمان ﴿ما دَلَّهُمْ عَلىٰ مَوْتِهِ إلّا دابَّةُ الأَرْضِ﴾: الأَرَضَة، والأرض فعلها أُضيفت إليه ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: عصاه.

ورد: «إنّه أمر الجنّ فصنعوا له قبّة من قوارير، فبينا هو متّكئ على عصاه في القبّة، ينظر إلى الجنّ كيف يعملون وينظرون إليه، إذ حانت منه التفاته فإذا هو برجل معه في القبّة؛ ففزع منه، فقال: من أنت؟! قال: أنا الّذي لا أقبل الرّشا، ولا أهاب الملوك، أنا ملك الموت، فقبضه وهو متّكي على عصاه في القبّة، والجنّ ينظرون إليه. قال: فمكثوا سنة يَدْأبُونَ[1] له، حتّى بعث اللّهُ الأَرَضَةَ فأكلت مِنْسأتَه، وهي العصا»[2].

﴿فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي العَذابِ المُهِينِ﴾.

قال: «واللّه ما نزلت هذه الآية هكذا، وإنّما نزلت: فلمّا خرّ تبيّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»[3].

القمّي: وذلك أنّ الإنس كانوا يقولون: إنّ الجنّ يعلمون الغيب، فلمّا سقط سليمان على وجهه علموا: أن لو يعلم الجنّ الغيب لم يعملوا سنة لسليمان وهو ميّت ويتوهّمونه حيّاً[4].

﴿لَقَدْ كانَ لِسَبَأٍ﴾: لأولاد سبأ ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن حيث أجرى لهم سليمان خليجاً من البحر العَذْب إلى بلاد الهند. كذا قاله القمّي[5]. ﴿آيَةٌ﴾: علامة دالّة على قدرة اللّه على ما يشاء ﴿جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ﴾. قيل: جماعتان من البساتين، كلّ واحدة منها في تقاربها وتضايقها[6] كأنّه جنّة واحدة، إحداهما عن يمين بلدهم والأُخرى عن

١ ـ دأب في عمله: جدّ وتعِبَ. القاموس المحيط ١: ٦٦ (دأب).

٢ ـ علل الشّرائع ١: ٧٤، الباب: ٦٤، الحديث: ٣؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٦٦، الباب: ٢٦، الحديث: ٢٤؛ علل الشّرائع ١: ٧٤، الباب: ٦٤، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٢٠٠.

٦ ـ في «ب»: «منهما في تقاربهما وتضايقهما».

شمالها[١]. القمّي: عن مسيرة عشرة أيّام، فيها يمرّ المارّ لا تقع عليه الشّمس من التفافها[٢].

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الشّكر. القمّي: عملوا بالمعاصي، وعتوا عن أمر ربّهم[٣]. ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ﴾ القمّي: أي: العظيم الشّديد[٤]. ﴿وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مُرٍّ بَشِعٍ[٥] ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾. معطوفان على «أُكُل» لا «خمط»، فإنّ الأثل هو الطّرفاء ولا ثمر له، ووصف السّدر بالقلّة، لأنّ جناه وهو النّبق ممّا يطيب أكله، وتسمية البدل جنّتين للمشاكلة والتّهكّم.

﴿ذٰلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا﴾: بكفرانهم النّعمة ﴿وَهَلْ نُجازِي﴾ بمثل ذلك ﴿إِلَّا الكَفُورَ﴾.

﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ بالتّوسعة على أهلها. قيل: هي قرى الشّام[٦]. والقمّي: مكّة[٧]. ﴿قُرىً ظاهِرَةً﴾: متواصلة يظهر بعضها لبعض ﴿وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت في أُخرى. ﴿سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَأَيّاماً﴾: متى شئتم من ليل أو نهار ﴿آمِنِينَ﴾.

﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا﴾: أشِروا النّعمة وملّوا العافية. وفي قراءتهم عليهم السلام: «باعَدَ»[٨] بلفظ الخبر؛ فهو شكوى منهم لِبُعدِ سفرهم، إفراطاً في التّرفيه. ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث بطروا النّعمة ﴿فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ﴾ يتحدّث النّاس بهم تعجّباً؛ وضرب

١ ـ البيضاوي ٤: ١٧٢.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٠.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٠١.

٥ ـ البَشِع من الطّعام: الكريه فيه مَرارة. القاموس المحيط ٣: ٥ (بشع).

٦ ـ التّبيان ٨: ٣٨٩؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٨٧؛ البيضاوي ٤: ١٧٣.

٧ ـ القمّي ٢: ٢٠١.

٨ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

مَثَل، فيقولون: تفرّقوا أيدي سبأ، أي: تفرّقوا كتفرّق أيدي سبا. ﴿وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: وفرّقناهم غاية التّفريق، حتّى لحق كلّ قبيلة منهم بِصُقْعٍ. ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾.

قال: «هؤلاء قومٍ كانت لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية وأموال ظاهرة، فكفروا نِعَمَ اللّه عزّوجلّ، وغيّروا ما بأنفسهم من عافية اللّه. فغيّر اللّه ما بهم من نعمة. "وإنّ اللّهَ لا يُغيّرُ ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم"[1] فأرسل اللّه عليهم سيل العَرِم، فغرّق قراهم وخرّب ديارهم، وذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جنّتيهم جنّتين ذواتي أُكل، الآية»[2].

وفي رواية: «بل فينا ضرب اللّه الأمثال في القرآن، فنحن القرى الّتي بارك اللّه فيها، وذلك قول اللّه عزّوجلّ في من أقرّ بفضلنا، حيث أمرهم أن يأتونا "وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة" والقرى الظّاهرة الرّسل، والنّقلة عنّا إلى شيعتنا، قال: والسّير مثل للعلم سير به في اللّيالي والأيّام عنّا إليهم، في الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، آمنين فيها إذا أخذوا من معدنها الّذي أُمروا أن يأخذوا منه، آمنين من الشّكّ والضّلال، والنّقلة من الحرام إلى الحلال»[3]. وفي معناه أخبار أُخر[4].

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: حقّق ظنّه، وهو قوله: "لأُضِلَّنَّهُمْ"[5] "ولأُغْوِيَنَّهُمْ"[6]. وعلى التّخفيف: صدق ظنّه. ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾: تسلّط واستيلاء بوسوسة واستغواء ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ

١ ـ الرّعد (١٣): ١١.

٢ ـ الكافي ٢: ٢٧٤، الحديث: ٢٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ الاحتجاج ٢: ٦٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف يسير.

٤ ـ الكافي ٨: ٣١١، الحديث: ٤٨٥؛ كمال الدّين ٢: ٤٨٣، الباب: ٤٥، الحديث: ٢؛ الاحتجاج ٢: ٤٢.

٥ ـ النساء (٤): ١١٩.

٦ ـ الحجر (١٥): ٣٩.

﴿يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنها فِي شَكٍّ﴾: ليتميّز المؤمن من الشّاكّ، أُريد بحصول العلم حصولُ متعلّقه.

قال: «تأويل هذه الآية لمّا قُبض رسول اللّهﷺ، والظّنّ من إبليس حين قالوا لرسول اللّه: إنّه ينطق عن الهوى، فظنّ بهم إبليس ظنّاً، فصدّقوا ظنّه»[1].

﴿وَرَبُّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ فيما يهمّكم ﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰواتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾: في أمرهما ﴿وَما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾: من شركة ﴿وَما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يعينه على تدبير أمرها.

﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ﴾: ولا تنفعهم شفاعةٌ أيضاً، كما يزعمون ﴿إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أن يشفع.

قال: «لا يشفع أحدٌ من أنبياء اللّه ورسله يوم القيامة حتّى يأذن اللّه له، إلّا رسول اللّهﷺ، فإنّ اللّه قد أَذِنَ له في الشّفاعة من قبل يوم القيامة، والشّفاعة له وللأئمّة، ثمّ بعد ذلك للأنبياءعليهم السلام»[2].

﴿حَتّىٰ إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني يتربّصون[3] فزعين، حتّى إذا كشف الفزع عن قلوبهم ﴿قالُوا﴾: قال بعضهم لبعض ﴿ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾.

قال: «وذلك أنّ أهل السماوات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى بن مريم إلى أن بعث محمّداًﷺ، فلمّا بعث اللّهُ جبرئيلَ إلى محمّدﷺ سمع أهل السّماوات صوتَ وحي القرآن كَوَقْعِ الحديد على الصّفا، فصَعِقَ أهل السماوات، فلمّا فرغ من الوحي انحدر جبرئيلعليه السلام كلما مرّ بأهل سماء فزّع عن قلوبهم، يقول كشف عن قلوبهم. فقال بعضهم

١ ـ الكافي ٨: ٣٤٥، ذيل الحديث: ٥٤٢، عن أبي جعفرعليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٠١، عن أبي عبد اللّهعليه السلام.

٣ ـ في «ألف»: «متربّصين».

لبعض: "ماذا قال ربّكم" الآية»[١].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقرير لقوله: "لا يملكون" ﴿قُلِ اللّٰهُ﴾ إذ لا جواب سواه؛ وفيه إشعار بأنّهم إن سكتوا أو تلعثموا[٢] في الجواب مخافة الإلزام، فهم مُقِرّون به بقلوبهم ﴿وَإِنّٰا أَوْ إِيّٰاكُمْ لَعَلىٰ هُدىً أَوْ فِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ﴾ أي: وإنّ أحدَ الفريقين من الموحّدين والمشركين لَعَلىٰ أحد الأمرين؛ وهو أبلغ من التّصريح، لأنّه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب. واختلاف الحرفين لأنّ الهادي كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويتطلّع عليها، أو ركب جواداً يَرْكُضُه حيث يشاء، والضّالّ كأنّه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى، أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصّى منها.

﴿قُلْ لاٰ تُسْأَلُونَ عَمّٰا أَجْرَمْنٰا وَلاٰ نُسْأَلُ عَمّٰا تَعْمَلُونَ﴾ هذا أدخل في الانصاف وأبلغ في الإخبات، حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنٰا رَبُّنٰا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنٰا بِالْحَقِّ﴾ يحكمُ ويفصِلُ بأن يدخلَ المحقّين الجنّة والمبطلين النّار ﴿وَهُوَ الْفَتّٰاحُ﴾: الحاكم الفاصل ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما ينبغي أن يقضى به.

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكٰاءَ﴾: لأرى بأيّ صفة ألحقتموهم باللّه في استحقاق العبادة؟! وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجّة عليهم؛ زيادة في تبكيتهم. ﴿كَلاّٰ﴾ ردعٌ عن المشاركة بعد إبطال المقايسة ﴿بَلْ هُوَ اللّٰهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحقون متّسمة بالذّلّة، متأبّية عن قبول العلم والقدرة رأساً.

﴿وَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ كَافَّةً لِلنّٰاسِ﴾: إلّا إرسالة عامّة لهم ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلُهم على مخالفتك.

١ ـ القمي: ٢: ٢٠٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ تلعثم الرّجل في الأمر: إذا تمكّث فيه وتأنّى. مجمع البحرين ٢: ١٦٢ (لعثم).

قال: «أرسله إلى النّاس كافّة ، إلى الأبيض والأسواد والجنّ والإنس»[١] .

ورد: «إنّ اللّه تعالى أمر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله ، فكانت بين يديه مثل راحته في كفّه ، ينظر إلى أهل الشّرق والغرب ويخاطب كلّ قوم بألسنتهم ، ويدعوهم إلى اللّه عزّوجلّ وإلى نبوّته بنفسه ، فما بقيت قرية ولا مدينة إلّا ودعاهم النّبيّ بنفسه»[٢] .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ﴾ الموعود بقوله: "يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا" . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولا بما تقدّمه من الكتب الدّالّة على البعث ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في موضع المحاسبة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ يتحاورون ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: للرّؤساء ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ وإضلالكم ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ حيث أعرضتم عن الهدى وآثرتم التّقليدَ عليه .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إضراب عن إضرابهم ، أي: لم يكن إجرامنا الصّادّ ، بل مكركم لنا ليلاً ونهاراً ، حتّى أغرتُم علينا رأينا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: وأضمر الفريقان النّدامة على الضّلالة والإضلال ، وأخفاها كلّ عن صاحبه مخافة التّعيير . سئل: وما يغنيهم إسرارهم النّدامةَ ، وهم في العذاب؟ قال: «يكرهون شماتة الأعداء»[٣] .

١ ـ الكافي ٢: ١٧ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ القمي ٢: ٢٠٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ المصدر .

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في أعناقهم. جاء بالظّاهر تنويهاً بذمّهم، وإشعاراً بموجب إغلالهم. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ ممّا مُني به من قومه. وتخصيص المتنعّمين بالتّكذيب، لأنّ الدّاعي المعظم إلى التّكبّر والمفاخرة بزخارف الدّنيا الانهماك في الشّهوات، والاستهانة بمن لم يحظ منها، ولذلك ضمّوا المفاخرة والتّهكّم إلى التّكذيب.

﴿وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويضيق على من يشاء، وليس ذلك لكرامة وهوان ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفىٰ﴾: قربة ﴿إِلّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله، وتعليم ولده الخيرَ والصّلاحَ ﴿فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ﴾.

ورد: «الغنيّ إذا كان وصولاً برحمه بارّاً بإخوانه، أضعف الله له الأجرَ ضِعْفَين، لأنّ الله يقول: "وما أموالكم" الآية»[1].

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا﴾ بالرّدّ والطّعن ﴿مُعاجِزِينَ أُولٰئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ هذا في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في شخصين فلا تكرير. ﴿وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ عوضاً، إمّا عاجلاً أو آجلاً. ورد: «من صدّق بالخلف جاد بالعطيّة»[2]. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾ فإنّ غيره وسط في إيصال رزقه لا حقيقة لرازقيّته.

١ ـ علل الشّرائع ٢: ٦٠٤، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٧٣؛ القمّي ٢: ٢٠٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٤: ٢، الحديث: ٤، عن رسول الله ﷺ.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهٰؤُلاءِ إِيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ . إنّما خصّهم لأنّهم أشرف شركائهم والصّالحون للخطاب منهم ، وهو تقريع للمشركين ، وتبكيت وإقناط لهم عمّا يتوقّعون من شفاعتهم .

﴿ قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ لا موالاة بيننا وبينهم ﴿ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ ﴾ أي: الشّياطين ، حيث أطاعوهم في عبادة غير اللّه ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلا ضَرّاً ﴾ إذ الأمر فيه كلّه للّه ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هٰذا ﴾ يعنون النّبيّ صلى الله عليه وآله ﴿ إِلّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَقالُوا ما هٰذا ﴾ يعنون القرآن ﴿ إِلّا إِفْكٌ ﴾: كذب ﴿ مُفْتَرىً ﴾ على اللّه ﴿ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ إِنْ هٰذا إِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

﴿ وَما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها ﴾: تدعوهم إلى ما هم عليه[1] ﴿ وَما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ ينذرهم على تركه ، فمن أين وقع لهم هذه الشّبهة؟! .

﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ رسلهم ، كما كذّبوا ﴿ وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ ﴾ قيل: وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أُولئك من القوّة وطول العمر وكثرة المال ؛ أو ما بلغ أُولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البيّنات والهدى[2] .

أقول: كأنّه أُريد ـ على التّقديرين ـ أنّ أُولئك كانوا أحرى بتكذيب رسلهم من هؤلاء ، وعليه يحمل ما رواه القمّي مرفوعاً: «وما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمّداً وآل محمّد»[3] . أو يُحمل على أنّ المراد: أنّ فضائل محمّد وآل محمّد أحرى بالحسد والتّكذيب ، وإيتاء محمّد وآل محمّد إيتاء لهم ؛ فلا ينافي الحديث ظاهر القرآن .

١ ـ في «ألف»: «تدعوهم اليه» .
٢ ـ البيضاوي ٤: ١٧٤ .
٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٤ .

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ لا تكرير فيه، لأنّ الأوّل مطلق والثاني مقيّد. ﴿فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري لهم بالتّدمير؛ فليحذر هؤلاء من مِثْله.

﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ﴾ أُرشِدُكم وأنصَحُ لكم بخصلة واحدة ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ معرضين عن المراء والتّقليد ﴿مَثْنىٰ وَفُرادىٰ﴾: متفرّقين، اثنين اثنين وواحداً واحداً. فإنّ الازدحام يُشوّشُ الخاطِرَ ويخلِطُ القولَ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمري وما جِئْتُ به، لتعلموا حقّيّته[1] ﴿ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: قدّامه.

﴿قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾. قال: «معناه أنّ أجر ما دعوتُكُم إليه من إجابتي وذخره هو لكم دوني»[2]. وفي رواية يقول: «أجر المودّة الّذي لم أسألكم غيره فهو لكم؛ تهتدون به، وتنجون من عذاب يوم القيامة»[3]. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿قُلْ جاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلام ﴿وَما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَما يُعِيدُ﴾: وزهق الباطل، أي: الشّرك، بحيث لم يبق له أثر.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحقّ ﴿فَإِنَّما أَضِلُّ عَلىٰ نَفْسِي﴾: فإنّ وبال ضلالي عليها.

﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا﴾ لرأيتَ فظيعاً ﴿فَلا فَوْتَ﴾: فلا يفوتون اللّه بهَرَبٍ أو حصن.

١ ـ في «ب»: «حقيقته».

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٨: ٣٧٩، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «إذ فزعوا من الصّوت، وذلك الصّوت من السّماء»[١]. ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾. قال: «من تحت أقدامهم خسف بهم»[٢].

وفي رواية: «لكأنّي أنظر إلى القائم وقد أسند ظهره إلى الحجر، إلى أن قال: فإذا جاء إلى البيداء[٣] يخرج إليه جيشُ السُّفياني، فيأمر اللّهُ عزّوجلّ الأرضَ فتأخذ بأقدامهم، وهو قوله تعالى: "ولو ترى إذ فزعوا" الآية»[٤].

﴿وَقالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ قال: «يعني بالقائم من آل محمّد»[٥]. ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾: التّناول، يعني تناولَ الإيمان ﴿مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾: [من جانب بعيد من أمره][٦]، يعني بعد انقضاء زمان التّكليف.

قال: «إنّهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال، وقد كان لهم مبذولاً من حيث ينال»[٧].

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أوان التّكليف ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: ويرجمون بالظّنّ، ويتكلّمون بما لم يَظهَر لهم ﴿مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾: من جانب بعيد من أمره.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: «يعني أن لا يعذّبوا»[٨]. ﴿كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «يعني من كان قبلهم من المكذّبين هلكوا»[٩]. ﴿إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾.

١ـ القمّي ٢: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ المصدر: ٢٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ البَيْداء: إسم لأرض مَلساء بين مكّة والمدينة، وهي إلى مكّة أقرب. تُعدُّ من الشَّرَف أمام ذي الحليفة. وفي قول بعضهم: إنّ قوماً كانوا يغزون البيت فنزلوا بالبيداء فبعث اللّه عزّوجلّ جبرائيل فقال: يا بيداء أبيديهم. وكلّ مفازة لا شيء بها فهي بيداء. معجم البلدان ١: ٥٢٣.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٧ـ القمّي ٢: ٢٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ و ٩ ـ المصدر: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة فاطر

[مكيّة، وهي خمس وأربعون آية][1]

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

﴿أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فاطِرِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾: مُبدِعهما، من الفطر بمعنى الشّقّ، كأنّه شقّ العدم بإخراجهما منه. ﴿جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾: وسائط بين اللّه وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلّغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرّؤيا الصّادقة. ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنىٰ وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ ينزلون بها ويعرجون، ويسرعون بها نحو ما أُمروا به ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

ورد: «إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله رأى جبرئيل ليلة المعراج وله ستّمائة ألف جناح»[2]. و«إنّ دردائيل له ستّة عشر ألف جناح»[3]. إلى غير ذلك من كثرة أجنحة الملائكة، ولعلّه إلى ذلك أُشير بقوله: "يزيد في الخلق ما يشاء" يعني على مقتضى حكمته.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الكشّاف ٣: ٢٩٨؛ البيضاوي ٤: ١٧٨. وفي القمّي ٢: ٢٠٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «وله ستّمائة جناح».

٣ـ كمال الدّين ١: ٢٨٢، الباب: ٢٤، الحديث: ٣٦، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

و ورد: «إنّ القضاء والقدر خلقان من خلق اللّه ، واللّه يزيد في الخلق ما يشاء»[١].

وفي رواية: «هو الوجه الحسن والصّوت الحسن والشّعر الحسن»[٢].

﴿ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كنعمة وأمن وصحّة وعلم ، ونبوّة وولاية . قال: «والمتعة من ذلك»[٣]. ﴿فَلا مُمْسِكَ لَها﴾ يحبسها ﴿وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد إمساكه ﴿وَهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب على ما يشاء ، ليس لأحد أن ينازعه فيه ﴿الحَكِيمُ﴾: لا يفعل إلّا بعلم وإتقان .

﴿يا أَيُّها النّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: احفظوها بمعرفة حقّها ، والاعتراف بها وطاعة منعمها ﴿هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ فَأَنّى تُؤْفَكُونَ﴾: فمن أيّ وجه تصرفون عن التّوحيد إلى الإشراك به؟! .

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فاصبر كما صبروا ، حتّى يرجع الأمر إليه .

﴿يا أَيُّها النّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالحشر والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنْيا﴾ فيُذهلكم التّمتّع بها عن طلب الآخرة والسّعي لها ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾: الشّيطان بأن يمنّيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية .

﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ عداوة عامّة قديمة ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ في عقائدكم وأفعالكم ، وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ .

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾ كمن لم يزيّن له بل وفّق حتّى عرف الحقّ ؛ فحذف الجواب لدلالة ما بعده عليه . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا

١ ـ التّوحيد: ٣٦٤ ، الباب: ٦٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٠ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

تَذهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ ﴾: فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم وإصرارهم على التكذيب ﴿ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ ﴾ .

﴿ وَاللّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ أي: مثل إحياء الموات ، إحياء الأموات .

ورد: «إذا أراد اللّه أن يبعث الخلق أمطر السّماء على الأرض أربعين صباحاً ، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم»[١] .

﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ أي: فليطلبها من عنده ، فإنّ كلّها له . ورد: «إنّ ربّكم يقول كلّ يوم: أنا العزيز ، فمن أراد عزّ الدّارين فليطع العزيز»[٢] .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ . قال: «الكلم الطّيّب: قول المؤمن: لا إله إلّا اللّه ، محمّد رسول اللّه ، عليّ وليّ اللّه وخليفة رسول اللّه ، والعمل الصّالح: الاعتقاد بالقلب: أنّ هذا هو الحقّ من عند اللّه ، لا شكّ فيه ، من ربّ العالمين»[٣] .

وفي رواية: «إنّ لكلّ قول مصداقاً من عَمَل يصدّقه أو يكذّبه ، فإذا قال ابن آدم وصدّق قولَه بعمله ، رفع قوله بعمله إلى اللّه ، وإذا قال وخالف بعمله قولَه ، ردّ قوله على عمله الخبيث وهوى به في النّار»[٤] .

وفي أُخرى: «يعني إذا كان عَمَلُه خالصاً ارتفع قوله وكلامُه»[٥] .

﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ ﴾: المكرات السّيّئات ﴿ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾: يفسد ولا ينفذ ، وفي العاقبة يحيق بهم .

١ ـ الأمالي (للصّدوق): ١٤٩ ، المجلس: ٣٣ ، الحديث: ٥ ؛ القمّي ٢: ٢٥٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٢ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه: «عمله صالحاً» .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً﴾: ذكراناً وإناثاً ﴿وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ﴾.

قيل: معناه لا يطول عمر ولا ينقص إلّا في كتاب، وهو أن يكتب في اللّوح: لو أطاع اللّه فلانٌ بقي إلى وقت كذا، وإذا عصى نقص من عمره الّذي وُقِّتَ له، واليه أشار رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله في قوله: «إنّ الصّدقة وصلة الرّحم تعمُرانِ الدّيارَ وتزيدان في الأعمار»[1].

﴿إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾. قال: «هو المرّ»[2]. قيل: مثل للمؤمن والكافر[3]. ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ منه ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَها﴾: اللآلي واليواقيت ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ﴾ تشقّ الماء بجريها ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: من فضل اللّه بالنّقلة فيها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾. هو الجِلدةُ الرّقيقة الّتي على ظهر النّواة.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر أو متعسّر.

﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾: ولا تحمل نفس آثمة إثمَ نفس أخرى، وأمّا قوله:

١ ـ جوامع الجامع: ٣٨٧؛ الكشّاف ٣: ٣٠٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٨٠.

"وليَحمِلنّ أثقالَهم وأثقالاً معَ أثقالِهم"[١] ففي الضّالّين المضلّين؛ فإنّهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكلّ ذلك أوزارهم، ليس فيها شيء من أوزار غيرهم. ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفس أثقلتها الأوزار ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: تحمل بعض أوزارها ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾: لم تجب بحمل شيء منه. نفى أن يحمل عنها ذنبها، كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المدعوّ ذا قرابتها. أضمر المدعوّ لدلالة "إن تدع" عليه.

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ إذ غيرهم لا ينتفعون به ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ﴾: تطهّر من دنسِ المعاصي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازيه على تزكيته.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾: ولا الباطل ولا الحقّ.

﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾: ولا الثّواب ولا العقاب. و«لا» لتأكيد نفي الاستواء، وتكريرها على الشّقّين لمزيد التّأكيد. والحرور: السّموم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: العلماء والجهلاء؛ أو تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأوّل، ولذلك كرّر الفعل. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾: المُصِرّين على الكفر.

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: فما عليك إلّا الإنذار. وأمّا الإسماع فلا إليك، ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾: أهل عصر ﴿إِلَّا خَلَا﴾: مضى.

﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ من نبيّ أو وصيّ نبيّ. القمّي: لكلّ زمان إمام[٢].

١ ـ العنكبوت (٢٩): ١٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٠٩.

و ورد: «لم يمت محمّد صلى الله عليه وآله إلّا وله بعيث نذير . فإن قيل: لا ، فقد ضيّع رسول الله صلى الله عليه وآله مَنْ في أصلاب الرّجال من أُمّته . قيل: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى! إن وجدوا له مفسّراً . قيل: وما فسّره رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: بلى! قد فسّره لرجل واحد ، وفسّر للأُمّة شأن ذلك الرّجل ؛ وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[١] .

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ﴾: بالمعجزات الشّاهدة على نبوّتهم ﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالكِتابِ المُنِيرِ﴾ كصحف إبراهيم والتّوارة والإنجيل .

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري بالعقوبة .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ﴾ أي: ذو جدد أي خِطَط وطرائق ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها﴾ بالشّدّة والضّعف .

﴿وَغَرابِيبُ سُودٌ﴾: ومنها غرابيب متّحدة اللّون ؛ والغربيب تأكيد للأسود ، وحقّه أن يتبع المؤكّد ، قدّم لمزيد التّأكيد ، لما فيه من التّأكيد باعتبار الإضمار والإظهار .

﴿وَمِنَ النّاسِ وَالدَّوابِّ وَالأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذٰلِكَ﴾: كاختلاف الثّمار والجبال .

﴿إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ﴾ إذ شرط الخشية معرفة المخشيّ والعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ، ولذلك قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي أخشاكم لله وأتقاكم»[٢] .

قال: «يعني بالعلماء مَنْ صدّق قولَه فِعْلُه ، ومن لم يصدّق قولَه فِعْلُه فليس بعالم»[٣] .

﴿إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ . تعليل لوجوب الخشية ، لدلالته على أنّه مُعاقِبٌ للمُصِرّ على طغيانه ، غفور للتّائب عن عصيانه .

١ ـ الكافي ١: ٢٥٠ ، ذيل الحديث: ٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ ـ البيضاوي ٤: ١٨٢ .
٣ ـ الكافي ١: ٣٦ ، الحديث: ٢ ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ﴾: لن تكسُدَ ولن تهلك بالخسران. والتّجارة تحصيل الثّواب بالطّاعة.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما يقابل أعمالهم. قال: «هو الشّفاعة لمن وجبت له النّار ممّن صنع إليه معروفاً في الدّنيا»[١]. ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعاتهم.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ﴾ يعني القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السّماويّة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

قال: «هي في ولد عليّ وفاطمة»[٢].

وفي رواية: «أراد اللّه بذلك العترة الطّاهرة، ولو أراد الأُمّة لكانت بأجمعها في الجنّة، لقوله: "جنّاتُ عدنٍ يدخُلونها"»[٣].

وقال: «ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا النّاس إلى ضلال. فقيل: أيّ شيء الظّالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لا يعرف حقّ الإمام، والمقتصد: العارف بحقّ الإمام، والسّابق بالخيرات: الإمام»[٤].

وفي معناه أخبار كثيرة[٥]، وفي بعضها: «أمّا الظّالم لنفسه منّا فمن عَمِلَ عملاً صالحاً

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٧، عن النّبيّ ﷺ.

٢ ـ بصائر الدّرجات: ٤٥، الباب: ٢١، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٢٩، الباب: ٢٣، الحديث: ١.

٤ ـ الكافي ١: ٢١٥، ذيل الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ راجع: المصدر: ٢١٤، الحديث: ١، و٢١٥، الحديث: ٣؛ الاحتجاج ٢: ١٣٩؛ بصائر الدّرجات: ٤٤، الباب: ٢١، الحديث: ٢.

وآخر سيّئاً ، وأمّا المقتصد فهو المتعبّد المجتهد ، وأمّا السّابق بالخيرات فعليّ والحسن والحسين عليهم السلام ومن قُتِلَ من آل محمّد شهيداً»[١] .

وفي رواية: «الظّالم يحوم[٢] حول نفسه ، والمقتصد يحوم حول قلبه ، والسّابق يحوم حول ربّه»[٣] .

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ .

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ للمطيعين .

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: دار الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كَلالٌ ، إذ لا تكليف فيها ولا كَدّ . قال: «يعني المقتصد والسّابق»[٤] .

وفي رواية: «أمّا السّابق فيدخل الجنّة بغير حساب ، وأمّا المقتصد فيحاسَبُ حساباً يسيراً ، وأمّا الظّالم لنفسه فيحبس في المقام ثمّ يدخل الجنّة فهم الّذين "قالوا الحمدُ للّه الذي أذهب عنّا الحزن"»[٥] .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: لا يحكم عليهم بموت ثان ﴿فَيَمُوتُوا﴾ ويستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ بل كلّما خبت زيدوا سعيراً ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ ـ حام حولَ الشيء ، أي: دار . الصّحاح ٥: ١٩٠٨ (حوم) .
٣ ـ معاني الأخبار: ١٠٤ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه «يحوم حوم» بدل: «يحوم حول» في المواضع الثلاث .
٤ ـ معاني الأخبار: ١٠٥ ، ذيل الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٨ ، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله .

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها﴾: يستغيثون بالصّراخ[1] ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يتناول كلّ عمر يمكن فيه من التّذكّر.

و ورد: «هو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة»[2].

وفي رواية: «من عمّره الله ستّين سنة فقد أعذر اليه»[3]. ﴿فَذُوقُوا فَما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

﴿إِنَّ اللّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾: ألقى[4] إليكم مقاليد التّصرف فيها، أو جعلكم خلفاً بعد خلف. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلّا مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلّا خَساراً﴾. كرّره للدّلالة على أنّ اقتضاء الكفر لكلّ واحد من الأمرين مستقلّ باقتضاء قبحه ووجوب التّجنّب عنه. والمراد بالمقت مقت الله، وبالخسار خسار الآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً﴾ ينطق على أنّا اتّخذنا شركاء ﴿فَهُمْ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلّا غُرُوراً﴾ بأنّهم شفعاؤهم عند الله.

﴿إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد الله، أو من بعد الزّوال.

١ ـ الصَّرخَة: الصّيحة الشديدة. القاموس المحيط ١: ٢٧٣ (صرخ).

٢ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١١٨، الحديث: ٥٦١؛ الخصال ٢: ٥٠٩، الحديث: ٢؛ الأمالي: ٤٠، المجلس: ١٠، ذيل الحديث: ١٠؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤١٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ في «ألف» و«ب»: «القمّي». والصحيح ما أثبتناه كما في «ج»، حيث لم ترد هذه الكلمات في القمّي، والظّاهر أنّها تصحيف من النّسّاخ.

قال: «بنا يُمسك اللّه السّماوات والأرض أن تزولا»[1].

وقال: «لولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»[2]. ﴿إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمانِـهِمْ لَـئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾.

قيل: وذلك أنّ قريشاً لمّا بلغهم أنّ أهل الكتاب كذّبوا رسلهم، قالوا: لعن اللّه اليهود والنّصارى، لو أتانا رسول لنكوننّ أهدى من إحدى الأُمم[3]. ﴿فَلَمّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمّداً صلى الله عليه وآله ﴿ما زادَهُمْ إِلّا نُـفُوراً﴾: تباعداً عن الحقّ.

﴿اِسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّـيِّئِ وَلا يَحِيقُ﴾: ولا يحيط ﴿اَلْمَكْرُ السَّـيِّئُ إِلّا بِأَهْلِهِ﴾ قيل: وقد حاق بهم يوم بدر[4]. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلّا سُنَّـتَ الْأَوَّلِـينَ﴾ بتعذيب مكذّبيهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً﴾ بجعل التّعذيب غيره ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّـةِ اللّٰهِ تَحْوِيلاً﴾ بنقله إلى غيرهم.

﴿أَوَ لَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في مسايرهم في أسفارهم، أو في القرآن ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِـبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: فينظروا في آثارهم، أو في أخبارهم ﴿وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُـوَّةً وَما كانَ اللّٰهُ لِـيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: لِيَسبِقَه ويفوته ﴿فِي السَّـماواتِ وَلا فِـي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِـيماً قَدِيراً﴾.

﴿وَلَوْ يُـؤاخِذُ اللّٰهُ النّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلىٰ ظَهْرِها﴾: ظهرِ الأرض ﴿مِنْ دابَّةٍ﴾ تدبّ عليها بشؤم[5] معاصيهم ﴿وَلٰـكِنْ يُـؤَخِّـرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ كانَ بِعِـبادِهِ بَصِـيراً﴾.

١ـ كمال الدّين ١: ٢٠٢، الباب: ٢١، قطعة من حديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٢ـ المصدر: ٢٠٧، الباب: ٢١، ذيل الحديث: ٢٢، عن السّجاد عليه السلام.

٣ و ٤ـ البيضاوي ٤: ١٨٤.

٥ـ في «ب»: «من شؤم».

سورة يس

[مكيّة، وهي ثلاث وثمانون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿يس﴾ قد مضى نظائره. قال: «هو اسم من أسماء النّبي صلى الله عليه وآله، ومعناه: يا أيّها السّامع الوحي»[2].

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ الواو للقسم.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: «على الطّريق الواضح»[3].

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ قال: «القرآن»[4].

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً﴾ قال: «لتنذر القوم الّذين أنت فيهم»[5]. ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ قال: «عن الله، وعن رسوله، وعن وعيده»[6].

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ قال: «ممّن لا يقرّون بولاية أمير المؤمنين والأئمّة

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٢١١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ و ٦ ـ الكافي ١: ٤٣٢، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

من بعده»[١]. ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: «بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده، فلمّا لم يقرّوا كانت عقوبتهم ما ذكر اللّه»[٢].

﴿إِنّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ القمّي: قد رفعوا رؤوسهم[٣].

﴿وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

قال: «يقول: فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى. أخذ اللّه سمعهم وأبصارهم وقلوبهم، فأعماهم عن الهدى»[٤].

وقال: «هذا في الدّنيا، وفي الآخرة في نار جهنّم مقمحون»[٥].

قيل: تقرير لتصميمهم على الكفر والطّبع على قلوبهم، بحيث لا تغني الآيات والنّذر؛ بتمثيلهم بالّذين غلّت أعناقهم، والأغلال واصلة إلى أذقانهم، فلا تخلّيهم يطأطئون فهم مقمحون رافعون رؤوسهم، غاضّون أبصارهم في أنّهم لا يلتفتون لفت الحقّ ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رؤوسهم له، وبمن أحاط بهم سدّان فغطّى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدّامهم ووراءهم، في أنّهم محبوسون في مطمورة[٦] الجهالة، ممنوعون عن النّظر في الآيات والدّلائل[٧].

﴿وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمنَ بِالغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿إِنّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتى﴾: الأموات بالبعث، والجهّال بالهداية ﴿وَنَكْتُبُ ما

١ و ٢ ـ الكافي ١: ٤٣٢، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٢١٢.
٤ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ الكافي ١: ٤٣٢، ذيل الحديث: ٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ المطمورة: حفيرة تحت الأرض يوسّع أسافلها. تاج العروس ١٢: ٤٣٣.
٧ ـ البيضاوي ٤: ١٨٥.

قَدَّمُوا﴾: ما أسلفوا من الأعمال الصّالحة والطّالحة ﴿وَآثارَهُمْ﴾ كعلم علّموه، وخطوة مشوا بها إلى المساجد، وكإشاعة باطل، وتأسيس ظلم. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾ القمّي: أي: في كتاب مبين[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أنا والله الإمام المبين؛ أُبيّن الحقّ من الباطل، ورثته من رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «ما من علم إلّا عَلّمَنيه ربّي وأنا علّمتُه عليّاً، وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم عَلِمتُ فقد أحصيتُه في إمام المتّقين، وما من علم إلّا علّمتُه عليّاً»[3].

وقال: «لمّا نزلت هذه الآية قام أبو بكر وعمر من مجلسهما وقالا: يا رسول الله هو التّوراة؟ قال: لا. قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا. قالا: فهو القرآن؟ قال لا. قال: فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنّه الإمام الّذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء»[4].

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قيل: أرسلهم الله، أو أرسلهم عيسى بأمر الله[5].

﴿إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

«هي قرية أنطاكيّة[6]، أُرسل اليهم رسولان، فغلظوا عليهما وحبسوهما في بيت

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢١٢.

٣ ـ الاحتجاج ١: ٧٤، مع تفاوت.

٤ ـ معاني الأخبار: ٩٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٠؛ زاد المسير (لابن الجوزي) ٦: ٢٦٦.

٦ ـ أنطاكيّة: وهي من أعيان البلاد وأُمّهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. وقال ابن بُطلان: وخرجنا من حلب طالبين أنطاكيّة وبينهما يوم وليلة، فوجدنا المسافة التي بين حلب وانطاكيّة عامرة لا خراب فيها أصلاً. ولم تزل أنطاكيّة قصبة العواصم من الثغور الشاميّة. وأوّل من بنى أنطاكية «انطيخس» وهو الملك الثالث بعد الإسكندر. وقيل: أوّل من بناها وسكنها «أنطاكيّة» بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام، أُخت أنطاليّة باللّام. معجم البلدان ١: ٢٦٦.

الأصنام ، فبعث اللّه الثّالث . فقال لهم: أحببت أن أعبد إله الملك ، فأمر الملك أن ادخلوه إلى بيت الآلهة . فمكث سنة مع صاحبيه ، فقال لهما: بهذا ينقل قوم من دين إلى دين ، بالخرق؟! أفلا رفقتما ، ثمّ قال لهما: لا تقرّان بمعرفتي ، وقال للملك: رأيت رجلين في بيت الآلهة ، فما حالهما؟ قال: هذان رجلان أتياني ببطلان ديني ، ويدعواني إلى إله سماويّ ، فقال: أيّها الملك فمناظرة جميلة ، فإن يكن الحقّ لهما تبعناهما ، وإن يكن الحقّ لنا دخلا معنا في ديننا . فلمّا دخلا إليه قال لهما صاحبهما: ما الّذي جئتما به؟ قالا: جئنا ندعوه إلى عبادة اللّه ، الّذي خلق السّموات والأرض ، ويخلق في الأرحام ما يشاء ، ويصوّر كيف يشاء ، وأنبت الأشجار والثّمار ، وأنزل القطر من السّماء . فقال لهما: هذا الّذي تدعوان إليه وإلى عبادته إن جئنا بأعمى يقدر أن يردّه صحيحاً؟ قالا: إن سألناه أن يفعل ، فعل إن شاء . قال: أيّها الملك عليّ بأعمى لم يبصر شيئاً قطّ ، فأُتي به ، فقال لهما: أدعوا إلهكما أن يردّ بصر هذا . فقاما وصلّيا ركعتين ، فإذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر إلى السّماء ، ففعل صاحبهما مثل فعلهما بأعمى آخر . فأتيا بِمُقعَد فدعوا اللّه فأطلقت رجلاه ، ففعل صاحبهما مثله بمقعد آخر . فقال: أيّها الملك! قد أتيا بحجّتين وآتينا بمثلهما ، ولكن إن أحيا إلههما ابنك الّذي مات دخلت معهما في دينهما ، فقال له الملك: وأنا أيضاً معك ، فخرّا ساجدين للّه وأطالا السّجود ، ثمّ رفعا رؤوسهما وقالا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء اللّه . فخرج النّاس ينظرون ، فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التّراب . فقال له: يا بنيّ ما حالك؟ قال: كنت ميّتاً ، فرأيت رجلين ساجدين يسألان اللّه أن يحييني . قال: فتعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم . فكان يمرّ عليه رجل بعد رجل ، فمرّ أحدهما بعد جمع كثير فقال هذا أحدهما ، ثمّ مرّ الآخر فعرفهما وأشار بيده إليهما . فآمن الملك وأهل مملكته» .

كذا ورد[1] .

١ ـ القمّي ٢: ٢١٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

وفي رواية: «إنّ الثّالث كان شمعون الصّفا رأس الحواريّين ، وإنّه كان يدعو معهما سرّاً ، فقام الميّت وقال: وأنا أُحذّركم ما أنتم فيه ، فآمنوا باللّه ، فتعجّب الملك ، فلمّا علم شمعون أنّ قوله أثّر في الملك دعاه إلى اللّه ، فآمن وآمن من أهل مملكته قوم وكفر آخرون»[١] .

﴿قالُوا ما أَنْتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِثْلُنا﴾ لا مزيّة لكم تقتضي اختصاصكم بماتدعون ﴿وَما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ﴾: من وحي ورسالة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلّا تَكْذِبُونَ﴾ .

﴿قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ . ﴿وَما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ .

﴿قالُوا إِنّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ﴾: تشأّمنا . قيل: ذلك لاستغرابهم ما ادّعوه وتنفّرهم بهم[٢] . والقمّي: تطيّرنا بأسمائكم[٣] . ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عن مقالتكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ .

﴿قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾: سبب شؤمكم معكم ، وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم: ﴿أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾: أئن وعظتم به تطيّرتم وتوعّدتم ، فحذف الجواب . ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ .

﴿وَجاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ . القمّي: نزلت في حبيب النّجّار ، إلى قوله: "مِنَ الْمُكْرَمِينَ"[٤] .

ورد: «الصّدّيقون ثلاثة: حبيب النّجّار ، مؤمن آل يس الّذي يقول "إتّبعوا المُرسلين" ؛ وحزقيل ، مؤمن آل فرعون ؛ وعليّ بن أبي طالب ، وهو أفضلهم»[٥] .

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً﴾ على النّصح وتبليغ الرّسالة ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى خير الدّارين .

﴿وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . تلطّف في الإرشاد ، بإيراده في

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٠ ، في رواية عن وهب بن منبة .

٢ ـ البيضاوي ٤: ١٨٦ .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٢١٤ .

٥ ـ الأمالي (للصّدوق): ٣٨٥ ، المجلس: ٧٢ ، الحديث: ٦ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النّصح ، حيث أراد لهم ما أراد لنفسه ، والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ، ولذلك قال: "وإليه ترجعون" مبالغة في التّهديد ، ثمّ عاد إلى المساق الأوّل .

﴿ أأتّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ ﴾ .

﴿ إنّي إذاً لَفي ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ .

﴿ إنّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ الّذي خلقكم ؛ أو هو خطاب للرّسل ، بعد ما أراد القوم أن يقتلوه ﴿ فَاسْمَعُونِ ﴾: فاسمعوا إيماني .

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ ﴾ . قيل له ذلك لمّا قتلوه ، بشرى بأنّه من أهل الجنّة ، أو إكراماً وإذناً في دخولها . ﴿ قالَ يا لَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ بِما غَفَرَ لي رَبّي وَجَعَلَني مِنَ المُكْرَمينَ ﴾ . روي: «إنّه نصح قومه حيّاً وميّتاً»[1] .

﴿ وَما أنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ ﴾ لإهلاكهم ، كما أرسلنا يوم بدر والخندق ، بل كفينا أمرهم بصيحة ﴿ وَما كُنّا مُنْزِلينَ ﴾ . «ما» نافية أو موصولة معطوفة على جند ، أي: وممّا كنّا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح ونحوهما .

﴿ إنْ كانَتْ إلّا صَيْحَةً واحِدَةً ﴾ صاح بها جبرئيل ﴿ فَإذا هُمْ خامِدُونَ ﴾: ميّتون ، شبّهوا بالنّار رمزاً ؛ إلى أنّ الحيّ كالنّار السّاطع والميّت كرمادها .

﴿ يا حَسْرَةً عَلَى العِبادِ ﴾ تعالى فهذا أوانك ، وفي قراءتهم عليهم السلام : «يا حسرة العباد»[2] .

﴿ ما يَأتيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

﴿ ألَمْ يَرَوْا كَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ أنَّهُمْ إلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ .

﴿ وَإنْ كُلٌّ لَمّا جَميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ ﴾ إن شدّد «لمّا» فهو بمعنى إلّا ، وإن خفّف فـ

١ ـ جوامع الجامع: ٣٩٢ .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٠ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .

«إن» مخفّفة ، و«ما» مزيدة للتأكيد .

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ فإنّه معظم ما يؤكل ويعاش به .

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ .

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: ثمر ما ذكر ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ممّا يتّخذ منه ، كالعصير والدّبس ونحوهما ، وقيل: «ما» نافية[1] . ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ .

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: الأنواع والأصناف ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من النّبات والشّجر ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الأنثى والذّكر ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: وأزواجاً ممّا لا يطّلعهم الله عليه .

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ نزيله ونكشف عن مكانه ؛ مستعار من سلخ الشّاة ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظّلام .

قال: «يعني قبض محمّد ﷺ ، وظهرت الظّلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته»[2] .

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: لحدّ معيّن ينتهي إليه دورها ، وفي قراءتهم عليهم السلام: «لا مستقرّ لها»[3] ، أي: لا سكون لها فإنّها متحرّكة دائماً . ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾: قدّرنا مسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً ، ينزل كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ كالشّمراخ[4] المعوّج العتيق .

١ ـ الكشّاف ٣: ٣٢٢ ؛ البيضاوي ٤: ١٨٨ .

٢ ـ الكافي ٨: ٣٨٠ ، قطعة من حديث: ٥٧٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٣ ، عن السّجاد والباقر والصّادق عليهم السلام .

٤ ـ الشِّمراخ والشُّمروخ: العِثْكال ، وهو ما يكون فيه الرّطب ، وكلّ غصن من أغصانه شِمراخ . مجمع البحرين ٢: ٤٣٦ ؛ النّهاية ٢: ٥٠٠ (شمرخ) .

﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها﴾: يصحّ لها ويتسهّل ﴿أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يسيرون فيه بانبساط.

قال: «يقول: الشّمس سلطان النّهار، والقمر سلطان اللّيل، لا ينبغي للشّمس أن تكون مع ضوء القمر باللّيل، ولا يسبق اللّيل النّهار: يقول: لا يذهب اللّيل حتّى يدركه النّهار، "وكلّ في فلك يسبحون": يقول: يجيء وراء الفلك الاستدارة»[1].

وفي رواية: «إنّ النّهار خلق قبل اللّيل وقوله تعالى: "ولا اللّيل سابق النّهار" أي: قد سبقه النّهار»[2].

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾: المملوء، أي: سفينة نوح، كما في قوله: "ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ"[3].

سئل في حديث: فما التّسعون؟ قال: «الفلك المشحون، اتّخذ نوح عليه السلام فيه تسعين بيتاً للبهائم»[4].

قيل: حمل اللّه ذرّيّتهم فيها، حمله آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم ذرّيّاتهم، وتخصيص الذّرّيّة لأنّه أبلغ في الامتنان وأدخل في التّعجيب مع الإيجاز[5]. والقمّي: السّفن المملثة[6]. وعمّم الفلك؛ فالمراد بالذّرّيّة أولادهم الّذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونسائهم.

﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾: من مثل الفلك ﴿ما يَرْكَبُونَ﴾ من السّفن والزّوارق، على المعنى الأوّل؛ ومن الأنعام والدّوابّ، ولا سيّما الإبل، فإنّها سفائن البرّ، على المعنى الأخير.

١ـ القمّي ٢: ٢١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ـ الإسراء (١٧): ٣.

٤ـ الخصال ٢: ٥٩٨، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ البيضاوي ٤: ١٨٨.

٦ـ القمّي ٢: ٢١٥.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتاعاً إِلىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ قال: «من الذّنوب»[1]. ﴿وَما خَلْفَكُمْ﴾ قال: «من العقوبة»[2]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جواب إذا محذوف دلّ عليه ما بعده، كأنّه قيل: أعرضوا.

﴿وَما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللّٰهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. إمّا تهكّم بهم من إقرارهم باللّه وتعليقهم الأُمور بمشيئة اللّه، وإمّا إيهام بأنّ اللّه لمّا كان قادراً أن يطعمهم فلم يطعمهم فنحن أحقّ بذلك، وهذا من فرط جهالتهم، فإنّ اللّه يُطعِمُ بأسباب منها حثّ الأغنياء على إطعام الفقراء، وتوفيقهم له.

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ يعنون وعد البعث.

﴿ما يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النّفخة الأُولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يختصمون في متاجرهم ومعاملاتهم.

﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ القمّي: ذلك في آخر الزّمان، يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلّهم في مكانهم، لا يرجع أحد إلى منزله ولا يوصي بوصيّة[3].

و ورد: «الرّجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان فما يطويانه حتّى تقوم السّاعة. والرّجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتّى تقوم. والرّجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما

١ و ٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٢١٥.

يسقيها حتّى تقوم»[١].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: مرّة ثانية، كما يأتي في سورة الزّمر[٢]. ﴿فَإِذا هُمْ مِنَ الأَجْداثِ﴾: من القبور ﴿إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون.

﴿قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾. وفي قراءتهم عليهم السلام: «مِنْ بَعْثِنا»[٣] على مِن الجارّة والمصدر. ﴿هٰذا ما وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

قال: «فإنّ القوم كانوا في القبور، فلمّا قاموا حسبوا أنّهم كانوا نياماً. "قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا" قالت الملائكة: "هذا ما وعد الرّحمن" الآية»[٤].

﴿إِنْ كانَتْ إِلّا صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النّفخة الأخيرة ﴿فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ﴾ بمجرّد الصّيحة. وفي ذلك تهوين أمر البعث والحشر، واستغناؤهما عن الأسباب الّتي ينوط بها فيما يشاهدونه.

قال: «كان أبوذر رضي الله عنه يقول في خطبة: ما بين الموت والبعث إلّا كنومة نمتها ثمّ استيقظت منها»[٥].

﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾: متلذّذون. قال: «شغلوا بافتضاض العَذارى. قال: وحواجبهنّ كالأهلّة، وأشفار أعينهنّ كقوادم النّسور»[٦].

﴿هُمْ وَأَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرائِكِ مُتَّكِؤُونَ﴾. قال: «الأرائك: السُّرُر عليها

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٧.

٢ـ الزّمر (٣٩): ٦٨.

٣ـ جوامع الجامع: ٣٩٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ٢١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الكافي ٢: ١٣٤، الحديث: ١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

الحجال»[١] . و ورد: «إذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً»[٢] .

﴿لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ﴾: يتمنّون ، من قولهم: ادّع عليّ ما شئت ، أي: تمنّه . كذا قيل[٣] .

﴿سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ يقال لهم قولاً كائناً من جهته ، يعني: إنّ اللّه يسلّم عليهم . القمّي: السّلام منه هو الأمان[٤] .

﴿وَامْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّها الْمُجْرِمُونَ﴾ وانفردوا عن المؤمنين ، وذلك حين يسار بالمؤمنين إلى الجنّة ، كقوله: "ويومَ تقومُ السّاعةُ يومئذٍ يتفرّقون"[٥] .

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾ جعلها عبادة الشّيطان ، لأنّه الآمر بها المزيّن لها ، وقد ثبت أنّ من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عَبَدَه . و ورد: «من أطاع رجلاً في معصية فقد عَبَدَه»[٦] . ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ .

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً﴾: خلقاً كثيراً ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ . ﴿اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ .

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ﴾: نمنعها عن الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

قال: «وليست تشهد الجوارح على مؤمن ، إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة

١ _ القمّي ٢: ٢١٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ _ المصدر: ٢٤٧ ؛ الكافي ٨: ٩٧ ، قطعة من حديث: ٦٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله .

٣ _ البيضاوي ٤: ١٩٠ .

٤ _ القمّي ٢: ٢١٦ .

٥ _ الرّوم (٣٠): ١٤ .

٦ _ الكافي ٢: ٣٩٨ ، الحديث: ٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

العذاب، فأمّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه»[١].

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ لمسحنا أعينهم حتّى تصير ممسوحة ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ﴾: إلى الطّريق الّذي اعتادوا سلوكه ﴿فَأَنّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ الطّريق وجهة السّلوك فضلاً عن غيره.

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم ﴿عَلىٰ مَكانَتِهِمْ﴾: مكانهم، بحيث يخمدون فيه. القمّي: في الدّنيا[٢]. ﴿فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيّاً﴾: ذهاباً ﴿وَلا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾: نطل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: نقلّبه فيه؛ فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بُنْيَتِهِ وقُواه، عكس ما كان عليه بدو أمره ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ أنّ من قَدَرَ على ذلك قدَرَ على الطّمس والمسخ، فإنّه مشتمل عليهما وزيادة، غير أنّه على تدرّج.

﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ﴾ بتعليم القرآن، يعني ليس ما أنزلنا عليه من صناعة الشّعر في شيء، أي: ممّا يتوخّاه الشّعراء من التّخييلات المرغّبة والمنفّرة ونحوهما، ممّا لا حقيقة له ولا أصل؛ وإنّما هو تمويه محض، موزوناً كان أو غير موزون. ﴿وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾ يعني هذه الصّناعة. القمّي: كانت قريش تقول: إنّ هذا الّذي يقوله محمّد شعر، فردّ اللّه عزّوجلّ عليهم[٣]. ﴿إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾: كتاب سماويّ يُتلى في المعابد.

﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّاً﴾ قال: «أي: عاقلاً»[٤]. والقمّي: أي: مؤمناً حيّ القلب[٥].

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾: وتجب كلمة العذاب ﴿عَلَى الْكافِرِينَ﴾ المصرّين على الكفر.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِينا﴾ قيل: يعني ممّا تولّينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا، وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص،

١ - الكافي ٢: ٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ و ٣ - القمّي ٢: ٢١٧.

٤ - مجمع البيان ٧ - ٨: ٤٣٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ - القمّي ٢: ٢١٧.

والتفرّد الإحداث[1]. والقمّي: أي: بقوّتنا خلقناها[2]. ﴿أَنْعاماً﴾ خصّها بالذّكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع. ﴿فَهُمْ لَها مالِكُونَ﴾: يتصرّفون فيها.

﴿وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم ﴿وَمِنْها يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَهُمْ فِيها مَنافِعُ﴾ ممّا يكسبون بها، ومن الجلود والأصواف والأوبار ﴿وَمَشارِبُ﴾ من ألبانها ﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾: رجاء أن ينصروهم.

﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ قال: «يقول: لا يستطيع الآلهة لهم نصراً»[3] ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾: «للآلهة»[4]. ﴿جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ قيل: أي: معدّون لحفظهم والذّبّ عنهم، أو محضرون أثرهم في النّار[5].

﴿فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ القمّي: أي: ناطق عالم بليغ[6].

﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً﴾: أمراً عجيباً، وهو نفي القدرة على إحياء الموتى ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: خلقنا إيّاه ﴿قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ منكراً إيّاه، مستبعداً له. والرّميم: ما بَلِيَ من العظام.

قال: «جاء أُبيّ بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه[7]، ثمّ قال[8]: يا محمّد إذا كنّا

١ـ البيضاوي ٤: ١٩١.
٢ـ القمّي ٢: ٢١٧.
٣ و ٤ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٤: ١٩١.
٦ـ القمّي ٢: ٢١٨.
٧ـ فَتَّ الشيء يفتّه فتّاً: دقّه وكسره بأصابعه. لسان العرب ١٠: ١٦٩ (فتت).
٨ـ في «ألف» والمصدر: «فقال».

عِظاماً ورفاتاً أئنّا لمبعوثون خلقاً»[١]؟! فنزلت»[٢].

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات، وكيفيّة خلقها، وأجزاءها المتفتّة، المتبدّدة أُصولها وفروعها، ومواقعها وطريق تمييزها، وضمّ بعضها إلى بعض.

قال: «إنّ الرّوح مقيمة في مكانها، روح المحسن[٣] في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما يقذفه به السّباع والهوامّ من أجوافها ممّا أكلته ومزّقته، كلّ ذلك في التّراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإنّ تراب الرّوحانيّين بمنزلة الذّهب في التّراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النّشور، فتربو الأرض فتمخض مخض السّقاء[٤]، فيصير تراب البشر كمصير الذّهب من التّراب إذا غسل بالماء، والزّبد من اللّبن إذا مخض، فيجتمع تراب كلّ قالب إلى قالبه، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الرّوح، فتعود الصّور بإذن المصوّر كهيئتها، وتلج الرّوح فيها؛ فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً»[٥].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ القمّي: وهو المَرْخ[٦] والعَفار[٧]؛ يكون في ناحية من بلاد العرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشّجر، ثمّ أخذوا عوداً فحرّكوه فيه فيستوقدون منه النّار[٨]. قيل: يسحقون المرخ على

١ ـ الإسراء (١٧): ٤٩ و ٩٨.
٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٦، الحديث: ٨٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ في «ب»: «روح المؤمن».
٤ ـ السّقاء: جلد السّخلة إذا جذع يكون للماء واللبن، والجمع: أسقية وأساقي. مجمع البحرين ١: ٢٢١ (سقا).
٥ ـ الاحتجاج ٢: ٩٨، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٦ ـ المرخ: شجر كثير الوري سريعه. لسان العرب ١٣: ٦٨ (مرخ).
٧ ـ العفار: شجر يتّخذ منه الزّناد. لسان العرب ٩: ٢٨٧ (عفر).
٨ ـ القمّي ٢: ٢١٨.

العفار ـ وهما خضراوان ـ يقطر منهما الماء؛ فتنقدح النّار[١].

﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضَ﴾ مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الصّغر والحقارة ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ﴾: كثير المخلوقات والمعلومات. «وهذه كلّها جدال بالّتي هي أحسن، أمر الله تعالى نبيّه أن يجادل بـه مـن جحد البعث بعد الموت». كذا ورد[٢].

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾: إنّما شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾: تكون ﴿فَيَكُونُ﴾. وهـو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور، مـن غـير امـتناع وتوقّف وافتقار إلى مزاولة[٣] عمل واستعمال آلة، قطعاً لمادّة الشّبهة.

قال: «كن منه صنع، وما يكون به المصنوع»[٤].

وقال: «إنّما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه. قال: يقول ولا يلفِظُ، ويُريد ولا يُضمِر»[٥].

وقال: «يريد بلا همّة»[٦].

والقمّي: خزائنه في الكاف والنّون[٧].

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. تنزيه له عمّا ضربوا له، وتـعجيب عمّا قالوا فيه، و"ملكوت كلّ شيء": ما يقوم به ذلك الشّيء من عالم الأرواح والملائكة.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وعد ووعيد للمقرّين والمنكرين.

١ـ البيضاوي ٤: ١٩٢.

٢ـ الاحتجاج ١: ١٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ـ زاوَلَهُ مُزاوَلَة: طالَبَه. القاموس المحيط ٣: ٤٠٢ (زول).

٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٧٣، الباب: ١٢، قطعة من حديث: ١.

٥ـ نهج البلاغة: ٢٧٤، الخطبة: ١٨٦.

٦ـ المصدر: ٢٥٨، الخطبة: ١٧٩، وفيه: «مريدٌ بلا همّة».

٧ـ القمّي ٢: ٢١٨.

سورة الصّافّات

[مكيّة ، وهي مائة واثنتان وثمانون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾ . ﴿فَالزّاجراتِ زَجْراً﴾ .

﴿فَالتّالِياتِ ذِكْراً﴾ .

القمّي : الملائكة والأنبياء عليهم السلام ، ومن صفّ لله وعبده ، والّذين يزجرون النّاس ، والّذين يقرؤون الكتاب من النّاس[2] .

﴿إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَواحِدٌ﴾ جواب القسم .

﴿رَبُّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ المَشارِقِ﴾: مشارق الكواكب ، أو مشارق الشّمس ، فإنّ لها كلّ يوم مشرقاً ، وبحسبها المغارب ، ولذلك اكتفى بذكرها ، مع أنّ الشّروق أدلّ على القدرة وأبلغ في النّعمة .

﴿إِنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا﴾: القربى ﴿بِزِينَةٍ اَلْكَواكِبِ﴾ .

﴿وَحِفْظاً﴾ برمي الشّهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ﴾: خبيث .

﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلأ الأَعْلىٰ﴾: الملائكة وأشرافهم ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: ويرمون ﴿مِنْ كُلِّ جانِبٍ﴾ من جوانب السّماء إذا قصدوا صعوده .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ١١٨ .

﴿دُحُوراً﴾: للدّحور وهو الطّرد ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ﴾ قال: «أي: دائم موجع قد وصل إلى قلوبهم»[١].

﴿إِلّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ﴾: اختلس كلام الملائكة مسارقة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾: مضيء كأنّه يثقب الجوّ بضوئه. والشّهاب ما يرى كأنّه كوكب انقضّ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: فاستخبرهم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا﴾ من الملائكة والسّماوات والأرض وما بينهما، والمشارق والكواكب والشّهب الثّواقب. ﴿إِنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾: يلزق باليد.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من قدرة الله وإنكارهم البعث ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من تعجّبك.

﴿وَإِذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾. ﴿وَإِذا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾. ﴿وَقالُوا إِنْ هذا إِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. ﴿أَإِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. ﴿أَوَ آباؤُنا الأَوَّلُونَ﴾.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ داخِرُونَ﴾: صاغرون.

﴿فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ﴾ فإنّما البعثة صيحة واحدة؛ هي النّفخة الثّانية ﴿فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾: فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون، أو ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَقالُوا يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ﴾: يوم الحساب والمجازاة.

﴿هذا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: يوم القضاء والفرق بين المحسن والمسيء؛ وهو قول بعضهم لبعض، أو قول الملائكة لهم.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ﴾: وأشباههم ﴿وَما كانُوا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من الأصنام وغيرها، زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الجَحِيمِ﴾ قال: «يقول: ادعوهم إلى طريق الجحيم»[٢].

﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبسوهم في الموقف ﴿إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ قيل: عن عقائدهم وأعمالهم[٣]. وقال: «عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[٤].

١ـ القمّي ٢: ٢٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٢٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٤١؛ البيضاوي ٥: ٤.

وورد في تفسيرها: «لا يجاوز قدما عبدٍ حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين جَمَعَه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[٥].

﴿ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضاً بالتّخليص، وهو توبيخ وتقريع.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون لعجزهم، أو متسالمون يسلم بعضهم بعضاً ويخذله. القمّي: يعني للعذاب[٦].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ للتّوبيخ.

﴿قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ﴾ يعني عن أقوى الوجوه وأيمنه.

﴿قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ﴾.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنّا لَذائِقُونَ﴾ القمّي: العذاب[٧].

﴿فَأَغْوَيْناكُمْ إِنّا كُنّا غاوِينَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: فإنّ الأتباع والمتبوعين ﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كانوا في الغواية مشتركين.

﴿إِنّا كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: بالمشركين.

﴿إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾. ﴿وَيَقُولُونَ أَإِنّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾. ﴿بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ﴾. ﴿وَما تُجْزَوْنَ إِلّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿إِلّا عِبادَ اللّهِ

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣١٣، الباب: ٢٨، الحديث: ٨٦؛ وج ٢: ٥٩، الباب: ٣١، الحديث: ٢٢٢؛ الأمالي (للشيخ الطّوسي) ١: ٢٩٦؛ ومن العامّة: شواهد التّنزيل ٢: ١٠٦ ـ ١٠٧، الأحاديث: ٧٨٥ إلى ٧٩٠، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٢١٨، الباب: ١٥٩، الحديث: ٢، عن حسن بن عليّ، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

٦ و ٥ ـ القمّي ٢: ٢٢٢.

العَـذابِ الألِـيمِ﴾. ﴿وَما تُجزَوْنَ إلّا ما كُنتُمْ تَعمَلُونَ﴾. ﴿إلّا عِبادَ اللّهِ المُخلَصِينَ﴾.

﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعلُومٌ﴾ قال: «يعلمه الخدّام، فيأتون به أولياء اللّه قبل أن يسألوهم إيّاه»[١].

﴿فَواكِهُ وَهُمْ مُكرَمُونَ﴾. قال: «فإنّهم لا يشتهون شيئاً في الجنّة إلّا أُكرموا به»[٢].

﴿فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾.

﴿يُطافُ عَلَيهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾: من شراب جار ظاهر للعيون، أو خارج من العيون؛ وصف به خمر الجنّة لأنّها تجري كالماء.

﴿بَيضاءَ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ﴾. وصفها بلذّة للمبالغة، أو أنّها تأنيث لَذّ بمعنى لذيذ.

﴿لا فِيها غَوْلٌ﴾: غائلة وفساد، كما في خمر الدّنيا، كالخمار ﴿وَلا هُمْ عَنْها يُنزَفُونَ﴾ قيل: أي يسكرون؛ مِن نُزِفَ: إذا ذهب عقله[٣]. والقمّي: أي لا يطردون منها[٤].

﴿وَعِندَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ ﴿عِينٌ﴾ قيل: أي واسعات العيون الحِسانها، جمع عيناء[٥]. وقيل: هي الشّديدة بياض العين، الشّديدة سوادها[٦].

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكنُونٌ﴾: شبّههنّ ببيض النّعام الّذي تكنّه بريشها، مصوناً من الغبار ونحوه، في الصّفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، فإنّه أحسن ألوان الأبدان. كذا قيل[٧].

١ و ٢ ـ الكافي ٨: ١٠٠، ذيل الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٥: ٦.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٢٢.
٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤٣؛ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ٣٦.
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤٣.
٧ ـ البيضاوي ٥: ٦.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ عن المعارف والفضائل، وما جرى لهم وعليهم في الدّنيا، فإنّه ألذّ اللّذّات.

﴿قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ﴾: جليس في الدّنيا.

﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾: يوبّخني على التّصديق بالبعث.

﴿أَإِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنّا لَمَدِينُونَ﴾: لمجزيّون؛ من الدّين، بمعنى الجزاء.

﴿قالَ﴾ أي: ذلك القائل لجلسائه ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ إلى أهل النّار لأريكم ذلك القرين، فتعلموا أين منزلتكم من منزلته.

﴿فَاطَّلَعَ﴾ عليهم ﴿فَرَآهُ﴾ أي: قرينه ﴿فِي سَواءِ الْجَحِيمِ﴾ قال: «يقول: في وسط الجحيم»[1].

﴿قالَ تَاللّٰهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾: إنّه كدت لتهلكني بالإغواء.

﴿وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ بالهداية والعصمة ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: معك فيها.

﴿أَفَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾. عطف على محذوف، أي: نحن مخلّدون منعّمون، فما نحن بمن شأنه الموت.

﴿إِلّا مَوْتَتَنَا الْأُولىٰ﴾ الّتي كانت في الدّنيا ﴿وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿لِمِثْلِ هٰذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ﴾. قال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار، جيء الموت، فيذبح كالكبش بين الجنّة والنّار، ثمّ يقال: خلود فلا موت أبداً، فيقول أهل الجنّة: "أفما نحن بميّتين"، الآيات»[2].

﴿أَذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾: شجرة ثمرها نزل أهل النّار. فيه دلالة على أنّ ما ذكر من النّعيم لأهل الجنّة بمنزلة ما يقام للنّازل، ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الأفهام، وكذلك الزّقوم لأهل النّار.

﴿إنّا جعلناها فتنة للظّالمين﴾: محنة وعذاباً لهم في الآخرة أو ابتلاء في الدّنيا، فإنّهم لمّا سمعوا أنّها في النّار قالوا: كيف ذلك، والنّار تحرق الشّجر؟!

﴿إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾.

﴿طلعها﴾: حملها ﴿كأنّه رؤوس الشّياطين﴾ في تناهي القبح والهول، نظيره في التّشبيه بالمتخيّل تشبيه الفائق في الحسن بالمَلَك.

﴿فإنّهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾ لغلبة الجوع.

﴿ثمّ إنّ لهم عليها﴾ أي: بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش ﴿لشوباً من حميم﴾: لشراباً من غسّاق، أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم.

﴿ثمّ إنّ مرجعهم لإلى الجحيم﴾ فإنّ الزّقوم والحميم نُزُلٌ يقدم إليهم قبل دخولها.

﴿إنّهم ألفوا آباءهم ضالّين﴾.

﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾. تعليل لاستحقاقهم تلك الشّدائد، بتقليد الآباء في الضّلال. والإهراع: الإسراع الشّديد. كأنّهم يزعجون على الإسراع على أثرهم؛ وفيه إشعار بأنّهم بادروا إلى ذلك من غير توقّف على بحث ونظر.

﴿ولقد ضلّ قبلهم﴾: قبل قومك ﴿أكثر الأوّلين﴾.

﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾.

﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾.

﴿إلّا عباد الله المخلصين﴾ الّذين تنبّهوا بإنذارهم، فأخلصوا دينهم للّه، أو أخلصهم الله لدينه.

﴿ولقد نادانا نوح﴾: دعانا حين أيس من قومه ﴿فلنعم المجيبون﴾ أي: فأجبناه أحسن الإجابة، فوالله لنعم المجيبون نحن.

﴿ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم﴾: من أذى قومه والغرق.

﴿وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ﴾ إذ هلك من هلك.

﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾. قال: «ظهرت الجبريّة من ولد حام ويافث، فاستخفى ولد سام بما عندهم من العلم، وجرت على سام بعد نوح الدّولة لحام ويافث، وهو قول اللّه عزّوجلّ "وتركنا عليه في الآخرين" يقول: تركت على نوح دولة الجبّارين، ويعزّي اللّه محمّداً صلّى الله عليه وآله بذلك»[1].

وقيل: بل معناه: وأبقينا عليه ذكراً جميلاً، فحذف[2]. وقيل: وتركنا عليه هذه الكلمة، أي: التّسليم الّذي بعده[3]. وكذا الكلام فيما يأتي[4] من نظائره.

﴿سَلامٌ عَلىٰ نُوحٍ فِي العالَمِينَ﴾ أي: سلام من اللّه عليه، تحيّة ثابتة في الملائكة والثّقلين؛ مجازاة له على إحسانه.

﴿إنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾.

﴿إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنا الآخَرِينَ﴾.

﴿وَإنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾: ممّن شايعه في الإيمان وأصول الشّريعة ﴿لَإبْراهِيمَ﴾.

﴿إذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. من حبّ الدّنيا.

﴿إذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ماذا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿أَإفْكاً آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ﴾: أتريدون آلهة دون اللّه إفكاً؟! فقدّم للعناية.

﴿فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العالَمِينَ﴾: بمن هو حقيق بالعبادة، حتّى أشركتم به غيره وأمنتم من عذابه.

١ ـ كمال الدّين ١: ١٣٥، الباب: ٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ التّبيان ٨: ٥٠٦؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤٧؛ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ٤٣.

٣ ـ التّبيان ٨: ٥٠٦؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤٧.

٤ ـ الآيات: ١٠٨ و١١٩ و١٢٩ من نفس السّورة.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فرأى مواقعها واتّصالاتها .

﴿فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أراهم أنّه استدلّ بها على أنّه مشارف للسّقم ، لئلّا يخرجوه إلى مُعيّدهم[1] ؛ لأنّهم كانوا منجّمين ، وذلك حين سألوه أن يعيّد معهم . قال: «والله ما كان سقيماً ، وما كذب ، وإنّما عنى سقيماً في دينه مرتاداً»[2] .

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدٍ لهم .

﴿فَراغَ إِلىٰ آلِهَتِهِمْ﴾: فذهب إليها في خفية . ﴿فَقالَ﴾ أي: للأصنام استهزاءً ﴿أَلا تَأْكُلُونَ﴾ يعني الطّعام الّذي كان عندهم .

﴿ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ﴾ بجوابي .

﴿فَراغَ عَلَيْهِمْ﴾: فمال عليهم مستخفياً . والتّعدية بـ«على» للاستعلاء وكراهة الميل .

﴿ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾: يضربهم ضرباً بها .

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾: إلى إبراهيم بعد ما رجعوا ﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون لمّا رأوا أصنامهم مكسّرة ، وظنّوا أنّه كاسرها .

﴿قالَ أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ﴾ من الأصنام .

﴿وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ فإنّ جوهرها بخَلْقه ، ونَحْتها بإقداره .

﴿قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: في النّار الشّديدة ، فإنّه لمّا قهرهم بالحجّة قصدوا تعذيبه بذلك ؛ لئلّا يظهر للعامّة عجزهم .

﴿فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾: الأذلّين ، بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيّراً على علوّ شأنه ، حيث جعل النّار عليه برداً وسلاماً ، وقد مضت قصّته في سورة

---

١ ـ في «ب»: «معبدهم» .

٢ ـ معاني الأخبار: ٢١٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ وفي الكافي ٨: ١٠٠ ، الحديث: ٧٠ ؛ و٣٦٨ ، الحديث: ٥٥٩ ، ما يقرب منه .

الأنبياء[١].

﴿وَقال إِنّي ذاهِبٌ إِلىٰ رَبّي سَيَهْدِينِ﴾ قال: «يعني بيت المقدس»[٢].

قال: «إنّ ذهابه إلى ربّه تَوَجُّهُهُ إليه عبادةً واجتهاداً وقربةً إلى اللّه عزّوجلّ»[٣].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصّالِحِينَ﴾: بعض الصّالحين يعينني على الدّعوة والطّاعة، ويؤنسني في الغُربة، يعني الولد، فإنّ لفظة الهبة غالبة فيه.

﴿فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾. قيل: ما نَعَتَ اللّهُ نبيّاً بالحلم لعزّة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما السلام[٤].

﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: فلمّا وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله ﴿قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرىٰ فِي المَنامِ أَنّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرىٰ﴾ إنّما شاوره فيه وهو حَتْم، ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء اللّه، فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلّم، وليوطّن نفسه عليه فيهون، ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله.

﴿قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ﴾: ما تؤمر به؛ وإنّما ذكر بلفظ المضارع لتكرّر الرّؤيا. و ورد: «إنّه قال: "يا أبت افعل ما تؤمر"، ولم يقل يا أبت افعل ما رأيت»[٥].

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِينَ﴾.

﴿فَلَمّا أَسْلَما﴾: استسلما لأمر اللّه، أو أسلم الذّبيح نفسه وإبراهيم ابنه، وفي قراءتهم عليهم السلام: «سلّما»[٦] من التّسليم ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: صَرَعَه[٧] على شقّه، فوقع جبينه على

١ـ الآية: ٥٧ إلى ٧١.
٢ـ الكافي ٨: ٣٧١، الحديث: ٥٦٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ـ التّوحيد: ٢٦٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٣: ٣٤٧؛ البيضاوي ٥: ٨.
٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٠، الباب: ١٨، الحديث: ١.
٦ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٥١، عن أمير المؤمنين وجعفر بن محمّد عليهما السلام.
٧ـ الصَّرْع: الطّرح على الأرض. القاموس المحيط ٣: ٥١ (صرع).

الأرض ، وهو أحد جانبي الجبهة .

﴿وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ﴾ .

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ بالعزم والإتيان بما كان تحت قدرتك من ذلك . وجواب لمّا محذوف تقديره: كان ما كان ممّا ينطق به الحال ولا يحيط به المقال ، من فرحهما وشكرهما لله على ما أنعم عليهما من رفع البلاء بعد حلوله ، والتوفيق لما لم يوفّق غيرهما لمثله ، وإظهار فضلهما به على العالمين ، مع إحراز الثّواب العظيم ، إلى غير ذلك . ﴿إِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾: الابتلاء البيّن الّذي يتميّز فيه المُخلِص من غيره ، أو المحنة البيّنة الصّعوبة ، فإنّه لا أصعب منها .

﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: عظيم القدْر أو الجثّة سمين . قال: «بكبش أملح ، يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد ويبول ويبعر في سواد ، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنّة أربعين عاماً ، وما خرج من رحم أُنثى ، وإنّما قال الله له كُنْ فكان»[1] .

وفي رواية: «نزل من السّماء على الجبل الّذي عن يمين مسجد منى»[2] .

وسئل عن الذّبيح من كان؟ فقال: «إسماعيل ، لأنّ الله ذكر قصّته في كتابه ، ثمّ قال: "وبشّرناهُ بإسحاقَ نبيّاً من الصّالحين"»[3] .

أقول: ويؤيّده أيضاً: أنّ البشارة بإسحاق في موضع آخر[4] مقرونة بأنّه من ورائه يعقوب ، فلا يناسب الأمر بذبحه مراهقاً .

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٠ ، الباب: ١٨ ، الحديث: ١ ، وفيه: «كن فيكون» .

٢ ـ القمّي ٢: ٢٢٦ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٨ ، الحديث: ٦٥٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ هود (١١): ٧١ .

وفي الحديث النّبويّ: «أنا ابن الذّبيحَيْن يعني إسماعيل وعبد اللّه»[١]. كما ورد في معناه[٢].

وأمّا الوجه فيما ورد: «إنّ الذّبيح إسحاق فهو: أنّه تمنّى أن يكون هو الّذي أُمر أبوه بذبحه وكان يصبر لأمر اللّه ويسلّم له كصبر أخيه وتسليمه، فينال بذلك درجته في الثّواب، فعلم اللّه ذلك من قلبه، فسمّاه بين ملائكته ذبيحاً؛ لتمنّيه ذلك». كذا ورد[٣].

﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾.

﴿سَلامٌ عَلىٰ إِبْراهِيمَ﴾ سبق بيانه[٤].

﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيّاً مِنَ الصّالِحِينَ﴾.

﴿وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلىٰ إِسْحٰقَ﴾: أفضنا عليهم بركات الدّين والدّنيا ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنّا عَلىٰ مُوسىٰ وَهٰرُونَ﴾. ﴿وَنَجَّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾. ﴿وَنَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الغالِبِينَ﴾. ﴿وَآتَيْناهُما الكِتابَ المُسْتَبِينَ﴾. ﴿وَهَدَيْناهُما الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ﴾. ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الآخِرِينَ﴾. ﴿سَلامٌ عَلىٰ مُوسىٰ وَهٰرُونَ﴾. ﴿إِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾. ﴿إِنَّهُما مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَإِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

﴿إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾: أتعبدونه وتطلبون منه الخير، وهو اسم صنم لهم ﴿وَتَذَرُونَ

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٠، الباب: ١٨، الحديث: ١.

٢ ـ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ٥٤؛ الكشاف ٣: ٣٥٠؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٢١.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٨، الحديث: ٦٥٥، عن الصادق عليه السلام.

٤ ـ ذيل الآية: ٧٩ من نفس السّورة.

أَحْسَنَ الخالِقِينَ ﴾: وتتركون عبادته.

﴿ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي: في العذاب.

﴿ إِلَّا عِبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾. ﴿ وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾.

﴿ سَلامٌ عَلىٰ إِلْ ياسِينَ ﴾ قيل: هو لغة في إلياس، كسينا وسينين[١]. وفي قراءتهم عليهم السلام: «آل يس»[٢]. وكذا في قراءة جماعة من العامّة[٣]، لأنّهم وجدوه مفصولاً في مصحف إمامهم.

قال: «يس محمّد، ونحن آل يس»[٤].

وفي رواية: «إنّ الله سمّى النبيّ بهذا الاسم حيث قال: "يس وَالقُرآنِ الحَكيمِ إنَّكَ لَمِنَ المُرسَلينَ" لعلمه أنّهم يسقطون: "سلام على آل محمّد" كما أسقطوا غيره»[٥].

ويؤيّد القراءة الأُولى ما بعد هذه الآية ونظم سائر القصص، وقيل: "يس" اسم أبي إلياس[٦].

﴿ إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ المُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ إِذْ نَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾.

١ ـ البيضاوي ٥: ١١.
٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣٧، الباب: ٢٣، الحديث: ١.
٣ ـ البيضاوي ٥: ١١؛ معالم التّنزيل (للبغوي) ٤: ٤١، عن نافع وابن عامر؛ جامع البيان (للطّبري) ٢٣: ٦١، عن قرّاء المدينة.
٤ ـ معاني الأخبار: ١٢٢، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ الاحتجاج ١: ٢٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ ـ الكشّاف ٣: ٣٥٢؛ البيضاوي ٥: ١١.

﴿إِلَّا عَجُوزاً فِي الغابِرِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ﴾ قد مضى تفسيرها[١] .

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ .

﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾: أفليس فيكم عقل تعتبرون به؟

سئل عن هذه الآية ، فقال: «تمرّون عليهم في القرآن ، إذا قرأتم القرآن يقرأ ما قصّ اللّه عليكم من خبرهم»[٢] .

﴿وإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ .

﴿إِذْ أَبَقَ﴾: هرب ، وأصل الإباق: الهَرَبُ من السّيد ، لكن لمّا كان هَرَبُهُ من قومه بغير إذن ربّه حَسُنَ إطلاقه عليه . ﴿إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾: المملوء .

﴿فَساهَمَ﴾: فقارع أهله ﴿فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ﴾: فصار من المغلوبين بالقرعة .

﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: داخل في الملامة .

ورد: «إنّه لمّا ركب مع القوم فوقفت السّفينة في اللّجّة ، واستهموا فوقع السّهم على يونس ثلاث مرّات ، قال: فمضى يونس إلى صدر السّفينة ، فإذا الحوت فاتح فاه ، فرمى بنفسه»[٣] .

﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾ . ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ .

﴿فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ﴾: بالمكان الخالي عمّا يغطّيه من شجر أو نبت ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ قال: «وقد ذهب جلده ولحمه»[٤] .

﴿وَأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ . قال: «وهي الدّبا ، فأظلّته من الشّمس ،

١ـ في الأعراف (٧): ٨٤ ؛ وهود (١١): ٨٢ ؛ والحجر (١٥): ٧٣ .
٢ـ الكافي ٨: ٢٤٨ ، الحديث: ٣٤٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٥١ ، الحديث: ١٧٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٤ـ القمّي ١: ٣١٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

فسكن، ثمّ أمر اللّه الشّجرة فتنحّت عنه ووقعت الشّمس عليه؛ فجزع. فأوحى اللّه إليه: يا يونس لِمَ لَمْ ترحم مائة ألف أو يزيدون وأنت تجزع من ألم ساعة؟ قال: يا ربّ عفوك عفوك. فردّ اللّه عليه بدنه، ورجع إلى قومه فآمنوا به»[1].

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾. وفي قراءتهم عليهم السلام: «ويزيدون»[2] بالواو. قال: «يزيدون ثلاثين ألفاً»[3].

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجلهم المقضيّ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ القمّي: قالت قريش: إنّ الملائكة هم بنات اللّه! فردّ اللّه عليهم[4].

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾.

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يتديّنون به.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾: حجّة واضحة.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾. القمّي: يعني أنّهم قالوا: الجنّ بنات اللّه[5]. وقيل: يعني الملائكة سمّوا بها لاستتارهم[6]. وقيل: قالوا: إنّ اللّه صاهر الجنّ فخرجت

١ـ القمّي ١: ٣١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ٢٢٧.
٥ـ القمّي ٢: ٢٢٧.
٦ـ التبيان ٨: ٥٣٣؛ البيضاوي ٥: ١٢؛ معالم التّنزيل (للبغوي) ٤: ٤٤، عن مجاهد وقتادة.

الملائكة[١] تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: إنّ المشركين في النّار.

﴿سُبْحانَ اللَّهِ عَمّا يَصِفُونَ﴾. ﴿إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿فَإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ﴾. عودٌ إلى خطابهم.

﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: على الله ﴿بِفاتِنِينَ﴾: مفسدين النّاس بالإغواء.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ﴾: إلّا من سبق في علمه أنّه من أهل النّار، يصلاها لا محالة.

﴿وَما مِنّا إِلّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾. قيل: هي حكاية اعتراف الملائكة بالعبوديّة؛ للرّدّ على عبدتهم. والمعنى: وما منّا أحد إلّا وله مقام معلوم في المعرفة والعبادة، والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم[٢].

و ورد: «أُنزلت في الأئمّة والأوصياء من آل محمّد عليهم السلام»[٣].

﴿وَإِنّا لَنَحْنُ الصّافُّونَ﴾ في أداء الطّاعة ومنازل الخدمة.

﴿وَإِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: المنزّهون الله عمّا لا يليق به. القمّي: «قال جبرئيل: يا محمّد "إنّا لنحن الصّافّون، وإنّا لنحن المسبّحون"»[٤].

و ورد: «كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش، نسبّح فيسبّح أهل السّماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض، فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، "وإنّا لنحن الصّافّون وإنّا لنحن المسبّحون"»[٥].

١ـ الكشّاف ٣: ٣٥٥؛ البيضاوي ٥: ١٢.

٢ـ البيضاوي ٥: ١٣.

٣ـ القمّي ٢: ٢٢٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ المصدر: ٢٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ﴾ أي: مشركو قريش.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ﴾: كتاباً من الكتب الّتي نزلت عليهم.

﴿لَكُنّا عِبادَ اللهِ المُخْلَصِينَ﴾: أخلصنا العبادة له، ولم نخالف مثلهم.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ لمّا جاءهم الذّكر. قال: «هم كفّار قريش، كانوا يقولون ذلك، يقول الله عزّوجلّ: فكفروا به حين جاءهم محمّد صلّى الله عليه وآله» . كذا ورد[1]. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا المُرْسَلِينَ﴾ أي: وعدنا لهم بالنّصر والغلبة، كما يفسّره ما بعده.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الغالِبُونَ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عنهم ﴿حَتّىٰ حِينٍ﴾ هو الموعد لنصرك عليهم.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ على ما ينالهم حينئذ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما قضينا لك من التأييد والنّصرة، والثّواب في الآخرة. و«سوف» للوعيد لا للتّبعيد.

﴿أَفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾. روي: «إنّه لمّا نزل "فسوف يبصرون" قالوا: متى هذا؟ فنزل»[2].

﴿فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ﴾. شبّه العذاب بجيش هَجَمَهم فأناخ بفنائهم بغتةً. والصّباح مستعار لوقت نزول العذاب، لأنّ أكثر ما يكون الهجوم والغارة في صباح الجيش المبيّت.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ تأكيد إلى تأكيد وإطلاق بعد تقييد؛ للإشعار بأنّه

١ ـ القمّي ٢: ٢٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٣.

يبصر وأنّهم يبصرون ما لا يحيط به الذّكر من أصناف المسرّة وأنواع المساءة، أو الأوّل لعذاب الدّنيا، والثّاني لعذاب الآخرة.

والقمّي: "فإذا نزل بساحتهم"، يعني: العذاب إذا نزل ببني أُميّة وأشياعهم في آخر الزّمان، "فسوف يبصرون". قال: أبصروا حين لا ينفعهم البصر. قال: فهذه في أهل الشّبهات والضّلالات من أهل القبلة[1].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. قال: «إنّ الله علا ذكره كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا عزّ كان قبل عزّه، وذلك، قوله سبحانه: "ربّك ربّ العزّة"»[2].

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾. تعميم للرّسل بالتّسليم بعد تخصيص بعضهم.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على ما أفاض عليهم وعلى من اتّبعهم من النّعم وحسن العاقبة. وفيه تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلّمون على رسله.

ورد: «من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليقل إذا أراد أن يقوم من مجلسه: "سُبحانَ رَبِّكَ" الآيات الثّلاث»[3].

١ ـ القمّي ٢: ٢٢٧.

٢ ـ التّوحيد: ٦٧، الباب: ٢، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام. وفيه: «ولا عزّ؛ لأنّه كان قبل عزّه».

٣ ـ الكافي ٢: ٤٩٦، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة صٓ

[مكيّة ، وهي ثمان وثمانون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿صٓ﴾ . قد سبق تأويله[2].

و ورد: «وأمّا "ص" فعين تنبع من تحت العرش ، وهي الّتي توضّأ منها النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا عرج به ، ويدخلها جبرئيل كلّ يوم دخلة فينغمس[3] فيها ، ثمّ يخرج منها فينفض أجنحته ، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلّا خلق اللّه تبارك وتعالى منها ملَكاً ، يسبّح اللّه ويقدّسه ويكبّره ويحمده إلى يوم القيامة»[4].

وفي رواية سئل: وما صاد الّذي أمر أن يغتسل منه ـ يعني النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ لمّا أُسري به؟ فقال: «عين تنفجر من ركن من أركان العرش يقال لها "ماء الحياة" ، وهو ما قال اللّه: "ص والقُرآنِ ذي الذِّكرِ"»[5].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البقرة (٢): ١ .

٣ ـ في المصدر: «فيغتمس» .

٤ ـ معاني الأخبار: ٢٢ ، قطعة من حديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٣٣٥ ، الباب: ٣٢ ، ذيل الحديث: ١ ، عن الكاظم عليه السلام .

وفي أُخرى: «هو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن»[١].

وفي أُخرى: «إنّه اسم من أسماء اللّه تعالى أقسم به»[٢].

﴿وَالقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ مقسم به، عطفاً على "ص". وجوابه محذوف، أي: إنّه لحق، يدلّ عليه ما بعده.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾ يعني: ماكفر من كفر لخلل وجد فيه، بل الّذين كفروا في استكبار عن الحقّ، وخلاف للّه ولرسوله، ولذلك كفروا به.

﴿كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾. وعيدٌ لهم على كفرهم به، استكباراً وشقاقاً. ﴿فَنادَوْا﴾ استغاثةً ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ أي: ليس الحين حين منجا ومفرّ؛ زيدت التّاء على «لا» للتّأكيد.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: بشرٌ مثلهم ﴿وَقالَ الكافِرُونَ﴾. وُضِعَ فيه الظّاهر موضع الضّمير؛ غضباً عليهم وذمّاً لهم، وإشعاراً بأنّ كفرهم جسّرهم[٣] على هذا القول ﴿هذا ساحِرٌ﴾ فيما يظهره معجزة ﴿كَذّابٌ﴾ فيما يقول على اللّه.

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾: بليغ في العجب، فإنّه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا.

﴿وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾: قائلين بعضهم لبعض: "امشوا" ﴿وَاصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ﴾: على عبادتها، فلا ينفعكم مكالمته ﴿إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ﴾ قيل: أي: إنّ هذا لشيء من ريب الزّمان، يراد بنا فلا مردّ له[٤]. وقيل: إنّ هذا الّذي يدّعيه من الرّياسة والتّرفّع على العرب، لشيء يريده كلّ أحد[٥].

﴿ما سَمِعْنا بِهذا﴾: بالّذي يقوله ﴿فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ﴾: في الملّة الّتي أدركنا عليها آباءنا ﴿إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾: كذبٌ اختلقه.

١ ـ الكافي ٣: ٤٨٥، قطعة من حديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٦٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ في «ألف»: «جبرهم».

٤ و ٥ ـ البيضاوي ٥: ١٥.

«قالت قريش لأبي طالب: إنّ ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادعه ومُرْه، فليَكُفّ[١] عن آلهتنا ونَكُفُّ عن إلهه، فخبّره أبو طالب به، فقال: أوَهل لهم في كلمةٍ خيرٌ لهم من هذا[٢]، يسودون بها العرب، ويطأون أعناقهم، فقال أبو جهل: نعم. قال: تقولون: لا إله إلّا اللّـه، فوضعوا أصابعهم في آذانهم، وخرجوا هرّاباً وهم يقولون: «ما سَمِعْنا بِهذا» الآية». كذا ورد[٣].

﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾: بل لم يذوقوا عذابي بعد، فإذا ذاقوه زال شكّهم، يعني: أنّهم لا يصدّقون به حتّى يمسّهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهّابِ﴾: بل أعندهم خزائن رحمته حتّى يصيبوا بها من شاؤوا، فيتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم؟ يعني: أنّ النبوّة عطيّة من اللّـه، يتفضّل بها على من يشاء من عباده، لا مانع له؛ فإنّه العزيز الّذي لا يغلب[٤]، الوهّاب الّذي له أن يهب كلّ ما يشاء لمن يشاء.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾: أم لهم مدخل في هذا العالم، الّذي هو جزء يسير من خزائنه. ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ﴾ ويدبّروا أمر العالم، فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون.

﴿جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ﴾ أي: هم جند مّا من الكفّار المتحزّبين على الرّسل؛ مكسور عمّا قريب، فمن أين لهم التّدابير الإلهيّة، والتّصرّف في الأُمور الرّبّانيّة؟!

١ـ في «ألف»: «ليكفّ».

٢ـ الهمزة للاستفهام، والواو للعطف على مقدّر، و«لهم» متعلّق بمحذوف، و«خير» خبر مبتدأ، والتقدير: أقالوا هذا وهل لهم رغبة في كلمة هي خير لهم من هذا الّذي طلبوه. شرح أصول الكافي والرّوضة (للمولى صالح المازندراني) ١١: ١٠٢.

٣ـ الكافي ٢: ٦٤٩، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ في «ألف»: «لا يغالب».

أو فلا تكترث لما يقولون، و«هنالك» إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الابتدار لهذا القول.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ﴾. سئل: لأيّ شيء سمّي ذا الأوتاد؟ فقال: «لأنّه كان إذا عذّب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه، ومدّ يديه ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربّما بسطه على خشب منبسط فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثمّ تركه على حاله حتّى يموت. فسمّاه الله عزّوجلّ ذا الأوتاد»[١].

والقمّي: الأوتاد: الّتي أراد أن يصعد بها إلى السّماء[٢].

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحابُ لْئَيْكَةِ﴾: وأصحاب الغيضة، وهم قوم شعيب ﴿أُولئِكَ الْأَحْزابُ﴾ يعني: المتحزّبين على الرّسل، الّذين جعل الجند المهزوم منهم.

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ﴾.

﴿وَما يَنْظُرُ هؤُلاءِ﴾: وما ينتظر قومك ﴿إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النّفخة ﴿ما لَها مِنْ فَواقٍ﴾ قيل: أي: من توقّف مقدار فواق، وهو ما بين الحَلْبَتَيْن، أو رجوع وترداد، فإنّه فيه يرجع اللّبن إلى الضّرع[٣]. والقمّي: أي: لا يفيقون عن العذاب[٤].

﴿وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾: قسطنا من العذاب الّذي توعّدنا به. قال: «نصيبهم من العذاب»[٥]. ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ﴾ استعجلوا ذلك استهزاء.

﴿إِصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾. قال: «اليد في كلام العرب القوّة والنّعمة، ثمّ تلا هذه الآية»[٦]. ﴿إِنَّهُ أَوّابٌ﴾ قيل: أي: رجّاع إلى مرضاة الله، لقوّته في

١ـ علل الشّرائع ١: ٧٠، الباب: ٦٠، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٤٢٠.
٣ـ البيضاوي ٥: ١٦.
٤ـ القمّي ٢: ٢٢٩.
٥ـ معاني الأخبار: ٢٢٥، الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ التّوحيد: ١٥٣، الباب: ١٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

الدّين[١]. والقمّي: أي: دعّاء[٢]. قيل: إنّه يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف اللّيل[٣].

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ﴾: حين تشرق الشّمس، أي: تضيء ويصفو شعاعها.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ﴾: كلّ من الجبال والطّير لأجل تسبيحه رجّاع إلى التّسبيح. وقد مرّ بيانه في سورتي الأنبياء وسبأ[٤].

﴿وَشَدَدْنا مُلْكَهُ﴾: قوّيناه بالهيبة والنّصرة وكثرة الجنود ﴿وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾.

قال: «هو قوله: البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه»[٥].

وفي رواية: «هو معرفة اللّغات»[٦].

﴿وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ فيه تعجيب وتشويق إلى استماعه، ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ﴾: إذ تصعّدوا سور الغرفة.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنّهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحَرَس على الباب ﴿قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ﴾: ولا تَجُرْ في الحكومة ﴿وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ﴾: إلى وسطه، وهو العدل.

﴿إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ﴾. النّعجة هي الأُنثى من الضّأن، وقد يكنّى بها عن المرأة. ﴿فَقالَ أَكْفِلْنِيها﴾: ملّكنيها ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ﴾:

١ ـ الكشّاف ٣: ٣٦٣؛ البيضاوي ٥: ١٦.
٢ ـ القمّي ٢: ٢٢٩.
٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦.
٤ ـ الأنبياء (٢١): ٧٩؛ السبأ (٣٤): ١٠.
٥ ـ جوامع الجامع: ٤٠٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٢٨، الباب: ٥٣، الحديث: ٣.

وغلبني في مخاطبته إيّاي.

﴿قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلىٰ نِعاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ﴾: الشّركاء الّذين خلطوا أموالهم ﴿لَيَبْغِي﴾: ليتعدّي ﴿بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ﴾ «ما» مزيدة للإبهام والتّعجّب من قلّتهم ﴿وَظَنَّ داوُودُ﴾ قال: «أي: عَلِمَ»[1]. ﴿أَنَّما فَتَنّاهُ﴾: امتحنّاه بتلك الحكومة، هل ينبّه بها ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعاً﴾: ساجداً ﴿وَأَنابَ﴾ قال: «أي: تاب»[2].

﴿فَغَفَرْنا لَهُ ذٰلِكَ﴾: ما استغفر عنه ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفىٰ﴾: لقربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: مرجع في الجنّة.

﴿يا داوُودُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ﴾.

روت العامّة[3] في خطيئة داود ما لا يجوز روايته ولا نسبته إلى أدنى رجل من المسلمين، فكيف بالأنبياء عليهم السلام؟! وورد تكذيبه عن الأئمّة[4] أشدّ تكذيب.

و ورد: «إنّ داود عليه السلام إنّما ظنّ أن ما خلق اللّه عزّوجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث اللّه عزّوجلّ إليه المَلَكَيْن فتسوّرا المحراب، فقالا له: "خصمان بغى بعضنا على بعض" الآية، فعجل داود عليه السلام على المدّعى عليه فقال: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه"، ولم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رَسْم حُكْمٍ، لا ما ذهبتم إليه ـ يعني: ما روته العامّة ـ قال: ألا تسمع اللّه عزّوجلّ يقول: "يا

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ جامع البيان (للطّبري) ٢٣: ٩٣؛ الكشّاف ٣: ٣٦٥.
٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٤، الباب: ١٤، الحديث: ١؛ الأمالي (للصّدوق): ٩٢، المجلس: ٢٢، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ التّبيان ٨: ٥٥٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ" إلى آخر الآية»[١].

﴿وَما خَلَقْنا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً﴾ لا حكمة فيه ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

قال: «لا ينبغي لأهل الحقّ أن ينزلوا أنفسهم منزلة أهل الباطل، لأنّ اللّه لم يجعل أهل الحقّ عنده بمنزلة أهل الباطل، ألم يعرفوا وجه قول اللّه تعالى في كتابه: "أم نجعل الّذين آمنوا" الآية»[٢].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ﴾ تكرير للإنكار الأوّل باعتبار وصفين آخرين يمنعان التّسوية بين المؤمنين والكافرين، أو أراد بهما المتّقين من المؤمنين والمجرمين منهم.

﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ﴾: نفّاع ﴿لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ﴾.

﴿وَوَهَبْنا لِداوُودَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ﴾: كثير الرجوع إلى اللّه، بالتّوبة والذّكر.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾: بعد الظّهر ﴿الصّافِناتُ الْجِيادُ﴾ الصّافن: الخيل الّذي يقوم على طرف سُنْبُكِ[٣] يد أو رجل، وهو من الصّفات المحمودة في الخيل. والجياد: جمع جواد أو جود، وهو الّذي يسرع في جريه، وقيل: الّذي يجود بالرّكض، وقيل: جمع جيّد[٤].

﴿فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾. قيل: أي: آثرت، وينبغي أن يعدّى بـ«على»، ولكنّه لمّا أُنيب مناب أنبت، عدّى بـ«عن»[٥]. وقيل: يعني تقاعدت عن ذكر ربّي

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٤، الباب: ١٤، الحديث: ١؛ الأمالي (للصدوق): ٨٨، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٨: ١٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ السُّنْبُك كقُنْفذ: طرف مقدم الحافر، وهو معرّب، والجمع: سنابك. مجمع البحرين ٥: ٢٧ (سبك).

٤ ـ التّبيان ٨: ٥٦٠؛ البيضاوي ٥: ١٨.

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٩.

لحبّ الخير[١]. والخير: المال الكثير، ويعني به هنا الخيل.

و ورد: «الخيل معقود بنواصيها[٢] الخير»[٣].

﴿حَتّىٰ تَوارَتْ بِالْحِجابِ﴾ أي: غربت الشّمس، شبّه غروبها بتواري المخبأة بحجابها، وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشيّ عليها.

﴿رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً﴾: فأخذ يمسح مسحاً ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ﴾.

ورد: «إنّ سليمان بن داودعليهما السلام عرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل، فاشتغل بالنّظر إليها حتّى توارت الشّمس بالحجاب، فقال للملائكة: ردّوا الشّمس عليّ حتّى أُصلّي صلاتي في وقتها؛ فردّوها، فقام فمسح ساقيه وعنقه، وأمر أصحابه الّذين فاتتهم الصّلاة معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوءهم للصّلاة ثمّ قام فصلّى، فلمّا فرغ غابت الشّمس وطلعت النّجوم، وذلك قول اللّه عزّوجلّ: "ووهبنا لداود سليمان" إلى قوله: "والأعناق"»[٤].

وفي رواية: «اشتغل بعرض الخيل لأنّه أراد جهاد العدوّ»[٥].

والعامّة رووها على نحو لا يليق بالأنبياء[٦]، وورد تكذيبه عن أئمّتناعليهم السلام[٧].

﴿وَلَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ﴾. ورد: «إنّ الجنّ والشّياطين لمّا ولد لسليمان ابنٌ قال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لنلقينّ منه ما لقينا من أبيه من البلاء، فأشفقعليه السلام منهم عليه، فاسترضعه في المزن؛ وهو السّحاب، فلم يشعر إلّا

١ ـ البيضاوي ٥: ١٩.

٢ ـ في المصدر: «في نواصيها».

٣ ـ الكافي ٥: ٤٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللهعليه السلام، عن النبيّصلى الله عليه وآله؛ والحديث: ٣، عن أبي جعفرعليه السلام، عن النّبيّصلى الله عليه وآله، مع اختلاف يسير.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٢٩، الحديث: ٦٠٧، عن أبي عبد اللهعليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٧٥، عن أمير المؤمنينعليه السلام.

٦ ـ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ١٠٠؛ الكشّاف ٣: ٣٧٣؛ معالم التنزيل (للبغوي) ٤: ٦١.

٧ ـ الكافي ٣: ٢٩٤، الحديث: ١٠؛ علل الشّرائع ٢: ٦٠٥، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٧٩، عن أبي جعفرعليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٧٥، عن أمير المؤمنينعليه السلام.

وقد وضع على كرسيّه ميّتاً ، تنبيهاً على أنّ الحذر لا ينفع من القدر ، وإنّما عوتب على خوفه من الشّياطين»[١] .

﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾: لا يتسهّل له ولا يكون ، ليكون معجزة لي مناسبة لحالي ، أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه منّي ، أو لا يصحّ لأحد من بعدي لعظمته ، كذا قيل[٢] .

وقال: «المُلك مُلكان: مُلكٌ مأخوذٌ بالغلبة والجور وإجبار النّاس ، ومُلك مأخوذ من قِبل الله فقال سليمان: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول: إنّه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار النّاس فسخّر الله له ما سخّر ، فعلم النّاس في وقته وبعده: أنّ مُلْكَه لا يشبه مُلْكَ المُلوكِ الجبّارين من النّاس[٣]» . كذا ورد[٤] . ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ .

﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً﴾: ليّنة لا تزعزع ﴿حَيْثُ أَصابَ﴾: أراد .

﴿وَالشَّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ وَغَوّاصٍ﴾ .

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ﴾: قرن بعضهم مع بعض في السّلاسل ليكفّوا عن الشّرّ

﴿هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾: فاعط من شئت وامنع من شئت ﴿بِغَيْرِ حِسابٍ﴾: غير محاسب على منّه وإمساكه ؛ لتفويض التّصرّف فيه إليك .

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ .

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ﴾: بتعب ﴿وَعَذابٍ﴾: وألم .

ورد: «إنّما كانت بليّة أيّوب الّتي ابتلي بها في الدّنيا ، لنعمة أنعم الله بها عليه ؛ فأدّى

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٧٦ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٩ .

٣ ـ في المصدر: «المختارين من قِبَل النّاس والمالكين بالغلبة والجور» .

٤ ـ علل الشّرائع ١: ٧١ ، الباب: ٦٢ ، الحديث: ١ ، عن موسى بن جعفر عليهما السلام .

شكرها . وكان إبليس في ذلك الزّمان لا يحجب دون العرش ، فلمّا صعد عمل أيّوب بأداء شكر النّعمة ، حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ شكر هذه النّعمة إلّا بما أعطيته من الدّنيا ، فلو حِلْتَ بينه وبين دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة ، فسلّطني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة ، فقال: قد سلّطتك على دنياه . فلم يدع له دنياً ولا ولداً إلّا أهلك كلّ ذلك ، وهو يحمد اللّه عزّوجلّ ، ثمّ رجع إليه فقال: يا ربّ إنّ أيّوب يعلم أنّك ستَرُدُّ إليه دنياه الّتي أخذتها منه ، فسلّطني على بدنه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة ، قال: قد سلّطتك على بدنه ما عدا عينيه وقلبه ولسانه وسمعه ، قال: فانقضّ مبادراً خشية أن تدركه رحمة اللّه عزّوجلّ فتحول بينه وبينه ، فنفخ في منخريه من نار السّموم فصار جسده نقطاً نقطاً»[1] .

و ورد: «إنّ اللّه ابتلى أيّوبَ بلا ذنب ، فصَبَر حتّى عُيِّرَ ، إنّ الأنبياء لا يصبرون على التّعيير»[2] .

وقال: «إنّ اللّه يَبْتَلي المؤمن بكلّ بليّة ، ويُميته بكلّ ميتة ، ولا يبتليه بذهاب عقله ، أما ترى أيّوب كيف سلّط إبليس على ماله وعلى أهله ، وعلى كلّ شيء منه ، ولم يسلّط[3] على عقله ، ترك له يوحّد اللّه عزّوجلّ»[4] .

﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾: اضرب بها الأرض ؛ حكاية لما أُجيب به . ﴿ هٰذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ ﴾ أي: فنبعت عين ، فقيل: هذا مُغتَسَلٌ ، أي: تغتسل به ، وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك .

﴿ وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ﴾ . قال: «أحيا له من ولده الّذين كانوا ماتوا قبل ذلك

١ ـ علل الشّرائع ١: ٧٥ ، الباب: ٦٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٢ ـ المصدر ، ٧٦ ، الباب: ٦٥ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ في «ب»: «ولم يسلّطه» .

٤ ـ الكافي ٢: ٢٥٦ ، الحديث: ٢٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه: «ترك له ليوحّد اللّه به» .

بآجالهم، مثل الّذين هلكوا يومئذ»[١]. ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لينتظروا الفرج بالصّبر واللّجأ إلى اللّه فيما يحيق بهم.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾: حُزْمَة من خشب ﴿فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وذلك أنّه حلف أن يضرب زوجته في أمر، ثمّ ندم عليه، فحلّل اللّه يمينه بذلك. «وهي رخصة باقية في الحدود»، كما ورد[٢]. قال: «فأخذ عَذْقاً[٣] مشتملاً على مائة شِمْراخ، فضربها ضربة واحدة، فخرج عن يمينه»[٤]. ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ﴾: أيّوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: مقبل بشراشره على اللّه.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ قال: «أولوا القوّة في العبادة والصبر[٥] فيها»[٦].

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾: جعلناهم خالصين لنا بخصلة لا شوب فيها ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ هي تذكّرهم للآخرة دائماً، فإنّ خلوصهم في الطّاعة بسببها، وذلك لأنّه كان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار اللّه والفوز بلقائه. وإطلاق الدّار للإشعار بأنّها الدّار حقيقة، والدّنيا معبر.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾. قيل: هو ابن اخطوب، استخلفه إلياس على بني

١ـ الكافي ٨: ٢٥٢، الحديث: ٣٥٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ الكافي ٧: ٢٤٣، الحديث: ١؛ و٢٤٤، الحديث: ٤؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٩، الحديث: ٤١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ والحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العَذْق: كلّ غصن له شُعَب. لسان العرب ٩: ١١٠ (عذق).
٤ـ القمّي ٢: ٢٤١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ في «ب» و«ج»: «البصر».
٦ـ القمّي ٢: ٢٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

إسرائيل ، ثمّ استنبأ[١] . ﴿ وَذَا الْكِفْلِ ﴾ هو يوشع بن نون ، كما مرّ في سورة الأنبياء[٢] .

﴿ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ . ﴿ هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ . ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ .

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ في الاقتصار على الفاكهة إشعار بأنّ مطاعمهم لمحض التّلذّذ ، فإنّ التغذّي للتّحلّل ، ولا تحلّل ثمّة .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾: لا ينظرن إلى غير أزواجهنّ ﴿ أَتْرَابٌ ﴾: لِدات[٣] بعضهنّ لبعض ، لا عجوز فيهنّ ولا صبيّة .

﴿ هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾: لأجله .

﴿ إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾: انقطاع .

﴿ هٰذَا ﴾: الأمر هذا ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ .

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ .

﴿ هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ هو ما يغسق ، أي: يسيل من صديد[٤] أهل النّار .

﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ ﴾: من مثل المذوق أو الذّائق ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾: أصناف . القمّي: هم بنو العبّاس[٥] .

﴿ هٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ﴾ حكاية ما يقال لرؤساء الطّاغين إذا دخلوا النّار ، ودخل معهم فوج تبعهم في الضّلال . والاقتحام: ركوب الشّدّة والدّخول فيها .

١ ـ البيضاوي ٥: ٢١ .
٢ ـ ذيل الآية: ٨٥ .
٣ ـ جمعٌ واحده اللِّدَة: التِّرب وهو الّذي وُلِد معك وتُربّى ، أصله: وِلد . أقرب الموارد ٣: ١٤٨٤ (ولد) .
٤ ـ الصَّديد: الدّم المختلط بالقيح في الجُرْح . ترتيب كتاب العين: ٤٤٢ (صدد) .
٥ ـ القمّي ٢: ٢٤٢ .

ورد: «إن النّار تضيق على أهلها كضيق الزُّجّ[١] بالرُّمح»[٢].

﴿لا مَرْحَباً بِهِمْ﴾. دعاء من المتبوعين على التّابعين. القمّي: فيقول بنو أُميّة: لا مرحباً بهم[٣]. ﴿إِنَّهُمْ صالُوا النّارِ﴾.

﴿قالُوا﴾ أي: الأتباع للرّؤساء ﴿بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ﴾: بل أنتم أحقّ بما قلتم، لضلالكم وإضلالكم ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ﴾.

﴿قالُوا﴾ القمّي: أي: بنو أُميّة[٤]. ﴿رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هٰذا﴾ القمّي: يعنون الأوّل والثّاني[٥]. ﴿فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النّارِ﴾ وذلك أن تزيد على عذابه مثله.

﴿وَقالُوا ما لَنا لا نَرىٰ رِجالاً كُنّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ﴾ أي: في الدّنيا.

﴿أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيّاً﴾: هزواً ﴿أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ﴾: مالت فلا نراهم. أي: ليسوا هاهنا، أم زاغت عنهم أبصارنا.

قال: «لقد ذكركم الله، إذ حكى عن عدوّكم في النّار: "وقالوا ما لنا" الآية، قال: والله ما عنى ولا أراد بهذا غيركم، صرتم عند أهل النّار[٦] شرار النّاس، وأنتم والله في الجنّة تحبرون، وفي النّار تطلبون»[٧].

﴿إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النّارِ﴾. قال: «يتخاصمون فيكم فيما كانوا يقولون في الدّنيا»[٨].

﴿قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ وَما مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ﴾.

١ ـ زُجُّ الرُّمح: الحديدة الّتي تركّبُ في أسفل الرّمح. لسان العرب ٦: ١٩ (زجج).
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ ـ القمّي ٢: ٢٤٢.
٤ و ٥ ـ المصدر: ٢٤٣.
٦ ـ في المصدر: «صرتم عند أهل هذا العالم».
٧ ـ الكافي ٨: ٣٦، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله ؑ.
٨ ـ المصدر: ١٤١، الحديث: ١٠٤، عن أبي عبد الله ؑ.

﴿رَبُّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما العَزِيزُ الغَفّارُ﴾.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾. قال: «النبأ الإمامة»[١]. وفي رواية: «هو والله أمير المؤمنين عليه السلام»[٢].

﴿ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالمَلَأِ الأَعْلىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿إِنْ يُوحىٰ إِلَيَّ إِلّا أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

ورد في حديث المعراج: «قال: يا محمّد! قلت: لبّيك يا ربّ. قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلّا ما علّمتني. قال: فوضع يده بين كتفيّ، فوجدت بَردها بين ثديَيّ، قال: فلم يسألني عمّا مضى ولا عمّا بقى إلّا علمته، فقال: يا محمّد فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفّارات والدّرجات والحسنات. فقال لي: يا محمّد قد انقطع أكلتك وانقضت نبوّتك، فمن وصيّك؟ فقلت: يا ربّ قد بلوت خلقك فلم أر أحداً من خلقك أطوع لي من عليّ. فقال: ولي يا محمّد، فقلت: يا ربّ إنّي قد بلوت خلقك، فلم أر في خلقك أحداً أشدّ حبّاً لي من عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: ولي يا محمّد؛ فبشّره بأنّه راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور لمن أطاعني، والكلمة الّتي ألزمتها المتّقين، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، مع ما أنّي أخصّه بما لم أخصّ به أحداً. فقلت: يا ربّ أخي وصاحبي ووزيري ووارثي، فقال: إنّه أمرٌ قد سبق؛ إنّه مبتلي ومبتلى به، مع ما أنّي قد نحلته ونحلته ونحلته ونحلته أربعة أشياء، عقدها بيده ولا يفصح بها عقدها»[٣].

وفي رواية قال: «قال لي ربّي: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا. قال:

١ ـ بصائر الدّرجات: ٢٠٧، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ المصدر: ٧٧، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

اختصموا في الكفّارات والدّرجات. فأمّا الكفّارات: فإسباغ[1] الوضوء في السَّبَرات[2]، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة. وأمّا الدّرجات: فإفشاء السّلام، وإطعام الطّعام، والصّلاة باللّيل والنّاس نيام»[3].

﴿إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾. ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾. ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾. ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾.

﴿قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ قال: «يعني بقوّتي وقدرتي»[4]. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ﴾: تكبّرتَ من غير استحقاق، أو كنت ممّن علا واستحقّ التفوّق؟!

﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. ﴿قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ﴾. ﴿قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. ﴿قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾. ﴿إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. ﴿قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. قد مرّ تمام تفسيره وتفسير تمامه في سورة البقرة والأعراف والحجر[5].

﴿قالَ فَالْحَقُّ﴾ أي: فالحقّ يميني، وعلى النّصب أي: فأحقّ الحقّ. القمّي: أي: إنّك

---

١ ـ إسباغ الوضوء: المبالغة فيه وإتمامه. لسان العرب ٨: ٤٣٢ (سبغ).

٢ ـ السَّبَرات: جمع سَبْرَة، وهي الغداة الباردة. لسان العرب ٤: ٣٤١ (سبر).

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٨٥، عن النّبيّ ﷺ.

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٠، الباب: ١١، الحديث: ١٣؛ التوحيد: ١٥٤، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، وفيهما: «بقدرتي وقوّتي».

٥ ـ البقرة (٢): ١٣٩؛ الأعراف (٧): ٢٩؛ الحجر (١٥): ٤٠ ـ ٤١.

تفعل ذلك[١]. ﴿وَالحَقَّ أَقُولُ﴾: أقوله.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ﴾. قال: «أن أسألكم ما لستم بأهله»[٢].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِلْعالَمِينَ﴾.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ من الوعد والوعيد ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾. قال: «عند خروج القائم عليه السلام»[٣].



١ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوعة، ولعلّه سقط من النّسّاخ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي، الموجودة في مكتبة الاعلام الإسلامي، تحت رقم: ٢٦٨١٨.

٢ـ الكافي ٨: ٣٧٩، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ المصدر: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة الزّمر

[مكيّة، وهي خمس وسبعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّٰهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.

﴿إنّا أنْزَلْنا إلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ من الشّرك والرّياء.

﴿ألا لِلّٰهِ الدِّينُ الخالِصُ﴾ لأنّه المتفرّد بالألوهيّة، والاطّلاع على الضّمائر ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلّا لِيُقَرِّبُونا إلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ﴾ بإضمار القول ﴿إنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمور الدّين ﴿إنَّ اللّٰهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ﴾.

﴿لَوْ أرادَ اللّٰهُ أنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ كما زعموا ونسبوا إليه الملائكة والمسيح وعزير ﴿لَاصْطَفىٰ﴾: لاختار ﴿مِمّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ قيل: يعني ما كان اتّخاذ الولد باختيارهم حتّى يضيفوا إليه من شاؤوا[2] ﴿سُبْحانَهُ هُوَ اللّٰهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾ قال: «ليس له في الأشياء شبيه»[3].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٨٨.

٣ـ التّوحيد: ٨٣، الباب: ٢، قطعة من حديث: ٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾: يغشى كلّ واحد منهما الآخر، كأنّه يُلَفُّ عليه لَفَّ اللّباس باللابس؛ أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللّفافة. أو يجعله كارّاً عليه كُروراً متتابعاً تتابع أكوار العِمامة. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب على كلّ شيء ﴿الغَفّارُ﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها﴾. سبق تفسيره في سورة النّساء[1]. ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ أهليّاً ووحشيّاً، من البقر والضّأن والمعز، وبخاتي[2] وعراباً من الإبل؛ كما مرّ بيانه في سورة الأنعام[3]. قال: «إنزاله ذلك خلقه إيّاه»[4]. ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حيواناً سويّا، من بعد عظام مكسوّة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغة، من بعد علقة، من بعد نطفة. ﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾ قال: «ظلمة البطن وظلمة الرّحم وظلمة المشيمة»[5]. ﴿ذٰلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يعدل بكم عن عبادته إلى الإشراك.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضىٰ لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾ لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنّه سبب فلا حكم. القمّي: فهذا كفر النّعم[6]. و ورد: «الكفر هاهنا الخلاف، والشّكر الولاية والمعرفة»[7]. ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿و إِذا مَسَّ الإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ لزوال ما ينازع العقل في الدّلالة على

١ ـ النّساء (٤): ١.
٢ ـ البَخاتي جمع البُخت ـ بالضمّ ـ الإبل الخراسانيّة. القاموس المحيط ١: ١٤٨ (بخت).
٣ ـ ذيل الآية: ١٤٣ ـ ١٤٤.
٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ القمّي ٢: ٢٤٦.
٧ ـ المحاسن: ١٤٩، الباب: ١٩، الحديث: ٦٥.

أنّ مبدأ الكلّ منه سبحانه ﴿ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ﴾: أعطاه تفضّلاً، فإنّ التّخويل مختصّ بالتّفضّل. ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾: من اللّه ﴿نَسِيَ ما كانَ يَدْعُو إلَيْهِ﴾ أي: الضّرّ الّذي كان يدعو اللّه إلى كشفه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل النّعمة ﴿وَجَعَلَ لِلّهِ أَنْداداً﴾: شركاء ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ﴾.

قال: «نزلت في أبي الفصيل، إنّه كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله عنده ساحراً، فكان إذا مسّه الضّرّ، يعني السّقم "دعا ربّه منيباً إليه"، يعني تائباً إليه من قوله في رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما يقول، "ثمّ إذا خوّله نعمة منه"، يعني العافية "نسي ما كان يدعو إليه من قبل"، يعني نسي التّوبة إلى اللّه ممّا كان يقول في رسول اللّه: إنّه ساحر؛ ولذلك قال اللّه عزّوجلّ: "قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار، "يعني إمرتك على النّاس بغير حقّ من اللّه عزّوجلّ ومن رسوله»[١].

﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ قال: «يعني صلاة اللّيل»[٢].

وفي الحديث السّابق: «ثمّ عطف القول من اللّه في عليّ عليه السلام، يخبر بحاله وفضله عند اللّه فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ محمّداً رسول اللّه ﴿وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ محمّداً رسول اللّه، أو أنّه[٣] ساحر كذّاب. قال: هذا تأويله»[٤]. ﴿إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾.

قال: «نحن الّذين يعلمون، وعدوّنا الّذين لا يعلمون، وشيعتنا أُولوا الألباب»[٥].

١ ـ الكافي ٨: ٢٠٤، الحديث: ٢٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ علل الشّرائع: ٣٦٤، الباب: ٨٤، ذيل الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «وأنّه».

٤ ـ الكافي ٨: ٢٠٤ ـ ٢٠٥، الحديث: ٢٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٨: ٣٥، قطعة من حديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ بصائر الدّرجات: ٥٤، الباب: ٢٤، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «هم أُولوا العقول»[١].

﴿قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بلزوم طاعته ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ﴾. الظّرف إمّا متعلّق بـ«أحسنوا» أو بـ«حَسَنَة»؛ وعلى الأوّل تشمل الحسنةُ حسنةَ الدّارين، وعلى الثّاني لا ينافي نيلَ حسنةِ الآخرة أيضاً، وحسنة الدّنيا مثل الصّحّة والعافية.

ورد: «إنّ المؤمن يعمل لثلاث من الثّواب، إمّا لخير فإنّ اللّه يثيبه بعمله في دنياه، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: فمن أعطاهم اللّه في الدّنيا لم يحاسبهم به في الآخرة»[٢].

﴿وَأَرْضُ اللّٰهِ واسِعَةٌ﴾ فمن تعسّر عليه التّوفّر على الإحسان في وطنه، فليهاجر إلى حيث تمكّن منه ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ﴾ على مشاقّ الطّاعة، من احتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾: أجراً لا يهتدي إليه حساب الحُسّاب.

قال: «إذا نشرت الدّواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان، ولم ينشر لهم ديوان، ثمّ تلا هذه الآية»[٣].

و ورد: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس فيأتون باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصّبر. فيقال: على ما صَبَرْتُم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة اللّه، ونصبر عن معاصي اللّه. فيقول اللّه عزّوجلّ: صدقوا أَدْخِلوهم الجنّة. وهو قول اللّه: "إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب"»[٤].

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾: موحّداً له.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: مقدّمهم في الدّنيا والآخرة.

١ـ الكافي ١: ٢٠، ذيل الحديث: ١٢، عن موسى بن جعفر، عن حسن بن علي عليهما السلام؛ القمي ٢: ٢٤٦.
٢ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٢٥؛ الأمالي (للشّيخ المفيد): ٢٦٢، قطعة من حديث: ٣ عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٩٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.
٤ـ الكافي ٢: ٧٥، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بترك الإخلاص ﴿عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلِ اللّٰهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ امتثالاً لأمره تعالى.

﴿فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ تهديدٌ وخذلان لهم. ﴿قُلْ إِنَّ الخاسِرِينَ﴾: الكاملين في الخسران ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ قال: «غبنوا»[1]. ﴿يَوْمَ القِيامَةِ أَلا ذٰلِكَ هُوَ الخُسْرانُ المُبِينُ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّارِ﴾: أطباق منها تظلّهم ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾. قيل: هي ظلل للآخرين[2]. ﴿ذٰلِكَ يُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهِ عِبادَهُ﴾ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿يا عِبادِ فَاتَّقُونِ﴾ ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطي.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ﴾: البالغ غاية الطّغيان ﴿أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنابُوا إِلَى اللّٰهِ﴾: وأقبلوا إليه بشراشرهم عمّا سواه ﴿لَهُمُ البُشْرىٰ﴾ بالثّواب على ألسنة الرّسل وعلى ألسنة الملائكة، عند حضور الموت. قال: «أنتم هم؛ ومن أطاع جبّاراً فقد عبده»[3]. ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: يميّزون بين الحقّ والباطل، ويؤثرون الأفضل فالأفضل. ورد: «هو الرّجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه؛ لا يزيد فيه ولا ينقص منه»[4]. ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللّٰهُ﴾ لدينه ﴿وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبابِ﴾.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النّارِ﴾ بالسّعي في دعائه إلى الإيمان؛ إنكار واستبعاد لإنقاذ من حقّ عليه الكلمة، لأنّه كالواقع في النّار.

﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها

١ ـ القمّي ٢: ٢٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكشّاف ٣: ٣٩٢؛ البيضاوي ٥: ٢٥.
٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ الكافي ١: ٥١، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

الأَنْهارُ وَعْدَ اللّهِ لا يُخْلِفُ اللّهُ المِيعادَ ﴾.

قال: «تلك غرف بناها الله لأوليائه بالدّرّ والياقوت والزّبرجد، سقوفها الذّهب محبوكة بالفضّة، لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب، على كلّ باب ملك موكّل به»[1] الحديث.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الأَرْضِ ﴾: عيوناً وركايا ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾: يثور عن منبته بالجفاف ﴿ فَتَراهُ مُصْفَرّاً ﴾ من يُبسه ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً ﴾: فُتاتاً ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ ﴾: لتذكيراً بأنّه لا بدّ من صانع حكيم دبّره وسوّاه، وبأنّه مثل الحياة الدّنيا فلا يغترّوا بها ﴿ لِأُولِي الأَلْبابِ ﴾ إذ لا يتذكّر به غيرهم.

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ حتّى تمكّن فيه بيسر ﴿ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾. خبره محذوف، دلّ عليه ما بعده.

قال: «إنّ النّور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح. قالوا: يا رسول اللّه فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: التّجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»[2].

﴿ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ ﴾: من أجل ذكره، وهي أشدّ تأبّياً عن قبوله من القاسي عنه بسبب آخر؛ فـ«من» هنا أبلغ من «عن». ﴿ أُولٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾.

روي: «إنّ الأُولى نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة، والثّانية في أبي لهب وولده»[3].

﴿ اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن ﴿ كِتاباً مُتَشابِهاً ﴾: يشبه بعضه بعضاً في الإعجاز وتجاوب النّظم وصحّة المعنى، والدّلالة على المنافع العامّة. ﴿ مَثانِيَ ﴾: «يثنّى

١ ـ الكافي ٨: ٩٧، قطعة من حديث: ٦٩؛ القمّي ٢: ٢٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ روضة الواعظين ٢: ٤٤٨، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٣ ـ تفسير ابن جُزَيّ: ٦٢٤.

فيه القول» أي: يتكرّر. كذا ورد[1] في أحد وجوه تسمية فاتحة الكتاب بها. ويجوز أن يكون جمع مثن من الثّناء، وإنّما وصف الواحد بالجمع لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل. وإن جعل "مثاني" تمييزاً لـ"متشابهاً"، يكون المعنى: متشابهة تصاريفه.

قيل: الفائدة في التّكرير والتّثنية: أنّ النّفوس تنفر عن النّصيحة والمواعظ، فما لم يكرّر عليها عوداً بعد بدء لم يرسخ فيها[2].

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: تنقبض وتشمئزّ خوفاً ممّا فيه من الوعيد، وهو مَثَلٌ في شدّة الخوف.

ورد: «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية اللّه تتحاتّ عنه ذنوبه كما يتحاتّ عن الشّجرة اليابسة ورقها»[3].

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: تطمئنّ إليه بالرّحمة وعموم المغفرة ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يخرجه من الضّلال.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يجعل وجهه درعه يقي به نفسه؛ لأنّ يديه مغلولتان إلى عنقه، فلا يقدر أن يتّقي إلّا بوجهه. وخبره محذوف، أي: كمن هو آمن منه. ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: لهم؛ وضع الظّاهر موضعه، تسجيلاً عليهم بالظّلم، وإشعاراً للموجب لما يقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: وباله.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من الجهة الّتي كانت لا يخطر ببالهم أنّ الشّرّ يأتيهم منها.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾: الذّلّ، كالمسخ والخسف والقتل والسّبي والإجلاء ﴿فِي

١ـ العيّاشي ١: ٢٢، الحديث: ١٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ العيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٤، عن أحدهما عليهما السلام.
٢ـ الكشّاف ٣: ٣٩٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٩٥؛ زاد المسير ٧: ١٣، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿الحَياةِ الدُّنيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ﴾ المعدّ لهم ﴿أَكْبَرُ﴾ لشدّته ودوامه ﴿لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لاعتبروا به واجتنبوا عنه .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِي هٰذا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون به .

﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾: لا اختلال فيه بوجه مّا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ .

﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً﴾ للمشرك والموحّد ﴿رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ﴾: متنازعون مختلفون ﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ﴾: خالصاً لواحد ليس لغيره عليه سبيل .

نزلت في أبي بكر وأصحابه وأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته . «فإنّ أمير المؤمنين كان سلماً لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وأبا بكر كان يجمع المتفرّقون ولايته ، وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً ، ويبرأ بعضهم من بعض» . كذا ورد[1] .

أقول: الوجه في ذلك: أنّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أهل نصّ من اللّه ورسوله ؛ ولا اختلاف فيه ؛ ولذلك ، اعتقدوه مفترض الطّاعة . وأبو بكر لم يكن سلماً للّه ورسوله ؛ لا في أمر الإمارة ولا فيما يبتني عليه من الأحكام ، وكان أصحابه أصحاب آراء ؛ وهي ممّا يجري فيه الاختلاف .

﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً﴾: صفة وحالاً ﴿أَلْحَمْدُ لِلّهِ﴾: لا يشاركه في الحمد سواه ، لأنّه المنعم بالذّات ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره لفرط جهلهم .

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾: فإنّ الكلّ بصدد الموت .

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: يخاصم بعضكم بعضاً فيما دار بينكم في الدّنيا .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ﴾ القمّي: يعني بما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله من الحقّ[2] . ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً﴾: مقام ﴿لِلْكافِرِينَ﴾ .

١ ـ الكافي ٨: ٢٢٤ ، الحديث: ٢٨٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٢٤٩ .

﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قال: «محمّد»[١]. ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قال: «أمير المؤمنين عليه السلام»[٢]. ﴿أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَهُمْ ما يَشاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ فضلاً عن غيره ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيَعُدُّ لهم محاسن أعمالهم بأحسنها، في زيادة الأجر وعظمه؛ لفرط إخلاصهم فيها.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾. قيل: قالت قريش: إنّا نخاف أن تخبُلك[٣] آلهتنا لعيبك إيّاها[٤]. والقمّي: يقولون لك: اعفنا من عليّ، ويخوّفونك بأنّهم يلحقون بالكفّار[٥]. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ إذ لا رادّ لفعله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ في إصابة الخير ودفع الضرّ.

روي: «إنّه صلّى الله عليه وآله سألهم فسكتوا، فنزل ذلك»[٦]. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعلمهم بأنّ الكلّ منه.

﴿قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ﴾: على حالكم ﴿إِنِّي عامِلٌ﴾ على مكانتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

١ ـ ٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩٨، عن أئمّة الهدى عليهم السلام؛ القمّي ٢: ٢٤٩.
٣ ـ الخَبْل: الفساد، وقد خَبَلَه وخَبَّلَه، واختَبَلَه: إذا أفسد عقلَه أو عضوه. الصّحاح ٤: ١٦٨٢ (خبل).
٤ ـ الكشّاف ٣: ٣٩٨؛ البيضاوي ٥: ٢٨.
٥ ـ القمّي ٢: ٢٤٩.
٦ ـ الكشّاف ٣: ٣٩٩؛ البيضاوي ٥: ٢٨.

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ ؛ من المغلوب في الدّارين ، فإنّ خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم اللّه يوم بدر . ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾: دائم ، وهو عذاب النّار .

﴿إِنّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ لِلنّاسِ﴾: لمصالحهم في معاشهم ومعادهم ﴿بِالحَقِّ﴾ متلبّساً به ﴿فَمَنِ اهْتَدىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ لتجبرهم على الهدى ، وإنّما عليك البلاغ .

﴿اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾ أي: يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلّقها عنها وتصرّفها فيها ظاهراً وباطناً ؛ وذلك عند الموت ، أو ظاهراً لا باطناً ؛ وهو في النّوم . ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضىٰ عَلَيْها المَوْتَ﴾: لا يردّها إلى البدن ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرىٰ﴾ أي: النّائمة إلى بدنها عند اليقظة ﴿إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الوقت المضروب لموته ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ﴾ على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

ورد: «ما من أحد ينام إلّا عرجت نفسه إلى السّماء وبقيت روحه في بدنه ، وصار بينهما سبب كشعاع الشّمس ، فإن أذن اللّه في قبض الرّوح أجابت الرّوح النّفس ، وإن أذن اللّه في ردّ الرّوح أجابت النّفس الرّوح ؛ وهو قوله سبحانه: "اللّه يتوفّى الأنفس" الآية . فما رأت في ملكوت السّماوات فهو ممّا له تأويل ، وما رأت فيما بين السّماء والأرض فهو ممّا يخيّله الشّيطان ولا تأويل له»[١] .

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾: بل اتّخذ قريش ﴿مِنْ دُونِ اللّهِ شُفَعاءَ﴾ تشفع لهم عند اللّه ﴿قُلْ أَوَلَوْ كانُوا﴾: أيشفعون ولو كانوا ﴿لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ﴾ .

﴿قُلْ لِلّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً﴾: لا يشفع أحدٌ إلّا بإذنه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾ لا يملك أحد أن يتكلّم في أمره دون إذنه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

﴿وَإِذا ذُكِرَ اللّهُ وَحْدَهُ﴾ دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: انقبضت ونفرت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٠١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

قال: «"إذا ذكر اللّه وحده" بطاعة من أمَرَ اللّه بطاعته من آل محمّد "اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الّذين" لم يأمر اللّه بطاعتهم "إذا هم يستبشرون"»[١].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ عالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فأنت وحدك تحكم بيني وبينهم ، فإنّي تحيّرت في كفرهم ، وعجزت في عنادهم وشدّة شكيمتهم .

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ العَذابِ يَوْمَ القِيامَةِ﴾ . وعيدٌ شديد ، وإقناط كلّيّ لهم من الخلاص ﴿وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ . زيادة مبالغة فيه ، وهو نظير قوله: "فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ من قرّة أعينٍ"[٢] في الوعد .

﴿وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه .

﴿فَإِذا مَسَّ الإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا﴾: أعطيناه إيّاها تفضّلاً ﴿قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ﴾: على علم منّي بوجوه كسبه ، أو بأنّي سأُعطاه لما لي من استحقاقه . كذا قيل[٣] . ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾: امتحان له أيشكر أم يكفر ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

﴿قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني هذه الكلمة ، قارون قاله ورضي به قومه .

﴿فَما أَغْنىٰ عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالعتوّ ﴿مِنْ هٰؤُلاءِ﴾ المشركين

١ ـ الكافي ٨: ٣٠٤ ، الحديث: ٤٧١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ السّجدة (٣٢): ١٧ .

٣ ـ الكشّاف ٣: ٤٠٢ ، البيضاوي ٥: ٣٠ .

﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ ما كَسَبُوا﴾ كما أصاب أُولئك، وقد أصابهم، فإنّهم قحطوا سبع سنين، وقتل ببدر صناديدهم. ﴿وَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

قال: «واللّه ما أراد بهذا غيركم»[١].

والقمّي: نزلت في شيعة عليّ بن أبي طالب خاصّة[٢].

و ورد: «ما في القرآن آية أوسع منها»[٣].

﴿وَأَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾: كراهة أن تقول ﴿يا حَسْرَتا عَلىٰ ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: في حقّه وطاعته وقربه.

قال: «جنب اللّه عليّ عليه السلام، وهو حجّة اللّه على الخلق يوم القيامة»[٤]. وفي رواية: «في ولاية عليّ»[٥]. و ورد: «نحن جنب اللّه»[٦].

١ ـ الكافي ٨: ٣٥، قطعة من حديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٥٠.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٠٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ المناقب ٣: ٢٧٣، عن السّجاد والباقر والصادق عليهم السلام.

٥ ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٦ ـ كمال الدّين ١: ٢٠٦، الباب: ٢١، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ القمّي ٢: ٢٥١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وفي أُخرى: «ألا ترى أنّك تقول: فلان إلى جنب فلان، إذا أردت أن تصف قربه منه»[١]

﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السّاخِرِينَ﴾: المستهزئين بأهله، يعني فرّطت وأنا ساخر.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللّهَ هَداني﴾ بالإرشاد إلى الحقّ ﴿لَكُنْتُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾ الشرك والمعاصي.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة والعمل، و«أو» للدّلالة على أنّه لا يخلو من هذه الأقوال، تحيّراً أو تعلّلاً بما لا طائل تحته.

﴿بَلَىٰ قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾. ردّ من الله عليه لما تضمّنه قوله "لو أنّ الله هداني"، من معنى النّفي. القمّي: يعني بالآيات الائمة عليهم السلام[٢].

﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.

قال: «من ادّعى أنّه إمام وليس بإمام. قيل: وإن كان علويّاً فاطميّاً؟ قال: وإن كان علويّاً فاطميّاً»[٣].

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً﴾: مقام ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿وَيُنَجِّي اللّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ﴾: بفلاحهم ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: يتولّى التّصرّف فيه.

﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾: مفاتيحها، لا يملك أمرها ولا يتمكّن من التّصرّف فيها غيره؛ وهو كناية عن قدرته وحفظه لها. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللّهِ أُولٰئِكَ

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٥١.

٣ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.

هُمُ الخاسِرُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللّٰهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّها الجاهِلُونَ ﴾ .

روي: «إنّهم قالوا: استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك ، فنزلت»[١] .

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ ﴾ .

﴿ بَلِ اللّٰهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ ﴾ القمّي: هذه مخاطبة للنّبيّ والمعنيّ لأُمّته[٢] .

و ورد: «يعني: إن أشرك في الولاية غيره ، "بل اللّه فاعبد" يعني بالطّاعة ، "وكن من الشّاكرين" بأن عضدتك بأخيك وابن عمّك»[٣] .

﴿ وَما قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾: ما قدروا عظمته في أنفسهم حقّ تعظيمه ، حيث وصفوه بما لا يليق به .

قال: «لمّا شبّهه العادلون بالخلق المبعَّض ، المحدود في صفاته ، ذي الأقطار والنّواحي المختلفة في طبقاته ، وكان عزّوجلّ الموجود بنفسه لا بأداته ؛ انتفى أن يكون قَدَروه حقّ قَدْرِه ، فقال تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأنداد ، وارتفاعها عن قياس المقدِّرين له بالحدود من كَفَرَةِ العباد: "وما قدروا اللّه حقّ قدره"»[٤] .

وقد مرّ فيه حديث آخر في الأنعام[٥] .

﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ﴾ قال: «يعني مِلكه لا يملكُها معه أحد»[٦] .

١ـ جوامع الجامع ٤١٤ ؛ الكشاف ٣: ٤٠٧ ؛ البيضاوي ٥: ٣٢ .

٢ـ القمّي ٢: ٢٥١ .

٣ـ الكافي ١: ٤٢٧ ، الحديث: ٧٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ـ التّوحيد: ٥٥ ، الباب: ٢ ، قطعة من حديث: ١٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

٥ـ ذيل الآية: ٩١ .

٦ـ التّوحيد: ١٦١ ، الباب: ١٧ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿وَالسَّمٰوٰاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قال: «يعني بقدرته وقوّته»[1].

قيل: هو تنبيه على عظمته وحقارة المخلوقات العظام الّتي تتحيّر فيها الأوهام، بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أنّ تخريب العالم أهون شيء عليه[2].

﴿سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يعني المرّة الأُولى ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾: خرّوا ميّتين ﴿إِلّا مَنْ شاءَ اللّٰهُ﴾.

روي: «هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت»[3].

وفي رواية: «هم الشّهداء متقلّدون أسيافهم حول العرش»[4].

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾: قائمون من قبورهم يقلّبون أبصارهم.

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها﴾. قال: «ربّ الأرض إمام الأرض. قيل: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذاً يستغني النّاس عن ضوء الشّمس ونور القمر، ويجتزؤون بنور الإمام»[5]. ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ﴾ للحساب ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ﴾ القمّي: الشّهداء: الأئمّة[6]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين العباد ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ماعَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمايَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً﴾: أفواجاً متفرّقة بعضها في أثر بعض، على تفاوت أقدامهم في الضّلالة والشّرارة. ﴿حَتّىٰ إِذا جاؤُوها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هٰذا قالُوا بَلىٰ

١ ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٧، ذيل الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ البيضاوي ٥: ٣٢.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٠٨؛ جامع البيان (للطبري) ٢٤: ٢٠؛ الكشّاف ٣: ١٦١؛ البيضاوي ٤: ١٢٢.

٤ ـ المصدر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٥٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ المصدر.

وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذابِ عَلَى الكافِرِينَ ﴾: كلمة اللّه بالعذاب، وهو الحكم عليهم بالشّقاوة، وأنّهم من أهل النّار.

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ ﴾. قد مرّ بيان أبواب جهنّم في سورة الحجر[١].

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ ﴾ إسراعاً بهم إلى دار الكرامة راكبين ﴿ زُمَراً ﴾: على تفاوت مراتبهم في الشّرف وعلوّ الطّبقة ﴿ حَتَّىٰ إِذا جاؤُوها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها ﴾ حذف جواب «إذا» للدّلالة على أنّ لهم حينئذ من الكرامة والتّعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأنّ أبواب الجنّة تُفْتَحُ لهم قبل مجيئهم منتظرين. ﴿ وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾: لا يَعْتَريكم بَعْدُ مكروهٌ ﴿ طِبْتُمْ ﴾: طهرتم من دنس المعاصي. والقمّي: أي طاب مواليدكم؛ لأنّه لا يدخل الجنّة إلّا طيّب المولد[٢]. ﴿ فَادْخُلُوها خالِدِينَ ﴾.

ورد: «أحسنوا الظّنّ باللّه، واعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبواب، عَرْضُ كلّ بابٍ منها مسيرة أربعمائة سنة»[٣].

﴿ وَقالُوا ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ ﴾ بالبعث والثّواب ﴿ وَأَوْرَثَنا الأَرْضَ ﴾ قال: «يعني أرضَ الجنّة»[٤]. ﴿ نَتَبَوَّءُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ ﴾ الجنّة.

﴿ وَتَرَى المَلائِكَةَ حافِّينَ ﴾: مُحدقينَ ﴿ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾: ذاكرين له بوصفَيْ جلاله وإكرامه تلذّذاً به. وفيه إشعار بأنّ منتهى درجات العلّيّين، وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحقّ سبحانه. ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِينَ ﴾ أي: على ما قضى بيننا بالحقّ؛ والقائلون هم المؤمنون.

١ ـ ذيل الآية: ٤٤.
٢ ـ القمّي ٢: ٢٥٤.
٣ ـ الخصال ٢: ٤٠٨، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «مسيرة أربعين سنة».
٤ ـ القمّي ٢: ٢٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة المؤمن[1]

[مكيّة، إلّا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيّتان، وآياتها خمس وثمانون آية][2]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾ سبق تأويل أمثاله[3]

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾.

﴿غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقابِ ذِي الطَّوْلِ﴾: ذي الفضل بترك العقاب المستحقّ ﴿لا إلٰهَ إلّا هُوَ﴾ فيجب الإقبال الكلّيّ على عبادته ﴿إلَيْهِ المَصِيرُ﴾ فيجازي المطيعَ والعاصي.

﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللّهِ﴾ بالطّعن فيها وإدحاض[4] الحقّ ﴿إلّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قال: «لُعِنَ المجادلون في دين اللّه على لسان سبعين نبيّاً، ومن جادل في آيات اللّه فقد كفر، ثمّ تلا هذه الآية»[5].

١ـ في «ب»: «سورة غافر».

٢ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ـ البقرة (٢): ١.

٤ـ دَحَضَت: بطلت. الصّحاح ٣: ١٠٧٦ (دحض).

٥ـ كمال الدّين ١: ٢٥٦، الباب: ٢٤، الحديث: ١، عن رسول اللّه ﷺ.

﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ بالتّجارات المربحة، فإنّهم مأخوذون عن قريب بكفرهم أخْذَ مَنْ قبْلَهُمْ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: والّذين تحزّبوا على الرّسل، وناصبوهم بعد قوم نوح كعادٍ وثمود. ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هؤلاء ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: ليتمكّنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب. ﴿وَجادَلُوا بِالْباطِلِ﴾: بما لا حقيقة له ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: ليزيلوا به ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالإهلاك جزاء لهمّهم ﴿فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾ فإنّكم تتلون قصصهم في القرآن.

﴿وَكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ﴾ قال: «يعني بني أُميّة»[1].

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: «آمنوا بولايتنا»[2].

و ورد: «إنّ للّه ملائكة يُسْقِطون الذّنوب عن ظهور شيعتنا، كما يُسْقِطُ الرّيحُ الورقَ في أوان سقوطه، وذلك قوله تعالى: "الّذين يحملون العرش" الآية. قال: استغفارهم واللّه لكم دون هذا الخلق»[3].

﴿رَبَّنا﴾: يقولون ربّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ليتمّ سرورهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الّذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿الْحَكِيمُ﴾:

١ ـ القمّي ٢: ٢٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٦٢، الباب: ٢٦، الحديث: ٢٢، عن الرّضا، عن آبائه، عن رسول اللّه صلوات اللّه عليهم.

٣ ـ الكافي ٨: ٣٤، قطعة من حديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفيه: ٣٠٤، الحديث: ٤٧٠، عنه عليه السلام، مع تفاوت في ذيل الحديث.

الّذي لا يفعل إلّا ما تقتضيه حكمته، ومن ذلك الوفاء بالوعد.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ﴾: العقوبات ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللّهِ﴾ إيّاكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الأمّارة بالسّوء ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾. قال: «ذلك في الرّجعة»[1].

أقول: لعلّ المراد أنّ التّثنية إنّما تتحقّق بالرّجعة، أو يقولون ذلك في الرّجعة، بحسب الإماتة والإحياء اللّتين في القبر للسّؤال.

﴿فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾: فهل إلى نوعِ خروجٍ من العذاب طريقٌ فنسلكه؟.

﴿ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللّهُ وَحْدَهُ﴾ قال: «يقول: إذا ذكر اللّه وحده بولاية من أمر اللّه بولايته»[2]. ﴿كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ قال: «من ليست له ولاية»[3]. ﴿تُؤْمِنُوا﴾ قال: «بأنّ له ولاية»[4]. ﴿فَالْحُكْمُ لِلّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَما يَتَذَكَّرُ إِلّا مَنْ يُنِيبُ﴾: يرجع من الإنكار بالإقبال عليها والتّفكّر فيها.

﴿فَادْعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشّرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ إخلاصكم وشقّ عليهم.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ القمّي: روح القدس، وهو خاصّ برسول اللّه والأئمة عليهم السلام[5]. ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ قال:

١ و٢ و٣ و٤ ـ القمّي ٢: ٢٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٥٦.

«يوم يلتقي أهل السّماء وأهل الأرض»[١].

﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ﴾: خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء ﴿لا يَخْفى عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم. ﴿لِمَنِ المُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الواحِدِ القَهّارِ﴾. حكاية لما يسأل عنه ولما يجاب به، بما دلّ عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط، وأمّا حقيقة الحال فناطقة بذلك دائماً.

﴿الْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾.

قال: «يقول اللّه: "لمن الملك اليوم" ثمّ تَنْطِقُ أرواحُ أنبيائه ورسله وحججه فيقولون: "للّه الواحد القهّار" فيقول اللّه جلّ جلاله: "اليوم تجزى"»[٢].

وفي رواية أُخرى: «فيردّ اللّه على نفسه، "للّه الواحد القهّار"»[٣].

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ أي: القيامة؛ سمّيت بها لأزوفها، أي: قربها. ﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ﴾ فإنّها ترتفع عن أماكنها فتلتصق بحلوقهم، فلا تعود فتتروّحوا، ولا تخرج فتستريحوا. ﴿كاظِمِينَ﴾ على الغمّ ﴿ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريب مشفق ﴿وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾: يشفع.

ورد: «من لم يَنْدَمْ على ذنب يرتكبه، فليس بمؤمن، ولم تجب له الشّفاعة، وكان ظالماً، واللّه تعالى يقول: "ما للظّالمين من حميم" الآية»[٤].

﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾: استراق النّظر. سئل عن معناها، فقال: «ألم تر إلى الرّجل ينظر إلى الشّيء وكأنّه لا ينظر إليه، فذلك خائنة الأعين»[٥]. ﴿وَما تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ من

١ ـ معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ٢٣٤، الباب: ٣٢، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي الحسن الرّضا، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ التّوحيد: ٤٠٨، الباب: ٦٣، الحديث: ٦، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٥ ـ معاني الأخبار: ١٤٧، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الضّمائر.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾. تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحقّ، ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون، وتعريض بحال ما يدعون من دونه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾: أرض القرآن ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ﴾ مثل القِلاع والمدائن الحصينة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ﴾.

﴿ذٰلِكَ﴾ الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ بِآياتِنا﴾: بالمعجزات ﴿وَسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾: وحجّة قاهرة ظاهرة.

﴿إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَقارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذّابٌ﴾.

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ﴾ أي: أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أوّلاً، كي يصدّوا عن مظاهرة موسى. ﴿وَما كَيْدُ الكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ﴾: في ضياع.

﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ قاله تجلّداً وعدم مبالاة بدعائه.

قيل: كانوا يكفّونه عن قتله ويقولون: إنّه ليس الّذي تخافه بل هو ساحر، ولو قتلته ظنّ أنّك عجزت عن معارضته بالحجّة. وتعلّله بذلك ـ مع كونه سفّاكاً في أهون شيء ـ دليل على أنّه تيقّن أنّه نبيّ؛ فخاف من قتله؛ أو ظنّ أنّه لو حاوله لم يتيسّر له[1].

سئل: ما كان يمنعه؟ قال: «منعته رشدته، ولا يَقْتُلُ الأنبياءَ ولا أولادَ الأنبياء إلّا أولاد الزّنا[2]».

١ ـ البيضاوي ٥: ٣٧.

٢ ـ علل الشّرائع ١: ٥٨، الباب: ٥٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللهؑ.

﴿إِنِّي أَخافُ﴾ إن لم أقتله ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ﴾ ما يفسد دنياكم من التّحارب والتّهارج.

﴿وَقالَ مُوسىٰ﴾ أي: لقومه لمّا سمعَ كلامَه ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ﴾.

﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: من أقربائه، واسمه «حزقيل». كما ورد[1]. قال: «ابن خاله»[2]. وفي رواية: «ابن عمّه»[3]. ولاتنافي بينهما. ﴿يَكْتُمُ إِيمانَهُ﴾ القمّي: كتم إيمانه ستّمائة سنة[4]. ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ﴾: لأن يقول. ﴿رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أضافه إليهم بعد ذكر البيّنات، احتجاجاً عليهم واستدراجاً لهم إلى الاعتراف به، ثمّ أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط. ﴿وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: لا يتخطّاه وَبالُ كِذْبِه، فيحتاج في دفعه إلى قتله. ﴿وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾: فلا أقلّ من أن يصيبكم بعضه. وفيه مبالغةٌ في التّحذير، وإظهارٌ للإنصاف وعدم التّعصّب، ولذلك قدّم كونه كاذباً.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ﴾. قيل: احتجاج ثالث ذو وجهين: أحدهما: أنّه لو كان مسرفاً كذّاباً لما هداه اللّه إلى البيّنات، ولما عضده بتلك المعجزات. وثانيهما: أنّ من خذله اللّه وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله. ولعلّه أراد به المعنى الأوّل، وخيّل إليهم الثّاني لتلين شكيمتهم، وعرّض به فرعون بأنّه مسرف كذّاب[5].

﴿يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ﴾: غالبين عالين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر

١ ـ الأمالي (للصّدوق) ٣٨٥، المجلس: ٧٢، الحديث: ١٨، عن رسول اللّه ﷺ؛ الاحتجاج ٢: ١٣١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٠، الباب: ٢٣، الحديث: ١، وفيه: «ابن خال فرعون».

٣ ـ الاحتجاج ٢: ١٣١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٥٧.

٥ ـ البيضاوي ٥: ٣٨.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللّهِ إِنْ جاءَنا﴾ أي: فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرّضوا لبأس اللّه بقتله، فإنّه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد؛ وإنّما أدرج نفسه فيه ليريهم أنّه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم. ﴿قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ﴾: ما أشير إليكم ﴿إِلّا ما أَرىٰ﴾ واستصوبه من قتله ﴿وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ﴾ في تكذيبه والتعرّض له ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ﴾: مثل أيّام الأُمم الماضية المتحزّبة على الرّسل، يعني وقائعهم. وجمع «الأحزاب» مع التفسير أغنى عن جمع «اليوم».

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ﴾: مثل سنّة اللّه فيهم حين استأصله؛ جزاء بما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرّسل. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كقوم لوط ﴿وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾ يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلي الظّالم منهم بغير انتقام.

﴿وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ﴾ قال: «يوم ينادي أهل النّار أهل الجنّة: أفيضوا علينا من الماء، أو ممّا رزقكم اللّه»[١].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل موسى ﴿بِالْبَيِّناتِ﴾: بالمعجزات ﴿فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ بِهِ﴾ من الدّين. ﴿حَتّىٰ إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾

﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ﴾: بغير حجّة ﴿أَتاهُمْ﴾ بل إمّا بتقليد أو شبهة داحضة[٢] ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾.

١ ـ معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ دَحَضَ الحجّةُ: بَطَلَتْ. القاموس المحيط ٢: ٣٤٣ (دحض).

﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾: بناءً مكشوفاً عالياً؛ مِن صَرَحَ الشّيء: إذا ظَهَرَ. ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ﴾: الطّرق.

﴿أَسْبابَ السَّمٰواتِ فَأَطَّلِعَ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً﴾ في دعوى الرّسالة. ﴿وَكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلّا فِي تَبابٍ﴾: في خسار.

﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾.

﴿يا قَوْمِ إِنَّما هٰذِهِ الحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ﴾: تمتّع يسير لسرعة زوالها ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ﴾ لخلودها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزىٰ إِلّا مِثْلَها﴾ عدلاً من الله ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾: بغير تقدير وموازنة بالعمل، بل أضعافاً مضاعفة؛ فضلاً من الله ورحمة.

﴿وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النّارِ﴾.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللّٰهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ﴾: بربوبيّته ﴿عِلْمٌ﴾ والمراد نفي المعلوم، والإشعار بأنّ الأُلوهيّة، لابدّ لها من برهان؛ واعتقادها لا يصحّ إلّا عن إيقان.

﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى العَزِيزِ الغَفّارِ﴾ المستجمع لصفات الأُلوهيّة من كمال القدرة والغلبة والتّمكّن من المجازاة، والقدرة على التّعذيب، والغفران.

﴿لا جَرَمَ﴾ «لا» ردّ لما دعوه إليه، و«جرم» بمعنى حقّ. ﴿أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾. قيل: أي: حقٌّ عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها، أو عدم دعوة مستجابة لها[1]. ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللّٰهِ﴾ بالموت ﴿وَأَنَّ المُسْرِفِينَ﴾ في الضّلال والطّغيان. ﴿هُمْ أَصْحابُ النّارِ﴾.

١ـ البيضاوي ٥: ٤٠.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿ما أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النّصيحة ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ﴾ ليعصمني من كلّ سوء ﴿إِنَّ اللّٰهَ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾.

﴿فَوَقاهُ اللّٰهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا﴾: شدائد مكرهم ﴿وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ﴾.

قال: «التَقيّة تُرس اللّٰه في الأرض، لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لَقُتِلَ»[١].

ورد: ما ملخّصه: «إنّه لمّا وشوا[٢] به إلى فرعون: أنّه خالفك، وجيء به إليه، ورّى فَوُقِيَ من القتل، فجعل في ساق كلّ واحد من الواشين وَتَدٌ وفي صدره وتدٌ، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال اللّٰه: "فوقاه اللّٰه" إلى قوله: "سوء العذاب"»[٣].

وفي رواية: «واللّٰه لقد قطعوه إرباً إرباً، ولكن وقاه اللّٰه أن يفتنوه في دينه»[٤].

﴿النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾. قال: «ذلك في الدّنيا قبل يوم القيامة، لأنّ في نار القيامة لا يكون غدوّ وعشيّ، ثمّ قال: إن كانوا إنّما يعذّبون في النّار غدوّاً وعشيّاً، ففيما بين ذلك هم من السُّعداء؛ ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع إلى قوله تعالى: "ويوم تقوم السّاعة ادخلوا" الآية»[٥].

و ورد: «إنّ أرواح الكفّار في نار جهنّم يعرضون عليها، يقولون: ربّنا لا تُقِمْ لنا السّاعة، ولا تُنْجِزْ لنا ما وعدتنا، ولا تُلْحِقْ آخرنا بأوّلنا»[٦]. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ﴾.

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.
٢ـ وَشىٰ به وَشْياً ووِشايةً: إذا نمّ عليه وسَعىٰ به. لسان العرب ١٥: ٣١٣ (وشي).
٣ـ الاحتجاج ٢: ١٣١ـ١٣٢، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ٢٥٨، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢٦، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.
٦ـ الكافي ٣: ٢٤٥، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

﴿وَإِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّا كُنّا لَكُمْ تَبعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا نَصِيباً مِنَ النّارِ﴾ بالدّفع أو الحمل.

قال: «الاستكبار هو ترك الطّاعة لمَن أُمروا بطاعته، والتّرفّع على من ندبوا إلى متابعته»[1].

﴿قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّا كُلٌّ فِيها﴾ فكيف نغني عنكم، ﴿إِنَّ اللّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ﴾ ولا معقّب لحكمه.

﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِنَ العَذابِ﴾.

﴿قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّناتِ قالُوا بَلىٰ قالُوا فَادْعُوا﴾ فإنّا لا نجترئ فيه؛ إذ لم يؤذن لنا في الدّعاء لأمثالكم، وفيه إقناط لهم عن الإجابة. ﴿وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ﴾: في ضياع لا يجاب.

﴿إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ﴾. قال: «ذلك واللّه في الرّجعة، أما علمت أنّ أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدّنيا وقتلوا، وأئمّة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا، وذلك في الرّجعة»[2].

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ لبطلانها ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الهُدىٰ﴾: ما يهتدي به في الدّين من المعجزات والصّحف والشّرائع ﴿وَأَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الكِتابَ﴾: التّوراة.

﴿هُدىً وَذِكْرىٰ لِأُولِي الأَلْبابِ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذى المشركين ﴿إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾ بالنّصر ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: لترك الأولى والاهتمام بأمر العدا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكارِ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلّا كِبْرٌ﴾:

١ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١، عن أبي الحسن الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٢٥٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

عظمة وتكبّر عن الحقّ ﴿ما هُمْ بِبالِغِيهِ﴾ أي: ما هم ببالغي تلك العظمة ، لأنّ اللّه مذلّهم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ .

﴿لَخَلْقُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ﴾ فمن قَدَرَ على خلقها أوّلاً من غير أصل ، قَدَرَ على خلق النّاس ثانياً من أصل ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لأنّهم لا ينظرون ولا يتأمّلون ؛ لفرط غفلتهم واتّباعهم أهواءهم .

﴿وَما يَسْتَوِي الأَعْمىٰ وَالبَصِيرُ﴾ : الجاهل والمستبصر ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَلا المُسِيءُ﴾ : والمحسن والمسيء ، فما بعد البَعْث يظهر التّفاوت ﴿قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ﴾ .

﴿إِنَّ السّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لقصور نظرهم على ظاهر المحسوس .

﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ : صاغرين . قال: «هو الدّعاء ، وأفضل العبادة الدّعاء»[1] .

﴿اللّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ : لتستريحوا فيه ، بأن خلقه بارداً مظلماً ، ليؤدّي إلى ضعف المحرّكات وهدوء الحواسّ . ﴿وَالنَّهارَ مُبْصِراً﴾ : يبصر فيه أو به ؛ وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة . ﴿إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ﴾ : فضل لا يوازيه فضل . ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ لجهلهم بالمُنْعِم ، وإغفالهم مواقع النِّعم .

﴿ذٰلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ : تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره .

﴿كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ .

﴿اللّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ بأن

١ ـ الكافي ٢: ٤٦٦ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

خلقكم منتصب القامة ، بادي البشرة ، متناسب الأعضاء والتـخطيطات ، مـتهيّأً لمُـزاوَلَـة الصّنايع واكتساب الكمالات . ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾: اللّذائـذ ﴿ذٰلِكُـمُ اللّـهُ رَبُّكُـمْ فَتَبارَكَ اللّهُ رَبُّ العالَمِـينَ﴾ فإنّ كلّ ما سواه مربوب مفتقر معرض للزّوال .

﴿هُوَ الحَيُّ﴾: المتفرّد بالحياة الذّاتيّة ﴿لا إلٰـهَ إلّا هُوَ﴾: لا أحد يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِـينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشّرك والرّيـاء ﴿الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾: قائلين له .

ورد: «إذا قال أحدكم: "لا إله إلّا اللّه" فليقل: "الحمد للّه ربّ العالمين" فإنّ اللّه تعالى يقول: "هو الحيّ" الآية»[1] .

﴿قُلْ إنِّي نُهِـيتُ أنْ أعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَمّا جاءَنِيَ البَيِّناتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِـينَ﴾: أن أنقادَ له ، وأُخلِصَ له ديني .

﴿هُـوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا﴾: ثمّ يبقيكم لتبلغوا ﴿أشُـدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّىٰ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل الشّيخوخة أو بلوغ الأشدّ .

﴿وَلِتَبْلُغُوا أجَلاً مُسَمّىً﴾: ويفعل ذلك لتبلغوا وقت الموت ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في ذلك من الحجج والعِبَر .

﴿هُـوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِـيتُ فَإذا قَضىٰ أمْراً فَإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ بلا صوت ولا حرف ﴿فَيَكُونُ﴾ .

﴿ألَمْ تَـرَ إلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّهِ أنّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ عن التّصديق بها .

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتابِ وَبِما أرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿إذِ الأغْلالُ فِي أعْناقِـهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ بها .

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٠ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .

﴿فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يحرقون.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ماكُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنّا﴾: فلم نجد ماكنّا نتوقّع منهم ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾: بل تبيّن لنا أنّا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم. ﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّهُ الكافِرِينَ﴾ حتّى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الآخرة.

ورد: «فأمّا النّصّاب من أهل القبلة فإنّهم يَخُدُّ لهم خدٌّ إلى النّار الّتي خلقها اللّه في المشرق، فيدخل عليهم منها اللّهب والشّرر والدّخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثمّ مصيرهم إلى الحميم. "ثمّ في النّار يسجرون، ثمّ قيل لهم أين ماكنتم تشركون من دون اللّه"؟! أي: أين إمامكم الّذي اتّخذتموه دون الإمام الّذي جعله اللّه للنّاس إماماً؟»[١].

وقال: «وقد سمّاهم اللّه كافرين مشركين بأن كذّبوا بالكتاب وقد أرسل اللّه عزّوجلّ رسله بالكتاب وبتأويله، فمن كذّب بالكتاب، أو كذّب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب، فهو مشرك كافر»[٢].

﴿ذٰلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ﴾: تبطرون وتتكبّرون ﴿بِغَيْرِ الحَقِّ﴾: بالشّرك والطّغيان ﴿وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسّعون في الفرح.

﴿أُدْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ﴾ المقسومة لكم ﴿خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحقّ جهنّم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾ بهلاك الكفّار وتعذيبهم. ﴿فَإِمّا نُرِيَنَّكَ﴾: فإن نُرِكَ، و«ما» مزيدة لتاكيد الشّرطيّة، ولذلك لحقت النّون الفعل. ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ وهو القتل والأسر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن تراه ﴿فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ فنجازيهم بأعمالهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ

١ـ الكافي ٣: ٢٤٧، ذيل الحديث: ١؛ القمّي ٢: ٢٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٢٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

عَلَيْكَ﴾ . ورد: «إنّ عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»[١] . ﴿وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾: ليس له أن يستبدّ بإتيان المقترح[٢] بها . ﴿فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ بالعذاب ﴿قُضِيَ بِالحَقِّ﴾: بإنجاء المحقّ وتعذيب المبطل ﴿وَخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُونَ﴾: المعاندون ، باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها .

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾ فإنّ منها ما يؤكل كالغنم ، ومنها ما يؤكل ويركب كالإبل والبقر .

﴿وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ﴾ كالألبان والجلود والأوبار ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ بالمسافرة عليها ﴿وَعَلَيْها﴾ في البرّ ﴿وَعَلَى الفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ .

﴿وَيُرِيكُمْ آياتِهِ﴾ الدالّة على كمال قدرته وفرط رحمته ﴿فَأَيَّ آياتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ فإنّها لظهورها لاتقبل الإنكار .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ فَما أَغْنَى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ . «ما» الأُولى يحتمل النّافية والاستفهاميّة ، والثانية الموصولة والمصدريّة[٣] .

﴿فَلَمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ واستحقروا علم الرّسل ﴿وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ .

﴿فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا﴾: شدّة عذابنا ﴿قالُوا آمَنّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ

١ ـ الخصال ٢: ٦٤٢ ، الحديث: ١٨ ، عن الرّضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين ، عن النّبيّ صلوات الله عليهم ؛ والحديث: ١٩ ، عن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين ، عن النّبيّ صلوات الله عليهم ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٣٣ .

٢ ـ اقترحته: ابتدعته من غير سبق مثال . المصباح المنير ٢: ١٧٦ (قرح) .

٣ ـ فالمعنى على الأوّل: لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئاً من عذاب الله تعالى . وعلى الثاني: فأيّ شيء أغنى عنهم كسبهم . فيكون موضع «ما» الأُولى نصباً ، وموضع «ما» الثانية رفعاً . التّبيان ٩: ١٠١ ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٣٥ .

مُشْرِكِينَ﴾ يعنون الأصنام.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّةَ اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ﴾ أي: في وقت رؤيتهم البأس، استعير اسم المكان للزّمان.

سئل: لأيّ علّة غرّق اللّه تعالى فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: «لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم اللّه تعالى ذكره في السّلف والخلف. قال اللّه عزّ وجلّ: "فلمّا رأوا بأسنا" الآيتين»[1].



١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٧، الباب: ٣٢، الحديث: ٧.

سورة السجدة[1]

[مكيّة ، وهي أربع وخمسون آية][2]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾ .

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ .

﴿كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ﴾: بيّن حلالها وحرامها ، وأحكامها وسننها ، ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن تدبّره وقبوله ﴿فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تأمّل وطاعة .

﴿وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ﴾: في أغطية ﴿مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ﴾: صَمَمٌ ﴿وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ﴾ يمنعنا عن التّفهّم منك ، والتّواصل . تمثيلات لنُبُوّ[3] قلوبهم عن الموافقة ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنا عامِلُونَ﴾ على ديننا .

﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾: لَسْتُ مَلَكاً ولا جنّيّاً لا

١ ـ في «ب»: «سورة فصّلت» .

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٣ ـ نَبا الشيء: تجافى وتباعد. الصّحاح ٦: ٢٥٠٠ (نبا).

يمكنكم التلقّي منه ، ولا أدعوكم إلى ما تَنْبُو عنه العقول والأسماع ؛ وإنّما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل ﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾ في أفعالكم ، متوجّهين ﴿إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ ممّا أنتم عليه ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ .

﴿الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ . قال: «أترى أنّ الله عزّوجلّ طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به ، حيث يقول: "وويل للمشركين" الآية؟ قيل: ففسّره لي . فقال: ويل للمشركين الّذين أشركوا بالإمام الأوّل ، وهم بالائمّة الآخرين كافرون . إنّما دعا الله العباد إلى الإيمان به ، فإذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرائض»[1] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع ؛ أولا يَمُنُّ به عليهم .

﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ القمّي: أي وقتين: ابتداء الخلق وانقضائه[2] .

أقول: وفي هذا سرّ لايدركه إلّا من له صفاء ذهن ونقاء سريرة .

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾: وأكثر خيرها . القمّي: أي: لا تزول وتبقى[3] . ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً﴾ .

القمّي: يعني في أربعة أوقات ، وهي الّتي يُخْرِجُ الله عزّوجلّ فيها أقوات العالَم ، من النّاس والبهائم والطّير وحشرات الأرض ، وما في البرّ والبحر من الخلق ، من الثّمار والنّبات والشّجر ، وما يكون فيه معاش الحيوان كلّه ؛ وهو الرّبيع والصّيف والخريف والشّتاء . ففي الشّتاء يرسل الله الرّياح والأمطار والأنداء[4] والطّلول من السّماء ، فتلقح الأرض والشّجر ،

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ و ٣ ـ المصدر .

٤ ـ جمع النَّدَى: المطر والبلل وما يسقط آخر اللّيل . مجمع البحرين ١: ٤١٢ (ندا) .

وهو وقت بارد، ثمّ يجيء بعده الرّبيع، وهو وقت معتدل، حارّ وبارد، فيخرج من الشّجر ثماره، ومن الأرض نباتها، فيكون أخضر ضعيفاً. ثمّ يجيء وقت الصّيف، وهو حارّ، فينضج الثّمار ويصلبّ الحبوب الّتي هي أقوات العالم وجميع الحيوان. ثمّ يجيء من بعده وقت الخريف، فيطيّبه ويبرّده. ولو كان الوقت كلّه شيئاً واحداً لم يخرج النّبات من الأرض. لأنّه لو كان الوقت كلّه ربيعاً، لم ينضج الثّمار ولم يبلغ الحبوب. ولو كان الوقت كلّه صيفاً، لاحترق كلّ شيء في الأرض، ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت. ولو كان الوقت كلّه خريفاً ولم يتقدّمه شيء من هذه الأوقات، لم يكن شيء يتقوّت به العالَم. فجعل اللّه هذه الأقوات في أربعة أوقات: في الشّتاء والرّبيع والصّيف والخريف، وقام به العالم واستوى وبقي، وسمّى اللّه هذه الأوقات أيّاماً[1].

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ القمّي: يعني المحتاجين؛ لأنّ كلّ محتاج سائلٌ، وفي العالم من خَلْقِ اللّه مَنْ لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثيرٌ، فهم سائلون وإن لم يسألوا[2].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: قصد نحو خلقها وتدبيرها، و«ثمّ» لتفاوت ما بين الخلقين لا للتّراخي في المدّة؛ إذ لا مدّة قبل خلق السّماء. ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: أمرٌ ظلمانيّ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾: شئتما ذلك أو أبيتما ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾: منقادين بالذّات. تمثيل لتأثير قدرته فيهما وتأثّرهما بالذّات عنها بأمر المطاع، وإجابة المطيع الطّائع، كقوله: "كُنْ فَيَكُونُ"[3]؛ أو هو نوع من الكلام باطناً من دون حرف ولا صوت.

سئل: عمّن كلّمَ اللّه لا من الجنّ ولا من الإنس؟، فقال: «السّماوات والأرض في قوله:

١ـ القمّي ٢: ٢٦٢.

٢ـ المصدر: ٢٦٣.

٣ـ البقرة (٢): ١١٧؛ آل عمران (٣): ٤٧ و ٥٩؛ الأنعام (٦): ٧٣؛ النّحل (١٦): ٤٠؛ مريم (١٩): ٣٥؛ يس (٣٦): ٨٢؛ المؤمن (٤٠): ٦٨.

"ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين"»[١].

﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمٰواتٍ﴾: فخلقهنّ خلقاً إبداعيّاً ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ القمّي: في وقتين: إبداءاً وانقضاءً[٢]. ﴿وَأَوْحىٰ فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها﴾: شأنها وما يتأتّى منها، بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً. القمّي: هذا وحي تقدير وتدبير[٣]. ﴿وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ﴾: بالنّجوم ﴿وَحِفْظاً﴾ من الشّيطان المسترق وسائر الآفات.

ورد: «النّجوم أمان لأهل السّماء، فإذا ذهبت النّجوم ذهب أهل السّماء. وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٤].

﴿ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: البالغ في القدرة والعلم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان. القمّي: وهم قريش، وهو معطوف على قوله: "فأعرضَ أكثرهم فهم لا يسمعون"[٥] ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ﴾.

﴿إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: مَنْ تقدّمهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: مَن أُرسِلَ إليهم[٦]؛ أو من جميع جوانبهم، واجتهدوا بهم من كلّ جهة؛ أو بالإنذار بما جرى على الكفّار في الدّنيا، وبالتّحذير عمّا أعدّ لهم في الآخرة. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللّٰهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا﴾ إرسالَ الرّسل ﴿لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾.

﴿فَأَمّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً﴾: اغترّوا

١ـ القمّي ٢: ٢٦٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ و ٣ـ القمّي ٢: ٢٦٣.
٤ـ كمال الدّين ١: ٢٠٥، الباب: ٢١، الحديث: ١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٥ـ القمّي ٢: ٢٦٣.
٦ـ أي: الرُّسُل الذين جاؤوا آباءهم والرّسل الّذين جاؤوهم في أنفسهم، لأنّهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرّسل، فيكون الهاء والميم في «من خلفهم» للرّسل. مجمع البيان ٩ـ١٠: ٧.

بقوّتهم. قيل: كان من قوّتهم أنّ الرّجل منهم ينزع الصّخرة فيَقْلَعُها بيده[١]. ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: قدرة ﴿وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾: يعرفون أنّها حقّ وينكرونها.

﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾. قال: «الصّرصر: البارد»[٢]. ﴿فِي أَيّامٍ نَحِساتٍ﴾ قال: «مياشيم»[٣]. ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزىٰ وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَأَمّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾ قال: «عرّفناهم»[٤] وجوب الطّاعات وتحريم المعاصي. ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمىٰ عَلَى الْهُدىٰ﴾ قال: «وهم يعرفون»[٥]. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: «يحبس أوّلهم على آخرهم»[٦].

﴿حَتّىٰ إِذا ما جاؤُها﴾: إذا حضروها. و«ما» مزيدة لتأكيد اتّصال الشّهادة بالحضور. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بإنطاق اللّه إيّاها.

﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

القمّي: نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون: ما عملنا شيئاً منها. فتشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا عليهم أعمالهم. قال الصّادق عليه السلام: «فيقولون للّه: يا ربّ

١ ـ البيضاوي ٥: ٤٦.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ و ٥ ـ التّوحيد: ٤١١، الباب: ٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ١٢٩، ذيل الآية: ١٧ من سورة النّمل، عن أبي جعفر عليه السلام.

هؤلاء ملائكتك يشهدون لك . ثمّ يحلفون باللّه ما فعلوا من ذلك شيئاً . وهو قول اللّه عزّوجلّ: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَميعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ"[١] . وهم الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام . فعند ذلك يختم اللّه على ألسنتهم وينطق جوارحهم . فيشهد السّمع بما سَمِعَ ما حرّم اللّه ، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم اللّه ، وتشهد اليدان بما أخذتا ، وتشهد الرِّجْلان بما سَعَتا في ما حرّم اللّه ، ويشهد الفرج بما ارتكب ممّا حرّم اللّه . ثمّ أنطق اللّه ألسنتهم ، فيقولون هم لجلودهم: "لِمَ شِهدتُم علينا"؟»[٢] .

﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ قال: «أي: من اللّه»[٣] . ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ . قال: «يعني بالجلود الفروج والأفخاذ»[٤] . ﴿وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمّا تَعْمَلُونَ﴾ فلذلك اجترأتم على ما فعلتم .

﴿وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ إذ صار ما منحوا للاستعداد به في الدّارين سبباً لشقاء النّشأتين .

ورد: «ليس من عبد يظنّ باللّه عزّوجلّ خيراً إلّا كان عند ظنّه به ؛ وذلك قوله عزّوجلّ: "وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرديكم فأصبحتم من الخاسرين"»[٥] .

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسألوا العتبى ؛ وهي الرّجوع إلى ما يحبّون ﴿فَما هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ﴾ أي: لايجابوا إلى ذلك .

﴿وَقَيَّضْنا﴾: وقدّرنا ﴿لَهُمْ قُرَناءَ﴾ من شياطين الجنّ والإنس ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدّنيا واتّباع الشّهوات ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة وإنكاره ﴿وَحَقَّ

١ ـ المجادلة (٥٨): ١٨ .

٢ ـ القمّي ٢: ٢٦٤ .

٣ ـ المصدر ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ الكافي ٢: ٣٦ ، ذيل الحديث الطويل: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٢٦٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ أي: كلمة العذاب ﴿ فِي أُمَمٍ ﴾: في جملة أمم ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ ﴾ .

﴿ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾: وعارضوه بالخرافات . القمّي: وصيّروه سخريّة ولغواً[1] . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾: تغلبونه على قراءته .

﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: سيّئات أعمالهم .

﴿ ذٰلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللّهِ النّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ ﴾ .

﴿ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلّانا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾: شيطاني النّوعين الحاملين على الضّلالة والعصيان .

قال: «يعنون إبليس الأبالسة وقابيل بن آدم، أوّل من أبدع المعصية»[2] . وفي رواية قال: «هما، ثمّ قال: وكان فلان شيطاناً»[3] .

أقول: لعلّ ذلك «لأنّ ولد الزّنا يخلق من مائي الزّاني والشّيطان معاً» . كما ورد[4] .

وفي أُخرى: «من الجنّ: إبليس الّذي ردّ عليه قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله في دار النّدوة، وأضلّ النّاس بالمعاصي، وجاء بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أبي بكر فبايعه، ومن الإنس: فلان»[5] .

﴿ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا ﴾: نَدُسُّهما انتقاماً منهما ﴿ لِيَكُونا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ ذُلّاً ومكاناً .

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٥ .
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٣ ـ الكافي ٨: ٣٣٤، الحديث: ٥٢٣، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٩، الحديث: ١٠٤، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وص ٣٠٠، الحديث: ١٠٨، عن أحدهما عليهما السلام .
٥ ـ القمّي ٢: ٢٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ اعترافاً بربوبيّته، وإقراراً بوحدانيّته ﴿ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾ على مقتضاه. قال: «على الأئمّة واحداً بعد واحد»[١]. وفي رواية: «هي واللّه ما أنتم عليه»[٢].

وفي نهج البلاغة: «وإنّي متكلّم بِعِدَةِ اللّه وحجّته، قال اللّه تعالى: "إنّ الّذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا" الآية، وقد قلتم: "ربّنا اللّه". فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطّريقة الصّالحة من عبادته، ثمّ لا تمرقوا منها، ولا تَبْتَدِعُوا فيها، ولا تخالفوا عنها. فإنّ أهل المُروق منقطع بهم عند اللّه يوم القيامة»[٣].

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ قال: «عند الموت»[٤]. ﴿أَلَّا تَخافُوا﴾ ما تقدمون عليه ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

قال: «فما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها، وما تخلفونه من الذّراريّ والعيال، فهذا الّذي شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم؛ وذلك حين أراهم مَلَكُ الموت درجاتِ الجنان وقصورَها، والنّبيّ والوصيّ والطّيّبين من آلهما في أعلى علّيّين، عند الموت». كذا ورد[٥].

﴿نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ قال: «أي: نحرسكم في الدّنيا»[٦]. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: «عند الموت»[٧]. ﴿وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ﴾: ما تتمنّون؛ من الدّعاء، بمعنى الطّلب.

﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾. قيل له: بَلَغَنا أنّ الملائكة تتنزّل عليكم، قال: «أي واللّه

١ـ الكافي ١: ٢٢٠، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ نهج البلاغة: ٢٥٣، الخطبة: ١٧٦.
٤ـ القمّي ٢: ٢٦٥؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٥٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٩، الحديث: ١١٧، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.
٦ و٧ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

لتنزل علينا ، فَتَطَأُ فُرُشَنا ؛ أما تقرأ كتابَ اللّه تعالى: "إنّ الّذين قالوا ربّنا اللّه" الآية»[1] .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللّٰهِ﴾: إلى عبادته ﴿وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ . ورد: «إنّها في عليّ عليه السلام»[2] .

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ في الجزاء وحسن العاقبة. و«لا» الثانية مزيدة لتاكيد النّفي . ﴿اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: ادفع السّيّئة حيث اعترضتْك بالّتي هي أحسن منها ، وهي الحسنة ؛ على أنّ المرادَ بالأحسن: الزّائدُ مطلقاً ، أو بأحسن ما يمكن دَفْعُها به من الحسنات . القمّي: أدفع سيّئة من أساء إليك بحسنتك[3] .

و ورد: «الحسنة: التّقيّة ، والسّيّئة: الإذاعة»[4] .

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: إذا فعلت ذلك ، صار عدوّك المشاقّ ، مثل الوليّ الشّفيق .

﴿وَما يُلَقّاها﴾: وما يلقّى هذه السّجيّة ، وهي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ فإنّها تحبس النّفس عن الانتقام . قال: «إلّا الّذين صبروا في الدّنيا على الأذى»[5] .

﴿وَما يُلَقّاها إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ يعني من الخير وكمال النّفس .

﴿وَإِمّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ﴾: نَخس[6] ؛ شبّه به وسوسته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ﴾ من شرّه ولا تُطِعْه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتك .

القمّي: المخاطبة لرسول اللّه صلى الله عليه وآله ، والمعنيّ للنّاس[7] .

١ ـ بصائر الدّرجات: ٩١ ، الباب: ١٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ العيّاشي ١: ٢٧٩ ، الحديث: ٢٨٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، بالمضمون .

٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٦ .

٤ ـ الكافي ٢: ٢١٧ ـ ٢١٨ ، الحديث: ١ و ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ نَخَسْتُ الدّابّةَ نَخْساً: طَعَنْتُهُ بعُودٍ أو غيره فَهاجَ . المصباح المنير ٢: ٣٠٠ (نخس) .

٧ ـ القمّي ٢: ٢٦٦ .

﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ لأنّهما مخلوقان مأموران مثلكم ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الامتثال ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾: لا يملّون.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً﴾: يابسة متطامنة؛ مستعار من الخشوع بمعنى التذلّل. ﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: انتفخت بالنّبات ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتىٰ إِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آياتِنا﴾ بالطّعن والتّحريف والتّأويل بالباطل والإلغاء فيها ﴿لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا﴾ فنجازيهم على إلحادهم. ﴿أَفَمَنْ يُلْقىٰ فِي النّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾ تهديدٌ شديد. ﴿إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ قال: «يعني القرآن»[١]. ﴿لَمّا جاءَهُمْ﴾. خبر «إنّ» محذوف دلّ عليه ما بعده. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ﴾.

﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قال: «من قبل التّوراة، ولا من قبل الإنجيل والزّبور»[٢]. ﴿وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ قال: «أي: لا يأتيه من بعده كتاب يُبْطِلُه»[٣].

وفي رواية: «ليس في إخباره عمّا مضى باطل، ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل؛ بل أخباره كلّها موافقة لمخبَراتها»[٤].

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ﴾ وأيّ حكيم ﴿حَمِيدٍ﴾: يحمده كلّ مخلوق بما ظهر عليه من نِعَمِه.

﴿ما يُقالُ لَكَ إِلّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقابٍ

١ و ٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥، عنهما عليهما السلام.

أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: بيّنت بلسان نفقهه ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: أكلام أعجميّ ومخاطب عربيّ؟! والأعجميّ يقال للّذي لا يفهم كلامه، ويقال لكلامه. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ إلى الحقّ ﴿وَشِفَاءٌ﴾ من الشكّ والشبهة ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لتصاممهم[1] عن سماعه، وتعاميهم عمّا يريهم من الآيات ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾. تمثيل لعدم قبولهم واستماعهم له، بمَنْ يصاح به مِنْ مسافة بعيدة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ قال: «اختلفوا كما اختلفت هذه الأُمّة في الكتاب، وسيختلفون في الكتاب الّذي مع القائم، الّذي يأتيهم به، حتّى ينكره ناس كثير، فيقدّمهم فيضرب أعناقهم»[2]. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالإمهال ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ باستيصال المكذّبين ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: موجب للاضطراب.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ نفعه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ضرّه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فيفعل بهم ما ليس له.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إذا سئل عنها؛ إذ لايعلمها إلّا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾: من أوعيتها؛ جمع «كم» بالكسر. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ بزعمكم. القمّي: يعني ما كانوا يعبدون من دون الله[3]. ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ﴾: أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾: من أحد منّا يشهد لهم بالشّركة، إذ تبرّأنا عنهم لمّا عاينّا الحال؛ أو ما من أحد منّا يشاهدهم، لأنّهم ضلّوا عنّا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا﴾: وأيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ

١ـ في «ب»: «لتصامّهم».

٢ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٢٦٦.

مَحِيصٍ﴾: مهرب.

﴿لا يَسْأَمُ الإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ﴾ القمّي: أي: لا يملّ ولا يعيا من أن يدعو لنفسه بالخير[1]. ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾: يائس من روح الله وفرجه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي﴾: حقّي أستحقّه ﴿وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً﴾: تقوم ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى﴾: ولئن قامت على التوهّم، كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة، وذلك لاعتقاده أنّ ما أصابه من نعم الدّنيا فلاستحقاق لا ينفكّ عنه. ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الإِنْسانِ أَعْرَضَ﴾ عن الشّكر ﴿وَنَأى بِجانِبِهِ﴾: وانحرف عنه وذهب بنفسه، وتباعد عنه بكلّيّته تكبّراً؛ والجانب مجاز عن النّفس. ﴿وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ كالفقر والمرض والشّدّة ﴿فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ﴾ أي: القرآن ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ من غير نظر واتّباع دليل ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾: من أضلّ منكم؛ فوضع الموصول موضع الضّمير شرحاً لحالهم، وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾. قال: «نريهم[2] في أنفسهم المسخ، ونريهم في الآفاق انتقاض الآفاق عليهم، فيرون قدرة الله في أنفسهم وفي الآفاق»[3].

وفي رواية: «خسف ومسخ وقذف»[4].

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٧.

٢ ـ في المصدر: «يريهم» في الموضعين.

٣ ـ الكافي ٨: ٣٨١، الحديث: ٥٧٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ١٦٦، الحديث: ١٨١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي أُخرى: «الفتن في آفاق الأرض[1]، والمسخ في أعداء الحقّ»[2].

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ قال: «خروج القائم هو الحقّ عند اللّه، يراه الخلق لابدّ منه»[3].

أقول: كأنّه عليه السلام أراد أنّ ذلك إنّما يكون في الرّجعة، وعند ظهور القائم يرون من العجائب والغرائب في الآفاق وفي الأنفس ما يتبيّن لهم به: أنّ الإمامة والولاية وظهور الإمام حقّ، فيكون مخصوصاً بالجاحدين ومن رام التّعميم. قال[4]: سنريهم دلائلنا على ما تدعوهم إليه من التّوحيد، وما يتبعه في آفاق العالم، من أقطار السّماء والأرض، وفي أنفسهم وما فيهما من لطائف الصّنعة وبدائع الحكمة، حتّى يظهر لهم أنّ ذلك هو الحقّ؛ وهذا للمتوسّطين من أهل النّظر، الّذين يستشهدون بالصّنائع على الصّانع، الّذين لا يرضون بالتّقليد المحض.

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: أولم يكفك شهادة ربّك على كلّ شيء دليلاً عليه، وهذا للخواصّ الّذين يستشهدون باللّه على اللّه؛ ولهذا خصّه به في الخطاب.

ورد: «العبوديّة جوهرة كنهها الرّبوبيّة، فما فقد من العبوديّة وجد في الرّبوبيّة، وما خفي عن الرّبوبيّة أُصيب في العبوديّة؛ قال اللّه تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد" أي: موجود في غيبتك وحضرتك»[5].

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ لا يفوته شيء.

١ـ في المصدر: «في الآفاق».
٢ـ الإرشاد (للمفيد): ٣٥٩، عن الكاظم عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٣٨١، ذيل الحديث: ٥٧٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ لم نعثر عليه، ولعلّ «قال» تصحيف «قيل»، ويؤيّده ما في الصّافي ٤: ٣٦١ حيث أشار إلى هذه الألفاظ بـ «قيل». والقائل: عطاء وابن زيد كما في مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٩.
٥ـ مصباح الشّريعة: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الشّورى

[مكيّة، وهي ثلاث وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿عٓسٓقٓ﴾. قال: «"عس" عدد سني القائم، و"قاف" جبل محيط بالدّنيا من زمرّدة خضراء، فخضرة السّماء من ذلك الجبل؛ وعلم كلّ شيء في "عسق"»[2].

﴿كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

﴿تَكادُ السَّمٰواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ قال: «أي: يتصدّعن»[3]. أقول: يعني من عظمة الله ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «من المؤمنين»[4]. القمّي: للمؤمنين من الشّيعة التّوّابين خاصّة؛ ولفظ الآية عامّ والمعنى خاصّ[5].

﴿أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ جوامع الجامع: ٤٢٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٦٨.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: رقيب على أحوالهم وأعمالهم، فيجازيهم بها ﴿وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرىٰ﴾ أي: أهلها، وهي مكّة ﴿وَمَنْ حَوْلَها﴾: سائر الأرض ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ﴾: يوم القيامة يجمع فيها الخلائق ﴿لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ مهتدين ﴿وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية ﴿وَالظّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ أي: ويَدَعُهُم بغير وليّ ولا نصير في عذابه.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ المَوْتىٰ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ القمّي: من المذاهب والأديان[1]. ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة. وقيل: وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه، فارجعوا إلى المحكم من كتاب الله[2]. ﴿ذٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿فاطِرُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً﴾ يعني النّساء ﴿وَمِنَ الأَنْعامِ أَزْواجاً﴾ يعني ذكراً وأنثى ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: يبثّكم ويكثركم فيه، يعني النّسل الّذي يكون من الذّكور والإناث ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ قال: «إذا كان الشّيء من مشيئته فكان لا يشبه مكوّنه»[3]. القمّي: ردّ الله على من وصف الله[4]. قيل: الكاف زائدة[5]. وقيل: بل المراد المبالغة في نفي المثل عنه. فإنّه إذا نفى عمّن يناسبه ويسدّ مسدّه كان نفيه عنه

١ـ القمّي ٢: ٢٧٣.
٢ـ البيضاوي ٥: ٥١.
٣ـ المصباح المتهجّد: ٦٩٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ٢٧٣.
٥ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤؛ البيضاوي ٥: ٥٢.

أولى[١]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لكلّ ما يسمع ويبصر.

﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ﴾: خزائنهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّع ويقتر على وفق مشيئته ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعله على ما ينبغي.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ يعني: الأصل المشترك فيما بينهم، ومنه الولاية ﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: ولا تختلفوا فيه ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾: عظم عليهم ﴿ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من هذه الشّرائع ﴿اللّٰهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ﴾: يختار ويجتلب إلى الدّين ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ بالإرشاد والتّوفيق ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾: من يقبل إليه.

قال: «نحن الّذين شرع اللّه لنا دينه، فقال في كتابه: "شَرَعَ لكم" يا آل محمّد "من الدّين" الآية. قال: فقد علّمنا وبلّغنا علم ما علّمنا، واستودعنا علمهم، نحن ورثة أُولي العزم من الرّسل، "أن أقيموا الدّين" يا آل محمّد "ولا تتفرّقوا فيه": وكونوا على جماعة، "كبُرَ على المشركين": من أشرك بولاية عليّ، "ما تدعوهم إليه"، من ولاية عليّ ـ وزيد في رواية أُخرى: هكذا في الكتاب مخطوطة قال: «إنّ اللّه يا محمّد»[٢] ـ يهدي إليه من يُنيب: من يجيبك إلى ولاية عليّ»[٣].

﴿وَما تَفَرَّقُوا إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾. القمّي: لم يتفرّقوا بجهل؛ ولكنّهم تفرّقوا لمّا جاءهم وعرفوه، فحسد بعضهم بعضاً، وبغى بعضهم على بعض، لمّا رأوا من تفاضيل أمير المؤمنين عليه السلام بأمر اللّه، فتفرّقوا في المذاهب، وأخذوا بالآراء والأهواء[٤].

١ ـ البيضاوي ٥: ٥١.

٢ ـ الكافي ١: ٤١٨، الحديث: ٣٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٢٢٤، الحديث: ١؛ بصائر الدّرجات: ١١٨، الباب: ٣، الحديث: ١؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٥٣٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٧٣.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالإمهال ﴿إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: لأهلكهم، ولم ينظرهم إذا اختلفوا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿فَلِذٰلِكَ فَادْعُ﴾. القمّي: يعني لهذه الأمور، والدّين الّذي تقدّم ذكره، وموالاة أمير المؤمنين عليه السلام فادع[1]. و ورد: «يعني إلى ولاية أمير المؤمنين»[2].

﴿وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ﴾ فيه ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ كِتابٍ﴾ يعني جميع الكتب المنزلة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ﴾: خالق الكلّ ومتولّي أمره ﴿لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ﴾: وكلٌّ مجازى بعمله ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا حجاج، بمعنى لا خصومة. إذ الحقّ قد ظهر ولم يبق للمحاجّة مجال. ﴿اللّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾: مرجع الكلّ.

﴿وَالَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللّهِ﴾: في دينه ﴿مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ لدينه أو لرسوله ﴿حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

القمّي: أي: يحتجّون على اللّه بعد ما شاء اللّه أن يبعث عليهم الرّسل، فبعث اللّه إليهم الرّسل والكتب، فغيّروا وبدّلوا، ثمّ يحتجّون يوم القيامة، فحجّتهم على اللّه داحضة، أي: باطلة عند ربّهم[3].

﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ بمعاندتهم.

﴿اللّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتابَ بِالحَقِّ وَالمِيزانَ﴾. القمّي: «الميزان أمير المؤمنين عليه السلام»[4]. أقول: قد مضى تحقيقه في الأعراف[5]. ﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السّاعَةَ

١ ـ القمّي ٢: ٢٧٣.
٢ ـ ٣ ـ المصدر: ٢٧٤.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٣، ذيل الآية: ٧ من سورة الرحمٰن، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٥ ـ ذيل الآية: ٨.

قَرِيبٌ ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها﴾: خائفون منها مع اعتناء بها لتوقّع الثّواب ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّها الْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السّاعَةِ﴾ القمّي: أي: يخاصمون، فإنّهم كانوا يقولون لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أقم لنا السّاعة وأتنا بما تعدنا، إن كنت من الصّادقين[١]. ﴿لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ﴾: برٌّ بهم بصنوف من البرّ ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ﴾: يرزقه لما يشاء، فيخصّ كلّاً من عباده بنوع من البرّ على ما اقتضته حكمته. ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾: المنيع الّذي لا يُغلب.

﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾: ثوابها. شبّهه بالزّرع، من حيث إنّه فائدة تحصل بعمل الدّنيا، ولذلك قيل: الدّنيا مزرعة الآخرة[٢].

﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ فنعطه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها. ﴿وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها﴾: شيئاً منها، على ما قسمنا له ﴿وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ إذ الأعمال بالنّيّات. وإنّما لكلّ امرئ ما نوى.

ورد: «المال والبنون حرث الدّنيا، والعمل الصّالح حرث الآخرة، وقد يجعلهما الله لأقوام»[٣].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشّرك وإنكار البعث والعمل للدّنيا ﴿وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾. قال: «لولا ما تقدّم فيهم من الله عزّ ذكره، ما أبقى القائم منهم أحداً»[٤]. أقول: يعني قائم كلّ عصر. ﴿وَإِنَّ الظّالِمِينَ لَهُمْ

١ ـ القمّي ٢: ٢٧٤؛ ومنتهى كلامه اقتباس من الآية: ٧٠، من سورة الأعراف.

٢ ـ عوالي اللئالي ١: ٢٦٧، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ البيضاوي ٥: ٥٣.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٧٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿تَرَى الظّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا كَسَبُوا﴾: خائفين ممّا ارتكبوا وعملوا ﴿وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ﴾ أي: ما يخافونه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ الجَنّاتِ لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾.

﴿ذٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللّٰهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على ما أتعاطاه من التبليغ ﴿أَجْراً﴾: نفعاً منكم ﴿إِلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبىٰ﴾ قال: «أن تودّوا قرابتي وعترتي، وتحفظوني فيهم»[1].

ورد: «جاءت الأنصار إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقالوا: إنّا آوينا ونصرنا، فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نابك، فأنزل اللّه: "قل لا أسألكم عليه أجراً" يعني على النبوة "إلّا المودّة في القربى" أي: في أهل بيته، ثمّ قال: ألا ترى أنّ الرّجل يكون له صديق، وفي نفس ذلك الرّجل شيء على أهل بيته، فلا يسلم صدره، فأراد اللّه أن لا يكون في نفس رسول اللّه شيء على أمّته؛ ففرض اللّه عليهم المودّة في القربى. فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، وإن تركوا تركوا مفروضاً»[2].

وقال: «هي واللّه فريضة من اللّه على العباد لمحمّد صلى الله عليه وآله في أهل بيته»[3].

وفي رواية: «في عليّ وفاطمة والحسن والحسين، أصحاب الكساء»[4]. وفي أخرى: «هم الأئمة عليهم السلام»[5].

وروي إنّه: لمّا نزلت، قالوا: يا رسول اللّه مَنْ هؤلاء الّذين أمَرَنا اللّه بمودّتهم؟ قال:

١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢٨، عن السّجاد والباقر والصادق عليهم السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٢٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ المحاسن: ١٤٤، الباب: ١٣، الحديث: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٩٣، الحديث: ٦٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

«عليّ وفاطمة وولدهما»[١].

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ قال: «اقتراف الحسنة، مودّتنا أهل البيت»[٢]. وفي رواية: «الاقتراف التّسليم لنا والصّدق علينا، وأن لا يكذب علينا»[٣].

﴿نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. قال: «من توالى[٤] الأوصياء، من آل محمّد واتبع آثارهم، فذاك يزيده ولاية من مضى من النّبيّين والمؤمنين الأوّلين، حتّى يصل ولايتهم إلى آدم»[٥].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ أي: افترى آية المودّة، كما يأتي بيانه[٦]. ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللّهُ يَخْتِمْ عَلىٰ قَلْبِكَ﴾ قال: «لو افتريت»[٧].

وفي رواية يقول: «لو شئت حبست عنك الوحي، فلم تكلّم بفضل أهل بيتك ولا بمودّتهم»[٨].

﴿وَيَمْحُ اللّهُ الباطِلَ﴾: المفترى. قال: «يعني يبطله»[٩].

﴿وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ﴾ قال: «يعني بالأئمّة والقائم من آل محمّد عليهم السلام»[١٠]. وفي رواية يقول: «يحقّ لأهل بيتك الولاية»[١١].

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ البيضاوي ٥: ٥٣. وفي شواهد التنزيل ٢: ١٣٠، الحديث: ٨٢٢؛ الدّرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ابن عبّاس.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩، عن حسن بن عليّ عليهما السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٣٩١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ في المصدر: «من تولّى».

٥ ـ الكافي ٨: ٣٧٩، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ ذيل الآية: ٢٥، من نفس السّورة.

٧ ـ القمّي ٢: ٢٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ ـ الكافي ٨: ٣٧٩، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ و ١٠ ـ القمّي ٢: ٢٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

١١ ـ الكافي ٨: ٣٨٠، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ . قال: «يقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك ، والظّلم بعدك»[١] .

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾ .

روي: «لمّا نزلت آية المودّة بعد مقالة الأنصار ـ كما مرّ[٢] ـ فقرأها عليهم ، وقال: تودّون قرابتي من بعدي . فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله . فقال المنافقون: إنّ هذا الشيء افتراه في مجلسه ، أراد أن يذلّلنا لقرابته من بعده . فنزلت: "أم يقولون افترى على اللّه كذباً" فأرسل إليهم ، فتلاها عليهم ، فبكوا واشتدّ عليهم ، فأنزل اللّه: "وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده" الآية ، فأرسل في أثرهم ، فبشّرهم»[٣] .

وورد مثله برواية الخاصّة[٤] ، إلّا أنّه ذكر مكان: "أم يقولون افترى على اللّه كذباً" ، "أم يقولون افتريهُ قُلْ إنِ افتَرَيْتُهُ فلا تملِكونَ لي منَ اللّهِ شيئاً" الآية ، كما في الأحقاف[٥] .

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ روي: «إنّهم الّذين سلّموا لقوله»[٦] .

وفي رواية الخاصّة: «هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب ، فيقول له المَلَك: آمين ، ويقول العزيز الجبّار: ولك مثلا ما سألتَ ، وقد أعطيتَ ما سألت بحبّك إيّاه»[٧] .

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ . قال: «الشّفاعة لمن وجبت له النّار ، ممّن أحسن إليهم في الدّنيا»[٨] . ﴿وَالكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ .

١ ـ الكافي ٨: ٣٨٠ ، الحديث: ٥٧٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ ـ ذيل الآية: ٢٣ ، من نفس السّورة .
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩ ؛ وتأويل الآيات الظّاهرة: ٥٣١ .
٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣٥ ، الباب: ٢٣ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ ، عن أبي الحسن الرّضا ، عن آبائه ، عن حسين بن عليّ عليهما السلام .
٥ ـ الاحقاف (٤٦): ٨ .
٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩ .
٧ ـ الكافي ٢: ٥٠٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾: لتكبّروا وأفسدوا بطراً.

قال: «لو فعل لفعلوا، ولكن جعلهم محتاجين بعضهم إلى بعض؛ واستعبدهم بذلك، ولو جعلهم كلّهم أغنياء لبغوا»[١].

﴿وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾ قال: «بما يعلم أنّه يصلحهم في دينهم ودنياهم»[٢].

﴿إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

في الحديث القدسيّ: «إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر ولو أغنيته لأفسده، وذلك أنّي أُدبّر عبادي؛ لعلمي بقلوبهم»[٣].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾: المطر الّذي يغيثهم من الجدْبِ[٤]، ولذلك خصّ بالنّافع.

﴿مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا﴾: أيِسوا منه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ في كلّ شيء، من السّهل والجبل والنّبات والحيوان ﴿وَهُوَ الوَلِيُّ﴾: الّذي يتولّى عباده بإحسانه ونشر رحمته ﴿الحَمِيدُ﴾: المستحقّ للحمد.

﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَهُوَ عَلىٰ جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: فبسبب معاصيكم ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ من الذّنوب، فلا يعاقب عليها.

ورد: «خير آية في كتاب الله، هذه الآية. يا عليّ ما من خدش عود، ولا نكْبَة قدم إلّا بذنب، وما عفا الله عنه في الدّنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدّنيا فهو

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢٧٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ علل الشّرائع ١: ١٢، الباب: ٩، الحديث: ٧؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠.

٤ ـ الجَدْب: نقيض الخِصْب. الصّحاح ١: ٩٧ (جدب).

أعدل من أن يُثنّي على عبده»[١].

أقول: الآية مخصوصة بغير أولياء اللّه، فقد ورد: «إنّ اللّه يخصّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب»[٢].

﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾: فائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحرسكم عنها ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ يدفعها عنكم.

﴿وَمِنْ آياتِهِ الجَوارِ﴾: السّفن الجارية ﴿فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾: كالجبال.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلىٰ ظَهْرِهِ﴾: فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾ قيل: لكلّ من حبَس نفسه على النّظر في آيات اللّه، والتّفكّر في آلائه[٣]. وقد مرّ له معنى آخر في لقمان[٤].

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: يهلك أهلهنّ ﴿بِما كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ بإنجائهم.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا﴾ قيل: عطف على علّة مقدّرة، مثل: لينتقم منهم ويعلم[٥]. ﴿ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ محيد[٦] من العذاب.

﴿فَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ تمتّعون به مدّة حياتكم ﴿وَما عِنْدَ اللّهِ﴾ من ثواب الآخرة لخلوص ﴿خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ نفعه ودوامه ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالْفَواحِشَ﴾. قد سبق تفسير الكبائر في سورة

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٢ ـ الكافي ٢: ٤٥٠، الحديث: ٢؛ القمّي ٢: ٢٧٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ٥٥.

٤ ـ لقمان (٣١): ٣١.

٥ ـ البيضاوي ٥: ٥٥؛ الكشّاف ٣: ٤٧٢.

٦ ـ حادَ، يَحيدُ حَيْدَةً عن الشّيء: تَنحّى وبَعُدَ. المصباح المنير ١: ١٩٤ (حيد).

النّساء[1]. ﴿وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. ورد: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه، حشا اللّه قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[2].

﴿والَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: قبلوا ما أُمروا به ﴿وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ﴾: تشاور بينهم، لا ينفردون برأي حتّى يتشاوروا ويجتمعوا عليه؛ وذلك من فرط تيقّظهم في الأُمور. ورد: «ما من رجل يشاور أحداً إلّا هدي إلى الرّشد»[3]. ﴿وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

﴿وَالَّذِينَ إذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ على ما جعله اللّه لهم؛ كراهة التذلّل، وهو وصفهم بالشّجاعة بعد وصفهم بسائر أُمّهات الفضائل، وهو لا ينافي وصفهم بالغفران، فإنّ الغفران ينبئ عن عجز المغفور، والانتصار يشعر عن مقاومة الخصم، والحلم عن العاجز محمود، وعن المتغلّب مذموم؛ لأنّه إجراء وإغراء على البغي.

﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾. سمّى الثّانية سيّئة للازدواج، ولأنّها تسوء من تنزل به، وهذا منع عن التّعدّي في الانتصار. ﴿فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين عدوّه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ﴾ إبهامه يدلّ على عِظَمه.

ورد: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على اللّه فليدخل الجنّة. فيقال: من ذا الّذي أجره على اللّه؟ فيقال: العافون عن النّاس يدخلون الجنّة بغير حساب»[4].

﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾: المبتدئين بالسّيّئة، والمتجاوزين في الانتقام.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾: بعد ما ظُلِمَ ﴿فَأُولٰئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة.

١ـ ذيل الآية: ٣٦.
٢ـ القمّي ٢: ٢٧٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٣٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٣٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

ورد: «حقّ من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو يضرّ انتصرت، ثمّ تلا هذه الآية»[١].

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾: يبتدؤونهم بالإضرار، ويطلبون ما لايستحقّونه تجبّراً عليهم ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد خذلان اللّه إيّاه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: إلى رجعة إلى الدّنيا.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النّار، ويدلّ عليها العذاب. ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾: متذلّلين متقاصرين ممّا يلحقهم من الذّلّ ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ يبتدئ نظرهم إلى النّار، من تحريك لأجفانهم ضعيف، كالمصبور ينظر إلى السّيف. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالتّعريض للعذاب المخلّد ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى الهدى والنّجاة. «هذه الآيات من قوله: "ولمن انتصر" إلى آخرها نزلت في القائم وأصحابه، وانتصارهم من أعدائهم». كذا ورد[٢].

قال: «و"الظّالمين" يعني آل محمّد حقّهم. وعليّ عليه السلام هو العذاب، ينظرون إليه من طرف خفيّ»[٣].

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ

١ـ الخصال ٢: ٥٧٠، قطعة من حديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٢ـ و ٣ـ القمّي ٢: ٢٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾. إنكار لما اقترفتموه، لأنّه مثبت في صحائف أعمالكم، يشهد عليه جوارحكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: رقيباً ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَإِنّا إِذا أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسانَ كَفُورٌ﴾: بليغ الكفران، ينسى النّعمة رأساً ويذكر البليّة ويعظّمها، ولم يتأمّل سببها.

وإنّما صدّر الأُولى بـ«إذا» والثّانية بـ«إن» لأنّ إذاقة النّعمة محقّقة، بخلاف إصابة البليّة. وإنّما أقام علّة الجزاء مقامه في الثّانية، ووضع الظّاهر موضع المضمر، للدّلالة على أنّ هذا الجنس موسوم بكفران النّعمة.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ فله أن يقسِمَ النّعمة والبليّة كيف شاء ﴿يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً﴾ قال: «يعني ليس معهنّ ذكر»[١]. ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ﴾ قال: «يعني ليس معهم أُنثى»[٢].

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً﴾ قال: «أي: يهب لمن يشاء ذكراناً وإناثاً جميعاً، يجمع له البنين والبنات، أي: يهبهم جميعاً لواحد»[٣]. ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً﴾: كلاماً يسمعه من ملك يشاهده، أو يقع في قلبه.

القمّي: وحي مشافهة، ووحي إلهام، وهو الّذي يقع في القلب[٤].

﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾: كلاماً لا يشاهد قائله. القمّي: كما كلّم اللّه نبيّه، وكما كلّم اللّه موسى من النّار[٥].

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾ فيسمع من الرّسول. القمّي: وحي مشافهة.

١ و ٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ ـ المصدر: ٢٧٩.

يعني إلى النّاس[١]. ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما يقتضيه حكمته.

﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا﴾ أي: أرسلناه إليك بالوحي.

قال: «خلق من خلق اللّه أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده»[٢].

وفي رواية: «فلمّا أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الرّوح الّتي يعطيها اللّه عزّوجلّ من شاء، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم»[٣].

﴿ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلاَ الْإِيمانُ﴾ أي: قبل الوحي ﴿وَلٰكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾.

قال: «بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتّى بعث اللّه عزّوجلّ الرّوح الّتي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها علم بها العلم والفهم»[٤].

وفي رواية: «عليّ هو النّور؛ هدى به من هدى من خلقه»[٥].

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: «يقول: تدعو»[٦]. وفي رواية: «إنّك لتأمر بولاية عليّ وتدعو إليها، وعليّ هو الصّراط المستقيم»[٧].

﴿صِراطِ اللّٰهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «يعني عليّاً، إنّه جعله خازنه على ما في السّماوات وما في الأرض من شيء، وائتمنه عليه»[٨]. ﴿أَلا إِلَى اللّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ بارتفاع الوسائط والتّعلّقات.

١ ـ القمّي ٢: ٢٧٩.
٢ ـ الكافي ١: ٢٧٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ و ٤ ـ المصدر، ٢٧٤، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «به هدى من هدى».
٦ ـ الكافي ٥: ١٣، قطعة من حديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٧ ـ القمّي ٢: ٢٨٠؛ بصائر الدّرجات: ٧٨، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ ـ القمّي ٢: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة الزّخرف

[مكيّة ، إلّا آية: ٥٤ فمدنيّة ، وآياتها تسع وثمانون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾ .

﴿وَالكِتابِ المُبِينِ﴾ .

﴿إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾: أقسم بالقرآن على أنّه جعله قرآناً عربيّاً . وهو من البدائع ، لتناسب القسم والمقسم عليه . وفي الباطن الكتاب المبين أمير المؤمنين عليه السلام ، كما يأتي في الدّخان[2] . ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تفهموا معانيه .

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾: رفيع الشّأن ذو حكمة بالغة .

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾: نَدَعُكم مهملين ، لا نحتجّ عليكم برسول أو إمام؟!

﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾: لأن كنتم .

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ﴾ .

﴿وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ . تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله عن استهزاء قومه .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ ذيل الآية: ٤ .

﴿فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: وسلف في القرآن قصّتهم العجيبة، وفيه وَعْدٌ لرسول الله ﷺ، ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأوّلين.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ يعني: أقرّوا بعزّي وعلمي، وما بعده استئناف.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ تستقرّون فيها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾ تسلكونها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم، أو إلى حكمة الصّانع بالنّظر في ذلك.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار ينفع ولا يضرّ ﴿فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾: فأحيينا به أرضاً لانبات فيها ﴿كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: تنشرون من قبوركم.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها﴾: أصناف المخلوقات ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ﴾ في البحر والبرّ.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: تذكروها بقلوبكم؛ معترفين بها حامدين عليها ﴿وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هٰذا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: مطيقين. يعني: لا طاقة لنا بالإبل ولا بالفلك ولا بالبحر، لولا أنّ الله سخّره لنا.

﴿وَإِنّا إِلىٰ رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ أي: راجعون. واتّصاله بذلك لأنّ الرّكوب للتنقّل، والنّقلة العظمى هو الانقلاب إلى الله عزّوجلّ، ولأنّه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه ويستعدّ للقاء الله.

ورد: «ليس من عبد يقولها عند ركوبه فيقع من بعير أو دابّة فيصيبه شيء بإذن الله»[1].

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً﴾: ولداً. فقالوا: الملائكة بنات الله. سمّاه جزءاً؛ لأنّ الولد بضعة من والده. قيل: هو متّصل بقوله: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ"[2] أي: وجعلوا له بعد ذلك الاعتراف[3]. ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾: ظاهر الكفران.

١ـ الكافي ٣: ٤٧٢، الحديث: ٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ـ الآية: ٨، من نفس السّورة.
٣ـ الكشّاف ٣: ٤٨٠؛ البيضاوي ٥: ٥٨.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ إنكارٌ وتعجيب من شأنهم.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾: بما جعل له شبهاً، فإنّ كلّ ولد من كلّ جنس شبهه وجنسه ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: صار وجهه أسود في الغاية؛ لما يعتريه من الكآبة[1] ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ قلبه من الكرب.

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾: أو يجعلون له من يتربّى في الزّينة، يعني البنات. ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾: في المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ للحجّة. يقال: قلّما تتكلّم امرأة بحجّتها إلّا تكلّمت بالحجّة عليها.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾: خلق اللّه إيّاهم، فشاهدوهم إناثاً ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ الّتي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ ينطق على صحّة ما قالوه ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: طريقة تامّ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: لا حجّة لهم على ذلك، وإنّما جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ تسليةً، ودلالةً على أنّ التّقليد في مثله ضلال قديم. وفي تخصيص المترفين إشعارٌ بأنّ التّنعّم وحبّ البطالة صرفهم عن النّظر إلى التّقليد.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ يعني: أتتّبعون آباءكم، ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم، وهو حكاية أمر ماضٍ أوحي إلى النّذير، أو خطاب لنبيّنا صلّى اللّه عليه وآله. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: وإن كان أهدى.

١ ـ كَئِبَ يَكْأَبُ ـ من باب: تَعِبَ ـ كآبَةً وكأْباً وكَآبَةً: حَزِنَ أشدّ الحزن. المصباح المنير ٢: ٢٣٧ (كأب).

﴿فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾ بالاستئصال ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ﴾: واذكر وقت قوله هذا، ليروا كيف تبرّأ عن التّقليد وتمسّك بالبرهان، أو ليقلّدوه إن لم يكن لهم بدّ من التّقليد، فإنّه أشرف آبائهم..

﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ هداية بعد هداية.

﴿وَجَعَلَها﴾ أي: كلمة التّوحيد ﴿كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾: في ذرّيّته، فيكون فيهم أبداً من يوحّد اللّه ويدعو إلى توحيده، ويكون إماماً للخلق وحجّة عليهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحّده.

قال: «فينا نزلت هذه الآية، والإمامة في عقب الحسين إلى يوم القيامة»[1].

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلاءِ وَآباءَهُمْ حَتّٰى جاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هٰذا سِحْرٌ وَإِنّا بِهِ كافِرُونَ﴾: ضمّوا إلى شركهم معاندة الحقّ.

﴿وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ بالجاه والمال: إمّا الوليد بن المغيرة[2] بمكّة، أو عروة بن مسعود الثّقفيّ[3] بالطّائف، فإنّ الرّسالة

١ ـ كمال الدّين ١: ٣٢٣، الباب: ٣١، الحديث: ٨، عن السّجادعليه السلام؛ علل الشّرائع ١: ٢٠٧، الباب: ١٥٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفرعليه السلام؛ معاني الأخبار: ١٣٢، مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥؛ المناقب ٤: ٤٦، عن أبي عبد اللّهعليه السلام.

٢ ـ الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو: من قضاة العرب في الجاهليّة، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهو الّذي جمع قريشاً وقال: إنّ النّاس يأتونكم أيّام الحجّ فيسألونكم عن محمّد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون؛ وليس يشبه واحداً ممّا يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه: «ساحر» لأنّه يفرق بين المرء وأخيه، والزّوج وزوجته. ولد في سنة ٩٥ قبل الهجرة وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر. الأعلام (للزركلي) ٨: ١٢٢.

٣ ـ عروة بن مسعود بن معتب الثقفي: صحابيّ مشهور، كان كبيراً في قومه بالطّائف، ولمّا أسلم استأذن النّبيّصلى الله عليه وآله ←

منصب عظيم لا يليق إلّا بعظيم، ولم يعلموا أنّها رتبة روحانيّة، تستدعي عظم[1] النّفس، بالتحلّي بالفضائل الأُخرويّة، والكمالات القدسيّة، لا التّزخرف بالزّخارف الدّنيويّة.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾. إنكارٌ فيه تجهيل وتعجيب من تحكّمهم. والمراد بالرّحمة: النّبوّة. ﴿نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾: ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم، فيحصل بينهم تألّف وتضامّ، وينتظم بذلك النّظام، لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرّف.

«ليس للغنيّ أن يقول: هلّا أُضيف إلى غناي جمالُ فلانٍ، ولا للجميل أن يقول: هلّا أُضيف إلى جمالي مالُ فلانٍ إلى غير ذلك». كذا ورد[2]. ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ هذه، أي: النّبوّة وما يتبعها ﴿خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ﴾: من حطام الدّنيا؛ والعظيم من رزق منها لا منه.

﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾: لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفّار في سعة وتنعّم؛ لحبّهم الدّنيا؛ فيجتمعوا عليه.

قال: «عنى بذلك أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله، أن يكونوا على دين واحد؛ كفّاراً كلّهم»[3].

﴿لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ﴾: ومصاعد ﴿عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾: يعلون السّطوح.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً﴾ أي: من فضّة ﴿عَلَيْها يَتَّكِئُونَ﴾.

← أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام. فقال: أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له. فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله، وكان ذلك في سنة ٩ من الهجرة. الأعلام (للزركلي) ٤: ٢٢٧.

١ـ في «ب»: «عظيم النفس».

٢ـ الاحتجاج ١: ٣١، عن العسكري، عن الهادي عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٣ـ الكافي ٢: ٢٦٥، الحديث: ٢٣؛ علل الشرائع ٢: ٥٨٩، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٣٣، عن علي بن الحسين عليهما السلام.

﴿وَزُخْرُفاً﴾: وزينة .

قال: «لو فعل اللّه ذلك بهم لما آمن أحد، ولكنّه جعل في المؤمنين أغنياء وفي الكافرين فقراء، وجعل في المؤمنين فقراء وفي الكافرين أغنياء، ثمّ امتحنهم بالأمر والنّهي والصّبر والرّضا»[١] .

﴿وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمّا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ «لمّا» بمعنى «إلّا» ، و«إن» نافية . ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

ورد: «إنّ اللّه جلّ ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدّنيا، كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزّتي ما أحوجتك في الدّنيا من هوانٍ كان بك عليّ، فارفع هذا السّجْف[٢]، فانظر إلى ما عوّضتك من الدّنيا. قال: فيرفع فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوّضتني»[٣] .

و ورد: «يا معشر المساكين طيبوا نفساً، واعطوا اللّه الرّضا من قلوبكم يثبكم اللّه على فقركم، فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم»[٤] .

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾: يتعامى ويعرض عنه، لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشّهوات ﴿نُقَيِّضْ﴾: نسبّب ونقدّر ﴿لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: يوسوسه ويغويه دائماً .

ورد: «من تصدّى بالإثم أعشى[٥] عن ذكر اللّه، ومن ترك الأخذ عمّن أمر اللّه بطاعته قيّض له شيطان؛ فهو له قرين»[٦] .

١ـ القمّي ٢: ٢٨٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ـ السَّجْف ـ ويُكْسَرُ ـ السّتر. القاموس المحيط ٣: ١٥٥ (سجف) .
٣ـ الكافي ٢: ٢٦٤، الحديث: ١٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ـ الكافي ٢: ٢٦٣، الحديث: ١٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .
٥ـ أعشى عنه: صدر عنه إلى غيره وأعرض. أقرب الموارد ٣: ٧٨٧ (عشو) .
٦ـ الخصال ٢: ٦٣٣، حديث أربعمائة، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: وإنّ الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيل الحقّ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ أي: العاشي ﴿قَالَ﴾ أي: للشيطان ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: بعد المشرق من المغرب ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ أنت .

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ ما أنتم عليه من التمنّي ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ .

قال: «نزلت هكذا: حتّى إذا جاءانا ، يعني فلاناً وفلاناً ، يقول أحدهما لصاحبه حين يراه: "يا ليت" ، الآيتين . قال: "إذ ظلمتم" آل محمّد حقّهم»[١] .

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ . إنكار تعجّب من أن يكون هو الّذي يقدر على هدايتهم ، بعد تمرّنهم على الكفر واستغراقهم في الضّلال ، بحيث صار عشاهم عمى مقروناً بالصّمم .

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ فإن قبضناك قبل أن نريك عذابهم . و«ما» مزيدة للتأكيد . ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعدك .

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾: أو إن أردنا أن نريك ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾: لا يفوتوننا .

روي: «إنّه أُري ما يلقى ذرّيّته من أُمّته بعده ، فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتّى لقى الله عزّوجلّ»[٢] .

و ورد: إنّه قال في حجّة الوداع بمنى: «لألفينكم[٣] ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة الّتي تضاربكم ، ثمّ التفت إلى

١ ـ القمّي ٢: ٢٨٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٦: ٩٢ ؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٤٤ .
٣ ـ أَلْفَيْتُ الشيء: وجدتُه . الصّحاح ٦: ٢٤٨٤ (لفا) .

خلفه فقال: أو عليّ أو عليّ أو عليّ ، فرأينا أنّ جبرئيل غمزه . فأنزل اللّه على أثر ذلك: "فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون" بعليّ بن أبي طالب»[١] . أقول: يعني في الرّجعة .

وفي رواية قال: «فإمّا نذهبنّ بك يا محمّد من مكّة إلى المدينة ، فإنّا رادّوك إليها ، ومنتقمون منهم بعليّ بن أبي طالب»[٢] .

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: «على ولاية عليّ»[٣] .

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ . قال: «نحن قومه ونحن المسؤولون»[٤] .

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ .

«نزلت حين أسرى به إلى السّماء وجمع له الأنبياء ، فعلم منهم ما أرسلوا به وحمّلوه» . كذا ورد[٥] .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ بِآياتِنا إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ﴾ .

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ﴾: استهزؤوا بها أوّل ما رأوها ، ولم يتأمّلوا فيها .

﴿وَما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها وَأَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ﴾ كالسّنين والطّوفان والجراد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .

﴿وَقالُوا يا أَيُّهَ السّاحِرُ﴾ قيل: نادوه بذلك في تلك الحال لشدّة شكيمتهم وفرط

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٩ ؛ جوامع الجامع: ٤٣٤ .

٢ ـ القمّي ٢: ٢٨٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٢٨٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٢١١ ، الحديث: ٥ ؛ القمّي ٢: ٢٨٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ الكافي ١: ٢١٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٠ ؛ القمّي ٢: ٢٨٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، بالمضمون .

حماقتهم؛ أو لأنّهم كانوا يسمّون العالم الباهر ساحراً[١]، والقمّي: يا أيّها العالم[٢] ﴿ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أن يكشف عنّا العذاب ﴿إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ العَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ عهدهم بالاهتداء.

﴿وَنادىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ بعد كشف العذاب عنهم؛ مخافة أن يؤمن بعضهم. ﴿قالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الأَنْهارُ﴾: أنهار النيل ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿مِنْ هٰذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير لا يصلح للرّئاسة ﴿وَلا يَكادُ يُبِينُ﴾ الكلام، لما به من الرُّتَّة[٣]. و«أم» إمّا منقطعة والهمزة فيها للتّقرير؛ أو متّصلة، والمعنى: أفلا تبصرون؟ أم تبصرون فتعلمون أنّي خير منه؟.

﴿فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أي: فهلّا أُلقي إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً إذ كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه وطوّقوه بطوق من ذهب. ﴿أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مقارنين، يعينونه أو يصدّقونه.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾: استخفّ أحلامهم، أو طلب منهم الخفّة في مطاوعته، ودعاهم ﴿فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾.

﴿فَلَمّا آسَفُونا﴾: أغضبونا بالإفراط في العناد والعصيان.

قال: «إنّ اللّه لا يأسف كأسفنا، ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه» الحديث[٤].

﴿انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في اليمّ.

١ـ البيضاوي ٥: ٦٠.

٢ـ القمّي ٢: ٢٨٥.

٣ـ الرُّتَّةُ: العُجْمَة والكُحْلَة في اللّسان. القاموس المحيط ١: ١٥٣ (رتت).

٤ـ الكافي ١: ١٤٤، الحديث: ٦، التوحيد: ١٦٨، الباب: ٢٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً﴾: قدوة لمن بعدهم من الكفّار ﴿وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ﴾: وعِظَة لهم.

﴿وَلَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ أي: لعليّ.

قال عليه السلام: «جئت إلى النّبيّ يوماً[1]، فوجدته في ملإ من قريش، فنظر إليّ، ثمّ قال: يا عليّ إنّما مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم عليه السلام، أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم وأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا، فعظم ذلك عليهم وضحكوا وقالوا: يشبّهه بالأنبياء والرّسل؛ فنزلت هذه الآية»[2].

وفي رواية قال: «إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، لولا أن يقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملإ من النّاس إلّا أخذوا التّراب من تحت قدميك، يلتمسون بذلك، البركة. قال: فغضب الأعرابيّان والمغيرة بن شعبة[3] وعدّة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمّه مثلاً إلّا عيسى بن مريم، فنزلت»[4].

وفي رواية: «قالوا: واللّه لآلهتنا الّتي كنّا نعبدها في الجاهليّة أفضل منه»[5].

﴿إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. قال: «الصّدود في العربيّة: الضّحك»[6].

١ ـ الكافي ١: ١٤٤، الحديث: ٦، التوحيد: ١٦٨، الباب: ٢٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٣؛ جوامع الجامع: ٤٣٦، عن أهل البيت، عن عليّ عليه السلام.

٣ ـ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد اللّه: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، صحابيّ. ولد في الطائف (بالحجاز). فلمّا ظهر الإسلام تردّد في قبوله إلى أن كانت سنة: ٥ هـ. فأسلم، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشّام والقادسيّة ونهاوند وهمدان وغيرها. وولّاه عمر بن الخطاب على البصرة، وعزله. ثمّ ولّاه الكوفة، وأقرّه عثمان على الكوفة ثم عزله. ولمّا حدثت الحرب بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة. ثمّ ولّاه معاوية الكوفة، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة: ٥٠ هـ. الأعلام (للزركلي) ٧: ٢٧٧.

٤ ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٨٦، عن سلمان، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ ـ معاني الأخبار: ٢٢٠، الحديث: ١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي رواية: «أنزل: "يضجّون" فحرّفوها»[١].

﴿وَقالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ أي: هذا المثل ﴿إِلّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شِداد الخصومة، حِراص على اللّجاج.

﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني الّذي ضرب له المثل، أو ضرب به؛ والأوّل مرويّ[٢]. ﴿إِلّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ﴾ قال: «يعني من بني هاشم»[٣]. ﴿مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: يخلفونكم في الأرض، يعني أنّ اللّه قادر على أعجب من ذلك.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَةِ﴾ أي: من أشراطها، يُعلم بها قربها. القمّي: يعني أمير المؤمنين عليه السلام[٤]. وقيل: يعني عيسى، أي: نزوله[٥]. ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَمّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أُبلّغه عنه.

﴿إِنَّ اللّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ﴾: الفرق المتحزّبة ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٢٨٦، عن سلمان، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٢ ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٣ ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٤ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوع، ولعلّه سقط من النّسّاخ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي، الموجودة في مكتبة الإعلام الإسلامي، تحت رقم: ٢٦٨١٨.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤؛ الكشّاف ٣: ٤٩٤؛ البيضاوي ٥: ٦٢.

﴿الأَخِلّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلّا المُتَّقِينَ﴾ فإنّ خلّتهم لمّا كانت في اللّه تبقى نافعة أبد الآباد.

قال: «واللّه ما أراد بهذا غيركم»[١].

و ورد: «ألا كلّ خلّة في غير اللّه فإنّها تصير عداوة يوم القيامة»[٢].

﴿يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ حكاية لما ينادي به المتّقون المتحابّون في اللّه يومئذ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا وَكانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿أُدْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ القمّي: أي تكرمون[٣].

﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ﴾ الصَّحْفَة: القَصْعَة. والكُوب: كوز لا عروة له. ﴿وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾.

ورد: «فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه اللّه عزّوجلّ بغير حمل ولا ولادة على الصّورة الّتي يريد، كما خلق آدم عبرة»[٤].

و ورد: «إنّ الرّجل في الجنّة يبقى على مائدته أيّام الدّنيا، ويأكل في أكلة واحدة بمقدار أكله في الدّنيا»[٥].

﴿وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ بمشاهدته ﴿وَأَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَكُمْ فِيها فاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْها تَأْكُلُونَ﴾.

١ ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٨٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ٢٨٨.

٤ ـ الاحتجاج ٢: ٣١٠، في توقيعات النّاحية المقدّسة، عن القائم عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٨٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾ .

﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفّف عنهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آئسون من الخير .

﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ﴾ .

﴿وَنادَوْا يا مالِكُ﴾ . وفي قراءتهم عليهم السلام: «يا مالِ»[١] بالتّرخيم . قيل: فلعلّه إشعار بأنّهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللّفظ بالتّمام[٢] . ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ يعني: سل ربّك ليقضي علينا ، أي: يميتنا ؛ من قضى عليه: إذا أماته . ﴿قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾ .

﴿لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ .

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً﴾ في تكذيب الحقّ وردّه ، ولم يقتصروا على كراهته . ﴿فَإِنّا مُبْرِمُونَ﴾ أمراً في مجازاتهم . القمّي: يعني ما تعاهدوا عليه في الكعبة: أن لا يردّوا الأمر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] .

و ورد: «إنّ هذه الآيات نزلت فيهم»[٤] .

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلىٰ﴾ نسمعها ﴿وَرُسُلُنا﴾: والحفظة مع ذلك ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك .

﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ﴾ . قال: «أي: الجاحدين . قال: والتّأويل في هذا القول باطنه مضادّ لظاهره»[٥] . والقمّي: يعني أوّل الآنفين لله أن يكون له ولد[٦] .

﴿سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ﴾: عن كونه ذا ولد ، فإنّ

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٦ ؛ الكشّاف ٣: ٤٩٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٢ ـ البيضاوي ٥: ٦٤ ؛ الكشّاف ٣: ٤٩٦ .
٣ ـ القمّي ٢: ٢٨٨ .
٤ ـ الكافي ٨: ١٨٠ ، ذيل الحديث: ٢٠٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٦ ـ القمّي ٢: ٢٨٩ .

هذه المبدعات منزّهة عن توليد المثل، فما ظنّك بمبدعها وخالقها.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾: مستحقّ لأن يُعْبَد فيهما ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بالتّوحيد.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لتعذّر المكابرة فيها، من فرط ظهوره ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿وَقِيلِهِ﴾ وقوله: "قيل" عطف على "الساعة"، وعلى النّصب أي: ويعلم قول الرّسول ﷺ أو وقال: قوله. وقيل: الهاء زائدة[1]. ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾: تسلّم منكم ومتاركة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. تسليةٌ له، وتهديد لهم.

١ـ تفسير الكبير ٢٧: ٢٣٤.

سورة الدّخان

[مكيّة، وهي تسع وخمسون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿وَالكِتابِ المُبِينِ﴾.

﴿إنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ قال: «هي ليلة القدر، أنزل اللّه القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثمّ نزل من البيت المعمور على رسول اللّه صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة»[2]. ﴿إنّا كُنّا مُنْذِرِينَ﴾.

﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ «أي: محكم». كذا ورد[3].

قال: «أي: يقدّر اللّه كلّ أمر من الحقّ والباطل، وما يكون في تلك السّنة، وله فيه البداء[4] والمشيئة، يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، من الآجال والأرزاق، والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيه ما يشاء وينقص ما يشاء، ويلقيه رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٠، عن أبي جعفر، وأبي عبد اللّه، وأبي الحسن عليهم السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٢٤٨، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ البداء في أصل اللّغة بمعنى الظهور، وقد اكتسب في الاستعمال اختصاصاً في ظهور رأي جديد في أمر.

أمير المؤمنين عليه السلام ، ويلقيه أمير المؤمنين إلى الأئمّة ، حتّى ينتهي ذلك إلى صاحب الزّمان صلوات اللّه عليهم ، ويشترط له فيه البداء والمشيئة ، والتّقديم والتأخير»[1] .

وفي رواية: «إنّه لينزل إلى وليّ الأمر تفسير الأُمور سنة سنة ، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا ، وفي أمر النّاس بكذا وكذا»[2] .

وورد في تفسير هذه الآية في الباطن: «أمّا "حم" فهو محمّد صلّى اللّه عليه وآله ، وهو في كتاب هود الّذي أُنزل عليه ، وهو منقوص الحروف . وأمّا "الكتاب المبين" فهو أمير المؤمنين عليه السلام . وأمّا اللّيلة ، ففاطمة صلوات اللّه عليها . وأمّا قوله: "فيها يفرق كلّ أمر حكيم" يقول: يخرج منها خير كثير ، فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم» الحديث[3] .

﴿أَمْراً مِنْ عِنْدِنا﴾: على مقتضى حكمتنا ﴿إِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ﴾: من عادتنا إرسال الرّسل بالكتب .

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ . وضع الرّبّ موضع الضّمير إشعاراً بأنّ الرّبوبيّة اقتضت ذلك ، فإنّه أعظم أنواع التّربية . ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ .

﴿رَبِّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: علمتم أنّ الأمر كما قلنا .

﴿لا إِلهَ إِلّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ .

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ . ردٌّ لكونهم موقنين .

﴿فَارْتَقِبْ﴾: فانتظر لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ .

﴿يَغْشَى النّاسَ﴾: يحيط بهم ﴿هذا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ .

روي في حديث أشراط السّاعة: «أوّل الآيات: الدّخان ، ونزول عيسى ، ونار تخرج من قعر عَدَنَ أَبْيَنَ ، تسوق النّاس إلى المحشر . قيل: فما الدخان؟ فتلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله هذه الآية ، وقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب ، يمكث أربعين يوماً وليلة . أمّا المؤمن فيصيبه

١ ـ القمّي ٢: ٢٩٠ ، عن أبي جعفر ، وأبي عبد اللّه ، وأبي الحسن عليهم السلام .

٢ ـ الكافي ١: ٢٤٨ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٤٧٩ ، قطعة من حديث: ٤ ، عن أبي الحسن عليه السلام .

كهيئة الزّكام، وأمّا الكافر فهو كالسّكران، يخرج من منخريه وأُذنيه ودبره»[١].

أقول: أبْيَن بالموحّدة ثمّ المثنّاة من تحت: اسم رجل نُسِبَ إليه عَدَن.

وفي رواية: «دخان يأتي من السّماء قبل قيام الساعة. يدخل في أسماع الكفرة، حتّى يكون رأس الواحد كرأس الحنيذ[٢]، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزّكام، ويكون الأرض كلّها كبيت أُوقِدَ فيه، ليس فيه خصاص[٣]، يمتدّ ذلك أربعين يوماً»[٤].

والقمّي: ذلك إذا خرجوا في الرّجعة من القبر، يغشى النّاس كلّهم الظّلمة، فيقولوا: "هذا عذاب أليم"[٥].

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ وعد بالإيمان، إن كشف عنهم العذاب.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾: أبان لهم ما هو أعظم منها، في إيجاب الذّكرى من الآيات والمعجزات.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: يعلّمه غلامٌ أعجميّ لبعض ثقيف ﴿مَجْنُونٌ﴾.

القمّي: قالوا ذلك لمّا نزل الوحي فأخذه الغش، فقالوا: هو مجنون[٦].

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ قيل: يعني إلى الكفر غِبّ الكشف[٧].

والقمّي: يعني إلى القيامة[٨].

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ القمّي: القيامة[٩]. والبطش: التّناول بصولة. ﴿إِنَّا

١ـ الكشّاف ٣: ٥٠١؛ البيضاوي ٥: ٦٥.

٢ـ الحَنْذُ: اشتواء اللّحم، والحَنيذ: المَشْويّ. كتاب العين ٣: ٢٠١ (حنذ).

٣ـ الخَصاص: الخلل والفُرَج. مجمع البحرين ٤: ١٦٧ (خصص).

٤ـ جوامع الجامع: ٤٣٨؛ الكشّاف ٣: ٥٠١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٢٩٠.

٦ـ القمّي ٢: ٢٩١.

٧ـ البيضاوي ٥: ٦٦.

٨ و ٩ـ القمّي ٢: ٢٩١.

مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: اختبرنا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ﴾: أرسلوهم معي. القمّي: أي: ما فرض اللّه من الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والسّنن والأحكام[1]. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: غير متّهم.

﴿وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بالاستهانة بوحيه ورسوله ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾. لذكر الأمين مع الأداء، والسّلطان مع العلاء شأن لا يخفى.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: التجأت إليه وتوكّلت عليه ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾: أن تؤذوني ضرباً أو شتماً.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ لا عليّ، ولا لي.

﴿فَدَعا رَبَّهُ﴾ بعد ما كذّبوه ﴿أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾. تعريضٌ بالدّعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به، ولذلك سمّاه دعاء.

﴿فَأَسْرِ﴾ أي: فأوحى اللّه إليه أن أسر ﴿بِعِبادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾: يتّبعكم فرعون وجنوده، إذا علموا بخروجكم.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً﴾ قيل: أي: مفتوحاً ذا فَجْوةٍ واسعة، أو ساكناً على هيئته[2]. والقمّي: أي: جانباً، وخُذْ على الطّريق[3]. ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾.

﴿كَمْ تَرَكُوا﴾: كثيراً تركوا ﴿مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾: محافل مزيّنة ومنازل حسنة.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾: وتنعّم ﴿كانُوا فِيها فاكِهِينَ﴾: متنعّمين. والقمّي: النّعمة في الأبدان.

١ـ القمّي ٢: ٢٩١.

٢ـ البيضاوي ٥: ٦٦.

٣ـ القمّي ٢: ٢٩١.

فاكهين أي: مفاكهة النّساء[١].

﴿كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ﴾.

﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾. قيل: مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم، والاعتداد بوجودهم[٢].

و ورد: «ما بكت السّماء والأرض إلّا على يحيى بن زكريّا، وعلى الحسين بن عليّ»[٣].

وفي رواية «بكت السّماء على يحيى بن زكريا، وعلى الحسين بن عليّ أربعين صباحاً، ولم تبك إلّا عليهما. قيل: فما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء»[٤].

وفي أُخرى: «بكت السّماء على الحسين أربعين يوماً بالدّم»[٥].

﴿وَما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾: مُمهلين إلى وقت آخر.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ﴾: من استعباد فرعون وقتله أبناءهم.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلىٰ عِلْمٍ﴾ بأنّهم أحقّاء بذلك. ﴿عَلَى الْعالَمِينَ﴾: على عالمي زمانهم. القمّي: فلفظه عامّ ومعناه خاصّ[٦]. ﴿وَآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ﴾ كفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسّلوى. ﴿ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾: نعمة جليّة، أو اختبار ظاهر.

﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ﴾ يعني كفّار قريش؛ فإنّ قصّة فرعون كانت معترضة. ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

﴿إِنْ هِيَ إِلّا مَوْتَتُنا الأُولىٰ﴾: ما العاقبة ونهاية الأمر إلّا الموتة المزيلة للحياة الدّنيويّة. ﴿وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾: بمبعوثين.

١ـ القمّي ٢: ٢٩١.
٢ـ البيضاوي ٥: ٦٦.
٣ـ القمّي ٢: ٢٩١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ المناقب ٤: ٥٤؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٦٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ـ المناقب ٤: ٥٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ـ القمّي ٢: ٢٩٢.

﴿فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ .

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ الحميريّ[1] ، الّذي سار بالجيوش وحير الحيرة ؛ كان مؤمناً وقومُه كافرين ، ولذلك ذمّهم دونه . ورد: «لا تسبّوا تبّعاً ، فإنّه كان قد أسلم»[2] . ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وثمود . ﴿أَهْلَكْناهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ﴾ كما أنّ هؤلاء مجرمون .

﴿وَما خَلَقْنَا السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾ .

﴿ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: فصل الحقّ عن الباطل ، والمحقّ عن المبطل ﴿مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾ من الإغناء ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ .

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللّٰهُ﴾ بالعفو عنه ، وقبول الشّفاعة فيه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: لا ينصر منه من أراد تعذيبه ﴿الرَّحِيمُ﴾ لمن أراد أن يرحمه .

قال: «نحن واللّه الّذي يرحم اللّه[3] ، ونحن واللّه الّذي استثنى اللّه ، لكنّا نغني عنهم»[4] .

وفي رواية: «يعني بذلك عليّاً وشيعته»[5] .

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ . مضى صفتها في الصّافّات[6] .

﴿طَعامُ الْأَثِيمِ﴾: كثير الآثام . القمّي: نزلت في أبي جهل[7] .

١ـ «التّبابعة» أسم ملوك اليمن ، فتُبّع لقب له ، كما يقال: خاقان لملك الترك ، وقيصر لملك الرّوم . سمّي تبّعاً لكثرة اتّباعه من النّاس ؛ وقيل: سمّي تبّعاً لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن . مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٦٦ .

٢ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٦٦ ، عن رسول اللّه ﷺ .

٣ـ في المصدر: رحم اللّه» .

٤ـ الكافي ١: ٤٢٣ ، الحديث: ٥٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ـ الكافي ٨: ٣٥ ، ذيل الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ـ الصّافّات (٣٧): ٦٤ ـ ٦٥ .

٧ـ القمّي ٢: ٢٩٢ .

﴿كَالْمُهْلِ﴾ القمّي: الصّفر المذاب[1]. ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾.

﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ القمّي: هو الّذي حمي وبلغ المنتهى[2].

﴿خُذُوهُ﴾ على إرادة القول، والمقول له الزّبانية ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: فجرّوه بمجامعه بقهر ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: وسطه.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: من عذاب هو الحميم.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي: وقولوا له ذلك استهزاء به. القمّي: وذلك، أنّ أباجهل كان يقول: أنا العزيز الكريم، فيعيّر بذلك في النّار[3].

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: تشكّون وتمارون فيه.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾: يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾: ما رقّ من الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ في مجالسهم، ليستأنس بعضهم ببعض.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحوراء: البيضاء، والعيناء: عظيم العينين.

ورد: «المؤمن يزوّج ثمانمائة عذراء وألف ثيّب، وزوجتين من الحور العين»[4].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه، لا يتخصّص شيء منها بمكان ولا زمان ﴿آمِنِينَ﴾ من الضّرر.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ الّتي في الدّنيا، حين يشارف الجنّة

١ و ٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٩٢.

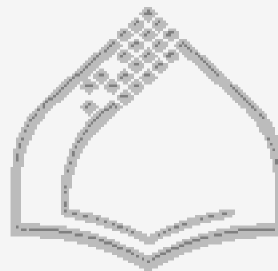
٤ ـ القمّي ٢: ٨٢، ذيل تفسير الآية: ٢٣، من سورة الحجّ، عن أبي عبد الله عليه السلام. وفيه: «وأربعة آلاف ثيّب».

ويشاهدها ﴿وَوَقاهُمْ عَذابَ الجَحِيمِ﴾.

﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾.

﴿فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يفهمونه، فيتذكّرون به لما لم يتذكّروا.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ ما يحلّ بهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ ما يحلّ بك.



سورة الجاثية

[مكيّة ، وهي سبع وثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾ .

﴿تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ .

﴿إِنَّ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ من النّجوم والشّمس والقمر ، وممّا يخرج من الأرض من أنواع النّبات للنّاس والدّوابّ .

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ﴾: من مطر ؛ سمّاه رزقاً لأنّه سببه . ﴿فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾: يُبسها ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها ، وإثارتها السّحاب . وإلقاحها الشّجر ﴿آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ . ولعلّ اختلاف الفواصل لاختلاف الآيات في الدّقّة والظّهور .

﴿تِلْكَ آياتُ اللّٰهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّٰهِ وَآياتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بعد حديثه ، وهو القرآن . وتقديم اسم اللّٰه للمبالغة والتّعظيم ، كقولك: أعجبني زيد وكرمه .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذّاب كثير الإثم.

﴿يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾: يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِراً﴾ عن الإيمان بالآيات. و«ثمّ» لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات. ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها﴾ أي: كأنّه ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً﴾ القمّي: وإذا رأى[1]. ﴿اتَّخَذَها هُزُواً أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا﴾ من الأموال والأولاد ﴿شَيْئاً وَلا ما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ﴾ من الأصنام والرّؤساء ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿هٰذا هُدىً﴾ أي: القرآن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾: من أشدّ العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بتسخيره وأنتم راكبوها ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتّجارة والغوص والصّيد وغيرها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ بأن خلقها كلّها نافعة لكم ﴿مِنْهُ﴾: كائنة منه ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ أي: قل لهم: اغفروا يغفروا. يعني يعفوا ويصفحوا.

﴿لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيّامَ اللَّهِ﴾: لا يتوقّعون وقائعه بأعدائه.

قال: «قل للّذين مننّا عليهم بمعرفتنا أن يعرّفوا الّذين لا يعلمون، فإذا عرّفوهم فقد غفروا لهم»[2].

والقمّي: يقول الأئمّة الحقّ: لا تدعوا على أئمّة الجور، حتّى يكون اللّه هو الّذي يعاقبهم[3]. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٢٩٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٩٣.

﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ ثوابه ﴿وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾ عقابه ﴿ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الكِتابَ﴾: التوارة ﴿وَالحُكْمَ﴾: والحكمة، أو فصل الخصومات ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ إذ كثّر الأنبياء فيهم ما لم يكثر في غيرهم ﴿وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلَى العالَمِينَ﴾: عالمي زمانهم.

﴿وَآتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الأَمْرِ﴾: أدلّة من أمر الدّين ﴿فَما اخْتَلَفُوا﴾ في ذلك الأمر ﴿إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ﴾ بحقيقة الحال ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾: عداوة وحسداً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ﴾: طريقة من أمر الدّين ﴿فَاتَّبِعْها وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. القمّي: هذا تأديب لرسول الله صلّى الله عليه وآله، والمعنى لأمّته[1].

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً﴾ ممّا أراد بك ﴿وَإِنَّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَاللّٰهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ﴾.

﴿هٰذا بَصائِرُ لِلنّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ﴾: اكتسبوها ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَخَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه.

القمّي: نزلت في قريش، كلّما هَوَوْا شيئاً عبدوه، وجرت بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله في أصحابه الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام، واتّخذوا إماماً بأهوائهم[2].

١ـ القمّي ٢: ٢٩٤.

٢ـ القمّي ٢: ٢٩٤.

﴿وَأَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلىٰ عِلْمٍ﴾: وخذله؛ عالماً بضلاله وفساد جوهر روحه. ﴿وَخَتَمَ عَلىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكّر في الآيات ﴿وَجَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشاوَةً﴾ فلاينظر بعين الاستبصار والاعتبار ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ﴾: من بعد إضلاله ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَقالُوا ما هِيَ﴾: ما الحياة ﴿إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا﴾ الّتي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيا﴾. القمّي: هذا مقدّم ومؤخّر، لأنّ الدّهريّة لم يقرّوا بالبعث والنّشور بعد الموت، وإنّما قالوا: نحيا ونموت[1]. وقيل: أي نموت نحن ويحيا آخرون ممّن يأتون بعدنا[2]. ﴿وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ﴾: إلّا مرور الزمان ﴿وَما لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

قال في حديث: «فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالرّبوبيّة، وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار، وهو قول صنفين من الزّنادقة يقال لهم: الدّهريّة، وهم الّذين يقولون: "وما يهلكنا إلّا الدّهر"، وهو دين وضعوه لأنفسهم، بالاستحسان منهم على غير تثبّت منهم ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون. قال اللّٰه عزّوجلّ: "إن هم إلّا يظنّون" أنّ ذلك كما يقولون»[3].

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ ما كانَ حُجَّتَهُمْ﴾: ما كان لهم متشبّث يعارضونها به ﴿إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿قُلِ اللّٰهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لقصور نظرهم على ما يُحِسّونه.

﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَتَرىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾ القمّي: أي: على ركبها[4]. أقول: يعني مستوفزين. وقيل:

١ ـ القمّي ٢: ٢٩٤.

٢ ـ جامع البيان (للطبري) ٢٥: ٩١؛ الكشّاف ٣: ٥١٢؛ البيضاوي ٥: ٧.

٣ ـ الكافي ٢: ٣٨٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٩٥.

أي: مجتمعة ؛ من الجثوة وهي الجماعة[١] . ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعىٰ إِلىٰ كِتابِها﴾: صحيفة أعمالها . ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿هٰذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: يشهد عليكم .

و ورد: «إنّ الكتاب لم ينطق ولن ينطق ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو النّاطق بالكتاب . قال الله تعالى: "هذا كتابنا ينطقُ عليكم بالحق" فقيل: إنّا لا نقرؤها هكذا؟ فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله ، ولكنّه ممّا حُرِّفَ من كتاب الله»[٢] . أقول: يعني أنّه نزل على البناء للمفعول .

﴿إِنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: نستكتب الملائكة أعمالكم من اللّوح المحفوظ .

ورد: «إنّ الملكين الموكّلين بالعبد إذا أرادا النّزول صباحاً ومساءً ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللّوح المحفوظ ، فيعطيهما ذلك ، فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنّسخ الّتي انتسخ لهما ، حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ منه»[٣] .

وفي رواية: «أَوَلستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام؟! واحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب ، أوَ ليس إنّما ينسخ من كتاب آخر من الأصل ، وهو قوله: "إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون"»[٤] .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ . ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ . ﴿وَإِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَالسّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِي ما

١ ـ الكشّاف ٣: ٥١٣ ؛ البيضاوي ٥: ٧١ .

٢ ـ الكافي ٨: ٥٠ ، الحديث: ١١ ؛ القمّي ٢: ٢٩٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ سعد السّعود: ٢٢٦ .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٠ ، ذيل الآية: ١ ، عن سورة القلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

السّاعةُ إنْ نَظُنُّ إلّا ظَنّاً وما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ .

﴿وَبَدا لَهُمْ﴾: ظهر لهم ﴿سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُون﴾ .

﴿وَقِيلَ اليَوْمَ نَنْساكُمْ﴾: نترككم في العذاب ترك ما ينسى . ﴿كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هٰذا وَمَأْواكُمُ النّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ .

﴿ذٰلِكُمْ بِأنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الحَياةُ الدُّنْيا فَاليَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يطلب منهم أن يعتبوا ربّهم ، أي: يرضوه لفوات أوانه .

﴿فَلِلّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمٰواتِ وَرَبِّ الأرْضِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ إذ الكلّ نعمة منه .

﴿وَلَهُ الكِبْرِياءُ فِي السَّمٰواتِ وَالأرْضِ﴾ إذ ظهر فيها آثار قدرته ﴿وَهُوَ العَزِيزُ﴾ الّذي لا يغلب ﴿الحَكِيمُ﴾ فيما قدّر وقضى ، فاحمدوه وكبّروه وأطيعوا له .



سورة الأحقاف

[مكيّة، وهي خمس وثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.

﴿ما خَلَقْنَا السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰواتِ ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذا﴾ يعني القرآن. قال: «عنى بالكتاب التوراة والانجيل»[2]. ﴿أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: أو بقيّة بقيت عليكم من علوم الأوّلين قال: «عنى بذلك علم أوصياء الأنبياء»[3]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ﴾: ما دامت الدّنيا ﴿وَهُمْ عَنْ دُعائِهِم غافِلُونَ﴾.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ الكافي ١: ٤٢٦، الحديث: ٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا لَهُمْ أَعْداءً﴾: يضرّونهم ولا ينفعونهم ﴿وَكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ﴾. كلّ من الضميرين ذو وجهين.

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ هٰذا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً﴾ يعني إن عاجلني اللّه بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها، فكيف أجترئ عليه وأُعرّض نفسي للعقاب من غير توقّع نفع، ولا دفع ضرّ مِنْ قِبَلكم! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ من القدح في آياته ﴿كَفىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصّدق والبلاغ، وعليكم بالكذب والإنكار؛ وهو وعيد بجزاء إفاضتهم. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وعدٌ بالرّحمة والمغفرة لمن تاب وآمن، وإشعارٌ بحلم اللّه عنهم مع جرأتهم، وقد سبق شأن نزول هذه الآية في الشّورى[1].

﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾: بديعاً منهم، أدعوكم إلى ما لم يدعوا إليه، أو أقدر على ما لم يقدروا عليه. ﴿وَما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ في الدّارين على التّفصيل، إذ لا علم لي بالغيب ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلّا ما يُوحىٰ إِلَيَّ وَما أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ أي: القرآن ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ قيل[2]: هو عبد اللّه بن سلام[3]. وقيل: موسى عليه السلام، وشهادته ما في التّوراة من نعت الرّسول صلى الله عليه وآله[4]. ﴿عَلىٰ مِثْلِهِ﴾ ممّا في التّوراة من المعاني المصدّقة له المطابقة عليه

١ ـ ذيل الآية: ٢٥.

٢ ـ التّبيان ٩: ٢٧١؛ الكشّاف ٣: ٥١٨؛ البيضاوي ٥: ٧٣.

٣ ـ عبد اللّه بن سلام بن الحارث الإسرائيليّ، أبو يوسف، صحابيّ، قيل: إنّه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النّبيّ صلى الله عليه وآله المدينة، وقيل: تأخّر إسلامه إلى سنة ثمان. وكان حليفاً لبني قينقاع، وكان اسمه في الجاهليّة «الحصين». وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع أرسل خلف جمع وأمرهم بالبيعة. فقيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد اللّه بن سلام؟ فقال: لا حاجة. لنا فيمن لا حاجة له فينا. ومات بالمدينة سنة: ٤٣. راجع: الإصابة ٤: ٨٠؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ٤: ٩؛ الأعلام (للزركلي) ٤: ٩٠.

٤ ـ التّبيان ٩: ٢٧١؛ البيضاوي ٥: ٧٣.

﴿فَآمَنَ﴾ به ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . استئناف مشعر بأنّ كفرهم به لضلالهم المسبّب عن ظلمهم ، ودليل على الجواب المحذوف ، أي: ألستم ظالمين .

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لأجلهم وفي شأنهم ﴿لَوْ كانَ خَيْراً﴾ أي: الإيمان ﴿ما سَبَقُونا إِلَيْهِ﴾ وهم فقراء وموالٍ ورُعاة ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ .

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾: ومن قبل القرآن ﴿كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً وَهٰذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى ﴿لِساناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾ . مضى تفسيره في حم السّجدة[١] . ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

﴿أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ﴾: ومدّة حمله وفطامه ﴿ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ . ذلك كلّه بيان لما تكابده الأُمّ في تربية الولد ، مبالغة في التّوصية بها ﴿حَتّىٰ إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: استحكم قوّته وعقله ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلىٰ والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عمّا يشغل عنك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المخلصين لك .

ورد ما ملخّصه: «إنّها نزلت في الحسين عليه السلام ، وإنّ كراهة أُمّه بالحمل والوضع من جهة أنّها أُخبرت بأنّه سيقتل . فلمّا بُشّرت بأنّ في ذرّيّته الإمامة والولاية والوصيّة رضيت ، قال: فلولا أنّه قال: "أصلح لي في ذرّيّتي" لكانت ذرّيّته كلّهم أئمّة . قال: ولم يولد لستّة أشهر إلّا عيسى بن مريم والحسين عليهما السلام»[٢] .

١ ـ ذيل الآية: ٣٠ .

٢ ـ الكافي ١: ٤٦٤ ، الحديث: ٣ و ٤ ؛ علل الشّرائع ١: ٢٠٦ ، الباب: ١٥٦ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أَصْحابِ الجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾: أن أبعث ﴿وَقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فلم يرجع أحد منهم ﴿وَهُما يَسْتَغِيثانِ اللّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ ما هذا إِلّا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم الّتي كتبوها. القمّي: نزلت في عبد الرحمان بن أبي بكر[1].

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ﴾ بأنّهم أهل النّار ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ﴾.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الفريقين ﴿دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا﴾: مراتب في الخير والشّرّ. والدّرجة غالبة في المثوبة، وهاهنا جاءت على التّغليب. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ﴾: جزاؤها ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، وزيادة عقاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ﴾: لذائذكم ﴿فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا﴾ باستيفائها ﴿وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها﴾ فما بقي لكم منها شيء. القمّي: أكلتم وشربتم ولبستم وركبتم، وهي في بني فلان[2].

ورد: «أُتي النّبيّ صلّى الله عليه وآله بخبيص[3] فأبى أن يأكله، فقيل: أتحرّمه؟ فقال: لا، ولكنّي أكره أن تتوق[4] إليه نفسي. ثم تلا هذه الآية»[5]. ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٢٩٧.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٨.

٣ ـ الخَبيص: طعام معمول من التّمر والزبيب والسمن. مجمع البحرين ٤: ١٦٧ (خبص).

٤ ـ تاقَتْ نفسي إلى الشيء، أي: اشتاقَتْ. الصّحاح ٤: ١٤٥٣ (توق).

٥ ـ المحاسن ٢: ٤٠٩، الباب: ١٥، الحديث: ١٣٣، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام.

﴿وَاذْكُرْ أَخا عادٍ﴾ يعني هوداً ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقافِ﴾. قيل: هي جمع «حِقْف»، وهي رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء[1]. القمّي: الأحقاف من بلاد عاد، من الشُّقُوق[2] إلى الأَجْفُر[3]، وهي أربعة منازل[4]. ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾: الرُّسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: قبل هود وبعده ﴿أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا اللّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا﴾: لتصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾.

﴿قالَ إِنَّما العِلْمُ عِنْدَ اللّهِ﴾: لا علم لي بوقت عذابكم، ولا مدخل لي فيه فأستعجل به، وما لي إلّا البلاغ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ وَلٰكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾.

﴿فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضاً﴾: سحاباً عرض في أُفق السّماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هٰذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ﴾ أي: قال هود: بل هو ﴿ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿تُدَمِّرُ﴾: تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من نفوسكم وأموالكم ﴿بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا﴾ أي: فجاءتهم الرّيح فدمّرتهم فأصبحوا ﴿لا يُرىٰ إِلّا مَساكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾.

روي: «إنّ هوداً لمّا أحسّ بالرّيح، اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة، وجاءت الرّيح فأمالت الأحقاف على الكفرة، وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيّام، ثمّ كشفت عنهم

١ ـ الكشّاف ٣: ٥٢٢؛ البيضاوي ٥: ٧٤.

٢ ـ شُقُوق: جمع شَقّ أو شِقّ، وهو النّاحية: منزل بطريق مكّة بعد واقصة من الكوفة وبعدها تلقاء مكّة بطان وقبر العبادي، وهو لبني سلامة من بني أسد. والشقوق أيضاً: من مياه ضبّة بأرض اليمامة. معجم البلدان ٣: ٣٥٦.

٣ ـ الأَجْفُر: جمع جَفر، وهو البئر الواسعة لم تُطوَ: موضع بين فَيْدُ والخزيميّة، بينه وبين فَيْدُ ستّة وثلاثون فرسخاً نحو مكّة. وقال الزمخشري: الأجفر ماءٌ لبني يربوع، انتَزَعَتْه منهم بنو جذيمة. معجم البلدان ١: ١٠٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٩٨.

واحتملتهم وقذفتهم في البحر»[١].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنّاكُمْ فِيهِ﴾ «إن» نافية أو شرطيّة محذوفة الجواب، أي: كان بغيكم أكثر. ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً﴾ ليعرفوا تلك النّعم، ويستدلّوا بها على منعمها، ويواظبوا على شكرها. ﴿فَما أَغْنىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: من الإغناء ﴿إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللّهِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب. القمّي: أي: قد أعطيناهم فكفروا، فنزل بهم العذاب، فاحذروا أن لا ينزل بكم ما نزل بهم[٢].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنا ما حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكّة ﴿مِنَ الْقُرىٰ﴾ كحجر ثمود، وقرى قوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآياتِ﴾ بتكريرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ قُرْباناً آلِهَةً﴾: فهلّا منعتهم من الهلاك آلهتهم الّذين يتقرّبون بهم إلى اللّه، حيث قالوا: "هٰؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ"[٣]. ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: غابوا عن نصرهم ﴿وَذٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾: صرفهم عن الحقّ ﴿وَما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ﴾ والنّفر دون العشرة.

ورد: «إنّهم كانوا تسعة، واحد من جنّ نصيبين والثّمان من بني عمرو بن عامر وذكر أسماءهم»[٤]. ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا﴾: قال بعضهم لبعض: اُسكتوا لنسمعه. ﴿فَلَمّا قُضِيَ﴾: فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا إِلىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ إيّاهم.

﴿قالُوا يا قَوْمَنا إِنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

١ ـ البيضاوي ٥: ٧٥.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٩.

٣ ـ يونس (١٠): ١٨.

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٣٠، عن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

﴿يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللّٰهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: بعض ذنوبكم. قيل: هو ما يكون من خالص حقّ اللّٰه، فإنّ المظالم لا تغفر بالإيمان[1]. ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَمَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللّٰهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ إذ لا ينجي منه مهرب ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ﴾ يمنعونه منه ﴿أُولٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

سئل عن مؤمني الجنّ: أيدخلون الجنّة؟ فقال: «لا، ولكن للّٰه حظائر بين الجنّة والنّار، يكون فيها مؤمنو الجنّ وفسّاق الشّيعة»[2].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ﴾: ولم يتعب ولم يعجز ﴿بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتىٰ بَلىٰ إِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَلَيْسَ هٰذا بِالْحَقِّ قالُوا بَلىٰ وَرَبِّنا قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾: أولوا الثّبات والجدّ منهم، فإنّك من جملتهم. وأُولوا العزم: أصحاب الشّرائع، اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على مشاقّها. قال: «هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات اللّٰه عليهم»[3].

﴿وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾: لكفّار قريش بالعذاب، فإنّه نازل بهم في وقته لا محالة. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ﴾ استقصروا من هوله مدّة لبثهم في الدّنيا، حتّى يحسبونها ساعة. ﴿بَلاغٌ﴾: هذا الّذي وعظتم به كفاية، أو تبليغ من الرّسول. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الاتّعاظ والطّاعة.

١ـ البيضاوي ٥: ٧٦.

٢ـ القمّي ٢: ٣٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام؛ وص ٢٢٤، الحديث: ٢؛ الخصال ١: ٣٠٠، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٣.

سورة محمّد

[مدنيّة ، وهي ثمان وثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ﴾ . القمّي: نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين ارتدّوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وغصبوا أهل بيته حقّهم ، وصدّوا عن أمير المؤمنين وولاية الأئمة عليهم السلام "أضلّ أعمالهم" ، أي: أبطل ما كان تقدّم منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله من الجهاد[2] .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ﴾ قال: «بما نزل على محمّد في عليّ ؛ هكذا نزلت»[3] .

﴿وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ﴾: حالهم . القمّي: نزلت في أبي ذرّ وسلمان وعمّار والمقداد ، لم ينقضوا العهد وثبتوا على الولاية[4] .

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٠٠ .

٣ ـ المصدر: ٣٠١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٣٠١ .

كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ لِلنّاسِ أَمْثالَهُمْ﴾ .

قال: «في سورة محمّد آية فينا وآية في أعدائنا»[١] .

﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في المحاربة ﴿فَضَرْبَ الرِّقابِ﴾: فاضربوا الرّقاب ضرباً ﴿حَتّىٰ إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾: أكثرتم قتلهم وأغلظتموه ﴿فَشُدُّوا الْوَثاقَ﴾: فأسروهم واحفظوهم ﴿فَإِمّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمّا فِداءً﴾: فإمّا تمنّون منّاً ، أو تفدون فداء . والمراد التّخيير بين المنّ والإطلاق ، وبين أخذ الفداء . ﴿حَتّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها﴾: آلاتها وأثقالها الّتي لا تقوم إلّا بها ، كالسّلاح والكراع . أي: تنقضي الحرب ولم يبق إلّا مسلم أو مسالم .

﴿ذٰلِكَ﴾: الأمر ذلك ﴿وَلَوْ يَشاءُ اللّٰهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: لانتقم منهم بالاستئصال ﴿وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: ولكن أمركم بالقتال ، ليبلو المؤمنين بالكافرين ، بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثّواب العظيم ، والكافرين بالمؤمنين ، بأن يعاجلهم بأيديهم ببعض عذابهم ، كي يرتدع بعضهم عن الكفر . ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ﴾: فلن يضيّعها .

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ﴾ .

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾ القمّي: أي: وعدها إيّاهم ، وادّخرها لهم[٢] .

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ﴾: إن تنصروا دينه ورسوله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على عدوّكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ في القيام بحقوق الإسلام ، والمجاهدة مع الكفّار .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ﴾: فعثوراً وانحطاطاً لهم ﴿وَأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ﴾ .

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللّٰهُ﴾ في عليّ . قال: «هكذا نزل جبرئيل بهذه الآية ، إلّا أنّه كشط[٣] الإسم»[٤] . ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾ .

---

١ ـ المصدر ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٠٢ .

٣ ـ الكَشْطُ: رَفْعُكَ شيئاً عن شيء قد غطّاه . كتاب العين ٥: ٢٨٩ (كشط) .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٠٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ القمّي: في أخبار الأمم الماضية[1]. ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أهلكهم وعذّبهم ﴿وَلِلْكافِرِينَ﴾ الّذين كرهوا ما أنزل الله في عليّ ﴿أَمْثالُها﴾ من العذاب والهلاك.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ناصرهم ﴿وَأَنَّ الكافِرِينَ لا مَوْلىٰ لَهُمْ﴾: لا ناصر لهم فيدفع عنهم العذاب وأمّا قوله: "وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَيهُمُ الحَقِّ"[2] فالمولى فيه بمعنى المالك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: ينتفعون بمتاع الدّنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْأَنْعامُ﴾: حريصين غافلين عن العاقبة ﴿وَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾: منزل ومقام.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ﴾ يدفع عنهم.

﴿أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ القمّي: يعني أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه[3]. ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ﴾. ورد: «هم المنافقون»[4]. القمّي: يعني الّذين غصبوه[5].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي: أمثل الجنّة ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: غير متغيّر الطّعم والرّيح ﴿وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ﴾: لذيذة لهم، لا يكون فيها كراهة ريح، ولا غائلة سكر وخمار. القمّي: إذا تناولها وليّ اللّه

١ ـ القمّي ٢: ٣٠٢.
٢ ـ يونس (١٠): ٣٠.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٠٢.
٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٠٢.

وجد رائحة المِسْك فيها[١]. ﴿وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾: لم يخالطه الشّمع وفضلات النّحل وغيرها ﴿وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النّارِ﴾: كمثل من هو خالد في النّار ﴿وَسُقُوا ماءً حَمِيماً﴾ مكان تلك الأشربة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾ من فرط الحرارة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّىٰ إِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ماذا قالَ آنِفاً﴾. القمّي: نزلت في المنافقين من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومن كان إذا سَمِعَ شيئاً لم يكن يؤمن به ولم يَعِه، فإذا خرج قال للمؤمنين: ماذا قال محمّد آنفاً[٢]؟ ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها﴾: فقد ظهر أماراتها ﴿فَأَنّىٰ لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ﴾: تذكّرهم، ولا ينفع حينئذ ولا فراغ له.

ورد: «أمّا أشراط السّاعة فنار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب»[٣].

وفي رواية: «إنّ من أشراط السّاعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويفشو الزّنا، ويقلّ الرّجال وتكثر النّساء، حتّى انّ الخمسين امرأة فيهنّ واحد من الرّجال»[٤].

وفي حديث سلمان عدّ منها أشياء كثيرة، وهو مذكور في الصّافي[٥].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا اللّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ﴾ يعني إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين؛ فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانيّة

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣٠٣.
٣ ـ علل الشّرائع ١: ٩٥، الباب: ٣، الحديث: ٨٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٤ ـ روضة الواعظين ٢: ٤٨٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وفي «ج»: «الخميسين».
٥ ـ الصّافي ٥: ٢٥ ـ ٢٦.

وتكميل النّفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك، ولذنوب المؤمنين والمؤمنات بالدّعاء لهم والتّحريض[1] على ما يستدعي غفرانهم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الدّنيا، ولها مراحل لابدّ من قطعها ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ في العقبى، فإنّها دار إقامتكم.

ورد: «الاستغفار وقول لا إله إلّا اللّه خير العبادة. قال اللّه العزيز الجبّار: "فاعلم أنّه لا إله إلّا اللّه واستغفر لذنبك"»[2].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ في أمر الجهاد ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: مبيّنة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي: الأمر به ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: جُبْناً ومخافة ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: فويل لهم.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ خير لهم ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جدّ. أسند عزم أصحاب الأمر إلى الأمر مجازاً، وجوابه محذوف. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أي: فيما زعموا من الحرص على الجهاد ﴿لَكَانَ﴾ الصّدق ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: فهل يتوقّع منكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أمور النّاس وتأمّرتم عليهم، أو أعرضتم وتولّيتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ تناحراً[3] على الولاية وتجاذباً لها، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهليّة؛ من تغاور ومقاتلة مع الأقارب. والمعنى: أنّهم لضعفهم في الدّين وحرصهم على الدّنيا؛ أحقّاء بأن يتوقّع ذلك منهم من عرف حالهم، ويقول لهم هل عسيتم؟

ورد: «إنّها نزلت في بني أُميّة»[4].

١ ـ في «ألف»: «التّحريص».

٢ ـ الكافي ٢: ٥١٧، الحديث: ٢، عن رسول اللّه ﷺ.

٣ ـ انتحر القومُ على الأمر: تشاحّوا عليه. وقيل: انتحَروا وتناحَروا: من شدّة حرصهم. القاموس المحيط ٢: ١٤٤؛ كتاب العين ٣: ٢١٠ (نحر). وفي «ألف»: «تفاخراً».

٤ ـ الكافي ٨: ١٠٣، الحديث: ٧٦؛ القمّي ٢: ٣٠٨، عن أبي جعفر ﷺ.

﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحقّ ﴿وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ فلا يهتدون سبيله.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال: «أفلا يتدبّرون القرآن فيقضون ما عليهم من الحقّ»[١].

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر. وإضافة الأقفال إليها، للدّلالة على أقفال مناسبة لها مختصّة بها، لا تجانس الأقفال المعهودة.

ورد: «إنّ اللّه إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً؛ وهو قول اللّه عزّوجلّ: "أم على قلوب أقفالها"»[٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ إلى ما كانوا عليه من الكفر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: سهّل لهم ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: مدّلهم في الآمال والأمانيّ. وعلى قراءة: أُملي[٣]، أي: وأنا أُمهلهم ولم أُعاجلهم بالعقوبة.

قال: «نزلت واللّه فيهما وفي أتباعهما»[٤]. وفي رواية: «الشيطان: الثّاني»[٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ قال: «في عليّ»[٦]. ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

قال: «دعوا بني أُميّة إلى ميثاقهم أن لايصيّروا الأمر فينا بعد النّبي صلّى الله عليه وآله، ولا يعطونا من الخمس شيئاً. وقالوا: إن أعطيناهم إيّاه لم يحتاجوا إلى شيء، ولم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم. فقالوا: سنطيعكم في بعض الأمر الّذي دعوتمونا إليه، وهو الخمس ألّا تعطيهم منه شيئاً»[٧].

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٤، عن أبي عبد اللّه وأبي الحسن عليهما السلام.
٢ ـ المحاسن: ٣٠٠، الحديث: ٣٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٣، في قراءة أهل البصرة.
٤ ـ الكافي ١: ٤٢٠، الحديث: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٠٨: عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ و ٧ ـ الكافي ١: ٤٢١، ذيل الحديث: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون ويحتالون ﴿إِذا تَوَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ﴾.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّٰهَ﴾ القمّي: يعني موالاة فلان وفلان[1]. ﴿وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ﴾.

قال: «كرهوا عليّاً؛ أمر اللّه بولايته يوم بدر، ويوم حنين، وببطن نخلة، ويوم التروية، ويوم عرفة؛ نزلت فيه خمس عشرة آية في الحجّة الّتي صدّ فيها رسول اللّه ﷺ عن المسجد الحرام، وبالجحفة، وبخُمّ»[2].

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾ القمّي: يعني الّتي عملوها من الخيرات[3].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّٰهُ أَضْغانَهُمْ﴾: أن لن يبرز اللّه لرسوله والمؤمنين أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ﴾: لعرّفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾: بعلاماتهم الّتي نسمهم بها ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ﴾: في أسلوبه، وإمالته إلى جهة تعريض وتورية. قال بعض الصّحابة: لحن القول: بغض عليّ بن أبي طالب، وكنّا نعرف المنافقين على عهد رسول اللّه بذلك[4]. ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالتكاليف الشّاقّة ﴿حَتّٰى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبارَكُمْ﴾ عن إيمانكم وموالاتكم المؤمنين في صدقها وكذبها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَشاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئاً﴾ بكفرهم وصدّهم ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ﴾

١ ـ القمّي ٢: ٣٠٩.

٢ ـ روضة الواعظين: ١٠٦، عن أبي جعفر ﷺ.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٠٩.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٦، عن أبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري.

الصّالحات بترك الإطاعة فيما افترض اللّه ورسوله عليكم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ ماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ .

﴿فَلا تَهِنُوا﴾: فلا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلى السَّلْمِ﴾: ولا تدعوا إلى الصّلح خوراً وتذلّلاً ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾: الأغلبون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ﴾: ولن يضيع أعمالكم بإفراده عن الثواب . والآية ناسخة لقوله تعالى: "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها"[١] .

﴿إِنَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لا ثبات لها ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ﴾: جميع أموالكم ، بل يقتصر على جزء يسير ، كالعُشْر ونصف العُشْر ورُبع العُشْر .

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ﴾: فيجهدكم بطلب الكلّ ، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية ﴿تَبْخَلُوا﴾ فلا تعطوا ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ﴾: العداوة الّتي في صدوركم .

﴿ها أَنْتُمْ هٰؤُلاءِ﴾ قيل: أي: أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون[٢] . والقمّي: معناه: أنتم يا هؤلاء[٣] ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: فإنّ نفع الإنفاق وضرّ[٤] الإمساك عائدان إليه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم ، فإن امتثلتم فلكم ، وإن تولّيتم فعليكم ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عطف على "وإن تؤمنوا" . ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾: يقم مكانكم قوماً آخرين ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ﴾ في معاداتكم وخلافكم .

١ ـ الأنفال (٨): ٦١ .

٢ ـ البيضاوي ٥: ٨١ .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٠٩ .

٤ ـ في «ألف»: «ضرر» .

قال: «إن تتولّوا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم، يعني الموالي»[1].

وفي رواية: «عنى أبناء الموالي المعتقين»[2].

وروي: «إنّ أُناساً قالوا: يا رسول اللّه من هؤلاء الّذين ذكر اللّه في كتابه؟ وكان سلمان إلى جنبه، فضرب بيده على فخذ سلمان فقال: هذا وقومه، والّذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثّريّا لَتَنَاوَلَه رجال من فارس»[3].



۱ ـ مجمع البيان ۹ ـ ۱۰: ۱۰۸، عن أبي جعفر عليه السلام.

۲ ـ القمّي ۲: ۳۰۹، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

۳ ـ الكشّاف ۳: ۵٤۰؛ معالم التّنزيل ٤: ۱۸۷؛ تفسير القرآن العظيم ٤: ۱۹٦؛ مجمع البيان ۹ ـ ۱۰: ۱۰۸.

سورة الفتح

[مدنيّة ، وهي تسع وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ . ورد: «إنّ سبب نزول هذه السّورة ، وهذا الفتح العظيم ، أنّ الله عزّوجلّ أمر رسولهﷺ في النّوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع المحلّقين ، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج ، فخرجوا ؛ فلمّا نزل ذا الحليفة ، أحرموا بالعمرة ، وساقوا البدن . قال: فلمّا كان في اليوم الثّاني نزل الحديبيّة ـ وهي على طرف الحرم ـ وكان رسول اللهﷺ يستنفر الأعراب في طريقه معه ، فلم يتبعه أحد ويقولون: أيطمع محمّد وأصحابه أن يدخلوا الحرم ؛ وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم؟! إنّه لا يرجع محمّد وأصحابه إلى المدينة أبداً . فلمّا نزل الحديبيّة ، خرجت قريش يحلفون باللّات والعزّى: لا يدعون رسول اللهﷺ يدخل مكّة ؛ وفيهم عين تطرف ، فبعث إليهم : أنّي لم آت لحرب ، وإنّما جئت لأقضي مناسكي وأنحر بدني وأُخلّي بينكم وبين لُحمانها . فبعثوا إليه حفص بن الأحنف[2] وسهيل ابن عمرو[3] ، فقالا: يا محمّد ألا ترجع عنّا عامك هذا ،

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ هو مِكْرَز بن حفص بن الأخيف ، من بني عامر بن لؤي ، من قريش: شاعر جاهليّ ، من الفُتّاك ، أدرك الإسلام ، وقدم المدينة لمّا أسر المسلمون سهيل بن عمرو يوم بدر . راجع: المغازي (للواقدي) ١: ٥٩٩ و٦٠٢ ؛ السّيرة النبويّة (لابن كثير) ٣: ٣١٦ ؛ الأعلام (للزّركلي) ٧: ٢٨٤ .

٣ ـ سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، القرشي العامري، من لؤي: خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهليّة. أسره ←

إلى أن ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر العرب؟ فإنّ العرب قد تسامعت مسيرك، فإذا دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا، ونخلّي لك البيت في العام القابل في هذا الشّهر ثلاثة أيّام، حتّى تقضي نسكك وتنصرف عنّا، فأجابهم رسول اللّه ﷺ إلى ذلك، واشترط عليهم: أنّ المسلمين بمكّة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام، ولا يكرهون ولاينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام. فقبلوا ذلك. فلمّا أجابهم إلى الصّلح، أنكر عليه عامّة أصحابه، وأشدّ ما كان إنكاراً عمر، فقال: يا رسول اللّه ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام، ونحلّق مع المحلّقين؟ فقال: أمن عامنا هذا وعدتُك؟ قلت لك: إنّ اللّه عزّوجلّ قد وعدني أن أفتح مكّة وأطوف وأسعى وأُحلّق مع المحلّقين، فلمّا أكثروا عليه قال لهم: إن لم تقبلوا الصّلح فحاربوهم. فمرّوا نحو قريش وهم مستعدّون للحرب، وحملوا عليهم، فانهزم أصحاب رسول اللّه ﷺ هزيمة قبيحة، ومرّوا برسول اللّه ﷺ فتبسّم، ثمّ قال: يا عليّ خذ السّيف واستقبل قريشاً، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وحمل على قريش، فلمّا نظروا إليه تراجعوا، ثمّ قالوا: يا عليّ بدا لمحمّد فيما أعطانا؟ فقال: لا. ورجع حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو إلى رسول اللّه ﷺ فقالا: يا محمّد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت من إظهار الإسلام، وأن لا يكره أحد على دينه قال: وكتبوا نسختين، نسخة عند رسول اللّه ﷺ ونسخة عند سهيل بن عمرو، ورجع سهيل وحفص إلى قريش، وقال رسول اللّه ﷺ: انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم فامتنعوا، وقالوا: كيف ننحر ونحلّق ولم نطف بالبيت، ولم نسع بين الصّفا والمروة؟ فنحر رسول اللّه وحلق، فنحر القوم على حيث يقين وشكّ وارتياب. ثمّ رحل نحو المدينة فرجع إلى التّنعيم، ونزل تحت الشّجرة، فجاء أصحابه الّذين أنكروا عليه الصّلح واعتذروا، وأظهروا النّدامة على ما كان منهم، وسألوه أن يستغفر لهم. فنزلت آية الرّضوان»[1]. هذا ملخّص القصّة.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾ علّة للفتح من حيث إنّه مسبّب عن

← المسلمون يوم بدر، وافتدي، فأقام على دينه إلى يوم الفتح بمكّة، فأسلم وسكنها، ثمّ سكن المدينة. مات بالطّاعون في الشّام سنة: ١٨هـ. الأعلام (للزّركلي) ٣: ١٤٤.

١ ـ القمّي ٢: ٣٠٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

جهاد الكفّار والسّعي في إزاحة الشّرك وإعلاء الدّين وتكميل النّفوس النّاقصة قهراً؛ ليصير ذلك بالتّدريج اختياراً، وتخليص الضّعفة عن أيدي الظّلمة.

سئل عن هذه الآية، فقال: «ما كان له ذنب ولا همّ بذنب، ولكنّ اللّه حمله ذنوب شيعته ثمّ غفرها له»[1].

وفي رواية: «يعني ذنبك عند مشركي أهل مكّة، حيث دعوت إلى توحيد اللّه فيما تقدّم وتأخّر وجعلت الآلهة إلهاً واحداً»[2].

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بإعلاء الدّين وضمّ الملك إلى النّبوّة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾ في تبليغ الرّسالة وإقامة مراسم الرّياسة.

﴿وَيَنْصُرَكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾: نصراً فيه عزّ ومَنَعَة.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الثّبات والطّمأنينة. قال: «هو الإيمان»[3]. ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. القمّي: هم الّذين لم يخالفوا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله، ولم ينكروا عليه الصّلح[4].

﴿لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ﴾. قد مضى معنى زيادة الإيمان في سورة الأنفال[5]. ﴿وَلِلّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبّر أمرهما، فيسلّط بعضها على بعض تارة، ويوقع فيما بينهم السّلم أخرى، كما تقتضيه حكمته. ﴿وَكانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ﴾: فعل ما فعل ليدخل ﴿جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾: يغطّيها ﴿وَكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾ لأنّه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضرّ.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ الظّانِّينَ بِاللّهِ ظَنَّ

---

١ ـ القمّي ٢: ٣١٤؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١، وليس فيها: «جعلت الآلهة إلهاً واحداً».

٣ ـ الكافي ٢: ١٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والحديث: ٤ و ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٣١٥.

٥ ـ ذيل الآية: ٤.

السَّوْءِ﴾ وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ﴾: دائرة ما يظنّونه ويتربّصونه بالمؤمنين لا يتخطّاهم. القمّي: هم الّذين أنكروا الصّلح واتّهموا رسول اللّه[1].

﴿وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾.

﴿وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَكانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

﴿إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً﴾ على أمّتك ﴿وَمُبَشِّراً﴾ على الطّاعة ﴿وَنَذِيراً﴾ على المعصية.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾: وتقوّوه بتقوية دينه ورسوله ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: وتعظّموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: وتنزّهوه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: غدوة وعشيّاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللّهَ﴾ لأنّه المقصود ببيعته ﴿يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني يدك الّتي فوق أيديهم في حال بيعتهم إيّاك، إنّما هي بمنزلة يد اللّه؛ لأنّهم في الحقيقة يبايعون اللّه ببيعتك. ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾: نقض العهد ﴿فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلىٰ نَفْسِهِ﴾: فلا يعود ضرر نكثه إلّا عليه ﴿وَمَنْ أَوْفىٰ بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

القمّي: نزلت هذه الآية بعد نزول آية الرّضوان، واشترط عليهم أن لا ينكروا بعد ذلك على رسول اللّه شيئاً يفعله، ولا يخالفوه في شيء يأمرهم به، وإنّما رضي اللّه عنهم بهذا الشّرط أن يفوا به، فبهذا العقد[2] رضي اللّه عنهم، فقدّموا في التّأليف آية الشّرط على آية الرّضوان[3].

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا﴾. القمّي: هم

---

١ ـ القمّي ٢: ٣١٥.

٢ ـ في «ب» والمصدر: «فبهذا العهد».

٣ ـ القمّي ٢: ٣١٥.

الّذين استنفرهم في الحديبيّة[١]. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾. تكذيبٌ لهم في الاعتذار والاستغفار. ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً﴾: فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ﴿إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرّاً﴾ كقتل أو هزيمة، وخلل في المال والأهل، وعقوبة على التخلّف ﴿أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً﴾: ما يضادّ ذلك ﴿بَلْ كانَ اللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾: لظنّكم أنّ المشركين يستأصلونهم ﴿وَزُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فتمكّن فيها ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾: هالكين عند اللّه، لفساد عقيدتكم وسوء نيّتكم. القمّي: أي: قوم سوء[٢].

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَإِنّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَعِيراً﴾.

﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَكانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ فإنّ الغفران والرّحمة من دأبه، والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض، كما قال: «سبقت رحمتي غضبي»[٣].

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ يعني المذكورين. القمّي: ولمّا رجع من الحديبيّة إلى المدينة غزا خيبر، فاستأذنه المخلّفون أن يخرجوا معه، فقال اللّه: "سيقول المخلّفون"[٤]. ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلىٰ مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها﴾ يعني مغانم خيبر ﴿ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّٰهِ﴾ وهو وعده لأهل الحديبيّة: أن يعوّضهم من مغانم مكّة مغانم خيبر. ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا﴾ نفي في معنى النّهي ﴿كَذٰلِكُمْ قالَ اللّٰهُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل تهيّئهم للخروج إلى خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا﴾ أن نشارككم في الغنائم ﴿بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلّا قَلِيلاً﴾: إلّا فهماً قليلاً، وهو فطنتهم لأمور الدّنيا.

١ـ القمّي ٢: ٣١٥.
٢ـ القمّي ٢: ٣١٥.
٣ـ الكافي ١: ٤٤٣، الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ٣١٥.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرابِ﴾ . كرّر ذكرهم بهذا الاسم ؛ مبالغة في الذمّ ، وإشعاراً بشناعة التّخلّف . ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ . قيل: هم هوازن وثقيف[1] .

﴿تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: يكون أحد الأمرين: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً﴾ هو الغنيمة في الدّنيا والجنّة في الآخرة ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عن الحديبيّة ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ لتضاعف جرمكم .

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لمّا أوعد على التّخلّف ، نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين ؛ استثناء لهم عن الوعيد .

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً﴾ .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾: فتح خيبر غبّ انصرافهم .

﴿وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها﴾ يعني مغانم خيبر ﴿وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ .

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها﴾ وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ﴾ يعني مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ﴾: أيدي أهل خيبر وحلفائهم ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أمارة يعرفون بها صدق الرّسول في وعدهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾ هو الثّقة بفضل اللّه والتّوكّل عليه .

﴿وَأُخْرىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها﴾ بعد ﴿قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها وَكانَ اللَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ .

﴿وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . من أهل مكّة ولم يصالحوا ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً﴾ يحرسهم ﴿وَلا نَصِيراً﴾ ينصرهم .

١ ـ الكشّاف ٣: ٥٤٥ ؛ البيضاوي ٥: ٨٣ .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: سنّ غلبة أنبيائه، سنّة قديمة فيمن مضى من الأُمم ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: أيدي كفّار مكّة ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: في داخل مكّة ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ القمّي: أي: من بعد أن أَمِمْتُم[1] من المدينة إلى الحرم، وطلبوا منكم الصّلح من بعد أن كانوا يغزونكم بالمدينة صاروا يطلبون الصّلح بعد أن كنتم تطلبون الصّلح منهم[2]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ من مقاتلتهم أوّلاً طاعة لرسوله، وكفّهم ثانياً لتعظيم بيته.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً﴾: محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾. الهَدْي: ما يهدى إلى مكّة، ومحِلّهُ: مكانه الّذي يحلّ فيه نحره.

﴿وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ﴾ القمّي: يعني بمكّة[3]. ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَنْ تَطَؤُهُمْ﴾: أن تواقعوا بهم وتبتدؤوهم ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ﴾: من جهتهم ﴿مَعَرَّةٌ﴾: مكروه، كوجوب الدّية والكفّارة بقتلهم، والتأسّف عليهم، وتعيير الكفّار بذلك، والإثم بالتّقصير في البحث عنهم. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: تطؤوهم غير عالمين بهم.

وجواب «لولا» محذوف لدلالة الكلام عليه، والمعنى: لولا كراهة أن تهلكو أناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه، لما كفّ أيديكم عنهم.

القمّي: أخبر اللّه عزّوجلّ نبيّه: أنّ علّة الصّلح إنّما كان للمؤمنين والمؤمنات الّذين كانوا بمكّة، ولو لم يكن صلح وكانت الحرب لقتلوا. فلمّا كان الصّلح أمنوا وأظهروا

١ ـ أي: قصدتم. والأمّ بالفتح: القصد. يقال: أمّهُ وأمَّمَهُ وتأمَّمَهُ: إذا قصدَه. الصّحاح ٥: ١٨٦٥ (أمم).
٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٣١٦.

الإسلام . ويقال: إنّ ذلك الصّلح كان أعظم فتحاً على المسلمين من غلبهم[1] .

﴿لِيُدْخِلَ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ . علّة لما دلّ عليه كفّ الأيدي من أهل مكّة ؛ صوناً لمن فيها من المؤمنين ، أي: كان ذلك ليدخل اللّه في توفيقه ؛ لزيادة الخير أو الإسلام ﴿مَنْ يَشاءُ﴾ من مؤمنيهم أو مشركيهم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: لو تفرّقوا وتميّز بعضهم من بعض ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ بالقتل والسّبي .

القمّي: يعني هؤلاء الّذين كانوا بمكّة من المؤمنين والمؤمنات ، لو زالوا عنهم وخرجوا من بينهم لعذّبنا الّذين كفروا منهم[2] .

وورد في تفسيره: «لو أخرج اللّه ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين ، وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين ، لعذّبنا الّذين كفروا»[3] .

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾: الأنفة ﴿حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ﴾ الّتي تمنع إذعان الحقّ ﴿فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فتحمّلوا حميّتهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ﴾ قال: «هو الإيمان»[4] .

وفي رواية: «لا إله إلّا اللّه هي كلمة التقوى ، يثقل اللّه بها الموازين يوم القيامة»[5] .

وفي أخرى نبويّة: «إنّ عليّاً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني ، وهو الكلمة الّتي ألزمتها المتّقين»[6] .

﴿وَكانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَها﴾: والمستأهل لها ﴿وَكانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ .

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا﴾: صدّقه في رؤياه ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبّساً به ، فإنّ ما

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣١٦ .
٣ ـ كمال الدّين ٢: ٦٤٢ ، الباب: ٥٤ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ ـ الكافي ٢: ١٥ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ علل الشّرائع ١: ٢٥١ ، الباب: ١٨٢ ، الحديث: ٨ ، عن حسن بن عليّ عليهما السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
٦ ـ الأمالي (للصدوق): ٣٨٦ ، المجلس: ٧٢ ، الحديث: ٢٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

رآه كائن لا محالة . وقد سبق قصّته في أوّل السّورة . ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللّٰهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: محلّقاً بعضكم ومقصّراً آخرون ﴿لا تَخافُونَ﴾ بعد ذلك ﴿فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة في تأخير ذلك ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ هو فتح خيبر ، ليستروح إليه قلوب المؤمنين ، إلى أن يتيسّر الموعود .

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾: وبدين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليغلبه على جنس الدّين كلّه ، بنسخ ما كان حقّاً ، وإظهار فساد ما كان باطلاً ، ثمّ بتسليط المسلمين على أهله ، إذ ما من أهل دين إلّا وقد قهر بالإسلام أو سيقهر . وفيه تأكيد لما وعده بالفتح .

القمّي: وهو الإمام الّذي يظهره اللّه عزّوجلّ على الدّين كلّه ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً . وهذا ممّا ذكرنا أنّ تأويله بعد تنزيله[1] .

أقول: وقد سبق تمام الكلام فيه في سورة التّوبة[2] .

﴿وَكَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً﴾ على أنّ وعده كائن ، أو على رسالته .

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ﴾ جملة مبيّنة للمشهود به ، أو استئناف مع معطوفه ، وما بعدهما خبر . ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾: يغلظون على من خالف دينهم ، ويتراحمون فيما بينهم ، كقوله: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ على الْكافِرِينَ"[3] . ﴿تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ لأنّهم مشتغلون بالصّلاة في أكثر أوقاتهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قال: «هو السّهر في الصّلاة»[4] . ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾: صفتهم العجيبة الشّأن ، المذكورة فيهما .

١ ـ القمّي ٢: ٣١٧ .

٢ ـ ذيل الآية: ٣٣ .

٣ ـ المائدة (٥): ٥٤ .

٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٩ ، الحديث: ١٣٦٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

قال: «إنّ اللّه عزّوجلّ قد أنزل في التّوراة والإنجيل والزّبور صفة محمّد، وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجره، وهو قوله: "محمّد رسول اللّه" إلى قوله: "في الإنجيل"»[1].

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾: فقوّاه ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾: فاستقام على قُصُبه؛ جمع ساق. ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ بكثافته وقوّته وغِلَظِهِ وحسن منظره.

قيل: هو مَثَل ضربه اللّه للصّحابة؛ قلّوا في بدء الإسلام، ثمّ كثروا واستحكموا، فترقّى أمرهم بحيث أعجب النّاس[2].

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ علّة لتشبيههم بالزّرع في زكائه واستحكامه. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

«نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ومن كان تحت لوائه يوم القيامة، من السّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم». كذا ورد[3].

١ ـ القمّي ١: ٣٣، ذيل الآية: ٦ من سورة البقرة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ البيضاوي ٥: ٨٦؛ الكشاف ٣: ٥٥١.

٣ ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٣٨٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

سورة الحجرات

[مدنيّة ، وهي ثماني عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ قيل: أي: بين يدي رسول الله ، وذكر الله تعظيم له وإشعار بأنّه من الله بمكان ، والمعنى: لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به[2]؛ أو لا تتقدّموا في المشي[3]. ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ في التّقديم ﴿إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم .

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أي: إذا كلّمتموه فلاتجاوزوا أصواتكم عن صوته ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: ولا تبلغوا به الجهر الدّائر بينكم ، بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته ؛ محاماة على التّرحيب ومراعاة للأدب ، وتكرير النّداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الإيقاظ ، والدّلالة على استقلال المنادى له ، وزيادة الاهتمام به . ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ﴾: لأن تحبط ، أو كراهة أن تحبط . ﴿وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ أنّها محبطة .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ٨٦ .

٣ ـ تفسير ابن جزيّ: ٧٠١ .

القمّي: نزلت في وفد بني تميم، كانوا إذا قدموا على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وقفوا على باب حجرته فنادوا: يا محمّد أُخرج إلينا. وكانوا إذا خرج رسول اللّه تقدّموه في المشي، وكانوا إذا كلّموه رفعوا أصواتهم فوق صوته ويقولون: يا محمّد يا محمّد ما تقول في كذا؟ كما يكلّمون بعضهم بعضاً، فأنزل اللّه[1].

وورد: «وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله بهم رحيماً وعليهم عطوفاً، وفي إزالة الآثام عنهم مجتهداً، حتّى أنّه كان ينظر إلى من يخاطبه فتعمّلَ[2] على أن يكون صوته مرتفعاً على صوته، ليزيل عنه ما توعّده اللّه من إحباط أعماله، حتّى أنّ رجلاً أعرابيّاً ناداه يوماً خلف حائط بصوت له جَهْوَرِيّ: يا محمّد، فأجابه بأرفع من صوته، يريد أن لا يأثم الأعرابيّ بارتفاع صوته»[3].

﴿إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ﴾: يخفضونها ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ﴾ مراعاة للأدب ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوىٰ﴾: جرّبها لها ومرّنها عليها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ﴾: من خارجها؛ خلفها أو قدّامها، والمراد حجرات نسائه ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة لمن كان بهذا المنصب.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّىٰ تَخْرُجَ إلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ﴾. في «إليهم» إشعار بأنّه لو خرج لا لأجلهم، ينبغي أن يصبروا حتّى يفاتحهم بالكلام أو يتوجّه إليهم. ﴿وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث اقتصر على النّصح والتّقريع.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾: فتعرّفوا وتفحّصوا. وفي

١ ـ القمّي ٢: ٣١٨.
٢ ـ أي: تكلّف العمل. وتَعَمَّلَ، أي: تَعَنّى. لسان العرب ١١: ٤٧٦ (عمل).
٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٧، الحديث: ٣٠٥، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

قراءتهم عليهم السلام بالثّاء المثلثة والباء الموحّدة[1]، يعني فتوقّفوا حتّى يتبيّن الحال ﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾: كراهة إصابتكم ﴿قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾: جاهلين بحالهم ﴿فَتُصْبِحُوا عَلىٰ ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾.

«نزلت في الوليد بن عقبة[2]، حيث أخبر عن بني المصطلق بالارتداد، فهمّ المؤمنون بقتالهم». كذا ورد[3].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾: لوقعتم في العنت؛ وهو الجهْد والهلاك. وفيه إشعار بأنّ بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المصطلق. ﴿وَلٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ﴾.

قيل: هو خطاب للمؤمنين الّذين لم يفعلوا ذلك ولم يكذّبوا لغرضهم الفاسد، تحسيناً لهم وتعريضاً بذمّ من فعل[4].

قال: «الفسوق: الكذب»[5]. و ورد: «الإيمان: أمير المؤمنين عليه السلام، والكفر والفسوق والعصيان: الأوّل والثاني والثالث»[6].

﴿أُولٰئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ﴾ يعني أُولئك الّذين فعل اللّه بهم ذلك؛ هم الّذين أصابوا الطّريق السّويّ.

﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾: تقاتلوا ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما﴾ بالنّصح

١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ مرّت ترجمته ذيل الآية: ٢٠ من سورة السجدة.
٣ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ١٣٢، عن ابن عباس ومجاهد.
٤ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٦: ٣١٤، بالمضمون.
٥ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ١٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ٤٢٦، الحديث: ٧١؛ القمّي ٢: ٣١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

والدّعاء إلى حكم اللّه ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرىٰ﴾: تعدّت ﴿فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّىٰ تَفِيءَ إِلىٰ أَمْرِ اللّٰهِ﴾: ترجع إلى حكمه وما أمر به ﴿فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالعَدْلِ﴾: بفصل ما بينهما على ما حكم اللّه ﴿وَأَقْسِطُوا﴾: واعدلوا في كلّ الأُمور ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾.

قيل: نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده ﷺ بالسّعف والنّعال[1].

و ورد: «إنّما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة، وهم أهل هذه الآية، وهم الّذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وهي الفئة الباغية»[2].

﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ قال: «بنو أب وأُمّ[3]، وإذا ضرب على رجل منهم عِرْق سَهِرَ له الآخرون»[4].

وفي رواية: «لأنّ اللّه خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى في صورهم من ريح الجنّة، فلذلك هم إخوة لأب وأُمّ»[5].

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ورد: «صدقة يحبّها اللّه إصلاح بين النّاس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[6].

﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ

١ ـ الكشّاف ٣: ٥٦٣؛ البيضاوي ٥: ٨٨.

٢ ـ الكافي ٨: ١٨٠، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ أُريد بالأب روح اللّه الّذي نفخ منه في طينة المؤمن، وبالأُمّ الماء العذب والتّربة الطّيّبة؛ لا آدم وحوّاء كما يتبادر إلى بعض الأذهان؛ لعدم اختصاص الانتساب إليهما بالإيمان. إلّا أن يقال: تباين العقائد صار مانعاً عن تأثير تلك الأُخوّة. لكنّه بعيد. ويمكن أن يكون المراد اتّحاد آبائهم الحقيقيّة الّذين أحيوهم بالإيمان والعلم. مرآة العقول ٩: ٨.

٤ ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ المصدر: ١٦٦، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ الكافي ٢: ٢٠٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿مِنْ نِساءٍ عَسىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ أي: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، إذ قد يكون المسخور منه خيراً عند الله من السّاخر.

القمّي: نزلت في صفيّة بنت حيّ بن أخطب، وكانت زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وذلك أنّ عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها، وتشتمانها وتقولان لها: يا بنت اليهوديّة. فشكت ذلك إلى رسول الله. فقال لها: ألاّ تجيبينهما؟ فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال: قولي: إنّ أبي هارون نبيّ الله، وعمّي موسى كليم الله، وزوجي محمّد رسول الله، فما تنكران منّي؟ فقالت لهما. فقالتا: هذا علّمكِ رسول الله، فأنزل الله[1].

﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: ولا يَعِبْ بعضكم بعضاً ﴿وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ﴾ ولا يدعو بعضكم بعضاً بلقب السّوء ﴿بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمانِ﴾ أي: بئس الذّكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به. ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ عمّا نهي عنه ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ بوضع العصيان موضع الطّاعة، وتعريض النّفس للعذاب.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾: كونوا منه على جانب. وإبهام الكثير ليحتاط في كلّ ظنّ ويتأمّل، حتّى يعلم أنّه من أيّ القبيل ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

ورد: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يقلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[2].

﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾: ولا تبحثوا عن عوارت المؤمنين. ورد: «لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإنّه من يتبع[3] عثرات أخيه يتبع الله عثرته، ومن يتبع الله عثرته، يفضحه ولو

١ ـ القمّي ٢: ٣٢١.

٢ ـ الكافي ٢: ٣٦٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «تتبّع» في جميع المواضع.

في جوف بيته»[١].

﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾: ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسّوء في غيبته.

سئل عن الغيبة فقال: «هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل[٢]، وتبثّ عليه أمراً قد ستره اللّه عليه، لم يقم عليه فيه حدّ»[٣].

وفي رواية: «وأمّا الأمر الظّاهر فيه، مثل الحدّة والعجلة فلا»[٤]

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. تمثيلٌ لما يناله المغتاب من عِرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات. ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ﴾.

روي: «إنّ أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أُسامة بن زيد، وكان خازن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله على رحله، فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما. فقالا: بخل أُسامة، ولو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثمّ انطلقا إلى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله، فقال لهما: مالي أرى خضرة اللّحم في أفواهكما؟! قالا: يا رسول اللّه ما تناولنا اليوم لحماً. قال: ظلتم تفكّهون لحم سلمان وأُسامة، فنزلت»[٥].

﴿يا أَيُّها النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى﴾: من آدم وحوّاء ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾. قال: «الشّعوب: العجم، والقبائل: العرب»[٦]. ﴿لِتَعارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضاً؛ لا للتّفاخر بالآباء والقبائل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ﴾ فإنّ بالتّقوى تكمل

١ ـ الكافي ٢: ٣٥٥، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ المراد بما لم يفعل: العيب الّذي لم يكن باختياره وفعَلَه اللّه فيه كالعيوب البدنيّة، فيخصّ بما إذا كان مستوراً. وهذا بناءً على أنّ «في دينه» صفة «لأخيك» أي: الّذي أُخوّته بسبب دينه. ويمكن أن يكون «في دينه» متعلّقاً بالقول، أي: كان ذلك القول طعناً في دينه بنسبة كفر أو معصية إليه؛ ويدلّ على أنّ الغيبة تشتمل البهتان أيضا. مرآة العقول ١٠: ٤٣٠.

٣ ـ الكافي ٢: ٣٥٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ٣٥٨، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الكشّاف ٣: ٥٦٩؛ البيضاوي ٥: ٨٩؛ جوامع الجامع: ٤٥٩.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

النّفوس وتفاضل الأشخاص ، فمن أراد شرفاً فليلتمس منها . القمّي: هو ردّ على من يفتخر بالأحساب والأنساب[1] . و ورد: «أتقاكم ، أي: أعملكم بالتّقيّة»[2] . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم .

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ . قيل: نزلت في نفر من بني أسد ، قدموا المدينة في سنة جَدْبَة[3] وأظهروا الشّهادتين ، وكانوا يقولون لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله: أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، يريدون الصّدقة ويمنّون[4]

﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ، ولم يحصل لكم ﴿وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فإنّ الإسلام انقياد ودخول في السّلم ؛ وإظهار الشّهادة وترك المحاربة يشعر به . وكان نظم الكلام أن يقول: لا تقولوا: آمنّا ، ولكن قولوا: أسلمنا ؛ إذ لم تؤمنوا ولكن أسلمتم . فعدل منه إلى هذا النّظم ، احترازاً من النّهي عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم ، وقد فقد شرط اعتباره شرعاً .

ورد: «الإسلام علانية والإيمان في القلب»[5] .

وفي رواية: «الإسلام قبل الإيمان ؛ وعليه يتوارثون ويتناكحون ، والإيمان عليه يثابون»[6] .

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ توقيت لـ«قولوا» . ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإخلاص وترك النّفاق ﴿لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾: لا ينقصكم من أجورها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ٣٢٢ .
٢ ـ كمال الدّين ٢: ٣٧١ ، الباب: ٣٥ ، الحديث: ٥ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .
٣ ـ أجْدَبَت البلاد: قحطت وغلت أسعارها ، مجمع البحرين ٢: ٢٢ (جدب) .
٤ ـ البيضاوي ٥: ٨٩ .
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣٨ ، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله .
٦ ـ الكافي ١: ١٧٣ ، ذيل الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الّذين صدقوا في ادّعاء الإيمان. القمّي: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام[١].

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: أتخبرونه به لقولكم آمنّا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه خافية، وهو تجهيل لهم وتوبيخ.

روي: «إنّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة جاؤوا وحلفوا أنّهم مؤمنون معتقدون، فنزلت هذه»[٢].

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ﴾: بإسلامكم ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ﴾ على ما زعمتم، مع أنّ الهداية لا تستلزم الاهتداء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في ادّعاء الإيمان.

القمّي: نزلت في عثمان، ثمّ ذكر عنه كلمة قالها لرسول الله صلى الله عليه وآله فيها المنّة، في قصّة له مع سلمان[٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ في سرّكم وعلانيتكم.

١ـ القمّي ٢: ٣٢٢.
٢ـ البيضاوي ٥: ٩٠.
٣ـ القمّي ٢: ٣٢٢.

سورة قَ

[مكيّة، وهي خمس وأربعون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿قٓ وَالقُرْآنِ المَجِيدِ﴾. قال: «"ق" جبل محيط بالدّنيا من زمرّد أخضر، فخضرة السّماء من ذلك الجبل»[2]. وفي رواية: «وبه يمسك اللّه الأرض أن تميد بأهلها»[3].

والقمّي: جبل محيط بالدّنيا من وراء يأجوج ومأجوج[4].

﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ يعني قريشاً ﴿أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يعني رسول اللّه ﴿فَقالَ الكافِرُونَ هٰذا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿أَإِذا مِتْنا﴾ أي: أنرجع إذا متنا؟! ﴿وَكُنّا تُراباً ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

القمّي: نزلت في أُبيّ بن خلف، قال لأبي جهل: تعال إليّ لأعجبك من محمّد. ثمّ أخذ عظماً ففتّه ثمّ قال: يا محمّد تزعم أنّ هذا يُحْيَى؟![5]

﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: ما تأكل الأرض من أجساد موتاهم ﴿وَعِنْدَنا

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ معاني الأخبار: ٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٢٣.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٢٣.

كِتابٌ حَفِيظٌ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾: مضطرب، فتارة يقولون: إنّه شاعر، وتارة إنّهُ ساحِرٌ، وتارة إنّه كاهن، إلى غير ذلك.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ حين كفروا بالبعث ﴿إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ﴾: إلى آثار قدرة اللّه في خلق العالم ﴿كَيْفَ بَنَيْناها﴾: رفعناها بلا عمد ﴿وَزَيَّنّاها﴾ بالكواكب ﴿وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ﴾: فتوق، بأن خلقها ملساء، متلاصقة الطّباق.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْناها﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: من كلّ صنف حسن.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: راجع إلى ربّه، متفكّر في بدائع صنعه.

﴿وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً﴾: كثير المنافع. قال: «ليس من ماء في الأرض إلّا وقد خالطه ماء السّماء»[1]. ﴿فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنّاتٍ﴾: أشجاراً وأثماراً ﴿وَحَبَّ الحَصِيدِ﴾: وحبّ الزّرع الّذي من شأنه أن يحصد، كالبرّ والشّعير.

﴿وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾: مرتفعات أو حوامل، وإفرادها بالذّكر لفرط ارتفاعها، وكثرة منافعها ﴿لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾: منضود بعضه فوق بعض.

﴿رِزْقاً لِلْعِبادِ وَأَحْيَيْنا بِهِ﴾: بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَيْتاً﴾: أرضاً جدبة لا نماء فيها ﴿كَذٰلِكَ الخُرُوجُ﴾: كما أنزلنا الماء من السّماء، وأخرجنا به النّبات من الأرض، وأحيينا البلدة الميت؛ يكون خروجكم أحياءً بعد موتكم. وهو جواب لقولهم: "أئذا متنا وكنّا تراباً ذلك رجعٌ بعيدٌ".

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحابُ الرَّسِّ﴾ الّذين رسّوا نبيّهم في الأرض. أي: دسّوه[2]، كما سبق في الفرقان[3]. ﴿وَثَمُودُ﴾.

١ ـ الكافي ٦: ٣٨٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ، عن رسول اللّه ﷺ.

٢ ـ دَسَسْتُ الشيء في التّراب أدُسُّهُ: أخفيته فيه. الصّحاح ٣: ٩٢٨ (دسس).

٣ ـ ذيل الآية: ٣٨.

﴿وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوانُ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَصْحابُ الْأَيْكَةِ﴾: الغيضة، وهم قوم شعيب، كما مرّ في الحجر[١]. ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾. مضى ذكره في الدّخان[٢]. ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: فوجب وحلّ عليه وعيدي. وفيه تسلية للرّسول صلّى الله عليه وآله، وتهديد لهم.

﴿أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: أفعجزنا عن الإبداء حتّى نعجز عن الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأوّل. بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف، لما فيه من مخالفة العادة.

قال: «تأويل ذلك: أنّ الله تعالى إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم، وسكن أهلُ الجنّة وأهل النّار النّار، جدّد الله عالَماً غير هذا العالَم، وجدّد خلقاً من غير فحولة ولا إناث؛ يعبدونه ويوحّدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماءً غير هذه السّماء تظلّهم، لعلّك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالَم الواحد، أو[٣] ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم! بلى والله لقد خلق ألف ألف عالَم وألف ألف آدم! أنت في آخر تلك العوالم، وأُولئك الآدميّين»[٤].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: ما تحدّث به نفسه؛ وهو ما يخطر بالبال. والوسوسة: الصّوت الخفيّ. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: عِرْق العنق، وهو مَثَل في القُرب.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ﴾: إذ يتلقّى[٥] الحفيظان ما يتلفّظ به. وفيه إشعار بأنّه غنيّ عن

١ ـ ذيل الآية: ٧٨.
٢ ـ ذيل الآية: ٣٧.
٣ ـ في المصدر: «وترى».
٤ ـ التّوحيد: ٢٧٧، الباب: ٣٨، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ في «ج»: «إذ يتلقّن».

استحفاظ الملكين ، فإنّه أعلم منهما ومطّلع على ما يخفي عليهما ؛ لأنّه أقرب إليه منهما ، ولكنّه لحكمة اقتضته من تشديد في تثبّط العبد عن المعصية ، وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء ، وإلزام الحجّة يوم يقوم الأشهاد . ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾ .

﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: ملك يرقب عمله ﴿عَتِيدٌ﴾: معدّ حاضر .

قال: «ما من قلب إلّا وله أُذنان ، على إحداهما ملك مرشد وعلى الأُخرى شيطان مفتّن ، هذا يأمره وهذا يزجره ، الشّيطان يأمره بالمعاصي ، والملك يزجره عنها ، وهو قول اللّه: "عن اليمين وعن الشّمال قعيد"»[١] .

﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: شدّته الذّاهبة بالعقل ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني يلاقونها عن قريب . القمّي: نزلت: وجاءت سكرة الحقّ بالموت[٢] . ﴿ذٰلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تميل وتفرّ عنه ، والخطاب للإنسان .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾: يوم تحقّق الوعيد وإنجازه .

﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: «سائق يسوقها إلى محشرها ، وشاهد يشهد عليها بعملها»[٣] .

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطائَكَ﴾: ما حجبك عن أُمور معادك ، وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والأُلف بها وقصور النّظر عليها . ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: نافذ ، لزوال المانع للإبصار .

﴿وَقالَ قَرِينُهُ﴾ قال: «يعني الملك الشهيد عليه»[٤] . ﴿هٰذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: هذا ما

١ـ الكافي ٢: ٢٦٦ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ـ القمّي ٢: ٣٢٤ .

٣ـ نهج البلاغة: ١١٦ ، الخطبة: ٨٥ .

٤ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ١٤٦ ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

هو مكتوب عندي حاضر لديّ.

﴿أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ قيل: خطاب من الله للسّائق والشّهيد[١]. والقمّي: مخاطبة للنّبي صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وذلك قول الصّادق عليه السلام: «عليّ قسيم الجنّة والنّار»[٢]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع النّاس يوم القيامة في صعيد واحد، كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش، ثمّ يقول الله تبارك وتعالى لي ولك: قوما فألقيا مَنْ أبغضكما وكذّبكما في النّار، وأَدْخِلا الجنّة مَنْ أحبّكما؛ وذلك قوله تعالى: "ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد"»[٣].

﴿مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: كثير المنع للمال؛ من حقوقه المفروضة ﴿مُعْتَدٍ﴾: متعدّ ﴿مُرِيبٍ﴾: شاكّ في الله وفي دينه.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَأَلْقِياهُ فِي الْعَذابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿قالَ قَرِينُهُ﴾: الشّيطان المقيّض له ﴿رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ﴾ كأنّ الكافر قال: هو أطغاني فقال قرينه: ما أطغيته ﴿وَلٰكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ فأعنته عليه؛ فإنّ إغواء الشّيطان إنّما يؤثّر فيمن كان مختلّ الرّأي، مائلاً إلى الفجور، كما قال: "وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي"[٤].

﴿قالَ﴾ أي: الله ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: في موقف الحساب، فإنّه لا فائدة فيه ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ على الطّغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي، فلم يبق لكم حجّة.

﴿ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ بوقوع الخلف فيه ﴿وَما أَنَا بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فأعذّب من ليس لي تعذيبه.

١ ـ الكشّاف ٤: ٧؛ البيضاوي ٥: ٩٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٢٤.

٣ ـ المصدر؛ وفي الأمالي (للطّوسي) ١: ٢٩٦ و٣٧٨؛ ومجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٤٧ ما يقرب منه.

٤ ـ إبراهيم (١٤): ٢٢.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ قيل: تخييل وتصوير، يعني كأنّها مع سعتها يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ، فتطلب الزّيادة[1].

والقمّي: هو استفهام، لأنّ اللّه وعد النّار أن يملأها، فيمتلئ النّار، ثمّ يقول لها: "هل امتلأت" وتقول: "هل من مزيد" على حدّ الاستفهام، أي: ليس فيّ مزيد، فتقول الجنّة: يا ربّ وعدت النّار أن تملأها، ووعدتني أن تملأني فلم تملأني وقد ملأت النّار، فيخلق اللّه يومئذ خلقاً فيملأ بهم الجنّة. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: «طوبى لهم! لم يروا غموم الدّنيا وهمومها»[2].

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قيل: أي: قربت لهم مكاناً غير بعيد[3]. والقمّي: أي: زيّنت لهم بسرعة[4].

﴿هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾: رجّاع إلى اللّه، حافظ لحدود اللّه.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾.

﴿ادْخُلُوهَا﴾ يقال لهم: ادخلوها ﴿بِسَلَامٍ﴾: سالمين من العذاب وزوال النّعم، أو مسلّماً عليكم من اللّه وملائكته ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وهو ما لا يخطر ببالهم ممّا لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

القمّي: النّظر إلى رحمة اللّه[5].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك ﴿مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾: قوّةً، كعاد وثمود

١ ـ البيضاوي ٥: ٩٣.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٢٦.
٣ ـ البيضاوي ٥: ٩٣.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٢٧.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٢٧.

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ﴾: فخرقوا البلاد وتصرّفوا في الأرض، أو جالوا فيها كلّ مجال ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ لهم من الله، أو من الموت.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب واع يتفكّر في حقائقه، قال: «يعني عقل»[١]. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أو أصغى لاستماعه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بذهنه ليفهم معانيه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ﴾ مرّ تفسيره[٢]. ﴿وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ﴾: من تعب وإعياء، «ردّ لما زعمته اليهود: أنّه سبحانه استراح بعد خلقها». كذا ورد[٣].

﴿فَاصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ﴾ من وصف الحقّ سبحانه بما لا يليق بجنابه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: ونزّهه عن الوصف بما يوجب التشبيه، حامداً له على ما أنعم عليك من إصابة الحقّ وغيرها. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ يعني: الفجر والعصر.

قال: «تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرّات: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت[٤] وهو على كلّ شيء قدير»[٥].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: وسبّحه بعض الليل ﴿وَأَدْبارَ السُّجُودِ﴾: وأعقاب الصّلاة، قال: «ركعتان بعد المغرب»[٦]؛ وفي رواية: «أربع»[٧]؛ وفي أُخرى: «الوتر من آخر اللّيل»[٨].

١ ـ الكافي ١: ١٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٢، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ ـ في سورة الأعراف (٧) ذيل الآية: ٥٤.
٣ ـ روضة الواعظين ٢: ٣٩٤.
٤ ـ في «ألف» زيادة: «وهو حيّ لا يموت بيده الخير».
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ الكافي ٣: ٤٤٤، الحديث: ١١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠، عن النّبيّ، وأمير المؤمنين، وحسن بن عليّ صلوات الله عليهم.
٧ ـ القمّي ٢: ٣٢٧، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ قيل: للبعث وفصل القضاء[١] . والقمّي: ينادي المنادي باسم القائم واسم أبيه[٢] . ﴿مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ بحيث يصل نداؤه إلى الكلّ على سواء .

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ﴾ القمّي: صيحة القائم من السّماء[٣] . ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ﴾ قال: «هي الرّجعة»[٤] .

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ في الدّنيا ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ في الآخرة .

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً﴾: مسرعين ﴿ذٰلِكَ حَشْرٌ﴾: بعث وجمع ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: هيّن . القمّي: في الرّجعة[٥] .

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ﴾ تسلية للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وتهديد لهم . ﴿وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ﴾: بمسلّط ، تقهرهم على الإيمان ، أو تفعل بهم ما تريد ، وإنّما أنت داع ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ﴾ لأنّه المنتفع بالتّذكير .

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠ .

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٣٢٧ .

٤ ـ المصدر ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٥ ـ المصدر .

سورة الذّاريات

[مكيّة، وهي ستّون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالذّارِياتِ ذَرْواً﴾ قال: «الرّيح»[2].

﴿فَالْحامِلاتِ وِقْراً﴾ قال: «السّحاب»[3].

﴿فَالْجارِياتِ يُسْراً﴾ قال: «السّفن»[4].

﴿فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً﴾ قال: «الملائكة»[5]. القمّي: وهو قسم كلّه[6].

﴿إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ﴾.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ﴾ جواب القسم، والدّين: الجزاء.

﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: «ذات الحسن والزّينة»[7].

وفي رواية قال: «هي محبوكة إلى الأرض، وشبّك بين أصابعه»[8]. يعني على كلّ

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ إلى ٥ ـ القمّي ٢: ٣٢٧، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليهما السلام؛ الاحتجاج ١: ٣٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ٣٢٧.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ القمّي ٢: ٣٢٨، مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

أرض سماء، وعلى كلّ سماء أرض، ويأتي بيانه في سورة الطّلاق[١].

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قال: «في أمر الولاية»[٢].

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: يصرف عنه من صرف. قال: «من أفك عن الولاية أفك عن الجنّة»[٣].

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: الكذّابون. القمّي: الّذين يخرصون الدّين بآرائهم من غير علم ولا يقين[٤].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: في جهل وضلال يغمرهم ﴿ساهُونَ﴾: غافلون عمّا أُمروا به ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: متى يكون يوم الجزاء؟.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يحرقون ويعذّبون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: قابلين له، راضين به. ومعناه: أنّ كلّ ما آتاهم حسن مرضيّ متلقّى بالقبول. ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنوا أعمالهم، فهم مستحقّون لذلك.

﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾: ينامون. قال: «كانوا أقلّ اللّيالي يفوتهم[٥] لا يقومون فيها»[٦].

وفي رواية: «كان القوم ينامون، ولكن كلّما انقلب أحدهم قال: الحمد للّه، ولا إله إلّا اللّه، واللّه أكبر»[٧].

١ـ ذيل الآية: ١٢.

٢ و ٣ـ الكافي ١: ٤٢٢، الحديث: ٤٨، عن أبي جعفر ﷺ.

٤ـ القمّي ٢: ٣٢٩.

٥ـ في المصدر: «تفوتهم».

٦ـ الكافي ٣: ٤٤٦، الحديث: ١٨؛ التّهذيب ٢: ٣٣٦، الحديث: ١٣٨٦، عن أبي عبد اللّه ﷺ.

٧ـ التّهذيب ٢: ٣٣٥، الحديث: ١٣٨٤، عن أبي جعفر ﷺ.

﴿وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: «كانوا يستغفرون في الوتر، في آخر اللّيل سبعين مرّة»[1].

﴿وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ﴾: نصيب؛ يستوجبونه على أنفسهم تقرّباً إلى اللّه، وإشفاقاً على النّاس ﴿لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

قال: «المحروم: المحارَف[2] الّذي قد حرم كدّ يده في الشّراء والبيع»[3].

وفي رواية: «الّذي ليس بعقله بأس، ولا يبسط له في الرّزق؛ وهو محارف»[4].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾: دلائل تدلّ على عظمة اللّه وعلمه، وكمال قدرته وفرط رحمته.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: آيات. قال: «يعني أنّه خلقك سميعاً بصيراً، تغضب وترضى وتجوع وتشبع، وذلك كلّه من آيات اللّه»[5].

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: بما عرفت ربّك؟ قال: «بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا أن هممت فحال بيني وبين همّي، وعزمت فخالفت القضاء عزمي، عَلِمْتُ أنّ المدبّر غيري»[6].

﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾: تنظرون نظر من يعتبر.

﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُم وَما تُوعَدُونَ﴾. القمّي: المطر ينزل من السّماء فتخرج به أقوات العالَم من الأرض، وما توعدون من أخبار الرّجعة والقيامة، والأخبار الّتي في السّماء[7].

١ـ التهذيب ٢: ١٣٠، الحديث: ٤٩٨؛ مجمع البيان ٩ـ١٠: ١٥٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ المُحارَف: المحدود المدبر، وهو خلاف قولك: مبارَك. كتاب العين ٣: ٢١٠؛ الصّحاح ٤: ١٣٤٢ (حرف).
٣ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحديث: ١٢؛ التّهذيب ٤: ١٠٨، الحديث: ٣١٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ المصدر، ذيل الحديث: ١٢؛ التّهذيب ٤: ١٠٨، الحديث: ٣١٣، عن أبي جعفر، وأبي عبد اللّه عليهما السلام.
٥ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ١٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ٣٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ التوحيد: ٢٨٨، الباب: ٤١، الحديث: ٦، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ وجاء صدر الحديث في نهج البلاغة: ٥١١، الحكمة: ٢٥٠.
٧ـ القمّي ٢: ٣٣٠.

وسئل عن أرزاق الخلائق؟ فقال: «في السّماء الرابعة، تنزل بقدر، وتبسط بقدر»[١].

﴿فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أي: مثل نطقكم، كما أنّه لا شكّ لكم في أنّكم تنطقون؛ ينبغي أن لاتشكّوا في تحقّق ذلك.

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ﴾ عدل به إلى الرّفع لقصد الثّبات، حتّى يكون تحيّته أحسن من تحيّتهم، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أنتم قوم منكرون.

﴿فَراغَ إِلىٰ أَهْلِهِ﴾: فذهب إليهم في خفية من ضيفه، فإنّ من أدب المضيف أن يبادر بالقِرى، حذراً من أن يكفّه الضّيف، أو يصير منتظراً. ﴿فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ إذ كان عامّة ماله البقر.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: فأضمر منهم خوفاً لمّا رآى من إعراضهم عن طعامه، لظنّه أنّهم جاؤوه لشرّ. ﴿قالُوا لا تَخَفْ﴾ إنّا رسل ربّك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ﴾ هو إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾: يكمل علمه إذا بلغ.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾: سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ قال: «في جماعة»[٢]. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَها﴾ قيل: لطمته تعجّباً[٣]. والقمّي: أي: غطّته[٤]. ﴿وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا عجوز عاقر، فكيف ألد؟!

﴿قالُوا كَذٰلِكِ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لمّا علم أنّهم ملائكة، وأنّهم لا ينزلون

١ ـ القمّي ٢: ٢٧١، في ذيل الآية: ٧ من سورة الشّورى، عن حسن بن عليّ عليهما السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ المصدر، عن الكلبي ومقاتل؛ الكشّاف ٤: ١٨؛ البيضاوي ٥: ٩٧.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٣٠.

مجتمعين إلّا لأمر عظيم ، سأل عنه .

﴿قالُوا إِنّا أُرْسِلْنا إِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط .

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي: السّجّيل ، فإنّه طين متحجّر .

﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُرْسَلَة أو مُعْلَمَة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين الحدّ في الفجور .

﴿فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها﴾: في قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ﴾: أهل بيت ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: «هي منزل لوط»[١] .

﴿وَتَرَكْنا فِيها آيَةً﴾: علامة ﴿لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾ .

﴿وَفِي مُوسىٰ إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ .

﴿فَتَوَلّىٰ بِرُكْنِهِ﴾: فأعرض بما يتقوّى به من جنوده ﴿وَقالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ .

﴿فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: آت بما يلام عليه، من الكفر والعناد .

﴿وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ . سمّيت عقيماً لأنّها أهلكتهم وقطعت دابرهم ، أو لأنّها لم تتضمّن منفعة .

ورد: «الرّياح خمسة ، منها الرّيح العقيم ، فتعوّذوا باللّه من شرّها»[٢] .

﴿ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: كالرّماد .

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّىٰ حِينٍ﴾: تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام .

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: فاستكبروا عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ .

﴿فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾: ممتنعين منه .

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾: خارجين عن الاستقامة .

﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾: بقوّة ﴿وَإِنّا لَمُوسِعُونَ﴾ قيل: أي: لقادرون ؛ من الوسع

١ ـ علل الشّرائع ٢: ٥٤٨ ؛ الباب: ٣٤٠ ، الحديث: ٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، بالمضمون .

٢ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٤٥ ، الحديث: ١٥٢٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه: «فنعوذ باللّه من شرّها» .

بمعنى الطّاقة، أو لموسعون السّماء[١].

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْناها﴾: مهّدناها لتستقرّوا عليها ﴿فَنِعْمَ الماهِدُونَ﴾ نحن.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. قال: «بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النّور بالظّلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللّين، والصّرد بالحرور، مؤلّفاً بين متعادياتها، مفرّقاً بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قوله: "ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون" ففرّق بين قبل وبعد؛ ليعلم أن لا قبل له ولا بعد» الحديث[٢].

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللّٰهِ﴾ قال: «حجّوا إلى الله»[٣]. والحجّ القصد والقدوم. قيل: أي: فرّوا من عقابه إلى الإيمان والتّوحيد وملازمة الطّاعة[٤]. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. كرّره للتّأكيد، أو الأوّل مرتّب على ترك الإيمان والطّاعة، والثّاني على الإشراك.

﴿كَذٰلِكَ﴾ إشارة إلى تكذيبهم وتسميتهم الرّسول ساحراً أو مجنوناً ﴿ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿أَتَواصَوْا بِهِ﴾ أي: كأنّ الأوّلين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول، حتّى قالوه جميعاً. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ إضراب عن كونه تواصياً إلى أنّ الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطّغيان الحامل عليه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عن مجادلتهم بعد ما كرّرت عليهم الدّعوة، فأبوا إلّا الإصرار

١ ـ البيضاوي ٥: ٩٧.

٢ ـ الكافي ١: ١٣٩، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٤: ٢٥٦، الحديث: ٢١؛ معاني الأخبار: ٢٢٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفي مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦٠، عن أبي عبد الله عليه السلام ما يقرب منه.

٤ ـ البيضاوي ٥: ٩٨.

والعناد. ﴿فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ على الإعراض بعد بذل جهدك في البلاغ.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فإنّها تزداد بصيرة. قال: «أراد هلاكهم، ثمّ بدا للّه فقال: "وذكّر"»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لمّا نزلت "فتولّ عنهم" لم يبق أحد منّا إلّا أيقن بالهلكة، فلمّا نزل "وذكّر" الآية طابت أنفسنا»[2].

﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: «خلقهم ليأمرهم بالعبادة»[3].

والقمّي: خلقهم للأمر والنّهي والتّكليف، ليست خلقة جبر أن يعبدوه، ولكن خلقة اختيار؛ ليختبرهم بالأمر والنّهي ومن يطع اللّه ومن يعصي[4].

وفي رواية: «ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، قيل: فما معرفة اللّه؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الّذي تجب عليهم طاعته»[5].

﴿ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ كما هو شأن السّادة مع عبيدهم، فإنّهم إنّما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم، تعالى اللّه عن ذلك.

﴿إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً﴾: نصيباً من العذاب ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ﴾: مثل نصيب نظرائهم من الأمم السّالفة ﴿فَلا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ القمّي: العذاب[6].

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: من يوم القيامة، أو الرّجعة.

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٨١، الباب: ١٣، ذيل الحديث: ١.
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ ـ علل الشّرائع ١: ١٣، الباب: ٩، الحديث: ١٠؛ العيّاشي ٢: ١٦٤، الحديث: ٨٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٣١.
٥ ـ علل الشّرائع ١: ٩، الباب: ٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه، عن حسين بن عليّ عليهما السلام.
٦ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوع، ولعلّه سقط من النّسّاخ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي، الموجودة في مكتبة الإعلام الإسلامي، تحت رقم: ٢٦٨١٨.

سورة الطّور

[مكيّة، وهي تسع وأربعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالطُّورِ﴾: طور سينين، وهو جبل بِمَدْيَن، سمع فيها موسى كلام الله.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾.

﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾. الرّق: الجلد الّذي يكتب فيه، أُستعير لما كتب فيه. وفي التّنكير تعظيم، وإشعار بأنّهما ليسا من المتعارف بين النّاس.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾. ورد: «إنّ الله وضع تحت العرش أربع أساطين وسمّاهنّ الضّراح، وهو البيت المعمور، وقال للملائكة: طوفوا به»[2].

وفي رواية: «ويدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، ثمّ لا يعودون إليه أبداً»[3].

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ قال: «السّماء»[4].

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: الموقد. القمّي: يسجر يوم القيامة[5].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ و ٤ـ المصدر ٩ـ١٠: ١٦٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٣٣١.

وروي: «إنّ اللّه يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها جهنّم»[1].

﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ﴾ جواب القسم باقسامه.

﴿ما لَهُ مِنْ دافِعٍ﴾.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾: تضطرب.

﴿وَتَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً﴾ القمّي: أي: تسير مثل الرّيح[2]. وفي رواية: «يعني تبسط»[3].

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾: يخوضون في المعاصي.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلىٰ نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: يدفعون بعُنف.

﴿هٰذِهِ النّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هٰذا﴾ أي: كنتم تقولون للوحي: هذا سحر، فهذا المصداق أيضاً سحر؟!

﴿أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدّنيا ما يدلّ عليه؛ وهو تقريع وتهكّم.

﴿اِصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾.

﴿فاكِهِينَ﴾: ناعمين متلذّذين ﴿بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

قال: «قصرت الأبناء عن عمل الآباء، فالحقوا الأبناء بالآباء، لتقرّ بذلك أعينهم»[4].

۱ـ الكشّاف ٤: ۲۳؛ البيضاوي ٥: ۹۹.

۲ـ القمّي ۲: ۳۳۲.

۳ـ المصدر: ۲٥۲، ذيل الآية: ٦۸ من سورة الزّمر، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٤ـ الكافي ۳: ۲٤۹، الحديث: ٥؛ من لا يحضره الفقيه ۳: ۳۱٦، الحديث: ۱٥۳۷؛ التّوحيد: ۳۹٤، الباب: ٦۱، ←

وفي رواية: «أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة»[1].

﴿وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾: وما نقصناهم بهذا الإلحاق، بل نتفضّل عليهم.

قال: «الّذين آمنوا النّبيّ وأمير المؤمنين وذرّيّته الأئمّة والأوصياء عليهم السلام ألحقنا بهم، ولم ننقص ذرّيّتهم الحجّة الّتي جاء بها محمّد في عليّ؛ وحجّتهم واحدة، وطاعتهم واحدة»[2].

﴿كُلُّ امْرِىءٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ﴾ فإنْ عَمِلَ صالحاً فكّه، وإلّا أهلكه.

﴿وَأَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمّا يَشْتَهُونَ﴾ وقتاً بعد وقت.

﴿يَتَنازَعُونَ فِيها﴾: يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب ﴿كَأْساً﴾: خمراً ﴿لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ﴾: لا يتكلّمون بلَغْوِ الحديث في أثناء شربها، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله؛ كما هو عادة الشّاربين في الدّنيا.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾: مصون في الصّدف من بياضهم وصفائهم.

ورد: «والّذي نفسي بيده: إنّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[3].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾.

﴿قالُوا إِنّا كُنّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ﴾. القمّي: أي: خائفين من العذاب[4].

﴿فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنا﴾ بالرّحمة ﴿وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾ القمّي: الحرّ الشّديد[5].

→ الحديث: ٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦٦، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وفي القمّي ٢: ٣٣٢، عنه عليه السلام ما يقرب منه.

٢ ـ الكافي ١: ٢٧٥، الحديث: ١؛ القمّي ٢: ٣٣٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦٦، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٣٣٢.

﴿إنّا كنّا مِنْ قَبْلُ﴾ في الدّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾: نعبده ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾: فاثبت على التّذكير، ولا تكترث بقولهم ﴿فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: بحمد الله وإنعامه ﴿بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: ما يقلق النّفوس من حوادث الدّهر.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: أتربّص هلاككم، كما تتربّصون هلاكي.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ﴾: عقولهم، القمّي: لم يكن في الدّنيا أحلم من قريش[1].

﴿بِهذا﴾: بهذا التّناقض في القول، فإنّ الكاهن يكون ذا فطنة ودقّة نظر، والمجنون مغطّى عقله، والشّاعر يكون ذا كلام مخيّل موزون، ولا يتأتّى ذلك من المجنون. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾: مجاوزون الحدّ في العناد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَلْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾: مثل القرآن ﴿إِنْ كانُوا صادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: أم أحدثوا وقدّروا من غير محدث ومقدّر، فلذلك لايعبدونه؟! ﴿أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ﴾: أم خلقوا أنفسهم؟!

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ إذ لو أيقنوا لَما أعرضوا عن عبادته.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ﴾: خزائن علمه ورزقه، حتّى يختاروا للنّبوّة، ويرزقوها من شاؤوا ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾: الغالبون على الأشياء، يدبّرونها كيف شاؤوا.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: مرقاة إلى السّماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: صاعدين فيه إلى كلام الملائكة، وما يوحى إليهم من علم الغيب، حتّى يعلموا ما هو كائن ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾: بحجّة واضحة، تصدّق استماعة.

١ ـ القمّي ٢: ٣٣٢.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ حيث قالوا: إنّ الملائكة بنات اللّه . فيه تسفيه لهم ، وإشعار بأنّ مَنْ هذا رأيه لا يعدّ من العقلاء ، فضلاً أن يترقّى بروحه إلى عالم الملكوت ، فيتطلّع على الغيوب .

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾: من التزام غرم ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلذلك زهدوا في اتّباعك .

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه .

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾: هم الّذين يحيق بهم الكيد .

﴿أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً﴾: قطعة ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾: هذا سحاب تراكمَ بعضها على بعض . وهو جواب قولهم: "فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ"[1] .

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ .

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ .

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذٰلِكَ﴾: دون عذاب الآخرة . القمّي: عذاب الرّجعة بالسّيف[2] . ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ في إمهالهم وإبقائك في عنائهم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: في حفظنا وحرزنا ، بحيث نراك ونكلؤك[3] . وجمع العين مبالغة بكثرة أسباب الحفظ . ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

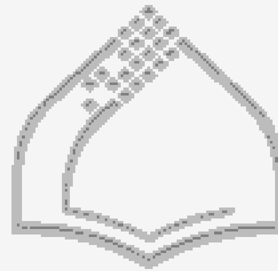
١ ـ الشّعراء (٢٦): ١٨٧ .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣٣ .

٣ ـ كَلأَك اللّهُ كَلاءةً ، أي حفظك وحرسك . كتاب العين ٥: ٤٠٧ (كلأ) .

رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ القمّي: لصلاة اللّيل[١].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾: وإذا أدبرت النّجوم من آخر اللّيل. قال: «يعني الرّكعتين قبل صلاة الفجر»[٢].



١ ـ القمّي ٢: ٣٣٣.

٢ ـ الكافي ٣: ٤٤٤، الحديث: ١١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٣٣، عن الرّضا عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٧٠، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام؛ وفيه أيضاً: ١٥٠، عن عليّ بن أبي طالب وحسن بن عليّ، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

سورة النّجم

[مكّيّة ، وهي اثنتان وستّون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذا هَوىٰ﴾: أُقسم بالنّجم إذا سقط .

﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ﴾: ما عدلَ محمّد صلّى الله عليه وآله عن الطّريق المستقيم ﴿وَما غَوىٰ﴾: وما اعتقد باطلاً . والمراد نفي ما ينسبون إليه .

﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ﴾ .

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: الّذي ينطق به ﴿إِلّا وَحْيٌ يُوحىٰ﴾: يوحيه اللّه إليه .

قال: «يقول: ما ضلَّ في عليٍّ وما غوى ، وما ينطق فيه عن الهوى ، وما كان ما قاله فيه إلّا بالوحي الّذي أُوحي إليه»[2] .

و ورد: «إنّه قال سينقضّ كوكب من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم ، فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيّي وخليفتي والإمام بعدي ؛ فلمّا كان قرب الفجر جلس كلٌّ ينتظر سقوطَ الكوكب في داره . فلمّا طلع الفجر انقضّ الكوكب من الهواء في دار عليّ عليه السلام . فقال صلّى الله عليه وآله لعليّ: والّذي بعثني بالنّبوة ، لقد وجبت لك الوصيّة والخلافة والإمامة

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

بعدي فقال المنافقون: لقد ضلّ محمّد في محبّة ابن عمّه وغوى، وما ينطق في شأنه إلّا بالهوى. فأنزل اللّه الآيات. يقول اللّه عزّوجلّ: وخالق النّجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم، يعني في محبّة عليّ، وما غوى، وما ينطق عن الهوى، يعني في شأنه»[١].

وفي رواية قال: «أُقسم بقبر[٢] محمّد إذا قبض ما ضلّ صاحبكم بتفضيله أهل بيته وما غوى، وما ينطق عن الهوى يقول: ما يتكلّم بفضل أهل بيته بهواه»[٣].

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ قيل: يعني جبرئيل[٤]. والقمّي: يعني اللّه عزّوجلّ[٥].

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قيل: أي: ذو حصافة[٦] في عقله ورأيه[٧] ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: فاستقام. قيل: يعني جبرئيل استقام على صورته الحقيقيّة الّتي خلقه اللّه عليها[٨]، فإنّه روي: «ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمّد صلّى اللّه عليه وآله، مرّة في السّماء ومرّة في الأرض»[٩]. والقمّي: يعني رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله[١٠].

و ورد: «ما بعث اللّه نبيّاً إلّا صاحب مرّة سوداء صافية»[١١].

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ قيل: يعني جبرئيل[١٢]، والقمّي: يعني رسول اللّه[١٣].

١ـ الأمالي (للصدوق): ٤٥٣، المجلس: ٨٣، الحديث: ٤، عن ابن عبّاس، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله؛ وفيه أيضاً: ٤٦٨، المجلس: ٨٦، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام ما يقرب منه.

٢ـ في المصدر: «أُقسم بقبض محمّد».

٣ـ الكافي ٨: ٣٨٠، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٢٦٥؛ البيضاوي ٥: ١٠١.

٥ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

٦ـ الحَصيف: المُحْكَمُ العقل. الصّحاح ٤: ١٣٤٤ (حصف).

٧ـ الكشّاف ٤: ٢٨؛ البيضاوي ٥: ١٠١.

٨ـ البيضاوي ٥: ١٠١.

٩ـ البيضاوي ٥: ١٠١.

١٠ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

١١ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

١٢ـ جامع البيان (للطّبري) ٢٧: ٢٦، عن الربيع؛ وتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٢٦٥، عن عكرمة.

١٣ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قيل: يعني جبرئيل من رسول اللّه[١]

والقمّي: يعني رسول اللّه من ربّه[٢]. ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: فزاد منه دنوّاً؛ وأصل التّدلّي استرسال مع تعلّق.

قال: «لا تقرأ هكذا، إقرأ: ثمّ دنا فتدانى»[٣].

وفي رواية: «إنّ هذه لغة قريش؛ إذا أراد الرّجل منهم أن يقول: قد سمعت، يقول: قد تدلّيت، وإنّما التّدلّي الفهم»[٤].

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: قدرهما. قال: «ما بين سيتها إلى رأسها»[٥].

أقول: سية القوس ما عطف من طرفيها، وهو تمثيل للمقدار المعنوي الرّوحاني بالمقدار الصّوري الجسماني، والقرب المكانتي بالدّنوّ المكاني، تعالى اللّه عمّا يقول المشبّهون علوّاً كبيراً. فسّرﷺ مقدار القوسين بمقدار طرفي القوس الواحد المنعطفين، كأنّه جعلا كلّاً منهما قوساً على حدّة. فيكون مقدار مجموع القوسين مقدار قوس واحد، وهي المسمّاة بقوس الحلقة، وهي قبل أن يهيّأ للرّمي فإنّها حينئذ تكون شبه دائرة، والدّائرة تنقسم بما يسمّى بالقوس. وفي التعبير عن مثل هذا المعنى بمثل هذه العبارة إشارة لطيفة إلى أنّ السّائر بهذا السّير منه سبحانه نزل وإليه صعد، وأنّ الحركة الصّعوديّة كانت انعطافيّة، وأنّها لم تقع على نفس المسافة النّزوليّة، بل على مسافة أُخرى، فسيره كان من اللّه، وإلى اللّه، وفي اللّه، وباللّه، ومع اللّه جلّ جلاله.

﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال «أي: بل أدنى»[٦]. وفي رواية: «دنا من حجب النّور فرأى ملكوت

١ ـ جامع البيان (للطّبري) ٢٧: ٢٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٧: ٨٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

٣ ـ علل الشّرايع ١: ٢٧٧، الباب: ١٨٥، الحديث: ١، عن أبي جعفرعليه السلام.

٤ ـ الاحتجاج ٢: ١٥٧، عن موسى بن جعفرعليهما السلام.

٥ ـ الكافي ١: ٤٤٣، ذيل الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّهعليه السلام.

٦ ـ القمّي ١: ٢٤٦، ذيل الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف، عن أبي عبد اللّهعليه السلام.

السّماوات، ثمّ تدلّى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض، حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى»[١].

وفي أُخرى: «فدنا بالعلم، فتدلّى؛ فدلّى له من الجنّة رفرف أخضر وغشي النّور بصره، فرأى عظمة ربّه عزّوجلّ بفؤاده ولم يرها بعينه، فكان قوسين بينها وبينه أو أدنى»[٢]

و ورد: «كان بينهما حجاب يتلألأ بخفق[٣] ولا أعلمه إلّا وقد قال: زبرجد، فنظر في مثل سمّ الإبرة إلى ما شاء اللّه من نور العظمة. فقال اللّه تبارك وتعالى: يا محمّد. قال: لبّيك ربّي. قال: مَنْ لِأُمّتك من بعدك؟ قال: اللّه أعلم. قال: عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين»[٤].

أقول: لعلّ الحجاب الّذي كان بينهما حجاب البشريّة، وإنّما يتلألأ لانغماسه في نور الرّبّ تعالى بخفق، أي: باضطراب وتحرّك، وذلك لما كاد أن يفنى عن نفسه بالكلّيّة في نور الأنوار بغلبة سطوات الجلال، وبانجذابه بشراشره إلى جناب القدس المتعال، وهذا هو المعنيّ بالتّدلّي المعنوي. ووصف الحجاب بالزّبرجد كناية عن خضرته، وذلك لأنّ النّور الإلهيّ الّذي يشبّه بلون البياض في التّمثيل، كان قد شابته ظلمة بشريّة فصار يتراءى كأنّه أخضر على لون الزّبرجد. وإنّما سأله اللّه عزّوجلّ عن خليفته؛ لأنّه صلى الله عليه وآله كان قد أهمّه أمر الأُمّة، وكان في قلبه أن يخلّف فيهم خليفة إذا ارتحل عنهم، وقد علم اللّه ذلك منه، ولذلك سأله عنه. ولمّا كان الخليفة متعيّناً عند اللّه وعنده، قال اللّه ما قال، ووصفه بأوصاف لم يكن لغيره أن ينال.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ في إبهام الموحى به تفخيم له. القمّي: وحي

١ ـ علل الشّرائع ١: ١٣٢، الباب: ١١٢، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «يخفق».

٤ ـ الكافي ١: ٤٤٣، الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

مشافهة[١].

ورد: «كان فيما أوحى إليه الآية الّتي في سورة البقرة: "لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰواتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ" الآية[٢]. قال: وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم إلى أن بعث اللّه محمّداً وعرضت على الأُمم فأبوا أن يقبلوها من ثِقْلها، وقَبِلَها رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وعرضها على أُمّته فقبلوها»[٣].

﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأىٰ﴾. سئل هل رأى رسول اللّه صلى الله عليه وآله ربّه عزّوجلّ؟ فقال: «نعم، بقلبه رآه، أما سمعت اللّه يقول: "ما كذب الفؤاد ما رأى" لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد»[٤].

وفي رواية: «رأى عظمة ربّه تعالى بفؤاده ولم يرها بعينه»[٥] كما مرّ.

وفي أُخرى: «ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأى فقال: "لَقَد رأى من آيات ربّه الكبرى" فآيات اللّه غير اللّه»[٦].

وفي النّبويّ: سئل عن هذه الآية فقال: «رأيت نوراً»[٧].

أقول: إنّما اختلفت الأجوبة لاختلاف مراتب أفهام المخاطبين في الذّكاء وغموض المسألة.

﴿أَفَتُمارُونَهُ عَلىٰ ما يَرىٰ﴾: أفتجادلونه عليه؛ من المراء.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ﴾: مرّة أخرى، بنزول ودنوّ.

١ ـ القمّي ٢: ٣٣٤.
٢ ـ البقرة (٢): ٢٨٤.
٣ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ ـ التوحيد: ١١٦، الباب: ٨، الحديث: ١٧، عن الكاظم عليه السلام.
٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ ـ الكافي ١: ٩٦، الحديث: ٢؛ التّوحيد: ١١١، الباب: ٨، الحديث: ٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٧٥.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ﴾ «الّتي ينتهي إليها أعمال أهل الأرض». كذا ورد[1].

﴿عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوىٰ﴾ الّتي يأوي إليها المتّقون.

قال: «وإنّ غلظ السّدرة لمسيرة مائة عام من أيّام الدّنيا، وانّ الورقة منها تغطّي أهل الدّنيا»[2].

وفي النّبوي: «رأيت على كلّ ورقة من ورقها[3] ملكاً قائماً يسبّح اللّه عزّوجلّ»[4].

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشىٰ﴾ تفخيمٌ وتكثير لما يغشاها، بحيث لا يَكْتَنِهُها[5] نَعْتٌ ولا يحصيها عَدٌّ. القمّي: لمّا رفع الحجاب بينه وبين رسول اللّه عليه‌السلام غَشِيَ نوره السّدرة[6].

﴿ما زاغَ الْبَصَرُ﴾: ما مال بصر رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله عمّا رآه ﴿وَما طَغىٰ﴾: وما تجاوزه، بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستقيماً.

﴿لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ﴾ قال: «يعني أكبر الآيات»[7]. القمّي: يقول: لقد سمع كلاماً لولا أنّه قويّ ما قَوِيَ[8].

و ورد: «رأى جبرئيل على ساقه الدّرّ مثل القَطْر على البقل له ستّمائة جناح قد ملأ ما بين السّماء والأرض»[9].

و ورد: «رأى جبرئيل في صورته مرّتين، هذه المرّة ومرّة أُخرى، وذلك أنّ خلق

١ ـ علل الشّرائع ١: ٢٧٧، الباب: ١٨٥، قطعة من حديث: ١، عن أبي جعفر عليه‌السلام.

٢ ـ المصدر: ٢٧٨، الباب: ١٨٥، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه‌السلام.

٣ ـ في المصدر: «من أوراقها».

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٧٥.

٥ ـ لا يكتنِهُهُ الوصفُ، بمعنى لا يبلغ كُنْهَه، أي: قدرَه وغايتَهُ. الصّحاح ٦: ٢٢٤٧ (كنه).

٦ ـ القمّي ٢: ٣٣٨.

٧ ـ علل الشرائع ١: ٢٧٨، الباب: ١٨٥، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه‌السلام.

٨ ـ القمّي ٢: ٣٣٥.

٩ ـ التّوحيد: ١١٦، الباب: ٨، الحديث: ١٨، عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام.

جبرئيل عظيم، فهو من الرّوحانيّين الّذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلّا اللّه ربّ العالمين»[١].

وفي رواية: «يا عليّ إنّ اللّه أشهدك معي في سبع مواطن: أمّا أوّل ذلك: فليلة أُسري بي إلى السّماء، قال لي جبرئيل: أين أخوك؟ فقلت: خلّفته ورائي، قال: ادع اللّه فليأتك به، فدعوت اللّه فإذاً مثالك معي، وإذ الملائكة صفوف، فقلت: يا جبرئيل مَنْ هؤلاء؟ قال: هم الّذين يباهيهم اللّه بك يوم القيامة، فدنوت ونطقت بما كان ويكون[٢] إلى يوم القيامة. والثّاني: حين أُسري بي في المرّة الثّانية، فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: خلّفته ورائي، قال: ادع اللّه فليأتك به، فدعوت اللّه فإذاً مثالك معي فكشط لي عن سبع سماوات، حتّى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها» الحديث[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما للّه عزّوجلّ آية هي أكبر منّي»[٤].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾.

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ هي أصنام كانت لهم يعبدونها.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ قيل: إنكار لقولهم: الملائكة بنات اللّه وهذه الأصنام هياكلها، أو استوطنها جنّيّات هنّ بناته[٥]!! تعالى اللّه عن ذلك.

﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: جائرة، حيث جعلتم له ما تستنكفون منه.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ﴾ أي: الأصنام ما هي باعتبار الأُلوهيّة إلّا أسماء تطلقونها عليها. ﴿ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ﴾: من حجّة وبرهان يتعلّقون بها ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾: الرسول والكتاب

١ ـ التّوحيد: ٢٦٣، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ في المصدر: «وبما يكون».

٣ ـ القمّي ٢: ٣٣٥، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٤ ـ الكافي ١: ٢٠٧، قطعة من حديث: ٣، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٠٢.

فتركوه .

﴿أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنّىٰ﴾ أي: ليس له كلّ ما يتمنّى ، والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وغير ذلك ممّا يتمنّون .

﴿فَلِلّٰهِ الآخِرَةُ وَالأُولىٰ﴾ يعطي منهما ما يشاء لمن يريد ، وليس لأحد أن يتحكّم عليه في شيء منهما .

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ﴾ في الشّفاعة ﴿لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضىٰ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثىٰ﴾ بأن سمّوهم بنات .

﴿وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ .

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّىٰ عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلّا الحَياةَ الدُّنْيا﴾: فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه ، فإنّ من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك في الدّنيا ، بحيث كانت منتهى همّته ومبلغ علمه ، لا تزيده الدّعوة إلّا عناداً وإصراراً على الباطل .

﴿ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ لا يتجاوزه علمهم ؛ اعتراض مقرّر لقصور هممهم على الدّنيا . ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدىٰ﴾ يعني إنّما يعلم الله من يجيب ممّن لا يجيب ، فلا تتعب نفسك في دعوتهم ، إذ ما عليك إلّا البلاغ ؛ وقد بلّغت .

﴿وَلِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ﴾: بالمثوبة الحسنى .

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ﴾: ما يكبر عقابه من الذّنوب ، وهو ما رتّب الوعيد عليه بخصوصه ﴿وَالفَواحِشَ﴾ من الكبائر خصوصاً ﴿إِلّا اللَّمَمَ﴾: إلّا ما قلّ وصغر ، فإنّه مغفور من مجتنبي الكبائر ؛ والاستثناء منقطع .

قال: «الفواحش: الزّنا والسّرقة، واللّمم: الرّجل يلمّ بالذّنب فيستغفر اللّه منه»[١].

أقول: يلمّ بالذّنب، أي: يقاربه وينزل إليه فيفعله.

و ورد: «ما من ذنب إلّا وقد طبع عليه عبد مؤمن، يهجره الزّمان ثمّ يلمّ به، وهو قول اللّه عزّوجلّ: "الّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم". قال: اللّمام: العبد الّذي يلمّ بالذّنب[٢] بعد الذّنب، ليس من سليقته، أي: من طبيعته»[٣].

أقول: وقد طبع عليه، أي: لعارض عرض له يمكن زواله عنه، ولو كان مطبوعاً عليه في أصل الخلقة وكان من سجيّته وسليقته، لما أمكنه الهجرة عنه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ المَغْفِرَةِ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر، وله أن يغفر ما شاء من الذّنوب، صغيرها وكبيرها، لمن يشاء. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: أعلم بأحوالكم منكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ﴾: عَلِمَ مصارف أُموركم حين ابتدأ خلقكم من التّراب، وحيثما صوّركم في الأرحام.

﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير، والطّهارة عن المعاصي والرّذائل. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ فإنّه يعلم التّقيّ وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم.

قال: «يقول: لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه، لأنّ اللّه أعلم بمن اتّقى منكم»[٤].

و ورد: «إنّ قوماً كانوا يصبحون فيقولون: صلّينا البارحة، وصمنا أمس، فقال

١ ـ الكافي ٢: ٤٤٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في المصدر: «يلمّ الذّنب».

٣ ـ الكافي ٢: ٤٤٢، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ علل الشّرائع ٢: ٦١٠، الباب: ٣٨٥، ذيل الحديث الطّويل: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام.

عليّ عليه السلام: لكنّي أنام اللّيل والنّهار، ولو أجد بينهما شيئاً لنمته»[١].

قال: «ويجوز إذا اضطرّ إليه كما قال يوسف: "إِجْعَلْنِي عَلى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"»[٢].

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾: وقطع العطاء.

قيل: نزلت الآيات السّبع ـ يعني هذه وما بعدها ـ في عثمان بن عفّان، كان يتصدّق وينفق، فقال له أخوه من الرّضاعة عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح[٣]: ما هذا الّذي تصنع يوشك أن لا يبقى لك شيء؟! فقال عثمان: إنّ لي ذنوباً، وإنّي أطلب بما أصنع رضا اللّه وأرجو عفوه. فقال له عبد اللّه: أعطني ناقتك برحلها، وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلّها!! فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن النّفقة، فنزلت "أفرأيت الّذي تولّى" أي: يوم أُحد حين ترك المركز "وأعطى قليلاً" ثمّ قطع النّفقة إلى قوله: "وأنّ سعيه سوف يرى" فعاد عثمان إلى ما كان عليه[٤].

﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾: يعلم أنّ صاحبه يتحمّل عنه.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾: وفّر وأتمّ ما أُمر به، والتزمه على نفسه.

القمّي: وفّى بما أمره اللّه به من الأمر والنّهي وذبح ابنه[٥].

١ ـ معاني الأخبار: ٢٤٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، والآية في سورة يوسف (١٢): ٥٥.

٣ ـ مرّت ترجمته ذيل الآية: ١٣٦ من سورة النساء.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٧٨، عن ابن عباس والسدي والكلبي وجماعة من المفسّرين؛ وفي الكشّاف ٤: ٣٢، مع تفاوت يسير.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٣٨.

وفي رواية: «كلمات[١] بالغ فيهنّ ؛كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً»[٢].

﴿أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ أي: لم ينبّأ بما في صحفهما ، أنّه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره؟!

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعىٰ﴾: وأن لا يثاب أحد بفعل غيره.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ﴾: يراه في الآخرة.

﴿ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفىٰ﴾: يُجزَى العبد سعيه بالجزاء الأوفر.

﴿وَأَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ﴾: انتهاء الخلائق ورجوعهم. قال: «فإذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا»[٣].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكىٰ﴾ القمّي: أبكى السّماء بالمطر، وأضحك الأرض بالنّبات[٤].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَأَحْيا﴾. ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثىٰ﴾. ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنىٰ﴾. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَأَقْنىٰ﴾: وأعطى القنية، أي: أصل المال، أو الكسب والرّضا.

قال: «أغنى كلّ إنسان بمعيشته، وأرضاه بكسب يده»[٥].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ﴾ القمّي: نجم في السّماء، كانت قريش وقوم من العرب

١ـ وهنّ الكلمات كما في المصدر: «أصبحت وربّي محمود، أصبحت لا أُشرك بالله شيئاً ولا أدعو معه إلهاً ولا أتّخذ من دونه وليّاً».

٢ـ الكافي ٢: ٥٣٥، قطعة من حديث: ٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي علل الشّرائع ١: ٣٧، الباب: ٣٣، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام ما يقرب منه.

٣ـ الكافي ١: ٩٢، الحديث: ٢؛ التّوحيد: ٤٥٦، الباب: ٦٧، الحديث: ٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ٣٣٩.

٥ـ معاني الأخبار: ٢١٥، الحديث: ١، القمّي ٢: ٣٣٩، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

يعبدونه، يطلع في آخر الليل[١].

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولىٰ﴾. ﴿وَثَمُودا فَما أَبْقىٰ﴾. ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغىٰ﴾.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾: والقرى الّتي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهي قرى قوم لوط.

﴿أَهْوىٰ﴾ بعد أن رفعها وقلّبها.

و ورد: «هم أهل البصرة، هي المؤتفكة»[٢].

القمّي: وقد ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى اللّه تمام الثّالثة، ويكون في الرّجعة[٣].

﴿فَغَشّاها ما غَشّىٰ﴾ فيه تهويلٌ وتعميمٌ لما أصابهم.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارىٰ﴾: «تتشكّك». كذا ورد[٤]. والقمّي: بأيّ سلطان تخاصم[٥]. والخطاب لكلّ أحد.

﴿هٰذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولىٰ﴾. قال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأوّل أقامهم صفوفاً قدّامه، وبعث اللّه محمّداً صلّى الله عليه وآله، فآمن به قوم وأنكره قوم، فقال اللّه عزّوجلّ: "هذا نذير من النّذر الأولى" يعني محمّداً حيث دعاهم إلى اللّه في الذرّ الأوّل»[٦].

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾. القمّي: يعني قربت القيامة[٧].

﴿لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللّهِ كاشِفَةٌ﴾: ليس لها نفس قادرة على كشفها إلّا اللّه.

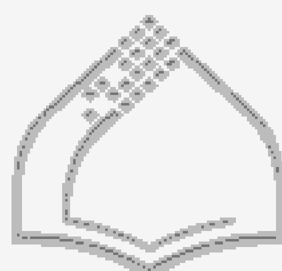
١ ـ القمّي ٢: ٣٣٩.
٢ ـ الكافي ٨: ١٨٠، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٣٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «وتمام الثالثة في الرّجعة».
٤ ـ الكافي ٢: ٣٩٢، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٠.
٦ ـ المصدر عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي بصائر الدّرجات: ٨٤، الباب: ١٤، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ذيل الرّواية فقط.
٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٠.

﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا الْحَدِيثِ﴾ . قال: «يعني بالحديث ما تقدّم من الأخبار»[1] . ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكاراً .

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ تحزّناً على ما فرّطتم .

﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ القمّي: أي: لاهون[2] .

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾: واعبدوه دون الآلهة .



١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٨٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٠ .

سورة القمر

[مكيّة ، وهي خمس وخمسون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ القمّي: اقتربت القيامة ، فلا يكون بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلّا القيامة ، وقد انقضت النّبوة والرّسالة[2] . وفي رواية: «خروج القائم»[3] .

﴿وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ . روي: «إنّ المشركين سألوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يشقّ لهم القمر فرقتين ، فقال لهم: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم . وكانت ليلة بدر ، فسأل ربّه أن يعطيه ما قالوا ، فانشقّ القمر فرقتين ورسول اللّه صلى الله عليه وآله ينادي: يا فلان يا فلان اشهدوا . فقال ناس: سحرنا محمّد . فقال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر النّاس كلّهم» . كذا في المجمع[4] .

وفيه: وإنّما ذكر سبحانه اقتراب السّاعة مع انشقاق القمر ، لأنّ انشقاقه من علامة نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله ، ونبوّته وزمانه من آيات اقتراب الساعة[5] .

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَـةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾: مطّرد . وقيل: أي: قويّ شديد ،

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٠ .

٤ و ٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٨٦ .

يعلو كلَ سحر[١].

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ القمّي: أي: كانوا يعملون برأيهم، ويكذّبون أنبياءهم[٢].

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾: مُنتَهٍ إلى غاية.

﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: متّعظ من تعذيب أو وعيد.

﴿حِكْمَةٌ بالِغَةٌ﴾ غايتها، لا خلل فيها ﴿فَما تُغْنِ النُّذُرُ﴾. نفي، أو استفهام إنكار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أنّ الإنذار لا يؤثّر فيهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ﴾: فظيع ينكره النّفوس؛ لأنّها لم تعهد مثله.

القمّي: الإمام إذا خرج يدعوهم إلى ما ينكرون[٣].

وقيل: هو هول يوم القيامة[٤]. ويأتي ما يؤيّده[٥].

﴿خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ﴾: ذليلة عند رؤية العذاب ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ﴾: من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الكثرة والتّموّج والانتشار في الأمكنة.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ﴾: مسرعين، مادّي أعناقهم إليه؛ أو ناظرين إليه. القمّي: إذا رجع فيقول: ارجعوا[٦]. ﴿يَقُولُ الْكافِرُونَ هٰذا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

ورد في حديث القيامة: «فيشرف الجبّار عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة، فيأمر ملكاً من الملائكة، فينادي فيهم: يا معشر الخلائق! انصتوا واستمعوا منادي الجبّار. قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم. قال: فتنكسر أصواتهم عند ذلك، وتخشع أبصارهم، وتضطرب فرائصهم، وتفزع قلوبهم، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصّوت؛ "مهطعين إلى الدّاع". قال: فعند ذلك يقول الكافر: "هذا يوم عسر"»[٧].

١ ـ المصدر، عن الضحّاك وأبي العالية وقتادة.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٣٤١.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٠٥.

٥ ـ ذيل الآية: ٨ من نفس السّورة.

٦ ـ القمّي ٢: ٣٤١.

٧ ـ الكافي ٨: ١٠٤، الحديث: ٧٩، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا﴾: نوحاً ﴿وَقالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾: و زجر عن التّبليغ بأنواع الأذيّة.

﴿فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾: فانتقم منهم، وذلك بعد يأسه منهم.

قال: «لبث فيهم نوح ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية، فلمّا أبوا وعتوا قال: ربّ إنّي مغلوب فانتصر»[1].

﴿فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ﴾: منصبّ.

﴿وَفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُوناً﴾: وجعلنا الأرض كلّها كأنّها عيون منفجرة. وأصلها: وفجّرنا عيون الأرض، فغيّر للمبالغة. ﴿فَالْتَقَى الماءُ﴾: ماء السّماء وماء الأرض ﴿عَلىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: قدّره اللّه تعالى.

ورد: «لم تنزل قطرة من السّماء من مطر إلّا بعدد معدود ووزن معلوم، إلّا ما كان من يوم الطّوفان على عهد نوح، فإنّه نزل ماء مُنْهَمِرٌ بلا وزن ولا عدد»[2].

﴿وَحَمَلْناهُ عَلىٰ ذاتِ أَلْواحٍ﴾: ذات أخشاب عريضة ﴿وَدُسُرٍ﴾ القمّي: الألواح: السّفينة، والدّسر: المسامير[3].

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنا﴾: بمرأى منّا. القمّي: بأمرنا وحفظنا[4]. ﴿جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ﴾ أي: فعلنا ذلك جزاء لنوح، لأنّه نعمة كفروها، فإنّ كلّ نبيّ نعمة من اللّه ورحمة على أُمّته.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْناها آيَةً﴾ يعتبر بها، إذ شاع خبرها ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: معتبر.

﴿فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾: وإنذاراتي، أو رسلي. وتمام القصّة في هود[5].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ﴾: سهّلناه ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للادّكار والاتّعاظ لمن يذكّر، بأن صرّفنا

١ـ الكافي ٨: ٢٨٣، ذيل الحديث: ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٢٣٩، ذيل الحديث: ٣٢٦، عن أبي عبد اللّه، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.
٣ و ٤ـ القمّي ٢: ٣٤٢.
٥ـ هود (١١): ٢٥ إلى ٤٩.

فيه أنواع المواعظ والعِبَر. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متّعظ.

﴿كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾: باردة ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾: مستمرّ شؤمه إلى مثله.

قال: «كان يوم الأربعاء»[1]. وزاد في رواية: «في آخر الشّهر لايدور»[2]

و ورد: «الأربعاء يوم نحس مستمرّ، لأنّه أوّل يوم وآخر يوم من الأيّام الّتي قال اللّه: "سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيّامٍ حُسُوماً"»[3].

﴿تَنْزِعُ النّاسَ﴾: تقلعهم، روي: «إنّهم دخلوا في الشّعاب والحفر، وتمسّك بعضهم ببعض، فنزعتهم الرّيح منهم، وصرعتهم موتى»[4]. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: أُصول نخل منقلع عن مغارسه، ساقط على الأرض.

قيل: شبّهوا بالأعجاز؛ لأنّ الرّيح طيّرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم[5].

﴿فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾ كرّره للتّهويل.

وقيل: الأوّل لما حاق بهم في الدّنيا، والثاني لما يحيق بهم في الآخرة، كما قال في قصّتهم أيضاً: "لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزى"[6].

وتمام القصة في الأعراف، وهود[7].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾.

١ و ٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام، نقلاً عن العيّاشي.
٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٨١، الباب: ١١٢، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. والآية في سورة الحاقّة (٦٩): ٧.
٤ و ٥ ـ البيضاوي ٥: ١٠٦.
٦ ـ البيضاوي ٥: ١٠٦. والآية في سورة فصّلت (٤١): ١٦.
٧ ـ الأعراف (٧): ٦٥ إلى ٧١؛ هود (١١): ٥٠ إلى ٦٠.

﴿فَقالُوا أَبَشَراً مِنّا﴾: من جنسنا ﴿واحِداً﴾: منفرداً لا تبعَ له ﴿نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾: جَمْع سعير. كأنّهم عكسوا عليه، فرتّبوا على اتّباعهم إيّاه ما رتّبه على ترك اتّباعهم له.

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ﴾: الكتاب والوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا﴾ وفينا مَنْ هو أحقّ منه بذلك ﴿بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ﴾: حَمَلَه بطره على الترفّع علينا بادّعائه.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الكَذّابُ الأَشِرُ﴾: الّذي حمله أشره على الاستكبار عن الحقّ، أصالح، أم من كذّبه؟

﴿إِنّا مُرْسِلُوا النّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾: اختباراً ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾: فانتظرهم، وتبصّر ما يصنعون ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على أذاهم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: مقسوم، لها يوم ولهم يوم ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾: يحضره صاحبه في نوبته.

﴿فَنادَوْا صاحِبَهُمْ﴾ قُدارُ بن سالف[1]؛ أُحيمر ثمود. ﴿فَتَعاطى فَعَقَرَ﴾ فاجترأ على تعاطي قتلها، فقتلها، أو فتعاطى السّيف فقتلها.

﴿فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾: كالحشيش اليابس الّذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشّتاء وتمام القصّة في الأعراف[2].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾.

﴿إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً﴾: ريحاً تحصبهم بالحجارة، أي: ترميهم. ﴿إِلّا آلَ لُوطٍ

١ ـ قُدارُ بن سالِف: الّذي يقال له: أحْمَرُ ثمود، عاقر ناقة صالح عليه السلام. قال الأزهري: وقالت العرب للجزّار: قُدارٌ، تشبيهاً به. لسان العرب ٥: ٨٠ (قدر).

٢ ـ ذيل الآية: ٧٩.

نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ﴾.

﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾: شكر نعمتنا بالإيمان والطّاعة.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ لوط ﴿بَطْشَتَنا﴾: أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ﴾: فشكّوا ولم يصدّقوا.

﴿وَلَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: قصدوا الفجور بهم ﴿فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ﴾: فمسحناها وسوّيناها بسائر الوجه.

قال: «أهوى جبرئيل بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم»[١].

وفي رواية: «أخذ كفّاً من بطحاء فضرب بها وجوههم، وقال: شاهت الوجوه[٢]، فعمي أهل المدينة كلّهم»[٣]. وتمام القصّة في هود[٤]. ﴿فَذُوقُوا عَذابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾: يستقرّ بهم، حتّى يسلّمهم إلى النّار.

﴿فَذُوقُوا عَذابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾. كرّر ذلك في كلّ قصّة؛ إشعاراً بأنّ تكذيب كلّ رسول مقتض لنزول العذاب، واستماع كلّ قصّة مستدع للادّكار والاتّعاظ، واستئنافاً للتّنبيه والإيقاظ، لئلّا يغلبهم السّهو والغفلة.

﴿وَلَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾.

﴿كَذَّبُوا بِآياتِنا كُلِّها فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾: أخذ من لا يغالب ولا يعجزه شيء.

﴿أَكُفّارُكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ﴾: من هذه الأمم الهالكة ﴿أَمْ لَكُمْ

١ـ الكافي ٥: ٥٤٨، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ـ شاهت الوجوهُ: قَبُحَتْ. الصّحاح ٦: ٢٢٣٨ (شوه).

٣ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ هود (١١): ٧٧ إلى ٨٣.

بَراءَةٌ فِي الزُّبُـرِ﴾: براءة في الكتب: أن لا تهلكوا كما هلكوا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ القمّي: قال قريش: قد اجتمعنا لننتصر بقتلك يا محمّد؛ فأنزل اللّه[1].

﴿سَيُهْزَمُ الْـجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمّي: يعني يوم بدر حين هزموا وأُسروا وقتلوا[2].

﴿بَلِ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ يعني القيامة موعد عذابهم الأصليّ، وما يحيق بهم في الدّنيا فمن طلائعه ﴿وَالسّاعَةُ أَدْهىٰ وَأَمَرُّ﴾: أشدّ وأغلظ وأمرّ مذاقاً من عذاب الدّنيا.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِـينَ فِي ضَلالٍ﴾ عن الحقّ في الدّنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾: ونيران في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾: يجرّون ﴿فِي النّارِ عَلىٰ وُجُوهِـهِمْ ذُوقُـوا مَسَّ سَقَرَ﴾: حرّها وألمها.

ورد: «إنّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال لها: سقر، شكا إلى اللّه شدّة حرّه، وسأله: أن يأذن له أن يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم»[3].

﴿إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾: مقدّراً مكتوباً في اللّوح قبل وقوعه. القمّي: له وقت وأجل ومدّة[4].

ورد: «إنّ القدريّة مجوس هذه الأُمّة، وهم الّذين أرادوا أن يصفوا اللّه بعدله فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية: "يوم يسحبون" إلى قوله "بقدر"»[5].

وفي رواية: «ما أنزل اللّه هذه الآيات إلّا في القدريّة "إنّ المجرمين" إلى قوله: "بقدر"»[6].

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٢.
٣ ـ ثواب الأعمال: ٢٦٥، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٢.
٥ ـ التّوحيد: ٣٨٢، الباب: ٦٠، الحديث: ٢٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ ثواب الأعمال: ٢٥٢، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَما أَمْرُنا إِلّا واحِدَةٌ﴾ القمّي: يعني نقول: كن فيكون[١]. ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في اليُسر والسّرعة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ﴾: أتباعكم ونظراءكم في الكفر من عبّاد الأصنام ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متعظ.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾: مكتوب في كتب الحفظة.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ﴿مُسْتَطَرٌ﴾: مسطور.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَهَرٍ﴾.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾: مقرّبين عند مَنْ تعالى أمره في الملك والاقتدار.



١ ـ القمّي ٢: ٣٤٢.

سورة الرّحمٰن

[جلَ ذكره . مكيّة أو مدنيّة ، وهي ثمان وسبعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿الرَّحْمٰنُ﴾ . ﴿عَلَّمَ القُرْآنَ﴾ . ﴿خَلَقَ الإنْسانَ﴾ . ﴿عَلَّمَهُ البَيانَ﴾ .

قيل: لمّا كانت هذه السّورة مشتملة على تعداد نِعَمِ الدّنيويّة والأُخرويّة ، صدّرها بـ "الرّحمن" ، وقدّم أجلّ النّعم وأشرفها ، وهو تعليم القرآن ، فإنّه أساس الدّين ومنشأ الشّرع ، وأعظم الوحي وأعزّ الكتب ؛ إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها مصدّق لنفسه ولها ، ثمّ أتبعه بنعمة خلق الإنسان وإيتائه ما تميّز به عن سائر الحيوان ، من التّعبير عمّا في الضّمير وإفهام الغير ما أدركه[2] .

وقال: «البيان: الاسم الأعظم الّذي علم به كلّ شيء»[3] .

وفي رواية: «الإنسان أمير المؤمنين عليه السلام ، عَلَّمَه بيان كلّ شيء يحتاج إليه النّاس»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٠٨ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٩٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٣ ؛ بصائر الدرجات: ٥٠٦ ، ذيل الحديث: ٥ ؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦١١ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

﴿الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾: يجريان بحساب معلوم مقدَّر في بروجهما ومنازلهما، ويتّسق بذلك أُمور الكائنات، ويختلف الفصول والأوقات، ويعلم السّنون والحساب.

﴿وَالنَّجْمُ﴾: النّبات الّذي يَنْجُمُ، أي: يَطْلَعُ من الأرض ولا ساق له ﴿والشَّجَرُ﴾: والذي له ساق ﴿يَسْجُدانِ﴾: ينقادان للّه فيما يريد بهما طبعاً، انقياد السّاجد من المكلّفين طوعاً.

﴿وَالسَّماءَ رَفَعَها﴾: خلقها مرفوعة محلّاً ومرتبةً فإنّها منشأ أقضيته، ومتنزّل أحكامه، ومحلّ ملائكته. ﴿وَوَضَعَ المِيزانَ﴾: العدل، بأن وفّر على كلّ مستعدّ مستحقّه، ووفّى كلّ ذي حقّ حقّه، حتّى انتظم أمر العالم واستقام.

و ورد: «بالعدل قامت السّماوات والأرض»[1].

﴿أَلّا تَطْغَوْا فِي المِيزانِ﴾: لئلّا تطغوا فيه، أي: لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف.

﴿وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزانَ﴾: ولا تنقصوه، فإنّ مِنْ حقّه أن يسوّى، لأنّه المقصود مِنْ وَضْعه.

ورد: «الميزان أمير المؤمنين عليه السلام، نصبه لخلقه»[2].

قال: «"ألّا تطغوا"، أي: لا تعصوا الإمام»[3].

﴿وَالأَرْضَ وَضَعَها﴾: خفضها مدحوّة ﴿لِلأَنامِ﴾: للخلق.

﴿فِيها فاكِهَةٌ﴾: ضروب ممّا يتفكّه به ﴿وَالنَّخْلُ ذاتُ الأَكْمامِ﴾: أوعية التّمر.

﴿وَالحَبُّ﴾ كالحنطة والشّعير وسائر ما يتغذّى به ﴿ذُو العَصْفِ﴾ قال: «التّبن»[4].

﴿وَالرَّيْحانُ﴾ قال: «ما يؤكل منه»[5].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ قال: «فبأيّ النّعمتين تكفران، بمحمّد أم بعليّ؟!»[6].

١ ـ البيضاوي ٥: ١٠٨.
٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٤، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٦ ـ المصدر: ٣٤٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وفي رواية: «أبِالنّبيّ أم بالوصيّ»[١]. والقمّي: في الظّاهر مخاطبة الجنّ والإنس، وفي الباطن فلان وفلان[٢].

﴿خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ﴾. الصّلصال: الطّين اليابس الّذي له صلصلة. والفخّار: الخزف[٣]. وقد خلق الله آدم من تراب جعله طيناً، ثمّ حمأً مسنوناً، ثمّ صلصالاً؛ فلا تنافي بين ما ورد بكلّ منها.

﴿وَخَلَقَ الْجانَّ﴾: أبا الجنّ ﴿مِنْ مارِجٍ﴾: من صاف من الدّخان ﴿مِنْ نارٍ﴾ بيان لمارج، فإنّه في الأصل للمضطرب.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾: مشرقي الشّتاء والصّيف ومغربيهما. قال: «إنّ مشرق الشّتاء على حدة، ومشرق الصّيف على حدة، أما تعرف ذلك من قُرْبِ الشّمس وبُعْدِها»[٤].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أرسل البحر العذب والبحر الملح ﴿يَلْتَقِيانِ﴾: يتجاوران.

﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ﴾: حاجز من قدرة الله ﴿لا يَبْغِيانِ﴾: لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصيّة.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانُ﴾: كبار الدّرّ وصغاره.

قال: «"يخرج منهما"، يعني من ماء السّماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت

١ ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٢، مرفوعة؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦١٤، مرفوعة عن الصادق عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٤.

٣ ـ كلّ ما عمل من طين وشوي بالنّار حتّى يكون فخّاراً فهو خَزَفٌ. مجمع البحرين ٥: ٤٤ (خزف).

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الأصداف أفواهها في البحر فيقع فيها من ماء المطر ، فتخلق اللّؤلؤة الصّغيرة من القطرة الصّغيرة ، واللّؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة»[١] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿وَلَهُ الْجَوارِ﴾: السّفن ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ قيل: المرفوعات الشّرع[٢] ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ﴾: كالجبال ؛ جمع عَلَم ، وهو الجبل الطّويل .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ﴾: مَنْ على وجه الأرض .

﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾: ذو الاستغناء المطلق والفضل العامّ ، وذلك لأنّك إذا استقريت جهات الموجودات وتفحّصت وجوهها ، وجدتها بأسرها فانية في حدّ ذاتها إلّا وجه اللّه ، أي: الوجه الّذي يلي جهته .

قال: «إذا أفنى اللّه الأشياء أفنى الصّور والهجاء ، ولا ينقطع ولا يزال من لم يزل عالماً»[٣] .

وفي رواية: «نحن وجه اللّه»[٤] .

وفي أُخرى: «وجه ربّك ، أي: دين ربّك»[٥] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنّهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمّهم ويعنّ لهم . والمراد بالسّؤال ما يدلّ على الحاجة إلى تحصيل الشّيء ، نطقاً

١ ـ قرب الإسناد: ١٣٧ ، الحديث: ٤٨٥ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٠٩ .

٣ ـ التّوحيد: ١٩٣ ، الباب: ٢٩ ، الحديث: ٧ ، عن الجواد عليه السلام .

٤ ـ التّوحيد: ١٥٠ ، الباب: ١٢ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٥ ، منه رحمه الله .

كان أو غيره.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: «من إحداث بديع لم يكن»[١]. وفي رواية: «من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين»[٢]. والقمّي: يحيي ويميت، ويرزق ويزيد وينقص[٣].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ﴾ قيل: أي: ستتجرّد لحسابكم وجزائكم أيّها الجنّ والإنس[٤].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾: أن تخرجوا من جوانبها، هاربين من الله، فارّين من قضائه ﴿فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ﴾: لا تقدرون على النّفوذ ﴿إِلّا بِسُلْطانٍ﴾: إلّا بقوّة وقهر، وأنّى لكم ذلك!

ورد: «يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار، ثمّ ينادون بذلك»[٥].

وفي رواية: «يهبط أهل سبع سماوات، فتصير الجنّ والإنس في سبع سرادقات من الملائكة ثمّ ينادي منادٍ "يا معشر الجنّ والإنس" الآية، فينظرون، فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة»[٦].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ﴾: لهب منها ﴿وَنُحاسٌ﴾: دخان أو صفر مذاب، يصبّ

١ ـ الكافي ١: ١٤١، الحديث: ٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٢، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٥.
٤ ـ البيضاوي ٥: ١١٠.
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٥، في الخبر.
٦ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.

على رؤوسهم. كذا قيل [١]. ﴿فَلا تَنْتَصِرانِ﴾: فلا تمتنعان.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ﴾ قيل: أي: حمراء كَوَرْدَة، مذابة كالدّهن [٢]. وقيل: الدّهان: الأديم الأحمر [٣].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ﴾.

قال: «من اعتقد الحقّ ثمّ أذنب ولم يَتُبْ في الدّنيا، عُذّب عليه في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يُسأل عنه» [٤].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ﴾.

قال: «كيف يحتاج تبارك وتعالى إلى معرفة خلق أنشأهم وهو خَلَقَهم، لو قام قائمنا أعطاه اللّه السّيماء، فيأمر بالكافرين فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم، ثمّ يخبط بالسّيف خبطاً» [٥].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾: ماء حارّ بلغ النّهاية في الحرارة.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

١ ـ البيضاوي ٥: ١١٠.

٢ ـ البيضاوي ٥: ١١٠.

٣ ـ التّبيان ٩: ٤٧٦.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٥ ـ بصائر الدّرجات: ٣٥٦، الباب: ١٧، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿ وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّـهِ جَنَّتانِ ﴾ .

قال: «من علم أنّ اللّه يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ فيحجزه[1] ذلك عن القبيح من الأعمال ، فذلك الّذي خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى»[2] .

و ورد: «من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة اللّه عزّ وجلّ ؛ حرّم اللّه عليه النّار ، وآمنه من الفزع الأكبر ، وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله: "ولمن خاف مقام ربّه جنّتان"»[3] .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّـكُما تُـكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ ذَواتا أَفْنانٍ ﴾: ذواتا ألوان من النّعيم .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّـكُما تُـكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ فِـيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ ﴾ . ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّـكُما تُـكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ فِـيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ ﴾: صنفان ، قيل: غريب ومعهود ، أو رطب ويابس[4] .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّـكُما تُـكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ مُتَّكِئِـينَ عَلىٰ فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾: ديـباج ثـخين ، فـما ظـنّك بـالظّهائر ﴿ وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دانٍ ﴾: مجنيهما قريب ، يناله القاعد والمضطجع .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّـكُما تُـكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ فِـيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ ﴾: نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ ، لم يردن غيرهم ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ ﴾: لم يمسّ الإنسيّات إنس ، ولا الجنيّات جنّ .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّـكُما تُـكَذِّبانِ ﴾ .

١ ـ في «ألف»: «فحجزه» .

٢ ـ الكافي ٢: ٧٠ ، الحديث: ١٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٧ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٤ ـ البيضاوي ٥: ١١١ .

﴿كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالْمَرْجانُ﴾ في حمرة الوجنة وبياض البَشَرة وصفائهما.

ورد: «إنّ المرأة من أهل الجنّة يُرىٰ مُخُّ ساقِها وراء سبعين حلّة»[1].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلّا الإِحْسانُ﴾ قال: «هل جزآء من أنعمنا عليه بالتّوحيد إلّا الجنّة»[2]. وفي رواية: «مَنْ أنعمتُ عليه بالمعرفة»[3]. وفي أُخرى: «هل جزاء من قال: لا إله إلّا اللّه إلّا الجنّة»[4]. و ورد: «إنّ هذه الآية جرت في الكافر والمؤمن، والبرّ والفاجر، من صَنَعَ إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليس المكافاة أن تصنع كما صنع حتّى تربي، فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء»[5].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾. ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿مُدْهامَّتانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ ومن دون تَيْنِك الجنّتين ـ الموعودتين للخائفين مقام ربّهم ـ جنّتان لمن دونهما، خضراوان تضربان إلى السّواد.

ورد: «جنّتان من فضّة أبنيتهما وما فيهما، وجنّتان من ذهب أبنيتهما وما فيهما»[6].

قيل له: النّاس يتعجّبون إذا قلنا: يخرج قوم من النّار فيدخلون الجنّة! فيقولون لنا:

١ ـ الكافي ٨: ٩٩، ذيل الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٨، في الحديث.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٨، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٣ ـ التّوحيد: ٢٨، الباب: ١، الحديث: ٢٩، عن موسى الكاظم، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ القمّي ٢: ٣٤٥.

٤ ـ علل الشّرائع ١: ٢٥١، الباب: ١٨٢، الحديث: ٨، عن حسن بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٠، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وفيه: «آنيتهما».

فيكونون مع أولياء اللّه في الجنّة؟ فقال عليه السلام: «إن اللّه يقول: "ومن دونهما جنّتان" لا واللّه ما يكونون مع أولياء اللّه»[١].

و ورد: «لا تقولنّ: الجنّة واحدة، إنّ اللّه يقول: "ومن دونهما جنّتان" ولا تقولنّ: درجة واحدة، إنّ اللّه يقول: "دَرَجاتٌ بَعْضُها فوقَ بَعْضٍ"[٢]، إنّما تفاضل القوم بالأعمال»[٣].

وفي رواية: سئل عن هذه الآية، قال: «خضراوان في الدّنيا، يأكل المؤمنون منهما حتّى يفرغ من الحساب»[٤]. وفي أُخرى: «يتّصل[٥] ما بين مكّة والمدينة نخلاً»[٦].

﴿فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ﴾: فوّارتان. قال: «تفوران»[٧].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ﴾ قيل: عطفهما على الفاكهة لفضلهما، فإنّ ثمرة النّخل فاكهة وغذاء، والرّمان فاكهة ودواء[٨].

ورد: «الفاكهة مائة وعشرون لوناً، سيّدها الرّمان»[٩].

وفي رواية: «خمس من فواكه الجنّة في الدّنيا: الرّمان الأمليسيّ، والتّفاح الشّيسقان[١٠]، والسّفرجل، والعنب الرّازقي، والرّطب المُشان»[١١].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ اقتباس من الآية: ٢١ من سورة الإسراء، والآية: ٤ من سورة الأنفال، والآية: ٣٢ من سورة الزّخرف.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ في «ب» و«ج»: «متّصل».
٦ و ٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٨ ـ البيضاوي ٥: ١١١.
٩ ـ الكافي ٦: ٣٥٢، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
١٠ ـ وفي الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٣٧٩: الشّعشماني، يعني الشّامي.
١١ ـ الكافي ٦: ٣٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال: «نساء خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»[١].

و ورد: «هنّ من نساء أهل الدّنيا، وهنّ أجمل من الحور العين»[٢].

وفي رواية: «هنّ جوار نابتات على شطّ الكوثر، كلّما قلعت منها واحدة نبتت مكانها أُخرى»[٣].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ﴾ قال: «الحور هنّ البيض المضمرات المخدّرات، في خيام الدّرّ والياقوت والمرجان؛ لكلّ خيمة أربعة أبواب، على كلّ باب سبعون كاعباً حجّاباً لهنّ، ويأتيهنّ في كلّ يوم كرامة من اللّه عزّ ذكره، يبشّر اللّه عزّوجلّ بهنّ المؤمنين»[٤].

والقمّي: مقصورات: يقصر الطّرف عنها[٥].

و ورد: «الخيمة. درّة واحدة طولها في السّماء ستّون ميلاً، في كلّ زاوية منها أهل للمؤمن لا يراه الآخرون»[٦].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ﴾. ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ﴾: وسائد أو نمارق أو بسط ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ﴾

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١١، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٩٩، الحديث: ١٤٣٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٨: ١٥٦، الحديث: ١٤٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

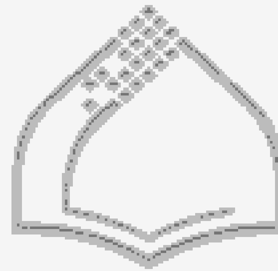
٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٦.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١١، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

قيل: زرابيّ[1]، وقيل: كلّ ثوب موشّي[2] فهو عبقريّ[3]، وقيل: الدّيباج[4]، وقيل: منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنّه اسم بلد الجنّ، فينسبون إليه كلّ شيء عجيب، أُريد به الجنس، أو هو جمع[5].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ فما ظنّك بذاته ﴿ذِي الجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾ قال: «نحن جلال الله وكرامته، الّتي أكرم الله العباد بطاعتنا ومحبّتنا»[6].



١ ـ التّبيان ٩: ٤٨٦، عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير وقتادة. الزّرابيّ: البُسُط. زرابيّ النّبت إذا اصفرّ واحمرّ وفيه خضرة. فلمّا رأوا الألوان في البُسُط والفُرُش شبّهوها بزرابيّ النّبت. وكذلك العَبْقَريّ من الثّياب والفُرُش. لسان العرب ١: ٤٤٧ (زرب).

٢ ـ وشَيْتُ الثّوب وَشْياً: رَقَمْتُهُ ونَقَشْتُهُ فهو مَوشيّ ومُوَشّىً. الصّحاح ٦: ٢٥٢٤؛ المصباح المنير ٢: ٣٨١ (وشي).

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١١، عن القتيبي.

٤ ـ التّبيان ٩: ٤٨٦، عن مجاهد.

٥ ـ الكشّاف ٤: ٥٠؛ البيضاوي ٥: ١١٢.

٦ ـ القمّي ٢: ٣٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام، ولم ترد فيه كلمة «ومحبّتنا».

سورة الواقعة

[مكيّة، وهي ستّ وتسعون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا وَقَعَتِ الواقِعَةُ﴾ قال: «يعني القيامة»[2].

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾: نفس كاذبة. القمّي: القيامة هي حقّ[3].

﴿خافِضَةٌ رافِعَةٌ﴾ قال: «خفضت واللّه بأعداء اللّه إلى النّار، ورفعت واللّه أولياء اللّه إلى الجنّة»[4].

﴿إذا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً﴾: تحرّكت تحرّكاً شديداً. القمّي: يدقّ بعضها على بعض[5].

﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسّاً﴾: فُتِّتَت كالسّويق الملتوت. القمّي: قلعت قلْعاً[6].

﴿فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثّاً﴾: غباراً منتشراً.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الخصال ١: ٦٤، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٣٤٦.

٤ـ الخصال ١: ٦٤، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٥ و ٦ـ القمّي ٢: ٣٤٦.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْواجاً﴾: أصنافاً ﴿ثَلاثَةً﴾.

﴿فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ﴾. القمّي: هم المؤمنون من أصحاب التّبعات، يوقفون للحساب[١].

﴿وَأَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ﴾. ﴿وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ﴾. ﴿أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾ القمّي: هم الّذين سبقوا إلى الجنّة بغير حساب[٢].

ورد: «هم رسل اللّه وخاصّة اللّه من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيّدهم بروح القدس، فيه عرفوا الأشياء؛ وأيّدهم بروح الإيمان، فبه خافوا اللّه عزّوجلّ؛ وأيّدهم بروح القوّة، فبه قدروا على طاعة اللّه؛ وأيّدهم بروح الشّهوة، فبه اشتهوا طاعة اللّه عزّوجلّ وكرهوا معصيته؛ وجعل فيهم روح المدرج الّذي به يذهب النّاس ويجيئون. وجعل في المؤمنين ـ أصحاب الميمنة ـ روح الإيمان، فبه خافوا اللّه؛ وجعل فيهم روح القوّة، فبه قوّوا[٣] على طاعة اللّه؛ وجعل فيهم روح الشّهوة، فبه اشتهوا طاعة اللّه؛ وجعل فيهم روح المدرج الّذي به يذهب النّاس ويجيئون»[٤].

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هم كثير من الأوّلين، يعني الأمم السّالفة من لدن آدم إلى محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾: منسوجة بالذّهب، مشبّكة بالدّرّ والياقوت.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْها مُتَقابِلِينَ﴾.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ القمّي: أي: مسوّرون[٥]. وقيل: أي:

١ ـ ٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٦.

٣ ـ في المصدر: «قدروا».

٤ ـ الكافي ١: ٢٧١، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

مبقون أبداً على هيئة الولدان وطراوتهم[١] . ورد: «هم أولاد أهل الدّنيا»[٢] . وسئل عن أطفال المشركين ، قال: «هم خدم أهل الجنّة»[٣] .

﴿بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ﴾ . الكوب: إناء لا عروة له ولا خرطوم ، والإبريق: إناء له ذلك .

﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾: خمر .

﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْها﴾ لخمار ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾: ولا ينزف عقولهم ، أو لا ينفد شرابهم .

﴿وَفاكِهَةٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: ممّا يختارون .

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمّا يَشْتَهُونَ﴾: يتمنّون . ورد: «سيّد إدام الجنّة اللّحم»[٤] .

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ . ﴿كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ . ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً﴾: باطلاً ﴿وَلا تَأْثِيماً﴾: ولا نسبة إلى الإثم . القمّي: الفحش والكذب والغناء[٥] .

﴿إِلّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾: يكون السّلام بينهم فاشياً .

﴿وَأَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ﴾ .

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: مقطوع الشّوك .

﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾: وشجر موز نضد حمله من أسفله إلى أعلاه . وفي قراءتهم عليهم السلام: «وطلع منضود»[٦] . قال: «بعضه إلى بعض»[٧] .

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ . ورد: «إنّ في الجنّة شجرة يسير الرّاكب في ظلّها مائة سنة

١ ـ البيضاوي ٥: ١١٣ .
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٣ ـ المصدر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .
٤ ـ الكافي ٦: ٣٠٨ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .
٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٨ .
٦ ـ القمّي ٢: ٣٤٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

لا يقطعها. اقرأوا إن شئتم: "وظلّ ممدود"»[١].

قال: «ويتنعّمون في جنّاتهم[٢] في ظلّ ممدود، في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس وأطيب من ذلك»[٣].

وروي: «إنّ أوقات الجنّة كغدوات الصّيف، لا يكون فيه حرّ ولا برد»[٤].

﴿وَماءٍ مَسْكُوبٍ﴾ القمّي: أي: مرشوش[٥].

﴿وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾.

﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾. سُئل: من أين؟ قالوا: إنّ أهل الجنّة، يأتي الرّجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيئتها، قال: «نعم، ذلك على قياس السّراج: يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيئاً، وقد امتلأت منه الدّنيا سراجاً»[٦].

وفي رواية: سئل عن هذه الآية، فقال: «واللّه ليس حيث يذهب النّاس، إنّما هو العالم وما يخرج منه»[٧].

﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ «بعضها فوق بعض، من الحرير والدّيباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والعنبر والكافور» كما ورد[٨]. وربّما تفسّر بالنّساء وارتفاعهنّ على الأرائك، أو في جمالهنّ وكمالهنّ، بدليل ما بعدها.

﴿إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً﴾ أي: ابتدأناهنّ ابتداءً من غير ولادة. القمّي: الحور العين في

١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١٨.

٢ـ في «ج»: «جنانهم».

٣ـ الكافي ٨: ٩٩، قطعة من حديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٤ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١٨.

٥ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

٦ـ الاحتجاج ٢: ٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ـ بصائر الدّرجات: ٥٠٥، الباب: ١٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٨ـ الكافي ٨: ٩٧، قطعة من حديث: ٦٩؛ القمّي ٢: ٢٤٦، ذيل الآية: ٢٠ من سورة الزّمر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

الجنّة[١].

﴿فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً﴾ يعني دائماً وفي كلّ إتيان.

سُئل: كيف تكون الحوراء في كلّ ما أتاها زوجها عذراء؟ قال: «خلقت من الطّيب لايعتريها عاهة، ولا يخالط جسمها آفة، ولا يجري في ثقبها شيء، ولا يدنّسها حيض، فالرّحم ملتزقة؛ إذ ليس فيه لسوى الإحليل مجرى»[٢].

﴿عُرُباً﴾ قال: «العروبة هي الغَنِجة[٣] الرّضيّة الشّهيّة»[٤]. والقمّي: يتكلّمن بالعربيّة[٥]. وربّما تفسّر بالمتحنّنات على أزواجهنّ المتحبّبات إليهم.

﴿أَتْراباً﴾ القمّي: يعني مستويات الأسنان[٦].

ورد: «على كلّ سرير أربعون فراشاً غلظ، كلّ فراش أربعون ذراعاً، على كلّ فراش زوجة من الحور العين، عرباً أتراباً»[٧].

وفي رواية: «هنّ اللّواتي قبضن في دار الدّنيا عجائز شَمْطاء[٨] رَمْصاء[٩]، جعلهنّ اللّه بعد الكبر أتراباً، على ميلاد واحد في الاستواء، كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكاراً»[١٠].

﴿لِأَصْحابِ الْيَمِينِ﴾: أنشأناهنّ لهم.

١ ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

٢ ـ الاحتجاج ٢: ٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ الغُنْج في الجارية: تكسّرٌ وتدلّلٌ. لسان العرب ٢: ٣٣٧ (غنج).

٤ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٥٣٨، عن أبي الحسن الرّضا، عن الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٧ و ٨ ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

٧ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٥٣٨، عن أبي الحسن الرّضا، عن الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين، عن رسول اللّه صلوات اللّه عليهم.

٨ ـ الشَّمَطُ: بياض شَعْر الرأس يخالط سوادَه، والرجل: أشْمَط، والمرأة: شَمْطاء. الصّحاح ٣: ١١٣٨.

٩ ـ وهو البياض الذي تَقْطَعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان، والرَّمَص: الرَّطْب منه، والغَمَص: اليابس. النّهاية ٢: ٢٦٣ (رمص).

١٠ ـ جوامع الجامع: ٤٧٨؛ الكشّاف ٤: ٥٤، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ القمّي: من الطّبقة الّتي كانت مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله[1].

﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ بعد النّبيّ من هذه الأمّة، ويؤيّده ما ورد: «إنّ جميع الثّلّتين من أمّتي»[2].

وقيل: بل الأوّلين الأمم الماضية، والآخرين هذه الأمّة[3]. ويؤيّده ما ورد: «ثلّة من الأوّلين: حزقيل مؤمن آل فرعون. وثلّة من الآخرين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[4].

و ورد: «أهل الجنّة مائة وعشرون صفّاً، هذه الأمّة منها ثمانون صفّاً»[5].

﴿وَأَصْحابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ﴾.

﴿فِي سَمُومٍ﴾: في حرّ نار ينفذ في المسامّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماء متناه في الحرارة.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾: من دخان أسود.

﴿لا بارِدٍ﴾ كسائر الظّلّ ﴿وَلا كَرِيمٍ﴾: ولا نافع. القمّي: السّموم: اسم النّار. والحميم: ماء قد حمي. "وظلّ من يحموم": ظلمة شديدة الحرّ. "لا بارد ولا كريم": ليس بطيّب[6].

﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾: منهمكين في الشّهوات.

﴿وَكانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾: الذّنب العظيم. قيل: يعني الشّرك[7].

﴿وَكانُوا يَقُولُونَ أَئِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. ﴿أَوَ آباؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾. ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ﴾.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾: إلى ما وقّت به الدّنيا؛ من يوم معيّن عند

١ـ القمّي ٢: ٣٤٩.

٢ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١٩، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٣ـ تفسير القرآن العظيم ٤: ٣٠٤، عن مجاهد والحسن البصري.

٤ـ القمّي ٢: ٣٤٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ الخصال ٢: ٦٠١، الحديث: ٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ وفيه: «عشرون ومائة صنف».

٦ـ القمّي ٢: ٣٤٩.

٧ـ التّبيان ٩: ٥٠٠، مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢٢١، عن الحسن والضحّاك وابن زيد.

اللّه، معلوم له.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّها الضّالُّونَ المُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث.

﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾.

﴿فَمالِئُونَ مِنْها البُطُونَ﴾ من شدّة الجوع.

﴿فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيمِ﴾ لغلبة العطش.

﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾ قال: «الإبل»[1]. قيل: يعني الإبل الّتي بها الهيام، وهي داء يشبه الاستسقاء[2]. وفي رواية: «الهيم: الرّمل»[3]. قيل: أي: الرّمل الّذي لايتماسك[4].

﴿هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قيل: النّزل ما يعدّ للنّازل تكرمة له؛ وفيه تهكّم بهم[5]. وقيل: النّزل: ما ينزل عليه صاحبه[6]. والقمّي: هذا ثوابهم يوم المجازاة[7].

﴿نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ﴾: ما تقذفونه في الأرحام من النّطف ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾: تجعلونه بشراً سويّاً. ﴿أَمْ نَحْنُ الخالِقُونَ﴾

﴿نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ المَوْتَ﴾: قسمناه عليكم، وأقّتنا موت كلّ بوقت معين ﴿وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبين.

﴿عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ﴾: أن نبدّل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لاتَعْلَمُونَ﴾: في نشأة لاتعلمونها.

١ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٢٣، الحديث: ١٠٤١؛ التهذيب ٩: ٩٤، الحديث: ٤١٠؛ معاني الأخبار: ١٥٠، الحديث: ٢؛ المحاسن ٢: ٥٧٦، الباب: ٧، الحديث: ٣٣ و ٣٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢١، عن ابن عباس وعكرمة وقتادة؛ البيضاوي ٥: ١١٤.

٣ ـ معاني الأخبار: ١٥٠، ذيل الحديث: ٣؛ المحاسن ٢: ٥٧٧، الباب: ٧، الحديث: ٣٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ و ٥ ـ الكشّاف ٤: ٥٦؛ البيضاوي ٥: ١١٤.

٦ ـ التّبيان ٩: ٥٠٢؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢١.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٩.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾ إنّ من قدَرَ عليها قدَرَ على النّشأة الأُخرى.

ورد: «العجب كلّ العجب لمن أنكر النّشأة الآخرة وهو يرى النّشأة الأُولى»[١].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ﴾: تبذرون حبّه.

﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ﴾. ورد: «لا يقولنّ أحدكم: زَرَعْتُ، وليقل: حَرَثْتُ»[٢].

﴿لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً﴾: هشيماً ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تتحدّثون فيه تعجّباً وتندّماً على ما أنفقتم فيه. والتّفكّه: التّنقّل بصنوف الفاكهة، وقد استعير للتّنقّل بالحديث.

﴿إِنّا لَمُغْرَمُونَ﴾: لملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام.

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾: حرمنا رزقنا.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ﴾: من السّحاب ﴿أَمْ نَحْنُ المُنْزِلُونَ﴾ بقدرتنا.

﴿لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً﴾: زُعاقاً[٣] ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تقدحون.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها﴾ يعني الشّجرة الّتي منها الزّناد ﴿أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ﴾.

﴿نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً﴾ لنار يوم القيامة.

ورد: «إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وقد اطفئت سبعين مرّة بالماء ثمّ التهبت، ولولا ذلك ما استطاع آدميّ أن يطفئها، وإنّها لتؤتى يوم القيامة حتّى توضع على النّار، فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا جثا على ركبتيه، فزعاً من

١ ـ الكافي ٣: ٢٥٨، الحديث: ٢٨، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ الزُّعاق: ماءٌ مُرٌّ غليظ. كتاب العين ١: ١٣٣ (زعق).

صرختها»[1].

﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾: ومنفعة للّذين ينزلون القواء، وهي القفر؛ أو الّذين خلَتْ بطونهم أو مزاودهم من الطّعام. القمّي: المحتاجين[2].

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: فاحدث التّسبيح بذكر اسمه.

ورد: «لمّا نزلت قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: اجعلوها في ركوعكم»[3].

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾: بمساقطها. القمّي: معناه: فأقسم بمواقع النّجوم[4].

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

ورد: «إنّ مواقع النّجوم: رجومها للشّياطين، وكان المشركون يقسمون بها. فقال سبحانه: فلا أُقسم بها»[5]. وزاد في رواية: «عظم أمر من يحلف بها»[6].

وفي أُخرى: «يعني به اليمين بالبراءة من الأئمّة عليهم السلام، يحلف بها الرّجل؛ أنّ ذلك عند الله عظيم»[7].

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: كثير النّفع، لاشتماله على أُصول العلوم المهمّة في إصلاح المعاش والمعاد.

﴿فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾: مصون، وهو اللّوح.

﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: لا يطّلع عليه إلّا المطهّرون من الكدورات البشريّة، أو

١ـ القمّي ١: ٣٦٦، ذيل الآية: ٣٥ من سورة الرّعد، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٣٤٩.
٣ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٠٧، الحديث: ٩٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢٢٤، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٤ـ القمّي ٢: ٣٤٩.
٥ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢٢٦، عن أبي جعفر وعن أبي عبد الله عليهما السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٤٥٠، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٧ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٣٧، الحديث: ١١٢٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

لا يمسّه إلّا المطهّرون من الأحداث .

ويؤيّد الأوّل قول أمير المؤمنين عليه السلام حين جمع القرآن وطلبوا منه أن يخرجه بعد ما حرّفوا ما عندهم منه ، فقال: «إنّ القرآن الذي عندي لا يمسّه إلّا المطهّرون والأوصياء من ولدي ، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل النّاس عليه ، فتجري به السّنّة»[١] .

ويؤيّد الثّاني ما ورد: «المصحف لا تمسّه على غير طهور ولا جنباً ، ولا تمسّ خيطه[٢] ولا تعلّقه ، إنّ اللّه تعالى يقول: "لا يمسّه إلّا المطهّرون"»[٣] .

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ .

﴿أَفَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾: متهاونون .

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكر رزقكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ . في قراءتهم عليهم السلام «وتجعلون شكركم»[٤] . قال: «وكانوا إذا مطروا قالوا: أمطرنا بنوء[٥] كذا وكذا ، قال: فأنزل اللّه: "وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون"»[٦] .

﴿فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ أي: النّفس .

﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ . الخطاب لِمَنْ حول المحتضر .

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى المحتضر ﴿مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ .

﴿فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مجزيين يوم القيامة ، أو غير مملوكين مقهورين .

﴿تَرْجِعُونَها﴾: ترجعون النّفس إلى مقرّها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في تكذيبكم وتعطيلكم . والمعنى: إن كنتم غير مملوكين مجزيين ، كما دلّ عليه جحدكم أفعال اللّه

١ ـ الاحتجاج ١: ٢٢٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ في الاستبصار و«ب»: «خطّه» .

٣ ـ الاستبصار ١: ١١٤ ، الحديث: ٣٧٨ ؛ التهذيب ١: ١٢٧ ، الحديث: ٣٤٤ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٥٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢٤ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٥ ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٥٠ من سورة الفرقان ، ج ٢ ص ١٣٧ .

٦ ـ القمّي ٢: ٣٤٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

وتكذيبكم بآياته. فلولا ترجعون نفس من يَعِزُّ عليكم إلى بدنه بعد بلوغها الحلقوم.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: إن كان المتوفّى من السّابقين.

﴿فَرَوْحٌ﴾: فله استراحة. وفي قراءتهم عليهم السلام: «فَرُوح» بالضّمّ[1]. وفسّر بالرّحمة والحياة الدّائمة[2]. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: ورزق طيّب ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾: ذات تنعّم. قال: «"فروح وريحان" يعني في قبره، "وجنّة نعيم" يعني في الآخرة»[3].

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

﴿فَسَلَامٌ لَكَ﴾ يا صاحب اليمين ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: من إخوانك يسلّمون عليك. كذا قيل[4].

و ورد: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «هم شيعتك، فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم»[5].

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ يعني من أصحاب الشّمال، وإنّما وصفهم بأفعالهم زجراً عنها، وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعد به. قال: «فهؤلاء: المشركون»[6].

والقمّي: أعداء آل محمّد صلّى الله عليه وآله[7].

﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قال: «يعني في قبره»[8].

١ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٢٢٧، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكشّاف ٤: ٦٠؛ البيضاوي ٥: ١١٥.

٣ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٣٩، المجلس: ٤٨، الحديث: ١٢، عن الكاظم، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ و٣٨٣، المجلس: ٧٢، الحديث: ١١؛ القمّي ٢: ٣٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ الكشّاف ٤: ٦٠؛ البيضاوي ٥: ١١٥.

٥ـ الكافي ٨: ٢٦٠، الحديث: ٣٧٣، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٦ـ الكافي ٢: ٣٠، قطعة من حديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ القمّي ٢: ٣٥٠.

٨ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٣٩، المجلس: ٤٨، الحديث: ١٢، عن الكاظم، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ قال: «يعني في الآخرة»[١].

﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فنزّهه عمّا لا يليق بعظمة شأنه.



١ ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٣٩، المجلس: ٤٨، الحديث: ١٢، عن الكاظم، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة الحديد

[مدنيّة ، وهي تسع وعشرون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أتى بصيغة الماضي في بعض السّور ، وبصيغة المستقبل في آخر وفي آخر بصيغة المصدر ؛ إشعاراً بأنّ من شأن ما أُسند إليه أن يسبّحه في جميع الأوقات ، لأنّه دلالة جبلّيّة لا تختلف باختلاف الحالات . وإنّما عدّي باللّام وهو معدّى بنفسه ؛ إشعاراً بأنّ إيقاع الفعل لأجل اللّه وخالصاً لوجهه . ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ فيه إشعار بما هو المبدأ للتّسبيح .

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فإنّه الخالق لها والمتصرّف فيها ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

﴿ هُوَ الأَوَّلُ ﴾: قبل كلّ شيء ﴿ وَالآخِرُ ﴾: بعد كلّ شيء ﴿ وَالظّاهِرُ ﴾ على كلّ شيء ؛ بالقهر له ﴿ وَالباطِنُ ﴾: الخبير بباطن كلّ شيء . وأيضاً: هو الأوّل يبتدأ منه الأسباب ، والآخر ينتهي إليه المسبّبات: «والظّاهر وجوده من كلّ شيء بما يرى في خلقه من علامات التّدبير ، والباطن الّذي بطن من خفيّات الأُمور ، فلا يكتنه حقيقة ذاته العقول» . كذا ورد ، أو

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

ما يقرب منه[١]. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: يستوي عنده الظّاهر والخفي.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد مرّ تفسيره في الأعراف[٢]. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ كالبذور ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزّروع ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالأبخرة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ فلا ينفكّ علمه وقدرته عنكم بحال ﴿وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ذكره مع الإعادة، كما ذكره مع الإبداء؛ لأنّه كالمقدّمة لهما ﴿وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بمكنوناتها.

﴿آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من الأموال الّتي جعلكم اللّه خلفاء في التّصرّف فيها، فهي في الحقيقة له لا لكم، أو الّتي استخلفكم عمّن قبلكم في تملّكها والتّصرّف فيها، وفيه توهين للإنفاق على النّفس. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعدٌ فيه مبالغات.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾: وقد أخذ اللّه ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ﴾: فيما يكون قربة إليه ﴿وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: يرث كلّ شيء فيهما ولا يبقى لأحد مال، وإذا كان كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضاً يبقى، وهو الثّواب، كان أولى.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ بيانٌ لتفاوت المنفقين والمقاتلين؛

١ ـ الكافي ١: ١٤١، قطعة من حديث: ٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وانظر نهج البلاغة: ٨٧، الخطبة: ٤٩.
٢ ـ ذيل الآية: ٥٤.

باختلاف أحوالهم من السّبق وقوّة اليقين ، وتحرّي الحاجة . وقسيمه محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه . والفتح فتح مكّة ، إذ عزّ الإسلام به وكثر أهله ، وقلّت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق . ﴿أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنىٰ وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً﴾: ينفق ماله في سبيله رجاء أن يعوّضه ، وحسنه بالإخلاص ، وتحرّى الحلال ، وأفضل الجهات ، ومحبّة المال ، ورجاء الحياة ﴿فَيُضاعِفَهُ لَهُ﴾: فيعطي أجره أضعافاً ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: وذلك الأجر كريم في نفسه وإن لم يضاعف .

قال: «نزلت في صلة الإمام في دولة الفسّاق»[1] .

و ورد: «إنّ اللّه لم يسأل خلقه ممّا في أيديهم قرضاً من حاجة به إلى ذلك ، وما كان للّه من حقّ فإنّما هو لوليّه»[2] .

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ﴾: ما يهتدون به إلى الجنّة ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ﴾ من حيث يؤتون صحائف أعمالهم . ﴿بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا﴾: انتظرونا ، أو انظروا إلينا . وعلى قراءة فتح الهمزة: أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ﴾: إلى الدّنيا ﴿فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ بتحصيل المعارف الإلهيّة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصّالحة ، فإنّ النّور يتولّد منها . ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾: بحائط ﴿لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأنّه يلي الجنّة ﴿وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾: من جهته ﴿الْعَذابُ﴾ لأنّه يلي النّار .

﴿يُنادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظّاهر . ﴿قالُوا بَلىٰ وَلٰكِنَّكُمْ

١ ـ الكافي ٨: ٣٠٢ ، الحديث: ٤٦١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٢ ـ الكافي ١: ٥٣٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

فَـتَنْتُمْ أَنْـفُسَكُمْ﴾ بـالنّفاق. والقـمّي: بـالمعاصي[١]. ﴿وَتَـرَبَّصْتُمْ﴾ بـالمؤمنين الدّوائـر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: وشككتم في الدّين ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمانِـيُّ حَتّىٰ جاءَ أَمْرُ اللّٰهِ﴾ وهـو المـوت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الغَرُورُ﴾: الشّيطان أو الدّنيا.

﴿فَالْـيَوْمَ لا يُـؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهراً وباطناً ﴿مأْواكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ﴾ القمّي: هي أولى بكم[٢]. ﴿وَبِئْسَ المَصِـيرُ﴾ النّار.

القمّي: يقسم النّور بين النّاس يوم القيامة على قدر إيمانهم: يقسم للمنافق فيكون نوره بين إبهام رجله اليسرى، فينظر نوره ثمّ يقول للمؤمنين: مكانكم حتّى أقتبس من نوركم، فيقول المؤمنون لهم: "ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً"، فيرجعون، فيضرب بينهم بسور. ثمّ قال: واللّه ما عنى بذلك اليهود ولا النّصارى، وما عنى به إلّا أهل القبلة[٣].

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ألم يأت وقته ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَما نَزَلَ مِـنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِـيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم.

قال: «نزلت هذه الآية في القائم عليه السلام "ولا يكونوا"، الآية»[٤].

أقول: لعلّ المراد: إنّها نزلت في شأن غيبة القائم عليه السلام وأهلها المؤمنين.

﴿إِعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾ قال: «يحييها اللّه بالقائم بعد موتها. قال: يعني بموتها كفر أهلها، والكافر ميّت»[٥]. وفي رواية: «العدل بعد الجور»[٦]. وقيل: تـمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذّكر والتّلاوة[٧]. ﴿قَدْ بَيَّـنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١ـ القمّي ٢: ٣٥١.

٢ و ٣ـ القمّي ٢: ٣٥١.

٤ـ كمال الدّين ٢: ٦٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ كمال الدّين ٢: ٦٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ الكافي ٨: ٢٦٧، الحديث: ٣٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ـ البيضاوي ٥: ١١٨.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ أي: المتصدّقين، إن شدّد الصّاد؛ والذين صدّقوا اللّه ورسوله، إن خفّف. ﴿وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: «إنّ هذه لنا ولشيعتنا»[١].

وقال: «ما من شيعتنا إلّا صدّيق، شهيد. قيل: أنّى يكون ذلك وعامّتهم يموتون على فرشهم[٢]؟! فقال: أما تتلو كتاب اللّه في الحديد "والّذين آمنوا باللّه ورسله" الآية. قال: لو كان الشّهداء كما يقولون، كان الشّهداء قليلاً»[٣].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾: أجر الصّدّيقين والشّهداء ونورهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿إعْلَمُوا أَنَّما الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ﴾.

لمّا ذكر حال الفريقين، حقّر أُمور الدّنيا، اعني ما لا يتوصّل به منها إلى سعادة الآخرة، بأن بيّن أنّها أُمور وهميّة، عديمة النّفع، سريعة الزّوال، وإنّما هي لعب يتعب النّاس فيه أنفسهم جدّاً، إتعاب الصّبيان في الملاعب من غير فائدة، ولهو يلهون به أنفسهم عمّا يهمّهم، وزينة من ملابس شهيّة ومراكب بهيّة ومنازل رفيعة ونحو ذلك، وتفاخر بالأنساب والأحساب، وتكاثر بالعُدَد والعَدَد، وهذه ستّة أُمور جامعة لمشتهيات الدّنيا ممّا لا يتعلّق منها بالآخرة، مترتّبة في الذّكر ترتّب مرورها على الإنسان غالباً.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ﴾. ثمّ قرّر تحقير الدّنيا، ومثّل لها في سرعة تقضّيها وقلّة جدواها بحال نبات أنبته الغيث واستوى، فأعجب به الحرّاث أو الكافرون باللّه؛

١ ـ التهذيب ٦: ١٦٧، الحديث: ٣١٨، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ في المصدر: «فراشهم».

٣ ـ المحاسن: ١٦٣، الباب: ٣٢، الحديث: ١١٥، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام.

لأنّهم أشدّ إعجاباً بزينة الدّنيا ، ولأنّ المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها ، والكافر لا يتخطّى فكره عمّا أحسّ به ؛ فيستغرق فيه إعجاباً .

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: ييبس بعاهة ﴿فَتَراهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً﴾: هشيماً ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضْوانٌ﴾ . ثمّ عظّم أُمور الآخرة ، وأكّد ذلك تنفيراً عن الانهماك في الدّنيا ، وحثّاً على ما يوجب كرامة العقبى ﴿وَما الْحَياةُ الدُّنْيا إِلّا مَتاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها .

﴿سابِقُوا﴾: سارعوا مسارعة السّابقين في المضمار ﴿إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: إلى موجباتها ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾: كعرض مجموعهما إذا بسطتا .

ورد: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلاً من لو نزل به الثّقلان ـ الجنّ والإنس ـ لَوَسِعَهم طعاماً وشراباً»[1] .

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ كجدب وعاهة ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كمرض وآفة ﴿إِلّا فِي كِتابٍ﴾: إلّا مكتوبة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾: نخلقها .

قال: «كتابه في السّماء: علمه بها ، وكتابه في الأرض: علومنا في ليلة القدر ، وفي غيرها»[2] .

ورد: «إنّ ملك الأرحام يكتب كلّ ما يصيب الإنسان في الدّنيا بين عينيه ، فذلك قوله عزّوجلّ: "ما أصاب من مصيبة" الآية»[3] .

﴿إِنَّ ذلِكَ﴾: إنّ ثبته في كتاب ﴿عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ٨٢ ، ذيل الآية: ٢٣ من سورة الحجّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٢ ـ القمّي ٢: ٣٥١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ علل الشّرائع ١: ٩٥ ، الباب: ٨٥ ، الحديث: ٤ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا﴾ أي: أثبت وكتب لئلّا تحزنوا ﴿عَلىٰ ما فاتَكُمْ﴾ من نعم الدّنيا ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾: بما أعطاكم الله منها ، فإنّ من علم أنّ الكلّ مقدّر هانَ عليه الأمر .

قال: «الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن . قال الله تعالى: "لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم" ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي ؛ فقد أخذ الزّهد بطرفيه»[1] .

﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾ . فيه إشعار بأنّ المراد بالأسى: الأسى المانع عن التّسليم لأمر الله ، وبالفرح: الفرح الموجب للبطر والاختيال ، إذ قلّ من يثبت نفسه حال الضّرّاء والسّرّاء .

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: ومن يعرض عن الإنفاق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: غنيّ عنه وعن إنفاقه ، محمود في ذاته ، لا يضرّه الإعراض عن شكره ، ولا ينتفع بالتّقرّب إليه بشيء من نعمه . فيه تهديد وإشعار بأنّ الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ﴾ . قال: «الكتاب: الاسم الأكبر الّذي يعلم به علم كلّ شيء ، الّذي كان مع الأنبياء عليهم السلام»[2] .

﴿وَالْمِيزانَ﴾ . روي: «إنّ جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح ، وقال: مُرْ قومك يَزِنُوا به»[3] . والقمّي: الميزان: الإمام[4] . ﴿لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل .

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قال: «إنزاله ذلك خلقُه له»[5] . ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنّ آلات

١ ـ نهج البلاغة: ٥٥٣ ، الحكمة: ٤٣٩ .
٢ ـ الكافي ١: ٢٩٣ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ جوامع الجامع: ٤٨٢ .
٤ ـ القمّي ٢: ٣٥٢ .
٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

الحروب متّخذة منه . قال: «يعني السّلاح»[١] . ﴿وَمَنافِعُ لِلنّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلّا والحديد آلتها .

ورد: «إنّ اللّه عزّوجلّ أنزل أربع بركات من السّماء إلى الأرض ، أنزل الحديد والنّار والماء والملح»[٢] .

﴿وَلِيَعْلَمَ اللّهُ ﴾ . عطف على محذوف دلّ عليه ما قبله ، فإنّه يتضمّن تعليلاً . ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفّار ﴿إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يفتقر إلى نصرة ، وإنّما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ، ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَإِبْراهِيمَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾ .

﴿ثُمَّ قَفَّيْنا عَلىٰ آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَقَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتّى انتهى إلى عيسى ﴿وَآتَيْناهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها﴾ . قيل: هي المبالغة في العبادة والرّياضة والانقطاع عن النّاس ؛ منسوبة إلى الرّهبان وهو المبالغ في الخوف ، من رهب[٣] . قال: «صلاة اللّيل»[٤] .

﴿ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ﴾: ما فرضناها عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّهِ﴾ ولكنّهم ابتدعوها ، ابتغاء رضوان اللّه ﴿فَما رَعَوْها﴾ أي: فما رعوا جميعاً ﴿حَقَّ رِعايَتِها﴾ قال: «لتكذيبهم بمحمّد ﷺ»[٥] . ﴿فَآتَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾:

١ ـ التّوحيد: ٢٦٦ ، الباب: ٣٦ ، قطعة من حديث: ٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٣ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
٣ ـ البيضاوي ٥: ١٢٠ .
٤ ـ الكافي ٣: ٤٨٨ ، الحديث: ١٢ ؛ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٩ ، الحديث: ١٣٦٥ ؛ التّهذيب ٢: ١٢٠ ، الحديث: ٤٥٢٠ ؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٢٠ ، الباب: ٢٨ ، الحديث: ٩ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٣ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

خارجون عن الاتّباع.

ورد: «اختلف من كان قبلكم على ثنتين[1] وسبعين فرقة، نجا منها ثنتان[2] وهلك سائرهنّ، فرقة قاتلوا الملوك، على دين عيسى عليه السلام فقتلوهم. وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك، ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين اللّه ودين عيسى عليه السلام، فساحوا في البلاد وترهّبوا، وهم الّذين قال اللّه عزّوجلّ: "ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم" ثمّ قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: من آمن بي وصدّقني واتّبعني فقد رعاها حقّ رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأُولئك هم الهالكون»[3].

وفي رواية: «قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي اللّه، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرّات فلم يبق منهم إلّا القليل، فقالوا: إنّ ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدّين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرّق في الأرض إلى أن يبعث اللّه النّبيّ الّذي وعدنا عيسى عليه السلام، يعنون محمّداً صلى الله عليه وآله، فتفرّقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانيّة، فمنهم من تمسّك بدينه، ومنهم من كفر، ثمّ تلا هذه الآية»[4].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ القمّي: نصيبين من رحمته: أحدهما؛ أن لا يدخله النّار، وثانيهما: أن يدخله الجنّة[5]. ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني الإيمان، وفي رواية: «يعني إماماً تأتمّون به»[6]. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

روي: «لمّا نزل قوله تعالى: "أُولئك يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بما صبروا" في أهل الكتاب

١ـ في المصدر: «اثنتين».

٢ـ في المصدر: «اثنتان».

٣ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢٤٣، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٤ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢٤٣، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

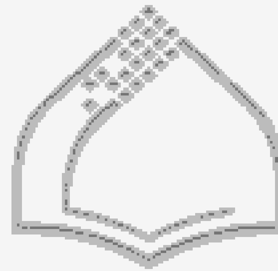
٥ـ القمّي ٢: ٣٥٢.

٦ـ الكافي ١: ١٩٥، ذيل الحديث: ٣؛ عن أبي جعفر عليه السلام؛ وص ٤٣٠، ذيل الحديث: ٨٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الّذين آمنوا بمحمّد صلّى الله عليه وآله ، وسمع ذلك الّذين لم يؤمنوا به ، فَخِرُوا على المسلمين وقالوا: يا معشر المسلمين أمّا من آمن منّا بكتابكم وكتابنا فله أجران ، ومن آمن منّا بكتابنا فله أجر كأُجوركم ، فما فضلكم علينا؟ فنزل: "يا أيّها الّذين آمنوا" الآية»[١] .

﴿لِئَـلّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ﴾ أي: ليعلموا . و«لا» مزيدة . ﴿أَنْ لا يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُـؤْتِـيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِـيمِ﴾ .

روي: «فَخِرَ الّذين آمنوا منهم بمحمّد صلّى الله عليه وآله على أصحابه ، وقالوا: نحن أفضل منكم ، لنا أجران ولكم أجر واحد ، فنزل: "لئلّا يعلم" الآية»[٢] .



١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٤ ؛ وفي الدرّ المنثور ٨: ٦٧ مع تفاوت . والآية في سورة القصص (٢٨): ٥٤ .
٢ ـ المصدر ؛ الدرّ المنثور ٨: ٦٧ .

سورة المجادلة

[مدنيّة ، وهي اثنتان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما﴾: تراجعكما الكلام ﴿إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للأقوال والأحوال .

﴿الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ﴾ . الظِّهار: أن يقول الرّجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أُمّي ، وكانت المرأة تحرم بذلك على زوجها في الجاهليّة: «فقاله رجل لامرأته في الإسلام ، فجاءت المرأة إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله ، فشكت إلى اللّٰه وإليه ، وجادلت رسول اللّٰه في زوجها فنزلت» . كذا ورد[2] .

﴿ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ﴾ على الحقيقة ﴿إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف منه .

﴿وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾ قال: «يعني ما قال الرّجل

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الكافي ٦: ١٥٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٤٠ ، الحديث: ١٦٤١ ، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام ؛ القمّي ٢: ٣٥٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

الأوّل لامرأته: أنت عليّ[1] كظهر أُمّي»[2]. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قال: «فمن قالها بعد ما عفا اللّه وغفر للرّجل الأوّل، فإنّ عليه تحرير رقبة»[3]. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا﴾ قال: «يعني مجامعتها»[4]. ﴿ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ لكي ترتدعوا عن مثله ﴿وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرّقبة ﴿فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ﴾ «بأن يصوم شهراً ومن الآخر شيئاً متّصلاً به، ثمّ يتمّ الآخر متوالياً أو متفرّقاً». كذا ورد[5]. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ فرض ذلك لتصدّقوا باللّه ورسوله في قبول شرائعه، ورفض ما كنتم عليه في جاهليّتكم. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ﴾ لا يجوز تعدّيها ﴿وَلِلْكافِرِينَ﴾ الّذين لا يقبلونها ﴿عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعادونهما، فإنّ كلّاً من المتعاديين في حدّ غير حدّ الآخر، وقيل: يضعون حدوداً غير حدودهما[6]. ﴿كُبِتُوا﴾: أُخزوا أو أُهلكوا، وأصل الكبت: الكبّ. ﴿كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ تدلّ على صدق الرّسول وما جاء به ﴿وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ يذهب عزّهم وتكبّرهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً﴾: كلّهم، لا يدع أحداً؛ أو مجتمعين. ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾ على رؤوس الأشهاد ﴿بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّٰهُ وَنَسُوهُ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ﴾: من تناجي ثلاثة، أو من متناجين ثلاثة ﴿إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ﴾: إلّا اللّه يجعلهم أربعة، إذ هو مشاركهم في الاطّلاع عليها ﴿وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يجري بينهم بإحاطته بهم وشهوده لديهم ﴿أَيْنَ ما كانُوا﴾.

١ـ في المصدر: «أنت عليّ حرام».
٢ و ٣ و ٤ـ الكافي ٦: ١٥٢ـ١٥٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ الكافي ٤: ١٣٨، الحديث: ١، ٢ و ٣؛ وص ١٣٨، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ـ البيضاوي ٥: ١٢٢.

سئل عن اللّه أين هو؟ فقال: «هو ها هنا وها هنا، وفوق وتحت ومحيط بنا ومَعنا» ثمّ تلا هذه الآية[١].

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ﴾ قيل: نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ثمّ عادوا لمثل فعلهم[٢]. ﴿وَيَتَناجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: بما هو إثم وعدوان للمؤمنين، وتواص بمعصية الرّسول. ﴿وَإِذا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّهُ﴾.

روي: «إنّ اليهود أتت النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقالوا: السّام عليك يا محمّد. والسّام بلغتهم: الموت. فقال: وعليكم، فأنزل اللّه»[٣].

والقمّي: إذا أتوه قالوا له: أنعم صباحاً وأنعم مساء. وهي تحيّة أهل الجاهليّة، فأنزل اللّه هذه الآية. فقال لهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله: قد أبدلنا اللّه بخير من ذلك؛ تحيّة أهل الجنّة: السّلام عليكم[٤].

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: فيما بينهم ﴿لَوْلا يُعَذِّبُنا اللّهُ بِما نَقُولُ﴾: هلّا يعذّبنا بذلك لو كان محمّد نبيّاً. ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً ﴿يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِيرُ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالإِثْمِ وَالعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ كما يفعله المنافقون ﴿وَتَناجَوْا بِالبِرِّ وَالتَّقْوى﴾: بما يتضمّن خير المؤمنين والاتّقاء عن معصية الرّسول صلى الله عليه وآله ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

١ ـ الكافي ١: ١٣٠، ذيل الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٩، عن ابن عباس؛ البيضاوي ٥: ١٢٢.
٣ ـ الدّرّ المنثور ٨: ٨٠؛ الجامع لأحكام القرآن ١٧: ٢٩٢؛ روضة الواعظين ٢: ٤٥٨.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٥٥.

﴿إِنَّمَا النَّجْوىٰ مِنَ الشَّيْطانِ﴾ فإنّه المزيّن لها والحامل عليها ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بتوهّمهم أنّها في نكبة إصابتهم ﴿وَلَيْسَ﴾ الشّيطان أو التّناجي ﴿بِضارِّهِمْ﴾: بضارّ المؤمنين ﴿شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بمشيئته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولايبالوا بنجواهم.

ورد: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإنّ ذلك يحزنه»[١].

وقيل: المراد بالآية الأحلام الّتي يراها الإنسان في نومه فيحزنه[٢]. ويؤيّده ما رواه القمّي في سبب نزولهما من رؤيا فاطمة عليها السلام في قصّة طويلة[٣].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ﴾: توسّعوا فيها، وليفسح بعضكم عن بعض. قيل: كانوا يتضامّون بمجلس النّبيّ صلّى الله عليه وآله؛ تنافساً على القرب منه، وحرصاً على استماع كلامه[٤]. ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدون التّفسّح فيه، من المكان والرّزق والصّدر وغيرها ﴿وَإِذا قِيلَ انْشُزُوا﴾: انهضوا ﴿فَانْشُزُوا﴾.

القمّي: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا دخل المسجد يقوم له النّاس، فنهاهم الله أن يقوموا له، فقال: "تفسّحوا" أي: وسّعوا له في المجلس، "وإذا قيل انشزوا فانشزوا" يعني إذا قال: قوموا، فقوموا[٥].

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالنّصر وحسن الذّكر في الدّنيا، وإيوائهم غرف الجنّات في الآخرة. ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾: ويرفع العلماء منهم خاصّة مزيد رفعة.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٥١، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٢ ـ المصدر.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٥٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ٥: ١٢٣.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٥٦.

ورد: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[١].

وفي رواية: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»[٢].

﴿وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾: فتصدّقوا قدّامها. القمّي: ليكون أقضى لحوائجكم[٣].

قيل: في هذا الأمر تعظيم الرّسول، وإنفاع الفقراء، والنّهي عن الإفراط في السّؤال، والميز بين المخلص والمنافق، ومحبّ الآخرة ومحبّ الدّنيا[٤].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النّجوى، إنّه كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فجعلت أُقدّم بين يدي كلّ نجوى أُناجيها النّبيّ صلّى الله عليه وآله درهماً. قال: فنسختها قوله: "ءأشفقتم" الآية»[٥].

﴿ذٰلِكَ﴾ أي: التّصدّق ﴿خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لأنفسكم من الزّينة وحبّ المال ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن لم يجد، حيث رخّص له في المناجاة بلا تصدّق.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ﴾: أخِفْتُم الفقر من تقديم الصّدقة، أو أخِفْتُم التقديم لما يعدكم الشّيطان عليه من الفقر. وجمع الصّدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة التّناجي.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخّص لكم أن لا تفعلوه.

قال: «فهل تكون التوبة إلّا عن ذنب»[٦]. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾ فلا تفرّطوا

١ ـ جوامع الجامع: ٤٨٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ الكافي ١: ٣٣، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٥٧.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٢٣.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٥٧؛ وفي الخصال ٢: ٥٧٤، قطعة من حديث: ١، ما يقرب منه.

٦ ـ الخصال ٢: ٥٧٤، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

في أدائهما ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأُمور ، لعلّها تجبر تفريطكم في ذلك ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود ﴿ما هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ لأنّهم منافقون ، مذبذبون بين ذلك ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ المحلوف عليه كذب ، كمن يحلف بالغَمُوس[١] .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿إِتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً﴾: وقاية دون دمائهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فصدّوا النّاس عن دين اللّه بالتّحريش والتّثبيط ، ﴿فَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ .

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ .

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي: للّه عزّوجلّ ﴿كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدّنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ﴾ إذ تمكّن النّفاق في نفوسهم ، بحيث يخيّل إليهم في الآخرة أنّ الأيمان الكاذبة تروّج الكذب على اللّه ، كما تروّجه عليكم في الدّنيا ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ﴾: البالغون الغاية في الكذب ، حيث يكذبون مع عالم الغيب والشّهادة ، ويحلفون عليه . وقد مرّ في هذه الآية حديث في حم السّجدة[٢] .

﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ﴾: استولى عليهم ﴿فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾: لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ﴾: جنوده وأتباعه ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ لأنّهم فوّتوا على أنفسهم النّعيم المؤبّد ، وعرضوها للعذاب المخلّد .

القمّي: نزلت في الثّاني ، مرّ به رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وهو جالس عند يهوديّ يكتب خبر رسول اللّه صلّى الله عليه وآله ، فأنزل اللّه: "ألم تر إلى الذين تولّوا" الآيات . فجاء إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فقال له

١ ـ اليمين الغَموس: الّتي تَغْمِسُ صاحبها في الإثم . والأمر الغَموس: الشّديد . الصّحاح ٣: ٩٥٦ (غمس) .
٢ ـ ذيل الآية: ٢٠ من سورة فصّلت .

رسول اللّه: رأيتك تكتب عن اليهود، وقد نهى اللّه عن ذلك. قال: كتبت عنه ما في التّوراة من صفتك، وأقبل يقرأ ذلك على رسول اللّه وهو غضبان. فقال رجل من الأنصار: ويلك، أما ترى غضب النّبيّ عليك؟ فقال: أعوذ باللّه من غضب اللّه وغضب رسوله، إنّي إنّما كتبت ذلك لمّا وجدت فيه من خبرك. فقال له رسول اللّه ﷺ: يا فلان لو أنّ موسى بن عمران فيهم قائماً ثمّ أتيته رغبة عمّا جئت به لكنت كافراً بما جئت به، وهو قوله: "اتّخذوا أيمانهم جنّة" أي: حجاباً بينهم وبين الكفّار، وإيمانهم إقرار باللّسان؛ خوفاً من السّيف ورفع الجزية[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾: في جملة من هو أذلّ خلق اللّه.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

روي: «إنّ المسلمين قالوا لمّا رأوا ما يفتح اللّه عليهم من القرى: ليفتحنّ اللّه علينا الرّوم وفارس. فقال المنافقون: أتظنّون أنّ فارس والرّوم كبعض القرى الّتي غلبتم عليها؟! فأنزل اللّه هذه الآية»[2].

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: ولو كان المحادّون أقرب النّاس إليهم ﴿أُولَـٰئِكَ﴾ أي: الذين لم يوادّوهم ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: أثبته فيها ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾: من عنده. قال: «هو الإيمان»[3].

و ورد: «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس،

١ ـ القمّي ٢: ٣٥٧.

٢ ـ التفسير الكبير ٢٩: ٢٧٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٧: ٣٠٦، عن مقاتل مع تفاوت يسير.

٣ ـ الكافي ٢: ١٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ؛ والحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه ﷺ.

وأُذن ينفث فيها الملك . فيؤيّد اللّه المؤمن بالملك . فذلك قوله: "وأيّدهم بروح منه"»[1] .

وفي رواية: «إنّ اللّه تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه ، تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتّقي ، وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي ، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه ، وتسيخ[2] في الثّرى عند إساءته ، فتعاهدوا عباد اللّه نعمه بإصلاح أنفسكم ؛ تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً ، رحم اللّه امرءاً هَمَّ بخير فعمله ، أو هَمَّ بشرّ فارتدع عنه . ثمّ قال: نحن نؤيّد الرّوح بالطّاعة للّه والعمل له»[3] .

وورد في قول رسول اللّه ﷺ: «إذا زنى الرّجل فارقه روح الإيمان . قال: هو قوله: "وأيّدهم بروح منه" ذاك الّذي يفارقه»[4] .

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بقضائه ، وبما وعدهم من الثّواب . ﴿أُولـٰئِكَ حِزْبُ اللّهِ﴾: جنده وأنصار دينه ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون خير الدّارين .

١ ـ الكافي ٢: ٢٦٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ قوله: «تهتزّ سروراً» كناية عن تمكّنها في الإنسان وأُلفتها له وأُنسها به . وقوله: «تسيخ في الثرى» كناية عن انفعالها وسقوطها من الإنسان بعوده إلى ما كان عليه من الحال .

٣ ـ الكافي ٢: ٢٦٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٢٨٠ ، الحديث: ١١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

سورة الحشر

[مدنيّة، وهي أربع وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ﴾: «لأوّل جلائهم إلى الشّام، وآخر حشرهم إليه يكون في الرّجعة». كما ورد[2].

والحشر: إخراج جمع من مكان إلى آخر.

ورد: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال لهم: «اُخرجوا. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»[3].

والقمّي ما ملخّصه: إنّه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود: بني النّضير وقريظة وقينقاع، وكان بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله عهد ومدّة. فنقض بنوالنّضير عهدهم وهمّوا بقتله، فأخبرهم: إنّ الله قد أخبرني بما هممتم به من الغدر، فإمّا أن تخرجوا من بلدنا، وإمّا أن تأذنوا بحرب، فقالوا: نخرج من بلادك. فبعث إليهم عبد الله بن أُبيّ[4] ألّا تخرجوا

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٥٨، عن ابن عباس والزّهري والجبائي؛ جامع البيان ٢٨: ٢٠.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٥٨.

٤ ـ عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث، المشهور بابن سلول، وسلول جدّته لأبيه: رأس المنافقين في الإسلام ←

وتقيموا وتنابذوا محمّداً الحرب ، فإنّي أنصركم أنا وقومي وحلفائي ، فإن خرجتم خرجت معكم ، وإن قاتلتم قاتلت معكم .

فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيّئوا للقتال ، وبعثوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أنّا لانخرج ، فاصنع ما أنت صانع . فقام رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، وكبّر ، وكبّر أصحابه ، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام : تقدّم إلى بني النّضير . فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الرّاية وتقدّم . وجاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأحاط بحصنهم . وغدر بهم عبد اللّه بن أُبيّ . وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله إذا ظهر بمقدّم بيوتهم حصّنوا ما يليهم وخرّبوا ما يليه ، وكان الرّجل منهم ممّن كان له بيت حَسَنٌ خَرَّبَه ، وقد كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله أمر بقطع نخلهم ، فجزعوا من ذلك وقالوا: يا محمّد إنّ اللّه يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذه ، وإن كان لنا فلا تقطعه . فلمّا كان بعد ذلك قالوا: يا محمّد نخرج من بلادك فأعطنا مالنا . فقال: لا ، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل ، فلم يقبلوا ذلك . فبقوا أيّاماً ، ثمّ قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل ، فقال: لا ، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه. فخرجوا على ذلك. ووقع منهم قوم إلى فدك ووادي القرى ، وخرج قوم منهم إلى الشّام . فأنزل اللّه فيهم: "هو الّذي أخرج الّذين كفروا" الآيات[١] .

﴿ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لشدّة بأسهم ومنعتهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللّهِ﴾ أي: إنّ حصونهم تمنعهم من بأس اللّه ﴿فَأَتاهُمُ اللّهُ﴾ أي: عذابه ، وهو الرّعب والاضطرار إلى الجلاء . قال: «يعني أرسل عليهم عذاباً»[٢] . ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لقوّة وثوقهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف الذي يرعبها ، أي: يملأها ﴿يُخْرِبُونَ

← من أهل المدينة . كان سيّد الخزرج في آخر جاهليّتهم . وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر ، تقيّة . وكان كلّما حلّت بالمسلمين نازلة شمت بهم . وكلّما سمع بسيّئة نَشَرها . وله في ذلك أخبار . توفّي سنة: ٩ هـ. الأعلام (للزّركلي) ٤: ٦٥ .

١ ـ القمّي ٢: ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٦ ، الباب: ٣٦ ، قطعة من حديث: ٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

﴿بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ضنّاً[1] بها على المسلمين، وإخراجاً لما استحسنوا من آلاتها ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنّهم أيضاً كانوا يخربون ظواهرها، نكايةً وتوسيعاً لمجال القتال.

﴿فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ﴾: فاتّعظوا بحالهم، فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير اللّه.

﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾: الخروج من أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا﴾ بالقتل والسّبي، كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابُ النّارِ﴾ يعني إن نجوا من عذاب الدّنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة.

﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾.

﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾: نخلة كريمة، قال: «يعني العجوة، وهي أُمّ التمر، وهي الّتي أنزلها اللّه من الجنّة لآدم»[2]. ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: فبأمره.

القمّي: نزلت فيما عابوه من قطع النّخل[3]. ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ﴾: وأُذن لكم في القطع، ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه.

﴿وَما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ﴾ أي: ردّه عليه «فإنّ جميع ما بين السّماء والأرض للّه عزّوجلّ ولرسوله، ولأتباعهم من المؤمنين المتّصفين بما وصفهم اللّه به في قوله: "التّائِبُونَ الْعابِدُونَ" الآية[4]. فما كان منه في أيدي المشركين والكفّار والظّلمة والفجّار فهو حقّهم، أفاء اللّه عليهم وردّه إليهم». كذا ورد[5].

﴿مِنْهُمْ﴾: من بني النّضير ﴿فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾: فما أجريتم على تحصيله؛ من الوجيف: وهو سرعة السّير. ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾: ما يركب من الإبل، غلب فيه.

١ـ ضَنِنْتُ بالشّيء ضنّاً وضَنَانَةً: إذا بَخِلْتُ به. الصّحاح ٦: ٢١٥٦ (ضنن).

٢ـ الكافي ٦: ٣٤٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «وهي الّتي أنزلها اللّه عزّوجلّ لآدم من الجنّة».

٣ـ القمي ٢: ٣٦٠.

٤ـ التوبة (٩): ١١٢.

٥ـ الكافي ٥: ١٦، قطعة من حديث: ١؛ التهذيب ٦: ١٣٠، قطعة من حديث: ٢٢٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

قيل: وذلك لأنّ قراهم كانت على ميلين من المدينة ، فمشوا اليها رجالاً غير رسول اللّه صلى الله عليه وآله فإنّه ركب جملاً أو حماراً ، ولم يجر مزيد قتال ، ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً إلّا رجلين أو ثلاثة ؛ كانت بهم حاجة[1] .

﴿وَلـٰكِنَّ اللّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ﴾ بقذف الرّعب في قلوبهم ﴿وَاللّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يريد ؛ تارة بالوسائط الظّاهرة ، وتارة بغيرها .

﴿ما أَفاءَ اللّهُ عَلىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرىٰ﴾ . بيان للأوّل ، ولذلك لم يعطف عليه .

﴿فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبىٰ﴾ .

قال: «نحن واللّه الذين عنى اللّه بذي القربى الذين قرنهم اللّه بنفسه ونبيّه صلى الله عليه وآله»[2] .

﴿وَاليَتامىٰ وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: «منّا خاصّة ، ولم يجعل لنا سهماً في الصّدقة أكرم اللّه نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي النّاس»[3] .

﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ﴾: كيلا يكون الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء ويدور بينهم ، كما كان في الجاهليّة ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من الأمر ﴿فَخُذُوهُ﴾: فتمسّكوا به ﴿وَما نَهاكُمْ عَنْهُ﴾: عن إتيانه ﴿فَانْتَهُوا﴾ عنه ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ﴾ في مخالفة الرّسول ﴿إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ لمن خالف .

و ورد: «"واتّقوا اللّه" في ظلم آل محمّد صلى الله عليه وآله ؛ "إنّ اللّه شديد العقاب" لمن ظلمهم»[4] .

قال: «إنّ اللّه أدّب رسوله حتّى قوّمه على ما أراد ، ثمّ فوّض إليه . فقال عزّ ذكره: "ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" فما فوّض اللّه إلى رسوله فقد فوّضه إلينا»[5] .

١ ـ البيضاوي ٥: ١٢٥ .

٢ و ٣ ـ الكافي ١: ٥٣٩ ، الحديث: ١ ؛ التّهذيب ٤: ١٢٦ ، الحديث: ٣٦٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٤ ـ الكافي ٨: ٦٣ ، ذيل الحديث: ٢١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ الكافي ١: ٢٦٨ ، الحديث: ٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «فوّض إلى نبيّه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم، ثمّ تلا هذه الآية»[١].

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الّذين هاجروا من مكّة إلى المدينة، ومن دار الحرب إلى دار الإسلام. قيل: بدلٌ من "لذي القربى" وما عطف عليه، ومن أعطى أغنياء ذوي القربى خصّ الإبدال بما بعده، والفيء بفيء بني النّضير[٢]. ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾: أخرجوهم كفّار مكّة وأخذوا أموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ﴾ بأنفسهم وأموالهم ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾. عطفٌ على المهاجرين، أو استئناف، خبره: يحبّون؛ ويؤيّد الثّاني: أنّه لم يقسم لهم الفيء، فإنّ المراد بهم الأنصار، فإنّهم لزموا المدينة والإيمان وتمكّنوا فيهما، أو لزموا دار الهجرة ودار الإيمان. فقد ورد: «الإيمان بعضه من بعض وهو دار، وكذلك الإسلام دار والكفر دار»[٣].

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرة المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يثقل عليهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾: ممّا أُعطي المهاجرون من الفيء وغيره ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: ويقدّمون على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: فقر وحاجة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتّى يخالفها فيما يغلب عليها من حبّ المال ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالثّناء العاجل والثّواب الآجل.

ورد: «إنّه جاء رجل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلّا الماء. فقال: من لهذا الرّجل اللّيلة؟ فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنا له يا رسول الله. وأتى فاطمة عليها السلام فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلّا قوت العشيّة، لكنّا نؤثر ضيفنا. فقال: يا ابنة محمّد، نوّمي الصّبيّة

١ـ الكافي ١: ٢٦٦، الحديث: ٣، عن أبي جعفر وعن أبي عبد الله عليهما السلام.

٢ـ البيضاوي ٥: ١٢٦.

٣ـ الكافي ٢: ٢٧، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وأطفي المصباح. فلمّا أصبح عليّ عليه السلام غدا على رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأخبره الخبر، فلم يبرح حتّى أنزل الله عزّوجلّ: "ويؤثرون على أنفسهم" الآية»[1].

﴿وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد المهاجرين والأنصار؛ يعمّ سائر المؤمنين. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنا﴾ أي: في الدّين ﴿الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا﴾: حقداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فحقيق بأن تجيب دعاءنا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا﴾. القمّي: نزلت في ابن أُبيّ وأصحابه[2]. ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ﴾ يعني بني النّضير ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: في قتالكم أو خذلانكم ﴿أَحَداً أَبَداً﴾ من رسول الله والمسلمين ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ لعلمه بأنّهم لايفعلون ذلك.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ وكان كذلك، فإنّ ابن أُبيّ وأصحابه راسلوا بني النّضير بذلك، ثمّ أخلفوهم كما مرّ[3]. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ على الفرض والتّقدير ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبارَ﴾ انهزاماً ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾: مرهوبيّة ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ فإنّهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على ما يظهرونه نفاقاً. ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾: لا يعلمون عظمة الله، حتّى يخشوه حقّ خشيته ويعلموا أنّه الحقيق بأن يخشى.

﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ﴾ اليهود والمنافقون ﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ﴾ بالدّروب[4] والخنادق ﴿أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ﴾ لفرط رهبتهم ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي:

١ ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ١٨٨، عن أبي هريرة.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٠.

٣ ـ ذيل الآية: ٢ من نفس السّورة.

٤ ـ الدَّرْب: المَدْخَل بين جبلين، والجمع: الدُّروب، مثل فَلْس وفلوس. وليس أصله عربيّاً، والعرب تستعمله في ←

وليس ذلك لضعفهم وجبنهم ، فإنّه يشتدّ بأسهم إذا حارب بعضهم بعضاً ، بل لقذف اللّه الرّعب في قلوبهم ، ولأنّ الشّجاع يجبن والعزيز يذلّ إذا حارب اللّه ورسوله .

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾: مجتمعين متّفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾: متفرّقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه صلاحهم ؛ وأنّ تشتّت القلوب يوهن قواهم .

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ القمّي: يعني بني قينقاع[1] . ﴿قَرِيباً﴾: في زمان قريب ﴿ذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ﴾: سوء عاقبة كفرهم في الدّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة .

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطانِ﴾ أي: مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال ثمّ نكوصهم ، كمثل الشّيطان ﴿إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللّٰهَ رَبَّ العالَمِينَ﴾ .

﴿فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَذٰلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: ليوم القيامة ، سمّاه به لدنوّه ، أو لأنّ الدّنيا كيوم والآخرة غده ؛ وتنكيره للتّعظيم . ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ﴾: نسوا حقّه ﴿فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾: فجعلهم ناسين لها ، حتّى لم يسمعوا ما ينفعها ، ولم يفعلوا ما يخلّصها ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ .

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النّارِ وَأَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الفائِزُونَ﴾ .

ورد: «إنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله تلا هذه الآية ، فقال: أصحاب الجنّة من أطاعني ، وسلّم لعليّ بن أبي طالب بعدي ، وأقرّ بولايته . وأصحاب النّار من سخط الولاية ، ونقض العهد ،

← معنى الباب فيقال لباب السّكّة: دَرْب ، وللمَدْخَل الضيّق: دَرْب ؛ لأنّه كالباب لما يفضي إليه . المصباح المنير ١: ٢٣١ (درب) .

١ ـ القمّي ٢: ٣٦٠ .

وقاتله بعدي»[1].

﴿لَوْ أَنْزَلْنا هـٰذَا القُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ﴾: متشقّقاً منها، وهو تمثيل فيه توبيخ للإنسان على عدم تخشّعه عند تلاوة القرآن؛ لقساوة قلبه وقلّة تدبّره. ﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾. قال: «الغيب ما لم يكن، والشّهادة ما كان»[2]. ﴿هُوَ الرَّحْمـٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ﴾: البليغ في النّزاهة عمّا يوجب نقصاناً ﴿السَّلامُ﴾: ذو السّلامة من كلّ نقص وآفة ﴿المُؤْمِنُ﴾: واهب الأمن. القمّي: يؤمن أولياءه من العذاب[3]. ﴿المُهَيْمِنُ﴾: الرّقيب الحافظ لكلّ شيء ﴿العَزِيزُ﴾: الّذي ينفذ مشيئته في كلّ أحد ولا ينفذ فيه مشيئة أحد ﴿الجَبّارُ﴾: الّذي يصلح أحوال خلقه ﴿المُتَكَبِّرُ﴾: الذي تكبّر عن كلّ ما يوجب حاجة ونقصاناً ﴿سُبْحانَ اللّٰهِ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

سئل عن تفسير سبحان اللّه، فقال: «هو تعظيم جلال اللّه وتنزيهه عمّا قال فيه كلّ مشرك، فإذا قالها العبد، صلّى عليه كلّ ملك»[4].

﴿هُوَ اللّٰهُ الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ﴾. كلّ ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أوّلاً، وإلى الإيجاد ثانياً، وإلى التّصوير بعد الإيجاد ثالثاً. فاللّه سبحانه هو الخالق البارئ المصوّر بالاعتبارات الثّلاثة. ﴿لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنىٰ﴾ الدّالّة على محاسن المعاني.

ورد: «إنّ للّه تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً ـ مائة إلّا واحداً ـ من أحصاها دخل

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٨٠، الباب: ٢٨، الحديث: ٢٢، عن عليّ بن موسى الرّضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٠.

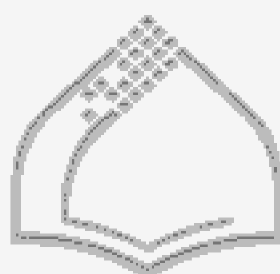
٤ ـ التّوحيد: ٣١٢، الباب: ٤٥، الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الجنّة ، ثمّ ذكر تلك الأسماء»[1] .

قيل: إحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها ، وليس معنى الإحصاء عدّها[2] .

أقول: وللإحصاء معان أُخر[3] ليس ها هنا محلّ ذكرها .

﴿يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ .



١ ـ التّوحيد: ١٩٤ ، الباب: ٢٩ ، الحديث: ٨ ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين ، عن رسول الله صلوات الله عليهم .

٢ ـ المصدر: ١٩٥ ، الباب: ٢٩ ، ذيل الحديث: ٩ ، عن الصّدوق عليه الرحمة .

٣ ـ وقد فصّل البحث في كتابه علم اليقين ١: ١٠٢ .

سورة الممتحنة

[مدنيّة ، وهي ثلاث عشرة آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ﴾ .

القمّي ما ملخّصه: أنّها نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة[2] ، حيث كتب إلى قريش بمكّة ، أخبرهم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله يريد غزوهم ، فنزل جبرئيل على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأخبره بذلك ، فبعث أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخذ الكتاب من رسوله في بعض الطّريق وجاء به إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله . فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال: واللّه يا رسول اللّه ما نافقت ولا غيّرت ولا بدّلت ، وإنّي أشهد أن لا إله إلّا اللّه ، وأنّك رسول اللّه حقّاً ، ولكن أهلي وعيالي كتبوا إليّ بحسن صنيع قريش إليهم ، فأحببت أن أُجازي قريشاً بحسن معاشرتهم . فأنزل اللّه: "يا

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ حاطب بن أبي بَلْتَعَة اللَّخمي: رجل من أهل اليمن ، وكان حليفاً للزّبير ، وكان من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وشهد بدراً ، وكان بنوه وأخوه بمكّة . ولمّا أراد رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يغزو مكّة عام الفتح ، كتب حاطب إلى كبار قريش يعلمهم بما يريده صلى الله عليه وآله من غزوهم ، فأعلم اللّه رسوله . مات حاطب في سنة: ٣٠ في خلافة عثمان وله خمس وستّون سنة . أُسد الغابة ١: ٣٦٠ ؛ الإصابة ١: ٣١٤ .

أيها الّذين آمنوا" الآية[١].

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾: تفضون إليهم المودّة بالمكاتبة.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيّاكُمْ﴾ أي: من مكّة ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ﴾: بسبب إيمانكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ من أوطانكم ﴿جِهاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضاتِي﴾. جواب الشّرط محذوف، دلّ عليه "لا تتّخذوا". ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ﴾ أي: منكم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودّة إليهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ كالقتل والشّتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: وتمنّوا ارتدادكم. وفي مجيئه وحده بلفظ الماضي إشعار بأنّهم ودّوا ذلك قبل كلّ شيء وأنّ ودّهم حاصل وإن لم يثقفوكم.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ﴾: قراباتكم ﴿وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ الّذين توالون المشركين لأجلهم ﴿يَوْمَ القِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرّق بينكم بما عراكم من الهول، فيفرّ بعضكم من بعض، فما لكم ترفضون حقّ اللّه لمن يفرّ عنكم غداً.

﴿وَاللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قدوة ﴿فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَءاؤُا مِنْكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ كَفَرْنا بِكُمْ﴾ قال: «تبرّأنا منكم»[٢].

قال: «الكفر في هذه الآية: البراءة»[٣].

﴿وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَداوَةُ وَالبَغْضاءُ أَبَداً حَتّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ﴾ فتنقلب

١ ـ القمّي ٢: ٣٦١.

٢ ـ الكافي ٢: ٣٩٠، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

العداوة والبغضاء أُلفة ومحبّة ﴿إِلّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾. استثناء من قوله: "أُسوة حسنة"، لأنّه ليس ممّا يؤتسى به، وكان ذلك لموعدة وعدها إيّاه، كما سبق في سورة التّوبة[1].

﴿وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من تمام قوله المستثنى، ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه. ﴿رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإِلَيْكَ أَنَبْنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ متّصل بما قبل الاستثناء.

﴿رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن تسلّطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمّله، أو تشمتهم بنا.

ورد: «ما كان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً، ولا كافر إلّا غنيّاً؛ حتّى جاء إبراهيم عليه السلام. فقال: "ربّنا لا تجعلنا فتنة للّذين كفروا" فصيّر اللّه في هؤلاء أموالاً وحاجة، وفي هؤلاء أموالاً وحاجة»[2].

﴿وَاغْفِرْ لَنا﴾ ما فرط منّا ﴿رَبَّنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. تكرير لمزيد الحثّ على التّأسّي بإبراهيم، ولذلك صدّر بالقسم وأكّد بما بعده. ﴿لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ فأشعر بأنّ تركه ينبئ عن سوء العقيدة. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿عَسَى اللّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ﴿وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما فرط منكم من موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرّحم.

«لمّا نزلت هذه الآية أظهر المسلمون العداوة للكفّار. ولمّا أسلم أهل مكّة وأنجز اللّه وعده بقوله: "عسى اللّه أن يجعل بينكم وبين الّذين عاديتم منهم مودّة" خالطوهم

١ ـ الأصفى ١: ٤٩٤، ذيل الآية: ١١٤.
٢ ـ الكافي ٢: ٢٦٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وناكحوهم، وتزوّج رسول الله ﷺ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب». كذا ورد[١].

﴿لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ تقضوا إليهم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: العادلين.

روي: «إنّ قتيلة بنت عبد العزىّ قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا فلم تقبلها، ولم تأذن لها بالدّخول، فنزلت»[٢].

﴿إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ﴾ كمشركي مكّة، فإنّ بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين، وبعضهم أعانوا المخرجين. ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم الولاية غير موضعها.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾: فاختبروهنّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ﴾ بحلفهنّ وظهور الأمارات ﴿فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: إلى أزواجهنّ الكفرة ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

القمّي: إذا لحقت امرأة من المشركين بالمسلمين؛ تمتحن بأن تحلف بالله أنّه لم يحملها على اللّحوق بالمسلمين بغض لزوجها الكافر ولا حبّ لأحد من المسلمين، فإنّما حملها على ذلك الإسلام، فإذا حلفت على ذلك قُبل إسلامها[٣].

﴿وَآتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا﴾ القمّي: يعني تردّ المسلمة على زوجها الكافر صداقها، ثمّ يتزوّجها المسلم[٤]. ﴿وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ فإنّ الإسلام حال بينهنّ وبين

١ ـ القمّي ٢: ٣٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الدرّ المنثور ٨: ١٣٠؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٣٧٣؛ تفسير القرطبي ١٨: ١٩، عن عبد الله بن الزبير.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٦٣.

أزواجهنّ الكفّار ﴿إذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ . فيه إشعار بأنّ ما أعطى أزواجهنّ لا يقوم مقام المهر . ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾: بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب .

قال: «يقول: من كانت عنده امرأة كافرة ـ يعني على غير ملّة الإسلام وهو على ملّة الإسلام ـ فليعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهي امرأته وإلّا فهي بريئة منه ، فنهاه اللّه أن يمسك بعصمتها»[١] .

﴿وَاسْأَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ﴾ من مهور نسائكم اللّاحقات بالكفّار ﴿وَلْيَسْأَلُوا ما أَنْفَقُوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات ﴿ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

قال: «"وإن فاتكم شيء من أزواجكم" فلحقن بالكفّار من أهل عهدكم فاسألوهم صداقها ، وإن لحقن بكم من نسائهم شيء فأعطوهم صداقها" ذلكم حكم اللّه يحكم بينكم"»[٢] .

﴿وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الكُفّارِ﴾ أي: سبقكم وانفلت منكم إليهم ﴿فَعاقَبْتُمْ﴾: فتزوّجتم بأخرى عقيبها ﴿فَآتُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا﴾ .

القمّي: يقول: وإن ألحقن بالكفّار الّذين لا عهد بينكم وبينهم ، فأصبتم غنيمة فأتوا[٣] .

أقول: كأنّه جعل معنى "فعاقبتم": فأصبتم من الكفّار عقبى ، وهي الغنيمة . يعني فأتوا بدل الفائت من الغنيمة .

ورد: سئل: ما معنى العقوبة ها هنا؟ قال: «إنّ الّذي ذهبت امرأته فعاقب على امرأة أُخرى غيرها . يعني تزوّجها ، فإذا هو تزوّج إمرأة أُخرى غيرها ، فعلى الإمام أن يعطيه مهر امرأته الذّاهبة . فسُئل: كيف صار المؤمنون يردّون على زوجها المهر بغير فعل منهم في ذهابها ، وعلى المؤمنين أن يردّوا على زوجها ما أنفق عليها ممّا يصيب المؤمنين؟! قال: يردّ

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٣ ـ المصدر .

الإمام عليه أصابوا من الكفّار أو لم يصيبوا ، لأنّ على الإمام أن يجيز حاجته من تحت يده ، وإن حضرت القسمة فله أن يسدّ كلّ نائبة تنوبه قبل القسمة ، وإن بقي بعد ذلك شيء قسّمه بينهم ، وإن لم يبق شيء فلا شيء لهم»[١].

وروي: «لمّا نزلت الآية المتقدّمة أدّى المؤمنون ما أُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم ، وأبى المشركون أن يردّوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهنّ المسلمين ، فنزلت»[٢].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ﴾. قال: «لمّا فتح رسول الله ﷺ مكّة بايع الرّجال ، ثمّ جاءت النّساء يبايعنه . فأنزل الله: "يا أيّها النّبيّ" ، الآية»[٣].

﴿عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ بالوأد والإسقاط ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾.

قيل: كانت المرأة تلتقط المولود ، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك . كنّى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الّذي تلصقه بزوجها كذباً ؛ لأنّ بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين ، وفرجها الذي تلده به بين الرّجلين[٤].

﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: في حسنة تأمرهنّ بها.

قال: «هو مافرض الله عليهنّ من الصّلاة والزّكاة ، وما أمرهنّ به من خير»[٥].

وفي رواية: «سألته : ما ذلك المعروف الّذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه؟ قال: لا تلطمن

١ ـ علل الشّرائع ٢: ٥١٧ ، الباب: ٢٨٩ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد الله وعن أبي جعفر عليهما السلام ؛ وفي التّهذيب ٦: ٣١٣ ، الحديث: ٨٦٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، مع تفاوت يسير.

٢ ـ الكشّاف ٤: ٩٤.

٣ ـ الكافي ٥: ٥٢٧ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ جوامع الجامع: ٤٩١ ؛ الكشّاف ٤: ٩٤.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٦٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام.

خدّاً ولا تخمشن وجهاً ولا تنتفن شعراً ولا تشققن جيباً ولا تسوّدن ثوباً ولا تدعين بوَيْل»[١].

وفي رواية: «ولا تقمن على قبر»[٢].

وفي أُخرى: «ولا تنشرن شعراً»[٣].

﴿فَبايِعْهُنَّ﴾ بضمان الثّواب على الوفاء بهذه الأشياء.

قال: «جمعهنّ حوله ثمّ دعا بِتَوْرِ بَرام[٤] فصبّ فيه ماء نضوحاً، ثمّ غمس يده فيه، ثمّ قال: اسمعن يا هؤلاء! أُبايعكنّ على أن لا تشركن باللّه شيئاً، ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكنّ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكنّ وأرجلكنّ، ولا تعصين بعولتكنّ في معروف، أقررتنّ؟ قلن: نعم! فأخرج يده من التّور، ثمّ قال لهنّ: اغمسن أيديكنّ، ففعلن، فكانت يد رسول اللّه صلى الله عليه وآله الطّاهرة أطيب من أن يمسّ بها كفّ أُنثى ليست له بمَحرَم»[٥].

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. القمّي: معطوف على قوله: "لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء"[٦].

وروي: «إنّها نزلت في بعض فقراء المسلمين، كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم»[٧].

١ـ الكافي ٥: ٥٢٧، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٢ـ القمّي ٢: ٣٦٤، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٣ـ الكافي ٥: ٥٢٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

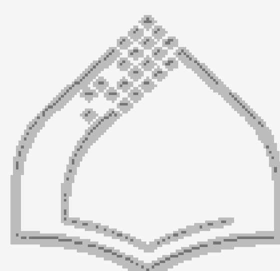
٤ـ التور: إناء يشرب فيه «الصّحاح ٢: ٦٠٢ـ تور». وبَرام ـ يروى بكسر أوّله وفتحه والفتح أكثر ـ: جبل في بلاد بني سُلَيم عند الحرّة من ناحية البقيع، وقيل: هو عشرين فرسخاً من المدينة. معجم البلدان ١: ٣٦٦.

٥ـ الكافي ٥: ٥٢٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ـ القمي ٢: ٣٦٤.

٧ـ الكشّاف ٤: ٩٥؛ البيضاوي ٥: ١٣٠.

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ لكفرهم بها، أو لعلمهم بأنّه لا حظّ لهم فيها؛ لعنادهم الرّسول المنعوت في التّوراة المؤيّد بالمعجزات. ﴿كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ القُبُورِ﴾ أن يبعثوا، أو يثابوا، أو ينالهم خير منهم، أو كما يئس الكفّار الّذين ماتوا فعاينوا الآخرة.



سورة الصّفّ

[مدنيّة ، وهي أربع عشر آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ .

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .

روي: «إنّ المسلمين قالوا: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا . فأنزل الله: "إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً"[2] فولّوا يوم أُحد ، فنزلت»[3] .

والقمّي: مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين وعدوه أن ينصروه ، ولا يخالفوا أمره ، ولا ينقضوا عهده في أمير المؤمنين ، فعلم الله أنّهم لا يفون بما يقولون ، وقد سمّاهم الله المؤمنين بإقرارهم وإن لم يصدّقوا[4] .

﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ المقت: أشدّ البغض .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ نفس السورة: ٤ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٣٠ .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٦٥ .

قال: «الخلف يوجب المقت عند اللّه وعند النّاس ، قال اللّه تعالى "كبر مقتاً" ، الآية»[١] .

و ورد: «عِدة المؤمن أخاه نذر لا كفّارة له ، فمن أخلف فبخلف اللّه بدأ ، ولمقته تعرّض . وذلك قوله: "يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون" ، الآيتين»[٢] .

﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً﴾: مصطفّين ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾ في تراصّهم من غير فرجة . والرّصّ: اتّصال بعض البناء بالبعض واستحكامه .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية: «أنا سبيل اللّه الذي نصبني للاتّباع بعد نبيه صلى الله عليه وآله»[٣] .

﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ﴾ .

روي: إنّ قارون دسّ إليه امرأة وزعم أنّه زنى بها ، ورموه بقتل هارون»[٤] .

﴿فَلَمّا زاغُوا﴾ عن الحقّ ﴿أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن قبول الحقّ والميل إلى الصّواب . والقمّي: أي: شكّك قلوبهم[٥] . ﴿وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾ .

﴿وَإِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني محمّداً صلى الله عليه وآله .

ورد: «إنّ اللّه لمّا بشّر عيسى بظهور نبيّنا ، قال له في صفته: واستوص بصاحب الجمل الأحمر ، والوجه الأقمر ، نكّاح النّساء»[٦] .

و ورد: «إنّه لمّا بعث اللّه المسيح عليه السلام ، قال: إنّه سوف يأتي من بعدي نبيّ اسمه أحمد من ولد إسماعيل ، يجيء بتصديقي وتصديقكم ، وعذري وعذركم»[٧] .

والقمّي: سأل بعضُ اليهود رسولَ اللّه: لِمَ سمّيتَ أحمد؟ قال: لأنّي في السّماء أحمد

١ ـ نهج البلاغة (صبحي الصالح): ٤٤٤ ، الكتاب: ٥٣ .

٢ ـ الكافي ٢: ٣٦٣ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١ ، من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير .

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن ١٢: ٣١٠ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٧٨ . وتفصيل القصّة في البيضاوي ٤: ١٣٢ .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٦٥ .

٦ ـ عوالي اللآلي ٣: ٢٨٢ ، الحديث: ٧ .

٧ ـ الكافي ١: ٢٩٣ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

منّي في الأرض[١].

و ورد: «إنّ اسمه في صحف إبراهيم الماحي، وفي توارة موسى الحادّ، وفي إنجيل عيسى أحمد، وفي الفرقان محمّد»[٢].

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ بِالبَيِّناتِ قالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ الكَذِبَ وَهُوَ يُدْعىٰ إِلَى الإسْلامِ وَاللّٰهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ﴾ أي: لا أحد أظلم ممّن يدعى إلى الإسلام الظّاهر حقّيّته الموجب له خير الدّارين، فيضع موضع إجابته الافتراء على اللّه؛ بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحراً.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْواهِهِمْ﴾ قال: «ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين»[٣]. ﴿وَاللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾: مبلّغ غايته بنشره وإعلانه. قال: «متمّ الإمامة»[٤].

القمّي: "واللّه متمّ نوره" بالقائم من آل محمّد إذا خرج؛ يظهره اللّه على الدّين كلّه، حتّى لا يعبد غير اللّه[٥]. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ إرغاماً لهم.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليغلبه[٦] على جميع الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾.

قال: «إنّ ذلك عند خروج المهديّ من آل محمّد، فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله»[٧].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: «أظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم. قال: كلّا، فوالّذي نفسي بيده، حتّىٰ لا تبقى قرية إلّا وتنادي بشهادة أن لا إله إلّا اللّه ومحمّداً رسول اللّه بكرة

١ـ القمّي ٢: ٣٦٥.

٢ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٣٠، الحديث: ٤٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ و ٤ـ الكافي ١: ١٩٦، الحديث: ٦، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٣٦٥.

٦ـ في «ب» و«ج»: «ليُغلبه».

٧ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام، ذيل الآية: ٣٣، من سورة التوبة.

وعشيّاً»[١].

وقد مرّ تمام بيانه في سورة التّوبة[٢].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾ قال: «فقالوا: لو نعلم ما هي لبذلنا فيها الأموال والأنفس، فقال الله...»[٣].

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَأُخْرىٰ تُحِبُّونَها﴾: ولكم إلى هذه النّعمة المذكورة نعمة أُخرى محبوبة؛ فيه تعريض بأنّهم يؤثرون العاجل على الآجل. ﴿نَصْرٌ مِنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل. القمّي: يعني في الدّنيا، بفتح القائم عليه السلام، وأيضاً قال: فتح مكّة[٤]. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللّٰهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللّٰهِ﴾ أي: مَنْ جندي، متوجّهاً إلى نصرة الله؟ والحواريّون: أصفياؤه. وقد سبق في آل عمران تفسيره[٥]. ﴿قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّٰهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ﴾: فصاروا غالبين.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٠.

٢ ـ الأصفى ١: ٤٦٢، ذيل الآية: ٣٣.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ٣٦٦.

٥ ـ الأصفى ١: ١٥٢، ذيل الآية: ٥٢.

سورة الجمعة

[مدنيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ قال: «كانوا يكتبون ، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند اللّه ، ولا بعث إليهم رسول ؛ فنسبهم اللّه إلى الأُمّيّين»[2] .

﴿رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من خبائث العقائد والأخلاق ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ﴾: القرآن والشّريعة ﴿وَإِنْ﴾ : وإنّه ﴿كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ من الشّرك وخبث الجاهليّة .

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون .

قيل: وهم الّذين جاؤوا بعد الصّحابة إلى يوم الدّين . فإنّ دعوته وتعليمه يعمّ الجميع[3] .

و ورد: «هم الأعاجم ، ومن لا يتكلّم بلغة العرب»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٣٢ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

وروي: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قرأ هذه الآية فقيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان وقال: «لو كان الإيمان في الثّريا لنالته رجال من هؤلاء»[1]. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ﴾: علّموها، وكلّفوا العمل بها. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها﴾: لم يعملوا بها، ولم ينتفعوا بما فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾: كتباً من العلم، يتعب في حملها ولا ينتفع بها.

القمّي: الحمار يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها ولا يعمل بها، كذلك بنو إسرائيل قد حملوا مثل الحمار، لا يعلمون ما فيه ولا يعملون به[2].

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾.

﴿قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا﴾: تهوّدوا ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلّٰهِ﴾ إذ كانوا يقولون نحن أولياء الله وأحبّاؤه ﴿مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾: فتمنوا من الله أن يميتكم، وينقلكم من دار البليّة إلى دار الكرامة.

القمّي: في التّوراة مكتوب: أولياء الله يتمنّون الموت[3]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بسبب ما قدّموا من الكفر والمعاصي ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾. سبق تمام تفسيره في سورة البقرة[4].

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون أن تتمنّوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم ﴿فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ لا تفوتونه، لاحق بكم.

ورد: «كلّ امرئ لاق في فراره ما منه يفرّ، والأجل مساق النّفس إليه، والهرب منه

١ ـ الكشّاف ٤: ١٠٢؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٤.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٦.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٦.

٤ ـ الأصفى ١: ٥٥، ذيل الآية: ٩٤.

موافاته»[١].

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ﴾ أي: أُذن لها ﴿مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾.

ورد: «إنّ اللّه جمع فيها خلقه لولاية محمّد ووصيّه في الميثاق، فسمّاه يوم الجمعة، لجمعه فيه خلقه»[٢].

﴿فَاسْعَوْا﴾ قال: «أي: امضوا»[٣]. و ورد قراءتهم به أيضاً[٤]. وفي رواية: «معنى "فاسعوا" هو الانكفاء»[٥]. والقمّي: الإسراع في المشي[٦].

أقول: وذلك أنّ السّعي دون العَدْوِ، وهو القصد في المشي.

﴿إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ﴾ يعني إلى الصّلاة، كما يدلّ عليه ما قبله وما بعده. ﴿وَذَرُوا البَيْعَ﴾: واتركوا المعاملة.

وروي: «إنّه كان بالمدينة؛ إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة، نادى منادٍ: حرّم البيع حرّم البيع»[٧].

﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: السّعي إلى ذكر اللّه خير لكم من المعاملة، فإنّ نفع الآخرة خير وأبقى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشّرّ.

قال: «فرض اللّه على النّاس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، منها صلاة واحدة فرضها اللّه في جماعة؛ وهي الجمعة، ووضعها عن تسعة: عن الصّغير والكبير

١ـ القمّي ٢: ٣٦٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ الكافي ٣: ٤١٥، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ٣٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٨، عن أمير المؤمنين وأبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهم السلام.
٥ـ علل الشّرائع ٢: ٣٥٧، الباب: ٧٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ـ القمّي ٢: ٣٦٧.
٧ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٥، الحديث: ٩١٤.

والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والأعمى ومن كان على رأس فرسخين»[١].

﴿فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ﴾: أُدّيت وفرغ منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ﴾. ورد: «الصّلاة يوم الجمعة، والانتشار يوم السّبت»[٢]. ﴿وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً﴾ أي: في مجامع أحوالكم، ولا تخصّوا ذكره بالصّلاة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بخير الدّارين.

﴿وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها﴾ قال: «انصرفوا إليها»[٣]. ﴿وَتَرَكُوكَ قائِماً﴾ قال: «تخطب على المنبر»[٤]. ﴿قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ﴾ من الثّواب ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ﴾ فإنّ ذلك محقّق مخلّد، بخلاف ما تتوهّمون من نفعهما. قال: «نزلت "خير من اللّهو ومن التّجارة للّذين اتّقوا"»[٥]. و ورد قراءتهم به أيضاً[٦]. ﴿وَاللّهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾ فتوكّلوا عليه واطلبوا الرّزق منه.

القمّي: كان رسول اللّه ﷺ يصلّي بالنّاس يوم الجمعة، ودخلت مِيرَة[٧] وبين يديها قوم يضربون بالدّفوف والملاهي، فترك النّاس الصّلاة ومرّوا ينظرون إليهم، فأنزل اللّه[٨].

١ ـ الكافي ٣: ٤١٩، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ المحاسن: ٣٤٦، الباب: ٢، الحديث: ٨؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٧؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ عوالي اللآلي ٢: ٥٧، الحديث: ١٥٣.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٦٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٨٣، الباب: ٤٤، قطعة من حديث: ٥.
٧ ـ المِيْرَة: طعام يمتاره الإنسان، أي: يجلبه من بلد إلى بلد. مجمع البحرين ٣: ٤٨٦ (مير).
٨ ـ القمّي ٢: ٣٦٧.

سورة المنافقون

[مدنيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾ لأنّهم لم يعتقدوا ذلك . لمّا كانت الشّهادة إخباراً عن علم ، لأنّها من الشّهود بمعنى الحضور والاطّلاع ، صدّق المشهود به ، وكذّبهم في الشهادة .

﴿إتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ﴾: حلفهم الكاذب ﴿جُنَّةً﴾: وقاية عن القتل والسّبي ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ صدّاً أو صُدُوداً . ﴿إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدّهم .

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتّى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه ﴿فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ .

﴿وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ﴾ لضخامتها وصباحتها[2] . ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لذلاقتهم[3] وحلاوة كلامهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ إلى الحائط ، في كونهم

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الصباحة: الجمال . الصّحاح ١: ٣٨٠ (صبح) .

٣ ـ لسان ذَلِق: بليغ فصيح . مجمع البحرين ٥: ١٦٥ (ذلق) .

أشباحاً خاليةً عن العلم والنَظر. قال: يقول: «لا يسمعون ولا يعقلون»[١]. ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقعة عليهم؛ لجبنهم واتّهامهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ استئناف. ﴿فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحقّ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها إعراضاً واستكباراً ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون عن الاستغفار ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لرسوخهم في الكفر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: للأنصار ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ يعنون فقراء المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بيده الأرزاق والقِسَم ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك؛ لجهلهم بالله.

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

القمّي: ما ملخّصه: إنّ أنصاريّاً من قوم عبد الله بن أُبيّ ومهاجريّاً تنازعا في بعض الغزوات على ماء، وكاد أن تقع الفتنة، فأُخبر ابن أُبيّ بذلك، فأقبل على أصحابه، فقال: هذا عملكم، أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم، ووقيتموهم بأنفسكم، وأبرزتم نحوركم للقتل، فأرمل نساءكم، وأيتم صبيانكم، ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم. ثمّ قال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ". وكان في القوم زيد بن أرقم[٢]، وكان غلاماً قد راهق، فجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قال ابن أُبيّ فقال له: لعلّك وَهَمْتَ يا غلام. قال: لا والله ما وهمتُ. فقال: لعلّك غضبت عليه قال: لا والله ما

١ ـ القمّي ٢: ٣٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ زيد بن أرقم الخزرجيّ الأنصاري: صحابيّ، غزا مع النبيّ ﷺ سبع عشرة غزوة، وشهد صفّين مع عليّ، ومات بالكوفة سنة: ٦٨. راجع: أعيان الشيعة ٧: ٨٧؛ تنقيح المقال ١: ٤٦١؛ معجم رجال الحديث ٧: ٣٣٣؛ تهذيب التهذيب ٣: ٣٩٤.

غضبتُ عليه. قال: فلعلّه سفه عليك. قال: لا واللّه. فرحل رسول اللّه صلّى الله عليه وآله في غير وقت رحيل، ورحل النّاس معه، فسار يومه كلّه لا يكلّمه أحد. فأقبلت الخزرج على عبد اللّه بن أُبيّ يعذلونه. فحلف أنّه لم يقل شيئاً من ذلك. فقالوا: فقم بنا إلى رسول اللّه حتّى نعتذر إليه، فلوّى عنقه. فلمّا كان من الغد نزل رسول اللّه ونزل أصحابه، فجاء ابن أُبيّ إليه وحلف أنّه لم يقل شيئاً من ذلك، وأنّه ليشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّك لرسول اللّه، وأنّ زيداً قد كذب عليّ. فقبل رسول اللّه صلّى الله عليه وآله منه.

وأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه ويقولون له: كذبت على عبد اللّه سيّدنا، وكان زيد يقول: اللّهمّ إنّك لتعلم أنّي لم أكذب على عبد اللّه بن أُبيّ. فما سار إلاّ قليلاً حتّى أخذ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله ما كان يأخذه من البُرَحاء[1] عند نزول الوحي، فثقل حتّى كادت ناقته أن تبرك، فسرى عنه وهو يسكب العرق عن جبهته، ثمّ أخذ بأُذن زيد فرفعه من الرّحل، ثمّ قال: يا غلام صدق فوك ووعي قلبك وأنزل اللّه فيما قُلْتَ قرآناً.

فلمّا نزل، جمع أصحابه وقرأ عليهم سورة المنافقين. ففضح اللّه ابن أُبيّ وأصحابه، فمشى إليهم عشائرهم فقالوا لهم: قد افتضحتم ويلكم فاتوا نبيّ اللّه يستغفر لكم، فلوّوا رؤوسهم وزهدوا في الاستغفار[2].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها ﴿عَنْ ذِكْرِ اللّهِ﴾ كالصّلاة وسائر العبادات ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ لأنّهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: أن يرى دلائله ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي﴾: أمهلتني ﴿إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾: فأتصدّق. قال: «أصدّق، من

١ ـ بُرَحاء: شدّة الأذى. الصّحاح ١: ٣٥٥ (برح).
٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

الصّدقة»[١]. ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ﴾ قال: «أحجّ»[٢]. وقال: «الصّلاح الحجّ»[٣].

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُها﴾.

قال: «إنّ عند اللّه كتباً موقوفة يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، فإذا كان ليلة القدر أنزل اللّه فيها كلّ شيء يكون إلى مثلها، فذلك قوله "ولن يؤخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها": إذا أنزله اللّه، وكتبه كتاب السّماوات، وهو الّذي لا يؤخّره»[٤].

﴿وَاللّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.



١ و ٢ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٢، الحديث: ٦١٨.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٥٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة التّغابن

[مدنيّة ، وهي ثماني عشرة آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلّهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ . قال: «عرف اللّه إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها ، يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذرّ»[2] . ﴿وَاللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ حيث زيّنكم بصفوة أوصاف الكائنات ، وخصّكم بخلاصة خصائص المبدعات . وجعلكم أُنموذج جميع المخلوقات . ﴿وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ فأحسنوا سرائركم حتّى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم .

﴿يَعْلَمُ ما فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الكافي ١: ٤٢٦ ، الحديث: ٧٤ ؛ القمّي ٢: ٣٧١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كقوم نوح وهود وصالح ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: ضرر كفرهم في الدّنيا. وأصل الوبال: الثّقل. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾: أنكروا وتعجّبوا أن يكون الرّسل بشراً. والبشر يطلق على الواحد والجمع. ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن كلّ شيء فضلاً عن طاعتهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ قيل: يعني القرآن[١].

وقال: «النّور هو الإمام»[٢].

وفي رواية: «النّور واللّه الأئمّة[٣]، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار، وهم الّذين ينوّرون[٤] قلوب المؤمنين، ويحجب اللّه نورهم عمّن يشآء فتظلم قلوبهم»[٥]. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ لأجل ما فيه من الحساب والجزاء، والجمع: جمع الأوّلين والآخرين ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يغبن فيه بعضهم بعضاً.

قال: «يوم يغبن أهلُ الجنّة أهلَ النّار»[٦].

وقال: «ما من عبد يدخل الجنّة إلّا أُري مقعده من النّار لو أساء، ليزداد شكراً. وما من عبد يدخل النّار إلّا أُري مقعده من الجنّة لو أحسن، ليزداد حسرة»[٧].

١ ـ التّبيان ١٠: ٢١؛ الكشّاف ٤: ١١٥؛ البيضاوي ٥: ١٣٥.

٢ ـ الكافي ١: ١٩٦، ذيل الحديث: ٦، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «واللّه نور الأئمّة».

٤ ـ في المصدر: «وهم واللّه ينوّرون».

٥ ـ الكافي ١: ١٩٤، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩٩، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولٰئِكَ أَصْحابُ النّارِ خالِدِينَ فِيها وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ . الآيتان بيان للتّغابن وتفصيل له .

﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتقديره ومشيئته ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ .

قال: «إنّ القلب لَيَتَرَجْرَجُ[1] فيما بين الصّدر والحنجرة ، حتّى يعقد على الإيمان ، فإذا عقد على الإيمان قرّ ؛ وذلك قول اللّه عزّوجلّ: "ومن يؤمن باللّه يهد قلبه"»[2] .

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حتّى القلوب وأحوالها .

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ .

﴿اللَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾ يشغلكم عن طاعة اللّه ، ويخاصمكم في أمر الدّين أو الدّنيا .

﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ ولا تأمنوا غوائلهم ﴿وَإِنْ تَعْفُوا﴾ عن ذنوبهم ، بترك المعاقبة ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ بالإعراض ، وترك التّثريب عليها ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ بإخفائها ، وتمهيد معذرتهم فيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعاملكم بمثل ما عاملتم ، ويتفضّل عليكم .

قال: «إنّ الرّجل كان إذا أراد الهجرة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله تعلّق به ابنه وامرأته ، وقالوا: ننشدك اللّه أن تذهب عنّا وتدعنا فنضيع بعدك ، فمنهم من يطيع أهله فيقيم ، ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أما واللّه لئن لم تهاجروا معي ، ثمّ يجمع اللّه بيني وبينكم في دار الهجرة ، لا أنفعكم بشيء أبداً ، فلمّا جمع اللّه بينه وبينهم أمره اللّه أن يحسن إليهم ويصلهم ،

١ ـ تَرَجْرَجَ الشيء ، أي: جاء وذهب . الصّحاح ١: ٣١٧ (رجج) .
٢ ـ الكافي ٢: ٤٢١ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

فقال: "وإن تعفوا"، الآية»[١].

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ اختبار لكم. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن آثر محبّة اللّه وطاعته على محبّة الأموال والأولاد والسّعي لهم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: فابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ مواعظه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في وجوه الخير خالصاً لوجهه ﴿خَيْرًا﴾: إنفاقاً خيراً ﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾ حثّ على الإنفاق. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. سبق تفسيره[٢].

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بصرف المال فيما أمره ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: مقروناً بإخلاص وطيب نفس ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾: يجعل لكم بالواحد عشراً إلى سبعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركة الإنفاق ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾: يعطي الجزيل بالقليل ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: لا يخفى عليه شيء ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: تامّ القدرة والعلم.

١ ـ القمّي ٢: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ ذيل الآية: ١٢٨ من سورة النّساء.

سورة الطّلاق

[مدنيّة ، وهي اثنتا عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ﴾ . القمّي: المخاطبة للنّبيّ والمعنى للنّاس[2] .

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: «في قبل عدّتهنّ»[3] .

وقال: «العدّة: الطّهر من المحيض»[4] .

وفي رواية: «إذا أراد الرّجل الطّلاق ، طلّقها في قبل عدّتها بغير جماع»[5] .

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: اضبطوها ، وأكملوها ثلاثة قروء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويل العدّة والإضرار بهنّ . ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ ﴿وَلا يَخْرُجْنَ﴾ .

قال: «إنّما عني بذلك التي تطلّق تطليقة بعد تطليقة ، فتلك الّتي لا تَخرج ولا تُخرج

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٣ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٢ ، عن عليّ بن الحسين وأبي عبد الله عليهما السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٧٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ الكافي ٦: ٦٩ ، الحديث: ٩ ، عن أبي عبد الله ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

حتّى تطلّق الثالثة ، فإذا طلّقت الثالثة فقد بانت منه ، ولا نفقة لها . والمرأة الّتي يطلّقها الرّجل تطليقة ، ثمّ يدعها حتّى يخلو أجلها ، فهذه أيضاً تقعد في منزل زوجها ، ولها النّفقة والسّكنى حتّى تنقضي عدّتها»[١] .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قال: «يعني بالفاحشة المبيّنة أن تؤذي أهل زوجها ، فإذا فعلت ، فإن شاء أن يخرجها من قبل أن تنقضي عدّتها ، فَعَلَ»[٢] .

وفي رواية: «إلّا أن تزني ، فتخرج ويقام عليها الحدّ»[٣] .

وفي أخرى: «السّحق»[٤] .

والقمّي: أن تزني أو تشرف على الرّجال . ومن الفاحشة السّلاطة[٥] على زوجها[٦] .

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي﴾ أي: النّفس ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قال: «لعلّها أن تقع في نفسه فيراجعها»[٧] .

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: شارفن آخر عدّتهنّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجعوهنّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بحسن عُشْرَةٍ وإنفاق مناسب ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاء الحقّ والتّمتيع واتّقاء الضّرار ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على الطّلاق . القمّي: معطوف على قوله: "إذا طلّقتم النّساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ"[٨] .

قال لأبي يوسف القاضي[٩]: «إنّ اللّه تبارك وتعالى أمر في كتابه بالطّلاق وأكّد فيه

١ ـ الكافي ٦: ٩٠ ، الحديث: ٥ ، عن الكاظم عليه السلام .

٢ ـ المصدر: ٩٧ ، الحديث: ٢ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢٢ ، الحديث: ١٥٦٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ كمال الدّين ٢: ٤٥٩ ، الباب: ٤٣ ، قطعة من حديث: ٢١ ، عن القائم عليه السلام .

٥ ـ السّلاطة: حدّة اللّسان . يقال: رجل سَليط ، أي: صخّاب بذي اللّسان ، وامرأة سليطة كذلك . مجمع البحرين ٤: ٢٥٥ (سلط) .

٦ ـ القمّي ٢: ٣٧٤ .

٧ ـ الكافي ٦: ٩٢ ، الحديث: ١٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٨ ـ القمّي ٢: ٣٧٣ .

٩ ـ يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، أبو يوسف: صاحب أبي حنيفة وتلميذه وأوّل من ←

بشاهدين ، ولم يرض بهما إلّا عدلين ، وأمر في كتابه بالتّزويج ، فأهمله بلا شهود ؛ فأثبتم شاهدين فيما أهمل ، وأبطلتم الشّاهدين فيما أكّد!»[١] .

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهادَةَ﴾ أيّها الشّهود عند الحاجة ﴿لِلّٰهِ﴾: خالصاً لوجهه ﴿ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ قال: «من شبهات الدّنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة»[٢] .

وقال: «مخرجاً من الفِتَن ونوراً من الظُّلَم»[٣] .

ورد: «هي آية لو أخذ بها النّاس لكفَتْهم»[٤] .

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ قال: «في دنياه»[٥] . وقال: «أي: يبارك له فيما آتاه»[٦] .

و ورد: «من أتاه اللّه برزق لم يخط إليه برِجْله ، ولم يمدّ إليه يده ، ولم يتكلّم فيه بلسانه ، ولم يشدّ إليه ثيابه ، ولم يتعرّض له ، كان ممّن ذكره اللّه في كتابه: "ومن يتّق اللّه" ، الآية»[٧] .

و ورد: «إنّ قوماً لمّا نزلت هذه الآية أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة ، فقال لهم النّبيّ صلى الله عليه وآله: من فعل ذلك لم يستجب له ، عليكم بالطّلب»[٨] .

← نشر مذهبه . تولّى القضاء في بغداد أيّام المهدي والهادي والرشيد ، وهو أوّل من دُعي «قاضي القضاة» . ولد بالكوفة سنة: ١١٣هـ ، ومات في خلافته ببغداد ، سنة: ١٨٢هـ . الأعلام (للزّركلي) ٨: ١٩٣

١ ـ الكافي ٥: ٣٨٧ ، الحديث: ٤ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٦ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٣ ـ نهج البلاغة (صبحي الصّالح) ٢٦٦ ، الخطبة: ١٨٣ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٧٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٧ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١٠١ ، الحديث: ٣٩٩ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٨ ـ الكافي ٥: ٨٤ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء، ليس عندهم ما يتحمّلون به إلينا، فيسمعون حديثنا ويقتبسون من علمنا، فيرحل قوم فوقهم وينفقون أموالهم ويتعبون أبدانهم، حتّى يدخلوا علينا؛ فيسمعوا حديثنا فينقلوه إليهم؛ فيعيه هؤلاء ويضيّعه هؤلاء. فأُولئك الّذين يجعل اللّه لهم مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون»[١].

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾: يبلغ ما يريده، ولا يفوته مراد ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ تقديراً أو مقداراً لا يتغيّر. وهو بيان لوجوب التّوكّل، وتقرير لما تقدّم من الأحكام، وتمهيد لما سيأتي من المقادير.

قال: «التّوكّل على اللّه درجات، منها: أن تتوكّل على اللّه في أُمورك كلّها؛ فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنّه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له»[٢].

وسأل النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله جبرئيل: ما التّوكّل على اللّه؟ فقال: «العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق. فإذا كان العبد كذلك؛ لم يعمل لأحد سوى اللّه، ولم يرج ولم يخف سوى اللّه، ولم يطمع في أحد سوى اللّه، فهذا هو التّوكّل»[٣].

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ فلا يحضن ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: شككتم في أمرهنّ، فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهنّ أم لعارض ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

قال: «هنّ اللّواتي أمثالهنّ يحضن؛ لأنّهنّ لو كنّ في سنّ من لا تحيض لم يكن للارتياب معنى»[٤].

﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني واللّائي لم يحضن بعد كذلك ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ

١ ـ الكافي ٨: ١٧٨، الحديث: ٢٠١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٢: ٦٥، الحديث: ٥، عن الكاظم عليه السلام.
٣ ـ معاني الأخبار: ٢٦٠، الحديث: ١.
٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٧، عن أئمّتنا عليهم السلام.

أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال: «هي في الطّلاق خاصّة»[١].

أقول: وذلك لأنّ عدّتهنّ في الموت أبعد الأجلين، كما ورد في أخبار كثيرة[٢].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في أحكامه، فيراعي حقوقها ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾: يسهّل عليه أمره ويوفّقه للخير.

﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمره ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ فإنّ الحسنات يذهبن السّيّئات ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ بالمضاعفة.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: مكاناً من سكناكم ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ من وسعكم ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ﴾ في السّكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾: «فتلجئوهنّ إلى الخروج قبل انقضاء عدّتهنّ». كذا ورد[٣].

قال: «والمطلّقة ثلاثاً ليس لها نفقة على زوجها، إنّما هي التي لزوجها عليها رجعة»[٤].

﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من العدّة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاع علاقة النّكاح ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾: وليأتمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر. ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾: تضايقتم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرىٰ﴾: امرأة أخرى؛ وفيه معاتبة للأمّ على المعاسرة.

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ عاجلاً أو آجلاً.

١ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٣٠٧، عن أئمّتنا عليهم السلام.

٢ـ الكافي ٦: ١١٤، الحديث: ٢، ٤، ٥ و ٦؛ المصدر ٥: ٤٢٧، الحديث: ٤ و ٥؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٣٠، الحديث: ١٥٩٧.

٣ـ الكافي ٦: ١٢٣، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ المصدر: ١٠٤، الحديث: ١ و ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

هذا الحكم يجري في كلّ إنفاق فقد ورد: إنّه سئل عن الرّجل الموسر يتّخذ الثّياب الكثيرة الجياد، والطّيالسة[1] والقمص الكثيرة؛ يصون بعضها بعضاً، يتجمّل بها، أيكون مسرفاً؟ قال: «لا، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: "لينفق ذو سعة من سعته"»[2].

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ﴾: أعرضت عنه إعراض العاتي ﴿فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً﴾: منكراً.

﴿فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً﴾.

﴿أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللّهَ يا أُولِي الأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾.

﴿رَسُولاً﴾. «الذّكر: رسول الله». كذا ورد[3]. ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِ اللّهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من الضّلالة إلى الهدى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللّهُ لَهُ رِزْقاً﴾.

﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. في العدد ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: يجري أمر الله وقضاؤه بينهنّ، وينفذ حكمه فيهنّ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾.

ورد ما ملخّصه: «إنّ السّماء الدّنيا فوق هذه الأرض قبّة عليها، والأرض الثّانية فوق السّماء الدّنيا والسّماء الثّانية فوقها قبّة، والأرض الثّالثة فوق السّماء الثّانية والسّماء الثّالثة

١ ـ الطّيالسة، واحدة: الطّيلسان، مثلّثة اللّام: ثوب يحيط بالبدن يُنسج للّبس، خالٍ عن التفصيل والخياطة. وهو من لباس العجم. والهاء في الجمع للعجمة؛ لأنّه فارسي، معرّب: تالِشان. مجمع البحرين ٤: ٨٢ (طيلس).

٢ ـ الكافي ٦: ٤٤٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، قطعة من حديث: ١.

فوقها قبّة ، وهكذا إلى السّابعة من كلّ منهما . وعرش الرّحمان فوق السّماء السّابعة ، وهو قول اللّه: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماوٰاتٍ طِبٰاقاً" الآية[١] . قال: فأمّا صاحب الأمر فهو رسول اللّه ، والوصيّ بعد رسول اللّه قائم هو على وجه الأرض ، فإنّما يتنزّل الأمر إليه من فوق السّماء بين السّماوات والأرضين . وقال: ما تحتنا إلّا أرض واحدة وإنّ السّتّ لهي فوقنا»[٢] .

أقول: كأنّه عليه السلام جعل كلّ سماء أرضاً بالإضافة إلى ما فوقها وسماء بالإضافة إلى ما تحتها ، فيكون التّعدّد باعتبار تعدّد سطحيها .



١ ـ سورة الملك (٦٧): ٣ .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٢٩ ، ذيل الآية: ٧ من سورة الذّاريات ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

سورة التّحريم

[مدنيّة ، وهي اثنتا عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

قال: «اطّلعت عائشة وحفصة على النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو مع مارية . فقال صلى الله عليه وآله : واللّه ما أقربها . فأمره اللّه أن يكفّر عن يمينه»[2] .

وروي: «إنّه خلا بمارية في يوم حفصة أو عائشة ، فاطّلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه ؛ فحرّم مارية ، فنزلت»[3] .

﴿قَدْ فَرَضَ اللّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ﴾: قد شرع لكم تحليلها ، وهو حلّ ما عقدتم بالكفّارة . ﴿وَاللّهُ مَوْلاكُمْ﴾: متولّي أمركم ﴿وَهُوَ العَلِيمُ﴾ بما يصلحكم . ﴿الحَكِيمُ﴾: المتقن في أفعاله وأحكامه .

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ﴾ يعني حفصة ﴿حَدِيثاً﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٣٨ .

ورد: «إنّه لمّا حرّم مارية على نفسه أخبر حفصة: أنّه يملك من بعده أبو بكر وعمر»[١].

وفي رواية: «قال لها: إن أنت أخبرت به فعليك لعنة اللّه والملائكة والنّاس أجمعين، فأخبرت حفصة عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر»[٢].

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾: أخبرت به ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: وأطلع اللّه النبيّ صلى الله عليه وآله على الحديث، أي: على إفشائه ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾: عرّف الرّسول بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾: عن إعلام بعض تكرّماً.

قال: «إنّ كلّ واحدة منهما حدّثت أباها بذلك، فعاتبهما في أمر مارية. وما أفشتا عليه من ذلك، وأعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر»[٣].

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ خطابٌ لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: فقد وجد منكما ما يوجب التّوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب، من مخالصة الرّسول صلى الله عليه وآله بحبّ ما يحبّه وكراهة ما يكرهه. ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾: وإن تتظاهرا عليه بما يسوؤه.

وفي قراءتهم عليهم السلام: «وإن تظاهروا عليه»[٤]. كأنّهم عليهم السلام أشركوا معهما أبويهما. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فلن يعدم من يظاهره، فإنّ اللّه ناصره، وجبريل رئيس الكرّوبيين قرينه، وعليّ بن أبي طالب أخوه ووزيره ونفسه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾: مظاهرون.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية أخذ رسول اللّه صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام وقال: يا أيّها النّاس هذا

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٤؛ الكشّاف ٤: ١٢٤.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٦.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ جوامع الجامع: ٤٩٩، عن الكاظم عليه السلام.

صالح المؤمنين»[١]. وفي معناه أخبار كثيرة[٢].

﴿عَسىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ﴾: صائمات، كما مرّ في سورة التّوبة[٣] ﴿ثَيِّباتٍ وَأَبْكاراً﴾ وسّط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنّهما في حكم صفة واحدة، إذ المعنى مشتملات على الثّيّبات والأبكار.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي وفعل الطّاعات ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنّصح والتّأديب ﴿ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ﴾ تلي أمرها، وهم الزّبانية ﴿غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكي، وقال: عجزت عن نفسي، كلّفت أهلي. فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك»[٤].

وزاد في رواية: «فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك»[٥].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك عند دخولهم النّار، والنّهي عن الاعتذار لأنّه لا عذر لهم، أو العذر لا ينفعهم.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾: بالغة في النّصح. أسند صفة التّائب إلى التّوبة مبالغة. ورد: إنّه سئل عنها، فقال: «يتوب العبد من الذّنب ثمّ لا يعود

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ التبيان ١٠: ٤٨؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٨: ١٩٢؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٤١٥؛ الدّرّ المنثور ٨: ٢٢٤.

٣ ـ ذيل الآية: ١١٢.

٤ ـ الكافي ٥: ٦٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ المصدر، الحديث: ٢؛ القمّي ٢: ٣٧٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

فيه»[١]. قيل له: وأيّنا لم يعد؟! فقال: «إنّ اللّه يحبّ من عباده المفتّن التوّاب»[٢].

وفي رواية: «التّوبة النّصوح: أن يكون باطن الرّجل كظاهره وأفضل»[٣].

و ورد: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه اللّه؛ فستر عليه في الدّنيا والآخرة. قيل: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذّنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتُمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتُمي ما كان يعمل عليك من الذّنوب، فيلقى اللّه حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذّنوب»[٤].

﴿عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾.

ذكر بصيغة الإطماع، جرياً على عادة الملوك، وإشعاراً بأنّه تفضّل، وأنّ العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء. ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ﴾.

قال: «يسعى أئمّة المؤمنين يوم القيامة بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم، حتّى ينزلوهم منازلهم في الجنّة»[٥].

وفي رواية: «فمن كان له نور يومئذٍ نجا، وكلّ مؤمن له نور»[٦].

﴿يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَالْمُنافِقِينَ﴾ قال: «بإلزام الفرائض»[٧].

وفي رواية: «فجاهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله الكفّار، وجاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد

١ ـ الكافي ٢: ٤٣٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ المصدر، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ معاني الأخبار: ١٧٤، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٢: ٤٣٠، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٧٨؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ القمّي ٢: ٣٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ القمّي ١: ٣٠١، ذيل الآية: ٧٣ من سورة التّوبة، عن أبي جعفر عليه السلام.

عليّ عليه السلام جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله»[١].

وفي أُخرى: إنّه قرأ: «جاهد الكفّار بالمنافقين. قال: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله لم يقاتل منافقاً قطّ، إنّما كان يتألّفهم»[٢]. وتمام بيانه مضى في التّوبة[٣].

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنّفاق والتّظاهر على الرّسولين. مثّل اللّه حال الكفّار والمنافقين ـ في أنّهم يعاقبون بكفرهم ونفاقهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النّبيّ والمؤمنين؛ من النّسبة والوصلة ـ بحال إمرأة نوح وإمرأة لوط.

وفيه تعريض بعائشة وحفصة في خيانتهما رسول اللّه صلى الله عليه وآله، بإفشاء سرّه، ونفاقهما إيّاه، وتظاهرهما عليه، كما فعلت امرأتا الرّسولين.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾: فلم يغن الرّسولان عنهما بحق الزّواج إغناء مّا ﴿وَقِيلَ﴾ لهما بعد موتهما وقيام السّاعة ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ الّذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾. ومثّل حال المؤمنين في أنّ وصلة الكافرين لا تضرّهم بحال آسية ومنزلتها عند اللّه، مع أنّها كانت تحت أعدى أعداء اللّه ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: من نفسه الخبيثة وعمله السّيّئ ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: من القبط التّابعين له في الظّلم.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ القمّي: لم ينظر إليها[٤]. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾:

١ ـ القمّي ٢: ٣٧٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ ذيل الآية: ٧٣.
٤ ـ القمّي ٢: ٧٥، ذيل الآية: ٩١ من سورة الأنبياء.

في فرجها ﴿مِنْ رُوحِنا﴾ قال: «روح مخلوقة»[١]. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ﴾ القمّي: من الدّاعين[٢]. والتّذكير للتّغليب والإشعار بأنّ طاعتها لم تقصر عن طاعة الرّجال الكاملين؛ حتّى عدّت منهم.

ورد: «كمل من الرّجال كثير، ولم يكمل من النّساء إلّا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله»[٣].

ورد: «إنّهنّ أفضل نساء أهل الجنّة أجمعين»[٤].



١ـ القمّي ٢: ٧٥، ذيل الآية: ٩١ من سورة الأنبياء.

٢ـ المصدر: ٣٧٨.

٣ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٣٢٠، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٤ـ الخصال ١: ٢٠٦، ذيل الحديث: ٢٢، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، مع تفاوت.

سورة الملك

[مكيّة ، وهي ثلاثون آية][1]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: بقبضة قدرته التّصرّف في الأُمور كلّها ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ﴾ القمّي: قدّرهما . ومعناه: قدّر الحياة ثمّ الموت[2] . ورد: «إنّ اللّه خلق الحياة قبل الموت»[3] .

وقال: «الحياة والموت خلقان من خلق اللّه . فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان، لم يدخل في شيء إلّا وقد خرجت منه الحياة»[4] .

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليعاملكم معاملة المختبر بالتّكليف ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ وذلك لأنّ الموت داع إلى حُسْن العمل ، وموجب لعدم الوثوق بالدّنيا ولذّاتها الفانية ، وبالحياة يقتدر على الأعمال الصّالحة الخالصة .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٨ .

٣ ـ الكافي ٨: ١٤٥ ، الحديث: ١١٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الكافي ٣: ٢٥٩ ، الحديث: ٣٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

قال: «أيّكم أحسن عقلاً، ثمّ قال: أتمّكم عقلاً، وأشدّكم لله خوفاً، وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً؛ وإن كانوا أقلّكم تطوّعاً»[١].

وقال: «ليس يعني أكثر عملاً، ولكن أصوبكم عملاً. وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصّادقة ثمّ قال: الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص الّذي لاتريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ»[٢].

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب منهم.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبَاقاً﴾: مطابقة، قال: «بعضها فوق بعض»[٣]. ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾: من اختلاف. القمّي: يعني من فساد[٤]. ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾: من خلل. يعني قد نظرتَ إليها مراراً، فانظر إليها مرّة أُخرى متأمّلاً فيها؛ لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: رجْعتين أُخريين في ارتياد الخلل. والمراد بالتّثنية التّكرير والتّكثير، كما في لبّيك وسعديك. والقمّي: أُنظر في ملكوت السّماوات والأرض[٥]. ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً﴾: بعيداً عن إصابة المطلوب، كأنّه طرد عنه طرداً بالصّغار ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: كليل، من طول المعاودة وكثرة المراجعة.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: أقرب السّماوات إلى الأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾: بالنّجوم ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ ترجم بها. قيل: أُريد به انقضاض الشّهب المسبّبة عنها[٦]. وقيل: أي رجوماً بالغيب لشياطين الإنس، وهم المنجّمون[٧]. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٢٢، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٢ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ٣٨٧، ذيل الآية: ١٥ من سورة نوح، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر.
٥ـ القمّي ٢: ٣٧٨.
٦ـ البيضاوي ٥: ١٤٦.
٧ـ الكشّاف ٤: ١٣٦.

﴿السَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشّهب في الدّنيا .

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ من الشّياطين وغيرهم ﴿عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

﴿إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً﴾: صوتاً كصوت الحمير ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي بهم غليان المِرْجَل[1] بما فيه .

﴿تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: تتفرّق غضباً عليهم ، وهو تمثيل لشدّة اشتعالها . القمّي: "من الغيظ" على أعداء الله[2] . ﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يخوّفكم هذا العذاب ؛ وهو توبيخ وتبكيت .

﴿قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: نفينا الإنزال والإرسال رأساً ، وبالغنا في نسبتهم إلى الضّلال .

﴿وَقالُوا لَوْ كُنّا نَسْمَعُ﴾ كلام الرّسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش ؛ اعتماداً على صدقهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ فنتفكّر في حكمه ومعانيه تفكّر المستبصرين ﴿ما كُنّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ .

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ حين لا ينفعهم ﴿فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ فأسحقهم الله سحقاً ، أي: أبعدهم بُعداً من رحمته . والقمّي: قد سمعوا وعقلوا ، ولكنّهم لم يطيعوا ولم يقبلوا ؛ كما يدلّ عليه اعترافهم بذنبهم[3] .

ورد: «إنّ هذه الآيات في أعداء عليّ وأولاده ، والّتي بعدها في أوليائهم»[4] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ تصغر دونه لذائذ الدّنيا .

١ ـ المِرْجَلُ: قِدْر من نُحاس . الصّحاح ٤: ١٧٠٥ (رجل) .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٨ .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٧٨ .

٤ ـ الاحتجاج ١: ٨٠، عن أبي عبد الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ، في خطبة الغديريّة .

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾. روي: «إنّ المشركين كانوا يتكلّمون فيما بينهم بأشياء، فيخبر اللّه بها رسوله، فيقولون: أسرّوا قولكم لئلّا يسمع إله محمّد صلى الله عليه وآله، فنبّه اللّه على جهلهم»[1]. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بالضّمائر قبل أن يعبّر بها.

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: يصل علمه إلى ما بَطَنَ وإن صَغُرَ ولَطُفَ، ولا يعزب عنه شيء.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً﴾: ليّنة؛ يسهل لكم السّلوك فيها ﴿فَامْشُوا فِي مَناكِبِها﴾: في جوانبها أو جبالها، فإذا كانت في الذّلّ بحيث يمشي في مناكبها؛ لم يبق شيء منها لم يتذلّل. ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: والتمسوا من نِعَمِ اللّه ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: المرجع، فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم.

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ﴾ يعني الملائكة الموكّلين على تدبير هذا العالم ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ فيغيبكم فيها، كما فعل بقارون ﴿فَإِذا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرب.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً﴾: أن يمطر عليكم حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به، ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم، بإنزال العذاب؛ وهو تسلية للرّسول صلى الله عليه وآله وتهديد لقومه.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ﴾: باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها، فإنّهنّ إذا بسطنها صففن قوادمها ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ وقتاً بعد وقت، للاستعانة بها على التحرّك ﴿ما يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الجوّ على خلاف الطّبع ﴿إِلَّا الرَّحْمنُ﴾: الواسع رحمته كلّ شيء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: يعلم كيف ينبغي أن يخلقه.

١ ـ البيضاوي ٥: ١٤٢.

﴿أَمْ مَنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ﴾ يعني: أولم تنظروا في أمثال هذه الصّنائع، فتعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف أو إرسال حاصب، أم هذا الذي تعبدونه من دون اللّه، لكم جند ينصركم من دون اللّه؛ أن يرسل عليكم عذابه؟!. فهو كقوله: "أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا"[1]. وفيه إشعار بأنّهم اعتقدوا القسم الثّاني. ﴿إِنِ الكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: لا معتمد لهم.

﴿أَمْ مَنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ بإمساك المطر وسائر الأسباب المحصّلة والموصلة له إليكم ﴿بَلْ لَجُّوا﴾: تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾: عناد ﴿وَنُفُورٍ﴾: وشراد عن الحقّ لتنفّر طباعهم عنه.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: يعثر كلّ ساعة ويخرّ على وجهه لِوُعُورَةِ[2] طريقه، بحيث لا يستأهل أن يسلك ﴿أَهْدَىٰ أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيّاً﴾: قائماً سالماً من العثار ﴿عَلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: مستوي الأجزاء والجهة، صالح للسّلوك؛ وهو تمثيل للمشرك والموحّد بالسّالكين، ولدينيهما بالمسلكين.

و ورد: «القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أنور. فأمّا المطبوع فقلب المنافق، وأما الأزهر فقلب المؤمن؛ إن أعطاه اللّه عزّوجلّ شكَرَ، وإن ابتلاه صَبَرَ. وأمّا المنكوس فقلب المشرك، ثمّ قرأ هذه الآية وذكر الرّابع»[3].

وقال: «إنّ اللّه ضرب مثل من حاد عن ولاية عليّ كمَنْ يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم. والصّراط المستقيم: أمير المؤمنين عليه السلام»[4].

١ ـ الانبياء (٢١): ٤٣.

٢ ـ الوَعْرُ: المكان الحَزْن ذو الوُعُورَة، ضدّ السَّهْل. لسان العرب ٥: ٢٨٥ (وعر).

٣ ـ الكافي ٢: ٤٢٢، الحديث: ٢؛ معاني الأخبار: ٣٩٥، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣٣، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ لتسمعوا مواعظه، وتنظروا إلى صنائعه، وتتفكّروا وتعتبروا ﴿قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ باستعمالها فيما خلقت لأجلها.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الوَعْدُ﴾ أي: الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّما العِلْمُ﴾: علم وقته ﴿عِنْدَ اللّهِ﴾: لا يطّلع عليه سواه ﴿وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿فَلَمّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: ذا قرب ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بان عليها الكآبة[1]؛ وساءتها رؤيته ﴿وَقِيلَ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾: تطلبون وتستعجلون.

و ورد: «هذه نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه؛ الّذين عملوا ما عملوا. يرون أمير المؤمنين عليه السلام في أغبط الأماكن[2] لهم، فيسيء وجوههم، ويقال لهم: "هذا الّذي كنتم به تدّعون"، الّذي انتحلتم اسمه»[3].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللّهُ﴾: أماتني ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنا﴾ بتأخير آجالنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: لا ينجيهم أحد من العذاب؛ متنا أو بقينا. وهو جواب لقولهم: "نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ"[4].

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ﴾ الّذي أدعوكم إليه، مولى النّعم كلّها ﴿آمَنّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ منّا ومنكم.

١ ـ كَئِبَ يَكْأَبُ كَآبَةً وكَأْباً وكَأْبَةً: حَزِنَ أشدّ الحزن. المصباح المنير ٢: ٢٣٧ (كئب).

٢ ـ أي: أحسن مكان يغبط الناس عليه ويتمنّونه. وفي القاموس المحيط (٢: ٣٨٩ ـ غبط): الغِبطة ـ بالكسر ـ حسن الحال والمسرّة وتمنّي نعمة على أن لا تتحوّل عن صاحبها. مرآة العقول ٥: ٨٥.

٣ ـ الكافي ١: ٤٢٥، الحديث: ٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الطّور (٥٢): ٣٠.

قال: «فستعلمون يا معشر المكذّبين، حيث أنبأتكم رسالة ربّي في ولاية عليّ عليه السلام والأئمّة من بعده، من هو في ضلال مبين. كذا أُنزلت»[1].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً﴾: غائراً في الأرض، بحيث لا تناله الدّلاء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ﴾: جارٍ أو ظاهرٍ سَهْل التّناول.

قال: «هذه نزلت في الإمام القائم. يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السّماوات والأرض، وحلال اللّه وحرامه؟ ثمّ قال: واللّه ما جاء تأويل هذه الآية، ولا بدّ أن يجيء تأويلها»[2].



١ ـ الكافي ١: ٤٢١، الحديث: ٤٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ كمال الدّين ١: ٣٢٦، الباب: ٣٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة القلم

[مكيّة ، وهي اثنتان وخمسون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿نٓ وَالقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ﴾ قال: «وأمّا "ن" فهو نهر في الجنّة . قال اللّه عزّ وجلّ: أجْمِدْ ، فجَمَدَ ، فصار مداداً ، ثمّ قال عزّوجلّ للقلم: اكتُبْ ، فسطر القلم في اللّوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة . فالمداد مدادٌ من نور ، والقلم قلمٌ من نور ، واللّوح لوحٌ من نور ، ثمّ قال: فنون ملك يؤدّي إلى القلم وهو ملك ، والقلم يؤدّي إلى اللّوح وهو ملك ، واللّوح يؤدّي إلى إسرافيل ، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل ، وميكائيل يؤدّي إلى جبرئيل ، وجبرئيل يؤدّي إلى الأنبياء والرّسل صلوات اللّه عليهم»[2] .

و ورد: «أوّل ما خلق اللّه القلم فقال له: اكتُبْ ، فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة»[3] .

وفي رواية: «"ن" اسم رسول اللّه صلّى الله عليه وآله»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٣ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ١٩٨ ، ذيل الآية: ٣ من سورة سبأ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ الخصال ٢: ٤٢٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦٨٥ ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام .

﴿ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم ، أي: ما أنت بمجنون ، منعماً عليك بالنبوّة وحصافة الرّأي ؛ وهو جواب لقولهم: "يا أيّها الّذي نُزِّلَ عَلَيهِ الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجنُونٌ"[١] .

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على تحمّل أعباء الرّسالة وقيامك بمواجبها ﴿لَأَجْراً﴾: لثواباً ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع ، أو غير ممنون به عليك .

﴿وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله غيرك .

قال: «إنّ اللّه أدّب نبيّه على محبّته[٢] ، فلمّا أكمل له الأدب . قال: "إنّك لعلى خلق عظيم"»[٣] .

وفي رواية: «يقول على دين عظيم»[٤] . وفي أُخرى: «هو الإسلام»[٥] .

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ .

﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾: أيّكم الذي فتن بالجنون ، والباء مزيدة ؛ أو بأيّكم أحرى هذا الاسم ، قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ما من مؤمن إلّا وقد خلص ودّي إلى قلبه ، وما خلص ودّي إلى قلب أحد الّا وقد خلص ودّ عليّ إلى قلبه ، كَذَبَ يا عليّ من زعم أنّه يحبّني ويبغضك . قال: فقال رجلان من المنافقين: لقد فتن رسول اللّه بهذا الغلام! فأنزل اللّه تبارك وتعالى: "فستبصر ويبصرون بأيّكم المفتون" . قال: نزلت فيهما . إلى آخر الآيات»[٦] .

والمشهور أنّها نزلت في الوليد بن المغيرة[٧] ، كان يمنع عشيرته عن الإسلام ، وكان

١ ـ الحجر (١٥): ٦ .

٢ ـ الكافي ١: ٢٦٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٢٦٦ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ معاني الأخبار: ١٨٨ ، ذيل الحديث: ١ .

٥ ـ معاني الاخبار: ١٨٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ المحاسن: ١٥١ ، الحديث: ٧١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٧ ـ الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهليّة ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها . وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم ، فعاداه وقاوم دعوته ، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وهو والد خالد بن الوليد . الأعلام (للزّركلي) ٨: ١٢٢ .

موسراً وله عشر بنين ، فكان يقول لهم ولِلُحْمَتِهِ: من أسلم منكم منعته رفدي ، وكان دعـيّاً ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ . ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾: تُلاينُهم فيُلايِنُونَكَ . القمّي: أي: أحبّوا أن تغشّ في عليّ فيغشّون معك[1] .

﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحلف ﴿مَهِينٍ﴾: حقير الرّأي .

﴿هَمَّازٍ﴾: عيّاب طعّان ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقّال للحديث على وجه السّعاية .

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: يمنع النّاس عن الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصّالح ﴿مُعْتَدٍ﴾: متجاوز في الظّلم ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الآثام .

﴿عُتُلٍّ﴾: جاف غليظ . قال: «عظيم الكفر»[2]. ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد ما عَدَّ من مثالبه ﴿زَنِيمٍ﴾ قال: «الذي لا أصل له»[3] وفي رواية: «المستهتر بكفره»[4] .

وسئل النّبي صلّى الله عليه وآله عن العتلّ الزّنيم ، فقال: «هو الشّديدُ الخُلق ، المصحَّحُ ، الأكول الشّروب ، الواجدُ للطّعام والشّراب ، الظّلومُ للنّاس ، الرّحبُ[5] الجوف»[6] . والقمّي: الزّنيم الدّعيّ[7] .

١ـ القمّي ٢: ٣٨٠ .

٢ـ معاني الأخبار: ١٤٩ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦٨٧، عنهم صلوات الله عليهم .

٣ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٣٣٤ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٤ـ معاني الأخبار: ١٤٩ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٥ـ في المصدر: «الرحيب الجوف». ورجل رَحِيبُ الجوف: واسعها. لسان العرب ١: ٤١٤ (رحب).

٦ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٣٣٤ ؛ كنز العمّال ٢: ٥٤٠ ، الحديث: ٤٦٧٨ .

٧ـ القمّي ٢: ٣٨٠ .

﴿أَنْ كانَ ذا مالٍ وَبَنِينَ﴾: لأن كان متموّلاً مستظهراً بالبنين.

﴿إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: أكاذيبهم، قاله من فرط غروره.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ﴾: على الأنف. قيل: وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر، فبقي أثره[1]. وقيل: إنّه كناية عن أن يذلّه غاية الإذلال، كقولهم: جدع أنفه ورغم أنفه[2].

والقمّي: كناية عن الثّاني. وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام إذا رجع ورجع أعداؤه يسمهم بميسم معه، كما توسم البهائم على الخراطيم،، الأنف والشّفتان[3].

﴿إِنّا بَلَوْناهُمْ﴾: اختبرنا أهل مكّة بالقحط ﴿كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الجَنَّةِ﴾ قيل: أصحاب البستان الذي كان دون صنعاء لشيخ، وكان يمسك منها قدر كفايته ويتصدّق بالباقي فلمّا مات قال بنوه: نحن أحقّ بها لكثرة عيالنا، ولا يسعنا أن نفعل كما فعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين[4]. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ﴾: ليقطعنّها وقت الصّباح.

﴿وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾: ولا يقولون: إن شاء اللّه.

﴿فَطافَ عَلَيْها﴾: على الجنّة ﴿طائِفٌ﴾: بلاء طائف ﴿مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قيل: كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء، أو كاللّيل المظلم باحتراقها واسودادها. أو كالنّهار بابيضاضها من فرط اليبس[5]. والصّريمان اللّيل والنّهار لانصرام أحدهما من الآخر[6].

﴿فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ﴾.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلىٰ حَرْثِكُمْ﴾: أخرجوا إليه غدوة؛ ضمن معنى الإقبال أو الاستيلاء،

١ و ٢ ـ البيضاوي ٥: ١٤٤؛ تفسير الكبير ٣٠: ٨٦.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨١.

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٨: ٢٤٠، عن ابن عبّاس.

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٤٥.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٣٦، عن ابن عباس وأبي عمرو بن العلاء.

فعُدّي بـ«على» . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ﴾: قاطعين له .

﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ﴾: يتسارّون فيما بينهم .

﴿أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ .

﴿وَغَدَوْا عَلىٰ حَرْدٍ قادِرِينَ﴾ قيل: أي: على نكد قادرين لا غير ، مكان قدرتهم على الانتفاع يعني: إنّهم عزموا أن يتنكّدوا على المساكين ، فتنكّد عليهم ، بحيث لم يقدروا فيها إلّا على النّكد والحرمان[1] .

﴿فَلَمّا رَأَوْها قالُوا إِنّا لَضالُّونَ﴾: ظللنا طريق جنّتنا وما هي بها .

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: بعدما تأمّلوا وعرفوا أنّها هي ، قالوا: بل نحن حُرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا .

﴿قالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: خيرهم وأعدلهم قولاً ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾: لولا تذكرون اللّه ، وتشكرونه بأداء حقّه .

﴿قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ .

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضاً ، فإنّ منهم من أشار بذلك ، ومنهم من استصوبه ، ومنهم من سكت راضياً ، ومنهم من أنكره .

﴿قالُوا يا وَيْلَنا إِنّا كُنّا طاغِينَ﴾: متجاوزين حدود اللّه .

﴿عَسىٰ رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها إِنّا إِلىٰ رَبِّنا راغِبُونَ﴾: راجون العفو ، طالبون الخير . روي: «إنّهم أبدلوا خيراً منها»[2] .

﴿كَذٰلِكَ﴾: مثل ما بلونا به أهل مكّة وأصحاب الجنّة ﴿الْعَذابُ﴾ في الدّنيا ﴿وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لاحترزوا عمّا يؤدّيهم إلى العذاب .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾ .

١ ـ البيضاوي ٥: ١٤٥ .

٢ ـ الكشّاف ٤: ١٤٥؛ البيضاوي ٥: ١٤٥ .

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ إنكار لقولهم: إن صحّ أنّا نبعث كما يزعم محمّد ومن معه لم يفضلونا، بل نكون أحسن حالاً منهم، كما نحن عليه في الدّنيا.

﴿ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ التفاتٌ فيه تعجيبٌ مِن حكمهم واستبعادٌ له، وإشعارٌ بأنّه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتابٌ﴾ من السّماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تقرؤون.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ﴾: إنّ لكم ما تختارونه وتشتهونه.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا﴾: عهود مؤكّدة بالإيمان ﴿بالِغَةٌ﴾: متناهية في التّوكيد ﴿إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة، لا نخرج عن عهدته حتّى نحكّمكم في ذلك اليوم ﴿إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم المضمّن في "أم لكم أيمان".

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ﴾: بذلك الحكم كفيل يدّعيه ويصحّحه.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ﴾ يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين، أو يشاركونهم في هذا القول؛ فهم يقلّدونهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: يوم يشتدّ الأمر ويصعب الخطب. وكشف السّاق مَثَلٌ في ذلك، وأصله تشمير المخدّرات عن سوقهنّ في الهرب.

قال: «أُفْحِمَ[1] القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؛ لما رهقهم من الندامة والخزي والذّلّة»[2].

وقال: «حجاب من نور يكشف، فيقع المؤمنون سجّداً، ويُدَبَّخُ[3] أصلاب المنافقين،

١ ـ الإفحام: الإسكات بالحجّة. المصباح المنير ٢: ١٣٥ (فحم).

٢ ـ التّوحيد: ١٥٤، الباب: ١٤، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٣٩، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

٣ ـ دبّخ الرجل تدبيخاً: إذا قبّب ظهره وطأطأ رأسه، «الصّحاح ١: ٤٢٠ ـ دبخ». وفي المصدرين: تُدْمَجُ». ←

فلا يستطيعون السّجود»[١]. ﴿وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ﴾ قال: «أي: مستطيعون، يستطيعون الأخذ بما أُمروا به، والتّرك لما نهوا عنه، ولذلك ابتلوا»[٢].

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الحَدِيثِ﴾: كِلْهُ إليّ. فإنّي أكفيكه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سندنيهم من العذاب درجة درجة، بالإمهال وإدامة الصّحّة وازدياد النّعمة وإنساء الذّكر ﴿مِنْ حَيْثُ لايَعْلَمُونَ﴾ أنّه استدراج.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: وأُمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يدفع بشيء. وقد مضى تمام تفسيره في سورة الأعراف[٣].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً﴾ على الإرشاد ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾: من غرامة ﴿مُثْقَلُونَ﴾ بحملها، فيعرضون عنك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم. ﴿وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ﴾ يعني يونس بن متى، لمّا دعا على قومه ثمّ ذهب مغاضباً لله ﴿إِذْ نادىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال: «أي: مغموم»[٤].

﴿لَوْلا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: التّوفيق للتّوبة وقبولها. القمّي: النّعمة: الرّحمة[٥]. ﴿لَنُبِذَ بِالعَراءِ﴾ القمّي: الموضع الذي لا سقف له[٦]. ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: مليم.

← والدمج: دخول شيء في شيء مستحكماً؛ كأنّه يدخل في أصلابهم شيء يمنعهم عن الانحناء فلا يستطيعون السجود.

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢١، الباب: ١١، ذيل الحديث: ١٤؛ التّوحيد: ١٥٤، الباب: ١٤، الحديث: ١، عن أبي الحسن عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ٣٤٩، الباب: ٥٦، الحديث: ٩، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «وبذلك ابتلوا».

٣ ـ ذيل الآية: ١٨٢ ـ ١٨٣.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٨٣.

٦ ـ القمّي ٢: ٣٨٣.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ بأن ردّ الوحي إليه ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ .

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني أنّهم لشدّة عداوتهم ، وانبعاث بغضهم وحسدهم عند سماع القرآن والدّعاء إلى الخير ، ينظرون إليك شَزْراً[1] ، بحيث يكادون يزلّون قدمك فيصرعونك ، من قولهم: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني . أي: لو أمكنه بنظره الصّرع لفعله . والمعنى: أنّهم يكادون يصيبونك بالعين .

ورد: «إنّ العين حقّ»[2] . و: «إنّ العين ليدخل الرّجل القبر والجمل القدر»[3] . و: «إنّه لو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين»[4] .



١ ـ نظر إليه شَزْراً ، وهو نظر الغضبان بمؤخر العين . الصّحاح ٢: ٦٩٦ (شزر) .

٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٩ ، ذيل الآية: ٦٧ من سورة يوسف ؛ التفسير الكبير ٣٠: ١٠٠ ، عن النّبيّ ﷺ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٤٧ ؛ التفسير الكبير ٣٠: ١٠٠ عن النّبيّ ﷺ .

٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٩ ، ذيل الآية: ٦٧ من سورة يوسف ؛ و ٩ ـ ١٠: ٣٤١ ، عن النّبيّ ﷺ .

سورة الحاقّة

[مكيّة ، وهي أثنتان وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿الحاقّـةُ﴾: السّاعة التي يحقّ وقوعها ، أو تحقّ فيها الأُمـور ، أي: تـجب وتـعرف حقائقها ، أو تقع فيها حواقّ الأُمور من الحساب والجزاء .

﴿ما ٱلحاقّـةُ﴾ استفهام ، معناه التّفخيم لحالها والتّعظيم لشأنها .

﴿وَما أدْراكَ ما ٱلحاقّـةُ﴾ زيادة في التّهويل ، أي: إنّك لا تعلم كنهها ، فإنّها أعظم من أن يبلغها دراية .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعادٌ بِالقارِعَةِ﴾: بـالحالة التـي تـقرع النّـاس بـالأفزاع والأهـوال ، والأجرام بالانفطار والانتشار . وإنّما وضعت موضع الضّمير الحـاقّة ، زيـادة فـي وصـف شدّتها .

﴿فَأمّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطّاغِيَةِ﴾: بالواقعة المجاوزة للحدّ في الشّدّة ، وهي الصّيحة والرّجفة ؛ كما مضى بيانه[2] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الأعراف (٧): ٧٨ ؛ هود (١١): ٦٠ .

﴿وَأَمّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ﴾: باردة؛ خارجة أكثر ممّا أُمرت به، كما مرّ ذكره[1].

﴿سَخَّرَها عَلَيْهِمْ﴾: سلّطها الله عليهم بقدرته ﴿سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيّامٍ حُسُوماً﴾: متتابعات. القمّي: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيّام حتّى هلكوا[2]. ﴿فَتَرَى القَوْمَ فِيها صَرْعى﴾: موت؛ جمع «صريع». ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ﴾: أُصول نخل متآكلة الأجواف.

﴿فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ﴾.

﴿وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالمُؤْتَفِكاتُ﴾: قرى قوم لوط؛ والمراد أهلها. ﴿بِالخاطِئَةِ﴾: بالخطأ.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: فعصى كلّ أُمّة رسولها ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً﴾: زائدة في الشّدّة، زيادة أعمالهم في القبح.

قال: «الرّابية: الّتي أربت على ما صنعوا»[3].

﴿إِنّا لَمّا طَغَا الماءُ﴾: جاوز حدّه المعتاد، يعني في الطّوفان ﴿حَمَلْناكُمْ فِي الجارِيَةِ﴾: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، في سفينة نوح.

﴿لِنَجْعَلَها﴾: لنجعل الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عبرة ودلالة على قدرة الصّانع، وحكمته وكمال قهره ورحمته. ﴿وَتَعِيَها﴾: وتحفظها ﴿أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾: من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه؛ بتذكّره وإشاعته والتّفكّر فيه والعمل بموجبه.

قال: «لمّا نزلت: "وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ" قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هي أُذنك يا عليّ»[4].

١ ـ فصّلت (٤١): ١٦؛ القمر (٥٤): ١٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٨٣.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٢٣، الحديث: ٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي رواية قال: «اللّهمّ اجعلها أُذن عليّ . قال عليّ عليه السلام: فما سمعت شيئاً من رسول اللّه فنسيته[1] ، وما كان لي أن أنسى»[2] .

﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ﴾ هي النّفخة الأُولى الّتي عندها خراب العالم .

﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبالُ﴾: رفعت من أماكنها ﴿فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً﴾ القمّي: وقعت فدُكَّ بعضها على بعض[3] .

﴿فَيَوْمَـئِذٍ﴾: فحينئذ ﴿وَقَعَتِ الواقِعَةُ﴾: قامت القيامة .

﴿وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾: ضعيفة مُسْتَرخِيَة .

﴿وَالْـمَلَكُ﴾: والجنس المتعارف بالملك ﴿عَلىٰ أَرْجائِها﴾: على جوانبها . ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِـيَةٌ﴾ .

قال: «إنّهم اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم بأربعة أُخرى[4] ؛ فيكونون ثمانية»[5] .

وفي رواية: «حملة[6] العرش ـ والعرش العلم ـ ثمانية ، أربعة منّا وأربعة ممّن شاء اللّه»[7] .

وفي أُخرى: «أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين ، فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأمّا الآخرين فمحمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام . قال:

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٤٥ ؛ جامع البيان (للطّبري) ٢٩: ٣٥ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ ـ جوامع الجامع: ٥٠٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨٤ .

٤ ـ في المصدر: «بأربعة آخرين» .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٤٦ ؛ جوامع الجامع: ٥٠٧ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٦ ـ في «ب» و«ج»: «حملت» .

٧ ـ الكافي ١: ١٣٢ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

ومعنى "يحملون العرش" يعني العلم»[١].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾.

﴿فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ تفصيل للعَرْض. ﴿فَيَقُولُ﴾ تبجّحاً ﴿هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ﴾ هاؤم: اسم لخُذُوا، والهاء في كتابيه ونظائره للسَّكْت.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ أي: تيقّنت.

قال: «الظنّ ظنّان: ظنّ شكّ، وظنّ يقين؛ فما كان من أمر المعاد من الظّنّ فهو ظنّ يقين، وما كان من أمر الدّنيا فهو ظنّ شكّ»[٢].

﴿أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ﴾ قال: «إنّي أبعث وأُحاسب»[٣].

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ﴾ القمّي: أي: مرضيّة[٤].

﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ﴾.

﴿قُطُوفُها﴾ جمع قطف، وهو ما يجتنى بسرعة. ﴿دانِيَةٌ﴾ يتناولها القائم والقاعد.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخالِيَةِ﴾: في الماضية من أيّام الدّنيا، من الأعمال الصّالحة.

﴿وَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ﴾.

﴿وَلَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ﴾.

﴿يا لَيْتَها﴾: ياليت الموتة الّتي متّها ﴿كانَتِ الْقاضِيَةَ﴾: القاطعة لأمري فلم أُبعث بعدها.

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥؛ الاحتجاج ١: ٣٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

﴿ما أغنىٰ عنّي مالِيَهْ﴾ قيل: مالي من المال والتبع[١]. والقمّي: يعني ماله الّذي جَمَعَه[٢].

﴿هَلَكَ عَنّي سُلْطانِيَهْ﴾ قيل: ملكي وتسلّطي على النّاس[٣]. والقمّي: أي: حجّته[٤].

﴿خُذُوهُ﴾: يقال لخزنة النّار: "خذوه" ﴿فَغُلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ﴾.

قال: «لو أنّ حلقة واحدة من السّلسلة ـ الّتي طولها سبعون ذراعاً ـ وضعت على الدّنيا، لذابت الدّنيا من حرّها»[٥].

قال: «وكان معاوية صاحب السّلسلة التي قال اللّه، وكان فرعون هذه الأمة»[٦].

ورد: «كنت خلف أبي وهو على بغلته، فنفرت بغلته، فإذا شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه، فقال: يا عليّ بن الحسين! اسقني. فقال الرّجل: لا تسقه، لا سقاه اللّه. قال: وكان الشيخ معاوية»[٧].

والقمّي: السّبعون ذراعاً في الباطن هم الجبابرة السّبعون[٨].

﴿إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللّهِ العَظِيمِ﴾.

﴿وَلا يَحُضُّ﴾: ولا يحثّ ﴿عَلىٰ طَعامِ المِسْكِينِ﴾.

١ـ البيضاوي ٥: ١٤٩.

٢ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٣ـ الكشّاف ٤: ١٥٣؛ البيضاوي ٥: ١٤٩.

٤ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٥ـ المصدر: ٨١، ذيل الآية: ٢٢ من سورة الحجّ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن جبرئيل عليه السلام.

٦ـ الكافي ٤: ٢٤٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ـ بصائر الدّرجات: ٢٨٥، الباب: ٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: قريب يحميه.

﴿وَلا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: غسالة أهل النّار وصديدهم. والقمّي: عرق الكفّار[1].

﴿لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخاطِئُونَ﴾: أصحاب الخطايا؛ مِنْ خطأ الرّجل: إذا تعمّد الذّنب.

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ «لا» مزيدة. ﴿بِما تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَما لا تُبْصِرُونَ﴾ بالمشاهدات والمغيبات.

﴿إِنَّهُ﴾: إنّ القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله، يبلّغه عن الله، فإنّ الرّسول لايقول عن نفسه. قال: «يعني جبرئيل عن الله»[2].

﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ﴾ كما تزعمون تارة. ﴿قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ﴾ كما تدّعون أُخرى ﴿قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾ ولذلك يلتبس الأمر عليكم. قيل: ذكر الإيمان مع نفي الشّاعريّة، والتّذكّر مع نفي الكاهنيّة، لأنّ عدم مشابهة القرآن للشّعر أمر بيّنٌ لا يُنكِرهُ إلّا معاند؛ بخلاف مباينته للكهانة، فإنّ العلم بها يتوقّف على تذكّر أحوال الرّسول ومعاني القرآن المنافية لطريق الكَهَنَة ومعاني أقوالهم[3].

﴿تَنْزِيلٌ﴾: هو تنزيل نزّله على لسان جبرئيل ﴿مِنْ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ﴾ القمّي: يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله[4].

﴿لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾: بيمينه أو بقوّتنا. القمّي: انتقمنا منه بقوّة[5].

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ﴾ قيل: أي: نياط قلبه[6]. والقمّي: عِرق في الظَّهر يكون منه الولد[7].

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.
٢ ـ الكافي ١: ٤٣٣، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٥: ١٤٩.
٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.
٦ ـ الكشّاف ٤: ١٥٥؛ البيضاوي ٥: ١٤٩.
٧ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

﴿فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ﴾: مانعين دافعين، يعني أنّه لا يتكلّف الكذب علينا لأجلكم، مع علمه أنّه لو تكلّف ذلك لعاقبناه، ثمّ لم تقدروا على دفع عقوبتنا عنه.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِنّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المؤمنين به.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾: اليقين الّذي لا ريب فيه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾: فسبّح اللّه بذكر اسمه العظيم، تنزيهاً له عن الرّضا بالتّقوّل عليه، وشكراً على ما أُوحي إليك.

ورد: «قالوا: إنّ محمّداً كذب على ربّه!! وما أمره اللّه بهذا في عليّ، فأنزل اللّه بذلك قرآناً، فقال: إنّ ولاية عليّ "تنزيل من ربّ العالمين"، الآيات»[1].



١ـ الكافي ١: ٤٣٣، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

سورة المعارج

[مكيّة، وهي أربع وأربعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾ أي: دعا داعٍ به، بمعنى استدعاه.

﴿لِلْكافِرينَ﴾. قال: «نزلت للكافرين بولاية عليّ عليه السلام، هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله»[2]. وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة»[3].

أقول: ويدلّ على هذا ما مرّ في سبب نزولها في سورة الأنفال، عند قوله تعالى: "وَإِذْ قالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كانَ هٰذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ"[4].

وفي رواية: «لمّا اصطفّت الخيلان يوم بدر، رفع أبو جهل يده فقال: اللّهمّ اقطعنا للرّحم وآتانا بما لا نعرفه، فأجِنْهُ العذاب، فنزلت»[5].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكافي ١: ٤٢٢، الحديث: ٤٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٨: ٥٨، ذيل الحديث: ١٨.

٤ ـ الأنفال (٨): ٣٢.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٨٥، في حديث.

وفي أُخرى سئل عنها فقال: «نار تخرج من المغرب وملك يسوقها من خلفها، حتّى تأتي دار بني سعد بن همّام عند مسجدهم، فلا تدع داراً لبني أُميّة إلّا أحرقتها وأهلها، ولاتدع داراً فيها وتر لآل محمّد إلّا أحرقتها؛ وذلك المهديّ عليه السلام»[١].

﴿لَيْسَ لَهُ دافِعٌ﴾ يردّه.

﴿مِنَ اللّهِ ذِي المَعارِجِ﴾: ذي المصاعد. وهي الدّرجات الّتي تصعد فيها الكلم الطّيّب والعمل الصّالح، ويترقّى فيها المؤمنون في سلوكهم وتعبّدهم، وتعرج الملائكة والرّوح فيها.

﴿تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبُعْد مداها، تمثيلاً للملكوت بالملك في الامتداد الزّمانيّ، المنزّه عنه الملكوت.

قال: «تعرج الملائكة والرّوح في صبيحة ليلة القدر إليه من عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله والوصيّ»[٢].

و ورد في حديث المعراج: «إنّه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام؛ أقلّ من ثلث ليلة، حتّى انتهى إلى ساق العرش»[٣].

و ورد: «إنّ للقيامة خمسين موقفاً، كلّ موقف مقام ألف سنة، ثمّ تلا "في يوم" الآية»[٤].

و ورد: «إنّه قيل: يا رسول اللّه! ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والّذي نفس محمّد بيده، إنّه

١ـ القمّي ٢: ٣٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٣٨٦، عن أبي الحسن عليه السلام، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٣ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ١٤٣، الحديث: ١٠٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

ليخفّ على المؤمن حتّى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدّنيا»[١].

وفي رواية: «لو وَلِيَ الحساب غير اللّه لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا، واللّه سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة. وقال: لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقيل أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النّار في النّار»[٢].

﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ القمّي: أي: لتكذيب من كذّب أنّ ذلك يكون[٣].

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً﴾ من الإمكان.

﴿وَنَراهُ قَرِيباً﴾ من الوقوع.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ﴾ القمّي: الرّصاص الذّائب والنّحاس: كذلك تذوب السّماء[٤].

﴿وَتَكُونُ الجِبالُ كَالْعِهْنِ﴾: كالصّوف المصبوغ ألواناً.

﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ عن حاله.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ قال: «يقول: يعرفونهم ثمّ لا يتسائلون»[٥]. ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾.

﴿وَصاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قيل: وعشيرته الّتي فصل عنهم[٦]. ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾: تضمّه في النّسب وعند الشّدائد. القمّي: هي أُمّه الّتي ولدته[٧].

﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٢.
٢ ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٦.
٥ ـ القمي ٢: ٣٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ الكشّاف ٤: ١٥٨؛ البيضاوي ٥: ١٥٦.
٧ ـ القمي ٢: ٣٨٦.

﴿كَلّا﴾ ردع للمجرم عن الودادة، ودلالة عن أنّ الافتداء لا ينجيه. ﴿إنَّها لَظىٰ﴾: إنّ النّار لهب خالص.

﴿نَزّاعَةً لِلشَّوىٰ﴾: الأطراف أو جلود الرّأس. القمّي: تنزع عينيه وتسوّد وجهه[1].

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلّىٰ﴾: تجرّه إليها.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعىٰ﴾ القمّي: جمع مالاً ودفنه ووعاه، ولم ينفقه في سبيل اللّه[2].

﴿إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾: شديد الحرص، قليل الصّبر.

﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والفاقة ﴿جَزُوعاً﴾.

﴿وَإذا مَسَّهُ الخَيْرُ﴾: الغنى والسّعة. ﴿مَنُوعاً﴾.

﴿إلّا المُصَلّينَ﴾. قال: «ثمّ استثنى، فوصفهم بأحسن أعمالهم»[3].

﴿الَّذينَ هُمْ عَلىٰ صَلاتِهِمْ دائِمُونَ﴾. قال: «يقول: إذا فرض على نفسه شيئاً من النّوافل دام عليه»[4].

وفي رواية: «يعني الّذين يقضون ما فاتهم من اللّيل بالنّهار وما فاتهم من النّهار باللّيل»[5].

﴿وَالَّذينَ في أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾.

﴿لِلسّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾.

قال: «الحقّ المعلوم: الشّيء يخرجه من ماله ليس من الزّكاة ولا من الصّدقة المفروضتين، هو الشّيء يخرجه من ماله، إن شاء أكثر وإن شاء أقلّ على قدر ما يملك؛ يصل

١ و ٢ ـ القمي ٢: ٣٨٦.

٣ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر.

٥ ـ الخصال ٢: ٦٢٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

به رحماً، ويقوّي به ضعيفاً، ويحمل به كلّاً ويصل به أخاً له في الله، أو لنائبة تنوبه»[١].

وقال: «المحروم: المحارف الّذي قد حرم كدّ يده في الشّراء والبيع»[٢].

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: «بخروج القائم»[٣].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾: خائفون على أنفسهم.

﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾. اعتراضٌ يدلّ على أنّه لاينبغي لأحد أن يأمن من عذاب الله، وإن بالغ في طاعته.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾.

﴿إِلَّا عَلىٰ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ابْتَغىٰ وَراءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ العادُونَ﴾. مضى تفسيرها في سورة المؤمنين[٤].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾: حافظون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ﴾: لا يكتمون ولا ينكرون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾ فيراعون شرائطها وآدابها.

قال: «هي الفريضة، وَ "الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاتِهِم دائِمُونَ" هي النّافلة»[٥].

وفي رواية: «أولئك أصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا»[٦].

﴿أُولٰئِكَ فِي جَنّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

﴿فَما لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾: حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين.

١ ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحديث: ١١، عن أبي جعفر، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ المصدر، الحديث: ١٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ ذيل الآيات ٥، ٦ و ٧، ولم أجد فيها تفسيراً، وليكن فسّرها في الصافي ٣: ٣٩٤.

٥ ـ الكافي ٣: ٢٧٠، الحديث: ١٢؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٦ ـ ٣٥٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ﴾ قيل: فِرَقاً شتّى[١] . والقمّي يقول: قعود[٢] .

و ورد في المنافقين: «إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما زال يتألّفهم ويقرّبهم ويجلسهم عن يمينه وشماله ، حتّى أذن اللّه عزّوجلّ له في إبعادهم بقوله: "وَاهْجُرْهُم هَجْراً جَمِيلاً"[٣] ، وبقوله: "فَمالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهطِعِينَ" ، الآيات»[٤] .

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ بلا إيمان . قيل: هو إنكار لقولهم: لو صحّ ما يقوله لنكون فيها أفضل حظّاً منهم ، كما في الدّنيا[٥] .

﴿كَلّا﴾ ردعٌ عن هذا الطّمع . ﴿إِنّا خَلَقْناهُمْ مِمّا يَعْلَمُونَ﴾ القمّي: من نطفة ثمّ علقة[٦] .

أقول: يعني إنّ المخلوق من النّطفة القذرة لا يتأهّل لعالم القدس ما لم يستكمل بالإيمان والطّاعة ولم يتخلّق بالأخلاق الملكيّة .

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ «لا» مزيدة للتّأكيد . القمّي: أي: أقسم[٧] . ﴿بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ﴾ .

قال: «لها ثلاثمائة وستّون مشرقاً وثلاثمائة وستّون مغرباً ، فيومها الّذي تشرق فيه لاتعود فيه إلى قابل[٨] ، ويومها الّذي تغرب فيه لا تعود فيه إلّا من قابل»[٩] .

وفي رواية: «لها ثلاثمائة وستّون برجاً ، تطلع كلّ يوم من برج وتغيب في آخر ، فلاتعود إليه إلّا من قابل في ذلك اليوم»[١٠] .

١ ـ الكشّاف ٤: ١٦٠ ؛ البيضاوي ٥: ١٥١ .
٢ ـ القمّي ٢: ٣٨٦ .
٣ ـ المزّمّل (٧٣): ١٠ .
٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٥ ـ البيضاوي ٥: ١٥١ .
٦ و ٧ ـ القمّي ٢: ٣٨٦ .
٨ ـ في المصدر: «إلّا من قابل» .
٩ ـ معاني الأخبار: ٢٢١ ، الحديث: ١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
١٠ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

﴿إِنَّا لَقادِرُونَ﴾ .

﴿عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ﴾ أي: نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم ﴿وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبين إن أردنا ذلك .

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ .

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ﴾: من القبور ﴿سِراعاً﴾: مسرعين ﴿كَأَنَّهُمْ إِلىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾: إلى منصوبات للعبادة أو أعلام يسرعون . القمّي: إلى الدّاعي يبادرون[1] .

﴿خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾ .



١ ـ القمّي ٢: ٣٨٧ ، وفيه: «إلى الدّاعي ينادون» .

سورة نوح

[مكّيّة، وهي ثمان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِنّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: بعض ذنوبكم، وهو ما سبق؛ فإنّ الإسلام يجبّه[2].

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو أقصى ما قُدّر لكم، بشرط الإيمان والطّاعة. ﴿إِنَّ أَجَلَ اللّهِ﴾: إنّ الأجل الّذي قدّره الله ﴿إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾ فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صحّة ذلك. فيه: إنّهم لانهماكهم في حبّ الحياة، كأنّهم شاكّون في الموت.

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً﴾ أي: دائماً.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلّا فِراراً﴾ عن الإيمان والطّاعة.

﴿وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ بسببه ﴿جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٥٢.

آذانِهِمْ﴾: سدّوا مسامعهم عن استماع حقّ الدّعوة ﴿وَٱسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ﴾ القمّي: استتروا بها[1]. ﴿وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْباراً﴾ القمّي: عزموا على أن لا يسمعوا شيئاً[2].

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً﴾ يعني دعوتهم مرّة بعد أُخرى، وكرّة بعد أُولى، سرّاً وعلانية، وعلى أيّ وجه أمكنني، و "ثمّ" لتفاوت الوجوه أو لتراخي بعضها عن بعض.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً﴾.

﴿يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً﴾: كثير الدّرّ.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً﴾ قيل: لمّا طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم، حبس الله عنهم القطر أربعين سنة، وأعقم أرحام نسائهم، فوعدهم بذلك[3].

﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً﴾ قال: «لا تخافون لله عظمة»[4].

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً﴾ القمّي: على اختلاف الأهواء والإرادات والمشيئات[5]. وقيل: أي تارات: تراباً ثمّ نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ولحوماً، ثمّ أنشأ خلقاً آخر، فإنّه يدلّ على عظيم قدرته وكمال حكمته[6].

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمٰواتٍ طِباقاً﴾ قال: «بعضها فوق بعض»[7].

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَباتاً﴾: أنشأكم منها.

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣٨٧.
٣ ـ البيضاوي ٥: ١٥٢.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ المصدر.
٦ ـ البيضاوي ٥: ١٥٣.
٧ ـ القمّي ٢: ٣٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً﴾ بالحشر.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً﴾ تتقلّبون عليها.

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً﴾: واسعة.

﴿قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَساراً﴾: واتّبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم، المغترّين بأولادهم، بحيث صار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة، وفيه: إنّهم إنّما اتّبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموال وأولاد؛ أدّت بهم إلى الخسار. القمّي: واتّبعوا الأغنياء[1].

﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾: كبيراً في الغاية.

﴿وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: عبادتها ﴿وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾: وخصوصاً هؤلاء المسمّون.

قيل: هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلمّا ماتوا صوّروا تبرّكاً بهم وأُنساً، فلمّا طال الزّمان عبدوهم، وقد انتقلت إلى العرب[2]. والقمّي: ما في معناه مبسوطاً[3].

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالاً﴾ القمّي: هلاكاً وتدميراً[4].

﴿مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ﴾: من أجل خطيئاتهم. و«ما» مزيدة للتّأكيد والتّفخيم. ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطّوفان. ﴿فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً﴾

﴿وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً﴾ أي: أحداً.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٧.
٢ ـ البيضاوي ٥: ١٥٣.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٨٧.
٤ ـ المصدر: ٣٨٨.

سئل: ما كان علم نوح حين دعا على قومه: أنّهم لا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً؟ فقال: «أما سمعت قول اللّه تعالى لنوح: "إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ"»[١].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾ قال: «يعني الولاية. من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء»[٢]. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً﴾ قال: «أي: خساراً»[٣].



١ ـ القمّي ٢: ٣٨٨، عن أبي جعفرعليه السلام. والآية في سورة هود (١١): ٣٦.

٢ ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ المصدر، عن أبي جعفرعليه السلام.

سورة الجنّ

[مكيّة ، وهي ثمان وعشرون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّـهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً﴾: كتاباً بديعاً مبايناً لكلام النّاس ، في حسن نظمه ودقّة معناه .

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: إلى الحقّ والصّواب ﴿فَآمَنّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَـداً﴾ قد سبق بعض قصّتهم في الأحقاف[2] .

﴿وَأَنَّـهُ تَعالىٰ جَدُّ رَبِّنا﴾ قيل: أي: عظمته ، مستعار من الجدّ الّذي هو البخت[3] . قال: «إنّما هو شيء قالته الجنّ بجهالة ، فحكى اللّه عنهم»[4] . والقمّي: ولم يرضه اللّه منهم[5] . ﴿مَا اتَّـخَذَ صاحِـبَةً وَلا وَلَداً﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الآيات: ٢٩ ـ ٣٢ .

٣ ـ الكشّاف ٤: ١٦٧ ؛ البيضاوي ٥: ١٥٤ .

٤ ـ الخصال ١: ٥٠ ، الحديث: ٥٩ ؛ التّهذيب ٢: ٣١٦ ، الحديث: ١٢٩٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٦١ ، الحديث: ١١٩٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٦٨ ، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٨٨ .

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾: قولاً بعيداً عن الحق، مجاوزاً عن الحدّ.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ اعتذارٌ عن اتّباعهم السّفيه في ذلك.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ﴾.

قال: «كان الرّجل ينطلق إلى الكاهن الذي يوحي إليه الشّيطان فيقول: قل لشيطانك: فلان قد عاذ بك»[1].

﴿فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾: فزادوا الجنّ باستعاذتهم بهم كبراً وعتوّاً. والقمّي: أي: خسراناً[2].

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: وأنّ الإنس ﴿ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ﴾ أيّها الجنّ أو بالعكس ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً﴾ والآيتان إمّا من كلام الجنّ بعضهم لبعض، أو استئناف كلام من الله. ومن فتح «انّ» فيهما جعلهما من الموحى به.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ﴾: التمسناها، أي: طلبنا بلوغها أو خبرها ﴿فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً﴾: حرّاساً قويّاً، وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿وَشُهُباً﴾.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: مقاعد خالية عن الحرس والشّهب، صالحة للتّرصّد والاستماع ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً﴾ أي: شهاباً راصداً له ولأجله، يمنعه عن الاستماع بالرّجم، وقد مضى في الحجر والصّافّات[3].

وفي حديث سبب أخبار الكاهن قال: «وأمّا أخبار السّماء: فإنّ الشّياطين كانت تقعد مقاعد استراق السّمع إذ ذاك، وهي لا تحجب ولا ترجم بالنّجوم، وإنّما منعت من استراق السّمع لئلّا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السّماء، ويلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله لإثبات الحجّة ونفي الشّبهة. وكان الشّيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السّماء بما يحدث من الله في خلقه، فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ المصدر.
٣ ـ الحجر (١٥): ١٧ و ١٨؛ الصّافّات (٣٧): ٧ ـ ١٠.

الكاهن ، فإذاً قد زاد كلمات من عنده ؛ فيختلط الحقّ بالباطل . فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به ، فهو ما أدّاه إليه شيطانه ممّا سمعه ؛ وما أخطأ فيه ، فهو من باطل ما زاد فيه ، فمنذ منعت الشّياطين عن استراق السّمع انقطعت الكهانة»[1] .

﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾: خيراً .

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذٰلِكَ﴾: قوم دون ذلك ﴿كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً﴾: متفرّقة .

القمّي: أي: على مذاهب مختلفة[2] .

﴿وَأَنَّا ظَنَنّا﴾: علمنا ﴿أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ﴾ كائنين أينما كنّا فيها ﴿وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً﴾: هاربين منها إلى السّماء ، ولن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ، ولن نعجزه هرباً إن طلبنا .

﴿وَأَنَّا لَمّا سَمِعْنَا الهُدىٰ آمَنّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً﴾ .

القمّي: البخس: النّقصان . والرّهق: العذاب[3] .

﴿وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القاسِطُونَ﴾: الجائرون عن طريق الحقّ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا﴾: توخّوا ﴿رَشَداً﴾: رشداً عظيماً يبلغهم إلى دار الثّواب . قال: «أي: الذين أقرّوا بولايتنا»[4] .

﴿وَأَمَّا القاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ .

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا﴾: وأنّه لو استقاموا ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: الطّريقة المثلى ﴿لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾: لوسّعنا عليهم الرّزق ؛ والغَدَق: الكثير .

١ ـ الاحتجاج ٢: ٨١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، مع اختلاف يسير .
٢ ـ القمّي ٢: ٣٨٩ .
٣ ـ المصدر .
٤ ـ المصدر ، عن أبي عبد الله ، عن أبي جعفر عليهما السلام .

قال: «معناه: لأفدناهم علماً كثيراً ؛ يتعلّمونه من الأئمّة»[١] .

وفي رواية: «يعني لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين عليّ والأوصياء من ولده، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم، "لأسقيناهم ماءاً غدقاً"، يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان»[٢] .

﴿لِنَفْتِنَهُم فِيهِ﴾: لنختبرهم كيف يشكرونه ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً﴾: يدخله عذاباً شاقّاً يعلو المعذّب ويغلبه .

﴿وَأَنَّ المَساجِدَ لِلّٰهِ﴾: مختصّة به ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً﴾ قال: «يعني بالمساجد: الوجه واليدين والرّكبتين والإبهامين»[٣] . وفي رواية: «هم الأوصياء»[٤] .

﴿وَأَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللّٰهِ﴾ يعني محمّداً ﴿يَدْعُوهُ﴾: يعبد الله ﴿كادُوا﴾ يعني قريشاً ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ أي: أبداً . يعني يتعاونون عليه .

وقيل: معناه: كاد الجنّ يكونون عليه متراكمين من ازدحامهم عليه: تعجّباً ممّا رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته[٥] .

﴿قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر ؛ يوجب إطباقكم على مقتي أو تعجّبكم .

﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً﴾ .

قال: «إنّ رسول الله ﷺ دعا النّاس إلى ولاية عليّ عليه السلام ، فاجتمعت إليه قريش وقالوا:

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٧٢، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ الكافي ١: ٢٢٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٨١، الحديث: ١٦٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وفي الكافي ٣: ٣١٢، ذيل الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ والعيّاشي ١: ٣١٩، الحديث: ١٠٩، عن الجواد عليه السلام ؛ والقمّي ٢: ٣٩٠، عن ابن عبّاس ما بمعناه .

٤ ـ الكافي ١: ٤٢٥، الحديث: ٦٥، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٥٥ .

يا محمّد اعفنا من هذا . فقال: هذا إلى اللّه ليس إليّ ، فاتّهموه وخرجوا من عنده ، فأنزل اللّه: "قُلْ إنّي لا أملِكُ لَكُمْ" الآية»[١] .

﴿قُلْ إنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أحَدٌ﴾ قال: إن عصيته ﴿وَلَنْ أجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾: منحرفاً وملتجأً .

﴿إلّا بَلاغاً مِنَ اللهِ وَرِسالاتِهِ﴾ قال: «في عليّ»[٢] . ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: «في ولاية عليّ»[٣] . ﴿فَإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أبَداً﴾ .

﴿حَتّىٰ إذا رَأوْا ما يُوعَدُونَ﴾ قال: «يعني الموت والقيامة»[٤] . وفي رواية: «القائم وأنصاره»[٥] . والقمّي: في الرّجعة[٦] . ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أضْعَفُ ناصِراً﴾ هو أو هم ﴿وَأقَلُّ عَدَداً﴾ .

﴿قُلْ إنْ أدْرِي أقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أمَداً﴾ القمّي: لمّا أخبرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ما يكون من الرّجعة . قالوا: متى يكون هذا؟ قال اللّه: قل يا محمّد: "إن أدري" الآية[٧] .

﴿عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أحَداً﴾: فلا يطّلع .

﴿إلّا مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ قال: «وكان محمّد ممّن ارتضاه»[٨] .

وفي رواية: «ونحن ورثة ذلك الرّسول الّذي أطلعه اللّه على ما يشاء من غيبه ، فعلّمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[٩] .

﴿فَإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: بين يدي المرتضى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ . القمّي: يخبر

---

١ و ٢ و ٣ _ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٤ _ القمّي ٢: ٣٩٠ ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله .

٥ _ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٦ و ٧ _ القمّي ٢: ٣٩١ .

٨ _ الكافي ١: ٢٥٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٩ _ الخرائج والجرائح: ٣٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

اللّه رسولَه الذي يرتضيه، بماكان قبله من الأخبار وما يكون بعده من أخبار القائم والرّجعة والقيامة[1].

وقيل: رصداً، أي: حرساً من الملائكة، يحرسونه من اختطاف الشّياطين وتخاليطهم[2].

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ قيل: أي: ليعلم النّبيّ الموحى إليه: أن قد أبلغ جبرئيل والملائكة النّازلون بالوحي، أو ليعلم اللّه: أن قد أبلغ الأنبياء. بمعنى ليتعلّق علمه به موجوداً[3].

﴿رِسالاتِ رَبِّهِمْ﴾ كما هي محروسة عن التّغيير ﴿وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرّسل ﴿وَأَحْصىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ حتّى القطر والرّمل.



١ ـ القمّي ٢: ٣٩١.

٢ و ٣ ـ البيضاوي ٥: ١٥٦.

سورة المزّمّل

[مكيّة، وهي عشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أصله المتزمّل، من تَزَمَّلَ بثيابه إذا تلفّف بها. القمّي: هو النّبيّ كان يتزمّل بثوبه وينام. فقال اللّه: "يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ"[2].

﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ أي: إلى الصّلاة ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾.

﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾. قال: «القليل: النّصف، أو انقص من القليل قليلاً، أو زِدْ على القليل قليلاً»[3]. ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: «بيّنه بياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرّمل، ولكن افزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السّورة»[4].

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ قيل: أي: القرآن، فإنّه لِما فيه من التّكاليف ثقيلٌ على

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٧٧، عن أبي عبد اللهؑ.

٤ ـ الكافي ٢: ٦١٤، الحديث: ١، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنينؑ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٧٨، عن أمير المؤمنينؑ.

المكلّفين[١]. وقيل: أي: ثقيل نزوله عليه؛ فإنّه كان يتغيّر حاله عند نزوله ويعرق[٢].

والقمّي: "قَولاً ثَقِيلاً": قيام اللّيل، وهو قوله[٣]:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قيل: أي: النّفس الّتي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض؛ أو العبادة التي تنشأ باللّيل، أي: تحدث[٤]. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ أي: كُلفَةً أو ثبات قدم. وعلى قراءة "وِطَاءً" على فعال، أي: مواطاة القلب اللّسان لها أو فيها. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: وأسدّ مقالاً وأثبت قراءة؛ لحضور القلب وهدوء الأصوات. والقمّي: أصدق القول[٥].

و ورد: «ناشئة اللّيل: قيام الرّجل عن فراشه، يريد به اللّه لا يريد به غيره»[٦].

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ قال: «فراغاً طويلاً لنومك وحاجتك»[٧].

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾: وانقطع إليه بالعبادة، وجرّد نفسك عمّا سواه. القمّي: يقول: أخلص إليه إخلاصاً[٨].

و ورد: «التّبتّل هنا رفع اليدين في الصّلاة»[٩].

وفي رواية: «هو رفع يدك إلى اللّه وتضرّعك إليه»[١٠].

وفي أُخرى: «الإيماء بالإصبع»[١١].

وفي أُخرى: «أن تقلّب كفّيك في الدّعاء إذا دعوت»[١٢].

١ و ٢ـ الكشّاف ٤: ١٧٥؛ البيضاوي ٥: ١٥٦ـ١٥٧.

٣ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٤ـ البيضاوي ٥: ١٥٧.

٥ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٦ـ الكافي ٣: ٤٤٦، الحديث: ١٧؛ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٩، الحديث: ١٣٦٧؛ التّهذيب ٢: ٣٣٦، الحديث: ١٣٨٥؛ علل الشّرائع ٢: ٣٦٣، الباب: ٨٤، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ـ القمّي ٢: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٩ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٣٧٩، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

١٠ـ المصدر، في رواية أبي بصير.

١١ـ الكافي ٢: ٤٨١، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

١٢ـ معاني الأخبار: ٣٧٠، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

﴿رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾.

﴿وَاصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ﴾ قال: «ما يقولون فيك»[١]. ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ بأن تُجانِبهم وتُداريهم، وتَكِلَ أمرهم إلى الله.

﴿وَذَرْنِي وَالمُكَذِّبِينَ﴾: دَعْني وإيّاهم، وكِلْ إليّ أمرهم، فإنّ بي غُنية عنك في مجازاتهم. ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾: أرباب التنعّم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾.

﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيماً﴾. تعليل للأمر، والنّكل: القيد الثّقيل.

﴿وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ﴾: ينشب في الحلق، كالضّريع والزّقوم ﴿وَعَذاباً أَلِيماً﴾: ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً، لا يعرف كنهه إلّا الله.

وفسّر بالحرمان عن لقاء الله، فإنّ النّفوس العاصية المنهمكة في الشّهوات تبقى مقيّدة بحبّها والتّعلّق بها عن التّخلّص إلى عالم القدس، متحرّقة بحرقة الفرقة، متجرّعة غصّة الهجران، معذّبة بالحرمان عن تجلّي أنوار القدس.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبالُ﴾: تضطرب وتزلزل ﴿وَكانَتِ الجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾ مثل الرّمل تنحدر.

﴿إِنّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ﴾: يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع ﴿كَما أَرْسَلْنا إِلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾.

﴿فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾: ثقيلاً.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيباً﴾ القمّي: من الفزع، حيث يسمعون الصّيحة. يقول: كيف إن كفرتم تتّقون ذلك اليوم؟![٢].

﴿السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾: منشق ﴿كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾.

﴿إِنَّ هٰذِهِ﴾: الآيات الموعدة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ ﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾

١ ـ الكافي ١: ٤٢٤، قطعة من حديث: ٩١، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٣.

تقرّب إليه بسلوك التّقوى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ﴾: لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلّا اللّه ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾: أن لن تحصوا تقدير الأوقات، ولن تستطيعوا ضبط السّاعات. قال: «يقول: متى يكون النّصف والثّلث»[1]. ﴿فَتابَ عَلَيْكُمْ﴾ بالتّرخيص في ترك القيام المقدّر، ورفع التّبعة فيه. ﴿فَاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: فصلّوا بما تيسّر عليكم من القراءة.

قال: «ما تيسّر منه لكم، فيه خشوع القلب وصفاء السّرّ»[2].

قال: «وكان الرّجل يقوم ولا يدري متى ينتصف اللّيل، ومتى يكون الثّلثان، وكان الرّجل يقوم حتّى يصبح مخافة أن لا يحفظه. فأنزل اللّه: "إن ربك يعلم ـ إلى قوله ـ: لن تحصوه"، ثمّ نسخت بهذه الآية: "فاقرءوا ما تيسّر من القرآن". قال: واعلموا أنّه لم يأت نبيّ قطّ إلّا خلا بصلاة اللّيل، ولا جاء نبيّ قطّ بصلاة اللّيل في أوّل اللّيل»[3].

﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٰ﴾. استئناف يبيّن حكمة أُخرى مقتضية للتّرخيص والتّخفيف. ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: يسافرون للتّجارة ﴿وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ يريد به سائر الإنفاقات في سبيل الخير. القمّي: هو غير الزّكاة[4].

﴿وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً﴾ أي: تجدوه خيراً، والضّمير للفصل والعماد. ﴿وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ في مجامع أحوالكم، فإنّكم لاتخلون من تفريط ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٨٢، عن أبي الحسن الرّضا، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٩٣.

سورة المدّثّر

[مكيّة ، وهي ستّ وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ﴾ أي: المتدثّر ، وهو لابس الدّثار . القمّي: تدثّر رسول اللّه صلّى الله عليه وآله فالمدّثّر يعني المدّثّر بثوبه[2] .

﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ .

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ صِفْهُ بالكبرياء عقداً وقولاً .

روي: «إنّه لمّا نزلت ؛ كبّر وأيقن أنّه الوحي ، وذلك أنّ الشّيطان لا يأمر بذلك»[3] .

وروي: «إنّه كان ذلك في أوائل بعثته»[4] .

﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: «أي: فشمّر»[5] . وقال: «ارفعها ولا تجرّها»[6] . وفي رواية:

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٣ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٥٨ .

٤ ـ الكشّاف ٤: ١٨١ ؛ البيضاوي ٥: ١٥٨ ؛ جامع البيان (للطبري) ٢٩: ٩٠ .

٥ ـ الكافي ٦: ٤٥٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ الخصال ٢: ٦٢٣ ، قطعة من حديث: ١٠ ، عن أبي عبد اللّه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٦ ـ الكافي ٦: ٤٥٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

«وكانت ثيابة طاهرة، وإنّما أمره بالتّشمير»[١]. وفي أُخرى: «تشمير الثّياب: طهورها»[٢].
وفي أُخرى: «معناه: وثيابك فقصّر»[٣].

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. القمّي: الرّجز: الخبيث[٤].

﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ قال: «لا تعط العطيّة تلتمس أكثر منها»[٥]. وفي رواية: «لا تستكثر ما عملت من خير للّه»[٦].

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على مشاقّ التّكاليف وأذى المشركين.

﴿فَإِذا نُقِرَ فِي النّاقُورِ﴾: فإذا نفخ في الصّور.

﴿فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

﴿عَلَى الكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً﴾.

﴿وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة[٧] ـ عمّ أبي جهل ـ فإنّه كان يلقّب بالوحيد، سمّاه اللّه به تهكّماً[٨].

القمّي: وإنّما سمّي وحيداً لأنّه قال لقريش: أنا أتوحّد بكسوة البيت سَنَة، وعليكم في جماعتكم سنة، وكان له مال كثير وحدائق، وعشر بنين بمكّة وعشرة عبيد؛ عند كلّ ألف

١ـ الكافي ٦: ٤٥٦، الحديث: ٤، عن أبي الحسن عليه السلام.
٢ و ٣ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٨٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ٣٩٣.
٥ـ المصدر، في رواية أبي الجارود.
٦ـ الكافي ٢: ٤٩٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.
٧ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٦ من سورة القلم.
٨ـ الكشّاف ٤: ١٨٢؛ البيضاوي ٥: ١٥٩.

دينار يتّجر بها[1].

وفي رواية: «إنّما نزلت في عمر ؛ في إنكاره الولاية»[2].

وإنّه إنّما سمّي وحيداً لأنّه كان ولد زنا . وقال: «إنّ الوحيد من لا يعرف له أب»[3].

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾: وبسطت له في الرّئاسة والجاه العريض ، حتّى لقّب ريحانة قريش والوحيد .

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ .

﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ .

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾: سأُغشيه عقبة شاقّة المصعد ؛ وهو مثل لما يلقى من الشّدائد .

وروي: «إنّ الصّعود جبل من النّار ، يصعد فيه سبعين خريفاً ، ثمّ يهوي فيه كذلك أبداً ، فإذا وضع يده عليها ذابت وإذا رفعها عادت ، وكذلك رجله»[4].

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾: فكّر فيما تخيّل طعناً في القرآن ، وقدّر في نفسه ما يقول فيه ، وذلك بعد ما اقشعرّ جلده من سماعه ، وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته .

القمّي: قال له أبو جهل ؛ أخطب هو؟ قال: لا ، إنّ الخطب كلام متّصل ، وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً . قال: أفشِعرٌ هو؟ قال: لا ، أما أنّي لقد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها ، وما هو بشعر . قال: فما هو؟ قال: دَعْني أُفكّر فيه . فلمّا كان من الغَدِ قالوا له: ما تقول فيما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر ، فإنّه آخذ بقلوب النّاس ، فنزلت[5].

وروي: «إنّه قال: واللّه لقد سمعت من محمّد آنفا كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٤ .
٢ ـ المصدر: ٣٩٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٨٧ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٤ ـ الكشّاف ٤: ١٨٢ .
٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٤ .

كلام الجنّ ، إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة[1] ، وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق ، وإنّه يعلو وما يعلى! فقالت قريش: صَبَأ[2] والله وليد! ليصبأنّ قريش . فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه ، وقعد إليه حزيناً ، وكلّمه بما أحماه . فقام فأتاهم ، فقال: تزعمون: أنّ محمّداً مجنون! فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون: إنّه كاهن! فهل رأيتموه يتحدّث بما يتحدّث به الكهنة؟ وتزعمون: أنّه شاعر! فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قطّ؟ وتزعمون: أنّه كذّاب! فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في ذلك كلّه: اللّهمّ لا . قالوا له: فما هو؟ ففكّر فقال: ما هو إلّا ساحر ، أما رأيتموه يفرّق بين الرّجل وأهله وولده ومواليه ، وما يقوله سحر يؤثر عن أهل بابل ، فتفرّقوا متعجّبين منه[3] .

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره .

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ التّكرير للمبالغة ، و«ثمّ» للدّلالة على أنّ الثّانية أبلغ من الأُولى .

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في أمر القرآن مرّة أُخرى .

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قَطَبَ وجهه لمّا لم يجد فيه طعناً ، ولم يدر ما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ اتباع لعبس .

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحقّ ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن اتباعه .

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يُروى ويتعلّم .

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ .

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تفخيمٌ لشأنها .

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: لا تبقي على شيء يلقى فيها ، ولا تدعه حتّى تهلكه .

١ ـ الطّلاوة: الحُسن والقبول . الصّحاح ٦: ٢٤١٤ (طلا) .

٢ ـ صَبَأ الرّجل صُبُوءاً: إذا خرج من دينٍ إلى دين . الصّحاح ١: ٥٩ (صبأ) .

٣ ـ جوامع الجامع: ٥١٧ ؛ الكشّاف ٤: ١٨٣ .

﴿لَوّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾: مسودّة لأعالي الجلد.

﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكاً يلون أمرها. القمّي: قال: لكلّ رجل تسعة عشر من الملائكة يعذّبونه[1].

﴿وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلّا مَلائِكَةً﴾ ليخالفوا جنس المعذّبين، فلا يرقّوا لهم ولا يستروحون إليهم، ولأنّهم أقوى الخلق بأساً وأشدّهم غضباً للّه.

روي: «إنّ أبا جهل لمّا سمع: "عليها تِسعَةَ عَشَر" قال لقريش: أيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فنزلت»[2].

﴿وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وما جعلنا عددهم إلّا العدد الّذي اقتضى فتنتهم، وهو التّسعة عشر.

قيل: افتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به، واستبعادهم أن يتولّى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثّقلين[3].

﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾: ليكتسبوا اليقين بنبوّة محمّد صلّى اللّه عليه وآله وصِدْق القرآن، لمّا رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم.

قال: «يستيقنون أنّ اللّه ورسوله ووصيّه حقٌّ»[4].

﴿وَيَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً﴾ بتصديق أهل الكتاب له ﴿وَلا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: في ذلك، وهو تأكيد للاستيقان، وزيادة الإيمان، ونفي لما يعرض المتيقّن حيثما عراه شبهة. ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شكّ أو نفاق ﴿وَالْكافِرُونَ﴾: الجازمون في التّكذيب ﴿ماذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً﴾ أيّ شيء أراد بهذا

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٥.

٢ ـ الكشّاف ٤: ١٨٤؛ البيضاوي ٥: ١٦٠.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦٠.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣٤، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

العدد المستغرب استغراب المثل؟

﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾: أصناف خلقه على ما هي عليه ﴿إِلَّا هُوَ وَما هِيَ﴾ قيل: وما سقر، أو عدّة الخزنة، أو السّورة[1]. و ورد: «يعني ولاية عليّ»[2]. ﴿إِلَّا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ﴾: إلّا تذكرة لهم.

﴿كَـلّا﴾ ردع لمن أنكرها، أو إنكار لأن يتذكّروا بها. ﴿وَالْقَمَرِ﴾.

﴿وَاللَّـيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾.

﴿وَالصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ﴾: أضاء.

﴿إِنَّها لَاِحْدَى الْكُبَرِ﴾: لإحدى البلايا الكبر. قال: «الولاية»[3].

﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾: إنذاراً لهم أو منذرة.

﴿لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: ليتقدّم إلى الخير أو يتأخّر عنه.

قال: «من تقدّم إلى ولايتنا أخّر عن سقر، ومن تأخّر عنها تقدّم إلى سقر»[4].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِـينَةٌ﴾: مرهونة عند الله.

﴿إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِـينِ﴾ فإنّهم فكّوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم.

قال: «هم والله شيعتنا»[5].

﴿فِي جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً.

﴿عَنِ الْمُـجْرِمِـينَ﴾.

﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ حكايةٌ لما جرى بين المسؤولين والمجرمين.

﴿قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ يعني: «الصّلاة المفروضة». كذا ورد[6].

وفي رواية: «عنى لم نك من أتباع الأئمّة الذّين قال الله فيهم: "وَالسّابِقُونَ السّـابِقُونَ

١ـ البيضاوي ٥: ١٦١.

٢ و ٣ و ٤ و ٥ ـ الكافي ١: ٤٣٤، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٦ـ نهج البلاغة ٣١٦، الخطبة: ١٩٩، بالمضمون.

أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ"[1] . قال: أما ترى النّاس يسمّون الّذي يلي السّابق في الحَلْبَة[2] مصلّياً ، وذلك الّذي عنى ، حيث قال: "لَم نَكُ مِنَ المُصَلّين" ، أي: لم نك من أتباع السّابقين»[3] .

وفي أُخرى: «يعني أنّا لم نتولّ وصيّ محمّد والأوصياء من بعده ، ولم نصلّ عليهم»[4] .

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ﴾: ما يجب إعطاؤه . القمّي: حقوق آل محمّد صلّى الله عليه وآله من الخمس[5] .

﴿وَكُنّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِينَ﴾: نشرع في الباطل مع الشّارعين فيه .

﴿وَكُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: وكنّا بعد ذلك كلّه مكذّبين بالقيامة . وتأخيره لتعظيمه .

﴿حَتّىٰ أَتانا اليَقِينُ﴾: الموت .

﴿فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ﴾ لو شفعوا لهم جميعاً .

﴿فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ قال: «أي: عن الولاية معرضين»[6] .

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ .

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ . شبّههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذّكر بحمر نافرة فرّت من أسد .

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾ قال: «وذلك انّهم قالوا يا محمّد! قد بلغنا أنّ الرّجل من بني إسرائيل كان يذنب الذّنب فيصبح وذنبه مكتوب عند رأسه وكفّارته ، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقال: يسألك قومك سنّة بني

١ ـ الواقعة (٥٦): ١٠ ـ ١١ .

٢ ـ الحَلْبَة: خيل تجمع للسباق من كلّ أوبٍ ، لا تخرج من اصطبل واحد . الصّحاح ١: ١١٥ (حلب) .

٣ ـ الكافي ١: ٤١٩ ، الحديث: ٣٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٥ .

٦ ـ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

إسرائيل في الذّنوب، فإن شاؤوا فعلنا ذلك بهم، وأخذناهم بما كنّا نأخذ به بني إسرائيل فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كرِهَ ذلك لقومه»[١].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن اقتراحهم. ﴿بَلْ لا يَخافُونَ الآخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التّذكرة.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن إعراضهم. ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ﴾.

﴿وَما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾.

قال: «قال الله تعالى: أنا أهل أن أُتقى، ولا يشرك بي عبدي شيئاً، وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أُدخله الجنّة»[٢].



١ـ القمّي ٢: ٣٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ التّوحيد: ٢٠، الباب: ١، الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة القيامة

[مكّيّة ، وهي أربعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ القمّي: يعني أُقسم[2].

﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ﴾: الّتي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في الطّاعة.

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ﴾ بعد تفرّقها.

قيل: نزل في عديّ بن ربيعة، سأل رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن أمر القيامة، فأخبره به، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أُصدّقك، أو يجمع الله هذه العظام[3].

﴿بَلىٰ﴾: نجمعها ﴿قادِرِينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾ بجمع سُلامَياتِهِ[4] وضمّ بعضها إلى بعض، كما كانت مع صغرها ولطافتها، فكيف بكبار العظام.

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾: ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزّمان.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٦.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦٢.

٤ ـ السُّلامَيات: عظام الأصابع. الصّحاح ٥: ١٩٥١ (سلم).

القمّي: يقدّم الذّنب ويؤخّر التّوبة، ويقول: سوف أتوب[١].

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾: متى يكون؟ استبعاداً واستهزاءً.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾: تحيّر فزعاً. القمّي: يبرق البصر فلا يقدر أن يطرف[٢].

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: ذهب ضوؤه.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

ورد: إنّه سئل: متى يكون هذا الأمر؟ فقال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة، واجتمع الشّمس والقمر، واستدار بهما الكواكب والنّجوم. فقيل: متى؟ فقال: في سنة كذا وكذا تخرج دابّة الأرض من بين الصّفا والمروة، معه عصا موسى وخاتم سليمان يسوق النّاس إلى المحشر»[٣].

وقيل: أُريد بهذه الآيات ظهور أمارات الموت[٤].

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنّي.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفرّ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا ملجأ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: إليه وحده، وإلى حكمه ومشيئته موضع القرار.

﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال: «بما قدّم من خير وشرّ وما أخّر، فما سنّ من سنّة ليستنّ بها من بعده، فإن كان شرّاً كان عليه مثل وزرهم ولا ينقص من وزرهم شيئاً، وإن كان خيراً كان له مثل أُجورهم ولا ينقص من أُجورهم شيئاً»[٥].

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: حجّة بيّنة على أعمالها، لأنّه شاهد بها أو عين بصيرة بها، فلا يحتاج إلى الإنباء.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾: ولو جاء بكلّ مايمكن أن يعتذر به. القمّي: يعلم ماصنع وإن اعتذر.

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٦.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٦.
٣ ـ الغيبة: ٢٦٦، ذيل الحديث: ٢٢٨، عن المهديّ عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ٥: ١٦٢؛ تفسير الكبير ٣٠: ٢١٩.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

و ورد: «ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويستر سيّئاً ، أليس إذا راجع إلى نفسه يعلم أنّه ليس كذلك ، واللّه عزّوجلّ يقول: "بَلِ الإنسانَ عَلىٰ نَفسِهِ بَصيرَةٌ" إنّ السّريرة إذا صلحت قويت العلانية»[١] .

وفي رواية: إنّه تلا هذه الآية فقال: «ما يصنع الانسان أن يعتذر إلى النّاس»[٢] .

﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: لا تحرّك يا محمّد بالقرآن لسانك قبل أن يتمّ وحيه لتأخذه على عجلة ، مخافة أن ينفلت منك .

روي: «إنّه إذا نزل عليه القرآن عجّل بتحريك لسانه ؛ لحبّه إيّاه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه ، فنهاه اللّه عن ذلك»[٣] .

﴿إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: وإثبات قراءته في لسانك ، وهي تعليل للنّهي .

﴿فَإذا قَرَأْناهُ﴾ بلسان جبرئيل عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: قراءته بتكراره ، حتّى تقرّر في ذهنك .

روي: «فكان النّبيّ عليه السلام بعد هذا إذا نزل عليه جبرئيل أطرق ، فإذا ذهب قرأ»[٤] .

﴿ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾: بيان ما أُشكل عليك من معانيه .

﴿كَلّا﴾ لعلّه ردع عن إلقاء الإنسان المعاذير مع أنّه على نفسه بصيرة ؛ وما بينهما اعتراض . ﴿بَلْ تُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾: الدّنيا .

﴿وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ .

١ ـ الكافي ٢: ٢٩٥ ، الحديث: ١١ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ المصدر: ٢٩٦ ، الحديث: ١٥ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيهما: «ما يصنع الإنسان أن يعتذر إلى النّاس بخلاف ما يعلم اللّه منه» .

٣ ـ التبيان ١٠: ١٩٥ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٧ ؛ جامع البيان (للطبري) ١٩: ١١٧ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٧ .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾ قال: «يعني مشرقة»[1].

﴿إِلىٰ رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ قال: «ينتظر ثواب ربّها»[2].

ورد: «ينتهي أولياء اللّه بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمّى الحيوان، فيغتسلون فيه ويشربون منه، فتبيضّ وجوههم إشراقاً، فيذهب عنهم كلّ قذى ووَعْث، ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة. فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم. قال: فذلك قوله تعالى: "إلى ربّها نَاظِرَةٌ" وإنّما يعني بالنّظر إليه النّظر إلى ثوابه تبارك وتعالى»[3].

قال: «والنّاظرة في بعض اللّغة هي المنتظرة. ألم تسمع إلى قوله: "فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ" أي: منتظرة»[4].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ﴾ شديدة العبوس.

﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ﴾ داهية تكسر الفقار.

﴿كَلّا﴾ ردع عن إيثار الدّنيا على الآخرة. ﴿إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ﴾ القمّي: يعني النّفس إذا بلغت التّرقوة[5].

﴿وَقِيلَ مَنْ راقٍ﴾ يقال له: من يرقيك؟ قال: «ذلك ابن آدم إذا حلّ به الموت؛ قال: هل من طبيب؟»[6].

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الفِراقُ﴾: علم أنّه الّذي نزل به فراق الدّنيا ومحابها. قال: «أيقن بمفارقة الأحبّة»[7].

﴿وَالْتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ﴾: إلتوت شدّة فراق الدّنيا بشدّة خوف الآخرة. قال:

١ و ٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٥، الباب: ١١، الحديث: ٢.

٣ ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥؛ الاحتجاج ١: ٣٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام. والآية في سورة النّمل (٢٧): ٣٥.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٧.

٦ و ٧ ـ الكافي ٣: ٢٥٩، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

«إلتفّت الدّنيا بالآخرة»[1].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ قال: «المصير إلى ربّ العالمين»[2].

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بما يجب تصديقه ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ما فرض عليه.

﴿وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطّاعة.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾: يتبختر؛ افتخاراً بذلك.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ قال: «يقول اللّه عزّوجلّ بُعداً لك من خير الدّنيا وبعداً لك من خير الآخرة»[3].

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: مهملاً. القمّي: لا يحاسب ولا يعذّب ولا يسأل عن شيء[4].

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: فقدّره فعدله.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾: الصّنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

ورد: «إنّه إذا قرأ هذه السّورة قال عند فراغها: سبحانك اللّهمّ بلى»[5].

١ و ٢ ـ الكافي ٣: ٢٥٩، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٥٤، الباب: ٣١، الحديث: ٢٠٥، عن أبي جعفر الجواد عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٩٧.

٥ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٨٣، الباب: ٤١، الحديث: ٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٢، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله؛ وأبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

سورة الدّهر[1]

[مدنيّة ، وهي إحدى وثلاثون آية][2]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿هَلْ أَتىٰ عَلَى الإنْسانِ﴾ استفهام تقرير وتقريب ؛ ولذلك فسّر بقد . ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾: طائفة من الزّمان ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ قال: «كان مقدوراً غير مذكور»[3] . وفي رواية: «كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخَلْق»[4] .

﴿إنّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ﴾: أخلاط . قال: «ماء الرّجل والمرأة اختلطا جميعاً»[5] .

﴿نَبْتَلِيهِ﴾: نختبره ﴿فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ ليتمكّن من استماع الآيات ومشاهدة الدّلائل .

﴿إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إمّا شاكِراً وَ إمّا كَفُوراً﴾ قال: «عرّفناه ؛ إمّا آخذاً وإمّا تاركاً»[6] .

١ ـ في «ج»: «سورة الإنسان» .

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٣ ـ الكافي ١: ١٤٧ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٦ ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ الكافي ١: ١٦٣ ، الحديث: ٣ ؛ التّوحيد: ٤١١ ، الباب: ٦٤ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

وفي رواية: «إمّا آخذٌ فشاكرٌ، وإمّا تاركٌ فكافرٌ»[١].

﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ﴾ بها يقادون ﴿وَأَغْلالاً﴾ بها يقيّدون ﴿وَسَعِيراً﴾ بها يحرقون.

﴿إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾: من خمر ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما يمزج بها ﴿كافُوراً﴾ لبرده وعذوبته وطيب عَرْفه[٢].

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها﴾ القمّي: أي: منها[٣]. ﴿عِبادُ اللّٰهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً﴾ يجرونها حيث شاؤوا، إجراءً سهلاً.

قال: «هي عين في دار النبيّ صلى الله عليه وآله، يفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين»[٤].

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ بيان لما رزقوه لأجله، وهو أبلغ في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات، لأنّ من وفى بما أوجبه على نفسه كان أوفى بما أوجبه اللّٰه عليه.

﴿وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾: شدائده فاشياً منتشراً غاية الانتشار. قال: «كلوحاً عابساً»[٥].

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ﴾: حبّ الطّعام. قال: «يقول على شهوتهم للطّعام وإيثارهم له»[٦]. ﴿مِسْكِيناً﴾ قال: «من مساكين المسلمين»[٧]. ﴿وَيَتِيماً﴾. قال: «من يتامى المسلمين»[٨]. ﴿وَأَسِيراً﴾ قال: «من أُسارى المشركين»[٩].

﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً﴾.

قال: «يقولون إذا أطعموهم ذلك. قال: واللّٰه ما قالوا هذا لهم ولكنّهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر اللّٰه بإضمارهم يقولون: لا نريد جزاء تكافونا به، ولا شكوراً تثنون علينا

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ العَرْف: الرّيح طَيِّبَةً أو مُنْتِنَةً، وأكثر استعماله في الطّيّبة. القاموس المحيط ٣: ١٧٨ (عرف).
٣ ـ القمّي ٢: ٣٩٨.
٤ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبد اللّٰه، عن أبيه عليهما السلام.
٥ ـ إلى ٩ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

به ، ولكنّا إنّما أطعمناكم لوجه اللّه وطلب ثوابه»[١] .

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً﴾: يعبس فيه الوجوه ﴿قَمْطَرِيراً﴾: شديد العبوس .

في المجمع: قد روى الخاصّ والعامّ: «إنّ الآيات من هذه السّورة ، وهي قوله: "إنّ الأبرار يشربون" إلى قوله: "وكان سعيكم مشكوراً" نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمّى فضّة . والقصّة طويلة ؛ جملتها: إنّه مرض الحسن والحسين فعادهما جدّهما ووجوه العرب ، وقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً! فنذر صوم ثلاثة أيّام إن شفاهما اللّه سبحانه ، ونذرت فاطمة عليها السلام ، وكذلك فضّة ، فبرءا وليس عندهم شيء ، فاستقرض عليّ عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهوديّ ـ وروي: أنّه أخذها ليغزل له صوفاً ـ وجاء به إلى فاطمة ، فطحنت صاعاً منها فاختبزته ، وصلّى عليّ عليه السلام المغرب وقرّبته إليهم ، فأتاهم مسكين يدعو لهم ، وسألهم فأعطوه ، ولم يذوقوا إلّا الماء . فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته واختبزته ، وقدّمته إلى عليّ عليه السلام ، فإذا يتيم بالباب يستطعم ، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء . فلمّا كان اليوم الثّالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته ، وقدّمته إلى عليّ عليه السلام ، فإذا أسير بالباب يستطعم ، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء . فلمّا كان اليوم الرّابع ـ وقد قضوا نذورهم ـ أتى عليّ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وبهما ضعف ، فبكى رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، ونزل جبرئيل عليه السلام بسورة هل أتى»[٢] .

أقول: وردت هذه القصّة بأنحاء أُخر[٣] ؛ اختلافها لا يؤثّر في المعنى المطلوب منها ، والمذكور أشهر .

١ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٤ ؛ الكشّاف ٤: ١٩٧ ؛ البيضاوي ٥: ١٦٥ ؛ تفسير الكبير ٣٠: ٢٤٤ ؛ روح المعاني ٢٩: ١٥٧ .

٣ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٢ ، المجلس: ٤٤ ، الحديث: ١١ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام ؛ المناقب ٣: ٣٧٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٤ ، عن ابن عبّاس .

والمذكور أشهر.

﴿فَوَقاهُمُ اللّٰهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ قال: «نضرة في الوجوه، وسروراً في القلوب»[١].

﴿وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ قال: «جنّة يسكنونها، وحريراً يفترشونه ويلبسونه»[٢].

﴿مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ﴾ قال: «الأريكة: السّرير عليه الحجلة»[٣]. ﴿لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾ قيل: يعني إنّه يمرّ عليهم هواء معتدل، لا حارّ محمي ولا بارد مؤذي[٤].

﴿وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها﴾: قريبة منهم ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً﴾: سهل التّناول. قال: «من قربها منهم؛ يتناول المؤمن من النّوع الذي يشتهيه من الثّمار بفيه وهو متكئ»[٥].

﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ﴾ القمّي: الأكواب: الأكواز العظام التي لا إذان لها ولا عرى[٦]. ﴿كانَتْ قَوارِيرَا﴾.

﴿قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي: تكون جامعة بين صفاء الزّجاجة وشفيفها، وبياض الفضّة ولينها.

قال: «ينفذ البصر في فضّة الجنّة كما ينفذ في الزّجاج»[٧].

﴿قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾ قيل: أي: قدّروها في أنفسهم، فجاءت مقاديرها وأشكالها كما

١ و ٢ و ٣ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥ ـ ٢١٦، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.

٥ ـ الكافي ٨: ٩٩، قطعة من حديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦ ـ القمّي ٢: ٣٩٩.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

تمنّوه[١]. والقمّي: يقول: صنعت لهم على قدر رتبتهم، لا تحجّر فيها ولا فضل[٢].

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً﴾: ما يشبه الزّنجبيل في الطّعم. قيل: كانت العرب يستلذّون الشّراب الممزوج به[٣].

﴿عَيْناً فِيها تُسَمّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾ قيل: لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها؛ على أن تكون الباء زائدة. والمراد به: أن ينفى عنها لذع الزّنجبيل[٤].

قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «أعطاني اللّه خمساً وأعطى عليّاً خمساً. أعطاني الكوثر وأعطاه السّلسبيل»[٥].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ قيل: أي: دائمون[٦]. والقمّي: مسوّرون[٧]. ﴿إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ مِنْ صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم، وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض.

﴿وَإِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ قال: «لا يزول ولا يفنى»[٨].

وفي رواية: «يعني بذلك وليّ اللّه؛ وما هو فيه من الكرامة والنّعيم والملك العظيم، وإنّ الملائكة من رسل اللّه ليستأذنون عليه؛ فلا يدخلون عليه إلّا بإذنه»[٩].

﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: يعلوهم ثياب الحرير الخضر؛ ما رقّ منها

١ ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٩.
٣ و ٤ ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.
٥ ـ الخصال ١: ٢٩٣، الحديث: ٥٧، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.
٦ ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.
٧ ـ القمّي ٢: ٣٩٩.
٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٩ ـ الكافي ٨: ٩٨، ذيل الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله؛ القمّي ٢: ٢٤٨، ذيل الآية: ٢٠، من سورة الزّمر، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين، عن رسول اللّه صلوات اللّه عليهم.

وما غلظ. قال: «يعلوهم الثّياب فيلبسونها»[١].

﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾.

قال: «وعلى باب الجنّة شجرة؛ إنّ الورقة منها ليستظلّ تحتها ألف رجل من النّاس، وعن يمين الشّجرة عين مطهّرة مزكّية. قال: فيسقون منها شربة، فيطهّر اللّه بها قلوبهم من الحسد، ويسقط عن أبشارهم الشّعر، وذلك قول اللّه عزّوجلّ "وَسَقاهُم رَبُّهُم شَراباً طَهُوراً"»[٢].

وفي رواية: «يطهّرهم عن كلّ شيء سوى اللّه»[٣].

﴿إِنَّ هٰذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾: غير مضيّع.

﴿إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾: مفرّقاً منجّماً. قال: «بولاية عليّ عليه السلام»[٤].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرتك على الأعداء ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ القمّي: بالغداة ونصف النّهار[٥].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾. سئل: وما ذلك التّسبيح؟ قال: «صلاة اللّيل»[٦].

﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ﴾: وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب. القمّي: أي:

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٩٦، ذيل الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.
٣ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٤٣٥، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.
٥ـ القمّي ٢: ٣٩٩.
٦ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

خلقهم[١]. ﴿وَإِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ في الدّنيا والآخرة.

﴿إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: تقرّب إليه بالطّاعة. قال: «الولاية»[٢].

﴿وَماتَشاؤُونَ إِلّا أَنْ يَشاءَ اللّٰهُ﴾. سئل عن المفوّضة، قال: «كذبوا: بل قلوبنا أوعية لمشيئة اللّه عزّوجلّ، فإذا شاء شئنا، ثمّ تلا هذه الآية[٣]». ﴿إِنَّ اللّٰهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾: لا يشاء إلّا ما يقتضيه علمه وحكمته.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية والتّوفيق للطّاعة. قال: «في ولايتنا»[٤]. ﴿وَالظّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾.



١ ـ القمّي ٢: ٣٩٩.

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٥، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ الغيبة: ٢٤٧، ذيل الحديث: ٢١٦؛ الخرائج والجرائح ١: ٤٥٩، ذيل الحديث: ٤، عن القائم عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣٥، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

سورة المرسلات

[مكيّة، وهي خمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾.

﴿فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً﴾.

﴿وَالنّاشِراتِ نَشْراً﴾.

﴿فَالْفارِقاتِ فَرْقاً﴾.

﴿فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً﴾. ﴿عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾: «أقسم بطوائف من الملائكة، أرسلهنّ الله بالمعروف من أوامره ونواهيه». كذا ورد عن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام[2].

والقمّي: "وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً": آيات تتبع بعضها بعضاً. "فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً": القبر. "وَالنّاشِراتِ نَشْراً": نشر الأموات، "فَالْفارِقاتِ فَرْقاً": الدّابّة. "فالملقيات ذِكراً": الملائكة. "عذرا أو نذرا": أعذركم وأنذركم بما أقول؛ وهو قَسَمٌ[3].

أقول: كأنّه أشار بذلك إلى الملائكة المرسلة بآيات الرّجعة وأشراط السّاعة، ولإثارة

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٤٠٠.

التّراب من القبور ونشر الأموات منها، وإخراج دابّة الأرض، وفرق المؤمن من الكافر، وإلقاء الذّكر في القلوب.

﴿إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ﴾ جواب القسم. ومعناه: أنّ الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾. قال: «طموسها: ذهاب ضوئها»[١].

﴿وَإِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ﴾ القمّي: تنفرج وتنشقّ[٢].

﴿وَإِذَا الجِبالُ نُسِفَتْ﴾: جعلت كالرّمل. والقمّي: تقلع[٣].

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ قال: «بعثت في أوقات مختلفة»[٤].

أقول: يعني عيّن لها وقتها الذي يحضرون فيه للشّهادة على الأُمم.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: أُخّرت وضُرِبَ لهم الأجل، وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله.

﴿لِيَوْمِ الفَصْلِ﴾ بيان ليوم التّأجيل.

﴿وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الفَصْلِ﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ قيل: أي: بذلك[٥]. قال: «بما أوحيت إليك من ولاية عليّ عليه السلام»[٦].

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ قال: «الّذين كذّبوا الرّسل في طاعة الأوصياء»[٧].

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾.

﴿كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ قال: «من أجرم إلى آل محمّد صلى الله عليه وآله، وركب من وصيّه ما

١ـ القمّي ٢: ٤٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ و ٣ـ القمّي ٢: ٤٠٠.

٤ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤١٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ البيضاوي ٥: ١٦٧.

٦ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٧ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

ركب»[١].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيدٌ.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾: من نطفة قذرة ذليلة.

﴿فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ﴾: في الرّحم.

﴿إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾: إلى مقدار معيّن من الوقت، قدّره الله للولادة.

﴿فَقَدَرْنا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ القادِرُونَ﴾ نحن.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتنا.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتاً﴾.

﴿أَحْياءً وَأَمْواتاً﴾. ورد: «إنّه نظر إلى المقابر فقال: هذه كفات الأموات، أي: مساكنهم. ثمّ نظر إلى بيوت الكوفة فقال: هذه كفات الأحياء، ثمّ تلا هذه الآية»[٢].

وفي رواية: «دفن الشّعر والظّفر»[٣].

﴿وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾ القمّي: جبالاً مرتفعة[٤].

﴿وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾: عذباً، بخلق الأنهار والمنابع فيها.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمثال هذه النّعم.

﴿إِنْطَلِقُوا﴾ أي: يقال لهم: إنطلقوا ﴿إِلىٰ ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب.

﴿إِنْطَلِقُوا﴾ خصوصاً ﴿إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ قال: «من دخان النّار. قال: فيحسبون أنّها الجنّة، ثمّ يدخلون النّار أفواجاً»[٥].

١ ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٢ ـ معاني الأخبار: ٣٤٢، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ القمّي ٢: ٤٠٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٦: ٤٩٣، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ معاني الأخبار: ٣٤٢، ذيل الحديث: ١.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٠.

٥ ـ القمّي ٢: ١١٣، ذيل الآية: ٢٤ من سورة الفرقان، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾.

﴿إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ في عِظَمِها. القمّي: شرر النّار كالقصور والجبال[1].

﴿كَأَنَّهُ جِمالَتٌ﴾: جمع «جمال»، جمع جمع «جمل». ﴿صُفْرٌ﴾ القمّي: أي: سود[2].

قيل: وذلك لأنّ سواد الإبل يضرب إلى الصّفرة. والأوّل تشبيه في العظم، وهذا في اللّون والكثرة والتّتابع والاختلاط وسرعة الحركة[3].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾ من فرط الحيرة والدّهشة، يعني: «في بعض مواقفه». كما ورد[4].

﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾. عطفٌ على «يؤذن» ليس بجواب له؛ ليوهم أنّ لهم عذراً.

قال: «اللّه أجلّ وأعدل وأعظم من أن يكون لعبده عذر لا يدعه يعتذر به، ولكنّه فلج فلم يكن له عذر»[5].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هذا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين المحقّ والمبطل ﴿جَمَعْناكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾. تقريعٌ لهم على كيدهم للمؤمنين في الدّنيا، وإظهار لعجزهم يومئذ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ إذ لاحيلة لهم في التّخلّص من العذاب.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ﴾.

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٠.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦٨.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٨، عن قتادة، عن عكرمة.

٥ ـ الكافي ٨: ١٧٨، الحديث: ٢٠٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: مستقرّون في أنواع الطّرفة . القمّي: في ظلال من نور أنور من الشّمس[1] .

قال: «نحن والله وشيعتنا ؛ ليس على ملّة إبراهيم غيرنا ، وسائر النّاس منها برآء»[2] .

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ . ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ يقال لهم ذلك تذكيراً بحالهم في الدّنيا ، وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النّعيم المقيم .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدّائم بالتّمتّع القليل .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ . روي: «أنّها نزلت في ثقيف حين أُمروا بالصّلاة ، فقالوا: لا نحني ـ بالحاء المهملة والنّون ، أي: لا نعطف ـ ظهورنا»[3] .

وفي رواية: «لا نُجبّي ـ بالجيم والموحّدة المشدّدة ، أي: لا ننكّب على وجوهنا ـ فإنّها مسبّة . قال: فقال: لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود»[4] .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به .

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٠ .

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٥ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٣ ـ الكشّاف ٤: ٢٠٥ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٩ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٩ ؛ الكشّاف ٤: ٢٠٥ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

سورة النّبأ

[مكيّة ، وهي أربعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿عَمَّ يَتَساءَلُونَ﴾: عمّا يسأل بعضهم بعضاً.

﴿عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ﴾.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ قيل: كانوا يتساءلون عن البعث[2].

و ورد: «النّبأ العظيم: الولاية»[3].

وفي رواية: «هي في أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: ما للّه عزّوجلّ آيةٌ هي أكبر منّي ، ولا للّه نبأ أعظم منّي»[4].

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ رَدْعٌ عن التّساؤل ووعيدٌ عليه .

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ . كرّر للمبالغة ، و«ثمّ» للإشعار بأنّ الوعيد الثّاني أشدّ . ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً﴾ للنّاس .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الكشّاف ٤: ٢٠٦ ؛ البيضاوي ٥: ١٦٩ .

٣ ـ الكافي ١: ٤١٨ ، الحديث: ٣٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٢٠٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿وَالجِبالَ أَوْتاداً﴾ . للأرض .

﴿وَخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً﴾: ذكراً وأُنثى .

﴿وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً﴾ قطعاً عن الاحساس والحركة ؛ استراحة للقوى .

﴿وَجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباساً﴾: غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء . والقمّي: يلبس على النّهار[1] .

﴿وَجَعَلْنا النَّهارَ مَعاشاً﴾: وقت معاش تتقلّبون فيه ، لتحصيل ما تعيشون به .

﴿وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً﴾ : سبع سماوات أقوياء محكمات ، لا يؤثّر فيها مرور الدّهر .

﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً﴾: متلألئاً وقّاداً ، يعني الشّمس .

﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ﴾: السّحائب إذا أعصرت ، أي: شارفت أن تعصرها الرّياح فتمطر . ﴿ماءً ثَجّاجاً﴾: منصبّاً بكثرة .

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَباتاً﴾ ما يقتات به ، وما يعتلف من التّبْنِ[2] والحشيش .

﴿وَجَنّاتٍ أَلْفافاً﴾: ملتفة بعضها ببعض .

﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كانَ مِيقاتاً﴾: حدّاً يوقّت به الدّنيا وتنتهي عنده ، أو حدّاً للخلائق ينتهون إليه .

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً﴾: جماعات من القبور إلى المحشر .

روي أنّه سئل عنه فقال: «تحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتاً ، قد ميّزهم اللّه من المسلمين وبدّل صورهم ، فبعضهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكوسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يُسْحَبون عليها ، وبعضهم عُمي يتردّدون ، وبعضهم صُمٌّ بُكْمٌ لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم ؛ تسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذّرهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلوبون

١ ـ القمّي ٢: ٤٠١ .

٢ ـ التِّبْنُ: عصيفة الزّرع من البرّ ونحوه ، واحدته: تبنة . لسان العرب ١٣: ٧١ (تبن) .

على جذوع من نار ، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف ، وبعضهم ملبّسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم . ثمّ فسّرهم بالقتّات[1] ، وأهل السّحت ، وأكلة الرّبا ، والجائرين في الحكم ، والمعجبين بأعمالهم ، والعلماء والقضاة الّذين خالف أعمالهم أقوالهم ، والمؤذين جيرانهم ، والسّاعين بالنّاس إلى السّلطان ، والتابعين للشّهوات المانعين حقّ اللّه ، والمتكبّرين من الخيلاء»[2] .

﴿وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً﴾ قيل: شقّت شقوقاً[3] . والقمّي: انفتح أبواب الجنان[4] .

﴿وَسُيِّرَتِ الجِبالُ فَكانَتْ سَراباً﴾ القمّي: تسير الجبال مثل السّراب الّذي يلمع في المفازة[5] .

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً﴾: موضع رصد .

﴿لِلطّاغِينَ مَآباً﴾: مرجعاً ومأوى .

﴿لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً﴾: دهوراً متتابعة .

ورد: «الأحقاب ثمانية أحقاب ، والحُقب ثمانون سنة ، والسّنة ثلثمائة وستّون يوما ، واليوم كألف سنة ممّا تعدّون»[6] . و ورد غير ذلك[7] .

﴿لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً﴾ قيل: البرد ما يروّحهم وينفّس عنهم حرّ النّار[8] . والقمّي: البرد النوم[9] . ﴿وَلا شَراباً﴾ .

١ ـ القتّات: النّمام المزوّر ، من قتّ الحديث: نمّه وأشاعه بين النّاس . مجمع البحرين ٢: ٢١٤ (قتت) .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٣ ؛ الكشّاف ٤: ٢٠٨ ؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٩: ١٧٥ ، عن رسول اللّه ﷺ .

٣ ـ التّبيان ١٠: ٢٤٣ ؛ البيضاوي ٥: ١٦٩ .

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٤٠١ .

٦ ـ معاني الأخبار: ٢٢٠ ، باب معنى الأحقاب ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه: «الحقبة ثمانون سنة» .

٧ ـ القمّي ٢: ٤٠٢ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٤ ؛ بحار الأنوار ٨: ٢٧٦ .

٨ ـ الكشّاف ٤: ٢٠٩ ؛ البيضاوي ٥: ١٧٠ .

٩ ـ القمّي ٢: ٤٠٢ .

﴿إلّا حَمِيماً وَغَسّاقاً﴾ . مضى تفسيره في صٓ[1] .

﴿جَزاءً وِفاقاً﴾: موافقاً لأعمالهم وعقائدهم .

﴿إنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً﴾ .

﴿وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذّاباً﴾: تكذيباً . وفي قراءتهم عليهم السلام بالتّخفيف[2] ، بمعنى الكذب . كأنّه أُقيم مقام التّكذيب ؛ للدّلالة على أنّهم كذبوا في تكذيبهم .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْناهُ كِتاباً﴾ اعتراضٌ .

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلّا عَذاباً﴾ لكفركم بالحساب وتكذيبكم بالآيات ، ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة . ورد: «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النّار»[3] .

﴿إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً﴾ القمّي: يفوزون[4] . و ورد: «هي الكرامات»[5] .

﴿حَدائِقَ وَأعْناباً﴾ .

﴿وَكَواعِبَ﴾ قال: «أي: الفتيات النّاهدات»[6] . ﴿أتْراباً﴾: على سنّ واحد .

﴿وَكَأساً دِهاقاً﴾: ممتلئة .

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذّاباً﴾ .

﴿جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً﴾ .

قال: «حَسَبَ لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم ، وبكلّ واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال الله تعالى: "جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً"»[7] .

١ ـ ذيل الآية: ٥٧ .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ ـ الكشّاف ٤: ٢١٠ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٢ .

٥ و ٦ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام . ونَهَدَ ثدي الجارية: إذا أشرف وكعّب ؛ فهي ناهِدٌ وناهِدَة . وسمّي الثّدي «نهداً» لارتفاعه . الصّحاح ٢: ٥٤٥ ؛ مجمع البحرين ٣: ١٥٢ (نهد) .

٧ ـ الأمالي (للشّيخ الطوسي) ١: ٢٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

﴿رَبِّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمٰنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً﴾: لا يملك أهل السّماوات والأرض خطابه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب؛ لأنّهم مملوكون له على الإطلاق. وذلك لا ينافي الشّفاعة بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً﴾ قال: «الرّوح أعظم من جبرئيل وميكائيل؛ كان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام»[1].

﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقالَ صَواباً﴾. قال: «نحن والله المأذون لهم يوم القيامة، والقائلون صواباً. قيل: ما تقولون إذا تكلّمتم؟ قال: نمجّد ربّنا ونصلّي على نبيّنا، ونشفع لشيعتنا، ولا يردّنا ربّنا»[2].

﴿ذٰلِكَ اليَوْمُ الحَقُّ﴾: الكائن لا محالة ﴿فَمَنْ شاءَ ٱتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً﴾ بالإيمان والطّاعة.

﴿إِنّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً﴾ يعني عذاب الآخرة، وقربه لتحقّقه؛ فإنّ كلّ ما هو آتٍ قريب، ولأنّ مبدأه الموت.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾ من خير أو شرّ ﴿وَيَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ في الدنيا، فلم أُخلق، ولم أُكلّف، أو في هذا اليوم فلم أُبعث.

١ ـ القمّي ٢: ٢٧، ذيل الآية: ٨٥ من سورة الإسراء، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٥، ذيل الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٧، عن أبي عبد الله عليه السلام مع تفاوت يسير.

سورة النّازعات

[مكيّة ، وهي ستّ وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم



﴿وَالنَّازِعاتِ غَرْقاً﴾ .

﴿وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً﴾ .

﴿وَالسَّابِحاتِ سَبْحاً﴾ .

﴿فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً﴾ .

﴿فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً﴾ . هذه صفات ملائكة الموت . أقسم الله بهم على قيام السّاعة ، وإنّما حذف لدلالة ما بعده عليه . «وهم الّذين ينزعون أرواح الكفّار من أبدانهم بالشّدّة . "غرقاً" أي: إغراقاً في النّزع كما يغرق النّازع في القوس فيبلغ به غاية المدّ . وينشطون أرواحهم ، أي: ينزعونها ما بين الجلد والأظفار حتّى يخرجونها من أجوافهم بالكرب والغمّ . ويقبضون أرواح المؤمنين ؛ يسلّونها سلّاً رفيقاً ، ثمّ يدعونها حتّى تستريح ، كالسّابح بالشّيء في الماء يرمي به ؛ فتسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنّة ، وتدبّر الملائكة أمر العباد

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

من السَّنَة إلى السَّنَة» . كذا ورد[١] .

وفي رواية: «هو الموت تنزع النّفوس»[٢] .

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ ﴾ القمّي: تنشقّ الأرض بأهلها[٣] .

﴿ تَتْبَعُهَا الرّادِفَةُ ﴾ القمّي: الرادفة: الصّيحة[٤] .

﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ ﴾: شديدة الاضطراب .

﴿ أَبْصارُها خاشِعَةٌ ﴾ أي: أبصار أهلها ذليلة من الخوف .

﴿ يَقُولُونَ أَإِنّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافِرَةِ ﴾: في الحالة الأُولى ، يعنون الحياة بعد الموت ؛ من قولهم: رجع فلان في حافرته ، أي: طريقته الّتي جاء فيها فحفرها ، أي: أثّر فيها بمشيئته .

قال: «يقول: في الخلق الجديد»[٥] . والقمّي: قالت قريش: أنرجع بعد الموت[٦] ؟

﴿ أَإِذا كُنّا عِظاماً نَخِرَةً ﴾: بالية .

﴿ قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ ﴾: ذات خسران . والمعنى: أنّها إن صحّت فنحن إذاً خاسرون ؛ لتكذيبنا بها . القمّي: قالوا هذا على حدّ الاستهزاء[٧] .

﴿ فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ ﴾ أي: لا تستصعبوها ، فما هي إلّا صيحة واحدة .

القمّي: الزّجرة: النفخة الثّانية في الصّور[٨] .

﴿ فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَةِ ﴾: فإذا هم أحياء على وجه الأرض ، بعد ما كانوا أمواتاً في بطنها .

قال: «السّاهرة: الأرض . كانوا في القبور ، فلمّا سمعوا الزّجرة خرجوا من قبورهم فاستووا على الأرض»[٩] .

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ؛ الدّرّ المنثور ٨: ٤٠٣ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٣ .
٥ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٦ ـ المصدر .
٧ و ٨ ـ القمّي ٢: ٤٠٣ .
٩ ـ القمّي ٢: ٤٠٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسىٰ﴾: أليس قد أتاك حديثه فيسلّيك على تكذيب قومك، ويهدّدهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم.

﴿إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ مرّ بيانه في طه[١].

﴿إِذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ﴾.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلىٰ أَنْ تَزَكّىٰ﴾: هل لك ميلٌ إلى أن تتطهّر من الكفر والطّغيان.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ﴾: وأرشدك إلى معرفته ﴿فَتَخْشىٰ﴾ بأداء الواجبات وترك المحرّمات، إذ الخشية إنّما تكون بعد المعرفة، وهذا كالبيان لقوله: "فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً"[٢].

﴿فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرىٰ﴾ أي: ذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصىٰ﴾.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعىٰ﴾: أدبر عن الطّاعة ساعياً في إبطال أمره. ﴿فَحَشَرَ فَنادىٰ﴾ فجمع جنوده.

﴿فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ﴾.

﴿فَأَخَذَهُ اللّٰهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولىٰ﴾. القمّي: النّكال: العقوبة، والآخرة قوله: "أَنَا رَبُّكُمُ الأعلىٰ"، والأُولى قوله: "ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيرِي"[٣] فأهلكه اللّه بهذين القولين[٤].

ورد: «كان بين الكلمتين أربعون سنة»[٥]. قال: «قال: رسول اللّه صلّى الله عليه وآله: قال جبرئيل: قلت: يا ربّ تدع فرعون وقد قال "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعلىٰ" فقال: إنّما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت»[٦].

١ ـ ذيل الآية: ١٢.

٢ ـ طه (٢٠): ٤٤.

٣ ـ القصص (٢٨): ٣٨.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٣.

٥ ـ الخصال ٢: ٥٣٩، الحديث: ١١؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي الخصال ٢: ٥٣٩، الحديث: ١١، عنه عليه السلام ما يقرب ذلك.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ﴾.

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها﴾.

﴿رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها﴾.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَها﴾: أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحاها﴾: وأبرز ضوء شمسها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحاها﴾: بسطها ومهّدها للسّكنى.

﴿أَخْرَجَ مِنْها ماءَها﴾ بتفجير العيون ﴿وَمَرْعاها﴾.

﴿وَالْجِبالَ أَرْساها﴾: أثبتها.

﴿مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ﴾.

﴿فَإِذا جاءَتِ الطّامَّةُ﴾: الدّاهية الّتي تطمّ، أي: تعلو على سائر الدّواهي ﴿الْكُبْرىٰ﴾: الّتي هي أكبر الطّامّات.

قال: «هي خروج دابّة الأرض»[1]. وجواب «إذا» محذوف، دلّ عليه ما بعده.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعىٰ﴾ بأن يراه مدوّناً في صحيفته، وكان قد نسيها من فرط الغفلة وطول المدّة. القمّي: يذكر ما عمله كلّه.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾: وأظهرت ﴿لِمَنْ يَرىٰ﴾: لكلّ راءٍ، بحيث لا تخفى على أحد.

﴿فَأَمّا مَنْ طَغىٰ﴾ قال: «ضلّ على عمدٍ بلا حجّة»[2].

﴿وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾: فانهمك فيها، ولم يستعدّ للآخرة بالعبادة وتهذيب النّفس.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ﴾: هي مأواه.

﴿وَأَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ﴾: مقامه بين يدي ربّه؛ لعلمه بالمبدأ والمعاد ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ﴾ لعلمه بأنّ الهوى يُرديه.

قال: «من علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ويفعل، ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ؛

١ ـ كمال الدّين ٢: ٥٢٧، الباب: ٤٧، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٢: ٣٩٤، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

فيحجزه ذلك، عن القبيح من الأعمال؛ فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى»[1].

﴿فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوىٰ﴾: ليس له سواها مأوى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْساها﴾: متى إرساؤها، أي: إقامتها وإثباتها. القمّي: متى تقوم؟

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها﴾: في أيّ شيء أنت من أن تذكّر وقتها لهم! أي: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء، فإنّه ممّا استأثره اللّه بعلمه.

﴿إِلىٰ رَبِّكَ مُنْتَهاها﴾ أي: منتهى علمها. القمّي: أي: علمها عند اللّه[2].

﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها﴾.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدّنيا ﴿إِلّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها﴾ أي: عشيّة يوم أو ضُحاه، كقوله: إلّا ساعة من نهار. ولذلك أضاف الضحى إلى العشيّة، لأنّهما من يوم واحد. القمّي: بعض يوم[3].

١ـ الكافي ١: ٧٠، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ و ٣ـ القمّي ٢: ٤٠٤.

سورة عبس

[مكيّة ، وهي اثنتان وأربعون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلّىٰ﴾ .

﴿أَنْ جاءَهُ الأَعْمىٰ﴾ . قال: «نزلت في رجل من بني أميّة كان عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله فجاء ابن أُمّ مكتوم ، فلمّا رآه تَقَذَّرَ منه وجمع نفسه ، وعبس وأعرض بوجهه عنه . فحكى اللّه ذلك وأنكره عليه»[2] .

والقمّي: نزلت في عثمان وابن أُمّ مكتوم ، وكان ابن أُمّ مكتوم مؤذّنا لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله ؛ وكان أعمى ، وجاء إلى رسول صلّى الله عليه وآله وعنده أصحابه وعثمان عنده ، فقدّمه رسول اللّه صلّى الله عليه وآله على عثمان ، فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه ، فأنزل اللّه: "عبس وتولّى" يعني عثمان "أن جاءه الأعمى"[3] .

﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّىٰ﴾ القمّي: أي: يكون طاهراً أزكى[4] .

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: أو يذكره رسول اللّه صلّى الله عليه وآله ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرىٰ﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ .

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ . القمّي: ثمّ خاطب عثمان ، قال: أنت إذا جاءك غنيّ تتصدّى له وترفعه[1] .

﴿وَما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي: لا تبالي أزكيّاً كان أو غير زكيّ ، إذا كان غنيّاً .

﴿وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يعني ابن أُمّ مكتوم .

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ .

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: تلهو ولا تلتفت إليه .

أقول: وأمّا ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النّبيّ صلّى الله عليه وآله دون عثمان ، فيأباهُ سياق هذه المعاتبات وما ذكر بعدها من الآيات ، كما لا يخفى على العارف برتبة النّبوات وأساليب المخاطبات ، ويشبه أن يكون من مختلقات أهل النّفاق ، خذلَهُمُ اللّه .

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن المعاتب عليه ومعاودة مثله ﴿إِنَّها تَذْكِرَةٌ﴾ القمّي: القرآن[2] .

﴿فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ﴾ .

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ .

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ عند اللّه ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾: منزّهة عن أيدي الشّياطين .

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ .

﴿كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾ قيل: أي: كتبة من الملائكة[3] . والقمّي: بأيدي الأئمّة عليهم السلام[4] .

ورد: «الحافظ للقرآن العامل به ، مع السّفرة الكرام البررة»[5] .

﴿قُتِلَ الإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾ دعاءٌ عليه بأشنع الدّعوات . وتعجّب من إفراطه في

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .
٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .
٣ ـ التّبيان ١٠: ٢٧٢ عن ابن عبّاس ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٨ ، عن ابن عباس ومجاهد ؛ البيضاوي ٥: ١٧٤ .
٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

الكفران. قال: «أي: لعن الإنسان»[١].

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ الاستفهام للتحقير.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾: فهيّأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال، أطواراً إلى أن تمّ خلقه.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ القمّي: يسّر له طريق الخير[٢].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾. عدّهما من النّعم، لأنّ الإماتة وصلة إلى الحياة الأبديّة واللّذّات الخالصة، والقبر تكرمة وصيانة.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للإنسان عمّا هو عليه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾: لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله بأسره، إذ لا يخلو أحد من تقصير مّا.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ إتباع للنّعم الذّاتية بالنّعم الخارجيّة.

و ورد في تأويله: «طعامه: علمه الّذي يأخذه، عمّن يأخذه»[٣]. وبيانه في الصّافي[٤].

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ يعني الرّطبة. القمّي: القتّ[٥].

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾.

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٥.

٣ ـ الكافي ١: ٥٠، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الصّافي ٥: ٢٨٧.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٠٦.

﴿وَحَدائِقَ غُلْباً﴾: عظاماً. وَصَفَها به لتكاثفها وكثرة أشجارها.

﴿وَفاكِهَةً وَأَبّاً﴾: ومرعى. القمّي: الحشيش للبهائم[1].

﴿مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ﴾. قيل: إنّ أبا بكر سئل عنه فلم يعلمه، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سبحان اللّه! أما علم أنّ الأبّ هو الكلأ والمرعى، وأنّ قوله: "وفاكهة وأبّاً" اعتدادٌ من اللّه بإنعامه على خلقه فيما غذّاهم به، وخلقه لهم ولأنعامهم؛ ممّا تحيى به أنفسهم وتقوم به أجسادهم[2].

﴿فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ أي: النّفخة. وصفت بها مجازاً، لأنّ النّاس يصخّون لها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾.

﴿وَأُمِّهِ وأبيه﴾.

﴿وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ وذلك لاشتغاله بشأنه، وعلمه بأنّهم لا ينفعونه، أو للحذر من مطالبتهم بما قصّر في حقّهم، وتأخير الأحبّ فالأحبّ للمبالغة، كأنّه قيل: يفرّ من أخيه، بل من أمّه وأبيه، بل من صاحبته وبنيه.

وفي رواية: «سئل من هم؟ قال: قابيل يفرّ من هابيل، وموسى من أمّه، وإبراهيم من الأب المربّي لا الوالد، ولوط من صاحبته، ونوح من ابنه كنعان»[3].

قيل: إنّما يفرّ موسى من أمّه خشية أن يكون قصّر فيما وجب عليه من حقّها[4].

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: يشغله عن غيره.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾: مضيئة بما ترى من النّعم.

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٦.

٢ ـ الارشاد (للمفيد): ١٠٧.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٥، الباب: ٢٤، قطعة من حديث: ١، عنه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ والخصال ١: ٣١٨، قطعة من حديث: ١٠٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

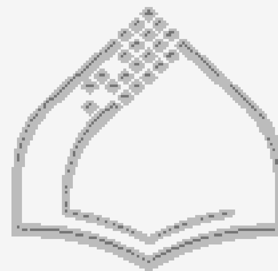
٤ ـ الخصال ١: ٣١٨، ذيل الحديث: ١٠٢.

﴿ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ .

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ﴾: غبار وكدورة .

﴿تَرْهَقُها قَتَرَةٌ﴾: يغشاها سواد وظلمة .

﴿أُولئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾ .



سورة التّكوير

[مكيّة، وهي تسع وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: لفّ ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق. القمّي: تصير سوداء مظلمة[2].

﴿وَإِذا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾: يذهب ضوؤها.

﴿وَإِذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾: تمرّ مرّ السّحاب.

﴿وَإِذا العِشارُ﴾ النّوق التي أتت على حملهنّ عشرة أشهر ﴿عُطِّلَتْ﴾ فلا يكون من يحلبها.

﴿وَإِذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جمعت من كلّ جانب أو بعثت.

﴿وَإِذا البِحارُ سُجِّرَتْ﴾ القمّي: يتحوّل كلّها نيراناً[3].

﴿وَإِذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾. قال: «أمّا أهل الجنّة فزوّجوا الخيرات الحسان، وأمّا أهل النّار فمع كل إنسان منهم شيطان، يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشّياطين، فهم

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٤٠٧.

قرناؤهم»[١].

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾.

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ يعني أنّ المدفونة حيّة سئلت عن سبب قتلها، تبكيتاً لوائدها.

القمّي: كانت العرب يقتلون البنات للغيرة، فإذا كان يوم القيامة سئلت الموؤدة بأيّ ذنب قتلت؟[٢].

وفي رواية: «يقول: أسألكم عن المودّة الّتي أنزلت عليكم فضلها، مودّة ذي القربى، بأيّ ذنب قتلتموهم؟»[٣].

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ القمّي: صحف الأعمال[٤].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: قلعت وأُزيلت.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أُوقدت إيقاداً شديداً.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قربت من المؤمنين.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ جواب «إذا».

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ القمّي: أي: أقسم بالخنّس، وهو اسم النّجوم[٥]. قيل: هي النّجوم تخنس بالنّهار وتبدو باللّيل[٦].

ورد: «هي خمسة أنجم: زحل والمشتري والمرّيخ والزّهرة وعطارد»[٧].

أقول: ولهذا وصفت بالجوار، فإنّ هذه الخمسة هي السّيارات الرّواجع، ولهذا قيل: إنّ الخنّس بمعنى الرّواجع؛ من خنس: إذا تأخّر[٨].

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٧.

٣ ـ الكافي ١: ٢٩٥، قطعة من حديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٧.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٠٨.

٦ ـ التّبيان ١٠: ٢٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للطبري) ٢٠: ٢٣٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ البيضاوي ٥: ١٧٥.

﴿الْجَوَارِ﴾ أي: السّيّارات تجري في أفلاكها. ﴿الْكُنَّسِ﴾ قيل: المتواريات تحت ضوء الشّمس[١]. القمّي: النّجوم تكنس بالنّهار فلا تبين[٢].

و ورد: إنّه سئل عنها. فقال: «إمام يخنس سنة ستّين ومائتين، ثمّ يظهر كالشّهاب يتوقّد في اللّيلة الظّلماء، وإن أدركت زمانه قرّت عينك»[٣].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ قال: «إذا أدبر بظلامه»[٤]. والقمّي: إذا أظلم[٥].

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ القمّي: إذا ارتفع[٦]. قيل: عبّر بالتّنفس عن إقبال روح ونسيم[٧].

﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني جبرئيل، فإنّه قال عن اللّه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾.

﴿مُطَاعٍ﴾ في ملائكته ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ على الوحي.

روي: إنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله قال لجبرئيل: «ما أحسن ما أثنى عليك ربّك "ذي قوّة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين" فما كانت قوتك، وما كانت أمانتك؟ فقال: أمّا قوّتي، فإنّي بعثت إلى مدائن لوط، وهي أربع مدائن في كلّ مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذّراري، فحملتهم من الأرض السّفلى حتّى سمع أهل السماوات أصوات الدّجاج ونُباح الكلاب، ثمّ هويت بهنّ فقلبتهنّ. وأمّا أمانتي؛ فإنّي لم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره»[٨].

و ورد: « "ذي قوة عند ذي العرش مكين"، يعني جبرئيل. "مطاع ثمّ أمين" يعني رسول

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦؛ البيضاوي ٥: ١٧٥ بالمضمون.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٨.

٣ ـ الكافي ١: ٤٣١، الحديث: ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي كمال الدّين ١: ٣٣٠، الباب: ٣٢، الحديث: ١٤، عنه عليه السلام ما يقرب منه.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٤٠٨.

٧ ـ الكشّاف ٤: ٢٢٤؛ البيضاوي ٥: ١٧٥.

٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦؛ الدّرّ المنثور ٨: ٤٣٣.

الله؛ هو المطاع عند ربّه، الأمين يوم القيامة»[١].

﴿وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ قال: «يعني النّبي صلى الله عليه وآله في نصبه أمير المؤمنين علماً للنّاس»[٢].

أقول: هو ردّ لما بهته المنافقون.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ قيل: ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام[٣]. ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ سئل: ما الأفق المبين؟ قال: «قاع بين يدي العرش، فيه أنهار تطرد، فيه من القدحان عدد النّجوم»[٤].

﴿وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال: «وما هو تبارك وتعالى على نبيّه بغيبه بضنين عليه»[٥].

وقيل: وما محمّد على تبليغ الوحي ببخيل، أو متّهم إن قرأ بالظّاء[٦].

﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ﴾ قال: «يعني الكهنة الذين كانوا في قريش، فنسب كلامهم إلى كلام الشّياطين الذين كانوا معهم يتكلّمون على ألسنتهم. فقال: "وما هو بقول شيطان رجيم" مثل أولئك»[٧].

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ﴾.

﴿لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.

﴿وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾.

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٧٦.

٤ ـ الخصال ٢: ٥٨٢، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٠٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ التبيان ١٠: ٢٨٧؛ البيضاوي ٥: ١٧٦.

٧ ـ القمّي ٢: ٤٠٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة الانفطار

[مكيّة ، وهي تسع عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا السّماءُ انْفَطَرَتْ﴾: انشقّت .

﴿وَإذا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ﴾: تساقطت متفرّقة .

﴿وَإذا البِحارُ فُجِّرَتْ﴾: فتح بعضها إلى بعض ، فصار الكلّ بحراً واحداً .

﴿وَإذا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قلب ترابها وأخرج موتاها . قيل: إنّه مركّب من بعث وراء الإثارة[2] . القمّي: تنشقّ فتخرج النّاس منها[3] .

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ جواب «إذا» ﴿ما قَدَّمَتْ﴾ من خير وشرّ ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سنّة حسنة استنّ بها بعده ، أو سنّة سيّئة .

﴿يا أَيُّها الإنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾: أيّ شيء خدعك وجرّأك على عصيانه . قيل: ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار ، والإشعار بما به يغرّه الشّيطان[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٧٦ .

٣ ـ القمّي ٢: ٤٠٩ .

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٧٦ .

وقيل: بل هو تلقين للجواب، حتّى يقول غرّني كرمه[١].

روي: «إنّ النّبيّ ﷺ لمّا تلا هذه الآية، قال: غرّه جهله»[٢].

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾: جعل أعضاءك مسوّاة معدّة لمنافعها ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قيل: أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتّى اعتدلت[٣]. وعلى قراءة التّشديد أي: جعل بُنيتك معتدلة متناسبة الأعضاء.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي: ركّبك في أيّ صورة شاء، و«ما» مزيدة. قال: «لو شاء ركّبك على غير هذه الصّورة»[٤].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن الاغترار بكرم الله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء؛ إضرابٌ إلى ما هو السّبب الأصليّ للاغترار.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ﴾ قال: «الملكان الموكّلان بالإنسان»[٥].

﴿كِراماً كاتِبِينَ﴾: «يبادرون بكتابة الحسنات لكم ويتوانون بكتابة السّيئات عليكم؛ لعلّكم تتوبون وتستغفرون» كذا ورد[٦].

﴿يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ﴾. قال: «استعبدهم الله بذلك، وجعلهم شهوداً على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانهم فارعوى وكفّ. فيقول: ربّي يراني وحفظتي عليّ بذلك تشهد»[٧].

١ـ الكشّاف ٤: ٢٢٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٤٩؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٩: ٢٤٥.
٣ـ الكشّاف ٤: ٢٢٨؛ البيضاوي ٥: ١٧٦.
٤ـ القمّي ٢: ٤٠٩؛ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٤٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ـ القمّي ٢: ٤٠٩.
٦ـ الكافي ٢: ٤٢٩، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.
٧ـ الاحتجاج ٢: ٩٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ .

﴿وَإِنَّ الفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ .

﴿يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ﴾ .

﴿وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ﴾ إذ يجدون سمومها في القبور .

﴿وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ﴾ .

﴿ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ﴾ تعجيبٌ وتفخيم لشأن اليوم .

﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ﴾ وحده . تقريرٌ لشدّة هوله وفخامة أمره .

قال: «إذا كان يوم القيامة بادت الأحكام[1] ، فلم يبق حاكم إلّا اللّه تعالى»[2] .



١ ـ في المصدر: «الحكّام» .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

سورة المطفّفين

[مكيّة . وهي ستّ ثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ القمّي: الذين يبخسون المكيال والميزان[2].

ورد: «نزلت على نبيّ الله حين قدم المدينة ، وهم يومئذ أسوأ النّاس كيلاً ، فأحسنوا بعدُ عمل الكيل ، فأمّا "الويل" فبلغنا ـ والله أعلم ـ أنّها بئر في جهنّم»[3].

و ورد: «وأنزل في الكيل: "ويل للمطفّفين" ولم يجعل الويل لأحد حتّى يسمّيه كافراً، قال الله تعالى: "فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم"»[4]

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: إذا اكتالوا من النّاس حقوقهم ، يأخذونها وافية .

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾: إذا كالوا للنّاس أو وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤١٠ .

٣ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام. والآية في سورة مريم (١٩): ٣٧ .

﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ قال: «أليس يوقنون أنّهم مبعوثون؟!»[١].

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظّمه لعظم ما يكون فيه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لحكمه.

روي: «إنّهم يقومون في رشحهم إلى أنصاف آذانهم»[٢].

و ورد: «مَثَل النّاس يوم القيامة إذا قاموا الربّ العالمين مَثَل السّهم في القراب[٣]؛ ليس له من الأرض إلّا موضع قدمه، كالسّهم في الكنانة، لا يقدر أن يزول هاهنا ولا هاهنا»[٤].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن التّطفيف، والغفلة عن البعث والحساب. ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ القمّي: ما كتب الله لهم من العذاب لفي سجين[٥].

ورد: «السّجّين: الأرض السّابعة، وعلّيّون: السّماء السّابعة»[٦].

وقال: «أمّا المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السّماء، فتفتح لهم أبوابها، وأمّا الكافر فيصعد بعمله وروحه حتّى إذا بلغ إلى السّماء نادى مناد: اهبطوا به إلى سجّين؛ وهو واد بحضرموت يقال له: برهوت»[٧].

وفي رواية: «هم الذين فجروا في حقّ الأئمّة واعتدوا عليهم»[٨].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾. ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ

---

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن (القرطبي) ١٩: ٢٥٥؛ التفسير الكبير ٣١: ٩٠ عن النبيّ صلى الله عليه وآله؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٢.

٣ ـ في المصدر: «القرب».

٤ ـ الكافي ٨: ١٤٣، الحديث: ١١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤١٠.

٦ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ ـ نور الثقلين ٥: ٥٣٠، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ ـ الكافي ١: ٤٣٥، ذيل الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ . ﴿إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ .

﴿كَلّا﴾ ردعٌ عن قوله: "أساطير الأولين" . ﴿بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

قال: «ما من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء ، فإذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء ، فإن تاب ذهب ذلك السّواد ، وإن تمادى في الذّنوب زاد ذلك السّواد حتّى يغطّي البياض ، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً . وهو قول الله عزّوجلّ: "كَلّا بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِم ما كانُوا يَكسِبُون"»[1] .

﴿كَلّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ . قال: «إنّ الله لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده ، ولكنّه يعني إنّهم عن ثواب ربّهم لمحجوبون»[2] .

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الجَحِيمِ﴾: يدخلون النّار ويصلون بها .

﴿ثُمَّ يُقالُ هٰذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ .

﴿كَلّا إِنَّ كِتابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ القمّي: أي: ما كتب لهم من الثّواب[3] .

﴿وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ﴾ . ﴿كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾ .

﴿يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ﴾ . ورد: «إنّ الله خلقنا من أعلى علّيّين ، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، وقلوبهم تهوي إلينا ؛ لأنّها خُلقت ممّا خُلقنا ، ثمّ تلا هذه الآية "كَلّا إِنَّ كِتابَ الأَبرار" الآية . وخلق عدوّنا من سجّين ، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه ، وأبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إليهم ؛ لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه ،

١ ـ الكافي ٢: ٢٧٣ ، الحديث: ٢٠ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٥ ، الباب: ٣٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٥ ، الباب: ١١ ، الحديث: ١٩ .

٣ ـ القمّي ٢: ٤١١ .

ثمّ تلا هذه الآية: "كَلَّا إِنَّ كِتابَ الفُجّار" الآية»[١].

أقول: العقائد الرّاسخة والأعمال المتكرّرة في النّفوس بمنزلة النّقوش الكتابيّة في الألواح، فمن كانت معلوماته أُموراً قدسيّة وأعماله صالحة وأخلاقه زكيّة؛ يأتي كتابه بيمينه، أي: من جانبه الأقوى الرّوحاني وجهة علّيّين؛ لأنّه من جنس تلك النّشأة. ومن كانت معلوماته مقصورة على الأُمور الدّنيويّة وأعماله خبيثة؛ يأتي كتابه بشماله، أي: من جانبه الأضعف الجسمانيّ وجهة سجّين؛ لأنّه من جنس هذه النّشأة. وإنّما عود الأرواح إلى ما خلقت منه، كما قال سبحانه: "كما بدأكُم تعُودُون"[٢] فما خلق من علّيّين فكتابه في علّيّين، وما خلق من سجّين فكتابه في سجّين.

﴿إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾.

﴿عَلَى الأَرائِكِ﴾: على الأسرّة في الحجال ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما يسرّون به من النّعيم.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: بهجة التّنعّم وبريقه.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾: شراب خالص ﴿مَخْتُومٍ﴾.

﴿خِتامُهُ مِسْكٌ﴾. قيل: أي: مختوم أوانيه بالمسك مكان الطّين، ولعلّه تمثيل لنفاسته[٣].

والقمّي: ماء إذا شربه المؤمن وجد رائحة المسك فيه[٤].

أقول: لعلّه أراد أن يجدها في آخر شربه. ﴿وَفِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ﴾.

﴿وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾: علم لعين بعينها سمّيت بها، لأنّها تأتيهم من فوق. القمّي:

١ـ الكافي ١: ٣٩٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الأعراف (٧): ٢٩.
٣ـ البيضاوي ٥: ١٧٨.
٤ـ القمّي ٢: ٤١١.

هي أشرف شراب أهل الجنّة ، يأتيهم من عالي ، يسنم عليهم في منازلهم[١] .

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها الْمُقَرَّبُونَ﴾ . القمّي: هم آل محمّد عليهم السلام قال: «يشربون من تسنيم صرفاً وسائر المؤمنين ممزوجاً»[٢] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾: يستهزئون .

﴿وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ﴾: يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم.

﴿وَإِذا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾: ملتذّين بالسّخرية منهم .

قيل: إنّ الذين أجرموا: منافقوا قريش ، والذين آمنوا: عليّ ابن أبي طالب عليه السلام[٣] .

﴿وَإِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ﴾: وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضّلال .

﴿وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ﴾: على المؤمنين ﴿حافِظِينَ﴾: يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم .

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ﴾ حين يرونهم أذلّاء مغلولين في النّار .

روي: «إنّه يفتح لهم باب إلى الجنّة ، فيقال لهم: اخرجوا إليها ، فإذا وصلوا أُغلق دونهم ، فيضحك المؤمنون منهم»[٤] .

﴿عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ .

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّارُ﴾: هل أثيبوا ﴿ما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ٤١١ .

٢ ـ القمّي ٢: ٤١٢ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٧ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ؛ شواهد التّنزيل ٢: ٤٢٧ ، الحديث: ١٠٨٥ ، عن ابن عبّاس .

٤ ـ الكشّاف ٤: ٢٣٣ ؛ البيضاوي ٥: ١٧٨ بلفظ «قيل» ؛ في تفسير الكبير ٣١: ١٠٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٧ عن أبي صالح .

سورة الانشقاق

[مكيّة، وهي خمس وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾ قيل: بالغَمام؛ لقوله: "يومَ تَشَقَّقُ السَّماء بِالغَمام"[2].

وروي: «تنشقّ من المجرة»[3]. القمّي: يوم القيامة[4].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّها﴾: واستمعت له، أي: انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها، انقياد المطواع الذي يأذن للأمير ويذعن له. ﴿وَحُقَّتْ﴾: وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد.

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾: بسطت، بأن تزال جبالها وآكامها.

روي: «تبدّل الأرض غير الأرض والسّماوات، فيبسطها ويمدّها مدّ الأديم العكاظي "لا تَرى فيها عِوَجاً وَلا أَمتاً"»[5].

﴿وَأَلْقَتْ ما فِيها﴾: ما في جوفها من الكنوز والأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: وتكلّفت في

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكشّاف ٤: ٢٣٤؛ البيضاوي ٥: ١٧٨. الآية في سورة الفرقان (٢٥): ٢٥.

٣ ـ المصدر؛ البيضاوي ٥: ١٧٨؛ الدرّ المنثور ٨: ٤٥٥؛ عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٤١٢.

٥ ـ البيضاوي ٣: ١٦٤؛ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٢٤، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، الآية في سورة طه (٢٠): ١٠٧.

الخلوّ أقصى جهدها، حتّى لم يبق شيء في باطنها.

القمّي: تمدّ الأرض فتنشق، فيخرج النّاس منها[1].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّها﴾ في الإلقاء والتّخلية ﴿وَحُقَّتْ﴾ للإذن، وجواب «إذا» محذوف.

﴿يا أَيُّهَا الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾: ساع إليه، سعياً إلى لقاء جزائه.

﴿فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ﴾.

﴿فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً﴾: سهلاً لا مناقشة فيه. قال: «ذاك العرض، يعني التّصفّح»[2].

وروي: «إنّ الحساب اليسير هو الإثابة على الحسنات والتّجاوز عن السّيّئات، ومن نوقش في الحساب عذّب»[3].

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾: إلى عشيرته المؤمنين والحور العين.

﴿وَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ﴾ قيل: أي: يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره[4].

وقيل: تغلّ يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره[5].

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾: يتمنّى الثّبور. ويقول: واثبوراه! وهو الهلاك. والقمّي: الثّبور: الويل[6].

﴿وَيَصْلىٰ سَعِيراً﴾.

﴿إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾: بطراً بالمال والجاه، فارغاً عن الآخرة.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾: لن يرجع بعد ما يموت.

١ ـ القمّي ٢: ٤١٢.

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٦٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٦١؛ جوامع الجامع: ٥٣٥.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٧٩؛ تفسير البغوي ٤: ٤٦٤.

٥ ـ الكشّاف ٤: ٢٣٥؛ البيضاوي ٥: ١٧٩؛ تفسير البغوي ٤: ٤٦٤.

٦ ـ القمّي ٢: ٤١٢.

﴿بَلىٰ﴾: يرجع ﴿إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً﴾: عالماً بأعماله فلا يهمله، بل يرجعه ويجازيه.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ القمّي: الحمرة بعد غروب الشّمس[1].

﴿وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ﴾: وما جمعه وستره.

﴿وَالقَمَرِ إِذا اتَّسَقَ﴾: إذا اجتمع وتمّ بدراً.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال؛ مطابقة لأختها.

قال: «لتسلكنّ سبيل من كان قبلكم من الأُمم؛ في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء»[2].

وقال: «أولم تركب هذه الأُمّة بعد نبيّها طبقاً عن طبق، في أمر فلان وفلان وفلان»[3].

وفي رواية: «لتركبنّ سبيل من كان قبلكم حذو النّعل بالنّعل والقُذَّة[4] بالقُذّة، لا تخطئون طريقهم ولا يخطئ، شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع، حتّى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضبّ لدخلتموه»[5].

﴿فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ﴾: لا يخضعون، أو لا يسجدون لتلاوته. روي: «إنّه قرأ ذات يوم: "واسجد واقترب"[6] فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر، فنزلت»[7].

١ ـ القمّي ٢: ٤١٢.

٢ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٧؛ القمّي ٢: ٤١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ القُذَّة ـ بالضم والتشديد ـ: ريش السهم، والجمع: قُذَذ؛ ضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. مجمع البحرين ٣: ١٨٦ (قذذ).

٥ ـ القمّي ٢: ٤١٣، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٦ ـ العلق (٩٦): ١٩.

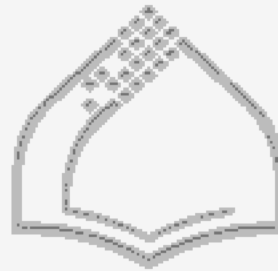
٧ ـ جوامع الجامع: ٥٣٥، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ﴾: بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة .

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ .

﴿إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ استثناء منقطع أو متّصل ، وأُريد بهم من تاب وآمن منهم . ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع ، أو غير ممنون به عليهم .



سورة البروج

[مكيّة ، وهي اثنتان وعشرون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالسَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ﴾ يعني البروج الاثنى عشر ، وقد سبق بيانها في الحجر[2] .

﴿وَاليَوْمِ المَوْعُودِ﴾ قال: «يوم القيامة»[3] .

﴿وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: «النّبيّ وأمير المؤمنين عليهما السلام»[4] .

وفي رواية: «أمّا الشّاهد فمحمّد ، لقوله: "إنّا أرسَلناكَ شاهِداً"[5] وأمّا المشهود فيوم القيامة ، لقوله: "وَذٰلِكَ يَومٌ مَشهُود"[6]»[7] .

وفي أُخرى: «الشّاهد: يوم الجمعة ، والمشهود: يوم عرفة»[8] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ ذيل الآية: ١٦ .

٣ ـ معاني الأخبار: ٢٩٩ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ الحديث: ٦ ، عن أحدهما عليهما السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٤٢٥ ، الحديث: ٦٩ ؛ معاني الأخبار: ٢٩٩ ، الحديث: ٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ الأحزاب (٣٣): ٤٤ ؛ الفتح (٤٨): ٨ .

٦ ـ هود (١١): ١٠٥ .

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٦٦ ، عن حسن بن عليّ عليهما السلام .

٨ ـ المصدر ، عن النّبيّ والباقر والصّادق صلوات اللّه عليهم ؛ معاني الأخبار: ٢٩٩ ، الحديث: ٢ ، عن ←

وفي أُخرى: «الشّاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة»[١].

﴿قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ﴾ أي: الخدّ، وهو الشّقّ في الأرض.

﴿النّارِ ذاتِ الوَقُودِ﴾.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ﴾: على جوانبها قاعدون.

﴿وَهُمْ عَلىٰ ما يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

﴿وَما نَقَمُوا﴾: وما أنكروا ﴿مِنْهُمْ إِلّا أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: إلّا لأن يؤمنوا ﴿بِاللّٰهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

ورد: «إنّ اللّه بعث رجلاً حبشيّاً نبيّاً ـ وهم حبشة ـ فكذّبوه، فقاتلهم، فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروا أصحابه، ثمّ بنوا له حيراً ثمّ ملؤوه ناراً، ثم جمعوا النّاس فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النّار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النّار! فجاءت إمرأة معها صبيّ لها ابن شهر، فلمّا هجمت هابت ورقّت على ابنها، فناداها الصّبيّ: لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النّار، فإنّ هذا واللّه في اللّه قليل. فرمت بنفسها في النّار وصبيّها؛ وكان ممّن تكلّم في المهد»[٢]. وفيه رواية أُخرى[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾: بلوهم بالأذى ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذابُ الحَرِيقِ﴾: الزّائد في الإحراق بفتنتهم. وقيل: أُريد بالذين فتنوا أصحاب الأُخدود، وبالعذاب الحريق ما روي: «إنّ النّار انقلبت على أصحاب الأُخدود فأحرقتهم»[٤].

← أبي عبد اللّه: الحديث: ٦، عن أحدهما عليهما السلام.

١ ـ معاني الأخبار: ٢٩٩، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ المصدر، ٤٦٤ ـ ٤٦٥، عن النبيّ صلى الله عليه وآله؛ المحاسن (للبرقي): ٢٥٠، الحديث: ٢٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكشّاف ٤: ٢٣٨؛ البيضاوي ٥: ١٨٠.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ذٰلِكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ﴾.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: مضاعف عنفه، فإنّ البطش أخذ بعنف.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيءُ﴾: يبدئ الخلق ﴿وَيُعِيدُ﴾.

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾ لمن تاب وأطاع.

﴿ذُو العَرْشِ المَجِيدُ﴾.

﴿فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾.

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الجُنُودِ﴾.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾. أُريد بفرعون هو وقومه. والمعنى: قد عرفت تكذيبهم للرّسل وما حاق بهم؛ فتسل واصبر على تكذيب قومك، وحذّرهم مثل ما أصابهم.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ لا يرعوون عنه.

﴿وَاللّٰهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ لا يفوتونه.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾: بل هذا الذي كذّبوا به كتاب شريف، وحيد في النّظم والمعنى.

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ من التّحريف والتّبديل.

سورة الطّارق

[مكيّة، وهي سبع عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿وَالسَّماءِ وَالطّارِقِ﴾: الكوكب الذي يبدو باللّيل.

﴿وَما أَدْراكَ ما الطّارِقُ﴾.

﴿النَّجْمُ الثّاقِبُ﴾: المضيء، كأنّه يثقب الأفلاك بضوئه فينفذ فيه.

ورد: «إنّه قال لرجل من أهل اليمن: ما زحل عندكم في النّجوم؟ قال اليماني: نجم نحس. فقال: لا تقولنّ هذا، فإنّه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء، وهو النّجم الثّاقب، الذي قال الله في كتابه. فقال له اليماني: فما يعني بالثّاقب؟ قال: لأنّ مطلعه في السّماء السّابعة، وأنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السّماء الدّنيا، فمن ثمّ سمّاه اللّه النّجم الثّاقب»[2].

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ﴾ جواب القسم، و«لمّا» بمعنى إلّا. و«إن» نافية. وعلى قراءة تخفيف الميم «ما» مزيدة و«إن» هي المخفّفة. القمّي: حافظ: الملائكة[3].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الخصال ٢: ٤٨٩، الحديث: ٦٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٤١٥.

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ليعلم صحّة إعادته، فلا يملي على حافظه إلّا ما ينفعه في عاقبته.

﴿خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ﴾ القمّي: النّطفة الّتي تخرج بقوّة[1].

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ﴾: من بين صلب الرّجل وترائب المرأة، وهي عظام صدرها.

﴿إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقادِرٌ﴾: كما خلقه من نطفة يقدر أن يردّه إلى الدّنيا وإلى القيامة[2].

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾: تختبر وتتعرّف، وتتميّز بين ما طاب منها وما خبث القمّي: تكشف عنها[3].

ورد: إنّه سئل: ما هذه السّرائر التي ابتلى اللّه بها العباد في الآخرة؟ فقال: «سرائركم هي أعمالكم من الصلاة والصيام والزّكاة والوضوء والغسل من الجنابة وكلّ مفروض لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّة، فإن شاء الرّجل قال: صلّيت ولم يصلّ، وإن شاء قال: توضّأت ولم يتوضّأ، فذلك قوله: "يوم تبلى السرائر"»[4].

﴿فَما لَهُ﴾: فما للإنسان ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ﴾ القمّي مقطوعاً: ماله من قوّة يقوى بها على خالقه، ولا ناصر من اللّه ينصره إن أراد به سوءاً[5].

﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾ قيل: ترجع في كلّ دورة إلى الموضع الذي تحرّكت عنه[6].

والقمّي: ذات المطر[7]. قيل: إنّما سمّي المطر رجعاً وأوباً، لأنّ اللّه يرجعه وقتاً فوقتاً[8].

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤١٥.

٣ ـ القمّي ٢: ٤١٥.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٢، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٥ ـ القمّي ٢: ٤١٦، عن أبي بصير.

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٨١.

٧ ـ القمّي ٢: ٤١٦.

٨ ـ الكشّاف ٤: ٢٤٢؛ البيضاوي ٥: ١٨١.

﴿ وَالأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ ﴾ القمّي: ذات النّبات[1].

أقول: يعني تتصدّع بالنّبات وتشق بالعيون.

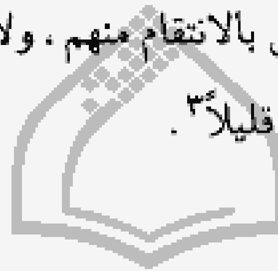
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ قال: «يعني إنّ القرآن يفصل بين الحقّ والباطل، بالبيان عن كلّ واحد منهما»[2].

﴿ وَما هُوَ بِالهَزْلِ ﴾ فإنّه جِدّ كلّه.

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ﴾ في إبطاله وإطفاء نوره.

﴿ وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾: وأُقابلهم بكيدي في استدراجهم وانتقامي منهم، بحيث لايحتسبون.

﴿ فَمَهِّلِ الكافِرِينَ ﴾ فلا تشتغل بالانتقام منهم، ولا تستعجل بإهلاكهم ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾: إمهالا يسيراً. القمّي: دعهم قليلاً[3].



١ ـ القمّي ٢: ٤١٦.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٤١٦.

سورة الأعلى

[مكيّة، وهي تسع عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ القمّي: قل: سبحان ربّي الأعلى[2].

و ورد: «إذا قرأت "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" فقل: سبحان ربّي الأعلى، وإن كنت في الصّلاة فقل فيما بينك وبين نفسك»[3].

وروي: «لمّا نزلت، قال: اجعلوها في سجودكم»[4].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: خلق كلّ شيء فسوّى خلقه، بأن جعل له ما به يتأتّى كماله ويتمّ معاشه.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ القمّي: قدّر الأشياء بالتّقدير الأوّل، ثمّ هدى إليه من يشاء[5]

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٤١٦.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٠٧، الحديث: ٩٣٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ التّهذيب ٢: ٣١٣، الحديث: ١٢٧٣؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٣؛ الكشّاف ٤: ٢٤٣؛ البيضاوي ٥: ١٨٢؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ١٤، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٥ ـ القمّي ٢: ٤١٦.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعىٰ﴾: النّبات.

﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد بلوغه ﴿غُثَاءً أَحْوىٰ﴾: يابساً أسود.

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: نعلّمك ﴿فَلا تَنْسىٰ﴾.

﴿إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ﴾ لأنّ الذي لا ينسى هو الله ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَما يَخْفىٰ﴾: ما ظهر من أحوالكم وما بطن.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرىٰ﴾: للطّريقة اليسرى في حفظ الوحي.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرىٰ﴾.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ﴾: سيتّعظ وينتفع بها من يخشى الله.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: ويتجنّب الذّكرى ﴿الْأَشْقَى﴾.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرىٰ﴾ القمّي: نار يوم القيامة[1].

﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريح ﴿وَلا يَحْيىٰ﴾ حياة تنفعه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ﴾ قيل: تطهّر من الشرك والمعصية[2]. وقال: «من أخرج زكاة الفطر»[3].

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلّىٰ﴾ قال: «خرج إلى الجبّانة[4] فصلّى»[5]، يعني صلاة العيد. وفي رواية: «كلّما ذكر اسم ربّه صلّى على محمّد وآله»[6].

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ فإنّ نعيمها خالص لا انقطاع لها.

﴿إِنَّ هٰذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٤١٧.

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٨٢.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٣، الحديث: ١٤٧٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ الجبّانة: الصحراء، وتسمّى بها المقابر؛ لأنّها تكون في الصّحراء. مجمع البحرين ٦: ٢٢٤ (جبن).

٥ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٣، الحديث: ١٤٧٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ الكافي ٢: ٤٩٥، ذيل الحديث: ١٨، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ إشارة إلى ما سبق من قوله: "قَدْ أَفْلَحَ".

سئل: ما كان صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلّها. وسئل: فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلّها. قيل: فهل في أيدينا ممّا أنزل اللّه عليك شيء ممّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: اقرأ "قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ" إلى آخر السّورة»[1].

قال: «وعندنا الصّحف الّتي قال اللّه عزّوجلّ "صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ". قيل: هي الألواح؟ قال: نعم!»[2].



١ ـ الخصال ٢: ٥٢٥، قطعة من حديث: ١٣؛ معاني الأخبار: ٣٣٤، الحديث: ١؛ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ٢: ١٥٣، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ الكافي ١: ٢٢٥، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الغاشية

[مكيّة، وهي ستّ وعشرون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَةِ﴾: الدّاهية التي تغشى النّاس بشدائدها، يعني يوم القيامة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ﴾: ذليلة.

﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾: عملت ونصبت في أعمال لا تعنيها. قال: «كلّ ناصب وإن تعبّد واجتهد فمنسوب إلى هذه الآية»[2].

﴿تَصْلىٰ ناراً حامِيَةً﴾: متناهية في الحرّ.

﴿تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ قيل: بلغت إناها في الحرّ[3].

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾.

﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ القمّي: عرق أهل النّار وما يخرج من فروج

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكافي ٨: ٢١٣، قطعة من حديث: ٢٥٩؛ الأمالي (للصّدوق): ٥٠١، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٨٣.

الزّواني[1].

روي: «الضّريع شيء يكون في النّار يشبه الشّوك ، أمرّ من الصّبر وأنتن من الجيفة ، وأشدّ حرّاً من النّار ، سمّاه اللّه "الضّريع"»[2].

و ورد: عن جبرئيل: «لو أنّ قطرة من الضّريع قطرت في شراب أهل الدّنيا ، لمات أهلها من نتنها»[3].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ﴾: ذات بهجة.

﴿لِسَعْيِها راضِيَةٌ﴾. ﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ﴾.

﴿لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً﴾ القمّي: الهزل والكذب[4].

﴿فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ﴾. ﴿فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾. ﴿وَأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾.

﴿وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى بعض.

﴿وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ قيل: النّمارق: المساند ، والزّرابيّ: البسط الفاخرة. مبثوثة أي مبسوطة[5].

والقمّي: كلّ شيء خلقه اللّه في الجنّة له مثال في الدّنيا إلّا الزّرابيّ فإنّه لا يدري ما هي[6].

و ورد: «لولا أنّ اللّه قدّرها لهم لالتمعت أبصارهم بما يرون»[7].

﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره ، حيث خلقها لجرّ الأثقال إلى البلاد النّائية ؛ فجعلها عظيمة ، باركة للحمل ، ناهضة بالحمل ، منقادة لمن اقتادها ، طوال الأعناق لتنوء بالأوقار ، ترعى كلّ نابت ،

١ ـ القمّي ٢: ٤١٨.
٢ ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ٣٠ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ... ، عن رسول اللّه ﷺ.
٣ ـ القمّي ٢: ٨١ ، ذيل الآية: ٢٢ ، من سورة الحجّ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ المصدر: ٤١٨.
٥ ـ البيضاوي ٥: ١٨٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ٣٤.
٦ ـ القمّي ٢: ٤١٨.
٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٨٠ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وتحتمل العطش؛ ليتأتّى لها قطع البراري والمفاوز. قال الله تعالى "وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ"[١] مع مالها من منافع أُخر.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عَمَد.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ راسخة لا تميل.

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: بسطت حتّى صارت مهاداً.

وقرأ عليّ عليه السلام بفتح الأوائل وضمّ التاء[٢].

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: بمتسلّط. والقمّي: لست بحافظ ولا كاتب عليهم[٣].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: ولكن من تولّى وكفر.

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: الغليظ الشديد الدائم.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم ومصيرهم بعد الموت.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: جزاءهم على أعمالهم. قال: «إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا؛ فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم»[٤].

وفي رواية: «وما كان بينهم وبين النّاس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عزّ وجلّ»[٥].

١ـ النّحل (١٦): ٧.

٢ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٤١٩.

٤ـ الأمالي (للشيخ الطّوسي) ٢: ٢١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ الكافي ٨: ١٦٢، الحديث: ١٦٧، عن الكاظم عليه السلام.

سورة الفجر

[مكيّة، وهي ثلاثون آية][1]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿وَالْفَجْرِ﴾.

﴿وَلَيالٍ عَشْرٍ﴾ القمّي: عشر ذي الحجّة[2].

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾. قال: «الشّفع يوم التّروية، والوتر يوم عرفة»[3].

والقمّي: الشّفع ركعتان والوتر ركعة[4].

وفي حديث آخر: «الشّفع الحسن والحسين، والوتر أمير المؤمنين»[5].

وقيل: الأشياء كلّها شفعها ووترها[6].

﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ﴾: إذا يمضي، كقوله: "وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ"[7]. والقمّي: هي ليلة جمع[8].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ القمّي ٢: ٤١٩.

٣ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٨٥، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٤ و ٥ـ القمّي ٢: ٤١٩.

٦ـ الكشّاف ٤: ٢٤٩؛ البيضاوي ٥: ١٨٤.

٧ـ المدّثّر (٧٤): ٣٣.

٨ـ القمّي ٢: ٤١٩.

﴿هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ يعتبره. قال: «يقول: لذي عقل»[١]. والمقسم عليه محذوف، أي: ليعذّبنّ، يدلّ عليه ما بعده.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ﴾ يعني أولاد عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح؛ قوم هود سمّوا باسم أبيهم.

﴿إِرَمَ ذاتِ العِمادِ﴾: ذات البناء الرّفيع، أو القدود الطّوال.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي البِلادِ﴾. قيل: كان لعاد ابنان: شدّاد وشديد، فملكا وقهرا، ثمّ مات شديد، فخلص الأمر لشدّاد وملك المعمورة، ودانت له ملوكها. فسمع بذكر الجنّة، فبنى على مثالها في بعض صحاري عَدَن جنّة وسمّاها إرم. فلمّا تمّ سار إليها بأهله. فلمّا كان منها على مسيرة يوم وليلة، بعث اللّه عليهم صيحة من السّماء فهلكوا[٢].

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ﴾: قطعوه واتّخذوه منازل، لقوله: "وَتَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً"[٣]. ﴿بِالوادِ﴾ وادي القرى.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ﴾. مضى وجه تسميته به في «صٓ»[٤].

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ﴾.

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسادَ﴾ بالكفر والظّلم.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾: المكان الذي يترقّب فيه الرّصد.

قال: «معناه إنّ ربّك قادر على أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم»[٥].

١ ـ القمّي ٢: ٤١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ الكشّاف ٤: ٢٥٠؛ البيضاوي ٥: ١٨٤.
٣ ـ الشعراء (٢٦): ١٤٩.
٤ ـ ص (٣٨) ذيل الآية: ١٢.
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي رواية: «المرصاد قنطرة على الصّراط ، لا يجوزها عبد بمظلمة عبد»[١] . ويأتي فيه حديث آخر[٢] .

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ ﴾: اختبره بالغنى واليُسر ﴿ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ﴾ بالجاه والمال ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ .

﴿ وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ ﴾ بالفقر والتّقتير ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ قال: «فضيّق عليه وقتر»[٣] . ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ ﴾ لقصور نظره وسوء فكره ، فإنّ التّقتير قد يؤدّي إلى كرامة الدّارين ، والتّوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حبّ الدّنيا ، ولذلك ذمّه على قوليه، و رَدَعَه .

﴿ كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ .

﴿ وَلا تَحاضُّونَ عَلىٰ طَعامِ الْمِسْكِينِ ﴾ أي: بل فِعْلهم أسوء من قولهم وأدلّ على تهالكهم بالمال ، وهو أنّهم لا يكرمون اليتيم بالتّفقّد والمبرّة ، وإغنائهم عن ذلّ السّؤال ، ولايحثّون أهلهم على طعام المسكين .

﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّراثَ ﴾: الميراث ﴿ أَكْلاً لَمّاً ﴾: ذا لَمّ ، أي: جمع بين الحلال والحرام فإنّهم كانوا لا يورّثون النّساء والصّبيان ويأكلون أنصباءهم ، أو يأكلون ما جمعه المورّث من حلال وحرام ؛ عالمين بذلك .

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمالَ حُبّاً جَمّاً ﴾: كثيراً مع حرص وشهوة .

﴿ كَلَّا ﴾ . رَدْعٌ لهم عن ذلك . وما بعده وعيد عليه . ﴿ إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴾: دكّاً بعد دكّ ، حتّى صارت منخفضة الجبال والتّلال ، أو هباء منبثّاً .

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٨٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ ذيل الآية: ٢٣ من هذه السّورة .

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠١ ، الباب: ١٥ ، قطعة من حديث: ١ .

قال: «هي الزّلزلة»[١].

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: «أي: أمر ربّك»[٢].

أقول: يعني ظهرت آيات قدرته وآثار قهره. ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله: "وبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ"[٣].

قال: «لمّا نزلت هذه الآية سئل عن ذلك رسول اللّه صلى الله عليه وآله. فقال: أخبرني الرّوح الأمين: أنّ اللّه لا إله غيره إذا برز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين، أُتي بجهنّم تقاد بألف زمام، أخذ بكلّ زمام مائة ألف يقودها؛ من الغلاظ الشّداد. لها هَدّة وغضب وزفير وشهيق، وإنّها لتزفر الزّفرة، فلولا أنّ اللّه أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع، ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق، البرّ منهم والفاجر، ما خلق اللّه عبداً من عباد اللّه ملكاً ولا نبيّاً إلّا ينادي: ربّ نفسي نفسي! وأنت يا نبيّ اللّه تنادي: أُمّتي أُمّتي! ثمّ يوضع عليها الصّراط، أدقّ من الشّعر وأحدّ من حدّ السّيف، عليه ثلاث قناطر. فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرّحم، والثّانية فعليها الصّلاة، والثّالثة فعليها ربّ العالمين لا إله غيره. فيكلّفون الممرّ عليها، فيحبسهم الرّحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصّلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين، وهو قوله: "إنّ ربّك لبالمرصاد" والنّاس على الصّراط فمتعلّق بيد وتزلّ قدم ويستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون يا حليم اعف واصفح، وعُدْ بفضلك، وسلّم سلّم. والنّاس يتهافتون في النّار كالفراش فيها. فإذا نجا ناج برحمة اللّه مرّ بها فقال: الحمد

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٩، الحديث: ١؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٦، الباب: ١١، الحديث: ١٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ ـ الشّعراء (٢٦): ٩١؛ النّازعات (٧٩): ٣٦.

لله وبنعمته تتمّ الصّالحات وتزكو الحسنات ، والحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس[1] ، بمنّه وفضله ، إنّ ربّنا لغفور شكور»[2] . ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ وَأَنّىٰ لَهُ الذِّكْرىٰ﴾ أي: منفعة الذكرى .

﴿يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي﴾ أي: لحياتي هذه ، أو وقت حياتي في الدّنيا أعمالاً صالحة .

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ﴾ أي: مثل عذابه .

﴿وَلا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ﴾ أي: مثل وثاقه ؛ لتناهيه في كفره وعناده .

﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ التي اطمأنّت إلى الحقّ .

﴿ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ﴾ كما بدأت منه ﴿راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ .

﴿فَادْخُلِي فِي عِبادِي﴾ .

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ .

ورد ما ملخّصه: «إنّ المؤمن إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع ، فيقول له مالك الموت: لا تجزع يا وليّ الله ، فوالّذي بعث محمّداً لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم ، افتح عينيك فانظر . قال: ويمثّل له رسول الله والأئمّة ـ عليهم السلام ـ فيقال له: هؤلاء رفقاؤك فينظر فينادي روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة فيقول: "يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ" إلى محمّد وأهل بيته "ارجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ راضِيَةً" بالولاية "مَرضِيَّة" بالثّواب "فَادخُلِي فِي عِبادي" يعني محمّداً وأهل بيته "وَادخلي جَنَّتِي" فما من شيءٍ أحبّ إليه من استلال روحه واللّحوق بالمنادي»[3] .

١ ـ في المصدر: «بعد اليأس» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٣ ـ الكافي ٣: ١٢٧ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

سورة البلد

[مكيّة، وهي عشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿لا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ﴾.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ﴾. قيل: أي: أُقسم بهذا البلد الحرام؛ يعني مكّة؛ لشرف من حلّ به؛ وهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله[2].

و ورد: «كانت قريش تعظّم البلد وتستحلّ محمّداً فيه. فقال الله: "لا أُقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد" يريد أنّهم استحلّوك فيه فكذّبوك وشتموك، وكان لا يأخذ الرّجل منهم فيه قاتل أبيه، ويتقلّدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إيّاه. فاستحلّوا من رسول الله ما لم يستحلّوا من غيره؛ فعاب الله ذلك عليهم»[3].

﴿وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ﴾ قال: «يعني آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم»[4].

وفي رواية: «أمير المؤمنين ومن ولد من الأئمّة عليهم السلام»[5].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ التّبيان ١٠: ٣٥٠؛ البيضاوي ٥: ١٨٦.

٣ و ٤ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٤٩٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ١١.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي كَبَدٍ﴾ قيل: أي: في تعب ومشقّة، فإنّه يكابد مصائب الدّنيا وشدائد الآخرة[١]. والقمّي: أي: منتصباً[٢]. و ورد: «إنّ ابن آدم منتصب في بطن أُمّه، وذلك قول اللّه: "لقد خلقنا الإنسان في كبد" وما سوى ابن آدم فرأسه في دبره ويداه بين يديه»[٣].

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فينتقم منه. قال: «يعني يقتل في قتله ابنة النّبيّ صلى الله عليه وآله»[٤]. **أقول:** أُريد به الثّالث.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مالاً لُبَداً﴾: كثيراً، من تلبّد الشّيء إذا اجتمع.

قال: «يعني الذي جهّز به النّبيّ صلى الله عليه وآله في جيش العسرة»[٥].

وفي رواية: «هو عمرو بن عبد ودّ، حين عرض عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام الإسلام يوم الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً؟! وكان أنفق مالاً في الصّدّ عن سبيل اللّه، فقتله عليّ عليه السلام»[٦].

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما.

﴿وَلِساناً﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النّطق والأكل والشّرب وغيرها.

﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: «سبيل الخير وسبيل الشّرّ»[٧].

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة؛ وهو الدّخول في أمر شديد.

﴿وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾.

١ـ البيضاوي ٥: ١٨٦.
٢ـ القمّي ٢: ٤٢٣.
٣ـ علل الشّرائع ٢: ٤٩٥، الباب: ٢٤٧، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ و ٥ـ القمّي ٢: ٤٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ القمّي ٢: ٤٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٩٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ .

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾: ذي مجاعة .

﴿يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ﴾: ذا قرابة .

﴿أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ﴾: ذا فقر . القمّي: لا يقيه من التراب شيء[1] .

قال: «علم اللّه أنّه ليس كلّ إنسان يقدر على عتق رقبة . فجعل لهم السّبيل إلى الجنّة»[2] .

وقال: «من أكرمه اللّه بولايتنا فقد جاز العقبة ، ونحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجا ، ثمّ قال: النّاس كلّهم عبيد النّار غيرك وأصحابك ، فإنّ اللّه فكّ رقابكم من النّار بولايتنا أهل البيت»[3] .

وقال: «بنا تفكّ الرّقاب وبمعرفتنا ، ونحن المطعمون في يوم الجوع ، وهو المسغبة»[4] .

﴿ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ .

﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ .

﴿عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة .

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٢ .

٢ ـ الكافي ٤: ٥٢ ، الحديث: ١٢ ؛ المحاسن: ٣٨٩ ، الباب: ١ ، الحديث: ٢٠ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٣ ـ الكافي ١: ٤٣٠ ، الحديث: ٨٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

سورة الشّمس

[مكيّة ، وهي خمس عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها﴾: امتداد ضوئها وانبساطه وإشراقه.

﴿والْقَمَرِ إذا تَلاها﴾: طلع عند غروبها، آخذاً من نورها.

﴿وَالنَّهارِ إذا جَلّاها﴾ عند انبساطه.

﴿وَاللَّيْلِ إذا يَغْشاها﴾ فيظلم الآفاق ويلبسها سواده.

قال: «الشّمس رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ به أوضح اللّه للنّاس دينهم، والقمر أمير المؤمنين عليه السلام، تلا رسول اللّه ونفثه بالعلم نفثاً. واللّيل أئمّة الجور الّذين استبدّوا بالأمر دون آل الرّسول، وجلسوا مجلساً كان آل الرّسول أولى به منهم، فغشّوا دين اللّه بالظّلم والجور. فحكى اللّه فعلهم فقال: "واللّيل إذا يغشيها". والنّهار الإمام من ذرّيّة فاطمة، يسأل عن دين رسول اللّه فيجلّيه لمن سأله فحكى اللّه قوله فقال: "والنّهار إذا جلّيها"»[2].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكافي ٨: ٥٠، الحديث: ١٢؛ القمّي ٢: ٤٢٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَالسَّماءِ وَما بَناها﴾: والقادر الّذي بناها.

﴿وَالْأَرْضِ وَما طَحاها﴾: والصّانع الّذي دحاها.

﴿وَنَفْسٍ وَما سَوّاها﴾: والخالق الّذي سوّاها، أي عدّل خلقها. القمّي: خلقها وصوّرها[١].

﴿فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ قال: «بيّن لها ما تأتي وما تترك»[٢].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها﴾: طهّر نفسه.

﴿وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها﴾: أغواها.

قال: «قد أفلح من أطاع، وقد خاب من عصى»[٣].

وقال: «من زكّاها أميرالمؤمنين زكّاه ربّه». ومن دسّاها هو الأوّل والثّاني، في بيعته إيّاه؛ حين مسح على كفّه»[٤].

قيل: «قد أفلح» جواب القسم، وحذف اللّام للطّول[٥].

وقيل: بل استطرد بذكر أحوال النّفس، والجواب محذوف، تقديره: ليُدَمْدِمَنَّ اللّه على كفّار مكّة لتكذيبهم رسوله، كما دَمْدَمَ على ثمود لتكذيبهم صالحاً[٦].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها﴾ قال: «يقول: الطّغيان حملها على التّكذيب»[٧].

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها﴾: أشقى ثمود، وهو قدار بن سالف. القمّي: الّذي عقر النّاقة[٨].

﴿فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ﴾: صالح ﴿ناقَةَ اللّهِ﴾ أي: ذروا ناقة اللّه، واحذروا عقرها

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.
٢ ـ الكافي ١: ١٦٣، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٩٨، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٩٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ البيضاوي ٥: ١٨٧.
٦ ـ الكشّاف ٤: ٢٥٩؛ البيضاوي ٥: ١٨٧.
٧ ـ القمّي ٢: ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.

﴿وَسُقْيَاهَا﴾ فلا تذودوها[1] عنها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذّرهم من حلول العذاب إن فعلوا ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ فأطبق عليهم العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾: بسببه ﴿فَسَوَّاهَا﴾: فسوّى الدمدمة، فلم يفلت منها صغير ولا كبير. القمّي: أخذهم بغتة وغفلة بالليل[2].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾: عاقبة الدّمدمة، فيبقى بعض الإبقاء. كذا قيل[3].

والقمّي: من بعد هؤلاء الذين أهلكناهم لا يخافون[4].



١ ـ أي: لا تطردوها عن السّقي. ذاده: دفعه وطرده. المعجم الوسيط: ٣١٧ (ذود).

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٨٧.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.

سورة اللّيل

[مكيّة ، وهي إحدى وعشرون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشىٰ ﴾: يغشى الشّمس أو النّهار .

﴿ وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّىٰ ﴾: ظهر بزوال ظلمة اللّيل .

قال: «اللّيل في هذا الموضع الثّاني ، غشي أمير المؤمنين عليه السلام في دولته الّتي جرت له عليه ، وأمير المؤمنين عليه السلام يصبر في دولتهم ، حتّى تنقضي . والنّهار هو القائم منّا أهل البيت ، إذا قام غلب دولة الباطل . قال: والقرآن ضرب فيه الأمثال للنّاس ، وخاطب نبيّه به ونحن ، فليس يعلمه غيرنا»[2] .

﴿ وَما خَلَقَ ﴾: والّذي خلق ﴿ الذَّكَرَ وَالْأُنْثىٰ ﴾ .

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّىٰ ﴾: إنّ مساعيكم لمختلفة ، منكم من يسعى في الخير ومنكم من يسعى في الشّرّ .

﴿ فَأَمّا مَنْ أَعْطىٰ ﴾ الطّاعة ﴿ وَاتَّقىٰ ﴾ المعصية .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ﴾: بالكلمة الحسنى ، والمثوبة من اللّه . وفي رواية: «بالولاية»[١] .

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ﴾: فسنوفّقه حتّى تكون الطّاعة أيسر الأُمور عليه .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بما أُمر به ﴿وَاسْتَغْنىٰ﴾ بشهوات الدّنيا عن نعيم العقبى.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ﴾ .

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ﴾: فسنخذله حتّى تكون الطّاعة له أعسر شيء .

﴿وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدّىٰ﴾: إذا هلك .

«نزلت الآيات في أبي الدّحداح ، حين اشترى نخلة كانت في دار رجل ، لآخر يؤذيه بالدّخول عليه بغير إذن ، فشكاه إلى رسول اللّه ﷺ ، فقال لصاحب النّخلة: بعني نخلتك هذه بنخلة في الجنّة . فلم يقبل . فقال: بحديقة في الجنّة . فلم يقبل فاشتراها أبو الدّحداح منه بحائط له ـ وفي رواية: «بأربعين نخلة وأعطاها صاحب الدّار»[٢] ـ فقال رسول اللّه ﷺ لأبي الدّحداح: لك في الجنّة حدائق وحدائق . فأنزل اللّه في ذلك: "فأمّا من أعطى" الآيات» . كذا ورد[٣] .

وفي رواية . قال: «"فأمّا من أعطى" ممّا آتاه اللّه "واتّقى وصدّق بالحسنى" ، أي: بأنّ اللّه يعطي بالواحد عشراً إلى مائة ألف فما زاد ، "فسنيسّره لليسرى": لا يريد شيئاً من الخير إلّا يسّر اللّه له . و"أمّا من بخل" بما آتاه اللّه و"كذّب بالحسنى" ، بأنّ اللّه يعطي بالواحد عشراً إلى مائة ألف ، "فسنيسّره للعسرى": لا يريد شيئاً من الشرّ إلّا يسّر له ، "وما يغني عنه ما له إذا تردّى" . قال: واللّه ما تردّى من جبل ولا من حائط ولا في بئر ، ولكن تردّى في نار جهنّم»[٤] .

﴿إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدىٰ﴾ القمّي: علينا أن نبيّن لهم[٥] .

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٦ ، عن أبي عبد اللّه ﷺ .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠١ ، عن ابن عبّاس .

٣ ـ قرب الإسناد: ٣٥٥ ، الحديث: ١٢٧٣ ، عن أبي الحسن الرضا ﷺ ؛ القمّي ٢: ٤٢٦ .

٤ ـ الكافي ٤: ٤٦ ، الحديث: ٥ ، عن أبي جعفر ﷺ .

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٦ .

﴿ وَإِنَّ لَنا لَـلآخِرَةَ وَالأُولىٰ ﴾ فنعطي في الدّارين ما تشاء لمن تشاء .

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظّىٰ ﴾: تتلهّب .

﴿ لا يَصْلاها إِلاّ الأَشْقَىٰ ﴾ .

﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلّىٰ ﴾ القمّي: يعني هذا الذي بخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، أراد صاحب النّخلة[1] .

و ورد: «في جهنّم وادٍ فيه نار لا يصلاها إلاّ الأشقى: فلان الذي كذّب رسول اللّه في عليّ ، وتولّى عن ولايته . ثمّ قال: النّيران بعضها دون بعض ، فما كان من نار بهذا الوادي فللنّصّاب»[2] .

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾ .

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مالَهُ يَتَزَكّىٰ ﴾ القمّي: أبو الدّحداح[3] .

﴿ وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ ﴾ فيقصد بإيتائه مكافأتها .

﴿ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلىٰ ﴾ ولكن يؤتيه للّه عزّوجلّ خالصاً مخلصاً .

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضىٰ ﴾ إذا أدخله اللّه الجنّة .

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٦ .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٦ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ المصدر .

سورة الضّحى

[مكيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿ والضُّحىٰ ﴾: أُقسم بوقت ارتفاع الشّمس .

﴿ وَاللَّيْلِ إِذا سَجىٰ ﴾: وباللّيل إذا سكن أهله وركد ظلامه .

﴿ ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾: ما قطعك قطع المودّع ، وبالتّخفيف: ما تركك ﴿ وَما قَلىٰ ﴾: وما أبغضك .

قال: «أبطأ جبرئيل على رسول اللّه . فقالت خديجة: لعلّ ربّك قد تركك فلا يرسل إليك ، فنزلت»[2] .

وفي رواية: «إنّ الوحي قد احتبس عنه أيّاماً ، فقال المشركون: إنّ محمّداً ودّعه ربّه وقلاه ، فنزلت»[3] .

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولىٰ ﴾ قال: «يعني الكرّة»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .
٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٨ ، عن أبي جعفرعليه السلام .
٣ ـ جوامع الجامع: ٥٤٤ .
٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ ﴾ . قال: «يعطيك من الجنّة حتّى ترضى»[١].

وقال: «رضي جدّي أن لا يبقى في النّار موحّد»[٢].

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ ﴾ .

﴿ وَوَجَدَكَ ضالاًّ فَهَدى ﴾ .

﴿ وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنىٰ ﴾ . تعديد لما أنعم عليه ، تنبيهاً على أنّه كما أحسن إليه فيما مضى يُحْسِنُ فيما يستقبل .

قال: «يتيماً: فَرْداً لا مِثْلَ لك في المخلوقين ، فآوى النّاس إليك ، وضالاًّ في قوم لايعرفون فضلك»[٣].

وفي رواية: «يعني عند قومك ؛ فهداهم إليك ، وعائلاً: تعول أقواماً بالعلم ؛ فأغناهم اللّه بك»[٤]. والقمّي: فأغناك بالوحي ، فلا تسأل عن شيء أحداً[٥].

وفي رواية: «فأغنى بأن جعل دعاءك مستجاباً»[٦]. قال صلّى الله عليه وآله: «مَنَّ عَلَيَّ ربّي ؛ وهو أهل المنّ»[٧].

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ القمّي: فلا تظلم ، والمخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس[٨].

﴿ وَأَمَّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾: لا تطرد .

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٥٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام ؛ القمّي ٢: ٤٢٧ ، عن أحدهما عليهما السلام .

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٠ ، الباب: ١٥ ، ذيل الحديث: ١ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ .

٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٠ ، الباب: ١٥ ، ذيل الحديث: ١ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٦ .

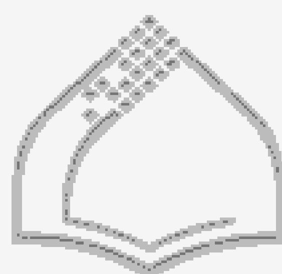
٨ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ .

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال: «بما أعطاك اللّه وفضّلك ورزقك وأحسن اليك وهداك»[١].

وفي رواية: «أمره أن يُحدّث بما أنعم اللّه عليه من دينه»[٢].

وفي أُخرى: «فحدّث بدينه وما أعطاه اللّه وما أنعم به عليه»[٣].

ورد: «إذا أنعم اللّه على عبده بنعمة وظهرت عليه، سمّي حبيب اللّه، محدّثاً بنعمة اللّه، وإذا أنعم اللّه على عبده بنعمة فلم تظهر عليه، سمّي بغيض اللّه، مكذّباً بنعمة اللّه»[٤].



١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ المحاسن: ٢١٨، الحديث: ١١٥، عن حسين بن عليّ عليهما السلام.

٣ـ الكافي ٢: ٩٤، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ الكافي ٦: ٤٣٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الانشراح

[مكيّة، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قيل: ألم نفسحه بالعلم والحكمة وتلقّى الوحي والصّبر على الأذى والمكاره، حتّى وسع مناجاة الحقّ ودعوة الخلق، فكان غائباً حاضراً[2].

والقمّي: بعليّ عليه السلام، فجعلناه وصيّك، وبفتح مكّة، ودخول قريش في الإسلام[3].

ورد: «قيل له أينشرح الصّدر؟ قال: نعم. قالوا: يا رسول الله وهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: نعم، التّجافي عن دارالغرور، والإنابة إلى دارالخلود، والإعداد للموت قبل نزوله»[4].

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾: ما ثقل عليك احتماله. القمّي: ثقل الحرب[5].

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قيل: أثقل ظهرك حتّى حمله على النّقيض، وهو صوت

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٨٩.

٣ ـ القمّي ٢: ٤٢٨.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٨، عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٨.

الرّحل من ثقل الحمل[١]. وهو مَثَل، معناه: لو كان حملاً لسمع نقيض ظهره.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ القمّي: تذكر إذا ذكرت، وهو قول النّاس: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمّداً رسول الله[٢].

و ورد عنه في تفسيره: «قال لي جبرئيل: قال الله: إذا ذكرت ذكرت معي»[٣].

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ كضيق الصّدر، والوزر المنقض للظّهر، وضلال القوم وإيذائهم ﴿يُسْراً﴾ كشرح الصّدر، ووضع الوزر، وتوفيق القوم للاهتداء والطّاعة. فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمّك.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ تأكيد أو استئناف بوعد يسر آخر، كثواب الآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ يعني إذا فرغت من عبادة عقّبها بأُخرى و أوصل بعضها ببعض، ولا تخلِ وقتك من عبادة.

قال: «فإذا فرغت من الصّلاة المكتوبة، فانصب إلى ربّك في الدّعاء، وارغب إليه في المسألة يعطك»[٤].

وفي رواية: «فإذا فرغت من نبوّتك، فانصب عليّاً، وإلى ربّك فارغب في ذلك»[٥].

أقول: بناء هذه الرّواية على أنّه بكسر الصّاد، من النّصب بالتّسكين، بمعنى الرّفع والوضع، يعني إذا فرغت من أمر التّبليغ فارفع عَلَمَ هدايتك للنّاس، وضَعْ من يقوم به خلافَتك موضعَك.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٨؛ البيضاوي ٥: ١٨٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٨.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٨، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٩، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة التّين

[مكيّة، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ . قيل: خصّهما من الثّمار لفضلهما، فإنّ التّين فاكهة طيّبة لاعجم له، وغذاء لطيف سريع الهضم، ودواء كثير النّفع، فإنّه يليّن الطّبع، ويحلّل البلغم، ويطهّر الكليتين، ويزيل رمل المثانة، ويفتح سدّة الكبد والطّحال، ويسمن البدن[2].

وفي الحديث: «إنّه يقطع البواسير وينفع من النّقرس، والزّيتون فاكهة وإدام ودواء، وله دهن لطيف كثير المنافع»[3].

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ قيل: يعني الجبل الّذي ناجى عليه موسى ربّه. وسينين وسيناء اسمان للموضع الّذي هو فيه[4].

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أي: الآمن يعني مكّة.

و ورد: «التّين المدينة، والزّيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٨٩.

٣ ـ المصدر؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٩٠.

الأمين مكّة»[1].

وفي روايه: «التّين والزّيتون الحسن والحسين، وطور سينا عليّ بن أبي طالب، وهذا البلد الأمين محمّد صلّى الله عليه وآله»[2].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل، بأنْ خصّ بانتصاب القامة وحسن الصّورة، واستجماع خواصّ الكائنات ونظائر سائر الموجودات.

﴿ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ﴾ قيل: بأن جعلناه من أهل النّار[3].

ورد: «الإنسان: الأوّل، ثمّ رددناه أسفل سافلين ببُغْضه أمير المؤمنين»[4].

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾. قال: «عليّ بن أبي طالب»[5]. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾ قيل: فأيّ شيء يكذّبك يا محمّد، دلالة أو نطقاً، بعد ظهور هذه الدّلائل؟![6] ﴿بِالدِّينِ﴾ قال: «بولاية عليّ»[7]. وقيل: بالجزاء[8]. ﴿أَلَيْسَ اللّهُ بِأَحْكَمِ الحاكِمِينَ﴾.

١ ـ الخصال ١: ٢٢٥، الحديث: ٥٨؛ معاني الأخبار: ٣٦٥، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن رسول الله (صلوات الله عليهم).

٢ ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٩٠.

٤ و ٥ ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٩٤، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٩٠.

٧ ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٩٤، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٨ ـ البيضاوي ٥: ١٩٠.

سورة العلق

[مكيّة ، وهي تسع عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ . قال: «إنّها أوّل سورة نزلت[2] ، نزل بها جبرئيل على محمّد ، فقال: يا محمّد اقرأ . قال: وما أقرأ؟ قال: "اقرأ باسم ربّك الّذي خلق" يعني خلق نورك القديم قبل الأشياء»[3] .

﴿ خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾: من دم جامد بعد نطفة .

﴿ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ .

﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ﴾ القمّي: علّم الإنسان بالكتابة ، الّتي بها تتمّ أُمور الدّنيا في مشارق الأرض ومغاربها»[4] .

﴿ عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . من أنواع الهدى والبيان .

﴿ كَلّا ﴾ رَدْعٌ لمن كفر بنعم الله لطغيانه ﴿ إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى ﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٤٣٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٤٣٠ .

﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾: لأن رأى نفسه مستغنية.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ الخطاب للإنسان على الالتفات، تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطّغيان.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾.

﴿عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ﴾ ماذا يكون جزاؤه وما يكون حاله.

القمّي: كان الوليد بن المغيرة ينهى النّاس عن الصّلاة وأن يطاع الله ورسوله، فنزلت.

وروي[1]: «إنّها نزلت في أبي جهل»[2].

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ يعني العبد المنهي عن الصّلاة وهو محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ عن الشّرك، يعني أمر بالإخلاص والتّوحيد ومخافة الله، كيف يكون حال من ينهاه عن الصّلاة؟

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ من ينهاه ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان وأعرض عن قبوله والإصغاء إليه، ما الّذي يستحقّ عليه من العقاب؟

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ما يفعله ويعلم ما يصنعه.

﴿كَلَّا﴾ ردع للنّاهي ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عمّا هو فيه ﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾: لنأخذنّ بناصيته ولنسحبنّه بها إلى النّار. والسّفع: القبض على الشّيء وجذبه بشدّة.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه ليعينوه، وهو المجلس الّذي يتحدّث فيه القوم.

روي: «إنّ أبا جهل مرّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وهو يصلّي، فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول الله صلّى الله عليه وآله. فقال: أتهدّدني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً، فنزلت»[3].

والقمّي: لمّا مات أبو طالب نادى أبو جهل والوليد: هلمّ فاقتلوا محمّداً فقد مات

١ ـ القمّي ٢: ٤٣٠.

٢ ـ الدّرّ المنثور ٨: ٥٦٥، عن قتادة؛ جامع البيان (للطبري) ٣٠: ١٦٣، عن مجاهد وقتادة.

٣ ـ الكشّاف ٤: ٢٧٢؛ البيضاوي ٥: ١٩١.

ناصره. فقال الله: "فليدع ناديه"[١].

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ليجرّوه إلى النّار. القمّي: كما دعا إلى قتل محمّد رسول الله، نحن أيضاً ندعو الزّبانية[٢].

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ واثبت أنت على عبادة ربّك. ﴿وَاسْجُدْ﴾: ودُمْ على سجودك ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: وتقرّبْ إلى ربّك.

ورد: «أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد، وذلك قوله تعالى: "واسجد واقترب"»[٣].



١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤٣١.

٣ ـ الكافي ٣: ٢٦٥، الحديث: ٣؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧، الباب: ٣٠، الحديث: ١٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام؛ من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٤، الحديث: ٦٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة القدر

[مكيّة، وهي خمس آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إنّا أنزلناه﴾ يعني القرآن ﴿في ليلة القدر﴾. قال: «إنّ اللّه قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة»[2].

وفي رواية: «فيها يقدّر كلّ شيء يكون في تلك السّنة إلى مثلها من قابل؛ من خيرٍ أو شرٍّ أو طاعةٍ أو معصيةٍ أو مولودٍ أو أجلٍ أو رزقٍ»[3].

و ورد: «أُنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان»[4]. وقال: «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة»[5].

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ فيه تفخيم لها.

﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾. ورد: «إنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله أُري في منامه أنّ بني أُميّة

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ معاني الأخبار: ٣١٥، الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٣ـ الكافي ٤: ١٥٧، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه بدل «أو»، «و» في جميع المواضع.

٤ـ الكافي ٢: ٦٢٩، ذيل الحديث: ٦، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٥ـ المصدر، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

يصعدون على منبره من بعده، ويضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً»[١].

وفي رواية: «أُري كأنّ قروداً تصعد منبره؛ فغمّه ذلك. فأنزل اللّه سورة القدر: "إِنّا أَنزَلْناهُ" الآيات»[٢].

قال: «"ليلة القدر خير من ألف شهر" تملكه بنو أُميّة، ليس فيها ليلة القدر»[٣].

﴿تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾. القمّي: تنزّل الملائكة وروح القدس على إمام الزّمان، ويدفعون إليه ما قد كتبوه[٤].

و ورد: «إنّ الرّوح أعظم من جبرئيل، إنّ جبرئيل من الملائكة وإنّ الرّوح هو خلق أعظم من الملائكة. أليس اللّه يقول: "تَنَزّل المَلائِكةُ والرُّوح"»[٥].

﴿سَلامٌ هِيَ حَتّىٰ مَطْلَعِ الفَجْرِ﴾. قال: «يقول: يسلّم عليك يا محمّد ملائكتي وروحي سلامي من أوّل ما يهبطون إلى مطلع الفجر»[٦].

وفي أدعيتهم: «سلام دائم البركة إلى طلوع الفجر، على من يشاء من عباده بما أحكم من قضائه»[٧].

والقمّي: تحيّة يُحيّى بها الإمام إلى أن يطلع الفجر[٨].

١ ـ الكافي ٤: ١٥٩، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٤٣١.
٣ ـ الصّحيفة السّجّادية: ١٨، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٤٣١.
٥ ـ الكافي ١: ٣٨٦، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ المصدر: ٢٤٨، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «بسلامي».
٧ ـ الصّحيفة السّجّادية: ٢٢٠، الدّعاء: ٤٤ من دعائه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان.
٨ ـ القمّي ٢: ٤٣١.

سورة البيّنة

[مكيّة ، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ القمّي: يعني قريشاً[2] . ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾ عن كفرهم ﴿حَتّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ . قال: «البيّنة محمّد صلى الله عليه وآله»[3] .

﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾ في السّماء لا يمسّها إلّا الملائكة المطهّرون . وقيل: مطهّرة عن الباطل ، وأُريد بالصّحف ما كتب فيها ، فإنّه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب ، لكنّه لمّا تلا مثل ما في الصّحف كان كالتّالي لها[4] .

﴿فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: مكتوبات مستقيمة عادلة غير ذات عوج .

﴿وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾ عمّا كانوا عليه ﴿إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ . قيل: يعني لم يزل كانوا مجتمعين في تصديق محمّد صلى الله عليه وآله حتّى بعثه الله ، فلمّا بعث تفرّقوا

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٣٢ .

٣ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ١٤٢ ، عن قتادة .

في أمره واختلفوا، فآمن به بعضهم وكفر آخرون[١]. والقمّي: لمّا جاءهم رسول اللّه بالقرآن خالفوه وتفرّقوا بعده[٢].

﴿وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: لا يشركون به ﴿حُنَفاءَ﴾: مائلين عن العقائد الزّائغة. القمّي: طاهرين[٣]. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: دين الملّة القيّمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. قال: «هم شيعتنا أهل البيت»[٤]. القمّي: نزلت في آل محمّد عليهم السلام[٥].

﴿جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لأنّه بلغهم أقصى أمانيهم ﴿ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فإنّ الخشية ملاك الأمر والباعث على كلّ خير.

ورد: أنّه قال لرجل من الشّيعة: «أنتم أهل الرّضا عن اللّه جلّ ذكره برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير، فإذا اجتهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البريّة، دياركم لكم جنّة، وقبوركم لكم جنّة، للجنّة خُلقتم، وفي الجنّة نعيمكم، وإلى الجنّة تصيرون»[٦].

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٣.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٤٣٢.

٤ ـ المحاسن: ١٧١، الباب: ٣٦، الحديث: ١٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٣٢.

٦ ـ الكافي ٨: ٣٦٦، الحديث: ٥٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الزّلزال

[مدنيّة، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزالَها﴾: اضطرابها.

﴿وَأخْرَجَتِ الأرْضُ أثْقالَها﴾ القمّي: من النّاس[2].

﴿وَقالَ الإنْسانُ ما لَها﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبارَها﴾.

﴿بِأنَّ رَبَّكَ أوْحىٰ لَها﴾. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الإنسان الّذي يقول لها: مالَكِ، وإيّاي تحدّث الأخبار»[3].

ورد: «أخبارها أن تشهد على كلّ عبد وأمة بما عمله على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا»[4].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ﴾ من القبور إلى الموقف ﴿أشْتاتاً﴾: متفرّقين بحسب مراتبهم.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ القمّي ٢: ٤٣٣.

٣ـ علل الشّرائع ٢: ٥٥٦، الباب: ٣٤٣، الحديث: ٨، عن فاطمة عليها السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٥٢٦، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

القمّي: يجيئون أشتاتاً مؤمنين وكافرين ومنافقين[١]. ﴿لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ﴾.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾. قيل: هي أحكم آية في القرآن، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يسمّيها الجامعة[٢].



١ ـ القمّي ٢: ٤٣٣، وفيه: «يحيون أشتاتاً».

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٧، عن عبد الله بن مسعود.

سورة العاديات

[مكيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالْعادِياتِ ضَبْحاً﴾ . قال: «يعني بالعاديات الخيل تعدو بالرّجال ، والضّبح ضبحها أعنّتها ولجمها»[2] .

أقول: الضّبح صوت أنفاس الخيل عند العدو .

﴿فَالْمُورِياتِ قَدْحاً﴾ الّتي توري النّار ، أي: تخرجها بحوافرها من حجارة الأرض .

﴿فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً﴾ تغير أهلها على العدوّ في وقت الصّبح .

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾: فهيّجن بذلك الوقت غباراً . قال: «يعني الخيل يأثرن بالوادي نقعاً»[3] .

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ من جموع الأعداء . القمّي: توسّط المشركون بجمعهم[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٣٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٤٣٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ المصدر .

أقول: كأنّه أراد به إحاطتهم بالمشركين، وهو في قراءة عليّ عليه السلام بتشديد السّين[١].

«نزلت في أهل وادي اليابس. اجتمعوا اثني عشر ألف فارِس، وتعاقدوا على قتل محمّد وعليّ عليهما السلام، فنزل جبرئيل فأخبر بقصّتهم، فوجّه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر إليهم في سريّة بعد ما وصّاه بأُمور، فرجع منهزماً يجبن أصحابه، مخالفاً لما أُمر به. ثمّ وجّه عمر إليهم كذلك، فرجع منهزماً يجبن أصحابه، مخالفاً لما أُمر به. فقال لعليّ عليه السلام: أنت صاحب القوم فسار إليهم، فلمّا كان عند وجه الصّبح أغار عليهم، فأقبل بالغنيمة والأُسارى، فأنزل الله: "والعاديات" إلى آخر السّورة». كذا ورد في قصّة طويلة[٢].

﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: «لكفور»[٣]. وهو جواب القسم. ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه، أو: إنّ الله على كنوده لشهيد.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾. قال: «يعنيهما أبا بكر وعمر، قد شهدا جميعاً وادي اليابس، وكانا لحبّ الحياة حريصين»[٤].

﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي القُبُورِ﴾.

﴿وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ﴾: جمع وظهر.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾. قال: «نزلت الآيتان فيهما خاصّة، يضمران ضمير السّوء ويعملان به، فأخبر الله خبرهما وفعالهما»[٥].

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٤٣٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ تأويل الآيات ٢: ٨٤٣، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٤٣٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة القارعة

[مكيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿القارِعَةُ﴾ الّتي تقرع النّاس بالإفزاع ، والأجرام بالانفطار والانتشار .

﴿مَا ٱلقارِعَةُ﴾ ما هي؟ أي: أيّ شيء هي؟ وهو تعظيم لشأنها وتهويل لها .

﴿وَما أدْراكَ مَا ٱلقارِعَةُ﴾: وأيّ شيء أعلمك ما هي؟! أي: أنّك لا تعلم كُنهها .

﴿يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالفَراشِ المَبْثُوثِ﴾ في كثرتهم وذلّتهم ، وانتشارهم واضطرابهم .

﴿وَتَكُونُ الجِبالُ كَالعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾: كالصّوف ذي الألوان المندوف ، لتفرّق أجزائها وتطايرها في الجوّ .

﴿فَأَمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ بالحسنات ، بأن ترجّحت مقادير أنواع حسناته .

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾: في عيش ﴿راضِيَةٍ﴾: ذات رضى ، أي: مرضيّة .

﴿وَأَمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ من الحسنات ، بأن لم تكن له حسنة يعبأُ بها ، أو ترجّحت سيّئاته على حسناته . وقد سبق تحقيق الوزن في الأعراف[2] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

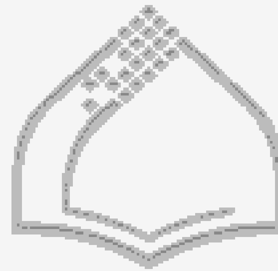
٢ ـ ذيل الآية: ٨ و ٩ .

﴿فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ﴾: فمأواه النّار يأوي إليها، كما يأوي الولد إلى أُمّه. والهاوية من أسماء النّار. والقمّي: أُمّ رأسه يُقلّب في النّار على رأسه[1].

أقول: يعني يهوي فيها على أُمّ رأسه.

﴿وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ﴾.

﴿نارٌ حامِيَةٌ﴾: ذات حَمْيٍ أي: شديد الحرارة.



١ ـ القمّي ٢: ٤٤٠.

سورة التّكاثر

[مكيّة، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ﴾: شغلكم التّباهي بالكثرة.

﴿حَتّىٰ زُرْتُمُ المَقابِرَ﴾: حتّى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبّر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة المقابر.

وقيل: ألهاكم التّكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متّم وقبرتم؛ مضيّعين أعماركم في طلب الدّنيا عمّا هو أهمّ لكم، وهو السّعي لآخرتكم. فتكون زيارة القبور كناية عن الموت[2].

ويؤيّد الأوّل ما ورد: «أفبمصارع آبائهم يفخرون؟! أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟! قال: ولأن يكونوا عِبَراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً. ولأن يهبطوا منهم جناب ذلّة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّة»[3].

ويدلّ على الثّاني ما ورد أنّه قرأها فقال: «تكاثُر الأموال جَمْعُها من غير حقّها ومنعها

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكشّاف ٤: ٢٨١؛ البيضاوي ٥: ١٩٤.

٣ ـ نهج البلاغة (الصبحي الصالح): ٣٣٨، الخطبة: ٢٢١.

من حقّها وشدّها في الأوعية. "حتّى زرتم المقابر": حتّى دخلتم قبوركم»[١].

و ورد أنّه تلا هذه السّورة فقال: «يقول ابن آدم: مالي مالي! ومالَك من مالِك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت»[٢].

﴿كَـلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «لو دخلتم قبوركم»[٣].

﴿ثُـمَّ كَـلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «لو خرجتم من قبوركم إلى محشركم»[٤].

﴿كَـلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِـينِ﴾.

﴿لَتَـرَوُنَّ الْجَحِـيمَ﴾. قال: «ذلك حين يؤتى بالصّراط فينصب بين جسري جهنّم»[٥]. وفي رواية. قال: «المعاينة»[٦].

﴿ثُـمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِـينِ﴾. ولعلّ ذلك حين ورودها.

﴿ثُـمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِـيمِ﴾. قال: «إنّ النّعيم الّذي يُسأل عنه رسولُ اللّه ومن حلّ محلّه من أصفياء اللّه، فإنّ اللّه أنعم بهم على من اتّبعهم من أوليائهم»[٧].

وفي رواية: «إنّ اللّه عزّوجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به، ولا يمنّ بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عزّوجلّ ما لا يرضي المخلوقين، ولكن النّعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل اللّه عنه بعد التوحيد والنّبوّة، لأنّ العبد إذا وفي بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الّذي لا يزول»[٨].

١ـ روضة الواعظين: ٤٩٣، عن رسول اللّه ﷺ.

٢ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٥٣٤، عن رسول اللّه ﷺ.

٣ و ٤ و ٥ـ روضة الواعظين: ٤٩٣، عن رسول اللّه ﷺ.

٦ـ المحاسن: ٢٤٧، الباب: ٢٩، الحديث: ٢٥٠، عن أبي عبد اللّه ؈.

٧ـ الاحتجاج ١: ٣٧٥، عن أمير المؤمنين ؈.

٨ـ عيون أخبار الرّضا ؈ ٢: ١٢٩، الباب: ٣٥، الحديث: ٨.

سورة العصر

[مكيّة ، وهي ثلاث آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالعَصْرِ﴾ . ﴿إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ .

﴿إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ . قيل: أقسم بصلاة العصر أو بعصر النّبوّة ، أنّ النّاس لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم ، "إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصّالِحات وَتَواصَوا بِالحَقِّ" . الثّابت الذي لا يصحّ إنكاره من اعتقاد أو عمل ، "وتواصوا بالصّبر" عن المعاصي وعلى الطّاعات والمصائب ، فإنّهم اشتروا الآخرة بالدّنيا ، ففازوا بالحياة الأبديّة والسّعادة السّرمديّة[2] .

و ورد: «العصر عصر خروج القائم ، "إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسر" يعني أعداءنا . "إِلّا الَّذِين آمنوا" يعني بآياتنا . "وعَمِلوُا الصّالِحات" يعني بمواساة الإخوان . "وَتَواصَوا بِالحَقِّ" يعني الإمامة . وَتَواصَوا بِالصَّبر" يعني بالعترة»[3] .

وفي قراءتهم عليهم السلام : «لفي خسر إلى آخر الدّهر»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٩٤ .

٣ ـ كمال الدّين ٢: ٦٥٦ ، الباب: ٥٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٣٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

سورة الهمزة

[مكيّة، وهي تسع آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾. الهمز الكسر، واللّمز الطّعن، وشاعا في كسر الأعراض والطّعن فيها.

القمّي: همزة: الّذي يغمز النّاس ويستحقر الفقراء، ولمزة: الّذي يلوي عنقه ورأسه، ويغضب إذا رأى فقيراً أو سائلاً[2].

﴿الَّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ﴾ وجعله عُدّة للنّوازل، أو عَدّه مرّة بعد أُخرى. القمّي: أعدّه ووضعه[3].

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: تركه خالداً في الدّنيا. القمّي: يبقيه[4].

﴿كَلّا لَيُنْبَذَنَّ﴾: ليطرحنّ ﴿فِي الحُطَمَةِ﴾ النّار الّتي تحطم كلّ شيء.

﴿وَما أَدْراكَ مَا الحُطَمَةُ﴾.

﴿نارُ اللّهِ المُوقَدَةُ﴾ الّتي أوقدها الله، وما أوقده الله لا يقدر غيره أن يطفئه.

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ القمّي: تلتهب على الفؤاد[5].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٤١.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٤١.

﴿إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة.

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي: موثّقين في أعمد ممدودة.

قال في حديث: «ثمّ مدّت العمد فأوصدت عليهم، وكان والله الخلود»[1].



١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة الفيل

[مكيّة، وهي خمس آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ﴾.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في تضييع وإبطال، بأن دمّرهم وعظّم شأنها.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ﴾: جماعات.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر.

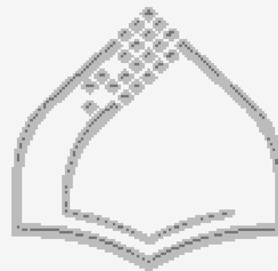
﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾: كتِبْنٍ أكلته الدّوابّ.

قال: «نزلت في الحبشة حين جاؤوا بالفيل ليهدموا به الكعبة. فلمّا أدنوه من باب المسجد قال له عبد المطّلب: تدري أين يُؤَمُّ بك؟ قال برأسه: لا. قال: أتوا بك لتهدم كعبة الله، أتفعل ذلك؟ فقال برأسه: لا. فجهدت به الحبشة ليدخل المسجد فامتنع. فحملوا عليه بالسّيوف وقطعوه. فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل. قال: بعضها إلى أثر بعض "ترميهم بِحِجارَةٍ مِن سِجّيل". قال: كان مع كلّ طير ثلاثة أحجار؛ حجر في منقاره وحجران في مَخالِبه. وكانت ترفرف على رؤوسهم، وترمي في دماغهم فيدخل الحجر في دماغهم

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

ويخرج من أدبارهم وينتقض أبدانهم . فكانوا كما قال: "فَجَعَلَهُم كَعَصفٍ مَأكُول" . قال: العصف: التِّبْن ، والمأكول هو الذي يبقى من فضله»[١] .

وهذه القصّة وردت بروايات مختلفة في ألفاظها مع زيادات في بعضها .



١ ـ الكافي ١: ٤٤٧ ، الحديث: ٢٥ ؛ و٤: ٢١٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ الأمالي (للطوسي) ١: ٧٨ ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام .

سورة قريش

[مكيّة ، وهي أربع آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ متعلّق بقوله: فليعبدوا ، أو بمحذوف ، أو كعصف مأكول .

﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ .

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ﴾ .

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ .

القمّي: نزلت في قريش ، لأنّه كان معاشهم من الرّحلتين: رحلة في الشّتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصّيف إلى الشّام ، وكانوا يحملون من مكّة الأدم واللّبّ ، وما يقع من ناحية البحر من الفلفل وغيره ، فيشترون بالشّام الثّياب والدّرمك والحبوب ، وكانوا يتألّفون في طريقهم ، ويثبتون في الخروج في كلّ خرجة رئيساً من رؤساء قريش ، وكان معاشهم من ذلك . فلمّا بعث الله نبيّه صلّى الله عليه وآله ، استغنوا عن ذلك ، لأنّ النّاس وفدوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وحجّوا إلى البيت . فقال الله: "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ" فلايحتاجون أن يذهبوا إلى الشّام . "وَآمَنَهُم مِن خوف" يعني خوف الطّريق[2] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٤٤ .

سورة الماعون

[مكيّة، وهي سبع آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء. القمّي: نزلت في أبي جهل وكفّار قريش[2].

﴿فَذٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ القمّي: يدفعه عن حقّه[3]. قيل: كان أبو جهل وصيّاً ليتيم، فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه، وأبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً، فقرعه بعصاه[4].

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: ولا يرغب لعدم اعتقاده بالجزاء، ولذلك رتّب الجملة على يكذّب بالفاء.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. الفاء جزائيّة. يعني إذا كان عدم المبالاة باليتيم والمسكين من تكذيب الدين، فالسّهو عن الصّلاة الّتي هي عماد الدين والمراءاة بها، ومنع الزّكاة أحقّ بذلك، ولهذا رتّب عليه الويل.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٤٤٤.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٩٦.

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ ﴾: غافلون غير مبالين بها .

سُئل: أهي وسوسة الشّيطان؟ فقال: «لا ، كلّ أحد يصيبه هذا ، ولكن أن يغفلها ويدع أن يصلّي في أوّل وقتها»[1] .

وقال: «هو تأخير الصّلاة عن أوّل وقتها لغير عذر»[2] .

و ورد: «ليس عمل أحبّ إلى اللّه عزّوجلّ من الصّلاة ، فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدّنيا فإنّ اللّه عزّوجلّ ذمّ أقواماً فقال: "الّذين هُم عَن صَلاتِهِم ساهُون" يعني إنّهم غافلون ، استهانوا بأوقاتها»[3] .

وفي رواية: «هو التّرك لها والتّواني عنها»[4] . وفي أُخرى: «هو التّضييع»[5] .

﴿ الَّذِينَ هُمْ يُراءُونَ ﴾ النّاس بصلاتهم ليثنوا عليهم .

قال: «يريد بهم المنافقين الّذين لا يرجون لها ثواباً إن صلّوا ، ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا ، فهم عنها غافلون حتّى يذهب وقتها ، فإذا كانوا مع المؤمنين صلّوها رياء ، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلّوا ، وهو قوله: "الّذين هُم يُرآؤون"»[6] .

﴿ وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ ﴾ . قال: «هو الزّكاة المفروضة»[7] .

وفي رواية: «هو ما يتعاوره النّاس بينهم من الدّلو والفأس ، وما لا يمنع كالماء والملح»[8] .

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٤٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ الخصال ٢: ٦٢١ ، قطعة من حديث: ١٠ ، عن أبي عبد اللّه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

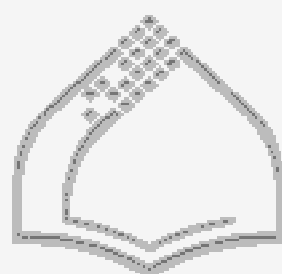
٥ ـ الكافي ٣: ٢٦٨ ، الحديث: ٥؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨ ، عن أبي الحسن عليه السلام .

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٧ ـ المصدر: ٥٤٨ ، عن أمير المؤمنين وأبي عبد اللّه عليهما السلام .

٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٧ .

وفي أُخرى: «هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ، ومنه الزّكاة . قيل له: إنّ لنا جيرانا إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه ؛ فعلينا جناح إن نمنعهم؟ فقال: لا ، ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك»[١] .



١ ـ الكافي ٣: ٤٩٩ ، الحديث: ٩ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

سورة الكوثر

[مكيّة ، وهي ثلاث آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ﴾: الخير الكثير في الغاية ، وفسّر بالعلم والعمل ، وبالنّبوّة والكتاب ، وبشرف الدّارين ، وبالذّريّة الطّيّبة ، وبالشّفاعة . والأخير مرويّ[2] .

وفي رواية: «هو نهر في الجنّة ؛ أعطاه اللّه نبيّه عوضاً من ابنه»[3] .

و ورد: «الكوثر نهر يجري تحت عرش اللّه تعالى ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن وأحلى من العسل وألين من الزّبد ، حصاه الزّبرجد والياقوت والمرجان ، حشيشه الزّعفران ، ترابه المسك الأذفر . ثمّ قال: يا عليّ هذا النّهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي»[4] .

وسئل عنه النّبيّ صلى الله عليه وآله حين نزلت السّورة ، فقال: «نهر وعدنيه ربّي ، عليه خير كثير ؛ هو حوضي ترد عليه أُمّتي يوم القيامة . آنيته عدد نجوم السّماء ، فيختلج القرن منهم ، فأقول: يا ربّ إنّهم من أُمّتي ، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[5] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ و ٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ الأمالي (للطّوسي) ١: ٦٧ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٩ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: فَدُمْ على الصّلاة ﴿وَانْحَرْ﴾. قال: «هو رفع يديك حذاء وجهك»[١].

و ورد: «قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام: ما هذه النّحيرة الّتي أمرني بها ربّي؟ قال: ليست بنحيرة، ولكنّه يأمرك إذا تحرّمت للصّلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الرّكوع، وإذا سجدت، فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة في السّماوات السّبع، فإنّ لكلّ شيء زينة، وإنّ زينة الصّلاة رفع الأيدي عند[٢] كلّ تكبيرة»[٣].

وفي رواية: «النّحر الاعتدال في القيام؛ أن يقيم صلبه ونحره»[٤].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: مبغضك ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾: الّذي لا عقب له، إذ لا يبقى له نسل ولا حُسْن ذكر، وأمّا أنت فتبقى ذرّيّتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف.

القمّي: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن العاص، فقال عمرو: يا أبا الأبتر! وكان الرّجل في الجاهليّة إذا لم يكن له ولد سمّي أبتر. ثمّ قال عمرو: إنّي لأشنأُ محمّداً، أي: أبغضه. فأنزل الله على رسوله السّورة. "إِنَّ شَانِئَكَ" أي: مبغضك "هُوَ الأَبْتَرُ" يعني لا دين له ولا نسب[٥].

١ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٥٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ في «ألف» و«ج»: «على كلّ».
٣ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٥٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٣: ٣٣٦، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ٢: ٤٤٥.

سورة الكافرون[1]

[مكيّة ، وهي ستّ آيات][2]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم



﴿قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ﴾ .

﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾ .

﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾ .

﴿وَلا أَنَا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ﴾ .

﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾ .

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: لا تتركونه ولا أتركه .

قال: «سبب نزولها وتكرارها: أنّ قريشاً قالت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله تعبد آلهتنا[3] سنة ونعبد إلهك سنة ، وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة!! فأجابهم اللّه بمثل ما قالوا»[4] .

١ ـ في «ج» ، «سورة الجحد» .

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٣ ـ في «ألف» و«ج»: «إلهنا» في الموضعين.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٤٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

سورة النّصر

[مدنيّة ، وهي ثلاث آيات][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ﴾ إيّاك على أعدائك ﴿وَالْفَتْحُ﴾: فتح مكّة .

﴿وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْواجاً﴾: جماعات ، كأهل مكّة والطّائف واليمن وسائر قبائل العرب .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فنزّهه ، حامداً له على أن صدق وعده ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ هضماً لنفسك أو لأمّتك ﴿إِنَّهُ كانَ تَوّاباً﴾ .

القمّي: نزلت بمنى في حجّة الوداع ، فلمّا نزلت قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «نعيت إليّ نفسي»[2] .

قيل: لعلّ ذلك لدلالتها على تمام الدّعوة وكمال أمر الدّين[3] .

و ورد: «أوّل ما نزل: "إقرأ باسم ربّك" وآخره: "إذا جاء نصر اللّه"»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٤٦؛ الكشّاف ٤: ٢٩٥ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٩٨ .

٤ ـ الكافي ٢: ٦٢٨ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٦ ، الباب: ٣٠ ، الحديث: ١٢ ، عن أبي الحسن الرّضا ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام .

سورة تبّت[1]

[مكيّة، وهي خمس آيات][2]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: خسرت وهلكت. فإنّ التّباب خسران يؤدّي إلى الهلاك.

قيل: أُريد بيديه نفسه كقوله: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾[3]. وقيل: بل المراد دنياه وأُخراه[4].

﴿وَتَبَّ﴾ إخبار بعد إخبار، أو دعاء عليه بعد دعاء.

ورد: «إنّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: تبّاً لك، فأنزل الله السّورة»[5].

القمّي: كان اسم أبي لهب: عبد مناف، فكنّاه الله؛ لأنّ مناقاً اسم صنم يعبدونه[6].

﴿ما أَغْنىٰ عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ﴾ حين نزل به التّباب.

قيل: إنّه مات بالعَدَسَة[7] بعد وقعة بدر بأيّام معدودة، وترك ثلاثاً حتّى أنتن، ثمّ

---

١ ـ في «ألف» و«ب»: «سورة اللهب».

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٩٨. والآية في سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٤ ـ المصدر.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٥٩، عن ابن عبّاس؛ الكشّاف ٤: ٢٩٦.

٦ ـ القمّي ٢: ٤٤٨.

٧ ـ العَدَسَة: بَثْرَةٌ تخرج في البدن كالطّاعون، وقلّما يسلم صاحبها. المعجم الوسيط: ٥٨٧ (عدس).

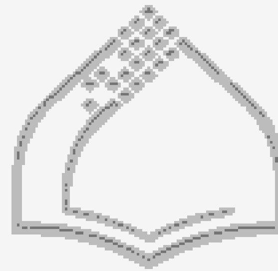
استوجر بعض السّودان فدفنوه[١].

﴿سَيَصْلَىٰ ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾.

﴿وَٱمْرَأَتُهُ﴾ وهي أُمّ جميل أُخت أبي سفيان ﴿حَمّالَةَ الحَطَبِ﴾ قيل: يعني حطب جهنّم، فإنّها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرّسول صلى الله عليه وآله، وتحمل زوجها على إيذائه[٢]. وقيل: بل أُريد به حزمة الشّوك والحَسَك[٣]؛ كانت تحملها فتنثرها باللّيل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

القمّي: وكانت تنمّ على رسول الله، وتنقل أحاديثه إلى الكفّار[٥].

﴿فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ أي: ممّا مسد، يعني فتل. القمّي: أي: من نار[٦].



١ و ٢ ـ البيضاوي ٥: ١٩٩.

٣ ـ الحَسَك: نبات له ثمرة خشنة تتعلّق بأصواف الغنم وأوبار الإبل. المعجم الوسيط: ١٧٣ (حسك).

٤ ـ الكشّاف ٤: ٢٩٧؛ البيضاوي ٥: ١٩٩.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٤٤٨.

سورة الإخلاص[1]

[مكيّة، وهي أربع آيات][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم



﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

قال: «إنّ اليهود سألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقالوا: أنسب لنا ربّك. فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثمّ نزلت: "قُل هُوَ اللَّهُ أَحَد" إلى آخرها»[3].

قال: «اللّه معناه المعبود الّذي أَلِهَ الخلق عن درك ماهيّته[4] والإحاطة بكيفيّته، ويقول العرب: أله الرّجل: إذا تحيّر في الشّيء فلم يحط به علماً، ووله: إذا فزع إلى شيء ممّا يخافه ويحذره، والإله هو المستور عن حواسّ الخلق»[5].

١ـ في «ألف» و«ج»: «سورة التوحيد».

٢ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ـ الكافي ١: ٩١، الحديث: ١؛ التوحيد: ٩٣، الباب: ٤، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ في «ألف» و«ج»: «مائيّته».

٥ـ التّوحيد: ٨٩، الباب: ٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

وقال: «الأحد: الفرد المتفرّد ، والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرّد الّذي لا نظير له . والتّوحيد: الإقرار بالوحدة وهو الانفراد . والواحد: المباين الّذي لا ينبعث من شيء ولا يتّحد بشيء ، ومن ثَمَّ قالوا: إنّ بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد ؛ لأنّ العدد لايقع على الواحد بل يقع على الاثنين ، فمعنى قوله: "اللّه أحد" أي: المعبود الّذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيّته ، فَرْدٌ بإلهيّته ، متعالٍ عن صفات خلقه»[1] .

"اللّهُ الصَّمَدُ" قال: «الصّمد: الّذي لا جوف له . والصّمد: الّذي قد انتهى سؤدده ، والصّمد: الّذي لا يأكل ولا يشرب ، والصّمد: الّذي لا ينام ، والصّمد: الدّائم الّذي لم يزل ولايزال . وقال: الصّمد: السّيّد المطاع الّذي ليس فوقه آمر وناهٍ ، وقال: الصّمد: الّذي لا شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء ، ولا يعزب عنه شيء»[2] .

قال: «وكان محمّد بن الحنفيّة يقول: الصّمد: القائم بنفسه ، الغنيّ عن غيره . قال: وقال غيره: الصّمد المتعالي عن الكون والفساد ، والصّمد الّذي لا يوصف بالتّغاير»[3] .

وسئل عن تفسير الصّمد فقال: «إنّ اللّه سبحانه قد فسّر الصّمد فقال: "اللّهُ أَحَدٌ ، اللّهُ الصَّمَدُ" ثمّ فسّره فقال: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ" لم يلد: لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة الّتي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنّفس ، ولا تتشعب منه البدوات ، كالسّنة والنّوم والخطرة والهمّ والحزن والبهجة والضّحك والبكاء والخوف والرّجاء والرّغبة والسّآمة والجوع والشّبع ، تعالى عن أن يخرج منه شيء ، وأن يتولّد منه شيء كثيف أو لطيف ، ولم يولد: ولم يتولّد من شيء ، ولم يخرج من شيء ، كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشّيء من الشّيء والدّابّة من الدّابة والنّبات من الأرض والماء من الينابيع والثّمار من الأشجار ، ولا كما تخرج الأشياء اللّطيفة من مراكزها ، كالبصر من العين والسّمع من الأُذن والشّمّ من الأنف والذّوق من الفم والكلام من

١ ـ التّوحيد: ٨٩ ، الباب: ٤ ، ذيل الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

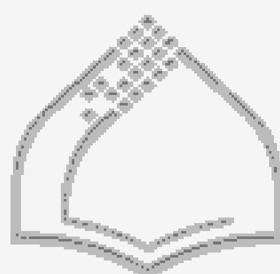
٢ ـ التّوحيد: ٩٠ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام .

٣ ـ التّوحيد: ٩٠ ، الباب: ٤ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

اللّسان والمعرفة والتّمييز من القلب ، وكالنّار من الحجر ، لا ؛ بل هو اللّه الصّمد الّذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقُها ، ومنشئ الأشياء بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم اللّه الصّمد الّذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشّهادة ، الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً أحد»[١] .

وفي رواية: «لم يلد فيكون له ولد يرثه[٢] ملكه ، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيّته وملكه ، ولم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه»[٣] .

وفي أُخرى: «هو اللّه أحد بلا تأويل عدد ، "الصّمد" بلا تبعيض بَدَد ، لم يلد فيكون موروثاً هالكاً ، ولم يولد فيكون إلهاً مشاركاً ـ وفي لفظ آخر: فيكون في العزّ مشاركاً[٤] ـ ولم يكن له من خلقه كفواً أحد»[٥] .



١ ـ التّوحيد: ٩٠ ، الباب: ٤ ، الحديث: ٥ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٦٦ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن الحسين بن عليّ عليهم السلام .

٢ ـ في «ج»: «يريد» .

٣ ـ التّوحيد: ٩٣ ، الباب: ٤ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبي جعفر عليهما السلام .

٤ ـ نهج البلاغة (الصبحي الصالح): ٢٦٠ ، الخطبة: ١٨٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٦٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

سورة الفلق

[مكيّة ، وهي خمس آيات][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: ما يفلق عنه ، أي: يفرق عنه ، وخصّ عرفاً بالصّبح وفسّر به .

وسئل عن الفلق ، فقال: «صدع في النّار فيه سبعون ألف دار ، في كلّ دار سبعون ألف بيت ، في كلّ بيت سبعون ألف أسود ، في جوف كلّ أسود سبعون ألف جرّة سمّ ، لابدّ لأهل النّار من أن يمرّوا عليها»[2] .

والقمّي: الفلق جبٌّ في جهنّم يتعوّذ أهل النّار من شدّة حرّه ، سأل اللّه أن يأذن له أن يتنفّس فأذن له ؛ فتنفّس فأحرق جهنّم[3] .

﴿مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ﴾ كان ما كان .

﴿وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ﴾: ليل عظم ظلامه ﴿إِذا وَقَبَ﴾: دخل ظلامه في كلّ شيء .

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: ومن شرّ النّفوس أو النّساء السّواحر اللّواتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها . والنّفث: النّفخ مع ريق .

ورد: «إنّ يهوديّاً سحر النّبيّ صلى الله عليه وآله في إحدى عشر عقدة في وَتَرٍ دسّه في بئر فمرض ،

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٢٧ ، الحديث: ١ . عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٤٤٩ .

ونزلت المعوّذتان وأخبره جبرئيل عليه السلام بموضع السّحر ، فبعث عليّاً عليه السلام فجاء به فقرأهما عليه ، فكان كلّما قرأ آية انحلّت عقدة ، فعوفي»[١].

قال: «كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يرى إنّه يجامع وليس يجامع ، وكان يريد الباب ولا يبصره حتّى يلمسه بيده ، والسّحر حقّ ، وما سلّط إلّا على العين والفرج»[٢].

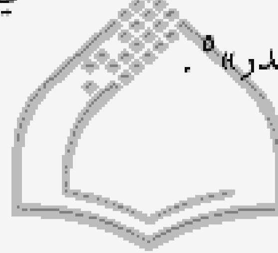
أقول: وأمّا قول الكفّار: إنّه مسحور ، فأرادوا به أنّه مجنون بواسطة السّحر .

﴿وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ﴾: إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه ، فإنّه لا يعود ضرره منه قبل ذلك إلى المحسود ، بل يخصّ به لاغتمامه بسروره .

قال: «أما رأيته إذا فتح عينيه وهو ينظر إليك ، هو ذاك»[٣].

قيل: خصّ الحسد بالاستعاذة منه ، لأنّه العمدة في الإضرار[٤].

ورد: «كاد الحسد أن يغلب القدر»[٥].



١ ـ طبّ الأئمّة: ١١٣ ، عن أبي عبد الله ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٦٨ ؛ البيضاوي ٥: ٢٠٠ ما يقرب منه .

٢ ـ طبّ الأئمّة: ١١٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ معاني الأخبار: ٢٢٨ ، الحديث: ١ .

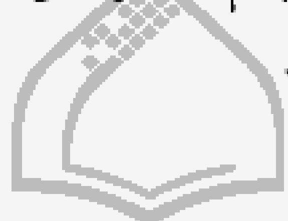
٤ ـ البيضاوي ٥: ٢٠١ .

٥ ـ الكافي ٢: ٣٠٧ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

سورة النّاس

[مكيّة ، وهي ستّ آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم



﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ .

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ .

﴿إِلٰهِ النَّاسِ﴾ .

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ يعني الموسوس ، عبّر عنه بالوسواس مبالغة ﴿الْخَنَّاسِ﴾ .

﴿الَّذِي﴾ عادته أن يخنّس ، أي: يتأخّر إذا ذكر الإنسان ربّه . القمّي: الخنّاس: اسم الشّيطان الّذي ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ إذا غفلوا عن ذكر ربّهم[2] .

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيانٌ للوسواس .

قال: «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أُذنان في جوفه ، أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس ، وأُذن ينفث فيها الملك ، فيؤيّد الله المؤمن بالملك ؛ فذلك قوله: "وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ"»[3] .

وفي رواية: «كذلك من النّاس شيطان يحمل النّاس على المعاصي ، كما حمل الشّيطان

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٥٠ .

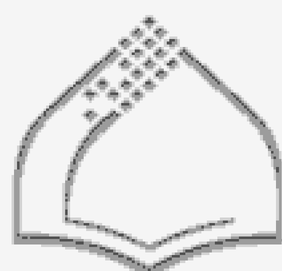
٣ ـ الكافي ٢: ٢٦٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٧١ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، والآية في سورة المجادلة (٥٨): ٢٢ .

من الجنّ»[١] . وقد سبق تفسير شياطين الإنس في سورة الأنعام[٢] .

تمّ كتاب الأصفى بسنتين بعد تمام الصّافي . والحمد للّه أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، وصلّى اللّه على محمّد وآله أجمعين الطّيّبين الطّاهرين وسلّم .



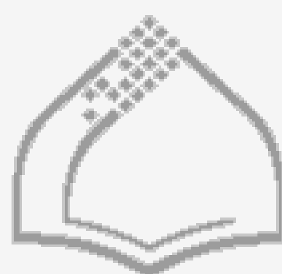
١ ـ القمّي ٢ : ٤٥٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ ذيل الآية : ١١٢ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهارس*



* يشتمل فهارس الجزءين.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

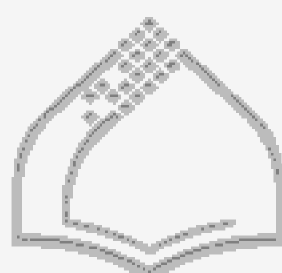
المائدة «٥»

الأنعام «٦»

الأعراف «٧»

الأنفال «٨»

التوبة «٩»


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

«خ»

«ش»

«غ»

«ف»

«ق»

«ك»

«ل»

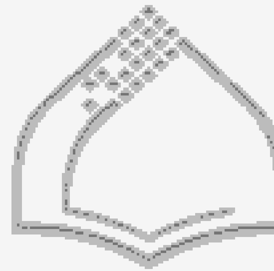
«ي»

الأحاديث القدسية

٣ ـ فهرس أسماء الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام

٤ ـ فهرس أسماء الملائكة عليهم السلام

٥ ـ فهرس الأعلام

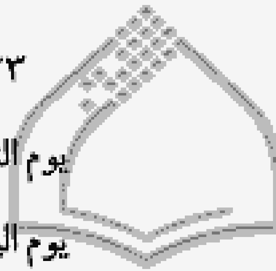


٦ ـ فهرس الكتب المقدسة

٧ ـ فهرس الأماكن والبقاع والأيّام

«ل»

«م»



٨ ـ فهرس الأُمم والقبائل والطوائف والفرق

«ك»

«م»

«ن»

«هـ»

«و»

«ى»

٩ـ فهرس المصادر

«الاحتجاج». لأبي منصور احمدبن علي بن أبي طالب الطبرسي(ق ٦). قم، مكتبة القدس.

«الإرشاد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ ٤١٣). قم، مكتبة بصيرتي. [بالأوفست عن مطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف].

«الاستغاثة في بدع الثلاثة». للسيّد أبي القاسم علي بن أحمد الكوفي (م٣٥٢). جزءان في مجلدٍ واحد، ٨٢ + ٩٢ ص/ النجف الأشرف.

«أسد الغابة». لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، ابن الأثير. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«أسرار الآيات». لصدرالدين محمّدبن إبراهيم الشيرازي (١٠٥٠). تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٤٠٢.

«الإصابة في تمييز الصحابة». لاحمدبن علي بن محمّد العسقلاني، ابن الحجر (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨.

«الاعلام». لخيرالدين الزرِكْلي (١٣١٠ـ ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

«أعيان الشيعة». للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي

(١٢٨٤ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

«أقرب الموارد». لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني. الطبعة الأولى.

«أمالي الصدوق». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (٣٨١). تقديم الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠.

«أمالي الطوسي». لأبي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. مجلّدان، بغداد، المكتبة الأهلية، ١٣٨٤/١٩٦٤م.

«أمالي المفيد». لأبي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري وحسين أستاد ولي. الطبعة الثانية، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

«بحار الأنوار الجامعة لِدُرَرِ أخبار الأئمّة الأطهار». للعلاّمة محمّد باقربن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد عدةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلّا ٦ مجلّدات، من المجلّد ٢٩ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣/١٩٨٣م. [بالأوفست عن طبعة إيران].

«بشارة المصطفى لشيعة المرتضى». لأبي جعفر محمّدبن أبي القاسم محمّدبن عليّ الطبري (القرن السادس). الطبعة الثانية، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

«بصائر الدرجات». لأبي جعفر محمّدبن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠). تقديم وتعليق و تصحيح ميرزامحسن كوچه باغي، شركت چاپ كتاب، ١٣٨٠.

«البيان في تفسير القرآن». للسيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الثانية، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٥/١٩٦٦.

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي (١١٤٥ـ١٢٠٥). ١٠ مجلّدات، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ـ١٣٠٧[١].

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّدبن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٥ ـ ١٤٠٩/ ١٩٦٥ـ١٩٨٩م].

«تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة». للسيد شرف الدين عليّ الحسيني الأسترابادي الغروي(القرن العاشر). تحقيق حسين أستاد ولي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

«التبيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«تحف العقول». لحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني (ق٤). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤.

«ترتيب كتاب العين». ترتيب وإعداد محمّدحسن بكائي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤.

«تفسير ابن جزي». لمحمّدبن احمدبن جزي الكلبي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣.

«تفسير أبي السعود» = «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم». للإمام أبي السعود محمّدبن محمّد العمادي (٩٥١). ٩ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١ـ كلّما أرجعنا إلى هذه الطبعة ـ لأنّ الطبعة المحقّقة لمّا تكمل بعدُ ـ ذكرنا بعد اسم الكتاب: «الطبعة القديمة» تمييزاً بينها وبين الطبعة الجديدة المحقّقة.

«تفسير البغوي». لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠). بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥.

«تفسير البيضاوي». لأبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٦٨٥). بيروت، دار الجليل.

«تفسير روح البيان». للشيخ إسماعيل حقي البرسوي (م١١٣٧). ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«تفسير روح الجنان». لأبي الفتوح الرازي (ق ٦). قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤.

«تفسير الصافي». لمحمّدبن مرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتقديم وتعليق الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مشهد، دار المرتضى.

«تفسير العياشي». لأبي النضر محمّدبن مسعودبن عياش السمرقندي (ق٣). تصحيح و تحقيق و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. قم، المطبعة العلمية.

«تفسير فرات الكوفي». لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ق٣). قم، مكتبة الداوري.

«تفسير القرآن العظيم». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). الطبعة الجديدة المصحّحة، ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«تفسير القمي». لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ق٣ـ٤). تصحيح و تعليق و تقديم السيد طيب الجزائري. الطبعة الثالثة، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤.

«التفسير الكبير» = «تفسير الرازي» = «مفاتيح الغيب». لمحمّدبن عُمَر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦). الطبعة الثالثة، ٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّدالحسن بن عليّ العسكري عليهم السلام». تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. قم، مطبعة مهر، ١٤٠٩هـ.

«تفسير نور الثقلين». للشيخ عبدعليّ بن جمعة العروسي الحويزي. (م ١١١٢). تصحيح و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلّاتي. ٥ مجلّدات، قم، مطبعة العلمية [بالأوفست].

«تنقيح المقال في علم الرجال». للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ـ١٣٥١). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].

«التوحيد». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م٣٨١). الطبعة الرابعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«تهذيب الأحكام». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤ هـ ش.

«تهذيب التهذيب». لأبي الفضل أحمدبن عليّ بن حجر العسقلاني (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دارصادر، ١٣٢٥.

«ثواب الأعمال». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١.

«الجامع لأحكام القرآن». لأبي عبدالله محمّدبن أحمد الأنصاري القرطبي (م ٦٧١). الطبعة الثانية، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧م. [بالأوفست عن الطبعة السابقة].

«جامع البيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر محمّدبن جرير الطبري (م ٣١٠). ٣٠ جزءاً في ١٢ مجلّداً، بيروت، دار المعرفة.

«جوامع الجامع في تفسير القرآن الكريم». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَّبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ ٥٤٨). تحقيق السيد محمّد عليّ القاضي الطباطبائي. مجلّد واحد، تبريز، مطبعة مصباحي. [بالأوفست عن طبعة تبريز، الرجب ١٣٧٩ هـ].

«جوامع الجامع». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ ـ ٥٤٨). تحقيق أبوالقاسم گُرجي. الطبعة الثانية، مجلّدان حتّى الآن، قم، شورى مديرية الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٩/ ١٣٦٧هـ ش.

«الخرائج والجرائح». لقطب الدين الراوندي (٥٧٣). الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، ١٤٠٩.

«الخصال». لأبي جعفر محمّدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«دائرة المعارف الإسلامية». لمجموعة من المستشرقين. ترجمة محمّد ثابت الفندي، أحمد الشنتناوي إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس.

«دائرة معارف القرن العشرين». لمحمّد فريد وجدي (١٣٧٣). الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩.

«الدرّ المنثور في التفسير المأثور». لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«الرائد». لجبران مسعود. الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦.

«روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». لأبي الفضل شهاب الدين السيد المحمود الآلوسي البغدادي (م ١٢٧٠). ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«روضة الواعظين». لمحمّد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨). تقديم السيد محمّد مهدي الخرسان، قم، منشورات الشريف الرضي.

«زاد المسير في علم التفسير». لأبي الفرج عبدالرحمن بن عليّ ابن الجوزي (م٥٩٧). تحقيق محمّدبن عبدالرحمن عبدالله. ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«سعد السعود». لرضي الدين السيّد علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي

(٥٨٩ ـ ٦٦٤). قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«سنن أبي داود». لأبي داود سليمان بن الأشعث السِجِسْتاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبوية.

«سنن البيهقي» = «السنن الكبرى». لأبي بكر أحمدبن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨). ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار المعرفة. [بالأوفست عن طبعة حيدرآباد الدكن].

«سنن التِرمْذي». لأبي عيسى محمّدبن عيسى بن سورة التِرمْذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩). تحقيق أحمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«السيرة النبوية». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧). تحقيق مصطفى عبدالواحد. بيروت، دار احياء التراث العربي.

«شرح أصول الكافي والروضة». للمولى محمّد صالح المازندراني (١٠٨١ أو ١٠٨٦). تعليق الميرزا أبوالحسن الشعراني. تصحيح وتخريج عليّ أكبر الغفاري. طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٢.

«شواهد التنزيل». لعبيد الله بن عبدالله، الحاكم الحسكاني (ق ٥). تحقيق و تعليق محمّد باقر المحمودي. الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١.

«الصحاح». لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣). تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤.

«صحيح البخاري». لأبي عبدالله محمّدبن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦). تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الرابعة، ٦ مجلّدات + الفهرس، دمشق و بيروت، دار ابن كثير و اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠/١٩٩٠م.

«صحيح مسلم». لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١).
تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ [بالأوفست عن طبعته السابقة].

«الصحيفة السجادية الكاملة». تقديم السيّد محمّد باقر الصدر. بيروت، دارالتعارف للمطبوعات.

«طب الائمّة». لأبي عتاب عبدالله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوري.
الطبعة الثانية، قم، منشورات الرضي، ١٤١١ـ١٣٧٠ [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ].

«علم اليقين». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). قم، انتشارات بيدار، ١٤٠٠.

«علل الشرائع». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تقديم السيّد محمّدصادق بحرالعلوم. [الطبعة الأولى]، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«عوالي اللآلي العزيزيّة في الاحاديث الدينيّة». للشيخ محمّدبن علي بن إبراهيم الإحسائي، ابن أبي جمهور. تحقيق مجتبى العراقي. ٤ مجلّدات، قم، مطبعة سيد الشهداء.

«عيون اخبار الرضاـع ـ». لمحمّدبن علي بن الحسين، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح وتذييل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. الطبعة الثانية، قم، نشر رضا مشهدي.

«غرائب القرآن». لحسن بن محمّد القمي النيسابوري، نظام النيسابوري. ٣ مجلّدات، الطبعة الحجرية، ١٢٨٠هـ.

«الغيبة». لأبي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٤٦٠). تقديم آغابزرك الطهراني.
الطبعة الثانية، قم، مكتبة بصيرتي، ١٤٠٨.

«فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير». لمحمّدبن عليّ بن محمّد

الشوكاني (م ١٢٥٠). ٥ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.
«فيض القدير». لمحمّد عبدالرّؤوف المناوي. بيروت، دار الفكر.
«القاموس المحيط». لمجدالدين محمّدبن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧). الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.
«قُرْب الإسناد». لأبي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري القمي (م بعد ٣٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣.
«قصص الأنبياء». لقطب الدين سعيدبن هبة الله الراوندي. تصحيح غلامرضا عرفانيان. الطبعة الأولى، رجب ١٤٠٩ هـ، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.
«قصص الأنبياء». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). تحقيق شيخ خليل المسيس. الطبعة السابعة، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
«الكافي». لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّدبن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١. [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].
«كتاب العين». لأبي عبدالرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة الأولى، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥.
«الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التأويل». لأبي القاسم جار الله محمودبن عُمَر الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨). ٤ مجلّدات، [قم]، نشر أدب الحوزة [بالأوفست عن طبعته السابقة، ١٣٦٦/ ١٩٤٧م].
«كشف المهجّة لثمرة المهجة». لأبي القاسم رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس الحسيني (٥٨٩ـ٦٦٤). قم، مكتبة الداوري [بالأوفست عن طبعة النجف،

المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م].

«كمال الدين و تمام النعمة». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٣/١٤٠٥.

«كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال». لعلاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨ ـ ٩٧٥). ١٦ مجلّداً + ١٢ الفهارس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

«لسان العرب». لجمال الدين محمّدبن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ـ ٧١١). ١٥ مجلّداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٧٦].

«مجمع البيان لعلوم القرآن». لأبي عليّ امين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ ـ ٥٤٨). تحقيق الميرزا أبوالحسن الشعراني. الطبعة الخامسة، ١٠ أجزاء في ٥ مجلّدات، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٥.

«مجمع البحرين». لفخر الدين الطريحي (١٠٨٥). تحقيق السيد احمد الحسيني، . الطبعة الثانية، طهران، مكتبة مرتضوي، ١٣٦٥.

«المحاسن». لأبي جعفر أحمد بن محمّدبن خالد البرقي (م ٢٧٤/ ٢٨٠). تحقيق جلال الدين الحسيني، المحدّث الأرموي. الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلامية.

«المحجة البيضاء». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري. الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٨٣.

«مختصر بصائر الدرجات». للشيخ حسن بن سليمان الحلّي (ق ٩). الطبعة الأولى، قم، انتشارات الرسول المصطفى(ص).

«مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول». للعلامة محمّدباقر بن محمّد تقي المجلسي

(١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد هاشم الرسولي ومحسن الحسيني الأميني. الطبعة الأولى، ٢٦ مجلّداً، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ـ ١٤١١/ ١٣٦٣ ـ١٣٦٩هـ ش.

«المستدرك على الصحيحين». لأبي عبدالله محمّدبن عبدالله، الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المسند». لأحمدبن حنبل (٢٤١). ٦ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«مصباح الشريعة». المنسوب إلى الإمام جعفربن محمّد الصادق(ع) (١٤٨). الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٠.

«مصباح المتهجد». لأبي جعفر محمّدبن الحسن الطوسي (٤٦٠). تصحيح و تقديم و نشر إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». لأحمدبن محمّدبن عليّ الفيّومي (م حوالي ٧٧٠). جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المعارف». لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ق). تصحيح و تعليق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٩.

«معاني الأخبار». لمحمّدبن علي بن الحسين ابن بابويه، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح عليّ اكبر الغفّاري. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦١.

«معجم البلدان». لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحَمَوي (٥٧٤ ـ ٦٢٦). الطبعة الثالثة ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩/ ١٩٧٩م.

«معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة». للسيّد أبي القاسم ابن السيّد عليّ أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

«معجم مفردات ألفاظ القرآن». للراغب الأصفهاني(٥٠٣). تحقيق نديم مرعشلي.

قم، دار الكتب العلمية.

«المعجم الوسيط». لدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي. محمد خلف الله أحمد. الطبعة الرابعة، قم، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

«المغازي». لمحمّدبن عمر بن واقد، الواقدي (٢٠٧). تحقيق الدكتور مارسدن جونس. نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥.

«مناقب ابن شهر آشوب». لأبي جعفر رشيد الدين محمّدبن عليّ بن شهر آشوب (٥٨٨). قم، المطبعة العلمية.

«من لا يحضره الفقيه». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق السيّد حسن الموسوي الخرسان. ٤ مجلّدات، بيروت، دارصعب و دارالتعارف، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

«النهايةفي غريب الحديث والأثر». لأبي السعادات مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد، ابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣هـ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت].

«نهج البلاغة». (مااختاره المؤلّف من كلام أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين). لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّدبن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. قم، الهجرة، ١٣٩٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٨٧].

«الوافي». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١). منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام العامّة. ١٧ مجلّداً حتّى الآن، إصفهان، مطبعة نشاط.

«هذا ما اصطفيت من تفسيري القرآن المسمّى بـ«الصافي»، راعيتُ فيه غاية الإيجاز مع التنقيح و نهاية التلخيص مع التوضيح، مقتصراً على بيان مايحتاج إلى البيان من الآيات دون ما يستغنى عنه من المحكمات الواضحات فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفى».

مقدمة المؤلف

AL-ASFĀ FI TAFSIR AL-QURĀN

[The Clearer Interpretation For Qurān]

(Vol. 2)

By:
Al-Mawlā Mohammad Mohsin
Al-Fayd Al-Kāshāni
(1007 - 1091 A.H.)

The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.
P. O. Box: 37185. 917
Qum, I.R. IRAN, phon no: 742155 - 7 Fax: 742154

شمارهٔ کتاب: ۵۹۱

مسلسل انتشار ۱۱۷۴